







مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي

١٠٤

المجلد الرابع والسبعون - القسم الثاني

السنة ١٤٢٢ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org



الأهرام

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
ومصدر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في طبع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد جيب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢/ نصر

ت: ٨٥٩٩ ٦٦٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا
الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

(الإسراء آية ١)

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيها مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠ ☎

رجب ١٤٢٢هـ - أكتوبر ٢٠٠١م - الجزء السابع - السنة الرابعة والسبعون

ثقافة الدَّاعِيَةِ الْمُعَاَصِرِ

لا نجد عصرا تجسدت فيه أسباب الشك حتى تكاد تلمس باليد كهذا العصر، إذ وُجدت فيه من ضروب العلم وأفانين المعرفة ما ساعد على زعزعة كثير من القواعد الراسخة في العقول، ثم جاء الفن الأدبي بشعره وقصصه ومسرحه وتمثيله، فساعد على تأكيد هذه البلبلة مساعدة طائشة، لأن أكثر القائمين بالتمثيل والإخراج قد ألهاهم الكسب الرخيص فأخذوا يستهونون النفوس بما يعرضون من مغريات هابطة وليس لديهم من الحصانة الخلقية في أكثرهم الغالب ما يزرهم عن هذا الاستهواء الآثم، ومن وُجد لديه بعض السمو فحاول الارتقاء بفننه رأى نفسه متخلفا غير سابق في دنيا الريح والاتجار، ومصيبة التأثير بالفن أكبر هولا من مصيبة التأثير بالعلم، لأن العلم في كتبه الخالصة وفروعه الدقيقة ومسائله المتشعبة، وقف على الخاصة من المثقفين أما الفن المسرحي بعد ذبوع الراديو والتلفزيون فقد أخذ يغشى كل منزل وأصبح ضروريا لا كماليا، إذ أن قضاء السهرات أمام الروايات التلفزيونية صار عادة متبعة لا سبيل إلى الخلاص منها، فماذا تقول في تأثير هذا الروايات على مستواها الفسيح إذا شحنت بضروب الملهيات، وملئت بشتى مظاهر الإسفاف! تلك مأساة دامية يدعى فيها الصبر، ويتحتم الإسراع بالعلاج.

ونعود إلى الشك الذي أحدثه ما يدعى بالتقدم العلمي في هذا العصر فنقول: إن العلوم الحديثة في وضعها الجديد، قد مالت بالعقل إلى الزعزعة الخلقية، لأن أوربا المعاصرة في دراستها المتعددة لهذه العلوم لم تشأ أن تربط بينها وبين الخلق الكريم، بل جعلتها في كثير من أمورها، تصطدم بما تقرره قواعد الأخلاق من مثل، بل إن بعضها يعد المثل الأعلى خرافة مضحكة يشتغل بها البلهاء! وقد ازدهرت هذه العلوم ازدهارا كبيرا، وأصبحت مادة الدراسة في الكليات والمعاهد، وباب القراءة في الصحف والمجلات، وميدان البحث النظري في الكتب والمحاضرات، والداعية المعاصر مضطر تمام الاضطرار إلى أن يلم بهذه العلوم كي يقنع هذه العقول المتشككة،



فإذا اقتصر على الكتب الدينية وحدها جوبه بما لا يستطيع الثبات أمامه من اعتراضات، وأصبح داعية السذج من العوام، وهؤلاء مؤمنون أصلاً بفطرتهم السليمة لا يحتاجون إلى جهد جبار في الدعوة إلى الرشاد. وهو بمعاودة إرشادهم لا يضيف أرضاً جديدة للإسلام، وإن كان عمله لا يخلو من نفع واضح في تأكيد العقيدة وتثبيت القلوب على الإيمان، ولكن الأهم من ذلك كله أن يرتقى بنظره إلى الخاصة ممن درسوا علوم العصر فتعرضوا لزعازع الشك، وفيهم من أراح نفسه حين استكان إلى الإلحاد جهلاً وقصوراً ومن لم يسلك هذا السبيل قد صار في مهبط العواصف لا يدري أين يتجه، فإيمانه الموروث يدعوه إلى الثبات والصمود، وزعازع العلوم المعاصرة تهب عليه من كل سبيل، فتزعزع الرواسخ من قواعد هذا الإيمان ولابد من أن يتجه الداعية إلى دراسة هذه العلوم ليميز الخبيث من الطيب ويجذب إليه نفوساً تريد أن تتلمس وسائل الإرشاد النافع فتضل السبيل.

إن من أول هذه العلوم القوية التأثير في بذر الشك الديني ما يعرف بعلم النفس، إذ اتجه هذا العلم إلى دراسة ما يسمى بالعقل الباطن، فاهتدى إلى أن الانحراف والشذوذ والتسفل نتائج محتومة لغرائز طبيعية تعمل عملها، ولا حيلة في مصادمتها، ومن ثم أغار على الفضائل النبيلة غارات مكتسحة حين ردها كلها إلى دواع هابطة من حب الظهور والإغراق في الأنانية، فالجهاد الذي يستشهد في سبيل الله مثلاً، هو لدى علماء النفس إما أناني يحب نفسه أكثر من اللازم فيدفع بها إلى الاستشهاد ليحدث له دوراً بعد استشهاد حين يتحدث الناس عن بطولته، ويعطرون المجالس ببسالته، وإما أن يكون معذباً في حياته فيحاول الخلاص منها انتحاراً في ميدان القتال، فيندفع إلى المعركة لا حباً للعقيدة، ولا دفاعاً عن الوطن بل للنجاة من مضايك كريمة يصلها سرا دون أن يشعر بها أحد سواه، والجواد الكريم حين يتبرع بماله لا يريد وجهه الله قدر ما يريد حسن الأحدثه وجمال الإطراء وإعظام العامة والخاصة، والداعية الذي يهدي الناس إلى الصراط القويم، لا يتغنى وجهه الله في صميم عمله، بل يريد وجاهة بين العامة والخاصة، ويحرص على مظاهر التبجيل والتعظيم، وهكذا تعرضت الفضائل الإنسانية في أكثر أمورها إلى تفسير خاطئ يجعلها ظواهر لأمراض خلقية، بل إن حب الوالد لولده والأم لابنها حب مغرض، لا ينبعث في منطق هؤلاء عن رحمة حانية وإشفاق نبيل، بل ينبعث عن حب للذات حين يريد الوالد أن يكون الأبناء عامل نفع في الحياة فيساعدوا الآباء في زمن الكبر والشيخوخة، وحين يكونون عامل تذكّار لهم بعد الموت، إذ يحملون أسماءهم ويخلدون آثارهم! وإذا كان هذا الشعور الأبوى الصادق مربياً في تحليله النفسى، فماذا نقول إذن فيما دونه من مشاعر الصداقة والأخوة وظواهر التعاون والتماسك والإيثار!!

نترك علم النفس إلى علم الاجتماع، لنجده قد أوقع الإنسان في جبرية محتومة لا سبيل إلى



الخلاص منها، لأن الفرد رهن بالوراثة من ناحية، وبالبيئة من ناحية أخرى، فعامل الوراثة يدفعه إلى سلوك معين يمليه عليه كيانه الداخلى بما ورث من أعصاب وانفعالات وما يصيب كيانه العضوى من صحة ومرض وعامل البيئة يخضعه إلى ظروف خاصة تغله بقيودها الثقيلة، فالمناخ الجوى والمناخ الاجتماعى والمناخ الاقتصادى وسائر ما يحيط بالمرء فى مجتمعه يسيره تسييرا ألياً بحيث لا يكون الانحراف عنه إلا موضعاً للشذوذ الطارئ، أما القاعدة العامة فهى التى تحكم السير نحو ما توجهه أوضاع البيئة، ولهذا الكلام وجاهته إذا روعى كل شئ بقدر، فيعرف للوراثة أثرها، وللبيئة ضرورتها كما يراعى للإنسان من ناحية ثانية تفكيره وتميزه، وقدرته على تمييز الطيب، ورفض الردئ وسلوكه النابع من هذا التمييز، وهذا ما يحدث فعلاً، لأن الإنسان فى صميم نفسه يتمتع بقدر كبير من الحرية يهديه سواء السبيل، ويريه سبيلى الخير والشر، تصديقا لقول الله عز وجل:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾

سورة الشمس (٧ : ١٠)

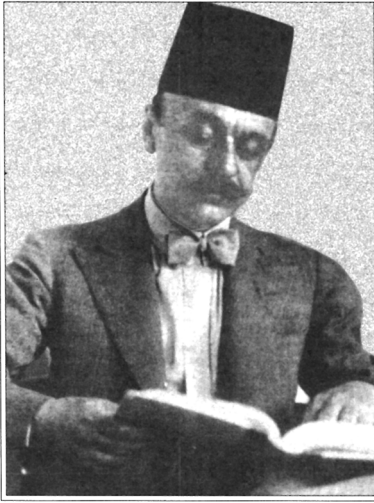
والطفل الصغير ذو إرادة معقولة تجعله يصحب من يحب وابتعد عما يكره، ويأكل ما يستطيع ويتجنب ما يرفض، وهو بعد طفل لم يكتمل إدراكه كل الاحتمال وكذلك الحيوان الأعجم يفهم اتجاهه ويتجنب شرور ما يتوقع، ويحتال إلى الوصول لما يريد، فهو ممتع بمقدار كبير من الحرية، ولكن نفرا من علماء الاجتماع يحاولون أن يجعلوا الإنسان كما قال الشاعر القديم:

ألقاه فى اليم مكتوفاً وقال له

إياك إياك أن تبتل بالماء

وواجب الداعية أن يدرس هذا العلم ليحاجبه ما يعترض الناس من شكوك، وليظهر رأى الإسلام مدعماً بالحجة العقلية والنص القرآنى معاً، وما ورد فى الصحاح من آثار.

أما علم الاقتصاد فقد ساء حظه لدى الدارسين، الذين التزموا الوجهة الأوربية فى التحليل والتعليل لأن المعسكر الرأسمالى يدفع أساطينه إلى نوع خاص من التفكير المالى يغلب عليه الحرص، وتسوده الرغبة فى الابتزاز والانتهاز حتى لكان الأسواق المالية غابات تنصارع فيها الوحوش لينهض كل وحش بما يستطيع الوثوب عليه من ضحايا وفرائس، وإذا وجدت ضوابط حافظة فهى للوقاية من الاصطدام لا لرعاية الحقوق وتقديس الواجبات، أما المعسكر الشيوعى فقد بنى سياسته المالية على إثارة الحقود، وتآليب الطبقات وإحداث المنازعات بحيث لا يخلو المجتمع من حاقد ومحقود عليه، وادعاء الاشتراكية أصبح من الزيف فى مجال التطبيق بحيث لا



الأستاذ/ محمد فريد وجدى
ترك مؤلفات تثرى ثقافة الداعية

يصدق من يرى الرؤساء فى العالم الشيوعى يعيشون عيشة الأباطرة، ويزعمون أنهم يرعون حقوق الطبقات الكادحة، ويناصرون العمال والفلاحين، ويسهمون فى تكوين مجتمع عالمى ينتفى فيه الحسد وتنعدم البغضاء! وإذا صح ذلك فمالنا نرى الدول الشيوعية تصطدم وتتنازع، ولا يقل الصراع السياسى بينها عن صراع المعسكر المقابل! وإذا كانت هذه التيارات المتقابلة قد وجدت دعايتها البراقة فى المجتمعات الإسلامية فلا بد أن يفتح الداعية المسلم عينيه على هذه الهزات التى تزلزل أرضه زلزلا عميقا، والتى تحتاج منه إلى تسكين وتمكين.

وأما العلوم السياسية فقد اتجهت الوجهة الميكافيلية بحث أصبحت الغاية تبرر الوسيلة، وأصبحت الدولة المنتصرة هى صاحبة الحق مهما قام انتصارها على البغى! وقد ساد منطق القوة بين الشعوب المتأخرة، ولا عجب أن يسود فى عالم غابت عنه رسالة السماء، ولكن العجب أن يجد من علماء السياسة من يشيدون بالاتجاه الميكافيلى ويرونه دليل النجاح! مهما قام على البغى والاعتداء، لأن الحصول المبكر على الثمرة الناضجة هو الهدف المنشود ولا يعنى هؤلاء أن يكون هذا الحصول عن طريق السرقة والاعتصاب أم عن طريق الكسب المشروع وللسياسة كتبها ودعاتها ولها بريقها الخادع ولكن ذلك كله بعيد عن منطق الإيمان.

ولعل العلم الطبيعى بعد ظهور (دارون) و شيوع نظرية أصل الأنواع لم يعد خافيا على الناس بما أحدث من بليلة دينية، وقد يكون من الحق أن نذكر أن فضلاء من الباحثين قد مزقوا الأسطورة الدروونية كل ممزق بما اهتموا إليه من الحق الصريح، ولكن من الحق أن نقول: إن مؤيدى هذه النظرية لا يقفون عند مدلولها العلمى المعقول بل يتعدونها إلى شكوك تتجه نحو عالم الغيب، وفيهم من تشربته المادية تشربا جعلته يكفر بكل ما جاءت به الأديان السماوية جميعها من يهودية ومسيحية وإسلام! ومن حسن الحظ أن اللغة العربية لم تعدم كتباً علمية ذات سلاح بآثر يهدم هذه النظرية، ويظهر عوارها الخادع، وعلى الداعية الإسلامى أن يقرأ ويدرس ليحارب العلم بالعلم، ويفل الحديد بالحديد، ومن أشهر ما كتب فى هذا المجال مؤلفات الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى رئيس تحرير مجلة الأزهر الأسبق.



على أن سلوك الداعية فى تصديه للنقاش، ومبادرته للدفاع، يجب أن يكون فى مستوى الأستاذ الموجه، والقائد المرشد، لأن سلوكه الإنسانى يقدم النموذج الأتم للمسلم المكتمل، ومهما برع علما وفاق حجة فالسلوك الأمثل مناط التأثير وموضع الانصياع، ولا نريد بالسلوك سلوك الحياة فى أسلوب معيشتها وحده. بل نضيف إليه سلوك الداعية حين يقوم بأعباء الدعوة، مناقشا ومجيبا ومعترضا وموافقا، فإن سبيل الهداية يحتاج إلى سعة صدر، ورحابة أفق، قدر ما يحتاج إلى قوة بصيرة وغزارة علم، وعمق خبرة، إن سعة الصدر عنصر قوى من عناصر النجاح إذ بها يمتص الداعية كل غضب، ويتغلب على عوامل الشطط والجموح حين يصدران من المناقش اللجوج، ولذلك قال الله - عز وجل - فى محكم كتابه:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم مَّا يَنْتَهِى عَنْ أَحْسَنِ

سورة النحل (١٢٥)

أعرف أن الإنسان كبشر يضيق بالتعسف واللجاج، ويرى المشتط فى تعسفه إنسانا مريضا يحتاج إلى علاج، والعلاج لدى الداعية هو الحلم الكاظم والصبر الصفوح، إذ يجب عليه أن يتوقع كل شطط، وأن يعلم أن الريح ستهب من كل اتجاه تحمل الغبار الثائر، وتطمس وجه الأفق وقد يعقبها رعود وبروق وأمطار، يعلم ذلك ويقدره ويراه غير غريب، حتى إذا جوبه به، ملك زمام تفكيره وأخذ يتصرف أمام مناورته كما يتصرف الأب المجرب أمام ولده المراهق النزق، يعرف أنه مخطئ متسرع. ولكنه بحنانه يدفعه إلى أن يبتسم وأن يهدى للتى هى أقوم، بصبر راسخ وحلم رشيد.

قد يجابه الداعية أقسى ما يتوقع من انكار لوجود الله، ومن إنكار لبعثة الرسل ومن إنكار ليوم البعث، وعليه حينئذ أمام هذه الدواهي المنكرة أن يتسلح بالابتناسم ليرى من صفحة وجهه ما يدل على السماحة والرفق حتى إذا ملك زمام نفسه بدأ بالرد فى رفق ولين.

أسوق تجربة واعية لداعية أمين. ووجه بالإنكار الصارم لهذه المسائل الثلاث، مسألة وجود الله، ومسألة البعث الأخرى. ومسألة إرسال الرسل، فلم يعبس فى وجه صاحبه، بل رحب بما سأل مبتسما ثم قال فى رفق غفور، متجها إلى المعارض فى حنو وكأنه يعاتب صديقا من أعز الأصدقاء.

قال الداعية فى سماحة لصاحبه:



إن ما سمعته منك لم يكن مستغرباً لدى، فقد عصفت بى العواصف، كما عصفت بك، ومضى على زمان وقفت فيه فى مهب الأعاصير، أشك ولا أوقن، وأضل ولا اهتدى، وأثور ولا اهدأ، ولكنى كنت أطلب العون من عقلى دائباً مفكراً، فرأيتنى أزيح ما تراكم فى عيني من الغيوم شيئاً فشيئاً بطول النظر وإمعان الفكر حتى صفا الجو وأشرقت الشمس فى الآفاق .

لقد نظرت إلى نظام هذا الكون حيث تسير الحياة فى نسق مطرد

﴿لَا الشَّمْسُ بِبَعِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ
الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

سورة ياسين (٤٠)

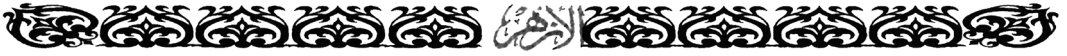
ينزل المطر فيروى الأرض، وينشق الجمد عن نبات أخضر يحمل رزق العباد! يتكون الإنسان جنيناً فعلة فمضغة ثم يصير طفلاً يرى الوجود فى وقت معلوم، وقد جهز بآلات وقف العلم أمامها حائراً وسار على نظام لا يختل ولا يعتل! يولد الحيوان كما يولد الإنسان ليؤدى دوره الطبيعى فى الحياة، تزدهم الأكوام بالكواكب والنجوم والأفلاك دون أن تتصادم، تجرى البحار بالمياه، وتكن آلاف الأسماك والحيتان لتكون رزقاً للناس! أ يكون هذا الإبداع فى السماء والأرض والإنسان والحيوان قد جاء اعتباطاً دون أن يقوم على أمره إله!

أى عقل يقبل أن ينهض بناء أرضى كمنزل أو مدرسة أو مصنع دون أن يقوم به أناس يفكرون ويعملون! وإذا استحال أن يُبنى منزلٌ صغيرٌ بدون بان، فكيف تنتظم أمور الكون دون موجد يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

إلى هنا - يا أخى - وجدت طبقة من الغيم تنزاح من فوق عيني، فأمنت بإله خلق الكون، وأبدع الكائنات، فزالت الكربة الأولى .

ثم جعلت أفكر فى أمر القيامة وساءلت نفسى : أحقا سيقوم الناس لرب العالمين؟ أحقا سينفخ فى الصور يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة؟ أحقا ستنشق السماء فهى يومئذ واهية، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية؟ أحقا سيخرج الناس من الأجداث كأنهم إلى نصب يوفضون، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى يوعدون؟

جعلت أسأل نفسى هذه الأسئلة؟ فوجدتني اتجه إلى هذا الخالق الذى أبدع



الكائنات جميعها وقد اعترفت بوجوده، وأصبحت لا أشك لحظة في قيامه على أمر السموات والأرض، فقلت في نفسي أيجوز أن يخلق الله هذا الكون وأن يجعل الإنسان خليفته في الأرض، ثم يدع الناس كما شاءوا دون ثواب أو عقاب؟ لو جاز أن يكون ذلك ما صلح نظام وما استقام أمر، لا بد أن الذى خلق الناس وهداهم بالعقل قد كفل لهم رسالة حية يؤدونها على ظهر البسيطة فيما أن يكونوا اختياراً بررة، فيلقوا ثوابهم وأما أن يكونوا أشراراً فجرة فيلقوا عقابهم:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

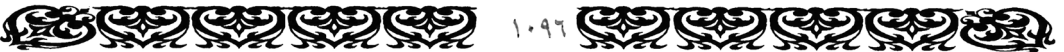
سورة المؤمنون (١١٥)

وإذا اعترفنا بأن مبدع الكون مصور حكيم فإن من حكمته البالغة أن يجزى بالمعروف معروفاً وبالمنكر منكراً وليس من الحكمة أن يودع الإنسان عقلاً حسيماً وإدراكاً مستنيراً ثم يتركه كالسائمة!! وإذن فما نفع الحياة؟ إذا كانت مجرد حياة وفناء!! دون أن تؤدي إلى بقاء دائم، لتذهب إذن إذا كانت دورتها الأولى في الأرض هي كل شيء، لأن الإنسان مهما عاش فسيموت، ولن يجديه العيش نفعاً إذا انتهت حياته بموته أما إذا استقبل حياة أخرى، فإن البقاء بها اكتمال لحكمة الوجود، وتنفيذ لمشئته خالق الكون ذى الجلال والإكرام.

قلت في نفسي ذلك، وأخذت أفكر فيما أقول، فوجدت الحياة بدون جزاء عبث لا يفعله إله، ورأيت لدى يقيننا جازماً باليوم الآخر حين يتم الثواب والعقاب، فشعرت أن طبقة أخرى من الغيم قد زالت عن عيني، وأنى صرت أو من بيوم الجزاء كما آمنت من قبل بوجود الله.

بقيت الثالثة: وهي إرسال الرسل! فماذا أقول فيها؟

لقد قرأت ما يقول الملحدون عن الرسل، فعرفت اتجاههم نحو هؤلاء، إذ هم في رأيهم مصلحون أذكاء، رأوا العالم فى فساد، ففكروا فى هدايته، وكان لهم من ثاقب النظر، وعمق التفكير، وصفاء البصيرة ما حب إليهم النضال من أجل سعادة الإنسان! وحين عرفوا أنهم على الحق زادوا إيماناً بواجبهم الإصلاحى، وتغلغل هذا الإيمان لديهم حتى اعتقدوا أنهم مسيرون لا مخيرون وأنهم مرسلون من الله! هذا ما يقوله من يحترم الأنبياء، والرسل ويشك فى صلتهم بالسماء!





ولكن النظر إلى الرسائل السماوية، يهدى إلى أنها جاءت بما فوق طاقة البشر أن يأتوا به، فمهما بلغ الرسل من الذكاء والفصاحة فهو لا يستطيع أن يخترع كتاباً سماوياً، لدينا مثلاً كتاب الله - عز وجل - وهو القرآن أيجوز أن يأتى به بشر؟ وقد تحدى الله جميع الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا! أيجوز أن يكون قد صنعه محمد ﷺ؟ إننا نقرأ الحديث الشريف ونعرف أسلوب الرسول فيما ترك من خطب وقصص ورسائل وفيما قال من حديث! أيجوز أدنى تشابه بين الأسلوبين: أسلوب القرآن وأسلوب الحديث، وإذا تعذر أن يوجد تشابه ما بين الأسلوبين، فأسلوب القرآن منفرد بالإعجاز، ولن يكون إلا من لدن حكيم عليم.

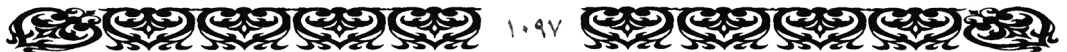
ثم إن العقل البشرى مهما زاد اكتمالاً، وعلا سمواً، واثلق ضياءً، فله حد يقف عنده!

أفيجوز أن يصنع كتاباً سماوياً يتحدث عن الغيب؟ وتأتى الأيام بما يصدق هذا الحديث، لن يعرف الغيب إلا عالم الغيب والشهادة فكيف يرتقى إليه الإنسان كائناً من كان!

هنا وجدت الغشاوة جميعها تنزاح عن عيني وعدت مبصراً أرى الحياة سعيدة تأتلق بنور الإيمان.

هذه خلاصة ما واجه به الداعية صديقه المفكر، وقد جذبه إلى معتقده بما ساق من حجج وما اعتصم به من سلوك رشيد، فعلى الدعاة أن يكونوا على مستوى الكلمة من الهداة، لتؤكد الثقة بهم فى نفوس المستمعين والقارئ، كما أن على الداعية إذا وفق إلى اجتذاب الناس ألا يشمخ مزهوا فالله ولى التوفيق، وفى دراسته الواعية لما اعتصم به السابقون من الدعاة من تواضع مخلص، ورضا هادىء وحنو صادق، ما يجعله يخفض لمستمعيه جناح الذل من الرحمة ليبليغ بهدايتهم ما يريد.

د. محمد رجب البيومي



مَعَ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ فِي ذِكْرِ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ

لفضيلة الأيام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

بمناسبة ذكرى الإسراء
والمعراج تقدم مجلة الأزهر
هذه الآيات الكريمة من
تفسير سورة الإسراء
احتفاء بالذكرى العطرة.

قال الله - تعالى - :

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَّا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

الإسراء آية رقم (١)

مفعول مطلق - بفعل محذوف، والتقدير:
سبحت الله - تعالى - سبحانا أى تسبيحاً،
بمعنى نزهته تنزيهاً عن كل سوء.

قال القرطبي: وقد روى طلحة بن عبيد
الله الفياض أحد العشرة - أى المبشرين بالجنة

افتتحت سورة الإسراء بتنزيه الله - تعالى -
عن كل ما لا يليق بجلاله، كما يدل على
ذلك لفظ ﴿سُبْحَنَ﴾ الذى من أحسن وجوه
إعرابه، أنه اسم مصدر منصوب - على أنه



- أنه قال للنبي ﷺ : ما معنى سبحان الله ؟
فقال : « تنزيه الله من كل سوء »^(١).

وقوله : ﴿ أَسْرَى ﴾ من الإسرائاء، وهو السير
بالليل خاصة .

قال الجمل : يقال أسرى وسرى، بمعنى سار في
الليل، وهما لازمان، لكن مصدر الأول الإسرائاء
ومصدر الثاني السرى - بضم السين كالهدى -
فألهزمة ليست للتعدي إلى المفعول، وإنما جاءت
التعدي هنا من الباء . ومعنى أسرى به، صيره
ساريا في الليل^(٢).

والمراد ﴿ يَعْْبُدْهُ ﴾ خاتم أنبيائه محمد ﷺ،
والإضافة للتشريف والتكريم .

وأوثر التعبير بلفظ العبد، للدلالة على أن مقام
العبودية لله - تعالى - هو أشرف صفات المخلوقين
وأعظمها وأجلها، إذ لو كان هناك وصف أعظم
منه في هذا المقام لعبر به، وللإشارة - أيضا - إلى
تقرير هذه العبودية لله - تعالى - وتأكيدها، حتى
لا يلتبس مقام العبودية بمقام الألوهية، كما التبسا
في العقائد المسيحية، حيث ألهاوا عيسى - عليه
السلام - وألهاوا أمه مريم، مع أنهما بريئان من
ذلك ..

قال الشيخ القاسمي نقلا عن الإمام ابن القيم
في كتاب « طريق الهجرتين » : أكمل الخلق

أكملهم عبودية لله - تعالى -، ولهذا كان النبي
ﷺ أقرب الخلق إلى الله - تعالى - وأعظمهم عنده
جاها، وأرفعهم عنده منزلة، لكماله في مقام
العبودية . وكان ﷺ يقول : « أيها الناس ما أحب
أن ترفعوني فوق منزلتي . إنما أنا عبد » . وكان
يقول : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح
ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله » .

وذكره - سبحانه - بسمه العبودية في أشرف
مقاماته : في مقام الإسرائاء حيث قال :

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾

وفي مقام الدعوة حيث قال :

﴿ وَأَنۡتَ مَلَكًا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ ..^(٣)

وفي مقام التحدى حيث قال :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ ..^(٤)

وقوله : ﴿ لَيْلًا ﴾ ظرف زمان لأسرى .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : الإسرائاء لا
يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل ؟ .

قلت : أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير، تقليل
مدة الإسرائاء، وأنه أسرى به بعض الليل من مكة
إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التنكير
فيه قد دل على معنى البعضية ..^(٥)

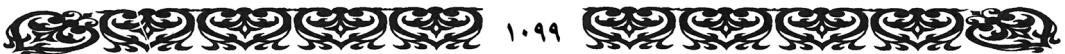
١- تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٠٤ .

٢- حاشية الجمل ج ٢ ص ٦٠٨ .

٣- سورة الجن الآية (١٩) .

٤- تفسير القاسمي ج ١٠ ص ٣٨٨٤ والآية من سورة البقرة (٢٣) .

٥- تفسير الكشاف ج ٢ ص ٤٢٦ .



وقوله:

﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ .

بيان لابتداء الإسرائ وانتهاه.

أى: جل شأن الله - عز وجل - وتنزه عن كل نقص، حيث أسرى بعبده محمد ﷺ فى جزء من الليل، من المسجد الحرام الذى بمكة إلى المسجد الأقصى الذى بفلسطين.

ووصف مسجد مكة بالحرام، لأنه لا يحل انتهاكه بقتال فيه، ولا بصيد صيده، ولا بقطع شجره.

ووصف مسجد فلسطين بالأقصى، لبعده عن المسجد الحرام، إذ المسافة بينهما كان يقطعها الراكب للإبل فى مدة شهر أو أكثر.

قال الآلوسى: ووصفه بالأقصى - أى الأبعد - بالنسبة إلى من بالحجاز. وقال غير واحد: إنه سمي به لأنه أبعد المساجد التى تزار من المسجد الحرام وبينهما زهاء أربعين ليلة. وقيل - وصف بذلك -: لأنه ليس وراءه موضع عبادة فهو أبعد مواضعها.. (٦)

وظاهر الآية يفيد أن الإسرائ كان من المسجد الحرام، فقد أخرج الشيخان والترمذى والنسائى من حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا فى الحجر - وفى رواية - فى الحطيم، بين النائم واليقظان، إذ أتانى آت فشق ما بين هذه إلى هذه، فاستخرج قلبى فغسله ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له البراق فحملت عليه»..

وقيل أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبى

طالب، فيكون المراد بالمسجد الحرام: الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به. فعن ابن عباس - رضى الله عنهما -: الحرم كله مسجد.

ويمكن الجمع بين هذه الروايات، بأن الرسول ﷺ بقى فى بيت أم هانئ لفترة من الليل، ثم ترك فراشه عندها وذهب إلى المسجد، فلما كان فى الحجر، أو فى الحطيم بين النائم واليقظان أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات العلا. ثم عاد إلى فراشه قبل أن يبرد - كما جاء فى بعض الروايات.

وبذلك يترجح لدينا أن وجود الرسول ﷺ فى تلك الليلة فى بيت أم هانئ، لا ينفى أن الإسرائ بدأ من المسجد الحرام، كما تقرر الآية الكريمة.

وقوله:

﴿الَّذِى بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ صفة مدح للمسجد الأقصى.

أى: جل شأن الله الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذى أحطنا جوانبه بالبركات الدينية والدنيوية.

أما البركات الدينية فمن مظاهرها: أن هذه الأرض التى حوله، جعلها الله - تعالى - مقرا لكثير من الأنبياء، كإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى.

قال - تعالى -:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْمَعُ بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى بَرَكْنَا فِيهَا﴾ (٧).

٦- تفسير الآلوسى ج ١٥ ص ٩.

٧- سورة الأنبياء الآية (٨١).



وقال - سبحانه - فى شأن إبراهيم :

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُكَ وَلَوْ طَافَ إِلَى الْأَرْضِ أَلَّتْ بِرُكْنَيْهَا الْعَلَمَاتُ﴾ (٨).

والمقصود بهذه الأرض : أرض الشام، التى منها فلسطين .

وأما البركات الدنيوية فمن مظاهرها : كثرة الأنهار والأشجار والثمار والزروع فى تلك الأماكن .

قال بعض العلماء : وقد قيل فى خصائص المسجد الأقصى : أنه متعبد الأنبياء السابقين، ومسرى خاتم النبیین، ومعراجة إلى السموات العلاء . وأولى القبلتين وثانى المسجدين، وثالث الحرمين، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه . (٩)

وقوله - سبحانه :-

﴿لِئْلَئِهِمْ مِنْ آيَاتِنَا﴾ إشارة إلى الحكمة التى من أجلها أسرى الله - تعالى - بنبيه ﷺ فقولہ :

﴿لِئْلَئِهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَسْرَى﴾ .

و«من» للتبعيض لأن ما رآه النبى ﷺ وإن كان عظيما إلا أنه مع عظمته بعض آيات الله بالنسبة لما اشتمل عليه هذا الكون من عجائب .

أى : أسرينا بعبدنا محمد ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله،

ثم عرجنا به إلى السموات العلاء، لنطلعه على آياتنا، وعلى عجائب قدرتنا، والتى من بينها : مشاهدته لأنبيائنا الكرام، ورؤيته لما نريد أن يراه من عجائب وغرائب هذا الكون .

ولقد وردت أحاديث متعددة فى بيان ما أراه الله - تعالى - لنبيه ﷺ فى تلك الليلة المباركة، ومن ذلك ما رواه البخارى عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال :

« ... ووجدت فى السماء الدنيا آدم فقال لى جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه ورد على آدم السلام فقال : مرحبا وأهلا بابنى، فنعم الابن أنت .. »

وفى رواية الإمام أحمد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لما عرج بى ربى - عز وجل - مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون فى أعراضهم ... » (١٠)

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بما يدل على سعة علمه، ومزيد فضله فقال - تعالى :-

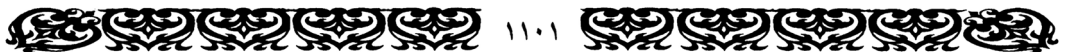
﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

أى : إنه - سبحانه - هو السميع لأقوال عباده : مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم . بصير بما يسرونه ويعلنونه،

٨- سورة الأنبياء الآية ٧١ .

٩- تفسير القاسمى ج ١٠ ص ٣٨٨٥ .

١٠- تفسير ابن كثير المجلد الخامس ص ٨ طبعة دار الشعب .





كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه، وذكر النقاش ممن رواه عشرين صحابيا. (١٣)

٢- قال بعض العلماء ما ملخصه: ذهب الأكثرون إلى أن الإسراء كان بعد المبعث، وأنه قبل الهجرة بسنة. قاله الزهري وابن سعد وغيرهما. وبه جزم النووي، وبالع ابن حزم فنقل الإجماع فيه. وقال: كان في رجب سنة اثنى عشرة من النبوة.

واختار الحافظ المقدسي أنه كان في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب. (١٤)

والذى تطمئن إليه النفس أن حادث الإسراء والمعراج، كان بعد وفاة أبى طالب والسيدة خديجة - رضى الله عنها -.

ووفاتهما كانت قبل الهجرة بسنتين أو ثلاثة. وفي هذه الفترة التى أعقبت وفاتهما اشتد أذى المشركين بالنبي ﷺ فكان هذا الحادث لتسليته ﷺ عما أصابه منهم، ولتشريفه وتكريمه.

٣- من المسائل التى ثار الجدل حولها، مسألة: أكان الإسراء والمعراج فى اليقظة أم فى المنام؟ وبالروح والجسد أم بالروح فقط؟

وقد لخص بعض المفسرين أقوال العلماء فى هذه المسألة فقال: اعلم أن هذا الإسراء به

وسيجازى كل إنسان بما يستحقه من ثواب أو عقاب، بدون ظلم أو محاباة.

هذا وقد ذكر المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية جملة من المسائل منها:

١- أن هذه الآية دلت على ثبوت الإسراء للنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما العروج به ﷺ إلى السموات العلا فقد استدل عليه بعضهم بآيات سورة النجم، وهى قوله - تعالى -:

﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْمَوْتِ ۚ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۚ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۚ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ أَفَتَمْنُونَنَّهُ عَلَىٰ مَا رَأَىٰ ۚ﴾ (١١).

وقد ساق الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية أحاديث كثيرة بأسانيدھا ومتونها، وقال فى أعقاب ذكر بعضها:

قال البيهقى: وفى هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسرى به - ﷺ - من مكة إلى بيت المقدس، وهذا الذى قاله هو الحق الذى لا شك فيه ولا مرية. (١٢)

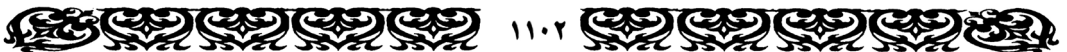
وقال القرطبي: ثبت الإسراء فى جميع مصنفات الحديث، وروى عن الصحابة فى

١١- سورة النجم الآيات من ١ - ١٢.

١٢- تفسير ابن كثير المجلد الخامس ص ٧ طبعة دار الشعب.

١٣- تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٠٥.

١٤- تفسير القاسمى ج ١٠ ص ٢٨٨٨.





ولأنه ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الرسول ﷺ قد استعمل في رحلته البراق، واستعماله البراق يدل على أن هذا الحادث كان بالروح والجسد وفي اليقظة لا في المنام.

وما ثبت في الصحيحين عن طريق شريك عن أنس-رضي الله عنه- أن الإسراء المذكور وقع مناما، لا ينافي ما ذكرنا مما عليه أهل السنة والجماعة، ودلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أنه كان يقظة وبالروح والجسد، لإمكان أنه ﷺ رأى الإسراء المذكور مناما، ثم جاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح، فأسرى به يقظة تصديقا لتلك الرؤيا المنامية. (١٦)

هذا، ومن العلماء الذين فصلوا القول في تلك المسألة تفصيلا محققا، القاضي عياض في كتابه: «الشفاء» فقد قال - رحمه الله - بعد أن ساق الآراء في ذلك:

«والحق في هذا والصحيح - إن شاء الله - أنه إسراء بالروح والجسد في القصة كلها، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وروحه حال يقظته استحالة.. (١٧)

وما قاله القاضي عياض - رحمه الله - في هذه المسألة هو الذي نعتقد، ونلقى الله - تعالى - عليه.

ﷺ المذكور في هذه الآية الكريمة زعم بعض أهل العلم أنه بروحه دون جسده، زاعما أنه في المنام لا في اليقظة لأن رؤيا الأنبياء وحي. وزعم بعضهم أن الإسراء بالجسد، والمعراج بالروح دون الجسد.

ولكن ظاهر القرآن يدل على أنه بروحه وجسده ﷺ يقظة لا مناما، لأنه قال:

﴿يَعْبُدُهُ﴾ والعبد مجموع الروح والجسد.

ولأنه قال: ﴿سُبْحَنَ﴾ والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناما لم يكن له كبير شأن حتى يتعجب منه.

ولأنه لو كان رؤيا منام لما كان فتنة، ولا سببا لتكذيب قریش له ﷺ لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار لأن المنام قد يرى فيه ما لا يصح.

ولأنه - سبحانه - قال:

﴿لِتَرِيَهُ مِنْ أَيْنُنَا﴾ والظاهر أن ما أراه الله - تعالى - لنبيه إنما كان رؤيا عن طريق العين ويؤيده قوله - تعالى -:

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿١٥﴾.

١٥- سورة النجم الآية (١٧، ١٨).

١٦- تفسير أضواء البيان ج ٣ ص ٣٤٨ لفضيلة المرحوم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

١٧- راجع «الشفاء» للقاضي عياض ج ١ ص ١٤٥، وما بعدها.



جماليات الأداء الأسلوبى فى الحديث النبوى

للاستاذ الدكتور / صابر عبد السلام يونس

● إن جماليات الأداء الأسلوبى فى الحديث النبوى تتعدد وجوها.. وتتنوع طرائقها، ولكن الأثر الباقى فى النفس الإنسانية المؤمنة برسالة الإسلام، والتي تعمق فيها الإحساس بعظمة الشخصية المحملية وعبقريتها.. هذا الأثر الباقى هو الإحساس بجمال المنطق، وحلاوة التعبير وشرف المعنى وصحته، وسمو قصده وحكمته..

● والأسلوب هو الرجل - كما يقول النقاد فى العصر الحديث - وجمال الفطرة والخلق الذى تحلى به المصطفى ﷺ.. هو منبع أسرار الجمال فى أساليبه وأحاديثه الناطقة بكل معنى عظيم وعن خصال الجمال والكمال التى تحلى بها (محمد) ﷺ.. يقول «القاضى عياض»:

«اعلم أيها المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجمال والكمال فى البشر نوعان:

(أ) ضرورى دنيوى اقتضته الحيلة وضرورة الحياة الدنيا.

(ب) ومكتسب دينى، وهو ما يحمد فاعله، ويقرب إلى الله تعالى.

● وهذا المكتسب الدينى على فئتين أيضاً:

منها ما يتخلص لأحد الوصفين، ومنها ما يتمازج ويتداخل.

فأما الضرورى «الدنيوى» المضحى.. فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب «بل فطرة وطبعاً» مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه، وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبته، وعزة قومه، وكرم أرضه.

● وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من اللين والعلم، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهى التى جماعها «حسن الخلق».



الكتاب والحكمة، والسبع المثاني والقرآن العظيم، وتزكية الأمة والدعاء إلى الله، وصلاة الله - تعالى - والملائكة، والحكم بين الناس بما أَراده الله، ووضع الإصر والأغلال عنهم، والقسم باسمه وإجابة دعوته، «وتكليم الجمادات والعجم، وإحياء الموتى، وإسماع الصم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وإنشاق القمر، ورد الشمس، وقلب الأعيان، والنصر بالرعب، والاطلاع على الغيب وظل الغمام، وتسبيح الحصى وإبراء الآلام، والعصمة من الناس، إلى مالا يحويه محتفل، ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك، ومفضله به، لا إله غيره إلى ما أعد له فى الدار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجات القدس، ومراتب السعادة والحسنى وزيادة، التى تقف دونها العقول، ويحار دون إدراكها الوهم» .. إنه المصطفى ﷺ ولامرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق، وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة، مع عجب شما ئله، وبديع سيرته، فضلا عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع، دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه، لم يمتز فى رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه^(١).

● وهذا الجمال الشمولى التابع من شخصية المصطفى ﷺ . ليس جمالا نسبيا، ولا رأيا ذاتيا، ولا ميلا تعصبيا، إنما هو حقيقة ساطعة باهرة.. لم تنطفئ شمسها على توالى العصور وتعاقب الأزمان.

ثم يؤكد القاضى عياض أن هذه الخصال الجمالية الكمالية التى ينبع منها المنطق الجميل، والفعل الجميل والأسلوب الجميل .. كان لنبينا ﷺ شرف التحلى بها جميعا فهو الأسوة الحسنة فى الأقوال .. وفى الأفعال .. وفى الخلق والخلق.

يقول: «إذا كانت خصال الكمال والجلال - ما ذكرناه ورأينا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له فى كل عصر - إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم، أو حلم أو شجاعة أو سماحة، حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال، ويتقرر له بالوصف بذلك فى القلوب أثره وعظمته» .

فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال، إلى مالا يأخذه عد، ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء، والرؤية والقرب، والدنو والوحى، والشفاعاة والوسيلة، والفضيلة والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، والبراق والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد والبشارة والندارة والمكانة عند ذى العرش، والطاعة والأمانة والهداية، ورحمة العالمين، وإعطاء الرضى والسؤال والكوثر، وسماع القول، وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر، وشرح الصدر، ووضع الإصر، ورفع الذكر، وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء

(١) انظر الشفا للقاضى عياض. «السيرة النبوية فى مفهوم القاضى عياض د/ أحمد جمال العمرى، (من ٢٠٥-٢١٠).

أولا «هند بن أبي هالة وتصويره لمنطق المصطفى ﷺ» .

● وأبلغ شاهد على جمال المنطق النبوى .. ما قاله هند بن أبي هالة حينما سأله الحسن بن على - رضى الله عنهما - عن منطق رسول الله ﷺ فأجاب :

« كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم فى غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فضلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثا ليس بالجافى ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم شيئا، لم يكن يذم ذوقا ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرِبَ بإبهامه اليمنى راحته اليسر، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غَضَ طرفه، جلَّ ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام^(٥) .

● وتفويض الأوصاف السابقة بصفات الجمال والجلال والكمال .. التى تحلت بها شخصية المصطفى ﷺ وهى لم ترو عن بعد .. ولم يبدعها وجدان محب للمصطفى ﷺ، وإنما هن حقائق واقعية رآها ..

● فبيان المصطفى ﷺ مسكون بالجمال الإنسانى .

● ومنطقه نابع من إنسانيته، ووحى الله - عز وجل - وحتى قبل أن يهبط عليه الوحي .. كان منطقهم جميلا .. أمينا صادقا .. لأن الحق - سبحانه - يعده لتبليغ الرسالة العظمى، وأداء الأمانة المثلى .. « وإذا احتكمتنا إلى آراء علماء الجمال نجد أن فريقا منهم يرى أن الجمال هو الصفة المستقرة فى ذات الشئ، فحقيقة الجمال مستقرة فى ذلك الشئ ومنهم «شوبنهاور» و«هيدجر» أما الفريق الآخر فيرى أن الجمال هو الشعور الذى ينبع من نفس الإنسان تجاه شئ ما ..، وحينئذ تكون حقيقة الجمال مستقرة فى نظرة الإنسان من خلال ما يشعر به نحو ذلك الشئ ..، ومنهم « كانت » و« كاسير » الفيلسوفين الألمانين^(٢) .

فجمال منطق المصطفى ﷺ .. طبيعى مكتسب لأن الله فطره على ذلك ..، ومن وصاياه الكريمة التى من أسباب النجاة من المهالك .. ومن فتن الحياة قوله ﷺ لمن سأله عن أسباب النجاة :

« أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك »^(٣) .

وقوله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »^(٤) .

(٢) انظر الظاهرة الجمالية فى الإسلام ص ٢٥ صالح أحمد الشامى .

(٣) أخرجه الترمذى .

(٥) انظر تاريخ آداب العرب للرافعى ص ٢٩٠ . ٢٩١ .

(٤) أخرجه البخارى ومسلم .



أو اعتراض على مراد الله وعلمه، ولكنه حزن المسؤولية الجسيمة، والملقاء على عاتقه، مسؤولية هداية الناس إلى منهج الله وتبليغهم رسالة رب العالمين، وقد أمره الحق سبحانه بتبليغ الرسالة في مواضع كثيرة في القرآن الكريم.

ففي سورة المائدة يجيء الأمر صريحا، وحاسما، وفيه صيغة الإنذار، وفي قوله عز وجل:

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٩).

ويخفف الرحمن الرحيم الأحزان عن نبيه ومصطفاه.

فينادى الحبيب المصطفى، نداء حانيا كريما مطمئنا قبله ووجدانه، وموحيا إليه أن لا يترك الحزن يتراكم في نفسه في سبيل الحرص على هداية الناس أجمعين، قال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٠).

فكم يتعاضم حزن المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وهو يشاهد مسلما يرتد عن الإسلام، وأمنا فقا يبطن الكفر ويظهر الإسلام، أو فاسقا ينهك حدود ما حرم الله.... يقول الله عز وجل مطمئنا مصطفاه وحببيه:

وعاصرها.. وشهد بها واحد من الذين كرمت أبصارهم.. وأضيئت بصائرهم بمشاهدة وجه النبي الكريم الذي كرمه الله - عز وجل - في قوله:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٦).

وفى قوله - سبحانه - مخاطبا أشرف الخلق

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٧).

ويروى عن ابن عباس «أن النبي ﷺ كانت روحه نوراً بين يدي الله - تعالى - قبل أن يخلق آدم بألفي عام. يسبح ذلك النور، وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه، فقال رسول الله ﷺ: «فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة، والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من أبوي، ولم يلتقيا على سفاح قط» (٨).

● والمناقب التي أضفاها: هند بن أبي هالة، على رسول الله ﷺ لا مبالغة فيها، ولا تكلف، ولا مجاملة ولا رياء ولا تخالطها عاطفة مشبوبة، ولا عصبية مفرطة في الهوى، وإنما هي مناقب صادقة، وليست أحوالا طارئة ولا انفعالات خاصة، وتواصل الأحزان في حياة المصطفى ﷺ لا ينبئ عن ضعف أو عدم رضا بالقضاء والقدر،

(٧) سورة القلم آية (٤).

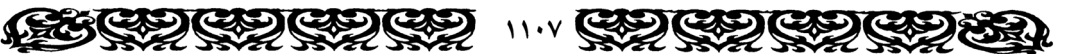
(٦) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

(٨) الشفا في أحوال المصطفى، للقاضي عياض ص: ٨١ نقلا عن «السيرة النبوية في مفهوم القاضي عياض» د. أحمد جمال العمرى.

والحديث في المطالب العالية للحافظ ابن حجر ١٧٧/٤ برقم ٤٢٥٦.

(١٠) سورة القصص آية (٥٦).

(٩) سورة المائدة آية (٦٧).





والتقدير، والتفكير. وفي وصف هند لطريقة كلام الرسول في أحاديثه بأنه «يفتح الكلام ويختمه بأشداقه» ويتكلم بجوا مع الكلم» تفسير لجمال الأداء وجلال في منطق الرسول عليه السلام»

فمدلول هذه الصفة أنه «كان يستعمل جميع فمه للتكلم، ولا يقتصر على تحريك الشفتين، وذلك من قوة النطق والصوت والمعنى، وحضور الذهن واجتماعه وهذا الطبيعة السوية في النطق والآداء الجميل كان مظهر فضل وتفوق عند العرب، فقد كانت العرب تتماذج بسعة الفم، وتذم بصغره، لأنه السعة أدل على امتلاء الكلام وتحقيق الحروف وجهارة الآداء، وإشباع ذلك في الجملة، ولأن طبيعة لغتهم ومخارج حروفها تقتضى هذا كله، ولا تحسن في النطق إلا به ولا تبلغ تمامها إلا أن يبلغ فيها، وهو بعد مزيتها الظاهرة في أفصح أساليبها، إذ كانت الفصاحة راحة إلى حسن الملائمة بين الحروف باعتبار أصواتها ومخارجها، حتى تستوى في تأليفها على مذاهب الإيقاع اللغوى.

فكانت محاسن هذا الباب فى النبى ﷺ طبيعية لأنها عن أسباب طبيعية.

فقد برأ الله رسوله عن عيوب المنطق الخلقية التى لا تتفق مع جلال الرسالة ومهابة

﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ

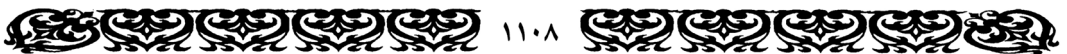
لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْخَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِمَ وَلَمْ تُوْثِقْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَسَمِعُونَ لِلْكَذِبِ سَعْتُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتَوْكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خَيْرٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١).

وفى سورة «الأنعام» نقرأ الحزن فى حياة الرسول حقيقة مشاهدة وواقعة انعكاسا لمواقف الجاحدين المعاندين المستكبرين فيقول الله عز وجل مؤكدا واقع الحزن فى حياة المصطفى ﷺ :

﴿قَدْ عَلِمَ إِنَّهُ يَمُوزُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتُوا لِلَّهِ يَسْتَحْذَرُونَ﴾ (١٢).

ومما يضيف سمة الإيجابية على «صفة الحزن» فى شخصية المصطفى - عليه الصلاة والسلام - أنه دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم فى غير حاجة، طويل السكوت، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم.

وهى صفات تجمع بين الجمال والجلال، لتعلن عن خاصية «الكمال»... وكان سكوته ﷺ على أربع: على الحلم، والحذر،





التبليغ، حيث برئ الأداء النبوى فى منطقـه
من عيوب النطق « مثل التعتعة، والفأفة،
وغيرها، وبرئ أسلوبه من تنافر الحروف، ومن
التعقيد والمماثلة، ومن الغرابة المستكرهة،
ومن الألفاظ الوعرة والوحشية فى غير قصد
أو غرض كما برئ المصطفى ﷺ - من عيوب
النطق التى تصدر عن مبالغة وتكلف كسبا
لرضا المستمعين، واستجلابا لثنائهم، مثل:
« التمنطق، والتمطق، والتففيق،
وغيرها».....

ويقول القاضى عياض .. فى معرض إشاراتـه
بفصاحة المصطفى ﷺ: «فجمع له بذلك قوة
عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ
الحاضرة، ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهى
الذى مدده الوحي الذى لا يحيط بعلمه
بشر».

وقالت أم مبعد فى وصفها له: « حلو
المنطق، فصل لا نزر، ولا هذر، كأن منطقـه
خرزات نظمن وكان جهر الصوت حسن
النغمة ﷺ (١٦).
● ويروى عن قتادة أنه قال:

« ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه، حسن
الصوت، وكان نبيكم ﷺ حسن الوجه،
حسن الصوت ».

فالتنطق فى الكلام هو رمى اللسان إلى
نطح الفم أى الغار الأعلى ... مبالغة من
المتكلم فى إظهار الكلام والتأثير فى
المستمعين.

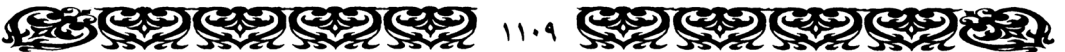
والتنطق: هو ضم الشفتين ورفع اللسان
إلى الغار الأعلى للفم.

والتففيق: هو الكلام من أقصى الفم.
وهو العيوب التى تصيب حاسة النطق عند
كثير من الخطباء والعلماء وعامة الناس، قد
سلم منها حديث النبى ومنطقه، وهو عليه
السلام يقول مؤكدا رفضه للتكلف فى
المنطق، والمبالغة المقوتة فى طريقة إخراج
الحروف: « أبغضكم إلى الثرثارون

(١٣)، (١٤) رواه الترمذى عن جابر.

(١٥) انظر: تاريخ أداى العرب للرافعى: ٢٩٥، ٢٩٦.

(١٦) السيرة النبوية فى مفهوم القاضى عياض ص: ٢١٤، د. أحمد جمال العمرى وانظر: الشفا بتحقيق حقوق المصطفى للقاضى عياض.



والإمام ابن القيم يوضح الأمر، ويزيده جلاء، ورؤيته للجمال تقترب من الرؤية الشمولية الكونية للجمال، وهي رؤية تقترب من جمال الخلق والخلق، وجمال القول والفعل، وجمال الأداء والسلوك، في شخصية المصطفى ﷺ.

يقول ابن القيم:

«اعلم أن الجمال ينقسم إلى قسمين: ظاهر وباطن. فالجمال الباطن: هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة.

وأما الجمال الظاهر فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض، وهي من زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها:

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ (١٧).

قالوا: هو الصوت الحسن والصورة الحسنة (١٨).

وهذا المدلول لحقيقة الجمال، يتفق مع الآثار التي وردت في الإشادة بالشمائل المحمدية، وقد اتفق هذا المدلول مع ما روى عن قتادة الذي ورد سابقا، أنه قال: ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه وحسن الصوت

وقد صاحب جمال المنطق وجلاله في شخصية المصطفى ﷺ كمال الخلق وجمال الصورة. وحين نتأمل مدلول الجمال عند علماء اللغة وعند أئمة المسلمين ندرك أن المصطفى ﷺ تجسدت فيه كل القيم الجمالية، الظاهرة والباطنة، القولية والفعلية.

قال ابن سيده: الجمال: الحسن يكون في الفعل والخلق. وقال ابن الأثير: الجمال يقع على الصور والمعاني.

وفي كتاب «الفروق في اللغة» يوضح أبو هلال العسكري الفرق بين الحسن والجمال فيقول: «والحسن في الأصل للصورة، ثم استعمل في الأفعال والأخلاق، والجمال في الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة، ثم استعمل في الصور.

والإمام أبو حامد الغزالي، يضع تعريفا للجمال في صدد حديثه عن معنى الحسن والجمال: فيقول: «حسن كل شيء في كماله الذي يليق به» ثم يقول: «كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها قلة من الحسن والجمال بقدر ما حضر».

(١٧) سورة فاطر آية (١).

(١٨) انظر: الظاهرة الجمالية في الإسلام من ص: ١١٤-١١٧ صالح أحمد الشامي.



يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين، وإذا صافحه أحد امتلأت يد المصافح برائحة ذكية كأنها العطر، فقد كانت رائحة رسول الله أطيب من العطر، وكان عرق رسول الله أزكى من العطر، وكانت رائحة رسول الله تسبقه إلى أى مكان يذهب إليه.

وكان- كما يصفه- هند بن أبى هالة: خافض الطرف نظره إلى الأرض، أطول من نظره إلى السماء، يبدأ من يلقاه بالسلام متواصل الحزن، دائم الفكر، طيب الرائحة، لا يتكلم فى غير حاجة.

ولقد ترك رسول الله من نفسه ثلاثة أمور الرياء والإكثار، ومالا يعنيه. وترك الناس فى ثلاثة أمور: لا يذم أحدا، ولا يعير أحدا، ولا يطلب عور أحد، إذا تكلم سكت جلساؤه، وإذا سكت تكلم أصحابه كل حسب دوره، لا حسب مكانته، لا يقاطع أحدهم الآخر. ولا يقاطع رسول الله أحدهم، وكان صبورا حليما، صبرا على الغضب، وحلما على الجهل، وكان حازما فى رد النفاق، وكان صبيح الوجه، حسن الصوت- عليه الصلاة والسلام.

وكان نبيكم عليه الصلاة والسلام حسن الوجه، وحسن الصوت.

وما أصدق قول أم معبد، وما أجمله فى وصف منطق المصطفى- بأنه: حلو المنطق، فصل، لانزر ولا هزر، كأن منطقهم خزرات نظمن.

وما يكون الصورة العامة لجمال النبوة وجلالها وكمالها ما ورد فى وصف هيئة الرسول- عليه الصلاة والسلام- فلقد كان رسول الله فخما مفخما يتلأأ وجهه كوجه القمر ليلة البدر، إذا سره شئ يمتلئ بشرا، أزج الحواجب أى دقيقها، وبين الحاجبين فرق، وفى هذا الفرق عرق يظهر إذا غضب من شئ، ولرسول الله نور يعلوه هالة من الضياء، وتشع من فوقه، شديد سواد العينين، واسع الفم، سهل الخدين، أى لا يوجد فى أحد خديه علو أو بثور أو ورم، مفلج الأسنان، أى أن أسنانه مستوية بينهما مسافات قليلة، دقيقة، عريض الصدر ما بين المنكبين، عنقه فى صفاء الفضة، وفى ظهره خاتم النبوة الذى تحدث عنه الكتب السماوية السابقة، وكان رسول الله أحسن الناس وجهها، وأعظمهم خلقا، إذا جلس



الإسلام والعلاقات الاجتماعية

د. ساذ الكور / أحمد عمرها سم

لقد ربط الإسلام بين جوانب المجتمع الإسلامي بروابط وثيقة، وشد بين علاقات الأفراد والجماعات بوشائج من القوة بمكان، بحيث لا تنفصم لها عرى، لأنها تتبع من قاعدة ثابتة قوية، هي الإيمان بالله وحده لا شريك له.. وجانب التصديق في الإيمان، لا بد معه من جانب التطبيق في العبادات، وهي بدورها، وعلى أساس الإيمان، تثمر في حياة المسلم السلوك المستقيم، والعلاقات الاجتماعية القوية.

وتختلف العلاقات الاجتماعية، في المجتمع الإسلامي، عن غيرها في المجتمعات الأخرى اختلافاً واسعاً في الأساس، وفي البناء، وفي الهدف والنتيجة.

وعلى أساس ذلك فلا نأخذ إلا ما جاء به القرآن وما جاءت به السنة، لأن صاحبها رسول الله ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى .

فلا يأخذ المجتمع الإسلامى قوانين علاقاته من شرق أو غرب، أو من فكر بشرى متضارب، قابل للخطأ والصواب، ولكن يأخذها من كتاب ربه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومن السنة المطهرة التى جاءت مفصلة وموضحة للقرآن الكريم .

ثانياً: إقام الصلاة :

بأدائها على أكمل وجه، واستمرار القيام بها، وهى لقاء متكرر كل يوم خمس مرات، ليظل الإنسان على صله دائمة بربه، متذكراً له، مطيعاً مخلصاً، وهى تعمل عملها فى كف صاحبها عن كل منكر، وتطهيره من الذنوب والدنايا، كما قال الله - تعالى .

﴿ أَتْلُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِيمِ الصَّلَاةَ وَرِزْقَ الْفَقِيرِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

وفى أدائها فى جماعة، تأليف للقلوب، وغرس لأصول الوحدة والتواصل بين المسلمين، وجمعهم على كلمة واحدة، يتجهون فيها إلى الله الواحد سبحانه وتعالى -

ثالثاً: أداء الزكاة :

وفى أداء الزكاة تقوية للرابطة الإنسانية والاجتماعية بين المسلمين، وتطهير للمال وتطهير للغنى من الشح وتطهير للفقير من

أما اختلاف العلاقات الاجتماعية الإسلامية فى الأساس عن غيرها، فهذا واضح فى أن عقيدة المجتمع الإسلامى هى التوحيد الخالص، الذى لا يتجبه معه المسلم إلا إلى الله الواحد، وهذا الأساس يجعل العلاقات محكومة بضوابط الدين ومبادئه، ولا يصدر الناس عنها فى أى عمل من الأعمال إلا بما كان متفقاً مع روح هذا الإيمان .

وهذا على عكس العلاقات فى مجتمعات غير المسلمين، فهذا الأساس غير موجود فيها، وبالتالي فهى علاقات لا أساس لها من الإيمان الذى يعصم من الخطأ، ويحذر من الوقوع فى الشرور والمخالفات ..

ومما لا شك فيه أن من أسس بنيانه على الإيمان ثبتت دعائمه، ونهض بناؤه ومن لم يؤسس بناءه، أو أسسه على طرف جانب مشرف على السقوط، فهو فى ضياع وخسران، يقول الله - تعالى -

﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَّ بِبَيْتِهِ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَّ بِبَيْتِهِ
عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِيهٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

وأما اختلاف العلاقات فى المجتمع الإسلامى عن غيرها فى المجتمعات الأخرى فى الطريق والبناء، فإننا نجد أن الإسلام قام على خمس دعائم :

أولاً: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله :

وفى هذا توحيد لله وإقرار بالرسالة التى بعث بها رسوله هادياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً،



الحقد، قال الله - تعالى :-

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (٣).

رابعاً: صوم رمضان:

وفى الصيام تربية للإرادة، وغرس لفضائل الصبر والاحتمال، والتعاطف والإحسان إلى المحتاجين، وبالجملة الوصول إلى تقوى الله - تعالى - كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٤).

خامساً: الحج إلى بيت الله الحرام:

وفى الحج تعبير عن الإخلاص لله، وأداء لركن هام، ولقاء على أكبر مستوى بالجماعة الإسلامية لإصلاح أمور دينهم ودنياهم، وإرساء لقواعد التقوى وتطهير من كل آفات الشر كما قال الله - سبحانه وتعالى :-

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعَهُ اللَّهُ وَتَسْرُدُوا بِأَقْدَابِكُمْ خَيْرٌ لِّرِزْقِ الْتَقْوَى وَتَقْوَى يَتَأُولَى الْأَنْبِيَاءِ ﴾ (٥).

وهذه الأركان يجمعها الحديث الصحيح:

عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،

وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان» (٦).

وأما عن اختلاف العلاقات الإسلامية فى الهدف والنتيجة عن غيرها، فذلك قائم على أن مرجع العلاقات الاجتماعية الإسلامية، يتركز فى مرضاة الله - سبحانه وتعالى - فإذا أحب المسلم أخاه المسلم، فإنه لا يحبه إلا لله، وهو بهذا يكون ضمن من يظلمهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، وفى الحديث:

«... ورجلان تحابا فى الله اجتماعاً عليه وتفرقاً عليه...» (٧) وفى الحديث الآخر:

«... وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله...» (٨).

أما فى المجتمعات الأخرى المادية، فلا نجد تلك العلاقات الحميمة القائمة على الإخلاص لله وحده، نتيجة فقدان العقيدة الصحيحة فيها، ولذا تقوم العلاقات فى تلك المجتمعات المادية على أساس مادى بحث، وفى وسائل وغايات مادية، يسعى - خلالها - الأفراد والجماعات للمصلحة الشخصية، والمنفعة الذاتية، وتخيم فيها الأثرة والأنانية وحب الذات، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: فإنها لما لم تقم على أسس دينية، وخلت من الوازع الدينى، أصبحت تلك العلاقات مضطربة فى مهب الفتن، تذيبها الأهواء والشهوات، وتنحرف بها الأغراض والنزعات.

(٤) البقرة: ١٨٣.

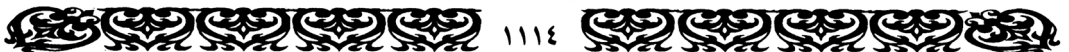
(٣) التوبة: ١٠٣.

(٦) رواه الإمام البخارى فى صحيحه.

(٥) البقرة: ١٩٧.

(٨) مجمع الزوائد (١/٥٥٠).

(٧) رواه الإمام أحمد (٤٣٩/٢).



والمسئولية بالنسبة لإخوانه المسلمين . يقول
الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٠ ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِن قَوْمٍ
عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَسَاءَ عَسَىٰ أَن يَكُونَ خَيْرًا
مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَبِ بَلِّغُوا إِلَيْهِمُ
الْفُتُوحَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتَّبِعْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ١١ ﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ ١٢ ﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣ ﴾

لقد نادى الإسلام بتنقية العلاقات من كل
الأفات، ودعا إلى التقريب بين قلوب المسلمين
وتصفية الود بينهم، فأمر بالإصلاح، ونهى عن
الخصومة، وحذر من السخرية واللمز، والتنازع
بالألقاب، وسوء الظن، كما نهى عن التجسس،
والغيبة والنميمة . .

وحث على التعارف لتتسع مجالات العلاقات
الاجتماعية، ويكون لها إشعاعها المضيء فى شتى
المواقع، حتى تتصل البيئة الإسلامية، وتتلقى
روافدها المترعة بالفضائل والتعاون والخير .

لقد نظم الإسلام كل العلاقات، وأقام بناءها
على أساس الإيمان، وشمل تنظيم الإسلام للحياة
كل ما يتصل بالفرد والأسرة، وصان حرمة النفس

وهكذا يتضح أن العلاقات الاجتماعية فى
الإسلام تقوم على أساس التوحيد، وينهض
بناؤها على دعائم الإسلام، التى تثمر العلاقة
النقية المخلصة، والسلوك المستقيم، والخلق
الرفيع .

فالإيمان أساس، والعبادات طاعة وتطبيق،
ومكارم الأخلاق فى المعاملات وغيرها غايات
ونائج وثمرات وأهداف .

وإذا قام المسلم بذلك، ولكن بقى منطوياً
على الشر، منحرفة علاقاته مع الآخرين،
وتسرب منه الأذى للناس، فإنه حينئذ بعيد
عن الإيمان، لم تثمر عباداته الثمرة المطلوبة
من تهذيب العلاقات ومكارم الأخلاق . وقد
روى عن الرسول ﷺ أن رجلاً قال له : يا رسول
الله إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها
وصدقتها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها!

فقال: « هى فى النار » . ثم قال : يا رسول
الله، فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وأنها
تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذى جيرانها
؟ قال: « هى فى الجنة » (٩) .

ومما سبق يتبين أن العلاقات الاجتماعية فى
الإسلام قامت على أساس ونهضت بدعائم
واستهدفت غايات .

ولكى تأخذ تلك العلاقات صورتها المتحدة
وتتشكل فى دائرة مضيئة تصان فيها الحقوق،
أحاطها الإسلام برباط الأخوة الإسلامية، ليشعر
كل فرد أو مجتمع أن فى أعماقه ودمه صلة
قوية، ورباطاً وثيقاً يلزمه بتحمل التبعة

وشدة الرغبة فيه فإن الإسلام قد حذر من أكله بالباطل فقال الله - تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَحْسَنَةً عَنْ بَيْنِكُمْ﴾ (١٣)

ومن أكل أموال الناس بالباطل : أخذ الرشوة، وقد لعن رسول الله ﷺ : «الراشى والمرتشى والرائش» والرائش هو الذى يقوم بالتوسط بين المرتشى والراشى وقد كان للإسلام فضل السبق على سائر النظم الحديثة، فى تشريع قانون الكسب المشروع، قانون : «من أين لك هذا؟» ..

« عن أبى حميد الساعدى أنه قال : استعمل النبى ﷺ رجلاً من الأزد، يقال له : ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي إلى، قال : فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : «أما بعد، فيأني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله، فيأني فيقول : هذا لكم، وهذا هدية أهديت لى، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه، حتى تأتية هديته إن كان صادقاً ؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حله إلا لقي الله يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بغيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر (أى تصيح والبيعار صوت الغنم) ثم رفع يديه حتى رضى بياض إبطيه، يقول : اللهم قد بلغت » (١٤).

وإن معالم العلاقات الاجتماعية فى الإسلام، مصونة بالكتاب والسنة، ففيهما أسس الحياة الكريمة للفرد والجماعة وللأمم والشعوب .

من الاعتداء عليها وصان الأعراض من الفاحشة أو الا اعتداء عليها، وحافظ على أموال اليتامى، ونظم علاقة البيع والشراء، والأمانة فى الكيل والميزان، ونادى بالعدالة التامة، وبالوفاء بالعهد، أما ما يتصل بتوحيد الله وعدم الإشراك به، وما يتصل بالوالدين والإحسان لهما، وعدم الاعتداء على الأبناء مخافة الفقر، وصيانة الأعراض والمحافظة على النفس فى ذلك، يقول القرآن :

﴿قُلْ مَا أَوْأَتُوا أَتَى مَا حَرَّمَ رَبِّي كُنتُم مِّنَ الْأَشْرَافِ شَيْئاً وَيَا أُولَ الَّذِينَ إِحْسَنُوا لَا تَقْبَلُوا أَمْوَالَكُمْ مِّنْ أَمْوَالِ الَّذِينَ هَلَكَ أَمْوَالُكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْوَلَدَ فَلَا تَهْلِكُوا فِيهَا إِنَّهَا مِثْلُ آبَاءِكُمْ وَأَن تَهْلِكُوا فِيهَا فَكَيْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (١١)

وأما ما يتصل بالمحافظة على مال اليتيم، وتنظيم العلاقات التجارية فى البيع والعدل، والوفاء بعهد الله، فى ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَأَنكُلِفَ نَفْساً إِلَّا وُسْعُهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٦)

ولما كانت المعاملات المالية، تعتبر محور الكثير من العلاقات الاجتماعية، ولما كان للمال حبه عند الناس،

(١٢) الأنعام: ١٥٢، ١٥٣.

(١٤) رواه الشيخان.

(١١) الأنعام: ١٥١.

(١٣) النساء: ٢٩.



الإسراء والمعراج

تأملات جديدة في حادث قديم

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي



جلس إلى صاحبي متسائلاً كأنه يتهكم أو متهمكاً كأنه يتساءل: ما معنى عنوان مقالك تأملات جديدة في حادث قديم؟ ولماذا تكتب عن الإسراء والمعراج؟ كأنك أصبحت موسمياً، تكتب في المناسبات، تكتب في كل مناسبة خطبة أو مقالا؟؟
أما كانت لك فسحة في أصول الفقه، تيسر وعده وتقرب معنى شارداً منه؟ وتشرح غامضه وتذيعه يسيراً متاحاً محبباً للطلاب؟
قلت لصاحبي وأنا فرح مسرور: ذكرتني ببيت من الشعر قديم كنا نترشق به في عهد الصبا أيام الطلب في الأزهر على سبيل المزاح والمشاكاة.

فلما اشتد ساعده رماني
فلما قال قافية هجاني

أعلمه الرماية كل يوم
وكم علمته نظم القوافي

المساجد أو كأن أقدامهم ضلت تلك الطرقات .
فلا يكادون يعرفونها، وتراهم في مناسبة المولد النبوي الشريف، يتغنون بسيرة النبي ﷺ ويملاؤن الفضاء مديحاً وغناء وضياءً وتراهم في سلوكهم كأنهم نسوا السنة ونسوا الاقتداء

لست موسمياً يا صديقي، ولست من خطباء المناسبات ولا أحب أن أكون كذلك، ولا أحب أن يكون المسلمون موسمين فمثلاً تراهم في رمضان ركعاً سجداً يهرعون إلى المسجد في كل صلاة، فإذا مضى رمضان كأنهم لا يعرفون



والتعجب إذن في الآية كما نحسب - ممن يستحيلون على قدرته تعالى - أن تأتي بخوارق العادات، فمثلاً بعض الناس ينسبون الأشياء لمن جرت على أيديهم، وينسبون أن الفاعل في الحقيقة لكل شيء هو الله جلَّ جلاله.

والأمر الخارق للعادة الذي يجريه الله على يد نبي قبل البعثة يسمى إرهاباً، وإن كان بعد البعثة يسمى معجزة، وإن جرى على يد رجل صالح يسمى كرامة، ولادخل للنبي ولا للولي في الفعل وإنما الفعل لله وحده في جميع الأحوال ولما كان الأمر كذلك فإن ضعفاء العقول والقلوب نسبوا الفعل للمخلوق لذلك استبعدوا حدوث الأمر الخارق للعادة على يديه فكأنهم نسبوا العجز لله لهذا بدأ القرآن القصة بقوله:

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ..

تنزه الله جل جلاله عن العجز، وعن كل صفة من صفات النقص فهو القادر الذي لا يعجزه شيء، الذي خلق جميع الكائنات، وخلق السموات بغير عمد، هو الله جل جلاله الذي أسرى بحبيبه محمد ﷺ وقال «أسرى بعبده» والعبودية تقتضى الروح والجسد فالتنزيه لله والتعجب ممن ينسبون الفعل لغيره تعالى.

ثانياً: لقد زعم وشغب بعض الناس في إسرائه ﷺ ومعراجه، لأنهم كما قلنا نسبوا الفعل للنبي ﷺ وهم كذلك ينكرون كرامة الأولياء، لأنهم ينسبون الفعل للولي وهم بذلك

برسول الله ﷺ على أن المناسبات ليست كلها مرفوضة، ولا خطباء المناسبات كلهم بغيض، وإن كان بعضهم كذلك. ولعلك تتفق معي أن بعض المناسبات جدير بالحديث عنه والاحتفاء والتذكير به، وأن بعض خطب المناسبات شيق وجميل ومقبول، ومن هذه المناسبات الجليلة ذكرى الإسراء والمعراج.

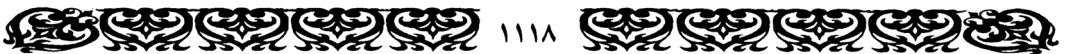
ولست أحب أن أسرد لك القصة سرداً، نمطياً أنت تعرفه، لكن لى تأملات فيها أحسبها جيدة ونافعة، وجديرة بالتأمل منك وعليها تلقى عندك ارتياحاً وعند الله ورسوله رضاء وقبولاً.

فليس همنا أن نسرد قصة الإسراء والمعراج، فهي ثابتة ومثبتة في كتب الحديث والسيرة، إنما الذى نحب أن نتحدث فيه أنت وأنا عدة نقاط:

أولاً: إنه لامعنى للهرء الممجوج أو الشغب المرفوض بأن الإسراء كان بالروح ذلك لأن الأمر كان مستغرباً مستبعداً من أهل مكة ومن بعض الذين آمنوا وصدقوا برسالة النبي ﷺ ولو أن الأمر كان بالروح لما كان هناك وجه للاستغراب على أن أصحاب العقول الضعيفة الذين ينسبون الخوارق للبشر لما علم الله ذلك منهم بدأ الآية بقوله:

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَاهُ لِنُزِيلِهِ مِنْ رَبِّنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

وكلمة ﴿سُبْحَنَ﴾ للتنزيه والتعجب من حال المنكرين المكذبين لتنزيهه - سبحانه وتعالى -



إلى سليمان - عليه السلام - رأت العرش ولما سئلت عنه قالت : كأنه هو، قال الله تعالى - حاكياً كل ذلك :

﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي لَبِئْتُ بِكَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَيَّْ غَنِيَّ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ قَالَ نَكُرُوا هَآءِ عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَنْهَدُونَ ﴿٥﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشِي قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴿٦﴾ (٣) .

أحبك أن تتأمل أن الطلب من سيدنا سليمان موجه للعفريت والرجل الصالح، وأن الفعل منسوب إليهما، وسليمان - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - نسب الأمر إلى الفاعل الحقيقي وهو الله - سبحانه وتعالى - فقال :

﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي ﴾ (٤) قلت لصاحبي : لماذا لم ينكر أحد هذا الفعل الذي تم بنقل العرش من اليمن حيث بلقيس إلى الشام حيث سيدنا سليمان، وهو أبعد مسافة من مكة إلى بيت المقدس وأن العرش والصرح أكبر حجماً وجرمًا من جسده الشريف ﷺ فلماذا لم تسمع أو أسمع منذ نزول القرآن إلى وقتنا هذا رواية واحدة أو شغباً محدوداً حول إنكار هذا الحدث واسأل نفسك لماذا كثرت الأقاويل والروايات في نفى الإسرائء والمعراج به ﷺ في حين أن فعل الإسرائء والمعراج نسبه الله - تعالى - إلى نفسه حيث قال :

ينسبون الفعل للمخلوق، مع أن الفاعل في كل شيء والفاعل لكل شيء هو الله - سبحانه وتعالى - كما سبق أن قلنا - الله - سبحانه وتعالى - نسب الفعل إليه ولم ينسبه للنبي لكن رغم ذلك ضل من ضل وهلك من هلك، وذلك يجعلني أتساءل، لماذا كل هذا اللغظ قديماً وحديثاً حول إسرائء ﷺ مع أنه جاء في القرآن الكريم ماهو أشد استبعاداً في الوقوع - في زعم من زعم، وفي مقاييس هؤلاء المنكرين - حادث الإسرائء، ومع ذلك لم ينكر أحد حدوثه وذلك قوله تعالى : حكاية عن سيدنا سليمان وعرش بلقيس والرجل الصالح الذي نسب إليه هذا الفعل على سبيل الكرامة - لم ينكر أحد ذلك - فلماذا كل هذا اللغظ وإنكار إسرائء؟ هل لانهم يكرهون محمداً ﷺ؟ أم يستبعدون أن يسرى الله به؟ ويسلمون برجل صالح ينقل عرش بلقيس؟ ياسبحان الله!!! يقول الله - سبحانه وتعالى - على لسان سيدنا سليمان :

﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (٥) .

وقد يقول قائل : إن العفريت والرجل الصالح الذي عنده علم من الكتاب زعما القدرة على الإتيان بالعرش لكنهما لم يفعلا، لكن الله - سبحانه وتعالى - حكى في القرآن الكريم أن العرش انتقل إلى سليمان، وأن بلقيس لما حضرت

بأن فراشه لم يبرد يتخذون ذلك ذريعة لإنكار الإِسْرَاءِ والمعراج، فنقول: إن السيدة عائشة - رضى الله عنها - حكّت ماروى لها بأمانة وصدق ما حدث، وتلك أمانة النقل عند المسلمين ولو أنها قالت وحكّت أن فراشه برد لكان فى ذلك تشكيكاً فى المعجزة. هذا رأينا قال صاحبى - مقاطعاً -: كيف تحفل بقولها وفراشه لم يبرد، مع أن الذين تمسكوا بهذا القول يزعمون به أن هذا القول هو نفى للإِسْرَاءِ والمعراج حيث إن هذا القول يثبت أن جسد رسول الله ﷺ لم يبرح الفراش بزمن يمكن أن يبرد فيه فراشه بما يسمح له بالذهاب والعودة فى زمن يجعل الفراش يبرد، فقلت لصاحبى: مستوضحاً إياه - ماذا تعنى بقولك هذا؟ قال: إن عبارة «فراشه لم يبرد» لا تؤيدك فكيف تتمسك بها؟ قلت لصاحبى: أتمسك بها لأنها تدل على صدقها فيما حكّت - رضى الله عنها. لأنها تدل على الواقع حيث إن الإِسْرَاءِ والمعراج تم فى «لازمن» لأن الله - سبحانه وتعالى - قديم وفعله قديم والزمن حادث ولا يمكن أن يحتوى الحادث القديم، فلو أنها قالت: إن فراشه برد على فرض قولها لم يكن ذلك معجزة لأن الإعجاز فى أن الحدث تم فى «لازمن» أى: خارج نطاق الزمن فالله - سبحانه وتعالى - نسب الفعل لنفسه فيكون الفعل خارج نطاق الزمن تأمل معنى قوله - سبحانه وتعالى - :

﴿أَنَّى أَمَرَ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾^(٥)

﴿أَسْرَى يَعْبُدُهُ﴾ وأن نقل عرش بلقيس نسبه الله إلى الرجل الصالح باعتبار أنه ظهر على يديه، قل لى بربك أيهما أولى بالانكار؟! وأسأل نفسك من وراء كل هذا؟! قال صاحبى: عجيب أمر هذا الحدث وصدقت فى تأملاتك الجديدة، قلت لصاحبى: الحمد لله كأنك قد أجبت على تساؤلك فى أول المجلس على أننى أود أن أضيف إليك شيئاً آخر

ثانياً: تعددت الروايات عن السيدة عائشة، ونسبت إليها - رضى الله عنها - رواية تقول: ما فقد جسد رسول الله ﷺ أو ما فقدت جسد رسول الله ﷺ وفى رواية: وأن فراشه لم يبرد.

ولست أناقش الحديث من حيث السند، حيث إنى لست من أهل هذا الفن، ولكن أناقش المتن، فأقول: إن حادث الإِسْرَاءِ كان قبل الهجرة، ولم تكن السيدة عائشة - رضى الله عنها - زوجاً للنبي ﷺ.

فالثابت أنه دخل بها بعد الهجرة فى المدينة المنورة وعلى هذا فرواية (ما فقدت) غير مقبولة سنداً ومتناً رواية ودراية - كما يقول أهل الاختصاص.

لكن يمكن أن تقبل الرواية الأخرى (ما فقد) بالبناء للمجهول. وعلى هذا فيكون هذا القول حكاية عمن أخبرها، ولم تبين ولم تذكر الرواية من الذى أخبرها أما الرواية التى تقول: (وإن فراشه لم يبرد) التى يتعلل بها المنكرون للإِسْرَاءِ والمعراج، بأن السيدة عائشة حكّت عمن أخبرها



عامر بحب رسول الله ﷺ وأدب مع الله فانسابت تسكب الإيمان في قلوب احبابه . قال رضى الله عنه :

بينما النبي ﷺ مضطجع - فالنوم الوارد في بعض الروايات معناه الاضطجاع والمراد نوم من غير غفلة لأنه لو كان مستغرقاً في النوم لما رأى انفراج السموات ونزول الملائكة . في بعض الروايات بينما هو نائم في بيت أم هانئ وفي بعضها في شعب أبي طالب أو في حجر اسماعيل ولاتنافي بين هذا وذاك إذ انفتح السقف . وفي هذا إشارة إلى أنه سوف يحصل في هذه الليلة أمور خارقة للعادة - وجاء جبريل وميكائيل - عليهما السلام - وحملوا النبي ﷺ من بيت أم هانئ إلى حجر اسماعيل وفي هذا إشارة إلى تكريم النبي ﷺ بحمله على الأعناق ثم إلى زمزم وتولى جبريل - عليه السلام - شق صدره الشريف . هل كان ذلك بآلة أو بغير آلة؟

الإجابة: هذه عملية يراها بعينه سيد الخلق ﷺ ولا يتكلم ولا ينزعج دلالة على أنه أقوى خلق الله .

ورد في بعض الروايات أن جبريل - عليه السلام - شق قلبه الشريف وأخرج منه علقة سوداء وقال هذا حظ الشيطان منك .

هنا مواطن الزلل .

بعض العلماء - عفا الله عنهم وعنا - يذكرون ذلك ويقولون هل حصل هذا - أى إخراج العلقة - مرة أو مراراً ويقولون: إن جبريل يخرج علقة سوداء ويقول هذا حظ الشيطان منك

فإن أمر الله - تعالى - هنا هو يوم القيامة وهو لم يجئ بعد، لكن الله - سبحانه وتعالى - لما نسب الفعل إلى نفسه، أخبر عنه بالماضى، وهو يدل على أن الفعل خارج نطاق الزمن!!! نعم . قال المفسرون: إن الفعل جاء في الزمن الماضى للدلالة على تحقق الوقوع، لكن هذا لا ينفي ما قلناه وإن كان قاصراً عنه، وفي رأينا أن ماحكته السيدة عائشة من أن فراشه لم يبرد أقرب إلى التصديق مع الفهم السليم والقلب السليم حيث إن الرواية تدل على افتقاد جسده الشريف وحدث ذلك في «لا زمن» حتى إن الفراش لم يبرد وهنا المعجزة، تأمل معنى قول الله - تعالى - في آيات كثيرة من القرآن الكريم حين ينسب الله - سبحانه وتعالى - الفعل إلى نفسه، نجد أن الفعل يأتي في الزمن الماضى ومنها قوله تعالى :

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٦) .

مع أن الحدث لم يقع، وليس ذلك لتحقيق الوقوع فقط إنما لأن فعل الله - تعالى - لا يحده زمن، فالزمن حادث والله سبحانه قديم وهكذا - فيما يبدو لى فى كل آى القرآن، حيث أننى لم أقم بالإحصاء بعد .

بعد هذا قلت لصاحبي: تعال معى إلى درس من عالم ربانى - رضى الله عنه - نفعنا الله به - حكى قصة الإسراء والمعراج لا أقول بأسلوب جذاب ولكن أقول: فاضت الكلمات من قلب





﴿فَازَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ (٨).

ثانياً: شق الصدر حصل أربع مرات وقيل خمس مرات والطبيب الذى يتمرن على عملية ثم يحتاج إلى إعادتها تسوء سمعته ولكن تأمل معنى الحكمة فى هذا التكرار. المرة الأولى حصل شق الصدر للنبي ﷺ فى ديار بنى سعد ولم يبلغ الخامسة من عمره بعد وشأن الأطفال فى هذه السن العبث واللعب فقط ولكن أراد الله أن يظهر فضل النبي ﷺ فى الملأ الأعلى (٩) مع صغر سنه ويبين أنه كامل وعظيم وشجاع بدليل أن جبريل يأخذه ويشق صدره وهو ينظر إليه بدون خوف ولا وجل ثم فى سن العاشرة وقد وصل الطفل فى هذه السن إلى أوائل سن المراهقة وقد تغلب شهوته على عقله فأراد الله أن ينفى ذلك عن النبي ﷺ ويبين للملأ الأعلى أنه فى هذا السن كامل العقل والقوة والشجاعة وأنه أهل لكل كمال وجلال.

والمرة الثالثة: عند بعثته ﷺ يعنى أنه قد جاوز مرحلة الامتحان وإظهاراً لفضله وتوضيحاً لمكانته ﷺ و مثال ذلك أن تتوجه بسؤال لشخص أمام الناس - وأنت تعلم أنه عالم - لكى يجيب على السؤال أمامهم فيظهر بذلك علمه وفضله عليهم. والحق أن كل مايقع للأنبياء من العوارض البشرية إنما هو لإرشاد الخلق ومنفعتهم ومن هذه العوارض شق الصدر.

فإذا كان أخرجها أول مرة فلم تكرر ذلك وهل يعقل هذا؟ فالطبيب الذى يجرى عملية جراحية إذا كررها مرة ثانية يسقط من نظر الأطباء ، فهل جبريل - عليه السلام - يجرى العملية عدة مرات لأنها لم تنجح أول مرة؟ الأمر من أصله والله أعلم ليس كذلك.

فالله - سبحانه وتعالى - قادر على أن يفيض الكمالات على قلب حبيبه ﷺ بدون هذه العملية - إذا فلم كانت؟ وماعنى إخراج العلقة السوداء التى هى حظ الشيطان؟ ولماذا تكرر الشق أربع مرات وقيل خمس مرات؟

بعض العلماء تأول إخراج العلقة السوداء أى على أنه لو كان للشيطان عليه سبيل فرضاً وكأنه أى هذا البعض خشى أن يُرد عليه بقول الله - تعالى - عن الشيطان:

﴿إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٧).

أولاً: هذه الآية الكريمة تنفى نفياً باتاً تسلط الشيطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون - ومن باب أولى الأنبياء ومن باب أولى سيد الأنبياء والرسل، وهذه الآية أيضاً تنفى نفياً باتاً كل مانسب إلى سيدنا آدم - عليه السلام - من اتباعه للشيطان وتستوجب تأويل آية:

٨- البقرة «٣٦».

٧- النحل «٩٩».

٩- لعل فى قوله الشيخ «أن يظهر فضل النبي ﷺ».. الخ إشارة إلى قصة خلق آدم، وجعله خليفة واعتراض الملائكة على ذلك، وقد ورد فى كثير من الأحاديث أن الله يباهى بعباده الصالحين الملائكة فذلك مثله أيضاً، والله أعلم.





وقد قال الله - تعالى - لرسوله ﷺ :

﴿ إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (١٠).

أى أن المسئولية الملقاة عليك عظيمة جداً .

وقد يكون الشخص شجاعاً وعالمًا وعظيماً ومتكناً من نفسه ولكنه إذا ولى منصباً قد يتبخر كل ذلك و يفقد شجاعته وينسى علمه ولهذا فإنه بعد بعثته ﷺ أراد الله أن يظهر لجبريل والملائكة والملائكة الأعلى والملائكة الأسفل أن النبي ﷺ عظيم وكفاء وشجاع ومتين وأنه أهل لأن يقال فيه :

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (١١) فى أخرج المواقف

وأصعبها وأنه ﷺ كامل كل الكمال وهذا كله ليشير لنا وبين للامة المحمدية أنه بقدر ما يكون الإنسان نظيفاً طاهراً يقدر ما يكون استعدادة للترقى طيباً - ويقدر التخلية تكون التحلية - يعنى لا يتفق الكبر مع التواضع ولا يكون حب الخير للناس مع وجود الحسد فى القلب ولا بد لمن يدخل حضرة القدوس ألا يكون من أرباب النفوس فإن القلب لا تنزل عليه تجليات الحق وأنواره حتى يتخلى عما فيه من الأغيان والأغيار وأنك إذا أردت أن تعرج روحك إلى الطباق وما فوق الطباق فاهجر أرض الشهوات وطهر قلبك من الظلمات ولا يتسنى لك أن تترقى وأن ترى الملائكة وأنت مكبل بالحظوظ والغايات .

أما حظ الشيطان فلا يعقل أن يكون فى قلبه ﷺ حظ للشيطان وقد قال الله تعالى للشيطان :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (١٢)

وهذا سيد الخلق وما أكرم الله - تعالى - من أكرمه إلا بسببه ﷺ فكيف يقال ذلك بالنسبة له ؟ الإجابة والله أعلم أن المقصود كما قدمنا هو إظهار قوته وفضله ﷺ ذلك بأن الله - تعالى - أمر جبريل - عليه السلام - بشق الصدر وإذا تم ذلك على يده فإن النبي ﷺ يخبر به ويحدث به فيتناقل هذا الحديث المسلمون والمؤرخون وحديث النبي صادق ومصدق فيعلمون أن النبي ﷺ الذى واجه هذه العمليات لا يخاف من تبليغ الرسالة ولا يتزحزح عن أمر ربه ولا يتزعزع مهما قابلته الصعاب ولا ييأس مهما قابلته الشدائد وهو ينشر دين الله .

قلت لصاحبى وقد بدا مشدوها لما يسمع : لعلك وقد رأيت بعض قوة جنان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض فضله ، قارن ذلك بقول الله - تعالى - لسيدنا موسى - عليه السلام - لمالقى عصاه وصارت ثعباناً : ﴿ يَمْوَسَّىٰ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ ﴾ (١٣) .

قال صاحبى : زدنى من رحيق شيخك .

قلت : لك ما تريد فى جلسة قادمة إن شاء الله تعالى .

« يتبع »

١١ النجم « ١٧ » .

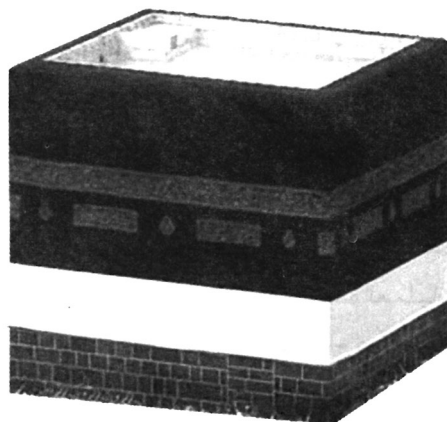
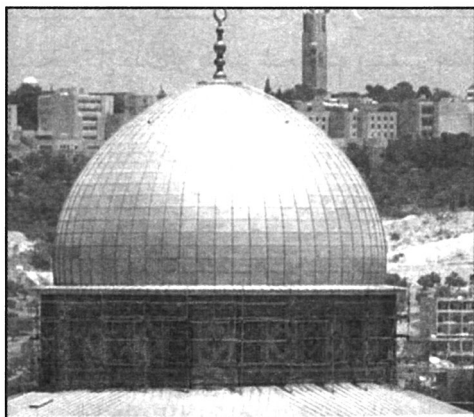
١٢ - القصص « ٣١ » .

١٠ - المزمل « ٥ » .

١٢ - الحجر « ٤٢ » .



﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ سورة الإسراء آية (١).



الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

لفضيلة الأستاذ الشيخ / يوسف الدجوي (*)

نشر هذا الموضوع في شهر رجب سنة ١٣٥٣ هـ «بمجلة الأزهر» أي منذ سبعين عاما، وقد أشار الكاتب إلى أمور كونية يراها قريبة التحقيق، وقد تحققت فعلا بعد صدور المقال كالنزول على القمر، ونحن نختاره للنشر بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج في هذا الشهر الكريم.

(إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم)

(*) عضو جماعة كبار العلماء.

ويحكمون فى كل شئ بالأحكام الجازمة اعتمادا على بضع نواميس وصلوا إلى ظواهرها من نواميس هذا الكون التى لا يحصيها إلا الله ولا يدري كنهها غير مبدعها الذى لا حد لقدرته ولا نهاية لعلمه .

وليت شعرى بعد ذلك كله أى عقل نحكمه فيما ورد عن الشارع : أهو عقل الأفراد أو عقل الجماعات ؟ وما هو الضابط إذا اختلفت العقول ، وليس هناك نوع من الأنواع وقع التفاوت فيما بين أفرادها مثل نوع الإنسان الذى هو مظهر المتناقضات ومجمع العجائب والغرائب ؟ وقد خاطب الله الخلق جميعا بقوله :

﴿ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) .

ويقول فى حق الإنسان :

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٢) .

ولقد نرى فى تخطيطه وتناقضه وارتبাকে فى أحواله واضطرابه فى أعماله الدليل الساطع على أنه مخلوق من الطيش والجهالة والعجز والقصور . فعلام تلك الكبرياء وهو من الضعف بحيث يرثى له ويشفق عليه ؟!

الموضوع :

لا يستند هؤلاء المنكرون إلا إلى الاستبعاد العقلى ، وقياس الشاهد على الغائب ، وإرجاع مالم يعلموا إلى ما علموا ؛ والجاهل لا يعرف قدر نفسه ولا قدر العلم ؛ ويعتقد أن كل ما خرج عن دائرة علمه فهو فى دائرة العدم :

إن الناس اليوم يقدسون عقولهم ، ويسIRON وراء ما يملئهم عليهم علمهم القاصر ونظرهم الضعيف ، وكل من سار وراء عقله ووزن كل ما جاء عن الرسول بميزان فكره فقلما يؤمن إيمانا صحيحا . وإذا راقك منه ما يشقشق به فى بعض الأحيان لم تلبث أن يسوءك منه ما يهذى به فى وقت آخر ، ولا غرو فالجهل حليف الإنسان ، والضعف لازم من لوازم البشرية ، وقصور العلم من صفاتها الذاتية وأعراضها اللازمة . وكل من لم يصدق إلا بما وصل إليه عقله وبلغته حدود علمه ، فليس مؤمنا بالرسول على الحقيقة ، وإنما هو مؤمن بعقله « لا بالرسول » .

وما جاءت الرسل إلا لتخبرنا عما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه العقول التى لا تستمد معلوماتها إلا من المحسوسات ، وما تنتزعه منها من المعقولات الثانية مما هو راجع إليها ومتوقف عليها ، ومقدورات الله لا نهاية لها ، وعوالمه لا حد لها ؛ ولكل عالم ناموس يخصه .

ومن الغلط البين الحكم على عالم من العوالم بأحكام عالم آخر . وإذا كنا نرى من بعض أنواع الحيوان ما لا يعيش إلا فى الماء ، ومن بعضها ما لو مكث فى البحر لمات ، ومن بعضها ما يقتله الكربون كالإنسان ، ومنها ما يقتله الأكسوجين ككثير من الحيوانات الدنيا « ولعلنا كنا لا نصدق بذلك قياسا على أنفسنا لولا مشاهدتنا إياه » فكيف بما لم نقف له على عين ولا أثر من العوالم الأخرى التى تحس والتى لا تحس ؟

وإنى لأعجب لهم كيف يتبجحون هذا التبجح

ذلك الفريق من إخواننا المتفهمين من الشيوخ .
والعالم كل العالم من لا يتأثر بكل ما رآه أو
يتشوش بكل ما رواه، بل العالم كل العالم من
يعرف المقبول المردود، والضعيف والصحيح، ومن
يجمع بين الروايات المختلفة إذا أمكن الجمع، أو
يرجح الراجح ويسقط المرجوح إذا تعذر التوفيق .
وما أدرى كيف يقبل الذوق السليم أن الإسراء
كان بالروح بعد ما يقول الله تعالى :

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِنشَاءِ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٤) .

فها أنت ذا ترى الآية الكريمة قد افتتحت

بـ ﴿ سُبْحَنَ ﴾ المشعر باستعظام ما كان من
الأمر والتعجب منه لجلالته؛ وهو لا يصح موقعه و
لا يتناسب وبلاغة القرآن الكريم الحكيم إلا إذا
كان ذلك أمرا غير معهود ولا مقدور لأحد من
البشر .

ولو كان هذا الإسراء بالروح فقط لم يكن ثمة ما
يقتضى هذا الاستعظام وذلك التعجب، إذ لا
خطورة في إراءة النبي ﷺ آيات ربه في منامه، فإن
هذا أمر عادي يجوز أن يقع لكل أحد، بل قد يرى
الإنسان في منامه رب العزة الذي هو أكبر من كل
شئ؛ وإنما يظهر وجه الاستعظام والتعجب لو قلنا:
إن ذلك الإسراء كان بالجسد والروح، كما هو ظاهر
لكل ذى فطرة طاهرة وعقل سليم .

ثم تراه يقول : ﴿ أَسْرَى ﴾ وهو لا يقال فى

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذِبًا مُّكْتَبًا عَلَيْهِمْ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ (٣) .

ومن الغريب الذى يؤسف له أنهم إذا سمعوا
أن بعض الأوربيين يريد الوصول إلى القمر ويفكر
فى إعداد العدة لذلك لم يتحرك منهم ساكن؛ بل
ربما انتصروا لما سمعوا وقالوا: إن العلم يلد
العجائب والاكتشاف يأتى بالغرائب . ولكن إذا
سمعوا أن الرسول عرج به إلى السماء قامت
قيامتهم، وهدرت شقاشقهم، وظهر كل ما فى
نفوسهم الضعيفة من خبث وإلحاد . وسنتكلم
معهم بما يخضعون له إذا سمعوه عن ساداتهم
الأوربيين « الذين لم يعلموا علمهم ولا أحسنوا
تقليدهم » :

أما الكلام فى الموضوع من الجهة النقلية فأظن
أنه لا يعنيههم كثيرا، ولا يقنعهم لا كثيرا ولا
قليلا . ومع هذا فنقول فيه كلمة موجزة من أجل
الفريق الثانى الذى ينتسب للعلم ولا يمكنه
الخروج عن الكتاب والسنة، ولكنه يؤول ويحرف
اغترارا ببعض الروايات، إجابة لنزعة عنده وعقيدة
لديه لا تبتعد كثيرا عن عقيدة الماديين، وإن كان
مذبذبا بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء،
فنقول :

إن من قال : إن الإسراء بالروح تمسك ببعض
روايات مطعون فيها، كالرواية عن عائشة التى
ردها الحفاظ وقالوا: إنها غير صحيحة من وجوه
عديدة لا نطيل بها؛ وكرواية شريك بن أبى نمر
التى طعن فيها الحفاظ بما يطول شرحه . وليس
الغرض إلا أن نشير إلى ذلك إشارة خفيفة يعرفها



المقدس، وأنه عرج به إلى السموات العلا بجسمه وروحه، وأنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى.

وإني أستحلفك بعلمك وذوقك وإنصافك أن تنظر معي لقوله:

﴿أَفْتَمْرُؤُهُ عَلَيَّ مَا بَرَأَ﴾ ثم قل لي بعد ذلك ماذا ترى: أفيسهل عليك أن تسلم أن المرء والجدال كانا في رؤية منامية؟ وهل يكون في رؤية الروح وحدها في المنام جحود ومجادلة؟ وهل لذلك وقع عند القائل أو السامع حتى تذكر فيه تلك الآيات، وتحصل به تلك الحركات والمجاذلات، وينوه بشأنه في القرآن هذا التنويه العظيم؟ وهل عهد مثل ذلك في الرؤى المنامية؟ وهل ينكرون على أنفسهم ذلك حتى ينكروه عليه ﷺ؟

لا شك أن منكرتهم ومجادلتهم ما كانت إلا لعلمهم أنه يدعى أن ذلك كان يقظة لا مناما؛ فهذا هو محل الاستبعاد والاستنكار، فإنه غير معهود لديهم، ولا من متناول قدرتهم.

أما منامات الأرواح فيجوز أن تقع لكل أحد حتى المشركين أنفسهم. وهل ينكر الله عليهم إنكارهم بقوله:

﴿أَفْتَمْرُؤُهُ عَلَيَّ مَا بَرَأَ﴾ ويقرعهم على مجادلتهم بالباطل، ويقسم على أن صاحبهم ما ضل وما غوى، ويقول: إنه رأى ولا يليق أن تماروه فيما رآه، هل يكون كل ذلك لرؤيا منامية؟ وهل يقول:

النوم كما قال القاضي عياض، لأن ما يقع في النوم إنما هو تخيل وضرب مثل لا غير، ولا يحسن أن يعبر عن ذلك بأنه أسرى به، وإنما يحسن ذلك إذا أسرى به ليلا سيرا حسيا على ما هو المعهود المعروف.

ثم يقول: ﴿يَعْبُدُهُ﴾ وهو نص قاطع في الموضوع، لأن العبد لا يطلق فيما تعرفه العرب إلا على الشخص بجملته المكون من الروح والجسد؛ ولم يعهد في لغة العرب إطلاقه على الروح فقط؛ فهم لا يعرفون من العبد إلا الشخص المحسوس المنظور، كما في قوله تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ (٥).

وقوله:

﴿وَأَنَّهُمْ لَأَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ (٦) إلى غير ذلك.

ثم يقول:

﴿لَثَرِيهٌ مِّنْ أَيْنُنَا﴾ ويقول في سورة النجم:

﴿أَفْتَمْرُؤُهُ عَلَيَّ مَا بَرَأَ﴾ ولقد رآه

نَزَلَهُ أُخْرَى ۚ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۚ عِنْدَ حَاجَتِ الْمَأْوَى ۚ

إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۚ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۚ لَقَدْ رَأَى

مِنْ أَيْنُتَرِيهِ الْكَوْبَى ۚ (٧).

ولا شك عند من له ذوق سليم أن هذه الآيات الكريمة تدل على أن النبي ﷺ أسرى به إلى بيت





وأما التشبث بلفظ الرؤيا دون الرؤية فقد رده أهل اللغة واستشهدوا عليه: ورؤياك أحلى فى الجفون من الغمض.

على أنه جاء فى القصة ما هو قاطع فى الموضوع: فإن النبى ﷺ لما أخبرهم بذلك هاج هائجهم وقامت قيامتهم، فمنهم الواضع يده على رأسه تعجبا، ومنهم المصفق، ومنهم القائل له: ولقد كان أمرك (أى قريبا) قبل هذا. حتى ورد أنه ارتد بعض من دخل فى الإسلام. فهل ترى - أيدك الله - أن ذلك كله كان من أجل رؤيا منامية؟

بل فى القصة ما هو أكثر من هذا، وهو أنهم سألوا النبى ﷺ عن غيرهم التى كان فيها تجارتهم، فأجابهم ﷺ بأنه مر بها، وقد ند منها بغير فأنكسر، وأنه مر بغير أخرى قد ضلوا ناقة لهم، وكان معهم قدح من الماء فشربه ﷺ. وقد سألوهم عند ما قدموا مكة فصدقوا ذلك كله. وفى القصة أكثر من هذا. فهل ترى أن الروح شربت الماء من القدح؟ وهل يمكننا أن نقبل أنهم يسألونه عن غيرهم وعن بيت المقدس وأبوابه وكل ما يتعلق به إذا كانت الرؤيا منامية؟ وأى علاقة بين رؤيا المنام وبين غيرهم التى تجيء من الشام، وقد رأى لهم عدة قوافل من تجارتهم وأخبرهم عنها؟

ولا نزال نقول: أى معنى لقصة قدح الماء إذا كانت الرؤيا منامية؟ وأظن أن هذا القدر كاف للمصنف. ولو شئنا لأطلنا.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾

وينوه بأمر هذه الرؤية ويقول إنها عند سدرة المنتهى ويجعلها مرة أخرى لرؤيا منام؟ وهل يقول المنكر: إن رؤية جبريل فى المرة الأولى التى جاءت فى الحديث الصحيح حين رآه ﷺ بحراء على صورته التى خلقه الله عليها قد سد الأفق، هل يقولون إن ذلك كان مناما أيضا، أم يفرقون بينهما والقرآن لم يفرق وجعل الرؤية فى المرة الأخرى عند سدرة المنتهى كالرؤية الأولى فى الأرض بلا فرق؟

فهل يقال إذا كانت إحدى الرؤيتين فى المنام والأخرى فى اليقظة؟ وهل يحسن أن تجعل الضمير فى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ لروح النبى دون جسده وتغايير بينه وبين ما قبله وما بعده من الضمائر العائدة على شخصه ﷺ لا على روحه فقط؟ وهل يسهل عليك أن تقول: إنها رؤيا منامية مع قوله تعالى:

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ ﴿١٤﴾ وهل يقال ذلك فى أحلام النائمين؟ اللهم إن ذلك لا يقال إلا فى أوهام الواهمين.

وهل يقال فى الرؤيا المنامية:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ ﴿١٥﴾؟.

ومتى كانت رؤيا المنام فتنة لأحد؟ فإن كل إنسان يرى بروحه من الكون ما شاء الله أن يرى، فما وجه الإفتتان وما معناه؟



جاءت كرامات الأولياء. وإذا كنا نصدق بذلك فى الجن، وأرواح النوع الإنسانى أعظم لطافة وأقوى نفوذاً وأشدّ قرباً من الملائكة الأعلى، فلماذا نستبعد ذلك فى خواص البشر الذين غلبت عليهم الروحانية حتى صاروا كأنهم من الملائكة الأعلى، وبذلك تنخرق لهم العادات ولا تحكم عليهم نواميس المادة؟

براهين عصرية على ذلك

وما لنا نذكر كرامات الأولياء أو معجزات الأنبياء وبعض العصريين لا يقتنعون بذلك، ولعلمهم يعدونه من الخرافات والترهات؟ فلنسق لك ما هو أقرب إلى إقناعهم وأليق باستعدادهم، فنقول:

قد ثبت ثبوتاً لا شك فيه أن المنوم تنويماً مغناطيسياً يسأل عما فى البلاد البعيدة فيجيب عنها بأجوبة صحيحة، فهل يمكن تعليل ذلك بالتعاليل المادية؟

وقد قالوا: إن المنوم (بصيغة اسم فاعل) إذا أمر المنوم (بصيغة المفعول) أن يخوض النار وأفهمه أنها ليست ناراً، خاضها ولم تؤثر فيه، لأنه تحت سلطان الروح فله حكمها، والأرواح لا تؤثر فيها النيران ولا تحكم عليها هذه النواميس (وسلطان الروح فوق سلطان المادة).

وقد قالوا: إنهم جاءوا للمنوم بالنوشادر المركز الذى إذا شممه أحد مات لوقته فلم يؤثر فيه أدنى تأثير، فقام بعض الأطباء وقال: إن ذلك غش وخداع. فأخذ النوشادر المركز وشمه فخر ميتاً. وأعجيب التنويم

الفريق الأول الذى يتمسك بالشبه العقلي

يقول هذا الفريق: إنه يستحيل العروج إلى السماء لأن بيننا وبينها كرة نارية كما قرره الفلاسفة الأقدمون. ونقول له: إن ذلك خيال لم يقم عليه برهان؛ والفلاسفة العصريون ينفون ذلك بتاتا. فهذا كاف فى إسقاط ذلك الزعم. وستسمع عن ذلك جواباً آخر مشتركاً دافعا للشبه كلها.

ويقول العصريون فى استحالة ذلك: إن الهواء يرتفع عن الأرض مقدار بضعة آلاف من الأمتار فإذا وصل الإنسان إلى ذلك الحد لم يمكنه أن يعيش، لأنه لا يجد من الهواء ما يتنفس به، فلا بد أن يموت، وقد وصلوا بطياراتهم إلى ما يقرب ذلك فخرج الدم منهم بهيئة منكرة لفقد الضغط الجوى.

ونقول فى دفع هذه الشبهة: إن ذلك مسلم ولا نمارى فيه، ولكن هناك قوانين أخرى لا يعرفها الماديون، ومحال أن يصل إليها الطبيعيون: ذلك أن الأرواح الإنسانية من عالم آخر لا تسرى عليه قوانين هذا العالم؛ فإذا غلبت على الإنسان روحانيته كان الحكم للروح لا للجسد، فكان السائد عليه هو النواميس الروحانية لا الجسمانية؛ ومتى ساد سلطان الروح سلطان البدن كان الحكم للروح لا للبدن، فيمكنه أن يطوى المسافات البعيدة فى لحظة قصيرة، ويمكنه أن يرى المغيبات على حد محدود، ويمكنه أن يخترق الجدران ويقتحم المهالك من غير أن يحصل له ضرر أو يلاحقه ألم. ومن هنا

ولقد أقام العالم ثمانية عشر قرناً يدين نظرية (بطليموس) صاحب كتاب (الماجسطي) في الأرض والشمس ودورتها، وغيرها ذلك من النظريات الفلكية؛ حتى جاء دور الانقلاب العلمى فى القرن السادس عشر ونادى العلمتان (كوبرنيك) و(كبلر) الألمانىان والبحاثة (غاليلى) الإيطالى بعكس نظرية السابقين، وأثبتوا فرضاً مخالفاً لفروضهم؛ ثم جاء أينشتاين فى عصرنا هذا فرد عليهم وقلب نظرياتهم رأساً على عقب. ولا ندرى ماذا يجيء به الغد.

الخلاصة:

والخلاصة أن الإسراء لو كان مناماً لما كانت فيه آية ولا معجزة ولا استبعده الكفار ولا كذبوه فيه، ولا ارتد بعض ضعفاء من أسلم واقتنوا به، إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر. ويؤكد ذلك مجيء جبريل له بالبراق، وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال: ومن معك؟ فيقول: محمد ولقاؤه الأنبياء فيها وترحيبهم به، وخطبهم فى بيت المقدس ورده عليهم، وصلاتهم وراءه، وتعيين محل كل واحد منهم والإخبار عنه بخبر خاص؛ وحديث فرض الصلاة ومراجعة موسى فى ذلك، وقوله: «ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام» وأنه وصل إلى سدرة المنتهى. إلى غير ذلك مما جاء فى القصة.

وهل عهد مثل ذلك فى رؤيا المنام؟ وهل يقال فى رؤيا المنام:

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ أو ينوه بشأنها هذا التنويه كله؟ وهل يحسن أن يكون فرض الصلاة

المغناطيسى أصبحت لمس اليد ورأى العين. وسرها ما ذكرنا من أن سلطان الروح فوق سلطان المادة.

وإذا ثبت هذا فلتعلم أن النبى ﷺ عند الخروج كان على غاية ما يكون من الروحانية، بل كانت روحانيته إذ ذاك فوق روحانية جبريل -عليه السلام- ولذلك ورد أن جبريل تأخر عنه بعد سدرة المنتهى وقال له: لو تقدمت أئمتلة لاحتترقت. فإذا وصل النبى ﷺ إلى ذلك الحد الذى يتخلخل فيه الهواء أو ينقطع بالكلية، وقد غلبت عليه الروحانية من كل جهاته، لم يكن لذلك تأثير فيه ولا ضرر عليه لما قررناه.

ويمكننا أن نستشهد على ذلك بما أصبح معروفاً لا ينكر، وهو أن بعض الهنود يوضع فى صندوق باختياره أو يدفن فى موضع من الأرض عشرين يوماً وثلاثين يوماً وأكثر من ذلك، ثم يخرج ويعمل له ما يرجعه إلى حسه ولا تفارقه الحياة مع أنه كان لا يتنفس أصلاً فى تلك المدة. فكيف ينكر مثل ذلك على رسول الله ﷺ وهو سيد الروحانيين وأفضل الخلق أجمعين؟

وهذا تنزل يقتضيه الحال وقوانين الجدال، وإلا فلست أدرى كيف يقيسون عالم الملكوت على عالم الملك، وأحكام الأرواح على أحكام الأشباح، مع أنهم لم يتقنوا علومهم المادية، وكثيراً ما تخطبوا فيها فنقضوا ما أبرموا. وهو شأن هذا النوع الضعيف منذ خلقه الله إلى أن تقوم الساعة!



ولو كان المعراج فى النوم عند عائشة - رضى الله عنها - عنهما كما يزعمه بعضهم لما أنكرت رؤيته ﷺ ربه. فهى لم تنكرها إلا لفهمها أن ذلك كان يقظة لا مناما، لأن رؤية المنام لا تنكر من عائشة ولا من غيرها.

وبعد: فقد عرج به ﷺ ليستبين بذلك العروج أن مقامه فوق مقامات الأنبياء، حيث ارتفع عليهم جميعا حتى سمع صريف الأقلام، وكانت مناجاته فوق السموات العلا على غير ميعاد ولا رياضة سابقة لكمال استعداد ﷺ، ليعلم ما بينه وبين غيره من الفرق فى التقريب والاصطفاء.

وكان العلو الحسى مستتبع للعلو المعنوى، فكلما ارتقى فى درجات السموات وما فوقها كان يرتقى فى درجات الروحانية والاستغراق فى جلال الله وعظمته: ولا غرو فالأماكن لها خصائص ومميزات. وانظر إلى الكعبة وما اختصت به من الرفعة والتعظيم ونزول الرحمات والبركات حتى استحقت أن تسمى بيت الله وحرم الله.

ولتعلم أن قصة الإسراء والمعراج قد وردت عن كثير من الصحابة، عد منهم فى المواهب اللدنية ستة وعشرين. والقلم على الوقوف عند هذا الحد ففيه مقنع وكفاية لمن أراد الله هدايته:

أسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم: صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا بمنه، وكرمه.

وهى عمود الإسلام فى المنام على حين أن غيرها كان فى اليقظة؟

ولست أفهم إلا أن هذا إنكار لقدرة الله، وإذا فتش عن إيمان ذلك المنكر وجد ضعيفا به خلل وفيه دخل. وما أدرى ماذا يصنع فى مثل قوله تعالى:

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ

بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (٩).

وقوله:

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى

وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٠).

وقوله:

﴿ فَخَذَّ أَرْبَعَةً مِّنَ

الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ آذَعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ (١١).

إلى غير ذلك من الآيات والمعجزات؟ وإن الإيمان بذلك كله سهل لدى من يعتقد أن الله على كل شىء قدير، وأننا أوتينا من العلم إلا قليلا.

ولنرجع للموضوع فنقول باختصار:

لو كان مناما لم يكن فيه آية؛ مع أن الله يقول:

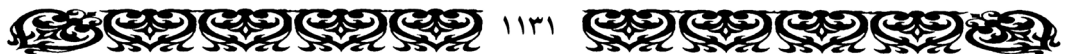
﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ (١٢).

١٠- البقرة «٧٢».

٩- النمل «٤٠».

١٢- النجم «١٨».

١١- البقرة «٢٦٠».



سُحْبُكَلِّهِ بَيْنَ فَعْمِهِ بَيْنَ كِبَرِهِ

من تاريخ
التشريع
الإسلامي

للدكتور / محمد فتوح والي

٢

عرفنا كيف تدفق الإمام الليث كالسيل عند رده على الإمام مالك، في عبارات واضحة وحجج ظاهرة، وشواهد دامغة، دون أن ينسيه ذلك كله مكانة صاحبه وهيبته، وفضله وإمامته. ورسالة الإمام الليث شاهدة على ما كان يتمتع به علماؤنا من أدب جم، وخلق فاضل، وذوق رفيع، فبرغم عظمة القضية، وجدية الحوار، وثقة كل طرف من صحة رأيه وسداد فكره، فإن أحدا منهما لم يحاول النيل من أخيه بتلميح أو تصريح، ولم نلمس في أسلوب الإمامين الكبيرين ما يوحي من قريب أو بعيد بشئ من حظ النفس، من رغبة في القلب أو حب الظهور، أو غمز أو لمز، وإنما هي الطهارة في القول، والنزاهة في التفكير، والأدب في الحوار، والشرف في الخصومة والتجرد الكامل للوصول إلى الحق. بل إن الأمر ليصل في هذه المساجلة إلى ما هو أبعد من مجرد الوصول إلى الحقيقة، فتحس نوعا من الأخوة الصادقة، والمودة الخالصة، والحب العميق.

راجيا الله له العون على شكره، وأن يزيد من إحسانه وبره.

ومن استقصاء ردود الإمام الليث نلاحظ ردا على أمور لم ترد في رسالة الإمام مالك، مما يعنى رسالة الإمام مالك التي بين أيدينا ليست كل ما كتب الإمام، وإنما سقط منها أجزاء من فعل الرواة، وكان الظن برسالة الإمام مالك ألا يسقط منها شئ نظرا لعناية تلاميذه بتدوين

فالإمام الليث يبدأ رده على رسالة صاحبه بهذا الدعاء الرقيق: « عافانا الله وإياك، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة » وهو دعاء جامع لخيري الدنيا والآخرة، وهل يطلب العاقل أفضل من المعافاة في الدنيا وحسن العاقبة في الآخرة، وينتقل من الدعاء له إلى إظهار سروره بما بلغه من صلاح حاله، معاودا الدعاء له بدوام تلك الحالة الطيبة وتتمامها،



أمر الفتيا قائلا: « ذكرت أنه بلغك أني أفتى بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم، وأنى يحق على الخوف على نفسى لاعتماد من قبلى على ما أفتيهم به، وأن الناس تبع لأهل المدينة التى إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وقد أصبت بالذى كتبت به من ذلك إن شاء الله - تعالى - ووقع منى بالموقع الذى تحب ».

ومن مظاهر تواضعه التى لا تتأتى إلا للنفوس العظيمة والقلوب الكبيرة، ما نلاحظه عند كلامه عن نفسه فى معرض التحدث عن العلم: إذ نراه لا يصف نفسه بالعلم ولا يدخل نفسه فى دائرة العلماء وإنما يجعل العلم منسوباً إليه من الناس فى قوله: « وما أجد أحدا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا، ولا أشد تفضيلاً لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ولا آخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه منى ».

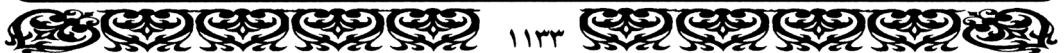
أما عند حديثه عن إخوانه من أهل المدينة فيقول علماء أهل المدينة، وهو خلق فاضل لا يعرفه إلا أفاضل العلماء وأكابرهم، ممن خلت نفوسهم من الحقد، وبرأت من الهوى، وتطهرت من العجب والكبر، فليت سادتنا من علماء هذا الزمان يفقهون عن أئمتنا وعلمائنا هذا الخلق الفاضل، وينهجون فى خلافهم هذا المنهج القويم.

ويواصل الإمام الليث إنصافه لأخيه، واعترافه له بما ذكر، وإقراره بصواب ما ذهب إليه بقوله: « وأما ما ذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة، ونزول القرآن بها عليه بين ظهرانى أصحابه، وما علمهم الله منه، وأن

مذهبه وعنايتهم بكل ما يكتب، وكثرة المحيطين به، وخاصة فى قضية مشهورة كمنابرتة مع إمام مصر. وكان المتوقع أن يكون النقص فى رسالة الإمام الليث، نظراً لعدم انشغاله بالتدوين وعدم عناية تلاميذه بتسجيل آثاره. لكن يبدو أن القضية لقيت عناية من الإمام الليث ومن أهل مصر، نظراً لخطورتها، وعظم ما يترتب عليها، فضلاً عن التوفيق الكبير الذى أصابه الإمام الليث بردوده على الإمام مالك، مما عد حدثاً عظيماً استحق من أهل مصر كل عناية وتقدير.

والمتتبع لردود الإمام الليث لا يملك نفسه من الإعجاب بهذا الأدب العالى، وهذا الخلق الرفيع، فبرغم علو مكانته فى قومه ورسوخ قدمه فى علمه، واستبحار سلطانه، وعظم منزلته لدى خليفة المسلمين هارون الرشيد، فإنه يبدو فى رسالته أشد ما يكون تواضعاً وليناً، إذ لا يجد فى نفسه حرجاً من إنكار الإمام مالك عليه، وتحذيره إياه، بل إنه يرى ذلك حقاً له على أخيه، أن يسارع إلى تنبيهه إن غفل، وتذكيره إن نسى، وإلى تقويمه إن رأى فيه اعوجاج.

وهو فى تواضعه يفصح عن خلق آخر لا يتمتع به إلا المخلصون من أولى العلم والأئمة الأعلام فى كل عصر وهو خلق الإنصاف من النفس والاعتراف بالفضل لأهله، وقديماً قيل: « لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه ». ويظهر خلق الإنصاف واضحاً فى إقراره أخاه فيما وصف به أهل المدينة من الإمامة والسبق، وأن الناس تبع لهم. ويقره فيما بلغه عنه من





الناس صاروا تبعاً فيه فكما ذكرت...».

المسلمين ولا غافلين عنهم، بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدين، والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه، فلم يتركوا أمراً فسر القرآن أو عمل به النبي صلى الله عليه وسلم أو ائتمروا فيه بعده إلا علموه، فإذا جاء أمر عمل به أصحاب رسول الله ﷺ بمصر والشام والعراق على عهد أبي بكر وعمر وعثمان، ولم يزالوا عليه حتى قبضوا لم يأمرهم بغيره، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين له.

حتى إذا وصل إلى ما ينبغي الرد عليه، وما يقتضى إبداء الرأى فيه، وإظهار ما خفى على أخيه منه انبرى يوضح ذلك فى جزالة وفصاحة وبيان. لا يصرفه عن قصده هوى، ولا يشغله عن بلوغ الحق شاغل، ولا يعوقه عن إظهار ما يرى من الحق عى أو جهل أو عجز أو سفسطة أو مرأ فيقول:

«وأما ما ذكرت من قوله الله - تعالى -:

﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضُوا عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدُّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

وواضح ما فى كلام الإمام الليث من وجهة، وما فى حججه من قوة لا تترك زيادة لمستزيد، فانتقال أصحاب رسول الله ﷺ إلى أقطار الأرض فاتحين، واجتماع الناس بهم، والتفافهم حولهم، واستماعهم لهم، وأخذهم لفتياهم، واستقرار أمور الناس على ما أخذوه من كتاب الله وسنة رسول الله، وما أفتى به أصحاب رسول الله ﷺ وعملوا به على عهد الراشدين الثلاثة أبى بكر، وعمر، وعثمان وهم من هم غيرة على الدين، وشدة فى الحق، ودقة فى اتباع رسول الله ﷺ. وحرصاً على كل أمر من أمور الدين مهما كان يسيراً، كل ذلك يجعل اتباع أهل المدينة وحدهم أمراً عسيراً. (٢)

فإن كثيراً من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد فى سبيل الله ابتغاء مرضاة الله، فجندوا الأجناد واجتمع إليهم الناس، فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه ولم يكتمهم شيئاً علموه، وكان فى كل جند منهم طائفة يعلمون كتاب الله وسنة نبيه، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره القرآن والسنة. وتقدمهم عليه أبوبكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم. ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد

١- التوبة (١٠٠).

٢- أورد الطبري روايتين فى كتابه «ذيل المذيل» ص ١٠٧، إحداهما عن الخليفة المهدي، والأخرى عن الخليفة أبى جعفر المنصور، كلاهما يطلب منه أن يضع كتاباً يحمل الناس على العمل به فى جميع الأمصار، لكن مالك لم ير ذلك. انظر ذلك بالتفصيل فى البحث الذى أعده الدكتور محمد كامل حسين فى مقدمة كتاب «الموطأ» تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى.





التابعين، حتى يصل إلى أمور من الاختلاف وقعت بين يدي صاحبه، وربما كان طرفا فيها، أو على الأقل شاهدا عليها، والإمام الليث كان حاضرا تلك المناقشات أيضا فيقول: « ثم اختلف الذين كانوا بعدهم فحضرتهم بالمدينة ورأسهم يومئذ ابن شهاب وربيعه بن عبد الرحمن، وكان من خلاف ربيعة لبعض من قد مضى ما عرفت وحضرت، وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير إذا لقيناه، وإذا كاتبه بعضنا فرما كتب إليه في الشيء الواحد - على فضل علمه ورأيه - بثلاثة أنواع ينقض بعضها بعضا، ولا يشعر بالذى مضى من رأيه فى ذلك، فهذا الذى تدعونى إلى ترك ما أنكرت تركى إياه ».

وهكذا تصل القضية إلى نهايتها، ويصل الإمام الليث وبصاحبه وبالقارىء إلى الإقناع التام، على جسر من الحب الصادق، والود الخالص، والأدب الجم، والخلق الرفيع.

وبرغم أن القضية بذلك قد انتهت فإن رسالة الإمام الليث لم تنته، فما أن انتهى من رده على دعوى صاحبه حتى تحول من الرد إلى النقد، ومن الدفاع إلى الهجوم، فأحصى على الإمام مالك أمورا خالف بها إجماع أهل المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن التابعين، وقد أحصيت تلك الأمور فى رسالة الإمام الليث، فبلغت عشر مسائل من أهم قضايا تراثنا الفقهي المجيد.

ثم يصل الإمام الليث عن طريق هذه المناقشة الهادئة العميقة المستندة إلى العقل والشرع وواقع الحال إلى إبداء رأيه رافضاً مطلب الإمام مالك أن يجعل المسلمين جميعا تبعاً لما يراه أهل المدينة وألا يخالفوهم فى شيء مما أجمعوا عليه.

قائلاً: « فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم، مع أن أصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا فى الفتيا فى أشياء كثيرة، ولولا أنى قد عرفت أن قد علمتها كتبت بها إليك ».

ونلاحظ أدب الإمام الجم وذوقه الرفيع عند إبداء رأيه رغم قوته ووجاهته إذ لا يعمد إلى تنقيص أو تجريح، بل لا يحدد أحدا بعينه وإنما يكتفى بقوله: « لا يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم » وواضح أن المقصود بأجناد المسلمين هم الإمام مالك وأصحابه، ولكن أدب الإمام الليث يمنعه عند حديثه عن إحداث أمر يخالف ما عليه المسلمون أن ينسب ذلك إلى أهل المدينة وإنما يجعله عاماً دون تحديد لأهل بلد أو مذهب أو جهة . أدبا منه ولطفاً، وكياسة وورعاً، ويبلغ الإمام الغاية فى الإقناع بقضيته، وإبراز وجه الحق فى دعواه عندما يقدم أمثلة من الاختلاف بين التابعين وتابعي



فلسفة خطاب الإعلام العربى بين التبرير والتغيير

د. أساذ الدكتور / محمدر الهم الفوى



يلعب الإعلام المعاصر، من خلال وسائل الحضارة التكنولوجية، دورا مهما أكثر من أى عصر مضى، فى تكوين أفكار الناس، وتحريك عواطفهم، وتوجيه حياتهم، وتشكيل عقائدهم، ولقوته العظمى يؤثر على أسلوب حياتنا، ومعيشتنا، على أفكارنا السياسية، وعلى أخلاقنا بل وعلى مصيرنا.

الإنسانية على صعيد الحكمة، لذلك يجب أن تكون الكلمة مؤسسة على أشرف المبادئ وأسمائها، تلتقى لقاء إنسانيا، لا يعكره ما صنعتته الظروف من الحواجز المصطنعة، تنوب فيه الإقليمية، والجغرافية والعنصرية، والمذهبية، وبه أيضا تتعرف الشعوب على مجريات الأحداث أينما كانت، وعلى ثقافتها وخصائصها ومتطلباتها ومشاكلها وتغييراتها.

لذلك تدرك الأمم الحية الراقية أن نهضتها، وبعثها الحضارى، ورفع شأنها بين الأمم تتوقف على وسائلها الإعلامية، وعلى نوع

من هنا: يقع الإنسان المعاصر، تحت وطأة وسائل الإعلام وشراستها، فأينما يكون توجيهها تكون وسيلته، فهى التى تحرره إن كانت حرة فى اتجاهاتها، وهى التى تستعيده وتسخره إن كانت استبدادية النزعة، لذلك كانت وسائل الإعلام هى عنوان الأمم وعنوان رقيها وتحضرها، هى السفير المعتمد الذى يرسم وسائل الاتصال بين الشعوب .. وبين الدول ومواطنيها .. ويقيم علاقاتها برباط شديد وأواصره، من الوطنية والأخلاق والدين .. ولا نجد وسيلة أقوى وأشد فعالية فى وحدة الأمة من الإعلام، فيه تلتقى



به نزوات الحكام . من هنا وقفنا بين فلسفتين :

فلسفة الذين يستمدون تزييفهم من قراءات مشوهة للتاريخ، أنه لا سبيل إلى التحضر والنهضة الإصلاحية، ومن تلاقى الظروف الاستثنائية التي وقعت فيها الأمة إلا إذا خف ضغط القوى العالمية التي تريد لشعوب العالم الثالث أن تكون كذلك، وقادهم تأويلهم المتعسف .

لأحداث الخمسينيات والستينيات .. حين بدأت الثورة في بداياتها الأولى بالميل نحو الاعتماد على النفس ، حين أعلنت مبادئها الإصلاحية .. ومن أهمها ضرب الاستعمار .. وإقامة حكم وطني ديمقراطي .. الخ .

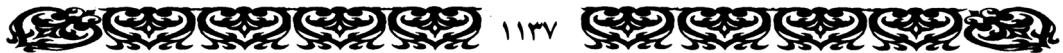
أدت تلك المحاولات الاستقلالية كما يذهب أصحاب فلسفات التبعية إلى الاصطدام بالقوى الخارجية صاحبة المصلحة في المنطقة العربية التي خشيت على مصالحها وبسبب ذلك تعرضت الأمة لتلك النكسات المتكررة والخطيرة، فأحدثت شرخا في كيان الوطن والأمة والشخصية .. واتخذ تيار التبعية الجارف الذي أخذ يشيد بفلسفة التبعية متخذاً من ذلك الاصطدام وزعزعة الثقة في الاعتماد على النفس، وعدم جدوى التحدى، والميل إلى المهادنة .. لذلك أرفض مثل تلك الفلسفات التي تربي في الأمة العجز، وتغيب الأمة عن رعيته وتغفيها عن تحمل مسؤولياتها أمام الله والوطن والتاريخ .. وبدلاً من تدعيم فلسفة الاعتماد على الذات لمواجهة قصورها وتقصيرها .. تشيع بين الأمة، زعزعة إيمانها بالتحدى مفضلة عليه الميل إلى المهادنة .

ما تقدمه للأمة، وأفرادها، فهناك نوعان من الإعلام :

نوع من الإعلام، يساعد الأمة على بناء شخصيتها حضارياً وثقافياً - من خلال ما يقدمه لها من نماذج حضارية، وتاريخية، فيربي فيها القيم الفاضلة والعادات الحسنة فيزودها بعظيم القيم الأخلاقية من الوفاء والصدق والإخاء، والأمانة في المعاملات، والانضباط في العمل، وتقديس الوقت واحترامه، ويعينها على التفتح الذهني الذي يعي المتغيرات الحضارية والثقافية وينمي فيها حاسة التذوق الجمالي .

ونوع من الإعلام: يعمل على صنع جيل، بما يقدمه من نماذج سيئة يشوبها التبعية، والانتهازية فيصنع جيلاً متكاسلاً، لا يبالي بالحياة ولا بالقيم، مهزوزاً متوتراً غير واثق من نفسه، يفضل أن يكون تابعاً لغيره، عالة على مجتمعه، اقتصادياً، وسياسياً، غير واع لظروفه الحضارية ولا بمتغيراتها، لا يحسن إنتاج أى شئ، يتقلب مع الهوى لا يثبت على رأى، يجري وراء كل ناعق .

من هنا: أ طرح قضية خطاب الإعلام العربي الإسلامي، إذا أردنا تحضراً وحضوراً للإنسان العربي على الساحة العربية الدولية، وأردنا الخروج مما وقعنا فيه، تحت وطأة ظروف استثنائية فرضت علينا لونا من ثقافة، ونمطا من سلوك، تخدم أهدافاً غير أهداف الأمة وتصنع مجتمعا تملوه الذلة، والاستكانة، يسلم قيادة نفسه لغيره حتى تروضه لقابلية الوصاية والتبعية .. ويصبح أداة طيعة تلعب





لذلك أرى أن إعلامنا العربي مطالب باجتياز هذه العقبات وتلك الفلسفات وقبول التحدى التى أفرزتها التحديات والأحداث التاريخية والتغيرات الدولية حتى تأخذ الأمة العربية مكانتها القومية والدولية فى إطار صبغة من صبغ التوحد إذا أردنا أن نحتل مكانتنا الدولية فى إطار النظام العالمى الجديد .. وإلا سوف نغدو أمة مشتتة وموزعة لا نملك من أمر أنفسنا شيئا، نتحكم فىنا وفى مصيرنا ومصير أجيالنا قوى التحكم فى توجهنا وتوجهاتنا، فلا خلاص لنا إلا إذا قمنا بترتيب بيتنا العربى وتفهم همومه وتحديد مهامه وتمسكنا بفلسفة التحدى فيها نكون أو لا نكون .

وأنى أضع أمام الخطاب الإعلامى العربى تلك المهام القومية والإسلامية لفلسفة التحدى الحضارى إذا أردنا أن نعهد لإحياء التضامن العربى على شكل إيجابى فعال :

الأولى:

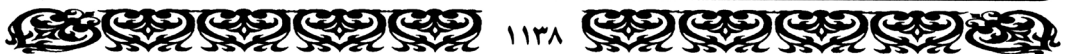
الدعوة إلى إلغاء التمييزات الإقليمية

ظهرت التمييزات الإقليمية، التى هى فى الأصل مناطق نفوذ للاستعمار فى الوقت الذى كانت الساحة الإسلامية تزخر بالدعوات الإصلاحية لوضع تخطيط جديد يجمع شمل العرب بنفس مقتضياته المعاصرة، فدعا بعضهم إلى فكرة الجامعة الإسلامية، وبعضهم إلى فكرة الجامعة العربية .. ولم تذهب تلك الدعوات أدراج الرياح، وإنما تمت تلك الأفكار تحت فكرة التضامن العربى التى تمخضت فى

وإذا تفشى هذا الشعور فى جسد الأمة المناقض للشعور بتحمل المسؤولية تنشأ علتان خطيرتان فى جسد الأمة إحداهما: العجز وضعف النفس .. وثانيهما: عدم الوعى وسوء الإدراك ولاشك أن التهرب من المسؤولية الذاتية والتمادى فى إلقاء التبعة على الآخرين من أسوأ الأمراض الاجتماعية .. فما أكثر ما نجد أبناء المجتمع العاجز يشكون من كل شىء إلا من أنفسهم، ويحملون على الشعوب الخارجية، والنظام والحكومة والطبيعة وكل ما عداهم ناسين أو متناسين قسطهم من المسؤولية ونصيبهم من التبعة وهذه النزعة إذا استفحلت استفحل معها قصر النظر، وخداع النفس والجبن، والتخاذل وعملت على ترسيخ العجز ومضاعفة شروره، فى حين أن الحاجة الماسة هي النهوض منه والتغلب عليه .

فمصدر العلتين: هو: اللامسؤولية ومعالجتها تكون بالجهد الدائب لتنمية روح الانضباط والعدالة فى النظر والفكر والسلوك، والتروض على استقصاء التبعة الذاتية وتحمل أعبائها، وهو ضيق شاق ولكنه الضيق الواجب اتباعه إذا أراد الفرد أن يحقق قابلياته التحررية وأراد المجتمع أن يحرز القوة والقدرة والكرامة حتى لا يكون ملهاة للعبث به، على الساحة الدولية فلا سبيل أمامه سوى أن يتحمل مسؤوليته أمام التاريخ نتيجة غفوته .

وتلك قوانين التاريخ التى لا يوجد فيها عطاء دون جزاء أبدا .



الأربعينيات عن مؤسسة الجامعة العربية وميثاقها، وكان ذلك قبل أن تتخذ الأمم المتحدة طريقها إلى الوجود .

وكنا نتوقع من الجامعة العربية أن تسمو بمفهوم التضامن العربى من الشكل إلى المضمون السياسى، والثقافى والاجتماعى، الذى يبين عن أمة عربية تتحدث عن تاريخ مشترك، وجامعة إسلامية واحدة، وتاريخ ثقافى واحد لكن التميزات الجغرافية التى رسمتها السياسة الاستعمارية إبان تصارعها حول توزيع « تركة الرجل المريض » ثم تصالحت على توزيعها فيما بينها تحت اسم استعمارى كرىه « مناطق نفوذ » من ذلك اليوم أصبح لكل دولة استعمارية منطقة نفوذها فى الشرق الأوسط، قضت هذه التميزات على وظيفة الجامعة العربية، وعلى نمو فكرة التضامن العربى وعاقبتها عن أن تتطور إلى وعى كامل بها، وأتاحت الفرص لكل دولة على تنمية الفروق، بين النزعات القبلية، والخصائص المحلية للظهور، كاللهجات اللغوية، والعادات والتقاليد حتى المذهبية البيعية تمت على حساب وحدة الكيان العربى الإسلامى الفكرى والعقلى، فهل من الممكن أن يتكفل الخطاب الإعلامى العربى بأن يذيب فوارق تلك الإقليمية؟

الثانية:

تطويع المزاج العربى لقابلية المؤثرات الحضارية

كان من الطبيعى أن ينتج عن التميزات الإقليمية عدم وحدة الميول إلى التقليل الحضارى، وعدم قابلية صيغة عامة للفكر،

فهذا يحب لونا من الفكر، وذلك يفضل لونا آخر، وثالث ينظر إلى الإعلام من حيث بيعته المذهبية .. ولا شك أن ذلك التعدد وذاك التباين فى الفكر أدى إلى سريان موجة الاندفاع إلى الدفاع عن الأوضاع الثقافية وفقا لتمايزات الإقليمية وميولها، ومذهبيتها الدينية، ويرافق الدفاع عادة هجوم شرس من جانب آخر، على الحرية الثقافية، وعلى الرؤية الحضارية الإسلامية الواسعة التى لا تلتزم بالمذهبية الدينية البيعية، وقد يوهم تعدد ألوان الفكر على الساحة الثقافية بوجود حرية ثقافية لأنه فكر يحمل طابع التميزات الإقليمية، يضل ولا يهدى، يشئت ولا يجمع، واشتغل بقضايا التجزئة الإقليمية ومحسناتها المحلية، ولم يستطع أن يؤهل ذاته لحمل رسالة الأهداف القومية والإسلامية التى نكن لها أعظم التقدير وأجل الامانى .. و التى إذا ما ظهرت على الساحة لا تلقى إلا صموتا يحمل معنى السلبية الأليمة والانسحاب فى هدوء، وحسبنا أن نغطيها بأغطية التكافل وكأنها دعوة تائهة فى أرض الغربة، لتظل الساحة الفكرية غاصة بالأنماط الثقافية الإقليمية مع أنماط النظم المحلية، وتظل الساحة تزخر بلغو فكر محلى جدا غير قابل للتطور، وغير قابل للتفاهم معه أو حتى تفهمه، وكأنه عملة أهل الكهف، غير قابل للتعامل .. تسوده نزوات انفعالية ملء بالفحش والتنازع .. صيغته العامة الصراع مع كل فكر له أهداف قومية عليا، إقليمى يحمل عصبية إقليمية.

فمن الضلال الثقافي أن ترى أمر الإسلام بيننا بات محل نقاش في تأصيل الوحدة العربية. ومن العجب أن تلقى الثقافات الوافدة استقبالا عظيما وتوقيرا لدى دعائها الذين يدعون إليها ولا يرضون لأنفسهم وصفا إلا وصف أنفسهم برواد التنوير، وهم في حقيقة الأمر ليسوا إلا مقلدين، فاتخذوا معييات التبعية مزية ثقافية.. ومن ميزتنا الحضارية، معييات ثقافية، يجوز حولها النقاش والجدل، فلا إسلام من غير عروبة، ولا عروبة من غير إسلام كيف تحدث جدلا حول مزية العربى الثقافية والحضارية؟ فأين كان العربى قبل الإسلام؟ وأين العرب الآن، بعد ما غابوا أو غيبيهم الاستعمار عن الإسلام.

لا شك أن الفصل بينهما لعبة استعمارية بغبيضة، تريد أن تضرب الوحدة الروحية فى صميمها، فيبوء قوم باسم الإسلام، ويبوء آخرون باسم العروبة. وتقسمنا الطائفية من جديد. ولكن بشكل مر وأليم، وهذا بلا شك تأمر على الإسلام قبل أن يكون على العروبة وعدم وعى بهويتنا وتاريخنا، فليس من المعقول أن نضع الإسلام أمام خيار العروبة، وليس من المعقول أن نضع العروبة أمام خيار الإسلام.

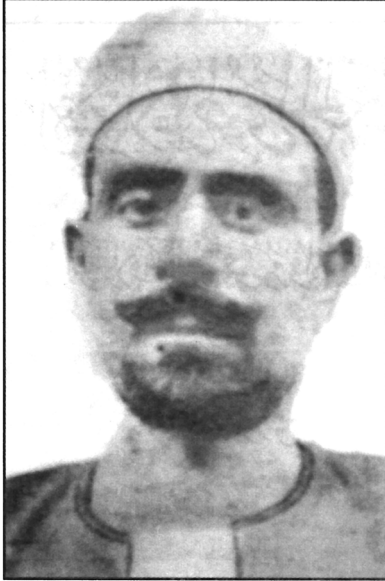
إننا فى حيرة شديدة من تفجير قضية العروبة والإسلام وانقسام المفكرين حولها.. إنها غربة عانى منها المجتمع وعانت منها الوحدة الثقافية حين عصفت بها تيارات الأعاصير.. فهل من الممكن أن يتكفل الخطاب الإعلامى العربى برفع تلك الغشاوة عن أعين المثقفين ليعيد إلى الأذهان عوامل انصهار الوحدة العربية ويقيم شأن التضامن الإسلامى؟

.. تلك هى مهمات الفكر العربى، تقع بين قيم إقليمية متناقضة فإذا ما أرادت الأمة العربية أن تنهض نهضة حقيقية وترفع من شأنها بين الأمم، ويكون لها خطرهما، فلا سبيل إلا بصحوة الخطاب الإعلامى العربى لينبهاها إلى سبيل التوحد الحقيقى بأى شكل من أشكال التوحد المعروف فى النظم السياسية، ولتكن صيغة التوحد كما تكون حتى تعمل على تدارك الأزمات كما حدث فى أزمة الخليج، وبقي الأمة من النزعات الفردية، ونزعات التسلسل، ونزعات التآمر الغادر.. ولا يتم ذلك إلا بالمصالحة بينها وبين صيغ العصر الحضارية، والمفهوم الإسلامى للأمة الإسلامية، فهل من الممكن أن يتكفل الخطاب العربى الإعلامى تلك الرسالة فى تنمية وحدة الميول لتقبل التوجهات الحضارية؟.

الثالثة:

الإسلام والعروبة وجهان لحضارة واحدة

يشيع على الساحة الفكرية نوع من الضلال الثقافى الذى تشيع أنماطه فى عصرنا بين طائفة من المثقفين، كثيرا ما يفتعلون نقاشا غير مجد سوى قضايا أساسية صاغت تاريخنا وحضارتنا، وليس ذلك فحسب، بل هى التى صنعت هوية الإنسان العربى وصاغت سلوكه وقيمه وما تزال، ومن لغوهم ما يثيرونه من جدل مفتعل، حول: «قضية الخيار بين الإسلام والعروبة».. وكنا نرى فى ذلك الجدل لغوا وتزييفا لاطائل من ورائه سوى العبث فى شئون الثقافة وشئون الفكر والتاريخ.. فمتى كان الإسلام ضد العروبة؟ ومتى كانت العروبة ضد الإسلام؟ ومتى كان التوحد الإسلامى يعمل ضد العروبة؟ ومتى كانت الوحدة العربية تعمل ضد الإسلام؟



ين



علي عبد الرزاق

و

الخضر حسين

قضية وكتابان



للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
کتاب الایمان فی الأصول والحکم

تأليف

١٢٠

محمد الخضر حسين

أحد مدرسي جامع الزيتونة وقضاة المحاكم الشرعية
بتونس سابقاً

القاهرة

الاسلام هو الحق

بحث فی

الحج افترى للحج كونه في الايام

تأليف

علي عبد الرزاق

من خريجي الأزهر وقضاة المحاكم الشرعية

« الطعة الثالثة »

سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م

« حقوق الطبع محفوظة »

مطبعة مصر نشر كرامات مصر

في رد الشيخ محمد الخضر حسين - بكتابه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) - على الشيخ على عبدالرازق - عندما أصدر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) سنة ١٩٢٥م - ألقى الشيخ الخضر الأضواء على دور التغريب، والإعجاب المفرط بالحضارة الغربية، في ذلك الانحراف الفكري، الذي جعل الشيخ على عبدالرازق يصور الإسلام: مسيحية يدع ما تقصير لقيصر وما لله لله... ويجعل الخلافة الإسلامية: دولة دينية - بالمعنى الكهنوتي الغربي - مثلت سلطان الاستبداد الديني بالشعوب التي حكمتها..

يبصر الشيخ الخضر هذا العامل وهذا السبب من عوامل وأسباب هذا الانحراف الفكري.. فينبه عليه.. ويتصدى لتفنيده بوعي وأدب واقتدار!..



● وهو فى دمشق، يناضل الاستبداد، ويدخل السجن.. ثم يضطره الاستعمار الفرنسى - الذى هجره من تونس - إلى الهجرة من دمشق إلى القاهرة.

● وفى القاهرة -وبصد كتاب (الإسلام وأصول الحكم) - أبصر الرجل كم هى جلية تلك الخدمة التى يقدمها للاستعمار كل من يدعو إلى تجريد الإسلام من طابعه ودوره السياسى، وتجريد الدولة، فى وطن المسلمين، من صبغتها الإسلامية، وتقديم الإسلام «دينا لا دولة، ورسالة روحية لا شرع فيها ولا سياسة.. ذلك أن المسلمين، فى ظل الاستعمار، إذا اهتموا «بالملة»، «وتركوا ما لقيصر لقيصر»، كان المستفيد الأول من ذلك هو الأجنبى، لأن «قيصر» هنا هو الاستعمار!.. «فعلمنة الإسلام» هى -فى حقيقتها- وبصرف النظر عن النوايا- تشريع يمنع الحرج والإثم عن ضمير المسلم - إن هو خضع لسلطان أجنبى أو سلطة غير إسلامية.. ومن ثم فإن اشتراط «أسلمة الدولة» و«أسلمة القانون» هو -فى الحقيقة- دعوة للمسلمين كى يثوروا فى سبيل حريتهم وتسويد شريعة الإسلام فى الوطن الذين يعيشون فيه!..

أبصر الشيخ الخضر هذه الحقيقة الجوهرية، ونبه إليها وهو يرد دعوى الشيخ على عبدالرازق: «علمانية الإسلام»!

فهو عندما ينبه على تهافت أدلة الشيخ على عبدالرازق وحججه، يشبهها -ساخرا- بوعود الدول الاستعمارية وعهودها؟!.. فىقول عنه: «إنه تشبث بأوهى من عهد دولة استعمارية؟!»^(١)

ولم يكن خلاف الشيخ الخضر مع هذا «النهج التغريبى» مجرد استمسك بفضيلة الاستقلال الفكرى، وفرط أنفة من التبعية لقوم غير مسلمين، كما قد يفهم البعض خطأ وقصر نظر..! وإنما كان وراء هذا الموقف.. فضلا عن أن فضيلة الاستقلال الفكرى هى السبيل الوحيد لرؤية الخصائص التى تميز بين الحضارات، ومن ثم فإنها السبيل الوحيد لتحصيل الحقيقة وإدراك الصواب - كان وراء هذا الموقف المعادى لهذا «النهج التغريبى» «موقفا وطنيا» يدرك وظيفة هذا النهج التغريبى فى تكريس التبعية السياسية والعسكرية والاقتصادية المفروضة على وطن العروبة وعالم الإسلام من قبل أبناء الحضارة الغربية الغزاة المستعمرين.. فالتبعية الفكرية، هنا، تلعب دورا فاعلا وفعالا فى تأييد وتأييد الاستعمار الذى يحول بين المسلمين وبين الحرية والنهضة والتقدم إلى الأمام!..

لقد كان الخضر: «شيخا - مجددا - مناضلا».. فهو عالم ملتزم بأصول الشريعة ومقاصدها.. وهو مجدد، جعله تجديده مهتما بواقع المسلمين المعاصر، معنيا بالحلول الكافلة للأمة تجاوز سلبات الواقع الذى نعيش فيه -وهو مناضل يدرك دور الشريعة والتجديد فى التصدى لأعداء الأمة، الذين يفرضون عليها القهر والعبودية والتخلف، ويحولون بينها وبين الحرية والقوة والانطلاق..

● فهو، فى تونس، قد ناهض الاستعمار، الذى اضطره إلى الهجرة من وطنه الأول إلى الشام..

● وهو، فى الأستانة، يشارك فى العمل السياسى، ويضطلع بمهام فى السفارات الخارجية، تجعله على دراية بما يصنع الغرب وما يبست لعالم الإسلام.

(١) الباب الثانى من الكتاب الثانى [ص ١٥٢ من طبعة الأصل].



أن «الإسلام يقصد من تأسيس الدولة الإسلامية أمرين:

أحدهما: إجراء أحكامه العادلة ونظمه الكافلة بسعادة الحياة، إذ لا يقوم عليها بحق إلا من آمن بحكمتها وأشرب قلبه الغيرة على تنفيذها.

ثانيهما: الاحتفاظ بكرامة أوليائه وإعزاز جانبهم حتى لا يعيشوا تحت سلطة مخالف يدوس حقوقهم، ويرفع أبناء قومه أو ملته عليهم درجات» (١) (٤).

والذين يجعلون الإسلام «دينا» لا «شرعا» سيهدرون، ضمن ما يهدرون، من «مقاصد الشريعة» مقصد «الجهاد»، الذى تجاوز كونه سبيلا «لحفظ الدين»، وأصبح، فى مواجهة الاستعمار الأجنبى السبيل الأول لحفظ مقاصد الشريعة كلها... ذلك «أن المقاصد التى تقصدها الشريعة السماوية ترجع إلى حفظ النفس، والدين، والعقل، والعرض، والنسب، والمال.

فالقصاص، مثلا، مشروع لحفظ النفس، وحد الزنا لصيانة النسب، وحد القذف لصيانة العرض، وعقوبة شارب الخمر لصيانة العقل، والجهاد لحفظ الدين. بل الاستعمار الأجنبى دل على أن الجهاد مشروع لحفظ الدين والنفس والعرض والمال»، ويرشد إلى هذا قوله تعالى:

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ

لَا تَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً﴾ (٥).

فللشريعة الإسلامية، فى الواقع الإسلامى، دور تحريرى... وهى ليست مجرد نصوص!

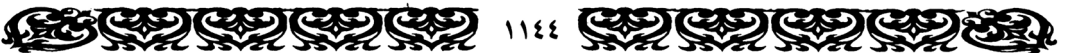
وعندما يستدل على عبدالرازق على أن محمدا ﷺ، كان رسولا مبلغا، ولم يكن حاكما منفذا، بأن «الرسالة» غير «الملك»، وبكلمة المسيح - عليه السلام - : «اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، وبأن يوسف - عليه السلام - كان عاملا فى دولة لا تدين بدينه، ينبه الشيخ الخضر على مغايرة النهج الإسلامى لما سبقه من نهج فى هذا الأمر... ويشير إلى الخطر البادى من استغلال هذه الدعوى فى تكريس انفراد «القيصر» المعاصر، الاستعمار، بالسلطة والسلطان فى عالم الإسلام... فيقول: «لم يرض محمد بن عبدالله ﷺ أن يقيم تحت سلطان غير سلطان الله، ولم يرض لمعتنقى دينه الحنيف أن يستكينوا لسلطة غير إسلامية، وفرض الهجرة والجهاد على ما نقول شهيد. وما ينبغى للمؤلف - [على عبدالرازق] - أن يحشر فى غضون كتابه مثل هذه الكلمة - (اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) - التى تقضى حاجة فى نفس المخالف المتغلب، وتبقى فى النفوس أثر الاستكانة إلى أى يد تقبض على زمامها» (٢) (١) «إن محمداً بن عبدالله، صلوات الله عليه، لم يعترف بسلطة دار الندوة بمكة، وحاربها حتى خضد شوكتها واستأصل جرثومة فسادها، ولم يعترف بسلطة قيصر، وأخذ يعد ما استطاع من قوة ليدفع شره ويقوض دعائم ملكه...» (٣).

كذلك، فإن الادعاء بأن الإسلام دين ليست به شريعة لسياسة الدولة والمجتمع، هو - وعينا أم لم نع - دعوة تتمح المشروعية لسلطان الأجنبى المتغلب وفلسفة قانونه الغربية عن روح الأمة وهويتها الحضارية، ذلك

(٢) الباب الثانى من الكتاب الثانى [ص ١٣٦، ١٣٧ من طبعة الأصل].

(٣) الباب الثانى من الكتاب الثانى [ص ١٤٦ من طبعة الأصل].

(٤) الباب الأول من الكتاب الثالث [ص ٢٠٠ من طبعة الأصل]، والآية من سورة التوبة (٨).



ولقد كان طبيعياً للرجل الذى أدرك دلالة سيادة الشريعة وأحكامها على استقلال الأمة ودولتها، أن يبصر دلالة سيادة «الشريعة» الاستعمارية فى بلادنا على خضوعنا لهذا الاستعمار.. فأحكام الشريعة الإسلامية هى قانون الأمة الطبيعى، وفى سيادتها، بدلا من الفلسفة القانونية للحضارة الغازية، مظهر من مظاهر الاستقلال.. «وإذا كانت القوانين الوضعية لا يخضع لها المسلمون بقلوبهم، ولا يتلقون القضاء القائم عليها بتسليم، كان تقريرها للفصل بينهم غير مطابق لقاعدة الحرية، إذ المعروف أن الأمة الحرة هى التى تساس بقوانين ونظم تألفها وتكون على وفق إرادتها أو إرادة جمهورها. فالشعوب الإسلامية لا تبلغ حريتها إلا أن تساس بقوانين ونظم يراعى فيها أصول شريعتها، وكل قوة تضرب عليها قوانين تخالف مقاصد دينها فهى حكومة مستبدة غير عادلة. فالذين ينقلون قوانين وضعها سكان رومة أو لندرة أو باريز أو برلين، ويحاولون إجرائها فى بلاد شرقية، كتونس، ومصر أو الشام، إنما هم قوم لا يدرون أن بين أيديهم قواعد شريعة تنزل من أفق لا تدب فيه عناكب الخيال أو الضلال، وأن فى هذه القواعد ما يحيط بمصالح الأمة حفظا، ويسير بها فى سبيل المدنية الراقية عنقا^(٦) فسيحا. ولو قيض الله لشعوب هذه الأمة الإسلامية رؤساء يحافظون على قاعدة حرية الأمم لألفوا لجائنا ممن وقفوا على روح التشريع الإسلامى، وكانوا على بصيرة من أحوال الاجتماع ومقتضيات العصر، وناطوا بعهدتهم تدوين قانون يقتبس من أصول الشريعة ويراعى فيه قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد. وبغير هذا العمل لا يملك المسلمون أساس حريتهم، ولا

يسرون فى سبيل سعادتهم آمين»^(٧)!

فسيادة أحكام الشريعة فى الأمة، وهيمتها وهيمنة فلسفتها بالمؤسسة القضائية الوطنية قسمة من قسمة «الاستقلال الحضارى»، بدونها ستظل سيادة الأمة منقوصة، وحريتها ناقصة، حتى ولو حققت «الاستقلال السياسى»، فأصبح لها «علم» و«نشيد»!؟..

ومن هذه «الزاوية النضالية»، وبهذا «المنطق التحريرى» أبصر الشيخ الخضر مهمة «الخلافة» الإسلامية، ودورها التوحيدي للأمة، ومردود هذا الدور وفعاليتها فى مواجهة التحديات التاريخية التى فرضها الاستعمار الغربى على عالم الإسلام.. «فالخلافة لا تزيد على ما يسمى دولة، إلا أنها رابطة سياسية تجعل شعوبا مختلفى العناصر والقومية يولون وجوههم شطر رايته بعاطفة من أنفسهم واختيار. ومن هذه الوجهة ينظر إليها بغاة الاستعمار بعين عابسة، ويحاول الغر الذى ينخدع بهرج آرائهم، أن يطوى رايته ويمحو أثرها»^(٨)!؟..

لقد كانت الحصن الذى جمع المسلمين، على امتداد تاريخهم الطويل، فى مواجهة الغزاة.. وحتى فى لحظات ضعفها ومرضاها، كانت «الرمز» الذى ظل الاستعمار على عدائه له وسعيه لمحوه، مخافة أن يتداركها التجديد والإصلاح فتعود حصنا للمسلمين، يجمع وحدتهم، ويحول بين الاستعمار وبين التهام أوطانهم واستنزاف ثرواتهم واحتلال عقولهم بفكرية التغريب!..

هكذا أدرك الشيخ الخضر خطر دعوى «علمانية الإسلام» على قضية القضايا بالنسبة للأمة.. قضية: رفضها لسلطان الأجنبى، ونهوضها لانتزاع حريتها من الاستعمار.

(٧) الباب الثالث من الكتاب الثالث [ص ٢٤٣، ٢٤٤ من طبعة الأصل].

(٦) العنق- بفتح (العين والنون): هو السير السريع.

(٨) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٧ من طبعة الأصل].



ما يقال عن الإسلام في كتابات المستشرقين

محمد ﷺ

لأستاذ الدكتور / عبد العظيم الطعنى



كنا قد أشرنا في نهاية المقال السابق إلى أننا اكتفين بما تقدم في المقالين
الأخيرين، في الرد على مقولة المستشرقين: «إن محمداً صادق، لكن رسالته
كاذبة»!

لكننا تلقينا رغبات من بعض القراء والمعارف، باستمرار الرد على هذه
المقولة؛ لأنها أغرب فرية يفترونها على رسالة محمد ﷺ.
ونزولاً على هذه الرغبات نواصل الحديث في هذا المقال، وربما الذى
يليه، على دحض هذه الفرية الغريبة بكل اعتبار.



إلى طريق أم لا تمضوا، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، وفي ما أنتم ذاهبون كرروا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات.. إن الحق أقول لكم لا تكملوا مدن إسرائيل، حتى يأتي ابن الإنسان».. إنجيل: ١٠: ٥-٧-٢٣ (١).

«الحق أقول لكم: إن من القيام ها هنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته».. إنجيل متى: ١٦-٨، وإنجيل مرقس: ٩-١، وإنجيل لوقا: ٩-٢٧.

بحسب ما ورد فى هذه الفقرة فى الأناجيل الثلاثة المذكورة فإن المسيح عيسى - عليه السلام - كان يجزم أن نهاية العالم ستأتى، وبعض من كان يعيش حين قال المسيح هذه العبارة سيدرك فى حياته نهاية العالم، وهذا ما يفيد قوله:

«إن من القيام ها هنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته»!؟.

وليس ما تقدم هو كل ما فى هذه الأناجيل الثلاثة عن اقتراب فناء العالم فى حياة المسيح فى أقل من مائة سنة، بل إن هذه الأناجيل روت فقرات أخرى أكثر وضوحاً فى هذا المعنى.

فقد جاء فى الأناجيل الثلاثة الفقرة الآتية:

«فيما هو جالس على جبل الزيتون، تقدم إليه التلاميذ - يعنى الحواريين - على انفراد قائلين: قل لنا: متى يكون هذا، وما علامة مجيئك وانقضاء الدهر، فأجاب يسوع وقال للوقت بعد ضيق تلك الأيام، تظلم الشمس، والقمر لا يعطى ضوءه،

ومدخلنا فى الحديث فى الرد عليها الآن، هو المقارنة بين حديث القرآن (رسالة محمد) وحديث الكتاب المقدس بعهديه، عن مواضيع اشترك كل من الكتب الثلاثة فى الحديث عنها.

التوراة - الأناجيل - القرآن، ولن نحتكم إلا إلى العقل والواقع، فى إثبات صدق رسالة محمد ﷺ سواء فى ذلك مواضع الاتفاق بين الكتب الثلاثة، ومواضع الاختلاف بين القرآن (رسالة محمد) وبين العهدين القديم والجديد. وسوف نرى أن الصدق - دائماً - هو ما ورد فى القرآن، إذا كان ما فى عهدى الكتاب المقدس يخالف ما ورد فى القرآن وذلك بدلالة العقل الحاسمة، والواقع المشاهد والمحسوس.

متى يكون البعث؟..

لتكن هذه «الفكرة» هى موضوع المقارنة الآن بين ما ورد عنها فى «الأناجيل» وما ورد فى «القرآن» أما التوراة وملحقاتها، فلا يكاد يرد فيها شئ عن الحياة الآخرة عموماً، فضلاً عن الحديث عن البعث والنشور، فلننح التوراة وملحقاتها جانباً من هذا المجال.

أما الأناجيل فهى محط المقارنة لنا بين ما ورد فيها وما ورد فى القرآن.



والذى ورد فى الأناجيل عن: متى يكون البعث؟ فهو الآتى:

«هؤلاء الإثنا عشر، أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً:

(١) مجىء ابن الإنسان فى العهد الجديد (الأناجيل) كناية عن نهاية العالم. وكذلك مجىء «ملكوت الله».



آخر الأناجيل تدويناً، ولما رأى أن تنبؤات متى ومرقس ولوقا لم تتحقق، عزف عن محاكاتهم فلم يذكر هذه التنبؤات في إنجيله، ولو كان قد أثبتها لكان خطؤه أفحش من أخطائهم، لأنهم أسبق زمناً من تَوَقُّع حدوث نهاية العالم، ويوحنا كتب إنجيله بعد زمن تَوَقُّع حدوثها. فهو مكره لا بطل، والقديس بولس كان يعتقد هذا الاعتقاد قبل متى ومرقس ولوقا، واضعياً الأناجيل الثلاثة المسماة بأسمائهم، كان يعتقد أن نهاية العالم ستحدث وهو حي. وفي ذلك يقول:

«إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب (يعنى: المسيح) لا نسبق الراقدين (يعنى الأموات)؛ لأن الرب نفسه (يعنى: المسيح) سوف ينزل من السماء، والأموات فى المسيح سيقومون أولاً، ثم نحن الأحياء الباقون سنخطف جميعاً معهم لملاقاة الرب فى الهواء»^(٤).

كل هذه النصوص (المقدسة) قد أجمعت على أن نهاية العالم كانت ستكون فى القرن الأول الميلادى ومضى - حتى الآن - عشرون قرناً ميلادياً، والعالم موجود، بل هو يزداد وجوداً قرناً بعد قرن، ولم يحط، ولن يحيط بنهاية العالم أحد.

تعقيبات على تلك الروايات

إن الغربيين أنفسهم، قبل أى مخالف لهم فى العقيدة، قد نقدوا روايات الكتاب المقدس (الأناجيل) التى تقدم ذكرها. وهذا أمر طبيعى،

والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماء تتزعزع، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير.

الحق أقول لكم: لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله»^(٢).

ومعنى هذا: أن المسيح - عليه السلام - حسب هذه الروايات حدد نهاية العالم بأقل من أعمار الجيل الذى كان يعيش وقت أن قال هذا الكلام، وبمقتضى هذه التنبؤات الإنجيلية كان ينبغى أن يفنى العالم، وتزول الحياة الدنيا، وتحل محلها الحياة الآخرة منذ تسعمائة وألف سنة مضت على الأكثر؟؟؟...

ولكن الحياة الدنيا ماتزال قائمة حتى الآن، وإلى أجل لا يعلمه إلا الله علام الغيوب.

ومن الملاحظ لمن له اطلاع على الأناجيل أن إنجيل يوحنا قد خلا تماماً من هذه التنبؤات التى وردت فى الأناجيل الثلاثة: (متى - مرقس - لوقا) فهل لذلك من سر يا ترى؟؟...

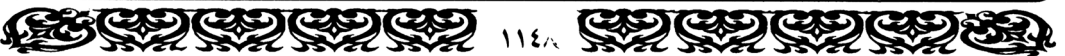
الجواب فى العبارة الآتية:

«أما إنجيل يوحنا، فقد كان هو الوحيد الذى تجنب هذا المأزق الخطير، لأن هذا الإنجيل كُتِبَ فى مطلع القرن الثانى (الميلادى) بعد أن تبين للناس عدم عودة المسيح سريعاً إلى الأرض»^(٣).
لقد استفاد يوحنا من أخطاء سابقه، وإنجيله

(٢) متى: (٣٠/٢٩ - ٣٠/٢٤) مرقس: (٣٠/٢٤ - ٣٠/٢٤) لوقا: (٢٢/١٥ - ٧/٢١).

(٣) الإسلام والأديان الأخرى (١٣٥) لواء مهندس/ أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

(٤) رسالة تسالونيكي لبولس (١٥/٤ - ١٧).





القديس بولس هذا: «عندما كتب بولس هذا، فمن الواضح أنه كان يتوقع المجيء الثاني للمسيح أثناء حياته (يعنى حياة بولس) وحياة أولئك الذين كان يكتب لهم، وهو يكتب فى الرسالة الأولى لأهل تسالونيكى (٢٣/٥) أنه يصلى لله لكى تحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء الرب يسوع (المسيح).

إن الشيء ذا المغزى الخطير هنا هو ذكر الجسد، فمن الواضح إذاً توقع بقائهم فى الجسد عند عودة المسيح، أى أنه توقع عودة المسيح أثناء حياتهم وحياته»^(١).

وباركلى وإن لم يكن حاسماً فى التعليق على كلام القديس بولس، فإن عبارته:

«إن الشيء ذا المغزى الخطير هنا، هو ذكر الجسد».. وباركلى كتب هذا الكلام سنة ١٩٥٨م. فى لندن. ومعنى هذا أنه كان يريد تسجيل ذلك الخطأ الواضح الذى وقع فيه القديس بولس. ولعل كلامه هذا هو الذى أوعز إلى كتبة الأناجيل الثلاثة: (متى ومرقس ولوقا) بذكر التنبؤات التى مر بنا ذكرها من قبل، ولا غرو فإن بولس هذا قد أحدث إضافات كثيرة فى الإيمان المسيحى. حتى عده بعض علماء اللاهوت، صاحب مسيحية جديدة، مغايرة لمسيحية عيسى - عليه السلام.



هذه هى فكرة «نهاية العالم» فى «العهد الجديد» شطر الكتاب المقدس، ويجوز لنا أن

لأن كتاباً يوصف بأنه «مقدس» ينبغى أن يخلو تماماً من الأخبار أو التنبؤات الباطلة. وإليك نموذجين من ذلك النقد، فهذه دائرة المعارف البريطانية تكتب تعقيباً على ما جاء فى أناجيل متى ومرقس ولوقا، من روايات عن السيد المسيح - عليه السلام - بفناء العالم فى القرن الأول الميلادى فتقول:

«إن الاعتقاد فى المجيء الثانى للمسيح، كان دائماً هو المعتقد الشرعى للمسيحيين. وبالرغم من ذلك فإن نهاية العالم لم تحدث...!

وحتى لو حدث الآن، فإنها لن تكون تحقيقاً لما هو مكتوب فى العهد الجديد، لأن ما كان منتظراً هو النهاية الوشيكة، للعالم»^(٥).

هذا النقد - على قصره - ذو مغزى خطير الشأن وتأمل قول الدائرة:

«وحتى لو حدث الآن، فإنها لن تكون تحقيقاً لما هو مكتوب فى العهد الجديد».

وذلك لأن الأناجيل الثلاثة حددت لنهاية العالم عمر جيل واحد، هو الجيل الذى كان فيه المسيح - عليه السلام - ولكن الزمن تجاوز هذا التحديد، الذى نسبته الأناجيل الثلاثة لعيسى - عليه السلام - وبهذا فقدت تنبؤات تلك الأناجيل محتواها. وأصبح وجودها مسطوراً فى أسفار العهد الجديد آفة خطيرة، بالنسبة لـ «قدسية» تلك الأناجيل.

ويقول (وليم باركلى) تعليقاً على كلام

(٥) دائرة المعارف البريطانية (٥٢٣/٢) وانظر: (الإسلام والأديان الأخرى (١٣٧) لواء مهندس/ أحمد عبد الوهاب.

(٦) يُنظر (الإسلام والأديان الأخرى) .. مرجع سبق ذكره.



كانوا يقصدون القرآن!!..

وها نحن قد فرغنا من فكرة نهاية العالم فى الأنجيل (رسالة المسيح كما تصورها أسفار العهد الجديد) وعرفنا حكم العقل فيها: أنها لا يمكن أن تكون صادقة، ونفى الصدق عنها لا يرجع إلى رسالة عيسى الحق، كما أرسله الله بها، ولكن باعتبار الأقوال المنسوبة إليه افتراء عليه.

ونريد هنا أن نذكر ما قاله القرآن الكريم عن نهاية العالم الدنيوى، لنرى هل ورد فيه ما ليس حقاً ولا صدقاً، بمقياس العقل، والواقع، وحقائق الإيمان الصحيح.

نذكر النصوص القرآنية فى هذا الشأن، أو بعضاً منها، ثم نواجه المستشرقين. الحاقدين الذين أعماهم العناد، وسيطر عليهم الحقد، فألبسوا الحق ثوب الباطل، وألبسوا الباطل ثوب الحق، وألغوا عقولهم لينالوا من القرآن. وهيهات هيهات ما يريدون:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ

أَيَّانَ مَرُّسَنَہَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُہَا عِنْدَ رَبِّی لَا یَجْلِبُہَا الْوَقْتُہَا إِلَّا لَہُؤُتَقَلَّتْ
فِی السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِیْکُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ یَسْأَلُونَکَ کَانَکَ حَفِیُّ
عَتَّہَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُہَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَکِنْ أَکْثَرُ النَّاسِ لَا یَعْلَمُونَ﴾ (٧).

فى هذه الآية إلحاح من الناس، فى سؤال محمد ﷺ عن الساعة متى تكون؟.

وفىها توجيه من الله لرسوله أن يكون جوابه على هذا السؤال الذى كرره السائلون، هو نفى أن يكون هو علماً بها. وأن من يعلم بها هو الله وحده.

نسميها: «رسالة المسيح - عليه السلام - كما رسمتها الأنجيل، فى مقابلة رسالة محمد ﷺ التى يصفها المستشرقون بأنها رسالة كاذبة!!..»

والفكرة كما عرضتها الأنجيل الثلاثة: متى ومرقس ولوقا إذا عرضناها على حكم العقل والواقع، حكماً برفضها بلا تردد.

وعيسى - عليه السلام - رسول صادق مصدق، لا يمكن أن يصدر عنه أخبار أو تنبؤات غير صادقة، حاشا لله.

وهذا يسلمنا إلى نتيجة لا مفر منها، وهى أن عيسى - عليه السلام - لم يصدر عنه ما نسبته إليه الأنجيل الثلاثة، لأنه لا يقول إلا حقاً وصدقاً.

وهذه النتيجة ملزمة لكل من كان له عقل، وملزمة لرجال اللاهوت المسيحى، وهى من عويصات المشكلات لديهم، وكان حرياً بالمستشرقين، الذين وصموا رسالة محمد - ﷺ بالكذب، أن يقفوا أمام هذه «المشكلات الخطيرة» التى تتصل بالنصوص المقدسة عندهم.

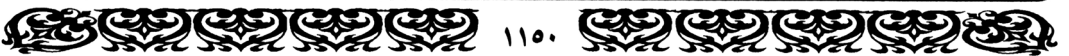
أجل: إنها مشكلة عويصة؛ لأنها إذا ظلت تذكر فى أسفار العهد الجديد، كانت سبة فيه.

وإذا حذفوها كان هذا إقراراً منهم بأن «الكتاب المقدس قد ناله التحريف».

أمران أحلاهما مر، إن كان فيهما «أحلى».

فكرة نهاية العالم فى رسالة محمد ﷺ

رسالة محمد ﷺ هى «القرآن» ولما وصف المستشرقون رسالة محمد بأنها رسالة كاذبة،



هذا المعنى لله على جملة «الاختصاص»
الذى لا يقبل اشتراك أى طرف آخر فيه.
هذا خلاصة القول فى آية الأعراف وبقيت
آيات أخرى كثيرة، معناها معنى آية
الأعراف. منها قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ فَلْإِنَّمَا عَلَيْكَ الْغَمُّ﴾
﴿اللَّهُ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٨).

أجملت هذه الآية ما فصلته آية «الأعراف»
حيث قصرت العلم بوقت ومجىء الساعة على
الله وحده دونما سواء من جن أو إنس، أو ملائكة.
ومن ذلك قوله تعالى:

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۖ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ ۖ
صُدُّوا عَنْكُمْ فَنَبِّئُوهُمْ أَنَّ السَّاعَةَ مَقْصُورٌ ۖ
فَنَسْتَفِضُّونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن
يَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٩).

فى هذا الحوار الحكيم، ألقن القرآن
منكرى البعث حجرا غليظا، ودحض
شبهاتهم فى إنكار البعث ثم ترى هؤلاء
الخصوم قد سألوا صاحب الرسالة سؤالا
تفوح منه رائحة السخرية والامتعاض
يسألون صاحب الرسالة: متى تكون تلك
الإعادة؟

وإذا بالجواب يأتيه من علام الغيوب:
﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونُ قَرِيبًا﴾.

وقد ورد هذا المعنى مؤكداً مكرراً:

﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُكُمْ فَنَبِّئُوهُمْ أَنَّ السَّاعَةَ مَقْصُورٌ ۖ
فَنَسْتَفِضُّونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن
يَكُونُ قَرِيبًا﴾ (١٠).

إسناد علم الساعة إلى الله وحده جاء فى هذه
الآية مؤكداً بأسلوبين من أساليب التوكيد فى
البيان العربى.

أولهما: التكرار أربع مرات.

والثانى: أسلوب القصر فى ثلاثة مواطن:

﴿إِنَّمَا عَلَّمْتُكُمْ فَنَبِّئُوهُمْ أَنَّ السَّاعَةَ مَقْصُورٌ ۖ
عند ربي مقصور عليه.
﴿لَا يَجْلِبُهَا لُوقُهَا إِلَّا أَهْوَىٰ﴾ فتجلية وقت الساعة
مقصور و «هو» مقصور عليه.

﴿إِنَّمَا عَلَّمْتُكُمْ فَنَبِّئُوهُمْ أَنَّ السَّاعَةَ مَقْصُورٌ ۖ
مقصور، و ﴿اللَّهُ﴾ مقصور عليه.

وجميع أساليب القصر عادة من جملتين:
الجملة الأولى تفيد نفى المعنى عن شىء.
والجملة الثانية تفيد إثبات ذلك المعنى لشىء
آخر.

وفى جمل القصر الثلاث تحقق هذا البيان،
فكل جملة منها تنفى عن «غير الله» أن
يكون له علم بالساعة متى تكون، ثم تثبت



﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ مسند (خبر) وحقه التأخير فقدم وكان الأصل أن يقال: منتهاها إلى ربك، لكن حدث ما حدث في نظام بناء الجملة، ليكون المعنى: إلى ربك لا إلى غيره منتهاها.

ولو قيل: منتهاها إلى ربك، ما أفاد هذا المعنى القصرى، الذى تقدم بيانه.

هذا هو موقف رسالة محمد ﷺ من وقت قيام الساعة متى يكون لم تحدد هذه الرسالة المعصومة من الخطأ زمنا معيناً لقيام الساعة، ونهاية العالم.

ولم يقتصر هذا على ما ورد فى القرآن وحده، بل إن السنة النبوية الشريفة «الحديث النبوى» نهجت منهج القرآن فى متى تقوم الساعة.

ونكتفى - منها - بالحديث الذى رواه عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - الذى مثل فيه جبريل أمام النبى ﷺ مثول المتعلم من العالم، وأخذ يسأله والرسول يجيب، ليعلم الناس دينهم كما ورد فى الحديث فى هذا الحديث الجامع سأل جبريل - عليه السلام - محمداً ﷺ فيما سأل :-

«متى الساعة؟ فقال ﷺ: ما المسئول عنها

مُبْهَمَةٌ مخيفة، مبهمة لأنها لم تحدد مثلما تورط كتبة الاناجيل لم تحدد الزمن الذى تكون فيه.

ومخيفة، لأنها لوححت باحتمال قربه، لكن هذا القرب - نفسه - محوط بسحابة كثيفة من الضباب القاتم، لا لشيء، إلا لأن علم قيام الساعة لا يحيط به إلا الله - عز وجل - ولا ينبغي لأحد غير الله أن يكون لديه إدراك له.

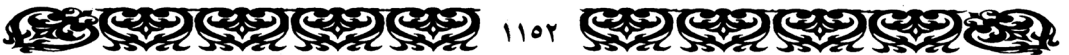
وقوله عز وجل:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِمَا أَنْتُمْ مَنِحَتُهُمْ﴾ (١٠).

وفى هذه الآيات ينفى القرآن أن يكون لحمد ﷺ أدنى معرفة بوقت قيام الساعة. ثم يعود البيان القرآنى إلى حسم الموضوع فيقول:

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا ۚ﴾

وهو تركيب قصر طريقه التقديم والتأخير: تقديم ما حقه التأخير، وهو «إلى ربك» ثم تأخير ما حقه التقديم، وهو «منتهاها» لأنه مسند إليه «مبتدأ» فحقه التقديم، ولكنه آخر.





بأعلم من السائل . المسئول هو محمد ﷺ
والسائل، هو جبريل - عليه السلام - .
والأصل فى السائل أن يسأل عن أمر هو به
جاهل، أما المسئول فهو من يعتقد السائل أنه
عالم بما السائل به جاهل .

ولما كان جواب المسئول، وهو محمد ﷺ
« ما المسئول عنها بأعلم من السائل » أفاد هذا
الرد البليغ أن كلا من المسئول « النبى »
والسائل « جبريل » يستويان فى عدم العلم
بالمسئول عنه، وهو: وقت قيام الساعة،
ونهاية الحياة الدنيا وهكذا تتفق مصادر
رسالة محمد ﷺ، وهما الكتاب والسنة، فى
تبهيم الوقت الذى تقوم فيه الساعة، وتنتهى
الحياة الدنيا:

فلا القرآن حدد لها زمنا معينا .

ولا الحديث النبوى حدد لها زمنا معينا
وبذلك سمت رسالة محمد فوق كل طعن أو
نقد . ولم توقع أتباعها فى حرج حاد
كالسيف يطيح بالأعناق ولم تترك ثغرة لمثل
دائرة المعارف البريطانية فى تسجيل أخطاء،
أو رصد أكاذيب ولا لمثل وليم باركلى ناقد

رسائل القديس بولس ولا أحوجت أتباعها
لوضع رؤوسهم فى الرمال حرجا وخزيا،
وسيزل هذا شأنها حتى يرث الله الأرض ومن
عليها .

والآن، وقد فرغنا من هذه المقارنة الحاسمة
بين ما ورد فى رسالة عيسى - عليه السلام -
كما صورتها الأناجيل، ووضع أسسها
القديس بولس وبين رسالة محمد ﷺ، كما
وردت فى كتاب الله العزيز، وفى حديث
رسوله الكريم .

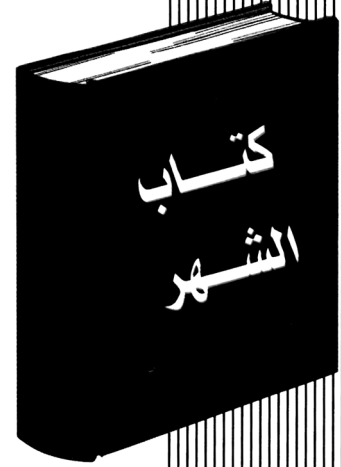
جرت هذه المقارنة حول وضع قيام الساعة
ونهاية العالم فى الرسالتين .

وبعد هذه المقارنة نوجه إلى السادة
المستشرقين الذين وصموا رسالة محمد ﷺ
بالكذب نتوجه اليهم - بكل هدوء - بهذا
السؤال، دون أن ننتظر منهم جوابا:
أين تجدون الكذب فى الإخبار عن نهاية
العالم؟

نترككم تسمعون أنفسكم « الجواب »، أما
نحن فلسنا فى حاجة أن نسمع منكم شيئا .



سَيِّدَة
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
لِلابْنِ إِسْحَاقَ
لِلدَّكْتُورِ
مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ



عرض وتقديم
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض



يؤكد الدكتور مراد بما قدمه في رسالته العلمية، وتقوم على نقد كتاب ابن إسحاق في سيرة الرسول ﷺ أنه يعني بالنقد تلمس الأخطاء والعيوب، فإن لم يجد ما يملأ به صفحات الرسالة اخترع من الأكاذيب ما يتمكن به من جعله عيوباً وأخطاء، فهو إنما يقصد إلى هدم الكتاب من مبتدئه إلى منتهاه، ليحقق الغاية المطلوبة منه، وهي نفس السيرة النبوية، كما أوضح ذلك في كتابه المرسل إلى الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض، والذي سبق التنويه به فيما تقدم.

ولكى يحقق الدكتور ذلك رفض، من غير أى سند، أن تبدأ الدعوة إلى الإسلام سرا ورفض أن يعانى محمد من حرب قريش له، ورفض أن ينهض أبو طالب ليحمى ابن أخيه، ورفض أن يقبل محمد ﷺ حماية عمه... إلى آخر تلك القائمة المستفيضة من المرفوضات، التى لا سند له فى واحد منها سوى أن عقله لا يقبل ذلك، وأن خياله لا يستطيع أن يراه، فكل ذلك إنما اخترعه ابن إسحاق ليدعم حكم العباسيين بتعظيم بنى هاشم، الذى يعنى بالضرورة، كما يرى، الخط من شأن الأمويين. ومن هنا بذل جهدا كبيرا ليخلق الفروض الخيالية التى تدعم تلك الرحلة الراضية مع كتاب ابن إسحاق.

الأخرى بعدم الاعتداء عليه، بل وبحمايته من أى عدوان، وإلا كان التقاطع الذى قد يؤدى إلى نشوب الحرب.

ولعرف أن هذه القيمة القبلية هى التى أفرزت الوصاة الماثورة: « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » التى جاء الإسلام فعدل من مفهومها فيما بعد.

ولتبين له أن من هذا المنطلق القبلى جاءت عبارة أبى طالب محمد حين صادفه متلبسا بالصلاة هو وعلى فى أحد شعاب مكة: « اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء تكرهه أبداً »، مؤكداً أن مكانه منه ومن عشيرته لم يتغير بسبب ما جاء به.

وأن أباً طالب لم يكن وحده - بين قريش - هو الملتزم بهذا المبدأ الدستورى، فقد تضمنت سيرة ابن إسحاق مواقف عديدة تشبه موقف أبى طالب

الحماية دستور قبلى.. يحترمه الجميع

وكان من أبرز ما رفضه عقل الدكتور أن ينهض أبو طالب بحماية ابن أخيه، على الرغم من بقائه على دين آبائه!

ولو أن الدكتور - وهو فى مجال البحث العلمى - حلق بعقله بعيداً عن جنيف أو باريس، وأطل من عليائه على المجتمع المكى فى زمن البعثة، لعرف أن مبدأ الحماية والإجارة - فى أبعاده المختلفة - كان من أهم القيم القبلية التى تقوم عليها الحياة، فكان دستوراً غير مكتوب، يدين به الجميع دون أى تردد، وأنه يعنى التزام القبيلة بحماية أبنائها، وحماية من يستجير بواحد من أبنائها، أيا كان هذا المحير فى القبيلة، وأيا كان المحار، بحيث ينهض المحير بإعلان ذلك، حتى يلتزم الآخرون من قبيلته ومن القبائل

حتى إنه ليكفى أن يجير الواحد منهم إنساناً، ليصبح هذا الإنسان المحار في مأمن تام، كأنه واحد من أفراد قبيلة الحجير، دون نظر إلى معتقده، أو سلوكه الشخصي. كما كان يكفي أن يطلب الواحد من شخص إجارتته، فلا يملك أن يرفض طلبه، حتى لو كان على خلاف معه، إذ يعد ذلك شيناً له، وانتقاصاً من مكانته، وجبناً عن حماية من يستجير به.

١- فهذا عثمان بن مظعون، المسلم العائد من الحبشة، يتوقع ما ينتظره على أيدي سفهاء قريش، فيدخل في جوار الوليد بن المغيرة- ونعلم جميعاً من يكون الوليد بن المغيرة في محاربة الإسلام والمسلمين- ويظل في أمان من أى معتد إلى أن يرد على الوليد جواره، فيذهب الوليد عندئذ إلى مجتمع القوم ليعلمهم بذلك، كما أعلنهم من قبل أنه أجاره^(٢).

٢- وهذا أبو سلمة بن عبد الأسد يدخل في جوار أبي طالب، فيعلن أوطالب حمايته إياه، حتى إن رجلاً من مخزوم مشوا إليه قائلين: يا أبا طالب ما هذا؟ منعت منا ابن أخيك محمداً، فما بالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بي، وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أختي.

فقام أبولهب فقال: يامعشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ- يعنى أبا طالب- ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه،

مع ابن أخيه، فقد ذكر أن رجلاً من مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد - حين أسلم أخوه الوليد، وسلمة بن هشام، وعباس بن ربيعة، وجمع آخر- فقالوا له وقد خشوا شره: إنا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذى أحدثوا، فإنا نأمن بذلك فى غيرهم. قال: هذا فعليكم به فعاتبوه، وإياكم ونفسي: ثم قال: احذروا على نفسي، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلاً. فقالوا: اللهم ألعه، من يُغرر بهذا الحديث؟ فوالله لو أصيب فى أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً، فتركوه ونزعوا عنه^(١) فإن الدارس العقلى المنصف حين يتلقى مثل هذا الخبر لا يملك إلا أن يسلم بأن القوم جميعهم كانوا على تلك القيمة - أو المبدأ الدستورى - التى تفرض عليهم حماية أبنائهم من أى معتد، لأن فى الاعتداء عليه امتهاناً للقبيلة نفسها، وعدواناً صريحاً عليها، يمكن أن ينشأ عنه خلل فى البناء الاجتماعى، واضطراب فى النظام العام، تشتعل بسببه حروب وقلال لا حدود لها، مهما كان الدافع لهذا الاعتداء.

بل إن قيمة الحماية لم تكن وقفاً على حماية القبيلة أبنائها، إذ كانت تمتد للالتزام بحماية من يجيره واحد من أفرادها، والعرب جميعهم كانوا يرون هذه القيمة من أبرز القيم التى يعتزون بها، ويحافظون عليها بشتى الطرق، ويفخرون بها، حتى كانوا يأنفون من رفض إجارة من يطلب الإجارة، أنفة تبلغ بهم درجة الانتقاص والعيب،

(١) سيرة النبى لابن هشام: ٣٤٢/١ - ٣٤٣.

(٢) السابق: ٣٩١/١.

التوجه الصليبي، وأثر فلسفة التتلمذ على المستشرقين الاستعماريين، ومحصلة الافتتان بمناهج الأوربيين المتعصبين في معالجة التاريخ الإسلامي والقضايا الإسلامية معالجة تقوم على طمس الحقيقة وإنكارها - أو التشكيك فيها - بشتى الحجج الواهية، المتظاهرة بالمنهج العلمي، والمتخفية في ثوب الدفاع عن الحقيقة، والبحث العلمي الجاد وتحلية الإسلام الحق.. إلى غير ذلك من الشعارات.

إن حماية أبي طالب وعشيرته لابن أخيه - مع بقائهم على دين آبائهم - مثل حماية هشام بن الوليد لأخيه، مثل حماية الوليد بن المغيرة لعثمان ابن مظعون مثل حماية أبي طالب لأبي سلمة، مثل مناصرة أبي لهب لأخيه في ذلك، مثل حماية ابن الدغنة لأبي بكر.. كلها سلوك قبلي مفروض، يصدر فيه الفرد والجماعة عن قيمة مقررة، لها مكان الدستور غير المكتوب من نفوسهم جميعاً، بحيث يدرك كل فرد منهم أنه لو قصر فيها لحقه من المذمة والعار ما يظل عالقا به طوال حياته، ويظل يلاحقه ويلاحق عشيرته بعد مماته.

ولكن يعمى البصر ويصم الأذن، ويغفل العقل، فلا يرى إلا حماية أبي طالب ابن أخيه، ولا يسمع إلا عبارته لمحمد، ولا يتنبه إلا إلى موقف أبي طالب وحده مع محمد على طريق تلك القيمة القبلية، فيتعجل ليلصق بابن إسحاق تهمة الاختلاق والتزييف!

حتى تبلغ ماأراد. فقالوا: بل ننصرف عما تكره ياأباعتبة- يعنون بألهب- وكان لهم وليا ناصرا على رسول الله ﷺ (٣).

٣- وهذا أبو بكر حين خرج مهاجرا إلى الحبشة، ثم بدا له العود، دخل في جوار ابن الدغنة- أخى بنى الحارث بن بكر- فلم تمتد له يد بأذى، إلى أن ضج القرشيون من صلاته في مسجده خارج منزله، وخشوا أن يؤثر في صبيانهم ونسائهم- فمشوا إلى ابن الدغنة يطلبون منه أن يكف أبا بكر عما يصنع... إلى آخر القصة (٤).

ترى.. لم يقف الدكتور مراد على هذه الاستجارات والإجارات، فلم يقف على مكان ذلك من القبيلة، أم وقف عليه، وضمه إلى حماية أبي طالب لمحمد ﷺ في ضمن ما اصطنعه ابن اسحاق واختلقه من الأحداث والمواقف، استجابة لفلسفته العباسية- أو تزويره العباسي- وأن ولاءه لأبي جعفر المنصور كان دافعه إلى تزوير ذلك ليخفي به أكاذيبه.

إن ابن اسحاق إذا كان في تزويره على هذه الدرجة من الوعي، والقدرة على التمويه لهو أبرع من معدى السيناريوهات الأمريكان، الذين يشهد لهم جميع العاملين في الحقل السينمائي والسياسي بالبراعة والتفوق.

أم لعلك ترى أن أثر الفلسفة العباسية على ابن اسحاق كان مقصورا على اختراعه قصة أبي طالب وحمايته ابن أخيه على وجه الخصوص؟! واضح جلي أنه لا هذا ولاذاك، وإنما هو إفراز

جادين يبحثون في شتى مجالات العلم خدمة للقرآن والسنة - ولا كان فارق الزمن بين وقت وقوع هذه الأحداث ووقت تلفيقها واسعا للدرجة التي لا يتوقع معها وجود من يكشف كذبه، حيث لم يثبت أن أحدا تحدث عن هذا الزيف، أو ناهض هذا الاختلاق، إلى أن ظهر الدكتور مراد بعد أكثر من اثني عشر قرنا ليكشف ذلك التزوير والاختلاق بمعاونة أستاذه السربوني، بعد أن ظل عاجزا عن إتمام رسالته الأولى خمسة وعشرين عاما!

ولو أن الدارس أنصف نفسه، وسعى إلى التعرف على الحقيقة ليقدم دراسة يستحق بها درجة الدكتوراه... لرأى أن هذه الفرية التي أبى إلا أن يلصقها بابن إسحاق، تحمل إعلانا بارزا يصرخ: إن من يدعى على ابن إسحاق فرية الاختلاق، هو نفسه المختلق المزيف، وأن ابن إسحاق ما ذكر إلا الصواب، لأن قصة الحماية لو كانت من اختلاق ابن إسحاق لجلبت عليه غضب أبى جعفر المنصور وصحبه، ولعرضته لأخطر أنواع العقاب، إذ كيف يعيش في كنف العباسيين، ويوهمهم بأنه يخترع قصصا لدعم سلطانهم - مستهينا بغضب صاحب السيرة عليه السلام فإذا بتلك القصص لدعم العلويين الخصوم الماثلين للعباسيين في ذلك الوقت، حيث يتجشم كل هذه العقبات ليصنع قصة من نسج الخيال تقول إن فضل حماية الرسول صلى الله عليه وسلم يرجع إلى أبى طالب جد العلويين أو ليس أبو طالب هذا والد على بن أبى طالب، والد

ولو قصد الحقيقة لتأني، فرأى، وسمع، وعرف أن ما نسبته ابن إسحاق إلى أبى طالب ليس فيه خروج على المؤلف، ولا شذوذ عن القاعدة العامة، ولا افتئات على العرف السائد.

ابن إسحاق عميل عباسي أم علوي؟!

وقبل أن نواصل النظر فيما وقف أمام عقل الدكتور مراد دون قبول حماية أبى طالب ابن أخيه... نعرض لأمر عجيب - وكل أمور الدكتور في رسالته تثير العجب - كان من الأسباب التي جعلت الدكتور يرفض تلك الحماية، وبعدها من مخترعات ابن إسحاق... وذلك أنه يرى أن ابن إسحاق اخترع ذلك - في ضمن ما اخترع - ليدعم الحكم العباسي، ويروج له.

ويرى أن ذلك المخترع كان من الأهمية لابن إسحاق بمكان، حيث جشم نفسه عناء التمهيد له بعدة مخترعات أخرى، بادئا باختراع سرية الدعوة، واضطهاد قريش لحمد، وسعيهم لمنعه من مواصلة دعوته ثم الوصول إلى اضطرار أبى طالب للحمايته، والعمل على تضخيم دور أبى طالب في حماية ابن أخيه، حتى يخيل إلى أن دكتورنا الفاضل يهين ابن إسحاق لنيل الجائزة العالمية في الإبداع القصصي، والإخراج السينمائي، إذ كيف ساغ الدكتور وأساتذته أن ينسبوا كل تلك الأحداث إلى افتراءات وأكاذيب ابن إسحاق، مغفلين أن ابن إسحاق هذا لم يكن منقطعا عن أمته - بما تضم في هذه الآونة من علماء



القصة نهاية تريح المتلقين، حيث يموت حامى محمد ﷺ على الإسلام.

أم إن ابن إسحاق فى تقدير الدكتور وأستاذة - لم يكن فنانا بارعا فى اختيار أشخاص قصصه، للدرجة التى لا يستطيع معها الوقوع على أبطال قصصه التى يحقق بها الغاية المكنونة فى نفسه؟!

لو أن ابن إسحاق - بمقدرته على تزييف التاريخ كما يقول الدكتور - أراد إرضاء أبى جعفر المنصور، وخدمة الفلسفة العباسية، والدعاية لها، لبذل جهده الخلاق هذا فى اختراع حدث ينسب للعباس بن عبدالمطلب، يرفع به قدره على أبى طالب، حتى يحقق هذا التزييف التاريخى الذى فرغه العباسيون لخدمة فلسفتهم، والدعاية لدولتهم.. خصوصا أن العباس - وكان لا يزال على دين قومه - أبى إلا أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له ليلة العقبة، فلما جلس كان أول متكلم، فقال: يا معشر الخزرج - وهو إطلاق يشمل الأوس والخزرج - إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو فى عز من قومه، ومنعة فى بلده... الخ هذا الحديث المستفيض^(٥).

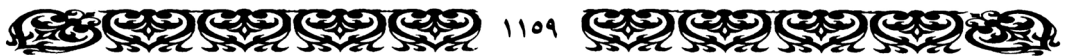
ألا يرى الدكتور مراد أن ابن إسحاق المزور الكذاب لم يكن من البراعة إذن حين نسب إلى أبى طالب حماية محمد من قريش ونسب إلى العباس حماية محمد من تغلب الخزرج، لأنه لو كان بارعا فى التلفيق، أو لو

العلويين الذين كانوا يمثلون - فى ذلك الوقت - القوة الأخطر على العباسيين، فهم الذين كانوا ينازعونهم السلطة، بعد التخلص من الأمويين؟!

أم إن الدكتور مراد يرى أن أبى جعفر المنصور ومن معه من قادة العباسيين كانوا من الغفلة بالدرجة التى لا يستطيعون معها كشف ما فى مخترعات ابن إسحاق من التنويه بأحقية العلويين فى الخلافة، ودفعهم إلى مقارعة العباسيين لانتزاع حقهم المسلوب - مادام لجدهم وحدهم فضل حماية محمد ﷺ - خصوصا أن العلويين لم يكونوا بعيدين عن ساحة الصراع فى تلك الآونة، لدرجة أن العباسيين كانوا يترصدونهم، ويحسبون لهم ألف حساب.

ألم يخطر ببال الدكتور مراد وأستاذة المشرف أن ابن إسحاق لو كان داعية عباسيا يختلق من القصص والأحداث ما يدعم الحكم العباسى لجعل العباس بن عبدالمطلب، عم محمد وجد العباسيين - هو القائم على حماية محمد، بدلا من أبى طالب، خصوصا أن العباس هو الذى ورث من أبيه عبدالمطلب ولاية زمزم، وسقاية الحجيج على ما ذكره الدكتور مراد من قبل - وما كان ذلك بمجشم مؤلف القصة عناء، ولا بمضيف إليه مزيد مشقة، فكل ما عليه أن يجعل العباس مكان أبى طالب، بل إن ذلك كان جديرا بأن يضاف على القصة ما يقنع القارئ ويمتعه، وينهى

(٥) سيرة النبى لابن هشام: ٤٩/٢ - .



ولكى يصل الدكتور إلى هذه النتيجة أبى إلا أن يجعل هجرة جعفر فرارا من الاضطهاد، وإلا أن يجعل هذا الاضطهاد متمثلا فى رؤية جعفر قبيلته تعذب أبناءها المسلمين، وذلك حتى يصل إلى النتيجة التى قصد فرضها فى البداية، وهى: كيف يحمى أبو طالب ابن أخيه، فى الوقت الذى لم يستطع فيه أن يحمى ابنه؟!!

وغاب عن الدكتور هنا سؤال أرى أنه أول ما يجب أن يتبادر إلى ذهن الباحث الجاد، وهو السؤال عن السر الذى جعل جعفرا يستشعر خطر الاضطهاد، فيبادر بالفرار إلى الحبشة، ولم يجعل عليا أخاه يشاركه هذا الشعور، ويصحبه فى الفرار، خصوصا أنه يرى أباه عاجزا عن تحقيق الحماية لأخيه؟!!

ثم إذا كانت هجرة جعفر لأنه خشى من اضطهاد بنى عبدالمطلب للمسلمين، كما اضطهدتهم القبائل الأخرى^(٦) فهل يظن الدكتور أن سذاجة جعفر وسطحية تفكيره جعلته يظن أن فراره هو - فى تلك الهجرة - يمكن أن يكون سبيلا لامتناع بنى عبدالمطلب عن اضطهاد المسلمين؟!!

وإذا كان هذا هو اعتقاد الدكتور فى جعفر، فهو إذن لم يهاجر لحاجته إلى الحماية المفقودة فى مكة، وبالتالي فإن أبا طالب كان يكفل الحماية لابنه جعفر، كما كان يحمى

كان مخلصا لبنى العباس لنسب حمايتين للعباس فنال رضا العباسيين حقا، دون أن يعرض نفسه لأى مؤاخذة؟!!

ولكن - بمنطق الدكتور مراد - يبدو أن ابن إسحاق لم يكن على هذا القدر من البراعة فى التزييف، أو أنه لم يكن مخلصا الإخلاص الحق للعباسيين، أو أن بنى العباس لم يكونوا على ذلك القدر من البصر والذكاء الذى يكشف لهم تلاعب ابن إسحاق بهم - أو ضعفه الإبداعي - حيث دعا للعلويين وهو يوهمهم أنه يدعو للعباسيين.

ولماذا حرم جعفر من حماية أبيه؟

ومما يقف أمام عقل الدكتور عائقا دون قبول حماية أبى طالب لمحمد ﷺ هجرة جعفر بن أبى طالب إلى الحبشة فرارا من تعذيب قريش أو اضطهادها، أو تنفيذا لقرار قريش بنفى هذه المجموعة من المسلمين.

فالدكتور مراد حين تلقى عن ابن إسحاق نبأ هجرة جعفر بن أبى طالب إلى الحبشة وجد فى ذلك فرصته للتأكيد على تزييف حماية أبى طالب لمحمد ﷺ، حيث رأى فى هجرة جعفر إلى الحبشة فرارا من الاضطهاد دليلا على أن أباه كان عاجزا عن حمايته من قبيلته ذاتها، وإلا لكان أولى به أن يحمى ابنه أولا ثم يحمى ابن أخيه.

(٦) سيرة رسول الله للدكتور مراد: ٦٢.

ابن أخيه، لكن جعفرًا هاجر لغاية أخرى، وهي - كما يقول الدكتور - خشيته على المسلمين من اضطهاد بنى عبدالمطلب.

وهكذا.. نرى أن حرص الدكتور على نفى حماية أبى طالب لابن أخيه، جعله يتخبط فى تصورات، ويتخبط فى افتراضاته فى شأن جعفر، كما حدث فى الشئون الأخرى، بحيث يبدو واضحاً - بكل جلاء - أن وراء كل ذلك السعى إلى نفى حماية أبى طالب بأى وسيلة.

ولاشتغال الدكتور مراد بهذه الغاية غفل عن دوافع هجرة الكثيرين إلى الحبشة، فلم ير إلا دافع الفرار من التعذيب، ولو أنه اعتصم بأناة العلماء - أو لو أن أستاذه كان جاداً فى توجيهه - لرأى للهجرة إلى الحبشة وظيفة أخرى، وهى فرار الحميين والأقوياء من تضيق قريش عليهم سبل الدعوة إلى الإسلام، ومنعهم بكل الوسائل من الاتصال بالآخرين ممن ينفذون إلى مكة، فلم يكن إلا الإذن منه ﷺ فى الهجرة لتحقيق الغايتين معاً، ويكفى النظر إلى أسماء المهاجرين إلى الحبشة، ليلفتة إلى أن من بينها أسماء أشخاص ذوى مكانة مرموقة مهابة بين عشائريهم مثل: عثمان بن عفان من بنى أمية، والزبير بن العوام من بنى أسد، وعبدالرحمن بن عوف من بنى زهرة، وغيرهم، وغيرهم، ممن ذكرهم

ابن إسحاق، ويكادون ينتمون إلى أكثر قبائل قريش ولرأى أن أبا بكر - بماله من مكانة بين قريش - ما كان ليفكر فى الهجرة إلى الحبشة أو إلى غير الحبشة فراراً من أذى واقع أو متوقع، ولكنه السعى إلى كسر الحصار القرشى المضروب على الدعوة إلى الإسلام!

ولقد كان هذا المسعى من أبى بكر وراء عودته ثانية، فبعد طول تفكير فى الأمر رأى أن بقاءه بجوار الرسول ﷺ فى مكة أجدى على الإسلام والدعوة إليه، خصوصاً أنه أحس فى نفسه بالاطمئنان إلى أن من سبقه من المسلمين إلى الحبشة يقومون بدور الداعية فى ظل ملك لا يظلم عنده أحد كما جاء فى توجيهه ﷺ (٧).

ولو أن الدكتور كلف نفسه مراجعة أسماء أول من هاجر إلى الحبشة - فيما رواه ابن إسحاق - لتبين أن جعفر بن أبى طالب لم يكن بينهم، ولكنه لحق بمن سبقوه إلى الحبشة - وكانوا عشرة يمثلون تسع قبائل - لسبب آخر بعيد كل البعد عن الفرار من التعذيب، فقد خرج إلى الحبشة، ولم يؤثر أن أحداً ناله فى شخصه بأذى، اللهم إلا غلق المنافذ التى تمكن المسلم من الاتصال بالوافدين إلى مكة

ثم لو أنه أضاف إلى ذلك النظر فى تاريخ عودة جعفر من الحبشة، إذن لتأكد له أنه خرج

(٧) سيرة النبى لابن إسحاق: ٣٤٢/١.

قريش، ونفى دوره في الدعوة.

فالذي يهيم الدكتور أن ينقب عن أى حدث أو موقف ورد في كتاب ابن إسحاق، ثم يعلن أنه اختلقه، وكذب في إيراده، ثم يبحث في مخيلته عن أى وهم يدعم به وصمة الاختلاق والكذب، دون أن يتلفت حواليه، أو يفكر في الأمر التفكير العلمي الجاد

ولو لم يكن هذا حال الدكتور لتوجه بنظره إلى رأى من سبق ابن إسحاق فيما يشك فيه، فلو رجع إلى ما ذكره عروة بن الزبير^(٩) وما ذكره محمد بن شهاب الزهري^(١٠) وابن حزم^(١١) وما كان لواحد من هؤلاء من صلة بالعباسيين - لوجد أنهم نسبوا إلى جعفر بن أبي طالب ما نسبته إليه ابن إسحاق.

ولكن هو الغرض يعمى الأبصار والبصائر، ويصم الآذان، ويوقع في الخلط والاضطراب

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(١٢)

ولذا فلنا لقاء آخر إن شاء الله مع الدكتور وأباطيله

(يتبع)

داعية، ولم يخرج فرارا من أذى قريش ولا خرج نفيا، وإلا فما السر في بقائه بالحبشة - بعد استقرار المسلمين في المدينة - وعودة أكثر من كانوا معه - واستمراره هناك إلى أن استدعاه رسول الله ﷺ هو ومن معه - وكانوا ستة عشر رجلا وزوجاتهم وأبنائهم - فأرسلهم النجاشي في سفينتين، حيث وصلوا يوم خيبر في السنة التاسعة من الهجرة^(٨).

ولكن الدكتور لا يكتفى بإغفال هذه الجوانب المهمة، بل يحاول أن يصرف الآخرين عن النظر فيها، فيزعم أنه في أرض الجزيرة العربية الواسعة من الجبهات التي تستقبل الدعوة إلى الإسلام ما كان يغنى هؤلاء المسلمين عن السعى إلى الحبشة، وفتح جبهة للدعوة فيها، على ما في ذلك من عناء، ومشقة، وذهاب إلى المجهول.

ولو تذكر الدكتور ما كان بين قبائل العرب وبين قريش من المصالح المشتركة، وما استلزمته تلك المصالح من الأحلاف والعهود التي تسمح لقريش باستعادة هؤلاء الخارجين - على نحو ما حاولوه مع النجاشي الذي أبى أن يسلم من التجأوا إليه، واحتموا فيه - لما ساق هذا الادعاء في طريق إصراره على دعواه فرار جعفر من أذى

(٨) السابق: ٣١١ : ٣١٣.

(٩) مغازي رسول الله: ١٠٤، ١١١ : ١٢٧.

(١٠) المغازي النبوية لابن شهاب: ٩٦.

(١١) جوامع السيرة النبوية لابن حزم: ٨٤/١ : ٨٦، ٩٢.

(١٢) الحج (٤٦).

مواقف إسلامية

المبارى، فوق المنافع

للمستاذ الدكتور / محمود عمارة

أصاب «عبد الرحمن بن مدين» ما لا كثيرا - وكان رجل صدق - فجهز سبعين مملوكا، بلبوا بهم. وأسلحتهم إلى هشام بن عبد الملك ثم أصبحوا معه يوم الرحيل. فلما استوى بهم في الطريق نظر إليهم وقال: ما ينبغي لرجل أن يتقرب بهؤلاء.. إلى غير الله!! ثم قال لهم: اذهبوا.. فأنتم أحرار وما معكم لكم!!

تهديد

قيل لواحد من الزهاد:

مالك تمشي على عصا ولست بكبير ولا

مريض؟

فقال:

انى أعلم أنى مسافر.. وأن الدنيا دار قلعة..

وأن العصا من آلة السفر.

حملت العصا: لا الضعف أو جب حملها

على... ولا أنى تخنيت من كبر

ولكننى ألزمت نفسى حملها

لأعلمها أن المقيم على سفر

ولقد كان «عبد الرحمن بن مدين» واحدا من

مدرسة هؤلاء السائلين.. السائرين مع دنياهم أنى

سارت.. والذين يحسبون العمر بالساعات لا

بصالح الطاعات.



ألا ما أكثر «عبيد» الرحمن فى حياتنا .. ولكننا
نعرفهم إذا كانوا فنانيين .. أو نجوم الملاعب ..
أما الأتقياء الأنقياء .. فهم غرباء فى
أوطانهم .. ولا بأس :

فإذا لم يعرفهم أحد .. فإن ربهم - سبحانه -
يعرفهم .. ثم يعرفهم إلى عباده بهذا الموقف
الأثير، وما يحفل به من أسرار .

لقد كان «عبدالرحمن بن مدين» واحدا من
أهل الدنيا .. وإذا كانت الدنيا أمه .. فلا بأس أن
يحبها .. ولكن بمقدار .. لقد كان يعيش
«الأنا» .. آملا فى حظوة لدى الخليفة بهذه
الهدية الغالية .

وبينما تناوشه رؤى المستقبل الوردى فى ظل
الخليفة .. إذا بالنبع الصافى .. يتفجر من داخله ..
فيجرى نهرا دافقا أخصب به الله الوادى على شاطئيه .

لقد انتقل من ضيق «الأنا» إلى رحابة
«نحن» .. وأحس بأنه لم يخلق لنفسه وإنما
لغيره .. وأن سعادته الحق فى أن يسعد الآخرين .

وما أبعد المسافة بين الأنا .. ونحن :

واقراً فى بيان ذلك قوله - تعالى - على لسان
موسى عليه السلام :

﴿ قَالَ أَخَرَقَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾^(١)

لم يقل لتغرقنى .. وإنما لتغرق أهلها .. فقد
كانت همته معلقة بالثريا .. حريصا على حياة
الآخرين .. والذين لا حياة له إلا بهم .. ومعهم .
وكذلك كان «عبدالرحمن» .

وفى لحظة صدق أفاق .. ليكون من مدرسة
هذا العابد الزاهد .. الذى عاشت الآخرة فى
وجدانه .. فلم تبق للدنيا فى قلبه موضعا .

وموقفه هذا الذى نتأمله اليوم - رسالة موجهة
إلى المستغرقين فى لذات الدنيا نقول لهم :

«إن الله تعالى سخر لكم الدنيا .. فلا تسخروا
أنفسكم لها» . وقسم حظوظكم منها بحكمته ..
فلا تنافسوها :

فإن كان لكم حظ فهو آت .

وإن لم يكن حظ .. كان عليكم وزر التقاتل .
وسوف تعلمون غداً : أن ملذات الدنيا .. لم
تكن تستأهل كل هذا السرور .. وأن كل
آلامها .. لم تكن تستأهل هذه الأحزان .

لقد خسر المتفرون كل شئ .

بل ما كانت الدنيا برمتها شيئا .. وما راهنوا
فيها على شئ : إنها كانت صفرا .

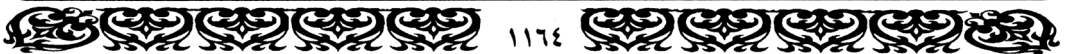
وإذا كان من أدب الإسلام : أقلوا من الدخول
على الأغنياء .. فرارا مما يغركم من الدنيا .. فنحن
مأمورون فى نفس الوقت :

أن تعيش الآخرة فى وعينا .. إلى الحد الذى
يكسر من فتنة الدنيا الهاجمة .

وهذا ما فعله «عبدالرحمن بن مدين» والذى
نفصله فى عدة وقفات .

ونتساءل أولاً :

كم من شبابنا يعرف «عبدالرحمن بن
مدين» ؟





العالى .. بل وأن ينهض ثم يحول وجهته إلى الله
– تعالى – بينما فتنة الدنيا تناوشه من قريب ..
وأوهام المستقبل الواعد تطل عليه من كل أفق .

ولو كان عبدا واحدا .. لم تكن هناك صعوبة
فى الاستغناء عنه .. لكنهم كانوا سبعين !

ومع ذلك فقد أخذ موقع المسلم الذى يقف
على مفترق الطريق يواجه أمرا ..

إنه يقف .. ثم يفكر :

فإن كان لله .. مضى .

وإن كان لغيره .. تأخر .. ولقد تأخر
عبدالرحمن مغيرا وجهته .. حين تبين له الخيط
الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .. فجاء قراره
فى النور .. فلم يبطله بندم أو تحسر !

لقد كانت المعركة فى كيان «عبدالرحمن»
ضارية .. بين غريزة حفظ الذات .. وبين المحافظة
على القيم .. ولكنه انتصر فيها .. ولئن كان قد
حرم من بعض ما يملك .. أو من كله .. لكنه
كسب مرضاة ربه .

ولئن كان قد خسر العبيد السبعين .. فقد
كسبهم المجتمع كتيبة من الأحرار .. تسرى اليوم
فى عروقهم دماء الحرية .

التى ترفع من قيمة أحدهم ليساوى ألفا من
الرجال ... فصار رائدا من رواد التحرير .. على
مستوى العالم .. ولئن لم يجد إعلاما يتنادى
بأمجاده فيكفيه أن ربه – سبحانه – يقدر عمله
قدرة .. حين حرر هؤلاء العبيد ... العبيد الذين
يمارسون الحرية اليوم واقعا .. وليس ادعاء .

وصحيح أنه سوف يخسر حب الخليفة ..
هشام .. بيد أنه سوف يفرض عليه احترامه حين

لقد أعلن عبدالرحمن انفصاله عن طلاب
الدنيا .. من رفاق الأمس .. من سمار الليالى ..
هؤلاء الذين يجرون وراء سحابة فى السماء ..
دون جدوى .

وإذا كان الناس من حوله يتعاملون
بالعضلات .. والثروات فقد قرر هو أن يرتفع إلى
أفق آخر .. نتعامل فيه بالعقول والقلوب .

لقد كان بين يديه سبعون مملوكا بأسلحتهم
ودوابهم .. كتيبة عسكرية يمكن أن يكون بها
شيئا مذكورا .. ولكن البريق الخلاب لم يخدعه .

وفى لحظة صدق مع النفس .. ومع الله –
تعالى – اتخذ قراره العظيم .. مؤكدا أن لحظة
صدق واحدة .. هى أغنى من عشرات السنين ..
عجاف : بلا عمل .. وبلا أمل .

أجل إن لحظة واحدة مباركة هى أكثر بركة
على الأمة من أعمار طوال خواء من عمل الخير .

وذلك ما يعنيه قول المجريين :

مات فلان فى سن الثمانين ..

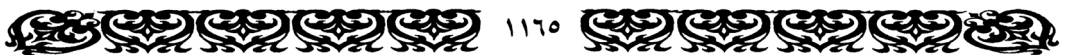
ولكنه عاش عشرين سنة فقط

لان العشرين هى عمره الحقيقى الذى أثمر
أينع الثمرات .. وما سواها من السنوات : ظاهر
رواء .. وباطن خواء !

لقد كانت مهمته سهلة لو كان عند مرحلة
«الهم» .. والتى كان من الممكن أن يتغلب على
نفسه عندها .

لكنه استوى على الطريق فعلا ، وأصبح قاب
قوسين من تحقيق آماله لدى الخليفة بهذه الهدية
السنية .

لكنه استطاع أن يتحرك تحت هذا الضغط





وكان هذا المؤمن الذى كان شعاره دائما

يا رب

لا نياس .. وأنت الغفار

ولا ننكشف .. وأنت الستار

ولا نجزع .. وأنت الرزاق

ثم نرضى .. لأنك أنت الحكيم ولو تصورنا أن
« عبد الرحمن » صار بهذا السخاء فقيرا فهل هو
حقا كذلك؟!

أبدأ .. إن الفقير حقا من ملك نفسا تستغنى
عمن استغنى عنها .

وما أكثر الأغنياء الذين يعيشون فى الدنيا
عيشة الفقراء .. ثم يحاسبون غدا حساب
الأغنياء .

وتلك هى القضية التى ضلت فيها أفهام وزلت
أقدام ألا وأن لكل من الغنى والفقير: بنك
ورصيد ولا فرق بين الغنى والفقير إلا فى نوعية
البنك .

الغنى : يأخذ من رصيده .. بالبطاقة ..
وبحساب .

ولكن الفقير: يرفع يديه إلى السماء .. ويدها
بطاقته ولن يرد الله يديه .. بطاقته .. لن يردها
صفرا بل لابد أن يعطيه ربه .. عطاء .. بغير
حساب .

أما رصيد بنوك الدنيا .. فأحيانا: لا يسمح
الرصيد!!

واجب المسلم اليوم

أن يزين جوارحه بطاعة ربه - سبحانه وتعالى -
قبل أن تكون هى أول شاهد عليه ..

أعلن بعمله أن هناك ما هو أغلى مما يتقلب فيه
الخليفة .. وإن خطف الأبصار .. وأسأل لعاب
الطامعين وإنما يبكى على الحب النساء!

وربما كان « هشام » .. أسعد بعبد الرحمن ..
حين وجد فيه رجلا يملك قراره .. وإن أمة تتألف
من مثله لهى أمة جديرة بالبقاء .

وإذا كان هناك من يجلس على كرسي
الإدارة .. مزهوا بنفاق أتباعه الذى يضيفون من
حساب كرامتهم إلى حسابه إذا وجد من يفعل
هذا .. فقد كان هشام سعيدا .. حين يجد نفسه
أميرا على أمة من الأحرار .. لا من الأصفار!

لقد أسهم عبد الرحمن بسخائه فى حل
مشكلة اجتماعية متوطنة ولئن بدا شكلا أنه حرم
الخليفة من هديته .. فإنه بتصرفه قد صبها فى
محيط المجتمع الكبير .

وإذن فهو تصرف مواطن صالح .. دل على حل
ماله بتوجيهه الوجهة الصالحة .. وكان فى علاقته
بالخليفة على ما قيل:

صديقى : من يقاسمنى همومى

ويرمى بالعداوة من رمانى

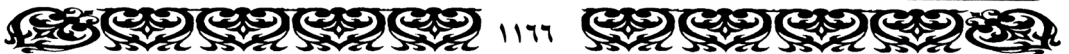
ويحفظنى إذا ما غبت عنه

وأرجوه لنائبة الزمان

وإذا كانت هناك نماذج رديئة تصل بالنفاق إلى
درك الشرك حين تقول:

ما شئت .. لا ما شاءت الاقدار .

فقد كان الخليفة أو هكذا يجب أن يكون كان
سعيدا بمواطن صالح .. يمكن أن يكون امتداد
حياته بعد مماته وهو جزء من عمله حين وقف
هذه الوقفة التى آثر فيها ما يبقى على ما يفنى ..





الوقت قيمة يومه الذى سوف يكون عليه شهيدا .
منطلقا مما قرره الفاقهون :

إن الوقت لا يحترم أحدا .. فلا تتركه ينصرم
من بين يديك .

الليل والنهار يعملان فيك .. فلم لا تعمل
فيهما ؟

إنه صحيح مملكتك لكنك لا تستطيع
التصرف فيها بزيادة أو نقصان .

إن الوقت مطيتك وما مضى مخصوم من
عمرك بل شاهد عليك إنما الليل نهار الأريب .

وهناك من يعمق زمانه فلا يعمل

ألا وإن فى الليل حقا لا يقبل بالنهار

وفى النهار حقا لا يقبل بالليل

وإذا كان الوقت نعمة سوف نسأل عنها .. فإن
مرحلة الشباب قمة هذه النعمة .

وإذا سئل الإنسان عن عمره بعمامة فسوف
يسأل عن شبابه بخاصة .

لأن الفتى بعد الفراغ من عمله اليومى يجد :

الصحة .. والفراغ ، ومن الممكن أن يستفيد
من الصحة .. لكنه لا يكاد يفعل .. كما أن

بإمكانه أن يستثمر وقت فراغه .. لكنه أيضا لا
يفعل .. وإذن .. فهو مغبون .. ظالم لنفسه

وهو مطالب بأن ينصف نفسه من نفسه .

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها

هوانا بها .. كانت على الناس أهونا

وأن تتجه منه الأشواق دائما إلى المبادئ .. لا
إلى « المبالغ » يجاهد فيما يطيق .

ويهفو إلى مالا يطيق .. فعله واصل إليه فى
بعض مراحل الطريق .

ونذكر هنا دليل عمله من نصيحة أبى حازم
للخليفة الذى سأل : ما هو الواجب ؟ قال :

أن تنظر إلى ما عندك : فضعه فيما هو حق وما
عند غيرك .. فلا تأخذه بغير حق .

لا تسخر ما تملكه لاغتصاب موقع معد
لغيرك ! .

قال الخليفة : التكليف صعب .. ومن يستطيع
ذلك ؟ !

فقال أبو حازم :

ولهذا ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين .

فقال الخليفة : وما المخرج : قال :

أن تلجأ إلى الله - تعالى - أطلب منه
حاجتك .. أطلبها ممن يقدر عليها فإن أعطاك ..

شكرت .. وإن زوى عنك .. صبرت .

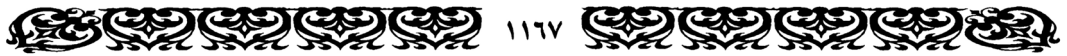
وتلك هى القدوة الحسنة .. الصورة الإيجابية
التي تعكس حياة الناس بنبيلها .

وليست هى القدوة السيئة التى تعكس
حياتهم بمشاعر الازدراء .

إن سائح الدنيا يتقلب فى الأرض يضرب فيها
بينما يصحب دنياء معه .

اما المؤمن فسياحته فرار من الدنيا إلى الله -
تعالى -

إلى الحصن الذى لا يرام ، والعين التى لا تنام
آخذا فى اعتباره قيمة لا يفرط فيها .. وهى قيمة



الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

لفضيلة الشيخ / فوزي فاضل الزفزاف

٢

لقد اشتهر سيدنا أبوبكر الصديق - رضى الله عنه - بين العرب - قبل الإسلام وبعده - بالعقل الراجح والفكر الثاقب، والنظر السديد، كما اشتهر بالنجاح في التجارة لصدقه وأمانته. غير أن المال لم يشغل أبابكر - رضى الله عنه - ولم يستحوذ على فكره، ولم يجعله بؤرة اهتمامه، ولم يجعله الغاية والهدف، بل جعل - رضى الله عنه - المال وسيلة لخدمة الدعوة الإسلامية، وفي نصرة الحق والخير مهما كلفه ذلك ولو أدى إلى إنفاق كل ما يملك في سبيل الله.

عذابا لا يتحمله بشر، فكان يخرجهم إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بصخرة عظيمة فتوضع عليه ثم يقول أمية لبلال: لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى. فكان بلال - رضى الله عنه - يقول: أحدٌ أحد. فتوجه سيدنا أبوبكر إلى أمية بن خلف وهو يعذب بلالا واشتراه بخمس أواق من الذهب ثم أعتقه، فقالوا لأبي بكر: لو أبيت شراءه إلا بأوقية واحدة لبعناك إياه! فيرد عليهم سيدنا أبوبكر قائلا: لو أبيتم إلا أن تبيعوه بمائة أوقية لاشتريته.

وكانت زئيرة الرومية - من الإماء اللاتي أسلمن فأخذ سيدها يعذبها عذابا شديدا حتى

وسجل لنا التاريخ مواقف رائعة لسيدنا أبي بكر - رضى الله عنه - تدل على مدى حبه للخير، وعلى أن إنفاق المال في سبيل الله كان طبعه وسجيته، فعندما رأى كفار مكة يؤذون العبيد الأرقاء الذين دخلوا في الإسلام، ويعذبونهم لدرجة الموت. سارع بشراء هؤلاء المستضعفين من ماله الخاص، ثم أعتقهم - بعد الشراء - ابتغاء وجه ربه الأعلى، وقد ذكر بعض المؤرخين أن الذين اشتراهم سيدنا أبوبكر - رضى الله عنه بماله ثم أعتقهم كانوا سبعة من الذكور والإناث منهم: الصحابي الجليل بلال بن رباح - رضى الله عنه - الذى كان عبدا مملوكا لأمية بن خلف، وبعد أن أعلن بلال إسلامه عذبه أمية



عنه- الذى عرفه المجتمع المدنى على وجه خاص والمجتمع الإسلامى على وجه عام - بعد الهجرة - كريما سخيا بماله يبذله فى سبيل الله من غير تردد .

أراد الرسول ﷺ بعد وصوله إلى المدينة المنورة . أراد أن يبنى المسجد كى يجتمع المسلمون فيه للعبادة وإقامة الصلاة، وقضاء مصالح المسلمين . . فأرسل إلى جماعة من بنى النجار وقال لهم :

يا بنى النجار، ثامنوني بحائطكم هذا - أى قولوا لى كم ثمن هذا المكان لكى أبنى فيه مسجدا؟ فقالوا: لا والله لانطلب ثمنه إلا من الله، فأبى ذلك رسول الله ﷺ (٢) واشتراه منهم بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر- رضى الله عنه- .

وعندما دعا الرسول ﷺ أصحابه إلى بذل أموالهم للجهاد فى سبيل الله جاء أبوبكر الصديق- رضى الله عنه- بجميع أمواله، فقال له الرسول ﷺ : « ماذا أبقيت لأولادك يا أبا بكر؟ » قال : يا رسول الله لقد أبقيت لهم الله ورسوله .

هذا هو سيدنا أبوبكر الصديق- رضى الله عنه- الجواد الكريم الذى لم تشغله الدنيا بماله، ولم تفتنه بمتاعها، بل كان ينفق ماله فى سبيل الله فتاجر مع الله فاستحق أن يبشره النبى ﷺ بالجنة، ففى الصحيحين عن أبى هريرة- رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق فى سبيل الله نودى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد،

كف بصرها، فقال بعض المشركين : ما أصابها بالعمى إلا الآت والعزى!! فقالت : والله ما هو كذلك، وما يدرى اللات والعزى من يعبدها، وربى قادر على أن يرد على بصرى، فرد الله عليها بصرها، فقال المشركون : هذا من سحر محمد ﷺ وبلغ ذلك أبا بكر فاشترها وأعتقها .

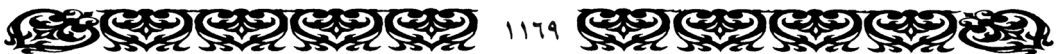
وكان بعض المشركين يقول : لو كان دين الإسلام حقا ما سبقنا إليه زئيرة . فأنزل الله- تعالى- قوله :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ حَدًّا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَافٍ قَلِيلٌ ﴾ (١) .

وفى أبى بكر الصديق وفى أمثاله الذين بذلوا أموالهم من أجل معاونه الأرقاء وتحرير رقابهم من الظلم والاستعباد- رضى الله عنهم- أجمعين نزل قوله تعالى :

﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَالَهُمْ لِيُبْتَاعُوا بِهِمْ أَوْ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا إِيَّاهُ وَبِهِ رِيسَالٌ لَلْأَعْلَى ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ (٣) .

وأبو بكر الصديق- رضى الله عنه- الذى عرفه المجتمع المكى - قبل الهجرة - جوادا سخيا فى الخير، ساقا إلى بذل المال والعطاء فى سبيل الله، ينفق ماله فى خدمة الدعوة الإسلامية، وفى خدمة أصحابه الفقراء، وفى إعتقاق الفقراء والإماء الأرقاء بعد شرائهم بماله ابتغاء وجه الله- تعالى- ورضاه، هو نفسه أبوبكر الصديق- رضى الله





المسلمين خيراً، لقد صدّقت رسول الله ﷺ حين كذّبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، كنت والله للإسلام حصناً وعلى أعدائه عذاباً، كنت كالجبل الذى لا تحركه العواصف، ولا تزعزعه القواصف، كنت - كما قال رسول الله ﷺ - ضعيفاً فى بدنك، قوياً فى دينك، متواضعاً فى نفسك، عند الله، جليلاً فى الأرض، كبيراً عند المؤمنين، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى، فالضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له، والقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، فلا حرمنّا الله أجرك ولا أضلنا بعدك .

وإذا كان سيدنا أبوبكر - رضى الله عنه - قد حاز فضل إنفاق ماله فى سبيل الله، وزهده فى دنياه، فقد شاركه فى ذلك سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فقد كان نموذجاً رائعاً للبذل والعطاء، ومثالاً يحتذى به فى الإنفاق فى سبيل الله، وقدوة حسنة فى التبصر بالمال فى جميع أوجه الخير، يصدق فيه قول الرسول ﷺ: «إن لله عبداً اختصهم الله بقضاء حوائج الناس حبيبهم فى الخير وحبب الخير إليهم إنهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة»^(٣).

وكان سيدنا عثمان - رضى الله عنه - ينظر إلى الآخرة دار القرار والخلود فيعمل لها، ولا يلتفت إلى الدنيا دار المرور والفناء فهو زاهد فيها، ويؤمن بأن ما عند الله هو خير وأبقى .

ورغم أن سيدنا عثمان كان من الصحابة الذين جاءتهم الدنيا راغمة، وبارك الله له فى ماله، وكان ذا حظ كبير فى تجارته إلا أنه كان زاهداً فى

ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، فقال أبوبكر: يا رسول الله هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم وأرجو أن تكون منهم»، وروى الترمذى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال لأبى بكر: «أنت صاحبى فى الغار، وأنت صاحبى على الحوض»، وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أمنّ الناس علىّ فى صحبتته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين فى المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبى بكر» .

رضى الله عنك ياسيدنا يا أبا بكر فقد زهدت فى مال الدنيا ومتاعها وزينتها، وحرصت على التمسك بزهديك حتى فى الشيء الوحيد الذى يخرج به الإنسان من الدنيا عند مماته ويلازمه فى قبره - سوى عمله - وهو الكفن، فقد أوصى - رضى الله عنه - قبل وفاته أن يكفنه فى ثوبين قديمين ولا يكفنه فى ثياب جديدة، لأن الإنسان الحى أحوج إلى الثياب الجديد من الميت .

ولا أجد فى هذا المقام أفضل وأعظم من الكلمات التى قالها سيدنا على بن أبى طالب فى رثاء سيدنا أبى بكر - رضى الله عنهما - من هذه الكلمات قوله:

«رحمك الله يا أبا بكر، كنت والله أول القوم إسلاماً، وأصدقهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ وعن

٣- رواه الطبرانى عن ابن عمر (الجامع الصغير).



بعد هذا .

ومن أعمال سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - التى سجلها له التاريخ فى أعمال البر والإحسان وإنفاق المال لنفع المسلمين قيامه بشراء بئر رومة، فقد أخرج ابن عساكر عن بشر بن بشير الأسلمى عن أبيه قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها « رومة » وكان يبيع منها القرية بمذ، فقال رسول الله ﷺ للغفارى: تبيعها بعين فى الجنة؟

فقال الغفارى: ليس لى يارسول الله عين سواها، لا أستطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان - رضى الله عنه - فاشترها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبى ﷺ فقال: أتجعل لى مثل الذى جعلت له عينا فى الجنة إن اشتريتها، قال: نعم، قال: قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين، وأخرج الحاكم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: اشتري عثمان من رسول الله ﷺ الجنة مرتين: يوم رومة، ويوم جيش العسرة.

ولم يترك سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - باباً من أبواب الخير إلا وولجه، ولا ميداناً من ميادين الإنفاق فى سبيل الله إلا واقتحمه، فحينما دعا المصطفى ﷺ إلى توسعة المسجد وقال: من يزيد فى مسجدنا؟ سارع عثمان - رضى الله عنه - واشترى موضع خمس سوار فزاده فى المسجد.

ولذلك وجدنا الإمام على بن ابى طالب - كرم الله وجهه - يقول عن سيدنا عثمان: كان عثمان أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين.

الدنيا والمال: يرتدى الملابس الخشنة الرخيصة، وينام على الحصى، ويطعم أولاده الزيت والخل بينما يطعم الناس طعام الإمارة.

وكان سيدنا عثمان - رضى الله عنه - من الذين يتاجرون مع الله تجارة لن تبور، وكان يجعل نصب عينيه قول الله - تعالى -:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالْهَكَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤).

وليس أدل على ذلك من موقفه من جيش العسرة، فقد خطب النبى ﷺ فحث على التبرع لتجهيز جيش العسرة فى غزوة تبوك، فقال عثمان ابن عفان - رضى الله عنه - على مائة بغير بأحلاسها « الحلس كل مايوضع على ظهر الدابة تحت السرج » وأقتابها « جمع قتب أى الرجل »، ثم نزل رسول الله ﷺ مرقاه من المنبر، ثم حث، فقال عثمان - رضى الله عنه -: على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، فأشار رسول الله ﷺ بيده قائلاً: ما على عثمان ما عمل بعد هذا (٥).

وأخرج الدارقطنى وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - قال: بعث النبى ﷺ إلى عثمان - رضى الله عنه - يستعينه فى جيش العسرة، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار، فصبت بين يديه، فجعل النبى ﷺ يقلبها بين يديه ظهراً وبطناً ويدعو له ويقول: « غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، مايبالى عثمان ماعمل





فى التجارة جعلت ينابىع الثراء تتدفق من بين يديه..

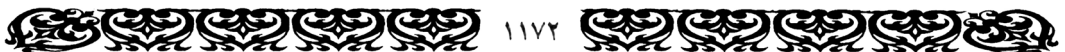
وعندما أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة كانت تلك الهجرة بالنسبة لسيدنا عبدالرحمن بن عوف موضع تضحية كبيرة لاحد لها، فهو سترك داره وأقاربه، وماله الوفير، وتجارته الواسعة الكاسبة. ولكن متى كان عبدالرحمن بن عوف عبدا للمال؟ المال فى يد عبدالرحمن وسيلة لا غاية، فالتضحية به هينة فى سبيل الله.

وتمت الهجرة إلى المدينة المنورة، ودخلها سيدنا عبدالرحمن بن عوف خالى اليدين من المال، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى - وكان مشهورا بالكرم والسخاء - فعرض سيدنا سعد على سيدنا عبدالرحمن أن يقتسم ماله نصفين، فاعتذر سيدنا عبدالرحمن وقال له: بارك الله لك فى مالك، فعرض سيدنا سعد إحدى زوجتيه ليطلقها ويتزوجها سيدنا عبدالرحمن، فاعتذر أيضا وقال له: بارك الله عليك فى مالك وأهلك فهما لك وحدك. ولا أريد شيئا، ومعى صحتى وعقلي، دلنى على السوق فأنا تاجر وسيرزقنى الله، لأنه عودنى دائما على الكسب الحلال. ودخل سيدنا عبدالرحمن بن عوف السوق لايملك شيئا، فجعل يشتري الشئ بالدين ثم يبيعه بالمكسب القليل فيرد الدين لصاحبه. ثم يشتري من جديد وهكذا.. وفى زمن قليل صار سيدنا عبدالرحمن بن عوف ذا مال وفير، ومن أصحاب التجارة الواسعة فى المدينة المنورة. وأخذ ينفق أمواله فى سبيل الله، يساعد المحتاج، ويعطى الفقير، ولم يكتف بإخراج حق الله فى زكاة المال

رضى الله عنك ياسيدنا عثمان بن عفان، ياذا النورين، ويا صاحب الهجرتين، ويا من استحت منك الملائكة، ياصاحب الخلق الكريم والفضل العظيم، يامن تاجرت مع الله تجارة لن تبور، يامن انفقت مالك فى سبيل الله فنلت حب رسول الله وفزت بدعائه لك بالمغفرة والبشرى بدخول الجنة، يامن جمعت الأمة على قراءة واحدة للقرآن الكريم فأغلقت باب فتنة لايعلم مداها إلا الله، يامن نلت الشهادة وأنت صائم استجابة لدعوة الرسول ﷺ اليك: فقد أخرج الحاكم عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن عثمان - رضى الله عنه - أصبح فحدث فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ فى المنام الليلة فقال: ياعثمان افطر عندنا، فأصبح عثمان صائما، فاستشهد فى يومه - رضى الله عنه - وكان صائما.

إن الحديث الشريف عن الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين تاجروا مع الله تجارة لن تبور فأنفقوا أموالهم عن طيب خاطر فى سبيل الله، لايترددون فى البذل والعطاء، بل يسارعون إلى التبرع بأموالهم فى أوجه الخير ابتغاء وجه الله، حديث طويل لا ينتهى.

ومن هؤلاء الكرام الصحابى الجليل سيدنا عبدالرحمن بن عوف - رضى الله عنه - التاجر الصادق الأمين، الذى رزقه الله البركة فى تجارته، والنماء فى ماله، والكسب الحلال فى ربحه، والتوفيق فى إنفاقه، فسخر ماله لخدمة الدعوة الإسلامية، فكان يوزع نصف ماله على فقراء المسلمين ويتجر فى النصف الآخر، فإذا جد ربح جديد استمر فى عطائه، سعيدا بما يفعل، هنيئا بما ينفق، شاكر الله على ما حباه به من خير وبركة



المفروضة، بل جعل يتصدق بنصف ماله ويتاجر في النصف الثاني فيعود إليه أكثر مما تصدق به. فيكرر نفس العمل وهكذا.. فصدق فيه قول الله- عز وجل:-

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْضِي وَبَيِّضُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٦).

ولقد سجل التاريخ مواقف كثيرة لسيدنا عبدالرحمن بن عوف تدل على كرمه وسخائه، وعلى أن حب الخير ساكن في قلبه، وعلى أن الإنفاق في سبيل الله هدفه وغايته، فعندما حث النبي ﷺ المسلمين على التبرع لتجهيز جيش العسرة في غزوة تبوك تبرع سيدنا عبدالرحمن بن عوف بمائة أوقية من الذهب الخالص «هي نصف ماله» فقال له رسول الله ﷺ: «ماذا تركت لنفسك؟» قال: بقي عندي مثل ماتبرعت لايزيد ولا ينقص، فقال ﷺ: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت».. وفي هؤلاء الكرام نزل قول الله- عز وجل:-

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٧).

ومن مواقفه المشهودة أنه حين مرض في بعض أوقات علاته أخرج ثلث ماله فتصدق به بمرأى ومسمع، يعطى كل محتاج ما يكفيه، فقيل له توصي بالمال فيفرق بعد

وفاتك، فقال: لأن تعطى وأنت صحيح شحيح تخاف الفقر، وترجو الغنى فهذا أفضل، لا أن تنتظر حتى يأتى الرمق الأخير فتقول هذا لفلان وهذا لفلان..، وحين أعطى الفقراء وبقي لديه المال قال: يا أصحاب رسول الله من كان من أهل بدر فله أربعمائة دينار، فجاء أهل بدر وأخذوا ما أعطاهم، ثم جاء عثمان بن عفان- رضى الله عنه- ليأخذ نصيبه لأنه بدرى، فقال له بعض الناس: ألسنت غنيا يا ابن عفان؟ فقال: هذه صلة لأهل بدر، ولو كانت صدقة ما تقدمت، فكان مبلغ ما أعطى عبدالرحمن بن عوف في هذا اليوم مائة وخمسين ألف دينار، ومرت أعوام وقد شفى عبدالرحمن من مرضه واستأنف تجارته وربح ربعا جزيلا.

وفى يوم من الأيام سمعت السيدة عائشة- رضى الله عنها- رجة في المدينة فسألت: ما هذا؟ فقالوا: قافلة تجارة عبدالرحمن بن عوف تحمل من كل شئ وقد قدمت من الشام، وكانت سبعمائة بعير محملة بأوساقها، فقالت السيدة عائشة- رضى الله عنها-: عبدالرحمن سيدخل الجنة حبوا، وتبلغ مقولة السيدة عائشة- رضى الله عنها- سمع سيدنا عبدالرحمن فقال: إني أرجو أن أدخلها قائما لا حابيا، وضمن ذلك أن أجعل القافلة كلها في سبيل الله، وأوقف الجمال وأنزل ما عليها وجعل يفرق ما حملت على الفقراء.



ما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى أمثال
أبي بكر الصديق، وعثمان بن عفان،
وعبدالرحمن بن عوف ليقدموا أموالهم في
سبيل الله لإنقاذ الشعب الفلسطيني في
الأراضي المحتلة من حرب الإبادة التي يتعرض
لها من اليهود الفجرة، وتقديم العون
والمساعدة لهم في كفاحهم ونضالهم
وجهادهم ضد الغزاة المحتلين أعداء الله
وأعداء الدين، وتخليص المسجد الأقصى
أولى القبلتين وثالث الحرمين الأسير الآن في
أيدي اليهود القتلة السفاحين.

ما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى أمثال
أبي بكر الصديق، وعثمان بن عفان،
وعبدالرحمن بن عوف ليقدموا أموالهم
لإعانة المسلمين الواقعيين تحت ظلم وقهر
الملحدين أعداء الإسلام والمسلمين في
الفلبين والشيستان وكشمير وكوسوفا
والبلقان.

إن العالم الإسلامي فيه آلاف الأغنياء
الموسرين الذين يملكون من المال ملايين
الملايين لو أخرجوا زكاة أموالهم فقط ووجهوا
بعضها لتحرير فلسطين والأقصى لثم ذلك
وعلت كلمة الله، فما بالنا لو اتخذوا أبا بكر
الصديق، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن
عوف قدوة ومثلاً وتجاوزوا الزكاة المفروضة
وأنفقوا فضلاً من أموالهم في سبيل الله!!!
نأمل ونرجو.

ومع كل هذه الصدقات كان سيدنا
عبدالرحمن بن عوف يبكي متألماً ويقول:
أخاف أن يكون الله - عز وجل - بما أملك من
مال قد عجل لي الثواب في الدنيا، وأخذت
عيناه تدمعان، فقال أحد جلسائه: ما
يبكيك يا أبا محمد؟ فقال لقد مات رسول
الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز
الشعير، وها أنا أكل الخبز باللحم؟

كما أتى مرة بطعام شهى وكان صائماً
فلما رأى اللحم والمرق رفع يديه، وقال
لجلسائه: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني
وكفن في بردة إن غطت رأسه بدت رجلاه
وإن غطت رجله بدا رأسه، وقتل حمزة بن
عبدالمطلب وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن
به، وها نحن أولاء بقينا لنأكل ونلبس
ونتنعم وقد خشينا أن تكون حسانتنا قد
عجلت لنا.

رضى الله عنك يا سيدنا عبدالرحمن بن
عوف، يا أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام،
وأحد المبشرين بالجنة، يا صاحب الهجرتين،
يا من نلت رضا رسول الله ﷺ فدعا لك
بالبركة والخير، يا من كنت موضع ثقة سيدنا
أبي بكر الصديق، وموضع ثقة سيدنا الفاروق
عمر بن الخطاب، يا من قضيت على الفتنة
عند اختيار خليفة المسلمين بعد مقتل سيدنا
عمر بن الخطاب فأخرجت نفسك من
المرشحين للخلافة ودعوت بالبيعة لسيدنا
عثمان بن عفان، يا من سخرت مالك لخدمة
الدعوة الإسلامية وجعلته حقاً لكل محتاج
وفقير.

قصة العذر

لَا تُسْجِرْ بِغَيْرِ الْكَلِمَةِ

للإستاذ / شوقي محمود أبو ناصح

كان الحنين إلى الأحباب أقوى من كل مشاعر الخوف لدى العائدين من مهجرهم «أرض الحبشة» ولهذا لم يستجيبوا للرأى الذى نادى بضرورة العودة أذراجهم - إلى جوار النجاشى - مادامت قريش لا تزال على عنادها وكفرها، وتعذيبها لكل من يشح الله صدره للإسلام، مع أنهم قطعوا أياما وليالي رحلة العودة فى فح غامر، وإن بعضهم ليود لو أوتى جناحين يطير بهما إلى الأعزة فى أحب أرض الله إلى الله (مكة المكرمة). وإن الخيال ليصور لبعضهم أن رقة اكتتفت الوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبى معيط، وأبى جهل بن هشام، وأبى سفيان، وغيرهم من صناديد قريش بعد دخولهم الإسلام - كما أشيع فى أرض مهجرهم «الحبشة» - وقد يسرف أحدهم فى تصورات، فيتخيل أبى لهب بغير رايات الحمير، وأسماء بنت مخزوم (أم أبى جهل) وقد بدأت تنافس السيدة خديجة فى تعصيد الدعوة.



التعذيب مبلغا كبيرا، وأنت في حاجة إلى أن تتقوى على العبادة واحتمال الإيذاء.. أرجوك.. لا ترد يدى بهذه القطعة الصغيرة من اللحم.

واحتملت خولة الطعام دون أن يصيب منه عثمان، وعادت لتجلس إلى جواره لعله يفضي إليها ببعض همومه، وبعد فترة من الصمت لا تدري أطالت أم قصرت، تحركت شفتاه، وبدأ يتكلم في هدوء:

- ما رأيك ياخولة لو دخلت في جوار الوليد بن المغيرة؟

كانت الفكرة مفاجئة لها، فهي تعلم مدى اعتزاز زوجها بعقيدته وكرهيته الاستعانة بمشرك، ولكنها أجابت في سرعة وهي تخشى أن يغير عثمان رأيه:

- نعم الرأي يا عثمان.. وقد دخل كثير من إخوانك في جوار بنى عمومته من المشركين.. كان أبوسلمة في جوار أبي طالب.. وأبوسلمة مخزومي كما تعلم، حتى أبوبكر الذي كان سيد بنى تيم محتلا مكانة عبدالله بن جدعان.. هل تتصور أنه دخل في جوار ابن الدغنة؟.. على بركة الله قم.. قم يا عثمان حتى نحس الأمن ولو لأيام إلى أن يعز الله دينه.. قم.

وذهب عثمان بن مظعون إلى الوليد بن المغيرة ليجيره، فأخذه الوليد من يده وانطلق به إلى الحرم ينادى:

- يا معشر قريش.. إني أجرت عثمان بن مظعون، فلا يتعرض له أحد إلا بخير.

مضى عثمان أياما يسير في طرقات مكة، ويختلف إلى أسواقها ويطوف حول الكعبة آمنا

فما أن أبصروا اليابسة من السبيعة - مرفأ مكة - حتى تواثبوا يدفعهم الشوق إلى الأرض الجببية، يسجدون شكرا لله ثم يغذون السير إلى القرية التي انبثق منها نور الهداية، ولم تمض ساعة من نهار حتى انقبضت القلوب التي كانت ترقص بين الضلوع، وتحول شعور البهجة إلى ضيق ممض، وتسمرت الأقدام التي كانت تنهب الأرض منذ قليل، وأطلت الحيرة من المحاجر، فقد لقوا ركبا قادمًا من مكة وسألوهم عن قريش فأخبروهم أن العداوة بين قريش والمسلمين قد ازدادت شدة، وازداد المشركون ضراوة، وما كان الخبر الذي سمعوه في الحبشة عن إسلام قريش - بعد نزول الوحي بسورة النجم - إلا شائعة أطلقها عمرو بن العاص ليعيد بها المسلمين من مهجرهم الآمن إلى قريش لينالوا أنصبتهم من الاضطهاد والعذاب بعد فشله في استعداد النجاشي على المسلمين، وعودته يلوك مشاعر الخيبة.

كان لابد من المشاورة في هذا الأمر الجلل، وصاح أكثر من صوت يدعو إلى ضرورة العودة إلى حيث الأمن في الحبشة، ولكن تيار الحنين الجارف كان أشد في الدعوة إلى المغامرة بدخول مكة لإرواء غلة الشوق بمراى الأحبة من الأهل والخلان، وتسئلوا مستخفين إلى الدور، حتى لا تبصرهم أعين فتنكل بهم قبل إطفاء نار الشوق إلى الأحبة.

جلس عثمان بن مظعون شاردا لا يكاد يتنبه إلى إلحاح زوجته - خولة بنت حكيم - عليه أن يتناول لقيمات يقمن صلبه:

- يا عثمان.. إنك لم تتناول طعاما من البارحة، وسهرت طول ليلتك تتهجد، وقد بلغ منك



دون أن يتعرض له أحد من المشركين بأذى، ولكنه حز في نفسه أن ينظر إلى أخوانه من المستضعفين وقد اشتد المشركون في تعذيبهم، وتجرع مرارة الحزن على نفسه، إذ شعر أن دخوله في جوار مشرك ما هو إلا هروب من التضحية في سبيل العقيدة، فلم يهرب من المواجهة ولو تلقى ألوان الاضطهاد؟.. أهو أقل من إخوانه إيماناً أو احتمالاً للأذى، ليس من الإيمان ولا من المروءة أن يكون بمنجى مما يلاقيه المسلمون من محن.. وإذا برجليه تسوقانه إلى دار الوليد بن المغيرة ليقول له:

- وف ت ذمتك . وقد رددت إليك جوارك
فيتعجب الوليد قائلاً:

- يا ابن أخى .. لعلك لقيت من أحد من قومي أذى، فسأكفيك ذلك .
- والله ما لقيت أذى من أحد ... ولكننى أراضى بجوار الله - عز وجل - والله لا استجير بغيره .

- إذا فانطلق إلى الحرم ورد على جوارى علانية أمام الناس كما أجزتك علانية .
- وانطلقا إلى الحرم ليعلم عثمان بن مظعون فى شجاعة:

- قد رددت جوار الوليد بن المغيرة، وقد وجدته وفيًا كريم الجوار ولكنى لا أستجير بغير الله .

جلس لبید بن ربیعۃ متصدرا الحلقة فى أحد نوادی قریش ینشدھم من شعره:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فيقول له عثمان فى إعجاب:

- صدقت

فيترنم لبید بعجز البيت:

وكل نعیم لا محالة زائل

فيصرخ فيه عثمان:

- كذبت .. نعیم الجنة لا يزول .

فيغضب لبید ويلتفت إلى السادة الذين يجلسون حوله، وإلى الشباب المعجبين بشعره:

- يا معشر قریش .. ما كان يؤذى جلیسکم .. فمتى حدث هذا فيکم؟

فيشير أحد الجالسين إلى لبید معتذرا:

- معذرة يا لبید فإنه سفیه .. وإنه لسفاهته فارق ديننا واتبع محمدا فيما جاء به، فلا تجدن فى نفسك .

- بل أسلمت لله رب العالمين وتركت عبادة الأصنام الشواء التى لا تعدو كونها أحجارا صما لا تضر ولا تنفع .

فقام هذا الرجل محققا ولطم عثمان لطمۃ شديدة على عينه .. والوليد بن المغيرة ينظر متعجبا ويذكر عثمان بما كان يلقاه من منعة فى جواره:

- والله يا ابن أخى لقد كانت عينك عما أصابها لغنية، ولقد كنت فى ذمة منیعة فرددتها، وما كان أغناك عما لقيت .

فينظر إليه عثمان ليقول فى ثبات:

- بل كنت إلى الذى لقيت فقيرا .. والله إن عینى الصحيحة التى لم تلطم لفقرۃ إلى ما أصاب أختها فى الله - عز وجل - ولى فيمن هو أحب إلى منکم أسوة .. وإنى لفى جوار من هو أعز منك .





طريق الحق شاك

للمستاذ الدكتور / عبد الحليم مفتي

كثيرا ما يجد بعض الناس غرابة وعجبا في أمور تأتي في عكس ما كانوا يتوقعونه وينتظرونه، فيعجبون مثلا حين يجدون شخصا مؤمنا صالحا مستقيما كانوا يتوقعون أن يسبغ الله عليه من النعم الظاهرة، وأن يمتعه من الدنيا بما يحرم منه آخرون، فإذا هم يجدون هذا المؤمن الصالح المستقيم غارقا في البلاء أحيانا، مثقلا بالمصائب والمكاره أحيانا أخرى.

ويجدون شخصا جادا في الدعوة إلى الله، مجتهدا في حفر الناس إلى عمل الخير، وقد يكون مضجيا في سبيل إقامة مشروعات دينية وخيرية تضحيات يشق على غيره أن يتحملها، فيتوقعون أن يذلل الله له سبيله، وأن يحميه من أي أذى يصيبه، وأن يعطف نحوه قلوب الناس ليؤازروه إن كان في حاجة إلى مؤازرة، ويدافعوا عنه إن كان في حاجة إلى دفاع، ولكنهم يجدونه في عكس ما كانوا يتوقعون، يجدونه أحيانا غارقا في البلاء من الله، وأحيانا غارقا في الأذى من الناس.

المؤمنين والخيرين، وقد تذهب ظنونهم في هذا كل مذهب، من نحو أن ينشروا ويشيعوا بين الناس أن هؤلاء الذين كنتم تظنون بهم الخير، وترونهم يتمسحون بالدين، أو تجدونهم يتخفون وراء مشروعات الخير، إن هم إلا شياطين مردة، ومجرمون محترفون، ثم يتبارون في أن يلصقوا بهم ما يشاءون من أوصاف السوء، وكثير من الناس ينخدعون بما يشيعه هؤلاء الموغلون في الجهالة، لأن عامة الناس

وهكذا في أمور كثيرة يرى فيها عامة الناس حيرة للعقول، وتناقضا مع ما يتوقعون، وقد يقول السفهاء من الناس: لماذا يصب الله البلاء على المؤمنين؟ ولماذا يتركهم عرضة للأذى والاضطهاد من الناس في كثير من الأحيان؟ ولماذا يمتنع الله غير المؤمنين أو غير المستقيمين بما يشتهون من متاع الدنيا؟

وقد يوغل بعض السفهاء في جهلهم وسفاهتهم فيظنون السوء بمن يصيبهم البلاء من



والحجا هي بالعقول، بمعنى أن الأرزاق لو كانت توزع بمقدار العقول لماتت البهائم جوعا حيث لا عقول لها، وكذلك كل ما يتنافس الناس فى الوصول إليه لا يجرى عليه منطق عقلى، فحتى المناصب التى يفترض أن تسند إلى من هم كفء لها، كثيرا ما نرى فيها من لا يصلح لها، بل ولا يصلح لأى شئ ذى قيمة، وقد نجد موظفا صغيرا فى أدنى درجات المؤسسة التى يعمل فيها وهو أكفأ وأصلح للمنصب الذى يشغله أعلى شخص فيها .

والناس يعرفون هذا وماهو أكثر من هذا، ويتحدث به كثير منهم على أنها أمور عادية مألوفة لا تحتاج إلى عميق فكر لاستنباطها، ولا إلى دقيق خبرة لاكتشافها، ولكنهم لا يتدبرونه، ولا يستفيدون منه فى نظرتهم إلى الأمور ليربطوها بمصدرها الحقيقى وهو قدر الله، الذى يقدر كل شئ، كبيره، وصغيره، خيره وشره، لحكمة بالغة، تعلو فوق عقول البشر، فهم إذن لم يرجعوا إلى حكمة أو تجربة، ولم يردوا الأمور إلى مصدرها الحقيقى .

وأما أنهم لم يرجعوا فى أحكامهم وظنونهم إلى الدين، فإن جهالتهم فى هذا الجانب أدهى وأمر، حيث كان ينبغى أن يعلموا أن المكافاة والآلام هى طريق المؤمنين، ونصيب الصالحين من مكافاة الحياة هو النصيب الأوفى، بينما نصيب الفاسدين والمفسدين من نعيم الدنيا ومتاعها بالعكس هو النصيب الأوفى .

والأنبياء وهم قمة البشر منزلة وفضلا عند الله هم أشد الناس ابتلاء كما فى الحديث

يتأثرون بما يلقى فى أسماعهم أكثر مما تحكم به عقولهم، لأنهم فى أغلب الأمر لا يلجأون أصلا إلى العقول، وإنما ينقادون لما يلقى فى آذانهم، كما يقول أحمد شوقى عن هذا القطاع من الناس : (ياله من ببغاء عقله فى أذنيه) ومن الأمثلة القريبة الشائعة فى هذا المعنى أنه حين يلم الفقير بأحد الأغنياء، أو يصاب شخص بكارثة أو مصاب، فمهما يكن من إيمان هذا الشخص أو ذلك الغنى، ومهما يكن نزوعهما إلى الخير، فيندر أن يقال : إنه ابتلاء أو امتحان من الله، بل قد نسمع أنه انتقام من الله، وقد يتبارى بعض الناس فى استعراض حياة الذى أصابه البلاء ليستخرج منها مايراه أخطاء ليزعم أن هذه الأخطاء هى التى كانت سببا فيما أصابه، ولا يتحرج بعضهم من أن ينسج من خياله ما يشاء ليضخم هذه الأخطاء أو يضيف إليها ما يريده أو يختلق منها ما يحلو له .

وإنما يوصف الذين يصدرون أحكامهم تلك على الذين يصيبهم البلاء، ويطنون بهم الطنون بأنهم موغلون فى الجهالة لأنهم لم يرجعوا فى أحكامهم وظنونهم إلى دين أو حكمة أو تجربة .

فأما عن الحكمة والتجربة، فلأنه لا ارتباط واقعا بين الغنى أو كل متاع الدنيا وبين المقومات الذاتية فى الإنسان، فكم من ساذج أحقق تفيض عليه الدنيا من أموالها ومظاهرها، بينما أصحاب الفكر والعلم والفضل يرزحون تحت أعباء الفقر والحاجة فى أغلب الأحيان، وقديما قال المعرى :

لو كانت الأرزاق تجرى على الحجا
هلكن إذن من جهلهن البهائم



قمته أن يحكموا عليه بالموت، أى بالقتل، وليس قتلا عاديا فى أية صورة من صور القتل المألوف، وإنما حرقا بالنار، وليس أيضا حرقا عاديا بنار تشعل فيه فتحرقه أو تلاحقه، وإنما بنار مستعرة فى آتون من الجحيم، بأن يبنى بناء تكدر فيه أكوام من الخشب، ثم تشعل النار فى هذا الآتون:

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْخِجِيمِ﴾^(٥).

ولكن الألم النفسى لإبراهيم منذ صدور الحكم بإعدامه، ثم باختيار النار لتكون هى الوسيلة للإعدام، ثم البناء الذى يرى إبراهيم ويعلم أنه سيعد ليكون موقع الإعدام، وإبراهيم بشر، فلا شك أن هذا كله سيكون زيادة فى إيلاسه نفسيا، ولكن إيمانه وثباته أمام البلاء كان أقوى وأعظم من كل ما حوله، ومن كل ما أعدوه لإعدامه، وألقوه فعلا فى الجحيم، وهم دون ريب يتمنون أن يتراجع عن صموده على دعوته ليطلقوا سراحه، بل ويقدموا إليه ما يتمنى، ولكنه لم يتراجع ولم يتردد، بل أقدم على الجحيم ثابتا مطمئنا، متقبلا كل ما ينتظره من ألم وعذاب بدنى بشع، ولكن الله - سبحانه - كما رفع عنه البلاء فى اللحظة الأخيرة قبل ذبح ابنه، فكذلك دفع عنه البلاء فى اللحظة الأخيرة قبل أن تلتهمه النار وهو فى قلب الجحيم:

الشريف (أشد الناس ابتلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)^(١) بمعنى أن البلاء مرتبط بعلو المنزلة عند الله شدة ويسرا، والأنبياء هم أعلى الناس منزلة، فبلاؤهم أشد البلاء، ثم الذين يلون الأنبياء فى الفضل يلونهم فى نصيبهم من البلاء وهكذا، وحتى الأنبياء كان نصيب كل منهم من البلاء بمقدار منزلته بين النبیین، فحيث كان إبراهيم - عليه السلام - قد بلغ درجة أن يصفه الله - سبحانه - بأنه خليله كما فى القرآن الكريم:

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٢).

فقد تعرض لأنواع من البلاء سواء من جانب الله مباشرة، أو من جانب الناس لم يتعرض لها نبي سواه، فأما ما كان من جانب الله مباشرة فقد كانت قمته ابتلاؤه بأن يؤمر بذبح ابنه الوحيد بيده وليس بيد غيره. ورغم أنها رؤيا منام إلا أنه يعلم أن منام الأنبياء كاليقظة:

﴿يَبْنِيْ اِيَّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اَنۡيۡ اَذۡبَحُكَ﴾^(٣).

ويهم إبراهيم بالذبح دون تردد على ما فى هذا من إيلاص لا تعبر عنه الكلمات ولا فيض الألفاظ، لولا أن الله أمره بالتوقف عن ذبح ابنه:

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾^(٤).

وأما ابتلاء إبراهيم - عليه السلام - من جانب الناس ممثلين فى أصحاب السلطات فقد كانت

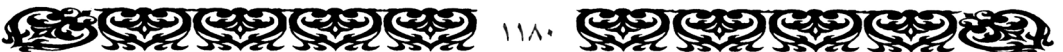
(١) المستدرك (٣٤٣/٣) اتحاف السادة المتقين (١٢١/٨)، ٥٥٩، ٥٦٠.

(٢) الصافات (١٠٢).

(٣) النساء (١٢٥).

(٤) الصافات (٩٧).

(٤) الصافات (١٠٧).





﴿قُلْنَا إِنَّا نُؤْتِيكَ بِكَوْنٍ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦).

فبمقدار منزلة إبراهيم كان ابتلاؤه من الله ومن الناس، وعن شدة بلاء إبراهيم يقول سبحانه:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْبَسُوا الْمُؤْمِنُ﴾ (٧).

والتعبير يتضمن ما يعرف في البلاغة بأسلوب القصر، أى أن ما تعرض له إبراهيم من البلاء هو الذى يوصف وحده بأنه بلاء مبين، وما دونه من أنواع البلاء لا تنطبق عليه هذه الصفة، ويؤكد القرآن هذا بلام التأكيد ﴿هُوَ أَلْبَسُوا الْمُؤْمِنُ ٠٠﴾.

ولولا أن الناس هجروا القرآن كما يقول تعالى:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنِّي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٨).

لولا هذا لكان واضحا لديهم أن القرآن يؤكد فى كثير من محكم آياته أن الابتلاء فريضة كتبها الله على المؤمنين، وأنه سنن من سنة الله الثابتة فى كل العصور والأجيال، ومن ذلك خطاب الله لرسوله وللمؤمنين بأسلوب التأكيد:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّعْرِتِ وَبَشِيرٍ لِّلْصَّادِقِينَ﴾ (٩).

بل إن الله يسوق هذا المعنى فى أسلوب الاستنكار، أى أن الله ينكر على الذين يتصورون أن الله يقبل ادعاء الإيمان دون أن يختبر مدى صدق المدعين للإيمان فى هذه الدعوى؟ والآية التالية لها تزيد المعنى وضوحا وتأكيدا:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (١٠).

وكان من التطبيق العملى لهذه السنة أكثر من موقف فى حياة المسلمين على عهد رسول الله ﷺ، ومن ذلك موقعة «أحد»، التى هزم المسلمون فيها هزيمة مرة غير متوقعة، فقد كان المسلمون خارجين من النصر المدوى فى موقعة «بدر»، ثم كانوا فى «أحد» أضعاف عددهم فى «بدر»، ومعهم رسول الله، وفى ظاهر الأمر كيف ينهزمون خصوصا وأن الرسول يكرر لهم وعد الله إياه بالنصر؟ ولكنهم كانوا حينذاك هم الأساس الذى سببنى عليه صرح الإسلام، فلو أنهم انتصروا فى «أحد» بعد نصرهم فى «بدر» لتدافع ضعاف الإيمان والطامعون نحو الإسلام ودخلوا فى الأساس الذى ستقوم عليه أمة الإسلام فىكون حينئذ أساسا واهيا ضعيفا، ولكن الله يريد أن يحصمهم حتى لا يبقى فى الإسلام حينئذ ولا يدخل فيه إلا الصادقون المخلصون، ليتحقق قوله تعالى:

﴿وَلَيُمَحِّصَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (١١) أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١).

(٧) الصافات (١٠٦).

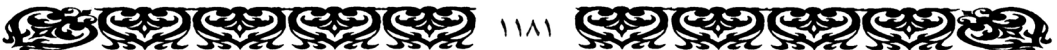
(٩) البقرة (١٥٥).

(١١) آل عمران (١٤١، ١٤٢).

(٦) الأنبياء (٦٩).

(٨) الفرقان (٣٠).

(١٠) العنكبوت (٣).





الحصول على الشهادة العظمى وهى الإيمان بدون اختبار؟

وقد يقال: فإن بعض المؤمنين قد يبتلون ثم يعود إليهم البلاء، وقد يتعرضون للابتلاء بالأذى مرة أو مرات متكررة، أفلم يكن الابتلاء الأول كافيا؟ والجواب أنه أيضا لو أراد طالب أن يتدرج ويترقى فى مراحل التعليم فهل يكفيه امتحان واحد؟ أم لابد من تكرار الامتحان كلما انتقل إلى مرحلة أعلى وأراد أن يجتازها؟ وكذلك من يريد أن يتدرج فى القرب من الله، وأن ترتفع منزلته عنده، يتعرض للاختبار عند كل درجة يريد أن يرتفع إليها.

وليس معنى ذلك أن كل ما يصيب الناس من مكاره وأذى هو ابتلاء، بل قد تكون هذه المكاره انتقاما من الله وعقابا، وآية الابتلاء وعلامته أن من يتعرض للابتلاء من المؤمنين يكون صابرا صامدا لا يتزعزع فى أثناء الابتلاء، فإذا انكشف البلاء عاد المؤمن قويا ثابتا كأن لم يصبه شئ، ولذلك نلاحظ أن القرآن الكريم يختم الحديث عن البلاء غالبا بالصبر، سواء أكان البلاء من الله مباشرة كقوله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٣)

وإذن فالمؤمنون والدعاة إلى الإيمان، والصالحون والدعاة إلى الصلاح، وأهل الخير والدعاة إلى الخير هم العرضة للبلاء والشدائد، وهم الذين تزرع فى طريقهم الأشواك والآلام، وهم الذين ينالهم الأذى من سفهاء الناس وشرارهم، ومن الموغلين فى الجهالة والغى، ليكون هذا الأذى هو الغربال الذى يميز الأصالة عن الحثالة، فأما ذوو الأصالة، والإيمان فيثبتون، وأما الحثالة فتسقط إلى قرارها المهين، كما يقول تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١٢).

وحتى لا يجد الناس فى نفوسهم حيرة أو عجبا فإن الله - سبحانه - جعل سنن الدين تسير على منهجهم الذى يالفونه فى حياتهم ولا ينكرونها، ومنه منهج الابتلاء والاختبار، فلو أن طالبا يريد أن يحصل على شهادة بالنجاح فى أية مرحلة تعليمية فكيف يحصل عليها بدون امتحان؟ وهل يوجد مكان فى العالم كله يبيح منح هذه الشهادة بدون امتحان؟ بل إن الامتحان شرط فى الشهادة بالنجاح فى أية مهنة كالنجارة أو الحدادة أو السباكة أو غير ذلك، فكيف





أم كان البلاء عن طريق الناس كالذى يصيب الدعاة إلى إتيان المعروف والانتهاه عن المنكر ويلاحقهم من أذى الناس كقوله تعالى على لسان لقمان :

﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ (١٤)

والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم من الدعاة، وهم الذين ينتظرون عادة الأذى، وكما أن علامة الابتلاء الصبر والثبات، فإن علامة العقاب انهيار المعاقب وعدم استطاعته الثبات أو استعادة ما كان عليه قبل العقاب، والحديث الشريف يرسم صورة فنية رائعة للفارق بين المبتلى والمعاقب عند حلول الابتلاء أو العقاب، وهى (مثل المؤمن كالخامة من الزرع من حيث أتها الرياح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، ومثل الفاجر كالأرزة الصماء لانزال حتى يقصمها الله إذا شاء) (١٥) والخامة من الزرع المراد بها النبات اللين العود كالقمح والشعير، تظل الرياح تكفه فيعتدل، وتكفه فيعتدل، ولكنه لا يسقط، وإنما يعود معتدلاً، وهكذا

حال المؤمن، يظل البلاء يكفه فيعتدل، ثم يكفه فيعتدل، وهكذا، ولكنه لا ينهار ولا يسقط، وأما الفاجر المغضب لله فإن الله يتركه شامخاً كشجر الأرز المعروف فى الشام بانتصابه وعلوه فى الفضاء، ويظل هكذا، ولكنه حين يسقط لا يمكن أن يعتدل مرة أخرى، فالله يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

ومن ناحية أخرى فإن الواقعين تحت البلاء من المؤمنين حين يثقل عليهم البلاء ويقسو ويتراءى لهم شبح اليأس، حينئذ يظهر الفرج، من باب قوله تعالى :

﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ (١٦) .

وإذن فطريق الخير والإيمان شائك، كما أن طريق الشر جذاب براق، وهذا مضمون الصياغة الحكيمة الموجزة: (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات) (١٧) .

(١٤) لقمان (١٧) .

(١٦) يوسف (١١٠) .

(١٥) رواه أحمد (٦، ٢٨٦) .

(١٧) رواه أحمد (٢/٢٦٠، ٣٠٨) .





﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
التوبة (٤١)

من قادة الفتوحات الإسلامية

عدى بن حاتم الطائى

إعداد الأستاذ / أحمد السيد فقي الدين

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(١).

كلمات كريمة من آى الذكر الحكيم ترددت أصداؤها فى أرجاء جزيرة العرب كأنها صدى لصوت رسول الله ﷺ وهو يحطم أصنام قريش فى مكة.. كلمات بثت الرعب والفرع فى قلوب رؤوس الكفر فى سائر أرجاء الجزيرة العربية.

لرسول الله ﷺ حين سمع به منى، أما أنا فكنت امرءا شريفا، وكنت نصرانيا، وكنت أسير فى قومي بالمرباع^(٢)، فكنت فى نفسى على دين وكنت ملكا فى قومي لما كان يصنع

ومن هؤلاء كان رجلنا (عدى بن حاتم الطائى) الذى نتركه يروى لنا رحلته من الضلال إلى الهدى: يقول رضى الله عنه: - «ما من رجل من العرب كان أشد كراهية

(٢) أى أخذ ربع الغنائم لأنى سيدهم.

(١) الإسراء (٨١).



وولدك، وتركت بقية والدك عورتك (تقصد نفسها) فقال لها عدى: أى أخية، لا تقولى إلا خيرا، فوالله مالى من عذر، لقد صنعت ما ذكرت. ثم سألهما: ماذا ترين من أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن تذلل وأنت أنت. قال: والله إن هذا الرأى .

وهكذا نجحت شقيقة عدى فى أن تلين قناة أخيها وتجمعه برسول الله ﷺ عسى الله أن يشرح صدره للإسلام.

والله ما هذا بملك

فخرج عدى بن حاتم من الشام حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل عليه وهو فى المسجد فسلم عليه، فقال رسول الله ﷺ: « من الرجل؟ » فأجابه قائلا: عدى بن حاتم؛ فقام رسول الله ﷺ فانطلق به إلى بيته، وفى الطريق استوقفت امرأة ضعيفة رسول الله ﷺ، فوقف لها النبى طويلا تكلمه فى حاجتها، فقال عدى فى نفسه والله ما هذا بملك؛ ثم واصل السير إلى بيت رسول الله ﷺ فدخل، وتناول الرسول وسادة

بى. فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لى: لا أبا لك، أعدد لى من إبلى أجمالا ذللا^(٣) سمانا فاحتبسها قريبا منى، فإذا سمعت بجيش لمحمد وقد وطىء هذه البلاد فأذنى، ففعل، ثم إنه أتانى ذات غداة فقال: يا عدى ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد، فاصنعه الآن فإنى قد رأيت رايات فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد^(٤).

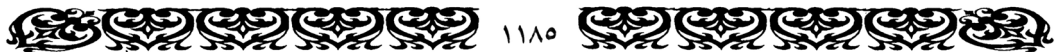
وذعر عدى فحمل أهله وولده على الابل التى أعدها سلفا وقال فى نفسه: « الحق بأهل دينى من النصارى بالشام ».

ابنة حاتم الطائي

ويأسر رجال رسول الله ﷺ ابنة حاتم الطائي، وقدموا بها على رسول الله ﷺ فأكرمها رسول الله ﷺ وفك أسارها وما لبث أن شرح الله صدرها للإسلام وطمعت فى إسلام شقيقها فغادرت المدينة بعد أن استأذنت من رسول الله ﷺ متجهة إلى الشام باحثة عن أخيها تعرض عليه أمر الإسلام آملة أن يشرح الله صدره فلما التقت به عاتبته قائلة: « القاطع الظالم .. احتملت بأهلك ،

(٤) ابن هشام ١/٥٧٨.

(٣) الجمل السهل الذى قد ريض.



وينتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وترتد العرب عن الإسلام ويرفض الخليفة الصديق أن يهادن أى مرتد ويصر على حربهم جميعا .

ويرسل الصديق خالد بن الوليد لحرب « بنى أسد » حيث كان طليحة بن خويلد الأسدى قد ادعى النبوة، ويخرج خالد بجيشه قاصدا بنى أسد، وكان فيمن خرج معه عدى بن حاتم الطائى الذى ثبت على إسلامه وقدم على أبى بكر بالمدينة بإبل الصدقة فيرسل طليحة إلى « جديلة » و« الغوث » أما طيء ذاتها فكانت قد ارتدت عن الاسلام، فقصدها خالد بن الوليد .

وعلم عدى بما كان من قومه فاستمهل خالداً أياما ليثنى طيئا عن ردتها وأفلح فى ذلك بل ونجح فى استرجاع خمسمائة فارس أرسلتهم (غوث) لمساندة طليحة .

فاستبشر المسلمون وحمدوا الله أن عادت طيء إلى الإسلام بغير قتال ولكن بقيت « جديلة » عندها أدرك خالد مالعدى من تأثير فى قومه فقرر أن يستفيد من هذا التأثير فخاطب عديا قائلا : يا أبا طريف ألا

من آدم محشوة ليفا فقدمها لعدى قائلا : أجلس على هذه؛ فقال له عدى : بل أنت فاجلس عليها، فقال له الرسول ﷺ : بل أنت، فجلس عدى عليها، وجلس رسول الله ﷺ على الأرض. فقال عدى فى نفسه : والله ما هذا بأمر ملك . ثم قال له رسول الله ﷺ : « إيه يا عدى بن حاتم ألم تك ركوسيا(٥) قال عدى : بلى قال رسول الله ﷺ : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع؟ قال عدى : بلى . قال رسول الله ﷺ : فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك . قال عدى : أجل والله . فقال له رسول الله ﷺ : لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم (يقصد المسلمين) فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه انك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم . وأيم الله ليوشكن أن تسمع القصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم »(٦) .

عندها أسلم عدى ونطق الشهادتين بين يدى رسول الله ﷺ ليكسب الإسلام رجلا وأى رجل .

(٥) قوم لهم دين بين النصارى والصابئة..

(٦) ابن هشام ١/٥٧٩ .



نسير إلى جديلة؟»

مطمئنا تماما إلى حسن إسلام قومه، وكان

هناك حلف يربطهم ببني أسد، فإذا ما انهزموا قيل اختارت طيء حلفها مع طليحة وبني أسد، على الإسلام فتلحقها معرة ما بعدها معرة وهكذا أصبح مطلوبا من بني

طيء أن ينتصروا فقط، دفاعا عن الإسلام أولا، وعن كرامتهم وشرفهم ثانيا، أدرك عدى هذا فالح على خالد بأن يجعل قومه فى المقدمة فقال له خالد: «يا أبا طريف إن الأمر قد اقترب، وأنا أخاف أن أقدم قومك فإذا لحمهم القتال انكشفوا فانكشف من معنا، ولكن دعنى أقدم قوما صبرا لهم سوابق، وهم من قومك» يقصد المهاجرين والأنصار» فقال له عدى: «الرأى ما رأيت» وبدأت المعركة، وأبلى قوم عدى بن حاتم البلاء كله فى القتال.

وهكذا حقن عدى دماء قومه فى حروب الردة وحفظهم للإسلام جندا مظفرة كان لهم الفضل أكبر الفضل فى فتوح فارس.

(يتبع)

فقال له عدى: يا أبا سليمان لا تفعل، أقاتل معك بيدين أحب إليك أم بيد واحدة؟ فقال خالد: بل يدين فأجابه عدى: فإن جديلة إحدى يدي.

فكف خالد يده عن جديلة، وأوفد إليهم عدى بن حاتم آملا أن يجرى الله الخير على يديه فدعاهم عدى إلى الإسلام فأسلموا، فحمد الله، وسار بهم إلى خالد وهم فى أهبة الحرب، فلما رآهم خالد فى عدتهم ظن أنهم جاءوا لحربه فنادى فى جيشه، ف قيل: إنما هى جديلة أتت تقاتل معك، ففرح خالد بهم وضمهم إلى جيشه وعقد لواء طيء وغوث وجديلة لعدى بن حاتم الطائى، وكانت جملتهم ١٠٠٠ مقاتل بكامل عتادهم وسلاحهم فارتفع عدد جيش خالد من أربعة آلاف إلى خمسة آلاف.

اجعل قومي مقدمة أصحابك

وسار خالد بالجيش يقصد بني أسد فلما اقترب منهم قال عدى لخالد: «يا أبا سليمان اجعل قومي مقدمة أصحابك» كان عدى



فرائية نَسْتَشْدُ (١)

بقلم / أبو عسام

صعدت روحها إلى عالم الغيب كعطرٍ يفوح بين الزهور
لم تكدْ تنتمى إلى الخلد حتى
الطيور الرخيمة الشدو غنت
في ابتهاج، أحبُّ بشدو الطيور
والعناقيد في الكروم أكف
صافحتها في نشوة الخمر
تلك حباتها النضيدة صارت
لؤلؤا في إكليلها المصفور
خطرت كالنسيم طاف على الرو
ض فأضحى مضمخا بالعبير
زَيْن الخلد أوجه حين وافته
ببدرٍ يتيه بين البدر
أخذت نايها الحزين وغنت
بين أترابها بلحن مرير
وعويل «يهيج حر» الصدر؟
ر حشيثا لقلبها الموتور
ليس ينسى فؤادها في فلسطين أنينا يذيب صم الصخور
فأجابت شهيدة «تطلب الثأ

يا لحسنا في ربي الخلد تبكى
ذكرت مصرع العدالة في دنيا
أحيطت بجاثمات الشرور
كلما شع من سنا الحق ضوء

(١) هي الشهيدة : حياة بلاسي.

طالما غَامَرَتْ مع الإخوة الغا
رفعت راية البطولة فأعجب
تبصر القاذفات تهوى مع
تبريء الجرح، تَغْسِلُ الدمع، تزكى
ما أجل النضال تلبسه الغيد
أبتغى أن أصوغ فيه قريضى
الكفاح الميرير غال صباها
فتحت للرصاص صدرا وضيئا
تهبط السهل، تعلى الحزن، تعدو
صورتُ رحلة المصاعب منها
سمعتُ فى الدجى البهيم أنينا
بحثتُ عنه وحدها فرأته
حملته رغم الضنى وتولتُ
فإذا العاصف المدمر يهوى
وإذا الغداة النبيلة ذرا
رقدت والجريح فى ساحة
من مجيرى من اللظى يلهب الصدر
زهرة تبهر العيون على الغصن
سُلط المنجل الرهيب عليها
فإذا الروض مآثم تتبأكى
لم أرد أن أصوغ فيها رثاء

دين تحت الدجى كليث هــ
للواء فى كف ظبى غـرير!
الموت، وتمضى لها بقلب جسور
فى بنى قومها لهيب الشّعور
وشاحا مرصّعا بالزهور
فتضيق اللّغى عن التعبير
لهف نفسى على صباها النضير
يتراءى كصفحة البللور
فى ظلام الدجى ووقد الهجير
شبحاً فرّ من وراء الدهور
لجريح يئن تحت الصخور
أبتر الساق، ذا جناح كسير
فى شهيق من الأسى وزفير
طائر العدو كالشهاب المغير
تُتلاشى كيانه فى الأثير
الموت تعب الكرى بطرف قرير!
إذا ما ذكرتها، من مجيرى؟
وفى الكف نسجها من حرير
فطواها الشرى ليوم النشور
فى روايته نادبات الطيور
تلك والله نفثة المصدور



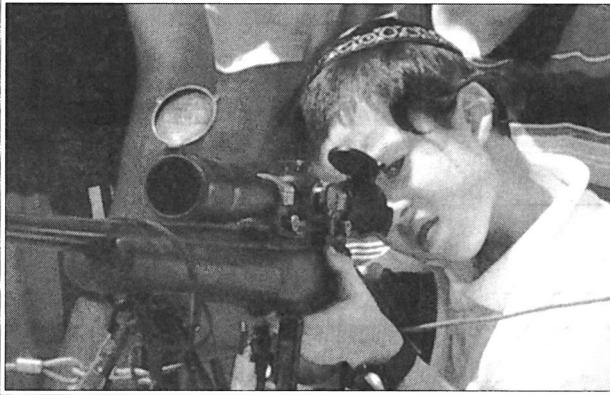
القدس الماضى والحاضر

من ديوان أغاني السحر
للشاعر: عبدالفتاح الطاهر الخطيب

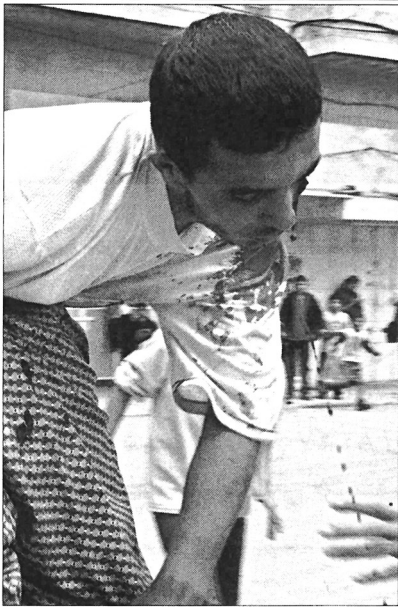
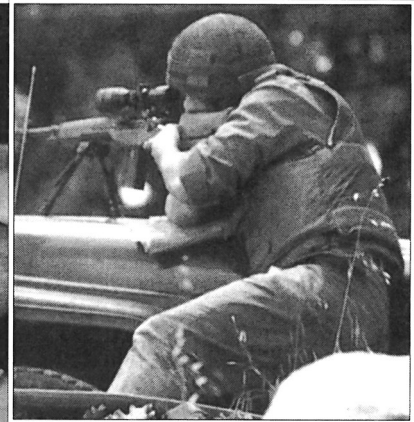
ونفوس العـرب بلا لبس
ما أعظم قدرك يا قدسى
جاءت بالخيـر إلى الإنس
وحـمائم توحى بالأنس
أرض الطفـيان أو الرجس
برعـوا فى الفتنة والـدس
فى ليل ينبىء بالنـحس
وشـعور الفـارق فى الجنس
حبـبات الحنـظل والبـؤس
أشـجار النـقمة واليأس
سـيـذوق المـر من الكأس
يلقى مـنا أقـسى دس
ويكون لقـانا فى عـرس
وسـيشـرق دوما كـالشمس
وعـدوك فى خـزى يمـسى
يـحـميك اللـه من البـأس
بنـضـال الأبطال الخـمس؟؟
فـيـعود الجـسم إلى الرأس
ما أحـمد عـودك يا قدسى
جاءت بالخيـر إلى الإنس

أكـرم بهـواها فى نفـسى
أرض الإـسراء بأحـمدنا
يا مـهـبط وحى رسـالات
فيك الزيتون غدا رمزا
ما كـانت أرضك فى يوم
حتى احتلتك شرادهم
والغـرب يبارك دولتهم
والحق قد الأسود يملأهم
زرعوا فى أرضك ويحـمـو
وغدا يـجنون حـصادهم
ما أسوأ عاقبة البـاغى
من بـعد غـرور كـذاب
وتـعود القـدس لأمتنا
عـرس للنـصر يصـافـحنا
ومـواكب أفـراح كـبرى
يا قدس الحـاضر والمـاضى
ويصـون تـرابك من شـر
ويـعيدك للوطـن الغـالى
ونغنى أخلد أغنيـة
يا مـهـبط وحى رسـالات

ما أحـمد عـودك يا قدسى
ما أحـمد عـودك يا قدسى



إِسْرَائِيلُ مِن الدَّاخلِ



القدس .. بين الصحف والمجلات

اعداد الأستاذ / محمود الفشتي

القدس في قلب كل مسلم، ولم لا؟... فإليها أسرى بالنبى محمد ﷺ وبها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، الذى أحاطه الله بالبركة حيث قال:

﴿سُبْحَنَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَنِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

وأكدت السنة الشريفة على قدسيته، قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، الكعبة ومسجدى هذا والمسجد الأقصى». أخرجه الدارمى.

لهذا فإن للقدس مكانتها التى لا تدانيها أى مكانة، ولكن ما تعانيه المدينة المقدسة اليوم من مؤامرات لتخريبها وتدميرها ومعاناة شعبها وتدنيس أرضها ألهم أقلام الكتاب على مر الأزمان والعصور، نقدم نماذج منها لنعطى للقارئ صورة لما يعانيه الشعب الفلسطينى وما تضج به الأرض المقدسة من مؤامرات تحاك لأجل اغتصاب الأرض والمقدسات.

عروبة القدس

من مقال الأستاذ الدكتور / حسن على خاطر .. مدير عام موسوعة القدس، وعضو المجلس الوطنى الفلسطينى والذى نشرته جريدة «الأسبوع» بتاريخ ٢٧ / ٨ / ٢٠٠١ نقدم هذه المقتطفات التى ضمنها بعض

خطوات يرى أن فيها الحفاظ على عروبة القدس والمسجد الأقصى:

أقول بصوت عال: إن هذا الرمز الإسلامى، رمز المقاومة ورمز الشهادة ورمز القداسة أصبح فى ظل تزايد الهجمات والمؤامرات بحاجة إلى حماية أكبر ليس من أبناء

(١) سورة الإسراء (١).



أحب أن أقول للأمة الإسلامية جمعاء إن نسبة الخراب داخل المسجد الأقصى ومرافقه هي أكبر من الأجزاء المعمورة، فلمصلحة من تنتشر هذه المساحات الخربة داخل أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الرسول ﷺ .

والحقيقة الأخرى التي يجب على أبناء الأمة العربية أن يفهموها بصورة جيدة هي أن الخراب المهيم على أجزاء كبيرة من الأقصى هو فقط الذى يخلط مفهوم الأقصى ويشتهت وحدته فى أذهان المسلمين فى هذا العصر، فالسبيل الوحيد لتجسيد معنى الأقص بمفهومه الكامل هو إعمار هذه المساحات الخربة لتكون بذلك جسماً واحداً متصلاً مع المرافق الأخرى المعمورة كمبنى القبة، ومبنى المسجد وغيرها من المباني الأخرى، خاصة وأنا أعلم وكثيرون آخرون يعلمون أن المصلى المروانى الموجود تحت الساحة الشرقية الجنوبية للمسجد الأقصى كان يوشك أن يحول إلى كنيس يهودى لولا أن سارع عدد من الإخوة الأفاضل إلى إنقاذه عن طريق الإعمار .

الخطوة الثانية :

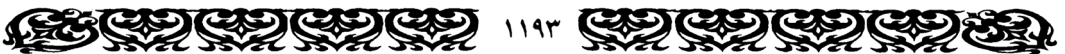
تشكيل لجنة علمية مختصة لإعادة تسمية مرافق المسجد الأقصى بأسماء إسلامية أكثر وعياً بأبعاد اللعبة السياسية المعاصرة، وذلك لتفويت الفرصة على استغلال الاحتلال لساذجة المنطلقات الإسلامية القديمة فى تسمية العديد من معالم ومرافق المسجد، فالمتجول فى ساحات الأقصى ومبانيه يجد الكثير من الأسماء التى توحى بارتباط هذا المكان بدادود وسليمان - عليهما السلام -

فلسطين فحسب، وهم الذين يشهد العالم أنهم لم يبخلوا عليه بدمائهم وأرواحهم وأموالهم وإنما أيضاً من أبناء الأمة العربية والإسلامية .

إعمار المسجد الأقصى : كثير من المسلمين فى العالم لا يعرفون حقيقة مباني ومرافق المسجد الأقصى .

وكثر منهم لا يعرفون إلا القبة الذهبية اللامعة التى تظلل الصخرة المشرفة، وهى فى الحقيقة تعد من أبرز وأجمل معالم المسجد، لهذا فهى التى تهيم فى وسائل الإعلام على مفهوم الأقصى، ولكن الذى يجهره الكثيرون وتتجاهله وسائل الإعلام هو أن ساحات المسجد التى تحيط بهذه القبة المذهبة هى فى معظمها مليئة بالأوساخ وبالأحجار والأتربة، ولا يستطيع أحد من المصلين الصلاة فى معظم الأحيان فى هذه المساحات الشاسعة .

والسؤال الذى يحيرنى ويحير رواد الأقصى جميعاً هو : لماذا لا تتكفل جهات عربية إسلامية باستصلاح أو لنقل بتأهيل ساحات الأقصى وتجهيزها بالرخام من أولها إلى آخرها لتصبح جزءاً حقيقياً وفعالاً من الأقصى، يمكن للمصلين أن يصلوا فيها دون حرج ودون مشقة؟! .. فالمساحة داخل أسوار الأقصى معروفة ومحددة بالسنتيمترات وهى حوالى مائة وأربعة وأربعين ألف متر مربع فقط، فهل تعجز مؤسسات التمويل المهمة بشئون المقدسات الإسلامية فى العالم الرسمية والشعبية أن تتولى هذه المهمة وأن تقوم بإعمار هذه المساحات كما ينبغى؟ .. وأنا





المسجد بهالة قانونية واعية وفاعلة تحول إلى حد كبير بين المسجد وبين كل من تسول له نفسه التفكير في الاعتداء عليه بأى شكل من الأشكال .

وأخيراً، بخصوص المؤسسات الموجودة حالياً فى داخل الأقصى أو المعنية بشئونهم، فأحب أن أقول : إن الكثيرين من القائمين عليها هم من الشخصيات الإسلامية الفاضلة، وقد قدم العديد منهم خدمات جليلة لهذا المسجد العظيم، كما كان لهذه المؤسسات والقائمين عليها دور بارز فى مؤازرة هذا المسجد فى محنته المستمرة منذ ما يقرب من قرن من الزمان، ولكن الذى لا يختلف عليه اثنان ممن يعرفون هذه المؤسسات والقائمين عليها، أنها مؤسسات وليست مؤسسة واحدة، وأن مرجعياتها السياسية تختلف، بل وتتناقض فى كثير من الأحيان، كما أن التنافر وعدم الانسجام يطغى كذلك على العلاقة بين الشخصيات القائمة على هذه المؤسسات وهذا يفقدها التعاون والتنسيق فيما بينها بصورة مقبولة، وقسم منها مؤسسات رسمية تغرق فى دوامة الروتين والشكليات الوظيفية، والأهم من هذا كله أن جل هذه المؤسسات تفتقر إلى رؤية مستقبلية واستراتيجية فى علاقتها بالأقصى، والقسم الأكبر منها يعانى أزمات مالية خانقة لا تساعده على تنفيذ شئ من مخططاته وبرامجه إن وجدت أصلاً، وفوق ذلك فإن قسماً كبيراً من هذه المؤسسات بسيطة جداً فى تركيبتها وتسيير أمورها

وكذلك بنى إسرائيل، أمثال : باب الأسباط، قبة النبی داود، محراب داود، قبة السلسلة، قبة الأرواح أو الألواح، اسطبلات سليمان . . والقائمة طويلة .

ونحن كمسلمين نجل أصحاب هذه الأسماء ونشعر بالانتماء إليهم أكثر من انتماء اليهود إليهم، ونعترف بنبوتهم فى حين أن اليهود لا يعترفون بذلك، ولكن يجب ألا نسمح باستغلال الأسماء لتغيير الحقائق وتزوير الهوية .

الخطوة الثالثة :

العمل على تأسيس مؤسسة دائمة داخل الحرم الشريف تحمل اسم « مؤسسة رعاية الأقصى » أو أى اسم آخر يتفق عليه . وتكون لها مهمات أساسية واضحة ومحددة، وتقوم على عاتق فريق كامل من المتخصصين والمتفرغين بصورة كاملة، ويتحمل القائمون عليها مسؤولية كاملة عن تنفيذ برامجها والقيام بمهامها أمام المؤسسات والشخصيات الإسلامية المعنية بالأقصى فى الداخل والخارج، على أن تضم هذه المؤسسة عدداً من الأقسام تتوزع على جميع الحاجيات المفترضة والمتجددة لهذا المسجد، والعمل بشكل مستمر على رصد ومتابعة وفضح مخططات الاحتلال ومساغيه الرامية إلى النيل من هذا المكان الطاهر، ووضع استراتيجية إعلامية مستقبلية لتمتين العلاقة الإسلامية بأولى القبلتين، ومتابعة كل جهة - شخصية أو اعتبارية - تفكر أو تعمل للمساس بهذا المكان، وهذا من شأنه إحاطة

معظم التحليلات التي تصدرت لها مؤخراً.

وأياً كان حجم الزيف فيما يتعلق بالوعد الإسرائيلى إلا أن تبادل الاتهامات بين اليمين واليسار الإسرائيلى حول هذه المفاوضات وحول الادعاء بأنها كانت ستؤدى حتماً إلى «انهيار كامل للأحلام الصهيونية» يدل على أن رئيس الحكومة الإسرائيلى آنذاك كان بإصراره على الاحتفاظ لإسرائيل بالسيطرة الكاملة على المسجد الأقصى وأحياء سكنية من القدس الشرقية يريد أن يبعد شخصه السياسى عن غضبة اليمين العنصرى الإسرائيلى الانتهازى الذى يسير نحو مخططات تحقيق أحلام الشعب اليهودى الأسطورية وعلى رأسها إعادة تشييد «هيكل سليمان» بخطى حثيثة بغض النظر عن هوية الحكومة التى تسير دفة الأمور فى تل أبيب ليكونية كانت أم عمالية.

الهيكل، أو هيكل سليمان أسطورة يهودية ورد ذكرها فى كتب التوراة التى دون البعض منها أحبار اليهود بأيديهم لترسيخ المطالبة بوضعها موضع التنفيذ على أرض الواقع على امتداد السنين، وقامت الصهيونية حتى من قبل تيودور هيرتزل بصبغ هذه الأسطورة بصبغة سياسية ونجحت فى أن تجعل منها مدخلاً لدعاوى تؤسس دولة تقوم على القوة الغاشمة حرصاً منها على تحويل الخطاب الدينى المتطرف إلى فلسفة عمل تجمع بين ما هو دينى وسياسى وعنصرى ويتحقق من ورائها إعادة «بناء الهيكل على النسق الذى أقامه عليه أول مرة النبى سليمان بن داود».

واتخاذ قراراتها، حيث تغطي عليها الفردية فى هذا كله، رغم أن قسماً منها يحمل أسماء ذات دلالات جماعية عميقة مثل «جمعية...» أو «هيئة...» أو «رابطة...»، وهذا فى اعتقادى لا يمس مكانة الأشخاص القائمين عليها ولا بجهودهم الطيبة التى يبذلونها منذ عقود، إلا أن هذه هى الحقيقة. ومصلحة الأقصى يجب أن تكون فوق جميع الاعتبارات والمجاملات، وإلا فإن الأقصى سيبقى فى خطر!!!...



دماء فلسطينية

وفى جريدة الوفد الصادرة بتاريخ ٢٩ من أغسطس ٢٠٠١ كتب الأستاذ / حسن عبد ربه المصرى .. مقالاً طبياً تحت عنوان: «دماء فلسطينية تقاوم الأسطورة» .. يقول فيه:

● فى مقالة نشرتها صحيفة «يديعوت أحرونوت» يوم ١٩ أكتوبر عام ٢٠٠٠ أى بعد ثلاثة أسابيع فقط من بدء انتفاضة الأقصى، قال الكاتب يرمياهو يوبيل: «من الوهم أن نقنع أنفسنا بأننا قادرون على التحدث إلى الطرف الآخر لأننا غير قادرين على التحدث إلى أنفسنا، ويجب علينا قبل أن نخطط لدفع السلطة إلى الإذعان إلى مطالبنا أن نتفق معاً على ما هو فى صالحنا ضد هذه المصلحة» مشيراً إلى اختلاف الجانب الإسرائيلى حول ما وعد إيهود باراك بالتنازل عنه عبر محادثات كامب ديفيد الثانية.. وهى تنازلات وهمية كما تشير



صدمة في إسرائيل

أما جريدة (الشرق الأوسط)، فقد تناولت ما يلاقيه القدس على أيدي جماعة عنصرية تمارس الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني.. فكتبت تحت عنوان: (صدمة في إسرائيل بعد إدانة ٣ آلاف منظمة دولية غير حكومية لها بالعنصرية).. في عددها الصادر في ٣ من سبتمبر ٢٠٠١ تقول:

يعمل الوفد الإسرائيلي - المنخفض المستوى إلى المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية الذي ترعاه الأمم المتحدة في مدينة ديربان بجنوب أفريقيا - على اتجاهين، أحدهما محاولة تخفيف حدة لهجة مشروع القرار الذي تبناه المجموعة الإسلامية ضد إسرائيل في المؤتمر، والاتجاه الثاني التشاور مع ممثلي الدول الغربية، بشأن الانسحاب الجماعي إذا ما فشلت الجهود لجعل نص القرار الختامي أكثر اعتدالاً.

ووصف بيان المنظمات غير الحكومية الذي وقعت عليه حوالي ٣ آلاف منظمة دولية، إسرائيل بأنها «دولة عنصرية ترتكب بطريقة منظمة جرائم ضد الإنسانية وتمارس الإبادة الجماعية والتطهير العرقي ضد الشعب الفلسطيني». ودعا البيان في بنده الثمانية إلى «وقف فوري لهذه الجرائم العنصرية».

وأصاب البيان إسرائيل والجماعات اليهودية المشاركة بالصدمة. فقد اتهم شيمعون بيريز وزير الخارجية الإسرائيلي،

وتعترف وسائل الإعلام الإسرائيلية بأن الأثريين اليهود والأوروبيين لم يعثروا حتى يومنا هذا على أى أثر يدل على وجود بقايا أثرية لهيكل سليمان الثاني الذى دمر عام ١٣٥ ميلادية تحت قواعد وأساسات المسجد الأقصى.. كما يقرر مؤرخو إسرائيل بأن الاستمرار فى مثل هذه الحفريات لن يساهم فى تحقيق الحلم.

● يقول حجاى هوبرمان فى صحيفة «هتسوفيه» يوم ٣٠ من الشهر الماضى:

إنه على الرغم من محدودية عدد أعضاء جمعية أمناء الهيكل «إلا أن تأثيرهم فى الجانب الدينى للمجتمع يتعاظم، خاصة بعد أن اقتنع السياسيون فى نهاية المطاف بضرورة الدمج بين ما هو دينى وما هو سياسى».. مشيراً بذلك إلى قرار المحكمة العليا بالسماح لهذه الجمعية بوضع حجر أساس إعادة بناء الهيكل. ولا يكتفى الكاتب بذلك، بل يسخر من تمسك المسلمين بما يصفونه بالأماكن الإسلامية المقدسة فى القدس ويتساءل: «لماذا لا ترتفع صيحات الدفاع عن المقدسات الإسلامية فى القدس إلا بعد أن تبدأ إسرائيل فى العناية بها على نفس المستوى من العناية بمقدسات اليهود داخل المدينة؟.. وأين كانت علاقاتهم الدينية القوية بهذه الأماكن قبل الآن؟..!!»

ومن أسف، لن تجد حكومة شارون العنصرية المتطرفة من يتصدى لها سوى صدور أبناء فلسطين وإيمانهم بقضيتهم وبالمسجد الأقصى وكنيسة القيامة وبتراب وطنهم!!..





وقد سجد فيه نبي» وهذه العبارة على إيجازها تختصر تاريخاً طوله نحو أربعة آلاف سنة.

ولا يعرف التاريخ مدينة تركزت فيها الديانات السماوية الثلاث: الموسوية والمسيحية والإسلام كمدينة بيت المقدس.

وبالتالى لا يعرف التاريخ مدينة مثلها عمرت بالكُنس^(٢) والكنائس والمساجد والديارات والزوايا والتكايا والمدارس والمقابر وما إلى ذلك من أماكن مقدسة.

وأراد المؤمنون أن يعبروا عن مشاعرهم الروحية نحو هذه المدينة فاستعانوا بالفن، وأطلقوا يده يزركش ويزخرف وينقش حتى أضحت المساجد والكنائس آيات فنية غاية فى الروعة.

ولسنا نعرف الصورة التى كان عليها هيكل مسجد سليمان - عليه السلام - ولكن إذا قسنا الماضى بالحاضر تبين لنا أن الموسويين كانوا أقل عناية بالتعبير الفنى عن مشاعرهم الدينية من المسيحيين والمسلمين فالكُنس الموجودة فى بيت المقدس وفى غيرها من بلاد العالم، معابد بسيطة جداً أشبه بمساجد المسلمين فى دورها البدائي، وليس فى ظاهرها ما يميزها ويدل عليها كما هو الحال فى المساجد والكنائس فلا مآذن ولا أبراج ولا أجراس ولا زخارف معينة، وربما يسترعى النظر فيها ضخامة الحجارة

المنتدى العالمى للمنظمات غير الحكومية بالتحريض على الكراهية للسامية. وأما رئيس الوفد الإسرائيلى نعموم كاتز فقد اعتبره تحريضاً صريحاً « غرضه الوحيد نزع الشرعية عن الدولة اليهودية وشعبها ».

وأعلن رئيس الوفد الإسرائيلى أن مؤتمر الأمم المتحدة حول العنصرية يمثل « منعطفاً حاسماً » فى العلاقة الإجمالية بين إسرائيل والأمم المتحدة، وهو أمر « يقلق كثيراً إسرائيل ».

وقال: إن « الاتصالات والمساعى الدبلوماسية مستمرة، ولم نستنفذ جميع الاحتمالات حتى الآن، لكننا وصلنا إلى نقطة يتحتم علينا عندها أن نتساءل إن كان يجدر بنا مغادرة المؤتمر؟ ».



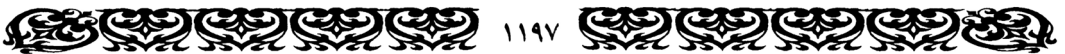
وكان مجلة الأزهر دورها البارز على مر تاريخها الطويل وكان، لكتّابها العديد من المقالات التى سجلت الحقائق التاريخية بأمانة تامة وصدق، ننشر منها هذا المقال للأستاذ الدكتور / إسحاق موسى الحسينى .. عضو مجمع البحوث الإسلامية - رحمه الله .

الآثار الإسلامية فى بيت المقدس

(١) قبل الفتح العمرى

عن عطاء الخرساني قال: «بيت المقدس بنته الأنبياء، وعمرته الأنبياء ووالله ما فيه شبر إلا

(٢) بوزن فعل بضم تين : جمع كنيس وهو معبد اليهود.



والأعمدة.

وجميع الكنس فى بيت المقدس واقعة داخل المدينة القديمة المحاطة بسورها التاريخى الذى جدد زمن السلطان سليمان القانونى فى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى وأقدمها يرجع إلى بداية القرن الثامن عشر.

وعلى ذلك يصح القول أن معظم الآثار الموسوية فى بيت المقدس قد درس، وأضحى بحق كباقي الوشم فى ظاهر اليد على أن الإسلام حافظ على ما بقى منها بعد أن عداها من آثار أنبياء الله المرسلين وبالتالي من آثار الإسلام نفسه، الذى ترجع أصوله إلى أبى الأنبياء إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه - وهذا موقف خليق بالتأمل فالقرآن الكريم جاء مصدقا لما سبقه من الكتب المنزلة ومحمد ﷺ جاء خاتم الأنبياء منذ بداية النبوة إلى زمن عيسى بن مريم - عليهما السلام - وهذا سر ما يتصف به الإسلام من سماحة وسجاجة.

فالمسلم يؤمن بموسى وعيسى ويؤمن بكتبهما الصحيحة، ويحترم أثر من آثار الأنبياء بقدر ما يحترم كل آثاره هو.

ومن أقدم الآثار الموسوية التى رعاها المسلمون وعدوها جزءا من تراثهم الدينى مسجد داود وسليمان - وهو المعروف عند المؤلفين الغربيين بهيكل سليمان - وما

يسترعى النظر فى صحن الحرم قبة السلسلة المجاورة لقبة الصخرة من جهة الشرق وهذه السلسلة تنسب إلى سليمان ابن داود وقد كتب فوق محرابها:

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (٣)

وأبلغ من ذلك دلالة أن المسلمين أنشأوا مسجدا فى مكان يسمى «مقام النبى داود» على ربوة جبل صهيون، سدنته أسرة مسلمة كبيرة هى آل الداودى نسبة إلى داود «والآن تعرف بالدجاني»، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن فى هذا المقام قبر النبى داود، وشمس الدين المقدسى، ومجيد الدين الحنبلى وعبد الغنى النابلسى، وفى داخل الحرم الذى يضم المسجدين العظيمين الأقصى والصخرة جامع يسمى جامع قبة موسى وجامع يسمى جامع كرسى سليمان، وكلاهما تؤدى فيه الصلاة وهذا عدا الآثار التى تقع خارج بيت المقدس ومن أشهرها مقام نبى الله إبراهيم فى المدينة المسماة باسمه (الخليل) وفيه مسجد كبير.

ولم يتبين المسلمون أثرا من آثار السيد المسيح مع ما له من مكانة فريدة نص عليها القرآن الكريم ويرجع ذلك إلى أن الأماكن المسيحية المقدسة كانت وقت الفتح الإسلامى فى حوزة المسيحيين أنفسهم، ونصت العهدة العمرية التى كتبها عمر بن الخطاب لبطريق بيت المقدس «أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من

إبراهيم، فالذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن» - رسالته إلى أهل غلاطية ٩/٣.

وأكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله :

﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ

وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

ومن هنا كانت القطيعة التي نص عليها عهد عمر بن الخطاب بطلب من البطريرك في أغلب الظن، ونخلص إلى حقيقتين الأولى أن الديانات لا تقوم على العرق فالحنيفية أو الموسوية ليست دين جنس معين من البشر والمسيحية ليست دين أمة معينة والإسلام ليس للعرب وحدهم، وإلا كانت الديانات السماوية حواجز تحول دون التقاء الشعوب، في حين كان أعظم ما قصده تجميع الناس على خير المثل العليا وأنبلها. والحقيقة الثانية أن الإسلام هو الوريث الشرعى لتراث الأنبياء، لأنه آمن برسائلهم وآخى بينهم وبالتالى ورث المسلمون في بيت المقدس المقدسات الموسوية وحافظوا عليها جزءا لا يتجزأ من تراثهم الروحي والعودة إلى التراث الموسوى وإظهاره أشبه بهدم الطابق السفلى من البناء، أو قطع جذور شجرة بحجة المحافظة عليها. فليتأمل في ذلك اليوم المتأملون ولا سيما أولئك الذى يبغون هدم المسجد الأقصى بحثا عن أنقاض هيكل سليمان!

صلبهم ولا من شئ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم».

ويظهر أن الاحترام بين عمر بن الخطاب والبطريرك كان عظيما فقد كانت كنيسة القيامة أول معبد زاره عمر بعد الفتح وأراد البطريرك أن يكرم عمر فعرض عليه أن يصلى داخل الكنيسة حين أزفت ساعة الصلاة ولكنه أبى حتى تبقى الكنيسة خالصة لأصحابها.

ونصت العهدة على مسألة أخرى خليقة بالنظر وهى «أن لا يسكن بإيلياء بيت المقدس معهم أحد من اليهود» ولم هذا النص؟ الواقع أن المسيحية أبطلت «العرقية» النسبة إلى جنس معين التى كان يؤكد بها إسرائيل ويتفاخرون بها.

فقد قال السيد المسيح: «لا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً، لأنى أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم» متى ٩/٣.

وأكد ذلك بولس الرسول بقوله: ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعا أولاد. بل بإسحق يدعى لك نسل، أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا.

والمقصود بالموعد مجيء السيد المسيح - رسالته إلى أهل رومية ٩/٦.

وقال: «إن الذين يؤمنون بالله هم أبناء

(٤) سورة آل عمران آية (٦٨).



(٢) بعد الفتح العمرى

١- فتح المسلمون بيت المقدس سنة ١٧هـ ٦٣٨م، وخف إليها أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - من المدينة ليتسلمها من أهلها، قاطعا على نفسه عهد الله أن يصون أموالهم وكنائسهم ويرعى حقوقهم ويحقق لهم الأمن والسلامة.

ومنذ الفتح العمرى إلى اليوم والمسلمون يحتضنون المدينة المقدسة احتضان الأم وليدها ويحنون عليها حنو المرضعة على فطيمها.

ولا نعرف فى تاريخ الإسلام بل فى تاريخ الأديان السماوية جميعها مدينة ظفرت بما ظفرت به هذه المدينة من تقديس وتكريم وحراسة وقد أولاه الخلفاء والأمراء والعلماء والصالحون كامل رعايتهم فأنشأوا المساجد والزوايا والتكايا والأربطة والسبل والمدارس والمقابر وأوقفوا عليها معظم الأراضى المجاورة، وزينوا وزخرفوا وجددوا قديما، وأسسوا جديدا، حتى أضحت تحفة منقطة النظر.

ولم ذلك؟

أولاً: لأنها موطن إبراهيم خليل الله ومقر الأنبياء ومهبط للوحى ومبعث عيسى كلمة الله التى ألقاها إلى مريم.

وثانياً: لأنها ثانى القبلتين وثالث الحرمين استقبلها المسلمون زهاء عام ونصف عام. بعد هجرة الرسول الكريم إلى المدينة.

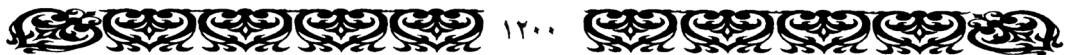
وثالثاً: لأنها مسرى رسول الله ﷺ بنص القرآن الكريم.

ورابعاً: لأنها مفتاح الكعبة وقبر الرسول من حازه تمكن من الأردن وما وراءه من بلاد، لارتفاعها ومناعتها وقد حدث سنة ٥٧٨هـ بعد أن نفذ الإفرنج من فلسطين إلى الأردن أن قصد المقيمون منهم بالكرك والشوبك من مدن الأردن المسير إلى مدينة الرسول لينبشوا قبره الشريف وينقلوا جسده الكريم إلى بلادهم، ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته إلا بجعل «ضريبة»، فأنشأ البرنس أرنات صاحب الكرك سفنا حملها إلى بحر القلزم «البحر الأحمر» وركب فيها الرجال وسارت الإفرنج ومضوا يريدون المدينة الشريفة (الأنس الجليل ج ١ / ٢٨٠) ولكن الناصر صلاح الدين أرسل من هزمهم وأحبط مسعاهم.

وخامساً: لأنها عاصمة فلسطين ومتحف آثارها الدينية التى تجمعت مدة ثلاثة عشر قرناً وصلة الأصل بين الأقطار العربية والمنارة - بحق - التى يشع منها نور الهداية والخير.

روى أبو عبد الله المقدسى فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم». أنه فضل القدس على مدن الدنيا فى مجلس عقد فى العراق، فاستهول الناس قوله، ولكنه علل حكمه بقوله: وأما الفضل فلأنها عرصة القيامة ومنها المحشر وإنما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبي، ويوم القيامة يزفان إليها، فتحوى الفضل كله.. فاستحسنوا ذلك منه وأقروه» (ص ١٦٥).

٢- لم تمر بالمدينة المقدسة مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامى على اختلاف دوله





وبنوا فى مختلف العهود مساجد بلغت
٣٤ مسجدا معظمها فى داخل المدينة
القديمة .

وبنوا عددا كبيرا من الزوايا يؤمها الحجاج
من مختلف البلدان الإسلامية كالزاوية
النقشبندية للحجاج الوافدين من أزيكستان،
وزاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند،
والزاوية القادرية للحجاج الوافدين من
الأفغان وفى كل زاوية مسجد، غرف للنوم
ولها أوقاف .

وأنشأوا عددا من المقابر الأثرية التى تضم
رفاة الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من
علماء ومجاهدين وحكام وفى (الأنس
الجليل) أسماء من توفى ودفن فيها، نذكر
من الصحابة والتابعين: عبادة بن الصامت
وشداد بن أوس وفيروز الديلمي وسلامة بن
قيصر وذا الأصابع وأبا محمد البخارى .

وأنشأوا مدارس لطلب العلم بلغ عددها ٥٦
مدرسة حفلت بالعلماء من أهل المدينة وخارجها
وقصدها الوافدون من المشرق والمغرب وأوقفوا
عليها المصاحف والمخطوطات النادرة ولا تزال
معظم هذه المدارس قائمة حول الحرم بأبوابها
الحديدية الكبيرة ونقوشها المزخرفة وساحاتها
الواسعة وكان المسجد الأقصى نفسه يحتوى على
مكتبة كبيرة كما كان الحال فى جامع قرطبة
والأزهر والقيروان، وكان العلماء يقصدونه من
الأندلس والمغرب ومصر والعراق وفارس للدرس
والتدريس وفى المتحف الإسلامى اليوم صندوق
كبير يضم مصحفا مخطوطا كتبه بيده أحد ملوك
المغرب خصيصا للمسجد الأقصى .

إلا أقام المسلمون فيها بناء جديدا، أو
أصلحوا بناء قديما .

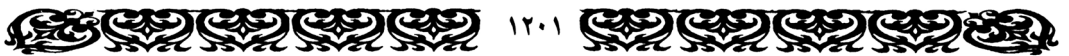
فى عهد الخلفاء الراشدين أقام عمر ابن
الخطاب مسجدا وقد بلغ من احتفائه
بالصخرة المشرفة أن أزال بيده ما تراكم عليها
من تراب وأقام عليها مصلى .

وفى العهد الأموى بنى عبد الملك بن
مروان مسجد الصخرة ورصد لبنائه خراج
مصر لسبع سنين ونقش اسمه على القبة مع
تاريخ البناء سنة ٧٢هـ ثم توالى الخلفاء
والأمراء فجددوا وزخرفوا حتى أضحت
المسجد، بشهادة أحد المؤرخين الغربيين (من
أجمل الأبنية الموجودة فوق هذه البسيطة) لا
بل أجمل الآثار التى خلدها التاريخ .

وبنى عبد الملك المسجد الأقصى وأتمه ابنه
الوليد وتوالى على تجديده وتزيينه بالنقوش
والقناديل والسجاجيد عدد كبير من الخلفاء
والأمراء آخرهم الملك المغربى المجاهد محمد
الخامس الذى فرش مسجد قبة الصخرة
بالسجاد الفاخر وفيه تلقى خطبة الجمعة
فتجيش القلوب وتفيض العيون بالدموع .

وبنى عدد من المسلمين قببا فى صحن
الصخرة، وبجوارها، كقبة المعراج، وقبة
محراب النبى، وقبة يوسف، وقبة موسى،
وقبة سليمان، وقبة الخضر، ومحراب داود .

وبنوا فى الحرم وحوله مآذن وأروقة وسبلا
وصهاريج للاستسقاء وكل واحد منها أثر
تاريخى عليه نقش أو شاهد وله سمة عصره
من زخرف وخط ودعاء .





لأسباب سياسية محضة والدليل على ذلك أن اللجنة الدولية التي تكونت سنة ١٩٢٩ للنظر في الخلاف حول ملكية المبكى والعبادة فيه لم تقر وجهة النظر الصهيونية، وحكمت بعد دراسة وافية للوثائق بإبقاء الحال على ما هو عليه ومنع اليهود من إدخال تغيير فيه والتسامح الإسلامى هو الذى حدا بالمسلمين إلى تيسير زيارة اليهود لتلك البقعة الإسلامية المقدسة.

والخلاصة: أن الآثار الإسلامية تجعل من هذه المدينة المقدسة التي لم يفتأ المسلمون في جميع عصورهم يرعونها بالإجلال والتعظيم ويتعهدونها بالتعمير والتجديد مدينة أعظم شأنًا في نظرهم من «أورشليم» التاريخية في نظر اليهود بل يمكن أن تقف في صف واحد مع مكة والمدينة وفي حديث للرسول ﷺ أنها رابع مدن الجنة، ومن الناحية المادية والحضارية ليس لليهود أثر يذكر بشهادة جميع العلماء مسلمين ومسيحيين، ولذا فإن التفريط بهذه المدينة المقدسة هو تفريط بأقدس مقدسات المسلمين وحرمان من ممارسة شعائرتهم الدينية التي كفلتها جميع الشرائع والقوانين، وخطر على سائر مقدساتهم في مكة والمدينة وافتئات على الأوقاف الإسلامية والملكية الفردية، لا يمكن أن يصبر عليها المسلمون مهما تذرعوا بالحكمة وضبط النفس.

٣- إن الكثرة العظمى من هذه الأماكن الإسلامية التي ذكرناها - عدا المقابر - قائمة في المدينة القديمة المحاطة بسورها الأثرى الذى جلاه آخر مرة السلطان سليمان القانونى في القرن العاشر الهجرى، وإذا علمنا أن المدينة القديمة صغيرة إذ تبلغ مساحتها ٨٦٨ دونم أى ٨٦٨ ألف متر مربع يشغل منها الحرم القدسى وحده ٢٦ دونم تبين لنا صحة القول أن المدينة أضحت مع الزمن متحفا أثريا غنيا بالأبنية والنقوش والزخارف والقناديل النادرة التي لا تقدر بثمن ولا يمكن أن يوجد لها بديل.

كان سكان القدس القديمة حسب إحصاء سنة ١٩٤٧ نحو ٣٣,٦٠٠ عربى مقابل ٢,٤٠٠ يهودى أى نحو ١٤ : ١، لا يملكون إلا نسبة ضئيلة جدا منها أقل كثيرا من نسبة عددهم لكون معظم البيوت والخوانيت وقفا إسلاميا، ولتحریم القانون فى العهد العثمانى البيع لليهود، وتركز معظم اليهود فى حى واحد اسمه حى اليهود الذى يوجد فيه كنيسهم الأكبر ويدعون أن لهم حقوقا فيما يزعمونه «حائط المبكى» وهو بزعمهم جزء من سور كان حول الهيكل، ولكن المسلمين ينازعونهم فى الحائط لأنهم يعدونه جزءا من الحرم الشريف الذى يضم مسجدى الصخرة والأقصى كما يعدونه مربط البراق الذى أسرى به الرسول، وهو فوق هذا وذاك وقف إسلامى لا ينازع فيه، ولكن الصهيونيين غالوا فى تقويم المبكى لإثارة المشاعر الدينية



بروتوكولات حكماء صهيون (*)

للمكتور / محمد حسن عبد الحالوت

فى هذا المقال سأحاول قدر جهدى إلقاء الضوء على إحدى إفرازات التلمود، ألا وهى: بروتوكولات حكماء صهيون.

وأود أن أشير إلى أن هذا الفكر الصهيونى الذى تشريده طوال تاريخهم من حاخاماتهم، وصبغوه بصبغة دينية، لم يأت من فراغ، حيث يقول الفيلسوف «غوستاف لوبون» فى كتابه «اليهود فى تاريخ الحضارة»: «لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أى شىء تقوم به حضارة. واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت فى تشييد المعارف البشرية، واليهود لم يجاوزوا قط رحلة الأمم شبه المتوحشة التى ليس لها تاريخ».

وانتهى إلى أن «قدماء اليهود لم يجاوزوا أطوار الحضارة السفلى التى لا تكاد تميز من طور الوحشية، وعندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدينة منذ زمن طويل فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما فى حضاراتها، أى لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها الضارية وخرافاتها».

(*) اعتمدنا فى إعداد هذا المقال على:

(١) بروتوكولات حكماء صهيون.

(٢) غوستاف لوبون، اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى.

(٣) عبد الحليم محمود، العارف بالله بشر بن الحارث الحافى.

(٤) د. حسن ظاظا، السيد محمد عاشور، سرية الحرب عند اليهود.

(٥) عبد الوهاب المسيرى، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية.



وبروتوكولات
حكماء
صهيون هي
التجربة
العملية
لسلفكر
التلمودي
وهي عبارة
عن مذكرات
أو رسائل
أوقرارات

ضرب كل القيم الإنسانية والأخلاقية ليس
بجديد على فكرهم فقد ورد في البروتوكول
الأول مانصه :

«إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في
شئ، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي
بارع، ولا بد لطالب الحكم من الالتجاء إلى
المكر والرياء».

فقد ورد في البروتوكول الأول ما نصه :
« يكفى أن يعطى الشعب الحكم الذاتي
فترة وجيزة، لكي يصير هذا الشعب رعايا
بلا تمييز، ومنذ تلك اللحظة تبدأ المنازعات
والاختلافات التي سرعان ما تتفاقم، فتصير
معارك اجتماعية، وتندلع النيران في الدول ..
وفى النهاية ستقع في قبضتنا» .

وهذا أول بروتوكول يحاولون تطبيقه
عمليا على أول شعب استعمروه وحكموه
على مدى تاريخهم الطويل وهو الشعب
الفلسطيني، وتراهم يصرون بوقاحة على
إعطائه الحكم الذاتي رغم أنهم أصحاب
الأرض الشرعيين .

كتبها بعض علماء اليهود وكبار ساستهم
ليخططوا بها كيف يحكمون العالم .

ويقال : إن هذه البروتوكولات قد كتبت في
نفس العام الذي عقد فيه المؤتمر الصهيوني
الأول في مدينة بازل بسويسرا ١٨٩٧،
وتذكر البروتوكولات البالغ عددها أربعة
وعشرين أن حاخامات اليهود وقادتهم قد
عقدوا مؤتمرا سريا بهدف وضع خطة محكمة
للتعاون مع الماسونيين ومع الليبراليين لإقامة
وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها
حكومة يهودية عالمية يكون مقرها القدس .

وقد بلغت البروتوكولات قمة رواجها في
الفترة الواقعة بين الحربين عندما حاول كثير
من الألمان تبرير هزيمتهم على أنها طعنة من
الخلف قام بها اليهود والمشترون في المؤامرة
الكبرى أو العالمية .

والفكرة الأساسية في البروتوكولات هي
فكرة الحكومة اليهودية العالمية ومفهوم
السياسة لديهم يختلف عن مفهومه لدى
العالم أجمع وما يفعله « شارون » وجيشه من



فى جميع أغراض الأغيار الشخصية والقومية بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا. كل هذا تقرره حقيقة: هى أن حكومات منفردة لن تجد لها سندا من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضمينا.

وكلنا نتابع يوميا المسلسل الدموى غير المتكافئ الذى يحارب فيه جيش منظم شعبا أعزل معظمه من الشيوخ والنساء والأطفال، بأحدث الدبابات والطائرات والصواريخ الموجهة من الطائرات المروحية، وتتساقط جثث المدنيين الذين لا حول لهم ولا قوة فى كل اتجاه، حرب ضروس تحرق الأخضر واليابس على مسمع ومرأى من العالم كله. كل هذا لم يأت من فراغ.

فقد ورد فى البروتوكول ما نصه:

« ما أبعد نظر حكمائنا القدماء حينما أخبرونا أنه للوصول إلى غاية عظيمة حقا، يجب ألا نتوقف لحظة أمام الوسائل، وألا نعتد بعدد الضحايا الذين يجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية، لم نعتد قط بالضحايا من ذرية أولئك البهائم من الأغيار. »

أما موت العجائز والنساء والأطفال من غير اليهود لا يعيروه أدنى اهتمام، الفكر تلمودى والسياسة الشارونية حفظت البروتوكولات عن ظهر قلب حيث ورد فيها:

« كل إنسان لابد أن ينتهى حتما بالموت، والأفضل أن نعجل بهذه النهاية للناس الذين يعوقون غرضنا. »

وحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وإقامة دولته لا يختلف عليه أحد أما الفكر الصهيونى الشارونى الذى نهل من التلمود وحفظ البروتوكولات عن ظهر قلب، فالحق بالنسبة لهم يختلف حيث ورد ما نصه:

« إن حقنا يكمن فى القوة، وكلمة « الحق » فكرة مجردة قائمة على غير أساس، فهى كلمة لا تدل على أكثر من: أعطنى ما أريد لتمكنى من أن أبرهن لك بهذا على أننى أقوى منك. »

وورد أيضا ما نصه:

« يجب أن يكون العنف هو الأساس ويتحتم أن يكون ماكرا خداعا. . ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة فى أعمال الرشوة والخدعة والخيانة إذا كانت تخدمنا فى تحقيق غاياتنا. »

نظرة اليهود للجوييم (الأغيار)

من خلال بروتوكولات حكماء صهيون

لقد وضعت البروتوكولات المخططات الخاصة بمعاملة « الأغيار » وسنحاول إلقاء الضوء على بعضها.

لقد ورد فى البروتوكول الخامس ما نصه:

« قد يتمكن الأغيار من أن يسوسونا، ولكننا مع ذلك لسنا فى حاجة إلى الخوف من أى خطر ما دمنا فى أمان بفضل البذور العميقة لكراهيتهم بعضهم بعضا. وهى كراهية لا يمكن انتزاعها. »

وورد أيضا ما نصه:

« لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد ونجده



لن نبیح قیام أى دین

وقد فسر حاخامات اليهود هذه العبارة التى تتلى عند كل صلاة. أن الله المختص باليهود إله واحد بينما آلهة غير اليهود متعددة، وهذا تعصب منهم فالله واحد للجميع فهو إله البشر جميعاً - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقد ورد فى البروتوكول الرابع عشر:

«عندما نصبح سادة الأرض - لن نبیح قیام أى دین غیر دیننا. أى الدین المعترف بوحداية الله الذى ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم».

وكى يقضوا على حكم الأغيار بعد أن يمزقوهم بالخلافات والفتن والحروب والجوع والإفلاس.

«فسوف يصرخون هاتفين.. اخلعوا حكامنا وأعطونا حاكماً عالمياً واحداً يستطيع أن يوحدنا ويمحق كل أسباب الخلاف وهى الحدود والقوميات والأديان والديون الدولية.. حاكماً يستطيع أن يمنحنا السلام والراحة للذين لا يمكن أن يوجدوا فى ظل حكومة رؤسائنا وملوكنا وممثلينا».

ويقولون أيضاً:

«نحن أقوياء جداً، وعلى العالم أن يعتمد علينا وينيب إلينا وإن الحكومات لا تستطيع أبداً أن تبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن نتدخل فيها سرا».

وكم من: المعاهدات والاتفاقيات التى أبرموها مع الجانب الفلسطينى برعاية الدول العظمى وتنصلوا منها وضربوا بها عرض الحائط، والكل يتساءل لماذا؟؟

وهذا الصلف اليهودى الصهيونى نابع مما غرسه فيهم حاخاماتهم بأنهم الشعب المقدس، شعب الله المختار، وأن العالم خلق لهم وبهم، ولولاهم ما خلقت السموات والأرض، وأن خلق الإنسان على صورتهم، كى يكون جديراً بخدمتهم، وكل من هو غير يهودى، فهو فى منزلة البهائم.

وقد ورد هذا المعنى صراحة فى البروتوكول الخامس عشر حيث يقول:

«عقل الأغيار، ذو طبيعة بهيمية محضة، غير قادر على تحليل أى شئ وملاحظته. وهذا الاختلاف التام فى العقلية بيننا وبين الأغيار هو الذى يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله، وأننا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية، حين نقارن بالعقل الفطرى البهيمى عند الأغيار».

وورد أيضاً فى البروتوكول الرابع عشر ما نصه:

«الأجيال القادمة ستصغى إلى تعاليمنا على دين موسى الذى وكل إلينا.. بعقيدته الصارمة راجية إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا».

وهذه هى الفكرة الأولى التى حاول التلمود أن يغرسها فى عقلية كل يهودى وقد أكد هذا المعنى الحاخام (فابيوس) فى عيد رأس السنة اليهودية عام ١٨٤٣م حيث قال:

إن الدين اليهودى أفضل من جميع الأديان لأنه يحتوى على أسرار بخلاف الدين المسيحى فإن قواعده مبنية على الجنون.

وقد ورد فى التوراة الموجودة بين أيديهم:

«اسمع يا إسرائيل الرب الهنا إله واحد».



وورد في البروتوكول التاسع ما نصه:
«إن الأغيار كقطع من الغنم وإننا الذئاب
فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ
الذئاب إلى الحظيرة».

وآخر ما لجأوا إليه هو تصفية الكوادر
الفلسطينية المميزة نذكر على سبيل المثال
مصطفى العلى أمين عام الجبهة الشعبية
لتحرير فلسطين.

فقد ورد في البروتوكول الخامس عشر:
«لاشئ أخطر من الامتياز الشخصى، فإنه
إذا كانت وراءه عقول فربما يضرنا أكثر مما
تضرنا ملايين الناس الذين وضعنا يد كل
منهم على رقبة الآخر ليقنتله».

حاجات اليهود والإعلام

وقد ركز حاجات اليهود على الإعلام
والاقتصاد في البروتوكولات حيث ورد ما
نصه:

«إن الصحافة التى فى أيدي الحكومة
القائمة هى القوة العظيمة التى بها نحصل
على توجيه الناس.. إن تحقيق حوية الكلام
قد ولد فى الصحافة ولم تعرف الحكومات
كيف تستغل هذه القوة بالطريقة الصحيحة،
فسقطت فى أيدينا. ومن خلال الصحافة
أحرزنا نفوذاً وبقينا وراء الستار، وبفضل
الصحافة كدسنا الذهب».

وورد كذلك:

يجب علينا أن نتسلط على حكومات
الأغيار بما يقال له الآراء العامة، التى دبرناها
نحن فى الحقيقة من قبل متوسلين بأعظم
القوى جميعا وهى الصحافة، وأنها جميعا

والإجابة ببساطة.. أن هذا الفكر ليس
بجديد عليهم فقد ورد فى البروتوكول
السابع مانصه:

«يجب علينا أن ننطوى على كثير من
الدهاء والخبث خلال المفاوضات
والاتفاقات».

كما ورد أيضا:

«يجب علينا أن نكون مستعدين لمقابلة
كل معارضة بإعلان الحرب على ما يجاورنا
من بلاد.. وإذا غدر هؤلاء الجيران فقررنا
الاتحاد ضدنا، فالواجب علينا أن نجيب على
ذلك بخلق حرب عالمية».

فقد نصبوا شبك تدميرهم بعدة وسائل
منها ماورد فى البروتوكول الخامس عشر ما
نصه:

«الأغيار يبحثون عن عواطف النجاح
وتهليلات الاستحسان ونحن نوزعها جزافا
بلا تحفظ، ولهذا نتركهم يظفرون بنجاحهم
لكى نوجه لخدمة مصالحنا».

«وإن الإداريين من الأغيار يؤشرون على
الأوراق من غير أن يقرءوها ويعملون حبا فى
المال أو الرفعة لا للمصلحة الواجبة».

وورد كذلك:

«كى نبعد الأغيار عن أن يكتشفوا أى
خطط عمل جديدة لنا سنلهمهم بأنواع شتى
من الملاحى والألعاب وهلم جرا، وسرعان ما
سنبدأ الإعلان فى الصحف داعين الناس إلى
الدخول فى مباريات شتى من كل الأنواع..
وهذه المتع الجديدة ستلهى ذهن الشعب عن
المسائل التى سنختلف فيها معه».





لفى أيدينا إلا قليلا لانفوذ له ولا قيمة يعتد بها».

ولم يخف على أحد أهمية الصحافة فقد ركزوا عليها وأفردوا لها البرتوكول الثانى عشر تقريبا حيث ذكر فيه :

« فى الصف الأول سنضع الصحافة الرسمية للدفاع عن مصالحنا لأن نفوذها على الشعب ضعيف نسبيا .

وفى الصف الثانى : سنضع الصحافة شبة الرسمية وواجبها استمالة المحاييد وفاتر الهمة وفى الصف الثالث : سنضع الصحافة التى تتضمن معارضتنا .. كى نكشف أوراق أعدائنا» .
وورد كذلك :

« ستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة .. من ارستقراطية وجمهورية وثرورية بل وفوضوية أيضا » .

ويقول الدكتور عبدالحليم محمود - رحمه الله - :

« لقد رسموا لإفساد الإنسانية منهجا أخذوا فى تنفيذه عن طريق وسائل الإعلام ودور النشر وعن طريق المسرح والسينما، عن طريق كل كاتب مأجور وكل كاتب مغفل» .

وقد رسموا فى تخطيطهم الاستيلاء على كراسى علم النفس وعلم الاجتماع فى جامعات أوروبا وأمريكا، وذلك ليفسدوا عن طريق هذين العلمين على الناس عقائدهم وأخلاقهم، وقد نفذوا مخططهم فاستولوا على ما يقرب من ٩٠٪ من هذه الكراسى، وأصبح من الدراسة الجوهريّة فى هذين العلمين موضوعات :

أصل الدين . مصدر الوحي . كيف نشأت الاخلاق . مرد الاخلاق . التفسير النفسى للوحي . التفسير النفسى لعقيدة الألوهية . التفسير الاجتماعى لعقيدة الألوهية . التفسير النفسى للأخلاق . التفسير الاجتماعى للأخلاق .

والأغيار يرسلون أبناءهم ليتعلموا هذا الإلحاد، ثم ليبشروا به عند عودتهم فى أقطارهم والغريب أنهم يؤمنون بهذا الباطل وينشرونه فى أقطارهم ليفسدوها وهم بذلك أبواق لليهود، دعاة لهم عن سذاجة وعن غفلة .

إنهم يعلنون أنهم تبنا آراء اليهودى « فرويد » الذى يفسر كل شئ فى سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية .

ماركسى .. نيتشة .. دارون

وتبنا آراء اليهودى « كارل ماركس » الذى أفسد على الكثيرين قلوبهم وضمائرهم وعقولهم، وألغى الأديان وهاجم عقيدة الألوهية .

وتبنا آراء « نيتشة » الذى ألغى الأخلاق وأباح لكل إنسان أن يفعل ما يؤدى الى استمتاعه ولو كان القتل أو إسالة الدماء أو التخريب وتبنا آراء (دارون) ذلك المهرج الكبير الذى يعلن عن نظرية ينقصها الإثبات وهى نظرية الحلقة المفقودة !

تبنا كل هذه الآراء برغم زيفها ليفسدوا العالم ويسيطروا عليه » .

وقد ورد هذا المعنى فى البرتوكول التاسع :
« لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأغيار،



وجعلناه فاسدا متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها»

وورد أيضا:

«إذا كنا توصلنا في الأحوال الحاضرة إلى الظفر بإدارة مجتمع الأغيار إلى حد أنه يرى أمور العالم خلال المناظير الملونة التي وضعناها فوق أعينه»

وورد أيضا:

«إن الحاجة اليومية إلى الخبز ستكره الأغيار على الدوام كي يقبضوا ألسنتهم ويظلوا خدمنا الأذلاء».

ويطمع اليهود من خلال فكرهم التلمودى وبيروتكولاتهم المعادية للعالم أجمع فى السيطرة على اقتصاد العالم.

حيث ورد فى البروتوكول العشرين ما نصه:

«إن الأزمات الاقتصادية التى دبرناها بنجاح باهر فى بلاد الأغيار قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول، فتراكمت ثروات ضخمة وسحب المال من الحكومة التى اضطرت بدورها الى الاستنجد بملاك هذه الثروات لاصدار قروض، ولقد وضعت هذه القروض على الحكومات أعباء ثقيلة اضطرتها الى دفع فوائد المال المقرضة مكبلة بذلك أيديها».

وفى البروتوكول التاسع ورد مانصه:

«لقد ضجت الشعوب بضرورة حل المشكلات الاجتماعية بوسائل دولية وإن الخلافات بين الأحزاب قد أوقعتها فى أيدينا، فإن المال ضرورى لمواصلة النزاع والمال تحت أيدينا».

وورد أيضا فى البروتوكول العاشر مانصه: «لقد اعتاد الرعاع أن يصغوا إلينا نحن الذين نعطيهم المال لقاء سمعهم وطاعتهم، وبهذه الوسائل سنخلق قوة عمياء إلى حد أنها لن تستطيع أبدا أن تتخذ أى قرار دون إرشاد وكلائنا الذين نصبناهم لغرض قيادتها».

وجاء فى البروتوكول الثامن مانصه:

«إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين وهذا هو السبب فى أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسى الذى يعلمه اليهود. وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك وأصحاب الصناعات وأصحاب الملايين.. وسوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم».

وجاء فى البروتوكول السادس مانصه:

«ضرورى أن تستنزف الصناعة من الأرض كل خيراتها وأن تحول المضاربات كل ثروة العالم المستفادة على هذا النحو إلى أيدينا».

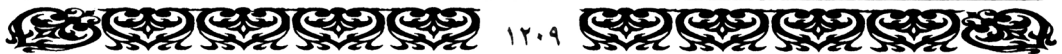
أليس هذا ما يحدث الآن؟!

ألم يحقق الصهاينة ما تعلموه من حكمائهم بعناية!

أما فيما يتعلق بعبادة اليهود تجاه المسيحيين أود أن أنه إلى أن هذه العداوة تشمل كل من هو غير يهودى، وهم يخصونهم بالذكر دائما لأن الأمم المسيحية أكثر وأقوى مما عداها، وإذا انتصر اليهود عليهم ملكوا زمام سائر الاغيار.

وقد ورد فى البروتوكول الرابع ما نصه:

«لكى نحول عقول المسيحيين عن سياستنا، سيكون حتماً علينا أن نبقيهم منهمكين فى الصناعة والتجارة، وهكذا





الجيش المتحاربة فى الحصول على تعويضات مادية أو معنوية معقولة .

وقد اعتبرت إسرائيل قرارات دربان انجازاً للدبلوماسية الإسرائيلية .

ورحم الله الرئيس الراحل محمد أنور السادات الذى ألقى خطابه فى الأمم المتحدة فى ٢٩ / ١٠ / ١٩٧٥ وكان لصدى خطابه ولموقف مصر الشامخ القرار رقم ٣٣٧٩ الذى جاء فيه : «إن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى» وأيد القرار وقتها ٧٢ عضواً ورفضه ٣٥ منها أمريكا وإسرائيل ودول السوق الأوروبية المشتركة .

أخلاق اليهود .. وأخلاق العرب

ووجه المقارنة بين أخلاق اليهود وأخلاق العرب قد عبر عنها غوستاف لوبون حيث يقول :

كيف لا يكون من الإهانة للعربى أن يقاس باليهودى، ومبدأ اليهود كما ورد فى سفر يسوع :

«أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير .. وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار»

مع أن مبدأ العرب كما جاء فى وصية أبى بكر الصديق :

«لاتخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تقطعوا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لماكلة» .

ستنصرف كل الأمم الى مصالحها ولن تفتن إلى عدوها المشترك، ولكي تنزل الحرية حياة الأغيار الاجتماعية زلزالاً، وتدمرها تدميراً، يجب علينا أن نضع التجارة على أساس المضاربة»

وورد أيضاً فى البروتوكول الخامس ما نصه : «إن الجماعة المعروفة لنا ويمكن أن تنافسنا فى هذه الفنون ربما تكون جماعة اليسوعيين، ولكننا نجحنا فى أن نجعلهم هزوا وسخرية فى أعين الرعاع الأغبياء وهذا مع أنها جماعة ظاهرة بينما نحن أنفسنا باقون فى الخفاء محتفظون بمنظمتنا سراً .. ما الفرق بالنسبة للعالم بين أن يصبح سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية أو أن يكون طاغية من دم صهيون؟

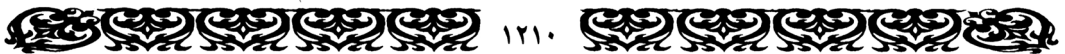
وورد به ايضا :

«بكل هذه الوسائل سنضغط على المسيحيين، حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دولياً، وعندما نصل إلى هذا المقام، نستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم فى جميع أنحاء العالم وأن نشكل حكومة عالمية عليا» .

بعد كل هذا أليست الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية وكيف نجح اللوبي الصهيونى فى التأثير على الولايات المتحدة الأمريكية كي ترفض موضوعين فى غاية الأهمية فى مؤتمر العنصرية الذى نظمته الأمم المتحدة فى ديربان فى جنوب أفريقية ألا وهما :

١- اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية .

٢- حق الشعوب أو بعض الجماعات التى خضعت للممارسات العنصرية من قبل





نصرت يا مسجد الإسراء

للشاعر:
السيد الصديق حافظ

إن اليهود أخلفوك الموعدا
«وقتلونا ركعاً وسجداً»
«وبيئتوناً بالمصلّى هجداً»^(١)
والمسجد الأقصى غدا مستعبدا
يبكى ويستبكي الملا مُستنجدا
الصوت مخنوق ومذبوح الصدى
«هياً عباد الله وأتوا مدداً»
«فى فليق كالبحر يجري مُزبداً»
لا تتركونى خائفاً مهتداً
إن اليهودى الجبان استأسدا
لما رأى سيف الجهاد مُغمداً
لا تأمنوا شرّ اليهود أبداً
لن يهدءوا حتى يهدؤا المسجدا
والهيكل المزعوم يغدو معبداً
يامسجد الإسراء كلنا فدى
نفديك لا نألو ونعم المفتدى
الموت فليك اليوم يعنى المولداً
نحيا به فى المجد عُمرًا سَرمداً
والقاعدون اليوم من خوف العدا
موتى وإن عاشوا على الدنيا مدى
قد أغضبوا «عيسى» وآذوا «أحمداً»
واستبدلوا بالنور وجهها أسودا

«نقضت قريش
وحلفاءها عهد
الحديبية، وغدروا
بحلفاء النبي ﷺ». .
فأسرع «عمرو بن
سالم» الخزاعي
إلى المدينة ناشداً
مستنجداً فبشره
رسول الله ﷺ
بالفتح والنصر
القريب قائلاً
«نصرت يا عمرو
ابن سالم» (وقد
مزجت نشيدى
بنشيد «عمرو»
رجاء النصر
والبركة
للمجاهدين
بجارة أرضهم).

(١) بيئونا: هاجمونا ليلاً ونحن نصلّى التهجد.

مقومات النهضة العلمية للإسلامية

دكتور / أحمد فؤاد باشا^(*)

٢

بيانات وإحصائيات مهمة

تدلنا إحصائيات النشر العلمي لخريطة العلمي الدولي الأكثر اعتباراً - من واقع بيانات معهد المعلومات العلمية ISI في فيلادلفيا بأمريكا - على أن جملة ما يمكن انتقاؤه من بين ٧٠,٠٠٠ (سبعين ألف) دورية علمية متخصصة هو فقط ٣١٠٠ دورية علمية، وذلك استناداً إلى الاستشهاد العلمي بأبرز هذه الدوريات Periodicals وأكثرها اعتباراً على مستوى العلم السائد عالمياً Mainstream Science. واتضح أن ٢٪ فقط، أي ٦٢ دورية من الدوريات المختارة تصدر في الدول النامية التي ينتمي إليها دول العالم الإسلامي، وأن الإنتاج العلمي في العالم الثالث يمثل ٥,٨٪ فقط من الإنتاج العالمي، وأن الإنتاج العلمي في مصر - مثلاً - أقل من إنتاج كلية الطب في جامعة هارفارد الأمريكية.

كل ثلاث سنوات، والغالبية العظمى من هذه الأبحاث تنشر في دوريات محلية ولا ترقى إلى المستوى الأكثر اعتباراً عالمياً.

وعندما أجرت «اليونسكو» إحصاء للأربعين دولة الأكثر تقدماً في العالم في التعليم الأساسي لم يكن من هذه الدول في العالم الإسلامي إلا الكويت وإيران. وجاء ضمن هذه الأربعين دولة كوريا واليابان وسنغافورة وبلاد أوروبا كلها والولايات

من ناحية أخرى، تشير أبحاث المؤتمر السابع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي - المنعقد في الرياض بالملكة العربية السعودية في أبريل ١٩٩٩م تحت شعار «التعليم العالي والبحث العلمي لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين» - إلى أن عدد الأبحاث التي ينشرها عضو هيئة التدريس في الوطن العربي لا يزيد في المتوسط على بحث واحد

(*) عميد كلية العلوم - جامعة القاهرة.



العلمية المختلفة ضرورية لكل مجتمع، والإخلال بأحدها يؤدي إلى الإخلال بالواجب الأعظم، وهو عبادة الله حق عبادته، وإعلاء كلمته في الأرض. وأداء فريضة العلم طلب توفير المؤهلين الأكفاء للنهوض بالواجبات الكفائية كأحسن ما يكون الأداء بحيث يستمر تحقيق المصلحة العامة على أسس ثابتة. وإذا عجزت الأمة الإسلامية عن توفير كل الإمكانيات التي سخرها الله في الكون لإعزاز الإسلام والمسلمين، فإنها تكون قد قصرت في أداء الأمانة أيما تقصير.

أسس فكرية ومفاهيم ضرورية

مما لاشك فيه أن العلم والتقنية Science and Technology من النشاطات الإنسانية التي لا يمكن ازدهارها إلا إذا حظيت بالرعاية والأولوية على ما عداها فيما يتعلق بتحقيق القفزة الحضارية لمواكبة حركة العصر. ومن المتعارف عليه أن كل إنجاز تقني يمر بعمليات تطوير متلاحقة يصبح بعدها صالحا للاستخدام على نطاق واسع، ثم يأخذ هذا الانجاز التقني بعد ذلك في التراجع والانهيار حتى يتقادم ويندثر بعد أن تكون هناك تقنية جديدة أرقى وأفضل قد حلت محله ويمكن ملاحظة هذه المراحل من «أجيال» أو «موجات» التقنية في العديد من التقنيات السائدة حالياً مثل المجاهر (الميكروسكوبات) والحاسبات الالكترونية وغيرها ولاشك أن هذه الظاهرة أصبحت تؤثر بصورة مباشرة على مجالات البحث العلمي

المتحدة الأمريكية بطبيعة الحال. ويكفي أن نعلم على سبيل المثال أن تكلفة إعداد التلميذ بالتعليم الأساسي في سويسرا تبلغ ١٢٠٠٠ دولار، وفي أمريكا ٨٠٠٠ دولار، وفي إسرائيل ٣٥٠٠ دولار، وفي مصر ١٧٠ دولاراً، وأن المعدل العام لتكلفة طالب التعليم العالي السنوية في العالم العربي أقل من ٧٢١ دولاراً، بينما نجد أن التكلفة في أعلى خمسة بلدان في العالم تصل إلى ٩٥٧٦ دولاراً.

وإن نظرة فاحصة إلى واقع العلم والبحث العلمي في العالم الإسلامي - من خلال ما تشير إليه هذه الإحصائيات الإجمالية - توضح لنا أن اجتياز حالة التخلف العلمي والتقني يجب أن يصبح هدفاً عزيزاً على الأمة بأكملها، ولا يمكن أن يتحقق هذا الهدف إلا إذا آمنت الأمة بكل مشاعرها ووجدانها بدور العلم والتقنية في صنع التقدم، ودعت إلى الأخذ بهما بنيةً ومنهجاً وأسلوب حياة، انطلاقاً من تعاليم الإسلام الحنيف الذي حث على طلب العلم من المهد إلى اللحد، وجعله فريضة على كل مسلم. والأمة التي تعطل أداء فريضة واجبة هي أمة تلقى بأيديها إلى التهلكة. وإذا كان علماء الدين يصنفون العلوم الطبيعية Natural Sciences ضمن الفروض الكفائية التي يحتاجها المسلمون، فليست الكفاية أن يوجد فقط من يعرف هذه العلوم، بل في وجود العدد الكافي لتلبية الاحتياجات اللازمة للأمة. والتخصصات





التقنية Technology - بحكم مقطعيها فى المقابل الأجنبى - أصبحت تستخدم بمعنى «علم التطبيقات العملية» - أى دراستها المنظمة وفق أسس وقواعد ومناهج علمية، بالإضافة إلى استخدامها للتعبير عن عملية الإنتاج التقنية. وهذا يعنى أن التقنية أصبحت قائمة على العلم Science Based Technology وهو تصحيح للمفهوم الشائع عن

التقنية التقليدية المتضمنة فى «المهارات الحرفية» وهكذا يكون الفهم الدقيق لثنائية العلم - التقنية، والإلمام الواعى بالخصائص المميزة لكل من عنصريها، من المطالب الأساسية عند وضع أى استراتيجية لتنمية القدرات العلمية والتقنية.

ويقودنا فهم طبيعة العلاقة بين العلم والتقنية على النحو الذى أوضحناه إلى أهمية تنفيذ مقولة «نقل تقنية العصر»، باعتبارها مقولة مضللة يظل الآخزون بها مجرد سوق استهلاكية لتصريف ماينتجه الآخرون من تقنيات متعاقبة. ذلك أن عملية نقل التقنية أصبحت من أكثر العلاقات بين الدول المتقدمة والدول النامية خطورة، وأبعدها أثراً، وأكثرها مدعاة للحذر والوعى والرقابة. وينبغى عند البحث عن سبل التنمية فى الدول النامية أن يبدأ التخطيط لإنتاج التقنية باتباع أسلوب وسط يعمل على بناء القدرة التقنية الذاتية ودعمها وتطويرها، وذلك من خلال انتقاء التقنية الملائمة المنقولة وتطويرها، مع تطوير التقنية

المختلفة، وخاصة فى الدول النامية التى ترفع شعار «نقل التقنية» باعتباره إحدى وسائل اللحاق السريع بركب الحضارة المعاصرة. وهنا يأتى التدريب على أجيال التقنيات المتعاقبة فى مقدمة المشكلات التى تعترض مسيرة البحث العلمى فى هذه الدول باعتباره مهنة تستوجب الإعداد الجيد للباحثين والفنيين.

ولما كان العلم كمنهج ونشاط اجتماعى يعتبر بمثابة المحرك الضرورى لعملية النمو الاقتصادى والاجتماعى فى كل بلد متقدم، فإن حدوث اكتشافات علمية مهمة بين الحين والحين لا يؤثر فقط فى طبيعة فهم الإنسان ورسم تصوراتها بالنسبة للعالم من حوله، بل يؤدى أيضاً إلى كشف مناطق جديدة من المعلومات والاحتمالات التطبيقية التى سرعان ما تتحول إلى وسائل وأدوات تقنية جديدة للإنتاج والخدمات. ومن هنا أصبحت التقنية تمثل المقدرة على تحويل الإبداع العلمى إلى أهداف اجتماعية مفيدة. وفى ضوء هذه المعانى ينبغى فهم رسالة العلم فى أحد جوانبها المهمة على أنها أداة أساسية لنقل التقنية إلى قوة عاملة وفعالة فى تطوير حركة المجتمع نحو الأفضل.

ولما كانت العلاقة بين العلم والتقنية عبر تاريخها الطويل علاقة متبادلة، أخذاً وعطاءً، على فترات متباعدة فى بادئ الأمر، ثم متقاربة تدريجياً بعد ذلك، فإن الناظر لطبيعة هذه العلاقة فى عصرنا يجد أنها أصبحت أكثر التحاماً من ذى قبل. ذلك أن

بالبحوث الأساسية والتطبيقية، وهذان يختلفان تماماً عن مراكز تطوير التقنية. وهذا التوجه ضروري، ليس فقط لملاحقة أجيال التقنية، ولكن أيضاً لإنتاج تقنيات جديدة ذات صلة مباشرة لقطاعات الإنتاج والخدمات في كل دولة على حدة.

ويجمع بين هذه الأساليب هدف مشترك يتمثل في تحقيق السيطرة التقنية مروراً بمرحلتين:

الأولى: السيطرة على التقنيات السائدة والقدرة على تكرارها ذاتياً، مثل تصميم بعض الأجهزة العلمية وصيانتها.

والثانية: السيطرة على الأجيال المتقدمة من التقنيات الأكثر تطوراً دون إهمال نقلها خلال المرحلة الأولى.

وفي حقيقة الأمر يوجد ارتباط وثيق بين المرحلتين. ذلك أن نشر التقنيات السائدة في المرحلة الأولى يتم ضمن عملية إعادة الإنتاج الموسعة أفقياً، بينما تكون المرحلة الثانية ضمن عملية إعادة الإنتاج الموسعة رأسياً. فالدخول إلى التقنية المتطورة، دون السيطرة على التقنية السائدة، وبدون وجود قاعدة عريضة من المهارات والخبرات والكوادر العلمية، وبدون قاعدة صناعية عريضة سيكون محفوفاً بمخاطر عديدة بسبب عدم المقدرة الفعلية على الاستيعاب الكامل لأجيال التقنية المتقدمة، وعلى تكرار إنتاجها.

المحلية، وتشجيع الإبداع التقني، على أن يتم ذلك كله في مرحلة من التحول التقني تحدد معالمها نظرية عامة رشيدة للبحث العلمي والتقني كجزء لا يتجزأ من استراتيجية التنمية الشاملة. وبهذا يكون تطبيق شعار «نقل التقنية أفقياً ورأسياً» من أهم عوامل الإسراع باستيعاب ما تتطلبه التنمية من أحدث التقنيات التي توفر الوقت والجهد، وعندئذ فقط يبدأ الطريق الحقيقي نحو إنتاج التقنية وتوطينها وتجديدها وتكاثرها.

تنمية القدرات العلمية والتقنية

إذا ما قبلنا الأساس الفكري الذي عرضنا ملامحه من خلال تعريف ثنائية «العلم - التقنية»، وتحديد الطريق إلى إنتاج التقنية وتوطينها، فإن الخطوات العملية لتحقيق تنمية القدرات العلمية والمهارات التقنية من خلال التدريب المستمر يمكن إنجازها فيما يأتي:

١- فتح قنوات التدريب المستمر وتبادل الخبرة المتميزة في مختلف التخصصات العلمية والتقنية بين الخبراء الأكفاء في البلدان الإسلامية وخارجها.

٢- تقويم موضوعي مستمر لجدوى الدورات التدريبية التي تعقد للتدريب على تقنيات متقدمة ومعقدة.

٣- إنشاء مراكز خاصة لتطوير التقنية في الشركات ومصانع الإنتاج يكون تمويلها من الجهود الذاتية، وهو أمر يختلف عن ما يتم في الجامعات ومراكز البحوث التي تعنى



﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾

سورة يسن الآية (٦٨)

الإعجاز الطبي
في القرآن

هرمون «دهيا» ترياق الشيخوخة

DE HYDRO EPI ANDEROSTERONE

D.H.E.A.

للدكتور / السيد الجميعة



ما من أحد منا إلا وهو كثير الحنين إلى أيام الصبا، وحلاوة الشباب، ومرح التصابي... شديد التأثر بذكرياته وتشوفاته وجميل أوقاته.. إنه زمن القوة والفتوة والطموح والتشوف والأمل والأحلام الوردية. إن سلوى الشيوخ والكبار لا يمكن أن تقوى علي نسيان كل هذه الذكريات الجميلة التي تستروح النفس فترة بعد أخرى، وتتأوب الروح فينة بعد فينة، فهي لا تنفك تنضيف الخواالج والخواطر كنسمة الصيف الباردة على الأفئدة المحرورة والصدور الحرجة فتترسل عليها بردا وسلاما وأمانا وأمانا.

قال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (١).

قال العلماء: ﴿مِنْ ضَعْفٍ﴾ أى من منى. والمعنى أن الله، تعالى، خلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة، وجعلكم تتقبلون فى أطوار « الجنين فالوليد فالرضيع فالمنطوم » وهى كلها أحوال فى غاية الضعف.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ أى من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ أى من بعد قوة الشباب ضعف ووهن الهرم والشيخوخة.

والله، سبحانه وتعالى، يخلق ما يشاء من ضعف وقوة ومن شباب وشيبة إلى شيبه وهرم وكهولة (٢).

يقول الإمام العلامة الطيب الفيلسوف الفقيه المتكلم الفخر الرازى فى « مفاتيح الغيب »:

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ أى مبناكم على الضعف، والشيبة هى تمام الضعف (٣).

(١) سورة الروم الآية ٥٤.

قال أبو حيان : وجعل الخلق من ضعف لكثرة ضعف الإنسان أول نشأته وطفولته، ثم حال الشيخوخة والهرم، والترداد فى هذه الهيئات شاهد على قدرة الصانع وعلمه ا. هـ. البحر المحيط ١٨٠/٧ بتصرف.

(٢) مفاد هذا المعنى ومؤداه فى تفسير الإمام الزمخشري، إذ يقول : هذا الترديد فى الأحوال المختلفة من هيئة الى هيئة، ومن صفة إلى صفة، أظهر دليل، وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر». اهـ. بتصرف من الكشف ٢٢٧/٣.

(٣) التفسير الكبير ١٣٧/٢٥.



ويقول الحق - أيضا - جل شأنه :

﴿وَمَنْ يُؤْذِلْ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لَيْتَ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (٨).

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤).

وفى هذا توضيح وبيان لا مزيد عليه .

أى : ومن نعمه نرده إلى أردل العمر (٥).

إن أجمل ما ورد من الماثور الجليل في هذا المقام أن على الإنسان أن يستثمر عهد الشباب وهو وقت الطلب في تحصيل العلم وتمكين الذات، وتعميق الفقه بالدين والإحاطة بالإمام بفنون الثقافة والمعارف المختلفة متى كان ذلك ميسورا ومتاحا كليا أو جزئيا وعلي قدر المستطاع .

والمعنى : ومن نطيل عمره نقلبه فى أطوار منتكسا فى الخلق، فيصير كالطفل لا يعلم شيئا (٦).

يقول الإمام الزمخشري :

﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ نقلبه فيه، فنخلقه

ثم إنه من المقطوع به والمجزوم بصدقه أن من لم يأت بالواجب زمان الإمكان (أى وقت الطلب) ما كان ليأتى به زمان الإزمان (والإزمان : كناية عن الهرم والزمنى : هم المبتلون بالزمانة) . ومن أنسب ما قيل في تفسير الرازى فى قوله تعالى :

علي عكس ما خلقناه من قبل، وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم، ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال، ويرتقى من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستوى، ويستكمل قوته، ويعلم ماله وما عليه . . فإذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبى وضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله (٧).

قال تعالى :

﴿أَلَمْ نَأْخِذْ بِلِصْمِ بَنِي إِدْرِمَ﴾ (٩).

قطع للأعذار بسبق الإنذار، ثم إنه لما قرر ذلك وأتمه شرع فى قطع عذر آخر (١٠).

(٤) يسن الآية ٦٨.

(٥) قال قتادة : يصير إلى حال الهرم الذى يشبه حال الصبا، فطول العمر يُصَيِّرُ الشباب هرما، والقوة ضعفا والزيادة نقصا.

(٦) قال ابن جزى : القصد من ذلك الاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار، كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم، راجع التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٣٢٩/٣.

(٧) الكشف ٢٣٩/٤.

(٨) النحل ٧٠.

راجع التفسير الكبير للفخر الرازى ٧٣/٢٠ ومختصر ابن كثير ٣٣٦/٢ وجامع البيان للطبرى ١٣٦/١٤ وزاد المسير لابن الجوزى ٤٦٨/٤ وفيه : قال عكرمة : من قرأ القرآن لم يرد إلى أردل العمر . اهـ.

(٩) يس : ٦٠.

(١٠) التفسير الكبير ١٠٣/٢٦، ١٠٤.



تركيز هذا الهرمون إلا أنهم يتباينون ويختلفون اختلافا جذريا فارقا بمسافات شاسعة شطون في حالة نقصه .

وهذا التميز الفارق لا بد أن يكون مرجوعا ومعزوا لعناصر ودوافع عضوية أو هرمونية علي الأرجح وعلى الأغلب، لكننا نرى هذا الأمر محتاجا مزيدا من التحقيق البحثي والاستقصاء التجريبي، والمتابعة المختبرية .

فعلا لقد أحسن الدكتور بوليو ووفق توفيقا مذهلا باكتشافه سلفات (الدهيا) D.H.E.A. Sul-phate إذ فتح بابا من أهم أبواب البحوث العلمية في عالم الهرمونات والغدد .

لقد بدأت الدراسات العملية Clinical Studies علي هذا الهرمون بإدي الرأي (كما هو العرف السائد في القضايا الطبية) علي الحيوان حتي إذا ما تم تقويم دور الهرمون في جسم الحيوان وحتى تتم إزاحة الستور والغدائف والأسجاف وإماطة اللثام عن احتمال وجود أخطار وأضرار جانبية مؤذية ضارة من عدم ذلك - يعمد الباحثون في المرحلة التالية على الإنسان في حرص بالغ، وحذر شديد، وتربص فائق .

لقد بلغت التجارب على الإنسان بخصوص هذا الهرمون ذروتها منذ زهاء خمس سنوات أو يزيد قليلا (زهاء سنة ١٩٩٥ م) .

كان مدار الأمر ومناط البحث والتحري حول محور العلاقة بين هرمون الدهيا والشيخوخة وقد

● منذ زهاء إحدى وأربعين سنة وبالتحديد سنة ١٩٦٠م وعن طريق المصادفة البحتة العجيبة

أمكن للبروفيسور أميل بوليو Prof. Dr. A. Polio أن يكتشف هرمون (دهيا) De hydro epi anderos-terone وهو المشار إليه بالختصر D.H.E.A. وهذا

الهرمون تفرزه الغدة فوق الكلوية في الإنسان^(١١)

Suprarenal Gland وفي الجسم يتم تحويل هذا الهرمون إلى اثنين من أهم الهرمونات الجنسية والتناسلية الأول : هرمون التستوستيرون (الهرمون المذكر) Testosterone Hormone

الثاني : هرمون الاستروجين (الهرمون المؤنث) Estrogen Hormone.

ولوحظ أن إفراز هذا الهرمون يبلغ الذروة من مستواه في الدم Utmost Blood Level فيما بين الخامسة والعشرين إلى الثلاثين من العمر^(١٢) .

ثم يبدأ في الانخفاض عن هذا المعدل بعد ذلك تدريجيا Gradually Decreases With Aging.

ولفت نظر الباحثين في هذا الصدد أنه مع الانخفاض التدريجي (مع تقدم العمر) لهذا الهرمون يزداد تعرض الجسم إلي الإصابة بأمراض القلب Cardiac Diseases لا سيما أمراض الشريان التاجي Coronary Artery Diseases وكذلك مرض السرطان Cancer.

لكن المثير المدهش في الأمر والذي لم يتوقف عنده الباحثون ونأمل أن يتوسعوا فيه هو أنه مع تساوى مخايل وتوازن البشر في مواجهة زيادة

(١١) ووجد كذلك من مفرزات الغدة فوق الكلوية في حيوانات التجارب كالقردة والفئران .

(١٢) تبلغ نسبته في الشباب أربعة أضعاف ٤ folds نسبته في الرجال والنساء بعد سن الستين .



وغير معروفة الكيفية علي وجه الدقة والتحديد .

إلا أنه لا يمكن اعتباره بديلا للفياجرا -Not Al-

Viagra ternative to وذلك لأسباب عديدة يطول شرحها ولا مجال لبسط القول فيها الآن . أما عن الأخطار المرصودة والمتوقعة التي تلابس هذا العقار، وتجعل استعماله لا يخلو من الحرج بل في أشد الاحتياج إلى التحفظ وإجالة النظر مع وجوب إخضاع العلاج به إلى الاختصاصيين من الأطباء المعالجين، وذلك لخطورة العلاج العشوائي غير المنضبط .

أهم أخطار هذا العقار إمكان تعرض الإنسان لسرطان الكبد Hepatoma وتضخم البروستاتا Se- nile Prostate (Hypertrophy) وسرطان الثدي Cancer Breast وسرطان البروستاتا Cancer Prostate.

لكن على أى حال فإنه لا ضرر ولا مشاحة في إعطاء هذا الهرمون بجسارة وبدون أدنى تردد أو تقاعس وبلا مخافة أي من هذه المضاعفات والأضرار الجانبية في حالة العلاج التكميلي لاستكمال النقص في الهرمون إذا كانت الغدة فوق الكلوية عاجزة عن الوفاء بالقدر المطلوب للمستوى الطبيعي في الدم Replacement Thera- phy Due to Supra renal Failure.

هذا الانتقال بالإنسان من مرحلة الضعف ثم إلى طور القوة والفحولة، ثم الانتهاء بالوهن والضعف الأشد، هذه الأطوار الثلاثة تختلف في توصيفها وأحكامها وقوانينها . . وكل ذلك بتقدير القادر، وإبداع الخالق البارئ المصور الذي أحسن كل شئ خلقه .

والحمد لله رب العالمين .

لوحظ تأثير هرمون الذهبيا على الشيوخ المسنين إذ إنه بإعطائهم جرعة من هذا الهرمون تقدر بخمسين ملليجراما (وقد تصل إلى مائة ملليجرام) يوميا لوحظ معها تراجع عوارض ومخايل وعلامات الشيخوخة المتقدمة لكن لا يتحقق هذا الناتج إلا بعد الانتظام على هذه الجرعة لمدة ستة أشهر على الأقل، وقد تستمر لمدة عام كامل .

ثم إن الثابت أن القلب أبدى ارتياحا ونشاطا ملحوظا مع انتعاش جهاز المناعة، وزيادة المقاومة للأمراض المعدية ولا سيما الفيروسية مع سرعة التئام الجروح .

إن التراجع الظاهر لعلامات الشيخوخة -Regres-

sion of Senility Manifestations إنما هو دليل معتبر وإقرار صريح لقوة فعالية هذا الهرمون فهو ينشط جهاز المناعة Immuno stimulant فضلا عن تنشيط الذاكرة والتذكر وعلاج النسيان الذي يلزم الشيخوخة المتقدمة عادة Treat Senile Remote and

Recent Amnesia وهي تشكل مشكلة معقدة في أغلب الأحيان والمثير للدهشة اللافت للنظر أن تجاعيد جلد الكبار سرعان ما تختفى مع الاستمرار على هذا الهرمون بالجرعة ٥٠٠ مجم يوميا لمدة ستة أشهر . وهذا هو المبتغى المقصود، والمراد المستهدف عند الكثير من الناس لا سيما النساء .

بيد أن تأثيره الظاهر في تحسين القدرة الجنسية وزيادة الرغبة Amelioration of Sexual Ability and

Sexual Desire إنما هو مجرد رصد لمظاهر التأثير الهرموني لكن ميكانيكية التفعيل Mechanism of

Action لا تزال مجهولة Uptill now still unknown



من قارة إلى قارة

طارق بن زياد
في طريقه
إلى الأندلس

للشاعر المرنيس / علي محمود طه^(١)

- أشباحُ جنٍ فوق صدر الماء ** تهفؤُ بأجنحةٍ من الظلماءِ ؟
أم تلك عُقبان السماء وثبَن من ** فُننِ الجبالِ على الخضمِ النائي ؟
لا ، بل سـفـفـينٌ حُن تحت لواء ** لمن السـفـفـينُ تُرى وأى لواءِ ؟
ومن الفتى الجبارُ تحت شراعها ** متـرـبـصـا بالموج والأنواءِ
يُعلَى بقبضته حمائل سيفه ** ويضُم تحت الليل فـضـل رداءِ
ويُنيلُ ضوءَ النجمِ عالى جبهةٍ ** من وسمٍ «إفريقية» السـمـراءِ
ذهبٌ بـوـتـقـة السنى من ذوبه ** مَسَحَتْ مُحيَّاهُ يدُ الصحراءِ

(١) اشتهر بشعره العاطفي والوجداني والتاريخي وهذه نفحة من شعره، والقصيدة نقلا عن ديوان الشاعر ص ٥٠٣ دار العودة ببيروت.



لَوْ جَلَّتْ فِيهِ الصَّحَارَى سَحَرَهَا ** تَحْتَ النُّجُومِ الْغُرُ وَالْأَنْدَاءُ
وَسَمَاءِ بَحْرٍ مَا تَطَامَنَ مَوْجُهُ ** مِنْ قَبْلِ لَابِنِ الْوَاحِدَةِ الْعِذْرَاءِ
بَحْرٌ أَسَاطِيرُ الْخِيَالِ شَطُوطُهُ ** وَمَسَابِيحُ الْإِلَهَامِ وَالْإِيْحَاءِ
وَمَدَائِنُ سَحَرِيَّةٍ شَارَفَنَهُ ** بَنَخِيلَهَا وَضَفَافُهَا الْخَضِرَاءِ
وَمَعَابِدُ شَمٍّ، وَآلِهَةٌ عَلَى ** سُفُنِ ذَوَاهِبَ بَيْنَهُنَّ جَوَائِي
أَبْطَالُ «يُونَانَ» عَلَى أَمْوَاجِهِ ** يَطُورُونَ كُلَّ مَفَازَةٍ وَفَضَاءِ
يَتَجَاذِبُونَ الْغَارَ تَحْتَ سَمَائِهِ ** يَتَنَاشَدُونَ مَلَاحِمَ الشُّعْرَاءِ
مَا زَالَ يَرْمِي «الرُّومَ» وَهُوَ سَلِيلُهُمْ ** وَيُدِيلُ مِنْ «قِرطَاجَةَ» الْعَصْمَاءِ
حَتَّى طَلَعَتْ بِهِ فَكُنْتَ حَدِيثُهُ ** عَجَباً! وَأَيُّ عَجَائِبِ الْأَنْبَاءِ
وَيَسْأَلُونَ بِكَ الْبُرُوقَ لَوَامِعاً ** وَالْمَوْجَ فِي الْإِزْبَادِ وَالْإِرْغَاءِ
مَنْ عَلَّمَ الْبَدَوِيَّ نَشْرَ شِرَاعِهَا! ** وَهَدَاهُ لِلْإِبْحَارِ وَالْإِرْسَاءِ!
أَيْنَ الْقَفَارُ مِنَ الْبَحَارِ وَأَيْنَ مِنْ ** جَنَّ الْجِبَالِ عِرَائِسُ الدَّمَاءِ؟
يَا ابْنَ الْقِبَابِ الْخُمِرِ وَيَحْكُ! مَنْ رَمَى ** بِكَ فَوْقَ هَذِي اللَّجَّةِ الزَّرْقَاءِ؟
تَغْزُو بِعَيْنَيْكَ الْفَضَاءَ وَخَلْفَهُ ** أَفُقٌ مِنَ الْأَحْلَامِ وَالْأَضْوَاءِ
جُزُرٌ مَنْوَرَةٌ الشُّغُورِ كَأَنَّهَا ** قَطَرَاتُ ضَوْءٍ فِي حَفَافِ إِنَاءِ
وَالشَّرْقُ مِنْ بُعْدٍ حَقِيقَةٌ عَالِمٍ ** وَالْغَرْبُ مِنْ قُرْبٍ خِيَالَةٌ رَائِي



ضحكت بصفحته المنى وتراقصتُ ** أطيافُ هذى الجنَّةِ الخضرِاءِ
ووثبت فوق صخورها وتلمَّستُ ** كفَّاك قلباً ثائرَ الأهواءِ
فكأنما لك فى ذراها مروعٌ ** ضربتهُ أندلسيَّةُ للقاءِ!
ووقفت والفتيانُ حولك ، وانبرتُ ** لك صيحةٌ مرهوبةُ الأصداءِ
هذى الجزيرةُ إن جهلتم أمرها ** أنتم بها رهطٌ من الغُرباءِ
البحرُ خلفى والعدوُّ إزائى ** ضاع الطريقُ إلى السفين ورائى !!
... وتلفَّتوا فإذا الخضمُّ سحابةٌ ** حمراءُ مطبقةٌ على الأرجاءِ
قد أحرقَ الرُّبانُ كلَّ سفينةٍ ** من خلفه إلا شرعَ رجاءِ
ألقي عليه الفجرُ خيطَ أشعةٍ ** بيضاءَ فوق الصخرةِ الشَّماءِ
وأتى النهارُ وسار فيه طارقٌ ** يبنى لملكِ الشُّرقِ أيَّ بناءِ
حتى إذا عَبرتْ ليلٌ طوَّفتُ ** أحلامه بالبحر ذاتَ مساءِ
يرعى على الأفقِ الرُّصعَ قـريَّةً ** أعظمُ بها للغزو من ميناءِ
مدَّ المساءُ لها على خلجانها ** ظلاً، فنامتْ فوق صدرِ الماءِ!

أصول القصة الشعرية على ضوء الخصائص العامة للقصص

د. أستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

١

من المعروف أن الشعر بدأ قاصداً، وأن القص بدأ هو الآخر شاعرا. وذلك في الملاحم اليونانية القديمة.. واذن فعودة الشعر إلى القص تعد عودة إلى الجذور، مع تفاوت مؤكد بالطبع بين الملحمة والقصة الشعرية، لأن الملحمة تتألف من مجموع من القصائد الطويلة، التي تنسم إلى مدى بعيد بالموضوعية، والسعة، بحيث تضم بين جوانحها حضارات أمة، كما أنها تعكس فعل القوى الطبيعية واللاطبيعية، وتجسد الخارق وغير المألوف، وتصور الحرب والغزو.. كما يقول «فنسنت» في كتابه: «نظرية الأنواع الأدبية».

أما القصيدة القصصية. فتتكون من وحدة عضوية واحدة، وتفوص في الواقع، أو في التاريخ، أو في الخيال، بمنطق الشعر وليس بمنطق هذه الأطر، فإن بدأت من الوسط، أو من النهاية، استرجعت رحلة الحدث في إيماء غير مصرح إلى ما سيتم، ولم تقع في رصد التفاصيل والجزئيات لأنها منوطة بالعبور فوقها، وإن ذكرتها وظفتها لغاية فنية إيحائية، وليس لمجرد كونها جزءا من الحدث، ثم هي تعمل على توحيد بطلها.. أي جعله واحدا.. ما استطاعت، أما الشخص الثانويون فيأتون من خلال تداعيات الشخصية البطلة، أو سرد الشاعر، أو استدعاء الحدث، إلى آخر ما يرد من هذه السمات.

٢

قلب الفعل القصصى، والولوج به إلى العالم المموه الخاص بالقص، ووضعه على صعيد الإحساس بإمكان حدوث ما يحدث، وإمكان وجود من يحدث الحدث، أى إمكان حدوث ما يرى، وإمكان وجود من يرى.

٣

وإذا كان القص النثرى لا ينقل الواقع كما هو، بل ينتخب منه ما يفسر هذا الواقع على ضوء خبرة القاص التقنية، وليس على ضوء عينات هذا الواقع وواقعيته، فإن القص الشعرى بألوانه: «القصصية.. واللوحية.. والحوارية» ينتخب من هذا الواقع المنتخب، أى أنه يقوم بعملية تقطير للواقع حتى يستصفى منه جواهر الأشياء وجواهر العلاقات.. وعلى قدر ما يحقق القص الشعرى لذاته من قدرة على فك تركيب هذا الواقع، وإعادة تركيبه من جديد، أى من خلال رؤية شعرية خاصة، فإنه مطالب بأن يبقى فى القصة واللوح والحوارية على إحساس ما بواقعية الواقع المصور، محوراً، ومموهاً، لا يهم.. لأننا كما نشترط فى القص أساسية الخيال المبتكر، نشترط فيه كذلك واقعية الحدث، وواقعية الشخص، من خلال تصميم فنى يدمج هذه العناصر دمجاً طبيعياً ومدروساً معاً، فقد يوجد الخيال الفج، أو الواقعية الحرفية غير الفنية، أو التقنية المحلقة فى خواء غير الواقعى، ويستحيل معها وجود العمل القصصى الحقيقى، لغياب التصميم الفنى الذى هو شرط الوجود لهذا العمل المنشود.

وإذا كانت القصة النثرية تتناول فترة كاملة من حياة خاصة، أو مجموعة من الحيات.. وكانت الأقصوصة النثرية تتناول شريحة أو موقفاً من الحياة.. فإن هذا التصنيف يمكن أن ينسحب على القصة الشعرية، واللوح الشعرية كذلك، فيقال: إن القصة الشعرية هى التى تغطى مرحلة من مراحل الحياة خاصة، أو مجموعة من الحيات.. بينما تكتفى اللوح الشعرية بالتركيز على شريحة حياتية، أو موقف من الحياة.. على أن نسلم بأن هناك فرقاً بدئياً بين طبيعة القصة النثرية، وطبيعة القصة الشعرية وأيضاً بين طبيعة الأقصوصة النثرية، وطبيعة اللوح الشعرية.. فإذا كان منطق الحبكة، أو منطق التسلسل الطبعى أو الحتمى، يحكم أحداث القصة النثرية.. وكان منطق العلاقات القائمة بين الشخص، وتصويرها من الداخل، والتركيز فيها على وحدة التأثير، يحكم سياق الأقصوصة النثرية.. فإن القصة الشعرية تتعالى على تواتر الربط المنطقى، وأيضاً على نمطيتها، وتبدع لنفسها- من خلال لغة الشعر المليئة بإمكانات التصوير، والتشكيل، والإيقاع- منطقها وروابطها.. وكذلك تبدع اللوح لنفسها علاقات وعوالم وتأثيرات خاصة، من خلال لغتها الشعرية المليئة بإمكانات التناقض، والرمز، وإشاعة الإيحاء حتى فى المتعين والمحدود.. ثم هما- أعنى القصة النثرية والأقصوصة النثرية من جهة.. والقصة الشعرية واللوح الشعرية من جهة أخرى- يلتقيان فى محاولات نقل المتلقى إلى



٤

وعن تجسيد «التناغم فحسب» بتجسيد «التناغم في التناقض» وبينما يتحتم على القاص الناثر أن ينقل تجربته مجسدة في حوادث وشخوص وصراع، على نحو من الصفاء والوضوح والصدق والواقعية، يتحتم على القاص الشاعر أن ينقل تجربته مجسدة كذلك في حوادث وشخوص وصراعات وواقعية، ولكن على نحو من التظليل والرمز والإيحاء بشرط أن لا يستحيل كل أولئك إلى نوع من الغموض الحاجب لجوهر ما يعنيه الشاعر من هدف نهائي .

ثم إن الشاعر القاص مطالب بأن يقنعنا- وهو يتحدث عن جزء من الحياة- بأنه يتحدث عن الحياة كلها، وهذا الفعل الفني يستلزم أن يكون الشاعر على خبرة فائقة بتجربته شكلا ومضمونا، وأيضا على خبرة فائقة بطبيعة الواقع الحيوى، حتى يحقق هذا الشمول من خلال هذا التعيين .

٥

وتعد الشخصيات في العمل القصصى محورا من أهم محاوره الصميمية، فهي التى تنهض بعبء الأحداث، وتتفتح عن كنوز المعارف النفسية، والاتجاهات السلوكية، والقدرات العقلية، والاستجابات التى لا تنتهى .. وقد تكون الشخصية القصصية نمطية تحمل خصائص الشخصية الإنسانية من غير تحديد، ومثل هذه الشخصية يمكن أن تقبل فى القصة الشعرية أكثر مما تقبل فى القصة النثرية .. وقد تكون شخصية لها خصوصيتها، ومثل هذه الشخصية يمكن أن تقبل فى القصة النثرية أكثر مما تقبل فى القصة الشعرية .. لأن القصة فى الشعر تعنى بالتكثيف والرمز .. بينما تعنى القصة فى النثر بالتفصيل والتحليل .. كما أن من حق القاص أن يتدخل فى رسم الشخصية هنا وهناك، أو يظل مراقبا لها ويدعها هى التى تنهض بمهمة الكشف عن عواطفها وميولها، أو يترك للشخصيات الأخرى عملية التعليق على الشخصية المحور، وعلى ما تلقاه من أحداث وصيرورة ونتائج .

ولا ينبغي أن ننسى أن لغة القصة النثرية هى إلى مدى ما « لغة توصيلية » مهما بالغ القاص فى تأنيقها وتجميلها .. بينما تظل لغة الشعر القصصى « لغة تشكيلية » مهما حاول الشاعر الاقتراب بها من منطق الحدث . أم من منطق الشخوص، أى من منطق الواقع، لأنها أساسا لغة مقصودة لذاتها، وإن كانت تتأدى إلينا من خلال حدث وشخوص وأجواء معينة .

٦

وكما تلوح الحبكة فى القصة النثرية مقيدة بسببية الربط، وتسلسل الوقائع، فإنها تلوح فى القص الشعرى غير مقيدة إلا باللغة القادرة على تخييل الواقع، وإقناعنا بأن مشعَّت هذا الواقع مجتمع، ولا معقوله معقول، ونعنى باللغة هنا اللغة الشعرية التى تحمل فى ذاتها مبرر وجودها الجميل، والتى تستعيز عن خلق « السببية » بخلق « المشاعر »





الآخر، ويؤثر فيه ويتأثر به، بيئة وشخصا وأحداثا.. كذلك يبدو أنهما معا يستطيعان صياغة هذه الحبكة فى أى شكل شاءا: سردا، أو ذكريات، أو رسائل.. ولكن يبدو أن الذكريات، أو الوعى، أقرب إلى طبيعة الشعر منها إلى طبيعة النثر، لأن الشعر فن يتحرر بالضرورة من السببية والمنطقية وحرفية الواقع، فالخواطر التى يصغى إليها الشاعر لا تجئ مرتبة، ولا منطقية، ولا ملتزمة قواعد اللغة اليومية، بل تجئ هادرة ومتلاطمة ومتداخلة ومنسابة، وهنا لابد للبطل أن يتردد من الداخل إلى الخارج، ومن الخارج إلى الداخل، بلا تخلف، على أن يتم ذلك فى حضور من الواقع دائما، وإن كان هذا الحضور الواقعى يمكن أن يظل على مسافات من الفعل القصصى الشعرى بالذات.. وينبغى للنوعين معا أن يحافظا على إيقاع العمل القصصى، وأن يضبطا حركته بين الإسراع والإبطاء، وأن يجيدا كيفية دفع أمواج القص إلى الجيشان، وقصرها على الريث والأناة، كلما دعت حاجة السياق إلى مزيد من الجيشان أو إلى مزيد من الريث، وقد تدعو الحاجة إلى زواج الريث والجيشان فى لحظة واحدة، ليشعلا نوعا من التناقض أو نوعا من التوتر المنشود فى موقف معين.. ومن حق كل نوع من النوعين كذلك، أن يستخدم فى قص ما حدث ضمير المتكلم، أو ضمير الغائب، وفى الحالتين يمكن الإحالة على الماضى، والمضارع، والمستقبل، وعلى الشخصوى الرئيسية والشخصوى الثانوية، وعلى المكان المسرح والمكان المناخ، وعلى الحادثة المحور والحوادث الرافدة.. إلى آخر ما يمكن إيراد من خلال هذه الصيغة الفنية.

وكما يتميز القص النثرى والقص الشعرى من خلال كثير من خصائصهما الفنية كما رأينا، فإنهما يلتقيان كذلك فى كثير من الملامح والخصائص: فهما يشتركان مثلا فى الحرص الدائب على تطوير الحدث والشخصية من خلال احتكاك الشخصية والحدث بالعالم الخارجى المحيط، عبر سلسلة من التقاطعات والتوازيات والتأزم والانفراج، بحيث يبقى المتلقى فى حالة ترقب دائم.. وهما يعلنان ذلك من خلال اختيارهما لطريقة السرد، وخلق اللغة الفنية المواتية، وتكثيف الحركة المساعدة على إبراز عضوية السياق، وكما يكون التكثيف فى الحركة البسيطة يكون فى الحركة المعقدة، وكما يتحقق فى إشباع المتلقى يتحقق كذلك فى مآطلته ومراوغته.. ويلعب القاص فى ذلك على عنصر الوعى، أو التداعى، أو المنولوج الداخلى، أو تكرار الشخصيات، أو الشخصيات الثانوية التى تمثل الجو، أو تضئ الشخصية الرئيسية، أو تعلق على الحوادث والشخصيات.. على أن يحرص القاص فى كل أولئك على سببية الانتقال من موقف إلى موقف، أو سببية الربط بين الحدث والحدث فى القص النثرى، وعلى الإيهام بذلك فى القص الشعرى، إلا إذا أراد القاص لشخصه أن يتحركوا من خلال قدرية معينة، أو عفوية معينة، على ما بين ذلك من فروق.. ويتعامل القص النثرى والقص الشعرى جميعا مع الحبكة ذات الموضوع الواحد، والحبكة ذات الموضوعات المتراكبة، بشرط أن نحس فى الحبكة ذات الموضوعات بأن كل موضوع يرشح على الموضوع

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

جواب.. مسكت

دخل أبو حنيفة على المنصور فى مجلسه، وكان فيه أبو العباس الطوسى وهو سبىء الظن فى أبى حنيفة، وبَيَّت النية على إحراجِه، فقال له: يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يأمر الرجل بضرب عنق الرجل، وهو لا يدرى شيئاً، أيضرب عنقه؟، فقال أبو حنيفة: يا أبا العباس: أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل؟ فقال أبو العباس الطوسى: إنما يأمر بالحق فقال أبو حنيفة: أنفذ الحق حيث كان، ولا تسأل عنه؛ فألجمه، وأفحمه.

وقال: لقد حاول أبو العباس أن يوثقنى فربطته.

حقيقة

قال رجل لحكيم: كيف حال أخيك، وكان مريضاً، فقال الحكيم: إن أخى قد مات، قال الرجل: وما سبب موته؟ فقال الحكيم: حياته.

يبن ضيف ومضيف

أضاف رجل آخر فأطال فى زيارته حتى أمسى الليل، وأظلم البيت، فقال المضيف: يا صاحبى أين السراج فقد أظلم البيت؟ فقال المضيف: إن الله - تعالى - يقول: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ (١).

كنت.. فبنت

لما بنى الحجاج على هند بنت المهلب، علم قبل الدخول بها أنها تزوجته على كرهٍ منها إلى حد أنها أضمرت له سوء، فطلقها وقدم لها على يد رسول نفقتها الشرعية، وقال الرسول على لسان الحجاج: إن الأمير يقرئك السلام ويقول لك: «كُنْتُ.. فَبِنْتُ». فقالت هند بنت المهلب للرسول: قل للأمير: واللّه كنا فما فرحنا، وبنا فما ندمنّا، وهذا المال الذى جئت به إلينا ثمننا منا لهذه البشرى.

(١) سورة البقرة الآية (٢٠).

أصعدت الغرف؟

قال رجل من العرب: رأيت البارحة الجنة في منامي، فرأيت جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟ فقيل لي: إنها للعرب. قال له رجل من الموالي: أصعدت الغرف؟ قال: لا.. قال: تلك لنا.

لماذا لا تخالط الناس؟

سئل إبراهيم بن أدهم: «لماذا لا تخالط الناس؟» فقال: إن صحبت من هو دوني آذاني بجهله، وإن صحبت من هو فوقى تكبر على، وإن صحبت من هو مثلي حسدني.. فاشتغلت بمن ليس في صحبتته ملل ولا في وصله انقطاع، ولا في الانس به وحشة.



يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به
سواك عند حدوث الحادث العمم

عبادة الله

إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار.
وإن قوما عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد.
وإن قوما عبدوا الله شكرا، فتلك عبادة الأحرار.

أنت أمير الشعراء غدا

قال البحتري: قال لي أبو تمام بلغني أن بني حميد أعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم فأنشدني شيئا منه، فأنشدته. فقال لي: كم أعطوك؟ فقلت: كذا، فقال لي: لقد ظلموك، وما وفوك حقك والله، فإن بيتاً منها خير مما أخذت، ثم أطرقت قليلا فقال: لعمرى لقد مات الكرم، وذهب الناس، وغاضت المكارم وكسدت أسواق الأدب، أنت والله يا بني أمير الشعراء غدا بعدى، فقممت فقبلت رأسه ويديه، وقلت: والله إن هذا القول أسر إلى مما وصل منهم.

حقا

وكل كسر فإن الله يجبره
وما لكسر قناة الدين جبران

الأسرة ومكانتها في الإسلام

لؤي ستان الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

أكتب عن الأسرة ومكانتها في الإسلام، لما نراه اليوم من أحداث وخيانات أسرية، ولما نقرؤه من حض على السير وراء دعوات التحرر من كل قيود الدين والأعراف الاجتماعية والأخلاق



الإنسانية.

وتقف الأسرة المسلمة اليوم في مهب الريح والعواصف، حين تخرج عن أحكام الدين وتقلد النظم الغربية في البناء الاجتماعي الذي أدى في الغرب إلى تفكك الأسرة، وضياع الأبناء، وحيرة الشباب، وفقدان الانتماء.

إن الأسرة هي الدعامة القوية للوطن وهي الخلية الأولى في جسم الأمة، وإصلاح الأسرة إصلاح للوطن جميعه، شبابه وشيوخه، رجاله ونسائه، آبائه وأبنائه.

ولقد عنى الإسلام بالأسرة عناية كبيرة وحددت التشريعات الإسلامية كل الحقوق والواجبات لكل فرد في الأسرة، ووضعت المسؤوليات الملقاة على كل إنسان في الأسرة، ونظمت الحقوق والالتزامات التي لا غنى لهذا البناء الأساسي والنسيج البشري عنها، مما يكفل سلامة الدعائم وقوة البنين، والحياة الطيبة المباركة للفرد والأسرة والمجتمع، ليكون كل فرد من أفراد الأسرة عضوا سليما صالحا، يؤدي وظيفته في الحياة أداء كاملا.

والتشريعات الإسلامية للأسرة من زواج وطلاق ونفقة وهبة تعالج أمورا سداها ولحمتها العاطفة والشعور والإحساس الوجداني العميق، وتقوم أكثر ما تقوم على الاختيار السليم البعيد عن الإكراه والجبر، والعماد في ذلك كله على الإيمان والخلق الكريم والعقيدة الراسخة، وتقوية الوازع الديني في نفوس أبناء الأسرة، ومجاربة النزعات الفاسدة والرغبات الآثمة وعلى الدعوة إلى اتباع تعاليم الإسلام، وإرشادهم إلى سواء السبيل.

وحق الزوج على الزوجة كبير حتى لتقول أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - : سألت رسول الله ﷺ : أى الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال صلوات الله عليه « زوجها » (١) .

وبرواية إلى أبى هريرة ومعاذ وعائشة وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال : « لا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدى حق زوجها » (٢) .

وما شرع الزواج إلا ليكون وسيلة إلى تكوين أسرة تكفل لأفرادها المودة والسكن والتراحم، ويقوم رب الأسرة بأداء ما عليه من واجبات نحوها، وتقوم الزوجة خير قيام بواجبها نحو أبنائها ونحو زوجها ونحو من تضمنه جوانب بيت الأسرة والإسلام ينهى عن كل ألوان الفساد التى تهدد كيان الأسرة بالتفكك والانهيار، من اختلاط ذميم، وسفور فاحش، وخيانات زوجية محرمة .

وأما الكاتبة الأمريكية مارجرىت ماركوس التى أسلمت وسمت نفسها « مريم جميلة » والتى أعجبها أكثر ما أعجبها فى الإسلام حرصه على الطهارة والشرف والعفة والأمانة التى تسود جو الأسرة المسلمة، وهى تندد بدعاة تحرر المرأة المسلمة فى العالم الإسلامى، وتأخذ عليهم فهمهم الخاطيء لمعنى الحرية والتحرر، على أنه الإباحية المطلقة للنساء فى الاختلاط بالرجال، حيث شئن وأنى ذهبن، وفى اختيار الأزياء الخارجة وغير المحتشمة، وفى الخروج إلى جو الحياة العامة دون ما داع يدعوها إلى ذلك، مما مزق من أواصر الروابط فى الأسرة وأدى إلى انتهاك حرمت العفة والشرف والطهارة .. وهذه الكاتبة

والأسرة فى الإسلام نسيج واحد لا تباين بين ما يضمه هذا النسيج، وما يحتويه هذا البناء وميزته قيامه على الشرف والعفة والطهارة، وعلى الصدق والتعاون والحب والألفة والمودة والأمانة والإخلاص، ومراقبة الله فى كل عمل وكل حركة أو سكون .

والزواج شريعة الحياة والإسلام، وبداية للتكوين الأسرى والاجتماعى وأمل يطوف بخلد الأبناء، بنين وبنات، وفى الزواج دعم للأسرة، وتجديد لنسيجها وحفاظ على كيانها البشرى الإنسانى، ويرى أكثر الفقهاء والأئمة أن الزواج سنة محكمة وفريضة واجبة، على كل من يستطيعه، وإذا خاف الشاب الفتنة والانحراف أصبح الزواج أمرا حتما، وشريعة لازمة أما الذين يأنسون إلى العزوبة ويرجعون الزواج فهم الذين تمردوا على سنة الحياة وفطرة الإنسان .

وآيات الكتاب الكريم، وأحاديث السنة النبوية الشريفة، مملوءة

بالدعوة إلى بناء الأسرة وإرساء قواعدها على العطف والتعاون، للقبضاء على فوضى الانحراف والفساد، وفوضى الاختلاط الذميم، وتهيئة الحياة الهائنة السعيدة لأبناء الأسرة ولشئى أفرادها، فى جو من المودة والتراحم والخلق الشريف، والطاعة لأوامر رب العالمين .

وظاهرة زواج المسلم بغير المسلمة من الكتابيات ظاهرة مؤسفة اليوم كل الأسف ولا خلاف بين أئمتنا فى أن هذا الزواج مذموم .

(٢) الترغيب والترهيب (٣/ ٥٦) ، المستدرك (٤ / ١٧٢) .

(١) المستدرك (٤ / ١٥٠ ، ١٧٥) .



لقد وضع الإسلام الحدود، وفصل الأمور ووضح الغوامض، ولم يبق لبس في كل مسائل الأسرة، من زواج وطلاق وإرث وهبة ووصية ونفقة وغيرها، وقد ألزم المسلمة بكل ما شرعه من أحكام وآداب وحقوق وواجبات ومسئوليات والتزامات.

وترغم بعض المتحررات بأن الإسلام ظلم المرأة بتشريع الطلاق وإباحة تعدد الزوجات، ويجعل المرأة نصف الرجل في الإرث وفي الشهادة.. وهذه الدعوات كلها سفه وبعد عن الحكمة والصواب.

وإلا فلماذا أخذ الغرب يشرع الطلاق، وتعدد الزوجات أعظم وأسمى من أن يتخذ الرجل له خليات لا يحصيها العدد.. والمرأة نصف الرجل في الإرث لأن المرأة ليس عليها أى التزام مالى نحو الأسرة إلا إذا كان الزوج معسرا والمرأة عندها مال، فحينئذ تنفق المرأة على الأسرة من مالها ويصبح ما تنفقه ديناً يلتزم الزوج بسداده عند المقدرة.. المرأة معفاة من كل التزام مالى والرجل هو المطالب بالنفقة وبكل ما تحتاجه الأسرة، فإذا أخذت نصف ما للرجل في الميراث فلا ضير في ذلك على الإطلاق.

إن تشريعات الإسلام للأسرة لم يصل إلى مستواها تشريعات أى دين من الأديان، أو مذهب من المذاهب في القديم والحديث، وعدالة الإسلام في معاملة المرأة فوق كل شبهة أو تساؤل.

الأمريكية في نظرتها هذه تقتبس من روح الإسلام وتعاليمه النبيلة مع أنها ولدت وعاشت قبل إسلامها حياة حرة طليقة من كل قيد وكم هى إنسانة سامية حية تدعو بإخلاص الى أن تعرف النساء المسلمات نعمة الله عليهن بهذا الدين العظيم دين الإسلام.

ويندد الدكتور الكس كاريل في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» بالمرأة الغربية، وانصرافها إلى مبادئها ومطامحها الخاصة ونزواتها الآثمة، وارتياحها المسارح ودور السينما واللغو بشراة، مما قضى على الروابط الأسرية، وعلى وحدة الأسرة واجتماعاتها التى يتعلم الطفل منها الكثير من المعارف والثقافات.

إن كل نظام يساعد على هجر الأسرة أو التنفير من الزواج أو الخروج على وحدة الأسرة والروابط القوية بين أفرادها هو نظام لا يقره الإسلام الذى يفرض على المرأة أن تتعلم أحكام دينها وتشريعاته وعباداته وأن تتخذ منها منهجا لحياتها وحياة أبنائها.

ويدعو المفكر الإنجليزي برتراند راسل في كتابه «الأخلاق والزواج» إلى دعم الحياة الزوجية بالبعد عن النظم التى تسمح بالخلاطة والمصادقة بين المتزوجين من الرجال والنساء، فى مختلف المناسبات والحفلات وما شابه ذلك، لأن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من الرجال والنساء خارج دائرة الحياة الزوجية هى سبب شقاء الأزواج وكثرة حوادث الطلاق، وليس عسيرا إحصاء أمثلة كثيرة من البيوت التى انهارت بسبب اتصال الأزواج والزوجات بغير شركائهم فى الحياة الزوجية فى مختلف المناسبات الاجتماعية.



ولما فرض الجهاد على الرجال دفاعاً عن الدين والوطن قالت النساء: لقد فاتنا واجب الجهاد وأجره، ولو كتب علينا القتال لقاتلنا، وذهبت وافدة النساء إلى رسول الله ﷺ تقول له: إني وافدة النساء إليك، وما منهن امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهى تهوى مخرجى إليك، الله رب الرجال والنساء وإلههن، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن أصابوا أثروا، وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة؟ فأرشدوا صلوات الله عليه إلى أن أعمال المرأة فى بيتها كزوجة وكأم تعدل فى الطاعة أعمال الرجال المجاهدين فى سبيل الله.

هذا قليل من كثير، وهذا الحوار بين النساء ورسول الله ﷺ لا يمكن أن يكون إلا لامرأة تعيش فى ظل تشريع ملأ نفساً عزة وكرامة وبنى لها شخصية كاملة، وفهمت من روح أحكامه المعنى السامى الصحيح للمساواة بين الرجل والمرأة.

ولكن الله - عز وجل - قد أراد أن تبثلى المرأة المسلمة فى آخر الزمان ببعض النساء اللواتى يرون الرقص مدنية والاختلاط الجنسى بين الرجل ومعشوقته حرية وتمديناً، وإهمال الأسرة والأبناء والجرى وراء الشهوات تحرراً، ولو علمن ما فى شريعة الإسلام من الخير كل الخير للرجال والنساء وللأسرة والأبناء على السواء، بل وللمجتمع كله كافة، لوقفن عند تعاليمه، والتزمن بكل أحكامه، ولكنك لا تهدى من أحبت ولكن الله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

ولقد جاء الإسلام والمرأة ذليلة مهينة، مهينة الجناح، مهضومة الحقوق، فرفع شأنها، وأعز مكانتها، وكفل لها أهلية كأهلية الرجل سواء بسواء، بعد أن كانت أشبه شئ بالرقيق، تورث ولا ترث، بل إن الإسلام قد فرض لها من الحقوق ما يتلاءم مع فطرتها، وحملها من المسؤوليات ما هى أهل للقيام به.. وقامت أحكامه على أصل ثابت هو المساواة بين الرجل والمرأة، وإذا كان هناك شئ من الفروق اليسيرة، فإنه لم ينشأ عن كونها امرأة، وإنما نشأ عن اعتبارات حققة أخرى لا صلة لها باختلافهما فى الجنس، فأحكام التشريع الإسلامى قد خلقت من المرأة المسلمة خلقاً آخر غير الذى كان من قبل، ونفخت فيها روح العزة والكرامة، وجعلتها تحس بكيانها وشخصيتها، وتدرك أن لها وضعاً متساوياً مع وضع الرجل، وأن لها حقوقاً يلتزم بها المجتمع ورب الأسرة، وأنها كما تسعى إلى كسب الحقوق تعمل على تحمل التبعات والمسؤوليات.

وحينما شعرت النساء المسلمات فى عصر الرسول بأن الرجال قد غلبوهن على المعرفة ومجالس العلم والتعليم لم يطقن صبراً على تحمل هذا الحرمان، ولم يرضين بهذه الغلبة، فذهبت إحداهن إلى رسول الله ﷺ وقالت له: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فأجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه، تكلمنا مما علمك الله، فاستجاب لذلك، وحدد لهن يوماً يجتمعن فيه ويأتين رسول الله فيعلمهن مما علمه الله.

وأوروبا الحديثة تبالغ في ادعاء منح المرأة الحرية التامة دون مراعاة الالتزام، فهي حرة في الحياة مع رجل دون زواج، وهي حرة في ارتياد المراقص والملاهي كما تشاء، وهي حرة في مصادقة الرجل الأجنبي عنها، ومخاللته كما تريد، وهي حرة في أن تقف عارية في واجهة المجلات ليتمتع الرجال بالنظر إلى جسمها نظير قروش معدودات.

أهذه هي الحرية كل الحرية التي تسعى إليها المرأة؟ حرية ولا التزام من دين أو أخلاق أو عرف أو قيم إنسانية أو أعراف اجتماعية ويسمونها حرية، تدعو إليها الداعيات والداعون أبناء وبنات المسلمين، لتكون الحياة في رأيهم مرعى للآثام والزذيلة وفقدان الذات.. أليست هذه تجارة بالمرأة أسوأ من تجارة الرقيق؟

ومن يمن الحظ للأسرة المصرية أن تكون كل التشريعات الخاصة بها قائمة على ركيزة قوية من أحكام الإسلام وتشريعاته السامية.

إن العفة والطهارة والشرف والعرض والأنساب المصونة، انتهت من الغرب ومن أمريكا من زمن غير قصير، بل وانقرضت من شعوب كثيرة في العالم تعيش في ظلال المناهج الغربية.

لقد أصبح أمر الباحث عن الفضيلة وسط هذه الموجات من مذاهب العرى والشذوذ والزذيلة والفساد كأمر الباحث عن إبرة سقطت في البحر.

سلام على من اتبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

على أنه لا تعرف مكانة المرأة في الإسلام، فتاة، وزوجة، وأما، وربة أسرة، على حقيقتها إلا بعد معرفة موقف الحضارات الأخرى والتشريعات السابقة والمعاصرة منها.

لقد كانت المرأة عند الفرس والإغريق متاعا للبيع والشرء وكان الرجل هو صاحب السلطة عليها، أبا أو زوجا، ولا أهلية لها للتصرف وفي الهند كان حقها في الحياة ينتهي بوفاة الزوج فتحرق مع جثته، وإلا عاشت منبوذة ملعونة طول حياتها.

وفي الجاهلية العربية رأينا وأد البنات كما رأينا الابن يرث زوجة أبيه بعد وفاته، كما يرث متاعه، ويتحكم في تصرفاتها وفي حياتها وفي القانون الروماني كانت المرأة قاصرة لا تستقل بحقوق منفصلة عن زوجها، ولا تتصرف في أموالها إلا بإذنه.

وفي ظل الرهينة كانت المرأة تصور على أنها منبع المعصية والزذيلة، وجمالها سلاح إبليس الذي لا يوازيه سلاح.

وفي أوروبا إلى ما قبل عدة قرون كانت المرأة تعتبر مصدر الشرور والآثام، وخليفة الشيطان، وليس لها حق التصرف في مالها، وكان الفلاسفة ورجل الكنيسة يتحاورون حول كون المرأة شيئا أو شخصا، وهل لها روح إنسانية كالرجل، وهل تستحق مثله الحياة الأخرى وانتهت حواراتهم إلى أن المرأة خلقت لخدمة الرجل.

﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استنفنا وأرسلنا القراء

بحسب عن الجمة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ / عبد الفتاح الزيات

فنجيب بالآتي : ما تركه الزوج من تركه يوزع علي الأم والزوجة والإخوة والأخوات للزوجة الربع فرضا وللأم السدس والباقي للأخوات والإخوة تعصيبا للذكر مثل حظ الأنثيين، أما بالنسبة للشقة المذكورة تقدر قيمتها بسعر اليوم وبالسعر الساري أما ما دفعته الزوجة من الاشتراك في تسديد الأقساط يكون دينا يقوم بسداده جميع الورثة بشرط أن تثبت الزوجة لهم بأنها شاركت زوجها فيما دفعته ويكون ذلك بالدليل الفعلي فإذا تم تقديم الدليل على صحة ما تدعيه لابد من إذن بموافقة جميع الورثة ورضاهم بذلك فإذا لم يرض الورثة بذلك قسمت بينهم التركة كما ذكر أولا .

والله أعلم

● السؤال من السيد / محمد عبدالعزيز جاسر .
توفي رجل عن زوجة - أم - أخوة - أخوات - وترك شقة تمليك باسمه يسدد ثمنها على أقساط ثم مات قبل أن يقوم بتسديد باقي أقساط الشقة علما بأن زوجته كانت تشارك زوجها في تسديد أقساط الشقة مناصفة بينهما «حسب تقدير الزوجة» .

والسؤال هو : هل تشارك الزوجة في ملكية الشقة وبأى نسبة .

هل يتم تقدير قيمة الشقة بوقت شرائها أم بسعر اليوم .

●● الجواب :

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ .

وبعد :



● السؤال من السيد / مصطفى السيد على
خزبك / الحلمية - أبو حماد شرقيه

رجل أساء معاملة زوجته لدرجة استحالة دوام العشرة بينهما فرفعت أمرها للقضاء فطلق لها القاضى طليقة بائنة، أستأنف الزوج حكم الدرجة الأولى فأيد الاستئناف حكم الدرجة الأولى، فلجأ الزوج إلى النقض ومزالت القضية معروضة أمام النقض والزوجة تسأل هل يحق لها الزواج بعد مضي ما يزيد على العدة المشروعة خصوصا وأنها تخشى على نفسها وتحتاج إلى إعفاف نفسها بالزواج؟.

●● الجواب :

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله
وبعد

فإن الذى طلق هذه الزوجة إنما هو القضاء كما فهم من فحوى السؤال ولا يصح لهذه الزوجة أن تتزوج بزواج آخر إلا بعد أن يعتبر الحكم الصادر بالطلاق حكما نافذا غير قابل للطعن شرعا وقانونا وحيث إن قاضى النقض قد قبل القضية شكلا وأعادها للتحقيق فى محكمة النقض فإن هذا الحكم لا يعتبر نافذا إلا بعد حكم محكمة النقض وبشرط أن يؤيد النقض حكم الدرجة الثانية وبالتالي فحكم درجة ثانية وهو الاستئناف كأن يؤيد الحكم أول درجة بالطلاق وبعد تأييد النقض لهذا الحكم كما ذكرنا يصبح لها أن تتزوج بزواج آخر طالما كان الحكم مؤيدا للطلاق لأن ولاية القاضى هى التى يؤخذ بقرارها والقاضى ولى من لا ولى له شرعا وقانونا.

هذا إذا كان الحال كما ذكره السائل .

والله ولى التوفيق

● السؤال من السيد / مصطفى محمود
أحمد

ماحكم عمل المرأة فى محلات الكوافير وحكم المال الذى تتقاضاه وحكم إخراج الزكاة عليه؟

●● الجواب :

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله .

وبعد

فإن عمل المرأة فيما يسمى بالكوافير إذا كان عملها فى وسط النساء بشرط أن لا تغير شيئا من خلق الله وبحيث لا يكون واصله ولا واشمة ولا مفلجة للسن ولا مغيرة لخلق الله وبحيث لا يترتب على عملها أى إغراء أو غش يكون أجرها فى حدود العمل الحلال وإن كان على عكس ما سبق كان ما تتقاضاه حراما .

أما عمل الرجل فى الكوافير الخاص بالنساء فهو حرام مطلقا وما يترتب عليه من أجر حرام كذلك .
وأما بالنسبة للزكاة فإن تجمع لديهم مبلغا يساوى نصابا وحال عليه الحول وجبت فيه الزكاة بمعدل ٢,٥٪ ونصاب الزكاة بما يساوى ثمن ٨٥ جراما ذهبيا بسعر العملة السائدة عيار ٢١ .

وهذا وبالله التوفيق

● السؤال من السيد / سعد عبدالهادى

تقوم شركات صيانة الأجهزة المنزلية بالنصب على العملاء من حيث أن قيمة البضاعة التى تقوم بتركيبها تحاسب على أن ثمنها ٤٠٠ جنيها فى حين أن ثمنها الأساسى ٣٦ جنيها . فهل هذا العمل حرام أم حلال؟



●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد

فنفيد بأن الشركة حينما تقول للعميل بأن ثمن البضاعة كذا والتمن في الحقيقة غير هذا فيعتبر هذا العمل كذباً وأكلاً لأموال الناس بالباطل وهو سحت وهذا الكذب من علامات المنافق الذي أخبر عنه الرسول ﷺ بقوله: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أُوْتِمِنَ خان» فيجب على هذه الشركات أن تكون صادقة في أقوالها وأفعالها لأن الصدق هو الذى ينجى الإنسان فى الدنيا والآخرة ففى الأثر «الصدق منج والكذب مرد» والله أعلم

● تلقينا خطابا من طالب فى كلية الشريعة والقانون- جامعة الأزهر. يسأل فيه عن حكم الرجوع عن الخطبة ويقول فى خطابه: إنه من المتفق عليه فى الشريعة الإسلامية بأن قراءة الفاتحة بين أهل العريس والعروس تعتبر عقدا، فإذا ما اتضح بعد ذلك لأهل العروس سوء سلوك الخاطب وشراسته وطباعه وإقدامه على بعض

الأفعال التى لا يقره عليها أحد، بأدلة قاطعة، وقد أدى ذلك كله إلى فسخ هذه الخطبة، فهل هناك مسئولية شرعية تترتب على هذا الفسخ وما حدودها؟

●● الجواب :

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد فنفيد بأن السائل قد فهم خطأ حكم الخطبة، وغاب عنه وجهها الشرعى فقد جاءت الخطبة فى القرآن الكريم، وذلك قوله تعالى:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ (١).

ومن هذا يفهم أن الخطبة لا تخرج عن كونها اتفاق مبدئى على الرضا بالتزويج، سواء أعلن ذلك فى حفل أو لم يعلن، وهى بذلك لا تأخذ حكم العقد الشرعى الذى حددته الشريعة الإسلامية، إذ الوضع الوجودى والشرعى والعرفى للخطبة غير الوضع الشرعى والوجودى والعرفى للعقد. بمعنى أن الخطبة لا تبيح للخاطبين ما يبيحه العقد الشرعى بين الزوجين، ولعل ذلك ما يوقع بعض الناس فى خلط شديد يؤدى فى النهاية إلى حرج بين الطرفين ناتج عن السماح لهما بالاختلاط والخروج منفردين.



أولى - يجوز في الاتفاق هذا إذا كان الحال
كما ورد في السؤال .

والله أعلم

● السؤال من بدر الدين حافظ

تزوجت بامرأة ومعها بنتان وقمت برعاية
أولادها مع أولادى فكانت دائمة المشاكل
معى إلى أن ألقيت عليها ثلاث طلاقات
منفصلة فى عدة أعوام وقامت بالاتفاق مع
أحد أقاربها بعمل محلل وتزوجت وفى اليوم
الثاني للزواج طلقت وبعد أشهر / العدة
راجعتها إلى عصمتى ومنذ ذلك اليوم
والبركة نزع من بيتي فهل هذا العمل حرام
أم حلال برجاء الإفادة وشكرا ..

●● الجواب :

ما دمت قد طلقت زوجتك ثلاثا فلا تحل
لك حتى تنكح زوجا غيرك زواجا شرعيا
معتبرا فإذا طلقها الثانى أو مات عنها جاز
لك أن تتزوجها بعد انقضاء عدتها من الثانى
أما إذا اتفق الزوج الثانى مع الزوج والزوجة أو
أحدهما ليطلقها لتعود للأول بما يعرف
بالحلل فإن الزواج يكون باطلا للأول والثانى
والله أعلم

وما يترتب على ذلك من قيل وقال وكثرة
التساؤلات وعلامات الاستغراب .

وشريعة الإسلام لم تترك الأمر على إطلاقه
للخاطبين بل وضعت لذلك ضوابط وحدود،
إذ أباحت الرؤية الكريمة، والكلمة المهيبة،
والفعل الملتزم والجلوس بين الأهل والأقارب،
وكل ذلك فى غير إفراط .

أما العدول عن هذه الخطبة أو فسخها
لأسباب تعود إلى سوء سلوك الخاطب وشراسة
طباعه وتصرفاته المشينة، فإنه يكون أمرا
مطلوبا شرعا، بل هو واجب حتمى حرصا
على صيانة الحياة الزوجية من عبث صبيانى
أو تصرف طفولى، إذ أن مراعاة الأخلاق وبناء
حياة زوجية سليمة خالية من أية شائبة
تشوبها، لمن أهم ما يعنى به الشارع الحكيم
فى تكوين الأسرة المسلمة، والحفاظ على
استمراريتها فى ظل الأسرة المسلمة الكبيرة
وقد أباح الشارع الحكيم للإنسان أن يحنث
فى يمينه إذا تبين له أن المصلحة والخير فى
نقضه من ذلك قوله ﷺ : « من حلف على
شئ يميناً فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن
يمينه وليفعل الذى هو خير » .

فإذا كان ذلك فى اليمين، فإنه من باب

خطبة الجمعة :



لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله - عز وجل - دعا إلى الحق، وأمر بالصدق ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ^(١). أشهد أن لا إله إلا الله، يحق الحق بكلماته، ويزهق الباطل بآياته؛ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾ ^(٢).
وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله، كان الحق شعاره، والصدق دثاره، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٣).

(١) سورة المؤمنون آية (١١).

(٢) سورة الأنبياء آية (١٨).

(٣) سورة النساء آية (١٢٢).



يا أتباع محمد ﷺ :

الأقصى، فجاء عن الرسول ﷺ أن الصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة في غيره من المساجد، باستثناء المسجد الحرام والمسجد النبوي.

وجاء في الفقه الإسلامي أنه يستحب الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس، للحديث الذي يقول: «من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٦).

ومن مظاهر عناية المسلمين القديمة الموصولة بالقدس وبالمسجد الأقصى وبفلسطين كلها، أنهم خلال عصور التاريخ المتوالية لم يدعوا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بهذه الأماكن إلا تحدّثوا عنها أحاديث التفصيل والتحليل والتمجيد والتخليد، وأودعوا هذه الأحاديث مؤلفات وكتباً ضخمة ألفها علماء الإسلام ومؤرخوه منذ قرون، ومنها كتاب «فضائل القدس» لابن الجوزي وكتاب «الأنس في فضائل القدس» لابن هبة الله الشافعي، وكتاب «مثير الغرام بفضائل القدس والشام» لابن سرور المقدسي، وكتاب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» لمجير الدين الحنبلي، وكتاب «الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى» لابن عساكر، وكتاب «باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس» لابن قاضي الصلّت، واستمر تأليف الكتب عن فضائل القدس، وفضائل المسجد الأقصى، ومكانة فلسطين عند المسلمين، حتى العصر الحاضر، حيث نجد كتباً كثيرة في هذا المجال من بينها كتاب «تاريخ الحرم القدسي» و«المفصل في تاريخ

نشرت مجلة الوكالة الصهيونية في لندن منذ حين مقالاً تزعم فيه مزاعم تضليلية كبرى يراد منها ومن أمثالها تزييف التاريخ، وتحريف الحقائق، والافتراء على الله وعلى الناس، ومن أضاليل هذا المقال أنه يزعم أن عناية المسلمين بالقدس (وهي بيت المقدس) وبالمسجد الأقصى لم تظهر إلا أخيراً، بعد التنافس بين المسلمين واليهود في فلسطين، وهذه محاولة صهيونية وقحة لستر الشمس الساطعة بيد حقيرة نجسة، فإن المسلمين يعنون بالقدس وبفلسطين كلها منذ بزغت شمس الإسلام، ومنذ أكرم الله رسوله محمداً ﷺ فخصه بمعجزة الإسراء والمعراج، وسجل ذلك في تنزيل إلهي لا يبلى ولا ينسى، فقال:

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِسْنَاءِ إِنَّهُهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤).

وبذلك كان المسجد الأقصى أحد مسجدين اثنين اقتصر القرآن على التصريح باسمهما، وأولهما هو المسجد الحرام وفيه الكعبة المشرفة وهذه العناية موجودة منذ قال سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي في المدينة، والمسجد الأقصى»^(٥). ولقد ألقى الإسلام رداء الهيبة والكرامة والقداسة على المسجد

(٥) أخرجه الدارمي، والبخاري.

(٤) سورة الإسراء آية (١).

(٦) أخرجه ابن ماجه.



الطرق في سنة ١٩٠١ أن يحملوا السلطان عبد الحميد على أن يفتح لهم الباب أمام سكناتهم في فلسطين، وعرضوا عليه الملايين والخدمات الضخمة التي كان محتاجا إليها، ولكن السلطان عبد الحميد رفض ذلك وقال: «إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين، فهي ليست ملكا لي، بل ملك شعبي الذي ناضل في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا فرقت إمبراطوريتي يوما فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حتى فإن عمل الموضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بتت من إمبراطوريتي، وهذا أمر لن يكون، فإنني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة».

يا أتباع محمد ﷺ :

إن الصهيونية قد كسبت أكثر ما كسبت من مغائرها الآثمة الظالمة بطول الدعاية وسعتها، فهي تروج للباطل ثم تروج ثم تروج، حتى يبدو في أنظار الجاهلين والغافلين كأنه الحق، ونحن لا نعني بتوضيح حقنا للناس هنا وهناك فلا يحسون به ولا يتحمسون له، فلنقرأ تاريخنا، ولنتعرف إلى حقوقنا، ولنتعرف بها، وليكن من وراء الدرس والمعرفة إيمان ومن وراء الإيمان عمل وإتقان، ومن وراء الإتقان يقين وإحسان، وما ضاع حق وراءه مطالب، والله ولي الصابرين واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

ألقيت هذه الخطبة في يوم الجمعة
الموافق ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٦٧

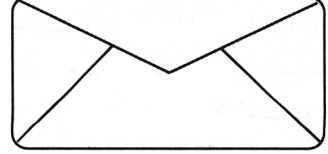
القدس» وهما لعارف العارف الرجل المسلم المكافح. ولكن أليس من الإنصاف أيها الإخوة أو من نقد الذات أن يهمس بعضنا لبعض فيقول: هل قرأنا هذه الكتب أو بعضها؟ هل فكرنا في إصلاح خطئنا بالإقدام على قراءة بعضها؟ هل أدركنا على الأقل أن نكبة الاحتلال الصهيوني تستدعي أن نتعرف إلى حقنا، وأن ندرس تفاصيل تاريخنا، وأن نقف على قيمة تراثنا؟ يهمس بعضنا لبعض ونرجو ألا يبلغ الهمس آذان أعدائنا الآثمين وإلا اتخذوه حجة علينا، ورددوا ضدنا قول شاعرنا:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها

هوانا بها كانت على الناس أهونا

ويزعم المقال الآثم أن الشعور بأن «القدس» مكان مقدس لم يُقل عند المسلمين إلا في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين وهذا كذب وزور. لأن المسلمين ظلوا خلال العصور والدهور يشدون رحالهم إلى القدس لزيارة المسجد الأقصى بنية العبادة لله، ولإقامة شعيرة من شعائر الإسلام، وللاهداء بهدى الرسول ﷺ، ولو قيل: إن مزيدا من العناية والاهتمام قد بدا بين المسلمين في القرن العشرين بشأن القدس وفلسطين، لكان من الواجب تفسير ذلك تفسيراً حقيقياً صادقا، فنعلله بأن الاغتصاب البريطاني لفلسطين، مع تواطؤ إنجلترا والصهيونية العالمية، ومن خلفهما أمريكا، لتهود فلسطين، هو الذي فجر ما كان مطويا في صدور العرب والمسلمين منذ مئات السنين، من حرص على فلسطين وخوف من مصيرها المؤلم على أيدي الصهيونية والاستعمار ولنتذكر على سبيل المثال أن اليهود حاولوا بشتى

رسالة .. و .. رد



لفضيلة الشيخ /عبد الفتاح سيّد جمعان* ()

رسالة هذا العدد وردت من القارئ س.ص.ع تتضمن مشكلة خاصة به يقول عنها:
عقدت قرانى على فتاة وبعد أربعة أشهر عاشرتها الأزواج قبل الزفاف وبعد عدة أيام من
المعاشرة اعترفت لى بأنها لم تكن عذراء، فتغيرت نفسى وغضبت لذلك، ثم وجدت نفسى أميل إلى الستر
عليها خاصة أنى لم أشعر أثناء المباشرة أنها ليست بكرًا، وهى التى أخبرتنى بذلك من باب الأمانة.
والسؤال هو: هل فى الإسلام ما يمنع من الاستمرار معها؟ وما حكم الشرع فى هذا العقد الذى شابه هذا
التدليس؟ فهل يفسخ العقد بهذا التدليس؟ وهل يلزم عقد جديد؟ وإذا انصرفت نفسى عنها وافترقنا،
فما هى الحقوق المترتبة لكل من الطرفين على الآخر؟

وبداية أقول للأخ صاحب المشكلة إن
الإسلام قد دعا وأكد على التحرى فى اختيار
الزوجة وقد قال رسول الله ﷺ فى هذا
المقام: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» (١)
وتأمل كلمة «فاظفر» التى توحى بالبحث
الدءوب ثم الوقوع على الضالة المنشودة بعد

●● وقبل الرد على هذه الرسالة أشكر
الأخ القارئ على حسن الظن بمجلة الأزهر
والقائمين عليها وعلى ثقته بى شخصيا
حيث طلب أن أرد على رسالته، جعلنى الله
عند حسن ظنه بى ووفقنا جميعا لخدمة
العلم والدين.

(*) الأمين المساعد للثقافة الإسلامية بمجمع البحوث الإسلامية.

(١) أخرجه ابن ماجة.



عذراء بادرة خير تنبئ عن رغبتها فى تكوين أسرة طيبة معك مؤسسة على الصراحة والأمانة كما قلت .

ثم إن نفسك مالت إلى الستر عليها كما ذكرت، وهذا خير كبير يدل على نفس سمحة تميل إلى الخير، وهذا الستر يدعو إليه الدين ففى الحديث (إن الله حىي ستير) (٢) أى كثير الستر وقد دعانا الرسول ﷺ إلى التخلق بأخلاق الله - تبارك وتعالى - وقد دعا الدين شاهد الزنا إلى الستر وجعله أفضل فى كثير من الأحيان، منها ما جاء فى الأثر: (لو ألقيت عليهما ثوبك لكان أفضل) كل هذا فى الزنا فما ظنك إن كان مع واحدة معقود عليها، ثم لا تنس أنك شريك فى هذه الفعلة .

●● وبعد هذه المقدمات التى لا بد منها نخلص إلى الاجابة عن أسئلتك وأبادر فأقول: إنه ليس فى الإسلام ما يمنع من استمرار هذا العقد، وليس ثمة ما يدعو إلى فرقة زوجتك إذا تابت توبة نصوحا وندمت على ما فعلته قبلك وأعتقد أن اعترافها لك بما لم تشعر أنت به ينبئ عن ذلك، لكن إذا لم تتب ولم تقلع عن الحرام فمن حقه أن تطلقها، بل

طول البحث والتحرى .

وهذا التحرى يقى الإنسان من الانخداع والوقوع فى حبائل النساء لكن قدر الله وما شاء فعل، وهذا يا أخى قدرك وحظك . وكما قالوا: «لن يغنى حذر من قدر» ولعل الخير كل الخير فى هذا الذى قدره الله لك فما يدرى الإنسان منا مخبات الزمان وقديماً قال الشاعر.

ولا أدرى إذا يـمـمـت أرضا
أريد الخير أيهما يلينى
أ الخير الذى أنا أبتغيه
أم الشر الذى هو يبتغينى
فطب نفسا يا أخى والخيرة فيما اختاره
الله لك .

ثم إن الأعراف المرعية خاصة فى مصر تحظر مباشرة الزوجة أو الدخول بها قبل الزفاف وهذا أمر يحبذه الشرع ويرعاه ويدعو إليه حفاظاً على سمعة الأسر وكيانها فمع أن ما فعلته بمن عقدت عليها لا يعتبر زنا، إلا أنه أمر غير مرغوب فيه، وما كان ينبغى لها أن تتمكنك من هذا لكن أعود فأقول، قدر الله وما شاء فعل .

ثم إن اعتراف زوجتك لك بأنها لم تكن

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما .



قال بعض الفقهاء: إن الطلاق واجب في هذه الحالة.

أما عن سؤالك: هل هذا التدليس يفسخ العقد أم لا؟ فأقول لك: إن الفسخ غير الطلاق فالفسخ ينهى العلاقة الزوجية في الحال ولا يترتب عليه ما يترتب على الطلاق من حق الرجعة في الأولى والثانية في العدة.

وقد قال العلماء: إن الرجل إذا عقد على امرأة وتبين له أنها أخته من الرضاع أو ما شاكل ذلك فذلك أمر يوجب الفسخ.

أما العيوب التي توجب فسخ عقد النكاح فقد قال المالكية: إنها بالنسبة للمرأة: البرص، والجذام، والجنون، والقرن، وهو عيب في المرأة يمنع الإيلاج وبالنسبة للرجل أن يكون مجبوبا، أو عنيئا، وزاد ابن القيم - رحمه الله - فجعل العمى والخرس والطرش وقطع اليدين والرجلين أو إحداهما مما يوجب الفسخ إذا كان الزوج لا يعلمه قبل العقد، أما إذا كان يعلمه فلا فسخ أما إذا انصرفت نفسك لأي سبب عنها وافترقتما وحدث

طلاق فلها كل الحقوق التي تترتب على الطلاق من مؤخر صداق والمتعة ونفقة العدة ولك عليها حق المراجعة في الطلقة الأولى والثانية ولك عليها أيضا ألا تبرح منزل الزوجية أثناء العدة فقد عاشرتها معاشرة الأزواج وقد قرر العلماء أن مجرد الخلوة الشرعية للمعقود عليها يوجب لها كل الحقوق السابقة من مهر ومتعة ونفقة العدة.

والخلوة الشرعية هي أن يكون الزوج والزوجة في مكان آمن، فلا يدخل أحد عليهما وثمة أمر أرى لزما على أن أنبهك إليه، فلعل هذا الأمر تترتب عن زواج سابق فأنت لم تذكر في رسالتك هل سألتها عن سبب ذهاب البكارة أم لا. ثم إن الأطباء قد قرروا أن البكارة قد تذهب بلا جماع، وذكروا بعض الأسباب لذلك كحمل شيء ثقيل أو الضرب على الظهر، فلعل البكارة قد ذهبت من زوجتك لسبب من هذه الأسباب. هذا والله أعلم



فى رياض الأمل

لمؤسّاذ / مجدى عبدالمحمّد بشير

أثبتت الدراسات الحديثة أن الطريقة التى تنظريها إلى الحياة تحدد الأسلوب الذى تتعامل به مع الآخرين والكيفية التى تواصل معها رحلة العمر متعاوناً مع الآخرين لأجل مستقبل زاهر. وتفصيل ذلك أنك فى حال توقعك لأمر طيبة ونتائج حسنة تكون قد قطعت نصف الطريق نحو النجاح والعكس صحيح أيضاً. فهناك فيما يبدو علاقة طبيعية يحكمها قانون السبب والنتيجة فى مسألة التفاؤل والتشاؤم. فكلا الأمرين يمثل قوتين هائلتين تدفع أحدهما بالإنسان إلى الأمام والأخرى إلى الخلف لكن الأمر يتوقف على اختيار الشخص فكل منا عليه اختيار الطريقة التى يصوغ بها مستقبله ونظراته للأشياء.

نكون مؤمنين بالله نتعامل مع الأمور بشكل هادئ رصين ومنهج معتدل قويم فقد كان ﷺ فى حياته محباً للمؤمنين حريصاً على تمنى الخير لهم وإيصال البر إليهم. ولم يكن فاحشاً ولا بذيئاً ولا صخاباً فى الأسواق وكان يحل المشاكل بالفطرة النقية والبساطة التى عهدا الكثيرون لديه، أعداؤه قبل أصدقائه حتى قال عنه أحدهم: لو كان محمد موجوداً فى عصرنا لحل مشاكل الدنيا وهو يحتسى فنجاناً من الشاي، فالقرار إذا قرارنا إما أن نعقد الدنيا فتسود فى وجوهنا وإما أن نواجهها بصدر منشرح وقلب وعقل مفتوح

والدنيا كما نعلم مليئة بالخير والشر وهما للإنسان فتنة واختبار. قد تملأ الأقدار قلبه بالأحزان وقد تصبح كأسه مترعة بالسعادة والهناء. قد يغمره الفرح والسرور أو يعتصره الألم والأسى فإن كان بساماً ضاحك السن ارتفعت معنوياته وتغلب على معاناته وإذا استسلم للهموم ودك الجزع حصونه القوية كان لاشك ضحية المعنويات المنهارة التى تشى بإيمان ضعيف وعقيدة واهية تنص على أن الله حين خلق العبد أمر الملك بكتب أربع كلمات:- رزقه وأجله وعمله و شقى أو سعيد. وقد دعانا رسول الله ﷺ إلى أن



وتدب بينهم البغضاء لاختيار من يضع الحجر الأسود مكانه وأخذوا يتلاومون وكل منهم يذكر مآثره ويجسم مفاخره حتى وصلوا إلى طريق مسدود .

ولكن شاء الله أن ينجيهم من عثرة الرأي ويلهمهم الرشد والصواب وهو أمر يفوق شجاعة الشجعان .

فقد اتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب الكعبة فيما شجر بينهم وكان الداخل لحسن حظهم هو محمد الذى كان معروفاً لديهم بالصادق الأمين فحكموه قائلين رضينا به حكماً وكان الحل السهل البسيط الذى ينبع من نفس غمرها الحب وملاها الود لكل إنسان فهى نفس تعشق الفطرة وتحب السلوك السوى إذ يفرش الأمين رداءه ويضع الحجر الأسود عليه

ويأمر شيخ كل قبيلة أن يمسك بأحد أطراف الثوب ثم يأخذ هو الحجر ويضعه بيده الشريفة فى مكانه ويحسم الخلاف ويحل الوثام مكان الخصام ويزول الاختلاف بالائتلاف فأى قلب هذا الذى أفعم بالحكمة وازدهى بالنصفة فدانت له القلوب وأصبح متوجاً على عرشها الذى يبقى بعد زوال كل العروش والتيجان إننا نريد أن نعلى فى الناس كل جانب إيجابى مثمر خلاق ونجنبهم شتى مظاهر السلبية واللامبالاة، ولا يحتاج ذلك منا إلى كثير من أموال ولاحتى إلى جاه عريض إنما يحتاج إلى

فتهون الصعاب ويصبح العسير يسيراً والقليل كثيراً . وسمع معى إلى ذلك الأعرابى الذى يدعو ربه طالباً الرزق كيف كان طويل النفس فى دعائه مطمئن البال فى طلبه ملتمساً كل الوسائل الممكنة واللغة المتاحة فى طلب رزقه وكأنه يهينى لاستجابة دعائه الأبواب فيفتح الله له الأسباب، إنه يدعو من ثقة وإشراق نفس فيقول « اللهم إن كان رزقنا فى السماء فأنزله، وإن كان فى الأرض فأخرجه وإن كان بعيداً فقربه وإن كان قريباً فأدنه وإن كان قليلاً فكثره وإن كان كثيراً فبارك لنا فيه » فأى روح وثابة تلك التى تتمسك بأهداب الأمل وتتشبث بحبال الرجاء وتتبع نور اليقين ولو كان بصيصاً من ضوء .

إننى وكل مؤمن رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالقرآن كتاباً ودستوراً نرى فى اليقين منبعاً ثراً ومورداً تملو به الحياة وتطيب فتصبح كوثرأ معسولأ يروى به شاربه ويهناً به طالبه شريطة أن تتوفر النية الخالصة والقصد السليم وتعال معى إلى الدوحة النبوية لابل حتى قبل أن يبعث الرسول ﷺ لترى كيف كانت بساطته سبباً لنشر السلام بين القبائل وحقن الدماء بين الأخوة فبعد أن تم بناء الكعبة بجهد جهيد اختلف العرب وكادوا أن تملكهم الشحنة





الرفاهية ولا دعوة إلى تضييع الوقت فيما لا يفيد إنما هو فى جوهره ضرورة تستوجبها الحياة ويمليها الأمل المبني على العمل الذى يبعد بصاحبه عن الملل، أما الأفكار السلبية المتخاذلة إن عشت فى قلب إنسان فسرعان ماتبيض وتفرخ ويغذى بعضها بعضاً حتى تخلق حول الإنسان حلقة من اليأس تجعل الدنيا فى عينيه سجنًا كبيراً وصحراء قاحلة كلما حاول منها فكاً غاصت قدماه فى كثرانها ومازال لأنه تخلق عن الأمل أو تخلق عنه الأمل الذى لولاه ما أرضعت أم وليدها ولا ألقى فلاح بذرة فى أرضه أو سقا زارع زرعه. الأمل الراسخ إذاً مصباح يضيئ لصاحبه الطريق وينير له الدرب ويكون له فرقان يفرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال.

فهل رأيت كيف يكون الأمل المبني على عمل صالح، المستند إلى إخلاص نوراً وهادياً ودليلاً، فالإخلاص نور الدنيا وعطر الوجود يجعل للتفاؤل معنى وللتمنى مغزى صاحبه يمشى على هدى ويدعو إلى الله على بصيرة لا يخطئ خط عشواء ويدرك أن الإخلاص بين العبد وربّه لا يطلع عليه ملاك فيكتبه أو شيطان فيفسده إنه يجعل الحياة متناغمة، إن الدعوة إلى التفاؤل والأمل والعمل دعوة تتناسب تماماً مع صريح الإيمان.

أناس يختارون هم بإرادتهم الحرة المطلقة أن يستثمروا أمرين اثنين: التفاؤل المستند إلى الإيمان، والنفس المحبة للخير إلى آخر مدى وأبعد حد ونحن بهذا لآنقول إننا نعيش فى دنيا وردية اللون خلت من كل المشاكل وامتلأت بشتى المباهج فالدنيا مليئة بالأمرين معاً وعلى الإنسان أن يختار ويصر على اختيار يخلق منه إنساناً سوياً متوازناً قوياً أمام الصدمات لتبطره النعمة ولا يطغيه الجاه كما لا تيئسه الحاجة أو يئسه الحرمان فالدنيا بأجمعها لاتساوى عند الله جناح بعوضة وإلا ما سقى كافراً منها شربة ماء وإن كان لأبد للدنيا أن تزنى عند المؤمن شيئاً وتمثل لديه قيمة وهى لاشك كذلك فالمطلوب إذاً هو شخصية متوازنة متماسكة تعطى وتأخذ تتفاعل مع من حولها باعتدال ورزانة ورسوخ قدم ولن يكون ذلك إلا بحسن الخلق الذى يبلغ حاجته فى الإسلام درجة الصائم القائم، وطريق تحقيق ذلك الهدف السامى والغاية العظمى هو أن تلين جانبك لمن تتعامل معهم. إن تجارب الحياة توضح للمنصفين أن جوانب الخير فيها تفوق بكثير جوانب الشر فلم لا تسعى إلى الخير سعياً يستدعى فى الإنسان أجمل مافيه ويوظف فى المسلم أطيب ما وهبه الله من فضائل ومكرمات، إن الاستمسك بالتفاؤل ليس مطلباً من مطالب



والمعروف جزاؤه المعروف وأن هذه سنة الله
والدستور غير المكتوب :

وسنة الله التي لا تتخلف أن يستل النور من
قلب الظلام وأن اليأس مهما ازدادت دوائره
وتكاثرت دواماته فهي مهترئة هشة مآلها إلى
الزوال طال الزمن أو قصر وانظر سدد الله على
طريق الحق خطاك مثلاً إلى شخص ولد في بيئة
فقيرة معدمة جاهلة أو على الأقل أمية يسودها
المرض والفقر ثم ولكي يتم البلاء يولد ذلك
الشخص ضريراً إنها صورة شديدة القتامة لكن
اللطيف الخبير سرعان ما يحبو ذلك الشخص
بلطفه فيتبدل الفقر إلى غنى وستر وكفاية
والجهل علماً وفقهاً وذكاء والمرض صحة
وعافية، هل كان أحد يصدق أن هلين كليز
الصماء العمياء البكماء ستتعلم وتحصل على
أرقى الشهادات .

وبعد فإن الله عز وجل امتن على نبيه
بقوله :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۖ ﴾ (١)

فالتفاؤل التفاؤل والأمل الأمل والعمل
العمل .

إن للكلمة المتفائلة تأثير السعد ولذا أكد
ﷺ على حبه للفعال الحسن أما الأمل في الله
فقد أكدته نبوته ﷺ التي تنبعث من نفس
زالت عنها الحجب وتستشرف الغيب
وتلمس النور رغم كثافة الظلمة وهول
الموقف . أكد ﷺ على ذلك المعنى في أثناء
حفر الخندق، والمدينة محاصرة يحدق الخطر
بها من كل مكان ويحيطها الأعداء من كل
حذب وصوب حين اعترضت أصحابه - رضى
الله عنهم - صخرة قوية لم يستطيعوا
معالجتها فتصدى هولها ففتتها وكان في كل
ضربة يفتح باباً للأمل وطريقاً للعمل الجاد
فقد بشرهم بأنه ﷺ أوتى مفاتيح اليمن
والشام ومدائن كسرى وفارس . إنها النبوة
التي تغرى في الإنسان أسس الأمل في
المستقبل الواعد والتي تنفض عن الآدميين
غبار اليأس لتستثمر أجمل ما أودع البارئ
في عباده من طاقات خلاقة وعزائم متينة
وهماً ناهضة، انها مبادئ تربي عليها
وأشرب صفوها رجال أشداء على الكفار
رحماء بينهم يؤمنون إيماناً جازماً أن العجلة
لا يمكن أن تعود إلى الوراء أبداً وأن التقدم
الإنساني حتم لا بد منه وأن الدنيا قنطرة إلى
الآخرة وأن العمل الصالح فيها لا يذهب هباء



بين المجلد .. والقارئ

إعداد وتقييم / عادل رفاعي خفاجة

تطلعات قارئ

غلواء هذا الشعور وأرغمتني على أن أقنع من الانتصارات الأدبية المرجوة بحس نقدي عميق، أخوض به في الأثر الفنى خوض العارف الخبير، وأتعرف به مواضع الجمال والروعة، وأجمع به ما عسى أن يستخرج من بحر من الكنوز، والأمر الذى لفت نظري إلى هذه النعمة الجليلة، ورفع كفى إلى السماء بطلبها، هو ما كنت أستشعره من الدهشة لدى مطالعتي دراسة نقدية عن عمل أدبي ما، فكنت أجد الناقد ينتزع من صلب القصة معان ومقاصد خفية، وأفكارا أخرى فلسفية، لم تخطر لي على بال وكل هذا كفيل أن يعذب شخصا مثلي باليأس، ويسود الدنيا أمام عينيه.

للشباب طموحه وتطلعاته التى يشعر بالألم حين لا تتحقق على الوجه المنشود وهذه كلمة من الشاب الطامح / هانى محمد عبدالرازى - خريج تجارة المنصورة، التقطناها من بين أحاديث الذكريات التى أرسل بها إلى المجلة - ونأمل أن تستقر عواطفه إلى حيث يحمد المصلحون.

يقول القارئ:

كنت فيما مضى ألمس فى نفسى من المواهب والقدرات ما يحملنى على الظن بعبقريتي، والتنبؤ بمجد أدبي ينتظرني .. لكن نوبات الإحباط والعجز التى اكتنفتني فيما تلا ذلك من السنين قد خففت من



غلبتني العبارة العامية التي اعتادها لساني،
وألفتها أذني .

ووجدت نفسي مسوقا بلا وعي مني إلى
تنظيم أفكارى وصوغ عباراتى بطريقة
يأبأها الذوق العربى السليم .

لقد تصفحت ذات يوم بعض الفقرات
التي أنشأتها ، واستعرضت الأفكار فى
تتابعها وانسيابها، فوجدتني فيها كمن
يقفز درجات السلم ثلاثا، وذلك راجع لا
ريب إلى قلة ثروتى من المعانى، وقلة
نصيبها من العمق. ذلك أنى امرؤ ضحل
الثقافة، جاف القريحة، سقيم الخيال .

إن الحيرة التى ألاقىها فى فهم حقائق
الحياة، وتنظيم حوادثها فى عقلى، تشبه
الحيرة التى تدهم القارىء يطالع قطعة
إنشائية غير مشكولة الحروف، خالية من
الفواصل والنقاط، لدرجة اختلطت معها
الكلمات وتصادمت العبارات .

فلا هو يميز للعبارة بداية من نهاية، ولا
هو يعرف لها فاعلا من مفعول .

وقد وقعت من حياتى على كتاب شبيه
بهذا الكتاب، فرحت أنفق الجهد والعمر
فى ضبط الحروف ووضع العلامات ، وكلما
أجزت من ذلك شيئا طرت فرحا وصفقت

على أن هذا الشعور بالعجز سرعان ما
ينقلب سخرية مريرة عندما ألقى
أصدقائى، وأتعرّف على ما تكنه عقولهم
من أفكار، وما تضمّره نفوسهم من مشاعر
، فأشعر إزاءهم بالتفوق الذى يمنعونى من
التمادى فيه شعور العجز السابق، وكثيرا
ما أتصور نفسى إزاء أقرانى صرصورا وسط
جماعة من النمل، فلا غرو أن يعد
الصرصور فى موقف كهذا عملاقا، لكنه
فى نهاية الأمر «...» .

وأعتقد كذلك فى شبه يقين أننى
أختلف حتى عن أقرانى الذين ينزعون
بطبعهم إلى الأدب، فأنا فى كتابتى أنشد
أسلوبا عربيا سليما، أحاكى فيه قدر
استطاعتى الأدباء القدامى الذين أعشقهم،
أما الكثرة الغالبة من الأدباء والمتأدبين ،
فبعضهم يحبذ الأسلوب الصحفى الهزيل
لقربه من أفهام الناس .

والبعض الآخر يصوغ عباراته صوغا
عجيبا، مترعا بتركيبات لغوية وتعابير،
تواضع عليها المثقفون فيما بينهم ،
وجهلها سواهم .

أما أنا فلا أرضى بهذا ولا بذاك ، على
أننى كلما أخذت أصوغ الجملة فى ذهنى ،



العمل بالفكرة حاضرة فى ذهنى، حتى إذا
آنست لها صدى فيما أقرؤه، شرعت
أطبقها على دقائقه وتفصيلاته.

وقريب من هذا ما لاحظته فى الوصف
الذى يتخلل ثنايا الروايات، وصف
الأماكن أو وصف المشاعر البشرية.

فأنا عاجز عن تمثيل هذا الوصف ما لم
يسبق لى رؤية المكان، أو إدراك الشعور
موضوع الوصف.

وهذا الوصف لا يعلمنا مجهولا، أو
يطلعنا على جديد، إنما يسوق لنا
(المعروف) فى عبارة واضحة وخيال بديع.
قد ينبهنا الوصف إلى أشياء رأيناها ولم
نلاحظ دقائقها، أو مشاعر أدركناها ولم
نكتنه خوافيها، لكنه أبدا لا ينشئ لدينا
معرفة ما لم يكن لدينا منها أساس.
وبعد، فما النتيجة التى ننتهى إليها
من هذا الحديث؟

لا شئ إلا أننى امرؤ بحكم تكوينى
النفسى والعقلى قادر على التقاط عناصر
الفوضى والعشوائية الكامنة فى ظواهر
الحياة، منته إلى اليأس والإحباط بسبب
ذلك.

جذلا فليس أحب إلى قلبى من رؤية
العبارات متراسة فى انتظام، مشكولة فى
وضوح. ويبدو أن العمر سينقضى وأنا
غارق فى عملى، وسأمضى إلى القبر تاركا
ورائى الكتاب ولما أقرأ منه حرفا.

وقد توصلت إلى بعض الملاحظات التى
ربما لا يرى فيها المرء شيئا جديدا غير
مألوف، لكن حسبه أن يعلم أننى أحرقت
أعصابى وأيامى حتى أدركت هذه
الملاحظات، وسكبتها فى عبارات.

ومن هذه الملاحظات :

- أتعجب كثيرا من الناقد الذى يخبرك
عن رواية ما أنها تدعو إلى كذا وكذا من
الأفكار الفلسفية والمذاهب الاجتماعية.
فى رأى أن العمل الأدبى عاجز عن
إيصال هذه المذاهب لمن لا يعرفها، إنما هو
يخاطب شخصا على وعى مسبق بها بقصد
دعم إيمانه.

وقد اكتشفت من مطالعاتى أننى لا
أستطيع استقراء تفصيلات العمل الأدبى،
وتنظيمها فى عقلى، قصد الانتهاء إلى
فكرة كلية لم أكن أعلمها.

إنما الذى يحدث هو أننى أقبل على



الغرر:

، تردد فى إزالة هذا الستر خوفا من آراء
الناس وراقك أن يبقى ما بنيت سرا لا
يطلع عليه أحد لكنى أقول لك أيها
القارىء الكريم : لقد طير سرّك نسيم
أسلوبك حين داعب هذا الستر فأبان عن
ملامح وأبعاد ذاك البناء الذى يتراءى لنا
من بعيد .

وإننى أدعوك أن تطرح حديث
الذكريات جانبا وترفق برسالتك القادمة
مقالا تتخير له موضوعا محببا لديك
تعالج فيه بعض القضايا التى تشغلك أو
تهم المجتمع .

ولدى اعتقاد كبير أن كلماتك ستلقى
طريقها إلى النشر كما أنها ستنال
إعجاب القراء بإذن الله ..

ولعلها تكون أولى خطواتك على
طريق الأمل ، وأكبر قفزاتك بعيداً عن
العزلة التى أنتجت منك نبتة أديب قادم .

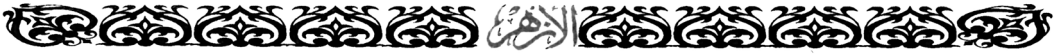
والله من وراء القصد ، وهو يهdy
السبيل .

أنت ياعزيزى القارىء نبتة ضربت
جذورها فى أرض الأدب وساعدك على
ذلك العزلة التى فرضت عليك ، فرب
ضارة نافعة وأحبك أن تعلم أن مخالطة
الناس ليست كلها خير والعزلة فى حد
ذاتها ياعزيزى ليست عيبا ، فنحن نعزل
أنفسنا بإرادتنا طلبا للراحة
والاستجمام ، ونعتكف فى العشر
الأواخر من رمضان طلبا لمرضاة الله -
تعالى - ولكن المشكلة أن تكون العزلة
بلا سبب ، أو تكون مطلوبة لذاتها ، لأن
الله - تعالى - خلقنا لنعمر الكون لا
لكى ينعزل كل فى جانب .

غير أنه يتضح من كلماتك أنك مغرم
بتعذيب النفس وهو مالا نرضاه لك ،
فأنت إذا نجحت تجحد هذا النجاح !!
وغيرك يتباهى بأدنى من ذلك بكثير ..
فعجبا لك !!

وأراك ياعزيزى القارىء كمن وضع
سترا ، وبنى خلفه بيتا ، فإذا ما أتم البناء





بين الجد والفكاهة

وكيف أردته لك يا صديقي
أبينك يا أخى ففرق وبينى
وكنت غرقت فى زيت وفول
فصرت أعوم فى عسل وسمن
فإن أشكر جنيهك مستريحا
فإنى يا أخى إياك أعنى
المحرر:

لقد أظهرت هذه الأبيات الفرق الشاسع بين
جنيه الأمس الذى يتقدم إليه الشاعر بخالص
الشكر وبين جنيه اليوم الذى يقف على استحياء
ثمنا لأربع بيضات أو خمس على أحسن
تقدير!!

حين كان الطالب محمد حسين عبدالحليم بين
طلاب كلية اللغة العربية بالقاهرة، اقترض من
زميله الطالب عبداللطيف الحديدي جنيتها،
وللجنيه المصرى قيمته إذ ذاك، فشكره بهذه
الأبيات الرقيقة التى أرسلها لنا **الدكتور
عبداللطيف الحديدي** لتكون الطرفة الثالثة
مما ننشره من مقطوعات الدكتور محمد حسين
عبدالحليم عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة
عليك بخالص التقدير أثنى
فشكرك فى الحقيقة فرض عين
بعثت لى الجنيه فخذه شعرا
ولا تطلبه، ذاك هو التجنى

المعاكسات التلفونية انتهاك للحرمات

بالكثير منها لقوله - تعالى :-

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

«سورة إبراهيم آية / ٧»

فمن دواعى شكر الله على هذه النعمة أن لا
نستخدمها فى معصيته سبحانه وتعالى - بل
نستخدمها فيما يفيد الناس ومصلحتهم ولكن
نرى البعض يستخدمها فى إضرار الآخرين بتلك
المعاكسات التى تسبب الكثير من المشاكل بين
الناس وقد يحدث مالا يحمد عقباه .
ولقد قال الإمام الجنيد - رضى الله عنه - «حقيقة

القارئ / عبدالهادى محمد أحمد سليم -
منشأة الجمال / الفيوم يتحدث عن سلوك
بغويض يقوم به بعض الشباب بهدف التسلية،
وهم لا يدرون أنهم محاسبون على كل ذلك إذ
يقول فى رسالته :

إن من نعم الله علينا فى هذه الأيام نعمة
«التليفون» تلك النعمة التى توفر الجهد والمال
بدلاً من السفر وقطع المسافات البعيدة فتستطيع
أن تتصل الآن بأقصى شرق وغرب العالم من
بيتك فى المدينة أو القرية ومن واجبتنا تجاه النعم
أن نشكر المنعم الذى تفضل علينا بها فيزيدنا





وأخيراً .. فإن الواجب على كل مسلم أن يحفظ حرمة أخيه ويستخدم التليفون وغيره من أدوات يسرها الله لنا فيما يرضى الله - تعالى - ويجب علينا أن نأخذ على أيدي المعاكسين وعلينا أن نربي أبنائنا على حسن استخدام هذا الجهاز وغيره .

المحرر: نذكر هؤلاء اللاهين بقول النبي ﷺ لمعاذ ابن جبل وقد سأل: أو نحن محاسبون بما نقول؟ فيجيبه الرسول ﷺ: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس علي وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟!

أخرجه الترمذى
وقوله ﷺ: « الحياء شعبة من شعب الإيمان » .
أخرجه البيهقى

الشكر أن لا تستخدم نعم الله في معصيته»، فهؤلاء المعاكسون لو علموا حقيقة هذا القول الطيب من هذا العالم الجليل لاستخدموا نعمة التليفون استخداما يليق بشكر الله على هذه النعمة لأنها في حقيقتها ما جعلت إلا لنجدة الملهوف وغوث المحتاج وتوفير الجهد والمال وبهذه المعاكسات التي يقومون بها يتسببون للناس في العديد من المشاكل ولأنفسهم في الوقوع في خطر الكفر بنعمة الله وألا يعلم هؤلاء أنهم يخذشون الحياء ومن لا حياء فيه لا خير فيه .

وهؤلاء يفرضون أنفسهم على أصحاب البيوت متجردين من كل أدب إسلامي، وعرف وتقاليد تعود الناس عليها منذ الأزل، كما أنهم بتعودهم هذه العادة السيئة يكونون قد خالفوا حقيقة الإسلام التي دعا إليها النبي ﷺ .

القناعة من منظور إسلامي

فـ لا ذا يرانى على بابـه
ولا ذا يرانى به منهـمك
فـصرت غنياً بلا درهم
أمر على الناس شـبه الملك
فالسعيد من عاش على قناعة بقسمة الله، مع السعى والاجتهاد فى طلب العيش فهى قناعة بالتوكل لا بالتواكل .
المحرر:

يذكرنا قول الامام الشافعى - رضى الله عنه بقول رسول الله ﷺ: « من بات معافا فى بدنه آمنا فى سرية عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقيرها » أخرجه البخارى .

ومن رسالة القارىء / محمد محمد عبدالحى الشافعى - بلقينا - المحلة الكبرى

نقدم هذه الكلمات عن القناعة حيث يقول:
من يتأمل دنيا الناس فى عصرنا الحالى يرى الألسنة قد انطلقت بالشكوى فقلما نجد إنساناً راضياً قانعاً بعبطية الله له بينما نجد على الصعيد الآخر ناساً لا يبتون شكواهم إلا لله .

وقد أعجبني قول الإمام الشافعى وهو يعالج هذا المعنى قائلاً:

وجدت القناعة رأس الغنى
فصرت بأذيالها متمسكاً



من ابدعان القراء :

وصلت زفرات ملتعبة بمناسبة مأساة القدس، ويهمننا أن ننقل للقراء الكرام نماذج من هذه الزخرات.

أنا القدس

د/ نجاح عبد العليم أبو الفتوح - كلية البنات الإسلامية أسيوط

أنا القدس أَرْضِي مــــــلأذُ الأباه
بهم قد تنور وجهه الحياه
يلينوا الفــــيــــض أتى من رباه
مفاتيح تجدي ولا جند شاه
أضياء الوجود سنا من ضياه
أمير الهداة وتاج الحياه
تجلت فــــأبدى سناها مــــداه
فــــعندى العــــلاء وعندى ذراه
وها قد دنا الوعد من منتهاه
ليطفئ نوري فــــيلقى رداه
فهل من (صلاح) يبــــيد الطغاه

أنا القدس لا أنحنى للطغاة
أنا ثالث الحــــرمــــين الألى
أتانى ابن مــــرــــيم نوراً فلم
وقالوا قلوب أرينت فــــلا
وجاء الكريم العــــزــــيز الذى
ليرقى الوجود فيرقى به
وأن الشــــمــــوس إذا ما ارتقت
هلمــــوا إلى جنود الهــــدى
هنا ملتقى جمــــعهم للردى
فكم من غــــشوم أتى واهمــــا
صــــلاح لدين وقــــدس أنا

شعر/ جابر عبد العليم مصطفى - سوهاج

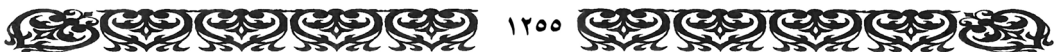
رسالة من إيمان « شهيدة الأقصى »

أبغى قــــراراً أو أريد خلودا
بئس القــــرار لمن أراد قــــعودا
ما بال قوم يلبسون قــــيودا
يلقون بأساً يذهل المولودا

واختــــرت دار الخلد دار رفاقي
ففيروح يثأر للدم المـــــهراق
ولنا سجلٌ ماجد الأعراق

لا تحسبن شهور عمر عشتُها
فأنا خلقت لكى أكون شهيدة
فى نصف عام قد رأيت عجائباً
أوقاتهم صارت جحيماً دائماً

فسئمت عيشاً فى الحياة وأهلها
من ذا الذى لبس الشجاعة معطفاً
عارٌ وجرمٌ أن نزل بقسوة





أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / محمد الشرقاوى

تراجعا أكثر وأن التضخم سيظل دون المستوى الذى تستهدفه الحكومة الإسرائيلية .

وأضاف الباحث فى تقريره أن أعداد السياح إلى إسرائيل تراجعت بشكل ملحوظ حيث وصلت إلى ٥٠٪ منذ أواخر العام الماضى وأن حجم التراجع فى إشغال الغرف الفندقية زاد على ٦٠٪ وأدت هذه الخسائر إلى إغلاق ٢٥ فندقا وهو ما اضطرت معه مؤسسات سياحية أخرى إلى إقالة ٢٨ ألف موظف يعملون بها وفى المجال التجارى سجلت الغرف التجارية الصهيونية تراجعا هو الأول منذ عام ١٩٨٩ حيث اقتصرت على ١٠٥٪ مقابل ٦٠٪ العام الماضى وأن العجز التجارى الخارجى قفز إلى ١٠٥٧ مليار دولار مقابل ٧٨٢ مليون دولار فى نفس الشهر من العام الماضى وهو أكبر عجز تسجله إسرائيل منذ عام ١٩٩٩م كما وصل العجز فى الربع الأول من العام الحالى إلى ٣٠٦٧ مليار دولار مقابل ٢٠٤٦ مليار دولار فى نفس الوقت من العام الماضى ؟

وأكدت الدراسة أن التصدير الإسرائيلى للولايات المتحدة انخفض بنسبة ١٤٨٪ قياسا بنفس الفترة

من بشائر الانتفاضة المباركة

أكد الباحث الاقتصادى الفلسطينى «أمجد التميمى» فى دراسة نشرتها جمعية البنوك فى فلسطين أن الإقتصاد الصهيونى عاش سنوات من الانتعاش والاستقرار حقق خلالها معدلات نمو سنوية مرتفعة حتى جاءت الانتفاضة فى سبتمبر من العام الماضى لتعصف به وبانتعاشه وهى الأزمة التى وصفها اقتصاديون صهيينة بأنها الأطول والأسوء فى تاريخ الإقتصاد الإسرائيلى وقالوا: إن الخسائر التى منى بها اقتصادهم تقدر بأكثر من مليار دولار وهو ما يعادل ٢٪ من الناتج القومى الصهيونى ؟

وقال الباحث: إن النمو الاقتصادى تراجع هذا العام نتيجة الانتفاضة ليصل إلى ٢٠٥٪ بعد أن كان ٦٪ العام الماضى . وأرجع مسئول بنك «هافوعليم» أكبر البنوك الصهيونية السبب فى هذا التراجع الشديد إلى الأزمة التى تمر بها الدولة الصهيونية نتيجة الانتفاضة الفلسطينية وتوقع تقرير حديث لوزارة المالية الصهيونية أن يشهد الإقتصاد الصهيونى



هجوم يهودى ضد موقع إسلامى

على الإنترنت

تعرض موقع إذاعة (طريق الإسلام) على الإنترنت إلى هجوم ضار من اللوبى اليهودى في كندا الذى طالب بإغلاق الموقع باعتباره موقعاً إرهابياً علي الرغم من أن الموقع هو أفضل موقع إسلامى تبعاً لتصنيف (إيكسا) العالمى .

ومن الجدير بالذكر ان الموقع يزوره يومياً أكثر من ٣٤ ألف زائر ويوجد بقائمة البريد الخاصة به أكثر من ٥٠ ألف مشترك .

وكان أحد المذيعين بالتليفزيون الكندى اتصل بإدارة الموقع وعبر عن رغبته فى مساعدة الموقع باستضافة احد مسئولى الموقع فى مواجهة أحد مسئولى جمعية « بنائ بريث » وهى الجمعية التى شنت الحملة ضد الموقع وهى أكبر الجمعيات اليهودية العالمية ولكن المذيع اتصل بعد عدة ساعات قليلة متراجعا عن عقد اللقاء بعد أن رفضت نفس الجمعية التعليق على الخبر كما قام نفس المذيع بالاتصال بالشرطة الكندية التى أخبرته أن الادعاء الموجه ضد موقع إذاعة طريق الإسلام غير حقيقى والموقع غير واقع تحت أى مسؤولية وأن ساحة الحوار الخاصة به مفتوحة للجميع .

أكتوبر

٢٠٠١ / ٨ / ٢٦

طابع بريد إسلامى أمريكى

لأول مرة تصدر هيئة البريد الأمريكية طابع بريد إسلامياً جديداً عن عيدى الفطر والأضحى فى اطار سلسلة الطوابع التذكارية التى تصدرها احتفالاً بأعياد طوائف دينية مختلفة .

من العام الماضى بينما ارتفع حجم الاستيراد الصهيونى من الولايات المتحدة بنسبة ٢٥٪ .

وفى المجال الصناعى انخفض الإنتاج بنسبة ٤٪ عن العام الماضى وأن ٤١٪ من المصانع قلصت إنتاجها و ٣٥٪ قلصت عمالها .

وفى المجال الزراعى قدرت الخسائر بـ ١٥٠ مليون شيكل؟

وفى رد فعل قام الصهاينة لعدم ثقتهم فى اقتصادهم بسحب مليارى دولار من البنوك والمصارف فى شهر مايو فقط بينما وصل مجموع ما سحبه خلال الخمس شهور الماضية إلى ٨,٥ مليار دولار .

آفاق عربية

٢٠٠١ / ٩ / ٦

مضايقات للمسلمين على الإنترنت

أقام عدد من المسلمين الأمريكيين دعوى قضائية فيدرالية ضد شركة « إيه . أو . إل » الأمريكية للإنترنت يتهمون فيها الشركة بعدم اتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية المسلمين من المضايقات وبث روح العداء للمسلمين فى « غرف الدردشة » على الإنترنت وهو ما يعتبره المسلمون انتهاكاً لقانون الحقوق المدنية الذى يمنع التفرقة القائمة على الدين .

ويطالب أصحاب الدعوى بمراقبة غرف الدردشة التى تقوم بهذا النوع من النشاط وتطبيق اللوائح التى تحظر على الأعضاء ارسال رسائل لا تحترم قيم المجتمع .

الأهرام

٢٠٠١ / ٩ / ١



ويعد الطابع الذي يبلغ ثمنه ٣٤ سنتاً أول طابع بريد أمريكي يحمل كتابة عربية ذات صبغة اسلامية وأكد المدير الاقليمي لهيئة البريد بمدينة «سانتا آنا» بكاليفورنيا أن إصدار مثل هذا الطابع يعد مصدر اعتزاز وفخر لهيئة البريد و للطائفة الاسلامية والأمريكية بشكل عام.

الأهرام

٢٠٠١ / ٩ / ٦

تجنيد ثلاثة ملايين هندوسى

لإبادة مسلمى كشمير

أعلنت منظمة هندوسية متطرفة تطلق على نفسها اسم « فيشوا هند وباريشاد » أنها ستقوم بتجنيد ٣ ملايين شاب هندوسى من كل أنحاء الهند بدءاً من الشهر الحالى لمواجهة من أسمتهم « بالثوار الأصوليين » وقال أمين عام المنظمة لوكالة « برس ترست » الهنديه إن اسلوب مكافحة الإسلاميين فى كشمير سيكون من خلال تدريب هذا العدد لمواجهةهم وقد بدأت المنظمة بالفعل فى تدريب ٣٠٠ ألف هندوسى كمرحلة أولى .

ومن ناحية اخرى وصلت إلى الهند أول دفعة عسكرية من القوات الصهيونية إلى منطقة «لداخ» الكشميرية للمشاركة فى الأعمال العدوانية التى ترتكبها قوات الاحتلال الهندوسى ضد المسلمين فى كشمير. وقال «موقع المجاهدين» على شبكة الإنترنت إن شهود عيان أكدوا أن «٥٠» سيارة جيب كانت تقل أكثر من «٢٠٠» خبير صهيونى وصلت إلى منطقة «ترتك» . وفى إحصائية نشرها موقع «ليلة القدر» أصدرتها احد المراكز الإعلامية التابعة للمقاومة الاسلامية فى كشمير جاء فيها: أن القوات الهندية قامت خلال شهر أغسطس الماضى

بقتل «٥٠٢» مواطن كشميرى أعزل وقالت الإحصائية إن بين القتلى «٤٢٥» شخصاً معظمهم من الشباب و «١٧» امرأة و «٥» أطفال اضافة إلى استشهاد «٥٥» شابا تم اعتقالهم وتعذيبهم فى عدد من مراكز التفتيش التابعة للمخابرات الهندية .

وأشارت الاحصائية إلى أن الغالبية العظمى من جثث هؤلاء الشباب لا تسلم إلى أهاليهم أما عدد المعتقلين فبلغ حتى الآن خلال الشهر الماضى فقط «١١٠٠» معتقل ووصل عدد الجرحى الى «٦٨٩» مدنياً

● ليت المسلمين والعرب يفعلون هذا لإسترداد الأقصى .

شبكة المعلومات الدولية «الأنترنت»

موقع المجاهدين

موقع ليلة القدر

السلطات الأمريكية تشن حملة أمنية واسعة على شركات نظم المعلومات التى تتعامل مع المسلمين تشن السلطات الأمنية الأمريكية حملة واسعة النطاق على شركات نظم المعلومات التى تتعامل مع العرب والمسلمين . وكان آخر هذه المdahمات تلك التى كانت على شركة «انتركوم» فى مدينة تكساس الأمريكية وشاركت فى هذه المdahمة سبع هيئات أمنية أمريكية وأرجعت السلطات سبب هذه المdahمات إلى أن هذه الشركة تتعامل مع جهات إسلامية وعربية إرهابية .

هيئة الإذاعة البريطانية

B.B.C

٢٠٠١ / ٩ / ٨





أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

فى اجتماع الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة:

الإمام الأكبر يؤكد: علينا أن ندعم إخواننا فى فلسطين لمواجهة الهجمة الصهيونية الشرسة

حياتها، والتعاون إذا كان مطلوباً فى جميع الأوقات فإنه فى هذا الوقت من أشد الواجبات لما تعانيه الأمة من آلام ومشكلات تتطلب وحدة الصف ونبذ الخلافات واستعادة قوة الأمة وتماسكها لتعود كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

وقال: إن علينا أن نؤازر ونساعد وندعم إخواننا فى فلسطين بكل أنواع الدعم المادى والمعنوى لمواجهة الهجمة الصهيونية الشرسة ضدهم، وإذا لم نفعل ذلك وإذا لم يفعل المسلمون فى كل مكان ذلك نكون مقصرين وسيحاسبنا الله - عز وجل - على ذلك.

وقال فضيلته: إن قوة الصهيونية العالمية فى أنها تجد من يساندها ويتعاون معها ويمجدها بالسلاح، والإسرائيليين اعتادوا على الاعتداء على الأرض والأموال والأعراض والمقدسات، ولهذا فمن حق إخواننا فى فلسطين أن تؤيدهم ونساعدهم ونساندهم.

عقدت الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة اجتماعها الثالث عشر بالقاهرة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى الفترة من ٣-٤ جمادى الآخرة ١٤٢٢ هـ وبحضور معالى الشيخ جاسم يوسف الحجى نائب رئيس المجلس، ومعالى الأستاذ كامل الشريف - الأمين العام للمجلس - وأصحاب المعالي والسعادة والفضيلة أعضاء هيئة رئاسة المجلس، ورؤساء اللجان المتخصصة ورؤساء المنظمات الإسلامية العالمية الأعضاء بالمجلس وعددهم ٧٣ هيئة إسلامية عالمية أعضاء، و ٣٠ هيئة بصفة مراقب من بينهم البنك الإسلامى للتنمية، وجامعة الدول العربية.

وافتح الاجتماع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بكلمة قال فيها: إننى أدعو الأمة العربية والإسلامية إلى التعاون الجاد والبناء والتضامن القوى لمواجهة التحديات التى تمر بها فى هذه المرحلة المهمة من

محكمة وعضو مجلس القضاء الأعلى بالبنان وقضاة ورؤساء المحاكم اللبنانية.

رحب فضيلته بالوفد في مصر وأزهرها الشريف شارحا لهم دور القضاة في ظل الشريعة الإسلامية التي تقوم على العدل مستدلا على ذلك من كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأوضح فضيلته مسئولية هذا المنصب الخطير الذي يحتاج إلى العدل في القول والعدل في الشهادة والعدل الذي يترك خلفه الأمن والأمان والاطمئنان مما يعود على الفرد وعلى الأمة بالنفع والرفق والتقدم، وبين أن الله - عز وجل - حرم الظلم على نفسه وحرمه على عباده لأن الظلم ظلمات يوم القيامة وشريعة الإسلام تقوم على العدل في الأقوال وفي الأحكام وفي الشهادة والعدل مطلوب مع الصديق ومع العدو وإذا استقام سعدت الأمة.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات السادة الضيوف وكانت تدور حول الذمة المالية للزوجة في الشريعة الإسلامية، وحقوق المرأة في الإسلام، وحقوق الزوج على الزوجة، وتحدث فضيلته عن زواج المسلم بغير المسلمة من أهل الكتاب. كما أجاب عن أسئلة حول مسائل الطلاق.

الموافقة على عرض فيلم محمد خاتم الأنبياء

عقد مجمع البحوث الإسلامية جلسة خاصة برئاسة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يوم الإثنين غرة جمادى الأولى ١٤٢٢ هـ وذلك لمشاهدة فيلم (محمد خاتم الأنبياء) وبعد مشاهدة الفيلم أبدى عدد من أعضاء المجلس ملاحظاتهم حول بعض مشاهدته، ولكنهم أجمعوا

وقال: إنني أدعو إخواننا في فلسطين إلى الثبات، والثبات هو الدعاء الذي كان يتغنى به المجاهدون وهم يقبلون على نصرته دينهم وعلى التغلب على الأعداء.. فالعدو يقاتل من أجل الاعتداء والاعتصاب والظلم، والفلسطينيون يقاتلون من أجل الحق ومن أجل استعادة أرضهم وديارهم؛ فهم على الحق والله لا بد وأن ينصر الحق «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

وفي ختام الاجتماعات التي استمرت على مدى يومين، أصدرت الهيئة التأسيسية للمجلس عدة قرارات وتوصيات منها: دعم حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم وأراضيهم، والتعويض عن الأضرار التي أصابتهم وتحميل إسرائيل المسئولية الكاملة عما ارتكبته من أعمال عدوانية وإرهابية أدت إلى مشكلة اللاجئين، كما أكدت الهيئة دعمها الكامل لسوريا في نضالها لتحرير الجولان، وكذلك للبنان في العمل لتحرير مزارع شبعا، وطالبت الأمة الإسلامية بالوقوف بحزم لاسترداد الأراضي المغتصبة، وطالبت المجلس قادة الأمة العربية وشعوبها ومؤسساتها بدعم الشعب الفلسطيني لتمكينه من الاستمرار في انتفاضته التي تعتبر السلاح الفعال في وجه الصهيونية وأن تحرير القدس فرض عين على كل مسلم.

الإمام الأكبر يستقبل القضاة الألبان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف وفد القضاة الألبان برئاسة السيد المستشار دالب لوشن رئيس



على أنه ليس فى الفيلم ما يخالف الثابت من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى، أو ما يناقض أمرا معلوما من الدين بالضرورة.

لذلك قرر المجلس الموافقة على عرض الفيلم ودعوة الذين قاموا بإخراجه إلى بذل المزيد من الجهد لإخراج أفلام أخرى تعرض صورة الإسلام، وحضارته، وتشريعه، وأخلاقه، العرض الموضوعى الذى يظهر مضمون رسالته الإنسانية الخيرة، التى تنير العقول، والنفوس، وترد عنه عادية التشويه والتزيف اللذين لم تخل منهما أعمال فنية أخرى.

الإمام الأكبر يكرم حفظة القرآن الكريم

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتوزيع الجوائز المالية على حفظة القرآن الكريم من طلبة وطالبات المعاهد الأزهرية وطلبة جامعة الأزهر الشريف وطلبة مكاتب تحفيظ القرآن الكريم والمحفظين فى احتفال كبير وذلك بقاعة المؤتمرات الكبرى بمدينة نصر، وقد بلغت المبالغ التى تم توزيعها على الطلاب والطالبات كجوائز مبلغ ثمانية ملايين، و٣٤٩٦٠٠ جنيه، وتقدم للمسابقة ١٠٣٠٠٠ متسابق ومتسابقة على مستوى الجمهورية تم تصعيد ١١٦٦٠ طالبا وطالبة، وحصل الحافظ لثلاثين جزءاً ودرجاته ٩٥٪ وحتى ١٠٠٪ على ٢٠٠٠ جنيه والحاصل على ٩٠٪ وحتى ٩٤٪ حصل على ١٧٠٠ جنيه، والحاصل على ٨١٪ وحتى ٨٩٪ حصل على ١٢٥٠ جنيه، والحافظ لـ ٢٥ جزءاً من القرآن ودرجاته من ٩٥٪ وحتى ١٠٠٪ حصل على ١٦٠٠ جنيه، والحاصل على ٩٠٪ وحتى ٩٤٪ حصل على ١٣٥٠ جنيه والحاصل على ٨١٪ وحتى ٨٩٪ حصل على ١٠٠٠ جنيه، والحافظ لـ ١٨

جزءاً من القرآن الكريم ودرجاته من ٩٥٪ وحتى ١٠٠٪ حصل على ١٣٥٠ جنيه، والحاصل على ٩٠٪ وحتى ٩٤٪ حصل على ١١٠٠ جنيه، والحاصل على ٨١٪ وحتى ٨٩٪ حصل على ٨٠٠ جنيه.

ومن بين أوائل هذه المسابقة: شريف محمد أبوالوفا، فاطمة محمد محمد خفاجى (مصر)، حميدو تيجاف فلاته (النيجر) حبيب الله تورى (مالى).

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمة هنا فيها الفائزين وحثهم على بذل الجهد فى الحفظ والمتابعة حتى يكونوا دائما من الفائزين، وأوضح أن الأزهر الشريف يولى عناية خاصة بحفظ القرآن الكريم، وأن تكريم حفظة القرآن الكريم والمحفظين للقرآن الكريم إنما هو تكريم لمن كرمهم الله -عز وجل- والأزهر منذ أنشئ أسس على تقوى من الله وقد اتخذنا شعارا (ليس بأزهرى من لا يحفظ القرآن الكريم) ولن يستطيع الداعية أن يؤدى وظيفته على الوجه الأكمل إلا إذا كان حافظا للقرآن الكريم حفظا جيدا وأيضا السنة النبوية المطهرة. شهد الحفل الأستاذ الدكتور / يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة واستصلاح الأراضى، والدكتور / مختار خطاب وزير قطاع الأعمال وفضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف.

محاضرة للإمام الأكبر عن دور الإعلام وأهميته

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأعضاء الدورة البرمجية العامة للعاملين بالإذاعة.

يجب أن يكون متمشياً مع مصلحة الدولة، كما أوجب فضيلته عن أسئلة حول التعامل بين المرأة والرجل، ومسائل حول الطلاق، وحكم الشرع في نقل الأعضاء، وفي تأجير الأرحام ورأى مجمع البحوث الإسلامية، وأسئلة عن التعامل مع البنوك، وعن زواج المسلم من أهل الكتاب، وعن أداء الحج العمرة عن طريق التقسيط... إلى غير ذلك من الأسئلة.

شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء وحسن الحفاوة وعلى الاستفادة والاستزادة من العلم النافع.

الإمام الأكبر يستقبل سفير الهند بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد / ساتنام جيت سنج سفير الهند بالقاهرة، ربح فضيلته بالضيف في مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقات الطيبة بين البلدين منذ قديم الأزل، وهى علاقات قائمة على الأخوة والمودة والتعاون المثمر والمحبة الخالصة. أشاد الضيف بمكانة الأزهر الشريف العالية والعلمية والتي يحظى بها بين شعوب العالم، وأوضح أن دولة الهند تكن لمصر وللازهر الشريف عظيم الاحترام والتقدير والاهتمام، كما أشاد بنهج الأزهر في الوسطية والاعتدال في دراسته، والتسامح والبعد عن التعصب، وأن الهند بصدد إعداد منهج تنتهجه يماثل منهج الأزهر الشريف وطلب الضيف زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء الهند للدراسة في الأزهر الشريف، كما وجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة الهند في أقرب فرصة.

ويستقبل سفير بروناي

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

وقد ألقى فضيلته محاضرة عن (دور الإعلام ومكانته السامية وأهميته القصوى) وخاصة في هذا الزمن الذى نعيش فيه بعد أن أصبح العالم كله أشبه ما يكون بقرية صغيرة نظرا لتطور وسائل الاتصال الحديثة، موضحاً بأن الإعلام وجد فى هذه الدنيا منذ وجود الرسل والمصلحين الذين يبلغون رسالات الله مستدلاً بذلك بالأدلة من القرآن الكريم؛ فالرسل كانوا مبشرين ومنذرين لرسالات الله - عز وجل - وقد ناقشوا وحاوروا قومهم وأجابوهم بالردود التى تقنع العقول السليمة. ولكى يكون الإعلام واضحاً ويصل إلى قلوب الناس وعقولهم لا بد أن يكون مبنياً على الصدق الذى هو أساس الإعلام، وهناك أربع صفات ضرورية يجب أن تتوفر ويتحلى بها رجل الإعلام، وهى: (الصدق - الأمانة - التبليغ - الفطنة)، وذلك ليكسب ثقة الناس سواء فى الإذاعة المسموعة أو المرئية أو المقروءة أو عن طريق الإنترنت، وهذه الصفات أودعها الله - عز وجل - فى الأنبياء والرسل وتحلوا بها لأنها صفات كريمة ويجب أن تتوفر فى القائمين على وسائل الإعلام.

ثم أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات السادة الحضور والتي دارت حول الإعلام الإسلامى، وبخاصة فى الدول الأفريقية. وقد أوضح أن الأزهر الشريف يرسل علماء فى بعثات إلى معظم دول العالم فى أفريقيا وفى آسيا وفى أوروبا وفى أمريكا وفى أستراليا، وذلك لتعليم وتوضيح الإسلام لأبناء المسلمين فى تلك البلاد، كذلك من خلال المنح الدراسية؛ فالأزهر لديه طلاب وطالبات من أكثر من ٩٤ دولة يقيمون فى مدن البعثات الإسلامية فى القاهرة والإسكندرية، يتلقون العلم فى الأزهر الشريف منذ المرحلة الابتدائية حتى التخرج من جامعة الأزهر الشريف، موضحاً بأن الإعلام



الشريف، كما قام فضيلته بشرح موجز لتطور العملية التعليمية بالأزهر الشريف كما شرح للوفد المواد التي يدرسها الأزهر في مختلف المراحل موضحاً بأن الدراسة في الأزهر الشريف تمتاز بالاعتدال والتوسط والبعد عن التعصب لمذهب دون آخر ويدرس جميع المذاهب الإسلامية، والأزهر يستقبل طلاب من ٩٤ دولة من دول العالم الإسلامي ويصل عدد الطلاب فيه إلى أكثر من ٢٥ ألف طالب وطالبة بعضهم يدرس على منح الأزهر الشريف وبعضهم يدرس على نفقته الخاصة، كما أن الأزهر يرسل علماء في بعثات لدول العالم لتعليم أبناء المسلمين العلم النافع ولينشروا دعوة الإسلام بتلك الدول ويصل عدد العلماء الذين يرسلهم الأزهر كل عام إلى أكثر من ألف عالم لأن الأزهر الشريف هو بيت المسلمين جميعاً.

قنصل ملاوى يطلب زيادة المنح الدراسية لدولته

كما استقبل فضيلته السيد / عبدالمالك نديلة قنصل دولة ملاوى بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالضيف ودار الحديث حول الدراسة في الأزهر الشريف العالمى وحول الطلاب المالويين الذين يدرسون بالأزهر الشريف على منح و يقيمون بمدينة البعوث الإسلامية ثم يعودون إلى بلادهم ليكونوا رسل سلام ويقومون بتعليم إخوانهم وأبنائهم في بلادهم.

وأبدى الضيف رغبته فى زيادة المنح الدراسية موضحاً بأن ٥٠٪ من السكان من المسلمين والمدارس تقوم بتعليم القرآن الكريم والمواد الأخرى حتى يرتفع مستواهم العلمى وطلب تطبيق مناهج الأزهر فى مدارس ملاوى.

الشريف بمكتبه السيد / دا توحاجى على بن حسن سفير برونائى بالقاهرة، يرافقه الملحق الثقافى للسفارة بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيفين الكريمين فى الأزهر الشريف مشيداً بعمق الروابط بين مصر وأزهرها الشريف وسلطنة برونائى وقدم فضيلته الشكر والتقدير لما قدمته سلطنة برونائى لإنشاء معهدين أزهرين بالقاهرة، تابعين لمدينة البعوث الإسلامية وقد صمما على أحدث النظم، والمعاونة فى تدعيم دار الكتب الأزهرية كدلالة طيبة على أعمال الخير لخدمة الإسلام وأبناء المسلمين الذين يدرسون فى الأزهر الشريف من جميع دول العالم ومنهم أبناء دولة برونائى.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا أبوعجور الأمين العام لمجمع البحوث، وفضيلة الشيخ أحمد خليفة رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر الشريف.

وكيل الأزهر يستقبل نائب رئيس مجلس النواب الأندونيسى

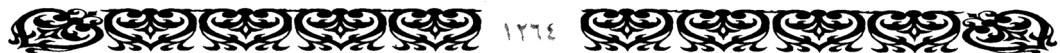
استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، السيد / أ. م فتوى نائب رئيس مجلس النواب بجمهورية أندونيسيا وأعضاء وفد البرلمان الأندونيسى.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف، مشيداً بعمق الروابط القديمة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة أندونيسيا موضحاً بأن أكثر من ٢٥٠٠ طالب وطالبة من أندونيسيا يدرسون بالأزهر



الفهرس

- افتتاحية العدد: ثقافة الداعية المعاصر
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٠٩٠
- مع سورة الإسراء.
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٠٩٨
- جماليات الأداء الأسلوبى فى الحديث النبوى
للأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم ١١٠٤
- الإسلام والعلاقات الاجتماعية
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١١١٢
- الإسراء والمعراج.. تأملات جديدة (١)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١١١٧
- الإسراء والمعراج
لفضيلة الشيخ/ يوسف الدجوى ١١٢٤
- مساجلة بين فقيهين كبيرين
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١١٣٢
- فلسفة خطاب الإعلام العربى
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١١٣٦
- بين الأخضر حسين وعلى عبدالرازق
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١١٤١
- محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعزيز المطعنى ١١٤٦
- سيرة رسول الله ﷺ لابن اسحاق للدكتور على مراد
عرض الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ١١٥٤
- المبادئ فوق المنافع
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١١٦٣
- الإنفاق فى سبيل الله
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزراف ١١٦٨
- قصة العدد: لا أستجير بغير الله
للأستاذ / شوقى محمود أبوناجى ١١٧٥
- طريق الحق شائك
للأستاذ الدكتور/ عبدالحميد حفى ١١٧٨
- على بن حاتم الطائى
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١١٨٤
- فدائية تستشهد (قصيدة)
بقلم/ أبوحسام ١١٨٨
- القدس الماضى والحاضر
للشاعر/ عبدالفتاح الطاهر الخطيب ١١٩٠
- إسرائيل من الداخل
القدس بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١١٩٢
- بروتوكولات حكماء صهيون
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٢٠٣
- نصرت يا مسجد الاسراء «قصيدة»
للشاعر/ السيد الصديق حافظ ١٢١١
- مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٢١٢
- هرمون «دهيا» ترياق الشيخوخة
للأستاذ الدكتور/ السيد الجميلى ١٢١٦
- من قارة إلى قارة «قصيدة»
للشاعر المهندس/ على محمود طه ١٢٢١
- أصول القصة الشعرية
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٢٢٤
- طرائف.. ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٢٢٨
- الأسرة ومكانتها فى الإسلام
للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ١٢٣٠
- إستفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ١٢٣٥
- خطبة الجمعة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٢٣٩
- رسالة.. و .. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٢٤٢
- فى رياض الأمل
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٢٤٥
- بين المجلة.. والقارئ
إعداد وتقدير/ عادل رفاعى خفاجة ١٢٤٩
- أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٢٥٦
- أبناء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ١٢٥٩





الأهرام

مجلة شهرية جامعية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م
ومصدر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩ هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في طبع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد جيب التيمومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢٠٢

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ زُرَىٰ تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ
فَلَنُؤَيِّسَنَّكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

سورة البقرة آية: ١٤٤

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠ ☎

شعبان ١٤٢٢ هـ - نوفمبر ٢٠٠١ م - الجزء الثامن - السنة الرابعة والسبعون

وسائل البحث العلمى

أعدت دراسات متنوعة عن وسائل البحث العلمى لتفيد من ينشط إلى الاتجاهات العقلية فى البحث والتحليل وقد أشبعت هذه الدراسات ما هدفت إليه من إيضاح هذه الوسائل، حيث أسهت فى الحديث عن قوة الملاحظة والقدرة على الاستنتاج وتصميم التجارب وترتيبها، وتنوع المصادر، ومعاودة التجارب، ووفرة المادة، ومراعاة الوضوح، وضرورة التركيز، مما لا بد منه للباحث، ولكن الجانب الخلقى لدى الباحث العلمى لم يجد حظه لدى كثير من الكاتبين، إذ مروا عليه مروراً عابراً، فلم يقفوا طويلاً عندما يلزم الباحث العلمى من مراعاة الأمانة حيث ينسب كل رأى لصاحبه، ومن وجوب الإخلاص حيث لا يخفى بعض ما اهتدى إليه من حقائق تتطلب المناقشة والحوار، ومن الصدق البالغ حيث يكون الحق وجهته فى البحث، دون أن يعتقد شيئاً يمليه الهوى ويحاول أن يظهره فى مظهر الحق الصريح، مع الاعتراف بفضل سابقه من العلماء ممن وضعوا المقدمات وساروا فى الطريق خطوات كانت مصدر نفعه، ولعل ذلك كله مما يجوز أن يندرج تحت عنوان «الضمير العلمى».

والحق أن موضوع «الضمير العلمى»، كان مصدر لجأ صاحب لدى من يفرقون بين العلم والخلق حيث ذهب نفر من الباحثين إلى أن وظيفة العلم أن يحلل ما كان، خيراً كان أو شراً، ووظيفة الخلق أن يشير إلى ما يجب أن يكون، وبذلك أصبح العالم فى رأيهم غير مرتبط بنفع الإنسانية فيما يكشف من اختراع، ويبدع من نظريات، فتلك وظيفة رجل الأخلاق، وإذا كانت هذه وجهة نفر من الماديين، فإن الإسلام ينكرها كل الإنكار، إذ يجعل الأعمال بالنيات ويثيب كل امرئ على ما نواه، فلا بد من نزاهة الغرض وسلامة الاتجاه والحرص على النفع العام، إذ لا يمكن أن ينفصل الخلق عن العلم فى منطلق الإسلام.

م من خلق عاصم

التقدم العلمى

وقد كان التقدم العلمى الظافر فى هذا العصر مصدر إزعاج خطير لمن رأوا نتائج العلم توجه إلى الدمار المبيد فى الحروب الطاحنة، حتى قام نفر من الدعاة يعلن جناية العلم الحديث على البشرية، ويدعو إلى الرجوع إلى عهود البساطة والتقشف، لأن ما أتاحه العلم من تقدم حضارى لم يتم للإنسان سعادته، بل زاده قلقاً وتوتراً، حيث أصبح الكمالى ضرورياً من أجله، فهو يحرص عليه حرصاً شديداً، فإذا تعذر الحصول عليه أصبح موضع لهفة وتطلع، وقد كان أجدادنا السالفون ينعمون بالضرورى نعمة سابغة، ويعيشون فى هدوء مطمئن بعيداً عن التطلع الطامع، والحرص المستورق، وما كثرت حوادث الانتحار إلا فى بلاد التقدم المادى المفرط، حيث تثقل أعباء الحياة على من يريدون التمتع بكل شئ، ينظرون إليه فى أيدي معارفهم، أو يقرأون عنه فى الصحف والمجلات فإذا أضيف إلى ذلك ما جلبه التقدم العلمى فى الحروب المعاصرة من دمار مبین، كانت النتيجة فادحة، وأصبح الخطر مما يتطلب العلاج.

والحق أن الذين ينظرون هذه النظرة المتشائمة يخلطون بين الوسائل والغايات، وبين العلل والمعلول إذ ليس فى قوانين البحث العلمى، ما يجعل غازاً من الغازات متحتم البلاء، فيسخر فى الدمار والتخريب، ولكن الإنسان هو الذى ينحرف بالقانون ليستخلص منه شر النتائج، والسموم قد تكون دواءً إذا أخذت بحذر للقضاء على بعض الميكروبات، ولكنها تقتل الإنسان قتلاً إذا قصد بها الإهلاك، فالعلم ليس خطراً فى نفسه، إنما الخطر كل الخطر فى مجافاة العلم للخلق، إذ لو سيطر الخلق الدينى على الباحث العلمى لمنعه أن يستجيب لبحوثه على اختراع المبيدات الكاسحة للعممران، ولوقف بعلمه لدى النفع العام حين يجتنب ما يؤدى البشرية من وسائل التدمير والإفناء.



وإذا كانت بذرة الضمير الإنساني تكمن في كل نفس فإن هذه البذرة الكامنة قد جعلت بعض من اخترعوا القذائف المدمرة يحسون بقارص الندم، وفيهم من تعاضمه سوء ما صنع، فاختلط عقله وتسلمته المصححات العقلية، ولو كانت الرقابة الخلقية قائمة لدى من يصنعون هذه المدمرات ما استجابوا إلى رؤسائهم من الساسة، هؤلاء الذين يريدون أن يسيطرون على الشعوب بوسائل الفتك، ويرون في انتصار بلادهم عزة قاهرة، فيرصدون الميزانيات الضخمة لرجال العلم كي يبدعوا ما يفتك ويدمر، ولن يتم هذا التآمر المنكر إلا حين تنفصل السياسة عن الدين، وحين يصبح رجل العلم آلة في يد دكتاتور رهيب.

نظرتان مختلفتان

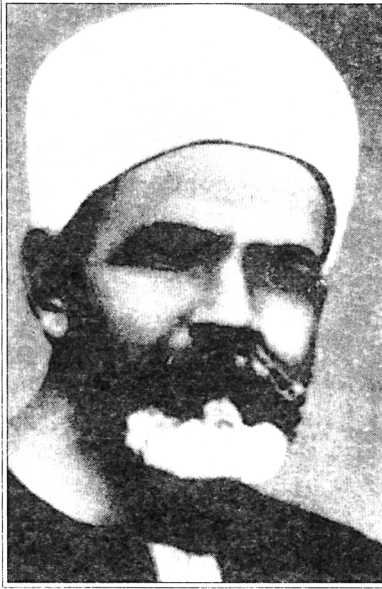
واجه رجال الدين في أوروبا قضية الخطر العلمي كما واجهها رجال الإسلام في كتب التراث، ولا نستطيع في مقال موجز أن نبسط وجهات النظر على نحو فسيح، ولكننا نشير إلى أن السؤال الحائر: (إلى أي حد يجوز لنا أن نفعل الشر لنحصل منه على الخير)؟

قد وجد جوابه لدى أسقف (درهام) باجلترا (الدكتور هنش) حين ضرب المثل بتشريح الحيوان الحي، فاستعرض آراء من يذهبون إلى إباحته للحصول على نتائج صحية تفيد الإنسانية، ومن يذهبون إلى تحريمه باعتباره مصدر ألم مفرط لحيوان برئ حساس، وانتهى إلى أن الحكم يرجع إلى النتيجة النهائية، إذ ننظر: هل يأتي التشريح بفائدة عظمية يهون لديها ألم الحيوان الحي؟ أو أن الفائدة أقل وأضال من أن يتعذب لها حيوان ضعيف دون مبرر؟ وإذا أمكن تخدير الحيوان لدى التشريح فهو أولى لدى الأسقف إلا إذا كان التخدير مما يضر بقية البحث العلمي، وقد وجد الأسقف الفاضل من عارضه من زملائه ذاهبا إلى أن ألم الحيوان الحي مما يجب ألا يهتم به في هذا المجال!

فإذا انتقلنا إلى رأى علماء الإسلام في التشريح، نجدهم يمنعون منعاً باتاً أن يشرح الحيوان الحي، إذ للحيوان حرمة الإنسان تماماً، وتلك نظرة إنسانية يصدر عنها التشريع الإسلامي في كل اتجاه، أما الميت، فالحيوان يؤكل بعد ذبحه، ولا خلاف في جواز تشريحه، أما تشريح الإنسان الميت، فللفقهاء احتياط بالغ في شأنه عبر عنه الإمام الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم في فتواه المنشورة «بمجلة الأزهر»^(١) إذ استعرض أقوال أئمة المذاهب

(١) مجلة الأزهر السنة التاسعة (رجب ١٣٥٧ هـ) ص ٤٦٨، وكان الشيخ مفتياً للديار المصرية في هذا التاريخ.





الشيخ/ عبدالمجيد سليم

الأربعة فى شق بطن من ماتت وولدها حى فى بطنها، حيث أجازوا شق البطن حرصا على الولد، لأن الحى أفضل من الميت، وانتهى من بحثه الفقهى إلى قوله: «والذى يقتضيه النظر الدقيق فى قواعد الشريعة وروحها أنه إذا كانت هناك مصلحة «راجحة» فى شق البطن وتشريح الجثة، من إثبات حق القتل قبل المتهم، أو تبرئة المتهم من القتل بالسم مثلا، أنه يجوز الشق والتشريح بعد المحاكمات.

هذا الحذر الدقيق فى إثبات حرمة الإنسان حيا أو ميتا يسيطر عليه الدافع الخلقي الذى فرضه الإسلام فى تشريعاته الدقيقة، ولو كان الدافع الخلقي قانونا مسيطراً على العلماء ما كان العلم التجريبي مصدراً لخطر كبير.

التكتم العلمى

كان المرتقب المنتظر من رجال البحث العلمى أن يكونوا ذوى صلات قوية، توجب تبادل الزيارات، وتعاقب اللقاءات ليعرض كل فريق ما استطاع أن يصل إليه فى جامعته من نتائج، كما يقدم من نماذج دقيقة لصعوبات يجدها فى طريقه، فقد تكون هذه الصعوبات مما أمكن تذليلها لدى فريق آخر، ولكن المشاهد أن المؤتمرات العلمية تنعقد فى عواصم الدول المتقدمة بصورة دائمة لا لتكشف الجديد من المخترعات، بل لتكون ستارا خادعا، وامتحانا متفرسا، حيث يتربص كل معسكر بعلماء المعسكر المقابل، فهم يتبادلون النقاش فى حذر مفرط، ثم تنتهى اللقاءات ويفاجأ الناس باكتشاف جديد، أعد فى ظل رهيب من الكتمان، فإذا طلب المؤتمرون بحث هذا الاكتشاف حيل بينهم وبين ما يشتهون، إذ أنه فى المنطق المادى وقف على من اكتشفه، وعلى الذين يحاولون الوصول إليه أن يبذلوا الجهد دون استعانة بمن انتهوا إلى غايتهم من اكتشافه.

وإذا كان هذا مانشاهده سافرا دون نقاب، فما معنى تكرار المؤتمرات العلمية إذا كانت لا تبيح التبادل الحقيقى؟ وإذا كان التوق السياسى مدعاة الحرص على هذا التكتم البغيض،



فإن هذا التكتّم لا يقف عند القوة الحربية وحدها، بل يمتد إلى شتى الميادين، فالذين يحرزون تقدما اقتصاديا فى عالم الصناعة يحتكرون السوق العالمية لمدة طويلة فترتفع الأسعار ارتفاعا يعود بالربح على الدولة المكتشفة وحدها، وأخطر ما يكون ذلك فى مواد العقاقير الطبية حيث لا تتكلف غير الهين اليسير، ولكن اختفاء سرها يجعلها مصدر ربح خرافى يظل موردا للدولة المكتشفة حتى يهتدى الباحثون إلى السر العلمى فتهدى القيمة، ومازلنا نسمع عن دواء يباع عند اكتشافه بخمسة دنائير ثم يهوى إلى نصف دينار.

ولو تركنا الجانب الخلقى ناحية، ونظرنا إلى الربح المادى وحده فإننا نرى أن إذاعة هذه الأسرار توفر كثيرا من الجهود، وتدعو الفريق الآخر إلى أن يبرز ماعنده، فيتلاقى الجميع على النفع العام، وذلك أمل لا تبشر الأحداث المشاهدة بتحقيقه فى وقت قريب، فما زال الشره الطامع محدود الرواق، ولعل الذين يتبحجون بتقدم الحضارة الأوربية ينسون أن الإسلام يمنع كتمان العلم، ويعدّه جريمة نكراء، إذ فرض الله على ذوى الدراية من العلماء أن يبرزوا ماعندهم للناس، وللعلم زكاة كاملا.

مثال تاريخى

تحدث من أرخوا حياة الإمبراطور (فردريك الثانى) أنه كان يترك أمور السياسة إلى شئون العلم ليظهر براعته العلمية التى لا ظل لها من الحقيقة، وقد دعا رجلين بريئين إلى الغذاء، وأطعمهما حتى امتلأ، وبعث بأحدهما لينام، وبعث بالآخر ليصيد وفى المساء أمر بشق بطنيهما حيين، ليعرف أيهما كان أحسن هضما؟ من أكل ونام أو أكل واشتغل، وقد نافقه علماء بلده، فأظهروا إعجابهم بيقظته العلمية النادرة، وأذاعوا عنه أنه أسهم فى تقدم البحوث الطبية إسهاما حقيقيا، ولو وجد الإمبراطور مستشارا أميناً لأعلمه أن كرامة الإنسان محترمة، وأن من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا، وأن من الوسائل العلمية ما يقوم مقام تجربته الشنيعة دون إجرام.

إن الذين يبحثون عن صلاح المجتمع الإنسانى، ويحرصون على سلام الشعوب، لن يشعروا بتقدم حقيقى إذا تخلى العلم عن الخلق وعاش العالم بلا ضمير.

د. محمد رجب البيومى



تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

لفضيلة الأمام الأكبر شيخ الزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى - :

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ

بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي
أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

سورة البقرة آية : ٢٢٨

وقوله - تعالى - :

في قوله :

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ

والتربص : التأني والتريث والانتظار .

معطوف على ما قبله لشدة المناسبة وللإشارة إلى

والقروء : جمع قرء - بضم القاف وفتحها .

في الحكم وهو التربص الذي سبقت الإشارة إليه

وذوات الحمل بين الله - تعالى - عدتهن بقوله :

﴿وَأُولَئِذَا الْأَحْمَالُ أَجْلَهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (٤).

وغير المدخول بها لا عدة عليها لقوله - تعالى - :

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ﴾ (٥).

وقوله :

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ جملة خبرية

اللفظ إنشائية المعنى أى (ليتربصن) وإخراج الأمر فى صورة الخبر - كما يقول الزمخشري - « تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم فى الدعاء: «رحمك الله» أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة. كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناءه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل توكيد ولو قيل: «ويتربص المطلقات» لم يكن بتلك الوكادة» (٦).

وفى قوله - تعالى - :

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾

ما فيه من الإبداع فى الإشارة والنزاهة فى العبارة والسمو فى المعنى، وذلك لأن المرأة المطلقة كثيرا

قال الطبرسى: وأصله فى اللغة يحتمل وجهين.

أحدهما: الاجتماع ومنه القرآن لاجتماع حروفه. فعلى هذا يقال أقرأت المرأة فهى مقرئ إذا حاضت، وذلك لاجتماع الدم فى الرحم.

والوجه الثانى: أن أصل القرء الوقت الجارى فى الفعل على عادة، يقال: هذا قارئ الرياح أى وقت هبوبها» (١).

والمعنى: أن على المطلقات أن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء بدون نكاح ثم لها أن تتزوج بعد ذلك إن شاءت.

والمراد بالمطلقات هنا المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل، لأن غيرهن قد بين - الله - تعالى - عدتهن فى مواضع أخرى.

والتوفى عنها زوجها بين الله عدتها بقوله :

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (٢).

ومن لا يحضن لئس من الحيض، أو لأنهن لم يرين الحيض فقد بين الله - تعالى - عدتهن بقوله :

﴿وَالَّتِي يَلْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ (٣).

أى: واللائى لم يحضن فعدتهن كذلك ثلاثة أشهر.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٤.

(٥) سورة الأحزاب الآية (٤٩).

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسى ج ٢ ص ٢٢٦.

(٣) سورة الطلاق الآية (٤).

(٦) تفسير الكشاف ١/٢٧١.



وقوله - تعالى :-

﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ نصب ثلاثة على النيابة

على المفعول فيه، لأن الكلام على تقدير مضاف، أى مدة ثلاثة قروء، فلما حذف المضاف خلفه المضاف إليه فى الإعراب .

هذا وللعلماء رأيان شهيران فى المراد بقوله -

تعالى :- ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ :

فالأحناف والحنابلة ومن قبلهم عمر وعلى وابن مسعود وغيرهم يرون أن المراد بالقروء هنا الحيضات والمعنى عندهم: أن المطلقات عليهن أن يمكن بعد طلاقهن من أزواجهن مدة ثلاث حيضات بدون زواج ثم بعد ذلك لهن أن يتزوجن إن شئن .

ومن أدلتهم: أن النبى ﷺ قد فسر القرء بمعنى الحيض فقد جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود والنسائى عن فاطمة بنت أبى حبيش أن رسول الله ﷺ قال لها: «دعى الصلاة أيام أقرائك» (٨) .

ولا شك ان المراد بالقرء فى هذا الحديث الحيض، لأنه هو الذى لا تصح معه الصلاة أما المالكية والشافعية ومن قبلهم عائشة وعبدالله بن عمر وزيد بن ثابت والزهرى وغيرهم فيرون أن المراد بالقروء هنا الأطهار، أى الأوقات التى تكون بين الحيضتين للنساء .

ومعنى الآية عندهم: أن على المطلقات أن يمكن بعد طلاقهن من أزواجهن ثلاثة أطهار بدون زواج ثم بعد ذلك يتزوجن إذا شئن .

ما تشعر بعد طلاقها بأنها فى حاجة إلى أن تثبت أن إخفاقها فى حياتها الزوجية السابقة ليس لنقص فيها، أو لعجز عن إنشاء حياة زوجية أخرى وهذا الشعور قد يدفعها إلى التسرع والاندفاع من أجل إنشاء هذه الحياة، وهنا تبرز طريقة القرآن الحكيمة فى معالجة النفوس، إنه يقول للمطلقة: إن التطلع إلى إنشاء حياة زوجية أخرى ليس عيبا، ولكن الكرامة توجب عليها الانتظار والتريث، إذ لا يليق بالحرّة الكريمة أن تنتقل بين الأزواج تنقلا سريعا .. وأيضا فإن نداء الفطرة، وتعاليم الشريعة توجبان عليها الانتظار مدة ثلاثة قروء، لكى تستبرئ رحمها، حتى إذا كان هناك حمل نسب إلى الأب الشرعى له .

وفى قوله - تعالى :-

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ إشعار بأن هذا

التربص يجب أن يكون من ذات أنفسهن وليس من عامل خارجى، فشأن الحرّة الكريمة المؤمنة أن تحجز نفسها بنفسها عن كل ما يتنافى مع الكرامة والشرف، فقد تجوع الحرّة ولكنها لا تأكل بثديها - كما يقولون .

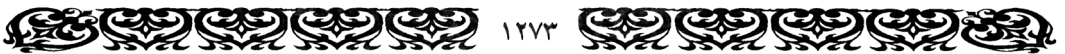
وقد أشار صاحب الكشف إلى المعنى بقوله:

فإن قلت وما معنى ذكر الأنفس - هنا ؟

قلت: فى ذكر الأنفس تهيج لهن على التربص وزيادة بعث، لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن . وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال . فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح، ويجبرنها على التربص» (٧) .

(٨) تفسير الألوسى ١٣١/٢ .

(٧) تفسير الكشف ٢٧١/١ .



ومن أدلتهم: أن الله - تعالى - يقول:

﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ وقد بينت السنة

النّبوية أن الطلاق لا يكون في الحيض، فلا يتصور أن يكون الطلاق في العدة إلا إذا فسرنا القرء بالطهر لا بالحيض، وروى عن عائشة أنها قالت: «هل تدرون الأقرء؟ الأقرء الأطهار»^(٩).

قال صاحب المنار: قال الأستاذ الإمام: والخطب

في الخلاف سهل، لأن المقصود من هذا التبرص العلم ببراءة الرحم من الزوج السابق، وهو يحصل بثلاث حيض كما يحصل بثلاث أطهار، ومن النادر أن يستمر الحيض إلى آخر الحمل فكل من القولين موافق لحكمة الشرع في المسألة^(١٠).

ثم قال - تعالى -:

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾

أى: ولا يحل للنساء المطلقات أن يكتمن أمانة الله التي خلقها في أرحامهن من ولد لكى ينسبهن إلى غير أبيه، أو من حيض أو طهر لكى تطول العدة، ويمتد الإنفاق من الأزواج عليهن فإن هذا الكتمان كذب على الله، وخيانة للأمانة التي أودعها الله في أحشائهن وأمرهن بالوفاء بها، سيحاسب الله من يفعل ذلك منهن حسابا شديدا ويعاقبه عقابا أليما.

وقوله: ﴿ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾.

تحريرهن لهن على عدم الكتمان وعلى الإخبار الصادق حتى تستقيم الأحكام، وتتقرر الحقوق،

وتحذير لهن من الكتمان ومن اتباع الهوى والشيطان أى: أن على المطلقات ألا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن جرين على ما يقتضيه الإيمان، إذ الإيمان يبعث على الصدق ويدعو إلى المحافظة على الأمانة، فإن لم يفعلن ذلك وكتمن ما خلق الله في أرحامهن، كن من لا يؤمن بالله وباليوم الآخر إيمانا حقيقيا، لأن من شأن المؤمنات الكاملات فى إيمانهن ألا يفعلن ذلك.

قال الإمام الرازى: أما قوله:

﴿ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾.

فليس المراد أن ذلك النهى - عن الكتمان - مشروط بكونها مؤمنة، بل هذا كما تقول للرجل الذى يظلم: إن كنت مؤمنا فلا تظلم. تريد إن كنت مؤمنا فينبغى أن يمنعك إيمانك عن ظلمي، ولا شك أن هذا تهديد شديد للنساء.. والأية دالة على أن كل من جعل أمينا فى شئ فخاف فيه فأمره عند الله شديد^(١١).

هذا وقد قرر الفقهاء أن القول فيما يتعلق بعة المرأة ابتداء وانتهاء مرجعه إليها، لأنه أمر يتعلق بها ولا يعلم إلا من جهتها، إلا أنهم مع ذلك قرروا مدة ينتهى قولها عنده، ولا يعمل بقولها إن نقصت على تلك المدة، فلو ادعت - أنها قد انقضت عدتها بعد شهر من طلاقها لا يقبل قولها.

وللفقهاء كلام طويل فى هذه المسألة مبسوط فى كتب الفقه فليرجع إليه من شاء ذلك ثم قال - تعالى -:

(١٠) تفسير المنار ١/٢٧١.

(٩) تفسير الفخر الرازى ٦/٩٤.

(١١) تفسير الفخر الرازى ٦/٩٨.

إلا بخطبة ونكاح مستأنف بولى وإشهاد ليس على صفة المراجعة، وهذا إجماع من العلماء» (١٣).

وفى هذه الجملة الكريمة بيان لبعض الحكم السامية التى أرادها الله - تعالى - من وراء مشروعية العدة فالله - تعالى - جعل للمطلق فرصة - هى مدة ثلاثة قروء - لكى يراجع نفسه ويتدبر أمره، لعله خلال هذه المراجعة وذلك التدبر يرى أن الخير فى بقاء زوجته معه فيراجعها، رعاية لرابطة المودة والرحمة التى جعلها الله - تعالى - بين الزوجين.

وقوله - تعالى -:

﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ شرط المقصود منه حض المطلق على أن ينوى بإرجاعه لمطلقته إصلاح أحوالهما، بإرشادها إلى ما من شأنه أن يجعل حياتهما الزوجية مستمرة لا منقطعة، أما إذا راجعها على نية الكيد والأذى والمضارة ففى هذه الحالة يكون آثما وسيعاقبه الله على ذلك بما يستحقه.

قال الآلوسى: وليس المراد من التعليق اشتراط جواز الرجعة بإرادة الإصلاح حتى لو لم يكن قصده لا تجوز، للاجتماع على جوازها مطلقا، بل المراد تحريضهم على قصد

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾

قال القرطبى: البعولة جمع البعل وهو الزوج، سمي بعلا لعلوه على الزوجة بما قد ملكه من زوجيتها، ومنه قوله - تعالى -:

﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا﴾ أى ربا، لعلوه فى الربوبية، والبعولة أيضا مصدر البعل وبعل الرجل بيعل - كمنع يمنع - أى صار بعلا والمباعدة والبعال: الجماع، ومنه قوله ﷺ لآيام التشريق: «إنها أيام أكل وشرب وبعال» (١٢).

والمعنى: وأزواج المطلقات طلاقا رجعيا أحق بردهن ومراجعتهن فى ﴿ذَلِكَ﴾ أى فى وقت التربص قبل انقضاء العدة:

﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ أى إن أرادوا بهذه المراجعة الإصلاح لا الإضرار، كما سيأتى فى قوله - تعالى -:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لَّعَنْدُوا﴾

قال القرطبى: «وأجمع العلماء على أن الحر إذا طلق زوجته الحرة وكانت مدخولا بها تطليقة أو تطليقتين، أنه أحق برجعته ما لم تنقض عدتها وإن كرهت المرأة، فإن لم يراجعها المطلق حتى انقضت عدتها فهى أحق بنفسها وتصير أجنبية منه، ولا تحل له

(١٣) تفسير القرطبى ١٢٠/٣.

(١٢) تفسير القرطبى ١١٩/٣ بتلخيص.



الإصلاح حيث جعل كأنه منوط به ينتفى
بانتفائه» (١٤).

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله :

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

أى : وللنساء على الرجال مثل ما للرجال
على النساء فليؤد كل واحد منهما إلى
الآخر ما يجب عليه نحوه بالمعروف .

والمراد بالمثالة - كما يقول الألوسى -
المثالة فى الوجوب لا فى جنس الفعل، فلا
يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن
يفعل لها مثل ذلك . ولكن يقابله بما يليق
بالرجال» (١٥).

أى أن الحقوق والواجبات بينهما متبادلة،
وأنهما متماثلان فى أن كل واحد منهما
عليه أن يؤدى نحو صاحبه ما يجب عليه
بالمعروف أى بما عرفته الطباع السليمة ولم
تنكره، ووافق ما أوجبه الله على كل منهما
فى شريعته فالبراء فى قوله :

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ للملابسة .

وقد بين النبي ﷺ فى أحاديث متعددة
حقوق الرجال على النساء، وحقوق النساء
على الرجال، ومن ذلك ما أخرجه مسلم فى

صحيحه عن جابر بن عبد الله أن رسول ﷺ
قال فى خطبته فى حجة الوداع «اتقوا الله
فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله .
واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم
عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه .
فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح،
ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف» .

وروى الشيخان عن أبى هريرة أن رسول
الله ﷺ قال : «لا يحل لامرأة أن تصوم
وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن فى بيته
إلا بإذنه» .

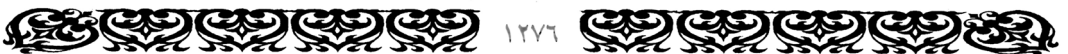
وأخرج أبو داود عن معاوية بن حيدة
قال : قلت يا رسول الله، ما حق زوجة
أحدنا عليه؟

قال : «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها
إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح،
ولا تهجر إلا فى البيت» .

ولقد قام السلف الصالح بأداء هذه الحقوق
على أحسن وجه فقد روى عن ابن عباس أنه
قال : «إنى لأحب أن أترين لامرأتى كما
تترين لى لأن الله - تعالى - يقول :

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

أى : أن يحب أن يؤنسها وأن يدخل
السرور على قلبها كما أنها هى تحب أن





وقد نظر الإسلام إلى هذا الأمر نظرة عادلة، فوجد أن الرجل أملك لزام نفسه، وأقدر على ضبط حسه، ووجدته الذى أقام البيت بماله وأن انهياره خراب عليه فجعل له الرياسة، ولذا قال - سبحانه -:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

هذه هى الدرجة التى جعلها الإسلام للرجل، وهى درجة تجعل له حقوقا وتعمل عليه واجبات أكثر، فهى موائمة كل المواءمة لصدر الآية، فإذا كان للرجل فضل درجة فعليه فضل واجب» (١٦).

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أى غالب فى انتقامه ممن عصاه، حكيم فى أمره وشرعه وسائر ما يكلف به عباده فعلى الرجل والمرأة أن يطلبوا عزهما فيما شرعه الله فهو الملجأ والمعاذ لكل ذى حق مهضوم، وعليهما كذلك أن يتمسكا بما كلفهما به، لأنه ما كلفهما إلا بما تقتضيه الحكمة، ويؤيده العقل السليم.

«يتبع»

تفعل له ذلك ولكن لا يفهم أحد أن المراد بهذا المثلية المساواة من كل الوجوه قال - تعالى :-

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ والرجال: جمع رجل. يقال: رجل بين الرجلين أى القوة. وهو أرجل الرجلين أى أفواههما وفرس رجيل أى قوى على المشى. وارتجل الكلام أى قوى عليه من غير حاجة فيه إلى فكرة وروية، وترجل النهار أى قوى ضياؤه. فأصل كلمة الرجل مأخوذة من الرجولية بمعنى القوة.

والدرجة فى الأصل: ما يرتقى عليه من سلم ونحوه، والمراد بها هنا المزية والزيادة أى: لهن عليهم مثل الذى لهم عليهن وللرجال على النساء مزية وزيادة فى الحق، بسبب حمايتهم لهن، وقيامهم بشئونهن ونفقتهن وغير ذلك من واجبات.

قال بعض العلماء: وإذا كانت الأسرة لا تتكون إلا من ازدواج هذين العنصرين - الرجل والمرأة - فلا بد أن يشرف على تهذيب الأسرة ويقوم على تربية ناشئتها وتوزيع الحقوق والواجبات فيها أحد العنصرين.

(١٦) تفسير القرآن الكريم لفضية الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة مجلة لواء الإسلام، السنة السادسة، العدد (٣).





دعوة القرآن الكريم إلى بناء المجتمع

د. أساذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

إن دعوة الإسلام إلى بناء المجتمع المثالي، لا تقتصر على ما فرضه من حدود على الجرائم والشور، لتنقية المجتمع منها فحسب، ولا على النواهي والتحذيرات التي تحرم على المسلم ارتكاب الرذيلة أو فعل القبيح أو الإهمال فيما وجب عليه فقط، كما لا تقتصر على ما شرعه الله - تعالى - من عبادات ومعاملات وجهاد لا غير.. ولا تقتصر كذلك على ما جاء من الفضائل أو الأخلاق في ذروتها كالإيثار، والإحسان إلى من أساء وغير ذلك.. بل إن دعوة الإسلام تضمنت مع كل هذا وذاك «الأسوة الحسنة» التي تمثلت في رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وبلغ فيها أسمى الدرجات، فلا يكفي للرائد والمعلم أن يلقي توجيهاته دون أن تكون أعماله وسلوكه مصوغة على أعلى المستويات فيما يأمر أو ينهى عنه.

والمعلوم أن في الإنسان فطرة خيرة كريمة، ونزعة بشرية مقابلة وكل واحدة من هاتين تحاول اجتذاب الإنسان إلى صفها، فمن ركب نفسه فقد أفلح، ومن أهملها فقد ضل ضلالاً مبيناً؛



كانت تقوى الله - تعالى - هي أهم الركائز، وعلى ضوئها تنبثق كل الفضائل والأخلاق.

فلقد أرسى الإسلام قاعدة المثالية، بالنسبة للأفراد والجماعات، والأمة والشعوب وعلى ضوئها يقوم بناء المجتمع المثالي، هذه القاعدة القرآنية هي قول الله - تعالى :

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٤).

فالمجتمع المثالي هو الذى أخذ التقوى شعاراً، وطبقها سلوكاً، فأتت ثمارها حقيقة. وقد وضع القرآن الكريم سمات هذا المجتمع الرفيع، وبين أنه هو الذى يجعل القرآن هداه :

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ
قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٥﴾﴾

ويرسم القرآن صورة هذا المجتمع المتكامل فى مبادئه، بأنه صحيح العقيدة فى دينه، متعاون فى معاشرته، مهذب النفس فى سائر معاملاته وعلاقاته.

١- أما صحة العقيدة : فتكون بالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ (١).

ولكى يكون السلوك دائم النقاء، موصول الخير، مأموناً عليه من الانزلاق فى وحل المعصية، والشروع، جاءت توجيهات الإسلام لتخاطب الظاهر والباطن، ولتستحث فى الإنسان فطرته الطيبة وتحرك أشعتها مضيئة صوب الحق والخير.

ولا يجعل الإسلام الحساب على مجرد شكل العمل وصورته، بل على روحه ونية فاعله، قال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » (٢) وقال ﷺ : « إنما يبعث الناس على نياتهم » (٣) وهنا يتجلى ما يتضمنه الدين من بعث لقوى الخير الكامنة، وإطفاء لنزعات الشر الطائشة فى داخل النفس الإنسانية إن قوانين الدنيا قد يفلت البعض منها بحيلة ما، فلا يقع تحت طائلة العقاب أما بالنسبة للقوانين الإلهية فمهما أخفى العبد جريمته، فلن تخفى على علام الغيوب الذى يعلم السر وأخفى.

ولهذا كان الإسلام فى دعوته يجمع كل صفات الظاهر والباطن ويغرس فى النفس الإنسانية روح المراقبة ومعانى الخير الكاملة: وينقى القلب دائماً ويجعله على صلة وثيقة بالله وبالناس.. وسنرى كيف نادى الكتاب العزيز والسنة الشريفة إلى كل هذا وكيف

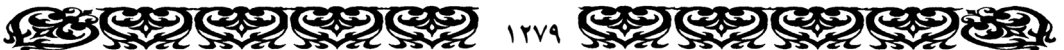
(٢) أخرجه ابن ماجة.

(٤) الحجرات «١٣».

(١) الشمس «٧ : ١٠».

(٣) أخرجه ابن ماجة.

(٥) البقرة «٢ : ٤».





وفى موطن آخر من سورة «الذاريات» يصور القرآن الكريم صورة المجتمع المثالى بأنه مجتمع تقى بلغ فى رقيه وتقاه إلى درجة الإحسان التى أشار إليها الرسول ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٧) وقبل أن يذكر ملامح هذا المجتمع يبين جزاء أصحابه، وما أعدده الله - تعالى - من جنات وعميون وما هم عليه من رضا تام، وقبول حسن لما آتاهم ربهم، فيقول الله - تعالى :

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ أَفْجِدِينَ مَاءً أَنْهَمَ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا لَا سَحَابٌ يَرْفَعُهُمْ يُسْتَفْرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ .

إن درجة الإحساس التى أشارت إليها الآيات السابقة ، لهى أمان للمجتمع، فوق مالها من منزلة، وما لأصحابها من أجر وافر عند الله، هى أمان من الخوف والفرع والقلق النفسى، وهى أمان من الحزن الذى يصاب به غير المحسنين فى أعمالهم وعباداتهم . قال تعالى :

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٩﴾﴾ .

وتفسر الآيات الشريفة درجة الإحسان فى التقوى والعمل، بأنها ترقى بالمجتمع إلى الدرجات العلا ..

٢-وأما تعاونه فى المعاشرة: فيكون بإيتاء المال - مع حبه له- لأصحاب الحقوق والمحتاجين، فقد روى مسلم بسنده- عن أبى هريرة- رضى الله عنه -قال: جاء رجل إلى النبی ﷺ فقال: يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: «أما وأبيك لتنبأته: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان» .

٣-وأما تهذيب النفس فى سائر المعاملات والعلاقات: فيكون بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر فى كل الأحوال وفى أوقات الشدائد، وعند لقاء العدو .

إن من يجمع هذه المبادئ فقد صار صادقاً فى دينه، واتباعه للحق، وطلبة للبر، وهو بحق تقى .. والمجتمع الذى يتسم بها هو المجتمع المثالى الفاضل ويجمع محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ضم هذه المبادئ كلها قول الله - تعالى :

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ .

(٧) البخارى ٢٠/١ .

(٩) البقرة «١١٢» .

(٦) البقرة «١٧٧» .

(٨) الذاريات «١٥ : ١٩» .





عن أبي هريرة- رضى الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال :

قال الله - تعالى - :

« أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١١) .

وأما جزاء الاستغفار وثمرته: فواضح فى قول الله - تعالى :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُبْنِي بِنَجْمٍ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿٣﴾ ﴾ (١٢) .

ويقول الرسول ﷺ : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب » (١٣) .

وأما فضل الإنفاق وجزاؤه ، فقد قال تعالى :

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٤) .

وقال تعالى :

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١٥)

١-إنهم يهجعون فى طائفة قليلة من الليل، ويقضون سائر الليل فى العبادة .

٢-ومع قلة هجوعهم، وكثرة تهجدهم ينهضون فى الأسحار ويستغفرون ربهم وكأنهم لم يقضوا الليل فى العبادات . فهم يصلون فى الرقى بالعبادات من نوع إلى آخر ولا يركنون لما قدموا من طاعة أو سهر وتهجد بل مع هذه الاجتهادات يكثرون من الاستغفار وكأنهم مذنبون .

٣-ثم يقدمون بعد هذا الدليل على صدق الإيمان، وإحسان الطاعة، وذلك بالبذل والإنفاق ولا يقصرون البذل والعطاء على السائل الذى يسأل، بل يبذلون وينفقون على من لا يسأل ، كالمحروم وهو: المستجدى، والمتعفف الذى يظنه بعض الناس غنياً لعدم سؤاله فيحرم الصدقة، ومصداق ذلك فى موطن آخر، قول الله - تعالى :

﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٠) .

وإذا كان القرآن الكريم قد بين جزاء قيام الليل بهذه الصورة :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

فقد أكدت السنة الشريفة عظمة هذا الجزاء :

(١١) رواه البخارى.

(١٢) رواه ابوداود.

(١٥) سبأ ٣٩.

(١٠) السجدة ١٦، ١٧.

(١٢) نوح ١٠ : ١٢.

(١٤) النساء ١١٤.





الأول: جسمانى نفسى، وهو الجنة والأزواج المطهرة.

والثانى: روحانى عقلى، وهو رضوان الله - سبحانه وتعالى - ويصور القرآن الكريم النوعين من المجتمعات فى قوله تعالى:

﴿ذَيْنِ النَّاسِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَّعُ
الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٦﴾ قُلْ
أَوْفَيْتُكُمْ بِعَهْدِي إِنَّكُمْ لَفِيهَا أَتَقَوْنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ يُصَوِّرُ مَا يُلَاحِظُونَ ﴿١٧﴾﴾

ثم تبرز لنا الآيات الكريمة سمات هذا المجتمع العظيم:

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٨﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٢٠﴾﴾

إنهم رتبوا طلب المغفرة على الإيمان، وابتهلوا إلى الله بصدق إيمانهم ليغفر لهم.

كما أنهم صابرون، والصبر ضياء، وقد قال الله - تعالى - فى جزاء الصابرين:

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١﴾﴾

وعن أبى هريرة- رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن ملكاً بباب من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم يجز غداً. وملكاً بباب آخر يقول: اللهم أعط منفقاً خلفاً وعجل لممسك تلفاً» (١٦).

هذه العناصر الثلاثة: من قيام الليل، وعدم الاتكال على ذلك فيكثر من الاستغفار، ثم إقامة البرهان على الصدق فى جميع الفضائل بالإنفاق، كما قال الرسول ﷺ: «... والصدقة برهان» (١٧). هذه كلها تشكل عناصر الإحسان الذى هو عنوان المجتمع المثالى الذى أخذ نفسه بتوقى الله - تعالى - والإحسان فى عباداته ومعاملاته:

والناس فى نظرهم للمثالية يختلفون، وينقسمون إلى قسمين:

أحدهم: يراها فى حب الشهوات، وهؤلاء هم حزب الشيطان وعشاق الدنيا الذين غرتهم الأمانى وغرهم بالله الغرور.

والآخر: يراها فى تقوى الله - تعالى - وهؤلاء هم حزب الله:

﴿الْأَيُّهَا حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٨﴾﴾

وقد بين القرآن الكريم أن القسم الثانى هو الذى على حق، وهو الذى قد أعد له ربه جزاء عمله على نوعين:

(١٦) رواه أحمد بإسناد صحيح، وابن حبان فى صحيحه، والطبرانى فى الأوسط.

(١٧) أخرجه أحمد ٣٤٢/٥، ٣٤٣.

(١٨) المجادلة «٢٢».

(١٩) آل عمران «١٤»، «١٥».

(٢٠) آل عمران «١٦»، «١٧».

(٢١) الزمر «١٠».





وقال تعالى :

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٢٢).

وقال ﷺ : «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (٢٣).

ثم يصفهم بعد ذلك بالصدق، والصدق يكون في القول والعمل، وقد قال الله - تعالى - في جزاء الصادقين :

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهم أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤).

وقال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٥).

وقال رسول الله ﷺ في ثمرة الصدق ونتيجته، وعاقبة الكذب ونهايته: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» (٢٦).

وحين يصفهم بالعبادة يصفهم بالمداومة

عليها، والحرص على روحها ولبابها لا على الشكل والمظهر فحسب، فيصفهم «بالقانتين» وأما الصفتان التاليتان وهما : الإنفاق، والاستغفار بالأسحار فقد سبق بيانهما.. إلا أن بعض المفسرين يرى أن المراد بالاستغفار هنا الصلاة وقت السحر،

وقد أمر الله - تعالى - عباده بأسباب المغفرة والجنة، ووجههم إلى المسارعة في ذلك ، ولكن الأمر والتوجيه جاء بصيغة تقتضي تحقق هذا الجزاء العظيم الذي أعد لهم لأنهم اتقوا ربهم حق تقاته، وقدموا الجزاء أولاً، ليبين أنه المتكفل به والضامن له، ثم ذكر - بعد ذلك - سماتهم وأوصافهم.. ثم يختتم ببيان الجزاء، ليوضح أنه إنما جاء وفق إيمانهم وعملهم، لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وليوضح - أيضاً - أنه مؤكد عند الله - سبحانه وتعالى -

وفى معرض تعداد أوصاف المتقين، الذين سموا في أعمالهم إلى مراقى الفلاح، والذين كونوا بمثاليتهم الفذة أرقى مجتمع إنساني على ظهر الأرض في معرض تعداد الأوصاف، ذكر نوعين من الأعمال، عليهما تدور سعادة الأمة التي ينتمون إليها كالإنفاق، والسعادة النفسية للعامل ذاته هذان النوعان هما :

١- العمل البدني كالإنفاق.

(٢٣) رواه مسلم.

(٢٥) التوبة «١١٩».

(٢٢) الشورى «٤٣».

(٢٤) الزمر : ٢٣ : ٢٥.

(٢٦) متفق عليه.





٢- والعمل النفسى كعدم الإضرار .

هذه الملامح السابقة يصورها قول الله - تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَنِيِّ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتُ جَنَّةٍ مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِهِمْ أَجْرٌ الْعَمِلِينَ ﴿٣٧﴾ ۝

وهكذا تطلعنا هذه الآيات الكريمة على خمس سمات إذا تحققت تكاملت بها صورة المجتمع المثالى :

أولاً : قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ (٢٨) .

أى فى حالة الرخاء وفى حالة الشدة، والسراء من السرور أى فى الحالة السارة التى يستشعر فيها الإنسان السعة واليسر و«الضراء» من الضرر أى فى الحالة الضارة التى يستشعر فيها الإنسان الضيق والعسر، وقد روى عن ابن عباس تفسيرهما باليسر والعسر .

وهنا لفظة إلهية حكيمة، حيث بدأ صفات المتقين بالإنفاق، وذلك لسببين :

١- لمقابلته بالربا الذى نهى عنه فى الآية السابقة فى قول الله - تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٩﴾ ۝

فإذا كان فى الربا استغلال من الغنى للفقير، وانتهاز لحاجته وفاقته لأكل ماله بغير وجه حق .. فإن فى الصدقة مساعدة للفقير وعوناً له، لا يستغنى من الفقير جزاء ولا شكورا .

٢- للإنفاق فى جميع الحالات - اليسر والعسر - دلالة على صدق الإيمان، وبرهان على قوة اليقين .. وهذا هو شأن المتقين، لا يجرمهم اليسر إلى البطر، ولا يوقعهم العسر فى القنوط، فهم لا يقتصرون فى تعاونهم على حالة الرخاء والنعمة بل هم فى الحالين سواء، فلما كان الإنفاق أدل على التقوى، وأعظم نفعا للمجتمع الإنسانى من سائر الأعمال الأخرى استهلّت الآية الشريفة موكب المتقين بالإنفاق .

ثانياً : ﴿ وَالْكُظُمِينَ الْغَنِيَّ ﴾ وهم الذين يحبسون غيظ نفوسهم بالصبر عندما يهضم لهم حق من الحقوق مادية كانت أو

(٢٨) آل عمران « ١٣٤ » .

(٢٧) آل عمران « ١٣٣ : ١٣٦ » .

(٢٩) آل عمران « ١٣٠ » .





معنوية، وهذه الصفة تقتضى ضبط النفس وكبح جماحها، حتى لا تنزلق فى الشر فتكون فتنة .

وقد بين الرسول ﷺ درجة كظم الغيظ وثمرته فى قوله : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء » (٣٠).

ثالثاً: ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ وهنا

يرقى الإسلام بنفس المسلم، فبعد أن أطفأ جذوة الشر التى تكاد تندلع بها النفس الإنسانية، وذلك بكظم الغيظ، انتقل بالمسلم إلى درجة أسمى، فيها معالجة للنفس وارتفاع إلى مرتبة أسمى من السابقة، فقد يكظم الإنسان غيظه ولا يزال فى قلبه شئ من الضغينة، أما العفو فيمسح ما بقى من شر حتى يعود القلب نقياً .

وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بما يشرف الله به النبيان ويرفع الدرجات ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك وتصل من قطعك » (٣١).

رابعاً: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

إذا كان العفو منزلة فوق العدل كان - عند بعض العلماء - إحساناً، وعلى هذا فمعنى

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أى الذين أحسنوا فى معاملتهم وعفوهم .

ولكننى أرى أن قوله - تعالى - :

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٢).

صفة رابعة، زائدة على ما سبق ، وقد جاء فى صيغة تبرز بكونه محبوباً عند الله - سبحانه - فهي درجة زائدة بلغ أصحابها فى مثالياتهم مدى عظيماً، بحيث لا يكتفون بكظم الغيظ والعفو فحسب بل إنهم يحسنون إلى من أساء إليهم، روى أن بعض السلف الصالح غاظه غلام له غيظاً شديداً فهم بالانتقام منه، فقال الغلام :

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ فقال كظمت غيظي .

قال الغلام :

﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ (٣٣) . قال : عفوت عنك .

قال الغلام :

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . قال : اذهب فانت حر لوجه الله .

(٣١) رواه الطبرانى .

(٣٢) آل عمران « ١٣٤ » .

(٣٠) أخرجه ابن ماجه .

(٣٢) آل عمران « ١٣٤ » .





خامساً : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً
أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
فَأَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ (٣٤).

وهذه الصفة، تكشف عن الطبيعة البشرية وأنها عرضة للخطأ والزلل، فالمسلم التقى إذا اقترف معصية في حالة ضعف نفسى يبادر بالرجوع إلى ربه مستغفراً تائباً.. وإن سماحة الإسلام لا تدع أمثال هذا النمط في مؤخرة القافلة، بل ترفعهم إلى مصاف المتقين ما داموا قد ذكروا ربهم، واستغفروه، ولم يصروا على ما فعلوا.

ومما سبق يمكننا أن نبرز هنا سمات هذا المجتمع المثالى لتكون بمثابة الأضواء الكاشفة للأمة الإسلامية حتى تترسم الخطى الصحيحة التى أشار إليها الإسلام فى القرآن والسنة، وهذه السمات :

أ- منها ما يتعلق بصحة العقيدة: وهذا عن طريق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.. وما يستلزمه من عبادات ومعاملات.

ب- التعاون والتكافل الاجتماعى، وهذا عن طريق التعاون والإنفاق فى جميع الأحوال.

ج- تهذيب النفس الإنسانية وترويضها، وكبح جماحها وفتح سبل الخير والحق لها..

وهذا عن طريق :

- ١- الصلاة.
- ٢- الزكاة.
- ٣- الصوم.
- ٤- الحج للمستطيع.
- ٥- الوفاء بالعهد.
- ٦- الصبر فى جميع الأحوال.
- د- سموهم فى العبادة والقرب من الله..

وهذا عن طريق:

- ١- قيام الليل.
- ٢- الاستغفار فى الأسفار.
- هـ- علاقتهم بالله وبالناس وسمو المجتمع بهم وهذا عن طريق:

- ١- الصدق.
 - ٢- القنوت.
 - ٣- كظم الغيظ.
 - ٤- العفو عن الناس.
 - ٥- الإحسان إلى من أساء إليهم.
 - ٦- الرجوع إلى الله - تعالى.
- وهذه هى ختام الصفات الكريمة، وهى تبين أنهم دائماً يذكرون ربهم ولا ينسونه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٣٥).





تَعْظِيمُ الْقُرْآنِ

مؤلف: د. سنان الكسور / أحمد عبد الواحد

صنف الإمام الحافظ أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي - المتوفى سنة ثلاث وأربع مائة - كتاباً سماه (المنهاج في شعب الإيمان) جمع فيه من الكلام في حقيقة الإيمان، وشرح ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»^(١) وتفصيل هذه الشَّعب واحدة واحدة، والكلام عنها بما يكشف عن حقيقتها - ما أمل أن يعظم نفعه وتكثر فائدته، وسماه (المنهاج) إذ كان إبانة لما نهجه الله - تعالى - لنا من الدين، وهذا إنا إليه من الصراط المستقيم، وقد قال سبحانه: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٢).

وقسمه عشرة أقسام في عشرة أبواب، أولها: في البيان عن حقيقة الإيمان، وعاشرها: في شعب الإيمان. وفي بيان التاسع عشر من شعب الإيمان، ذكر أنه تعظيم القرآن - كتاب الله العزيز - بكل وجه من وجوه الإجلال والتكريم، ومنها تعلُّمه، وملازمة تلاوته، واحضار القلب عند قراءته، والتفكير فيه، وتكرير آياته وترديد ها واستشعارها بما يهيج الخشية من مواعظ الله ووعيده فيه.

ومنها أن يزداد من القراءة في شهر رمضان .
ومنها أن يعلم القرآن من يرغب إليه في
تعلُّمه، ولا يترفع عنه بل يحتسب الأجر فيه
ويغتنمه .

ومنها أن يرتل القراءة - أى يتأنى فيها
- ويحسن صوته بها، ويفتح قراءته
بالاستعاذة، ويقرأ في أول كل سورة - عدا
سورة التوبة - بسم الله الرحمن الرحيم .

(٢) المائدة (٤٨).

(١) أخرجه الحافظ أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي.

ولا التَّهَيُّبُ بما هَيَّبَ، ولا الاتعَاضُ بما وعَظَ، ولا القيامُ بفِرْضِ التَّلاوةِ أو سُنَّتِهَا، فَصَحَّ أَنْ التَّعَلُّمُ هو أولُ ما يَجِبُ من حَقُوقِ الْقُرْآنِ .

وكيف يَتَيَسَّرُ لِلْمُؤْمِنِ عِبَادَةُ إِذَا لَمْ يَتَعَلَّمْهُ وَيَحْفَظْ مِنْهُ وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ - يَقُولُ لِنَبِيِّهِ :

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ﴾ أَي : اسْهَرْ بِهِ وَقْتاً مِنَ اللَّيْلِ فِي صَلَاةٍ وَقِرَاءَةٍ ﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ أَي : كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ لَكَ

﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٥) . وقد سَمَّى اللَّهُ الْقُرْآنَ ذِكْراً، وَتَوَعَّدَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَنَسِيَهُ :

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۖ خَلِيدٍ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴾ (٦) .

وقال بعد ذلك :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۚ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۚ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (٧) .

ومع أن القرآن إنما نزل ليُعملَ به، فإن من معاني التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِقِرَاءَتِهِ أَنَّهُ خُطَابُ الْحَقِّ

ومنها أَنْ يَسْتَشْفِيَ قَارِئُ الْقُرْآنِ بِمَا يَجِيئُهُ مِنْهُ وَيَتَبَرَّكَ بِقِرَاءَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ مَرِيضاً أَوْ حَزِيناً أَوْ خَائِفاً أَوْ مَغْتَمّاً أَوْ مُسَافِراً وَيُتَّبِعَهُ الدُّعَاءُ وَالْمَسْأَلَةُ مِنَ اللَّهِ .

ومنها أَنْ يَفْرَحَ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ فَرَحَ الْغِنَى بِغِنَاهُ وَذِي السُّلْطَانِ بِسُلْطَانِهِ وَيَسْتَعِظُمُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهِ وَيَحْمَدُهُ عَلَيْهِ .

أما تَعَلُّمُ الْقُرْآنِ فَهُوَ أَوَّلُ وَجْهِ تَعْظِيمِهِ، لِأَن تَرْكَ التَّعَلُّمِ إِغْفَالٌ لَهُ وَتَضْيِيعٌ، وَالتَّعَلُّمُ وَلَوْ بِه وَحِرْصٌ عَلَيْهِ وَعِرْفَانٌ بِقُدْرِهِ، وَعَنْ عِثْمَانَ بْنِ عَفَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » (٣) وعن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَاماً وَيُضَعُّ بِهِ آخَرِينَ » (٤) .

فإن من القرآن ما تَجِبُ قِرَاءَتُهُ فِي الصَّلَاةِ، وَمِنْهُ مَا تُسَنُّ قِرَاءَتُهُ فِيهَا، وَفِيهِ أَحْكَامُ تَعَبُّدِ اللَّهِ بِهَا خُلُقُهُ، وَفِيهِ وَعْدٌ وَوَعِيدٌ وَمَوَاعِظٌ وَقِصَصٌ، وَلَا يَخْلُو كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنْ أَمْرٍ يُخَاطَبُ بِهِ الْعَبْدُ، فَمَنْ لَمْ يَتَعَلَّمِ الْقُرْآنَ لَمْ يَعْلَمْهُ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْهُ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهِ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ امْتِثَالُ مَا أُمِرَ وَلَا الْإِنْتِهَاءُ عَمَّا نَهِيَ، وَلَا التَّصَرُّفُ بِمَا صُرِّفَ، وَلَا الْاسْتِبْشَارُ بِمَا بَشِّرَ،

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) الإسراء (٧٩).

(٦) طه (٩٩ - ١٠٠).

(٧) طه (١٢٤ - ١٢٦).

ولم يتزود منها ما يتخشع به قلبه، وتزكو به نفسه:

﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (٨).

قال القاسم: رأيت سعيد بن جبير قام ليلته يصلى وهو يقرأ:

﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ
ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ (٩).

فرددتها بضعا وعشرين مرة، وكان يبكى بالليل حتى عَمِشَ - أى ضعف بصره وسال دمه - وكان عمر - رضى الله عنه - يصلى بالناس فبكى فى قراءته حتى انقطعت قراءته وسمع نحيبه من وراء ثلاثة صفوف، وقرأ ابن عمر

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١٠) فلما أتى على الآية:

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١) بكى حتى انقطع عن قراءة ما بعدها.

وأما ترتيل القراءة - أى التأنى بها وتجويد التلاوة - فلقول الله عز وجل:

﴿وَرَقِلِ الْقُرْآنَ أَنْ تَتِيَلًا﴾ (١٢) ولأن التفكير أمكن

عند الترتيل، عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ أنه قال: «يُقال لصاحب القرآن - أى الملازم لتلاوته وتدبره والعمل به والتأدب بأدابه -

سبحانه، وكتابه الجامع، وبيان ما يرضاه لعباده وما لا يرضاه لهم، وما هو جاز لهم به إن أساءوا أو أحسنوا، ومن أمحل المحال أن يخاطب الرب عباده على يدى رسوله فلا يُقرأ كتابه ولا يُعلم خطابه، بل إن الخطاب به لما كان قائما إلى قيام الساعة فإنه يقتضى إدامة قراءته، وتعليم الآباء أبناءهم إياه، واستيداع الكبار الصغار ما حملوه منه، وأن يؤدّى من البعض إلى البعض، ومن المتقدم إلى المتأخر.

ولو لم يكن فيه إلا أنه كلام الله - تعالى - نزل به الروح الأمين على النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه لكان من حقه أن يُقرأ ويُدرَس تشرفاً وتبركاً وشكراً لنعمة الله، جل ثناؤه - فيما خلق لنا من اللسان وعلمنا من البيان - بقراءة كلامه.

وأما إحضار القارئ فى قلبه ما يقرؤه والتفكير فيه، فلأنه خطاب الله - تعالى - الذى يخاطب به عباده، فمن قرأه ولم يتفكر فيه ولم يتدبره كان كمن لم يقرأه، لأنه لم يصل إلى غرض القراءة من قراءته، فالقرآن يشتمل على آيات مختلفة الحقوق، ومن ترك التفكير فيما يقرأ استوت الآيات كلها عنده، فلم يعرف لشيء منها حقه،

(٩) البقرة (٢٨١).

(١١) المطففين (٦).

(٨) ص (٢٩).

(١٠) المطففين (١).

(١٢) المزمل (٤).

أَقْرَأُ وَارْتَقَ - أَى: اصْعَدُ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ - وَرَتَّلُ
كَمَا كُنْتَ تَرْتَلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنْ مَنَزَلْتُكَ عِنْدَ آخِرِ
آيَةٍ تَقْرُوهَا» (١٣).

وأما تحسين الصوت بالقرآن ففيه ما روى عن
أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت
يتغنى بالقرآن» (١٤) أَى: يقرؤه على خشية من الله
- تعالى - ورقة من فؤاده. وقد فسر أبو هريرة
التغنى بالقرآن بأنه الجهر به، وسئل الليث بن
سعد فقال: يتحزن به، والذي يظهر - بدلالة
الأخبار - أن يكون المراد بالتغنى أن يحسن
القارئ صوته به - مكان ما يحسن المغنى صوته
بغنائها - إلا أنه يميل به نحو التحزن دون
التطريب، فإن قراءة القرآن لا يدخلها من النغم
وفضول الألحان وترديد الصوت ما يلبس المعنى
ويقطع أوصال الكلام ويُلْهِى عن التدبر وينافى
الخشوع، إنما يليق حسن الصوت والتحزن دون ما
عدها.

وأما تعليم القرآن ففيه ما روى عن عثمان بن
عفان عن النبي ﷺ أنه قال: «خيركم من تعلم
القرآن وعلمه» (١٥)، وتعليم القرآن أمانة في الدين،
فهو كتلقين الكافر الشهادة ليُسلم، وهو بر وقربة
من صالح ما يُتقرب به إلى الله - تعالى - فإن علم
القرآن فضل، وتعليمه من لا يُحسنه إفادة من فضل
العلم، فلا يختلف عن إعطاء الفقير وإطعام الجائع
وكسوة العريان، وكل ذلك إذا جعل لوجه الله
تعالى كان برًا وقربة، وقد كان النبي ﷺ أول من

علم القرآن في أمته، فكيف يكون لأحد أن يترفع
عن تعليمه أو يستحقر من يتصدى للتعليم؟.

إن القرآن نعمة، وقد سماه الله نورا وشفاء ورحمة،
وجعله مباركاً وهدى للمتقين، فمن يسره الله له
ليعلمه ويعمل بما فيه فليعظم نعمة الله عليه، ولتكن
عنده أكبر وأسمى قدراً من الأموال والأولاد

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا
هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (١٦).

وقد قال - عز وجل - لنبيه تنويعها بنعمة القرآن

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١٧).

وقال لنساء النبي ﷺ:

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلُونَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ (١٨).

أَى: اذكرن موضع النعمة، إذ صيركن الله في بيوت
تتلى فيها آيات الله والحكمة، اذكرن آيات الله وأقدرن
قدرها، وفكرن فيها حتى تكون منكن على بال
لتنعظن بمواعظ الله - تعالى - ومن كان هذا حاله ينبغي
أن تحسن أفعاله.

فلا يصح - في ديار الإسلام - أن يخلو بيت لمسلم
من تلاوة القرآن، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «لا
تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي
تقرأ فيه سورة البقرة» (١٩).

اهـ

(١٣) أخرجه أبوداود والتزمى.

(١٤) متفق عليه.

(١٥) أخرجه البخارى.

(١٦) يونس (٥٨).

(١٧) النساء (١١٣).

(١٨) الأحزاب (٣٤).

(١٩) أخرجه مسلم.

المعيار المتعبر لقبول الرواية عند الحديث

للدكتور / أحمد محمود أحمد شيمي (*)

مما لا ريب فيه أن أحاديث النبي ﷺ عليها مدار الكثير من الأحكام الشرعية، وذلك ببيان هذه الأحكام وتوضيحها ومعرفة المقصود منها، وما يترتب عليها مما أمر الله به أو نهى عنه. وهذا المعنى يتضح من قول الله - تعالى -:

﴿ وَمَا أَمْرُنَا بِمَنْ شَاءَ أَنْ يَخْبُؤَ وَمَا هُنَاكَ مِنْ يَمِينٍ وَلَا شِمَالٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ ﴾ (١).

وقد بوب الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه قال: باب قول الله - تعالى -:

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٢) قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - فكان التقدير أطيعوا الله فيما نص عليكم في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بين لكم من القرآن، وما ينصه عليكم من السنة، أو المعنى أطيعوا الله فيما يأمركم به من الوحي المتعبد بتلاوته، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن (٣).

وإذا كان لكل فن أهله، ولكل علم رجاله، فقد تاهلت جماعة من الأمة الإسلامية وعكفوا على دراسة السنة والذب عنها ضد تحريف الغالين

ومن أجل هذا اتجهت أنظار الأمة إلى العناية بثبوت السنة النبوية: فاشتغلوا بها حفظاً ودراسة وتحقيقاً وتخريجاً وجرحاً وتعديلاً.

(*) مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق. (١) سورة الحشر/٧.

(٢) النساء (٥٩). (٣) ينظر كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/١١٩، ط/الريان.



الله ﷺ، فجعل ابن عباس -رضى الله عنهما - لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه فقال: يا ابن عباس: مالي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟ فقال ابن عباس:

إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ، ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول^(٧) لم نأخذ من الناس إلا مانعرف.

فانظر إلى حبر الأمة وترجمان القرآن وأحد العبادلة ابن عباس -رضى الله عنهما- وهو يدقق ويحقق ممن يسمع منه الحديث ولما خشى أن يكون الرجل ممن لا يميز الصواب من الخطأ ولا الحسن من القبيح ترك حديثه ولم ينظر إليه.

ومع العلم أن بشير العدوى هذا الذى كان يحدث ابن عباس وثقه النسائي والدارقطني والحاكم وغيرهم كما بين ذلك الحافظ ابن حجر فى كتابه النفيس تهذيب التهذيب^(٨).

وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين^(٤)، وذلك عن طريق القواعد والموازن التى وضعوها لقبول الراوى والمروى، والمتأمل فى هذه القواعد والضوابط يرى أن المحققين من أهل هذا الشأن كانوا يعتبرون المقياس الحقيقى والمعياري الرئيسى عندهم لقبول روايتى الراوى هو سلامة الدين الذى، يظهر منه سمته وصلاحه وبيان حاله، دون اعتبارات أخرى من جأه أو سلطان، أو غير ذلك. يروى الحافظ البيهقى عن إبراهيم النخعى الذى يقول: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظرنا إلى سمته وإلى صلته وإلى حاله ثم يأخذون عنه^(٥).

ومن المعلوم أن الرجل المقصود فى قول النخعى هو الراوى من أهل الحديث، وأما ما يأخذونه عنه فهو حديث رسول الله ﷺ.

وروى مسلم فى صحيحه^(٦) عن مجاهد قال: «جاء بشير العدوى، إلى ابن عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول

(٤) أخرجه ابن عبد البر فى التمهيد (٥٩/١) وابن أبى حاتم فى «تقدمة المعرفة» (١٧/٢) ونصه: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» وإسناده حسن بمجموع طرقه وضعفه بعضهم.

ومعنى تحريف الغالين أى تغيير المتجاوزين الحد، ومعنى انتحال المبطلين أى: ادعائهم لأنفسهم ماغيرهم.

(٥) المدخل إلى سنن الإمام البيهقى ١٢/١، وانظر تدريب الراوى.

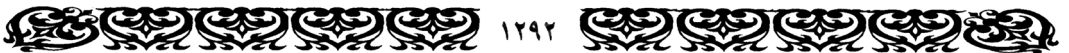
(٦) صحيح مسلم، المقدمة ١١٩/١ ط/ مؤسسة قرطبة.

(٧) وأصل الصعب والذلول فى الإبل فالصعب: العسر المرغوب عنه، والذلول: السهل الطيب المحبوب المرغوب فيه. فالعنى: سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويذم.

قال الإمام النووى - رحمه الله تعالى - فى شرحه على صحيح مسلم ١٢٥/١: وحاصله: أنه لايقبل رواية المجهول وأنه يجب الاحتياط فى أخذ الحديث، فلا يقبل إلا من أهله، وأنه لاينبغى أن يروى عن الضعفاء.

وانظر أيضا المعجم الوجيز مادة: صعب، ومختار الصحاح مادة: ذلل.

(٨) ج ٤٣١/١، وبشير بضم الموحدة مصغراً، ينظر تقريب التهذيب ١٣٣/١.





إن المتأمل في هذا النص يرى أن المسئول هو أحد أبناء عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - .

وعبدالله بن عمر أتدرى مَنْ هو، إنه الذى امتدحه أسعد الخلق ﷺ بقوله: إن عبدالله رجل صالح^(١٠).

وقال عنه الزهرى: لانعدل برأيه أحداً^(١١).

وقال أبونعيم الحافظ: أعطى ابن عمر القوة فى الجهاد والعبادة والمعرفة بالآخرة والإيثار لهما، وكان من التمسك بآثار النبى ﷺ بالسبيل المتين ومامات حتى أعتق ألف إنسان أو أزيد^(١٢).

ويقول عنه الحافظ ابن حجر: أحد المكثرين من الصحابة والعبادة وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر^(١٣).

وأبوه من؟ إنه عمر - رضى الله عنه - الذى قال عنه النبى ﷺ «وأشدّهم فى أمر الله عمر»^(١٤).. الحديث. ولقبه بالفاروق.

وروت عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال:

إلا أن ابن عباس أراد فى مثل هذه الظروف أن يتأكد من الرجل لأنه خبير بنقد الرجال وقبول الأخيار، ويدرك تماماً أن حديث النبى ﷺ ليس كالأخبار مباحاً لكل من «هبّ ودبّ» ومن هنا ندرك أن تقييم الرواة - أو تعديلهم وتجريحهم أمر أصيل فى نشأته وأن الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - كانوا هم أول من وضع قواعد وأسس هذا العلم.

أقول: ولم يكن المحققون من أهل العلم بالحديث يحيدون عن هذه الضوابط التى وضعوها لقبول الحديث، حتى ولو كان المتحدث من أبناء الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وهم مَنْ هُم.

تأمل معنى هذا الأثر الذى يرويه الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - عن يحيى بن سعيد الأنصارى قال: سألت ابناً لعبد الله بن عمر عن مسألة فلم يقل فيها شيئاً، فقليل له: إنا لنعظم أن يكون مثلك ابن إمامى هدى يسأل عن أمر ليس عندك فيه علم فقال: أعظم والله من ذلك عند الله وعند من عرف الله وعند من عقل عن الله أن أقول بما ليس لى به علم أو أخبر عن غير ثقة^(٩).

(٩) تدريب الراوى ص ١٩٨.

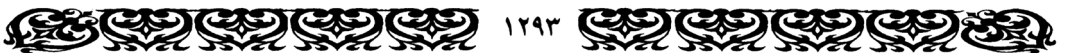
(١٠) حديث أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب المناقب باب مناقب عبدالله بن عمر بن الخطاب ١١٣/٧ (٣٧٤١).

(١١) ينظر: تهذيب التهذيب ٥/٢٩١ ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(١٢) المصدر السابق ٥/٢٩٢.

(١٣) ينظر تقريب التهذيب ١/٥١٦ ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(١٤) أخرجه الترمذى فى سننه، كتاب المناقب ٥/٦٦٥ (٣٧٩١) وقال: حديث حسن صحيح.





ولقد أجمع جماهير أئمة الحديث والفقهاء على أنه يشترط في الراوى الذى يحتج بروايته أن يكون عدلاً فى دينه ضابطاً لما يرويه^(١٨).

والعدل عند أهل الحديث هو أن يكون الراوى للحديث مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة.

والمراد بخوارم المروءة على ما حققه الشيخ زكريا الأنصارى^(١٩) - رحمه الله - فى شرحه على ألفية الحافظ العراقى قال: وَمِنْ « خَرَمِ المروءة » وهى التخلق بخلق أمثاله فى زمانه ومكانه فالأكل فى السوق، والمشى مكشوف الرأس وإكثار حكايات مضحكة، ولبس فقيه قبا أو قلنسوة حيث لا يعتاد يسقطها^(٢٠) قلت: فلا بد من هذه الآداب النفسانية التى تحمل مراعاتها على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، والتخلق بأخلاق الصالحين وسمات الطيبين.

وروى الشافعى قال: قال سعد بن إبراهيم: لا يحدث عن النبى ﷺ إلا الثقات^(٢١).

« قد كان فى الأمم قبلكم مُحدِّثون فإن يكن فى هذه الأمة أحد فعمر ابن الخطاب »^(١٥).

وقال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - : ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر^(١٦).

فهل لأجل هذه المكانة العظمى والمنزلة السامية التى بلغها عبدالله بن عمر وأبوه عمر يحدث أحد أبنائهما بما لا يعلم أو يخبر عن غير ثقة اتكالاً على منزلة أبيه وجده فى الإسلام؟! لا والله، إنه أبى أن يحدث إلا عن علم أو أن يخبر إلا عن نفسه، وما ذلك إلا لمعرفته لخطورة الحديث عن النبى ﷺ، ولذلك روى البيهقى فى المدخل من طريق الشعبى عن ابن عمر عن عمر قال: « كان يأمرنا أن لاناخذ إلا عن ثقة »^(١٧).

وليس هذا عيباً فى العالم ولا نقصاً من مكانته ومنزلته، بل إنه من أعظم الأمانات التى ينبغى على العلماء ومن على شاكلتهم أن يتحللوا بها، حتى تحصل بركة العلم ويطمئن الناس إلى محدثيهم وعلمائهم ومرشديهم.

(١٥) حديث أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب ٥٢/٧ رقم (٣٦٨٩).

(١٦) كتاب تهذيب التهذيب ٣٧١/٧.

(١٧) ينظر المدخل إلى السنن الكبرى للإمام البيهقى ٢٢/١.

(١٨) ينظر كتاب تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للإمام السيوطى ص ١٩٧.

(١٩) هو زين الدين أبويحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصارى الخزرجى، ثم القاهرى الأزهرى الشافعى، شيخ الإسلام وأحد أئمة الحديث الأعلام المتوفى سنة ٩٢٦هـ.

(٢٠) ينظر كتاب فتح الباقى بشرح ألفية العراقى لأبى زكريا الأنصارى ص ٢٢٧ ط/دار ابن حزم.

(٢١) أخرجه مسلم بسنده فى مقدمة الصحيح ١٢٩/١ ط/مؤسسة قرطبة.



وعن ابن سيرين قال: إن هذا العلم دين فانظروا
عمن تأخذون دينكم (٢٢).

والتأمل فيما قدمناه يقف على تلك الحقيقة
المهمة وهي أنه لا يؤخذ العلم وبخاصة حديث
النبي ﷺ عن أى أحد مهما كانت وجاهته ومهما
كانت منزلته سواء العلمية أو الأدبية، وذلك لأن
حديث النبي ﷺ لا مجال فيه للمجاملة أو المحاباة،
وإنما الأساس فى هذا هو القواعد والضوابط التى
وضعها أهل العلم بالرواية.

فلا عبرة عندنا بعالم لا يسند الأحاديث ويبين
مخرجها ودرجتها مهما بلغت منزلته العلمية (٢٣).

وقد بوب علامة الشام جمال الدين القاسمى
قال: بيان أنه لا عبرة بالأحاديث المنقولة فى كتب
الفقه والتصوف مالم يظهر سندها وإن كان
مصنفها جليلاً.

ثم قال: قال العلامة ملا على القارى فى رسالة
الموضوعات «حديث: من قضى صلاته من
الفرائض فى آخر جمعة من رمضان، كان ذلك
جائزاً لكل صلاة فاتته فى عمره إلى سبعين سنة
باطل قطعاً، ولا عبرة بنقل صاحب النهاية وغيره
من بقية شراح الهداية (٢٤)، فإنهم ليسوا من
المحدثين ولا أسندوا الحديث إلى أحد المخرجين.

وقال السيوطى فى مرقاة الصعود إلى سنن أبى

داود على حديث «نهى أن يمتشط أحدنا كل
يوم...» فإن قلت «إنه ﷺ كان يُسرح لحيته كل
يوم مرتين».

قلت: لم أقف على هذا بإسناد، ولم أر مَنْ
ذكره إلا الغزالي فى الإحياء، ولا يخفى ما فيه من
الأحاديث التى لا أصل لها أ.هـ.

وظاهر أنهم لم يوردوا ما أوردوا مع العلم بكونه
موضوعاً، بل ظنوه مروياً، ونقد الآثار إنما هو من
وظيفة حَمَلَةِ الأخبار، إذ لكل مقام مقال، ولكل
فن رجال فانظروا رحمكم الله كيف كان معولهم
فى قبول الأخبار، إنه العلم بالحديث وبيان مخرجه
ورجال إسناده.

فلهذه الدرجة بلغت عنايتهم بالسنة وتحريرهم
فى الراوى حتى يقبلوا مايقول.

هذا التحرى وهذه الدقة فى وقت كان يتخرج
فيه كل يوم جهبذاً من جهابذة الحديث ونقاد
الرجال وحملة الأخبار، لاسيما والشرع قائم
والأمور مستقرة.

فما بالنا بهذا الزمان الذى أطلت فيه الفتنة
برأسها، فصرنا نسمع من آن لآخر عن ينكر السنة
بالكلية أو ينكر كثيراً من أحاديثها بدعوات لاتنم
إلا عن حقد وسفه وسوء نية وفساد طوية.

والله الموقف، وهو الهادى والمعين.

(٢٢) صحيح مسلم، المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين ١/١٢٦.

(٢٣) ينظر كتاب قواعد التحديث ص ١٨٢. ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(٢٤) الهداية، كتاب فى الفقه الحنفى لمؤلفه الإمام برهان الدين أبوالحسن على بن أبى بكر بن عبد الجليل الفرغانى المُرغينانى - أحد علماء
القرن السادس الهجرى - رحمه الله تعالى.





﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ سورة الإسراء: آية (١)

الإِسْرَاءُ وَالْمَعْرَاجُ

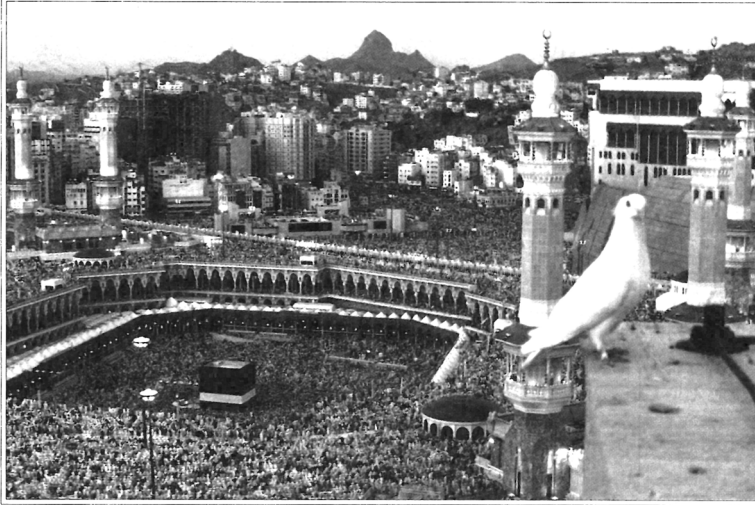
تأملات جديدة في حادثة قديم

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي



جلس إلى صاحبي هاشماً باشاً يكاد يقطر فرحات تطل المحبة من عينيه مشوقاً إلى الحوار. ودون أن يترك لي فرصة حتى للترحيب به. قال: أين الوعد الذي تواعدناه باستكمال حديث شيخك عن الإسراء؟ قلت لا تثريب عليك يغفر الله لي ولك. لك ما تريد إن شاء الله. ثم شجعني بكلمات مجاملة لطيفة.

قلت لصاحبي: إنني كنت أرغب في أن أجعل مقالتي حول الكريم القادم الذي يستبق فيه المسلمون في الخير وتفتح فيه أبواب الجنة وتصفد فيه الشياطين.. حتى أهيب نفسي والقراء الكرام لاستقباله والاستعداد له والتخلية القلبية من الأدران للتهيء والتخلية بفيوضات الله ونعمه في الشهر الكريم. أحببت يا صاحبي أن يكون مقالتي في هذا الجو المبارك علني أوقف نفسي الوسنانة وأنبه قلبي الغافل وأن أشمر عن ساعد الجد. لكنك بادرتني بموعداً وأنا أكره خلف الوعد والمخلفين. فلم يكن بد من إجابتك وفاء لوعدك وأذكر كلمة تجرى على لسان الصوفية يقولون إذا أراد الله شيئاً هيىء له الأسباب. فكان الله تعالى. أراد ما طمحت إليه من تهيئة واستعداد لرمضان لكنه جعل طريقها في استكمال ما بدأناه عن حديث الإسراء فالحديث فيه فيض صوفي صادق أحسب أنني في حاجة إليه.



كنا انتهينا إلى
حديث أو واقعة شق
صدره الشريف وملئه
حكمة وإيمانا.

قال صاحبى
مقاطعا: لماذا كل هذا؟
ألم يكن الله - تعالى -
قادرا على أن يملأ قلب
حبيبه ﷺ حكمة
وإيمانا من غير هذه
العمليات الجراحية.
ولماذا لم يفعل ذلك مع
باقي الأنبياء؟

قال: « اللهم اكفنا شر سراقه بما شئت وكيف
شئت .. وأنى شئت » منتهى التسليم والتفويض
لله وكذلك تأمل معى دعوة سيدنا أيوب - عليه
وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - قال كما جاء
فى القرآن:

﴿ أَتَى مَسْنَى الضُّرِّ وَاتَتْ أَرْحَمُ الرَّحِمِ ﴾ (١).

هل لامس قلبك هذا التفويض المطلق مع هذا
الرجاء الواسع، كل هذا لتتعلم التفويض والتسليم
وأن الأمر لله، فالله - سبحانه - اختار هذه الكيفية
وهذه الطريقة لعل فيها تمثيلا للمعنوى بالمحسوس
حتى ندرك نحن بنى الإنسان، على أن تمثيل
المعنوى بالمحسوس واقع فى القرآن الكريم وواقع فى
كلام الحكماء والعلماء والمعلمين وذلك لتقريب
معنى بعيد أو لتوضيح ما قد يخفى على بعض
الأفهام .. تأمل معى قوله تعالى:

قلت لصاحبى: بلى إن الله قادر ومختار أيضا.
فلماذا سألت عن القدرة ولم تسأل عن الاختيار؟
فأكاد أشم من كلامك رائحة إنكار لما حدث ولما
روى، وتلك آفة القلب المرتاب سلمنى الله وإياك
من كل ريب لكن عليك أن تعتقد أن الله -
تعالى - مختار يفعل ما يشاء هو لا ما نريد نحن
بالطريقة التى يريد بها وفى الوقت الذى يشاء
ويريد.

وتأمل معى دعوة رسول الله ﷺ فى يوم
الهجرة يوم أن كان سراقه بن مالك يتبعه هو
وأبابكر - رضى الله عنه -:

قال صاحبى: ماذا قال ﷺ وبماذا دعى ربه؟

قلت لصاحبى: دعوة فيها تفويض الأمر كله
لله - تعالى - والرجاء فيه.



قال صاحبى مقاطعا فى لاجاة ظاهرة؟ ولماذا لم يحدث ذلك مع بقية الأنبياء أو أحد منهم؟ قلت لصاحبى بلا مواربة أو استجداء: وهذا ليس تساؤلا منطقيا، إنها لاجاة وريب فهل لو حدث شق الصدر للأنبياء أو واحد منهم كنت تقبله وترضاه؟ ولماذا؟

ألم أقل لك من قبل: إنك بهذا تنفى الاختيار عن الله - تعالى - فهو فى مقولتك التى مازلت ترددها تثبت له القدرة وتنفى عنه أن يختار ما يشاء - كأنك تريد أن يختار الله - تعالى - ما يرضيك حتى تقتنع. . وأظنك لن ترضى ولن يعجبك أى اختيار ما لم تسلم لله ما يختار سبحانه وتعالى .

ولم أكتف بهذا بل تباديت وقلت لصاحبى: اسمح لى أن أضيف لك أنه من منطق التسليم باختيار الله - تعالى - وأن اصطفاه لأنبيائه وأوليائه محض كرم وفضل وامتنان منه - سبحانه وتعالى - فلا يتطلب التماثل فى خصال الخير والفضل بين كل الأصفياء المقربين، ولا يلزم أن يكون الأفضل حوى كل ما حازه من دونه. فالنبي ﷺ أفضل الخلق وأفضل الرسل - أقول - من منطلق ما سبق أجدنى غير شغوف بباب فى أكثر كتب الشمائل النبوية سطروا فيه أن رسول الله ﷺ قد أجرى الله على يديه معجزات كل الأنبياء السابقين عليه .

ورغم تسليمى بما ورد من بحوث جاءت فى هذا الشأن إلا أننى أزهّد فى عملية المقارنة والقياسات بين الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وأنه ﷺ غنى عن كل معجزة تنسب إليه فهو بذاته الشريفة محل كل تنزلات الأنوار وأكمل الكمالات ﷺ ولهذا المعنى الجليل لم يستطع واضعو صيغ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوَفَّى أَكْثُلُهَا كُلِّ حِينٍ يَازْنَ رِيحًا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ (٢) .

قال صاحبى مقاطعا: هذا تشبيه وبابه فى اللغة واسع كبير وفيه يتفاوت العلماء وليس ذلك من قبيل ما نحن بصده .

قلت: لا بأس عليك، فما بالك بقوله - تعالى -

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (٣) .

فأين الميزان الذى نزل مع الأنبياء وماذا يزنون به؟ بل كيف يزنون؟ وتأمل معى قوله - تعالى -:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ (٤) .

وإذا تأملت قوله - تعالى -:

﴿ وَمَنْ حَفَّتْ ﴾ (٥) .

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ (٦) .

فما هو الشئ الذى يوزن يوم القيامة؟ إنها الأعمال فهل الأعمال لها ثقل مادى؟؟

أليس ذلك من قبيل تمثيل المعنوى بالمحسوس حتى ينجلى الأمر ويتضح المقصود. . ومثل ذلك فى القرآن كثير. . وفى اللغة. . وأظن فى أى لغة مادام هناك فكر بشرى على أن مثل ذلك - أى تمثيل المعنوى بالمحسوس .

(٤) الأنبياء (٤٧) .

(٣) الحديد آية (٢٥) .

(٢) إبراهيم (٢٤: ٢٦) .

(٦) الأعراف (٩) .

(٥) الأعراف (٩) .





الصلوات عليه ﷺ كتمان ما يجدون من هذه المعاني
فيأتوا بعبارات تضيق عنها عقول - أو قل قلوب - بعض
العوام ممن يزعمون أنهم (عقلانيون)!!

على أن تمثيل المعنوى بالمحسوس ورد قولاً وعملاً عن
النبي ﷺ فالقول ما حكاه ﷺ عن رب العزة فيمن
يدخل الجنة بغير حساب فقيل: سبعون ألفاً ثم استزاد الله
فزاده سبعين ألفاً مع كل واحد. ثم استزاده فزاده ثلاث
حشيات - يعني ثلاث دفعات لا يعلم عددها إلا الله
يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث - إن شئت -
راجع في البخاري. نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.
هذا حكاية عن ربه فهو تمثيل قولى. وأما تمثيل
المعنوى المحسوس فقد ورد فعلاً عن الرسول ﷺ لما
شكا أبو هريرة الرسول الله ﷺ النسيان في حفظ
الحديث. فقال له النبي ﷺ أبسط رداءك. فقبض
النبي ﷺ بيده الشريفة وبسطها في ثوب أبى هريرة
وقال: «اضمم رادئك» والحديث في البخاري أيضاً.
فلم ينس بعدها قط.

فتجسيم المعنى واقع كما رأيت. تجد ذلك في
القرآن الكريم وفي السنة النبوية.

قال صاحبى: وماذا عن الإسراء؟ قلت: فى الإسراء
رأينا أن جبريل طلب من النبي ﷺ أن ينزل فيصلى
فى عدة أماكن وكان النبي يستجيب فيصلى، فكان
جبريل الأمين يقول للنبي: انزل فصل وبعد أن يصلى
يقول له جبريل: أتدرى أين صليت فيقول: لا فيخبره
الأمين بالمكان.

ولى على هذا عدة ملاحظات:

الأولى: أن النبي ﷺ كان يستجيب فى كل مرة
دون أن يسأل عن المكان.

الثانية: أن الأمين كان يسأل الرسول ﷺ سؤالاً
واحداً أتدرى أين صليت؟ فيقول: لا. ثم يخبره

الأمين أين كانت الصلاة.

الثالثة: أن الصلاة تكررت خمس مرات ولنا على

تلك الملاحظة تعليقات نحسبها مقبولة إن شاء الله:

أولاً: هل كان النبي ﷺ يعرف مكان الصلاة؟

وإذا كان يعرف، فلماذا يجيب بـ «لا» الواقع أن
النبي ﷺ يعرف المكان، لكن كمال الأدب أن يطلب
العارف الاستزادة من الخبر، فلعل جبريل يكون عنده
علم لا يعلمه وهذا منتهى التواضع الحقيقي منه ﷺ.
والامتثال عملاً بقوله تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٧).

ثانياً: فى كون المرات التى صلى فيها النبي كانت
خمسة إشارة إلى أن الصلاة تفرض خمساً.

— أما عن الأماكن التى صلى فيها رسول الله
ﷺ — فقد وضع السبب، فى المرة الأولى وهى طيبة

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٨).

فهو إشارة لإظهار ما في علم الله - تعالى - وأنه سيكون.

أما ما كان من مراجعة سيدنا موسى لرسول الله ﷺ، فما هو في رأينا إلا لبيان شفقة سيدنا موسى على الأمة المحمدية، كما أنه إظهار لتواضعه ﷺ، فبرغم أنه أفضل رسل الله، وأحب خلق الله إلى الله، إلا أنه استمع إلى نصح من هو أقل منه، وعمل به، وكان في كل مرة يرجع إلى حيث يرجو ربه، ويتضرع إليه، فقبل الله رجاءه وتضرعه، فليس في الأمر تردد منه - سبحانه وتعالى - عما يقولون علوا كبيرا، أما ما سمعه النبي ﷺ من قول الله - تعالى - :

﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (٩).

في نهاية المراجعة، وإن كان في ظاهره أنه قد كان في الأمر تبدل، فليس كذلك، لأن الأمر كله موافق للقاعدة الإسلامية، في الثواب والعقاب :

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍ هَاتِهَا وَمَنْ جَاءَ

بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تَجْزِيهِ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٠).

فلا تبدل، فالأمر جرى وفق هذه القاعدة، ولعل ما حدث من شفقة سيدنا موسى - عليه السلام - على أمة محمد ﷺ، وطلب التخفيف عنهم، وهو في البرزخ، لعل فيه إشارة إلى جواز زيارة الصالحين من عباد الله، وتشفعهم في من يزورونهم، فقد ورد أن للمؤمن - العادي - شفاعات في أهله وجيرانه.

ثم تنهد صاحبى طويلا، ولم يزد أن قال : جزاك الله خيرا.

قلت : وجزاك

وإلى حديث آخر إن شاء الله

وأن إليها تكون الهجرة، والصلاة الثانية كانت بمدین حيث استظل سيدنا موسى عليه السلام لما خرج من مصر فارا من فرعون، والثالثة في طور سيناء حيث كلم الله موسى، والرابعة في بيت لحم حيث ولد عيسى - عليه السلام - والخامسة في بيت المقدس حيث نهاية الإسرائء والصلاة إماما بالأنبياء.

أليس في هذا إشارة إلى الأُنس بأماكن نزل بها الصالحون من عباد الله والتبرك بآثارهم وإن رحلوا عن دنيا الناس؟

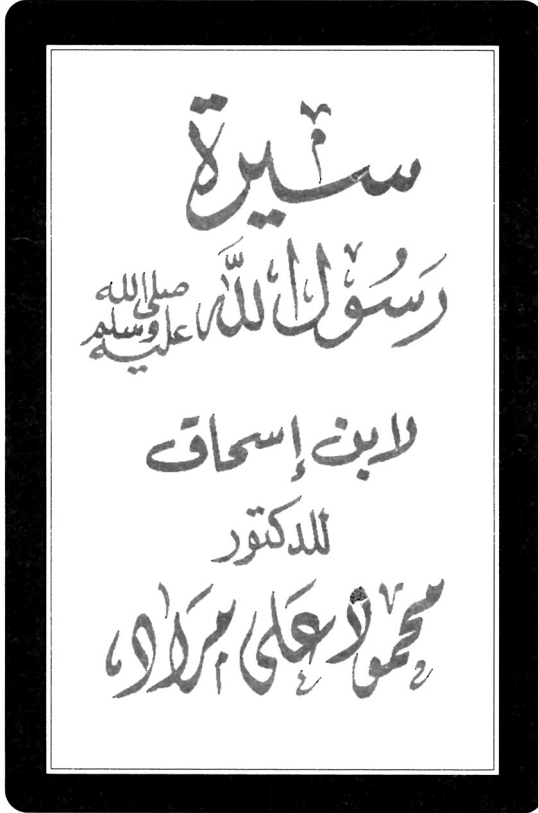
أو قل لي بربك تعليلا لما حدث غير معاند أو مكابر!!

ثم قال صاحبى : هل انتهت تأملاتك الجديدة ؟

قلت : تبقى واحدة في جملتها تتعلق بلقاء سيدنا موسى في السماء السادسة، وفرض الصلاة، وقاطعنى صاحبى : قال : نعم .. نعم. إن في نفسى شيئا من هذا الذى يروى في حديث الإسرائء، وأرجو أن تجيبنى عنه.

قلت : هات ما عندك . قال : لا أفهم لقاء سيدنا موسى - عليه السلام - ومراجعته لرسول الله ﷺ، ورجوعه إلى ربه حتى نهاية الموقف . قلت لصاحبى : لا عليك .. افتح لى قلبك، وأصغ إلىّ، إن سيدنا موسى - عليه السلام - أوقف رسول الله ﷺ في السماء السادسة، رغم أن أبا الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - في السابعة، ولم يوقفه، اعتقد - والله أعلم - لأن موسى - عليه السلام - طلب الرؤية، ولم يحظ بها، فلما رأى رسول الله ﷺ، بادية عليه تجليات اللقاء الكريم، وفيض أنوار الرؤية تغمره ﷺ، تعلق قلبه به، وتمنى ألا يفارقه، فكان ما كان.

أما عن مراجعته ﷺ لربه، فأرجو أن تتذكر الإشارة الكريمة التى كانت في عدد المرات التى نزل فيها النبى - ﷺ - للصلاة، فقد كانت خمسا، ولم يكن ذلك صدفة - كما يقول الطبيعيون في خلق العالم - بل كان الأمر كما يقول الله - تعالى - :



للمؤلف الدكتور / إبراهيم عوضين



والدكتور في رحلته - أو رسالته - التكميلية لابن إسحاق، لا يكتفى - في نفي حماية أبي طالب لابن أخيه - بدعوى أن أبا طالب لم يكن الرجل الذي يستطيع القيام بتلك الحماية، لأنه لم يكن سيدا في قومه، ولا كان غنيا، ولأنه لم يستطع حماية ابنه جعفر حين قررت قريش نفيه إلى الحبشة. ولكنه يضيف إلى ذلك دعوى: أن محمدا ﷺ - مع حماية ربه - لم يكن في حاجة إلى حماية هذا العم الوثني الكافر!.

الحماية الربانية.. وسائلها.. أبعادها.. مظاهرها

قصد تكذيب ابن إسحاق يتعمد الوقوف بالألفاظ القرآنية عند المعنى الظاهري القريب، ليخدع قارئه، ويقنعه بأضاليله حتى يصل إلى غايته. أيا ما يكن حاله فهو إعلان صريح بأن أسبابه الكثيرة هذه لا صلة لها بالحقيقة، فلا يصح أن يقيم عليها إنسان عاقل رفضه أمرا تفرضه الطبيعة البشرية، ويقرره الواقع الحي، ويسلم به الإجماع المتواتر من العلماء والمؤرخين. إن أي مسلم لا يشك لحظة أنه ﷺ كان في حاجة إلى حماية ربه منذ درج في الحياة، وأنه - سبحانه - تعالى - أمدّه بتلك الحماية في أنسب الأوقات، وبأنسب الوسائل، حتى تحمل عبء الرسالة، ونهض بتبليغها على الوجه الذي أَرَادَهُ اللهُ، فأوصل الإسلام - هو وأصحابه - مشرق الأرض ومغربها في أقل من خمسة وعشرين عاما.

وإن أي إنسان يؤمن بأن له وللكون كله ربا خالقا مدبرا، لا يشك لحظة أن هذا الرب الخالق المدبر هو الذي يكفل له أسباب الحياة وما تتطلبه من صحة ورزق، ونمو... إلى غير ذلك.

والدكتور يبنى رفضه احتياج محمد ﷺ إلى حماية عمه على أسباب من أبرزها: أنه ﷺ كان يعلم ولاشك أنه تحت حماية من هو أقوى من عمه ومن قبيلته، شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء، وأنه كان يعلم أيضا - وهذا مبدأ أساسي من مبادئ الدين الذي كان يدعو إليه - أنه ما كان يجب أن يخشى أحدا غير الله، وأن القرآن الكريم قد نهاه عن اتخاذ أولياء سوى خالقه، وأنه لم يرد في أي موضع من القرآن أي حديث عن حماية منحت للرسول ﷺ من قبيلته، وأنه ﷺ لو لم يكن يشعر بأنه أقوى من خصومه، ولو لم يكن يعلم أن بوسعه الاستغناء عن كل حماية من جانب الكفار لتردد في إبلاغهم بالقرآن الذي تخاطبهم آياته بصراحة بالغة. وأن الأنبياء السابقين لم يحمهم إلا الله - تعالى - (١).

وهذا يعني - ابتداء - أن قدرات الدكتور اللغوية قد وقفت به عند حدود المعاني الحرفية للألفاظ القرآنية، أو أنه يدرك ما وراءها ولكنه عن

(١) سيرة رسول الله للدكتور مراد: ٦٢، ٤٨٦ - ٤٨٩.



لكن كيف يحقق الله - سبحانه - وتعالى -
ذلك كله للإنسان - فى عمومه - ولحمد ﷺ
علي وجه الخصوص؟! (١)

إن الذى قال :

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢)

وإن الذى قال :

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٣)

هو ذاته الذى قال :

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا
فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (٤)

وإن إبراهيم - عليه السلام - حين قال :

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٥٨) (٥)
وَيَسْقِينِ (٦٠) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٦١)

أكان يعنى - كما تريدنا أن نفهم - أن الذى
خلقه يشخص له لياخذ بيده فيسير به فى طريق
الهدى، وأنه هو الذى يضع الطعام فى فمه، فإذا
ظمئ سارع إليه بالماء ليسقيه، وأنه هو الذى يحمل
وسائل الطبيب ليشفيه مما قد يصيبه من مرض؟!
فإذا قبل عقلك ذلك، فهل يقبل أن الذى
خلق إبراهيم قد عهد إليه - مرة أخرى - وإلى
إسماعيل معه أن يقوموا بتطهير بيته فقال :

﴿وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتَكَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٦)

أم لعلك ترى أن الذى عهد إلى إبراهيم بذلك
آخر غير الذى خلق إبراهيم؟! (٦)

إننا قصدنا بذلك أن نلفت نظرك إلى الكيفية
التي تقرأ بها القرآن الكريم، والكيفية التي تحصل
بها من الآية الكريمة على ما يريد المولى - سبحانه -
- أن نقف عليه، حتى لا تقع فيما وقعت فيه مع
محمد ﷺ من فهمك الآيات على ظاهرها
الحرفى، اللهم إلا إن كنت قاصدا من وراء ذلك
الفهم المعوج تزييف الحقائق، حتى تنجح فى
تحقيق ما وعدت به من نفس السيرة النبوية عن
طريق الطعن فى ابن إسحاق .

ثم إن كل عاقل فى عصرنا هذا - حتى من لا
يؤمن بوجود إله - يقر بأن الكون الذى يضمنا
يقوم على نظام محكم خاضع لقانون الأسباب
والمسببات، اللهم إلا فى بعض الحالات التى يطلق
عليها المؤمن صفة المعجزة، ويطلق عليها الملحد
صفة الشذوذ عن القاعدة .

أعتقد أن الدكتور الفاضل لو لم يكن مدفوعا
وراء تكذيب ابن إسحاق، وتزييف ما رواه، لما
رفض احتياج محمد إلى الأسباب التى توفر له
تلك الحماية، أيا كانت تلك الأسباب، ولما وقف
بتلك الأسباب عند نوع واحد منها، إذ الأسباب

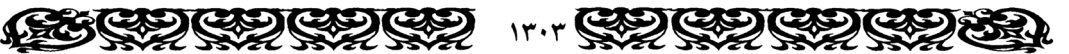
(٣) الذاريات «٥٨» .

(٥) الشعراء ٧٨ : «٨٠» .

(٢) الذاريات «٢٢» .

(٤) الملك «١٥» .

(٦) البقرة «١٢٥» .



إن لله جنوداً أخرى لا ترى بالعين، ولا تلمس باليد، ولكنها تؤدي الدور المطلوب منها، من هذه الجنود: المحبة، والمعية، والتوفيق، والسكينة، والوقاية، والحفظ... إلخ تلك النوعية غير المحسوسة من الأسباب، مما لا يتسع المجال لاستيعابه.

كما إن له - تعالى - جنوداً ترى بالعين، وتلمس باليد، يسخرها الله - تعالى - لتحقيق مراده، سواء كانت تؤمن به، أو كانت تكفر به، ترى نماذجها المؤمنة في نحو قوله - تعالى -:

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (٩)

كما رأيت آنفاً نماذجها الكافرة في فرعون مع موسى عليه السلام، وكما وضحها رسول الله ﷺ في قوله: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (١٠).

وأعتقد أن الدكتور لو لم يكن واقفاً تحت سيطرة ما أقام عليه عمله من الحكم على ابن إسحاق بالكذب والتزييف... إلخ، إذن لتنبيه إلى أن هناك مديراً مسبباً هو الله - تعالى - وأن هناك أسباباً هي وسائل وجنود تنفذ أمر الله المدبر المسبب، مثل الملائكة، والجن، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والريح، وأبى طالب، وأبى القيس بن الأسلت (١١).

تتنوع وفقاً للظروف والملايسات، حيث تتطور وتختلف وتباین حسب الموقف، كما يحدثنا تاريخ محمد ﷺ، فهو حين كان في حماية عمه، إنما كان في معية الله - تعالى -، كما كان في معية الله حين أوى هو وصاحبه إلى الغار تخفياً من طالبيه:

﴿إِنَّا نَنْصُرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوا بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (٧).

ولعل الدكتور حين يقف على من سُخِّرَ لحماية موسى عندما كان في المهد، يقتنع أن وسائل الحماية متنوعة، وأنها قد تكون من كافر مثل أبى طالب، فقد سخر الله - تعالى - فرعون - الذى أمر بتذبيح الأطفال الذكور ليأمن على ملكه - سخره ليكون هو الراعى، والكافل والحامى لموسى، حتى يبلغ أشده، وينهض بعبء الرسالة، ويواجه فرعون نفسه بدعوته، وفي ذلك يحدثنا القرآن الكريم بقوله:

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَن أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَأُلْقِهِ الَّيْمَ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلُهُ ۖ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (٨).

فبالحبة التى ألقاها الله على موسى الطفل، سلم من بطش فرعون وزبانيته، بل وقام هو برعايته وكفالته وحمايته.

(٨) طه ٣٨، ٣٩.

(١٠) هذا جزء من حديث طويل رواه البخارى: ٨٨/٤.

(٧) التوبة «٤٠».

(٩) الأنفال «١١».

(١١) أحد بنى الأوس. السيرة النبوية لابن إسحاق: ٣٠٠/١.



الحادثة تساؤلات وشكوكا. وبتعبير أوضح: التي لا تعنى إلا عناد المتسائل وتحكمه، وخروجه على كل ضوابط البحث العلمى^(١٢) فما أيسر أن ينطلق اللسان بالسؤال تلو السؤال فى مواجهة أى خبر يسمع به، دون أن تكون هناك مقاصد حققة لهذه الأسئلة.

وإلا.. فأئنى يأتى الشك فى القصة لتضمنها خروج محمد ﷺ وحده إلى الطائف، أو لعدم تضمنها أحداثا أخرى واكتب خروجه ﷺ؟!!

قد يكون خروجه ﷺ وحده باعشا على البحث عن سر ذلك، وقد يعنى تجاوز القصة بعض الأحداث نقصا فيها، أو حرصا على إحكام سياقها.. لكن لا يمكن بأى حال أن يكون شئ من ذلك مثيرا للشكوك فى صدقها!.

هذا إلى أن الدكتور لم يذكر سببا يجعل ابن إسحاق يكذب أو يختلق قصة خروجه ﷺ، كما علل تكذيبه إياه من قبل بقصد تعظيم أسرة بنى عبدالمطلب وبنى هاشم.. اللهم إلا إذا كان الدكتور يرى أن ابن إسحاق رجل يتنفس الكذب كما يتنفس الهواء، فهو يختلق القصص لسبب ولغير سبب.

والدكتور - فى هذا الموقف المعاند - يستمر على غفلته فى التعامل مع ابن إسحاق - أو تغافله - فلا يتنبه إلى أن عروة بن الزبير سبق ابن إسحاق إلى ذكر قصة خروجه ﷺ إلى الطائف، وتعرضه للإهانة والرمى بالحجارة، واضطراره إلى الالتجاء لبستان ابنى ربيعة، ولقائه غلامها عداسا النصرانى، ومادار بينهما من حوار^(١٣).

ولكن اشتغال الدكتور بالبحث عن أى شئ يدعم به زعمه فى ابن إسحاق صرفه عن التنبيه إلى ذلك، وأعجله إلى إيهام قارئه أن حرص ابن إسحاق على إرضاء بنى العباس كان أقوى من حرصه على تقديم الصورة الصادقة للحقيقة الإيمانية عند محمد ﷺ فانزلق إلى تقديمه صلى الله عليه وسلم فى تلك الهيئة الغافلة عن اللياذ بالله - سبحانه - و- تعالى -- حيث اختلق قصة احتمائه فى عمه أبى طالب الوثنى الكافر، بدلا من طلبه الحماية من ربه!.

والخروج إلى الطائف.. افتراء؟!

ويستمرئ الدكتور لعبة التكذيب - فى سبيله لهدم السيرة النبوية - فيأبى أن يترك حادثة ذكرها ابن إسحاق دون أن يثير حولها الشكوك، حتى لو لم يجد للشك فيها غاية تدفع ابن إسحاق إلى اختراعها وتلفيقها، كما نراه فى وقوفه أمام قصة خروجه ﷺ إلى الطائف رجاء اهتداء بعضهم أو تعاطفه معه، حيث يقف الأستاذ الدكتور أمام هذا الخبر ناثرا شكوكه المتمثلة فى تساؤله عن السر فى تخصيص هذا الحدث بالذكر، دون غيره، مما لا بد أن مكة اهتزت له خلال تلك السنة التى تلت موت أبى طالب، وعن سبب إغفاله ذكر جميع السور التى نزلت خلال هذه الفترة، وعن السر فى عرضه علينا محمداً نهبة للشعور بالخطر المهدق به، والحاجة إلى الحماية، مع أن الذى أرسله للناس هو الله ذو القوة، ومع أن القرآن نهاه عن اتخاذ عاصم أو ولى من البشر.. إلى غير ذلك من التساؤلات الغريبة والعجيبة التى لا تعنى إلا الإيهام بأن حول

(١٣) مغازى رسول الله ﷺ : ١١٨ - ١١٩.

(١٢) سيرة رسول الله للدكتور مراد: ٣٥٧ - ٣٥٨.



المسلمين عن موالاة غير المؤمنين وبرهم، على وجه الإطلاق، ولكنه نهاهم عن موالاة الذين قاتلوهم في الدين وأخرجوهم من ديارهم، كما في قوله - تعالى - :

﴿لَا يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
 ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَیْكُمْ لَأَخْرِجَكُم أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ .

وبالتالى .. لوجود الدكتور أن الله - تعالى - إنما ينهى عن اتخاذ ولى من دون الله - تعالى - بخلاف اتخاذ ولى من البشر بتقديره وسيلة أو سببا يحقق الله - تعالى - به مراده ومشيئته؛ فكل المخلوقات جنود الله :

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٥).

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٦).

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (١٧).

ومع هذا وذاك، أعتقد أن الدكتور لو كان يقصد الحقيقة لما وجد في القصة كما وردت في كتاب ابن إسحاق تلك الشبهة، فعبارة ابن إسحاق واضحة الدلالة في أنه ﷺ خرج إلى الطائف يلتمس نصرة أهلها على قومه، أملا أن يجد منهم استجابة إلى الإسلام، حيث يقول :

فليس إذن ابن إسحاق هو مخترع القصة ومصطنعها كما توهم الدكتور مراد، مما يدفعنا إلى أن نتساءل عن مقصد الدكتور من تكذيب قصة خروجه ﷺ إلى الطائف، إذا كان ابن إسحاق ليس هو أول من ذكرها، وإذا كانت القصة لا تتضمن ما يرفع أقدار بنى عبدالمطلب وبنى هاشم، الذى يسوقه الدكتور سببا فى تلفيق القصص، بقصد ممالأة بنى العباس .

ويبدو أن الدكتور أدرك - بنفسه أو بواسطة أستاذه - أن تكذيب ابن إسحاق فى هذه القصة يحتاج سببا آخر يدعمه، فصرح أن القصة مكذوبة لأنها تقدم محمدا ﷺ محتما بغير الله ذى القوة الذى أرسله، غير مستجيب لما نهاه الله - تعالى - عنه، حيث نهاه عن اتخاذ عاصم أو ولى من البشر، فلم ينته، وتوجه صوب الطائف

ولا ندري من الذى أراد أن يقدم محمدا ﷺ فى هذه الهيئة؟ أهو ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥٠ هـ، أم عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٣ هـ، أم كلاهما أراد ذلك، أم أنهما لم يريداه ذلك، ولكنهما اختلعا القصة ولم يتنبها إلى ما تعنيه، حتى جاء الدكتور مراد فاكتشف ذلك الخطأ، فانطلق من إيمانه العميق يرفض أى حدث أو قصة تشكك فى قوة إيمانه ﷺ؟!

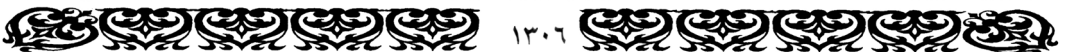
لو أن الدكتور - حين اشتبه عليه الأمر - رجع إلى كتاب الله - تعالى - بعقله الواعى المجرد عن الغرض، لو جد أن الله - تعالى - لم ينه

(١٥) الفتح «٤» .

(١٧) المشر «٣١» .

(١٤) المتحنة «٨، ٩» .

(١٦) الفتح «٧» .





يحل على سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك» (١٩).

نعم.. كان يكفي الدكتور أن يقرأ هذا ليتردد ألف مرة، قبل أن ينسب إلى ابن إسحاق شيئا مما نسب إليه في حق محمد ﷺ!

وبيعة العقبة.. من اختلاق ابن إسحاق!

ومع إصرار الدكتور مراد ومعاونيه على نفس السيرة النبوية، والاستمرار في تكذيب ابن إسحاق، وأصل رحلته الاختلاقية تارة، والتشكيكية تارة أخرى، مستعينا بالسيل الغامر من التساؤلات والافتراضات الوهمية، والمعتمدة على التلاعب بآيات القرآن الكريم، والاستهانة بعقول المتلقين، والمنطلقة من سذاجة التأويل اللغوي.. إلى غير ذلك من الأسس التي بنى عليها رسالته.

وأستاذ الدكتور في أن أستعير منه أسلوبه الافتراضي، فأقول: وبعد أن ظن الدكتور أنه نجح في تكذيب قصة خروجه ﷺ إلى الطائف.. لا بد أنه فكر في أن يتبع ذلك بتكذيب لقاء العقبة وما دار فيهما من أحداث، لعل أبرزها البيعتان. ولا بد أنه بحث عن علة يقيم عليها تكذيبه، فلما أعياه البحث لجأ إلى أستاذه - وربما ضم إليه آخرين - ليعينوه في الوصول إلى ذلك السيل الجارف من العلل والتفاسير. ولا بد أن هذه اللقائات تكررت. ولا بد أنهم تنبهوا إلى أن تلفيق هذه القصة لا يرتبط بمبالاة بنى العباس، فطالت حيرتهم في البحث عن علة تجعل ابن

«فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصر من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله - عز وجل - فخرج إليهم وحده.. فجلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له، من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه» (١٨).

فمن أين وجد الدكتور في عبارة ابن إسحاق عرض محمد نهبه للشعور بالخطر المهدق به، والحاجة إلى الحماية.. الخ؟!

لا يجد أحد عذرا للدكتور في ذلك، إلا قصد تكذيب ابن إسحاق عن طريق التلاعب بعبارته، كما تلاعب بالقرآن من قبل، أو إلا أن ضعفه في الوقوف على دلالة اللغة واستعمالاتها هو الذي أوقعه في ذلك.

كلا الاحتمالين قبيح ما كان يليق أن يقع فيه عالم يتعلم على عالم في السربون للحصول على الدكتوراة!

ولقد كان يكفي الدكتور أن يقرأ في أثناء القصة قول ابن إسحاق: « فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال - فيما ذكر لي - : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو

(١٩) السيرة النبوية لابن إسحاق: ٢٩/٢ - ٣٠.

(١٨) السيرة النبوية لابن إسحاق: ٢٨/٢.

فالذين كانوا فى العقبتين لاينطبق عليهم وصف الأنصار الوارد فى الآيات المذكورة.

والخطأ الثانى: أن عبارة ابن إسحاق عن العقبتين صدرت بقوله: « فلما أراد الله - عز وجل - إظهار دينه، وإنجاز مواعده له، خرج رسول الله ﷺ فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار... »، وهذه العبارة صريحة فى أن هذا اللقاء كان نقطة تحول فى تاريخ الرسول والإسلام؛ فالدين الجديد لم يعرف قبل هذا اللقاء سوى الهزيمة، أما بعده فكان النصر، والرسول قبله كان مهانا، أما بعده فقد عز. كما أنها تعنى أن ابن إسحاق ادعى العلم بإرادة الله - تعالى .

والخطأ الثالث: قوله إن لقاء الستة بالرسول ﷺ كان أول اتصال لأهل المدينة بالإسلام، يناقض ما قاله قبل ذلك: « فلما انتشر أمر رسول الله ﷺ فى العرب، وبلغ البلدان، ذكر بالمدينة، ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر وقبل أن يذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود.

والخطأ الرابع: فى تقدير الدكتور مراد - أن ابن إسحاق قال: « إن مسلمى مكة كانوا قليلا مستضعفين »، فهو بهذا يناقض ما ذكره من قبل أن عدد المسلمين فى مكة قبل ثمانى سنوات قد بلغ ثلاثة وخمسين، ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالا... إلى آخر ما عده الدكتور من أخطاء

إسحاق يخترع هذه القصة ولو لم تكن متعلقة بممالة العباسيين . ظنا منهم أن القارىء لن يبحث عن ذلك، فالمهم هونقض هذه الحادثة من أحداث تاريخ محمد ﷺ، كما نقضت الأحداث الأخرى، ليتحقق نفس السيرة النبوية كلها. ولا بد أن بعض معاونين للدكتور صاح فجأة: وجدتها.. عليك أن تذكر أن ابن إسحاق اخترع لقاء العقبة الأولى ثم الثانية ليحط من شأن أهل مكة، ويرفع من أقدار أهل المدينة التى ولد ونشأ فيها. وتذكر أن ابن إسحاق فى سبيله إلى ذلك وقع فى أخطاء تكشف كذبه.

ومن بين هذه الأخطاء أنه سعى مسلمى المدينة (الأنصار)، فجعل عنوان هذه الفترة (إسلام الأنصار)، وهى تسمية غير سليمة؛ لأن كلمة (الأنصار) مقصورة فى القرآن على فئة من المسلمين محددة بدقة؛ فهو لقب أنعم به على فئة من المسلمين الذين استوفوا شرطين هما: نصر المهاجرين، واتباع الرسول فى ساعة العسرة، كما يوضحه نحو قوله - تعالى -:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٠).

وقوله - تعالى -:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى
النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ الْفُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢١).



وملاحظات أو صلها إلى خمس عشرة ملاحظة^(٢٢) لا يتسع المجال لتفنيدها كلها، فلا نملك إلا أن نوجز ذلك بتفنيده هذه الأربعة، خصوصا أن باقى الملاحظات قريبة الشبه بتلك .

فالدكتور مراد يرى ابن إسحاق مختلعا كذابا، ارتكب كل الخلال الذميمة، حتى تلاعب بالقرآن الكريم من أجل رفع شأن أهل المدينة على أهل مكة، ليجامل أهل المدينة الذين فرضت الظروف أن يكون جده أسير خالد بن الوليد مواليا لهم، وأن يولد هو - أى ابن إسحاق - وينشأ بينهم .

أى إن وفاء ابن إسحاق لأهل المدينة كان أقوى تأثيرا على نفسه من وفائه لمحمد ﷺ، وأقوى من إيمانه بالله، وأقوى من إجلاله القرآن الكريم، وأقوى من اعتزازه بخلائق الصدق، والأمانة؛ فانطلق معريدا باختلاق لقاءى العقبة، وتزييف ما حدث فيهما، والكذب على رسول الله ﷺ، بما اصطنعه من أحداث وأحاديث لفقها ونسبها إليه ﷺ .

ويبدو أن الدكتور استشعر خطر وصم ابن إسحاق بهذا كله، فراح يتلمس فى عباراته الأخطاء، متوهما أن جعل ابن إسحاق يقع فيها يدعم موقفه منه، فأوصل ملاحظاته على نص ابن إسحاق إلى خمس عشرة ملاحظة - إيغالا منه فى إيهام قارئه بأن ابن إسحاق كذاب - كما أشرنا من قبل .

ويبدو أن الدكتور غفل عن أن حط ابن إسحاق من شأن المكين لحساب المدنيين كفيل بأن يثير عليه العباسيين الذين اصطنعوه لأنفسهم، واستأجروه للدعاية لهم وتعظيم شأنهم.. خصوصا إذا كان كلام ابن إسحاق مبنيا على أكاذيب مختلقة، اللهم إلا أن يكون العباسيون - فى تقدير الدكتور - من السذاجة والغفلة بالدرجة التى لا يكشفون معها كذب عميلهم ابن إسحاق عليهم، واستغفاله إياهم بتقديمه ما يسىء إليهم تحت اسم الدعاية لهم .

أو لعل الدكتور رأى أن وفاء ابن إسحاق لأهل المدينة، كان أقوى تأثيرا على نفسه من بطش العباسيين به الذين استأجروه للدعاية لهم .

ويبدو أن الدكتور - كذلك - غفل عن أن ابن إسحاق لم يكن هو أول من ذكر لقاءى العقبة، وبيعتهما، فقد سبقه إلى ذلك عروة بن الزبير بن العوام، الهاشمى المكي^(٢٣)، وتابعهما فى ذلك ابن حزم، مع مزيد تفصيل وإيضاح^(٢٤)، دون أن يتنبه إلى ما تنبه إليه الدكتور مراد من قصد ابن إسحاق تزوير السيرة النبوية لمجاملة أهل المدينة، على الرغم مما عرف به ابن حزم من الدقة، والنزوع التحررى الاستقلالى العقلى، الذى أقام عليه مذهبه فى كل ما قدم .

وهنا لا أملك إلا أن أذكر الدكتور بالحكمة القائلة: إذا كنت كذوبا فكن ذكورا . ولا حول ولا قوة إلا بالله . وإلى لقاء آخر مع الدكتور وكتابه(*) .

(٢٢) مغازى رسول الله ﷺ : ١٢٥ - ١٢٧ .

(٢٢) سيرة الرسول للدكتور مراد: ٣٦٧ - ٣٧٦ .

(٢٤) جوامع السيرة النبوية: ١٠١/١ - ١٠٥ .

(*) تلقت المجلة رداً من الأستاذ الدكتور محمود على مراد وسيتم نشره فى الأعداد المقبلة بإذن الله تعالى .



مواقف إسلامية

موقف الإسلام من أهل الكتاب

لأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

سأل سائل بعذاب واقع.. واقع به هو أسفا على السلام الذي لم يلتزم به الإسلام؛ يقول:
إذا كان الإسلام دين السلام والتسامح والأخوة فكيف نفسر الآية الكريمة المذكورة في سورة المائدة
والتي تقول:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾ (١).

ونقول وبالله التوفيق:

ففي مستهل الدعوة وفي عهدنا المدني ..
كانت هناك علاقات تحالف وتناصر بين بعض
المسلمين وبعض اليهود.

من إفرازات هذا التحالف
استغل اليهود هذا التحالف فتسللوا من خلاله

عندما يقرأ الكتابي هذه الآية الكريمة فلسوف
يجد لها في حسه وقعا أليما .
وهذا الإحساس وارد .

ولكن مما يخفف هذا الإحساس - ولا نطمع في
إزالته - إدراك الظروف التي نزلت فيها الآية الكريمة :

(١) المائدة (٥١).



فى محاولات مكرورة لاختراق الصف المؤمن إرادة خلخلته .

وقد استطاع الإعلام اليهودى أن يحقق بعض مآربه حين صور اليهود بأنهم قوة لها وزنها .

الأمر الذى ظهرت آثاره فعلا .. لدى بعض ضعاف الإيمان الذين ظلوا على ولائهم القديم لليهود « راغبين فى موالاتهم : خوفا من صروف الزمان . وتقلب الأحوال . وحاجتهم إلى معونتهم » .

وهو ما تشير إليه الآية الكريمة التالية لهذه الآية .. وهى قوله تعالى :

﴿ قَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ

فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ (٢) .

ولاحظ من قسوة الموقف : أن مرضى القلوب يسارعون فيهم .. إنهم ذلك الفراش الحائر .. الفرع .. الذى ينطلق هلوعا .. لا يلوون على مال أو ولد .. ليكونوا هذا الهباء الذى يندس فى الكيان الكبير .. محتما به .. ذائبا فيه .. فإذا هو لا شىء .

وفى الوقت الذى تتبجح فيه الوثنية فى مكة معلنة :

(لنا ديننا .. وليس لكم دين .. ومن حقنا أن نعبد الأوثان .. وليس من حقكم أن تعبدوا الواحد الديان) !

فى الوقت الذى يقول القرآن الكريم :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَتُهُ ﴾ (٣) .

يقول المشركون :

﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

فى هذا الوقت الذى فيه يرضى القتل وليس يرضى القاتل .. والذى يتنادى فيه ذلك التحالف بالإثم والعدوان ومعصية الرسول .. كان لابد من حسم القضية .. والقضاء على هذه التبعية .. بتحديد معالم الشخصية الإسلامية . التى لابد أن تكون مستقلة متميزة .. غير قابلة للذوبان فى قومية أخرى . وأمة أخرى لا تدين بدينها .

ذلك بأن المسلم يقيم حياته على هدى القرآن .. وهو من القران فى واحد من موقفين .. لا ثالث لهما :

فالقرآن : حجة له .. أو حجة عليه .. أما الاحتمال الثالث .. وهو اللعب على الحبال : لا له ولا عليه .. فهو الاحتمال المرفوض .. من حيث كان ميوعة تأبها إيجابية المسلم المنتسب إلى أمة الوسط .. الشاهدة على الناس ..

من أجل ذلك كان لابد من حسم القضية بهذه الآية الكريمة لتظل أمة الإسلام .. فى وسط الدائرة .. لا فى طرفها .

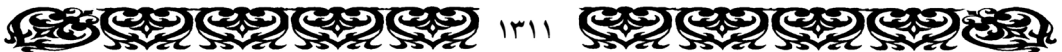
وقفة بين يدى الآية الكريمة

ونبادر أولا فنوضح معنى الولاية المنهى عنها :

(٢) المائدة (٥٢) .

(٤) فصلت (٢٦) .

(٣) التوبة (٦) .





تقول كتب اللغة :

الولاية : النصره ، والتحالف .

تقول : توليت فلانا : اتبعته ورضيت به .

ومعنى ذلك أننى كمسلم : منهى عن ولاية من لا يدين بدينى ؛ لأن من تولى قوما على غير ملته .. فهو : متبع لهم .. بل هو راض عنهم ..

وبالتالى : إذا رضى عنهم . فقد رضى عن دينهم .

من هم الذين نهينا عن ولايتهم ؟!

بنص الآية الكريمة : اليهود والنصارى .

ولكن من حق البحث العلمى النزيه أن يسأل الباحث القرآن نفسه وقد رضىه حكما ودليلا .. ليقول له : إن المطلق هنا .. يحمل على المقيد هناك .. وفى الآية السابعة والخمسين من السورة نفسها وهى قوله تعالى :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مِّنْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٥) .

ومن صور هذا الاستهزاء ما حكته الآية التالية :

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوءًا

وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٦) .

إذن .. فمن حق الأمة الإسلامية ألا توالى إلا الله ورسوله .. وأن ترفض مولاة .. من ؟

ليس الأمر على إطلاقه .. وإنما هى ممنوعة من الثقة

بمن لا يثق بها .. ممن يستهزئ بدينها ومقدساتها .

ومن المفيد هنا أن نشير إلى ما قرره المفسرون من تحميل اليهود كبر هذه الحملة الظلمة .. دون النصارى ،
يقول القرطبى :

« نهاهم الله أن يتخذوا واليهود والمشركين أولياء . وأعلمهم أن الفريقين اتخذوا دين المؤمنين هزوا ولعبا » (٧) .

وقيل المعنى :

لا تتخذوا المشركين والمنافقين أولياء . بدليل

قولهم : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴾ (٨) .

والمشركون كلهم كفار . لكن يطلق فى الغالب لفظ الكفار على المشركين فهذا فصل ذكر أهل الكتاب عن الكافرين (٩) .

بل إن بعض العلماء يقول :

الموصوف بالهزؤ واللعب فى هذه القراءة : اليهود لا غير .

والمنهى عن اتخاذهم أولياء : اليهود والمشركون (١٠) .

ومع هذا فنحن منهيون أن نتخذ من لا يدين بديننا أولياء .. مهما كان دينه أو مذهبه .

وإذا دخل اليهود والنصارى فى هذا العموم .. فإنهم لا يدخلون بوصف كونهم « أهل الكتاب » .

وإنما مُنعنا من موالاتهم لصفات فيهم اقتضت ذلك .. وهذا هو السر كما أشار المفسرون : (ونكتة

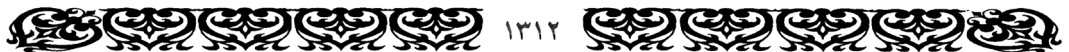
(٦) المائدة (٥٨) .

(٨) البقرة (١٤) .

(٥) المائدة (٥٧) .

(٧) ج ٢٥ / ٢٢٢٠ .

(٩) نفس المرجع والموضع .





يقول صاحب المنار :

«ولذلك أجاز فى هذه السورة - المائدة، وهى آخر ما نزل من القرآن - أكل طعامهم ونكاح نساءهم، وشرع فى سورة التوبة إقرار الجزية منهم وإقرارهم على دينهم . ونهى فى سورة العنكبوت عن مجادلتهم إلا بالتى هى أحسن وفى الآية : تمييزهم على المشركين فى إطلاق اللقب : إذ خص أهل الكتاب فى المقابلة بلقب : أهل الكتاب ولقب المشركين بالكفار .»
وجاء فى المنار أيضاً^(١٢) :

«إن جميع المشركين لا يتخذون أولياء بحال من الأحوال وأما أهل الكتاب :
فإنما يُنهى عن موالاتهم لوصيف فيهم ينافى هذه الموالة كاتخاذهم الإسلام هزوا ولعباً .»
وحتى على رواية أن المستهزئ كان نصرانياً .. فإن النهى عن ولايته لا بسبب دينه .. وإنما لما ارتكبه من مخالفة .

لقد انتصر المسلمون .. وصارت لهم دولة فرضت احترامها على العالم كله .. وعندما تعطى ولاءها لغيرها فإنها تضيف إلى غيرها قوة تخصم أساساً من حسابها .. كما وأن فيها إقراراً بشرعية مذهب من انتصرت عليه .. وثقة به تناقض حقائق دينها .

وإذا كان ولابد من ولاية فبعضهم أولياء بعض لاتحاد ملتهم وتطابق وجهات نظرهم على الأقل :
إذا كان الطرف الآخر هو الإسلام

وإذا كان هناك من المسلمين على مدار التاريخ من تنكب طريق الإسلام فلم يلتزم بسماحته ومودته .. فإنه من الظلم أن نحمل الإسلام وزر من أساء إليه .

التعبير عنهم باليهود والنصارى دون أهل الكتاب هى :
إن مواقفهم تلك من الإسلام .. إنما كانت بحسب جنسياتهم السياسية لا من حيث إن كتابهم يأمرهم بذلك^(١١) .

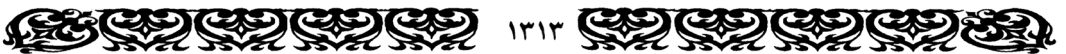
الصدقة.. والولاية

ولابد من الاعتراف بأننا مختلفون .
ذلك بأن الاختلاف هو قدر البشرية المحتوم .. لكن الاختلاف .. لا يمنع الإنصاف .. ومن الإنصاف .
إننا نتزوج منهم .. وطعامهم حل لنا .
ثم نحافظ على كرامتهم ومشاعرهم أن تهان حتى إنه كان من مقررات الإسلام أن من آذى كتابيا لم يشم رائحة الجنة .
المهم أنه لا تكون مولاة فى العقيدة .. ولا فى النظام التشريعى .

إن من حق الحزب السياسى اليوم أن يحتفظ بكيانه وأسراره .. لتظل شخصيته عصرية على الذويان فى حزب آخر .. بل إن النادى الرياضى فى أوروبا يرفض أن يلعب له لاعب لا يدين بمذهبه .
وإذن .. فمن حق الأمة الإسلامية أن تفعل كل ما يحفظ كيانه .. وأن تتجنب كل ما يهز ذلك الكيان ..
والمنهى عنه فى الآية الكريمة ليس هو «الصدقة» كما فهم الباحث .. وإنما هو الولاء بمعناه الذى أشرنا إليه .

أهل الكتاب والكفار

ولا بأس أن نشير فى النهاية إلى أن سياسة الإسلام مع أهل الكتاب غير سياسته مع مشركى العرب كما





الإسلامُ في درَاسَاتٍ أكاديميَّةٍ غربيَّةٍ

لدُّستاز الدكتور / مصطفى رجب



لا يستطيع أحد أن ينكر ما بين الجامعات الغربية وأجهزة الاستخبارات من صلة وثيقة. مرجعها إلى طبيعة تلك الجامعات ونظم البحث العلمى فيها من حيث توجيه البحوث العلمية فى كافة أوجه النفع بغض النظر عن سيكون المنتفع من تلك البحوث. فتمويل البحث العلمى فى الجامعات الغربية - لاسيما جامعات الولايات المتحدة - هو الذى يحدد مسار تلك البحوث والقضايا التى تبتغى جهة التمويل التوصل إلى نتائج بشأنها.

ومن هذا المنطلق، فإن المتأمل للموضوعات المدروسة فى رسائل جامعية متعلقة بالإسلام يلاحظ ضمن ما يلاحظ الحقائق الآتية:

هذا التغيير العودة إلى الذات المسلمة التى تستطيع المحافظة على ذاتيتها الحضارية، فلا تتآكل أمام قوة الحضارة الحديثة. إن القوة التى تتمتع بها الشخصية المسلمة الملتزمة بتعاليم دينها أصبحت مثار قلق الغرب الذى يود أن يعيش المسلمون فى صراع دائم بين تعاليم دينهم وبين الاندماج الثقافى فى الحضارة الحديثة. غير أن الواقع يشهد بأن الدين الإسلامى لا يصادم الحضارة الحديثة بل على العكس يستوعبها ويطوعها لتكون سلاحاً إسلامياً وهذا مثار القلق الغربى منذ استطاعت الثورة الإسلامية فى إيران أن تجد لنفسها مكاناً فى سوق العصر الراهن المفتوح دون أن تنزوى على نفسها.

وفى المجال نفسه - أعنى تأثير الدين فى حياة المسلمين - نجد دراسة أخرى حصل بها صاحبها على درجة الدكتوراه عام ١٩٨٥ من جامعة أكسفورد حول (الصفوة المسلمة «الانتلجنسيا» فى البنغال من ١٩٣٧ - ١٩٧٧) وتقع فى ٤٢٦ صفحة.

أولاً: الاهتمام بتأثير الإسلام فى الدول المختلفة:

ينصب اهتمام كثير من الدراسات الأكاديمية فى جامعات الغرب على رصد التأثير الذى يحدثه الالتزام بالإسلام - أو يمكن أن يحدثه مستقبلاً - فى الشعوب والنظم والمؤسسات المختلفة فى الدول ذات الأغلبية المسلمة.

فعلى سبيل المثال، اهتمت دراسة دكتوراه - فى جامعة شيكاغو - تقع فى ٦٣٥ صفحة عام ١٩٨٨ بفكرة (المعرفة فى الإسلام ومضامينها التربوية وتأثيرها فى نظم التربية فى البيئة الماليزية) حيث يذهب الباحث فى هذه الدراسة إلى أن أهمية الإسلام - بوصفه قوة دينية ثقافية سياسية - أصبحت واضحة فى العقود الأخيرة من القرن العشرين مما يتعين معه - كما يقول الباحث - أهمية النظر من جديد إلى الإسلام لا بوضعه ديناً شعائرياً، بل بوصفه قوة فاعلة للتغيير الاجتماعى. ويركز الباحث فى نظريته تلك على ما حدث فى إيران من تغيير بتأثير الدين. وأهم مظاهر



ويذل المفكرون المسلمون جهداً كبيراً في التوفيق بين الدين ومطالب الحياة العصرية.

وفي الفصل الخامس عرض الباحث صورة المفكرين المسلمين البنغال كما أدركها الرأي العام العالمي بعد قرار التقسيم ١٩٤٧.

وخصص الباحث الفصل السادس من رسالته للتوتر أو الصراع بين الدين والرغبة في الاندماج العصري في الحضارة الحديثة وعمّا إذا كان هناك صدام داخل النفس المسلمة بين ما هو ديني وما هو دنيوي.

ثم جاء الفصل السابع (الأخير) خاتمة للبحث يؤكد فيها الباحث أن الحياة الدنيوية للناس مثل الأعراف الاجتماعية وقوانين الأسرة ومكانة المرأة والفنون الجميلة وغير ذلك يرتبط ارتباطاً كبيراً بالدين الإسلامي، حيث من الممكن استخلاص مبادئ تنظيم حياة الناس وشؤونهم جميعاً من خلال القرآن والسنة.

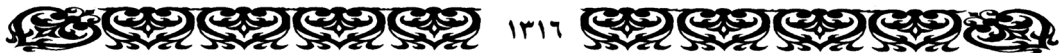
والدراسة الثالثة في هذا المجال كانت رسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة نيويورك عام ١٩٨٨ وتقع في ٢٥٨ صفحة وكان موضوعها (أصول القومية الباكستانية من خلال شخصية العلامة الشاعر محمد إقبال) وقام بها طالب باكستاني تحت إشراف البروفيسور كارل ماركس كورتبتر.

وقد ناقشت هذه الدراسة تكامل مسلمي الهند في تطبيق قواعد ونظم التعليم الغربية في مرحلة ما قبل ظهور سيد أحمد خاله المصلح التربوي المسلم المعروف، الذي على

حيث اهتم الباحث بمناقشة دور رجال الفكر (الصفوة، النخبة) المسلمين البنغال في السياسة والتغيير الاجتماعي والارتباط بالقيم الثقافية المستمدة من الدين الإسلامي. وقد تناولت الدراسة البنغال بوجه عام من ١٩٣٧ - ١٩٤٧ وفيما بعد ١٩٤٧ اقتصر على شرق البنغال فقط. ونظراً لكبر حجم هذه الدراسة فقد تم تقسيمها إلى سبعة فصول، تناول الفصل الأول منها ظهور وتطور النخبة (الانتلجنسيا) من رجال الفكر المسلمين وأصولهم الاجتماعية وتوجهاتهم التربوية تجاه نظام التعليم الإنجليزي الذي كان سائداً في شبه القارة الهندية بوجه عام آنذاك. والصراع الذي كان ملحوظاً بين مناصري التعليم الإنجليزي المرتبط بسياسات التوظيف. وبين أعدائه من حماة الهوية الوطنية.

واهتم الفصل الثاني بدراسة العلاقات الثقافية بين المسلمين وغير المسلمين. في حين اهتم الفصل الثالث بتأكيد الذات لدى المفكرين المسلمين الذين دافعوا عن دينهم وهويتهم ضد طغيان الهندوس خلال الأحداث التي انتهت بقرار التقسيم الشهير عام ١٩٤٧ حين ظهرت الحدود بين الهند وباكستان وإقليم البنغال الذي أصبح دولة بنجلاديش.

وفي الفصل الرابع تتبع الباحث تطور مسيرة أهل الفكر (الصفوة) في مرحلة ما بعد التقسيم ومحاولاتهم التأثير في القاعدة العريضة من المسلمين لا سيما الفقراء منهم.





من حقوق الأقليات المقيمة بها دون أن يملك أحد حتى مجرد توجيه اللوم إليها.

وفى هذا الإطار نفسه تسير جامعات الغرب فى دراستها الأكاديمية حول الإسلام. ● وسنعطى فيما يلى نموذجين لدراسات من هذا النوع:

الدراسة الأولى: تقدم بها صاحبها عام ١٩٨٩ إلى جامعة أدنبره فى بريطانيا ونال عنها درجة الدكتوراه. وهى رسالة ضخمة تقع فى ٤٣٧ صفحة. وموضوعها «وضع الذمى فى الشريعة الإسلامية».

وقد اهتمت هذه الدراسة بفحص وتحليل كتابات المؤلفين المسلمين فى مجال الشريعة والقانون للتعرف على الوضع الحقيقى لأهل الذمة فى المجتمعات المسلمة. وفى الفصل الأول من الدراسة تم تحليل الرؤية الإسلامية لدار الحرب ودار السلام وطبيعة علاقات الدولة المسلمة بغيرها من الدول غير المسلمة. وفى الفصل الثانى تناولت الدراسة واجبات الذمى الذى يعيش فى دولة مسلمة وما يتصل بذلك من مفاهيم الجزية والخراج والعُشر ومدى حاجة أهل الذمة للتعايش مع القوانين (الشريعة) الإسلامية. وتناول الفصل الثالث مظاهر التسامح مع غير المسلمين فى الدول الإسلامية وهو فصل يتميز بقدر معقول من الإنصاف. وفى الفصل الرابع نوقشت حالة الذميين فى مجال التشريع الجنائى الإسلامى وكذلك فيما يتعلق بالأحوال الشخصية (الزواج والطلاق والميراث.. إلخ) لغير المسلمين كما تنظر

يديه بدأ ظهور الشخصية المسلمة المتفردة كهدف رئيسى من أهداف التعليم حيث شهدت بداية القرن العشرين الميلادى ارتفاعاً ثابتاً فى تطور القومية الإسلامية. وقد تناولت الرسالة حياة الشاعر الإسلامى المجاهد محمد إقبال الذى تلقى فى بدء حياته تعليماً ذا طابع أوربى، ثم ما لبث أن تحول إلى مناضل من أجل إحياء الشخصية الإسلامية، وسخر كل إخلاصه للإسلام وكتابات من أجل تحقيق هذا الهدف من خلال الدعوة إلى الانفصال عن الثقافة الأوروبية السائدة فى شبه القارة الهندية. وقد سار على هذا النهج القائد الباكستانى العظيم محمد على جناح. وركزت الدراسة على دور محمد على جناح فى تحقيق انفصال باكستان عن الهند. بعد الشعور بالإذلال وخيبة الأمل التى كابدها المسلمون تحت الحكم البريطانى، مما أدى شيئاً فشيئاً إلى نمو الشخصية القومية الباكستانية المسلمة.

ثانياً: أوضاع غير المسلمين فى البلاد الإسلامية:

من القضايا التى تهتم بها الأوساط السياسية والاستخبارية فى الغرب: قضية أوضاع الأقليات غير المسلمة فى البلاد الإسلامية وتحت دعوى حماية حقوق الأقليات تسمح الدول الغربية لنفسها بالتدخل فى شئون الدول الأخرى. وباسم شعار الزائف: «حماية حقوق الإنسان» تستحل الدول الغربية حرمت الدول المسلمة، فى حين تنتهك على أراضيها كثير



لتناقش في المؤتمرات التي يعقدها المجلس، ويعرض الباحث تقريراً قام هو نفسه بإعداده للأسقفية المحلية التي ينتمى إليها ويتضمن هذا التقرير مشروعاً تم تنفيذه من خلال مجموعة من الأفراد النصارى في أبرشية سرية في الخليج العربي استهدفت جمع المعلومات والإجابات والتقارير المعدة عن أوضاع النصارى في البلاد العربية كما كُلفت تلك المجموعة السرية التي تعمل في الخليج بعمل أبحاث وتقارير عن الديانات المختلفة لا سيما الإسلام. ودراسة المذاهب المختلفة في الإسلام وما بينها من خلافات ومدى ما يمكن استثماره من تصادم بين بعض تعاليم الإسلام وحياة الناس اليومية.

وبعد هذا، ينتهى البحث بفقرات تحاول تجميل صورة البحوث الأكاديمية المنحازة في الجامعات الغربية، حيث يوصى البحث بما يسميه بـ (مزيد من الحوار) بين المسيحية وكل من اليهودية والإسلام بوصفها جميعاً ديانات سماوية.

ثالثاً: دراسات اهتمت بتدريس اللغة الإنجليزية للمسلمين:

ونظراً لإدراك المؤسسات الغربية لمدى حاجة المسلمين إلى إتقان اللغة الإنجليزية التي أصبحت ضرورة عصرية. ومن ثم فإن تدريسها للمسلمين سواء في بلادهم الأصلية، أو حال كونهم مبعوثين في البلاد الغربية أصبح أمراً جديراً بالدراسة، حيث من الممكن استغلال حاجة المسلمين إلى هذه اللغة ودراستها في بث مفاهيم خاطئة لدى دارسيها

إليها الشريعة الإسلامية. أما الفصل الخامس فقد تناول الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية لأهل الذمة في المجتمعات المسلمة وبخاصة ما يتعلق بحرياتهم الشخصية وحقوقهم المدنية. والدراسة بوجه عام تتميز ببعض الإنصاف مقابل الكثير من التحامل والتجنى.

والدراسة الثانية: على الرغم من صغر حجمها (١٥٢ صفحة) بالقياس إلى الدراسة السابقة، فإنها أشد خطراً لما جاء فيها من افتراءات على الإسلام ومعلومات عن التنصير وخططه، وقد أجريت هذه الدراسة عام ١٩٨٧ في المعهد العالي لدراسة اللاهوت في جامعة برنستون بالولايات المتحدة من الباحث ريتشارد، س. نيفيس. وموضوعها (تنمية فهم المسيحيين لأنفسهم) وتناول فيها أوضاع النصارى الذين يقيمون كأقليات في الدول ذات الأغلبية المسلمة. ويشبههم الباحث المتعصب بأنهم يعيشون كالموتى الأحياء تعبيراً عن معاناتهم. ومن أول سطور دراسته يزعم الباحث أن النصارى ممنوعون من ممارسة عقائدهم في بلاد الأكثرية المسلمة. ويسعى الباحث في دراسته هذه إلى إعداد دليل يستخدمه أولئك النصارى لتسهيل حياتهم في ظل تلك المعاناة من خلال تنمية شخصياتهم للتغلب على القيود المفروضة عليهم.

ويعرض الباحث توجيهات المجلس الاستشارى الإنجيلي الذى يحدد لكل أسقفية إنجيلية ست أو ثمانى قضايا تدرسها



المملكة المتحدة (إنجلترا- ويلز- اسكتلندا) وتوصلت الدراسة إلى نتائج أبرزها أن الاتصال الثقافي أثر تأثيراً واضحاً في شخصيات المسلمين المتعلمين.

وهناك دراسة أخرى أجريت في جامعتي بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٧ كدراسة انثوجرافية للتعرف على كيفية مساعدة المعلمة لتلاميذها السود والمسلمين الذين يدرسون في المدرسة السنية الخاصة والمسلمين من خلال تعليم اللغة لكي يتعايشوا مع واقعهم كسود أو كمسلمين يعيشون في الولايات المتحدة بقيم مستمدة من دينهم تتعارض أحياناً مع قيم الثقافة التي يعيشون بين ربوعها.

وقد أجريت الدراسة على عينة من الطلاب السود المسلمين السنيين واستخدمت عدة أدوات لقياس تقدير الذات لدى أولئك الطلاب، بالإضافة إلى قياس اتجاهاتهم نحو القراءة واستخدام اللغة الإنجليزية الفصحى وظهر من الدراسة عزوف أولئك الطلاب عن استعمال الفصحى الإنجليزية خوفاً من الوقوع في الخطأ. كما اتضح عدم رضا بعض الطلاب عن دينهم الإسلامى.

وختاماً ما سبق:

- ١- أن الدراسات المتعلقة بالدين الإسلامى فى الجامعات الغربية لا تعطى صورة حقيقية عن الإسلام.
- ٢- وأن تلك الدراسات موجهة لخدمة وجهات نظر معينة.

بأساليب غير مباشرة تستهدف تشكيكهم فى دينهم أو غرس قيم وعادات تخالف عقائدهم من أجل تطبيعها فى نفوسهم. ذلك أن اللغة وعاء الثقافة؛ فتدريس اللغة الإنجليزية يستلزم بالضرورة الاندماج -أو على الأقل تقبل- الثقافة الغربية التى تعبر عنها تلك اللغة، ومن ثم فإن الجامعات الغربية يهتمها التعرف على اتجاهات دارسى اللغة الإنجليزية نحو الثقافة الغربية.

ومن أمثلة تلك الدراسات دراسة دكتوراه قدمت إلى جامعة اكستر فى بريطانيا عام ١٩٨٨ موضوعها (الأبعاد الثقافية لدى عينة من دارسى اللغة الإنجليزية المسلمين فى بريطانيا) حيث تناولت الدراسة أهمية معرفة المسلم للغة مهمة كاللغة الإنجليزية، ودرست أحوال عينة من المتعلمين الذين جاءوا إلى بريطانيا من دول إسلامية يحملون قيماً ثقافية مخالفة للقيم السائدة فى بريطانيا ولذا فإن المتوقع أن يتعرضوا لدى إقامتهم فى بريطانيا إلى نوع من عدم الانسجام وربما الصراع بين الثقافتين: الوافدة المسلمة، والأصيلة غير المسلمة.

وتساءلت الدراسة عن الدور الذى تقوم به المراكز الإسلامية المقامة فى الدول الغربية من أجل حل ذلك الصراع الثقافى الذى ينشب فى نفوس القادمين الجدد من المسلمين بوصف تلك المراكز هى المعنية برعاية قضايا المسلمين، وقد اعتمدت هذه الدراسة على آراء عينة من المسلمين يمثلون ٤٨ مؤسسة تدرس اللغة الإنجليزية فى جميع نواحي



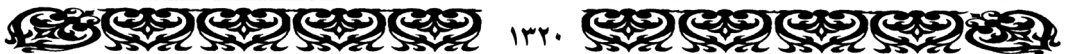
٦- كما اتضح أن المؤسسات المعنية بالتنصير تعمل في سرية تامة لتحقيق أهدافها ومن بين تلك الأهداف بث بذور الشقاق والفتنة في نفوس المسلمين. لذلك فإن من الواجب على الإعلام الإسلامي بوجه عام، والإعلام العربي بوجه خاص إثارة هذه القضايا من حين لآخر حتى لا يُنظر إلى الدراسات الأكاديمية الغربية بنوع من الاحترام المطلق الذي يكاد يصل إلى حد التقديس عند بعض قصار النظر أو المنبهرين بحضارة الغرب.

٣- وأنها تسعى لتكريس أفكار مضادة لوجهة النظر الإسلامية الصحيحة.

٤- وأنها تستخدم كمقياس (ترمومتر) لمدى اقتناع المسلمين بدينهم. ومدى قدرتهم على التكيف مع الحضارة الحديثة. ٥- وأن تلك الدراسات تهدف أيضاً إلى زعزعة ثقة المسلمين بدينهم وقيمهم ومحاولة إيهامهم بوجود صراع بين الإسلام والثقافة الحديثة.

المراجع:

- 1- WAN DAUD, WAN MOHD NOR BIN, "The Concept of Knowledge in Islam, and its Implications on the national system of Education in the MALAYSIAN CONTEXT". PH. D. Thesis submitted to Chicago University. 1988.
- 2- MURSHID, TAZEEN MAHANAZ, "The Bengal Muslim Intelligentsia, 1937-1977: The Tension between the religious and the secular (INDIA)". PH. D Thesis, Oxford University, 1985.
- 3- KHATANA, MANZOOR. H. " Foundations of Pakistani Nationalism". PH. D Thesis New York University, 1988.
- 4- ABO-AL-RAHMAN, AWANG. " The status of the DHIMMI in Islam law" PH. D Thesis University of Edinburgh, 1988.
- 5- NEVIUS, RICHARD. C. "Developing Christian self-understanding in catacomb situation" DMIN Degree. In Princeton Theological Siminary, 1987.
- 6- ABU-ESHY, ABDULLAH ALI, " Muslim Learners of England in BRITAIN: The Cultural dimension" PH. D Thesis university of Exeter, 1988.
- 7- SHELTON, ESTHER, D. " An Ethnographic study of how A Teacher helps her students value being black and being Muslim Through language and literacy instruction in A sunset Muslim school" EDD dagger university of pennsylvania. 1987.



في كتابات المستشرقين

مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لِلرَّسَّادِ الدُّكْتُورِ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْمُطْعَنِي



بقي لنا في الرد على أكذوبة المستشرقين، أو بعض المستشرقين لنكون منصفين: أن «محمدًا ﷺ» صادق، ولكن رسالته كاذبة» (بقي لنا في الرد عليها جولتان؛ أحدهما: حديث القرآن، وهو أصل رسالة محمد، عن السنن الكونية. وموعدها العدد القادم بإذن الله. والثانية: حديث القرآن «رسالة محمد» عن المنهج العلمي، الذي يعتبر هؤلاء المستشرقون أساتذة فيه، ونعالج واقعيات هذا الحديث في هذا العدد المائل بين يدي القراء الكرام واختيارنا لهذه الموضوعين في الرد على تلك الأكذوبة تأتي من حرصنا على أن الرد في مجالات نؤمن بها نحن والسادة المستشرقون أنفسهم لا أن نفرض عليهم أمورًا لا تخص الإيمان إلا من طرف واحد.

● إلباس الحق بالباطل أو ضياع المعرفة الحقة.
● ثم قتل المواهب الإنسانية، والجنابة على العقول وكفى بهذين ضررا.
فقد كان في منهج البحث العلمي، أو بعبارة أدق، في منهج الحصول على المعرفة بوجه عام، كان في ذلك المنهج آفات وعيوب ترتب عليها أمران:
- إما حجب المعرفة تماما، وإحلال الخطأ محل الصواب والكذب محل الصدق، والباطل محل الحق.

وأصول المنهج العلمي السليم، الذي تسلم مقدماته وخطواته ثم تسلم نتائجه، ويفرض صدقه واحترامه على القلوب والعقول. هذا المنهج منهج قرآني أقرته رسالة محمد ﷺ، وهو المعمول به الآن في مشارق الأرض ومغاربها لدى كل الباحثين والدارسين، مستشرقين وغير مستشرقين وحين وردت أصول هذا المنهج العلمي السليم في رسالة محمد «القرآن» قضى على آفات كثيرة كانت تسود في مجالات المعرفة الإنسانية. وترتب عليها كثير من الأخطاء والأضرار في مقدمتها خطر انجسيمان:

– وإما الحصول على معرفة مشوبة بالجهل، أو معرفة ناقصة يؤدي العمل بها إلى خلل في دنيا الناس.

فجاء منهج البحث عن المعرفة في رسالة محمد «القرآن» ثورة على تلك الآفات والعيوب، ومن تلك الآفات التي قضى عليها القرآن:

التقليد:

من أخطر آفات البحث عن المعرفة التقليد، لأنه يدعو إلى التواكل وقتل المواهب، وتعطيل ملكات العقل والإدراك، وشيوع السلبية، وسرعة التسليم بكل ما هو واقع، والإسراف في الثقة العمياء للكبار، أو من يرون أنهم كبار، أو متقدمون في العمر وفي الزمان من الأسلاف.

نزل القرآن وكان التقليد سائدا في البيئات البشرية وورثه جيل عن جيل، واستسلم له الناس وجعلوه حجة يقاومون به كل جديد، حتى لو كان هذا الجديد وحيا من عند الله، يبلغه رسول معصوم.

حارب القرآن الحكيم «رسالة محمد» هذه الآفة الشديدة الخطورة على التفكير المعرفي، في سياق حديثه عن المحاورات التي دارت بين الرسل وبين أقوامهم.

وكان مشركو العرب قد ورثوا هذه الآفة عن الأمم الغابرة، فواجهوا بها محمدا ﷺ، كما واجهت الأمم الغابرة بها رسلهم.

وكان قوم إبراهيم ﷺ أكثر الأقوام لاجحة في هذا الشأن، ومن ذلك ما حكاه القرآن عنهم في الحوار الآتي:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ

نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا

تَعْبُدُونَ أَصْنَامًا مَا تَنَزَّلُ لَهَا عَزِيدِينَ ۖ قَالُوا هَلْ يَسْمَعُونَ كُرْ ۖ إِذْ

تَدْعُونَ ۖ قَالُوا لَا يَسْمَعُونَ ۖ قَالُوا أَتَقُولُونَ لِلَّهِ مَا لَا رُبُّ لَهُ ۖ قَالُوا أَبِائُنَا وَإِجَافُنَا

كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۖ قَالُوا أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۖ أَنْتُمْ

وَأَبَاؤُكُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۖ قَالُوا نَحْنُ عِدَّةٌ وَإِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ﴾ (١)

وقص القرآن هذه القصة في موضع آخر، وكان مما ورد فيه:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا

بِهِ عَلِيمِينَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي

أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۖ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَزِيدِينَ ۖ

قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ﴾ (٢).

وحاربه القرآن في ما قصه عن عاد قوم هود - عليه السلام - لما دعاهم إلى عبادة الله وحده، ورد هود عليهم في الحوار الآتي:

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ

يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُهُمْ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

ۖ﴾ (١) قَالُوا قَدْ وَفَّقَ عَلَيْكُمْ مَنِ رَبِّكُمْ رَجَسَ وَعَصَبَ

أَتَجِدُ لُنَا نَبِيًّا ۖ قَالُوا نَحْنُ نَسْمُو سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ

مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِمُ مِنْ سُلْطَانٍ ۖ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنْ

الْمُنظَرِينَ ۖ﴾ (٢).

وحارب القرآن التقليد، واستبعده من وسائل حصول المعرفة فيما قصه علينا من احتجاج مشركي العرب لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى

(٢) الأنبياء [٥٩ - ٥٤].

(١) الشعراء [٦٩ - ٧٧].

(٣) الأعراف [٧٠ - ٧١].

توحيد الله - عز وجل - وذلك في مواضع متعددة نكتفى منها بما يأتي :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٤).

في الآيات التي أثبتناها ينكر القرآن أن يكون التقليد، وهو الاقتداء الأعمى الذي لا ينظر المقلد في دليله، ينكر القرآن أن يكون هذا التقليد طريقاً من طرق المعرفة، وبخاصة في مجال الاعتقاد والتشريع والأخلاق التي يُبنى عليها سلوك الفرد أو الجماعة، مع ملاحظة أن الآيات مقصورة على تقليد الخلف للسلف، وكلمة الآباء فيها تشمل الأجداد الأولين قربوا أو بعدوا ويتصل بخاطر تقليد السلف عن صحة المعرفة والاعتقاد خطر آخر أشد ضرراً من تقليد السلف، لأن تقليد السلف جفت منابعه الآن، ولا يكاد يوجد. أما الخطر الآخر، الأشد ضرراً من تقليد السلف، فهو قائم الآن.

إنه تقليد السادة والعظماء، ويعبر عنهم القرآن بالكبراء، وهم أصحاب الجاه والسلطان، وملاك الدنيا.

وهم جميعاً لا وزن لما يقولون أو يقررون إذا لم يكن لما يقولونه ويقررونه سند أو برهان

لذلك ينكر القرآن تقليدهم ومتابعتهم، وإلا كانت العاقبة وخيمة.

فقد حكى القرآن ما سيدور بين الكبراء ومقلديهم من خصومات، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿وَلَوْ رَأَوْا ظِلْمَ لُوطٍ مَوْفُورَاتٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أَوْلَا أَنْتُمْ لِكُلِّكُمْ مَوَازِينٌ ﴿٣٦﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْخَنُ صَدَدْتُمْ عَنْ الْمُنَادَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِكُنُوزٍ مَجْرُمِينَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلُلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُخْرَجُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٥).

وقوله تعالى :

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضَعُفَيْنَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاءِ لَعَنَّا كَبِيرًا﴾ (٦)

وقوله سبحانه :

﴿وَيَرْزُقُوكُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧١﴾ جَمِيعًا فَقَالَ الصُّعْفُقِيُّ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَبِغَاءَ لَهَآئِكُمْ مُعْتُونِينَ عَذَابُ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهَدَّيْنَاكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مَاءٌ غَمَقًا أَمْ هَدَّيْنَاكُمْ لَتَنصِفَنَّ﴾ (٧).

(٥) سبأ [٣٦ - ٣٣].

(٧) إبراهيم [٢١].

(٤) البقرة [١٧٠].

(٦) الأحزاب [٦٧ - ٦٨].

يصح قولهم: «إن محمدا صادق، ولكن رسالته كاذبة؟!»

ثم يخطو القرآن «رسالة محمد» خطوة أخرى، ليحرر المعرفة من العلل القاذحة في صحتها وقبولها. وفي هذه الخطوة يستبعد الظن من حقل الوسائل الموصلة إلى العلم والإدراك.

وترد في هذا الصدد آيات حكيمة، منها قوله عز وجل:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (٨).

وقوله:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٩).

وقوله جل شأنه:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَآبَاءَهُمْ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (١٠).

هذا هو القرآن «رسالة محمد» يهوى السبيل للحصول على معرفة سليمة، يطمئن إليها القلب، ويقنع بها العقل، ويستبعد من وسائل الوصول إلى المعرفة آفتين ضاريتين بالفكر والتفكير، وهما:

● التقليد الأعمى للسلف

● التقليد الأعمى للكبراء والسادة وملاك الدنيا، وبهذا قضى على عيوب منهج البحث عند القدماء، الذين كانوا يربطون بين الحق أو الصواب، وبين منازل الرجال عندهم، وحظوظهم من الدنيا.

وهو (أعنى القرآن رسالة محمد ﷺ) الذى فتح باب النقد على مصراعيه أمام السادة المستشرقين وغيرهم من المشتغلين بالبحث العلمى. وللمستشرقين قدم راسخة فى هذا المجال، وجُل عملهم يكاد أن يكون نقداً وتمحيصاً ولو من وجهة نظرهم، لكل ما كتب وما قيل، وما يكتب الآن وما يقال:

يعيدون النظر فيه، ويسIRON فى دراسته فى حرية واسعة.

إن هذا الانطلاق من قيود التقليد، وتقديس القدماء الذى قضى عليه الإسلام، إنما هو ثمرة حلوة المذاق من رسالة محمد ﷺ فكيف - إذن -

(٩) الجاثية [٢٤].

(٨) النساء [١٥٧].

(١٠) الانعام [١٤٨].



ثم قوله:

﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقِينُ
مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (١١).

وإنما استبعدت رسالة محمد «القرآن» الظن من دائرة الاستدلال على العلوم والمعارف، لأن الظن تردد بين طرفين متقابلين، والمعارف التي تصلح مادة للاعتقاد، ومنهجاً للعمل، ينبغى أن تخلو من احتمالات النفي والإثبات.

والمعرفة التي يكون طريق تحصيلها غير موثوق بها. لذلك استبعدت رسالة محمد ﷺ أن يكون الظن أداة يطمأن إليها في اكتساب العلوم والمعارف.

والمناهج الحديثة في البحث العلمى فى الشرق والغرب، تأخذ بهذا المبدأ، والمستشرقون ما أكثر ما أخذوا به فى أبحاثهم ودراساتهم، وها هم قد وجهوا بأن هذا المبدأ أو القاعدة من صحيح رسالة محمد ﷺ فهى - إذن - رسالة صادقة كصاحبها، وليست كاذبة كما يزعم المستشرقون.

ثم تخطوا رسالة محمد ﷺ خطوة أخرى فى تهئية السبيل لصفاء المعرفة من الشوائب فتستبعد التأثير العاطفى من اتخاذها وسيلة من

وسائل تحصيل العلم، وترد فى القرآن تحذيرات شديدة من الاعتماد على الهوى فى الحكم وتكوين الرأى أيا كان مجاله ونكتفى من تلك الآيات بما يأتى:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١٢).

﴿وَلَا تَطْعَمَنْ أَغْفَلًا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا
وَاتَّبَعِ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (١٣).

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (١٤).

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (١٥).

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (١٦).

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٧).

إن تدخل الهوى فى الحكم وفى تكوين الرأى مفسد للحكم وللرأى معا، لأنهما يتلونان بألوان العواطف الشخصية، والهوى هو أم العواطف،

(١٢) ص [٣٦].

(١٤) النجم [٢٣].

(١٦) المؤمنون [٧١].

(١١) يونس [٣٦].

(١٣) الكهف [٢٨].

(١٥) الروم [٢٩].

(١٧) القصص [٥٠].





وليس له معيار ثابت، بل هو متقلب فى كل اتجاه.

لذلك استبعد القرآن الحكيم «رسالة محمد» أن يكون الهوى مصدرا للمعرفة، لأنه لا يصدر فى أحكامه إلا عن المؤثرات الوقتية الطارئة، والسادة المستشرقون، الذين يتهمون رسالة محمد ﷺ بالكذب هم أشد الناس نقدا لكل عمل فكرى يعتمد على الرؤى الشخصية المهزوزة.. فكان حريا بهم، لو كانوا مخلصين بعيدين عن الأهواء، أن يشيدوا بصدق رسالة محمد ﷺ، التى حررت الفكر والعقل من كل القيود التى تعوق منهج البحث العلمى، وتعرض نتائجه للرفض والإهمال.

ومن الآفات المضرة فى مجال الحكم وإبداء الرأى، التى نَحَتْهَا رسالة محمد ﷺ - عن دائرة الاستدلال التعصب للعقيدة، أو القربة، أو المذهب، وقضت ببطلان كل ما استند إلى ذلك التعصب مهما كان مصدره وبواعثه والتعصب نوع من أنواع الهوى المذموم.

ولذلك حذَّر منه القرآن «رسالة محمد» وشدد عليه النكير وفى ذلك نزل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ (١٨).

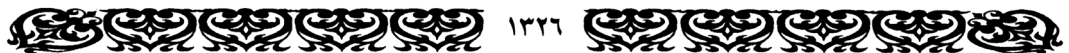
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلْقَوِّىِّ﴾ (١٩).

هاتان الآيتان، وإن كانتا فى معرض القضاء والحكم فهما فى معرض البحث وإبداء الرأى، لأن القضاء والحكم هو فى الأساس - أى، بيد أنه مقرون بإيجاب التنفيذ فى الحقوق العينية والأدبية، فما كان محظورا فيه كان محظورا كذلك فى مجال البحث عن المعرفة، ثم إعلانها على الناس. ولا نخال أن السادة المستشرقين، الذين وصموا رسالة محمد ﷺ تغيب عنهم أضرار التعصب فى مجال البحث والرأى، وإن كانوا هم يمارسون هذا التعصب - سلبا وإيجابا - فى ما يقولون وما يكتبون عن الإسلام، إلا من عصم الله منهم.

وأيا كان موقفهم من التعصب، فهم ملزمون بأن يجزموا بصدق رسالة محمد، ولا مناص لهم من ذلك.

وكانت رسالة محمد ﷺ سباقة على كل النظم فى مجال تحصيل المعرفة، بما سبقت الإشارة إليه، وبمبادئ أخرى أسهمت فى بناء منهج محكم للبحث العلمى:

من ذلك أن القرآن الحكيم «رسالة محمد» ترفض كل الرفض الآراء والمذاهب التى تخلو من دليل يقضى بصدقها، فأزاح من دائرة المعرفة كل الأقوال المرسلة، التى لا تستند على ما يرشحها للقبول، أو الإلزام ويسمى هذه





وبعد أن أعجزهم القران بمطالبتهم ببرهان هم لا يملكونه عاد في الآية التالية لهذه الآية، وأبطل أصل الدعوى من أساسه فقال:

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢١).

إن رضا الله لا ينال بالجنس أو اللون، وإنما ينال بالإيمان الصادق وإسلام الوجه لله، مهما كان وضعه في الحياة الدنيا، رئيساً أو مرعوساً، غنياً أو فقيراً، شريفاً عند الناس أو وضيعاً، نابهاً عند الناس أو خاملاً، وكذلك واجه القرآن «رسالة محمد» مشركي العرب حين عكفوا على عبادة أصنامهم وأوثانهم آلهة من دون الله. وكان مما واجههم به:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْتَوِي بِكُتُبٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْتَرْوَمَنْ عَلَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٢).

مشركو العرب اتخذوا أصنامهم آلهة من دون الله، هذه دعواهم. فطالبهم القرآن بالدليل والبرهان الذي يصحح هذه الدعوى؛ فإما أن يحددوا جزءاً من الأرض خلقه ما يدعون من دون الله، أو يحددوا أن لهم شركاء في السموات. فإن حمقوا وادعوا ذلك، فعليهم أن يقيموا الدليل والبرهان، فإما أن يأتوا بكتاب أنزله الله قبل القرآن فيه

الأقوال مجرد نطق بالأفواه، لا طائل تحتها، ويطالب كل صاحب قوله، أو رأى، أو مذهب بالبرهان الذي استند إليه.

والقرآن حافل بالآيات التي تقرر هذا المبدأ العظيم ومن ذلك ما يأتي:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٠).

هذه المقولة صدرت عن اليهود، وعن النصارى كل منهما ادعاها لنفسه:

اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً. والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، واجه القرآن هذه المقولة بشقيها في خطوتين:

● الأولى: حيث عقب عليها بأنها من أمانى النفس الكاذبة.

● الثانية: مطالبتهم معا أن يوردوا برهاناً على صدق ما قالوا. وهم «اليهود والنصارى» لا برهان لهم في الواقع على صدق هذه المقولة.

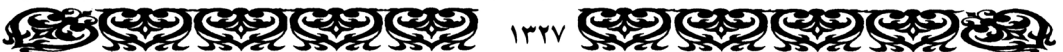
وكل منهما جعل الوصف الطائفي سبباً في دخول الجنة فاليهودى - عند اليهود - يستحق دخول الجنة بوصفه يهودياً فحسب؟

والنصراني - عند النصارى - يستحق دخول الجنة بوصفه نصرانياً فحسب؟.

(٢٠) البقرة [١١١].

(٢١) البقرة [١١٢].

(٢٢) الأحقاف [٤].





بل إنه يدعو إلى تكرار الملاحظة والتجربة،
كأداة لإدراك الواقع كما هو:

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَنذِرْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ الْبَصَرَ كَرْنَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٢٥﴾﴾.

أما في المعرفة العملية، فقد دعا القرآن إلى الرحلة في طلب العلم، والضرب في الأرض وتفجير ما في الكون من ذخائر ومنافع.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا ﴿٢٥﴾ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿٢٦﴾﴾.
كما أمرنا بالسير في الأرض وفحص ما فيها من أسرار

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴿٢٦﴾﴾
ويقص علينا تجربة عملية أجراها الله بين يدي رسوله إبراهيم - عليه السلام - نقلته من المعرفة الإيمانية القولية، إلى المعرفة الإيمانية العملية. وذلك في قوله الحكيم:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنحِي الْمَوْتِ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنُّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

إقرار بأن الأصنام خلقت جزءا من الأرض أو لها شرك في السموات.

فإذا عجزوا عن الإتيان بهذا الكتاب، وهم لا ريب عاجزون، فعليهم أن يأتوا بأمانة من علم يقيني أو دليل واقعي.

وإذا عجزوا - وهم قطعاً عاجزون - فقد قامت عليهم الحجة لله. ويترتب على ذلك واحد من أمرين: فإما أن يذعنوا للحق وينقذوا أنفسهم من سوء المصير وإما أن يعلموا بأن ما أعدده الله للمعاندین من الخلود في العذاب واقع بهم.

وتخطو رسالة محمد ﷺ خطوة صاعدة في إرساء مبادئ وأصول المنهج العلمي المثمر في دنيا الناس وفي هذا الميدان يُدخل القرآن الملاحظة والمشاهدة والتجربة أدوات فعالة في تحصيل المعارف الصافية النقية من كل الشوائب والعلل.

بدأ القرآن هذه الخطوة في مجالى المعرفة التأملية والعملية.

في المعرفة التأملية لا نكاد نحصى الآيات في يسر التي تدعو إلى فتح آفاق جديدة في البحث العلمي السليم، ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٤] الملك [٣ - ٤].

[٢٦] العنكبوت [٢٠].

[٢٣] الأعراف [١٨٥].

[٢٥] الملك [١٥].

[٢٧] البقرة [٢٦٠].





ومن إشادة القرآن بالعقل إيجابا وسلبا الآيات الآتية:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢٨).

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢٩).

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٣٠).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣١).

هذه هي أصول منهج البحث العلمي، قد أرسلتها رسالة محمد ﷺ، وكل ما أضيف إلى هذا المنهج الآن في الدراسات الحديثة، كالجداول الإحصائية وتحقيق النصوص، والموازنات، والاستنباط، إنما هي إجراءات تضمنتها الأصول المتقدم ذكرها وهي أصول وإجراءات معمول بها في الشرق والغرب فهل يصح بعد هذا أن يصر المستشرقون على أن محمدا صادق، ولكن رسالته كاذبة؟ وللإنصاف نقول إن هذه التهمة لم يوجهها الجيل الحاضر من المستشرقين، ولكنها قيلت في الجيل الماضي، وبقاؤها في مؤلفاتهم، وبعضها ترجم أو ترجمت مقاطع منها إلى اللغة العربية وهذا هو مكن الخطر.

ويبلغ كمال المنهج العلمي مبلغه في رسالة محمد ﷺ، وذلك بإخضاع ذلك المنهج بكل أصوله ومبادئه للعقل، لكن في مجال العلوم العملية المادية، أو بالعبارة المعروفة، في مجال الكائنات المدركة بالحواس، لا في مجال ما وراء الطبيعة، لأن للعقل مجاله الذي يعمل فيه، وهو «الطبيعة» المحسوسة، أما ما وراء الطبيعة، أو حقائق الإيمان الغيبية فأدوات العلم بها هي كتب الله المنزلة على رسله الكرام، أو القرآن الذي حفظه الله من التحريف.

والفعل في هذا المجال له دور ولكن تحت رقابة الوحي الآمين.

وإذا كان العقل يسمو فوق مبادئ المنهج العلمي التي تقدمت. فإن الوحي في حقائق ما وراء الطبيعة، يسمو على أدوات المعرفة النظرية والعملية

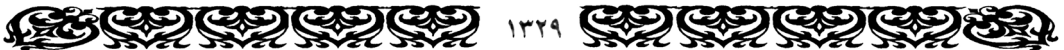
والإشادة بالعقل ودوره في تمحيص المعرفة، والحكم عليها بالقبول أو الرفض، إحدى خصائص البيان القرآني، والقرآن يسمى ما ينتهي إليه العقل في الحكم على أنماط المعرفة «سلطان» تشبيها له بمن بيده سلطة عليا تجعله نافذ الكلمة، ومطاع الأمر.

[٢٩] آل عمران [١١٨].

[٣١] الرعد [٤].

[٢٨] البقرة [٤٤].

[٣٠] الملك [١٠].



فلسفة خطاب الإعلام العربى بين التبرير والتغيير

د. أسامة الدكتور / محمد الهيم الفيوى

٢

الرابعة:

الإسلام.. لا العلمانية

العقل من أن يفكر إلا فيما أبحاثه الكنيسة وصادرت حرية العلماء فيما أرادوا التفكير فيه، حتى النظر فى الكتاب المقدس حرمت تدواله فيما بينهم.. وغير ذلك كثير مكنها من هيمنتها على المجتمع وارتكبت ألوانا من المخالفات التى لايرضى عنها الدين ولا القوانين الوضعية العادلة فكم أذلت وأحرقت وشردت أناسا لم يرتكبوا جرما سوى أنهم أرادوا أن يمارسوا حرية التفكير. من هنا كانت سيطرة الكهنة واستبدادهم بشئون المجتمع من أهم أسباب قيام الثورة عليها فى أوربا.

من هنا تبنت أوربا الحديثة العلمانية نظاما لها إلى التنوير وأقامتها على أسس ليس الدين منها وهى:

● النظرة المادية القائمة على منهج التجربة فى دراسة العالم الطبيعى.

لاشك أن ما نعيشه على الساحة الثقافية ليس جدلا فى جدل كما يبدو للبعض أن يصوره ليس الأمر كذلك إنما هم يبغونها عوجا، يبغون من ورائها تمهيدا يهيم المضمون الثقافى ليتقبل النشاط العلمانى، الذى يضع الدين موضع الجدل والنقاش، وتلك صورة تكونت لدى الداعين إليها منذ عصر التنوير وموقفهم من الدين والدولة.. ففصلوا بين الدين والدولة وقالوا: مقولة السيد المسيح: « ما لقيصر لقيصر، وما لله لله ».. بينما الدين الإسلامى ليس فيه مثل هذا النص، وليس هو ذاته سمح لوضع شأنه كوضع كهنة أوربا، فالبون بينهما شاسع لقد استبد الكهنة بشئون المجتمع الأوروبى باسم الدين فصادروا المعرفة التى تؤدى إلى البحث عن الحقيقة، وحجرت على



● الإنسان العربي عن إسلامه، فهو يود أن يوازن بين معتقده الإسلامى الذى يود أن يعيش به حضارته وبين صبغه بالحياة ذات النمط الغربى فهو ضياع تاريخى .

فهل من الممكن أن يتكفل الإعلام بحمل مسؤولية التأكيد على خصائص الأمة . وأن الإسلام هو أهمها وفيه حياتنا؟

الخاتمة:

التصالح بين الرأى السياسى والرأى الفكرى

مازال الفكر العربى يعانى حالة الانفصام التى بينه وبين المؤسسة السياسة فالرأى السياسى فى جانب وهو المسيطر .

والرأى الفكرى فى مقابله وهو المنبوذ، وليس منبوذا فقط بل يعتبر فى نظر الرأى السياسى خارجا على حدود الشرعية، وقابلا لوصفه بالتطرف، وقت الضرورة، فهو أحق بالمنازعة، والرفض والتتبع بالتشريع عليه وعلى صاحبه .

مازال الرأى السياسى فى الوطن العربى، يهاب تعدد الآراء، مع أن تعدد الآراء يعبر عن رؤى ثقافية متعددة تصنع مساحة ثقافية مشتركة تتلاقى حولها الآراء والأفكار التى تساعد على صنع القرار الذى يخدم الوطن والمواطن، وتهيب الأذهان لتقبله بحرية وقابلية .

تعمل قابلية القرار المبني على المشورة والشورى، على توجيه المواطن إلى تبنية الدعوة إليه والقناعة به، وتلك هى المساحة الثقافية المشتركة بين صانعى القرار ، وأطراف الأمة المشتركة فى المصالح القومية، فضلا عن أنه يصنع

● استبعاد المعرفة غير المادية . . وعزو القيمة الحقيقية فى المعرفة إلى الرؤية العلمية القائمة على المنهج الحديث .

● تعميم النظرة المادية والتفكير المادى على كل شئون المجتمع حتى القيم الأخلاقية . .

وأن تخضع العلاقات الإنسانية لمجموعة مبادئ الفلسفة المادية . .

وكان من أكبر جنائيات العلمانية: أن سيطرت السيادة المادية على الإنسان والفكر، وتحول مفهوم الإنسان من مفهوم له أبعاده الدينية والأخلاقية إلى كتلة مادية قابلة لعمليات التغيير والتشكيل، ومن إنسان له عقله وروحه ووجدانه، إلى كتلة مادية صماء عمياء تعبت به الفلسفات .

إن العلمانية هى سيادة المادية على المجتمع البشرى، وإقصاء كل ما هو إلهى لتحل محله الفلسفة المادية بكل مذاهبها بدلا من سيطرة الدين .

وليس معنى مكافحتنا العلمانية، أننا نكافح العلم أو النظرة العلمية، وليس الأمر كذلك لأن العلم هو التجريب فى مجال الطبيعة وذلك يدخل فى نطاق التفكير البشرى، وتلك نظرة عادلة ومستقيمة وناضجة بل وضرورية، ما دامت محصورة فى مجالها التطبيقي الطبيعى فهذا ملحظ مهم ويجب التنبيه عليه، ولانختلف فيه ولا عليه ولا نقبل التشويش على دعاة الإصلاح، وعلى كل من يحارب العلمانية. ومعنى أن تسيطر العلمانية على المجتمع الإسلامى أن تقوم الدولة على غير أساس من الدين، لاشك أنها اتجاهات تنم عن حالة صراع فى الفهم عميقة، تعصم



الحياة الفكرية ما لم يكن الفكر تبريرا لمتطلبات السلطة الحاكمة.

من هنا أحس أهل الفكر بمشاعر الاغتراب تحتويهم من فرط إحساسهم، بأن قمع السلطة جعلهم يعيشون على هامش مجتمعهم، وليس من ذنب اقترفوه في حق مجتمعهم سوى أنهم أخلصوا لفكرهم والوطن والوطنية. وكذلك أدى الانفصام بين الرأي السياسى، والرأى الفكرى، إلى شيوع قضية التطرف.

فهل من الممكن أن يتكفل خطاب الإعلام العربى بالتصالح بين الرأي الفكرى والقرار السياسى؟

السادس:

التضليل الثقافى والإعلام العربى

يعزى الإعلام العربى انتصاراته فى الميادين السياسية، والعسكرية، والثقافية، والحضارية إلى العلمنة، لذلك جند أجهزته الإعلامية للدعوة إليها بما ألبسها لبوس العلم، وصبغها بمظهره، فى الوقت الذى صور فيه الدين على أنه أمر شخصى، لاشأن له بالحياة والمجتمع ابتغاء فصله عن توجيه الحياة.

وكان هدفه من وراء ذلك هو: إذابة الشخصية الإسلامية، وإلغاء خصائصها الذاتية.

ولا يبقى سوى أمة ممسوخة الهوية، مشوهة التاريخ، ولقد لعب الإعلام العربى دوره فى إقامة صراع محتدم كما رأينا؛ بين العروبة والإسلام.. ولاشك أن ذلك هو الضلال الثقافى بعينه وذلك حين قابلنا بين المسألة الدينية والمسألة الثقافية.. فهل هى مساومة ثقافية، أو مساومة دينية. أم هو عين التآمر على الإسلام والعروبة وعلى التاريخ..

جوا من الحرية التى تصنع المصالحة بين الرأى السياسى والرأى الفكرى القومى.

من هنا: كانت أزمنا أننا نهاب الآراء المتعددة خوفا من صراعها، مع أنه من الممكن أن تصنع المؤسسة السياسية الإطار العلمى للنزبه الذى يضمن لها تفاعلها الحر للنزبه، إذ ليس ميثاق وصاية على الحقيقة فالله وحده هو مالكها، فكل إرهاب يقع على كل رأى غير السياسى فهو يصنع تمزقا وتمزيقا بين وحدة الفكر ويصيب الولاء القومى بالازدواج.

ولقد شاهدنا من خلال أحداث الخليج، أن الغرب يحرص دائما أن ينطلق الفكر العربى من الفكر السياسى قد يتآزران وقد لا يلتقيان.. ومن خلال ذلك الجدل الفكرى والحوار السياسى تتهيا الأذهان لأبعاد القضية من حيث زواياها وجدواها ونتائجها. وتخرج القرار وله سنده الفكرى وشرعيته السياسية والقومية.. ولم تكن شرعية القرار السياسى مسوغا لإعلان الوصايا على الرأى المخالف، أو إرهاب المخالفين بتهم الخروج على الشرعية أو مدعاة لوصفهم بالتطرف الفكرى.

ولن تتأثر الوحدة الحقيقية بين القرار السياسى والرأى الفكرى فى دارنا العربية إلا بإتاحة الحرية التى تصنع نفسها وتصوغ المواطن فى قالب الانتماء القومى وتطبيق مبدأ الشورى الإسلامى الذى يصنع إطار الوحدة القومية.

لقد أدى الانفصام بين القرار السياسى، والرأى الفكرى إلى علاقة متوترة قائمة على الخوف والحذر المفرط إلى تفاقم مشكلات الاغتراب لدى المثقفين المخلصين لثقافتهم لاستبعادهم عن صنع القرار، وعزلهم عن المشاكل الفعالة فى توجيه



المتعددة بينما توحيد الأمة لا ينبع إلا من وحدة الفكر.

وبعد :

فلقد استحضر الرسول ﷺ تلك الصورة التي تردى إليها المجتمع الإسلامي حين قال : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها .

قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟

قال : لا ، بل أنتم كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن .

قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟

قال : حب الدنيا وكراهية الموت .

تركز حديث الرسول ﷺ « على أن فلسفة التغيير تنبع أساسا من إرادة الإنسان أو هي إرادة إنسانية قبل كل شيء مهما تقدمت وسائل الحضارة .. ف دائما يبقى العنصر البشرى هو الأساس فى عملية التغيير والبناء .. قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (١).

وتلك هى مسئولية الإعلام فى توحيد توجهات الأمة فى مرحلته الجديدة وذلك هو الشرط الأساسى لنهضة الأمة العربية والإسلامية والخروج مما وقعت فيه الأمة من أمراض اجتماعية وتكاسل وتدهور وتفى إلى إسلامها الصحيح ، وفهمه فهما رشيدا واعيا ، ويتربط إيمانها بسلوكها وقولها بعملها .

ولقد استمد الإعلام الغربى رسالته تلك من صورتين :

صورة وضع ملامحها أكاديمية الاستشراق الأولى حين كانت فى مواكبة الاستعمار ، وصورة رسمتها العلمانية المناهضة للإسلام .

وكان من أثر تغلغلها أن أيقن المجتمع الإسلامى أن الصراع ليس بين العلمانية والإسلام إنما هو بالدرجة الأولى صراع من أجل السيطرة الغربية على شخصيات الشعوب ، صراع بين تحقيق الذات الإسلامية والعربية وبين إلغائها ولقد استطاع الإعلام الغربى من خلال حملاته الإعلامية أن ينفذ مخططاته بين مستويات الأمة الثلاث :

● مستوى الأمة .

● مستوى القادة .

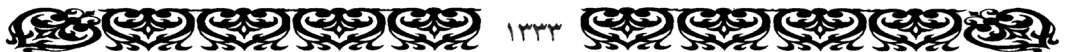
● مستوى مفكره .

أما بالنسبة للأمة فلقد استطاع من خلال حملاته الإعلامية المنظمة أن يشوه الإسلام وأن يباعد بينه وبين الأمة وإسلامها حتى أصبحت لاتعى منه إلا رسمه .

وأما القادة : فهم فى صراع بين ما يتوجهون إليه من أيدولوجيات ذات انتماءات مختلفة وبين أمانى شعوبها فى تطبيق الإسلام وهو مطلب نكن له أطيب المنى .

وأما المفكرون : فلقد تقطع أمرهم بينهم شيعا تقاسمتهم الفلسفات ، وتنازعوا أمرهم بينهم وكل منهم يطلب مذهبا يخالف ما عليه قومه .. ويضيف به صراعا جديدا إلى صراعات الأمة

(١) سورة الرعد الآية (١١).





الإسلام دين السلام

لفضيلة الشيخ / فوزى فاضل الزفزاف (*)

الحمد لله الذى جعل السلام اسما من أسمائه الحسنى

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١).

والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله القائل: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه
ويده» (٢). والقائل: «من آذى ذميا كنت خصيما يوم القيامة».

لقد تعرض الإسلام منذ القرون الأولى من الهجرة لحملة شرسة من أعدائه لاسيما بعد الفتح
الإسلامى لقارتى أفريقيا وآسيا وامتداده إلى قارة أوروبا وقضائه على أكبر إمبراطوريتين كانتا تحكمان
العالم عند إشراقه نور الإسلام وهما إمبراطورية الفرس وإمبراطورية الروم.
قاد هذه الحملة أحد اثنين:

١. إما حاقدا عمى بصره عن الحق، وامتلا قلبه بالبغض والكراهية لدين الإسلام فاتهمه ظلما وعدوانا
بالاعتداء وانتشاره بالقوة وحده السيف.. الخ ما ورد فى كتب بعض المستشرقين.
٢. وإما جاهل بشريعة الإسلام وفرائضها وأحكامها فى العبادات، والمعاملات، والحدود، والجهاد فى
سبيل الله فأثار الشبهات حول بعض تشريعاته التى لم يفهم الحكمة والغاية (٣) منها.. أوقعه فى هذا جهله
باللغة العربية.. لغة القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ التى لا يتسنى لغير المتمكن من معرفة اللغة
العربية وبلاغتها معرفة هذا الفهم والإدراك (٤)، واعتماده فى معرفة الإسلام، واستقاء المعلومات عنه
على كتب غير عربية مصادر غير إسلامية.

(*) وكيل الأزهر السابق ورئيس لجنة الحوار بين الأديان. (١) الآية ٢٣ من سورة الحشر. (٢) متفق عليه.

(٣) مثل إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام، ونصيب المرأة فى الميراث نصف نصيب الرجل... وإباحة الطلاق، والجهاد فى الإسلام، وآيات القتال.

(٤) تعبيرات القرآن الكريم والأحاديث النبوية مليئة بالتشبيهات والاستعارات، والمجاز والكناية، والألفاظ المشتركة، والألفاظ المترادفة.. إلخ وفهم معانيها والإحاطة بمقاصدها لا يتأتى إلا للمتمكن من اللغة العربية.



الكونت برنادوت مبعوث الأمم المتحدة لفلسطين ومساعد الكولونيل سيرو
فى نعوشهما بعد أن اغتالهما اليهود فى ١٧/٩/١٩٤٨م

ويرفضها العقل السليم فى بعض البلاد مثل مصر،
الجزائر، وأفغانستان.. والدين الإسلامى برىء من هذه
الجرائم ولا يقرها ولا تمت بصلة إلى تعاليمه السمحة
التي تدعو إلى السلام والمحبة والإخاء والتعاون البناء بين
الأفراد والشعوب.

ثم وقعت حوادث الإرهاب المشؤومة فى مدينة
نيويورك على مركز التجارة العالمى، وفى مدينة واشنطن
على مبنى وزارة الدفاع الأمريكية يوم الثلاثاء ١١ من
سبتمبر ٢٠٠١م فقامت الدنيا ولم تقعد.. وانتهزت
الصهيونية العالمية هذه العمليات الإرهابية - التي هى
أصلاً من اختراعها وصنعها وتنفيذها وأول من نفذها
فى العالم - وإذا كان العالم قد نسى العمليات الإرهابية
الإجرامية للصهيونية فلننشط ذاكرته ونسأله: من الذى
قتل الكونت برنادوت فى فلسطين؟ ومن الذى نسف
فندق الملك داوود؟ ومن الذى قام بمذابح دير ياسين؟

وظلت هذه الحملة الظالمة مستمرة
ضد الإسلام من أعدائه: أحياناً
بالكلمة وأحياناً بالقتال، والكتب
المؤلفة فى هذا المجال، والحروب
الصليبية ضد الإسلام والمسلمين
أصدق دليل على ذلك.

غير أن هذه الحملة الشرسة ضد
الإسلام والمسلمين ازدادت ضراوتها
فى السنوات الأخيرة وخاصة فى العقد
الأخير من القرن العشرين وبعد سقوط
الشيوعية وزاد من خطورة هذه الحملة
التي تغذيها وتوقد نارها بعض الدول
الحاقدة على الإسلام والمسلمين أنها تتم
بتخطيط محكم وذكاء ماهر حيث

اختلفوا شعارات ومسميات أطلقوها للتمويه وتغطية
هدفهم الحقيقى وهو القضاء على الإسلام والمسلمين
ووضع كل المعوقات أمام انتشاره الذى أفزعهم مثل:
التطرف - الإرهاب - الأصولين.. الخ هذه الشعارات
والمسميات حتى يتجنبوا المواجهة الصريحة بالعداء
للإسلام كدين:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَا
أَن يُمْسَخَ نُورُهُمْ وَلُوكِرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٥).

ووقع كثير من غير المسلمين الذين لا يعرفون
الإسلام على حقيقته الغراء السمحة التي فيها خيرى
الدنيا والآخرة، وقعوا فى مصيدة وفخ إفك هذه الدعاية
التي استغلت قيام بعض من يسمون أنفسهم
بالإسلاميين بارتكاب جرائم بشعة تقشعر منها الأبدان



ومن الذى نفذ جريمة مدرسة بحر البقر؟ ومن الذى قام بمذابح صبرا وشاتيلا وقانا؟ ومن الذى يغتال علنا ويصفى جسدنا الزعماء الفلسطينيين وهم فى بيوتهم ومكاتبهم؟ ومن الذى يهدم المنازل ويهدم المساجد والكنائس؟ ومن الذى يقوم بتجريف الأراضى الزراعية التى هى مصدر رزق وعيش الشعب الفلسطينى؟؟ ومن؟ ومن؟ ومن؟.

فى الأكياس رجال الصليب الأحمر يعثون ما تبقى من جثث آلاف القتلى فى صبرا وشاتيلا .. ترى هل شاهد بوش هذه الصورة

انتهزت الصهيونية العالمية هذه العمليات

وهذه دعوة حق أريد بها باطل، فقد انكشف المستور فى لحظة التعبير عما فى العقل الباطن، وظهرت النوايا الحقيقية للولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب، وبان الهدف الأسمى المقصود من تكوين هذا الحلف حين عبر الرئيس الأمريكى جورج بوش عن هدف الحلف قائلاً: إنها حرب صليبية.

وهكذا يلتقى فكر وهدف الرئيس الأمريكى جورج بوش مع فكر وهدف الرئيس الأمريكى الأسبق نيكسون عندما ألف كتابه الشهير: الفرصة السانحة، وتحدث فيه صراحة عن أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وسقوط الشيوعية صار العدو الأول الآن أمام أمريكا والغرب هو الإسلام.

الإرهابية فجندت وسائل الإعلام العالمية التى تملكها وتسيطر عليها واستماتت فى سرعة توجيه الاتهام إلى الإسلام والمسلمين بالقيام بهذه العمليات الإرهابية .. واستغلت شعور الغضب لدى الشعب الأمريكى ودول أوروبا ضد مرتكبى هذه الحوادث - التى لم تتحدد هويتهم حتى الآن - فى تعبئة رأى العام العالمى ضد الإسلام والمسلمين، بل وفى الاعتداء على المسلمين الأبرياء، وفى منع أولادهم من الذهاب إلى المدارس، وفى الاعتداء على السيدات المسلمات، وتعدى ذلك إلى إعلان الولايات المتحدة الأمريكية عن تكوين حلف دولى لضرب قواعد الإرهاب فى أى مكان فى العالم.

بصرف النظر عن جنس أو لون أو لغة أو دين من يتعامل معه .
قال تعالى :

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٧) .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإنني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » (٨) .

السلام تحية الإسلام

وتحية الإسلام هي السلام يلقيها المسلم ويردها كل يوم عدة مرات مع من يلقيه أو يقابله قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » (٩) .

وقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » (١٠) .

ويقول ﷺ : « السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض فأفشوه بينكم . فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم » (١١) .

ويعنينا الآن في المقام الأول أن نوضح ونبين بالأدلة الدامغة والبراهين الساطعة التي لا تقبل الجدل والمناقشة لعدم الشك في صحتها : أن الإسلام هو دين السلام، وأن الإسلام دين يرفض الإيهاب ويقاوم الاعتداء، حتى نبطل دعوى من يتهم الإسلام والمسلمين بالإرهاب .

الإسلام والسلام

إن السلام يرتبط بالإسلام ارتباطاً وثيقاً، سواء من ناحية المادة الأصلية للحروف التي تتكون منها كل كلمة فكلتاها من مادة : السين واللام والميم، أو من ناحية المعنى فكلتا الكلمتين تدلان على السلامة والأمن والأمان والاطمئنان .

والسلام في الإسلام هو الأصل والقاعدة الأساسية فيه، أما الحرب في الإسلام فهي استثناء تفرضها ظروف الدفاع عن النفس، وظروف أخرى سأوضحها فيما بعد ولقد وردت كلمة سلام في القرآن الكريم (٦) . في ثلاث وثلاثين آية متفرقة في أربع وعشرين سورة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى اهتمام الإسلام بالسلام، وحرصه على أن يسود وينتشر بين البشر جميعاً .

وإذا تتبعنا العبادات والمعاملات في الإسلام نجد أن السلام عامل أساسي مهيم ومسيطر على المسلم في كل خطوة من خطواته، وفي كل تصرف من تصرفاته، وفي كل تعامل من معاملاته سواء مع نفسه، أو مع الفرد، أو مع الجماعة

(٦) ارجع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي ص ٤٥٢ طبعة دار الحديث .

(٧) آية ١١٢ من سورة البقرة .

(٨) رواه أبو داود والترمذي .

(٩) رواه الترمذي .

(١٠) رواه مسلم .

(١١) الترغيب والترهيب ج ٣ .



المصلى فى التشهد، ويختم وينهى به كل صلاة مرتين مرة عن يمينه ومرة عن يساره، بل إن المسلم مطالب أن يلتزم بالسلام قولاً وعملاً وفعلًا حتى مع الجاهلين الذين يسيئون إلى المسلمين قال تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (١٤)

ثم يتصعد هذا السلوك من الفرد والجماعة ليصل إلى الدولة فيسيطر السلام على الدولة الإسلامية فى علاقاتها وتعاملاتها مع الدول غير الإسلامية حيث يطلب الإسلام من المسلمين أن يعيشوا فى سلام وحب وتعاون وإخاء مع غير المسلمين ما داموا لم يقاتلوا المسلمين أو يعتدوا عليهم أو يسلبوا أرضهم قال الله تعالى:

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨)

﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا بِعَدَاوَتِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٥).

البقية فى العدد القادم

وبلغ من حرص الإسلام على إفشاء السلام والترغيب فى نشره وتعميمه، أنه أثنى من يلقى السلام بعشر حسنات، وتدرج فى زيادة الحسنات التى ينالها ويثاب بها فتكثر كلما زاد من كلمات السلام فعن عمران بن الحصين - رضى الله عنه - قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ، فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبى ﷺ: عشر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد فجلس، فقال: عشرون، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد فجلس، فقال ثلاثون، ثم أتى آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فقال: أربعون، قال: هكذا تكون الفضائل» (١٢).

بل إن رسول الله ﷺ يعلمنا آداب السلام ومن يبدأ به حيث يقول: «يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير» (١٣). وفى رواية البخارى والصغير على الكبير.

ولتأكيد معنى السلام وارتباطه بالإسلام أن المسلم يردده ويدعو به فى فريضة الصلاة اليومية التى تتكرر فى اليوم الواحد خمس مرات، بخلاف صلاة السنن والنوافل، يردده

(١٤) آية رقم ٦٣ من سورة الفرقان.

(١٢) متفق عليه.

(١٢) الترغيب والترهيب ج٣.

(١٥) الآيتان ٨، ٩ من سورة المتحنة.



أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

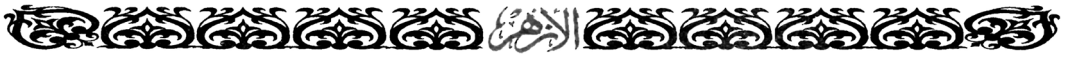
للشاعر الكبير الأستاذ / أحمد محرم

سـيـد الرسل وأم المؤمنين	بشرا الأبطال بالنصر المبين
خرجت في الجيش ترجو ربها	عصمة الراجي، وعون المستعين
ينصر الحق، ويقضى أمره	إن رماه كل أفك مـهين
إصبري إن جل أمرٌ، إنها	يا ابنة الصديق دنيا الصالحين
أرأيت الأرض لما رجفت	إذ هوى عقْدك؟ بل لا تشعيرين ^(١)
أقشعمرت، وتمنت لو هوى	كل عال من رواسيها مكين
أنت في شأنك إذ تبغينه	وهي في هم وغم وأنين
سوف يبدى الخطب عن روعته	بعد حين، فاصبري حتى يحين

رفعوا الهودج، والظنُّ بها	أنها فيه، وساروا مدلجين ^(٢)
وانجلي الليل عن الخطب الذي	غادر الإصباح مسودَّ الجبين

(١) كان العقد من جزع - خرز ظفار، وهي قرية من قرى اليمن، قيل إنه كان يساوي اثني عشر درهماً وقد وجدته - رضي الله عنها - في ذلك المكان.

(٢) من أدلج إذا سار بالليل.



كيف غم الأمر؟ هل من مستبين؟
فى زمام الله رب العالمين
لنراها فى حسمى الروح الأمين

أين غابت أى أرض نزلت
يا رسول الله صبراً إنها
يا أبا بكر رويداً، إننا

دائم الإطراق كالشيخ الرزين
غير أصداء من الوادى الحزين
خطرات للأسى، ما ينقضين
وارقت أهواله حول السفين^(٣)
فهو فى الأحشاء مكتوم دفين
غير شىء ما ثل للناظرين
مشية المرتاب فى رفق ولين
حين يدعو دعوة المسترجعين
لسمعنا اليوم ترداد الرنين
مثلما يوقظها صوت الأذنين^(٤)
وهى فى سترين من عقل ودين
خاشع القلب، كدأب المتقين
إركبى أمأه، ملئت البنين^(٥)
يتبع الماضين من أهل اليمين
يمأ الدنيا، ويعيى المطفئين^(٦)

رجعت والليل فى برده
ذهب الجيش، وأمست وحدها
خطرت فى الجو من أنفاسها
ماج كالبحر طغت أثباجه
نام عنها الهم لما رقدت
وأتى صفوان ما يبدو له
يرسل الطرف، ويمشى نحوها
عرف الخطب، فما أصدقه
دعوة رنت، فلو قيل: اسمعوا
أيقظت عائشة من نومها
جفلت منه، فغطت وجهها
يصرف اللحظ كليلاً دونها
قرب الناقة منها، ودعا
أخذ المقود يمناً، ومضى
ينتحي يثرب بالنور الذى

وعلى الله جزاء المفسدين
كذب الحمقى، وإفك المرجفين

نشروا الإفك فساداً وأذى
لا ينال الحق فى سلطانه

(٤) المؤنن.

(٦) ينتحي بقصد.

(٣) أعاليه جمع شج.

(٥) تمتعت بطول حياتهم معك.





يالهـا من عـصبة فاسقة هاجها للشر شيخ الفاسقين^(٧)
وجدت فيه زعيما حاذقا وإماما بارعا للمفتـرين

هكذا يا ابن أبي هـكذا لا يكن شأنك شأن المسلمين
انفث السم، وخضها فتنة تتلظى نارها للخـائضين

يا ابنة الصديق صبرا، ليتـه ألم المرضي وهم الموجـعين^(٨)
يالهـا من علة لو تعلمين إنها أبرح مما تشـتكين
أعقب البشر عبوس وبدا من رسول الله مالا تـرضين^(٩)
كيف تيكـم ليس من عاداته كيف تيكـم؟ يالهم من مجـرمين
غـيروه، فلوى من عطفه وطوى من لطفه ما تعـهدين
وهو يخفى لك مالا ينقضـي من هوى صاف، وشوق وحنين
سـجن السـر وكم من روعة لك يا أمـاه في السـر السـجين

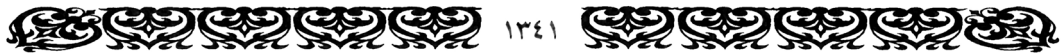
أنصتي، فالليل مصغ، أنصتي وقع الخطب، فمـاذا تصنعين؟
جاشت النفس، ولجت رعدة لم تدع في القلب من ركن ركين
مسطح، لا قر عينا مسطح شـبهـا نارا تهول المـصـطـلين^(١٠)

(٧) عبدالله بن أبي.

(٨) مرضت بعد قدومها المدينة شهراً، والناس يفيضون في الإفك وهي لا تعلم.

(٩) كان يرببها انقباض النبي كلما جاء يعودها وقوله: كيف تيكـم؟ ثم لا يزيد.

(١٠) خرجت مع أم مسطح خالة الصديق لقضاء حاجتها ليلا فعثرت أم مسطح في إزارها فقالت: تعس مسطح، فقالت لها: بئسما قلت. أتسبين رجلا شهد بدرأ؟ قالت يا هنتاه (أي يا هذه) ألم تسمعي ما قال؟ وأخبرتها بحديث أهل الإفك. وكان مسطح منهم، فأخذتها حمى نافضة وأصبحت تبكي.





فضحته عشرة من أمه فانظري كيد ذويك الأقربين
لا تلوميها إذا ما غضبت إنها تعلم مالا تعلمين
أرسلتها دعوة واحدة ليتها زادت على حد المئين
تعس الثعلب ما أخبثه فدعى بدرأ وآساد العرين

رجعت في غمرة من همها لم تبت منها بليل الراقدين
لوعة مشوبة في سقم في شآبيب من الدمع السخين
يا رسول الله هل تأذن لي؟ إن بيتي بمصابي لقمين^(١١)
مر، ودع همي لأمي وأبي إنما استأذنت خير الأمور
بان حسن الصبر، والعزم انطوى وأرى السقم مقيما ما يبين
قال: ما شئت، هلمي فافعلي لك يا صاحبتى ما تؤثرين

ذهبت، يحزنها أن لم تكن طوح الدهر بهما في الذاهبين
ثم قالت وهي تبكي: عجبا لك يا أماه، ماذا تكتمين؟^(١٢)
أفلا نبأتني ما زعموا؟ ويحهم: ما حيلتي في الزاعمين؟
ظلموني، ما رعوالي حرمة رب كن لي - ما أقل المنصفين

(١١) دخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، وقال: كيف تيكم؟ على عادته. فقالت: أتأذن لي أن أتى بيت أبوي؟ فأنن لها. والقمين: الخليق والجدير.

(١٢) قالت لأمها: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، وأنت لا تخبرينني بشئ! قالت: يا بنية هوني عليك، قالت: وهل علم أبي؟ قالت نعم. قالت: ورسول الله؟ قالت: نعم. فاستعبرت، وبكت، وباتت لا يرقأ لها دمع.





جـزـع الصـديـق مـا نـابـه إـنـه خـطـب يـهـوـل الأـكـرـمـين^(١٣)
قـال: أف لك مـن داهـيـة مـا رـمـينا بـك فـي مـاضـي السـنـين
أفـلـمـا زانـا دـين الـهـدى سـاءـنا غـث حـديـث لا يـزـين؟

كـيـف تـيـكـم؟ يـالـهـا صـاعـقـة أُرـسـلت مـن فـم خـيـر المـرسلـين
كـيـف تـيـكـم؟ كـيـف تـيـكـم كـلـمـا جـاء، إـن اللـه مـولـى الصـابـرين
إـصـبـرى يـا ربة العـقـد الـذى زـين مـن عـيـنيـك بالـدر الثـمـين

أوجـعـتـها مـن عـلى شـدة هـى مـن دأب الأـبـاة الأـولـين^(١٤)
سـلـط الضـرب عـلى مـولـاتـها أـى سـر عـنـدها للـضـاربـين؟؟
أقـسـمت صـادقـة مـا عـلـمت غـيـر مـا يـدفع دـعـوى الواهـمـين
التـقى والـبر فـى تـاجـيـهـمـا هـل رآى التـاجـين أـعلى المـالـكـين؟

مـرحـبـاً بالـحق، يـحمـى جـنـده مـا اسـتـبـاحـت تُرَّهـات المـبـطـلـين^(١٥)
مـرحـبـاً بالـوحي، يـجلـو مـا طـوت ظـلـمـات الشـك مـن نور الـيـقـين

(١٣) قال: ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على. والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا يعبد الله أفيقال لنا فى الإسلام؟
(١٤) عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبي ﷺ استشار الصحابة فى أمرها، فقال له عمر: من زوجها لك يا رسول الله؟ قال: الله - تعالى. قال: أفتظن أن الله دلس عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، وقال أسامة بن زيد: أهلك يا رسول الله فما نعلم إلا خيراً، فأما على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإنك لتقدر أن تستحلف وأن تسأل الجارية بريرة تصدقك وجاءت بريرة فقالت: والذي بعثك بالحق ما علمت عليها من شئ يعاب. فقام إليها على يضربها ضرباً شديداً ويقول لها: اصدقى رسول الله، فتقول: والله ما علمت إلا خيراً.
(١٥) إشارة إلى نزول الآيات الشريفة فى براءتها.



مرحباً بالروح يلقي من عل
فتنة جلت، فلما انكشفت
وتجلت غمرة الهادى فلا
يا ابنة الصديق طيبى وانعمى
ضرب القوم بماضٍ مخذم
سقطوا صرعى، عليهم غبرة
رحمة الله، تغيث المؤمنين
أزلفوا الشكر وراحوا راشدين
رببة تغشى، ولا ظن يرين^(١٦)
ذاك حكم الله خير الحاكمين
من مواضيه، فولوا مدبرين^(١٧)
من قتام البغى تخزى الظالمين

أمسك الصديق من معروفه
وطوى عن مسطحٍ نعمته
عاله دهرًا، فلمّا خاناه
سنة العدل، قضاه من قضى
نزل الذكر بها قدسية
ينكر الغدر، وينهى الغادرين^(١٨)
ليرى حق الكرام المنعمين
راح يجزيه جزاء الخائنين^(١٩)
سنة الرحمة بين الراحمين
فعمفا الناقم وارتاح الضنين

اجعل الخير قرينا إن أبى
جل ربى وعلا، كل امرئٍ
كل غاوا، إنه نعم القرين
بالذى يكسب من أمر رهين

(١٦) ران الشيء على القلب: غلب عليه وكان له كالصدأ ونحوه.

(١٧) المخذم السيف القاطع.

(١٨) كان مسطح يتيما فى حجر أبى بكر، يتولاه برعايته وينفق عليه لفقره، وقرابته منه فلما قال ما قال من الإفك غضب عليه، وقيل: إنه أخرجه من

منزله وقال له: لا وصلتك بدرهم أبداً فأنزك الله - تعالى:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ

لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور آية ٢٢). فرجع أبو بكر - رضى الله عنه - ينفق على مسطح.

(١٩) عاله أنفق عليه.

الأخلاق والاقتصاد

للمستشار الدكتور / محمد شوقي الفنجري (*)

تمهيد:

إن الأخلاق وحسن السلوك والمعاملة الحسنة هي أساس الحياة كلها، حتى قيل بحق (الدين المعاملة). وحين أننى الله - تعالى - على رسوله خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ وصفه بأنه على (خلق عظيم). وحين أراد الرسول ﷺ أن يلخص رسالته الخاتمة والعالمية لخصها بقوله «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١) فهو لم يبعث لنشر الأخلاق الكريمة فحسب وإنما بعث ليتمم مكارمها سواء بقوله أو سلوكه، وعلى رأسها مراقبة الله وإسلام الوجه له، فهما جوهر التدين والذروة من مكارم الأخلاق. وصدق الله العظيم

﴿قُلْ إِن صِلَافِي وَتُسْكِي وَتَحْيَايَ وَمَمَافِي رَبِّ
الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَّهِ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝﴾^(٢).

ثالثاً: بيان الأسس الاقتصادية التي انفرد بها الإسلام، لضمان حسن الأخلاق.

فأولاً: من حيث مصطلح (الأخلاق) ومصطلح (الاقتصاد)

من حيث مصطلح (الأخلاق) نجد البعض يعرف الإنسان بأنه (كائن أخلاقي) أى أن له

ونعرض لموضوع دراستنا عن (الأخلاق والاقتصاد) باختصار فيما يلي:

أولاً: بيان موجز لكل من مصطلح (الأخلاق) ومصطلح (الاقتصاد)

ثانياً: بيان العلاقة بين (الاقتصاد) و(الأخلاق).

(١) سنن البيهقي ١٠/١٩٢.

(*) عضو مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) الأنعام (١٦٢).



سيادة الحرية الاقتصادية وحماية الملكية الخاصة والسوق الحر، وما يستتبع ذلك من استئثار أقلية بخيرات المجتمع والتفاوت الشديد في توزيع الثروات، وغيره من المفاصد. وهناك الاقتصاد الاشتراكي الذي يوجه النشاط الاقتصادي وفقا لأصوله من حيث غلبة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وسيادة الملكية العامة والتعقيدات الحكومية، وما يستتبع ذلك من تأميم وقمع للحرية، وغيره من المفاصد.

أما الاقتصاد الإسلامي فهو الذي يُوجه النشاط الاقتصادي وفقا لأصوله من حيث ضمان حد الكفاية لكل فرد، وعدالة التوزيع وحفظ التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع ودول العالم، متجنباً عيوب ومساوئ كل من الاقتصادين الرأسمالي والاشتراكي.

ثانياً - بيان العلاقة بين (الاقتصاد) و(الأخلاق)

ما سبق كلمة موجزة عن مصطلح (الأخلاق) ومصطلح (الاقتصاد). ذلك أن كلا منهما يتأثر ويؤثر في الآخر.

فإنه إذا كانت الأخلاق الطيبة تؤدي إلى معاملات اقتصادية سليمة والعكس صحيح، فإنه أيضاً الاقتصاد السليم يؤدي إلى أخلاق طيبة والعكس صحيح.

ويكفي أن نتساءل ماذا ننتظر من مجتمع هابط أو شخص عديم الأخلاق، إلا الانتهازية والعدوان، وبالتالي إفساد المجتمع. وبالمثل ماذا ننتظر من اقتصاد متخلف أو شخص جائع مضيع، إلا الحقد أو العنف، وبالتالي إفساد المجتمع.

قيماً يلتزم أو يُلزم نفسه بها. ويعرفه البعض بأنه (كائن اجتماعي) أي أنه لا يستطيع أن يعيش منفرداً وإنما مع آخرين يتأثر بهم ويؤثر فيهم. بينما يعرفه البعض بأنه (كائن متدين) لأنه لا يوجد على ظهر الأرض كائن له خاصية التدين سوى الإنسان، وباعتبار أيضاً أن قوام الأخلاق الحسنة هو التدين من خلال الإحساس العميق بالله - تعالى - وخشيته ومراقبته في كل حركة أو معاملة.

وأياً كانت هذه التعريفات مع تعددها أو تنوعها، فإنه تجمعها صفة واحدة، وهي أن الأخلاق تقوم على قيم محددة تصوغ عقل الإنسان وتكيف نفسيته، وبالتالي تحدد سلوكه. ومن هنا كان الاهتمام بالمناخ أو القيم التي تسود أي مجتمع، لأنها هي التي تصوغ فكر أفراد وتحدد سلوكهم. وأنه كلما ارتفعت واستقرت هذه القيم في عقول ونفوس أفراد كل مجتمع، كلما ارتفع وتقدم هذا المجتمع وساده السلام والسعادة. والعكس صحيح كلما غابت أو هبطت هذه القيم، كلما ساد الفساد والتخلف في المجتمع وحكم على نفسه بالانهيار والضياع.

ومن هنا كانت رسالات السماء، وجهود المفكرين العظماء على مدى التاريخ، في إزالة العقبات وتصويب المسارات والتوعية الرشيدة بالقيم الرفيعة، وصولاً إلى أمن الإنسان وراحته.

أما مصطلح (الاقتصاد) فيختلف باختلاف كل مجتمع، فهناك الاقتصاد الرأسمالي الذي يوجه النشاط الاقتصادي وفقاً لأصوله من حيث

ولقد عبر عن ذلك بعضهم بقوله: «إن الرجل الأبيض -يعنى الأوروبي والأمريكى- قد انتهى، لا لأنه فرغ من العلم والتقدم المادى، ولكنه انتهى لأنه فرغ من الإيمان والمثل». كما كان البعض الآخر أكثر صراحة وتحديدًا بقوله: «إن حضارة الغرب قد رفعت الإنسان إلى القمر، بينما هى غائصة إلى ركبتيهما فى الأوحال». ويضيف البعض: «إن البشرية اليوم لفى أشد الحاجة إلى الأخلاق والإحساس بالله - تعالى - وخشيته للخروج من أزماتها». وصدق الله - العظيم -:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ (٣)

وقوله تعالى:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (٤)

وصدق الله العظيم:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٥).

ثالثا - الأصول الاقتصادية التى انفرد بها الإسلام لضمان حسن الأخلاق

ما سبق كلمة موجزة عن الرابطة الوثيقة بين كل من (الأخلاق) و(الاقتصاد)، وأن كلا منهما يؤثر ويتأثر بالآخر، بحيث لا قوام لأحدهما بدون الآخر، وأن قوام الأخلاق الرفيعة هو التدين من خلال الإحساس بالله تعالى وخشيته والتوكل عليه.

وخلاصة القول أن (الأخلاق) لا تستغنى عن (الاقتصاد)، كما أن (الاقتصاد) لا يستغنى عن الأخلاق، فكلاهما يكمل الآخر.

وعليه فإنه، إذ صح أنه لا أخلاق بدون اقتصاد سليم يقوم على كفاية الإنتاج، وتكافؤ التبادل، وعدالة التوزيع، وترشيد الاستهلاك.. فإنه أيضا لا اقتصاد ولا تنمية بدون صحة الأخلاق وصدق المعاملة.

لقد تواترت الأحداث، وكشفت العصور الماضية عن عجز مختلف المذاهب والنظم الوضعية فى أن تحقق للمجتمعات البشرية أمنها وسعادتها. ولقد عاصرنا اضطراب دول وشعوب عالمنا المعاصر، بين المذهب الفردى ممثلا فى الرأسمالية بمختلف درجاتها، وبين المذهب الجماعى ممثلا فى الاشتراكية بمختلف أنواعها، وتوزعت بينهما فى العديد من النظم الاقتصادية التى تبين عجزها عن أن تحمل مسئولية التوجيه والعطاء.

ولقد ثبت أن السبب الرئيسى لفشل مختلف النظم الوضعية، هو إغفالها العنصر الأخلاقى أو بعبارة أخرى الجانب الروحى فى الإنسان، متصورة أن الإنسان مادة فحسب. فقامت مختلف النظم الوضعية على أساس البعد الواحد، وهو بعد المادة والإشباع الاستهلاكى، ناسية أو متناسية البعد الأخلاقى أو الروحى مما أفقد الإنسان توازنه وسكينته.

(٤) طه (١٢٣).

(٣) الحشر (١٩).

(٥) فاطر (١٥).



إنه حين طالب الإسلام الناس بالعبادة وذكر الله، علله في القرآن بقوله تعالى :

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٦).

فأساس العبادة في الإسلام والسبيل إليها، هو تأمين الناس في حياتهم المعيشية، حتى إن سيدنا موسى - عليه السلام - حين دعا الله - تعالى - :

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٧).

قرنه بقوله تعالى :

﴿كُنْ سَمِيعًا كَثِيرًا ۖ وَنَذِّرْكَ كَثِيرًا﴾ (٨).

ومن هنا تأكيدنا بأنه لا قيمة لحضارة متقدمة أو تقنية متفوقة بدون أخلاق ومثل وارتباط بالله وخشيته - تعالى - وإلا فإن هذه الحضارة وتلك التكنولوجيا، ستصبح بدون صمام أمان، وبالتالي لا بد أن تطفئ وتنتهي إلى أن تكون عنصر فساد وتدمير. كذلك لا غنى لمثل طيب وتطلعات روحية أو تعبدية، عن الاقتصاد وتعمير الكون، وإلا فإن هذه الأخلاقيات ستصبح بدون عناصر بقائها واستمرارها، وبالتالي لا بد أن تضعف وتضمحل.

وبذلك ننتقل إلى النقطة أو المسألة الأخيرة والهامة من دراستنا، وهي بيان بعض الأصول الاقتصادية التي حرص الإسلام على تأكيدها أو بعبارة أدق انفراد بالدعوة إليها، ليتوصل بذلك إلى أخلاق طيبة وسلوك سليم.

(١) ولعل من أهم هذه الأصول والتي ينفرد بها الإسلام، هو مفهوم أن الإنسان هو خليفة الله في أرضه، بقوله تعالى :

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٩).

وقوله تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (١٠).

وأنه بحكم هذه الخلافة كلف الإنسان بإعمار الأرض بالخير المادى والمعنوى من أجل خير البشرية جمعاء، بقوله تعالى :

﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (١١).

أى كلفكم بعمارتها. ويلخص الرسول ﷺ حقيقة الدنيا ورسالة الإنسان فيها بقوله : «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون» (١٢)، وقوله ﷺ : «ما عبد الله بمثل عمل صالح» وفي رواية أخرى «ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين» (١٣).

(٧) طه (٢٥، ٢٦).

(٩) البقرة (٣٠).

(١١) هود (٦١).

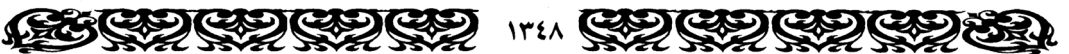
(١٢) سنن الدارقطني، والجامع الصغير للسيوطي.

(٦) قريش (٤، ٣).

(٨) طه (٣٣، ٣٤).

(١٠) الأنعام (١٦٥).

(١٢) أخرجه مسلم.



ولعل الإسلام باعتباره خاتم الأديان، هو الوحيد بين كافة الأديان و المذاهب ومختلف النظم الوضعية، الذى يجيب بكل وضوح وإقناع، على ذلك السؤال الأزلى الذى تاهت فيه الأفهام وتعددت فيه المذاهب وضلت فيه المسالك، وهو: لماذا خلقنا أو إلى أين.

(٢) هذا ومن أهم هذه الأصول الاقتصادية والتى ينفرد بها الإسلام أيضا، مفهوم أن المال مال الله والبشر مستخلفون فيه. بمعنى أن كل ما بيد البشر من مال، هو ملك لله أصلا بقوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (١٤).

فهو تعالى المالك الحقيقى للمال باعتباره تعالى خالقه وهو واهبه ورازقه، وأن البشر مستخلفون فيه بقوله تعالى:

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ (١٥).

وقوله تعالى:

﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (١٦).

وأنه بالتالى لا يجوز للبعض دون الآخر أن يستأثر بهذا المال، لقوله تعالى:

﴿وَعَاثُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِى ءَاتٰكُمْ﴾ (١٧).

وقوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتٰهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١٨).

وعليه فإن اختصاص البعض بالمال، هو فى الإسلام ليس امتلاكا كما تصور خطأ البعض، وإنما هو أمانة ومسئولية يلتزم فيها بتعاليم الإسلام بقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (١٩).

وهى مسئولية يحاسب عليها بقوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٢٠).

وفى تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ (٢١).

يقول الإمام الزمخشري فى تفسيره الكشف الجزء الثانى ص ٤٣٤: «يعنى أن الأموال التى فى أيديكم، إنما هى أموال الله بخلقه وإنشائه، وإنما مولكم إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها، فليست هى أموالكم فى الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب، فأنفقوا منها فى سبيل الله... .. وليهن عليكم الإنفاق منها، كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره».

ويروى المؤرخ الخطيب فى مؤلفه تاريخ بغداد: «أن أبا حنيفة كان يجمع ربح التجارة عنده من سنة

(١٥) الحديد (٧).

(١٧) النور (٣٣).

(١٩) المؤمنون (٨).

(٢١) الحديد (٧).

(١٤) النجم (٣١).

(١٦) البقرة (٢٥٤).

(١٨) آل عمران (٨٠).

(٢٠) التكاثر (٨).

ج- وهو لا يستطيع أن يعيش عيشة مترفة،
وإلا اعتبر بنص القرآن مجرماً، بقوله تعالى :

﴿وَأَتَّبِعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا
أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٢٤).

د - وهو مطالب دائماً بأن ينفق كل ما زاد عن
حاجته في سبيل الله سواء في صورة إنفاق مباشر
على المحتاجين أو في صورة استثمارات تعود
بالنفع على المجتمع، بقوله تعالى :

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (٢٥).
وقوله تعالى :

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْنَاهُ﴾ (٢٦).

(٤) كذلك انفرد الإسلام دون سائر المذاهب
والنظم الوضعية، بأنه لا يسمح بالثروة والغنى إلا
بعد القضاء على الفقر والحاجة من خلال ضمان
(حد الكفاية) لا مجرد (حد الكفاف) لكل فرد،
أي ضمان المستوى اللائق للمعيشة بحسب ظروف
الزمان والمكان، والواجب توافره لكل مواطن يعيش
في مجتمع إسلامي، أي كانت ديانته وأيما كانت
جنسيته، أي بوصفه إنساناً وباعتبار ذلك حق الله
الذي يعلو فوق كل الحقوق. وهو يوفره لنفسه
بجهده وعمله، فإذا عجز عن ذلك لسبب خارج
عن إرادته كمرض أو شيخوخة، انتقلت مسؤولية

إلى سنة، ثم يشتري بها حوائج الشيوخ والمحتاجين
من الكسوة والقوت وغيره، ثم يدفع إليهم باقى
الدنانير من الأرباح ويقول: أنفقوا في حوائجكم، ولا
تحمّدوا إلا الله - تعالى - فإننى ما أعطيتكم من مالى
شيئاً، ولكنه من فضل الله على.

(٣) كذلك يتميز الإسلام عن سائر المذاهب
والنظم الوضعية، في نظريته، وموقفه بالنسبة
للملكية الفردية، فهو لا ينكرها شأن النظم
الاشتراكية، كما أنه لا يطلقها شأن النظم
الرأسمالية. وإنما هو يقيدها بعدة قيود، ليس
فحسب كالعادة والمعروف من حيث اكتسابها
ومجالاتها، وإنما أساساً من حيث استعمالها مما لا
يُجد له مثيلاً في أى من التشريعات الوضعية،
وبحسب يحيلها الإسلام فعلاً وفقاً لرؤياه، إلى أمانة
ومسئولية ومجرد وظيفة شرعية، ومن قبيل ذلك :
أ - أنه لا يجوز للمسلم أن يكتنز ماله أو
يحبسّه عن التداول والإنتاج، وإلا حق عليه
عذاب أليم، بقوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَكْتَنِرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٢).

ب- وهو لا يملك أن يصرف ماله على غير
مقتضى العقل، وإلا اعتبر بنص القرآن سفيهاً
وحق الحجر عليه، بقوله تعالى :

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ (٢٣)

(٢٢) التوبة (٣٤).

(٢٥) البقرة (١٩٥).

(٢٤) هود (١١٦).

(٢٦) آل عمران (٩٢).

ذلك إلى بيت مال المسلمين أى خزانة الدولة .
وذلك إعمالا لقوله تعالى :

﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٢٧).

وقول الرسول ﷺ : « من ترك مالا فلاهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فالى وعلى » (٢٨)، وفى رواية أخرى : « من ترك كلا فليأتنى فأنا مولاه » أى من ترك ذرية ضعيفة فليأتنى بصفتى الدولة فأنا مسئول عنه كفىل به .

وقد روى أبو يوسف فى كتابه الخراج ص ١٥ وكذا أبو عبيد فى كتابه الأموال ص ٤٦ ، كيف أن الخليفة عمر بن الخطاب دهش حين رأى شيخاً يتكفف الناس فسأله : من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودى ، فسأله : وما الجأك إلى هذا ؟ قال : الجزية والحاجة والسن ، فأمر عمر بطرح جزيته وأن يعان من الزكاة باعتباره مسكيناً ! وأرسل إلى خازن بيت المال بقوله : « انظر إلى هذا وضربائه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم » . كما يروى البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان ص ١٢٥ ، كيف مر الخليفة عمر بن الخطاب وهو بأرض الشام على قوم مرضى معزومين لا حول ولا قوة لهم ، فأمر أن يعطوا من الزكاة وأن يجرى عليهم الطعام بانتظام أيا كانت ديانتهم . فضمان (حد الكفاية) لكل فرد ، هو فى الإسلام أمر مقدس باعتباره حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق ، وإن فى إنكاره أو إغفاله تكذيب للدين بقوله تعالى :

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِى يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْيَسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾ (٢٩).

ولذلك لم يكتف الإسلام بتأكيد حق كل إنسان فى مستوى لائق للمعيشة مما نعبر عنه بضمان حد الكفاية لا مجرد حد الكفاف ، وإنما أنشأ لذلك ولأول مرة فى التاريخ الإنسانى ، مؤسسة مستقلة بأموالها وعمالها والمستحقين فيها ، ألا وهى مؤسسة الزكاة التى هى مؤسسة الإسلام لمواجهة مشكلة الفقر وتحقيق الضمان الاجتماعى . وكما هو معروف إذا لم تكف أموال الزكاة بمقاديرها المحددة أى نسبة ٢.٥٪ من رأس المال بالنسبة للأموال المنقولة كعروض التجارة ، وما بين ١.٥٪ من الدخل بالنسبة للأموال الثابتة كالأراضى الزراعية والعمارات المستغلة وكسب العمل ونسبة ٢.٥٪ من الركاى كالبترول ، فإن للحاكم أن يوظف كل أموال الأغنياء بقدر ما يكفى الفقراء والمحتاجين . وفى هذا المعنى يقول الخليفة الرابع سيدنا على بن أبى طالب : « إن الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم » [انظر ابن حزم فى الجزء السادس من كتابه المحلى ص ٢٢١] ، ويقول الإمام الماوردى فى كتابه الأحكام السلطانية ص ١٢٢ : « فيدفع إلى الفقير والمسكين من الزكاة ما يخرج به من اسم الفقر والمسكنة إلى أدنى مراتب الغنى » . كما يقول : « تقدير العطاء معتبر بالكفاية » . ويقول الإمام السرخسى فى الجزء الثالث من كتابه المبسوط ص ١٨ : « وعلى الإمام أن يتقى الله فى صرف الأموال فى المصارف ، فلا يدع فقيراً إلا أعطاه من الصدقات - أى الزكاة - حتى يغنيه وعيانه ، وإن احتاج بعض المسلمين وليس فى بيت المال من الصدقات شىء ، أعطى الإمام ما يحتاجون إليه من بيت المال » .

(٢٨) أخرجه البخارى ومسلم .

(٢٧) الذاريات (١٩) .

(٢٩) الماعون (٣:١) .

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (٣٠).

بمعنى أنه لا يجوز أن يكون المال متداولاً بين فئة قليلة من الناس أو دول معينة، بل يجب أن يعم الخير الجميع.

وإذا كان الناس يتفاوتون في كفايتهم وفي مقدار ما يبذلون من جهد، فإنه من الطبيعي أن يتفاوتوا في مقدار ما يحصلونه من دخل ويكونونه من ثروة، فالتفاوت في الدخل والثروات هو مما يقره الإسلام باعتباره أمراً طبيعياً تبعاً لاختلاف المواهب والقدرات، وباعتباره أيضاً حافزاً على الجهد والعمل إذ لو حصل كل الأفراد على دخول متساوية أو متقاربة لما غنى أحدهم بإتقان عمله أو زيادة جهده. كما أن التفاوت والتنوع في الدخل والثروات على المستوى الإقليمي أو العالمى، هو أمر ضرورى للتعارف والتعاون، وصدق الله العظيم:

﴿ يَتَأَيَّمُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (٣١).

إلا أن التفاوت في الثروة والدخول، الذى يسمح به الإسلام، هو التفاوت المنضبط أو المتوازن أى بالقدر الذى على المستوى الفردى يحفز على العمل والإتقان، وعلى المستوى الإقليمى أو العالمى يحقق التكامل لا التناقض والتعاون لا الصراع. وبعبارة أخرى بالقدر الذى لا يكون فيه التفاوت فاحشاً بما يخل بالتوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع ودول العالم ويمحى تماسكها، وإلا تعين شرعاً على الحاكم أو ولى الأمر التدخل لإعادة هذا التوازن عند افتقاده. والأمثلة على ذلك عديدة ومعروفة سواء فى عهد الرسول ﷺ أو فى عهد الخلفاء الراشدين.

والواقع أن مشكلة الاقتصاد الوطنى فى المرتبة الأولى هى فى اختلال التوازن فى توزيع الثروات والدخول بين

ومن هنا جرى المثل العربى: «صيانة النفس فى كفايتها». كما أوضح الفقهاء القدامى وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية، سبب اهتمام الإسلام بضمان حد الكفاية لكل فرد فى المجتمع من خلال مؤسسة الزكاة، بأنه لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الأخلاق إذا لم يطمئن الفرد فى حياته ويشعر أن المجتمع الإسلامى يقف معه ويؤمنه عند العجز أو الحاجة، حتى إن الإمام ابن حزم فى الجزء السادس من كتابه المحلى المسألة رقم ٧٢٥ يقرر أن للجائع عند الضرورة أن يقاتل من يمنعه حقه فى الطعام الزائد عن غيره: «فإن قتل الجائع فعلى قاتله القصاص، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله ولا دية له لأنه منع حقاً وهو طائفة باغية». وكلنا يذكر مقولة الخليفة الأول أبوبكر الصديق: «والله لأقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة»، وللإمام الشافعى عبارة فقهية دقيقة مشهورة عنه بقوله: «إن للفقراء أحقية استحقاق فى مال الغنى، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير». وذهب الفقيه أحمد بن على الدلجى فى كتابه الفلاكه والمفلوكين أى الفقر والفقراء ص ١٦ إلى أبعد من ذلك بقوله: «إن من حق المحروم أن يرى النعم التى بأيدي الناس مغصوبة، والمالك المستحق يطالب باسترداد ماله من أيدي الغاصبين».

(٥) كذلك انفرد الإسلام دون سائر المذاهب والنظم الوضعية، على تحقيق التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع ودول العالم، وذلك إعمالاً لقوله تعالى:

أفراد المجتمع. كما أن مشكلة الاقتصاد العالمى اليوم، هى فى الفجوة المتزايدة بين الدول الغنية المتقدمة وبين الدول الفقيرة النامية. ولا يستهدف حالياً أى تغيير أو إصلاح أو أى نظام اقتصادى جديد، سوى فى المرتبة الأولى تحقيق التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع على المستوى المحلى، وتحقيق التوازن الاقتصادى بين دول العالم على المستوى العالمى. الأمر الذى نبه إليه الإسلام منذ خمسة عشر قرناً بقوله تعالى:

﴿ كُنْ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (٣٢).

بمعنى ألا يكون المال متداولاً بين فئة قليلة تستأثر به دون غيرها سواء كان ذلك على مستوى أفراد المجتمع أم على مستوى دول العالم، الأمر الذى يؤدى إلى تهميش الأغلبية وسلبيتها أو إلى اغترابها وإثارة حقدّها وثورتها وكافة المساوىء.

خاتمة:

كل ما تقدم هو بعض الأصول الاقتصادية التى انفرد بها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، وذلك لضمان تحقيق حسن السلوك ومكارم الأخلاق، باعتبار ذلك هو غاية الغايات والمستهدف من كافة صور العبادة ومختلف أركان العقيدة الإسلامية. ذلك أن الله - تعالى - غنى عن عباده، والمراد من مختلف أحكام الإسلام سواء كانت عبادات أم معاملات، هو نفع الخلق أنفسهم لتستقيم بهم الحياة الدنيا، فلا يعانون فيها، باعتبارها فى حقيقتها وكما كشف عنه لنا الإسلام (دار اختبار وابتلاء). وصدق الله العظيم:

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٣٣).

وقوله تعالى:

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٤).

وقوله تعالى:

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَدِمَآؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ (٣٥).

وقوله تعالى:

﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقْتُمْ ﴾ (٣٦).

والتقوى فى الإسلام هى جماع الأخلاق الإسلامية، ذلك أنها بنصوص القرآن تشمل كافة القيم الرفيعة من إيمان وعمل وعدل، وخدمة الناس وابتغاء وجه الله - تعالى - ومراعاته وخشيته والتوكل عليه فى كل ما نقوم به من عمل أو نباشره من نشاط، حتى إنه كما أوضحنا بكتابنا (ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية) يتميز بل ينفرد الاقتصاد الإسلامى دون سائر المذاهب والنظم الاقتصادية باعتباره (التقوى) أحد عناصر الإنتاج بل أهمها وأن عايداً هو البركة بقوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٣٧).

وصدق الله العظيم

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٣٨). نسأله تعالى السداد والتوفيق.

(٣٥) الحج (٣٧).

(٣٤) النساء (١١٤).

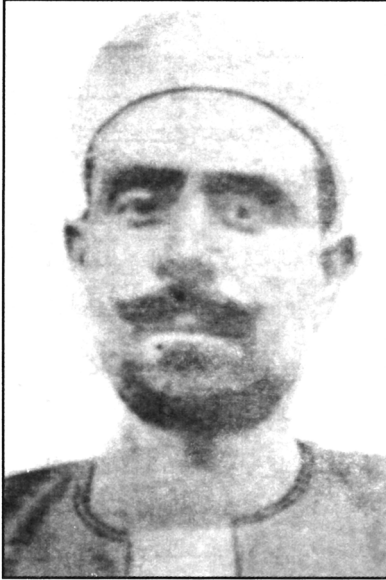
(٣٣) فاطر (١٥).

(٣٢) الحشر (٧).

(٣٨) الرعد (١١).

(٣٧) الأعراف (٩٦).

(٣٦) الحجرات (١٢).



بين

علي عبد الرزاق

و

الخير حسين

قضية وكتابان



لأستاذ الدكتور / محمد عمارة



بَيْضٌ كِتَابُ الْإِسْلَامِ وَأُصُولِ الْحُكْمِ

تأليف

للميد

عبد المحضر حنين

أحد مدرسي جامع الزيتونة وقضاة المحاكم الشرعية
بتونس سابقاً

القاهرة

١٣٤٤

المطبعة النشائية - فمكة
انصافاً جديداً : محباً للعلم والحق والعدل

الْإِسْلَامُ وَأُصُولُ الْحُكْمِ

بحث في

الخلافة الإسلامية وأصول الحكم

تأليف

على عبد الرزاق

من خريجي الأزهر وقضاة المحاكم الشرعية

« الطبعة الثالثة »

سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م

« حقوق الطبع محفوظة »

طبعة مصر شركة دار المعارف

وإذا كان كتاب « الإسلام وأصول الحكم » قد ذهب في تشويه صورة « الخلافة » الإسلامية تاريخياً، إلى حد الافتراء الذي جعلها قهراً مسلحاً واستبداداً بالأمر، من دون الأمة، باسم الله فإن كتاب الشيخ الخضر قد برئ من « رد الفعل » الذي يبيض وجه هذه الخلافة دائماً، حتى ولو كان ذلك بالزور والبهتان... بل إن الرجل لا يرغب في إدارة المعركة حول اسم النظام وعنوانه.. فالدولة الإسلامية هي المطلب.. وليست « الخلافة » هي الشكل الوحيد ولا الاسم المفرد لهذه الدولة الإسلامية.. وفارق بين أن ننتقد تراثنا في نظم الحكم لنقترب من مقاصد الإسلام في « الدولة الإسلامية » وبين أن يكون هذا النقد سبيلاً إلى التخلي عن شروط « أسلمة الدولة » وتجريد الإسلام من شرعه ومدخله في السياسة وتنظيم المجتمعات..





جمهور أهل العلم في شروط الخليفة أن يكون بالغاً في العلم رتبة الاجتهاد، وأن يكون ذا رأى وخبرة بتدبير الحرب والسلم، وأن يكون شجاعاً لا يرهب الموت الزؤام فما دونه، وأن يكون عادلاً لاتأخذه في الحق لومة لائم. وتعرف مزية العدل باختبار سيرته فيما كان يتولاه من أعمال قبل منصب الخلافة أو بما تدل عليه التجارب والمشاهدة الطويلة من استقامته وشرف همته وإنكاره ما يفعل الظالمون بغيرة وحماسة»^(٤).

وليست صحيحة ولا دقيقة ولا صادقة تلك الصورة الشوهاء التي عممها صاحب «الإسلام وأصول الحكم» على مجمل نظام الخلافة الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي.. «فلقد أتى عليها حين من الدهر وهي لا تنتضى حسامها ولا تلمع بإنذارها وويعيدها إلا في وجه عدو يتربص بالمؤمنين الدوائر، أو تائر عصفت به ريح الأهواء وماله من أولى الألباب ولي ولا عاذر. وأدركها زمن بعدت فيه عن حقيقتها، فخلطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وربما كان إثمها في بعض الأحيان أكبر من نفعها»^(٥) فالتعميم في تصوير الخلافة بصورة «القهر المستبد باسم الله» غريب على المنهج العلمي في دراسة التاريخ.

أما الصورة العثمانية للخلافة، والتي أتاح لأعداء «الدولة الإسلامية» تشويه صورة

«فلم يدع أحد قط أن صلاح شأن الرعية وصيانة شعائر الدين مربوطان باسم الخلافة، وأن لقب الخليفة كالرقية النافعة، يذهب بها كل بأس، أو الدعوة المستجابة، ينزل عندها كل خير، والذي نعلمه ويعلمه أشباه العامة من المسلمين أن الخلافة لا تريك آثارها وتمنحك ثمارها من منعة وعزة وعدالة إلا إذا سارت على سنة العزم في الأمور والحكمة في السياسة»^(١).

وإذا كان العصر الحديث قد ألح ويلح على إعلاء مكانة الأمة في تسيير شئون الدولة والمجتمع، فليس هناك، في نهج الإسلام السياسى، ما يعارض هذا الاتجاه.. بل إن هذا هو نهج الإسلام الأصيل في هذا الباب «فالقوة المشروعة للخليفة لا تزيد على القوة التي يملكها رئيس دولة دستورية، وانتخابه في الواقع إنما كان لأجل مسمى وهو مدة إقامته قاعدة الشورى على وجهها، وبذله الجهد في حراسة حقوق الأمة، وعدم وقوفه في سبيل حريتها...»^(٢) وشكل بعض الحكومات القائمة على خليفة ووزراء ومجلس نيابى يجرى انتخابه تحت ظلال الحرية التامة لا يخالف الشكل الملائم للخلافة الحقيقية بحال»^(٣) بل لقد ذهب الإسلام السياسى في شروط الخليفة إلى الحد الذى يجعل من دولته «الواقع» القريب من «مثال» «المدينة الفاضلة»!.. فلقد «قرر

(١) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٩٠ من طبعة الأصل].

(٢) الباب الأول من الكتاب الأول [ص ١٣ من طبعة الأصل].

(٣) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٤ من طبعة الأصل].

(٤) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٢ من طبعة الأصل].

(٥) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٦٤ من طبعة الأصل].



تحدثوا عن «وحدة» الدين والدولة، مقابل دعوى «الفصل» بينهما!.. لكن هذا الموقع.. موقع رد الفعل» الغريب عن روح الإسلام وجوهره.. لم يكن هو الموقع الفكري للشيخ الخضر عندما نقض كتاب الشيخ على عبد الرازق.. فهو قد تبنى موقف علماء الكلام المسلمين، من مختلف تيارات فكر أهل السنة، الذين قرروا أن «الخلافة - الإمامة - الدولة» ليست من أصول الدين ولا أركانه ولا عقائده، وأنها من الفروع.. ومن ثم فلا حجة لمن يدعى «علمانية الإسلام» بسبب خلو القرآن من الآيات التي تنص على «الخلافة - الإمامة - الدولة» فمكان الفروع، ليس بالضرورة هو القرآن الكريم.. واستمرارا لهذا النهج الإسلامي العريق قال الشيخ الخضر: «إن الخلافة ليست من نوع العقائد...»^(٨) وبحثها يرجع إلى النظر في حكم علمي لا في عقيدة من عقائد الدين. ومما يترتب على الفرق بين الأحكام العملية والعقائد أن الأحكام العملية يكتفى فيها بالأدلة المفيدة ظنا راجحا، وأما العقائد فإنها لا تقوم إلا على براهين قاطعة.. فلا غضاضة على حكم الخلافة إذ لم يرد به قرآن يتلى، إذ ليست الخلافة زائدة على إمارة عامة تحرس شعائر الدين وتسوس الناس على طريق العدل، ولم يكن وجه المصلحة من إقامة هذه الإمارة بالخفى الذي يحتاج إلى أن يأتي به قرآن صريح.. فالقرآن لم يصرح بحكم الإمارة العامة اكتفاء بما بثه في تعاليمه من

الخلافة، بإطلاق وتعميم، فإن الإسلام السياسي حجة عليها وعلى سلاطينها، وليست هي بالحجة على هذا الإسلام!.. «ولو أن المتأخرين من سلاطين آل عثمان أعطوا للخلافة شيئا من حقوقها، وراعوا ما أمر الله به من وسائل استقامتها لما انفرط عقد هذه الممالك الإسلامية وأصبحت كل قطعة منها تحت سلطة أجنبية تستبد عليها في حكمها وتنصرف في رقاب شعوبها وأموالهم كيف تشاء»^(٦).

لكن المرض لا يبرر الإعدام.. والفساد لا يستدعي اليأس من الإصلاح.. فإذا.. كانت الخلافة الإسلامية لا تعدو: «الدولة الإسلامية الجامعة»، «فليس إصلاح شأنها..» «إذا فسد».. وإعادةتها إلى سيرتها المثلى ممن يغارون على مصلحة الشرق واتحاد شعوبه ببعيد»^(٧)!

هذا عن الخلافة في التاريخ..

لقد كانت الفكرة الجوهريّة والمحورية لكتاب «الإسلام وأصول الحكم» هي دعوى أن الإسلام دين لا دولة، ورسالة لا حكومة، وبما بعد ما بينه وبين السياسة وتنظيم المجتمعات!..

وبعض الذين تصدوا لنقد هذا الكتاب بلغوا في معاداة هذه الدعوى مبلغ «رد الفعل»، حتى لقد بدت في أقوالهم رائحة تصور الحكومة الإسلامية «حكومة دينية» تشبه تلك التي عرفتها أوروبا حاكمة «بالحق الإلهي».. ذلك أنهم

(٦) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٧ من طبعة الأصل].

(٧) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٦٤ من طبعة الأصل].

(٨) الباب الثاني من الكتاب الأول [ص ٣٣ من طبعة الأصل].





صراط سوى لتحرى فيما ينطق به عن المسلمين أقوالهم المطابقة. وهم لم يقولوا إن ولاية الخليفة عامة ومطلقة كولاية الله، فإن الله يفعل ما يشاء فيمن يشاء، ولا يسأل عما يفعل، والخليفة مقيد بقانون الشريعة، ومسئول عن سائر أعماله. وكذلك رسول الله ﷺ^(٩).

وفى صراحة وحسم يقرر الشيخ الخضر أن الأمة الإسلامية هي مصدر السلطات التي فوضت بعضها منها للخليفة والإمام، فلا علاقة لطبيعة سلطاته بتلك التي زعمتها الكهانة والدولة الدينية للأباطرة والملوك الذين جعلوا سلطانهم مستمدا من الله.. لقد زعموا نيابتهم عن الله.. بينما الخليفة الإسلامي نائب عن الأمة ووكيل عنها.. «ولم نعر على كلمة» - فى فكر علماء الإسلام «تنبىء - ولو بطريق التلويح.. أن سلطان الخليفة مستمد من سلطان الله، وقصارى ما يستنتج من كلماتهم عنها ومباحثهم فيها أن الله أوجب على الناس إقامة إمام، وأن ولايته تنعقد إما بمبايعة أهل الحل والعقد أو بعهد من الخليفة قبله، وأنه إذا سعى فى السياسة فسادا كان للأمة انتزاع زمام الأمر من يده ووضعه فى يد من هو أشد حزما وأقوم سبيلا..»^(١٠).

فالإسلام يوجب «الدولة الإسلامية» التى تسوس الناس بشريعته، وتحفظ بيضته.. وفى ذات الوقت ينكر مزاعم القائلين بسلطان إلهى لرأس هذه الدولة..

الأصول التى تبينها السنة ويرجع إليها الراسخون فى العلم عند الحاجة إلى الاستنباط، ولأن الأمر بإطاعة أولى الأمر عبرة لأولى الألباب..! (٩) فإذا استدل علماء الإسلام على وجوب «الخلافة - الإمامة - الدولة الإسلامية» بضرورتها، لأن ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق الجامع ولا يزعهم عن الباطل وازع، يفضى إلى تبدد الجماعة، وإضاعة الدين، وانتهاك حرمة الأموال والنفوس والأعراض، فإنهم - «بهذا الاستدلال» - إنما يطبقون قاعدة شرعية، وهى قاعدة «الضرر يزال» أو قاعدة «ما لا يتم الواجب المطلق إلا به وكان مقدورا، فهو واجب..»^(١٠).

ومن هذا الموقع الفكرى، الذى يرى وجوب «الدولة الإسلامية» - وليس أى دولة - دون أن تكون هذه الدولة عقيدة من عقائد الدين أو ركنا من أركانه - أنكر الشيخ الخضر إسلامية الصورة التى صور بها الشيخ على عبدالرازق الخليفة المسلم، ورفض ما قاله صاحب «الإسلام وأصول الحكم» عن طبيعة سلطات الخليفة فى الإسلام.. لقد قال على عبدالرازق عن الخليفة: «إن ولايته عامة ومطلقة، كولاية الله - تعالى - ورسوله الكريم».. وعلق الخضر على هذه العبارة فقال: «إنها من مبالغاته التى تضع للخلافة فى نفوس المستضعفين من الناس صورة مكروهة، ولو كان المؤلف «على عبد الرزاق» يمشى فى بحثه على

(٩) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٧٤، ٧٥ من طبعة الأصل].

(١٠) الباب الثانى من الكتاب الأول [ص ٢٦ من طبعة الأصل].

(١١) الباب الأول من الكتاب الأول [ص ١٠ من طبعة الأصل].

(١٢) الباب الأول من الكتاب الأول [ص ١٤ من طبعة الأصل].





الشرق أو الغرب، من المسلمين أو من غيرهم ، فإن الشيخ الخضر يتحدث عن ولاية الرسول، رافضا أن تقتصر على القلوب دون الأجسام .

وهي دعوى على عبدالرازق - ويقول: «إن النظر يقضى بأن الولاية على القلوب لا تكفى فى صيانة الحقوق وحفظ النفوس والأموال والأعراض، وأنه لابد من ولاية يكون شأنها تنفيذ قوانين المعاملات والعقوبات فيمن يطغى به الهوى أو يتخبطه الغضب وإن كان من المؤمنين . فولاية الرسول ﷺ، كانت على القلوب ثم على الأجسام، وكانت ولاية هداية وتدبير لصالح الحياة، وكانت رئاسة دينية وسياسية وكلاهما من عند الله، ولا بعد بين السياسة والدين إلا فى نظر قوم لا يكادون يفقهون حديثا^(١٧) . لقد كان الرسول الأعظم مظهر السلطة التشريعية، ومصدر السلطة التنفيذية، فالحكمة تجرى على لسانه، ودم النفوس الحبيثة يجرى على سنان، يرسل الموعظة الحسنة تحت مثار النقع، ويسن القانون العادل وهو يقاتل وحوشا غابها الرماح، ولقد كان فى تشريعه الحكيم أو عزمه النافذ عبرة لأولى الألباب^(١٨) .

فلا هي «العلمانية» التى تفصل «الدين» عن «الدولة» ولا هي «الكهانة» والدولة الدينية - والحكم بالحق الإلهي - ونياية الحاكم عن الله .. وإنما هي الدولة «المدنية» الحاكمة والمحكومة بشريعة الإسلام .. وبعبارة الشيخ الخضر: «إن شارع الإسلام يقصد إلى أن يكون للمسلمين دولة ذات صبغة دينية^(١٣) .. ورياسة غير منفصلة عن الدين .. وإمارة مرتبطة بالدين^(١٤) .. فالإسلام دين وشريعة وسياسة، وعلى الدولة أن تضع سياستها فى صبغة إسلامية^(١٥) .. لأن الإسلام عقيدة وشريعة ونظام اجتماعي، فهو بالنظر إلى أصول العقائد التى هي باب الإيمان به، إنما يدعى إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، إذ لا يمكن لبشر أن يدخل فى قلب بشر عقيدة إلا أن يقرنها بما يثبتها فى النفس من برهان أو إقناع . وأما الشرائع والنظم الاجتماعية، فإن التجربة فى القديم والحديث، دلت على أنها لا تقوم فى أمة ولا يطردها نفاذها إلا أن تكون شدة البأس بجانبها والسيوف من ورائها . فلا بد للإسلام من دولة ذات شوكة لتقوم على إجراء هذه الشرائع والنظم وتحول بينها وبين قوم لا يبصرون ..»^(١٦) .

وإذا كانت دعوى صاحب «الإسلام وأصول الحكم» أن الرسول ﷺ كان «مبلغا» فقط ، لم يكلف «بالتنفيذ» هي دعوى متهافة لم يقلها قبله قائل، من

(١٣) الباب الأول من الكتاب الثالث [ص ٩٧ من طبعة الأصل].

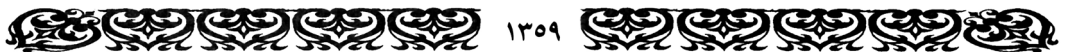
(١٤) الباب الثاني من الكتاب الثالث [ص ٢٢١ من طبعة الأصل].

(١٥) الباب الثالث من الكتاب الثالث [ص ٢٤٤ من طبعة الأصل].

(١٦) الباب الثاني من الكتاب الثاني [ص ١٤٣ من طبعة الأصل].

(١٧) الباب الثالث من الكتاب الثاني [ص ١٦٧، ١٦٨ من طبعة الأصل].

(١٨) الباب الأول من الكتاب الثاني [ص ١١٢ من طبعة الأصل].



قصة العدد

إِسْلَامُ بَغْيٍ (*)

لِلْإِسْلَامِ / محمود غنيم

إعداد الشيخ / علي هادي عبد الرزيم

ولكن الفتى لم يذهب، بل وقف جامداً لا يريم، كأنما سمر في مكانه، ثم قال في همس: أنت يا «فتنة»؟ أنت يا «فتنة» سبقتني إلى الإسلام؟

حدق الفتى «ورقة» في وجه الفتاة فإذا علامات الجد والصراحة، وإذا أمارات الحشمة والوقار، وإذا ما كان يبدو من جسد الفتاة كاس مستتر، وإذا صوتها المتكسر عميق متزن النبرات نفاذ إلى أعماق القلوب، وإذا الفتاة خلق جديد، لا يتصل حاضره بماضيه بوشيجة من الوشائج، وإذا هي في ثوب الوقار الذي ارتدته أجمل منها في ثوب الخلاعة الذي نضته.

حدق الفتى ورقة في وجه الفتاة، فلم يرعه منها اليوم ما كان يروعه منها بالأمس، لم يرعه

- إلى يا فتى، إلى يا فتى.

- إليك عنى أيتها الفتاة البغي، أين ما ذهبت أريده مما تدعينني إليه؟ إنني ذاهب إلى حيث أغسل نفسي من أضرار الوثنية وأدرانها، وأقطع ما بيني وبين الجاهلية من أسباب، إنني ذاهب لأصل حبالي بحبال محمد بن عبد الله.

- رويدك يافتى، إن كنت تعنى الإسلام فقد سبقتك إليه، وما دعوتك - يعلم الله - لريبة، فقد قطعت ما بيني وبين الريب، وطهرت نفسي من أدران الوثنية قبل أن تفعل، وخلصت من آثام الجاهلية منذ علقت حبالي بحبال ابن أمانة الزहर، اذهب إليه - إن شئت - في دار ابن أبي الأرقم بجوار الصفا عن يسارك حيث يختبئ هو وأصحابه الأطهار فيقيمون شعائر دينهم خفية خيفة أشرار قريش.

(*) مجلة الثقافة ٢٨/١/١٩٤١.



ولم لا يفعل؟ أليس ربيب القديس المتحنت ورقة ابن نوفل؟ ربيب الطاهرة البتول خديجة زوجة الرسول؟ ثم ماذا؟ ثم هو يذكر أن أمه «تماضر» كادت تقع في يوم من الأيام فريسة بين أيدي هؤلاء الطغام، لقد كانت تماضر أمه أمة عبدالله بن جدعان نفسه صاحب فتنة، عبدالله بن جدعان حامل لواء الدعارة في مكة، والذي تدار باسمه عدة دور للبغاء، والذي لم تمنعه مزاوله هذه المهنة الوضيعة أن يكون من أجواد العرب، له في قریش مكان مرموق، وله في دار ندوتهم صوت مسموع، ذلك هو عبدالله بن جدعان التيمى ابن عم خديجة زوجة الرسول، وابن عم أبى بكر حواری الرسول.

كان الفتى يعزف عن النساء، ويعاف تلك التجارة النكراء كلما ذكر أن أمه كادت تكون إحدى هؤلاء الساقطات، لقد استقدمها ابن جدعان من تخوم لحیان لم تتجاوز أربعة عشر ربيعاً، وأرادها على احترام البغاء، واعتد لها منزلاً علق عليه الراية البيضاء^(١)، واعتد لهذا المنزل ما يثير النشوة في نفوس المترددين عليه من صبوح وغبوق، وما هو إلا أن تصل الفتاة فيتسامع بها مجان قریش، فيهرع إليها فريق منهم على رأسه أبو سفيان بن حرب، غير أن الفتاة الغريبة لم تانس بتلك الوجوه الغريبة، ولم ترشح إلى تلك الشوارب المسبلة واللحي المدلاة، وجعلت تنفرس في القوم بعين زائغة، ونفس واجمة، وصدر منقبض، وما هو إلا أن يدنو منها أبو سفيان حتى ترى - دون أن تعي - يديها

قدها المشقوق، أو شعرها الأثيث الفاحم، أو عيناها الدعجوان، لم ترعه مفاتن جسمها التي كانت تنم عنها ثيابها، وإنما راعه بريق يشع من عيني الفتاة، ونور يتألق من جبينها، وروح غريبة تشيع في جسمها، وما كان له عهد بذلك من قبل.

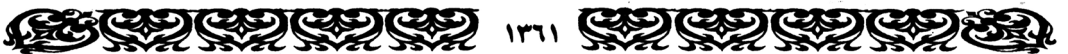
عجباً! أهذه فتنة، أمة «ابن جدعان» التي كانت تتقلب كل يوم بين ذراعين جديدتين، وتستبدل كل ليلة رفيقاً برفيق؟ ما هذه المعجزة التي جعلت من هذا الماخور محراباً، ومن تلك الشقية الداعرة إنسانة لها قدس الملائكة، وطهر القديسات؟

كان الفتى في ربيع حياته، يتدفق دم الشباب حاراً في عروقه، ولكنه كان عزوفاً عن النساء، لا يألف كما يألف غيره من شباب مكة التردد على دور البغايا، وإن دورهن لكثيرة تنبث في أنحاء مكة عن كذب من المسجد الحرام، وإن هذا النوع من تجارة الرقيق الأبيض لنفاق في ذلك البلد الأمين أي نفاق ليس في مزاولته عار كبير.

وماذا يرى القوم في هذه التجارة غير أنها منبع من منابع الثروة يستغله كثير من عليتهم؟ أليس من هؤلاء النخاسين «زمنة بن الأسود»؟ أليس منهم «صفوان بن أمية»؟ أليس منهم «العاص بن وائل»؟. أليس كل هؤلاء وغير هؤلاء يزاولون تلك التجارة النكراء، فلا يرون فيها. ما يندى له الجبين، أو يدعو العين إلى الإغضاء، أو إلى الإطراق؟

ولكن الفتى ورقة كان يعزف عن ذلك كله،

(١) كانت هذه شارة متواضعا عليها تعلق على بيوت المومسات.





تتعاورانه باللطم، وقدميها تحملانها وتسرعان
الخطا إلى حيث لا تعلم.

دق باب السيدة خديجة بنت خويلد في
الهزيع الأخير من الليل، فابتدره غلامها ميسرة،
فإذا تماضر أمة ابن جدعان آبقة من سيدها لاجئة
إلى سيدته، وإذا هي في حرز حصين يحول بينها
وبين العابثين. أمنت الفتاة على نفسها بعد أن
نُقد سيدها ثمنها من مال السيدة الخديجة، ثم
تزوجت زواجاً صالحاً أنجبت منه الفتى ورقة بن
العفيفة.



قال ورقة لفتنة: حديثني يا فتنة كيف وجد
الإسلام إلى قلبك سبيلاً، لقد كنت أظن أن
طرازك من النساء آخر من يصيخ إلى دعوة
محمد، ويستجيب لندائه.

أما تذكرك يوم كنت تتعرضين لمحمد وأتباعه
في الطريق بحركاتك الخليعة تارة، وبضحكاتك
الساخرة تارة أخرى؟ أما تذكرك شعرك الداعر،
وأناشيدك الفاجرة التي كنت تطليقيها في
وجوههم مقدمهم لكل صلاة ومنصرفهم منها؟

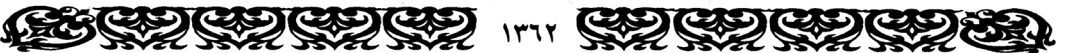
قالت الفتاة: أي وأيم الله، أذكر ذلك ولا
أنساه، لقد كان يغريني بذلك سفهاء قريش،
وعلى رأسهم أبو سفيان وعقبة بن أبي معيط،
وأبو الحكم بن هشام، طالما اجتمعوا تحت سقف
منزلي هذا وغنيتهم ما لقنوني إياه من هجاء
محمد وأصحاب محمد، وكم أطلقت هذا النداء
في وجوه القوم، غير أنني وأيم الله ما فهت به في
وجه رسول الله، وكم هممت ولم أفعل، لقد
كنت أعرض له في طريقه فتتخاذل ساقاي حتى

لا تكادا تحملاني، ويجمد لساني حتى لا يكاد
يبين، فيمضي هو لطيته، وأنصرف أنا خاسئة
أقتلع رجلي من الأرض اقتلاعاً.

وما هو إلا أن تتكرر غدوات الرسول وروحاته
على، حتى يسترعى انتباهي ما يشع في جبينه
من النور، وما تنم عنه قسماته من الطهر
والقداسة، فجعلت أوازن بين رسول الله وبين
أعداء الله الذين يترددون على منزلي، وما كنت
أعرف عن الإسلام إلا ما تلتوى به ألسنتهم، وما
تلغط به أفواههم، حتى علمت أن محمداً لا
يقول بالفحشاء، وأن دينه يحرم البغاء، علمت
أنه نصير المرأة، وأن دينه يقرر مصيرها، علمت
أنه يمقت الرق وأن دينه يتشوف إلى الحرية وقد
كنت برمت بهذا النوع من الحياة الذي أحياءه،
فجعلت أنظر إلى محمد بغير العين التي أنظر بها
إلى تلك الذئاب البشرية. أدركت أنه هو المنقذ
الاعظم، وأن خلاصي لن يكون إلا على يديه.

قالت الفتاة: وبينما أنا ذات يوم جالسة أفكر
في أمر محمد إذا بالباب يدق، فابتدرته، فإذا
عدو الله عقبة بن أبي ربيعة دخل عليّ سادراً في
خيلائه، ضاحكاً ملء فيه، فقلت: ما الخبر؟ قال:
أصببت ابن أبي قحافة يخطب، فانتضيت نعلي
فأدميت بها شفتيه، ثم تركته يزيل ما علق بثيابه
من آثار الدماء.

قالت الفتاة: فثار الدم في عروقي حاراً،
وسمعتني أهتف بكلام لا أدري أين كان معينه
من نفسي، ثم قلت: اخرج يا عدو الله وآليت
لأعطرن فضل ردائي بدم الصديق، ولأمسحن عن
شفتيه الطاهرتين، ولأعلنن له إسلامي... وقد
فعلت.





قريش، لا لتنبئه مرآشفها كما تعود من قبل، بل لتعمل يديها في قذاله صفعاً، وأظفارها في وجهه خمشاً!

سالت دماء طاغية قريش على ثيابه، وارتج على لسانه فلم يحرقولاً، وبهت فلم يستطع عن نفسه دفاعاً، ففر يلتمس النجاة، وانهمز باطله أمام حق الفتاة.

لقد كانت فتنة آخر من يتوقع أن يهاجمه، وآخر من يتوقع أن ينتصر ل محمد، ولعله ما فعل ذلك إلا ابتغاء الزلفي إليها، وإلا إظهاراً لصلوته على فتى قريش أمامها، فكيف استباها محمد فأصبحت درعاً تقيه ونصلاً يذب عنه؟ ويح محمد ودعوة محمد! إنها تنفت سحر بابل في النفوس، وتخلف الظنون، وتأتي بما ليس في الحسبان.

فر أبو الحكم من وجه الفتاة، حتى إذا أصبح بنجوة منها وجد لسانه فقال: ويحك يا داعرة! ما كنت أعرف أن لك فيه هوى!

قالت الفتاة: صه يا عدو الله، أنه للطاهر الذيل، العف الإزار، وإن تراب نعليه لأطهر من هامتك، وإنه لسيد أهل الجنة، وإنك لأحقر من في النار.

وهكذا انصرف أبو جهل خاسئاً مدحوراً أمام فتاة لا تجيد امتشاق الحسام أو تسديد السهام. لكنه الحق أنطقها وأخرسه، وأحال ضعفها قوة وقوته ضعفاً وألبس الطاغية العملاق ريش النعام، والفتاة الناعمة لبدة الأسد الضرغام!

انصرف أبو جهل وما زال صدر الفتاة يعملو ويهبط، وعيناها تقدحان الشر، وإنها لواقفة تلهث من أثر العراك، إذا بها تبصر شبحاً يلوح من بعيد آتياً من جبل أبي قبيس. أمعنت النظر فإذا رجل ربعة، أسود العينين، عريض ما بين المنكبين، تجلله الهيبة والوقار، وقد تقلد سيفاً،

مضى الفتى ورقة لطيته، وظلت الفتاة واقفة بالبواب هنيهة، وإنها لكذلك إذ أحست خفق نعلين وهمس تسبيح يقطعان سكون الطريق، فدارت برأسها نحو مصدر الصوت، فإذا رسول الله يغذ السير كأنما ينحط من منحدر، متفضلاً في ملبسه، عليه ثوب أبيض قصير مشقوق القبة إلى رأس الفؤاد، قصير الذيل حتى لا يكاد زيله يتجاوز ركبتيه، يتمنطق بحزام من الكتان، وفوق ثوبه رداء واسع مسبل على كتفيه إلى ما فوق عقبيه، وعلى رأسه عمامة كثيرة الألفاف، وشعره مدلى على قذاله، وفي رجله نعل بقباليين.

رأت الفتاة رسول الله فلم تضحك ضحكاتها الساخرة، ولم تنشد أناشيدها الداعرة، بل أكبت على يديه الشريفتين تطرهما لثماً وتقبيلاً، وصاحت تجدد إسلامها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك يا ابن آمنة رسول الله، ورسول الله يبتسم لها في رقة، ويدعو لها بخير، ولكنه لا يكاد يوليها ظهره حتى تتناثر على سمعه الشريف قذائف من القذف والسباب، وعلى رأسه الطاهر قذائف أخرى من الروث والحصباء، هذا الصوت عدو الله أبي الحكم بن هشام (أبى جهل) ينال من الرسول، وهذه يده الآثمة تمتد إليه بالسوء. لقد ترسم خطواته، وعدا خلفه حتى أدركه في هذا المكان، ولكن رسول الله ينكب عنه جانبه، فلا يعيره أذناً أو يوجه إليه نظرة، بل يأخذ سمته إلى دار ابن أبي الأرقم بعد أن ينفذ أذنيه من ذلك الفحش والبذاء، ورأسه ماعلق به من الروث والحصباء.

أية قوة عارمة أثار الفتاة؟ وأية حرارة أغلت دمهـا في عروقها؟ وأى جبار شديد المراس تقمص جسم الفتاة اللدن فاندفعت - في غير شعور - إلى طاغية





وتوشح قوساً، واستظهر كنانتين، وقد اغبر وجهه من آثار الصيد ومطاردة الوحوش، وما إن تبينته الفتاة حتى صاحت بملء فيها: هذا أسد قریش، هذا حمزة بن عبدالمطلب.

اعترضت الفتاة طريق القادم، وأخذت بعنان فرسه فوقفته، ثم انطلقت تتكلم فى حماس، وكأنما كل جارحة من جوارحها فم يفصح، وكل عضلة من عضلات وجهها لسان يبين:

- ويحك يا أبا عمارة! من أين أقبلت؟ وكم أصميت من الأرناب والوعول! إنك لتطارد الوحوش فى البرية بسهامك، وابن أخيك هنا غرض تتعاوره السهام، واضيعة النجدة فيكم يا بني هاشم إذا كان بنو مخزوم يسومونكم الضيم والهوان! غضبوا أبصاركم، وألصقوا معاطسكم بالتراب، ما دمتم خذلتهم محمداً فأصبح يطمع فيه من لا يدفع عن نفسه، ويحك يا أبا عمارة لم تمتشق هذا السيف إن لم تدفع عن ابن أخيك؟ هب أنك علي غير دينه، ألك نسب غير نسبه؟ ألا يجرى فى عروقكما دم هاشم بن عبدمناف؟ أكان يرضى أخاك لو كان حياً أن يرى اللسنة البذيئة تتناول على ابنه بالسفاهة، والأيدى الذليلة تمتد إليه بالإيذاء؟ وماذا يجديك أن تكون أسد قریش وابن أخيك تنوشه ذئاب الحى وثعالبه؟ إذا كان الأمر يشق عليك فضع وزره عن كاهلك، والتمس السلامة والعافية، وكل عبء الدفاع عن ابن أخيك إلىّ، إلىّ أنا المرأة الضعيفة، حتى أنضح عنه، وأذود عنه الأذى كما فعلت اليوم مع أبى الحكم بن هشام.

أو تدري ما فعل أبو الحكم بن هشام؟

انطلق حمزة يهدر كالبعير، وصدره يغلى غليان المرجل، وما أجج الحماس فى صدور الرجال مثل كلام النساء.

انطلق حمزة: إلى الكعبة، لاليطوف بها كعادته مقدمه من كل سفر، بل ليثأر لابن أخيه من أبى الحكم بن هشام، حيث كان جالساً هناك مع فتية من بنى مخزوم، يقص عليهم حديثه من محمد وهم يضحكون ويطربون.

قال قائل منهم: هذا أبو عمارة قد أقبل، وإن فى عينيه لشرّاً، أتراه غضب لابن أخيه؟

قال أبو الحكم: دعوه فإنّه ينقم عليه، وإنه على غير دينه.

قال حمزة: كذبت يا عدو الله، بل أنا على دين محمد منذ اليوم، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وإن ابن أخى محمداً رسول الله، ثم أنحى على أبى جهل بقوسه فشج بها رأسه شجة منكرة أسالت منه الدماء.

استخذى أبو جهل أمام أسد قریش، واستخذى فتیان بنى مخزوم بادئ الأمر، حتى إذا رأوا دمائه وتثور الفتنة لولا إشارة من أبى جهل حسمت النزاع. تلتطخ ثيابه، هم بعضهم بامتشاق الحسام، وكان يتفاقم الخطب

وما أصبح الصباح حتى كان إسلام حمزة حديث أندية القوم، تردد صداه بطحاء مكة، وتصبه الأفواه فى الأذان، فيتقاعس كفار قریش، ويشتد أزر المسلمين وتدخل دعوة الإسلام فى دور جديد^(٢).

(٢) مصادر المقال: بعض كتب السيرة وبعض كتب التفسير، وباب القمر لإبراهيم رمزي، وحياة محمد لهيكل باشا، ومحمد، لتوفيق الحكيم.



﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(التوبة (٤١)

من قادة الفتوحات الإسلامية

عدى بن حاتم الطائى

إعداد الأستاذ / أحمد السيد فقي الدين

٢

وكما أفرزت حروب الردة قادة مبرزين أمثال: خالد بن الوليد، والقعقاع بن عمرو، وعاصم بن عمرو، وجريير بن عبد الله، والمثنى بن حارثة، أفرزت كذلك عدى بن حاتم الطائى، قائدا مقداما أعاد بنى طيء إلى صوابهم، وحفظهم للإسلام ذخرا، ومضى بهم مجاهدا في سبيل الله، بعد أن عقد له خالد بن الوليد لواءهم.

ابن عمرو التميمي، في حين كان عدى بن حاتم الطائى قائدا لميسرة الجيش فى سائر العمليات العسكرية بالعراق .

فعدى حتى ذلك التاريخ لم يكن صاحب إنجاز عسكري يذكر، ولكن خالدا أعجب بأسلوبه الذى يميل إلى تجنب سفك دماء

وكان مستغريا من خالد بن الوليد، وهو القائد المحنك أن يجعل عدى بن حاتم من كبار قادة جيشه فى عملياته العسكرية بالعراق، فعلى ميمنة الجيش كان عاصم بن عمرو التميمي، وعلى المقدمة كان المثنى بن حارثة الشيبانى، وفى القلب بجوار خالد كان القعقاع



المسلمين والحفاظ على وحدتهم وقوتهم والعمل
بقول الله - عز وجل -:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ مِنْ أَحْسَنِ أَنْ رَّبِّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١).

فهو نموذج للقائد الداعية الذي يجب أن
يكون في مقدمة الصفوف، ومن هنا كان سر
إعجاب خالد به

وخالد كان مدرسة في فن الحرب، حرص
على أن ينقل فنه وعلمه وتجربته إلى تلاميذه
وكان يسره أن يراهم يتخرجون في مدرسته
الحربية فرشحهم للقيادة، ومنحهم ثقته
وأتاح لهم الفرصة ليثبتوا حسن رأيه فيهم،
ومن هؤلاء كان عدى بن حاتم الطائي، الذي
وإن كان من المبرزين المشهورين كزعماء في
أقوامهم ولكنهم لم يشتهروا كقادة حرب
حتى أظهرهم أولا تمكن الإسلام في نفوسهم،
 وخبرة معلم عسكري من طراز فريد مثل
خالد بن الوليد ثانيا.

ولم يخيب عدى بن حاتم الطائي ظن خالد
بن الوليد فيه في كل المعارك التي خاضها
بجواره على مدار عام كامل في عملياته
بالعراق اعتبارا من المحرم عام «١٢» للهجرة،

وحتى ١٥ من ذى القعدة للعام نفسه، ففي
هذه الفترة كان عدى هو البطل المبرز في كل
ما خاضه خالد من حروب في ذات السلاسل،
والمدار، والولجة، وأليس، وأمغيشيا، والمقر،
والخيرة، والأنبار، وعين التمر، ودومة الجندل،
وحصيد، والخنافس، والمصيخ، والثني،
والزميل، والفراض؟ ففي معركة المدار مثلا
والتي وقعت في غرة صفر أبلى عدى بن حاتم
البلاء كله عندما تمكن من قتل أحد أبرز قادة
جيش الإمبراطورية الفارسية «قباذ» قائد
ميمنة الفرس (٢).

وعندما يقرر الخليفة الصديق أن الشام
أصبح في حاجة إلى جهود خالد بن الوليد
كتب إليه .. «.. أن سر بنصف الناس حتى
تأتى جموع المسلمين باليرموك، .. واستخلف
على العراق المثني بن حارثة في النصف
الباقى» (٣) وشرع خالد في تنفيذ تعليمات
الخليفة ولكنه اصطفى لنفسه الرجال المبرزين
وكان عدى بن حاتم في طليعة من تمسك بهم
خالد مما أثار حفيظة المثني فتنازل له خالد
عن بعض رجاله ولكنه أبى إلا أن يصحب
عديا معه إلى الشام.

وفي الشام أبدى عديا من ضروب الشجاعة
والبسالة ما كان مضرب الأمثال، في كل

(٢) الطبري، أحداث عام ١٢ هـ.

(١) النحل ١٢٥.

(٣) الطبري، أحداث عام ١٢ هـ.



إذ غدروا» فقال عدى: «حسبى يا أمير المؤمنين حسبى»^(٥).

وينظر أمير المؤمنين إلى عدى بن حاتم ويكرر مقولته: «والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب»، وكان عدى فى طليعة من وقع اختيار الخليفة عمر بن الخطاب عليهم ليغيث بهم المثنى.

وينضوى عدى بن حاتم مع قومه من بنى طيء تحت لواء جرير بن عبدالله البجلي الذى بلغ العراق فانضم إليه المثنى، وعند «دير هند»^(٦) كان اللقاء فى مواجهة جحافل الفرس، وأبلى عدى بن حاتم فى هذا اللقاء البلاء كله بعد أن تضعضعت صفوف جيش المسلمين فى مواجهة فيلة الفرس، وثبت القادة العظام جرير، والمثنى، وعدى يجوبون صفوف المسلمين يحرضونهم على القتال، وصاح عدى يحض أهل الميسرة بقوله: «قاتلوهم التماس إحدى الحسينيين. ولا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو منكم» ومثله فعل جرير والمثنى.

فتداعى المسلمون وتحاضوا وثاب من كان انهزم، ووقف الناس تحت راياتهم ثم زحفوا

الوقائع التى خاضها تحت إمرة خالد بن الوليد.

غير أن الوضع فى العراق أصبح سيئاً إذ بعد رحيل خالد ورجاله تخرج موقف المثنى فى العراق فى مواجهة الفرس الذين ألقوا بقضيمهم وقضيضهم لاستعادة العراق، فكتب المثنى إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة يسأله المدد، وبذل الخليفة كل ما استطاع من جهد فى حشد الناس لنجدة المثنى، وقال قولته المشهورة: «والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب»^(٤).

ويذهب عدى بن حاتم إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - محملاً بالغنائم من حروب الشام، وكان أمير المؤمنين مهموماً يفكر فى المثنى ورجاله بالعراق.

فلما قدم عدى على أمير المؤمنين كأنه رأى منه شيئاً أو جفاء فقال: «يا أمير المؤمنين.. ما أظنك تعرفنى» فقال عمر: «كيف لا أعرفك! أكرمك الله بأحسن المعرفة، وأول صدقة بيضت وجه أصحاب رسول الله ﷺ صدقة طيء، أعرفك والله، آمنت إذ كفروا، وأقبلت إذا أدبروا، ووفيت

(٤) الطبرى، أحداث عام ١٣ هـ.

(٥) اسناده صحيح، ورواه أحمد (٤٥/١)، ومسلم (١٩٥٧/٤)، والبخارى (١٠٢/٨)، وابن الأثير فى أسد الغابة (٣/٣٩٢)، وابن عبد البر فى الاستيعاب (٣/١٤٢).

(٦) مكان قرب الحيرة بنته أم عمرو بن هند، على طريق النجف ويسمى (دير هند الكبرى)، وفى الحيرة كذلك (دير هند الصغرى) وبنته هند بنت النعمان بن المنذر (الأخبار الطوال) ص ١١٤.



« رأيت اثنتين: الظعينة، وكنت في أول خيل أغارت على كنوز كسرى، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة »^(٩) وتنساب الدموع غزيرة من عيني عدى، وهو يسمع سعد بن أبي وقاص وهو يكبر ويتلو قول الله - عز وجل - :

﴿ كَذَرْتُمْ كُوايْنِ جَنَّتِ وَيُؤْنِرُ ۖ وَرُزُّوعٌ وَمَقَامٌ كَرِيمٌ ۖ وَنَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَنَكَيْهِنَّ ۖ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمَاءَ آخَرِينَ ۖ ﴾^(١٠) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۖ ﴾^(١١).

ومضى عدى بن حاتم الطائي مجاهدا في سبيل الله لا يبغى إلا وجهه ورضوانه .

ومما يخكى عن عدى بن حاتم الطائي أنه لما سكن الكوفة أرسل إليه الأشعث بن قيس يستعير منه قدور حاتم الطائي، فملاها له عدى، وحملها الرجال إليه، فأرسل إليه الأشعث بن قيس: « إنما أردناها فارغة! » فأرسل إليه عدى: « إنا لا نعيها فارغة »^(١٢).

وكان رضى. الله عنه يفت الخبز للنمل ويقول: « إنهن جارات ولهن حق »^(١٣).

وقيل إنه توفي وقد ناهز المائة وعشرين عاما. رضى الله عنه وأرضاه .

فحمل المسلمون على العجم حملة صدقوا الله فيها فأحرزوا النصر المبين وولى الفرس الأدبار منهزمين .

ولكن الفرس أعادوا تنظيم جموعهم من جديد فأرسل الخليفة جيشا جديدا بقيادة سعد ابن أبي وقاص، وجعله قائدا على فتوحات العراق، وفارس^(٧).

ومع سعد بن أبي وقاص شهد عدى بن حاتم الطائي مجد الإسلام ليس كشاهد عليه فقط بل وصانع له - بإذن الله - اندحرت جيوش الفرس فى القادسية، وسقطت الحيرة والمدائن، ووقف عدى أمام إيوان كسرى وكان أول من بلغه من المسلمين. وقف عدى يتذكر قول رسول الله ﷺ: « ليوشكن أن تسمع بالظعينة تخرج من القادسية على بعيها حتى تزور هذا البيت « مكة » لا تخاف . ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز . . وليفيضن المال حتى يهم الرجل من يقبل صدقته »^(٨).

وقف عدى أمام إيوان كسرى تخنق العبرات كلماته الفرحة بنصر الله وتأييده وصدق وعد رسوله ووقف عدى يقول:

(٨) ابن هشام (٢١٢/٤).

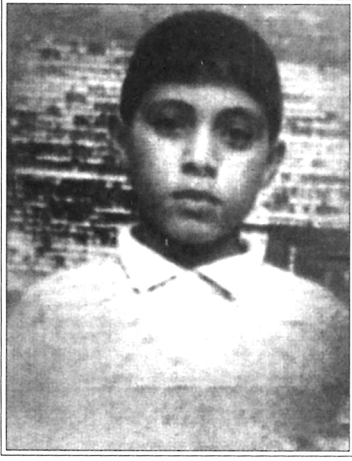
(٧) الأخبار الطوال ص ١١٤، ١١٥.

(٩) ابن عبد البر، الاستيعاب (١٤٢/٣)، أسد الغابة (٣٩٣/٣).

(١٠) سورة الدخان، آية (٢٥): (٢٩).

(١١) ابن عبد البر، الاستيعاب (١٤٢/٣)، أسد الغابة (٣٩٣/٣).

(١٢) ابن عبد البر، الاستيعاب (١٤٢/٣)، أسد الغابة (٣٩٣/٣).



الشَّهِيدُ

لِلأستاذ الدكتور / صابر عبد السلام (*)

إلى الشهيد الطفل محمد الدرة
وإلى كل شهيد عطر بدمه الطهور أرض الإسراء والمعراج

صعدودا... إلى سُدرة المنتهى

فإن السلام السراب... انتهى!!

دمائك طوفان عزمٍ ومدٍ	وملحمة الثأر أشعلتها
وكفأك للشمس مرفوعتان	وراياتك الخضراء أعليتها
وأشعلت فينا... فتيل الجهاد	وكل الخافوف بددتها
دم القدس يجري... بأصلا بنا	ومن دمك الحر رويتها
وما قتلوك... وما صلبوك	وإن الأمانة... ما خنتها
رفعت الجهاد... لنا رايته	بوشم فلسطين شكّلتها
نقشت عليها حروف الكفاح	وعمرك... ملحمة صُفّت بها

(*) وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق



صعدودا.. إلى سدره المنتهى

فإن السلام السراب... انتهى!!

ويقتل فينا رؤى عشتها	وصهيون يسرق تاريخنا
يرانا دُمى... أدمنت صمتها	نهرول... نعدو... إلى غاصبٍ
ولكنهم... مزقوا صوتها	وتصله خيل الجدود ضحى
تفور... وترشقهم مقتها	بمرج الزهور... دماء العصور
ولكنهم أعلنوا موتها	فلسطين قصة أمجادنا
وهل تنفع الآن... ياليتها؟	فياليت كانت... ياليت كنا...
ومن دمك الحر أحييتها	دفنا تواريخنا جهرة
وإن القضية... ما خنتها	وما قتلوك... وما صلبوك
وكل السرايب فتشتها!!!	فهل تطلق الآن أسرارها؟
وكل الملفات فجرتها!!!	وهل تجمع الآن أشلاءها؟



رفضت زمان الهزيمة فاب
وعش فى صدور الألى ... يرفضون
وعش فى الحقول جذور إباء
وسر فى الشرايين ... نهر حياة
وفى الأفق ... أُلح أنشودة
«أخى جاوز الظالمون المدى»^(١)
فأطلق خيولك من أسرها
«وجرد حسامك من غمده»
إليها «محمد» أسرى ... ومنها
وبورك فيها ... وما حولها
«وجاسوا خلال الديار ببأس»
أنتركهم يغصبون السلام ...
فقم يا شهيد السلام ... وأسرج
تغير صباحا ... وتعدو صباحا
فما قتلوك ... وما صلبوك
فعش فى الحقول جذور إباء
وسر فى الشرايين نهر حياة
دم القدس يجرى بأصلابنا

بدأ حياتك ... إذ أنت حررتها
حياة الهوان التى عفتها
بأرض القداصات ألقيتها
من التيه والوهم ... أيقظتها
وكم أنت للقدس غنيته
وإن السلام الذبيح انتهى!
وأنقذ مرابع ... شيدتها
لُحْيَ أرضاً ... محوا سمتها
عروجا ... إلى سدرة المنتهى
وسراقها ... شوها ذاتها!!
وهم يعلنون.. لنا موتها
وأرضاً ... يعدون تابوتها؟!
خيولا ... إلى القدس وجَّهتها!
وأنت إلى الفتح ... قد قُدتها
وإن القضية ... ما خُنتها
بأرض القداصات ألقيتها
من التيه والوهم أيقظتها
ومن دمك الحر رَوَّيتَها

(١) من قصيدة أنشودة فلسطين للشاعر - على محمود طه.

من العلوم أن الصهيونية هي حركة سياسية وحدثت تربة مناسبة لنموها في «الجيتوات» حيث يعيش اليهود في عزلة في بلاد الشتات، وقد رفضت الاندماج اليهودي في المحيط الإنساني الذي ولد فيه اليهود، ونشأوا به بهدف لم شمل الراغبين منهم، في الهجرة، في أرض الميعاد. ويزعم الصهيوونيون السياسيون أن المسألة اليهودية هي مشكلة الفاض السكاني اليهودي غير القادر على الاندماج في دول الشتات، ولا يمكن حل هذه المسألة اليهودية إلا بأن يصبح اليهود شعبا مثل كل الشعوب، ولن يتيسر ذلك إلا بتهجير اليهود إلى فلسطين ليعيشوا في وطن يهودي تحكمه دولة صهيونية ولقد ظهرت أول دعوة إلى القومية اليهودية أو الصهيونية السياسية في عام ١٨٣٤ عندما أفتى الحاخام (يهودا الكلاي) «بإقامة مستوطنة يهودية في

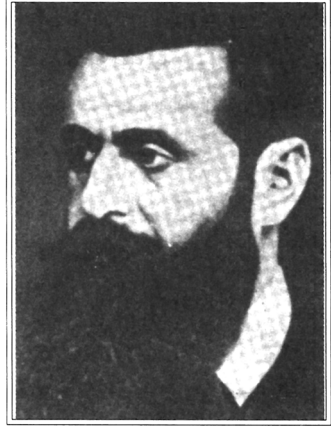
فلسطين، فقد أصدر كتيباً في نفس العام بعنوان «اسمعوا يا بني إسرائيل» قال فيه: «إن التمهيد الضروري للخلاص، والعودة يتمثل في إقامة مستوطنات يهودية على أرض فلسطين».



روزفلت



بلفور



هرتزيل

اليهودى، فشعارها « أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة (توراة) إسرائيل » ومن رواد الصهيونية السياسية نذكر الحاخام « كاليشر » والحاخام الروسى الصهيونى « صمويل موهيلفر »، والكاتب الروسى الصهيونى « جاكوب كلاتزكين »، و« نوردو » وفكرة العودة إلى فلسطين هى الفكرة المحورية للحركة الصهيونية، وقد ظل حلم العودة إلى أرض الميعاد يراود اليهود فى المنفى، وتحطمت على صخرته حركة التنوير، أو حركة اندماج اليهود فى المجتمعات الأخرى التى يعيشون فيها، وصارت الصهيونية ردا جذريا ضد حركة التنوير « الهسكلية »^(١).

ولقد قدمت الصهيونية نفسها باعتبارها الحل الأمثل « للمسألة اليهودية »، والمنقذ من اضطهاد يهود العالم، فالاضطهاد الذى كان يتعرض له اليهود فى المجتمعات الأوروبية لم يواجهه، من قبل اليهود، بالتمرد عليه، بل بإخلاء هذه المجتمعات منهم بتهجيرهم

إن فكرة القومية اليهودية أو الصهيونية السياسية كانت فى ذلك الوقت فكرة طارئة تماما على التاريخ اليهودى، ولم يكن لها أى مقومات قبل عصر نهضة القوميات فى أوروبا، ولكنها أرادت أن تتركب الموجة العامة لنهوض القوميات، إلا أن الصهيونية كانت مختلفة تماما عن الدعوات القومية. فالقوميات التى ظهرت فى تلك الفترة كانت تناضل من أجل السيادة السياسية فوق أرض صلبة تقف عليها بالفعل، ولها لغة خاصة بها تتحدثها بالفعل، أما الصهيونية فعند قيامها، كانت بلا أرض، وبلا لغة خاصة تتكلم بها. ولأنها بلا أرض فقد شغل فكرها منذ البداية فكرة الاستيطان، أو إقامة المستوطنات فى أرض غير أوروبية وهى أرض فلسطين، وعلى الرغم من علمانية الصهيونية السياسية، فقد رأى الصهيونيون السياسيون أنها ستضرب بسهم وافر فى إحكام قبضة القيم الدينية على الوجدان

(١) حسن محمد مى، رؤية دينية للدولة الإسرائيلية ص ١٤.

رأسهم في بلاد الشتات، والعودة إلى أرض الميعاد، بينما تقوم المنظمة الصهيونية العالمية على دعم الوحدة اليهودية بين يهود الشتات ويهود إسرائيل، دونما أى مراعاة للحدود الوطنية لدول الشتات، وجاء ميثاق هذه المنظمة ليحدد مهامها فى: «لم شمل المنفيين اليهود فى أرض إسرائيل التاريخية، ودعم وحدة الشعب اليهودى»^(٤).

وعن الصهيونيين البارزين الذين كان لهم دور حيوى فى تاريخ الصهيونية وأسهموا فى إرساء فكرها يتحدث «الفريد ليننتال» فى كتابه «ماذا تساوى إسرائيل» فيقول: «إن دعاة الصهيونية الأوائل كانوا ثلاثة: هم «موسى هيس» الذى يادر بتقديم أول عرض للصهيونية فى كتابه «روما والقدس» عام ١٨٦٢، وبعد ذلك بعشرين عاما أصدر المفكر الثانى للصهيونية «ليوبنسكى» كتابه: «التحرر الذاتى» الذى رأى فيه أن اليهود يشكلون عنصرا فريدا يصعب اندماجه وذويانه فى مجتمعات الشتات التى يعيشون فيها»^(٥). ويأتى المفكر الصهيونى الثالث «هرتزل» «أبو الصهيونية السياسية» ليقدم كتابه: «الدولة اليهودية» الذى دعا فيه إلى إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، وبذلك حلت حركة سياسية هى الصهيونية محل المسيح المنتظر فى إعادة اليهود إلى أرض الميعاد. وقد أكد «ناحوم سوكلوف» فى كتابه «تاريخ الصهيونية» عام ١٩١٩ أن «الدولة اليهودية» لم تكن فى برنامج الصهيونية، بل إن اللورد «بلفور» نفسه

خارج أوروبا، لأن الحل يتمثل فى خلق «جيتو» أكبر، وأشد عزلة يسمى «الدولة اليهودية»^(٦). ولا ينتهى تاريخ الصهيونية بإقامة «دولة يهودية» فى أرض الميعاد، فمنذ أيام هرتزل «مؤسس الصهيونية السياسية» تعتبر إقامة هذه الدولة فى فلسطين أحد المطالب الصريحة أو الضمنية للحركة الصهيونية، فبسبب اضطهاد اليهود فى أوروبا أصبحت الدولة اليهودية المستقلة أحد الشروط الضرورية لبلوغ الهدف الثانى للصهيونية، وهو تجميع يهود الشتات فى أرض الميعاد، ولذلك لم يجر حل جميع المؤسسات الصهيونية الرئيسية عقب قيام «دولة إسرائيل»، وبات ينظر إليها فى علاقتها بشعار العودة لكل يهود العالم إلى «أرض الميعاد»، وبذلك استمرت المنظمة اليهودية العالمية، والوكالة اليهودية، والصندوق القومى اليهودى فى أداء مهام حيوية داخل إسرائيل ليس بوصفها «دولة فى طور التكوين» بل كتعبير، وأداة للأيدولوجية الصهيونية فيما يتصل بالدولة^(٧). وهذا يؤكد ديمومة الصهيونية فى أداء دورها الحيوى فى حشد المزيد من يهود العالم داخل الكيان الصهيونى الذى صنعتته الصهيونية بيدها لزيادة الكثافة اليهودية لتعزيز الصلة بين الحركة الصهيونية أرض الميعاد المدعى بها زورا وبطلانا.

وقد أصدرت الدولة الصهيونية العديد من القوانين، وأقامت الكثير من الهيئات المختلفة لترجمة مفهوم الشعب اليهودى إلى واقع قائم وملمس، وجاء قانون العودة مانحا يهود العالم الحق فى مغادرة مسقط

(٢) سالكسندر شوكش، وآخرون، الفلسطينيون عبر الخط الأخضر ص ١٣، ١٤.

(٣) نفس المرجع السابق ص ٤٩، ٥٠.

(٤) عبدالوهاب محمد المسيرى، الأيدولوجية الصهيونية، عالم المعرفة، عدد يونيو/ يوليو ١٩٨٨، ص ١٨٨.

(٥) سامى محمد عبد الحميد، القدس فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص ١٨.

الذى أصدر وعده المشهور فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧، فسر عبارة «وطن قومى» التى وردت ضمن نص الوعد بأنها مركز روحى ثقافى، لهذا فقد كان المفهوم هو أن تكون فلسطين ملاذا لحماية اليهود المضطهدين، لا أن تكون دولة يهودية يسيطر فيها شعب على شعب آخر^(٦). لكن الصهيونية استغلت مأساة اليهود فى بلاد الشتات لإنشاء دولة يهودية، رغم أن اليهود لم يكونوا وحدهم ضحايا الاضطهاد حيث نشأت مشكلة النازحين فى نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد نزحوا من دول شتى مثل النمسا، وألمانيا، وبولندا، والمجر، ورومانيا، ودول البلطيق، وكانوا من أتباع ديانات شتى حيث كان بينهم كما يقول ليلنتال: «نحو ٥٠٠ ألف كاثوليكى، و١٠٠ ألف بروتستانتى، و٢٢٦ ألف يهودى وكان الرئيس الأمريكى «روزفلت» يرى ضرورة إسهام كل دول العالم الحر فى استيعاب اللاجئين، لكن الوكالة اليهودية رفضت هذا الاقتراح لأنه لا يتفق مع حق اليهود فى الهجرة وإنشاء الدولة^(٧) وعن الوعد الإلهى الذى يتمسك به اليهود كسند لهم يرتكزون إليه لإقامة دولة لهم فى فلسطين، يأتى يهودى لامع يعرفه يهود اليوم هو الكاتب «يهو شوع» ليكتب عن الوعد الإلهى فيقول: «إن فكرة الوعد الإلهى بامتلاك فلسطين، فكرة لا يقبلها المنطق السليم إذ أنه من الغريب أن العلمانيين يستندون إلى هذا الوعد رغم عدم تطبيقهم تعاليم التوراة، وكأنهم يختارون ما يحلو لهم من هذه التعاليم، مع أن المبرر الدينى يفرض على من يستندون إليه أن يطبقوا الدين فى كل شىء، وفوق ذلك فإن الوعد الإلهى بأرض الميعاد المشار إليه فى التوراة لا يمكن أن يلزم إلا المؤمنين بالتوراة وليس له

معنى أخلاقى عند اتباع الأديان الأخرى، كما أن الاستناد إلى الوعد الإلهى لتأسيس الحق فى الأرض قد يكون له معنى عند الرجل المتدين لكنه يخلو من أى قيمة أخلاقية بالنسبة لليهودى غير المتدين، وليست له أى قيمة من باب أولى عند غير اليهود^(٨). وكفىنا فى مجال الحديث عن الوعد الإلهى بامتلاك اليهود لفلسطين ما قاله بصراحة أحد كبار معسكر الحمايم فى إسرائيل وهو من الكتاب اليهود البارزين وهو «يهو شوع» الذى أكد فيما سبق رفضه للوعد الإلهى بعد أن فنده من جميع الجوانب وأشار إلى أنه لا يعنى العرب من غير اليهود، وغير ملزم لهم، ولا يرتب أى حق لليهود فى فلسطين.

وعن الدولة اليهودية التى تحكمها الشريعة والتوراة يمكن تقسيم القوى الدينية إلى ثلاثة تيارات وفقا لموقفها من الصهيونية: —

التيار الأول: هو التيار الذى تمثله الأحزاب الصهيونية الدينية، إذ تتعايش أحزاب هذا التيار تماما فى إطار «دولة علمانية» تحكمها عقيدة علمانية هى الصهيونية القائمة على التوراة والشعب وأرض الميعاد «صهيون».

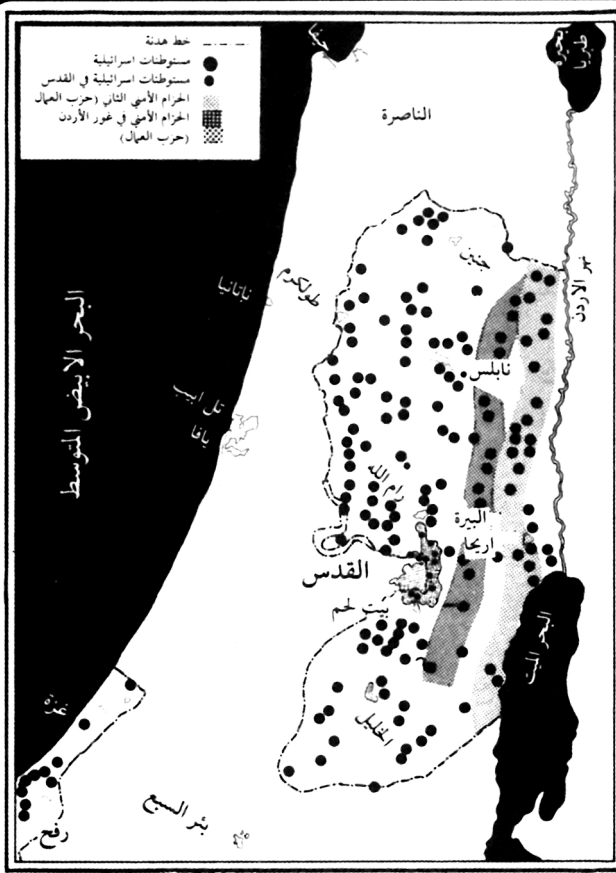
التيار الثانى: هو التيار الحريدى «الدينى المتحفظ» الذى يمثله الأحزاب الرافضة للصهيونية كعقيدة، ويؤمن أتباعه بأن الصهاينة قد تحدوا الرب بإقامة دولة إسرائيل لأن قدوم المسيح هو وحده الذى يمكن أن يقودهم إلى أرض الميعاد.

التيار الثالث: هو التيار الحريدى «الدينى المتعصب» المعادى للصهيونية، وأتباعه يرفضون

(٧) نفس المرجع السابق ص ٢٢.

(٦) نفس المرجع السابق ص ٢٢.

(٨) القدس فى اليهودية والمسيحية والإسلام، مرجع سابق ص ٢٨.



المستوطنات الإسرائيلية والأحزمة الأمنية في الضفة الغربية وقطاع غزة

فيقول: «إن الشعب اليهودي لم يخلق في فلسطين، وأن العلاقة المادية والأولية بين الشعب ووطنه ليست علاقة طبيعية، ومن هنا فإن الشتات اليهودي، كبقية صهر لليهود تسملت إلى أعماق الوجود اليهودي وأكثر من ذلك لقد أعطيت التوراة لهذا الشعب في الصحراء في منطقة وسط بين الشتات وفلسطين» وهذا القول الذي جاء على لسان يهودي بارز يؤكد أن فلسطين ليست وطن اليهود وأن بلاد الشتات «المنفى» هي وطنهم الأم.

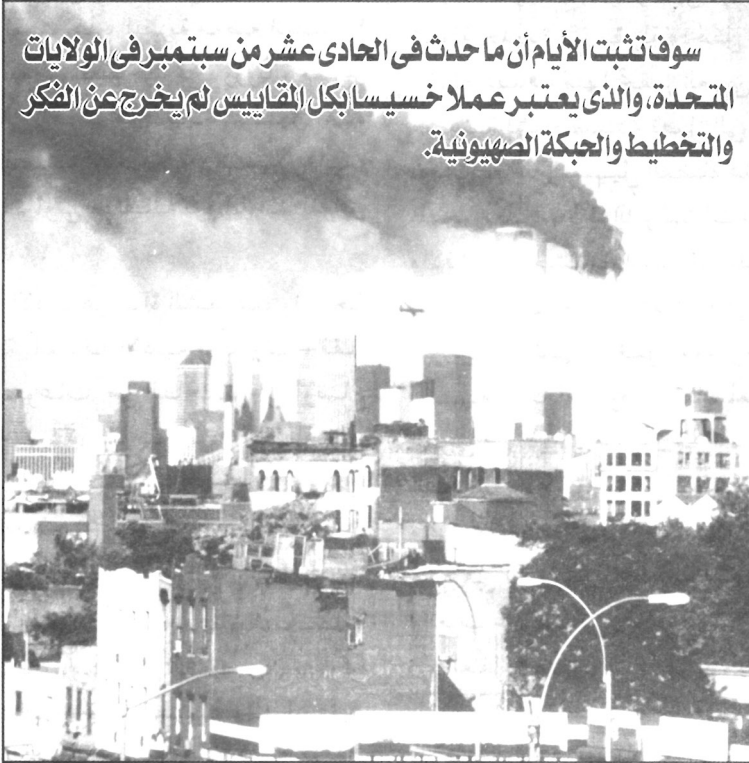
الاعتراف بوجود دولة إسرائيل، وأن العودة إلى صهيون «أرض الميعاد» لا يمكن أن يتحقق إلا بمجيء المسيح في آخر الزمان. وبذلك يتبين أن معظم التيارات الدينية في إسرائيل الآن ترفض الصهيونية كعقيدة سياسية ولا تعترف بوجود دولة إسرائيل لأنها من صنع البشر، ولم تنشأ بأمر إلهي على يد المسيح، من المنظور اليهودي، لذلك تمثل هذه التيارات الدينية المناوئة لدولة إسرائيل عقبة أمام الحزب الحاكم فيها، ودائما تحاول مثل هذه الأحزاب الحاكمة أن تخطب ودها لاحتوائها. وما يقال عن علاقة يهود الشتات بدولة أرض الميعاد (إسرائيل) وعلاقتهم بأوطان الشتات الذي يعيشون فيها نجد هنا «أن الشتات يعود إلى الصيغة الصهيونية الثقافية التي تنظر إلى إسرائيل بوصفها المركز الثقافي الروحي لليهودية الذي تعيش فيه الروح اليهودية خالصة، ولذلك تستخدم صهيونية الشتات مقياسين: الأول للحياة العلمانية العادية في المنفى،

والثاني للحياة المقدسة في أرض الميعاد، لذلك نجد كثيرا من اليهود الأمريكيين الذين يعيشون في بلد علماني ويدافعون عن فصل الدين عن الدولة يستنكرون - في الوقت ذاته - الحياة العلمانية في إسرائيل، والطابع غير اليهودي للدولة الصهيونية» أي أن صهيونية الشتات تأخذ شكلين أساسيين هما الضغط السياسي من أجل تشجيع الهجرة اليهودية إلى الكيان الصهيوني، وجمع الأموال لهذا التجمع الصهيوني بحيث لا يمتد ليشمل الاستيطان ويشير الكاتب اليهودي «يهوشوع» إلى طبيعة هذه العلاقة

الإرهاب الصهيوني في الأدب العبري

للدكتور / محمد حسن عبد الحالوق

سوف تثبت الأيام أن ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة، والذي يعتبر عملاً خسيساً بكل المقاييس لم يخرج عن الفكر والتخطيط والحكمة الصهيونية.





وقد تناول عديد من الأدباء الإشكناز والسفارد الشخصية العربية فى كتاباتهم لكن الأديب «موشيه سميلانسكى» قد انفرد بين هؤلاء بالتركيز على تناول عالم الإنسان العربى فى مجموعة من قصصه أوردها بالكامل للحديث عن هذا الإنسان العربى .

وقد أطلق أحد المفكرين الصهاينة مع مطلع الحركة الصهيونية مقولة: الأرض الفراغ. فقد قال (زينجويل): «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»

وعندما اكتشف العالم أجمع زيف هذه المقولة، خرجت علينا وسائل الإعلام الصهيونية بمقولة جديدة هى مقولة «الحقل المهجور» وهى مقولة الهدف منها تحقير العربى، ورسم صورة متدنية لشخصيته تصل إلى نزع الصفات الإنسانية عنه لتسهيل القضاء عليه، لأن الحقل المهجور ملئ بالأشواك والنباتات البرية والوحوش والأفاعى والحشرات السامة، والمهمة المطروحة على صاحب الحقل «العائد» هى مهمة شاقة تتطلب منه تطهير الحقل، وقد وجه الأدباء المادة الخصبة فيما أسموه «الحقل المهجور»، وظهر العربى فى الأدب العبرى الحديث يحمل صفات التخلف والمكر والخداع والخبث والغدر والجبن مشفوعة بملامح وبصفات الحيوانات. وأصبحت هذه هى الصورة المزيفة للشعب الفلسطينى والعرب عموماً، كى يصبح فريسة سهلة للإرهاب فى العقل الصهيونى والغربى، باعتباره العدو اللدود الذى تصدى لأهدافهم الإمبريالية، بالإضافة إلى أنه يمثل صورة غير اليهودى فى جميع أنحاء العالم وباختصار وظفت الإمبريالية الصهيونية الأدب العبرى لخدمة هدفها الأساسى

لقد استطاع الإعلام الصهيونى وطوال حقبة زمنية طويلة أن يزرع بذور كراهية الإسلام والمسلمين فى ربوع أمريكا وأوروبا، مستخدماً كل الوسائل المتاحة من فكر وأدب وصحافة، وجميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ومسجراً صفوة عقوله المتخصصة فى تشكيل رأى العام ومنهم (صموئيل هنيجتون) الأستاذ الجامعى وصاحب نظرية (صدام الحضارات) وحدد أولوية الصدام بين الغرب والإسلام، وأن الإسلام هو عدو للغرب بديلاً عن الشيوعية .

والسؤال المطروح فى الشارع الإسلامى: هل حان الوقت لوضع هذه النظرية موضع التطبيق؟ وهل إحراق بعض المساجد فى أوروبا وغيرها والضغط على العرب هو تمهيد لتطبيق هذه النظرية فى المسلسل الأمريكى (ضد الإرهاب) الذى عرضت أولى حلقاته يوم الأحد الموافق ٢٠٠١/١٠/٧؟

وإذا كان الأدب هو مرآة الشعوب، ونتيجة لازدياد الثقة بالوثيقة الأدبية وجدارتها، فقد اتجهت مجموعات من الباحثين فى أوضاع المجتمعات الحديثة والمعاصرة إلى الاعتماد على الظاهرة الأدبية فى الكشف عن مختلف الأوضاع فى هذه المجتمعات .

فقد هاجر الأدباء اليهود إلى فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر مع بدء الهجمات اليهودية الحديثة . وكان من الطبيعى أن يتناولوا هذا العالم الجديد فى أعمالهم وقد احتلت شخصية العربى مكانة بارزة فى القصص العبرية التى تدور حول حياة اليهود فى فلسطين منذ بداية القرن .



والنساء الذين طردوا من بيوتهم وحقولهم أدنى اهتمام، بل قاموا ضدهم بأعمال قاسية بلا داع وبلا سبب أمنى أو عسكري، الأمر الذى أثار الكاتب لما يراه من مظاهر الفوضى والعنف والتكسير والقتل والصراخ وهم القرية على البقية الباقية من سكانها ومع هذا فقد استمر الجنود فى بث الرعب.

وكذلك قصة (الأسير) ١٩٤٩ لنفس الأديب، والتى تصف عمل مجموعة من الجنود اليهود فى إحدى القرى العربية أثناء هدوء حرب ١٩٤٨، والحبكة القصصية تدور حول أسر راعٍ عربى بسيط والتحقيق معه، ويبرز الأديب مدى الأسلوب الإجرامى فى المعاملة القاسية للأسير حيث يقول: «إن القبض على الراعى الضعيف والمسكين أصبح كعمل حربى كبير، كمحاصرة كتيبة كبيرة للعدو... والتحقيق معه شئ قاس: ضرب وركلات وإهانة».

والعربى دائما أسير، حيث صورته الأديب الصهيونى «إسحق أورباز»^(١) فى القصة الواقعية التى عاشها الأديب، والتى تحكى قصة أسير عربى وقع بين يدي إسحق أورباز نفسه وهو يتجول قرب قطاع غزة عندما كان يؤدى الخدمة العسكرية، وقد أسماها «على سن الطلقة» (عل حودو شل كادور) ١٩٥٩.

وتحكى عن عربى بسيط يختبئ فى مغارة، فأسرته الأديب وأمره أن يرفع يديه فوق رأسه

وهو الاستيلاء على الأرض وإقامة الدولة وإبادة الشعب الفلسطينى، ونحن إذ نتصدى لهذا الموضوع ليس باعتباره سجلا صادقا يعبر عن العرب ولكنه كشف لأبعاد العقلية اليهودية فى تناولها للشخصية العربية، وسأحاول إلقاء الضوء على بعض النماذج الأدبية التى كتبها كبار أدباء اليهود، كى يكون القارئ العربى على دراية بما يحكيه له أدباء اليهود.

وكما سبق أن أشرت أن جميع الأعمال الأدبية العبرية مترجمة لجميع لغات العالم الحية، فى محاولة منهم لغسل العقول، وإضفاء الشرعية على الأعمال الإجرامية التى يقومون بها، والمسلسل الدموى حلقاته قديمة، نفس القصة، ونفس الموضوع مع تغيير فى الشخصيات والمخرج.

وقد يتعاطف البطل اليهودى فى أحيان قليلة مع العرب، ولكنه فى النهاية مغلوب على أمره، ينفذ أوامر المؤسسة العسكرية الصهيونية كما حدث فى رواية (خربة خزعة ١٩٤٩) للأديب «يزهار سميلانسكى» وهو أول أديب صهيونى يولد فى فلسطين.

والقصة ذات حبكة بسيطة جدا، تدور حول مجموعة من الجنود الإسرائيليين صدرت إليهم الأوامر باحتلال قرية عربية أثناء حرب ١٩٤٨ وإجلاء سكانها عنها، وكان لقيام الدولة أثر كبير على هؤلاء الجنود، جعلهم لا يعيرون المزارعين العرب المسنين والأطفال

(١) ولد فى روسيا عام ١٩٢٣، وهاجر إلى فلسطين سنة ١٩٣٨، وعمل فى مجال الزراعة والتدريس، وخدم كضابط بالجيش النظامى. بدأ فى نشر قصصه عام ١٩٥١.



المشهد التالي يقول الطفل القاص:

«وتخيلت أن يخرج أهل القرية للتنكيل بالعرب لأنهم غجر وغرباء وأجانب في فلسطين فقد سمعت من الكبار بأنه قد حدثت على أيدي العرب اغتيالات في أماكن أخرى وأن ما أقدم عليه السفاحون لهول حقير^(٤)»

وعندما سأل الطفل والده أجاب:

«بين العرب كثير من القتلة وسافكى الدماء، وبسبب الجهل والحماسة التي غلفتهم سنوات عديدة، يقومون بأعمال الاغتيال والنهب، ولقسوة قلوبهم يغتالون خيرة الرجال»
فيرد الطفل: «وكان عمى لا يريد أن يصبح هدفا لطلقة عربى همجى»^(٥).

وهكذا يصور الأديب الصهيونى يهودا بورلا فى العديد من أعماله العرب وكأنهم قبائل بدائية نزعت الرحمة من قلوبهم، لا يفرقون فى أعمالهم التخريبية بين الصغار والكبار، وهذا ما سنعرفه من رسالة (ميخا) اليهودى إلى بطرس المسيحى العربى حيث يقول له فيها:

«لقد سمعت عن المصيبة التى حلت بنا فى حادث «الأتوبيس» فقد أصيب تسعة من الرجال. معظمهم بإصابات بالغة، كما قتل خمسة بينهم طفلان»^(٦).

ويسير أمامه، وهو يوجه إليه السباب والضرب حيث يقول القاص:

«أمرته أن يرقد على وجهه ويديه ممدودتين ومبسوطتين وضربته بحذائى على مؤخرته»

وكى يؤكد مقولة «الحقل المهجور» فإنه يصف الخربة عندما اقترب منها ومعه الأسير: الأراضى خربة، والأراضى الزراعية قاحلة، والمنازل مهدمة.

وعندما يصل إلى خيمة ضابط المخابرات «شموليك» الذى صاح على أحد جنوده وأمره أن يأخذ العربى ويحبسه، ويأخذ البندقية من العربى والتى كان يحملها معه ليرى إذا كان صالحة أم لا، وفعلًا أخذ الجندى البندقية، ولكن بدلا من أن يجربها فى الهواء فإنه جربها فى العربى فأرداه قتيلا»^(٢).

ويقول «يهودا بورلا» فى قصة «سحر الوطن». والتى تحكى عن أسرة من المهاجرين الطلائع حيث يقول على لسان القاص ابن هذه الأسرة: إن عمه (ناتان) قد سافر مع صديق له من مستوطنة «عتيدوت» إلى إحدى القرى المجاورة، فانقض عليه العرب وسرقوا حصانه^(٣).

وكى يزيد بورلا من شحنة الانفعال ويستدر العطف، يصور لنا كيف حفر الأخ قبر أخيه، بل يقول كذلك بأنه كان أول قتيلى فى القرية وفى

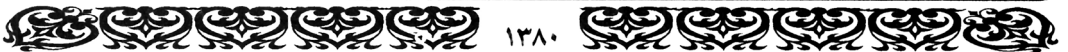
(٢) إسحق أوربان: (عل حودو شل كادور) على سن الطلقة ١٩٥٩. عم عوبيد.

(٣) يهودا بورلا: سحر الوطن ص ٢٤ (مصدر عبرى).

(٤) المصدر السابق ص ٣٥.

(٥) المصدر السابق ص ٣٦.

(٦) يهودا بورلا: (حزون بطرس) رؤية بطرس ص ٢٧٠.





آخر هذه الأوصاف، عمدت السلطات الإسرائيلية أن تغرسه في وجدان الجندي اليهودي، حتى ينفذ أوامرها دون أن يفكر لحظة أنه يقتل بشرا.

ففى قصة «صفية المسيحية يصورها الكاتب «أشر براش» وهى تجرى وراء أخيها وتقول: «إنه أخى. كلب قذر. عربى حقيقى إنه أهاننى».

وفى قصة (تراب الطريق) للآديب (ناتان شاحم) حين يصف أحد الشباب العرب، فيقول: شاب مخيف قذر.

وفى قصة (خربة خزعة) وصفهم (يزهار) قائلا:

«هناك أيضا زأر أحدنا وهو يشير إلى حقل آخر كانوا يركضون فيه كالنمل».

ووصف أحد الجنود وهو يسوق العرب أمامه «كما لو كان يهش سربا من الدجاج».

ووجه حديثه إلى أحد العرب قائلا:

توقف أيها الكلب .. إنهم كالحيوانات^(٩).

وأود أن أشير إلى أنه لا يوجد مفهوم إسرائيلى واحد للشخصية العربية، وقد حاولت الشزمة الإسرائيلىة المعاصرة والممسكة بزمام الأمور أن تصور الشخصية العربية بأنها تتسم بعدوانية أصيلة، وتحب الصراع والحرب، وأن هذه العدوانية حسب زعمهم تعود إلى دين الإسلام الذى نادى بسمو المسلمين على غيرهم بالإضافة إلى أنه دين نزعة حربية وهذا افتراء صارخ لا يقبله المسلمون

والقتل شىء طبعى لديهم حتى وإن قتل الابن أباه، وقد طرح لنا بورلا هذا المفهوم فى رواية «البرعم الأول» حيث يقول:

«وفى سكون الليل، دوى صوت عيار نارى فى فضاء البيت الكبير وبعده صوت عويل مخنوق، ويخرج أهل البيت مذعورين، وعلى الفور عرف الأمر، فإن «مصطفى حمدى» أطلق النار على والده «محمود شكرى» ولا ينسى بورلا أن يقول:

«كانت الرغبة لدى الجميع عدم إبلاغ الشرطة، فمثل هذه الأمور اعتاد أهل البيت معالجتها سرا»^(٧).

أما إذا قتل المسلم يهوديا، ماذا ستكون النتيجة، هذا ما سنعرفه من المشهد التالى فى رواية «مغامرات عقبيا» حيث يقول:

وقبل أن ينتقل عقبيا إلى المنزل الجديد سمع عن حادثة بشعة وقعت فى المنزل الذى سينتقل إليه، فقد اغتيل يهودى فقير وزوجته وجرح اثنان من أبنائهم فعرف أنه المقصود، وأن الذى استأجر القتلة هو المسلم الشرير (فياد) الذى ضربه «عقبيا» منذ ثلاث أو أربع سنوات، وقد تأكدت الطائفة من القاتل وطلبت من (عقبيا) أن يكتم الموضوع، لأن المسلم إذا قتل يهوديا فالنتيجة «معروفة»^(٨).

ووصف العربى بأنه قذر ومقيت وحقير .. إلى

(٧) يهودا بورلا: (سنونيت ريشونا) البرعم الأول ص ٣٢.

(٨) يهودا بورلا (عليوت عقبيا) مغامرات عقبيا.

(٩) د. محمود صميذة: استراتيجية الأدب الصهيونى لإرهاب العرب ص ١١٩.





هكذا حال الإنسان العربي في فلسطين كما يصوره الواقع والأدب الصهيوني

المتحدة، هي مؤسسة تمثل ١٨٩ اتحادا يهوديا، بالإضافة إلى ٤٠٠ جمعية مستقلة في قارة أمريكا، والاتحاد اليهودي لأمريكا الشمالية، والوكالة اليهودية من أجل إسرائيل.

وللعلم فقد تبرع للجاناليات اليهودية المتحدة فقط في العام الماضي ٧٠٠ ألف متبرع قدموا ٨٢٦ مليون دولار بالإضافة إلى ١,٢ مليار لصندوق المنح والهبات.

فماذا قدم العرب والمسلمون لدعم الحملات الإعلامية العربية بالخارج ضدهما يحكيه لهم النازيون الجدد، أو لدعم الانتفاضة.

في بقاع الأرض ويقول (ف. لوفسكى): بأن الرسول محمد تأثر بالأفكار المسيحية وأن كل جزء في القرآن به إشارة إلى اليهود وأنه توعدهم بالعبودية والضياع والشتات واتهمهم بأنهم اتبعوا الشيطان وقتلوا الأنبياء... وأن النار مأواهم في الآخرة وأن رسول المسلمين هو الذي بذر الكراهية في قلوب المسلمين نحو اليهود^(١٠).

وقد عمدت المؤسسات الصهيونية المختلفة إلى ترسيخ هذا المفهوم، وأن الشخصية العربية تعاني من أزمة الهوية!!

وأود أن أشير إلى أن الجاناليات اليهودية

(١٠) F. Lovsky, Antisemitisme et Mystere D Israel P.243.

مقومات النهضة العلمية للمرأة الإسلامية

د. ستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا^(*)

٣

اقتحام مجالات جديدة

إذا كانت بداية الإصلاح تبدأ بنظام التعليم ومناهجه لإعداد الباحث الجيد القادر على إحراز قصب السبق في سوق التنافس العالى، فإن التحدي الذي يواجه التعليم هو الارتقاء بقدرته على الاستجابة للمتغيرات العصرية، واستشراف آفاق المستقبل وتوقعاته والتعامل معه والتخطيط له والتأثير فيه، فالعلم يجب أن ينمى في النشء قدراته على نحو يستطيع معه أن يفكر بطريقة جديدة عما ألفناه ونألفه، وأن يستنبط البدائل المناسبة على الدوام.

الشعور بالثقة والندية وكسر الاحتكار في توفير تقنيات متقدمة جديدة... ومن أمثلة هذه القضايا والمشروعات العلمية والتقنية العملاقة التي ينبغي البدء في التخطيط لها واقتحام ميادينها ما يلي:

١ - تقنيات المعلومات والاتصال:

لقد دخلنا مع بداية القرن الحادى والعشرين عصرا جديدا للمعلومات والاتصال يسمى «كوم - كوم» Computer-Communication (COM-COM)، فقد أصبحت تقنيات المعلومات والاتصال وجهين لعملة واحدة، على أساس أن ثورة تقنية الاتصال قد سارت على التوازي مع ثورة تقنية المعلومات التي

من ناحية أخرى إلى جانب العمل على إصلاح التعليم وتطويره، تقتضى مواجهة التحديات المعاصرة عملا موازيا لاقتحام مجالات جديدة، فهناك قضايا ومشروعات علمية وتقنية عملاقة جديرة بالاهتمام والرعاية... تحتاج إلى البدء فى التصدى لها، حيث إن الأوان لم يفت بعد لتدارك ما فاتنا منها، ولم يعد مقبولا بأى حال من الأحوال أن نتركها أو نغفلها - وقد حقق غيرنا فيها سبقا ملحوظا - حتى تتزايد تكلفة حلها، فالمواجهة المبكرة تدعم الحل، وتقرب الفجوة. وإن إتاحة الفرصة للعقلية الإسلامية الإبداعية بدخول مثل هذه المجالات الرحبة سوف ينمى

(*) عميد كلية العلوم - جامعة القاهرة.

تدفقت نتيجة للتفجر المعرفي وتضاعف الإنتاج الفكرى فى مختلف المجالات ولظهور الحاجة إلى تحقيق أقصى سيطرة ممكنة على فيض المعلومات المتدفق، وإتاحته للباحثين والمهتمين ومتخذى القرارات فى أسرع وقت وبأقل تكلفة وجهد، عن طريق استحداث أساليب جديدة فى تنظيم المعلومات تعتمد بالدرجة الأولى على الحاسب « الكمبيوتر » واستخدام تقنية الاتصال لمساندة مؤسسات المعلومات ودفع خدماتها لتصل عبر القارات .

والواقع أن تعريف « تقنية المعلومات » ينطوى على معنى هذا التزاوج، إذ ينص فى إحدى صيغه على أنه « اقتناء واختزان المعلومات وتجهيزها (معالجتها) فى مختلف صورها وأوعية حفظها، سواء كانت مطبوعة أو مصورة أو مسموعة أو مرئية أو ممغنطة أو معالجة بالليزر، وبثها وتبادلها ونقلها باستخدام (توليفة) من المعلومات الإلكترونية ووسائل أجهزة الاتصال من بعد » .

وهكذا لا يمكن الفصل بين تقنيات المعلومات والاتصال، فقد جمع بينها النظام الرقمى Digital الذى تطورت إليه نظم الاتصال، فترابطت شبكات الاتصال مع شبكات المعلومات، وهو ما نلمسه واضحا فى حياتنا اليومية من التواصل بـ « الفاكس » عبر شبكات « التليفون »، وفى بعض الأحيان مروراً بشبكات أقمار الاتصالات، وما نتابعه على شاشات التليفزيون من معلومات تأتى من الداخل أو الخارج .

وها نحن نرى أن العالم اليوم يقف على عتبة الجيل الثانى من الشبكة الدولية للمعلومات، حيث يتزايد الاهتمام بإنتاج تقنيات المعلومات

نظرا لما لها من دور واضح فى تعزيز التنمية ودعم التطور، بعد أن تزايد اعتماد الإنسان عليها مؤخرا . ويكفى أن نعلم أن العمل فى مجال الحاسب « الكمبيوتر » وبرمجياته أصبح فى مقدمة ميادين النشاط التقنى عموما، وتعطى إحصاءات النمو لأكبر الشركات العالمية نتائج تؤكد تزايد أهمية الدور المستقبلى للصناعات المعلوماتية Informatics مقارنة بغيرها من الصناعات المهمة كالسيارات والطائرات والمواد الكيميائية والدائن وغيرها . ويكفى أن نعلم أن الهند -على سبيل المثال- عندما أعطت اهتماما خاصا لتقنية المعلومات زاد نمو صادراتها من البرمجيات على نموها السكانى بأكثر من ١٦ ضعفا، وعلى نمو دخلها القومى بأكثر من عشر مرات، وعلى نمو مجمل صادراتها بأكثر من مرتين ونصف . كما تدل الإحصائيات على أن بين العشرين شركة الأكثر نموا فى العالم يوجد عشر شركات تعمل فى مجال تقنيات المعلومات، وعشر شركات أخرى تعمل فى باقى القطاعات مجتمعة، مما يؤكد أهمية الفرص التى تمنحها تقنيات المعلومات للقطاع الخاص، فضلا عن تأثيرها الإيجابى فى تطوير إمكانات اقتصادية جديدة تحتاج إليها الدول لتعزيز نمو الدخل القومى .

وليس هناك من شك فى أن الأمة الإسلامية تمتلك حاليا من القدرات العلمية والتقنية ما يجعلها تحتل منزلة متقدمة فى صناعة المعلومات .

٢- علوم وتقنيات الفضاء :

من أمثلة القضايا والمشروعات العلمية والتقنية التى ينبغى اقتحامها والتخطيط لها



إن إنجاز هذا التحدي ليس بالأمر العسير على الأمة الإسلامية التي يتوفر بها حاليا الإمكانيات البشرية والعلمية والفنية، بالإضافة إلى القدرات المادية المتمثلة في توفر الصناعات الأساسية اللازمة لاستخدام تلك التقنيات الجديدة، ومشاركة العالم في صنع المستقبل. ولعل الإسراع في إنشاء «وكالة الفضاء الإسلامية» ISA يكون البداية السليمة على هذا الطريق. ويقترح أن يتم في البداية تشكيل هيئة عليا من أهل الاختصاص في جامعات العالم الإسلامي والهيئات ذات الصلة للإشراف على إعداد برنامج متكامل ودراسة جدوى فنية بعد حصر الإمكانيات البشرية والمادية المتوفرة حاليا وبيان كيفية الاستفادة منها على الوجه الأمثل. وبعد التأكد من توفر مستلزمات البنية الأساسية لوكالة الفضاء الإسلامية وتبدير التمويل اللازم لمراحل إنشائها ينظر في اتخاذ القرار الخاص بذلك حتى تكون البداية على أساس علمي سليم إن شاء الله.

ويمكن عند صدور القرار ببدء برنامج إسلامي للفضاء، وإنشاء وكالة إسلامية للفضاء، أن تكون الهيئة العليا أهل الاختصاص نواة لها، على غرار ما حدث عندما تحولت الجمعية القومية الاستشارية للملاحة الفضائية إلى «وكالة ناسا» NASA التي تتولى شئون الفضاء في الولايات المتحدة الأمريكية. كذلك يمكن البدء بإنشاء «مركز إسلامي للعلوم وتقنيات الفضاء» يختص بمتابعة ما ينشر وما يستجد

إنشاء وكالة إسلامية لعلوم الفضاء Islamic Space Agency (ISA) . . ذلك أن البشرية تعيش اليوم أعظم نتائج التحدي لبرامج ارتياد الفضاء وتطوير البحث في عالمه الفسيح، ولم يعد هذا التحدي مقتصرًا على الدول الكبرى، ولكنه شمل أيضا بعض الدول التي سعت إلى اللحاق بركب المتقدمين، مثل الهند وجنوب أفريقيا وإسرائيل. ولم يعد خافيا على أحد خطورة التأخر في اقتحام هذا الميدان نظرا لأهميته الكبرى التي انعكست على مختلف مجالات التقدم العلمي والتقني والصناعي. وعلى الأمة الإسلامية إن رغبت في اللحاق بهذا الركب أن تسعى إلى البدء في برنامج خاص للعلوم وتقنيات الفضاء والإفادة منه في الأغراض السلمية. ومن الأهمية بمكان اعتبار عامل الوقت في تنفيذ هذا المشروع، حيث إن أعداد الأقمار الصناعية التي تجوب الفضاء تزداد بسرعة رهيبه مما سيعجل بسعى الدول الكبرى إلى فرض حظر يسد الطريق أمام الطارقين الجدد لهذا المجال.

ولعل ما نراه من قبود مختلفة تصل إلى حد الحظر في مجال نقل التقنيات بصورة عامة، وامتلاك الطاقة النووية بصورة خاصة، يجسد أهمية الوقت، ناهيك عن أن مثل هذا الحظر المرتقب سوف يسبقه أو يصاحبه احتكار يرفع كثيرا من تكلفة استخدامات الفضاء بالنسبة للدول التي لا تشترك فيه، أو على الأقل الدول التي لا تطلق أقمارا خاصة من صنعها.



الدواء- تطوير تقنيات الليزر - إنتاج الطاقة الشمسية وغيرها من صور الطاقات الجديدة والمتجددة.

أهم المراجع:

١- محمد عبدالسلام، البعد العلمي للتنمية، سلسلة منشورات أكاديمية العالم الثالث للعلوم (١)، تريستا، إيطاليا ١٩٨٦م.

٢- د. زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمي والتقنى فى العالم الإسلامى المعاصر، كتاب الأمة (٢٠)، الكويت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

٣- د. أحمد فؤاد باشا، فى فقه العلم والحضارة، سلسلة قضايا إسلامية (٢٠)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٤- المؤتمر السابع للوزراء المسئولين عن التعليم العالى والبحث العلمى فى الوطن العربى، مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرياض: ١-٥ محرم ١٤٢٠ هـ - ١٧-٢١ أبريل ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية.

٥- دليل دوريات الجامعات العربية، المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى، اتحاد الجامعات العربية، القاهرة ١٩٩٦م.

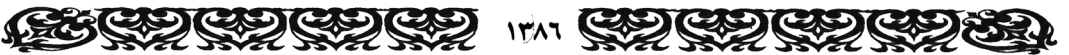
٦- د. شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال - المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

فى هذا المجال، وما يمكن الحصول عليه من نتائج رحلات الفضاء فى دول العالم المختلفة.

إن مثل هذا المشروع الإسلامى العملاق ينبغى أن يهدف إلى وضع مجموعة من البرامج التى تحقق إطلاق أقمار صناعية بتصميم وتنفيذ إسلامى فى أقرب وقت ممكن. وتؤدى إلى توفير القدرات العلمية اللازمة لإجراء البحوث فى العديد من المجالات الحيوية مثل:

دراسة التغيرات المناخية والبيئية - الكشف عن الثروات الطبيعية - التنبؤ بحدوث الكوارث الطبيعية - رسم الخرائط المساحية و«الجيوديسية» الدقيقة للأغراض المدنية - زيادة القدرة على إجراء الاتصالات ونقل المعلومات محليا ودوليا - رصد ودراسة مصادر الطاقة فى الكون - تقوية الإرسال التليفزيونى والإذاعى وإعادة بثه، مما ييسر على القنوات الفضائية الإسلامية تقديم إعلامها بتكلفة أقل وكفاءة أكبر دون تحكم خارجى، بل والحصول على دخل كبير بتسويق بعض القنوات لدول أخرى. ومن الواضح أن الجهات ذات الصلة بكل هذه المجالات وغيرها سوف تبرز تقدما كبيرا عند الاستفادة من التطورات المنتظرة لأنشطة «وكالة الفضاء الإسلامية» على المدى القريب والبعيد.

وهناك -بطبيعة الحال- أمثلة أخرى عديدة لمشروعات علمية وتقنية كبرى يمكن للأمة الإسلامية أن تخطط لاقتحامها وإحراز قصب السبق العالمى فيها. مثال ذلك: التقنية الحيوية Biotechnology - علوم المواد- صناعة





﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾

سورة آل عمران آية (٣٤)

الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم

للككتور / السيد الجميل

ما قرأت آية فى كتاب الله - تعالى - وأجلت النظر فيها وأدركته فى لطائفها، وتأملت معانيها وتجلّيت أسرارها - إلا لمست فى كل حرف وفى كل كلمة وعبارة من الروعة والجلال والعظمة والجدة المطلقة والإشراق المتجدد ما يذهل الأفهام ويأخذ بالألباب، ويستولى على مجامع القلوب.

إنه كلما راجعت كتاب الله الكريم مرة بعد مرة، وجدت خصيصة تميز بها هذا الكتاب وانفرد بها ألا وهى المتاع بقراءته والتلذذ من تلاوته أو كأنك تقرأه لأول مرة وهذه الخاصية الحسية والنفسية وتقرأ ويشهد بها الناس كافة، حتى من غير المسلمين.

ولعل أخصر وأجمع ما ورد فى القرآن الكريم من آيات وأشراط الإعجاز الطبى فى الكتاب العزيز - إنما يتمثل فى قوله تعالى:

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ^(١) وينضوى تحت هذه الآية ويساير مدلولها ويتساوق مع إشارتها

البليغة كل تحقيق وإنجاز طبى على أرفع وأسمى المقامات والدرجات.

منذ بضعة أسابيع كنت فى رحلة خارج القطر وعرضت على بعض المصادفة حالة (بصفتى طبيباً) وهى من الحالات النادرة التى تتطوى على أسرار وراثية فى جوهرها.

(١) الذاريات، الآية ٢١.

وزعم أهل الأم أنه ورثها من جدته لأبيه التي تعاني القصر نسبياً.

وتداخلت اللججات والمداخلات السوفسطائية، كل فريق ينحى باللائمة على الآخر بأنه المسئول عن هذه الطفرة غير المتواردة في باقي أفراد كلتا الأسرتين.

هذه الشكايات لا تغير ولا يمكن أن تغير شيئاً من الحق والواقع والأصول المتفق عليها.

ولما كان أصل هذه الحالة وراثياً، أى تأثراً بالآباء والأجداد، وهذا إجماع من أهل العلم من الأطباء، من غير تكبر ولا معارض - تذكرت إشارة القرآن الكريم في عديد من المواضع إلى دور الوراثة في نقل الصفات من السلف إلى الخلف، حيث تتحدر وتتقاطر وتتجلب تلك الخصائص في الجينات GENES من السالفين إلى الخلفين تحمل التراكيب التشريحية ANATOMICAL STRUCTURES أو العيوب الخلقية التشريحية ANATOMICAL ANOMALIES وتظل تسرى في الأجيال من جيل إلى جيل.

قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾.

قال المفسرون: أى اصطفاهم متجانسين في الدين والتقوى والصلاح^(٢).

وكلمة التجانس التي أشار إليها المفسرون تضاهي وتشاكة وتحاكى التماثل عند علماء الطب.. لكن دقة تصوير الآية وروعة بلاغتها يأخذ بمجامع القلوب أخذاً مذهلاً.

أب وأم يعانيان حالة نفسية بالغة القسوة تهضب عيناها، وتكف دموعهما، وتتقاطر وترفض وتتحدّر عبراتهما مهمومان قد فدحهما الداء، وعمدهما وتخونتتهما لوعة وحسرة تألماً على ابنهما الوحيد الذى وُلِدَ «قزما» DWARF فهما يبكيان حظهما العاثر، ويعرضان التضحية بكل نفس ونفيس لقاء علاجه من هذه الحالة.

ولئن كان حال الأبوين الوقيزين صعباً عنيفاً، مهما قيل لهما - مع اطمئنانهما لذلك تماماً - أن هذا من قدر الله - تعالى - غير المدفوع ولا بد من الصبر عليه؛ لأنه لا مندوحة عن التصبر، إلا أن الفطرة البشرية من ناحية، وعاطفة البنوة والأبوة من الناحية الأخرى تجهض كل محاولة للتسرى أو السلوان.

ولا يعرف قدر السلامة والعافية والهبات الإلهية والمنح الربانية إلا المحرومون منها.

ثم إن المشايحة من كثير من الأمراض الوراثية المعقدة في كثير من الأحيان - لا موجب لها ولا مساع لها على الإطلاق من حيث إن هذه الإشاحة لا تجدى فتية في تغيير الواقع المحتوم الذى صار بحكم الطبيعة مفروضاً، وليس أمام العقلاء إلا التسليم المطلق للمكتوب المطبق، احتساباً للأجر وطمعاً في ثواب الصابرين.

العجيب في أمر هذه الحالة ما وقع بين الأبوين حيث تُبَوِّدَت الاتهامات بين أسرتهما الأبوين حيث زعم أهل الأب أن هذا الابن القزم أخذ قصر القامة من أمه التي هي قصيرة نسبياً.

(٢) راجع أقوال العلماء مبسطة في التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ٣٩/٨ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٦٤/٤ والطبرى ٢٨٦/٦ والبحر المحيط ٤٣٥/٢ وكشاف الزمخشري ٤٢٤/١.



وقال أيضاً:

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ (٣).

وقال تعالى أيضاً:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ (٤).

ومن أروع ما ورد قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ

﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (٥).

قال ابن عباس: إن الله - عز وجل - ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة، وإن كان لم يبلغها بعمله، لتقر بهم عينه... وتلا الآية (٦).

قال الإمام العلامة الزمخشري: يجمع الله لأهل الجنة أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين، وباجتماع أولادهم (٧).

وقال الألوسي: ... وثبت ذلك على العموم لا يبعد من فضل الله - عز وجل - ، وما قيل لعله مخصوص ببعض دون بعض تحجير لإحسانه الواسع جل شأنه، وقد يستأنس للتخصيص (٨).

وهذا أبو بكر يدعو الله - تعالى - :

﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ (٩).

قال العلماء: وإصلاح الذرية إنما هو من كمال السعادة البشرية (١٠).

ومفاد هذا مذکور مبسوط عن أئمة المفسرين وأكابر أهل العلم.

وقد ذكر الألوسي في هذه الآية: أجاباه الله - تعالى - [أى أبا بكر] فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً (١١).

ثم يقول الحق جل وعلا:

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ

﴿صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ (١٢).

(٣) سورة الحديد ، الآية ٢٦ وهى فى معرض الحديث عن نوح وإبراهيم - عليهما السلام - وفى الآية إشارة بليغة إلى أن ذريتهما توارثت منهما الصلاح والتقوى والإيمان الذى يؤهلهما للنبوّة والرسالة، ونرجو مراجعة البحر المحيط ٢٢٦/٨ وتفسير البيضاوى ٤٥٦/٣، والتسهيل لعلوم التنزيل ٩٩/٤، والتفسير الكبير ٢٩/٢٤٠ والكشاف ٤/٦٧ وروح المعانى للألوسى ١٨٩/٢٧.

(٤) العنكبوت، الآية ٢٧.

راجع تفسير القرطبى ١٣/٣٣٦ والطبرى ٢٠/٩٠ والكشاف ٣/٢٠٤ والتفسير الكبير ٢٥/٥٧.

(٥) سورة الطور، الآية ٢١. راجع الطبرى ٢٧/١٦٠ والقرطبى ١٧/٦٧، والكشاف ٤/٢٤.

(٦) التفسير الكبير ٢٨/٢٥٠ وانظر القرطبى ١٧/٦٦.

(٧) الكشاف ٤/٢٧٢.

(٨) روح المعانى ٢٧/٣٣،٢٢.

راجع تفسير القرطبى ١٦/١٩٤ والطبرى ٢٦/١٢٠، والتفسير الكبير ٢٨/١٣ والكشاف ٣/٥٢١.

(٩) سورة مؤدى هذا فى حاشية البيضاوى ٣/٣٣٦ بتصرف.

(١٠) روح المعانى ٢٦/١٩.

(١٢) سورة غافر ، الآية ٨.





وهذه صفة متنحية مرتبطة بالجنس X-Linked Recessive Trait وهي التى يعانى منها حوالى ٨٪ ثمانية فى المائة من الذكور، ونادرا ما تحدث فى الإناث، بل قلما تحدث فيهن إلا عند وجود جينين متنحيين عندهن two recessive genes (2).

وقرر علماء الوراثة أن هذه الحالة من العمى اللونى يكون الجين المسبب للمرض فيها متنحيا Recessive Gene والجين المتبادل Alternative Gene يكون سائدا Dominant Gene.

ثم إن الجدير بالذكر أن الجين الذى يحمل هذه الصفة إنما يوجد على الكروموسوم الجنسي X Sex Chromosome فقط، بيد أن الإجماع معقود على أن نظير هذا الكروموسوم الجنسي الآخر Y Sex - Chromosome لا يحمل أية صفة وراثية.

ولذلك فإنه عند تزواج رجل مصاب بالعمى اللونى من أنثى سليمة، فإن الجيل الأول الناتج منهما تكون الذكور كلها سليمة أما الإناث فتكون حاملة للمرض فقط Females are Carriers وهي بالطبع لا تكون مصابة.

أما إذا تزوج رجل سليم من أنثى مصابة بالمرض، فإن الجيل الأول الناتج منهما تكون فيه الذكور كلها مصابة بالمرض، ولكن الإناث حاملة فقط.

يقول ابن كثير: أى اجمع بينهم وبين ذرياتهم لتقرب ذلك أعينهم بالاجتماع فى الجنة بمنازل متجاورة (١٣).

وما ورد فى السنة المطهرة من إشارة دقيقة ظهر جليا فى قوله ﷺ: «الكریم ابن الکریم ابن الکریم ابن الکریم» قالوا: من يارسول الله، قال: «يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم» (١٤).

إن صفات يوسف المتوارثة عن أبيه وأبى أبيه وجده الأكبر الخليل إبراهيم أبو الأنبياء - هى التى تحدرت من أصلابهم فتكونت وتشكلت منها طبيعته فكان أريحي الطباع، محمود الفطرة، صدوق المعجم، حر الطينة، نقى الجوهر.



توارث الصفات المرتبطة بالجنس (١٥)

Sex Linked Traits

من الأمراض التى تتوارث صفاتها من خلال الجنس، والمتأثر بها وراثيا، أو المتأثرة به كذلك وراثيا... إذ إنها تتحدر وتتحلب وتتقاطر من الآباء إلى الأبناء والأحفاد.

نضرب مثلا على ذلك مرض العمى اللونى Colour Blindness وهو الذى يظهر فى بعض الأشخاص، وهؤلاء لا يستطيعون أن يميزوا اللون الأخضر من اللون الأحمر.

(١٣) ورد فى روح المعانى ٤٨/٢٤: وقرأ عيسى: «ذريتهم» بالإفراد. أه. راجع أيضا فى تفسير الآية مختصر ابن كثير ٢٣٦/٣ والتفسير الكبير ٣٨/٢٧ والكشاف ٤١٦/٣ والبحر المحيط ٤٥٢/٧.

(١٤) أخرجه الإمام أحمد فى المسند عن ابن عمر، وكذلك من حديث أبى هريرة ٩٦/٢ والبخارى ٤٦٨٨/١٤٤/٦ و٤٦٨٨/٢٩٤/٤، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير ٦٤٥٩/٢٥٥/٢.

- Harris H: The Principles of Human Biochemical Genetics, 3rd edit., New York, 1980.

(١٥)

- Lewin B: Genes, 2nd edit. New York, Wiley, 1985.



توارث نقص التعظم تتم من خلال السيادة المندلية. Mendelian Dominance.^(١٦)

لكن لوحظ بعض من هذه الطرز قد تنقلت من خلال خصوصية التنحي Recessive Character.

إن ثمة خللا في تعظم العظام في الغضاريف حيث شوهدت معيبة مشوهة، بيد أن قبو القحف الجمجمي Vault of Skull والعظام الشوكي Spinal Bones ترى سليمة وطبيعية.

لكن اليدين والقدمين والساقين تكون قصيرة قصرا ملحوظا أدنى من الطبيعي، وهي في هذا تشابه وتشاكه وتحاكى الدَّهْشَنْدُ Dachshund (وهو كلب ألماني صغير) طويل الجسم، قصير القوائم.

وهذه هي القزامة Dwarf Dwarfism) أو الإزب. إن قامة القزم «ارتفاعه» قد يبلغ زهاء أربعة أقدام، لكن الجذع يكون طبيعيا Normal Trunk ولكن اليدين والساقين تكون قصيرة.

اللافت للنظر أن منظر الجمجمة يرى شاذا مشوبا بالتشوه الشكلي حيث يظهر قبو الجمجمة كبيرا إذا ما قورن بالوجه الذي يكون صغيرا مع اغورار قنطرة الأنف Sunken Bridge of the Nose.

لكن الجهاز العضلي Musculature ينمو نموا حسنا جيدا، بيد أن اليدين تكونان صغيرتين، كما تكون الأصابع كلها متساوية في الطول. إن أكثر الأقدام مليصون، جهيضون،

وإذا تزوج رجل سليم من أنثى حاملة للمرض، فإن الجيل الأول الناتج منهما يكون فيه نصف الذكور «٥٠٪ منهم» سليما، والنصف الآخر «٥٠٪ منهم» مصابين بالمرض.

أما إذا تزوج رجل مصاب من أنثى حاملة للمرض فإن نتاجهما يكون نصف الذكور فيه مصابا، والنصف الآخر سليما ونصف الإناث مصابة، بينما نصفهن الآخر حوامل للمرض.

مرض الدحدحة، أو نقص التعظم الغضروفي

Achondroplasia

أو مرض السَّكَل الغضروفي الجنيني

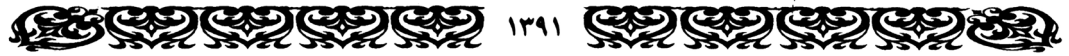
Chondro dystrophia Foetalis

هذا هو مرض الدحدحة، أو نقص التعظم الغضروفي، ويحلو لبعض العلماء أن يطلق عليه اسم مرض السغل الغضروفي الجنيني .. وهو تشخيص الحالة المعروضة علينا سلفا والتي أشرنا إليها آنفا، ونوجز هنا أهم الاعتبارات والمداخلات التي تعترى هذه الحالة وتكتنف وجودها.

هذا المرض الوراثي يظهر عادة في الطفولة الباكرة، حيث ثبت بالأدلة القواطع والبراهين الثوابت أن الوراثة تلعب فيه دورا مشهودا غير منكور. والراجح الذي عليه أقوال أكثر العلماء أن

(١٦) راجع:

Mckusick VA: Mendelian Inheritance in Man: Catalogs of Auto somal Dominant, Autosomal Recessive, and X-Linked Recessive Phenotypes, 6th edit. Baltimore. John Hopkins, 1983.





حقيقتها وواقعها ما هي إلا محض أساطير، وأوهام لا ظل لها من الحق والحقيقة.

وهذه المقولة القديمة قال فيها شاعر العرب القديم:

فتى لم تلده بنت عم قريبة

فيضوى وقد يضوى سليل الأقارب

فاحتجوا بهذا البيت الشعري على أن زواج الأقارب يسبب ضعف السلالات ووهنها.

ولو أنهم تأملوا قول الشاعر «وقد يضوى» فإن دخول «قد» على الفعل المضارع يفيد الشك أو احتمال الوقوع في أحيان يفيد التقليل، أو يفيد التكثير.

مفاد هذا ومؤداه أن «قد يضوى» لا تفيد حتما وقوع ذلك.

وزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «اغتربوا لا تضوا» لكن نجد هذا الحديث فيما بين أيدينا من مصادر الحديث المعتبرة.

فإذا كان ذلك كذلك، فماذا يثمر زواج الأقارب، وما مدى تأثيره على نتاج الأبناء إيجابا وسلبا؟

نقول: إن الصحيح أن زواج الأقارب يقوى ويمكن الصفات الحميدة الحسنة، وهو بنفس الدرجة والنسبة تقريبا يقوى ويمكن ويظهر النقائص لها من نقائص الصفات ومستهجناتها.

وأكبر دليل على قولنا هذا أن النبي ﷺ تزوج من ابنة عمته السيدة زينب بنت جحش، وأن هذا نراه تدليلا على سلامة مذهبنا أنه ﷺ زوج عليا بن أبي طالب «ابن عمه» من ابنته فاطمة - رضي الله عنها - «بأمر الله تعالى على ما ثبت في مصادر التاريخ الوثيقة تفصيلا مبسوطا» فكان

سقيطون، حيث يولدون موتى Aborted OR Stillborn أو يموتون حال ولادتهم أو فور الولادة.

لكن الذين يولدون أحياء منهم يعيشون أعمارهم عادية لا تتأثر حياتهم طولا أو قصرا بسبب قزامتهم.

جدير بالذكر أن هذه الحالة لم تصادف علاجاً نافعا حتى يومنا هذا، وما إخال المستقبل القريب قد ينطوي على مفاجآت علاجية في هذا الصدد.



إن البعد النفسي هو أخطر ما يدهم الأبوين، بل يحطمهم تحطيماً وهما يريان قزمهما يتعثرون في قزامته، فترى الأب مردوعاً، وجيع البدن والنفس من غير مرض عضوى، وكذلك يكون حال الأم الموصبة لا يتقارّ بدنهما المتهاك على الفراش مما ألم بها من ألم مخامر وداء معضل لا يزيل الروح وخواج النفس في كل جزئيات الزمان.

وكلا الأبوين المهمومين عاجزان عن السلوان والصبر والاحتساب، وذلك من أقوى الأدلة وأعظم البراهين على استيلاء النقص على جملة البشر.



سألني صديق قديم ذات مرة: قرأت في إحدى المجلات أن زواج الأقارب مدعاة لإنجاب أبناء مشوهين مصابين بآفات وعاهات وراثية فما رأيكم؟

وكان جوابي عنه: إن الخطأ الشائع والتبرير غير الصحيح، والتأويل المغلوط قد يتبادر إلى الأذهان بمساغات باطلة قد يتقبلها الناس، فيؤمنون بها وتصبح قواعد مفروغا من سلامتها، وهي في



وعمدت إلى الاقتراب من هذا الرجل فألفيته
حاصلا وقتها على الثانوية الأزهرية فقط، ولم
يكمل تعليمه، وعرفت أنه كان يعمل مأذونا
شرعيا ..

لمست فيه روحا خفيفة، وثقافة واسعة،
ومروءة وعلمًا مدهشا .. وأعجب ما أذهلني أنه
كان هو الآخر يتندر على أولئك الغامزين
المغموزين في نفس الوقت . فكان يقول: ترى
الفتيان كالنخل .. وما يدريك ما الدخل؟

وكان يقول: أجسام البغال وأحلام العصافير ..
فهو ينعى على البعدين .. بعد الطول ..
وبعد البدانة والترهل، وهو بطبيعة الحال منزه عن
كلا البعدين .

وأذكر أنني قلت له: إن المرء بأصغريه قلبه
ولسانه فانشرح صدره وسر سرورا عظيما .

وكنت مؤيدا له في نظرتة العميقة للحياة
والأحياء ومفادها أن يحول الإنسان عوائقه إلى
وسائل حافزة لتقويم شخصيته وسلوكياته،
ويتراقى إلى عالم المعرفة والأخلاقيات والثقافة
الجادة والمروءات وبهذا يعرف الرجال .

ولو كانت المسألة مصروفة على الجرم ثقلا
وطولا لكان أكثر الحيوانات أولى بالتكريم من
الإنسان ولكان الفيل أمير الأمراء .

لأبد من النزول إلى الواقع في حالات الضرورة،
لاسيما إذا كان مرضا، أو حالة وراثية مكينة يعجز
الطب عن علاجها أو تقويمها .. والله - سبحانه
وتعالى - وعد الصابرين المحتسبين بجزيل الأجر
وعظيم الثواب .

والحمد لله رب العالمين .

ثمرة هذا الزواج المبارك سيدا شباب أهل الجنة
الحسن والحسين - رضى الله عنهما - وهما من
هما علما وفضلا وسلامة .

فلو كان زواج الأقارب يضعف السلالات لما
وقع شيء من ذلك .

إن الصفات المتنحية عندما تكون موجودة في
الأبوين تكون كامنة غير ظاهرة مظهريا، لكنها
تظهر في السلالة بعد تزاوجهما .



كلنا في الأغلب قرأنا رحلات جلفر لمؤلفها
الإنجليزى المعروف - فى فترة ما، وهى تحكى عن
جلفر وإحساسه عندما كان عملاقا وسط الأقزام،
ثم يتحول بغتة إلى قزم من الأقزام فى بلاد
العمالقة .

ومن المثير العجيب أن يكون القزم فى ذكائه
عاديا لا يتأثر سلبا ولا تراجعاً عن مستوى الذكاء
فى الشخص العادى، ولا أنسى ذلك الشيخ
الوقور ذو اللحية الذهبية - منذ ما ينيف على
خمس وثلاثين سنة- والذى لا يزيد طوله على
أربعة أقدام، وهو يلبس الزى الأزهرى كاملا
متأبطا كتابا ضخما ربما يضاهى نصف وزنه ..
وكان يبتسم دائما .. منبسط الأسارير طلق الوجه
مشروح القسما .

كان هذا الرجل الطيب محط الأنظار لا يكاد
يمر من مكان أو على طائفة من الناس على
اختلاف الأعمار إلا نظروا إليه بدهشة وهو يسمع
تندر الأطفال وغمز الكبار ولمز الجهال .. ولم يكن
ليضيق بشيء من هذا، ربما لأنه تعود على هذه
المواقف، أو لأنه نفذ يديه منهم أيضا .

القصة القرآنية في الدراسات المعاصرة

د. أستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

١

البناء القصصي - في شكله المطلق - ينهض على عدة محاور، لعل من أبرزها: (الحدث) و(الشخصية) و(المعنى) و(الحل).

وكل حدث قصصي له بداية (أي موقف)، ووسط (أي عقدة) ونهاية (أي حل) بشرط أن تتلاحم هذه الدوائر تلاحماً عضوياً نامياً يتطور من خلاله الحدث، ولا يكتفى فيها بأن تكون مجرد أخبار متجاورة تتجاوراً سكونياً.

وكل شخصية قصصية لا بد أن تحمل في تضاعيفها الدوافع التي حركتها إلى الفعل، والكيفية التي فعلت بها هذا الفعل كذلك، أي أن مهمة العمل القصصي تكمن أساساً في تصوير هؤلاء الأشخاص في حالة فعل حقيقي. أي وهم يعملون.

أما النسيج القصصي - في شكله المطلق - كذلك - فينهض هو الآخر على عدة محاور، لعل من أبرزها، (اللغة) و(الوصف) و(الحوار) و(السرد).

واللغة هنا تعني ليس مطلق اللغة، وليس لغة القاصّ كذلك، وإنما لغة الشخص و(الأحداث)، بحيث تتواءم جدلياً مع كل مراحل العمل القصصي ومستويات شخصيته... ويعني الوصف ليس مطلق الوصف، وليس الوصف المحايد كذلك، وإنما

وكل معنى قصصي لا بد أن يكون نابعاً من سياق الحدث القصصي، وأن يظل هذا المعنى غير حيادي، وغير ساقط على الحدث من الخارج، حتى ولو كان هذا الخارج هو الرؤية الخاصة للمؤلف، وإنما ينبغي أن يكون معنى نابعاً من قاع الحدث، ومتطوراً معه ومتحققاً من خلال شخصه القصصيين.

وكل حل قصصي لا بد أن يشكل المرحلة التي تنتهي إليها كل خيوط الفعل الحداثي، وهي المرحلة التي تعطى لكل المراحل مضمونها النهائي.



كثير من قضاياها التي تتردد بين التكرار، والإفاضة، والإيجاز، والإيحاء، والمباشرة، وواقعية الحدث، وعرض الشخص، وتحديد الفضاء الزماني، وغيرها، مما يمكن تلخيصه في مصطلح واحد هو: (طريقة العرض القصصي في القرآن الكريم)، ولقد أعان هؤلاء الباحثين على استقصاء هذه الخصائص الفنية في القصة القرآنية، وعيهم النقدى بأصول البناء القصصي من جهة ووعيهم العلمى بخصوصية البناء القصصى فى القرآن من جهة أخرى، فلم يقفوا فى شرك التعميم والارتجال.

ولعل من أبرز الجهود الموضوعية المعاصرة فى هذا الصدد، جهود طه حسين فى كتابه: (مرآة الإسلام)، وجهود سيد قطب فى كتابه: (فى ظلال القرآن، والتصوير الفنى فى القرآن)، وجهود فتحى رضوان فى كتابه: (الإسلام والمذاهب الحديثة) و(القصة القرآنية). على الأقل لأن هذه الجهود تمثل ريادة علمية فى اتجاهها الموضوعى العاقل فى دراسة الظاهرة، كما تمثل ريادة فنية فى اتجاهها الذى يتوفر على دراسة الظاهرة من وجهة جمالية، ولا يعنى هذا أى استقصاء حاصر فى هذا المجال، بقدر ما يعنى التركيز على الجهود الرائدة التى نوع عليها الآخرون كأنما ليؤكدوا ريادتها وجدارتها معاً.

وقد جسّد طه حسين رؤيته لطبيعة القصّ القرآنى من خلال تأمل نصّ لبعض سور القرآن الكريم التى تميّزت بهذا القصّ، كسورة الشعراء، وسورة القصص، منبهاً إلى أن سياق القرآن الأسلوبى فى هذا الصدد يؤكد نوعاً من الإعجاز

الوصف الذى ينقل الحدث من طور إلى طور، وينمّي جدل العلاقات بين أطراف العمل القصصى من جوانبه المادية والإنسانية والزمانية... ويعنى الحوار ليس مطلق الحوار، وإنما أن يكون مشتقاً من طبائع الشخص وطبائع الفعل القصصى، فلا يكون أعلى أو أدنى من مستوى البوح الذى ينبغى أن يصدر عن هؤلاء الشخص، ولا يكون مقحماً على عناصر الواقع الحدّثى الذى يعتلج داخل العمل القصصى... ويعنى السرد ليس مطلق السرد، وإنما حساسية القاص فى اختيار نوعية الصيغ الموائمة التى يتعامل بها مع موضوعه، بضمير المتكلم إذا شاء، أو بضمير الغائب إذا أراد، وبتحريك عناصر لغوية وتركيبية كثيرة لإبراز المضمون الذى يهدف إليه، وخلق الجو الذى يسبح فيه حتى يصل إلى شاطئ ما يريد.

ويمكن أن يلاحظ فى هذا الصدد شرط أساسى هو: حتمية توظيف كل عناصر (البناء والنسيج) فى تصوير حدث متكامل، من خلال وحدة لا تنحل، وأن تظل كل مفردات البناء والنسيج فى خدمة هذا الحدث لتصويره من جهة، ولتطويره من جهة أخرى، حتى لا يختل البناء الفنى للعمل القصصى، أو يصاب بنوع من الإنشائية أو الخطابية التى لا تدخل فى سياق التصميم العضوى للقصة بشكل عام.

أما القصة القرآنية، وهى عالم متميز بخصائصه الشكلية والمضمونية على السواء، فقد لقيت من عناية الباحثين المعاصرين جهداً كبيراً أضاع كثيراً من جوانبها الفنية، وحدّد فيها نوع المهمة ونوع الأداة جميعاً، وفصّ مغاليق

و تتكرر عبارات بعينها في آخر كل قصة، لأنه يتجه إلى الإرهاب والإثارة والإحاطة بالسامعين والقارئين وإعجالهم عن التفكير والتدبر، كأنما أخذتهم من كل مكان ريح عاصفة، لا يجدون منها مهرباً، ولا يرون لأنفسهم عنها منصرفاً، فهي تصب عليهم العبر والعظات والمثلّات صبا، أو كأنهم يمحطون من السماء صخوراً متتابعة فهم لا يملكون إلا أن يذعنوا لما يصبّ عليهم، لا يجدون من الوقت ولا من القوة ما يتيح لهم رجع الجواب أو الجدل في بعض ما يصبّ عليهم، وإنما هي الآيات تتابع قصاراً أشد القصر، متسقة أروع الاتساق، والعبر القاصمة تستنبط منها في سرع سريع أيضاً، وهم لا يكادون يفرغون من قصة حتى تتبعها قصة أخرى، تأتي في إثرها في سرعة خاطفة، وقوة مذهلة، وقرأ إن شئت سورتين كسورة الشعراء وسورة القصص، فستجد السرعة كل السرعة، والقوة كل القوة، في السورة الأولى، وستجد الأناة والمهل في السورة الثانية، ولكنك ستجد الروعة في السورتين جميعاً، تروع أولهما بما اختصت به من هذه السرعة، وتروع الأخرى بما امتازت به من الأناة، وذلك في القرآن كثير^(٢).

فهنا يتواءم السياق مع المضامين المتباينة ريثاً وتَسَارُعاً، ويتواءم كذلك مع المناخات النفسية المتلقية ترغيباً وترهيباً، دون أن يفقد السياق القصصي أيّاً من عناصره المكوّنة في أي من مراحل التعامل مع شخوص القصة أو أحداثها على السواء.

الأدائيّ لم يستطع العرب أن يحاكيه في أيام النبي ﷺ ولا بعده، ذلك أنك (تتلو بعض سوره فإذا أنت مضطر في تلاوتها إلى الأناة والتمهل، لأنها فصلت في ريث ومهل لأداء معان تحتاج إلى البسط والريث، كالتشريع مثلاً، ووصف ما كان يثار بين المسلمين والمشركين من الحروب والمواقع، وتتلو بعض سوره الأخرى فإذا أنت مضطر إلى شيء من السّرْع لأنها تؤدي معاني يحتاج أدائها إلى القوة والعنف، قد فصلت آياتها قصاراً ملتزمة الفواصل، تقرأها فكأنك تنحدر من عل، وذلك حين يخوف الله عباده ويشتد في تخويفهم، فيأخذهم من جميع أقطارهم، ويقطع عليهم طريق الجدل والحجاج^(١)).

فإذا كانت هذه خاصية عامة في الأداء القرآني المعجز، فإنها تتألق بشكل خاص في الأداء القصصي في القرآن الكريم، مما يؤكد تواؤم (السياق) مع طبيعة (المضمون) الذي يحمله آنأً، وتواؤم (السياق) مع طبيعة (المناخ النفسي) الذي يتوجه إليه آنأً آخر، دون أن يفقد جدل السياق والمضمون والمناخ أي مستوى من روعة الأداء، وجمال القصّ، وإعجاز التركيب...

يقول طه حسين:

(وربما يقص من أنباء الرسل فيمضي القصص في هدوء ومهل، لأنه يتجه إلى إثارة التفكير والاعتبار والتروية فيما جرى على الأمم من قبل، والحذر من أن يجرى عليهم مثله. ثم يقصّ في سورة أخرى نفس الأنباء فتقصر الآيات وتسرع، وتتسق الفواصل وتنسجم،

(٢) المرجع السابق ص ١٥٠، ١٥١.

(١) طه حسين، مرآة الإسلام ص ٥٠.



ولكن القرآن هنا يهمل هذا كله، فلا يتحدث عن المغرقين، ولا عن جهودهم ومحاولاتهم، ولا عما لقوا من الألم في أنفسهم، ولا عما أحسوا من الندم لإعراضهم عن نوح ودعوته، لا يتحدث الله عن هذا، وإنما يستأنف الحديث عن السفينة^(٣).

ويقول طه حسين - بعد أن يردّد الآيات القرآنية المجسّدة لقصة نوح مع ابنه:

(كم من يوم ظل الماء غامراً للأرض؟ وكم من يوم جرت السفينة في هذه الأمواج المتلاطمة قبل أن تستقر على الجودي؟ هذه أشياء لا يتحدث الله بها في هذا الموضع من القصة، وإنما يتركها لفهم السامع والقارئ وتقديرهما، وفي هذا الإيجاز المعجز ما يصور هول القصة، وربما صور الهول بالإعراض عن وصفه تصويراً أروع وأشد من وصفه)^(٤).

وإذن فالإيجاز اللامح المكثف مقصود إليه في القصّ القرآني، وتعميم الدلالة من خلال تجهيل كثير من الشخصوس وكثير من المكان والزمان مقصود إليه في القصّ القرآني، وتحريك الطاقات المتلقية في اتجاه تصور ما حدث ليكون حجم الاستجابة أعرض وأعمق وأرهف مقصود إليه في القصّ القرآني وقد استطاع طه حسين في دراسته لهذا الجانب الحيّ من جوانب الإعجاز القرآني أن يضيء لنا أبعاد هذه الظواهر، من خلال سياقات قصصية، أرسى بها القرآن الكريم أصول اتجاه خاص به في هذا المجال.

ويتخطى طه حسين هذه الوضعية الفنية في خصائص القصة القرآنية إلى وضعية فنية أخرى، لعلها أن تكون أقرب مما عداها إلى النزوع الفني الخالص في البناء القصصي بشكل مطلق، وفي البناء القصصي القرآني بشكل خاص، وهي عمّد القرآن الكريم إلى نوع من الإيجاز الذي يحذف من القصة كل ما يمكن أن يستحضره السامع والقارئ من أحداثها، لأنه طبيعي لازم لما تلي من القصة، ولعل الحكمة في هذا الفعل القرآني تكمن في كون القرآن لا يتوجه بقصّ معين إلى حدث معين فحسب، وإنما يتوجه إلى كل الواقع التاريخي المشابه بهذا القص ليضيئه ويجسد مواطن العبرة فيه من خلال هذا التوجه المتعين، ثم في كون القرآن يعمل على تحريك الطاقة الإنسانية المتلقية لتذهب في معاشة الإيقاع القصصي إلى أبعد آماذ التخيل والاكتناه والاستقصاء.. يقول طه حسين - بعد أن يورد الآيات القرآنية المجسّدة لقصة نوح مع قومه -:

(ينبغي أن نقف عند هذا الإيجاز الرائع المؤلف كثيراً في القرآن، والذي يقتضى أن يحذف من القصة كل ما يمكن أن يستحضره السامع والقارئ من أحداثها لأنه طبيعي لازم لما تلي من القصة، فهذا الماء قد غمر الأرض، ولقى الظالمون من قوم نوح ما لقوا من الجهد، وحاولوا كل محاولة ممكنة لينقذوا أنفسهم من الغرق فلم ينفع جهدهم، ولم تغن عنهم محاولاتهم من الله شيئاً، ذلك لأن الله إذا أراد بقوم سوءاً فلا مردّ له، ولا سبيل إلى اتقائه،

(٤) المرجع السابق ص ١٦٩.

(٣) المرجع السابق ص ١٦٨، ١٦٩.





صلة اللوحى

لفضيلة الشيخ / عبد المصنف محمود عبد الفتاح (*)

قال الله تعالى:-

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١).

رحم الانسان: اقاربه، وهم أولى الناس بالرعاية، وأحقهم بالعناية، وأجدرهم بالشفقة والحماية، وصلتهم؛ إنما تكون بملاطفتهم، والدفاع عن أعراضهم، والذود عن حاجتهم، وتفريج همومهم، وكشف غمومهم، وقضاء حاجاتهم، إن كانوا محتاجين، ومديد المساعدة والعون لهم، إن كانوا معوزين، وسداد ديونهم إن كانوا مدينين، وإطعامهم من جوع، وإيمانهم من خوف، وتوقير كبيرهم، والعطف على صغيرهم، وتهنئتهم، إذا لحقهم خير، ومواساتهم إذا أصابهم شر، والتودد إليهم بالزيارة والهدايا، جبراً لخطرهم، وتطبيباً لنفوسهم، وإطفاء لنار الحسد والبغضاء من صدورهم.. وبذل غاية الجهد في كل ما يجلب محبتهم من إلانة الجانب، وإظهار البشاشة عند اللقاء، ومبادأتهم بالسلام، ومخاطبتهم بلين الكلام، والإحسان إليهم وإن كانوا يجهلون.. وروى في الصحيح: أن رجلاً قال: «يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعوننى. وأحسن إليهم، ويسينئون لى، وأحلم عنهم ويجهلون لى»، فقال: لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ (يعنى الرماد الحار) ولا يزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك».. وقال رجل لابنه فى بعض وصاياه: «يا بنى لا تقطع القريب، وإن أساء، فإن المرء لا يأكل لحمه وإن جاع».

(١) النساء «١».

(*) المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر.

الآخرة، وصيانتها عن تضييعه في غير ذلك.. ومثل هذا ما جاء: «أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة إلى أعمار من مضى من الأمم، فأعطاه الله ليلة القدر.. خيرا من ألف شهر.. وحاصله: أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والعبادة، والصيانة من المعصية، فيبقى بعده: الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذى ينتفع به من بعده بتأليف ونحوه، والصدقة الجارية عليه، والذرية الصالحة.

وثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بقبض الأرواح، والذى فى الآية بالنسبة إلى علم الله - تبارك وتعالى - .

كأن يُقال للملك مثلا: إن عمر فلان مائة سنة، إن وصل رحمه، وإن قطعها: فستون، وقد سبق فى علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذى فى علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذى فى علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة أو النقص، وإليه الإشارة بقول الله - تعالى - :

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٦).

والحو والإثبات بالنسبة إلى ما فى علم الملك، وما فى أم الكتاب، وأما الذى فى علم الله فلا محو فيه البتة، ويقال له: القضاء المبرم، ويقال **لأول:** القضاء المعلق.

فصلة الرحم: خلة من أجمل الخلال، وخصلة من أفضل الخصال، بها يزول التباعد والتحاسد، ويكثر التراحم والتواد، وبراعاتها تستمال القلوب، وتغفر الذنوب، ولذا حث الشارع الحكيم عليها، وبالغ فى التمسك بها، حتى إننا لنجد الرسول ﷺ يرتب السعة فى الرزق، والبركة فى العمر، وحسن الذكرى فى العقب، على بر الأقارب فيقول: «من سره أن يبسط فى رزقه، وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه» (٢).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «إن صلة الرحم محبة فى الأهل، مثرة فى المال، منسأة فى الأجل» (٣).. وعن عائشة - رضى الله عنها - مرفوعا: «صلة الرحم، وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان فى الأعمار» (٤)..

وجاء فى الأثر: «إن أعجل الطاعة ثوابا: صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون عصاة، فتنموا أموالهم، ويكثر عددهم، إذا وصلوا أرحامهم».

قال ابن القيم: ظاهر حديث البخارى: «من سره أن يبسط له فى رزقه.. معارض لقول الله - تعالى - :

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٥).

قال: والجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن الزيادة: كناية عن البركة فى العمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه فى

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه الترمذى.

(٤) رواه الإمام أحمد.

(٥) الأعراف «٣٤».

(٦) الرعد «٣٩».



والوجه الأول: أليق، فإن الأثر ما يتبع الشيء، فإذا أخر: حسن أن يحمل على الذكر الحسن، بعد فقد المذكور، ورجحه الطيبي وأشار إليه في: «الفائق» ويؤيده ما روى عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: «ذكر عند رسول الله ﷺ: «من وصل رحمه أنسى له في أجله»؟ فقال: إنه ليس زيادة في عمره، قال تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده» (٧).

وجزم ابن قورك: بأن المراد بزيادة العمر نفى الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله وقال غيره: «في أعم من ذلك وفي عمله ورزقه» (٨).

ولابن القيم في كتاب: «الداء والدواء»: «كلام يقضى بأن مدة حياة العبد وعمره هي: مهما كان قلبه مقبلا على الله، ذاكراً له، مطيعاً غير عاص، فهذه هي عمره، ومتى أعرض القلب عن الله - تعالى - واشتغل بالمعاصي: ضاعت عليه أيام حياة عمره» فعلى هذا معنى: «أن ينسأ له في أجله» أن يعمر الله قلبه بذكره وأوقاته بطاعته.

ثم إن صلة الرحم سبب في إقبال الله - عز وجل - على الواصل: باللطف والإكرام، والرحمة والإنعام.. وقطيعتها سبب في الحرمان من كل ذلك!!

روى الأصبهاني قال: «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، فقال: لا يجالسنا اليوم قاطع رحم، فقام فتى من الحلقة فأتى خالته، قد كان بينهما بعض الشيء فاستغفرها، فاستغفرت له، ثم عاد إلى المجلس فقال النبي ﷺ: «إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم».

وروى في الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله - تعالى - خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة!! قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك» (٩). ثم قال رسول الله ﷺ اقراءوا إن شئتم:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿١٢﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرِ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا﴾ (١٠).

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه - عز وجل -: «أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم «أى القرابة» وشققت له اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته» (١١).. وقال رسول الله ﷺ: «الرحم متعلق بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله» (١٢).. وقال ﷺ: «والذي بعثني بالحق، لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة

(٨) سبل السلام.

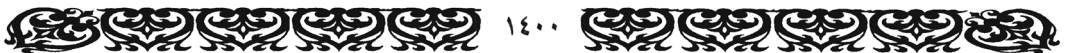
(٩) محمد «٢٢: ٢٤».

(١٢) رواه البخاري ومسلم.

(٧) رواه الطبراني في الصغير.

(٩) رواه البخاري ومسلم.

(١١) رواه أبو داود والترمذي.



﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَهُمْ سَوَاءٌ الدَّارِ﴾ (١٤).

وقال جل شأنه:

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ
اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٥).

وعن جبير بن مطعم - رضى الله عنه - قال:
قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع»
يعنى: قاطع رحم (١٦) .. وعن أبى بكر
مرفوعا: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله
لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما ادخره الله له
فى الآخرة: من قطيعة الرحم» (١٧) .. وعن أبى
هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله
ﷺ: «والذى بعثنى بالحق، لا يعذب الله يوم
القيامة من رحم اليتيم، وألأن له فى الكلام،
ورحم يتمه وضعفه، ولم يتطاول على جاره
بفضل ما آتاه الله، وقال: يا أمة محمد، والذى
بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله
قربة محتاجون إلى صدقته، ويصرفها إلى
غيرهم، والذى نفسى بيده: لا ينظر الله إليه
يوم القيامة» (١٨).

واختلف العلماء أيضا بأى شئ تكون قطيعة
الرحم؟

محتاجون إلى صدقته، ويصرفها إلى غيرهم، والذى
نفسى بيده، لا ينظر الله إليه يوم القيامة» (١٣).

واختلف العلماء فى تحديد الرحم التى تجب
صلتها:

ف قيل: هى الرحم التى يحرم النكاح بينها، بحيث
لو كان أحدهما ذكرا، حرم على الآخر، فعلى هذا لا
يدخل أولاد الأعمام، ولا أولاد الأخوال، لجواز
النكاح بابنة العم وابنة الخال، واحتج صاحب هذا
القول بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة
وخالتها فى النكاح، لما يؤدى إليه من التقاطع.

وقيل: هو من كان مرتبطا بميراث، ويدل عليه
قول النبى ﷺ: «برأ أمك ثم أباك، وأختك ثم
أخاك، ثم أذنك فأذنك».

وقيل: هو من كان بينه وبين الآخر قرابة سواء
أكان يرثه أم لا.

وصلة الرحم كما قال القاضى عياض: درجات
بعضها أرفع من بعض، وأدناها: ترك المهاجرة،
وصلتها بالكلام، ولو بالسلام، ويختلف ذلك
 باختلاف القدرة والحاجة، فمنها: ما هو واجب،
ومنها: ما هو مستحب، فلو وصل بعض الصلة،
ولم يصل إلى غايتها، لم يسم قاطعا. ولو قصر
عما يقدر عليه وينبغى له لم يسم واصلا.

وها هو ذا سبحانه وتعالى يهدد الذين يقطعون
أرحامهم بالوعيد الشديد، وهو الطرد من رحمته،
والمصير إلى دار عقوبته، قال الله - تعالى -:

(١٤) الرعد «٢٥».

(١٦) متفق عليه.

(١٨) رواه الطبرانى بسند رجاله ثقات.

(١٣) رواه الطبرانى.

(١٥) البقرة «٢٧».

(١٧) رواه أبوداود.



فكتب محمد إلى أخيه الحسن يقول: أما بعد: فإن أبى وأباك على بن أبى طالب لا تفضلنى فيه ولا أفضلك، وإن أمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وأمى امرأة من بنى حنيفة، فوالله لو أن ملء الأرض من مثل أمى: ما عدلن أمك، فإذا بلغك كتابى هذا فاحضر إلى لتتراضانى فإنك أحق بالفضل منى.. فما أن بلغ الكتاب: إلى الحسن، حتى بادر إلى أخيه وترضاه...».

ولعل ترغيب الشارع الحكيم: فى صلة الرحم، وتشديده فى أمرها وتحذيره من قطعها، حتى جعلها من أكبر الكبائر: إن أقارب الإنسان أشد نصرة له بعد الأبوين، وأعظمهم محبة له، وأكثرهم رغبة فى الخير له.. بهم يشتد ساعده، وتقوى شوكته، ويعظم جاهه، ويرتفع ذكره، ولا عجب فهم أكثر الناس به اختلاطاً، فإذا قصعهم: تكدر صفوه، وتنغص عيشه، وتحير لبه، وكثر همه، وعظم شره، وقل خيره.. وهذا كله: يحتم على الإنسان: لا أن يصلهم، وأن يعمد إلى إيصال الخير إليهم، فهم أولى بالبر من غيرهم. ألم يجعل الله الأمر بصلتهم عقب الأمر بتقواه:

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ

فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٠).

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

فقال الزين العراقى: «تكون بالإساءة إلى الرحم» وقال غيره: «تكون بترك الإحسان، لأن الأحاديث آمرة بالصلة، ناهية عن القطيعة، فلا واسطة بينهما».

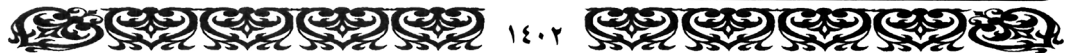
والصلة، نوع من الإحسان، كما فسرهما بذلك غير واحد، والقطيعة، ضدها، وهى بترك الإحسان» عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (١٩).

ومن لطيف ما يروى أنه جرت بين محمد بن الحنفية، وأخيه الحسن بن على - رضى الله عنهم - أجمعين جفوة، فانصرفا متغاضبين، فلما وصل محمد إلى بيته أخذ ورقة وكتب فيها «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن على بن أبى طالب: إلى أخيه الحسن بن على بن أبى طالب: أما بعد:

فإن لك شرفاً لا أبلغه، وفضلاً لا أدركه، فإذا قرأت رقعتى هذه فالبس رداءك ونعليك، وسر إلى فترضنى، وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذى أنت أولى به منى والسلام.

فلما قرأ الحسن الرقعة: لبس رداءه ونعليه ثم جاء إلى أخيه محمد فترضاه»

وفى رواية أخرى: ما يفيد بأنه وقع بين محمد بن الحنفية وأخيه الحسن بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهم - جفوة.



الإسلام

دعوة لتحقيق الوحدة الإنسانية

المستشار / محمد عزت الطرطاوى

عندما أشرقت دعوة الإسلام على الدنيا ونادى الرسول ﷺ بعقيدة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) كان ذلك إعلاناً منه بأن هذا الدين هو دين الإنسانية عامة لا دين أمة خاصة، وكان مما شرطه الله على الداخل فيه وجوب الإيمان بجميع الرسل الذين سبق إرسالهم إلى الأمم الماضية، وبجميع الكتب المنزلة إجمالاً قال الله - تعالى :-

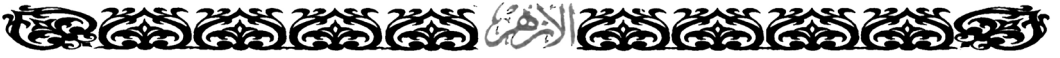
﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝﴾ (١).

فالإسلام فى دعوته يدعو إلى الإيمان بعقيدة تحترم الإنسانية كلها وعدم التفرق فيها تحقيقاً للوحدة الدينية التى هى أساس كل خير يرجى للجماعات البشرية، لذلك كان عند ظهوره أكبر تطور حدث فى العالم يمكن تسجيله للعقلية الدينية، وهو ما لا يمكن حدوثه من عقل بشرى بدون إرشاد سماوى .

لذلك كان الكفر بواحد من أولئك الرسل أو بكتاب من تلك الكتب لا يجعل ذلك المرء من زمرة المسلمين قال جل وعلا : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝﴾ (٢).

(٢) سورة النساء الآيات: ١٥٠/١٥١.

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥.



أمة الإسلام أمة عالية

لم يكتف الإسلام بتوحيد الدين من الوجهة النظرية ولكنه عمل على تحقيق هذا التطور العظيم بتأليف أمة عالمية غير قومية كان فيها لذوى الألوان المختلفة واللغات المتباينة والأجناس المتباعدة حقوق واحدة تحت اسم جامع مشترك تفنى فيه جميع الأسماء الخاصة، هذا الاسم هو (أمة الإسلام) قال تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٣) وقال:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٤)

الأصول التى قررها الإسلام لتحقيق هذا التطور العالى

أولها: الامتناع عن التقليد خصوصاً فيما يتعلق بالعقيدة الدينية.

ثانيها: وجوب الرجوع إلى العقل فى الأخذ بالعقيدة الدينية المشار إليها.

ثالثها: طلب الدليل على كل ما يتطلب التصديق به.

رابعها: الاستماع إلى كل قول واتباع أحسنه.

خامسها: تصيّد الحكمة من مظانها.

سادسها: طلب العلم وبذل كل جهد للوصول إلى لبابه.

سابعها: النظر فى خلق السماوات والأرض وفى جميع ما يقع تحت سلطان البصر والتأمل فيها وهو كتاب الله المنظور.

ثامنها: السياحة فى الأرض لدراسة أحوال الأمم ومعرفة علل تقدمها وتأخرها أو سبب هلاكها وبقائها.

تاسعها: عدم الاعتداد بالعقائد الموروثة ومحاكمتها إلى العلم والعقل وتطلب الدليل عليها.

عاشرها: استشعار المسؤولية الشخصية، والاعتقاد بأن الإنسان لا يغنى عنه أحد شيئاً.

فهذه الأصول

لو أخذت بها الأمة لحدث فى عقليتها ونفسياتها ووجودها الاجتماعى تطور سريع لا يقف دون بلوغها أرفع مستوى تتوق إليه فى حياتها الأرضية

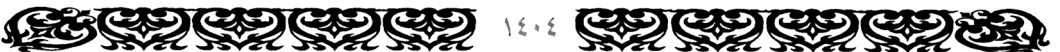
ولو أخذت بها الأمم قاطبة لتقاربت وتفاهمت وتعاطفت وانتهت إلى الوحدة التامة كما حدث لأمة الإسلام وهى مؤلفة من عشرات من القوميات، وكما يحدث لمن يقبل الإسلام ديناً له، إذ يجد نفسه كأنه من المسلمين جسداً وروحاً وينسى أنه من نبات بيئة أجنبية.

وهذا التطور لو حدث فسيكون فى مصلحة الإسلام لأنه كفل لنفسه هذه المكانة بما أحاط جوهره من العوامل التى تجعله الغاية التى ليس وراءها غاية أخرى (٥).

(٤) سورة المؤمنون الآية ٥٢.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٩٢.

(٥) كتاب السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة تأليف العلامة الموسوعى الأستاذ محمد فريد وجدى. صفحة ١٠٦.





فهو يدعو إلى توحيد الله وتنزيهه

ويحول دون الخيالات أن تتناولته على أية حالة، تلك الخيالات التي فرقت الأمم شيعاً وألبست الأوهام حُلَّةَ الدين.

كما يدعو الإسلام إلى الوحدة الاجتماعية والوحدة الدينية

لكنه لا يقيد بها بأسلوب مقرر بل يترك لناموس الترقى الحرية في تكييف جهودها على ما تستدعيه حالات الانتقال في الأزمنة المختلفة.

والإسلام يمنح العقل سلطانه كله في التفكير.

فلا يحمله إصراراً إلا ما يزيد في نضوجه من علم ونظر ولا يرى حرجاً لمن فكر لكي يتثبت ويتحقق

وهو يطلق للميول الجسدية حريتها ولكن في دائرة الاعتدال.

هذه الدائرة ترسمها الحكمة المستمدة من العلم الصحيح، لا من التحكم وإرادة التسخير. والإسلام يأمر بالتوسع في العلم والتبحر فيه.

وهو العلم الذي محصلته من الواقع المحسوس لا الذي يشطح في الخيال وتمده الأوهام والظنون كما يأمر بمراعاة الأحوال وتقدير الظروف. ومعالجة الأمور بالحكمة لا بالخرق، وبالتشاور لا بالاستبداد بالرأى.

ولا يحرم الإسلام على أهله إلا الخبائث ما ظهر منها وما بطن.

سواء أكانت في مأكَل ومشرب أم في قول وعمل، وفي نفس الوقت يحل لهم الطيبات لكن في حدود الاعتدال والتوسط بلا تقتير أو سرف. ويحث على دوام الترقى.

وتطلب الأحسن من كل شيء، وتوخي الأمثل من كل رغبة.

ويحض على التخلق بأخلاق الله

وهو ما يرى في آثار حكمته وعدله، ورحمته وإحسانه وتديبِهِ وإتقانه ظاهراً يبهّر الأنظار في كتاب الكون المبسوط للناس كافة^(٦).

وبعد:

فإن ديناً يكون قد أحاط بكل هذه العوامل جدير بأن يبقى على الدهر، ويدوم دوام السماوات والأرض وإن التوى علي أعدائه والحاقدين عليه، لكن إذا استعدت النفوس الهائمة إلى إثثار الوحدة الاجتماعية والوحدة الدينية وجدت الإسلام أمامها يدعوها إلى حظيرته فأقبلت عليه إقبال الهيم على المورد العذب فقبلته ديناً لها وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دِينٍ اللَّهِ يَجْعُولُ وَلَهُ اسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٢﴾
قُلْ ءَأَمَّنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٧﴾﴾

(٧) الآيتان ٨٣، ٨٤ من سورة آل عمران.

(٦) كتاب السيرة المحمدية المرجع السابق.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أجهل من قومي قومك

قال معاوية يوما لرجل من أهل اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ! فقال أجهل من قومي قومك الذين قالوا لما دعاهم الرسول ﷺ للإيمان :

﴿ اَللّٰهُمَّ اِنْ كُنْتَ هٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ اَوْ اَنْتِنَا بِعَذَابِ الْيَمْرِ ﴾ (١).

ولم يقولوا : « إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ».

حقائق

- لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة.
- قدر الرجل على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدر غيرته.
- من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما لا يعلمون.
- نفس المرء خطاه إلى أجله.
- أوضع العلم ما وقف على اللسان، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان.

(١) سورة الأنفال الآية: ٣٢.



كيف أصبحت؟

قيل لأحد العلماء الأئمة - رضى الله عنهم -
: كيف أصبحت ؟

قال : أصبحت تطلبني ثمانية : الله تبارك
وتعالى - بالفروض ، ورسوله ﷺ بالسنة ،
والدهر بصروفه ، والعيال بقوتهم ، والحفظة بما
ينطق لسانى ، والشيطان بالمعاصى ، والنفس
بالشهوات ، وملك الموت بقبض روحى .

كناية.. وتعريض

مرض زياد فدخل عليه شريح القاضى
يعوده ، فلما خرج بعث إليه مسروق بن الأجدع
يسأله : كيف تركت الأمير ؟
قال : تركته يأمر وينهى .
فقال مسروق : إن شريحا صاحب تعريض
فاسأله ، فسأله ، قال : تركته يأمر بالوصية ،
وينهى عن البكاء .

دماء

اللهم إن مغفرتك أرجى من عملى ، وإن
رحمتك أوسع من ذنبى ، اللهم إن لم أكن أهلا
أن أبلغ رحمتك ، فرحمتك أهل أن تبلغنى لأنها
وسعت كل شىء يا أرحم الراحمين .

حقا

وكل كسر فإن الله يجبره
وما لكسر قناة الدين جبران

ما ظنكم

تحسر بعض الحكماء عند موته ، ف قيل له : ما
بك ؟ فقال : ما ظنكم بمن يقطع سفرا طويلا بلا
زاد ، ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس ، ويقدم
على حكم عدل بلا حجة .

الأولى لنا

امتنع رجل عن غسل يده للطعام عند الحسن
البصرى ، فأمره بغسلها وقال له : الغسلة الأولى
لنا ، والثانية لك فإن شئت فدعها .

البخل والكرم

أنفق ولا تخش إقلالاً فقد قسمت
بين العباد من الآجال أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولىة
ولا يضر مع الإقبال إنفاق

وَأَقْعَدِي حَالِي

للشاعر
أحمد مصطفى حافظ

فكانتـا.. شـدقي رحي
قد أطبقا.. كمعصره
شجت بها رأسي وكفى جرحها ما أغوره
وطاف بي في لحظة
رهيبـة.. مؤثرة
أطـاف من أهوى وما
يشـينني أن أذكره
جـبلة الإنسان أن
يخـشى الردى ويحـذره
والموت باب كلنا
لا بد أن.. أن يعـبـره
والعمر مهما طال عند النزاع ما.. ما أقصره
صـحيفتي.. كأنها
من كل خير.. مقفره!
هل ياترى.. تندمي
يرد هول الغـرغـره؟
يانفس بالله اهدئي
ولتخبتي.. مستغفره
هذا بلاء مـحـدق
أم عـبـرة وتذكره؟
تزجي لمن لا يرعـوي
بالبطش.. بعد التبصره!
.. تعد عندى منحة
لا مـحـنة مـكـدره
عـزأونا: يقـيننا
بأنها.. مقـدره

في ساعة مبكره
والليل ينضو مـئـزـره
بفـجر يوم حـافـل
كم هزنى.. ما أضـمـره
مضت بنا سـيـارة
تقلنا.. مستبـشـره
يقـودها مـحـنـك
ما أعـوزته المقـدره
والأهل فى انتظـارنا
برحلة مـقـرره
ونـحـن فى بـراءه
قد أمتعتنا الثـرثـره
وفجأة.. ياتعـسـنا
إذا بنا.. بمـجـزـره!
سالت بهادماؤنا
غـزيرة.. مـبـعـثـره
فقد دهننا بـغـتـة
سيارة.. مزـمـجره
من خلفنا.. كأنها
لـحـفـنا.. مـسـيرـه
ليست ثـبالى إن غـدت
تسوقنا.. لمقـبـره!
وزلزلت أعـصـابنا
بصدمة مـدـمـره
ثم ارتطمنا.. عـقـبـها
بـجـزع أخـرى.. مـدـبـره

المعادلة الصعبة

د. سنان / مجدى عبدالمجيد بشير

هداية الله لبعض خلقه فضل عظيم ينبغي أن يشكروا ولا يكفروا، ونعمة جلييلة تستوجب الحمد والثناء، كما أن ضلال الكثيرين عن طريق الله وانحرافهم عن سبيل الحق هو عدل محض اقتضته طباعهم المختلفة وأعمالهم السيئة التي يزكّيها استعداد للجنوح وعدم إيمان بعالم الروح. وربما كان للفريق الثانى العذر لو لم ينزل الله الكتب ويبعث الرسل استناداً للقاعدة القانونية التي تقول: «إنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص» لكن تلك الحجة مدحوضه بعد أن اصطفى الله من عباده أنفاهم فطراً وأصفاهم نفساً وأكرمهم سجايا وختمهم بمن تسنم القمة العليا في الخلق الرفيع سيدنا محمد ﷺ عبد الله ورسوله، أركى البرية أجمعين وحبيب رب العالمين صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين شمس الهدى لكل من تطلع إلى معالى الأمور ورام الحقيقة في أرضى صورها.

لا تشغله الحياة الدنيا وما فيها من زخرف الآمال الخادعة وزينة السراب الواهى عن الاستعداد للحياة الباقية والتزود للدار الآخرة، تلك ببساطة المعادلة الصعبة التي أنيطت بعباد الله المخلصين حين أكد الله على خاصية من خصائص الرجولة التي يغفل عنها الماديون ويحصرونها في معنى ضيق يذرى بمكانة الإنسان ويحط من منزلته ويهوى به إلى مستوى الحيوان الذى لاهم له سوى إشباع غريزته وإطفاء أواصرها ولو فهم لأدرك أنه يزيدها سعاراً وتأججاً أما المعنى الحقيقى للرجولة

وعنوان سعادة المرء ودليل توفيقه هو امتثاله أوامر ربه واجتنابه نواهيه واستقامته على شرع الله ودينه يزداد بذلك استمساكاً وتشبثاً كلما أوغل في بحر الحياة الذى لا تزداد أمواجه إلا ارتفاعاً ولا لججه إلا علواً وفي ذلك اختبار وتمحيص لمهارة الملاح المؤمن وبراعته فى الوصول بسفينته إلى بر الأمان وشط النجاة وهو يستعين فى سبيل تحقيق ذلك بطاقة روحية فذة لا يملكها إلا هو، ولا تستمد إلا من داخله، مبعثها إقباله على الله بنية صادقة وعبودية لله خالصة، ركيزتها وجوهرها أن

فقد بينه سبحانه في قوله :

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦)
رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَلْقَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿١﴾

فهو كما ترى وصف دقيق للمساجد بأنها مصانع الرجال يتربون فيها على القيم ويحرصون على المبادئ التي أهمها أنه على الرغم من اشتغالهم بالبيع والشراء - وهو أمر جوهرى لحياتهم - إلا أن ذلك لم يمنعهم من استحضار عظمة الله استحضاراً على تقواه وعبادته فالْمُؤْمِنُ ليس مجرد تاجر يبيع ويشترى فيخسر ويربح إنما هو يوظف كل ذلك لتحقيق غرض لا يحيد عنه فهو يغتنم أيام ولحظات الدهر في الأعمال الصالحة التي تعود بالنفع عليه وعلى غيره يبتغى فيما آتاه الله وجه ربه والدار الآخرة، لعلمه أن تلك الحياة ما هي إلا وسيلة للفوز بالحياة الدائمة والظفر بالسعادة الحقيقية فالْحَيَاةُ ليست كما يصورها الفارغون أعمالاً شاقة مؤبدة نهايتها الإعدام وإنما الموت أولى مراحل الآخرة، وخروج الإنسان من الدنيا أشبه ما يكون بخروجه من رحم أمه إلى دنيا الناس مع فارق أساسى هو أنه في بطن أمه لم يكن يعمل أو يكسب، بينما هو في الدنيا يكسب ويكدح أما في الآخرة فلا عمل، لأنها دار جزاء وثواب والدنيا عرض زائل، وظل أقل يأكل منها البر والفاجر، وأنه مهما طال فيها العمر وانفسح

فيها للمرء الأجل فسرعان ما تبلى وتزوى، وعما قليل تفنى وتنقضى ولقد رسمت آيات الكتاب المبين صوراً للدنيا اتخذت مما يشاهده المرء صباحاً ومساءً محوراً وهى صور بسيطة لا تعقيد فيها يفهمها كل من رآها قال تعالى :

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَالُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ ﴾ (٢)

فهى كالسوق عقدت وانفضت خسر فيها من خسر وربح فيها من وعى، فمن منا لم ير المطر يهطل من السحاب فينزل على الأرض ينبت ما فيها من زرع تراه الأعين فتسر بمنظره وتمسه الأيدي فتنساب نعمته فى كل خلايا الجسم ثم يأخذ ذلك النبات شيئاً فشيئاً كالطفل يكبر طوراً فطوراً ثم ينضج حتى يصل إلى مرحلة تسبى الأنظار وتأخذ بالألبات لدرجة يتمنى المرء معها لو أن الزمان توقف عند تلك الفترة المترعة بالرغد، المفعمة بالجمال والسحر والفتنة، لكن سرعان ما يذوى ويشيخ ثم يكون حطاماً، ثم يصبح أثراً بعد عين، فهكذا الدنيا فى عين المؤمن بل فى عين كل منصف أحسن استخدام عقله، وهى صورة لا تحتاج إلى شرح وإسهاب كما ترى وضحتها كلمات المعصوم - عليه السلام - فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أن رسول الله



ﷺ قال : « أن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النار » (٣).

فنحن هنا إذن لمهمة ولم نخلق عبثاً إنما خطواتنا معدودة وأنفاسنا محسوبة، كل لحظة تمر تبعدنا عن الدنيا وتقربنا من الآخرة والدنيا بكل ما حوت يحكمها قانون إلهي أوضحه الحديث الشريف عن سهل بن سعد الساعدي - رضی الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » (٤) وهي حقيقة عز على الملحدین إدراكها وتصور صعب على ذوی الخواء الروحي الإمام به؛ لأن عقولهم صورت لهم أنه ليس من الإمكان أبدع مما كان وواقع الأمر أن الله أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولو تفتحت بصائر أولئك الغاوين وزالت عنها حجب المادة الكثيفة، لأدركوا هوان الدنيا التي صورها الرسول أبدع تصوير في مشهد عادي جداً يمكن أن يمر به أي إنسان ولا يعيره أدنى اهتمام، وذلك حين مر ﷺ هو وصحبه على هذا المنظر عن ابن عباس - رضی الله عنه - قال : مر النبي - ﷺ - بشاة ميتة قد ألقاها أهلها فقال : « والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها » (٥) وهو قسم يصك كل أذن صمت عن سماع الحق ويبهز كل نفس تقاعست عن الانصياع للهدى لو أفاق الغافلون وصحى النائمون.

ومع هذا البيان الواضح والتحوير العميق للحياة الدنيا ترى الكثيرين يتعمون عن حقيقتها ويتغافلون عن الانقياد لأمر الله، والسبب هو أن الوهم لديهم لبس ثوب الأمل الخادع الذي صورته القرآن الكريم حين قال :

﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴾ (٦)

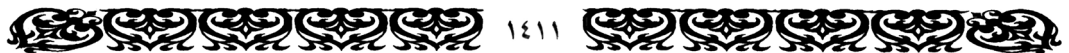
وران على قلوبهم سوء العمل وأصبحت الدنيا لديهم هي الوجه الوحيد الوحيد للحياة ولو أنصفوا أنفسهم لرأوا أن الآخرة هي الوجه الآخر والأجمل للحياة، إذ قل لى بربك كيف يُنصف المظلوم المهضوم فى الدنيا إن لم تكن هناك آخرة، فالحياة الأخرى إذن ضرورة يقتضيها العقل السليم ويحتملها الفكر السوى، وليست نوعاً من الفكر الترفى أو الترف الفكرى كما يزعمون . أما أن تستولى الدنيا على قلب المرء فتنسيه ذكر ربه ومن ثم نفسه وجوهره فيصير خاويًا فارغاً لا هدف له ولا قضية فهذا هو الفناء بعينه، وتأمل معى ذلك المثل الرائع الذى ضربه ﷺ لمن انهمك فى الدنيا وأهمل الآخرة وانكب على الشهوات يعب منها عباً فلا يزداد إلا ظمأً وسغباً، إنه مثل مستمد من البيئة التى كان يعيش فيها الأعرابي فهو يعيش فى الصحراء يرعى الغنم ويأكل لحومها ويشرب ألبانها ويكتسى ويستدفئ بأصوافها وأوبارها وأشعارها، هي مصدر

(٤) أخرجه الترمذى وقال: حديث حسن.

(٦) الحجر (٣).

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه.

(٥) أخرجه أحمد.



وراء المادة سابجا، فأنت لا ترى إلا أناسا لاهم لهم غير جمع الأموال وتضخيم الثروات وتكديس الممتلكات وزيادة الأرصدة فى البنوك، وهم فى سبيل ذلك يسلكون مسالك مشبوهة وسبلا محرمة والغريب أنه يقرع مسمع الكثيرين منهم آناء الليل وأطراف النهار تحذير رسول الله ﷺ من أكل الحرام حين يقول: «والذى نفس محمد بيده إن العبد ليقتذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما وأى عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به»^(٨). فقد جمع ذلك المخالف إلى جانب الحرام أمورا ترتبت عليه منها أن يضيع عمله سدى، إذ لا يتقبل وأنه يلقي بنفسه طائعا مختارا فى جهنم ويصبح طعاما للنار! وقانا الله وإياكم، وهكذا تلتف حوله حلقات الهلاك واحدة تلو الأخرى، فالحرام ساقه لحب الدنيا التى انصاعت لها نفسه الأمانة بالسوء المنقادة للهوى، وكلها مضار. ألفت به إليها أمورا كشرب المسكرات وتعاطى المخدرات واقتراف الفواحش وارتكاب المنكرات التى ساعده عليها سموات مفتوحة غصت بواقع الإعلام المعاصر وما تبثه وسائل الاتصال والكثير من القنوات الفضائية من تسويق للباطل وتزيين للشهوات وإهدار للقيم، وكلها أمور لا ينبغى السكوت عليها خصوصا مع النشء الصغير المستهدف، إن كل ما يحدث نتيجة طبيعية للامبالاة بينها

حياته ولا ريب وأى مساس بها خطر محقق يؤذن بزوال حياته ونهايتها، فهو إذن يبذل كل مافى وسعه للحفاظ عليها قال ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»^(٧). فأنت هنا أمام غنم هى رأس مال صاحبها وعماد حياته، تعيش فى أمان واطمئنان، تأكل الكلاء وتشرب الماء وفجأة يدهمها ويهجم عليها ذئبان ليشجع أحدهما الآخر وليس ذئبان عاديان لكنهما جائعان فيأتيان على الغنم ويبيدانها عن آخرها، هذه الصورة الواضحة أشد فظاعة منها وأكثر شرا وأخطر: حرص المرء واستسلامه لمظاهر الدنيا من شرف وجاه ومال وسلطان، الأمر الذى يفقد بسببه دينه وآخرته، إذ كيف به يحرص على الماديات وينسى المعنويات والروحانيات؟! إنها حماقة ما بعدها حماقة، ولم لا وحب الدنيا رأس كل خطيئة، الحب الذى يبعد بصاحبه عن الجادة وقال بعض السلف: «من أحب الدرهم والدينار فليتهىء للذل» وقد كان التابعون حريصين على إبراز هذا المنحى والتأكيد عليه فحين نظر الحسن البصرى - رحمه الله - إلى بعض أهل زمانه ورأى تكالبهم على الدنيا وغفلتهم عن الآخرة تساءل مستنكرا: «أيؤمنون بيوم الحساب هؤلاء» ثم أجاب مندداً: «كلا. كذبوا ومالك يوم الدين» إنها إدانة لمن خلى الفضيلة جانبا وجرى

(٨) أخرجه الطبرانى.

(٧) أخرجه الترمذى.



قوله - عز وجل - :

﴿ قَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ
وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (٩).

فهل هناك أغلى من الصلاة وأرخص من الملذات ومع هذا ارتكس المسيء في حمايتها!

وبعد : فمنظومة القيم والفضائل كحبات العقد الثمين النفيس، إذا انفرطت حبة انفرط العقد كله وتداعى البناء فتحكم الأعداء وانقلب الميزان فاستحوذوا على كثير من خيرات الأمة وسلبوا أجزاء من أرضها وميعوا كثيرا من أحوالها وساموا بعض الشعوب المسلمة سوء العذاب وليست فلسطين إلا حلقة من حلقات ذلك السلسل المرير ولقد أذّر رسول الله ﷺ وحذر أمته من أن تقبل على الدنيا وتخلد إليها وتدع الجهاد فقال : « إذا تبايعتم بالعينة وأكلتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم حتى ترجعوا إلى دينكم » (١٠).

وقال رسول الله ﷺ : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها » قلنا : يا رسول الله : أمن قلة بنا يومئذ قال : « أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل تنتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن » قلنا : وما الوهن؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » (١١) إنها الدعوة إذن إلى

الكيف وليس الكم والحرص على النوعية وليس العدد فالإسلام يريد رجالا يحرصون على الموت لتوهب لهم الحياة، فهؤلاء الأفاض الذين تعمّر بهم الحياة وتكتسب معناها ولم يخافوا الموت والأجل مقدر وقد وعدوا بإحدى الحسنين : النصر أو الشهادة ولم ترغ أفئدتهم والميزان واضح وضوح الشمس في قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَاتَّخَذَ الدُّنْيَا كُنْزًا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ أَهْوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ ﴾ (١٢).

ولم الحرص على الدنيا وأمنا في كتاب ربنا ما حل بالماضين من كوارث استعصلت شأقتهم لما عصوا ربهم؟! ثم ألا نتعظ بمن يرحلون عن الدنيا من أفراد وجماعات وآباء وأمّهات وأبناء وبنات وملوك ومماليك وأغنياء وصعاليك ومؤمنون وكفار وأبرار وفجار يودعون القبور وينتظرون يوم البعث والنشور؟! ولو أننا عادينا الشيطان لحققنا المعادلة الصعبة وزال من حياتنا كل الأعداء والأعباء والحمد لله أنه من رحمته بنا لم يحرمننا من وسائل الأمان حيث قال :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ
وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١٣).

فإنهم وهم تحصى ذنوبهم يكتب النصر لمن نصر الله منهم واتقاه .

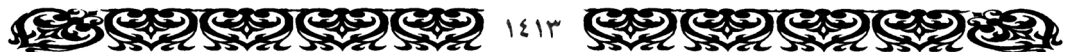
(١٠) أخرجه أبو داود.

(١٢) النازعات (٣٧ : ٤١).

(٩) مريم (٥٩).

(١١) أخرجه أحمد وأبو داود.

(١٣) الأنفال (٢٣).



﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استنفاء أرس القدر

بجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ / معوض مبروك عباس

والسنة النبوية أمرتنا به وحثتنا عليه فقال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وقوله ﷺ : « الزواج من سنتي ومن رغب عن سنتي فليس مني » وقوله أيضاً : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » فإذا بلغت المرأة سواء كانت بنتاً أو أختاً سن النكاح، وجاءها رجل كفاء لها ديناً وخلقاً ومالاً، وجب على وليها أن يزوجه، منعاً للفتنة في دينها وخلقها وشرفها،

المنع من الزواج

● سؤال من السيد / على محمد البصير من دولة قطر الشقيقة يقول فيه :

ماحكم الشرع فيمن منع بناته أو أخواته من الزواج مع العلم بأن البنات بلغن السن القانونية للزواج؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

فنفيد بأن الزواج سبب رئيسي في بقاء النوع الإنساني وعمار الكون لذلك نرى القرآن الكريم

(١) سورة الروم آية (٢١).



على ذلك فإن الدين الاسلامي يطلب من معتنقه أن يكون ذا ضمير حي، تحفظ به الحرمات، وتصان به الحقوق والواجبات والعدل في كل شئ أساس الملك ورأس الفضائل. وتاج المكارم، سبب الخيرات، ومصدر البركات.

والعدل بين الزوجات أمر واجب، أمر به الكتاب والسنة. والعدل المطلوب بين الزوجات يكون في النفقة والكسوة والمبيت. بحيث لا يفضل في ذلك واحدة على أخرى. ويذرهما كالمعلقة لا هي متزوجة ولا هي مطلقة.

وأما المسألة محل السؤال. فنقول للسائل: ماتقوله زوجتك الأولى بأن لها ليلتين هي وأولادها وللزوجة الثانية ليلة واحدة. أمر لا يجوز شرعاً. ويعرضك لغضب الله. إلا إذا وافقت عليه الزوجة الثانية برضاها؛ وإنجاب الأولى وعدم وجود أولاد للزوجة الثانية لا دخل له في التقسيم. وليس للأولاد في القسمة الشرعية، وماتقترحه الزوجة الأولى من وساوس الشيطان فاتق الله واعدل بينهما ولا تطعها والله أعلم.

الفش والتعدد في الزواج

● سؤال من السيد / أ.ج. ح. يقول فيه:

تقدمت لخطبة فتاة وقدمت شبكة بمبلغ ٢٠٥٠ جنيها وبعد ذلك اكتشفت أن

هذه الفتنة التي تؤثر عليها في حياتها وتمس كرامة أسرتها، وتعرضها للقليل والقال.

وغريزة الأمومة في المرأة غريزة طبيعية وفطرية، وكذلك الغريزة الجنسية من أعنف الغرائز، وهي كذلك غريزة فطرية للرجال والنساء.

فإن لم يفعل ولي أمر المرأة ومنع زواجها. وخشيت على نفسها الفتنة. فقد أجاز الأحناف للمرأة البالغة الرشيدة أن تزوج نفسها بدون إذن وليها والله أعلم.

العدل بين الزوجات

● سؤال من السيد / نصر على مصطفى يقول فيه:

لي زوجتان أنجبت من الأولى ولدين، والثانية لم تنجب، والزوجة الأولى تقول من حقى ليلة في المبيت، وللأولاد ليلة ثانية وللزوجة الثانية ليلة واحدة فهل هذا صحيح شرعاً أم لا؟

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنفيد بأن الدين الاسلامي والشرع الحكيم شدد على العدل بين الزوجات ولم يبح التعدد إلا بالعدل بين الزوجات فقال سبحانه وتعالى:

﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَتَلَّكَثَ وَرَبِّعْ فَإِنِ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (٢).

(٢) سورة النساء آية (٣).

جدوى، وثبت له أن في هذا الأمر نوع من الغش والتغدير.

وعليه فإن يحق له أن يسترد شبكته التي قدمها حيث إن القاعدة الفقهية تقول: «لا ضرر ولا ضرار» والله أعلم.

بناء القبر

● سؤال من السيد / فتحي زهران

يقول بعض الناس: إن بناء القبر بالطوب الأحمر تشاؤم بدخول من دفن فيه النار، فهل هذا صحيح؟

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نفيد بأن دخول الجنة والنار رهن بالإيمان والعمل ومشیئة الله - تعالى - وليس للقبر من حيث مادة بنائه دخل في هذا الموضوع، ومع ذلك استحسّن العلماء ألا يكون فيه شيء دخل النار كالأجر وهو الطوب المحروق، جاء في تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ٣٨١ قوله: ويكره الأجر في اللحد، وقال الشافعي: لا بأس به لأنه نوع من الحجر، وكرهه أبو حنيفة وأصحابه لأن الطوب الأحمر لإحكام البناء، والقبر وما فيه للبلى، فلا يليق به الإحكام، وقد حرم ابن حزم تخصيص المقابر أو بناءها بالطوب الأحمر المحرق بالنار.

هذا إذا لم تكن الأرض رخوة أو نديّة فإن كانت كذلك فلا حرمة ولا كراهة والله أعلم.

رائحة فمها لا تطاق فعرضتها على الأطباء وأجروا لها كشف منظار فكشف عن مرضها وهو التهاب في المعدة وضعف في المرئ مما يسبب ارتجاعاً فيحدث رائحة كريهة في الفم تتعبني وتألني صحياً ونفسياً ومادياً، ولم يصارحنى بهذا المرض والدها أو والدتها أو أختها أو أى أحد من طرفها وأنا لا أستطيع تحمل نفقات هذا المرض ولا أتحمل الاستمرار مع هذا المرض والعيب فهل يصح لى استرداد شبكتى من عدمه؟

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نفيد بأن الإسلام دائماً يحارب الغش وينهى عنه وخاصة في أمر الزواج، ولذلك حث على التكافل، والتكافؤ في الأدب والخلق والوضع الاجتماعى، والنواحي الصحية، التى تنادى بتأسيس بيت يقوم على قواعد سليمة، ينتج عن ذلك ذرية صالحة سليمة خالية من الأمراض.

هذا ولما كان السائل، قد تقدم لخطبة الفتاة المذكورة وتبين له بعد أن ألبسها الشبكة، رائحة فمها الكريهة التى تجعل الزوج فى صورة رفض وإعراض عنها حيث لا يطبق هذه الرائحة وبالبحث والتحري والتحليل وعرضها على الأطباء وجد بها عيوب فى المعدة. وحاول علاجها ولكن دون



الرضاع

● سؤال من السيد / عثمان محمد اللبودى يقول فيه :

شاب يريد الزواج من فتاة هو لم يرضع من أمها، وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى آخر، ولكن لهما أخوة رضعوا فما الحكم؟

●● الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد .

فنفيد بأن التحريم بالرضاعة كالتحريم بالنسب يقول الله - تعالى - فى سورة النساء، حينما ذكر المحارم قال :

﴿أُمَّهَاتُكُمْ

وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلْفِئَ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرِّضَاعَةِ﴾ (٣).

ويقول الرسول ﷺ فى الحديث الصحيح : (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) .

أما موضوع السؤال الذى معنا فما دام الشاب لم يرضع من أم الفتاة، وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب، ولم يجتمعا على

ثدى آخر فيجوز لهما الزواج، ولا عبرة أن لهما أخوة رضعوا فالحرمة تقع على من رضع فقط، والله - تعالى - أعلم .

طاقة غير المدخول بها

● سؤال من السيد / محمود خطاب إبراهيم يقول فيه :

ماحكم الشرع فى رجل عقد قرانه على فتاة، ثم طلقها قبل الدخول والخلوة بها بقوله لها : أنت طالق ويريد أن يدخل بها فما الحكم؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد :

فنفيد بأنه بقوله لها - أى لزوجته - التى عقد عليها ولم يدخل بها : « أنت طالق » قبل الدخول والخلوة بها يقع به طلاق واحدة بآئنة بينونة صغرى لا تحل له إلا بعقد ومهر جديدين وبرضاها وبحسب عليه هذا الطلاق وتبقى معه على طلقتين، أى أنه لا يجوز الدخول بها إلا إذا عقد عليها عقداً جديداً والعقد يكون شفاهة أمام الفتاة ووليها وشاهدين ويعطيها مهراً أى مبلغ من المال والله - تعالى - أعلم .

خطبة الجمعة :



لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله . عز وجل . هو مؤيد المخلصين الشرفاء وخاذل المجرمين الأخساء

﴿ فَنَجِّ مَن نَّشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(١) وأشهد أن لا إله إلا الله، هو القاهر لأعدائه، الناصر لأوليائه

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، خيرة المؤمنين وإمام المجاهدين ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَّ أَوْسُرَ لَنَا إِلَى اللَّهِ قَرَىٰ عَزِيزٌ ﴾ ^(٣) فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه؛

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٤)

(٤) العنكبوت (٦٩).

(٣) المجادلة (٢١).

(٢) الروم (٤٧).

(١) يوسف (١١٠).



– يا أتباع محمد ﷺ

ويقول أيضاً :

﴿فَإِمَّا نَنْتَفِخْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْهُمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ (٦)

أى فجعل تأديبهم وقهرهم عظة وعبرة للأعداء
الواقفين خلفهم أو البعيدين عنكم، ويقول جل
جلاله :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾ (٧).

أى يواجهونكم بالعدوان والخطر، وهذا
ينطبق تماماً على الخونة الغادرين من عصابات
صهيون التى فعلت بنا الأفاعيل سنة ثمان
وأربعين :

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٨).

ومن فضل الله الكبير علينا أن شعلة
الجهاد المقدسة قد توقدت فى نفوسنا
وتلهبت فى صدورنا، ونحن فى قوة من
سلاحنا وعتادنا وإحكام فى خططنا
واستعدادنا، وتجاوب فى شعوبنا وبلادنا،
ونحن الآن أصلح ما نكون لخوض معركة الثأر
والكرامة والشرف، لا نبالى تهديد المهددين،
ولا وعيد المتوعددين، ولا باطل المعتدين،
وكأننا

هكذا شاءت عناية الأقدار، واختارت إرادة
الله القوى القهار، أن يسلك بنا طريق الجهاد
والنضال، وأن يفتح أمامنا السبيل إلى غسل
العار وتحقيق الانتصار ونيل الفخار، فى أرض
فلسطين، تراث العرب والمسلمين وأولى
القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى النبی الأمين،
ومجتمع الأنبياء والمرسلين، ليؤمهم محمد
رحمة الله للعالمين، قبل أن يعرج مع الروح
الأمين للقاء الله العزيز الحكيم . وإذا كانت هناك
قضايا تعيننا وتهمنا فى شرق الأرض أو غربها،
فإن أهم قضية فيها هى قضية فلسطين، لأنها
منذ حين محتلة بالسرطان الصهيونى الخبيث،
ملوثة بنكبة الاحتلال من عبدة الطاغوت
وسلالة القردة والخنازير، وفيها عدو محاور
ملاصق هو ألد الأعداء فى هذا الوجود، وقد نزل
على قلب الوطن العزيز فلسطين نزول الوباء
المهلك، واتخذة طواغيت الاستعمار والبغى
مطية لمكائدهم ومؤامراتهم، والله جل جلاله
قد رتب لنا مراحل النضال والكفاح، فأمرنا أن
نبدأ بأقرب الأعداء منا، لأنهم أخطرهم علينا،
فيقول سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ
مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (٥).

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (٩).

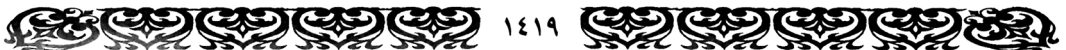
(٥) التوبة (١٢٣).

(٧) البقرة (١٩٠).

(٩) آل عمران (١٧٣).

(٦) الأنفال (٥٧).

(٨) مريم (٦٤).





بل كان الله - عز شأنه - قد هباً من الظروف ما لم نكن نتوقع أو نحتسب، لكى تأتى اللحظات المناسبة لتوجيه الضربة القاضية، فأخذ بالنواصى الشاردة إلى ملتقى القيادة الواحدة التى تعتر أول ما تعتر بتألف القلوب من حولها واتجاه الأنظار إليها، وهى تمضى راشدة متأبية على الضعف والانخداع:

﴿وَأِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ يَنْصُرُ وَيَا لَمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ وَالْفَيْتَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَيْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ ﴿١٠﴾﴾

وإذا كنا قد توأصينا على خوض المعركة دفاعاً عن أوطاننا وأعراضنا وعقائدنا ومقدساتنا، فإن واجبنا أن نتذكر دائماً أن للنصر الإلهى المؤزر أسباباً لا بد من توافرها، وفى طليعتها بعد إعداد كل قوة مادية وكل سلاح مستطاع، الإيمان بالله القاهر فوق عباده، والإيمان هو اليقين الجازم الذى لا يعتوره ريب ولا شك فى أن لهذا الكون خلقاً سبحانه، وأن للحياة مسيطراً عليها ومتصرفاً فيها حسب الحكمة الإلهية العالية، التى تدنو أحياناً فتراها أبصارنا المفتوحة، وقد تعلو أحياناً فتتقاصر عن سموها عيوننا الكلييلة، وهذا الإيمان لا يكون إيماناً صادقاً إلا

إذا دفع بصاحبه إلى العمل المجيد والتصرف الحميد والسعى المشكور، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ ﴿١١﴾﴾

ويقول:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿١٢﴾﴾

ومن أسباب النصر الصبر، وهو حسن الاحتمال، ومطالبة الأحداث، وحمل النفوس على أداء الواجب مهما كان ثقيلاً أو جليلاً، وسواء أوافق به هوى النفس أم لم يوافق، ولنتذكر جيداً أن الله - تعالى - يقول:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا الْفَيْتَةُ فَتَكَةً فَاتِبُونَ ﴿١٣﴾﴾

ويقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُومٍ ﴿١٤﴾﴾

ومن أسباب النصر التقوى، ومتى عمرت القلوب بالتقوى الصادقة الواعية تنزل نصر الله، وجاءت عناية الله، لأنه القائل:

(١٠) الأنفال (٦٢ : ٦٤).

(١٢) غافر (٥١).

(١٤) الصف (٤).

(١١) الرعد (٢٩).

(١٣) الأنفال (٤٥).

معنا من ورائنا ناصر ومعين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام يقول رب العزة سبحانه:

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ (٢٠)

فلنحصد أنفسنا بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بإعزاز الحق، وبالصبر على نصره وتأنيده، حتى نكون من الفائزين في دنيانا ويوم نلقى الله رب العالمين، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون.

- يا أتباع محمد ﷺ
يقول ربكم جل جلاله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَفَّ فَإِنَّمَا يَكُفُّ عَنْ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسَوِّوْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢١).

والبيعة شعار من تعاليم الإسلام، وجزء من هدى الرسول ﷺ، وها نحن أولاء قد كتب الله لنا أن نقبل على معركة مقدسة، لنستعيد بها فلسطين، أولى القبلتين وثالث الحرمين وقلب العروبة والإسلام، فلنبايع الله رب العالمين، بيعة الحق والصدق والوفاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٥)
والقائل:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ (١٦).

وهذا التوكل البصير المحض ببذل الجهود واستنفاد المجهود هو الذي يحقق في نفوسنا الثقة والاطمئنان، فلا نعتمد إلا على الله، ولا نستمد الهدى إلا من الله، ولا نخشى شيئاً سواه:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٧).

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُ لَكُمْ فَهَزَمَ الَّذِي يُنْصِرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٨).

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَحقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٩).

الثار ثارنا، والدار دارنا، والله ولينا وناصرنا، والسلاح في أيدينا، ومواقف البطولة كثيرة في ماضينا، وحوافز الأمل الحاضرة وفيرة فينا، والمعركة أمامنا تنادينا، فلنتوكل على الله، ولنعتصم بالله، ولننذكر أننا نجاهد في سبيل الله، لتحرير أرض الله، وإزالة الهوان عن عباد الله، فلنمض مجاهدين بكل ما نستطيع، والله

(١٦) الطلاق (٢، ٣).

(١٨) آل عمران (١٦٠).

(٢٠) العصر.

(١٥) النحل (١٢٨).

(١٧) التوبة (٥١).

(١٩) التوبة (١٣).

(٢١) الفتح (١٠).



حتى نكون من أهل الإيمان واليقين والرجاء ، ولنردد هذه البيعة جميعاً، فقولوا معي :

اللهم يارب الأرباب، ويا مهبط الأسباب، ويا فاتح الأبواب، أنت الله الأكبر من كل شيء، وأنت الله المسيطر على كل شيء، وأنت الله الذي صدق وعده ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده .

اللهم إنا نبإيعك على الجهاد، ونبإيعك على النصر أو الاستشهاد ، ونبإيعك على استعادة أرض فلسطين، إلى حمى العرب والمسلمين، وتطهيرها من الدخلاء والملاعين، فوفقنا يا ربنا لحسن الإعداد، وشامل الاستعداد، وشرف الجهاد واجعلنا من أوليائك المتقين وجنودك المخلصين، ربنا أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين .

اللهم إنا بحولك نستعين، وبحمایتك نستجير، أنت النصير وأنت القدير فكن لنا ولا تكن علينا، ولا تولنا غيرك، ولا تنسنا ذكرك واشرح للنضال صدورنا، ويسر أمامنا أمورنا، واحفظ بلادنا وثغورنا، فأنت العزيز القاهر، وأنت القوى الناصر، لا قوة إلا بك، ولا توفيق إلا منك، ولا رجاء إلا فيك، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير .

اللهم إنا نعوذ بك من الضعف والخور، ونعوذ بك من الفرار والانكسار، ونعوذ بك من قلة الرجاء وشماتة الأعداء فلا تجعلنا نخشى غيرك،

أو نخاف سواك، أنت حسبنا ونعم الوكيل .

اللهم اجعل أول جهادنا صلاحاً، وأوسطه فلاحاً، وخاتمة فوزاً ونجاحاً فألهمنا الصبر والثبات، واحفظنا من التفرق والشتات ، واجعلنا على الدوام أمة واحدة وقيادة واحدة، ووجهة واحدة وغاية واحدة وبصرنا بواجباتنا وألهمنا النهوض بتبعاتنا . وخذ بنواصينا إلى تحمل مسئوليتنا، حتى تعزنا بعزك، وتؤيدنا بنصرك ، فقد قلت وقولك الحق :

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٣) .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر على من طغى وتجبر الله أكبر ولا عدوان إلا على الظالمين، الله أكبر والله مع المجاهدين المخلصين الله أكبر والعاقبة للمتقين والمؤمنين .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام : إنها بيعة ونحن مطالبون بها، ومسؤولون عنها أمام الله وأمام الناس، وقد أتنا الله قائداً حكيماً، وجيشاً عظيماً، ووعداً كريماً :

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِهُ اللَّهُ فَمَا لِيُبَدِّلَ أَجْرَ عَظِيمًا﴾ (٢٣) .

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٢٤) .

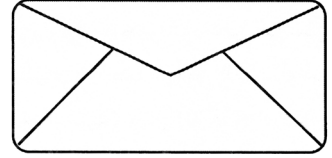
(٢٣) الفتح (١٠) .

(٢٢) المنافقون (٨) .

(٢٤) الإسراء (٣٤) .



رِسَالَةٌ .. وَ .. رَدٌّ



لفضيلة الشيخ عبد الفتح سيد جمعان (*)

وبادئ ذي بدء أقول للأخ القارئ كان يجب عليك أن تتريث في الخطبة وعقد القران حتى تقف على حقيقة هذه الزوجة، فمن أجل ذلك شرع الله الخطبة ليتعرف الخاطب على مخطوبته وعلى أخلاقها، وحذرنا الإسلام أن نغتر بالمظاهر الخادعة.

وما ذكرته في رسالتك كاف في الحكم على هذه الزوجة خاصة ما يتصل بإفشاء الأسرار الزوجية وعلى الخصوص ما يحدث في غرفة النوم فقد نهى الرسول ﷺ الرجل يفضي إلى المرأة والمرأة تفضي إلى الرجل ثم يحدث كل منهما الناس بما تم بينهما وشبههما بشيطان واقع شيطانة في الطريق والناس ينظرون.

وقد أوشكت أن أشير عليك بما جاء في قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ

شُوزَهُمْ يَفْعَلُوهُم وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ

وَأَضْرِبُوهُمْ إِنْ أَنْطَعَنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (١).

رسالة هذا العدد جاءت من القارئ س.أ. من دمياط يقول فيها :

لى مشكلة عويصة أرجو رأى الدين فيها على وجه السرعة لأن حياتى الزوجية تتوقف على ذلك، ومشكلتى هى : لقد تزوجت زميلة لى فى العمل تكبرنى بعشر سنوات لأنى توسمت فيها حسن الخلق وأثناء فترة عقد القران رأيت فيها ما لا يرضاه أحد فقد كانت تفضل زملائى على وتطلب منهم حل مشكلاتها وتأتهمهم على أسرارها وممتلكاتها فتغاضيت عن ذلك أملا فى إصلاحها لكن الأدهى والأمر أنها كانت تحكى للزملاء والزميلات أدق حياتنا الزوجية وما يحدث فى غرفة النوم وبتفاصيل أخجل من ذكرها وتشيع عنى أن بى قصوراً جنسياً، ثم إنها كثيرة الخروج بغير إذن، ولا تسهم بشئ من مرتبها الذى يزيد على مرتبى فى مصاريف البيت وقد استعملت معها كل وسائل التقويم الشرعية من وعظ وهجر وضرب وشكوتها إلى أهلها دون جدوى فماذا أفعل ؟

(*) الأمين المساعد لمجمع البحوث الإسلامية.

(١) النساء (٣٤).



لكنك بادرت وذكرت أنك استعملت هذا العلاج دون جدوى .

ودعك مما جاء فى رسالتك من شكواها من الطعام فهذا أمر ميسور مقدور عليه وكذا ما جاء فيها من عدم إسهامها بشيء من مرتبتها فى نفقات المنزل، لأنه لا حق لك فى شيء من مرتبتها ما دمت قد تزوجتها وأنت تعرف أنها موظفة ولم تشترط عليها شيئا من ذلك أثناء العقد لأن نفقة الزوجة واجبة على الزوج ما لم يكن هناك شرط أو تتطوع هى بمحض إرادتها بذلك .

ومع ذلك أنصحك بالصبر عليها بعض الوقت عسى أن يفيد معها هذا العلاج الذى ذكرته الآية الكريمة فإذا لم يفد فاعمل بالآية التى بعدها

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ

بَيْنَهُمَا فَاَْبِعُوا حُكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحُكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ

يُرِيدُوا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٢).

فإن لم يجد معها التحكيم فلا مفر من أبغض الحلال إلى الله وهو الطلاق الذى شرعه الله - تعالى - وأباحه عند استحالة استمرار الحياة الزوجية على الوجه الذى يرضى الله وبينه الشرع .

وفى الرسالة سؤال آخر يقول فيه :

أوصى رجل أن يكفن فى ثوب أهده له شيخه فأفتى البعض أن هذا لا يجوز لأن الثوب مخيط ، وأفتى آخرون بالجواز، فما الحكم؟

ونقول وبالله التوفيق :

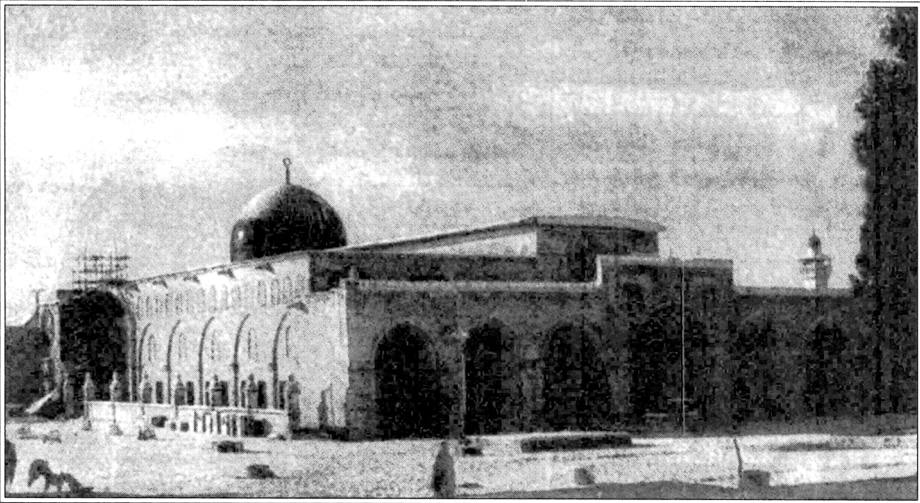
إذا أوصى إنسان أن يكفن فى ثوبه أو ثوب أهدى إليه من رجل ترجى بركته فيجوز أن يكفن فيه بشرط أن يكون طاهرا نظيفا وفضله بعض العلماء على الثوب الجديد عند الوصية، وقال المالكية والشافعية إن الثوب القديم التنظيف الطاهر أولى فى الكفن من الثوب الجديد لقول عبادة بن أنس -رضى الله عنهما - لما حضرت أبا بكر - رضى الله عنه الوفاة قال لعائشة -رضى الله عنها :- (اغسلى ثوبى هذين وكفنينى بهما فإنما أبوك أحد رجلين إما مكسو أحسن الكسوة أو مسلوب أسوأ السلب) وفى رواية قال : (اغسلو ثوبى هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنونى فيها . فقالت : «إن هذا خلق -أى قديم بال-» قال : «إن الحى أولى بالكفن الجديد من الميت إنما هو للمهلة» يعنى لا يلبث أن يتمزق ويلوث بما ينزل من الميت، وقال الحنابلة : يستحب أن يكون الكفن جديدا إلا أن يوصى الميت بخلافه فتنفذ وصيته .

وقصة الرجل الذى رأى ثوبا أهدى للرسول ﷺ فسأله إياه فأعطاه الرسول ﷺ له فلامه الصحابة الآخرون على ذلك لأنهم رأوا إعجاب الرسول بالثوب وحاجته إليه فقال لهم : «إنى ما أخذته لألبسه لكن لأدخره ليكون كفنا لى» هذه القصة مذكورة فى السنة ومعروفة وتدل على جواز الكفن فى الثوب القديم . أما ما ذكر من أن الثوب المخيط لا يجوز فهذا قول لا أساس له من الصحة لأن جميع الأكفان تخاط . والذى لا يجوز تكفينه فى المخيط هو الذى يموت محرما فلا يخاط له كفن ولا يغطى وجهه بل يبقى على هيئة الإحرام لأنه سيبعث إن شاء محرما ملبيا .



بين الصحف والمجلات

اعداد الأستاذ / محمود الفشتي



في غمرة أحداث تفجيرات نيويورك وواشنطن نسي المسلمون قبل أن ينسى العالم قضية فلسطين والمسجد الأقصى .. لماذا خفت صوت إعلامنا؟ هل حقاً هان علينا الأقصى؟
يارجال الإعلام في أممتنا الإسلامية أفيقوا من غفوتكم، لقد أصبح الإعلام حرياً صارية يحارب به الغرب العرب والمسلمين ويتحرشون بهم ويصفون من خلاله المسلمين بأنهم إرهابيون ويوارون الوجه الحسن للإسلام.
لدرجة أننا كعرب أصبحنا نردد ما يرددونه ويثثونه دون وعى أو إدراك منا.
أليس لدينا ما نبثه للعالم للتصدي للإعلام الغربي الأعمى أليس لدينا أمجاد الإسلام وحرص الإسلام على التسامح والمودة والرحمة والسلام والحب بين الناس جميعاً لا فرق بين عربي أو عجمي إلا بالتقوى.
أفيقوا أيها الإعلاميون فقد أوشكنا أن نصبح فريسة في مواجهة الإعلام الغربي؟؟؟



لم تكن زلة لسان

نبدأ هذا التنويه عن الحملة الإعلامية الشرسة من هذه الشاذمة العنصرية على الإسلام والمسلمين وهذا الإعلام الغربي المنحط على لسان سارقي الحضارات الإسلامية ثم يزعمون أنها زلة لسان.

إذاً فهذه أقوال تخرج من السنة معتوهة لا يجب أن يكونوا في وضع المسؤولين ويمثلون شعباً لذلك نستهلله برؤية الدكتور حسن رجب في جريدة الأخبار في عددها الصادر في ٢٠٠١/١٠/٢.

بالقطع لم تكن زلة لسان ولم ينتزع الكلام من سياقه.. ما قاله برلسكوني من كلام عنصري منحط ضد الإسلام في مؤتمر صحفي موثق ومسجل.. وهو لم يعتذر عنه في البرلمان، كما صرخ في وجهه زعيم المعارضة الإيطالية فرانكسكو روتيللي، وإنما لف ودار دون أن يتراجع خطوة واحدة عما قاله.

ولماذا يتراجع وقد أكسبه هذا التصفيق الحار من نواب تحالف الوسط واليمين؟! ولماذا يتراجع وهو يعلم أنه يكسب بذلك شعبية كبيرة وسط اليمين الذي يتزايد عدده بين النخبين والإيطاليين؟ لقد كسب بيرلسكوني الانتخابات العامة الأخيرة بمقولات مشابهة هاجم فيها الإسلام ووضع طرد المهاجرين المسلمين من إيطاليا على قمة أولوياته.

وكيف يستطيع برلسكوني أن يكذب حديثه بالتليفزيون الألماني والذي صرح فيه بأنه من «واجب الغرب أن يفرض قيمه ولو بالقوة على الشعوب، وأن الغرب قد قام بذلك بالفعل في العالم الشيوعي وقسم من العالم الإسلامي.. ولكن مازال هناك للأسف قسم متبق من العالم الإسلامي يعيش متخلفاً ١٤٠٠ سنة!!»

وتنقل صحيفة فاينانشيال تايمز البريطانية عن أحد الدبلوماسيين الغربيين، الذين حضروا اجتماع القمة الأوروبية الذي عقد بعد حادث ١١ سبتمبر أن برلسكوني هاجم المسلمين بصورة عنيفة وقال: يجب أن نحمل حضارتنا منهم!

المصيبة أن هذا التوجه الاستعماري العنصري لا يقتصر على إيطاليا وحدها.. فبينما يعلن رئيس الوزراء البريطاني توني بلير أنهم لا يحاربون دين الإسلام وكثيراً ما يقول للناخبين المسلمين إنه يقرأ القرآن، إلا أنه يتحدث بلسانين كما يقول بيتر أوبورن بصحيفة الأوبزرفر.. فهو عندما يدلي بحديث قبل الانتخابات الأخيرة للصحيفة اليمينية «ديلي تلجراف» فإنه يقول: إن كتابه المفضل هو مذكرات «المارشال اللورد روبرتس» وهو أكبر وأشد استعماري القرن ١٩ شراسة والذي اشتهر بمذابحه في أفغانستان!!





للاستعمار العنصرى الغربى، والذى يحاول أن يخدع المسلمين بكلام معسول حتى يصل إلى مراده.

أنا أرفض تصديق أن هذا هو الغرب وأتصور أن الغالبية العاقلة المستنيرة ستنتصر على الأقلية اليمينية المتطرفة التى يمكن أن تشعل حرباً تاكل الأخضر واليابس ولن يكون فيها منتصر ومهزوم... وسيكون الكل فيها خاسرين..

دليل على ذلك الأصوات العاقلة الكثيرة المتزايدة فى الغرب وآخرها ما قرأته بالأوبزرفر للكتاب «بيتر أوبورن» بعنوان «حملة صليبية حمقاء» ويحذر فيها من مغبة القيام بأعمال عسكرية لن تحل شيئاً.. ويقول لم يتحقق السلام فى أيرلندا الشمالية إلا بعد أن تعاملت بريطانيا مع القضايا القومية للمنطقة.. وكل من يتصور أن ينتهى الإرهاب العربى دون حل المشكلة الفلسطينية بتنازلات إسرائيلية كبيرة فهو حالم..

التعليق:

قال تعالى:

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُمْ تُعْقِلُونَ﴾ (١).

كما نقرأ لرئيس تحرير السبىكتاتور البريطانية وعضو مجلس العموم، بوريس جونسون مقالاً بعد الأحداث الأخيرة فى صحيفة الديلى تلجراف يؤكد فيه أن خوف المسلمين من الغرب وحربهم له ينبع أساساً من خشية تغيير مفاهيمهم المتخلقة فى معاملة المرأة.. ويسخر الكاتب من الكويت - التى يقول: إنهم حاربوا من أجلها ولو أنصف لقال من أجل بترولها - لأنهم رفضوا إعطاء المرأة حق التصويت.. لماذا لم يذكر الكاتب متى حصلت المرأة السويسرية على هذا الحق؟!

ولماذا لم يذكر الكاتب أن عدداً من أكبر الدول الإسلامية حكمتها وتحكمها الآن نساء؟!، ولا يمكن فى هذا السياق أن ننسى «زلة لسان» الرئيس جورج دبليو بوش حين أعلن حربه الصليبية ضد الإرهاب.

لقد أثارت هذه «الزلات» غضب الكثيرين من ساسة الغرب باعتبارها كوارث سياسية من شأنها أن تدمر جهود الغرب من أجل إقامة حلف «ضد الإرهاب» يضم دولاً إسلامية.

كما ستثير هذه الزلات مخاوف كثير من المسلمين باعتبارها الوجه الحقيقى الكريه

(١) آل عمران آية ١١٨.



الصورة العربية والإسلامية

في وسائل الإعلام الغربية

سارعت أجهزة الإعلام الغربية والأمريكية بتوجيه أصابع الاتهام دون دليل أو برهان إلى أطراف عربية وإسلامية في الأحداث الأمريكية الأخيرة وكان الإسلام هو سلاح نووى يرهب العالم، كل ذلك بسبب الحملات العدائية التى تبثها أجهزة الإعلام الغربية المسمومة.

حول هذا الموضوع اخترنا مقال الدكتور محمد عبد البديع السيد الذى نشر بجريدة الأخبار فى ١٤ / ٩ / ٢٠٠١ قال فيه :

● تعرض أكثر من ٦ ملايين عربى ومسلم أمريكى لتهديدات سافرة ومضايقات قاسية وصلت لدرجة الضرب وإطلاق الرصاص كما تعرضت المحجبات من النساء المسلمات إلى التحرشات والإيذاء الجسدى مما أدى إلى أن الكثير منهن خلعن الحجاب والنقاب كما أن الكثير من الرجال المسلمين حلقوا لحاهم من أجل تجنب حملات الكراهية والحقد لهم بالإضافة إلى تعرض المحال التجارية والمطاعم ومحطات البنزين التى يملكها أو يعمل بها عرب فى عدة ولايات أمريكية لأعمال العنف.

● تعرضت المساجد والمراكز الإسلامية فى بعض الولايات المتحدة لإطلاق الرصاص والقاء القنابل.

● أعرب بعض المواطنين الأمريكيين عن أملهم فى أن تمحو الولايات المتحدة كل رجل وامرأة وطفل عربى فى الشرق الأوسط، وشبه مواطنون أمريكيون آخرون العرب بأنهم مثل فيروس الإيدز الذى يجب القضاء عليه.

● تعرض العرب والمسلمون لمضايقات شديدة فى جميع أنحاء بريطانيا.

● تعرضت حافلة تقل طلاباً مسلمين فى استراليا إلى الرشق بالحجارة والزجاجات وألقيت الفضلات البشرية على المساجد بالإضافة إلى التهديد بحرق هذه المساجد وتفجير المعهد الإسلامى فى جنوب استراليا.

● أصبحت حياة المسلمين فى البرازيل متغيرة بشكل كامل منذ وقوع الهجمات على أمريكا حيث أصبح أطفالهم فى المدارس ينادون بالقتلة والإرهابيين مع قيام أطفال زملاء لهم بإبلاغهم بأنهم يجب أن يموتوا!

كيف يتم تصحيح صورة العرب والمسلمين

لدى الرأى العام العالمى؟

يجيب الكاتب قائلاً: وأبدأ بالإجابة عن سبب الهيستيريا العدوانية ووجود صورة نمطية سلبية فى العقل الأمريكى والأوروبى تجاه العرب والمسلمين وذلك فى النقاط التالية :



● الإسلامية .

● المؤلفات الفكرية الغربية التي تعرضت للتاريخ أو الحضارة العربية ركزت على عدد من سمات الشخصية العربية السلبية كالطاعة والتعصب الديني وافتقار روح الابتكار وأبرزت أن العرب يتسمون بالعدوانية والمبالغة في تقدير الذات وشدة الحساسية للكرامة والرومانسية والخداع والفردية ويرجعون تلك السمات إلى تأثير الإسلام .

● تركيز السينما الأمريكية على الصورة النمطية السلبية للعرب وما يلبث أن ينتقل ذلك إلى الفيديو وشبكات التلفزيون والصحافة ومن الأفلام السينمائية التي ركزت على هذه الصورة النمطية فيلم يوم الأحد الأسود الذى أظهر امرأة عربية إرهابية تحاول قتل الآلاف من الناس بمن فيهم الرئيس الأمريكى، وفيلم الخطأ هو الصحيح الذى أبرز إرهابيين من العرب يودون إسقاط قنابل نووية على نيويورك وتل أبيب وفيلم القرار التنفيذى - ١٩٩٦ - الذى دار حول خطف المسلمين طائرة المضيفات ويعدون العدة لتفريغ كمية من غاز الأعصاب تكفى لقتل الملايين من سكان العاصمة واشنطن، وفيلم أكاذيب حقيقية - ١٩٩٤ - الذى صور

● تركيز وسائل الإعلام الأمريكية والغربية التى تقودها وتسيطر عليها القوى الصهيونية على جماعات إسلامية معينة يعنى أن العرب والمسلمين إرهابيون يريدون تفجير الحضارة الغربية .

● قيام الإعلام الأمريكى وبعض السياسيين الأمريكين بعد انهيار الاتحاد السوفيتى بتصوير الجماعات الإسلامية المتطرفة بأنها عدو خطير تماثل الخطر الشيوعى وترث دوره .

● تتسم المواقف الغربية والأمريكية نحو الإسلام دائماً بالتعصب الأعمى والاستعلاء الثقافى الزائف وترتبط بالجهل والسطحية الأكاديمية .

● وأوروبا عامة تعاني من التشويه والسطحية وعدم الموضوعية .

● موقف وسائل الإعلام الغربية والأمريكية من بعض الظواهر فى العالمين العربى والإسلامى خليط من الجهل والتعصب واللاموضوعية .

● قيام وسائل الإعلام المختلفة فى أمريكا وأوروبا - بشكل روتينى - بربط كل الظواهر والمظاهر السلبية فى المجتمعات الإسلامية بالدين الإسلامى لإيهام الجمهور الأمريكى والأوروبى بأن الإسلام هو سبب التخلف الذى تعاني منه الكثير من البلدان



قال فيه :

الإعلام وهو العامل المؤثر فى العالم يؤكد ذلك مبادرة الحركة الصهيونية العالمية منذ ظهورها فى أواخر القرن التاسع عشر، فى بسط سيطرتها على إمبراطورية الإعلام فى العالم حتى قبيل إنشاء الدولة العبرية، ومن الطبيعى أن تزيد سيطرتها على أهم قنوات الإعلام العالمى بعد إنشاء دولة إسرائيل فى عام ١٩٤٨ حتى يمكنها من خلال الميديا العالمية تبرير جريمة اغتصاب فلسطين من خلال قلب الحقائق وتزييف التاريخ بل وأيضاً تصوير الفلسطينيين والعرب على أنهم هم الذين يعتدون على اليهود الأبرياء .

ومن ناحية أخرى فإن بعض الدوائر الغربية تستخدم الإعلام المتطور لتشويه الوجه الحقيقى للدين الإسلامى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى مدعية أن الإسلام هو العدو الحقيقى للغرب بعد سقوط الشيوعية .

يحدث هذا للأسف الشديد فى الوقت الذى فشل فيه أصحاب الحق - وهم الدول العربية - فى توصيل وجهة النظر العربية إزاء حقائق الصراع العربى الإسرائيلى وحقيقة الممارسات الإسرائيلية غير المشروعة وأيضاً جوهر الدين الإسلامى السمح إلى رأى العام الأمريكى وإلى الكثيرين من الشعوب الأوروبية .

الفلسطينيين المسلمين على أنهم أناس ساديون يقتلون الأمريكيين الأبرياء بل يقتلون القساوسة ويقومون بتفجير قنبلة نووية قبالة شواطئ فلوريدا .

ولذلك ترسخت كراهية العرب والمسلمين فى النفس الأمريكية والغربية بحيث أصبح من المعتاد إدانة العرب جميعاً على أية جرائم أو حتى على جرائم مزعومة تنسب إلى أفراد منهم .

التعليق :

العداء التاريخى الذى يكنه الغرب للإسلام والمسلمين ذلك العداء الذى بدأ منذ أيام الصليبيين الأولى واستمر حتى الآن .

وهناك أسباب كثيرة وخطيرة توضح كراهية وعداء الغرب الشديد للعرب والمسلمين تحتاج إلى مجلدات وكتب .

حول مسئولية الإعلام العربى

من المعلوم أن الإعلام هو العامل الأهم فى تشكيل فكر واقتناع الشعوب وبالتالي فهو عامل مؤثر على من يملكون صنع القرار على مستوى العالم أجمع .

حول هذه القضية التى نطرحها فى هذا العدد، تحدث الدكتور عمرو عبد اللطيف هاشم على صفحات الأهرام فى باب قضايا وآراء بتاريخ ٢٤ / ٩ / ٢٠٠١ .



العربية أو أوروبا أو أمريكا، على أن تكون ناطقة أساساً باللغة الإنجليزية، ثم بالفرنسية في الشؤون السياسية والشؤون الدينية يجيدون إجادة تامة اللغتين المشار إليهما وأن يتوافر لهما من الإمكانيات الفنية ما يستطيعون به بطريقة فورية توضيح حقيقة الممارسات الإسرائيلية غير المشروعة ضد الفلسطينيين مع شرح أبعاد القضية الفلسطينية بطريقة موضوعية وعادلة وأيضاً دحض أى افتراءات توجه إلى الإسلام مع التركيز على شرح الجوهر الحقيقي للإسلام من منطلق أنه على عكس ما يعتقده الكثيرون من أبناء الغرب فإن هذا الدين الخفيف يدعو إلى التطور والتسامح والتقدم وأنه قد تضمن من الحقائق العلمية ما يؤكده علماء الغرب يوماً بعد يوم لاسيما أن لدينا من علمائنا الأفاضل القادرين توضيح ذلك .

؟؟.....

التعليق

فهل بعد كل هذا نرى كما رأيت زرقاء اليمامة بأن العدو القادم إلينا هو الحملات الإعلامية الغربية علينا .

فإلى متى سيظل الإعلام العربى - الذى يركز على الجمعية محلياً فقط - قاصراً عن توضيح حقيقة المواقف الإسرائيلية الظالمة والضاربة بعرض الحائط الشرعية الدولية وبحقوق الإنسان أمام غالبية الأمريكيين وكثير من الأوروبيين، وإلى متى يظل الإعلام العربى سلبياً إزاء الدفاع عن الإسلام من الهجوم الباطل والمغرض والمتعمد من بعض ساسة الغرب وأيضاً من أجهزة الإعلام الغربية .

إنه من قبيل العجب بل من قبيل الخيال ونحن فى عصر العولمة والفضائيات والإنترنت أن غالبية الشعب الأمريكى حتى كتابة هذا المقال يعتقد أن مصر هى مجرد صحراء جرداء وجمال وخيام وأننا مازلنا نعيش عيشة البدو وأن وجه العجب يتمثل فى أننا إذا كنا فعلاً ندرك أهمية الإعلام ولا نتحرك فتلك مصيبة وإذا كنا لا ندرك أهمية الإعلام فالمصيبة أعظم !

لقد آن الأوان فى أن تبادر الدول العربية وتتكاتف لإقامة محطة فضائية دولية على أعلى مستوى من تكنولوجيا الإعلام والمعلوماتية سواء كان مقرها فى المنطقة

بين المجلنة.. والقارئ

إعداد وتقسيم / عادل رفاعي خفاجة

إطعام في الصباح وقتل في المساء

إرهابية أهمها الاعتداء على رئيس الدولة، وحادث الأقصر البشع الذي راح ضحيته كثير من الأبرياء.

وكان تصرف مصر حضاريا يتناسب مع حضارتها الضاربة في أعماق التاريخ، كان تصرف مصر حكيما نابعا من حكمة الإسلام. لا شك أن رجال الأمن في مصر توسعوا في حملة التحري والتحقيق، ولكن لم يقل أحد ولم يتصور عاقل أن تتحرك قوات الأمن لتدك إحدى القرى لأن أحد الهاربين الفارين قد احتمى بها أو كان منها!!

هكذا كان موقف مصر. وكان موقف رئيسها في منتهى العقل والحكمة عندما أعلن أن الإرهاب لا وطن له، ولا دين له، ونادى بعقد مؤتمر دولي لمناقشة هذه القضية ووضع الحلول اللازمة للقضاء على الإرهاب، ولكن غطرسة الدول الكبرى -

في كتاب ربنا العزيز آية تقول:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ بَلَّغَ مَا بَدَّلُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَنَّمَ فَنُصِصُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

الحجرات (٦)

على هذا النهج يسير المؤمنون، فلا بد أن يتبينوا ويتثبتوا مخافة أن يصيبوا من لا جريرة له، فيندمون وقت لا ينفع الندم.

وقد تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية في سبتمبر الماضي لضربة وجهها لها الإرهاب.

وفي نفس اليوم الذي حدثت فيه الضربة الإرهابية وقبل أي «تثبت» ألقت الولايات المتحدة اتهاماتها سريعا على أسامة بن لادن، ثم قررت ضربه في أفغانستان هو ومن حوله، بل وأدانت العرب والمسلمين.. سبحانه الله، هل هذه تصرفات دولة كبرى!!

لقد تعرضت مصر -من قبل- لعدة ضربات



يقدم إعلامنا صور الإسلام المشرقة، وصور المسلمين المنصفين، وإذا قدمنا قصة أو رواية تتناول الشخصيات الإسلامية فيجب أن تقدم بشكل جاد لا يخلو من طرافة ولكن علينا أن نوقف نبرة السخرية من رموزنا الدينية، فمن تهن عليه نفسه فلن يكرمها غيره! نعم.. لقد ساهمنا في تشويه صورة المسلمين أمام الغرب تحت مسمى «النقد الذاتى»، وأصبح من الواجب علينا أن نصحح الصورة مرة أخرى.

كالعادة- جعلتها لم تأبه لهذا النداء الحكيم.
فيا ترى هل تستجيب اليوم؟! وقد أصابتها نار الإرهاب؟ أم هل ترجع إلى قوتها وجبروتها وغرورها وتذك الأبرياء والمظلومين فتصبح إرهاباً مدمراً؟!
وكم هو عجيب أمر أمريكا هذه التى تلقى بعبوات الغذاء فى الصباح وتتبعها بعبوات ناسفة فى المساء!!
على أية حال، فإنه كما يقولون: «رُب ضارة نافعة» ولعل ما حدث يكون بدايةً لأن

تعقيب على الشعر الفكاهي

وقد دوت مجلجلة
فيالك منة تشكر
ونحن نريد تسجيلاً
لكل فكاهة تؤثر
لعل الحزن يتتركنا
فنحن بغيره أجدر
محمد حسين عبدالحليم
عميد كلية اللغة العربية - المنصورة
● المحرر:

نشكر للاستاذ الدكتور تشريفه
للمجلة، ونأمل المزيد من هذه الفكاهات
التي يجد القارئ فيها متعة ذهنية تروح
عنه، مع دعائنا أن يتمتع الله بالصحة
والسعادة.

نشرت «مجلة الأزهر» بعض المقطوعات
الشعرية للأستاذ الدكتور محمد حسين عبد الحليم:
كان قد قالها فى مناسبات مختلفة مع بعض
إخوانه، ولم يلتفت إليها، لكنهم مشكورين أرسلوا
بها إلى المجلة، فلما طالعها فضيلته على صفحات
المجلة، شرفنا بزيارته، وكان له هذا التعقيب:
قرأت ما نشرته «مجلة الأزهر» من مقطوعات
فكاهية نظمته من زمن بعيد، ولم أدر أن من الزملاء
الأفاضل من يحرص على نشرها، حتى فوجئت بها
مفاجأة سعيدة أوجت إلى بهذه الأبيات:

قرأت من الطرائف ما
حوته مجلة الأزهر
قواف قد هتفت بها
لأمزح، لا لكى تنشر

الطب الإسلامي

انشئت في الأمة الإسلامية وقد تم إنشاؤه في عام ٧٠٧ ميلادية ثم تتابع بناء المستشفيات في أماكن أخرى في مصر وبغداد وغيرها. كانت هناك عنابر للرجال وأخرى للنساء في كل مستشفى وكانت تقدم خدمة مجانية يقوم بها أخصائيون مهرة في شتى المجالات الطبية يعاونهم أطباء وممرضون وصيدلي مسئول عن توفير العقاقير لصرفها للمرضى وكان علم العقاقير تخصصا من التخصصات الموجودة بالمستشفيات. وكان بكل مستشفى موسيقيون يعزفون على آلاتهم ألحانا للمرضى ليُسروا عنهم. وكانت الإدارة تصرف لكل مريض خمس قطع ذهبية عند خروجه من المستشفى لتساعده أثناء فترة النقاهة. كما كان بكل مستشفى مكتبة بها العديد من المخطوطات الطبية، كما توجد قاعة محاضرات وأرشيف لحفظ سجلات المرضى. ويمكننا أن نتبين كفاءة الأرشيف من كثرة البيانات التي أوردها الرازي في كتابه «الحاوي» عن كل حالة مرضية وردت في هذا الكتاب.

نتيجة للحروب الصليبية تهيأت الفرصة للأوروبيين لمشاهدة المجتمع الإسلامي عن قرب ومن ثم التعلم منه، ولقد دهشوا لما وجدوا المستشفيات في بيت المقدس تستقبل المرضى

أما عن دور المسلمين في تطور علوم الطب، فقد كتب الدكتور أحمد شوقي عرفة يقول:

بحث المسلمون الأوائل في شتى العلوم والمعارف وجمعوا علوم الأمم الأخرى وترجموها إلى العربية وأنشئوا لذلك دار الحكمة في بغداد حيث جمعوا من له إلمام باللغات الأجنبية مثل اليونانية والفارسية والهندية والسريانية ليقوموا بترجمة كتب العلوم إلى اللغة العربية ثم عكفوا على دراستها حتى أتقنوها ثم زادوا عليها. ونتيجة لجهود العلماء المسلمين ازدهرت علوم الجبر والهندسة والكيمياء والفلك والملاحة البحرية وكذلك الطب والصيدلة وبلغ المسلمون في ذلك شأوا بعيدا. ومما هو جدير بالذكر أن اتباع الديانات الأخرى الذين يعيشون في الأمة الإسلامية شاركوا بجهودهم في ترجمة ودراسة هذه العلوم بل وممارسة الطب مثل أجيال عديدة من عائلة بختيشوع.

سنخصص الحديث على ممارسة الطب في الأمة الإسلامية ونقارنه بمثيله في أوروبا منذ بدء عصر النهضة في أوروبا^(١).

انتشرت المستشفيات في الأمة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها لفائدة مواطنيها. كان مستشفى دمشق هو أول المستشفيات التي

(١) المادة العلمية التالية مستقاة من بحث للمرحوم بروفيسور قاضى محمد إقبال رئيس أقسام الجراحة في كل من الجامعة الوطنية في ماليزيا وجامعة الملك سعود في أبها).



رسوم فنية. وكان كتاب «القانون في الطب» لابن سينا يشكل الجانب الأكبر من منهج دراسة الطب في المعاهد الطبية الأوروبية حتى القرن السابع عشر. بدأ تعليم الطب بجوار أسرة المرضى في بادوا في عام ١٥٦٣ ثم انتشر في باقي القارة الأوروبية حتى شملها كلها في عام ١٧٤٥ وبذلك انتقل تعليم الطب من المكتبات إلى عنابر المرضى بفضل الأطباء في الأمة الإسلامية.

قبل إجازة ممارسة الطب في الأمة الإسلامية للأطباء الجدد كان يتعين عليهم اجتياز امتحان تحريري وآخر شفوي وأن ترضى لجنة الممتحنين عن الطالب. أما إجازة الأخصائيين فيلزم اجتياز امتحان أكثر تقدماً على أن يقوم بتقديم بحث في فرع التخصص. وفي عام ٨٣١ صدر مرسوم بتعيين سنان بن ثابت كبير الأطباء في بغداد لاختبار جميع الطلبة قبل منحهم الإجازات وذلك لتشديد الرقابة على مزاولة مهنة الطب.

أما في أوروبا فقد أصدر الملك روجر في صقلية أول قانون لمزاولة مهنة الطب في عام ١١٤٠ ثم تبعه ملوك أوروبا الآخرون إلا أن القانون لم يصدر في إنجلترا إلا في عام ١٣٤٧ بعد أن كان أساقفة القديس بول يصدرون هذه التصاريح.

الغُرر:

نشكر للدكتور أحمد شوقي عرفة تناوله هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات، وهو بلا شك قطرة من بحر النشاط والجهود التي ساهم بها المسلمون في مجال الطب مثلما ساهموا في العديد من المجالات التي أثرت الفكر الإنساني وساهمت في تقدم البشرية.

والجرحى وتعتنى بهم أيما عناية حتى تمام الشفاء. وقارنوا ذلك بما كان عندهم من مؤسسات تسمى هوسبيكس تخضع لسيطرة الأساقفة ويقوم بالعمل فيها رجال الدين لرعاية المرضى بجانب الفقراء والمشردين والعجزة والمساكين. وكانت الأديرة هي المكان الوحيد للعلوم الطبية في أوروبا.

نتيجة للاتصال الذي حدث بين أوروبا والشرق في أثناء الحروب الصليبية تحولت الهوسبيكس إلى مستشفيات مثل تلك الموجودة في الشرق وكان ذلك في عام ١١٤٥ ميلادية.

يعزى الفضل للأطباء المسلمين في أنهم أول من أدخل التعليم الطبي إلى المستشفيات وكان ذلك في كل من بغداد ومصر ودمشق وقرطبة، حيث كان الأخصائيون في المستشفيات المخصصة للتعليم يقومون بالمرور على المرضى (كما هو متبع اليوم) ويقومون بتعليم الطلبة طرق الكشف على المرضى في العنابر وتشخيص الأمراض المختلفة. وكانوا يشجعون الطلبة على المشاركة في المناقشات للوصول إلى التشخيص الصحيح وكذلك إجراء بعض الأبحاث.

وقد تم وضع برنامج متكامل لتعليم الطب يستغرق مدة محددة ويحتوى على دراسة الطب عامة والعلوم الأساسية كالتشريح والعلاج والعقاقير. تتبين أهمية إتقان علم التشريح في نصيحة الزهراوى الجراح الأندلسى الكبير الذى لقبه الغربيون بلقب «أبوالجراحة»، «لكى تتقنوا الجراحة عليكم إتقان علم التشريح». وكان أول كتاب جراحة به رسوم بيانية هو كتاب «التصريف». وقد حذت كتب عصر النهضة حذو الكتب الإسلامية ولكنها اشتملت على

الاعتدال في الأخلاق

أقول من أشجع الناس، وتجن حتى أقول من أجبين الناس، فقال:

شجاع متى أمكنتني فرصة .. فإن لم تكن لي فرصة فجبان

● والغيرة لها حد إذا جاوزته صارت تهمة وظناً سيئاً بالبريء، وإذا قصرت عنه كانت تغافلاً ومبادئ ديثة.

● وللتواضع حد إذا جاوزه كان ذلاً ومهانة، ومن قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر.

وللعز حد إذ جاوزه كان كبيراً وخلقاً مذموماً، وإن قصر عنه انحرف إلى الذل والمهانة. وخير هذه الأمور الوسط.

وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به، وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة وغير ذلك، إذا كانت وسطاً بين الطرفين كانت عدلاً وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصاً وأثمرت نقصاً.

الحرر:

الوسطية: مبدأ رئيس في الإسلام، ومازال المؤمنون بخير ما تمسكوا بذلك، وفي كتاب الله:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

[البقرة: ١٣٤]

يرسل القاريء الشيخ / إبراهيم البدري - الرمل / الاسكندرية- هذه الكلمة عن الأخلاق ويوضح فيها المعالم التي يجب أن ينتهي المسلم عندها ولا يتجاوزها. يقول:

- لكل خلق حد متى جاوزه صار عدواناً، ومتى قصر عنه كان نقصاً ومهانة.

● فللحرص حد وهو الكفاية في أمور الدنيا وحصول البلاغ منها، فمتى نقص من ذلك كان مهانة وإضاعة، ومتى زاد عليه كان شرها رغبة فيما لا تُحمد الرغبة فيه.

● وللراحة حد وهو إجمام النفس والقوى المدركة والفعالة للاستعداد للطاعة واكتساب الفضائل وتوفرها على ذلك بحيث لا يضرغفها الكد والتعب ويضعف أثرها، فمتى زاد على ذلك صار توانيلاً وكسلاً وإضاعة وفات به أكثر مصالح العبد، ومتى نقص عنه صار مضراً بالقوى موهناً لها وربما انقطع به كالمثبت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

● والجود له حد بين طرفين، فمتى جاوز صار إسرافاً وتبذيراً، ومتى نقص عنه كان بخلاً وتقتيراً.

● وللشجاعة حد متى جاوزته صار تهوراً، ومتى نقصت عنه صار جبناً وخوراً، وحدها الإقدام في مواضع الإقدام والإحجام في مواضع الإحجام، كما قال معاوية لعمر بن العاص: أعينني أن أعرف أشجاعاً أنت أم جباناً تُقدم حتى

ثم اراد الاستقامة

فى الدنيا والآخرة وإذا نظرنا فى القرآن الكريم وجدنا ثمار الاستقامة فيقول سبحانه :

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٥﴾ تَحْنُ أُولِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢٦﴾ تَزَالُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مُبْعَدُونَ﴾ (٢).

فالاستقامة على لفظ «ربنا الله» شعورا فى الضمير وسلوكاً فى الحياة وصبراً على تكاليفها أمر له مشقة على النفس لذلك جعل الله ثواب الاستقامة أن الملائكة أولياء لأهل الاستقامة فى الدنيا والآخرة ثم إن لهم الجنة؛ فإى نعيم بعد هذا النعيم؟ ثم نجد أيضاً ثمار الاستقامة فى حياتنا يجنيها الطالب المستقيم نجاحاً والعامل فلاحاً والزارع نماءً والتاجر خيراً وبركة. ولقد جعل الله من شعائر عبادته وطاعته التوجه إليه كل يوم خمس مرات بل فى كل ركعة فى كل صلاة بهذا الدعاء الإلهى الخالد خلود القرآن :

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٢﴾﴾ (٣).

هيا فلنتذكر ونتدبر.

أما القارئ الأستاذ / السيد مرسى البرعى - سيدى غازى - كفر الدوار - بحيرة - فيرسل هذه الكلمة عن الاستقامة يقول :

لا بد للمسلم ان يكون دائماً فى سؤال فى أمور دينه لكى يفقه أمور هذا الدين ولقد ضرب أصحاب رسول الله المثل فى ذلك، فكانوا دائماً يسألون رسول عن أمور دينهم ودنياهم؛ فهذا سفيان بن عبد الله يريد من النبى ﷺ قولاً جامعاً فى الإسلام لا يسأل عنه أحداً غير رسول الله فيقول سفيان يا رسول قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عليه أحداً غيرك، فيجيبه الرسول ﷺ بقوله: «قل آمنت بالله ثم استقم» (١).

كلمة جامعة من جوامع كلمه ﷺ كلمة شاملة فيها صلاح العبد فى دنياه وأخراه ووصية من وصاياه ﷺ، نادت بالخير كله فى العقيدة والسلوك؛ ففى العقيدة إيمان بالله وحده إيمان لا يخالطه شك إيمان رائق لا يعكر صفوه زيغ ولا ريبة ثم استقامة فى الخلق والسلوك وحركات الجوارح، وبذلك يجمع المسلم بين نبل الوسيلة وشرف المقصد بين إيمان عميق يسرى فى خلجات النفس والوجدان مسرى الدم فى العروق وبين سلوك حميد مترجم لحركات الإنسان نحو ربه فإذا جمع المسلم بين هذين بين الإيمان والاستقامة - أتم الله عليه النعمة بحسن الثواب

(١) رواه مسلم فى صحيحه (رياض الصالحين فى كلام سيد المرسلين) النووى ص ٥٠.

(٢) الفاتحة آية رقم ٢/٦.

(٣) فصلت آية رقم ٢٢/٣٠/٣١.

الموازين الصحيحة لمعرفة الأشخاص

قال عمر: هل عاملته بالدينار والدرهم الذى يُعرف به ورع الرجل؟

فأجاب الرجل: لا

فصاح عمر، لعلك رأيته قائما قاعداً يصلى فى المسجد يرفع رأسه تارة ويخفضه أخرى (كناية عن شكلية الصلاة)، فرد الرجل: نعم!! فقال له عمر: اذهب فإنك لا تعرفه، والتفت

إلى الرجل وقال له: اتنتنى بمن يعرفك .

فعمر (رضى الله عنه) لم ينخدع بشكل الرجل ولا مظهره، ولكنه طلب معرفة الحقيقة بموازين دقيقة تقيس الجوهر

وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» .

ويقول الاستاذ / محمد عباس محمد عرابى:

- ما أدق ما سنَّه الخليفة العادل عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)، لما وضع الموازين الصحيحة لمعرفة الأشخاص، وإظهار حقائق الرجال، وذلك حينما جاءه رجل يشهد لرجل آخر..

فقال له عمر: أتعرف هذا الرجل؟

فأجاب: نعم!

قال: هل أنت جاره الذى يعرف مدخله ومخرجه؟

فأجاب الرجل: لا

قال عمر: هل صاحبتة فى السفر الذى تعرف به مكارم الأخلاق؟

فأجاب الرجل: لا

فى رحاب اللغة العربية

بقوله: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» وقال ابن الحاجب: «هى كل لفظ وضع لمعنى» .

- نشأتها:

اختلفت مذاهب العلماء فى نشأة اللغة فبعضهم يرى أن اللغة توقيفية أى أن الله

أما القارىء / أحمد ناصر أحمد ناصر - المراجعة - سوهاج .. فيرسل عدة مساهمات عن اللغة العربية نقدم منها هذه الكلمة يقول:

- اللغة من لَغِيَ يَلْغَى من باب رَضِيَ

يَرْضَى إذا لهج بالكلام وعرفها ابن جنى



الإنسان عن الكائنات الأخرى، واختص بها فئات له أن يكون المجتمع وان يقيم الحضارة علاوة على ذلك فهي وسيلة الاتصال بين الإنسان وعالمه الخارجى .

خطأ شائع..

من الأخطاء الشائعة التى نسمعها فى حياتنا اليومية نجد الكثيرين ينسبون إلى كلمة اللغة فيقولون «اللغوى» (بفتح اللام المشددة) .. وهذا خطأ والصواب أن نقول «اللغوى» (بضم اللام المشددة) .

أما قولنا اللغوى (بفتح اللام المشددة) فهذا نسبة إلى اللغو بمعنى الباطل . قال تعالى :

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ .

المحرر:

نأمل أن يكثر القارئ من تقديم الأخطاء الشائعة؛ ففي تقديمها نفع للقراء أكثر من الحديث عن نشأة اللغة ومذاهب العلماء حولها حيث إن هذه المباحث تعالج بشئ من الاستفاضة بأقلام الأساتذة المتخصصين .

تعالى علمها لآدم وحياً وإلهاماً ودليلهم قوله تعالى :

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ .

[البقرة: ٣١]

قال مجاهد علمه اسم كل شئ .

ويرى بعضهم أن اللغة نشأت عن طريق الإصطلاح أى أن الناس اتفقوا على تسمية الأشياء بمسميات معينة فيما بينهم .

ويرى بعضهم أن اللغة نشأت عن طريق المحاكاة لبعض أصوات الطبيعة إلى غير ذلك من الآراء والمذاهب .

وعلى أية حال فما تطمئن إليه النفس بهذا الصدد أن اللغة نشأت توقيفية علمها الله تعالى لآدم وحياً وإلهاماً ثم تطورت باختلاف البيئات والمجتمعات التى وجدت فيها هذه الذرية، ثم تفرعت إلى لغات متعددة لكل لغة قوانينها وخصائصها التى أملت عليها بيئتها .

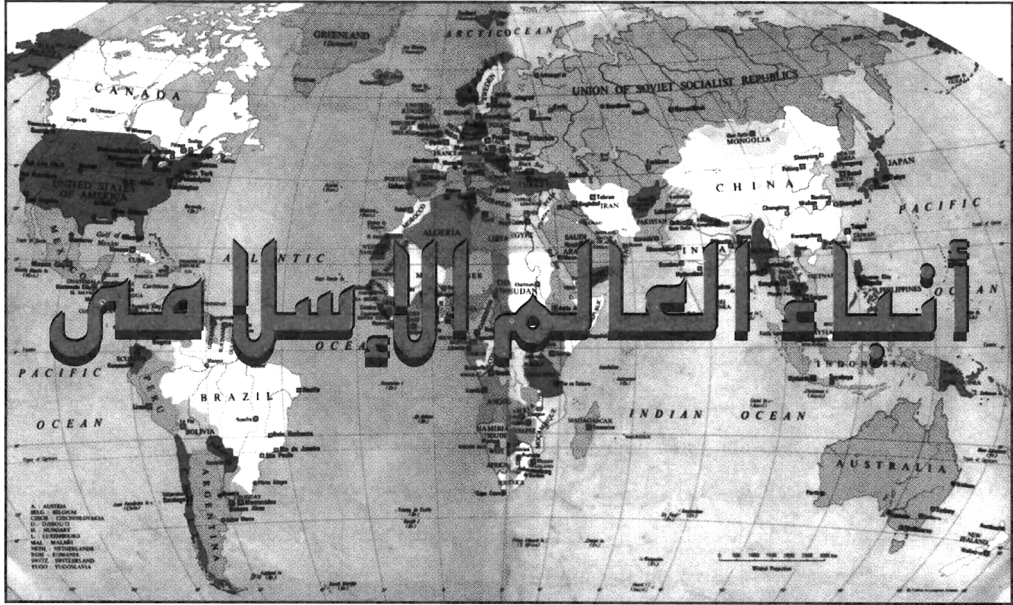
- أهميتها:

اللغة من أهم الظواهر الاجتماعية الإنسانية على الإطلاق فاللغة ظاهرة تميز

من إبداعات القراء : اذكروا الله

ومن النفحات الأدبية نقدم هذه الأبيات للشاعرة: خديجة أحمد محمود فرغل

مهما تعددت اللغات فإننا ** بقلوبنا ندعو بغير لغات
ولكل تكليف تحدّد موعد ** والذكر يملأ سائر الأوقات
وإذا اتجهت إلى الحبيب المصطفى ** وشعرت أنك ذبت في العبرات:
ودهشت مما يتعمريك ببابه ** كيف احتواك الحب في لحظات
وعجزت عن دفع الدموع هواملا ** أو أن تهدئ سرعة النبضات:
فارفع يديك إلى السماء مصليا ** ومسلما أكثر من الدعوات
كم كنت مشتاقا وشوقك جارفا ** واليوم فزت بأرفع الدرجات
فاذكره حين تنام بعد مشقة ** واذكره عند الصحو بعد سبات
واذكره في كل الظروف لأنه ** ينجيك من الشر الرجيم العاتى
واندم وتب واطلب رضاه وعفوه ** فهو الخير لأئمين عصاة
أن جئته خطوا أذاك مهرولا ** يمحو الذنوب ويغفر الزلات
واذكره إن طلع النهار بنوره ** وإذا أناخ الليل بالظلمات
وإذا نظرت إلى السماء مسبحا ** أو للجبال الشم والهضبات
وإذا تأملت البحار وما حوت ** وإذا أضفت الملح للأكلات
وإذا أخذت الشهد حلوا صافيا ** من نحلة عدت من الحشرات
وإذا أمنت على حياتك كلها ** فى الأهل أو فى القوت أو فى الذات
فالذكر أعظم نعمة وبفضله ** تمضى الحياة وضيئة الصفحات
موصلة بالله جل جلاله ** مملوءة بعجائب الآيات



لأستاذ / محمد الشرقاوي

لأول مرة في ألمانيا التلفزيون ينقل صلاة الجمعة على الهواء مباشرة

التي ألقاها «الدكتور / نديم إلياس» رئيس المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا، وتحدث «الدكتور إلياس» بالعربية والألمانية حول تعاليم الدين الإسلامي التي تنادى بالسلام وتحريم قتل النفس البشرية دون حق، ودعا المجتمع الألماني إلى تصحيح نظرته إلى المسلمين والفصل بين الإرهاب تحت عباءة الدين والإسلام.

[الأهرام ٢٢ / ٩ / ٢٠٠١]

في سابقة فريدة من نوعها تندرج ضمن الجهود المكثفة في ألمانيا حالياً للتصدي للحملة المناهضة للإسلام والتي بدأت تطول المسلمين الألمان، نقل التلفزيون الألماني الرسمي أمس على الهواء مباشرة صلاة الجمعة من داخل مسجد «بلال» بالعاصمة الألمانية برلين.

وتابع ملايين الألمان عبر شاشات التلفزيون وقائع إقامة الصلاة وخطبة الجمعة

برنامج تليفزيونى يناقش ظاهرة الخوف

من الإسلام فى الغرب

بث تليفزيون هيئة الإذاعة البريطانية (بي . بى . سى .) برنامجاً عن ظاهرة الخوف من الإسلام فى الدول الغربية والمعروفة باسم «إسلاموفوبيا» والترويج لها بشكل مبالغ فيه فى وسائل الإعلام الغربية منذ انتهاء فترة الحرب الباردة، وقد تحدث البرنامج عن هذه الظاهرة بشكل موضوعى باعتبارها إحدى الظواهر السيئة والسلبية فى المجتمع الغربى تجاه الإسلام فى الوقت الذى يدعو فيه الدين الإسلامى إلى السلام واحترام الأديان الأخرى والتعايش المشترك، وتضمن البرنامج نقاشاً بين عدد من الخبراء والمتخصصين فى بحث هذه الظاهرة من بينهم ممثلو الجاليات الإسلامية الكبيرة فى لندن حول الطرق المثلى لمكافحة ظاهرة الخوف من الإسلام.

[الأهرام ١٧/٩/٢٠٠١]

دعوة إرهابية عنيفة لقتل المسلمين

أحداث الولايات المتحدة تظهر الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين.

ومن علامات هذا الحقد ما تم اتخاذه من إجراءات عنصرية ضد المسلمين فى شتى عواصم الغرب ومنها: أن العداء أصبح علناً فعلى الرغم من محاولة السلطات البريطانية التقليل من شأن الاعتداءات على المسلمين فى بريطانيا جاء هذا الشعار ليضع مسئولى بريطانيا فى موقف بالغ الحرج؛ فقد اختارت مجموعة من البريطانيين الذين شحنتهم إعلامهم التحيز دائماً ضد العرب والمسلمين حائطاً مجاوراً لأحد المساجد وكتبوا عليه الشعار التالى:

«انتقم لأمريكا واقتل مسلماً الآن»

وليس هذا الشعار الذى هو دعوة صريحة للإرهاب والقتل سوى نموذج لسلسلة من الاعتداءات ضد المسلمين فى أنحاء المملكة المتحدة.

[صوت الأهرام ٢١/٩/٢٠٠١]



انتقم لأمريكا واقتل مسلماً الآن



٦٢٥ جريمة عنصرية ضد المسلمين

فى الولايات المتحدة

أعلن مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية ارتفاع عدد حالات الحوادث العنصرية ضد المسلمين فى الولايات المتحدة إلى ٦٢٥ حالة حتى يوم ٢٤ سبتمبر، وأشار إلى إجبار ١١ راكباً لهم ملاحع عربية على النزول من الطائرات خلال الأيام الأخيرة.. وكشفت مصادر أمريكية عن مغادرة حوالى ١٥٠ طالباً عربياً فى الجامعات الأمريكية وعودتهم إلى بلادهم.

[الوفد ٢٦ / ٩ / ٢٠٠١]

مقتطفات من مسلسل الاستهتار

بالمسلمين والعرب

(١) كاتب إسرائيلى اسمه «ديوفن كورت» طالب بأن يكون الرد المناسب على تدمير برجى التجارة العالمى والبنتاجون هو هدم البرجين اللذين يمتلكهما المسلمون.. البرجان اللذان يقصدهما الحقيقير «ديوفن» هما: الكعبة المشرفة، والمسجد النبوى الشريف!!

(٢) اكادت مصادر روسية انها ستساعد أمريكا ضد أفغانستان فى حالة مساعدة الأمريكان للروس ضد الشيشان... نعم إنها كما قال «بوش» حرب صليبية.

(٣) أشارت مصادر أمريكية انها ستغير اسم

العملية العسكرية لإرضاء المسلمين المعترضين على مصطلح العدالة المطلقة -على اعتبار أن العدالة المطلقة هى لله فقط وليست للبشر... «نعم إذبحونا ولكن على الطريقة الإسلامية»!!

[الأحرار ٢٦ / ٩ / ٢٠٠١]

الشرطة الفرنسية تعتقل إسلاميين

اعتقلت الشرطة الفرنسية عدداً من المسلمين المقيمين بفرنسا بحجة الاشتباه فى علاقاتهم بجماعة إسلامية متشددة، وقالت المصادر إن الاعتقالات ليست ذات صلة بالهجمات القاتلة التى تعرضت لها الولايات المتحدة، وذكرت متحدثة باسم الشرطة أن شرطة مكافحة الإرهاب القت القبض على الرجال فى غارات على باريس وضاحيتين من ضواحيها بعد أن تلقت معلومات عن أن مشتبهاً بهم يخزنون على الأرجح أسلحة إلا أنها لم تعثر على أى شىء.

[الأحرار ٢٦ / ٩ / ٢٠٠١]

فى هولندا الشحن الإعلامى يتسبب

فى اعتداءات على المسلمين

سجل عدد من المدن الهولندية اعتداءات على مساجد ومؤسسات ومصالح إسلامية خاصة بالجالية العربية والإسلامية المقيمة بها. أول هذه الاعتداءات شهدته «مدينة نيمخن» حيث قام مجهولون بإشعال النيران وتخطيط



الشبهة ٤٧ ألف بلاغ تبين أن الغالبية العظمى منها موجهة ضد المسلمين الذين يعيشون في أمريكا وبالطبع هذا الرقم يثير الشبهة في أن هناك جهات تعادى الإسلام تقف من ورائه لأنه لا يعقل أبداً أن تتلقى السلطات المختصة (٥) آلاف بلاغ يومياً -تقريباً- خلال الأيام العشرة التي تلت يوم الثلاثاء الدامي وتشير أصابع الاتهام إلى منظمة «إيباك» الصهيونية وغيرها من المنظمات اليهودية المعادية للإسلام والتي انتهزتها فرصة للصيد في الماء العكر ومحاولة الإساءة إلى المسلمين.

[آفاق عربية ٢٧ / ٩ / ٢٠٠١]

٧٠٠ قتل مسلم في أحداث نيويورك

ذكرت صحيفة «واشنطن بوست» كبرى الصحف الأمريكية أن عدد القتلى والمفقودين من المسلمين في تفجيرات نيويورك يبلغ ٧٠٠ مسلم ضمن ضحايا الحادث والذين يقدر عددهم بأكثر من خمسة آلاف شخص وينتمي هؤلاء إلى جنسيات عربية وأجنبية، لكن معظم القتلى من المسلمين هم من الأمريكان.

[آفاق عربية ٢٧ / ٩ / ٢٠٠١]

وفي الصين عمل همجي ضد المسلمين

في وسط حملات الاعتداءات على العرب والمسلمين داخل أمريكا وداخل أوروبا

واجهة احدى المدارس الإسلامية الخاصة، كما اعتدوا على أحد المساجد القريبة منها، وتكررت هذه الاعتداءات في عدد من المدن الأخرى مثل: مدن «يسنجي» و«أوترخت» و«شخيدام» و«دميدها» في (لاهاي)، حيث شهدت معظمها حوادث اعتداء على المساجد والمدارس الإسلامية، كما وقع اعتداء على مبنى جامعة أوروبا الإسلامية في شخيدام وتخطيط واجهته الزجاجية قبل أيام من افتتاحها، واشتكت الجاليات العربية والإسلامية من تهديدات تعرضت لها فتياتها ونسائها في المدارس والعمل بالاعتداء عليهن وشهد عدد من المناطق مثل منطقة السوق السوداء التجارية في «دبرفك» القريبة من «امستردام» تحرشاً بأبناء الجالية المسلمة وشتائم عنصرية تُحمّلهم المسؤولية عن الانفجارات التي ضربت الولايات المتحدة، واستيقظ المسلمون في امستردام على شعارات عنصرية تملأ جدران بعض الشوارع، تدعو إلى طرد المسلمين من هولندا وتردد (الموت للمسلمين)، و(اذهبوا إلى الجحيم).

[آفاق عربية ٢٧ / ٩ / ٢٠٠١]

والأصابع الصهيونية تقف وراء

٤٧ ألف بلاغ ضد المسلمين في أمريكا

بلغ عدد البلاغات التي تلقتها الشرطة الأمريكية من المواطنين «ضد كل ما يثير



من أخبار الشيشان:

مقتل ١٣ جندي روسي في معارك بالشيشان

لقى ١٣ جندي روسي مصرعهم وأصيب خمسة في معارك عنيفة بين المقاومة الشيشانية والقوات الروسية. قالت وكالة «إيتارتاس» الروسية أن سبعة من قوات الشرطة الموالية لروسيا قتلوا من بينهم أحد مساعدي رئيس الإدارة المدنية «أحمد قديروف» في معركة دارت عند ضاحية «كووكالو» جهة الشرق، مشيرة إلى أن أربعة جنود روس قتلوا وأصيب خمسة آخرون في كمين نصبه رجال المقاومة الشيشانية عند منطقة الحدود الواقعة بين الشيشان وأنجوشيا المجاورة.

وأشارت تقارير إلى مصرع شرطين روسيين خلال اشتباكات متفرقة بين الجانبين عند «اتشكولي مارثان» و«اوس مارثان» - كما عرض التلفزيون الروسي مشاهد من «جودرمين» ثاني كبرى المدن الشيشانية وظهرت شوارع المدينة خالية تماماً من المارة عدا عشرات الدبابات الروسية والعربات المدرعة. وكان ثلاثمائة من المقاومة الشيشانية قد قاموا بهجوم على «جودوميس» وذات معارك عنيفة بين الجانبين أسفرت عن مصرع عشرة من الروس. واسقاط طائرة هليكوبتر وعلى متنها عشرة من القيادات الروسية بينهم جنرالان.

والهجمات ضد المساجد والمراكز الإسلامية في القارتين الغربيتين إذ بنا نفاجاً بعمل همجي ضد المسلمين في الصين حيث قام عدد من الصينيين باقتياد عدد من مسلمي الصين وطافوا بهم في الشوارع والميادين وأجبروهم على شرب الخمر ثم تم تنفيذ الإعدام فيهم في الميادين العامة. وقع هذا الفعل الشنيع برغم أن عدد المسلمين في الصين يبلغ عشرات الملايين وبرغم أن عدد المسلمين في العالم يبلغ ١٢٠٠ مليون مسلم ومع أن هذا الخبر نشرته كل الصحف العربية والإسلامية؛ فلم يفكر مسئول صيني في الاعتذار عن هذا العمل غير الإنساني وضربت الصين بكل الاعتبارات الإنسانية عرض الحائط.

●● المحرر:

لم يكن كل هذا ليحدث لو لم يهن المسلمون على أنفسهم ومن ثم كانوا على غيرهم أهون. [الوفد ٢٠٠١/١٠/٣]

وفي فيجي قام المتطرفون بحرق مسجد

هاجم متطرفون في فيجي مسجداً وأشعلوا فيه النار وتحولت المصاحف الموجودة بالمسجد إلى كومة من الرماد لكن تم إنقاذ المبنى. وقال قائد الشرطة أن بضعة رجال اشتركوا في محاولة إحراق المسجد الواقع على مشارف مدينة «لوتوكا» في «فيجي».

[الأحرار ٢٠٠١/٩/٢٧]

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر:

الإمام الأكبر يستقبل سفير بوركينا فاسو

على الغرب أن يتعرف على الإسلام

من مصادره الأصلية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / دورايف عبده رشيد سكرتير مجلس الأمة بجمهورية الشيشان والوفد المرافق له من الجمهوريات الإسلامية بشمال القوقاز.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه فى الأزهر الشريف حيث أوضح فضيلته: دور الأزهر الشريف فى العملية التعليمية لأبناء المسلمين فى شتى بقاع العالم، والدورات التدريبية للأئمة والدعاة الذين يحضرون هذه الدورات للدراسة بالأزهر لمدة ثلاثة أشهر على نفقة مصر، كما أوضح فضيلته دور الأزهر فى نشر الثقافة الإسلامية وتصحيح المفاهيم الإسلامية لدى دول العالم مؤكدا على ضرورة فهم الإسلام فهما صحيحا وسليما ومعرفة الأحكام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف السيد / محمد وترو سفير بوركينا فاسو بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده فى القاهرة، وقد أعرب السيد السفير عن شكره وشكر بلاده لجمهورية مصر العربية ولأزهرها الشريف على ما بذله الأزهر فى تعليم أبناء بلاده والمنح الدراسية التى توفرت لهم وكذلك على الدورات التدريبية التى يحظى بها الأئمة والدعاة بالأزهر الشريف، وهو دور فاعل لا يقوم به إلا الأزهر الشريف لأبناء المسلمين فى شتى أنحاء العالم، ومما يذكر أن لبوركينا فاسو حوالى ٨٠ طالبا يدرسون فى الأزهر الشريف.



الأزهر الشريف بالمناهج والمدرسين والكتب التي تعينهم على خوض هذه التجربة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معرباً عن استعداد الأزهر للتعاون الذي من شأنه النهوض بالمستوى العلمي والتعليم الديني لطلاب وطالبات دولة اليمن الشقيقة.

ومما يذكر أنه تم عقد جلسات عمل تم فيها دراسة سبل تطبيق التعليم الأزهرى بخطته ومناهجة الدراسية في جميع مدارس دولة اليمن حيث إن التعليم الأزهرى يمثل للمسلمين جميعاً الحفاظ على القرآن الكريم ولغته العظيمة وعلى السنة النبوية المطهرة وأيضاً لتوحيد الأفكار والعلوم وخاصة في العلوم الدينية والعربية ولأن دولة اليمن تعتبر الأزهر الشريف هو المرجع والمرجعية الإسلامية تم التوقيع على بروتوكول تعليمي بين الأزهر واليمن وقعه عن الأزهر فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وعن دولة اليمن الدكتور / عبدالعزيز صالح نائب وزير التعليم.

رئيس مجلس الكلية الأوربية

للدراستات الإسلامية في ضيافة الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور / موئل يوسف عز الدين رئيس مجلس الكلية الأوروبية للدراستات الإسلامية ببريطانيا، والدكتور / محمود المشهدانى الأستاذ بالمعهد.

الشرعية والفقهية على المذاهب كلها، ويجب أن يعرف أن الفقهاء لم يختلفوا فى أمر معلوم من الدين بالضرورة، وعلى الغرب إذا أراد أن يفهم الإسلام فهما صحيحاً أن يتعرف عليه من مصادره الأصلية.

تطبيق مناهج التعليم الأزهرى بجمهورية اليمن

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الوفد رفيع المستوى من دولة اليمن الشقيقة برئاسة الدكتور / فضل أبو غانم وزير التعليم بدولة اليمن الشقيقة والدكتور / عبدالعزيز صالح نائب الوزير.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف مشيداً بعمق العلاقات والروابط بين مصر وأزهرها الشريف ودولة اليمن الشقيقة ذات الحضارة القديمة، وأشار إلى أن الصلة بين البلدين قوية منذ القدم والأزهر دائماً أبوابه مفتوحة للأشقاء وللمسلمين ولكل من يلجأ ويحضر إليه من كافة أنحاء العالم.

شكر الضيوف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر مؤكداً على أن الأزهر هو المرجعية الدينية فى العالم وهو المرجع الأساسى لهم وهم يدينون بالولاء لتعاليمه وأسلوبه فى معالجة الأمور الدينية، وقد طلبوا التنسيق مع الأزهر لإقامة معاهد أزهرية باليمن على غرار معاهد الأزهر الشريف وذلك للنهوض بمستوى التعليم فى اليمن على أن يمددهم



خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومعالي
سفير إيران بالقاهرة والوفد المرافق لهما .

رحب فضيلته : بالضيف ومرافقيه في مصر
وأزهرها الشريف وقال : إننا نكن لدولة إيران
الإسلامية كل احترام وتقدير، ونحن نلتقى
دائما في المناسبات الدينية، ونشهد لعلماء
إيران بالعقل الراجح والأدب الوفير، وأشار
إلى أن الدراسة بالأزهر تقوم على الاعتدال
والتوسط واحترام الآراء الفقهية مع اختلاف
المذاهب فيها، كما أننا نحترم كل المعاهد
العلمية في إيران وتربطنا روابط الأخوة،
والزيارات الرسمية بين البلدين خير شاهد
على تجديد الإخاء والتلاقى على طاعة الله،
والتعاون على البر والتقوى .

وكان لزيارة فضيلة الشيخ محمود عاشور
وكيل الأزهر الشريف والوفد رفيع المستوى
المرافق لفضيلته لدولة إيران آثار إيجابية
لمراجعة البحوث التي تخدم الإسلام وتزيد من
التقارب الكامل بين البلدين .

وأشار فضيلته إلى أنه حينما تقع أية
أحداث تتعلق بمصير الشعوب، فإننا نقول
الحكم النابع من الدين الإسلامى والذي
أمرتنا به شريعة الإسلام، ولانستطيع أن نقف
سلبيين فيما يحدث من أحداث ولكن نقول
الرأى الإسلامى وإلا كنا كاتمين للعلم الذى
أمرنا الله به أن نظهره، وماحدث فى أمريكا

رحب فضيلته بالضيفين فى مصر وأزهرها
الشريف مشيدا بالدور الذى يقوم به
المسلمون فى دول العالم خدمة للإسلام
والمسلمين داعيا لهم بدوام التوفيق والسداد .

شكر الضيفان فضيلته على حسن اللقاء
والحفاوة البالغة وطلبا مد جسور التعاون بين
الأزهر الشريف والمعهد الأوروبى للعلوم
الإنسانية ببريطانيا، وذلك بإمدادهم بالمدرسين
والمناهج الدراسية وخاصة فى تفسير القرآن
الكريم، وعلوم القرآن، والحديث النبوى
الشريف وعلومه، والعقيدة، والفقه، واللغة
العربية، ليكون ذلك امتداد لمسيرة الأزهر
الشريف الذى خرج للعالم أعلام هدى، ودعاة
خير وتقى فى مشارق الأرض ومغاربها، وأوضح
الضيفان أن الهدف الرئيسى لهذه الكلية هو
إعداد نخبة جيدة من الكوادر الإسلامية
المتخصصة التى تفهم الإسلام فهما صحيحا،
لتقوم بتعليمه لأبناء المسلمين فى الغرب
لينشأوا نشأة دينية صحيحة ويكونوا جسرا تعبر
عليه حضارة الإسلام الأصيلة إلى شعوب
الأرض، وقد وعدهم فضيلته بدراسة طلباتهم
تمهيدا لتبليتها طبقا لإمكانات الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية إيران

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف
معالي الدكتور كمال خرازى وزير شئون



مصر وإيران لإعلاء كلمة الإسلام فى العالم أجمع، وعلماء إيران فى أشد اللهفة لزيارة فضيلتكم، وأقدم لفضيلتكم شكر وتقدير فخامة الرئيس الإيرانى وهو من رجال الدين فى انتظار تشريف فضيلتكم لزيارة إيران وهذه دعوة موجهة لفضيلتكم للزيارة.

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتلبية الزيارة فى الوقت المناسب حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف ولفيف من العلماء.

فى اجتماعه مع وزير خارجية بريطانيا الإمام الأكبر يؤكد:

النفس الإنسانية فى الإسلام مصونة

ومحترمة ولا يجوز لأحد الاعتداء عليها

● استقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / جاك استرو وزير خارجية بريطانيا يرافقه السيد سفير بريطانيا فى القاهرة والوفد المرافق لهما.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه موضحا بأن شريعة الإسلام تدعو إلى السلام، وتمتاز بالسماحة وتعتبر الناس جميعا سواء أكانوا من الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب، هم جميعا من أب واحد وأم واحدة، ويجب أن يتعاونوا فيما بينهم، وشريعة الإسلام تحثنا على التعاون على البر والتقوى لا على الأثم

نقول عنه: إنه عمل لا تقره شريعة الإسلام، وثانيا: من حق من وقع عليه اعتداء أن يبحث عن المعتدى ويقدمه للهيئات القضائية التى تقول كلمتها، ونحن نحترم هذا رأى، ثالثا: ليس من حق المعتدى عليه أن يُنزل عقوبة على شعب بأكمله فيه الكبير والصغير والمرأة والأمين، فشريعة الإسلام تسمو الى ما هو أعلى وتأمرنا بالعدل مع العدو ومع الصديق، وتأمرنا شريعة الإسلام بالنطق بكلمة الحق، وهذا هو منهجنا حتى نلقى الله - عز وجل -.

شكر السيد الوزير فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر على هذا اللقاء الذى من شأنه تقوية العلاقات الوثيقة، وأن هذه العلاقات قوية ومستمرة بفضل المجهودات التى قام بها كل من فضيلة الشيخ / محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق والشيخ أية الله البروجوردى من أجل التقريب بين المذاهب الإسلامية، وأيضا الزيارات التى تتم بين العلماء والمسؤولين فى كلا البلدين، كما أننا استمعنا إلى الكثير مما تفضلتم به من معلومات وبيانات، وأن علماءنا يفكرون نفس التفكير لأنه نابع من دين واحد، وعلينا أن نتعامل مع ما حدث وهذه الظاهرة بما لا يؤدى إلى المساس بالأبرياء بأى أذى، وأدعو لفضيلتكم البصيرة، وأن يجعلكم الله ذخرا للعالم الإسلامى، وبدوام التواصل بين علماء



يتستر على الإرهاب، لأن من يتستر على الإرهاب فهو إرهابي، وسيأتي وقت يقتله الإرهاب، ونحن في الأزهر الشريف قدمنا التعزية لأسر الضحايا في أول لحظة لوقوع هذا الحدث البشع.

● أعرب الضيف عن سعادته بلقاء فضيلة شيخ الأزهر وأنه متفق مع فضيلته على محاربة الإرهاب، وأنه من المؤسف أن يكون هناك مثل هذا الصراع بين الناس وأن السيد / توني بليز رئيس وزراء بريطانيا أكد على أن اعتداءات ١١ سبتمبر يجب ألا تخلق شقاقا بين الإسلام والغرب وخاصة أننا نشترك في الديانات السماوية ونفس المبادئ والقيم، وأشكر فضيلتكم على شعوركم وإحساسكم ببشاعة ما حدث وتقديمكم التعازي لأسر الضحايا وأوجه لفضيلتكم الدعوة لزيارة بريطانيا ولقاء أسقف كانتربري في أقرب فرصة تراها فضيلتكم وذلك لما لهذا اللقاء من أهمية كبرى لتوضيح سماحة الأديان، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أن السيد الرئيس / محمد حسني مبارك قد نادى منذ خمسة عشر عاما بمحاربة الإرهاب، كما نادى بعقد مؤتمر دولي تحت مظلة الأمم المتحدة تلتزم به جميع الدول وتكون قراراته ملزمة وذلك لمحاربة الإرهاب حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف ولفيف من علماء الأزهر.

والعدوان، وهي ضد الظلم والبغى والقتل، وتعتبر أن من يقتل نفسا واحدة فكأنما قتل الناس جميعا، ومن عمل على إحياء نفس أو نصرة مظلوم فكأنما أحيا الناس جميعا سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، فالنفس الإنسانية في الإسلام مصونة ومحترمة، ولا يجوز لأحد أن يعتدى عليها، اللهم إلا إذا ارتكبت جريمة أو خطأ فهنا يجب أن تحاسب الحساب العادل الذي تقره الهيئات القضائية المحترمة، والدولة التي يعتدى عليها، من حقها أن تدافع عن نفسها وأن تبحث عن الجناة وتقدمهم للمحاكمة العادلة، وهذا حق وهبته شريعة الإسلام للفرد وللجماعة ومن حق كل من وقع عليه عدوان أن يدافع عن نفسه، ولا يجوز أن يرتكب الجريمة شخص أو جماعة ثم تهاجم دولة بأكملها فيها الأبرياء والأطفال والنساء والشيوخ والعجزة والأمينين، وإذا كان هناك بعض الأفراد في كل دولة وكل دين وكل مذهب لا يعرفون أن الأديان السماوية أنزلها الله - عز وجل - للإصلاح وليس للإفساد فهم غير عقلاء ولا يفهمون الفضائل، ويجب ألا نؤاخذ الناس جميعا وإنما نؤاخذ المخطئ والمعتدى، وهذا أصل من أصول شريعة الإسلام، وإذا كانت شريعة الإسلام تحارب الإرهاب والظلم والبغى والعدوان، واغتصاب أراضي الغير، وأخذ أموال الناس بالباطل فهي أيضا تحارب من

الإمام الأكبر:

نحن مع تعاون الحضارات لا مع تصارعها

● استقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور / بينيتا فريرد والدنر وزيرة الشؤون الخارجية لدولة النمسا، والسيد الوزير / جوهانز بيتر عضو مجلس الوزراء، والسيد الوزير / ماريوس كاليجاريس رئيس شئون الشرق الاوسط، والسيد سفير النمسا بالقاهرة، والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف مشيدا بالروابط القوية التي تربط بين مصر والنمسا والاحترام المتبادل بين الشعبين، وأكد على أن النمسا دولة صديقة تحترم الدين الإسلامى، وشرح فضيلته دور الأزهر الشريف فى التعليم وأن الدراسة فيه تسير على الوسطية والاعتدال من منطلق أن شريعة الإسلام ترفض الإرهاب لأنها تدعو إلى السلام والأمان وتدعو إلى صيانة النفس الإنسانية سواء أكانت لمسلم أم لغير مسلم لأنها نفس محترمة لا ينبغى الاعتداء عليها بأى لون من ألوان العدوان وبذلك يعيش الناس فى سلام وفى أمن وأمان واطمئنان، وقد أدان الأزهر الشريف الإرهاب فى أول لحظة حدث فيها حادث أمريكا فى ١١ سبتمبر وقلنا إن شريعة الإسلام تحرم الاعتداء على النفس الإنسانية كما أنها تدعو لصيانة الأموال والحقوق و من

يرتكب جريمة يحاسب ويعاقب بالعقوبة الرادعة، وفى نفس الوقت نطلب من أمريكا أن تتأنى فى البحث عن الجناة الحقيقيين وتقدمهم للمحاكمة العادلة وهذا حقها ولكن أن تهاجم دولة بها الأطفال والنساء والشيوخ والأبرياء فهذا ما لانرضاه.

وأعربت السفارة عن سعادتها بهذا اللقاء فى أعلى هيئة دينية محترمة وهو الأزهر الشريف مشيرة إلى أنه لابد من التعاون لمحاربة هؤلاء الذين يحملون أفكارا إرهابية، وقالت: أعتقد أن هدف الإرهاب هو تعميق الخلاف حتى يسود العالم، ولكن علينا أن نبين إلى أى مدى يجب أن يتسامح بعضنا مع البعض ويجب أن نبين لشعوبنا أنه ليس هناك صراع أو تصادم بين الحضارات والديانات، وعلينا أن نحسم مايشاع فى العالم من أفكار غير ذلك، ونوضح لشعوبنا وللرأى العام إدانة ماحدث، ولايمكن أن نتصور أننا نعيش فى صراع مع العالم، والنمسا دولة تعترف بالدين الإسلامى على أنه دين صحيح، والجاليات المصرية فى النمسا تعيش فى أمان وسلام، وعلينا أن نعمل من أجل الاحترام والتقدير للتقارب، وأن نحارب تلك الصراعات،

وقد أوضح الإمام الأكبر شيخ الأزهر بأنه مع تعاون الحضارات وليس مع صراع الحضارات، لأن تعاون الحضارات يفيد



أوضح بكلمة قال فيها: إن الإسلام ضد هذا العمل الإجرامى، ولا نريد إدانة المعتدى بدون دليل وحذر من أن يعتدى أحد على المسلمين، شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على كلماته الحكيمة قائلاً: إن هناك ما يزيد على البليون من المسلمين فى العالم منهم ما يزيد على سبعة ملايين مسلم فى أمريكا، وأنا أعلم أن الإسلام دين سماحة ويرفض التعامل بالعنف، كما شكر فضيلة الإمام الأكبر لمعرفته بقرارات الرئيس الأمريكى، موضحاً أن من طبيعة الأمريكان أنهم يحترمون العقائد والأديان، ونحن نرفض الاضطهاد الدينى، واليوم نرفض كافة أشكال العنف، وقال: إن تصريحاتكم وآراءكم قد شجعتنا لتلك الزيارة وكان على الرئيس الأمريكى دور وواجب نحو المسلمين، وقدم السيد السفير رسالة لفضيلة الإمام الأكبر من السيد الرئيس بوش مضمونها: أن الأمريكان الذين يعاملون المسلمين بأمريكا معاملة سيئة يجب أن يكون لديهم شىء من الخجل لأنهم أبناء وطن واحد، وأن وجه الإرهاب لا يمكن أن يكون حقيقياً مع عقيدة الإسلام لأن الإسلام هو دين السلام، ونحن نعلم ذلك، وأن هؤلاء الإرهابيين لا يمثلون الإسلام، إنهم يمثلون الشيطان.

الشعوب، ويزيل الخلافات بين الشعوب ويجعل الشعوب تتفرغ للنهضة والتقدم فى كل المجالات وأشار فضيلته إلى أن السيد الرئيس محمد حسنى مبارك أول من نادى بالتصدي للإرهاب ونادى بعقد مؤتمر عالمي لمحاربته حضر اللقاء فضيلة الشيخ / محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

بوش يؤكد: الإسلام هو دين السلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد / ديفيد ولسن سفير الولايات المتحدة الأمريكية الجديد بمناسبة توليه عمله كسفير لبلاده بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالسيد السفير والوفد المرافق حيث أكد فضيلته على أن الأزهر الشريف علماء وطلابه والعاملين به يرفضون ما حدث من عدوان على الآمنين فى نيويورك وواشنطن، لأنه لون من العدوان الذى تبغضه شريعة الإسلام، والإسلام برىء من العدوان لأن شريعة الإسلام تصون كل نفس إنسانية سواء أكانت لمسلم أم لغير مسلم، كما قدم فضيلته باسمه وباسم علماء الأزهر وطلابه والعاملين به خالص التعزية للشعب الأمريكى الصديق والأسر الضحايا، وللسيد الرئيس بوش، والشكر للرئيس بوش على اللفتة الكريمة التى قام بها لزيارته للمركز الإسلامى بواشنطن والتى



الإمام الأكبر:

**من يقع عليه العدوان يبحث عن الجاني
ويقدمه للعدالة وليس من حقه أن يهاجم دولة**

● ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف محاضرة بعنوان: (حماية الإسلام للأنفس والأموال) بمسجد النور بالعباسية بمناسبة بدء الموسم الثقافي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بحضور فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية والسادة نواب رئيس الجامعة وعلماء الأزهر الشريف وعلماء الأوقاف وطلاب البعث الإسلامية والسادة الأئمة الوعاظ من خارج مصر.

وأكد فضيلته على أن الشريعة الإسلامية كرمت الإنسان تكريما عظيما ومن مظاهر هذا التكريم أن الله - سبحانه وتعالى - أوجدنا في هذه الحياة لكي نعملها، وأعطانا نعمة العقل التي هي مناط التكليف، ونعمة البيان والتخاطب فيما بيننا، وأن الشريعة الإسلامية أعطت لنا حقوقا وفرضت علينا واجبات، وعلى رأس هذه الحقوق حق الحياة الآمنة الكريمة التي يحياها الإنسان، وهو آمن على نفسه وماله وعرضه وحرية وكرامة الإنسانية.

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن رسالة السيد الرئيس بوش تنم عن تفكير سليم وعقلية موضوعية رشيدة ونشكره على هذه الرسالة الحكيمة، كما أوضح فضيلته أن مصر والأزهر الشريف ضد الإرهاب والعدوان والبغى وقتل الأمنيين، وتنتهي للشعب الأمريكي دوام الأمان والاستقرار، وأن الأزهر على استعداد للتعاون الصادق من أجل نشر الرخاء وتبادل المنافع التي أحلها الله - عز وجل - بين مصر وأمريكا والعالم أجمع وهو تعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، مؤكدا على أن الأمان هو الذي يؤدي إلى الاستقرار والرخاء، وأما الخوف والفرع يؤدي إلى الفقر والخراب والضغائن.

كما أعرب فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف عن أسفه لما حدث في أمريكا وتأيبده لما قاله فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر في استنكاره لما حدث لأن الإسلام يرفض الإرهاب بكل صوره وألوانه وأشكاله ونؤكد على ما قاله السيد الرئيس بوش بأنه يجب أن يعامل المسلمون في أمريكا معاملة حسنة لأنهم ليس لهم ذنب فيما حدث وقدم عزاءه للسيد السفير. حضر اللقاء لفيف من علماء الأزهر الشريف.



أى مدوا يد السلام لكل من يسالكم
وأدبوا من يعتدى عليكم، لم يقل لنا من
ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك
الأيسر ولذلك يقول الله تعالى :

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ﴾ (٢٩) الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْتَ
يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ ﴿٢٩﴾ .

ولذلك فنحن كلنا رئيسا وحكومة وشعبا
نقف إلى جانب إخواننا فى فلسطين ونمد لهم بما
نستطيع من ألوان المساعدة لأنهم ظلموا
واعتدى عليهم البغاة، وقتلوا من قتلوا، وشردوا
من شردوا فمن الواجب علينا أن نقف إلى
جانبهم ونقول لهم اثبتوا ونحن معكم، وهذا
الثبات ستكون نهايته النصر إن شاء الله والقرآن
يحثنا على ذلك فيقول الله - عز وجل - :

﴿وَلَا تَهِنُوا
فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ (٣٠) .

وإذا لم نفعل ذلك نكون مقصرين فى حق
ديننا وفى حق أمتنا .

وأشار إلى آيتين ترسمان المنهج الذى يجب
أن يسير عليه المسلمون فى التعامل مع غيرهم
من أصحاب العقائد الأخرى قوله تعالى :

وقال فضيلته : إن القرآن توعده الذى
يعتدى على النفس الإنسانية ظلما دون سبب
بأشد العذاب وذلك من أجل صيانة النفس
الإنسانية، وأشار إلى أن القتل الذى يحمل
فى طياته الظلم والعدوان والبغى يؤدى إلى
انتشار الفساد والحقد والحسد فى الأمة لأن
النفس الإنسانية هى فى كل زمان ومكان
تتأثر بفقد عزيز لديها، موضحا أن الشريعة
الإسلامية حرمت على الإنسان حتى قتل
نفسه، بل إن الشريعة الإسلامية لم تعف
الإنسان من القتل الخطأ حتى يحترس المجتمع،
وأوضح بأن الذين يتهمون الإسلام بأنه دين
قسوة أو عدوان جاهلون بحقيقة الدين
الإسلامى وسماحته مشيرا إلى أن كل دولة
بها العقلاء وبعض السفهاء الذين لا يدركون
الحقائق .

وأشار فضيلته إلى أنه من الوسائل التى
سلكها التشريع الإسلامى لتكريم النفس
الإنسانية وحمايتها تحديد المفاهيم وإعطاء
كل ذى حق حقه فقال تعالى :

﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ كُفْرًا لَا تَعْتَدُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١) .

(٢) الحج (٣٩، ٤٠) .

(١) البقرة (١٩٠) .

(٣) النساء (١٠٤) .



﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَرْوَهُمْ وَتَقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾
﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَٰنَ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤).

فمن مد يد السلام إلينا مددنا إليه يد السلام ومن أساء إلينا وقتلنا واعتدى علينا وأخرج إخواننا من ديارهم وآذاهم وأصر على هذا الإيذاء فلا يمكن أن تكون بيننا وبينهم مودة أو موادة حتى ينتهى عن جرائمه،

وقال فضيلته: إن ما حدث فى أمريكا مؤخرا هو إرهاب وإفساد فى الأرض وهو عمل نستنكره جميعا ونحن ضده ومن حق من يقع عليه العدوان أن يبحث عن الجانى ويقدمه للعدالة ولكن ليس من حقه أن يهاجم دولة بأكملها فيها الرجال والنساء والأطفال والأمين.

واختتم حديثه بقوله: إن شريعة الإسلام هى شريعة الحق والعدل والرحمة وإعطاء الحقوق لأصحابها وهى الشريعة التى صانت النفس الإنسانية عن أى عدوان عليه، وهى شريعة العدل والسماحة والسمو، ويجب ألا يتهم الإسلام.

● وقال د. زقزوق: إن الإسلام أكبر وأعظم من كل إساءة توجه إليه من الجاهلين الحاقدين وهو دين حفظه الله أكثر من ١٤٠٠ عام وقد

تكفل الله بحفظه ورعايته حتى نهاية الكون ونحن نثق فى نصره الله لدينه وبالتالى لا نخاف من أى هجوم فكرى وثقافى على الإسلام، والإسلام يتعرض حاليا لحملة شعواء تبغى تشويه صورته وهى حملة مغرضة تقوم على أسس ظالمة وتنطلق من أناس لا يفهمون عن الإسلام شيئا ولا يدركون أهدافه ومعانيه، وكل من يهاجم الإسلام والمسلمين سواء أكان فردا عاديا أو مسئولا فى دولة فهذا إنسان يفضح جهله على الملأ ويبرر التعصب والكرهية التى تتحكم فى سلوكه.

وقال: إن الإسلام لم يكن أبدا دين ارهاب أو تطرف لكنه دين الرحمة والعدل والإخاء والقرآن الكريم حينما امتدح النبى ﷺ وصفه بأنه رحمة للعالمين قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٥).

فالإسلام دين رحمة ورفق ولين وليس فيه مكان لهذه الأباطيل والثرهات التى تثار من هنا وهناك سواء من هؤلاء الجهلاء الذين يتعمدون الإساءة للإسلام وهم لا يفهمون، أو من يسيئون إليه عن تعمد وسوء نية، فلم تعرف البشرية طوال تاريخها أمنا ولا سلاما وعدلا مثلما عاشته فى ظل الإسلام والحضارة الإسلامية.

(٥) الانبياء (١٠٧).

(٤) الممتحنة (٨، ٩).

الفهرس

- لا بد للعلم من خلق عاصم (الافتتاحية) ١٢٦٦
- للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٢٦٦
- تفسير سورة البقرة ١٢٧١
- لفضية الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ١٢٧١
- دعوة القرآن الكريم إلى بناء المجتمع ١٢٧٨
- للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٢٧٨
- تعظيم القرآن ١٢٨٧
- للأستاذ الدكتور/ أحمد عبد الواحد ١٢٨٧
- المعيار المعبر لقبول الرواية عند المحدثين ١٢٩١
- للدكتور/ أحمد محمود شيمى ١٢٩١
- الإسراء والمعراج (٢) ١٢٩٦
- لفضية الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٢٩٦
- سيرة رسول الله لا ين اسحق للدكتور على مراد ١٣٠١
- للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ١٣٠١
- موقف الإسلام من أهل الكتاب ١٣١٠
- للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٣١٠
- الإسلام فى دراسات أكاديمية غربية ١٣١٤
- للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب ١٣١٤
- محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين ١٣٢١
- للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم الطمعى ١٣٢١
- فلسفة خطاب الإعلام العربى ١٣٣٠
- للأستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الفيومى ١٣٣٠
- الإسلام دين السلام ١٣٣٤
- لفضية الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٣٣٤
- أم المؤمنين عائشة (قصيدة) ١٣٣٩
- للشاعر/ أحمد محرم ١٣٣٩
- الأخلاق والاقتصاد ١٣٤٥
- للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجري ١٣٥٤
- بين الخضر حسين وعلى عبد الرازق ١٣٦٠
- للدكتور/ محمد عمارة ١٣٦٠
- قصة العدد: إسلام بفى ١٣٦٥
- للأستاذ/ محمود غنيم ١٣٦٥
- على بن حاتم الطائى ١٣٦٥
- للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٣٦٥
- الشهيد (قصيدة) ١٣٦٩
- للأستاذ الدكتور/ صابر عبد الدايم ١٣٧٢
- الصهيونية وأرض الميعاد ١٣٧٧
- للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ١٣٧٧
- الإرهاب الصهيونى فى الأدب العبرى ١٣٨٣
- للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق ١٣٨٣
- مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية ١٣٨٧
- للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٣٨٧
- الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم ١٣٩٤
- للدكتور/ السيد الجملى ١٣٩٤
- القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة ١٣٩٨
- للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٣٩٨
- صلة الأرحام ١٤٠٣
- لفضية الشيخ/ عبد المنصف محمود عبد الفتاح ١٤٠٣
- الإسلام دعوة لتحقيق الوحدة الإنسانية ١٤٠٦
- للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى ١٤٠٦
- طرائف... ومواقف ١٤٠٨
- إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٤٠٨
- واقعة حال (قصيدة) ١٤٠٩
- للشاعر/ أحمد مصطفى حافظ ١٤٠٩
- المعادلة الصعبة ١٤١٤
- للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ١٤١٤
- استفتاءات القراء ١٤١٨
- تحجب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ١٤١٨
- خطبة الجمعة: فى الطريق إلى فلسطين ١٤٢٣
- للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٤٢٣
- رسالة... و... رد ١٤٢٥
- لفضية الشيخ/ عبد الفتاح سيد جمعان ١٤٢٥
- بين الصحف والمجلات ١٤٣٢
- إعداد الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ١٤٣٢
- أنباء العالم الإسلامى ١٤٤١
- للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٤٤١
- أنباء مكتب الإمام الأكبر ١٤٤٦
- للشيخ/ عمر البسطويسى ١٤٤٦



الأنهر

مجلة شهرية جامعية
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وسر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطبع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد جيب البنيوي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢/ نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ
مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ
شَهْرٍ ۝٣ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى
مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝﴾

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠ ☎

رمضان ١٤٢٢هـ - ديسمبر ٢٠٠١م - الجزء التاسع - السنة الرابعة والسبعون



الرئيس حسنى مبارك فى لقاءه مع علماء الأزهر الشريف



إعداد / أحمد السيد تقى الدين



أكد الرئيس حسنى مبارك أن الدين الإسلامى ليس دين إرهاب وأن القتل موجود فى أمريكا وأوروبا وكل مكان . وقال : إن مصر والمسلمين جميعا لا يوافقون على قتل الأبرياء ، ولا على ما حدث فى الولايات المتحدة فى ١١ من سبتمبر الماضى . جاء ذلك فى افتتاح السيد الرئيس مركز المؤتمرات الدولى للأزهر الشريف بمدينة نصر فى ١٢ من شعبان ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٩ من أكتوبر ٢٠٠١ م.



وكان الرئيس حسنى مبارك قد وصل إلى مبنى مركز المؤتمرات فى تمام الساعة التاسعة صباحا، حيث كان فى استقباله فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى والدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء، والدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر ، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، والدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية، والدكتور عبد الرحيم شحاتة محافظ القاهرة .



وقد أراح الرئيس مبارك الستار عن اللوحة التذكارية لإيدانا بافتتاح المركز، ثم قام بجولة تفقدية للمركز، توجه بعدها إلى قاعة المؤتمرات بالمركز حيث التقى بعلماء الأزهر فى لقاء مفتوح . وقد بدأ اللقاء بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمته .

وبعدها ألقى الشاعر الدكتور محمد رجب البيومى قصيدة شعرية، بدأ فى أعقابها الرئيس مبارك لقاءه مع علماء الأزهر .



وكان الرئيس مبارك قد بدأ اللقاء بتوجيه التهنئة للعلماء بقرب حلول شهر رمضان المعظم، وقال: نحن الآن فى صرح جديد تابع للأزهر الشريف وأهنتكم بقرب حلول شهر رمضان المعظم فى خلال عدة أيام وكل عام وأنتم بخير.

وأضاف: تكلمنا فى الدين كثيراً وفى الإسلام ولن نخل، ولكن جاء الوقت أن أتكلم فى السياسة. والسياسة بالقطع لها علاقة كبيرة جداً بالدين واسمحوا لى أن أشرح لكم بعض الإجابات عن بعض الأسئلة التى وردت إلى. وقال الرئيس مبارك: قد لا أكون صريحاً بالكامل فى كل سؤال، واعذرونى لأننى أنظر إلى المصلحة العامة قبل كل شىء ومصلحة مصر بصفة خاصة فساكون محاسباً فى كل كلمة أقولها ولا أستطيع أن أخرج فى التفسير أكثر مما يمكن أن أقوله.

نص حوار الرئيس مبارك مع علماء الأزهر

ثم بدأ الرئيس مبارك الرد على أسئلة علماء الدين بالأزهر الشريف.

● سؤال: حاولت بعض الجهات استغلال أحداث ١١ سبتمبر الماضى فى الولايات المتحدة للربط بين الإسلام والإرهاب لأهداف مغرضة، بينما يؤكد فضيلة الإمام الأكبر ونؤكد جميعاً فى كل مناسبة

عن القضية الفلسطينية قبل ذلك، قتل الأبرياء في الأقصر، قتل الأبرياء في كل مكان ليس معناه أن الدين الإسلامي دين إرهاب، وهناك قتل في الولايات المتحدة وفي أوروبا.

● وأشار الرئيس مبارك في هذا الصدد إلى المحامي الذي دخل برشاش في المحكمة في إحدى الولايات الأمريكية وقتل ٨ محامين وكذلك انفجار أو كلاهما، إلى آخره. وقال: إنه يجب ألا ننسب العنف إلى الإسلام، لا أرى أن هناك رابطاً بين العنف والإسلام.

وأضاف: لكن الوضع في الشرق الأوسط موضوع آخر، الناس وصلت إلى درجة من الإحباط والشعور بالظلم الذي يؤدي إلى زيادة العنف في فلسطين ما

أن الإسلام دين سماحة ويسر وهذه حقيقة، هل ترون أن هناك رابطاً بين هذه المحاولات وبين الوضع في الشرق الأوسط وخاصة الموقف العربي والإسلامي الرافض للسيادة الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧؟

● الرئيس مبارك: أحب أن أقول لكم بصراحة إن أحداث سبتمبر لا يمكن أن يوافق عليها أحد ولا على قتل الأبرياء دون سبب ولكن عندما قرب العقاب «تمحك» كل منهم في الإسلام والقضية الفلسطينية، إنه لا يمكن أبداً أن نوقف الإرهاب إلا إذا حلت القضية الفلسطينية، لم يكن هناك أحد من هؤلاء يتكلم





قال لهم: خذوا الحى اليهودى مع حائط المبكى أما باقى الأرض المقدسة فلا يمكن أبدا أن يجروا مخلوق على أن يتنازل «يجروا موش يستطيع» لا يمكن لمخلوق أن تأتى إليه المرأة أن يتنازل عن القدس الشريف وعن الحرم.

طبعا كانت هناك مفاوضات حدثت بعد اللقاء فى كامب ديفيد لكن مدة الرئيس الأمريكى السابق كانت أوشكت على الانتهاء ولو أن الجانب الإسرائيلى والجانب الفلسطينى جلسا للتفاوض فى طابا، وقد ساعدناهم فى أن يلتقوا بالرئيس الأمريكى حتى يمكن بدء التفاوض وبدأوا التفاوض فى طابا ولكن الفترة كانت قصيرة مما أدى إلى توقف المفاوضات وانتهت مدة الرئيس الأمريكى السابق.

شرعية المقاومة

● سؤال: أعريتم عن تأييد مصر الكامل للمجهودات الدولية لمكافحة الإرهاب إلا أن البعض يسعى دون حق لتوسيع نطاق الحملة ضد الإرهاب لتشمل حركات المقاومة الشرعية فى الأراضى الفلسطينية والسورية واللبنانية المحتلة.. كيف يمكن مكافحة الإرهاب إذا لم يكن هناك تعريف واضح له يأخذ فى الحسبان شرعية المقاومة المسلحة للشعوب الواقعة تحت الإرهاب؟

● الرئيس مبارك: فى أحد الأحاديث فى الفترة الأخيرة قلت إن ما يدور فى الأرض الفلسطينية من استرجاع الأرض لا أعتقد إنه يكون إرهابا، وإذا كنا سنعتبر أن هذا إرهاب فأننا اعتبر أيضا العمل الإسرائيلى فى داخل الأرض المحتلة إرهابا، غضبت بعض المنظمات وبعثت تقول لى هل تقبل القتل فى

بين الفلسطينيين وإسرائيل، هذا الموضوع أخذ مشورا طويلا جدا بخصوص حل القضية الفلسطينية، وعلى ما أتذكر فى أيام الرئيس السابق بيل كلينتون عندما تفاوض الإسرائيليون والفلسطينيون فى كامب ديفيد وصل إلى حد أنهم طلبوا منا أن نساعد عرفات فى أن يتخذ قرارا صعبا، وكان ردى سنساند عرفات فى أى قرار يتخذه، وكانت المشكلة فى ذلك الوقت هى الحرم، تريد إسرائيل أن يكون الحرم تحت السيادة الإسرائيلية، وعندما مر على كلينتون هنا فى ساعة مبكرة فى يوم من الأيام قادما من أفريقيا شرحت له وقلت له تماما بالحرف الواحد لا يمكن لأية دولة عربية أو إسلامية أن تقبل السيادة الإسرائيلية على القدس الشريف لأن هذه أرض احتلت عام ٦٧.

القدس يجب أن يعود

وقال الرئيس: لقد تناقشنا كثيرا فى هذا لدرجة أنه فى أحد اللقاءات قلت: إذا كنتم ستصرون على بقاء القدس تحت السيادة الإسرائيلية أقول لكم بصراحة وأمانة، وليس هذا سرا... ستبقى الحرب بين المسلمين وبينكم ولو لمائة عام، واعتقد أن الإدارة الأمريكية تفهم هذا لكن التعتن الإسرائيلى لا يزال قائما والمقدسات الإسلامية لابد أن تعود، القدس الشريف لابد أن يعود. واعتقد أن الرئيس الفلسطينى أثناء مفاوضاته فى كامب ديفيد وصل إلى بعض تنازلات معهم، أن تسلم إسرائيل الحرم للسلطة الفلسطينية وأن يعطيهم حائط المبكى والحى اليهودى.. والقدس الشرقية مقسمة إلى عدة أحياء.. حى يهودى.. حى إسلامى.. حى مسيحي.. كلهم فلسطينيون والحى الأرمنى.



يحتسب القتل أو العمليات التي تدور على الأرض المحتلة إرهاباً أم لا؟ نحن نقول لا، لأنه يريد أن يستعيد أرضه، بعض الدول التي تعارض هذا تقول لا.. لا نستطيع أن نعمل مؤتمراً دولياً للإرهاب لأن المسلمين سيقولون إن ما يدور في الأرض المحتلة ليس إرهاباً.. ولذلك كنا كلما ننادى بالمؤتمر كان يتوقف.

وأعتقد الآن أنه لا بد وفي أسرع وقت ممكن أن يحدث المؤتمر الدولي للإرهاب وأن تعرف كلمة الإرهاب تعريفاً كاملاً ووضع قواعد منظمة لمعاملة الإرهابيين حتى لا يقبلوا بحق اللجوء السياسي في الدول ويأخذوا الحماية اللازمة ويرتكبوا الأخطاء والجرائم في بلادهم.

إذا كنا نبحث عن حقوق الإنسان فكلنا مع حقوق الإنسان، لكن هناك من يبحث عن حق

الكازينوهات والقتل في إسرائيل، وكذا وكذا، هل لا تعتبره إرهاباً، يعني هل ظهور قانون يعطي الحق لدولة إسرائيل أن تتبع الفلسطينيين أو ما يسمونهم «الناشطين» في الأرض المحتلة وقتلهم، أي دولة في العالم تصدر هذا القانون.

أعتقد تعريف الإرهاب لهذا الموضوع كنا نتكلم فيه منذ عام ٨٤ أو ٨٦ وكنت أنادى بمؤتمر دولي للإرهاب، لم يستمع أحد وقالوا: إرهاب، أصل مصر فيها مشكلات والجزائر فيها مشكلات وهما عاوزين مؤتمر، الإرهاب موش حايجيلهم سواء أمريكا أو أوروبا، بل بالعكس كان الإرهابي هنا يقتل ويهرب ويأخذ حق اللجوء السياسي في أوروبا وفي دول أخرى وحتى في أمريكا.

ولقد تكلمت في هذا الموضوع كثيراً وناديت بمؤتمر دولي للإرهاب، وكان الخلاف هو هل

تمشى فى طريق السلام حتى يتوقف العنف ويعود الحق لأصحابه .

لا حل سوى التفاوض

● سؤال : يتزايد الشعور بالإحباط واليأس من إمكانات نجاح مفاوضات السلام مع إسرائيل فى ضوء سياستها الاستفزازية تجاه الشعب الفلسطينى الأعزل، هل ترون أنه مازال هناك أمل فى التفاوض مع الحكومة الإسرائيلية الحالية؟

● الرئيس مبارك : يعنى حالياً أنا لا أتوقع أن يكون هناك تفاوض، العملية كده كل ما العملية تهدأ نشوف لها حل، يشوفوا لها مصيبة، يعنى بنشوف فيه الانتفاضة قامت فى ٢٨ سبتمبر من العام الماضى رئيس الوزراء الحالى كان بيدخل الانتخابات علشان رئاسة حزبه فأخذ بعضه وراح الحرم ومستنود بحوالى ثلاثة آلاف جندى يؤمنونه هناك، بدأت الانتفاضة واستمرت، وجاء رئيسا للوزراء وعندما هبط معدل الانتفاضة قليلا نتيجة المجهودات التى تبذلها السلطة الفلسطينية، يظهر معجبوش الحال، فراح هناك عشان يحط حجر الأساس لهيكل سليمان، منعه الشعب زادت الانتفاضة وارتفع معدلها مرة أخرى .

وأضاف الرئيس : الواحد مش قادر يفهم هل هم عايزين سلام، أعتقد أن الشعب، المواطن الإسرائيلى العادى يريد أن يعيش شأنه شأن المواطن الفلسطينى العادى يريد أن يعيش، كانوا بيخافوا يمشوا فى الشوارع، بيخافوا يروحوا المحلات، المسئولية مسئولية الحكومات، الحكومات إذا لم تتبن خطا منطقيا معقولا لتأمين شعوبها أنا رأى أنها تستحق إعادة نظر .

الإنسان المجرم القاتل ويترك حق الإنسان البرى الذى يقتل هنا ويبيتم أولادهم، وتفقد الزوجات الأزواج والأولاد . هذا ما نتكلم عنه دائما واعتقد أنه أن الآوان لأن يكون هناك مؤتمر دولى للإرهاب لتعرف كلمة الإرهاب ولوضع قواعد ملزمة لجميع الدول الصغيرة والكبيرة لتنفيذ مثل هذه القواعد .

وقال الرئيس مبارك : حينما قلت إن هذه مقاومة شرعية بعثوا لى رسائل يقولون لى إزاي، أمال هى إيه، أرض محتلة، احتليت أرضى، عاوز استعيد أرضى، وانت موش عاوز ترجعها لى حيثحصل عنف، والعنف بيحصل ليه، فى فلسطين القرى والمدن كلها محاصرة، قبل حصار المدن والقرى لم يكن هناك عمليات إرهاب إلا نادرا شأنها شأن أى دولة فى العالم، لكن عندما تحاصر القرى والرجال لا يستطيعون العمل ولا يستطيعون كسب أرزاقهم، ولا يستطيعون إرسال أولادهم للقريبة المجاورة فى المدرسة، أو لا يستطيعون الإنفاق على أولادهم للعلاج أو المأكول أو الملابس، ماذا تتوقع منه، حالة يأس وحالة إحباط، موش قادر أطعم عيالى وموش قادر أبعثهم المدرسة وإلا يمكن ينضرب ويموت وموش قادر أجيب له هدم، ما باشتغلشى، قاعد عاطل، تبقى حياة أيه دى؟ تدعو لليأس والإحباط خلاص أروح أركب شوية متفجرات وأجى فى وسط تجمع إسرائيلى وأفرق وأموت الناس، حقيقى ييموتوا أبرياء، لكن إيه إالى وصلنا إالى هذا الحد، هو حالة الإحباط واليأس .

وأضاف : هذا هو المهم ولابد أن إسرائيل تتفهم هذا ولابد أن العالم كله يتفهم ولابد أن



«الرئيس يعلق: دى بذلنا فيها مجهودا طويلا»

وعززتم ذلك بدعم التوجه نحو إنشاء عدد من مناطق التجارة الحرة بين الدول العربية فى إطار سعيكم الدؤوب لتحقيق حلمنا جميعا لإحياء سوق عربية مشتركة.

● **الرئيس مبارك:** أن بأقول إن التجارة البينية، يعنى ما بين الدول العربية بعضها والبعض لا تزيد على ٨ إلى ١٠٪ من تجارة الدول العربية، الكلمة دى لها معان كثيرة، لما أنا أشتري منك وتشترى منى وأن يكون إللى عايزه موجوداً عندك أنا بافتح خطوط إنتاج كثيرة أو أنت بتفتح خطوط انتاج ثانية، بتشغل عمالة، بتعيش الناس، لكن التجارة الثانية كلها (ال ٩٠٪) بره فى الخارج يعنى بتشغل عمالة فى الخارج نوجد لهم وظائف، بنجيب خبراء من عندهم وهكذا، مع إن احنا كلنا عندنا صناعات ويمكن الاستثمار يمشى فى الدول ده بدل ما بنستثمر فى أوروبا وأمريكا نستثمر فى بلادنا وحببقى كلنا قلبنا على بعض وما حدش منا جيعتدى على الآخر لأن أنا لى مؤسسات.

و**أضاف الرئيس مبارك:** الموضوع ده منذ أن توليت وأنا أتكلم فيه، يا جماعة السوق العربية المشتركة أساسية، السكان بتزيد فى كل عالما العربى، احتياجاتنا بتزيد كلها، يعنى إذا كنت انت بتصنع حديد حاشترى منك، وأنا باصنع زجاج حتأخذ منى، والتكنولوجيا واحدة وكلنا بنجيب من بره بس بنفتح مصانع واستثمارات فى بلادنا كلها، وما بقولشى استثمارات فى مصر أو الصناعات كلها فى مصر، بل يجب أن تتوزع فى الدول العربية كلها علشان العمالة من كل الدول،

ولا يوجد حل سوى التفاوض، بعد سنة، بعد ستة شهور، بعد سنتين، لا حل إلا التفاوض لأن عمر استخدام القوة ما حل قضية فى العالم، الضرب والقتل بيزيد عملية الانتقام ومش حتنتهى أبدا، لا بد أن تقعد الأطراف وتنفذ تقرير ميتشيل، وتبدأ التفاوض علشان الحل النهائى، وأكبر ضمان لإسرائيل إذا كانت تريد أن تعيش فى هذه المنطقة هو إقامة الدولة الفلسطينية على أرضها، وأن يتعاونوا مع بعض وحتتنهى المشكلات، بدون ذلك لا حل إطلاقا للوصول إلى سلام.

وقال **الرئيس مبارك:** هناك دور أمريكى ودور أوروبى طبعاً، بياخدوا منها المعدات والشعب الفلسطينى شعب أعزل بيضرب ببندقية شاريينها من الإسرائيليين، أغلبها شاريينها من الإسرائيليين، فلا بد من الدور الأوروبى، يمكن أمريكا منشغلة بحكاية أفغانستان دلوقتى، لكن لا بد أن يكون هناك إجراءات معينة أو مجهود معين من المجموعة الأوروبية والولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينية، على الأقل حتى نقلل من العنف ونقلل الإرهاب ونصل إلى السلام ويأمن كل مواطن سواء إسرائيلى أو فلسطينى. إحنا مش ضد الأمن للمواطن الإسرائيلى إطلاقاً. إننا نريد الأمن للمواطن الإسرائيلى لأنه بشر والدين بتاعنا بيدعو إلى هذا.. كما ندعو أيضاً إلى الأمن للمواطن الفلسطينى ولن يكون هذا إلا بالوصول إلى حل عادل للقضية الفلسطينية.

التجارة البينية ضرورة

● **سؤال:** ترعتم الحركة النشيطة نحو التضامن العربى ونجحتم فى المجال السياسى فى إقرار مبدأ انعقاد القمة العربية كل عام



فضيلة
الأستاذ
الشيخ
محمود
عبد الغنى
عاشور وكيل
الأزهر
الشريف
يتحدث
خلال اللقاء.

الأفراد كلها تشتغل تقدر تكتسب الرزق، بدلا من أن تزيد البطالة عندنا، ونحن نقوم بتشغيل البطالة فى العالم الخارجى، فنحن نسهل لهم ونعقد على نفسنا الحياة نتيجة إن فلوسنا بره، كل استيراداتنا من بره وبعدين النتيجة احنا سكانا بنزيد ولا نجد شغل أبدا لكل الناس.

وقال الرئيس مبارك: الحكومات لا تستطيع بميزانياتها أن تشغل العالم ده كله يعنى معقول أنا أقدر أشغل فى مصر مليون واحد كل سنة انتم عارفين الميزانية هي ١٠٠ مليار، منها ٤٦ مليار مرتبات، وحتزيد،

حتوصل ٥٠ أو ٥٥ مليار يعنى أكثر من النصف وبعدين احنا حنصرف على الخدمات وعلى الحياة وعلى متطلبات الحياة منين.. لذلك احنا عمالين نجري وراء السوق العربية المشتركة وفيه بادرة أمل وأتمنى إنها تتحقق لأنها مهمة جدا للصالح جميع الدول العربية بلا استثناء.

وأضاف الرئيس مبارك: اعملوا استثمارات فى أى دولة إحنا ما عندناش مانع ما بنخافش واستورد منك وانت استورد منى، بدل ما أنا العملة الصعبة برة، وموش لاقيةها، نتبادل، نشترى، ونفتح مصانع، ونشغل عمالة، العمالة عمال ومهندسين وأطباء ومحاسبين ومن كل المجالات حتشتغل، وعلى المدى القريب لابد أن يحدث تقدم فى السوق العربية المشتركة ليس هناك حل آخر لنا كأمة عربية.

● **سؤال:** الآن عالمنا العربى يشهد يوما بعد يوم بأنه فى أمس الحاجة إلى هذا التضامن فى مواجهة الأخطار المتزايدة ضد الأمة العربية: فهل

من كلمة توجهونها إلى شعوب العالم العربى؟
● **الرئيس مبارك:** أنا أتكلم كثيرا عن أن السوق العربية المشتركة أساس حياة هذه الشعوب، التعاون الاقتصادى والتعاون التجارى شرط أساسى للمستقبل، إذا كنا ما زلنا الآن نستورد باقول فى المستقبل سنحتاج إلى وظائف كثيرة ويكون فات الأوان ونرجع نندم على مافات.

لا بد من سوق عربية مشتركة، نشوف أوروبا نحن أعلننا السوق العربية المشتركة قبل الاتحاد الأوروبى، الآن أين الاتحاد الأوروبى، إنهم يضعون شروطا علينا واحنا لسه قاعدين بنستورد منهم مافيش فائدة، ما عندنا إمكانات، السعودية فيها إمكانات وسوريا فيها إمكانات ولبنان ومصر فيها إمكانات وليبيا والمغرب والجزائر وكل الدول العربية، إن هذه الإمكانات حينما تتعاون ستحد من عمليات البطالة وما يترتب عليها من مشكلات.



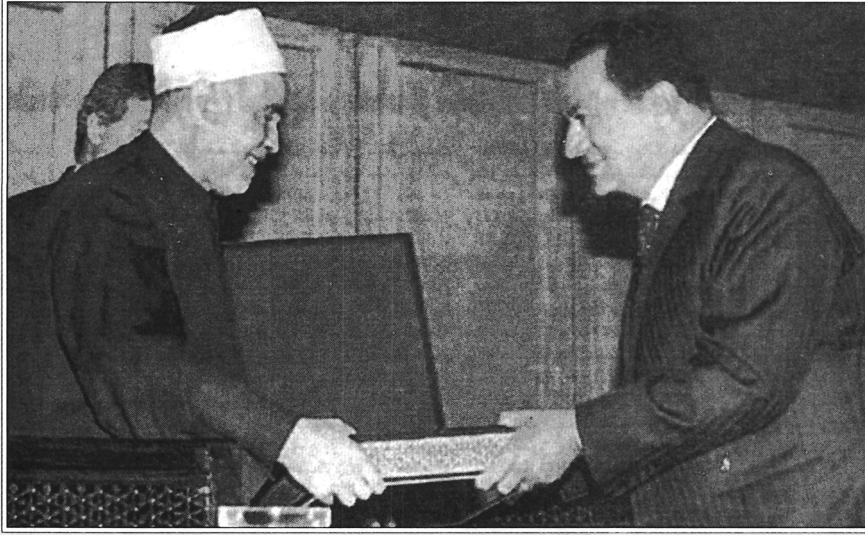
كلمة

فضيلة

الإمام

الأكبر

وألقي فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد
طنطاوى كلمة ترحيب بالسيد الرئيس محمد حسنى مبارك حيث قال:



الرئيس
مبارك يتلقى
هدية
مصحفاً
شريعاً من
شيخ الأزهر

صروح الأزهر الشريف الذى عمره أكثر من ألف سنة، والذى تقوم الدراسة فيه منذ أن انشئ على (إبراز محاسن الشريعة الإسلامية، وعلى حماية اللغة العربية من كل ما يخرجها عن معانيها السليمة).

الاعتدال والتوسط، والابتعاد عن العصبية العمياء، وعن العنصرية البغيضة

تقوم الدراسة فيه على تقديم العلم النافع إلى كل من هو فى حاجة إليه سواء أكان من الشرق أم من الغرب أم من الشمال أم من الجنوب.

وفى الأزهر الشريف الآن طلاب وطالبات من أكثر من تسعين دولة يتلقون العلم إلى جانب أخوانهم وأخواتهم من أبناء مصر.

مصر - والحمد لله - ذات الحضارة التليدة

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك - وفقه الله وسدد خطاه -

الحفل الكريم:

مرحباً بك يا سيادة الرئيس فى الأزهر الشريف جامعاً وجامعة.

مرحباً بك فى هذا المبنى الذى أسس على تقوى من الله ورضوان

مرحباً بك فى هذا فى المبنى الذى أنشئ ليكون منارة للعلم النافع، وليكون مصدراً من مصادر الهداية على مكارم الأخلاق، وإلى كل ما يؤدى إلى رقى الأمة فى كل مجال من مجالات الحياة التى أوجدنا الله فيها لكى نعيمها بكل ما ينشر فيها السلام والأمان والرخاء.

مرحباً بك يا سيادة الرئيس فى صرح من



كل مذهب من المذاهب التي انتشرت في
مشارك الأرض وفي مغاربها

والأزهر الشريف بمقتضى رسالته ودراساته
لشتى ألوان العلوم على رأس وظائفه أن يبين
للناس أن شريعة الإسلام بريئة من كل عدوان
على الناس في أنفسهم أو في أموالهم أو في
أعراضهم.

إن شريعة الإسلام -يا سيادة الرئيس-
تقرر أن الناس جميعا من أب واحد ومن أم
واحدة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (٢).

شريعة الإسلام رسمت لأتباعها علاقتهم
بغيرهم في آيتين كريمتين هما قوله تعالى:

﴿لَا يَسْأَلُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَيِّدُوا فِي الدِّينِ وَلَكِنْ لِيُخْرِجَكُمْ
مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٥﴾ إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ
مِنْ دِينِكُمْ وَظَلَمُوا أَعْلَىٰ إِيْرَاجِكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣).

التي انتفع كثير من الدول في الشرق أو في
الغرب بهذه الحضارة.

وبهذه المناسبة نقول: إن الذين يقولون
بأن الحضارات تتصادم، مخطئون.

لأننا نقول لهم: الحضارات عند العقلاء
تتعاون ولا تتصادم، تتقارب ولا تتباعد،
تتآزر من أجل خدمة البشرية، ولا تتصارع
من أجل نشر الخراب والفساد فيها.

والحضارات تزدهر وتنمو وتنتشر ويشع
ضوءها في الأمم التي يكثر فيها عدد العقلاء
وتندثر وتضمحل ويخمد نورها في الأمم التي
يكثر فيها عدد السفهاء الجهلاء.

وشريعة الإسلام -يا سيادة الرئيس- التي
تقوم على العدل وعلى الرحمة وعلى رعاية
مصالح الناس

هي أساس لكل حضارة رشيدة.
هي أساس لكل حضارة تقدم السلام
والأمان للناس.

هي أساس لكل حضارة تجمع ولا تفرق
وتبنى ولا تهدم وتعمّر ولا تخرب وتصلح ولا
تفسد وتعديل ولا تظلم

وإذا كان بعض الذين ينتسبون إلى
الإسلام، لم يعملوا بأدابه أو بأحكامه، فإن
هذا موجود في كل أمة وفي كل دين وفي

(٢) الحجرات (١٣).

(١) النساء (١).

(٣) الممتحنة (٨، ٩).



وثانيها: أن على الدولة التي وقع عليها هذا العدوان الأثيم، أن تبحث عن الجناة المجرمين، وعن الذين زينوا لهم هذا الإجرام وحرصوهم عليه، وأن تقدمهم إلى الهيئات القضائية لتقول كلمتها فيهم.

وثالثها: أن تجعل عقوبتها لهؤلاء الجناة المجرمين لا لغيرهم من الآمنين من الرجال أو النساء أو الأطفال. فالله -تعالى- يقول:

﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ

مُوسَىٰ وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۖ ﴿٧٧﴾ أَلَّا تَرَىٰٓ إِلَىٰٓ خِزْيَٰئِكُمْ وَرَأْسَٰكُمُ الْخَالِءَ ۚ

﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ

يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَأُ الْجَزَاءُ الْآخِرُ ﴿٤١﴾

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك -وفقه
الله وسدد خطاه- لقد عرفناك قائدا نقيما
شجاعا حكيما، صديقك هو الذى يؤدى
واجبه بيد نظيفة، وباتجاه قوم، وباستقامة فى
القول والفعل والسلوك، وبحرص على خدمة
المصلحة العامة بشرف وأمانة.

واننا لندعو الله -تعالى- لسيادتك بالمزيد من السداد والتوفيق، وبالمزيد من الصحة والعافية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شريعة الإسلام تصون النفس الإنسانية من
أى عدوان عليها مادامت لم ترتكب ما تؤاخذ
عليه، سواء أكانت هذه النفس لمسلم أم لغير
مسلم، وتأمّرهم أن يمدوا يدهم بالسّلام
والأمان إلى كل من يمد يده إليهم بالسّلام
والأمان.

ويكفي أنها تأمر أتباعها بأنه إذا استجار بهم من ليس منهم فعليهم أن يجيزوه، وأن يحموه من أي عدوان عليه، وأن يوصلوه إلى بلده آمنًا مطمئنًا.

قال - تعالیٰ :-

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمُورٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

شريعة الإسلام التي تأمر أتباعها بأن
ينطقوا بكلمة الحق، هي التي جعلتنا في
أعقاب ما حدث في واشنطن وفي نيويورك
في الحادى عشر من شهر سبتمبر الماضى
جعلتنا نطق بالحكم الشرعى النابع من
شريعة الإسلام فنقول ثلاث كلمات :

أولها: أن ما حدث من قتل للآلاف من الأمنيين بتلك الصورة المنكرة الغادرة الخسيسة هو فعل إجرامي وحشي خسيس تبرأ منه شريعة الإسلام، وتبرأ منه الإنسانية جمعاء.



حصن الإسلام

وألقى فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي عضو مجمع البحوث الإسلامية ورئيس تحرير «مجلة الأزهر» قصيدة بهذه المناسبة:

كل حين لنا احتفال سعيد
إن دعا الأزهر الشريف لحفل
هو حصن الإسلام يحمى حمى إلا
جاءنا السيد الرئيس المفدى
الرزين الحصيف ذو الصبر والحلم
هو رباننا فإن هبت الريح
نصر الدين والعروبة فى عصر
ماجنى المسلمون حتى يراعوا
قد أصبنا من غيظنا باختناق
ماجنى المسلمون إذ تنشب الحرب
ألفرد فذ تساق الأساطيل

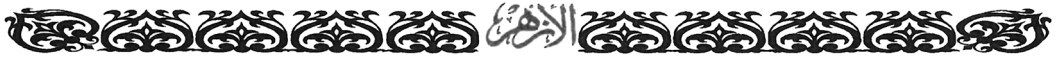
هو للمسلمين فى الكون عيد
نهضت أمة وخفت وفود
سلام والبغى فاجر عريـد
مالنا بعد أن نراه مزيـد
تميد الذرى وليس يميد
هداه فى الموج فكر سديد
به الدين مستطار شريد
بقلوب ينز منها الصديد؟
ومن الغيظ قد يشق الوريد
وهم فى لظى الجحيم وقود
وتسعى بوارج وجنود



هوس أم ضغينة وحقود؟
جئتمونا بها ونحن بعيد
حيث عانى آباؤنا والجدود
ورد العدوان فرض أكيد
حين كان الظلام فيكم يسود
قد لبسنا الدمقس وهو نضيد
هل أتى منكمو نبى رشيد
فبعد الغيب حتما تعود!
ثم يأتى بعد الهبوط الصعود
حين دوت بالقاصفات الرعود
وأودت بالشام فهو حصيد
ولمصر فى الروع بأس شديد
هر والعـز باسل صنديد
يتوافون والشيوخ حشود
مهج تغتلى، وفارت كبود
وفى صدرها يؤج الرقود
الحلى كل بما تصون تجود
من نضار، وأقسط وعقود
إن مصرا هى الرجاء الرحيد
ت أسود تسطو عليها أسود

أبياد الأفغان من أجل فرد
أصليبية تقولون ماذا؟
باسمها قد غزوتمونا قديما
ما فعلنا سوى الدفاع عن النفس
الحضارات أشرقت فى حمانا
قد لبستم جلد الوحوش وكنا
أحمد فخرنا وعيسى وموسى
إن تغب شمسنا قليلا عن الأفق
هكذا الكون دولة فهبوط
إن مصرا حمت جميع البرايا
هجمات التتار طاحت ببغداد
واشرأبت كل العيون لمصر
صرح العز فوق مئذنة الأز
صرخ العز فالشباب جموع
حين دوت وإسلاماه اقشعرت
الشبول الشبول خفت من الغاب
والعذراى والسييدات بذلن
أسـورات لآلىء وحلى
كل غال يهون فى حب مصر
وتراءى الجمعان فى عين جالو





حين دوت وإسلاماه اقشعرت
نفحات من يوم بدر تجلت
فإذا المعتدى بقايا فلول
مثل يوم العبور طرنا إليهم
ما حكوه عن خط بارليف أضحي
المكان المكان أرض فلسطين
حيث حسنى قطز وأنور بيبرس
شرد الشعر ناسيا حفلة اليوم
غير أنا نعود نلتقط الأنفاس
غمر الهم مقولى فتناسى
أى حفل لاي مبنى تجلت
مركز فى البهاء يغدو عروسا
زغرد الفن فى المكان فلو كا
قد جعلتم عجائب الكون سبعا
ستصول العقول فيه أفانين
وقفات البيان يرجع منها
هو دار للحكمة اجتذبتنا
خلد الأزهر الشريف على الدهر
قاده الطنطاوى إلى الجند سباقا
الفقيه المفسر المتروى

مهج تغتلى وفارت كبود
فكسبنا لدى الرغى ما نريد
فقتيل مضر ج وطريد
فى قتال يشيب منه الوليد
سخريرات الأيام وهو بديد
وتاريخنا بها مشهود
وجبريل فى الأمام يقود!
وللشعر نفرة وشروود
والقول مستطاب مديد
إنه اليوم شاعر غريد
فيه للفن روعة لا تبديد
حاطها فى الزفاف مرد وغيد
ن أدبنا لن منه القصيد!
ثا من السبع ذا البناء المشيد
ويعلو به النقاش الرشيد
من عكاظ لمصر عهد جديد
ستعيد المأمون فيمن تعيد
وبالله تم هذا الخلود
ودرعاه عزمه وصمود
والخطيب الذواقه المحسود

ولا ينتهى اللقاء

والاستجابة الفورية من رئيس الجمهورية شخصيا والذي حول مشروع ترميم الجامع الأزهر إلى مشروع قومى تجند فيه كل طاقات الدولة من أجل الحفاظ عليه ليظل دائما وأبداً عزيزاً شامخاً، لولا ذلك لحدث مالا يحمد عقباه.

وفى جانب آخر من جنبات القاعة كان الحديث يدور عن دار الكتب الأزهرية والمبنى العملاق الذى تشغله الآن والذي جرى تجهيزه بأحدث تقنيات العصر بعد أن كانت المكتبة الأزهرية تشغل مساحة بالجامع الأزهر لا تتناسب أبداً مع مقتنياتها الثمينة من الكتب ونفائس المخطوطات، وأصبحت هذه الدار قبلة ومزار العلماء والباحثين.

ولا يتوقف حديث العلماء عن إنجازات شيخهم الجليل محمد سيد طنطاوى فى عهد رئيسهم مبارك الذى صار الأزهر فى عهده منارة شامخة يفخر بها الأزهريون ويتباهون، فقد تحدث أحدهم عن مبنى مشيخة الأزهر الجديد، تلك التحفة المعمارية التى افتتحها رئيس الجمهورية

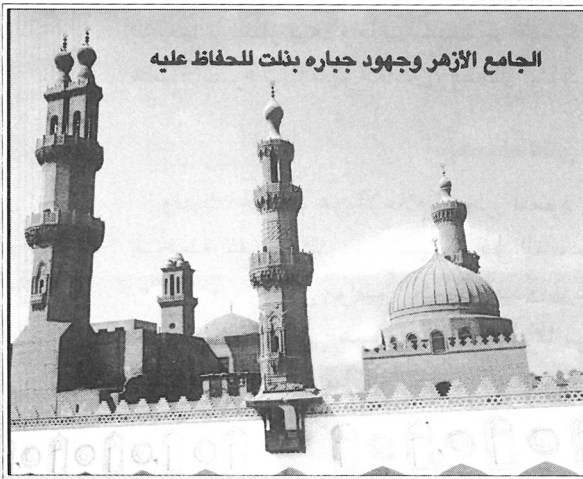
نعم لا ينتهى اللقاء.. صحيح أن السيد الرئيس محمد حسنى مبارك غادر القاعة مصحوباً بدعوات علماء الأزهر له بالتوفيق والسداد، ولكن علماء الأزهر لا يغادرون القاعة وإنما جلسوا يتحاورون يسترجعون كلمات الرئيس الذى أبى إلا أن يطلع علماء الأزهر على حقائق الأمور ليكونوا على بينة من أمر قضايا أمتهم.. لقد سمعوا الرئيس يجيب على تساؤلاتهم.

البعض الآخر أخذ يتحدث عن التطور الهائل الذى حدث فى الأزهر الشريف فى عهد شيخه الجليل الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى وبرعاية رئيس الجمهورية شخصيا، حيث شهد الأزهر نقلة حضارية جبارة تمثلت أكثر ما تمثلت فى تحديث منشآته التى أصبحت ملء السمع والبصر.

البعض كان يتحدث بفخر عن الجامع الأزهر الذى بذلت جهود جبارة فى ترميمه بعد أن تصدعت جدرانه ومالت كثير من أعمدته، ولولا جهود فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى



افتتاح مبنى مشيخة الأزهر بالدراسة فى ١٣ من سبتمبر ١٩٩٩م لقطة
تكررت وستكرر مع مشروعات ازهرية جديدة بإذن الله



شخصيا فى ١٣ من سبتمبر ١٩٩٩
وتكلف إنشاؤها خمسين مليوناً من
الجنيهات وأقيمت على مساحة
٢٨٠٠ متر مربع .

ويحكى أحدهم عن مبنى الإدارة
المركزية للمعاهد الأزهرية بمدينة
نصر والمجاور لقاعة المؤتمرات التى
يجلسون فيها والتى جرى إنشاؤها
وتجهيزها بأحدث تكنولوجيا

العصر ، بعد أن كانت فى السابق
موزعة على عدة «شقق سكنية» فى
عدة عمارات ، وكان مدرسو الأزهر
والعاملون بالمعاهد الأزهرية ينتقلون
بينها لإنجاز عملهم مع ما فى ذلك
من مشقة بالغة .

واليوم يجلسون فى هذه القاعة
المهيبة التى انشئت لتكون واجهة
حضارية مشرفة أمام وفود العالم التى
ستأتى إلى رحاب الأزهر للاجتماع
بعلمائه طلباً للمشورة والنصح .

أجل لا ينتهى اللقاء ، وسيظل
الأزهر الشريف يشهد المزيد والمزيد
من الإنجازات الحضارية الفذة ، إن
شاء الله تعالى .

رمضان غريب

لو كان شهر رمضان رجلاً يعقل، ويفكر في أمسه ويومه، لشاهد من التناقض السافر ما يضح به ضجيج الثورة والاحتجاج، فقد كان رمضان في عصر الإسلام الأول موسماً للزهد والقناعة وتمرينا على احتمال الجوع، ومجالاً للعطف الرحيم على ذوى الفاقة والعسر، كما كان ميداناً للعبادة ومدارس القرآن والحديث، والاعتكاف الخالص للتأمل في خالق السموات والأرض، والتفرغ إليه رغبة ورهبة، هذا في الأمس الغابر، أما الحاضر المشاهد فلا يكاد يلتفت إلى هذه المعاني، بل ربما كانت هذه المعاني بمفهومها الديني، ومغزاها الإنساني أبعد وأنأى عن عقول القائمين على الإعلام في أدواته المختلفة، حين يجعلون نقائضها المؤلمة حقاً مفروضاً على القارئ والسماع والمشاهد، على القارئ في المجلات والجرائد، وعلى السامع في الراديو ومختلف الشرائط الهابطة، وعلى المشاهد في إعلانات التلفزيون ومسرحياته وقصصه، والناس يسمعون ويقرأون ويشهدون وأكثرهم يظن الأمر طبعياً لا نشاز فيه، وأقلهم يستشعر الحسرة على ما فرطنا في جنب الله حين أصبحت شعيرة الصوم سبباً للهو العابثين، ومجال نشاط مبتذل كريه!

الغذاء في رمضان

ونترك الحديث عن الإعلام المتحرر لنعود إليه بعد حين، إذ نتحدث الآن عن مظاهر التخمّة المفرطة التي تسببها المأكّل الدسمة ما بين الإفطار والسحور، فقد أصبح رمضان موسماً من مواسم الكسب المادى للشركات التجارية في أوروبا وأمريكا، حين علم القائمون على هذه الشركات أن مما يروج بضائعهم الكاسدة أن تجد المعلبات البائرة هناك طريقها إلى البلاد الإسلامية باعتبارها مصدر غذاء شهى تسبقه الإعلانات في كل مجال من مجالات النشر، وكان ما يذبح من الحيوان، وما يكسد

باب بين أهله

من اللحوم غير كاف للإشباع، وأنت لا تستطيع أن تكظم غيظك حين تجد رب العائلة الموسرة يباهى بما يشتري من الأغذية الوافدة، ويعد ذلك سبقاً حضارياً، ثم يجعل الكم العددي مقياساً للسعة والحفاوة، فهو يشتري مالا حاجة إلى الأسرة به، ليعرف الناس أنه موسر لا يضمن على عائلته في شهر الخيرات والبركات، ورمضان شهر الخير والبركة حقاً، ولكن لا بمعنى الإكثار من الطعام دون حاجة، بل بمعنى مشاركة المحتاجين في طعام الموسرين، وقد كنا في أوائل هذا القرن نرى الروح الإسلامية لا تزال حية في نفوس المسلمين إذ كان منهم من يضع المائدة أمام منزله ساعة الإفطار ليفقد إليها الفقير دون أن يحتاج إلى طرق الباب، فإذا رآه صاحب المنزل استقبله ببشاشة وأنس، هذا ما رأيناه بالأمس القريب وشاهدناه.

أما الآن، فإننا نسمع ونرى ما يزكى الحسرة في النفوس، نرى من يريد أن يطعم إخوانه الموسرين مثله فحسب، فلا يدعوهم إلى منزله، بل يحتجز جناحاً في فندق شهير، وي بذل الجهد في استرضاء من يطعم في تشريفهم حين يحتفل مع المدعوين بيوم من أيام رمضان! فإذا حان موعد الإفطار غصت القاعة بالوجهاء والمترفين، ومضى الداعي مرحباً هاشاً باشاً، ولا يحسب حيي من هؤلاء أن وقت المغرب محدود وأن الصلاة توشك أن تضع سدى، بل تمتد السهرة إلى الليل، وتتعاقب المرطبات والحلوى وكأنها تتميم شعيرة الإفطار، فإذا انقضى السامر ورجع الداعي إلى منزله أخذ يتباهى بما صنع، ويقول: إنه شهر البر والخير أعاده الله علينا بالصحة والعافية! ولم يسأل نفسه كيف تكون مآدبته في الفندق وسيلة من وسائل البر والإحسان، وما أكل بها فقير، ومادنا من قنارها الذائع مسكين!!! أيخدعون أنفسهم أم يخدعون الله!؟

حكمة الجوع

وقد غابت عن هؤلاء حكمة الصوم في لبابها الأصيل، لأن استشعار الجوع في هذا الموسم الكريم ذو هدفين واضحين، يعرفهما تلاميذ المدارس الصغار، فضلا عن آبائهم الكبار، فالهدف الأول هو راحة المعدة من تعب العام المتواصل، وإتاحة الفرصة لتراكمات الدهون والشحوم أن تذوب وتتحلل فيستعيد الجسم نشاطه بعد إجازة صحية يتوقى بها ما يتوقع من الداء إذا استمر الغذاء على نحوه المتواصل أما الهدف الثاني فاستشعار العطف على البائسين ممن يجوعون طيلة العام لفقرهم المدقع وعوزهم الشديد فإذا أحس الثرى المترف لهب الجوع في رمضان تذكر من يحسون هذا اللهب دون انقطاع، وبذلك يصبح رمضان مجالا للمشاركة الوجدانية الحبيبة، حين يصبح المسلم للمسلم كالبنیان يشد بعضه بعضا، وما يحسه المؤمن التقى من شعور الراحة حين يمد يده بالخير لأخيه المحتاج، يهدىء من نفسه، ويرتفع بإحساسه إلى مستوى إنساني كريم، وفي ذلك براءة من هم، وانطلاق من قيد، لمن كان له قلب، فإذا حاولنا أن نجد نفعا ما فيما يبذل له من المآكل الأنانية في رمضان، تلك التي تظل حجرا محجورا على الأثرياء وتقف الأسوار العالية حائلة دون الفقراء فإننا لا نجد سوى الغيظ الحائق من أناس يدفعون إلى القمامات مما فضل عن حاجتهم ما يتلف عليه الفقير شغفا واحتياجا، وأنا لا أنكر أن الخير لا يزال باقيا لدى كثير من النفوس، حين يأترون بأداب الإسلام، في التكافل الاجتماعي، والتعاطف الأخوي، فيؤدون زكاة الفطر عن سماح، ويعطفون على الفقراء سرا وعلانية، ولكن رمضان بمعناه الروحي العميق يحتم أن يكون المسلمون جميعا من هذا الطراز، لا أن تكون طائفة مخلصة ترعى الخير، وطوائف أخرى تتخذ منه حيلة للدعاية الكاذبة، والغرض المريب، والشر شر في ذاته، ولكنه يتحول إلى شر أعظم إذا جعل من الشعيرة الدينية ستارا لأهواء لا تمت إليها بأدنى سبب لدى من يفهمون الأمور على وجهها الصحيح، وقديما قال أبو العلاء المعري:

إذا رام كيذا بالصلاة مقيما

فطاركها عمدا إلى الله أقرب

أى أنه أقرب من صاحب هذا الكيد، لا أنه قريب بالترك، وكلنا يعرف قول رسول الله إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى^(١) وهو حديث متواتر متعالم، ولكن كثيرا من الناس يغفلون عنه فيضلون السبيل.

(١) رواه البخارى في صحيحه.



ترفيه أم مجنون؟

أما امتلاء ليالى رمضان بشواغل اللهو العابث، والخلاعة المارقة فيما نشاهد من مسرحيات هابطة، ونرى من فوازير ذات إسفاف فى المظهر والخبر، فهذا ما نحار فيه، ولا ندرى سببا لانتشاره وقد كتبنا من قبل فى تجريح هذه الظاهرة، ولكن انتشارها يزداد هولاً فى كل عام عن سابقه، كأن هناك رغبة أكيدة فى غيظ من يدعو إلى الله بالتى هى أحسن، لقد كنا نطمح أن نجد المسرحيات التاريخية الإسلامية ذات الهدف النبيل تملأ الفراغ فتحدث التوجيه المنتظر، وترسم المثل الحى، لاسيما أن من صام اليوم الطويل يعيش فى جو روحانى يتناغم معه هذا الضرب من التوجيه الروحى، ولكننا نجد مشاهد الرقص والعرى والابتذال تعرض متتابعة وكان رمضان أصبح موسم هذا اللهو العابث، ولا أدرى ما الذى ألصق الفوازير الماجنة بهذا الشهر الكريم؟ حتى تعبأ لها الجهود طيلة العام فيظل أصحابها فى شغل شاغل بما سيقدمون من أحاج، ومن يختارون من ممثلات، وما يشترون من أدوات الإغراء والتشويق، وكأنهم يعدون لمعركة حربية يفاجأ بها عدو ماكر شديد السطوة! ألسنت تعجب حين تكون هذه الأضاحيك شغلا شاغلا لجماعة يظنون أنفسهم من قادة التوجيه، وإذا لم يكن بد من الفوازير فلماذا لا تدور حول معان ترتفع بالمشاهد وعن أناس لهم كرامتهم التاريخية ودورهم القيادى فى الإسلام! كبعض ما نراه لدى الدول الملتزمة بقواعد اللياقة، وسن الاعتدال؟ لماذا لا تدور الفوازير حول حيوات الأبطال من المجاهدين، والعلماء من المجتهدين، والقادة من المصلحين، إن كانت الفوازير إحدى رموز هذا الشهر بحيث أصبحت ضرورة ملزمة لدى هؤلاء المجددين، لقد كان ليل رمضان فى الماضى ساحرا بطمأنينته الدينية، وإشعاعه الروحى، كان القرآن الكريم يملأ سهرات المنازل، وكان المسلمون يتزاورون ليسمعوا كلام الله فى كل بيت، وكان صاحب المنزل يحجز لديه من يراه أهلا للضيافة من الفقراء ليتناول طعام السحور معه فى حب وإخلاص حتى إذا انتصف الليل هرع الجميع إلى المساجد، ليذكروا الله، وفى الوجوه بشاشة، وفى النفوس صفاء! هذا ما شاهدناه من قبل، وما شاهده وشهد أكثر منه رحالة المسلمين فى ماضيهم السعيد فانت تقرأ فى رحلات ابن جببر وابن بطوطة والمسعودى ما يهزك هذا من مظاهر التقوى العامرة فى احتفالات الليالى الوضيئة فى رمضان! وكنا فى



مصر نشهد مقارء للحديث النبوى تعقد فى ليل رمضان، وفى أرقى مساجد القاهرة وأعظمها اتساعا، بحيث يستقل مسجدا بقراءة صحيح البخارى فى حلقة ممتدة يتداول أعضاؤها القراءة فى أجزاء أعدت من قبل، ويستقل مسجد آخر بقراءة صحيح مسلم ومسجد ثالث بقراءة موطأ مالك، هذا غير مقارء كتاب الله فهى من الاشتهار بحيث تكفى الإشارة إليها، ومن حفظ الله كتابه أن هذه المقارء لا تزال باقية، ولها رواءها العاشقون، وقد يبلغ التزامهم عليها مبلغا يشفى صدور قوم مؤمنين ولا تقتصر على الليل فى رمضان، بل تعقد بعد صلاتى الظهر والعصر فى أيام الإثنين والخميس وذلك فضل الله . . ١٠

استجابة مريضة

حين بدأت الصحوة الدينية فى الشعوب الإسلامية، ونشأ جيل من الشباب يؤمن بإسلاميته الصحيحة ينبذ سموم الثقافة الوافدة، رأت دوائر الإعلام أن تساير هذه الصحوة ترويجا لشأنها فمن فئات الصحف والإذاعات من أخلصت فى دعوتها إلى مثل الإسلام وتعاليمه، ولكن فئات أخرى شاءت أن توهم القارئ تعاطفها مع الصحوة لتضمن الرواج والذيع، فأخذت فى مجال الحديث عن رمضان تفرد الصفحة والصفحتين عن شئون رمضان، ولكنك تطالع ما نشرته الصحيفة فماذا نجد؟ نجد نصفها قد خصص لإعلانات تتصل بالسهر والحفلات وهى محسوبة على الحصاد الدينى، أما النصف الآخر، فتجد فيه صورة مكبرة لمسجد أو فانوس أو أثر إسلامى مع شئون عامة عن مواقيت الصلاة والحالة الجوية ودرجات الحرارة والبرودة فى العواصم المختلفة، أما المقال الدينى فشذرات مبتسرة لا تشفى «غلة» ولا تقدم جديدا، وقد أوهمت الجريدة نفسها أنها شاركت فى التوجيه الدينى بمناسبة رمضان، مع أنها لم تفعل شيئا ذا بال: أما الإذاعات فتتهولك بأحاديث عن رمضان لمن تختارهم من الشخصيات، وتضرب كفا بكف حين تسمع المتحدث يتكلم عن ذكرياته عن رمضان، وهو لاعب كرة أو مطرب يافع أو ممثل عرف بمشاهد الإغراء!! هؤلاء وأضرابهم هم الذين يملعون السهرات بالأحاديث عن رمضان؟

ليت شعرى، أنجد أم نهزل؟

كنا ننتظر أن نقرأ فى الصحيفة اليومية مقالات ضافية لأعلام الفكر الإسلامى



كما كنا ننتظر أحاديث مهمة لكل المشتغلين بقضايا العالم الاسلامى، لتكون السهرة الرمضانية موضع جذب أخذ هذا إذا كان الهدف واضحا، والإخلاص رائدا ولكن ما نقرؤه ونسمعه فى حاجة إلى تصحيح، ومن السار أن نعلن أن الشباب المؤمن قد عزف عن هذه الترهات، وجعل يميز الطيب من الخبيث، وعلى الذين يسيطرون على منافذ التوجيه أن يعلموا أنهم يكشفون أنفسهم أمام الرأى العام، فإذا تداركوا هذه السقطات الواضحة بأعمال جدية ذات نفع فستغفر لهم سوابقهم الأليمة، أما إذا تأخروا عن الركب الزاحف فسيجدون أنفسهم حيارى وسط الظلام.. وقد أكون صريحا إلى درجة الإيلام ولكن آخر الدواء الكى.

فرصة نادرة

على أننا نعرف أن رمضان هو شهر القرآن الكريم، ومعنى ذلك أن يصبح الشهر الكريم موسما لتأمل كتاب الله، قراءة وتفسيرا، وروحانية هذا الشهر تجعل الصائم ذا صفاء نفسى، فيتلقى آيات الذكر الحكيم تلقى الذواق المستشف لأسرار الوحي الإلهى وتفرج له الآيات عن إشراقات يختص بها الله من يقبل على التلاوة بقلب صاف وروح مؤمنة، والاعتكاف المشروع فى هذا الشهر ميدان فسيح للتأمل الروحى، حيث ينهل المدد الربانى على نفوس عامرة بالإيمان، مليئة باليقين.

د. / محمد رجب البيومى



تفسير سورة القدر

لفضيلة الأيام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

بمناسبة حلول شهر رمضان
المعظم نقدم لقارئنا تفسير سورة
القدر لفضيلة الإمام الأكبر

مقدمة وتمهيد

١- سورة «القدر» من السور المكية عند أكثر المفسرين. وكان نزولها بعد سورة «عبس» وقبل سورة «الشمس» فهي السورة الخامسة والعشرون في ترتيب النزول ويرى بعض المفسرين أنها من السور المدنية، وأنها أول سورة نزلت بالمدينة.

قال الألوسي: قال أبو حيان: مدنية في قول الأكثر. وحكى الماوردي عكسه. وذكر الواحدى أنها أول سورة نزلت بالمدينة. وقال الجلال في الإتقان: فيها قولان والأكثر أنها مكية^(١).. وعدد آياتها خمس آيات، ومنهم من عدها ست آيات والأول أصح وأرجح.

٢- والسورة الكريمة من أهم مقاصدها: التنويه بشأن القرآن، والإعلاء من قدره والرد على من زعم أنه أساطير الأولين، وبيان فضل الليلة التي نزل فيها، وتحريض المسلمين على إحيائها بالعبادة والطاعة لله رب العالمين.

(١) تفسير الألوسي ج ٣٠ ص ١٨٨

قال الله - تعالى - :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

والضمير المنصوب في قوله - تعالى - :

﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ يعود إلى القرآن الكريم، وفي الإتيان بهذا الضمير للقرآن، مع أنه لم يجر له ذكر، تنويه بشأنه، وإيدان بشهرة أمره، حتى إنه ليستغنى عن التصريح به، لحضوره في أذهان المسلمين.

والمراد بإنزاله: ابتداء نزوله على النبي ﷺ لأنه من المعروف أن القرآن الكريم، قد نزل على النبي ﷺ منجماً، في مدة ثلاث وعشرين سنة تقريباً.

ويصح أن يكون المراد بأنزلناه، أي: أنزلناه جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجماً على النبي ﷺ.

قال الإمام ابن كثير: قال ابن عباس وغيره:

أنزل الله - تعالى - القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع، في ثلاث وعشرين سنة، على رسول الله ﷺ (٢).

والقدر الذي أضيفت إليه الليلة، بمعنى الشرف والعظمة، مأخوذ من قولهم: لفلان قدر عند فلان، أي: له منزلة رفيعة، وشرف عظيم، فسميت هذه الليلة بذلك، لعظم قدرها وشرفها، إذ هي الليلة التي نزل فيها قرآن ذو قدر، بواسطة ملك ذي قدر، على رسول ذي قدر، لأجل إكرام أمة ذات قدر، هذه الأمة يزداد قدرها وثوابها عند الله - تعالى - إذا ما أحيوا تلك الليلة بالعبادات والطاعات.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٤٦٣.



العلق، مع أنها أقل عدد آيات من سورة البينة وسور بعدها، وكان ذلك إيماء إلى أن الضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعود إلى القرآن، الذي ابتدئ نزوله بسورة العلق.^(٥)

وقال صاحب الكشف: عظم - سبحانه - القرآن من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أسند إنزاله إليه، وجعله مختصا به دون غيره. والثاني: أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر، شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه، والثالث: الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه.

روى أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وأمله جبريل على السفرة ثم كان ينزل به على رسول الله - ﷺ - نجوما في ثلاث وعشرين سنة.

وعن الشعبي: المعنى: أنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر..^(٦)

وقوله - تعالى:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تنويه آخر بشرف

هذه الليلة، وتفخيم لشأنها، حتى لكان عظمها أكبر من أن تحيط بها الكلمات والألفاظ.

ويصح أن يكون المراد بالقدر هنا: التقدير، لأن الله - تعالى - يقدر فيها ما يشاء تقديره لعباده، إلا أن القول الأول أظهر، لأن قوله - سبحانه - بعد ذلك: «وما أدراك ماليلة القدر» يفيد التعظيم والتفخيم.

أى: إنا ابتدأنا بقدرتنا وحكمتنا، إنزال هذا القرآن العظيم، على رسولنا محمد ﷺ في ليلة القدر، التي لها ما لها عندنا من قدر وشرف وعظم.. لأن للطاعات فيها قدرا كبيرا وثوبا جزيلا.

وليلة القدر هذه هي الليلة التي قال الله - تعالى - في شأنها في سورة الدخان:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿١﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣﴾﴾

وهذه الليلة هي من ليالى شهر رمضان، بدليل قوله - تعالى -:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^(٤).

قال بعض العلماء: ومن تسديد ترتيب المصحف، أن سورة القدر وضعت عقب سورة

(٤) البقرة (١٨٥).

(٣) الدخان (٣: ٦).

(٥) تفسير التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٥٦ للشيخ ابن عاشور - رحمه الله -.

(٦) تفسير الكشف ج ٤ ص ٧٨٠.





أى: وما الذى يدريك بمقدار عظمتها وعلو قدرها، إن الذى يعلم مقدار شرفها هو الله - تعالى - علام الغيوب .

ثم بين - سبحانه - مظاهر فضلها فقال :

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ .

أى: ليلة القدر أفضل من ألف شهر، بسبب ما أنزل فيها من قرآن كريم يهدى للتى هى أقوم .

ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، وبسبب أن العبادة فيها أكثر ثواباً، وأعظم فضلاً من العبادة فى أشهر كثيرة ليس فيها ليلة القدر .

والعمل القليل قد يفضل العمل الكثير، باعتبار الزمان والمكان، وإخلاص النية، وحسن الأداء، ولله - تعالى - أن يخص بعض الأزمنة والأمكنة والأشخاص بفضائل متميزة .

والتحديد بألف شهر يمكن أن يكون مقصوداً . ويمكن أن يراد منه التكثير . وأن المراد أن أقل عدد تفضله هذه الليلة هو هذا العدد . فيكون المعنى: أن هذه الليلة تفضل الدهر كله . ثم ذكر - سبحانه - بعد ذلك مزية أخرى لهذه الليلة المباركة فقال :

﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾

أى: ومن مزايا وفضائل هذه الليلة أيضاً، أن الملائكة - وعلى رأسهم الروح الأمين جبريل - ينزلون فيها أفواجا إلى الأرض، بأمره - تعالى - وإذنه، وهم جميعاً إنما ينزلون من أجل أمر من الأمور التى يريد إبلاغها إلى عباده، وأصل ﴿ نَزَّلَ ﴾ تنزل، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً، ونزول الملائكة إلى الأرض، من أجل نشر البركات التى تحفهم، فنزولهم فى تلك الليلة يدل على شرفها، وعلى رحمة الله - تعالى - بعباده .

والروح: هو جبريل، وذكره بخصوصه بعد ذكر الملائكة، من باب ذكر الخاص بعد العام، لمزيد الفضل، واختصاصه بأمر لا يشاركه فيها غيره .

وقوله - سبحانه - ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ نَزَّلَ ﴾ ، والباء للسببية، أى: ينتزلون بسبب إذن ربهم لهم فى النزول .

قال الجمل ما ملخصه . وقوله:

﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ يجوز فى ﴿ مِنْ ﴾ وجهان: أحدهما أنها بمعنى اللام، وتتعلق بتنزل، أى: تنزل من أجل كل أمر قضى إلى العام القابل . والثانى: أنها بمعنى الباء، أى: تنزل بكل أمر قضاه الله - تعالى - فيها من موت وحياة ورزق . وليس المراد أن تقدير الله لا يحدث إلا فى تلك الليلة بل المراد إظهار تلك المقادير للملائكة (٧)

(٧) حاشية الجمل علي الجلالين ج ٤ ص ٥٦٧ .

وقوله - تعالى - :

﴿ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .

بيان لمزية الثالثة من مزايا هذه الليلة، وقوله

﴿ سَلَّمَ ﴾ مصدر بمعنى السلام، وهو خبر

مقدم، و ﴿ هِيَ ﴾ مبتدأ مؤخر، وإنما قدم

الخبر تعجيلاً للمسرة، وقد أخبر عن هذه

الليلة بالمصدر على سبيل المبالغة، أو على

سبيل تأويل المصدر باسم الفاعل، أو على

تقدير مضاف .. والمراد بمطلع الفجر: طلوعه

وبزوغه . أى: هذه الليلة يظلمها ويشملها

السلام المستمر، والأمان الدائم، لكل مؤمن

يحييها فى طاعة الله - تعالى - إلى أن يطلع

الفجر، أو هى ذات سلامة حتى مطلع الفجر،

أو هى سالمة من كل أذى وسوء لكل مؤمن

ومؤمنة حتى طلوع الفجر .

هذا وقد أفاض العلماء فى الحديث عن

فضائل ليلة القدر، وعن وقتها . وعن

خصائصها .. وقد لخص الإمام القرطبي ذلك

تلخيصاً حسناً فقال: وهنا ثلاث مسائل:

الأولى: فى تعيين ليلة القدر .. والذى

عليه المعظم أنها ليلة سبع وعشرين ..

والجمهور على أنها فى كل عام من رمضان ..

وقيل: أخفاها - سبحانه - فى جميع شهر

رمضان، ليجتهدوا فى العمل والعبادة طمعا

فى إدراكها .

الثانية: فى علاماتها: ومنها أن تطلع

الشمس فى صبيحتها بيضاء لا شعاع لها .

الثالثة: فى فضائلها .. وحسبك قوله -

تعالى - :

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ .

وقوله:

﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ .

وفى الصحيحين:

« من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له

ما تقدم من ذنبه .. » (٨)

نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا من المنتفعين

بهذه الليلة المباركة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم .



في ظلال الحديث النبوي

السُّنَّة الصَّوْم

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ / إبراهيم الجبالي (**)

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جنة. وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»^(١).
وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين»^(٢).
وعنه - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(٣).

(*) من مختارات مجلة الأزهر (نور الإسلام). العدد التاسع رمضان ١٣٥٣هـ.

(**) شيخ كلية اللغة العربية الأسبق، وعضو جماعة كبار العلماء.

(٣) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري.

(١) أخرجه البخاري.



فالجبل أكبر منه وأضخم، ولا بقوة جسمه ومثانة عضلاته. وإلا فالبهائم والسباع أقوى منه وأمتن. وإنما فضله بما أودعه الله فيه من تلك اللطيفة الربانية، تلك الروح الملكية، تلك الماهية الإنسانية، ذات القوة العاقلة، والنفس المفكرة. بها كان أفضل تلك الأنواع، بها ميزه الله على جميع الكائنات، بها وبما ضم إليها من هذا البدن الذى خلقه الله فسواه، وما أودع فيه من جوارح وحواس، جعله الله فى الأرض خليفة، وهى منزلة لا يطعم مخلوق من خالقه فى أعظم منها. وحسبك فيها أنها منزلة تشوقت إليها نفوس الملائكة.

وإذ كان الإنسان مفضلا على غيره بهذه الميزة، كان كل ما يعود عليها بالنمو والتربية والترقية له دخل عظيم فى تقوية إنسانيته وترسيخ فضيلته. وقد جبلت طبيعته فى الغالب على خدمة قواه الجسمية والاهتمام بتنميتها، لأن فائدتها أقرب إلى حسه وأسرع إلى إدراكه، فكان بذلك عرضة للإخلال بالاعتدال الائق به، ومبعدا عن تجلّى المظاهر الملكية التى أودعها الله فيه، ولا سبيل إلى هذا إلا بتعهد تلك الشهوات الجسمية واللذائذ البهيمية بما يوقفها عند حدها، ويمنع طغيانها على الروح الطاهرة التى يجب أن يكون لها السلطان الأقوى والهيمنة التامة على جوارحه. ومن ذا يشك فى أن سبيل ذلك إنما هو الصيام؟

إننا جميعا نعرف أن طغيان التهمة والإفراط فى الملاذ والمشتبهات على القوة العاقلة وتعطيلها عن أداء ما يرجى منها هو سبب الخيبة والدمار،

الصيام والصوم فى اللغة معناه الإمساك عن أى شئ، ومنه قوله الله تعالى:

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾^(٤).

أى إمساكا عن الكلام، ويقولون: خيل صائمة أى ممسكة عن الحركة، وريح صائمة أى راكدة، وصامت الشمس أى استوت فى السماء، وإذ يخيل للرائى أنها أمسكت عن الحركة ومعناه فى الشرع: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية. والمفطرات معروفة مفصلة فى كتب الفقه. والجنة بضم الجيم: الستر، ومنه المجن لأن المقاتل يستتر به عن خصمه، والجن لاستتارها عن الأعين، والجنة لأن أشجارها تستر أرضها. وجن الليل: أى ستر ما أحاط به. والرفث: فحش القول، أو ما يكون منه فى مداعبة النساء. والصخب: شدة رفع الصوت حال الغضب ونحوه. وسابه أو قاتله: أى استفزه للسباب والمقاتلة بما يوجهه نحوه من دواعى ذلك. والخلوف: تغير رائحة الفم من هجر الطعام والشراب. والمسك: الطيب المعروف. والفرح: السرور وابتهاج النفس وغبطتها.

النوع الانسانى هو أفضل ما نشاهده من أنواع العالم. قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٥).

ويكفيه شرفا أن كان منه أفضل الخلق على الإطلاق محمد ﷺ. وما كان من فضله وامتيازه على غيره بأكبر حجمه وضخامة مادته، وإلا

(٥) الإسراء (٧٠).

(٤) مريم (٢٦).

خلقتنا من شهوة الغذاء الحافظة لوجود الشخص
ومما يحفظ وجود النوع، كان ذلك مظنة
لطغيانها، فجاء التشريع الإلهي والهداية الربانية
لكبح جماحها على الإطلاق بقوله تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (٨).

ثم بتنظيمها تنظيمًا يكسر من حدتها
ويخفف على النفس العاقلة بطشها، فشرع
الصيام الذي قال الله تعالى في شأنه في كتابه
العزیز:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٩).

فانظر إلى ترتيب التقوى على الصيام بقوله:

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تجده ناطقًا بما قررناه لك.

وهل يمنع المرء من التحلى بحلية التقوى إلا
ازدياد قوته البهيمية وطغيانها على قوته العاقلة؟
وهل يحرم الإنسان من النور الإلهي إلا لانطماس
بصيرته بغلبة بهيميته على إنسانيته؟ وأين
للمحروم من نعمة النور الرباني أن يحظى بالتقوى
التي مرجعها الأعظم ضبط النفس وإيقافها عند
حدها، امتثالاً لأمر مالك ناصيتها، والعالم
بخفاياها، والقادر على مجازاتها على ما قدمت
من خير أو شر؟ فظهر بذلك ترتيب التقوى في
عمومها على الصيام.

ولعله ظهر أيضاً قيس من معنى قوله ﷺ فيما

والهزيمة في ميادين الأعمال التي يمتاز بها
الإنسان من حيث هو إنسان، وأن الأخلاق
الكريمة المهذبة بعيدة عمن جعل نفسه أسير
الشهوتين الممقوتتين، شهوتى بطنه وفرجه، وأن
العقل النير والتفكير السليم والإدراك الصحيح لا
يتفق والانغماس في تلك الشهوات السافلة، فما
بالك بتقوى الله العظيم ومراقبة جلاله،
واستحضار قوته وبطشه، وملاحظة علمه
واطلاعه، حيث يستحي المرء من ربه في خلوته
وجلوته، وحتى يحسن معاملته للناس وتربيته
لنفسه؟ هل تظن ذلك ينقاد لمن ملكته التهمة
وملاؤه الكظة؟ وهل الأنوار الربانية والإلهامات
القدسية يصيب شعاعها نفساً انغمست في
شهواتها واستهترت في لذائذها؟ وهل تأديب
المرء لنفسه وانقيادها بالطوع له وامتثال جوارحه
لأحكام الصواب الصادرة من دينه وعقله يرجى
ممن جعل أكبر همه ملء بطنه؟ اللهم إن الأمر
واضح جد الواضح.

لقد قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ (٦)

وقال جل شأنه:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (٧)

فأباح لنا أن ننال مما وهب لنا ما نقيم به أودنا.
ولكن لما كان ذلك يقويه ما ركب في أصل

(٧) الأعراف (٣٢).

(٩) البقرة (١٨٣).

(٦) المؤمنون (٥١).

(٨) الأعراف (٣١).



أشبهه بأن يستأجر عظيم أجيرا على عمل معروف بأجر خاص يعده بالزيادة فيه إذا هو أتقن عمله ثم يقول له: «واعمل هذا العمل وهو خارج عن حدود إلا جارة ودع لى أنا تقديره فإنى أنا الذى أعرف قيمته لا أنت ولا غيرك». فكم يكون ابتهاج الأجير وإقباله على ذلك العمل برغبة صادقة لاسيما حين يعلم سعة كرم وعطاء مؤجره وحسن تقديره وتما علمه، وأنه أدرى بما سيتطلبه هذا العمل من العامل نفسه؟ إنه ليخيل للمرء أن هذا الوعد أفخم أو من أعظم ما وجهه الله تعالى - من صنوف الوعد، فما أشبهه فى عظمته بعظم الهول الذى يتجلى فى الوعيد الوارد فى قوله تعالى:

﴿ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴾ (١٠) وما كان ربك

من يشغله شأن عن شأن، وإنما هو إبراز العظمة والقدرة والغضب والانتقام فى أعظم صورة من الهول والروعة.

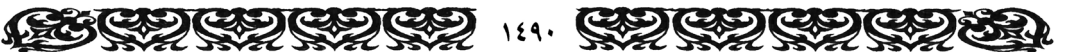
قال ﷺ: «والصيام جنة».

نعم: الصيام جنة من المعاصى بما رفع الصائم عن نفسه من قوة جند الشيطان، وهل للشيطان جند أعظم من امتلاء البطن بالطعام والشراب، فتقوى عوامل الشر، ويسترسل فى اقتناء المشتبهات واقتراف المنهيات؟ «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه» (١١) وهو بذلك جنة وسائر من النار والعذاب الأليم، وهو كذلك جنة من الشيطان وتسلمته على النفس. وهذا معنى قوله ﷺ: «وسلسلت الشياطين».

يحكيه عن ربه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به»، ذلك أن الصيام مع كونه تركا لشيء أو أشياء، أو بعبارة: مع كونه عدما ونفيا، ليس له فى نفسه صورة تقدر بذاتها، فلا يعلم علمها إلا هو وحده، فهو المجازى عليه بدون تقدير.

أقول: إن الصيام مع هذا تجده مشرقا للنور الإلهى، ومنبعا للفيض الربانى، وبابا عظيما للتوفيق، فيترتب عليه من الفوائد الجليلة ما يخرج عن التقدير «فهو لى وأنا أجزى به» فيكون اختصاصه - تعالى - بالصوم مع أنه هو المعبود بكل العبادات وحده لا شريك له، وإخراجه عن التقدير لأمرين: أنه ليس له صورة ظاهرة يتقرب العبد تقديرها بعشر أمثالها أو سبعمائة ضعف أو أكثر، وإنما هو إمساك وكف وترك. والثانى: أن له من الآثار المترتبة فى نوارنية قلب العباد وضبط جوارحهم وحواسهم وإحرازهم بذلك التقوى ما لا يقدر أحد على تقديره إلا عالم السر وأخفى، المحيط بكل شيء، والعليم بكل أمر من وجودى وعدمى من أصل وفرع. يضاف إلى ذلك أن ما يعرض للصائم من مشاق ومتاعب، وكبح شهوات، وردع النفس عن غوايات، أمور لا يستطيع ضبطها وحصرها وتقدير قيمتها إلا المطلع على السرائر، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور. بل ربما كان من مرت عليه هذه الشئون عاجزا هو نفسه عن حصرها وإحصائها، فضلا عن تقديرها.

فترى بهذا تنويها عظيما بفضيلة الصيام. وما





« ولا يصخب » أى احفظ نفسك من تلك الصيحة التى تملك من أمرها قبل انطلاقها من حنجرتك أكثر مما تملكه منها وقد أفلت زمامها من يدك، وربما تلا ذلك الصخب ما لا قبل لك بدفعه، ولأنك ما صمت إلا لتهذيب نفسك ورد غوايتها، فلا تقلب الدواء داء، فالغرض من الصوم كسر شرة النفس لا إلباسها حلة الطغيان .

قد توسع فى التفصيل واستوفى أنواع العلاج بوصف ما ينبغى أن يلجأ إليه إذا طرأ ما يستفزه لذلك بأن يسابه أحد أو يقاتله، فقال : « فإن سابه أحد أو قاتله فليقلل إنى امرؤ صائم » يقولها لنفسه ليملك زمامها فيردها إلى طاعة ربها، ويقولها لخصمه ليذكره إن كان ممن يتذكر، أو ليقطع عليه طريق الطماعية فى استفزازه إن كان من الطاغين، فإن المساب والمشاتم لا يلبث أن يهدأ إذا لم يجد من يجاريه فى طريقه . والمشاهدة أعظم شاهد .

ناشدتك الله ألا ترى هاتين الكلمتين على وجازتهما شارحتين العلاج الشافى لما تراه مستحكما فى نفوس الصائمين فى كل حين : من الميل إلى التلهى، والتسلى بأنواع التسلية بحجة الصيام، ومن استعذاب المجون وأحاديث اللهو بقصد التسلية، ومن الغضب والصخب، حتى يقال عادة لمن احتد : « أنت صائم ! » .

يا لله ! كأن ما شرع لتهذيب النفوس وكبح جماحها وإضعاف قوى الشهوة والغضب عن محاربتها صار بالحياد عن التعليم الإلهى والإرشاد النبوى بابا لتطرق ذلك إليهما .

فالحمد لله على ما علمنا وهدانا إلى صراطه المستقيم .

قال عليه السلام : « فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو خاصمه فليقلل إنى امرؤ صائم » .

هذا من تفصيل الهدى وإيضاح طريق الامتثال بسهولة . وذلك أن الصائم بما حبس نفسه عن مشتيتها وقيد حريتها التى ألفتها سيشر بحرج فى نفسه وضيق فى صدره، وميل إلى التنفيس عن نفسه، حتى يعوضها ما حرمت منه، فهو يتلمس جلب التسلية لها وما يسرى به عنها، فلا يسعفه إلا التحدث فى المشتيات، والترنم بذكر ما تصبو إليه النفس، وترداد الخواطر السيئة بفتق الذهن لها وتعلق النفوس بها، فقد يجره ذلك إلى ما لم يكن له فى حسابان، والخواطر السيئة أول درجات العصيان، فجاء النهى سدا لهذا الباب، ومن جهة أخرى : تنزيها للصيام، وتطهيرها لنفس الصائم عن علائق الشهوات، وذكرىات اللذات ولو على سبيل المجون والتسلى :

فالحب أول ما يكون مجانة

فإذا تمكن صار شغلا شاغلا

هذا سر قوله : « فلا يرفث » وأما قوله : « ولا يصخب » فوجهه كذلك أن النفس بهذا الكبح تكون ضعيفة الاحتمال ضائعة الصدر سريعة الانفعال والتهيج، فلاقل السبب تثور نائرتها ويستحكم غضبها، فينطلق الصوت بالصخب، وتتجلى مظاهر الغضب، فتساقى كؤسا متبادلة، ويحجل بينهما الشيطان بخطي متعادلة، فلا يلبث أن يشتبك، وإذا ما كان بابا لهدايتهما ووسيلة لعلاجهما قد تطرقا منه إلى حيث لا ينبغى لهما واستعملا العلاج على وجه يضرهما ولا ينفعهما، فجاء التحذير عن ذلك بقوله عليه السلام :



أن ذلك يقع منه موقع الرضا والقبول، ويقرب صاحبه إلى مرضاته، كما يكون من أحدكم تقريب المسك من أنفه لطيب رائحته. فهو من باب التمثيل والكناية عن الرضا. وقيل إن ذلك يكون في الآخرة: تكون أفواه المؤمنين الصائمين ذات رائحة ذكية عطرة طيبة أطيب من ريح المسك. وقيل إن هذا بالنسبة لاستطابة الملائكة. واستشهد القائلون بأنه في الآخرة بقوله: عند الله، فقد عرفت هذه الكلمة في بيان أحوال الآخرة كقوله تعالى:

﴿وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (١٠)

فإن معناه في الآخرة. واستشهد القائلون بأن ذلك في الدنيا بقوله في بعض الروايات: «حين يمسي» ولعمري لم لا يكون كل ذلك مشمولاً لمعنى الحديث؟ فهذا الخلوف مرضى عند الله في الدنيا مثاب عليه بتطيب أفواه أصحابه في الآخرة، تحبه الملائكة وتثنى على صاحبه. وفضل الله واسع فلا يحجر.

قال عليه السلام: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»:

هذا من تصبير النفس على ما لعلها تتكره منه. وقد قرن الفرحتين على بعد ما بينهما في القدر لينبه بمشاهدة الأولى في العاجل على تحقيق الثانية في الآجل. ولكن ما عند الله خير وأبقى.

نسأله تعالى أن يوفقنا لطاعته، وأن يرزقنا حسن مثوبته، فالكل منه وإليه، ولا اعتماداً إلا عليه. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

وقد ورد في بعض الروايات: «فليقل إني صائم إني صائم». وفائدة التكرار الاستعانة على كبح النفس ورد الخصم، أو يقولها مرة لنفسه في قلبه ومرة لخصمه بلسانه كما ذكره بعض شراح الحديث.

ويقولنا في شرح كلمتي سابه وقاتله: معناه استفزه بسبه إلى أن يسبه، يندفع ماتوهم من أن المسابة والمقاتلة مفاعلة لا تتحقق إلا من الجانبين فيقتضى أن يكون كل منهما قد سب الآخر. ووجه الدفع أن المفاعلة وإن كان أصلها كذلك إلا أنهم نصوا على أنها تسند لبادئها نسبة الفاعلية، لأنه لما تسبب فيها كان كانه هو القائم بنصيب الطرفين منها. فالسبب هنا باستفزازه للمسبوب كانه أوجد المسابة أى نصيبه منها وهو فتح بابها، وإن كان الآخر قد أفسد عليه قصده وسد عليه طريقه. وبعد: ففي هذا الجواب عند المسابة ما يذكر الصائم بفائدة صومه، وينبهه على ثمرتها ليجنحها وينتفع بها.

قال عليه السلام: «والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (١٢).

أعظم وجه تقع عليه العبادة أن يقبل عليها صاحبها مغتبطاً بها شاكرًا نعمة ربه بهدايته إليها وتوفيقه لها، ولا يخشى على العبادة من شئ أكبر من تأذى صاحبها منها وتبرمه بها. ولما كان ترك الطعام والشراب مما يؤدي غالباً إلى تغيير رائحة الفم، فيشم المرء ذلك من نفسه، ويعلم أن غيره قد يشمه منه فيتأثر ويتبرم، أزال المولى - تبارك وتعالى - عنه هذا الشعور، شعور السأم والكراهية، بهذا المثل الذى هو فى غاية الحسن. ومعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك مع أنه جل شأنه متعال عن أن يلتذ برائحة طيبة أو يتألم لرائحة كريهة:



شَهْرُ رَمَضَانَ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ

للدكتور / أحمد السبي (*)

إن شهر رمضان، هو شهر الجود والكرم والفضل، وخير الجوادين قاطبة هو أسعد الخلق سيدنا محمد ﷺ، كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة، وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع اليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم، ولم يزل النبي ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له أم المؤمنين السيدة خديجة، رضى الله عنها، في أول مبعثته: ^(١) والله لا يخزيك الله أبداً أنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكل ^(٢) وتكسب المعدوم ^(٣)، وتعين على نوائب الحق ^(٤)، ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضغافاً كثيرة، وفي الحديث الذي رواه سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه، وهو يصف رسول الله ﷺ يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، وأجود الناس ^(٥) وعنه أيضاً قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه فجاء رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة ^(٦).

(*) مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالزقازيق.

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى في كتابه بدء الوحي باب حدثنا يحيى بن بكير ٣٠/١ (٣) عن عائشة.

(٢) الكل بفتح الكاف: هو من لا يستقل بأمره كما في قوله تعالى: ﴿وهو كل على مولاه﴾ (النحل ٧٦)

(٣) والمعدوم أو المعدم أى: الفقير.

(٤) وتعين على نوائب الحق هي كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب في شجاعة النبي ﷺ، وتقدمه للحرب ٩٧/١٥ حديث رقم (٢٣٠٧).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه ١٠٤/١٥ حديث رقم (٢٣١٢).



فى مغازى الواقدى^(٧) : أن النبى ﷺ أعطنى صفوان يومئذ واديا مملوءا إبلا ونعما، فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبى، قال ابن شهاب: أعطاه يوم حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة.

وكان جوده - ﷺ - كله لله، وفى ابتغاء مرضاته فإنه كان يبذل المال اما لفقير، أو محتاج، أو ينفقه فى سبيل أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام باسلامه، وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك، مثل كسرى وقيصر ويعيش فى نفسه عيش الفقراء، فيأتى عليه الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع. وكان قد أتاها سبى مرة فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها، وقال: لا اعطيك وادع أهل الصفة^(٨).

وكان جوده ﷺ يتضاعف فى شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضا، فإن الله جبهه على ما يحبه من الأخلاق الكريمة، وكان على ذلك من قبل البعثة، وذكر ابن اسحاق^(٩) عن وهب ابن كيسان عن عبيد بن عمير قال: كان رسول

الله ﷺ يجاور فى حراء من كل سنة شهرا يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها وذلك الشهر شهر رمضان، خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره معه أهله حتى إذا كانت الليلة التى اكرمه الله - تعالى - برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل من عند الله - عز وجل - ثم كان بعد الرسالة جوده فى رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك، فانه كان يلتقى هو وجبريل - عليه السلام - وهو أفضل الملائكة واکرمهم ويدارسه القرآن الذى جاء به إليه وهو أشرف الكتب وأفضلها وهو يحث على الإحسان ومكارم الاخلاق، وقد كان رسول الله ﷺ جعل هذا الكتاب له خلقا بحيث يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، ويسارع إلى ما حث عليه ويمتنع مما زجر عنه، فلهذا كان يتضاعف جوده وفضاله فى هذا الشهر لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم الذى يحث على المكارم والجلود ولاشك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقاً من المخالطة.

وأما عن جوده فى عبادته لربه فى شهر رمضان، فلقد كان ﷺ يطيل القراءة فى قيام رمضان بالليل أكثر من غيره.

(٨) الأثر أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء، ٤١/٢، ط دار الفكر.

(٧) ينظر مغازى الواقدى ٩٤٦/٢ ط جامعة أكسفورد.

(٩) ينظر سيرة محمد بن إسحاق المسمى المبتدأ والمبعث والمغازى ص ١٠٠، ١٠١ معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.



ما صنف في حديث النبي ﷺ حتى قال الإمام الشافعي - رضوان الله عليه :
ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله
أصح من كتاب مالك . وفي رواية : ما وضع
على الأرض كتاب هو أقرب إلى القرآن من
كتاب مالك (١١) .

وسئل الإمام محمد بن اسماعيل البخاري
عن أصح الأسانيد فقال : أصحها مالك عن
نافع عن ابن عمر (١٢) .

وقال ابن عيينة في حديث أبي هريرة (١٣)
يوشك أن يضرب الناس أكباد الابل يطلبون العلم
فلا يجدون احداً أعلم من عالم المدينة هو مالك ،
وكذا قال عبدالرزاق وغيره من العلماء هذا الإمام
الكبير والمحدث الثبت الفقيه يروى ابن عبدالحكم
ما يبين لنا حاله في شهر رمضان فيقول : كان
الإمام مالك - رضي الله عنه - إذا دخل رمضان يفر
من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ، ويقبل
على تلاوة القرآن من المصحف قلت : فهذا هو
ديدن الإمام مالك في شهر رمضان حيث القرآن
الكريم الذي كان يشغل بتلاوته ويترك ماسواه
من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ، على

يحدثنا سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله
عنه - عن ليلة صلاها مع النبي ﷺ في
رمضان ، قال : فقرأ بالبقرة ثم النساء ثم آل
عمران لا يمر بآية تخويف إلا وقف وسأل فما
صلى الركعتين حتى جاءه بلال فأذنه
بالصلاة (١٠) .

ولما كان الرسول ﷺ هو أسوتنا وقدوتنا
الذي نسير على نهجه ونتبع سنته ، فإن
الناظر إلى الكثيرين من أئمة الحديث يجدهم
لا يحيدون عن سبيل نبيهم في شهر رمضان
تعبداً وتلاوة وقياماً وغيرها من القرب التي
يتقرب بها إلى الله - تعالى .

ولما كان شهر رمضان هو شهر نزول
القرآن ، فإننا نرى من أهل الحديث من يمسك
عن الاشتغال بالعلم والتعليم ليصرف جل
وقته في تلاوة القرآن الكريم ، سواء كان ذلك
عن طريق قيام الليل ، أو عن طريق ترتيل آياته
وفهم معانيه .

فهذا هو الإمام مالك بن أنس وإمام دار
الهدى ، رأس المتقنين وكبير المثبتين صاحب
كتاب الموطأ في الحديث والذي يعد من أوائل

(١٠) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٢٤٠/١ حديث رقم (٧٢٠) وإسناده صحيح . وأخرجه أحمد في مسنده ٤٠٠/٥ وإسناده صحيح أيضاً .

(١١) لقد وجه الحافظ ابن الصلاح هذا القول للإمام الشافعي فقال إنما قال هذا القول قبل وجود كتابي صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم ، وقد توفي الشافعي سنة ٢٠٤ هـ . ينظر كتاب تدريب الرواي ص ٥١ / ط دار الفكر .

(١٢) كتاب تهذيب التهذيب ٦/١٠ للحافظ ابن حجر العسقلاني .

(١٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢٩٩/٢ وأخرجه البيهقي في سننه ٣٨٦/١ .



المجدد لأمر الدين على رأس المائتين والذي قال عنه
عليه السلام: اللهم اهد قريشا فإن علم العالم منهم يسع
طباق الأرض اللهم أذقت أولها نكالا فأذق آخرها
نوالا^(١٤).

وقال عبدالرحمن بن مهدي: ما أصلى صلاة
إلا وأنا ادعو للشافعي فيها.

وكان أحمد بن حنبل يقول ستة أدعو لهم
سحرا أحدهم الشافعي كما في تهذيب التهذيب
لابن حجر العسقلاني.

فانظر إلى هذا الإمام الذي يقول عنه أحد
تلامذته: كان للشافعي في رمضان ستون ختمة
يقرؤها في غير الصلاة^(١٥).

سبحان الله، ستون ختمة في رمضان، من
أجل هذا أصلح الله حالهم ورفع منزلتهم، وأعلى
قدرهم.

وعن أبي حنيفة نحوه.

ويروى عبدالرزاق بن همام الصنعاني صاحب
المصنف عن الثقة الحافظ والفقهاء العابد والامام
الحجة سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري قال:
كان سفيان إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة
وأقبل على قراءة القرآن ويقول سفيان عن زبيد
اليامي أنه كان إذا حضر رمضان أحضر المصاحف

الرغم ممن كانوا ينتظرونه من طلبة العلم ليعرضوا
عليه الموطأ.

وهذا هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري
الإمام الثقة الثبت الذي ذكره يوما أحمد بن
حنبل فأطنب في ذكره فجعل ينشر من علمه
وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ووصفه
بالحفظ والفقهاء وقال: قلما تجد من يتقدمه.

وقال ابن حبان: كان قتادة من علماء الناس
بالقرآن الكريم والفقهاء ومن حفاظ أهل زمانه.

انظر إلى حال هذا الإمام في رمضان، يروى
بعضهم عن قتادة فيقول، كان قتادة يختم في كل
سبع دأئما (أي طوال العام) وفي رمضان في كل
ثلاث ليالي يختم، وفي العشر الاواخر يختم كل
ليلة مرة.

وهذا هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن
عبدالله بن شهاب الزهري، أحد الأئمة الأعلام
وعالم الحجاز والشام، الفقيه الحافظ المتفق على
جلالته واتقانه.

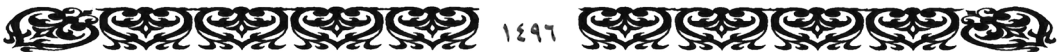
هذا الإمام كان إذا دخل رمضان قال: فإنما هو
تلاوة القرآن واطعام الطعام.

وهذا هو الإمام المطلبى محمد بن ادريس بن
العباس أبو عبد الله الشافعي المكي نزيل مصر،

(١٤) أخرجه ابن عدى في الكامل ٨/٢، وأبو نعيم في الحلية ٦٥/٩ من طريق اسماعيل بن مسلم، عن عطاء، عن ابن عباس مرفوعا،
وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٦٠/٢. ٦١ من طريق ابن عياش عن عبدالعزيز بن عبيد الله عن وهب بن كيان، عن أبي هريرة مرفوعا.

وهذان الاسنادان ضعيفان جدا فإسماعيل بن مسلم وعبد العزيز بن عبيد الله الحمصي متروكان.

(١٥) روى ذلك عنه تلميذه لربيع كما في معرفة السنن والآثار للإمام البيهقي ١٧/١.





الحنفى : العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني (المعروف بالبدر العيني وصاحب كتاب عمدة القارى بشرح صحيح البخارى وغيره) يذكر أنه اخذ سنن الإمام الترمذى على يد الإمام العراقى ، وذلك ايضا فى شهر رمضان المعظم^(١٨) .

فيا عبادالله هذا شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وفى تصيته للعابدين مستمتع وهذا كتاب الله يتلى بين أظهركم ويسمع وهو القرآن الذى لو انزل على جبل لرأيته يتصدع ، ومع هذا فلا قلب يخشع ولا عين تدمع ، ولا صيام يسان عن الحرام فينفع ، ولا قيام استقام فيرجى فى صاحبه أن يشفع ، وقلوب خلت من التقوى فهى خراب بلقع ، وتراكت عليها ظلمة الذنوب فهى لا تبصر ولا تسمع ، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة ، وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا كحال أهل الشقوة ، لا الشاب منا ينتهى عن الصبوة ، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة ، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعى الله اجابوا الدعوة ، وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة ، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار ، أفما لنا فيهم أسوة ، كما بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بيننا وبين الصفا والمروة ، كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وجمع إليه أهله ، وأخذوا فى قراءة القرآن وهذه هى ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها التى كانت تقرأ فى المصحف أول النهار فى شهر رمضان فإذا طلعت الشمس نامت .

وهذا هو إبراهيم بن يزيد النخعى ، الامام الثقة الصالح الفقيه الذى حكى عنه أنه كان يختم القرآن فى كل ليلتين من رمضان .

وكذلك كان يفعل الأسود بن قيس وبخاصة فى العشر الأواخر منه .

وأيضاً كان أبو رجاء العطاردى الذى حكى عنه أنه كان يختم فى كل عشر ليال من ليالى رمضان^(١٦) .

وأيضاً ذكر إبراهيم بن سفيان ، تلميذ الإمام مسلم أنه فرغ لهم من قراءة صحيحه فى رمضان سنة ٢٥٧ هـ .

وعلى جانب نرى الحافظ عبدالرحيم بن الحسين الأثرى المعروف بالعراقى يذكر أنه كان يتردد مع الجلال عبدالله الاردبيلي على نوروز (أحد امراء المماليك) بسبب اسماع الحديث عنده ، وكانوا فى شهر رمضان المبارك يجتمعون على قراءة صحيح الإمام البخارى (رحمه الله) فما ينصرم الشهر الا وقد فرغوا من قراءة صحيح البخارى^(١٧) .

وهذا واحد من علماء الحديث ، وأئمة المذهب

(١٦) ينظر كتاب لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى ص ١٩١/ ط المكتب الإسلامى بيروت .

(١٧) الضوء اللامع ٤/ ١٧١ .

(١٨) مقدمة شرح سنن الترمذى للحافظ العراقى .



رَمَضَانُ عِمْرَانِ سِلَّةٍ وَاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا سِلَّةَ مَسِيَّةٍ

لِلْأُسْتَاذِ الْكُتُوبِ / مُحَمَّدٍ عَمَّارٍ

لم يكن الصوم - كشعيرة دينية وفريضة إلهية - من الخصوصيات التي اختص الله - سبحانه وتعالى - بها أمة محمد، ﷺ .. فهو شعيرة ومنسك عرفته شرائع وأمم الرسل السابقين.. وعن هذه الحقيقة يتحدث القرآن الكريم، وهو يشرع لفريضة الصوم على المسلمين فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ﴾ (١).

وعندما هاجر رسول الله ﷺ والمهاجرون من مكة إلى المدينة، وجدوا اليهود يصومون في ذكرى نجاة موسى - عليه السلام - من فرعون، فأحيواهم أيضا هذه الذكرى بالصيام، تعبيرا عن معنى وحدة الدين الإلهي، واستمرارية الشرائع ما لم يقض فيها الله بالنسخ والاستبدال والتطوير.. وكذلك كان للنصارى صيامهم.

(١) البقرة (١٨٣).

«الحضور - الطائع» للخالق - سبحانه وتعالى - وحده، دونما رقيب أو شريك، الأمر الذى يخلص هذا العمل لله، دونما رياء!.. ولذلك قد يحار ويستغرب الذين لا يعلمون رسالة الصوم فى تربية الإرادة الإنسانية، كيف كان رمضان - شهر الحرمان والمعاناة والمكابدة - هو شهر أبرز الانتصارات الإسلامية على أشرس التحديات التى هددت «الدعوة» و«الأمة» و«الوطن» منذ «بدر الكبرى» سنة ٢ هـ إلى «فتح مكة» سنة ٨ هـ.. إلى «حرب رمضان» سنة ١٣٩٣ هـ!؟

لكن.. لماذا فى رمضان؟

لكن السؤال الباحث عن حكمة توقيت الصيام الإسلامى لا يزال قائما.. لماذا كان هذا المنسك، الذى مثل ويمثل «مدرسة التربية الإسلامية للإرادة» فى شهر رمضان دون غيره من الشهور؟..

إن القرآن الكريم يحدثنا عن أن هناك أربعة شهور حرم وهى «رجب» و«ذو القعدة» و«ذو الحجة» و«المحرم» ولها عند الله فضل واختصاص، حتى لقد جعلها مكرسة للسلام وتنمية العمران وحرم فيها القتال:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفِتُمْ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَدْ نَبِّئُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْبَلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

لكن السنة الثانية للهجرة - والشهر الثامن عشر من شهورها - على أرجح الآراء - قد شهد تشريع فريضة الصوم الخاصة بأمة الرسالة الخاتمة.. صوما متميزا فى منسكه من حيث أوقات الإمساك عن شهوات الطعام والشراب والفروج، ومن حيث عدد الأيام، ومن حيث موقع هذه الأيام فى شهور العام، ومن حيث التقويم القمري الذى كان تقويم العرب والإسلام..

وإذا كانت مواقيت الشعائر والفرائض الدينية لا تخلو من حكمة يحققها التوقيت - حتى وإن خفيت علينا فى بعض الأحيان - فإن البحث عن الحكمة التى جعلت شهر رمضان، دون غيره من شهور السنة القمرية، هو شهر الصيام للأمة الإسلامية.. إن البحث عن حكمة هذا التوقيت قد يفتح أمامنا سبلا لاكتناه مزيد من العظمة والتعظيم لهذا الركن من أركان الإسلام.. بل إنه لفتح أمام بصائرنا طرقا إلى المعانى الحقيقية الجديرة بالتجسيد والإحياء فى هذا الشهر العظيم.. شهر رمضان..

إن الصوم، فى الإصطلاح الشرعى للإسلام، هو الامتناع عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس أيام شهر رمضان.. لكنه إذا وقف عند هذا «الطقس» فقد لا يكون لصاحبه منه سوى آثار «الجوع والعطش» - كما جاء فى الحديث عن رسول الله، ﷺ «ذلك أن الصوم هو فى حقيقته «تعبيد» للإنسان، يديم «حضور العبودية» بألوان من «الحرمان» تجعله مدرسة عظمى لتربية الإرادة الإنسانية على



ولقد كانت بداية هذه «اللحظة» هي نزول «الروح الأمين» على «الصادق الأمين» بأولى آيات القرآن الكريم، لحظة «مطلع الفجر» فى ليلة من الليالى الوتر فى العشر الأواخر من شهر رمضان فى «غار حراء»؟!!

فى هذه «اللحظة»، التى أضاءت فيها الأرض بنداء السماء:

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾^(٣) بدأ نزول القرآن فى ليلة القدر.. وهى «لحظة» (مطلع الفجر) - الذى هو مولد النهار - وفيها نزل الكتاب - الذى ولدت منه الأمة - عندما خرجت عقيدتها وشريعتها وحضارتها.. ووحدتها فى «الأمة» و«الدار» من بين دفتى هذا الكتاب الكريم!

ولقد كان ذلك «الميلاد» فى شهر رمضان.. فكان صومه - دون غيره من الشهور - الاحتفال الإسلامى بميلاد هذه الأمة، فى مطلع الفجر، من ليلة القدر، فى رمضان، فى السنة التى سبقت الهجرة النبوية بثلاثة عشر عاماً..

يحكى القرآن الوقائع التى تقود العقل المسلم لاكتشاف حكمة جعل الصيام الإسلامى فى شهر رمضان، دون سواه من الشهور.. وذلك عندما يحدثنا عن توقيت نزول القرآن الكريم:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۚ سَلَّمَ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^(٤)

لكن الله - سبحانه وتعالى - قد جعل الصيام - هذا الركن العظيم من أركان الإسلام - فى رمضان، ولم يجعله فى واحد من هذه الأشهر الحرم.. فلماذا؟!..

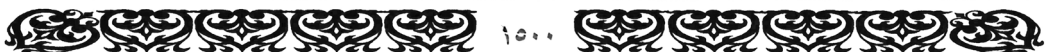
بل إن «الحج» إلى البيت الحرام.. وهو، كالصيام، ركن إسلامى له توقيت سنوى ثابت قد دخل شهر «ذو الحجة» - وهو من الأشهر الحرم - فى أشهر الإحرام به والأداء لمناسكه.. وبقي الصيام وحده، من بين الأركان ذات الميقات السنوى الثابت، بعيداً عن هذه الأشهر الحرم، حيث اختص به شهر رمضان!..

وإذا كانت الهجرة النبوية قد مثلت، بالنسبة للإسلام الدعوة.. والدولة «الحدث - المنقذ» من إحاطة الشرك واقتلاع الكفر للإيمان.. فلم لم يكن شهر الهجرة - ربيع الأول - هو شهر الصوم، كما كان حال الصيام فى شريعة بنى إسرائيل، فى ذكرى نجاة موسى ومن معه من فرعون وملئه؟!.. ولماذا كان الاختيار الإلهى لشهر رمضان بالتحديد، ودون غيره من الشهور؟!..

إن القرآن الكريم لا يترك الإجابة عن السؤال الباحث عن «حكمة» هذا التوقيت للاجتهاد والاستنتاج.. فأياته البينات قد تحدثت عن «لحظة الميلاد» للأمة الإسلامية الخاتمة، تلك التى تجسدت فى لحظة «الظهور للدين» الذى ميز هذه الأمة، وجعل من دينها الطور الخاتم لرسالات الدين الإلهى الواحد، والشرعية العالمية التى استكملت وأكملت للإنسان مكارم الأخلاق..

(٤) القدر (١: ٥).

(٣) العلق (١).





وتعكس وقائعه معاني ودلالات الحدث الذى به يحتفلون، ولذكراه يحيون.. إن كان انتصارا عسكريا، فإن مظاهر القوة ومعالمها تطبع وقائع الاحتفال.. وإن كان استقلالا عن الاستعمار.. أو تحريرا للشروات.. أو استرجاعا للأرض.. الخ.. الخ.. صبغت معاني الذكرى احتفالات الذين يتذكرون ويحتفلون.. فإن احتفال المسلمين، عندما يصومون شهر رمضان، بذكرى «اللحظة» التى بدأ فيها نزول القرآن على قلب رسول الإسلام، ﷺ، مطلوب منه - من هذا الاحتفال - أن يصطبغ بصبغة ذلك الحدث العظيم.. نزول القرآن، الذى كان الرحم الذى ولدت منه المقومات التى صنعت أمة الإسلام، ومثلت الروح السارية والضامنة لتواصلها الحضارى على مر الدهور.

إن تأمل هذه المعانى، وتدبر هذه الحقائق، سيضع يدنا على حجم «الخلل.. والقصور» الذين أصابا ويصيبنا «معانى.. ومعالم» احتفالنا فى رمضان بذكرى نعمة نزول «النبا العظيم».. ليس، فقط، فى تحول شهر الصوم إلى شهر للكسل وتدنى الانتاج. بينما هو فى حقيقته، «مدرسة تربية الإرادة» على الفتوة التى تجعل منه التجديد للطاقات والملكات والقدرات التى تعين الأمة على قهر المخاطر والتحديات، وتنمية معالم الابتكار والإبداع..

وليس، فقط، عند وقوف الأكثرين عند «الطرب» لسماع القرآن.. واكتفاء الكثيرين بمجرد «تلاوته».. بينما لا «يتدبره» إلا الأقلون!.. فلا طرب السماع.. ولا مجرد التلاوة.. بل ولا حتى الوقوف عند «التدبر

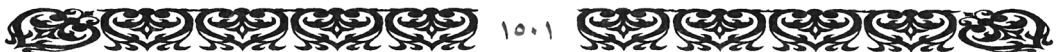
وكان ذلك فى شهر رمضان.. ولذلك، جعله الله ميقاتا لشعيرة الصوم - مدرسة بناء الإرادة الإسلامية - المحددة أبدا لفتوة الأمة، كى تستعيد دائما عافية الميلاد الجديد، وصحة الجهاد والاجتهاد والتجديد.. فقال سبحانه، وهو يشرع لهذه الفريضة - فيحدد الميقات.. وعلة التوقيت - :

﴿شَهْرُ

رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥).

وهكذا نجد أنفسنا أمام «الحكمة» التى جعلت صيامنا فى رمضان.. وليس فى شهر من الأشهر الحرم.. وليس، أيضا فى ذكرى نجاة الإسلام ورسوله وأمته، بالهجرة، من الحصار والإبادة والافتلاع.. أمام «الحكمة» التى جعلت صيامنا إحياء لذكرى لحظة نزول القرآن، الذى مثل «الرحم» الذى ولدت منه هذه الأمة عندما خرجت مقوماتها وثوابتها والروح السارية فى حضارتها والصبغة المميزة لعمرانها.. عندما خرج كل ذلك من بين دفتى هذا الكتاب الكريم، ومن سور وآيات هذا النبا العظيم.. فكيف يكون الاحتفال؟ :

وإذا كان احتفال الناس، أفرادا وأسرا وشعوبا وأما، بالأعياد والمناسبات، لابد وأن تصطبغ بمظاهره





للمعاني».. بكاف في الاحتفال الذي يحيى
المعنى الحقيقي لهذا العيد الذي ولدت فيه أمة
الإسلام.

إن نزول القرآن الكريم، إنما مثل لحظة الميلاد
لأمة الإسلام، لأنه مثل «النور» الذي خرجت إليه
الأمة من ظلمات الجاهلية.. ومثل «الهدى»
الذي نعمت به بعد حيرة الضلالات.. وفي كلمة
واحدة جامعة، فلقد مثل القرآن ينبوع «الإحياء»
الإسلامي، الصالح دائما وأبدا لطى صفحات
الموات والجمود والتقليد، بما يقدم من سبل
للاجتهاد والتجديد والإبداع..

ف«الإحياء» في كل ميادين العمران.. عمران
النفس الإنسانية بما يهذبها ويرتقي بملكاتها..
وعمران الواقع المادي بما يحسنه ويجمله من ألوان
المدنية.. هذا «الإحياء» الإسلامي هو أخص
المصطلحات المعبرة عن رسالة هذا «الينبوع»،
الذي نصوم رمضان احتفالاً بذكرى لحظة نزوله
على قلب رسولنا، محمد بن عبد الله ﷺ.
وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٦)

فنحن، إذ نصوم رمضان، إنما نحتفل
بذكرى اللحظة القدسية التي بدأ فيها نزول
«النبأ العظيم» ذلك الينبوع الإلهي الذي مثل
«الرحم» الذي ولدت منه الأمة الخاتمة، ومن
بين دفتيه خرجت المقومات الثوابت للرسالة
العالمية، في «العقيدة» و«الشريعة» و«القيم»

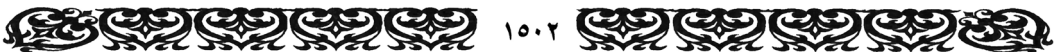
وهي التي ميزت «الحضارة» بالروح الخالدة،
رغم تطورها عبر الزمان والمكان.. كما وحدث
«الأمة» مع التنوع في القبائل والشعوب
والأقوام.. وكذلك وحدث «دار الإسلام» مع
التمايز في خصوصيات الأقاليم والأوطان..

وإذا كانت مصداقية «رسالة» أى احتفال
بذكرى لحظة الميلاد، هي فى مدى النجاح
الذى يحققه الاحتفال فى حضور «المعنى
والمغزى» إلى واقع الذين يحتلفون.. فهل
ننجح، فى رمضان، فى استعادة روح
«الإحياء» الإسلامى، الذى مثله القرآن
العظيم، عندما أخرج هذه الأمة من الظلمات
إلى النور؟!

لقد من الله - سبحانه وتعالى - على هذه
الأمة عندما تعهد «بحفظ» هذا
«الينبوع» وصيانتة عن الخلط والتحريف
والتبديل :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٧)

لكن «إقامة» هذا الدين.. وتجديد دنيانا
بفكره المتجدد هي «الأمانة» التى حملناها
نحن عندما سعدنا بنعمة التدين بهذا الدين..
فطوبى للسالكين سبل التجديد والإحياء
للعمران الإسلامى.. الساعين إلى أداء
«الأمانات» فى مختلف ميادين العمران..
أولئك الذين يجعلون من صيام رمضان
الاحتفال اللائق بإحياء ذكرى لحظة الميلاد
العظيم لأمة محمد ﷺ.





شهر رمضان المعظم

فراغة إيمانية في كذاب الكون والحياة

مؤسّس الدكتور / أحمد فؤاد باشا

يقول الله تعالى في قرآنه الكريم:

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١).

ويدلنا هذا التعبير القرآني المعجز على حقيقة العلاقة بين العلم والإيمان، فالعلم يتبعه الإيمان تبعية ترتب بلا تعقيب، والإيمان تتبعه حركة القلوب من الإخبات والخشوع لله - تعالى - وهكذا يثمر العلم الإيمان، ويثمر الإيمان الإخبات والتواضع لله رب العالمين. والقرآن الكريم يؤكد هذا المعنى في آيات

أخرى كثيرة تكررت فيها العبارات الموقظة للفكر من غفلته وحرره للإنسان من رقة تقليده وجموده، مثل:

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢)، ﴿أَفَلَا تَنْفَكُّوْنَ﴾ (٣).

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ (٤)، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ (٥).

﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُّوْا﴾ (٦)، ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٧).

﴿لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٨)، ﴿لَقَوْمٍ يَنْفَكُّوْنَ﴾ (٩).

ولاشك أن القرآن الكريم من خلال حثه المتكرر على النظر والتفكير والتعقل قد جعل ممارسة البحث العلمي السليم في مختلف

(٣) الأنعام (٥٠).

(٦) الروم (٨).

(٩) يونس (٢٤).

(٢) ياسين (٦٨).

(٥) الأعراف (١٨٥).

(٨) البقرة (٢٣٠).

(١) الحج (٥٤).

(٤) الغاشية (١٧).

(٧) البقرة (١٦٤).



وعقيدة الإسلام - باستنادها إلى العلم الصحيح - تؤكد قوتها وحجيتها، ولا تخشى أن يأتي العلم بنتائج تناقض حقائق الدين ومسلماته وأصوله الثابتة، فالحق لا ينقض الحق أو يعارضه، وإذا بدا لنا في بعض الأحيان تناقض ظاهري، فإن مردّه أن يحسب ما ليس من العلم علماً وما ليس من الدين ديناً.

وتأسيساً على هذه المعاني يكون العلم في المنظور الإسلامي طريقاً إلى الإيمان على هدى وبصيرة، ويكون البحث العلمي مرتبطاً دائماً بإرادة الله - سبحانه وتعالى - التي تكفل لنا استمرارية السنن الكونية واطراد حدوثها لنراقبها وندرکها وننتفع بها في حياتنا، بعد أن نتعرف على طبيعة سلوكها ونستدل بها على قدرة الله ووحدانيته، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿سَرَّيْهِمْ أَإِنتَنَا فِي الْآفَاقِ
وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (١٣).

وقوله عز من قائل:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٤).

مجالات المعرفة فرضاً لازماً على المسلمين، فالإسلام كما فرض على الناس أن يتعبّدوا، فرض عليهم أن يتفكروا. وصدق الرسول الأمين حيث يقول: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

ولعل هذا التصور الإسلامي عن العلم ورسالته كان في خاطر الأستاذ عباس العقاد - رحمه الله - عندما صنف كتابه القيم «التفكير فريضة إسلامية».

ويأبى الإسلام إلا أن تكون العقيدة على أساس العلم الصحيح، وليس على أساس التقليد أو الظن أو التسليم الأعمى، ولذا ردّ القرآن الكريم مزاعم المشركين في آلهتهم بقوله:

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَخِيعُونَ إِلَّا الظَّنُّ
وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ (١٠).

كما غاب على الذين يقولون «بل نتبع ما ألقينا عليه آباءنا» ورد عليهم بقوله:

﴿أَوَلَوْ كُنَّا آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١١).

وصاح في أصحاب العقائد الباطلة

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٢).

وفرض على أتباعه أن يتفكروا ويسعوا إلى طلب العلم، مثلما فرض عليهم أن يتعبّدوا ويتوجهوا إليه طلباً للرضا والغفران.

(١١) البقرة (١٧٠).

(١٣) فصلت (٥٣).

(١٠) النجم (٢٨).

(١٢) البقرة (١١١).

(١٤) محمد (١٩).



العلم يدحض آراء الملحدين

قال تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي يَدُدُّ الْوَلَدَ إِذَا سَمِعَ بُحْبُوحَهُ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْكِرُونَ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٥)

جماد وحيوان بفعل قوى الطبيعة المزعومة، بل هو من صنع قوة عاقلة جبارة تملك القدرة المطلقة على التدبير والتخطيط، وهذه القوة هي قوة القصد الإلهي التي تؤكد أهمية الغاية والهدف من وراء خلق الكائنات، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١٦).

وقوله عز من قائل :

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۚ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٧).

ومن أمثلة التوافقات والتنظيمات المعجزة في جسم الإنسان نستعرض ما يلي :

١- خلايا الجسم دائمة الانقسام للعمل على نمو الجسم أو لتعويض ما يفقد أو يموت بين هذه الخلايا . أما الخلايا العصبية فهي لا تنقسم لأنها لو انقسمت تحدث كارثة مروعة بتلاشي جميع معالم الذاكرة في الخلايا العصبية للمخ .

٢- تعتبر عضلات الرحم عند الأنثى أقو عضلات الإنسان للحاجة إليها في دفع الجنين عندما يأذن الله بخروجه من بطن أمه . وتلى عضلات الرحم عضلات القلب التي لا بد أن

تؤكد هذه الآية الكريمة، مع آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم، أن الله - سبحانه وتعالى - وحده هو الخالق لهذا الكون بإرادته ومشيئته المطلقة، والباحث المتأمل في كل خلق إلهي يجد الكثير من الدلائل التي يدحض بها مزاعم الملحدين والمشركون وافتراءاتهم: سواء فيما يزعمون من نشأة الحياة بالصدفة أو ما ينسبون للطبيعة من قدرة على الاختيار والانتقاء وإعمال القوانين في حركة الكون والحياة، أو ما يزعمون من تطور للمخلوقات أدى إلى ارتقاء الجماد والحيوان وانحدار الإنسان من أصل مشترك بينه وبين القردة العليا . . وهذه كلها مزاعم فلسفية ليست من العلم في شيء، بل إن المنطق العلمي نفسه يرفضها ويكشف غاياتها الخبيثة في تزوين الكفر والإلحاد .

وإذا بحثنا في جسم الإنسان على سبيل المثال نجد العديد من التوافقات المذهلة والتنظيمات العجيبة التي تؤكد أن الإنسان لم ينشأ نتيجة صدفة عمياء، أو يتطور من

(١٦) المؤمنون (١١٥).

(١٥) الروم (٢٧).

(١٧) الدخان (٣٨، ٣٩).

ونقلها إلى المخ في صورة تيار كهربى يسرى فى العصب السمعى إلى مركز خاص فى المخ فيحس الإنسان بسماع الصوت . وقد خلق الله الأذن البشرية وجعل استجابتها محدودة بمدى معين من الذبذبات التى يتراوح ترددها (أى عددها فى الثانية الواحدة) من ٢٠ إلى ٢٠٠٠٠ ذبذبة فى الثانية . وذلك لكى ينعم الإنسان بالهدوء . ولا يسمع الموجات الأقل أو الأكثر من هذا المدى ولو استجابت الأذن لكل الذبذبات الصوتية لعاش الإنسان فى ضجيج لا ينقطع .

وما يقال عن الخلايا والعضلات والدم والمعدة والأذن يقال عن العين واللسان والأنف والحنجرة والجلد وغيرها من ملايين التنظيمات والتوافقات الرائعة فى جسم الإنسان ، بل ومختلف التنظيمات الموجودة فى كل الكائنات النباتية والحيوانية ، مما يدل على أن جميع المخلوقات منذ البداية على نحو من التصميم الدقيق المقصود الذى لا يدع مجالاً للصدفة أو الاحتمال .

القانون الإلهى « لا تبديل لخلق الله »

لا غرابة فى أن يتصل القرآن الكريم - كتاب الإسلام الخالد - بالعلوم جميعاً ، فما العلوم إلا نتاج تطبُّب الإنسانية أسرار الفطرة ، والقرآن الكريم ما هو إلا كتاب الله فاطر الفطرة ، بل الدين هو الفطرة نفسها . وإن شئنا توكيداً لذلك لا مزيد له ، فلنقرأ هذه

تكون قوية لتحمل العمل ليلاً ونهاراً وتدفع الدم باستمرار إلى الأوعية الدموية لمدة قد تطول فى بعض الأحيان لأكثر من مائة عام .

٣- عند حدوث حرج فى الجسم يندفع الدم من الأوعية الدموية المجروحة ، ولكنه لا يلبث أن يتجلط عند مكان الجرح ليقوم استمرار النزيف ، ولولا هذا التجلط لظل النزيف حتى الموت .

٤- المعدة فى الإنسان أشبه بمصنع كيميائى أعده الخالق الواحد - سبحانه وتعالى - لكى يعمل ذاتياً (أوتوماتيكياً) وينتج مواد كيميائية أكثر مما ينتجه أى معمل ابتكره الإنسان فالمعدة تقوم تلقائياً بتحليل ما يتناوله الإنسان من أطعمة على اختلاف أنواعها ، بمعالجتها وتجهيزها من جديد ، وتتولى فرزها وتصنيعها وتوريدها بصورة مستمرة ومنظمة إلى كل خلية من بلايين الخلايا حسب احتياجات هذه الخلايا وتخصصاتها لتكوين العظام أو الأظافر أو الشعر أو اللحم أو الأسنان أو الأنسجة أو غيرها .

كما تحتوى المعدة على جهاز كيميائى مناعى أو دفاعى لمهاجمة الجراثيم والميكروبات المعادية ، وهناك الكثير من التنظيمات الأخرى الرائعة .

٥- الأذن البشرية عضو معقد بالغ الحساسية يقوم بتحليل الأمواج الصوتية



الآيات الكريمات من سورة الروم التي تتعلق
بظواهر كونية لا يدرسها ولا يبحثها
ويكشف عن أسرارها إلا العلم التجريبي ..

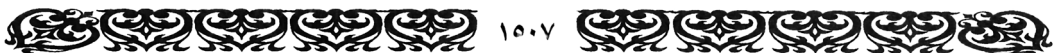
وصار به العلم فى الإسلام جزءاً من الدين،
ميزة للإسلام وحده من بين الأديان .
ثم يأتى قوله تعالى فى الآية الثلاثين فى
سورة الروم :

﴿ فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٩).

فالإسلام هنا ليس فقط دين الفطرة، ولكنه
نفس الفطرة التى فطر الله الناس عليها . وهذا
أوجزُ تعبير وأؤكدُه وأشملُه بتمام انطباق
الإسلام على سنن الله التى خلق عليها
الإنسان، سواء تعلقت بالبدن أو النفس،
وبالعقل أو القلب، فى الفرد والأسرة والطائفة،
أو فى القبائل والأمم والشعوب، وثبات تلك
السنن فى الإنسان وغيره، وإطرادها واتساقها
فى ما بينها ومع السنن الأخرى الجارية فى
الكون، دل عليه أبلغ دلالة قوله تعالى: « لا
تبديل لخلق الله »، والعلم الحديث يقوم
وجوده على هذا القانون الإلهي، إذ العلم -
بمنهجة السليم- متوقف على اتساق الفطرة
واتصاف سننها بالاطراد والثبوت .
سبحانك ربنا .. لا علم لنا إلا ما علمتنا .

﴿ فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٩﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
تَنْشُرُونَ ﴿١٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿١١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقُ السِّنِّينَ وَالْوُجُوهِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقُ
خُوفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرٍ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ (١٨).

لقد جمع الله -تعالى- للإنسانية فى هذه
الآيات القرآنية بين العلم والدين، ومزجهما
للعقلاء من المفكرين مزجاً يدهش ويُبهر،





مختارات شعرية:

رمضان ناسك الزمّن

للشاعر الأستاذ / محمود حسن إسماعيل

وأقسم أن يحيا بالصيام؟
يعود مزاره في كل عام
فكل الأرض مهد للخيام
قنعت من الضيافة بالمقام
من الإحسان علوى النظام
أعز من الشراب أو الطعام

تألق طيفها مثل الشهاب
وكل ممرجس دنس الإهاب
فتلحقها بأحلام العذاب
وتوأد تحت أجنحة الشباب
إليك اليائسون من المتاب
ولو حملت أوزار التراب..

فكنت لليلهم فلقا مبينا
فتدفعها لباب المعوزينا

أضيف أنت حلّ على الأنام
قطعت الدهر جوابا وفيما
تخيم... لا يحد حماك ركن
نسخت شعائر الضيفان، لما
ورحت تسن للأجواد شرعا
بأن الجود حرمان وزهد

أشهر أنت أم رؤيا متاب
تمرغ في ظلالك كل عاص
فأنت محير الآثام.. تجرى
تراك شفيع توبتها، فتخزي
وأنت منارة الغفران، يأوى
وعند الله سؤلك مستجاب

وقفت خطاك عند البائسينا
تساق إليك أمواج التحايا



إليك البؤس، فأنقلبت رنيناً
خطاك على حجاتهم معيناً..
ومكسبها التراحم والحنيناً
فيخجل أن يرد السائليناً..

فكم آهات محروم حذاها
فأنت مفزع البخال.. تجرى
وأنت ملقن الأيدي نذاها
يخافك كل قارون شحيح

وتختشع السرائر والقلوب
فتتهرع، أو تقنع، أو تذوب
ولو قتلت مشاعره العيوب
فيصعقها مهندك الغضوب
من النجوى تكتمه الغيوب
فيكتتم الغواية.. أو يتوب..

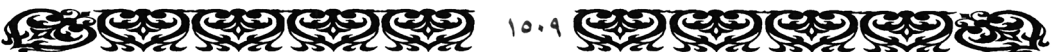
ومنذ تهل ترهبك الذنوب
وتفزع أن تقابلك المعاصي
ويجفل أن يراك أخو هواها
كأنك فارس الآثام، تبدو
كأن بكفك البيضاء سرا
تجابه كل غيان عنيد

عبيد ندائك العاتى الرهيب
يعذبهم تلفت للطبيب
كركبان على بلد غريب..
تذل أوجسه، وضنى جنوب
يقلب روحه فوق اللهيب،
كفرت بمنطق الدنيا العجيب..

جعلت الناس فى وقت المغيب
كم ارتقبوا الأذان كأن جرحا
وأتلعت الرقاب بهم، فلاحوا
عتاة الإنس! أنت نسخت منهم
فيامن لقمة وحفيف ماء
علام البغى والطغيان!! إني

كحوريات خلد سافرات
فتحسبها غصونا عاطرات
مضيئات بحبك هائمات

تلفت للمآذن حاليات
تفوح مباخر النساك منها
تألاً حولها أطواق نور





وقفن لسحره متلهفات
بإلهام كموج البحركات
ويوقظ كل غاف فى الحياة

كأنك حامل وحيًا إليها
إذا صاح الأذان بهـا، أرنت
يذكر بالهدايا كل ناس

أذان الله، والذكر الحكيم
فكاد لهوله تهوى النجوم
وتخشع فى مساره السيديم
وتقذف منه للغاوى رجوم
وخر لبأسه الأزل القويم
بشير الوحى، والدين القديم!

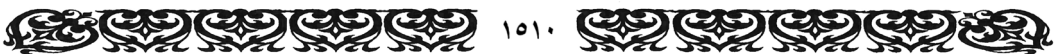
وهذا المعجز العالى الرخيم
تلاه فى سكون الليل تال
نداء تفزع الأفلاك منه
على سمع الهداة يضوع عطرا
أصاخ الكون مسحورا إليه
تنزل فوق صدرك من علاه

من القلب الحزين الشاعرى!
لتحملها إلى الأفق العلى..
على نغمات قيثار شقى
كطير تاه فى ظلم العشى
فينتفض الغناء لغير حى..
ولا أفضى صدى بأى شى!!

سلاما ناسك الزمن القوى
حملت إليك أشواقى وسرى
تئامى التعبد بالأغاني
أمر بها على زمنى غربا
وأعزف للصباح والأماسى
كأنى ما ذرفت أسى زمانى

فأيقظ من تشبث بالرقاد
على سبل مغيبة الرشاد
من الخلق القويم والاتحاد
فنار الهول، نور للجهاد
على وضر التنعم والفساد
فقم.. وانشر صده على البوادرى

طلعت منورا فوق العباد..
وقل للشرق: إن الكون يمشى
فخذ لزمانك الزاد المرجى
ولا يوقفك فى التيارات هول
لقد ملت تقلبنا اللىالى
شدا لك بالأذان خميل مصر



رمضان يا أكرم الشهور.. ماذا فعل المسلمون بك؟!

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

فى آخر يوم من شعبان خطب النبى ﷺ خطبة جامعة وكل خطبه جامعة، فقد أوتى ﷺ جوامع الكلم، بين فيها ﷺ فضل رمضان وعظيم ثوابه وعظيم بركته وأن العمل فيه يزداد ثوابه عن غيره، وأن هذا الشهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار. ولو أن موعظة رسول الله ﷺ وما بينه من عظمة هذا الشهر وبركته لو أن هذه الموعظة باشرت قلوب المسلمين لعملوا بما فيها، ولأنزلوا الشهر منزلته من الاحترام والتقدير والإخبارات لله - تعالى -، لكن حال المسلمين ينبىء بأنهم وإن سمعوا كلام رسول الله ﷺ إلا أنهم أصموا قلوبهم عنه فلم يعملوا به وكان الرسول يخاطب غير المسلمين! ولا أعتقد أن مسلماً لم يسمع هذا الحديث، إن لم يكن يحفظه، لكن يبدو أن حال المسلمين مع السنة المطهرة ومع تعاليم الله - سبحانه وتعالى - باتت غير ذات شأن، فهم فى حفلاتهم وندواتهم قد يتلون كتاب الله ويسمعون أحاديث النبى ﷺ لكن يبدو أنهم يستمعون لاهية قلوبهم، لا يقدرون ما يتلى وما يُرد، وأن حالهم لا يعدو أن يكون ترقية فراغ أى مجرد قضاء الوقت وكان مفاهيم اللعب قد أثرت فى حياتهم فباتوا يعرفون من مصطلحات اللعب واللهو أكثر مما يعرفون من أمور دينهم. حتى إن مصطلح «الوقت الضائع» أصبح طابع حياتهم!! وحتى لا نصرف جهدنا بعيداً، نراجع حديث رسول الله ﷺ نُذكر به أنفسنا، ونعطر به قلوبنا.

عظيم مبارك فيه ليلة القدر خير من ألف شهر
جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً،
من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان

يقول سيدنا سلمان الفارسي - رضى الله
عنه - خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من
شعبان فقال: «أيها الناس قد أظلكم شهر



فهو زيادة ثواب الأعمال، [كما أنه شهر
المواساة] كما أننا نلاحظ أن الحديث ذكر
عظيم ثواب من فطر الصائم ثم جعل هذا
الثواب - أيضا - لمن فطر صائما على مزقة
لبن أو تمرة أو شربة ماء، وجعل هذا الثواب
أيضا لمن أشبع فيه صائما وزاد عليه أن الله
- سبحانه وتعالى - يسقيه من حوضه ﷺ
شربة لا يظمأ بعدها أبدا، فكأن عبداً واحداً
من الممكن أن يكون كل هذا الأجر لمن
يفطره على مزقة لبن أو تمرة أو شربة ماء ومن
يشبعه - أيضا .

ولك أن تسأل أيها الأخ: كيف يكون هذا
الثواب لمجرد مزقة لبن (أى شربة قليلة) أو
تمرة، أو شربة ماء؟

أحسب أخى المسلم أن فى هذا علاجاً
لكبر خفى فى النفوس، كيف ذلك؟ أقول
لك: إن أكثر الناس يمتنع عن إعطاء صدقة
قليلة؛ انسياقا لكبر خفى فى نفسه وهو أنه لا
يتناسب معه إعطاء القليل .

وقد روى عن الإمام على بن أبى طالب -
كرم الله وجهه - معنى جليلا فى هذا الشأن
قال: « لا تستقل شيئا تعطيه لفقير فيمنعك
ذلك عن عطائه فإن العدم أقل » .

وأرى فى حديث رسول الله ﷺ محواً
لذلك الكبر الخفى، فإن طمعنا فى الثواب
الجزيل يدفعنا إلى بذل أى شيء، وحتى تدرك

كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه
فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما
سواه وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة،
وهو شهر المواساة وهو شهر يزداد فيه فى رزق
المؤمن، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة
وآخره عتق من النار، من فطر فيه صائما كان
مغفرةً لذنوبه وعتق رقبتة من النار، وكان له
مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء،
قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به
الصائم، قال: يعطى الله هذا الثواب من فطر
فيه صائما على مزقة لبن أو تمرة أو شربة ماء،
ومن أشبع فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه،
وسقاه ربُّه من حوضى شربة لا يظمأ بعدها
أبداً، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص
فى أجره شيء، ومن خفف عن مملوكه فيه
غفر الله له وأعتقه من النار، فاستكثروا فيه
من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم
وخصلتين لاغنى بكم عنهما: أما الخصلتان
اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة « أن لا إله
إلا الله وتستغفرونه . وأما اللتان لاغنى بكم
عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من
النار » (١) .

ونحب أن نقول: إن هذا الشهر فيه
العظمة والبركة، العظمة بليلة القدر، فهى
أفضل ليالى السنة كلها، بل هى أفضل من
ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، أما البركة

(١) الترغيب والترهيب ج٢.

فرصة لترويض النفس على الخلق الرفيع والسلوك القيم المستقيم. راقب نفسك: كيف حالك عندما دخل عليك رمضان، وقارن بعد نهاية رمضان: هل سموت وترفعت وتركت أخلاقك الذميمة؟ هل أصلحت من نفسك؟ هل نشطت أعضاؤك للطاعة وثاقلت عن المعصية؟ أم أنك خرجت من رمضان تحمل أمراضك كما هي؟ إذا أضعت العمر سدى ولم تنل من رمضان إلا الجوع والعطش!

وبئس ما حصدت!!

لو أنك دخلت مصحة تبغى الاستشفاء فيها وخرجت بأمراضك كما هي.. هل تكون راضيا عن النتيجة، وماذا يكون تقييمك لهذه المصحة؟ ولو أن الأطباء شخضوا المرض بدقة ووصفوا العلاج بمهارة لكنك أنت الذى لم تتناول العلاج الذى كان يوصف لك فمن تلوم إذا؟ لا تلومن إلا نفسك.

أخى المسلم: أقول لك بكل بساطة ووضوح: إن الله - سبحانه وتعالى - فرض علينا شهر رمضان مصحة نفسية وعلاجاً قلبياً لأمراض القلب وكسر شهوة النفس وإصلاح حال أمة، حتى تصل إلى التقوى كما قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٣).

هذا المعنى الجليل فهل تستطيع أن تتطامن من عليائك وتقف تحمل وعاء فيه تمر - مثلاً - لتوزع على الفقراء؟ أم أن كبرك الخفى يستنكف هذا العمل، وتتمنى أن تكون لك عربة فارهة تلقى منها وجبات جاهزة على عباد الله!

أنا لا أقلل من قيمة هذا العمل لمن أعطاه الله ووسع عليه، أما أنا وأنت فلماذا يمنعنا الكبر والفقر فى أن نساهم ولو بالقليل؟ لهذا أفهم قول رسول الله ﷺ إنه (شهر المواساة) أن المواساة هنا حث على التواصل والمودة والتواضع، فالكريم حقاً الذى يواسى حقاً، هو الذى يقدم ما يعين الآخرين، وليس ما يتصور أنه يناسب منزلته، فرمضان فرصة لتخلص من الأمراض الخفية للنفس، فليس يقهر النفس إلا صيام. فلنتخلص من أمراض النفس الخفية من كبر وعجب وحسد فى هذا الشهر المبارك، فالمطلوب منك أيها المسلم أن تراقب نفسك، أو كما يقول سادتنا الصوفية: «حفظ الأنفاس» أى أنك تراقب خطرات قلبك وتكبح شرور نفسك، فلا يكون لها هوى لما يغضب الله - تعالى - إنما يكون هواها تبعاً لأمر الله كما قال النبى ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» (٢) أنا أعلم أن هذه منزلة صعبة، وليكن رمضان



أنشط لها ولا أجد للسفر فيها عناءً أو مشقة،
وذات ليلة قالت لى أمى: اسقنى يا ولدى .

وبرغم أننى أحضرت لها الماء، إلا أننى
كنت أحس بثقل فى أعضائى حتى أننى
كنت أقاوم جسدى فقلت: إن الحج لم يكن
فيه إخلاص لله، وكان فيه حظ لنفسى، ثم
دلل على كلامه النفيس بقوله: إن الحج بعد
الفريضة طاعة وطاعة الوالدين واجبة ومن
المفروض أن تكون أوامر الله تعالى جميعها
متساوية وأن يهرع إليها المؤمن بهمة واحدة،
أما أن يفتر فى أمرٍ وينشط فى آخر فذلك
لهوى أو لحظٍ فى النفس، ولذلك قالوا: إن
من علامة المنافق والمرائى أن ينشط فى الفعل
أمام الناس ويفتر فى خلوته، أما الذين
جاهدوا نفوسهم وملكوا أهواءهم فإنهم
ينشطون فى كل حال راقب حالك واسأل
نفسك هل تحسنت قلبيا وتخلصت من
أمراضك الباطنية بعد رمضان؟ أم انتهى
رمضان وأنت مازلت فى شحك وريائك
وحسدك لم تتقدم خطوة فى طريق العلاج؟!

إن رمضان فرصة لنعود نفوسنا على الأمر
والنهى وعلى الامتثال لأمر الله - تعالى -
ويكفي أن الصوم ينفرد من بين الأعمال أن
الله - سبحانه وتعالى - أضافه لنفسه إضافة
تشريف وعلو منزلة، فقال فى الحديث
القدسى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه

فهل حصَّلت التقوى؟! هل طرق قلبك
معنى الورع والخوف من الله الذى يدفعك
إلى اجتناب معاصيه هل تخلصت من
الأنانية؟ أنت حَكَمٌ على نفسك .

والله - سبحانه وتعالى - خلق الإنسان،
وكما قال فى ذكره الحكيم:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَآثُوسٍ بِهِۦ
نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلٍ أَلْوَيْدٍ﴾ (٤).

فهو أعلم بنا منا، وأعلم بما يصلحنا، فرض
علينا الصوم علاجاً لنفوسنا . فإن أخذنا
العلاج تحققت النتيجة بفضل الله - تعالى -
وإذا رفضنا العلاج فإنما نخدع أنفسنا .

هل نشطت أعضائك للطاعة بعد رمضان؟
هل تعمل أنت لوجه الله بإخلاص؟ أم أن
عملك يشوبه رياء؟

هل تنشط للطاعة والخير أمام الناس،
ويتثاقل جسمك عنها فى خلوتك؟ إذا كنت
كذلك فعملك يشوبه رياء، لا تترك العمل
لكن خلص عملك مما يخالطه ويفسده من
الرياء . صدقنى إن رمضان فرصة لاكتسابك
هذه الحاسة، ويقظة القلب وعلو الهمة سل
نفسك هل فى عملك الذى تؤديه حظ
لنفسك أم تؤديه لوجه الله - تعالى - امتثالاً
لأمره ورغبة فى رضاه؟ يروى أن أحد
الصالحين قال: حججت عشرين حجة وكنت

(٤) ق (١٦).



لى وأنا أجزى به» مع أن كل الأعمال لله - تعالى - . فالصلاة لله، والحج لله، والزكاة لله، والشهادة لله وانفرد الصوم بهذه الإضافة لتشريفه، كما قال تعالى:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٥).

مع أن الأرض كلها لله والسموات.

كما أن الصوم ينفرد عن باقى الأعمال بأنه جاوز قانون التقدير والحساب، فقد قال الله - تعالى - فى الحديث القدسى أيضا: «وأنا أجزى به». واحذر يا أختى أن يكون نصيبك من الصيام كما أخبر النبى - ﷺ - عن بعض جماعة من الناس وحظهم من الصيام لكثرة ما يرتكبون فيه من موبقات فقال: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش».

ولقد أحسن الإمام أبو حامد الغزالى^(٦) فى تقسيمه لأنواع الصوم، حيث ذكر أن له مراتب ثلاث - حاول واجتهد أن يكون لك أعلى مرتبة؛ حتى تنال رضوان الله - قال: «إن الصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص».

أما صوم العموم: فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

وأما صوم الخصوص: فهو كف السمع والبصر واللسان واليد وسائر الجوارح عن الآثام.

وأما صوم خصوص الخصوص: فهو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله - عز وجل - بالكلية. ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله - عز وجل - واليوم الآخر، حتى قال أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله - عز وجل - وقلة اليقين برزقه الموعود». أ. هـ

تأمل هذا الكلام النفيس الذى لا أقول لك إننا لا نعمل به بل إن كثيرين منا يستكثرون وقوعه.

قارن هذا بحالنا اليوم وصومنا المزعوم وإفطارنا البهيمى إفطارا على نعمات الموسيقى، أو سحورا راقصا! هل تصدق أننى سمعت فى التلفزيون المصرى المسلم استبيان (استطلاع رأى) يطلب من المسلمين فى رمضان بيان رأيهم هل يريدون مسلسلاً واحداً أو اثنين أو ثلاثاً أو أربعاً! كما ورد فى الإعلان مصحوباً برقم تليفون لتلقى الآراء.

والأعجب أنك سوف تسمع من يقول زوراً وبهتاناً وتضليلاً أن ما يذاع أخذ فيه رأى الجمهور! لماذا لم يسأل التلفزيون - إن كان فيه بعض أمانة أو بعض صدق - : هل يطلب الناس إغلاق الجهاز فى رمضان بالكلية وماذا تكون النتيجة وما هى عدد الأصوات التى تطلب إغلاق بوق الفساد.

اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون.

(٥) الجن (١٨).

(٦) إحياء علوم الدين هامش اتحاف السادة المتقين ج ٤ / ١٨٥ وما بعدها.



الصيام ورفعة الفطر

في ضوء العلم الحديث

د. أستاذ الدكتور / عفيفي محمود عفيفي (*)

الإسلام هو أكمل الأديان، ولهذا كانت تكاليفه أقرب إلى تحقيق عبودية المكلف لمن له الدين كله.. ويتجلى ذلك بصورة أوضح في الصيام لأنه أكثر أركان الإسلام اعتماداً على كبح كيان المتعبد أي «فرملته» وإخضاعه للمعبود.. ولهذا لا يتم الصيام على وجهه الصحيح إلا بسيطرة الصائم على جوارحه وجوانحه أي على كل كيانه ظاهراً وباطناً..

والذي كلفنا بالصيام هو بذاته العلية الذي خلق كياننا البشري ليكون أداة لتنفيذ هذا التكليف، فهو - سبحانه - أعلم منا بحدود قدرات هذا الكيان وما قد يعتريه من ضعف.. ولهذا كان تفضله على عباده بالإعفاء المؤقت أو الدائم من الصيام في حالات معينة تعبيراً عن بعض جوانب رحمته بعباده..

بيولوجية الصيام

والإحساس بالألم عند الجوع أو العطش علامة صحية لأنه إشعار بحاجة الجسم إلى مدد جديد من الطعام والشراب، أي أنه مجرد «جرس تنبيه» إلى خلو المعدة وقرب حلول مرحلة جديدة من الدورة الاغذائية اليومية.. وهذا أمر لا ضرر منه على الإطلاق، فالتغاضي عنه بعض الوقت سيدفع الجسم إلى السحب

الصيام امتناع إرادي عن بعض المباح والمتاح من ضرورات الحياة، وفي مقدمتها الطعام والشراب. وهذا الحرمان ليس مقصوداً لذاته بل هو اختبار لقوة إرادة الصائم حيث إن امتناعه عن هذه الضرورات مدة أكثر من المعتاد يتطلب مقاومة لأقوى الغرائز الكامنة في كيانه وهي الاشتهااء.

(*) أستاذ بكلية العلوم جامعة المنصورة. وخبير بيولوجي بمجمع اللغة العربية.

﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا
أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ
يُطِيقُونَ فَدْيَةً طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ (١).

وفى الآية التالية مباشرة يتكرر ذكر المرض
والسفر حيث يقول الرؤوف الرحيم:

﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ
كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾ (٢).

وأول ما يوحى به تكرار ذكر المرض والسفر
متلازمين فى آيتين متتاليتين هو شدة
ارتباطهما بقدرة الكيان البشرى على تحمل
الصيام أو على الأقل أدائه على الوجه
الصحيح، وهذا هو ما كشف عنه العلم
الحديث مؤخرا.. فماذا قال فى هذا الشأن؟..
لنبداً بما هو أكثر وضوحاً..

تضامن أعضاء الجسم السليمة مع العضو
المريض:

اصطلح علماء الباثولوجيا على أن المرض
« خلل وظيفى يعترى أحد أعضاء الجسم فيؤدى
إلى عجزه جزئياً أو كلياً، مما قد يؤثر على غيره من
الأعضاء التى يخدمها والتى تخدمه » وبيان ذلك
هو ما أثبتته علم وظائف الأعضاء من وجود
تواصل داخلى بين كل أعضاء الجسم عن طريق
الهرمونات التى يحملها تيار الدم إلى حيث يقوم

من رصيد الغذاء المخزون والمدخر لمثل هذه
المواقف.. ويبدأ السحب أولاً من الرصيد فى
« بنك الكربوهيدرات » فى الكبد، فإذا نفذ
هذا الرصيد تحول السحب إلى بنك الدهون
المترسبة حول الأحشاء وتحت الجلد.. وفى هذا
السحب.. وبهذا الترتيب خير للجائع لأنه
يخلص جسمه من الحمولة الزائدة التى تشكل
عبئاً على القلب وأعضاء الحركة، وتهدد
بترسب الكوليسترول فى جدر الشرايين
وبحدوث الجلطة الدموية.

واحتراق السكريات والدهون داخلياً يتم فى
درجة حرارة الجسم ويولد الطاقة اللازمة لمزاولة
الحركة وغيرها من الأنشطة الحيوية، وبصحبه
تكوين ماء نقى داخل الأنسجة يعوض الجسم
عن الحرمان من ماء الشرب.. وكل صائم يجنى
ثمرة هذه التفاعلات الخفية فى صورة انتعاش
يعم جسمه فى أواخر ساعات الصيام، وعلاوة
على كل هذه التيسيرات فإن الله - سبحانه -
قد أباح الفطر للمكلفين بالصيام إذا اعتراهم
ما يجعله فوق احتمالهم وبشروط معينة.

حالات الترخيص بالفطر

نص القرآن الكريم على إباحة الفطر
للمكلف بالصيام فى ثلاث حالات مذكورة
تحديداً فى الآية ١٨٤ من سورة البقرة حيث
يقول العزيز الحكيم:

(٢) البقرة (١٨٥).

(١) البقرة (١٨٤).



هذا الإعجاز هي ما أثبتته مؤخرا علم الطب الاجتماعى « وهو فرع مستحدث من علم الصحة العامة والطب الوقائى » من إمكانية حدوث أمراض عضوية فى مقدمتها قرحة الجهاز الهضمى، وتصلب الشرايين نتيجة للتوتر والقلق، الذين يعتريان المسافر ضمن أعراض أخرى كالشعور بالاكتئاب حتى قبل أن يغادر وطنه.. وهى ليست مقصورة على عصر السفر بالإبل عبر الصحارى ولكنها مازالت قائمة بعد اختراع وسائل النقل السريعة المكيفة، وانتشار الفنادق على الأوتوستراد، وإن اتخذت شكلا جديدا هو الانتظار غير المحدود فى صالات الترانزيت، والخوف من اختطاف الطائرات وغيره من أعمال الإرهاب.. فالعبرة ليست فى المشقة البدنية، وإنما فى المشقة النفسية. وهى واردة فى كل عصر، والقرآن نزل لكل العصور، وهو كلام من سبق علمه بكل ما سوف يحدث بعد نزول القرآن من اكتشافات وأحداث.

وقبل أن ننتقل إلى النقطة التالية لا يفوتنا التنويه بدقة التعبير فى قوله - تعالى - « على سفر » (مع أن السياق اللفظى كان يناسبه أن يقال: « مريضا أو مسافرا ») والحالة المعنية هى حالة الارتحال ما بين نقطة المغادرة إلى نقطة الاستقرار (وإن تخللتها فترات إقامة مؤقتة) .. فمتى بلغ المرتحل غايته النهائية واستقر بها مدة تكفى لانتظام حياته وعودة الاطمئنان إلى نفسه (وهى شرعا: المدة التى يجوز فيها قصر الصلاة والجمع بين صلاتين متتاليتين تأخيرا أو تقدما) ..

كل هرمون بدوره فى تنظيم العملية الحيوية يختص بها، وعن طريق الأعصاب التى تنقل إشارات الاستغاثة من العضو المصاب إلى الدماغ فيصدر إشاراته إلى حيث يتم التجاوب مع العضو المستغيث بالطريقة المناسبة، ولهذا اصطلاح على تسمية الدم وجهاز إفراز الهرمونات، والجهاز العصبى باسم « أجهزة التأزر والتنسيق ».

ونتيجة لهذا يعم الاضطراب أعضاء أخرى غير العضو المصاب.. وفى هذا مصداق لما قاله نبي الإسلام - وهو لا ينطق عن الهوى - « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا شكا منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » (٣).

وإباحة الفطر للمريض مبنية على أساس أنه أصبح غير قادر على طول الحرمان من الطعام والشراب، وفى حاجة إلى تعاطى الأدوية عن طريق الفم فى مواعيد لا مفر من أن يحل بعضها بالنهار، يضاف إلى ذلك ما يساوره من آلام تزيل عنه حالة الاطمئنان والراحة النفسية وهما أول أسباب الخشوع اللازم لممارسة أية عبادة « ولا ينبغى أن ننسى أن الصيام لا يتم على وجهه الصحيح إلا بسيطرة الصائم على جوارحه الخارجية وجوانحه الداخلية ».

والسفر .. مازال قطعة من العذاب:

من مظاهر الإعجاز العلمى للقرآن أنه جمع بين المرض والسفر فى آيتين متتاليتين مما يدل على الترابط بينهما من حيث كونهما مرخصتين للإفطار.. وآية

(٣) أخرجه أحمد ومسلم.



خلايا أعضائهم المتهاكلة « وبخاصة أعضاء المناعة » ..
والمادة الرئيسية الصالحة لتحقيق كل ذلك هي
البروتين، وليس الكربوهيدرات والدهون (فهما
مولدات طاقة لا مواد بناء) ومن الممكن تحول
إحدهما إلى الأخرى لتعويض ما نقص منها ولكن لا
يمكن تحويل أى منهما إلى بروتين لعدم احتواء
جزيئاتهما على النيتروجين الذى تنفرد به جزيئات
البروتينات، والتوقف عن إمداد الجسم بالبروتينات
عن طريق الطعام المنتظم يضطره إلى تحليل خلاياه
وفى مقدمتها العضلات، ومعنى ذلك أن المؤسسة
الغذائية التى شيدها الخالق سبحانه فى جسم الإنسان
قد بدأت تستهلك « رأس مالها » أى أن جسم
البصائم بدأ يأكل نفسه بعد تجاوز الخط الفاصل بين
موارد الطاقة (استهلاك السكريات والدهون)
ودخوله دائرة الإطاقة (تحلل البروتينات) .

إن إصرار من يصل به الحال إلى هذا الحد على
الصيام ليس من طاعة الله فى شىء، بل هو
معصية لأمره لأنه سبحانه نهانا عن أن نلقى
بأنفسنا إلى التهلكة .. ومن رحمة الله بهؤلاء
الذين لم تعد لديهم أية فرصة للصيام أنه لم
يحرمهم ثواب الصيام ومتعة معاشته بجوارحهم
ووجدانهم بعدما حرموا متعة ممارسته بجوارحهم
وأبدانهم لذلك دلهم على ما يعوضهم ولو جزئيا
عما فقدوه وهو إطعام المساكين .. وفى ذلك
تحقيق للتراحم والتكافل وهما من الفوائد
الاجتماعية التى يستهدفها الصوم .

عندئذ يصبح فى حكم المقيم وعليه الصيام ما لم
يكن مريضا أو من الذين يشملهم قوله تعالى :
« وعلى الذين يطيقونه .. » .

الخيطة الرفيع بين الطاقة والإطاقة

يقول أهل اللغة إن معنى « يطيقون » (بضم الياء)
هو : يتحملون بمشقة تؤدى إلى التهلكة، وبناء على
ذلك فإن فى مقدمة من يطيقون الصيام : الطاعنين
فى السن الذين ردهم الله إلى أرذل العمر، وهى حالة
الهرم التى قال عنها نبي الإسلام : « يا عباد الله تداووا
فإن الله - عز وجل - لم يضع داء إلا وضع له شفاء
إلا داء واحد .. الهرم »^(٤) . وأهم أعراضه : ضعف
المناعة والوهن العام وتفسير ذلك أن الجسم فى هذه
المرحلة تزيد فيه معدلات الهدم على البناء فهو فى
حاجة ماسة ومستمرة إلى تعويض ما يشيخ من
أنسجته وتجديد ما يتهدم من مناعته .

وتأسيسا على ذلك يدخل فى زمرة المطيقين
للصيام : كل من يصاب -ولو قبل سن الشيخوخة-
بمرض ميؤوس من شفائه كال فشل الكلوى وضمور
العضلات وسرطان الدم ومرض الايدز AIDS ..
على أن يكون اليأس من الشفاء مبنيا على تقرير
طبيب مسلم من أهل الخبرة والثقة .

والحقيقة العلمية التى تزيد إيماننا بحكمة الله
ورحمته بعباده عامة وهذه الطائفة منهم خاصة هى
أن أجسامهم بحاجة مستمرة إلى بناء مضادات
الميكروبات وتجديد مصلى الدم « البلازما » وتعويض

(٤) أخرجه البخارى ومسلم .

رمضان موسم الخيرات والرحمات والبركات

لفضيلة الشيخ / السيد عبدالمقصود عسكر

لقد دأب المسلمون على الاحتفاء بشهر رمضان المعظم، والاجتهاد بالعبادة فيه اقتداءً بنبيهم ﷺ.. وفي ذلك خير كثير.

ولقد كشف الرسول ﷺ لأصحابه عن فضائل هذا الشهر الكريم قولاً وعملاً. فكان إذا أقبل رمضان يقول: «أتاكم شهر رمضان. شهر بركة فيه خير يغشاكم الله فينزل الرحمة ويحط فيه الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم ويباهي بكم ملائكته. فأروا الله من أنفسكم خيراً؛ فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل»^(١).

شهر. شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء» قالوا: يا رسول الله.. ليس كلنا يجد ما يَفطر الصائم. فقال رسول الله ﷺ: «يعطى الله هذا الثواب من فطر صائماً

وقد تعددت أحاديث رسول الله ﷺ في بيان فضل هذا الشهر العظيم فمن ذلك قوله ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وصدفت الشياطين»^(٢).

ومن ذلك أيضاً أن رسول الله كان يهيئ الأمة لاستقبال شهر رمضان قبل مجيئه ويظهر لهم فرحته بقدمه ويحرضهم على الجد والاجتهاد فيه. عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان قال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف

(٢) متفق عليه.

(١) رواه الطبراني وابن النجار عن عبادة بن الصامت.



القوم: أهي ليلة القدر؟ فقال: «ألم تر العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم»^(٥).

ولما كان شهر رمضان بهذه المنزلة فقد صار حرياً براغبى الحصول على عطاء الله أن يتسابقوا في فعل الخيرات وحرياً بالآخرين أن ينتهزوا الفرصة ويقلعوا عن فعل الشر وينضموا إلى موكب الصالحين كي يفوزوا بعفو الله ومغفرته ورحمته. فقد جاء في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادى نادى يا باغى الخير أقبل، ويا باغى الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة»^(٦).

وقد توالى على البشرية نزول الخير والهداية في شهر رمضان المعظم منذ فجر التاريخ وذلك لحكمة يعلمها الله - تبارك وتعالى - تشير إلى فضل هذا الشهر الكريم ومنزلته عند الله - عز وجل -: يقول رسول الله ﷺ: «أنزلت الصحف على إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»^(٧).

ويقول الله - تبارك وتعالى -:

على تمرة أو على شربة ماء أو على مذقة لبن^(٣)، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار. واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة»^(٤).

وعطاء الله - عز وجل - في رمضان لأمة محمد ﷺ عطاء غامر ونعمه سبحانه سابعة. وقد ورد في ذلك عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي. أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله - عز وجل - إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً، وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة، وأما الرابعة فإن الله - عز وجل - يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي، وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً. فقال رجل من

(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه، ثم قال: صح الخبر.

(٦) رواه الترمذي وينحوه رواه النسائي والحاكم.

(٣) شربة من لبن ممزوج بالماء.

(٥) رواه البيهقي.

(٧) رواه الإمام أحمد.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ
مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (٨).

وكفى هذا الشهر فضلاً أن يكون نزول القرآن فيه، ومن شكر هذه النعمة الجليلة أن نصوم هذا الشهر الكريم.

وحين ربط الله - تبارك وتعالى - بين شهر رمضان وبين نزول الوحي على أنبيائه ورسله فإن ذلك يُعد دليلاً واضحاً على فضل هذا الشهر وعلو منزلته عند الله - عز وجل -.

ومن ذلك نفهم سر حفاوة رسول الله بهذا الشهر وتحريض أصحابه على حسن استقباله بالجد في كل صور الطاعة والعبادة والتسابق بينهم في فعل الخيرات تقرباً إلى الله - تبارك وتعالى -.

يقول الإمام الحسن البصري - رضى الله عنه -: «إن الله جعل شهر رمضان مضمراً لخلقهِ» (٩)، يتسابقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلّف آخرون فخابوا، فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ويخسر المبتلون».

ومنذ وعى المسلمون هذه المعاني وفقهوها وهم يحرصون على الفوز في هذا السباق الذى يكون في شهر رمضان، وهذا هو اللائق بهم؛ فقد أدركوا أن من فاز في سباق الطاعات في شهر رمضان كان حرياً به أن يفوز في بقية الشهور، وأن من خسر

السباق في رمضان فإن الخسران سيلازمه في بقية الشهور، لما ورد عن رسول الله ﷺ فى ذلك عن كعب بن عجرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «احضروا المنبر. فحضرنا. فلما ارتقى درجة قال: آمين فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: آمين». فلما نزل قلنا: يا رسول الله.. لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه؟ قال: «إن جبريل عليه السلام عرض لى فقال: بُعد من أدرك رمضان فلم يغفر له. فقلت: آمين. فلما رقيت الثانية قال: بُعد من ذكرت عنده ثم لم يصل عليك. فقلت: آمين. فلما رقيت الثالثة قال: بُعد من أدرك أبويه الكبير عنده أو أحدهما فلم يدخله الجنة. فقلت: آمين» (١٠).

هذا وإن صور الطاعة والعبادة فى رمضان متعددة ومتنوعة. وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

* وهذه نماذج منها:

١- الصيام. ولا يكفى فيه أن نصوم عن الطعام والشراب والشهوات فى نهار رمضان فقط، وإنما ينبغى أن نرقى فى الصيام لأعلى الدرجات. فتصوم أيدينا عن تقديم الأذى لعباد الله أو تمتد إلى أى محرم، كما تصوم ألسنتنا عن السباب واللغو والكذب والغيبة والنميمة، وتصوم أعيننا عن النظر إلى ما حرم الله، وتصوم آذاننا عن سماع اللغو.. وهكذا ينبغى أن تصوم كل جوارحنا عن ارتكاب جميع المعاصي والآثام.

(٩) المضمار المقصود به ميدان السباق.

(٨) البقرة: ١٨٥.

(١٠) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.



كما ينبغي أن تصوم قلوبنا عن الحقد والحسد، والجشع والطمع، والربا والنفاق.

٢- المحافظة على الصلاة في مواقيتها وأداؤها في جماعة مع الخشوع فيها، والجد في تحسينها وإتقانها أملا في الحصول على الفوز والفلاح مصداقا لقول الله - تبارك وتعالى :-

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (١١)

٣- الحرص على صلاة التراويح لما ورد في فضلها من الأحاديث مثل قوله ﷺ : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (١٢).

٤- الحرص على إحياء السنن والتخلص من البدع والعبادات السيئة انتفاعا بالصيام لأنه مدرسة للتدريب على كل خير والتخلص من كل شر.

٥- أن نجعل من هذا الشهر الكريم محطة لحاسبة النفس على ما مضى من تقصير في أداء الطاعات والواجبات والعبادات، وتجديد التوبة والاستغفار ، والعزم الأكيد على تصحيح المسار انطلاقا من هذا الشهر الكريم.

٦- الإكثار من تلاوة القرآن والذكر والتسبيح لما ورد من الآيات والأحاديث في فضل هذه الأعمال . ومعلوم أن فضل هذه القربات وغيرها يزيد في شهر رمضان أضعافا مضاعفة .

٧- الحرص على بر الوالدين وصلة الرحم والإحسان إلى الفقراء والمساكين، وتقديم العون المادى والمعنوى إلى المجاهدين المسلمين في كل مكان، والإنفاق بسخاء في كل وجه الخير والبر، اقتداء برسول الله ﷺ ؛ فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ؛ فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » (١٣).

٨- الإكثار من الدعاء والتضرع إلى الله - تبارك وتعالى - لأنه شهر تفتح فيه أبواب السماء لإجابة دعاء الصائمين مصداقا لقول رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تعالى : وعزتي لأنصرك ولو بعد حين » (١٤).

ومما يلفت النظر في هذا المجال أن الآية الكريمة التي نزلت لبيان أن الله - تبارك وتعالى - يستجيب دعاء من دعاه متى استكمل شروط الإجابة جاءت بين الآيات الكريمة التي تشرع أحكام الصيام . أعنى قول الله تبارك وتعالى :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٥).

(١٢) متفق عليه عن أبي هريرة.

(١٤) رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة.

(١١) المؤمنون: ١ - ٢.

(١٣) متفق عليه.

(١٥) البقرة: ١٨٦.

في كتابات المستشرقين

مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لِلْمُسْتَشْرِقِينَ / عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمُطْعَمِي

٩

يعرف القراء الكرام، أن الفرية التي نتعرض للرد عليها منذ ثلاثة أشهر مضت، هي قول بعض المستشرقين عن الإسلام ورسول الإسلام أن: «محمد ﷺ صادق، ولكن رسالته كاذبة؟» ورسالة محمد ﷺ لها مصدران كبيران جليان، هما:

سبيلنا معهم حقائق هم ملزمون من حيث الواقع بالإيمان بها قسراً، كما نؤمن بها نحن طوعاً واختياراً، لأنها الواقع المحسوس المشاهد، الذي لا يجد المعاند طريقاً للهروب من الزامه بالإيمان به، والتسليم - طوعاً أو كرها - له.

في السنن الكونية

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِ سَحَابًا
فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ
بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (١).

هذه الآية (من رسالة محمد) تتحدث عن ظاهرة كونية، كثيرة الوقوع في حياة الناس.

● كتاب الله العزيز (القرآن الحكيم).

● أحاديث رسوله الكريم، الصحيحة النسبة إليه وكنا في المقالات الثلاث السابقة، قد خصصنا هذه الفرية، من خلال عرض موضوعي، ومادة علمية يؤمن بها المستشرقون، ونؤمن بها نحن، ووظفنا العقل، وهو معيار مشترك بيننا وبينهم - ليكون هو الحاكم والقاضي بيننا وبينهم وفي هذه المقالة نواجه تلك الفرية، من خلال أفق آخر من آفاق رسالة محمد ﷺ في مصدرها الأول، الذي هو القرآن العظيم.

أي من خلال حديث القرآن عن سنن الله في الحياة. ولن نفرض على السادة المستشرقين حقيقة يؤمن بها نحن، ولا يؤمنون بها هم. بل

والسنن الإلهية التي أوردتها هذه الآية حول تكوين السحاب هي:

- إثارة الرياح السحاب .
- كون هذه الرياح مرسله من عند الله .
- سوق الله السحاب إلى البقاع التي هي في حاجة إليه .

● إنبات الله النبات والزروع بالماء النازل من السحاب .

وعلاقة الرياح بالسحاب معلومة الآن . فالرياح تثير السحاب، أى هي التي - بعد إرسالها من عند الله - تظهر السحاب وتعمل على تكوينه^(٢) .

والسحاب - كما يقول العلم الحديث - قبل تكوينه يكون بخار ماء في الجو، مشبع به الهواء الساكن، فإذا أرسل الله الرياح حملت الهواء المشبع ببخار الماء إلى طبقات الجو الباردة فتحول الأبخرة المائية إلى سحب . وإلى هنا تنتهى مهمة الرياح .

أما تصريف السحاب وتوزيعه على بقاع الأرض فهذا شئ يرجع إلى تدبير الله وحكمته وعلمه، لذلك أسند الله سوق السحاب (يعنى توزيعه) إلى نفسه عز وجل، فقال:

﴿ فَسَقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ .

فنسبة سوق السحاب وتوزيعه، تشير إلى أن هذا التوزيع يخضع لتدبير حكيم، وهو من آيات الله العظيمة التي ينبغي أن يتدبرها الناس .

وقد تكررت الإشارة إلى هذا التوزيع الباعث على الإيمان وتثبيتته في القلوب، فى آية أخرى هي قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَىٰ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^(٣) .

فجعل ظاهرتهى تصريف الرياح والسحاب، يعنى توزيعهما، من الامارات العقلية الداعية إلى الإيمان والاعتبار . والملاحظ فى آية (فاطر) أن القرآن رتب الأفعال الثلاثة:

« فتثير - فسقناه - فأحيينا » بالفاء، وهذا الترتيب تصوير للواقع المشاهد:

لأن الرياح تثير السحاب عقب إرسالها لهذا الغرض وسوق الله الرياح يعقب تكوينه بلا تراخ . وإحياء الأرض بعد إنزال الماء من السحاب يحدث عقب نزول الماء . فينتعش الناس ويستبشرون وتنعم به أنعماء وأناسى كثيراً .

ونسأل السادة المستشرقين:

أليس ماتقررره هذه الآية (العلمية) واقعا مشاهدا يعيشه الناس، ويؤمنون به ايماناً راسخاً كإيمانهم بوجود أنفسهم؟

هذا ماقررتة رسالة محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرناً . فأين ترون فيه كذباً؟!

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَفِّقَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُحْسِنِينَ ﴾^(٤) .

(٤) الحجر (٢٢) .

(٣) البقرة (١٦٤) .

(٢) الإسلام فى عصر العلم (ص ٣٥٠) . د . محمد أحمد الغمراوى .



وماتوصل إليه العلم الحديث قد أشار إليه
المفسرون حيث قالوا: إن الرياح تلقح السحاب
والشجر.

والواقع أن الجمع بين تلقيح الرياح الشجر
والزروع والسحاب لا منافاة بينهما.

وأيا كان الأمر فإن ماقررته رسالة محمد
(القرآن) في هذه الآية النبوءة جزم العلم الحديث
بصدقها ومطابقتها للواقع.

وهذا - وحده - كاف في محق دعوى
المستشرقين أن محمدا - ﷺ - صادق لكن
رسالته كاذبة؟! لأن رسالة محمد صادقة حقا مثل
صدق محمد، الذي يعترف به المستشرقون.

وإذا لم تكن رسالة محمد (القرآن) صادقة
فأين يكون الصدق ياترى؟!

ومن الإشارات القرآنية الذكية المعجزة أنه رتب
إنزال الماء على وصف الرياح باللواقح، ترتيب
المسبب على السبب وكفى بذلك إعجازا
وصدقا.

والملاحظ في آية «الحجر» ترتيب الأفعال
الثلاثة: «أرسل - فأنزلنا - فأسقيناهم» بالفاء،
وهي تفيد معنيين:

- الترتيب الزمني بين وقوع هذه الأفعال
الثلاثة:

فالإرسال كان أولا.

والإنزال كان ثانيا.

والإسقاء كان ثالثا.

وهذا معناه:

وهذه آية أخرى في (رسالة محمد) التي
يتهمها المستشرقون بالكذب، تتحدث عن
الظاهرة نفسها، التي تحدثت عنها آية (فاطر) مع
إضافتين بالغتى الأهمية:

ففى آية (فاطر) وقف البيان القرآنى عند
إرسال الرياح وتكوينها السحاب.

وهنا أضاف البيان القرآنى إلى إرسال الرياح
كونها «لواقح» وأن الناس ليس فى مقدرتهم -
فرادى ومجموعين - أن يختزنوا الماء إذا أراد الله
إذهابه.

ووصف الرياح بأنها «لواقح» من أسرار الله فى
الكون، لم يكن للعلم البشرى إدراك له:

لاقبل نزول القرآن.

ولابعد نزول القرآن.

وإنما عرفه البشر فى عصر التقدم العلمى
الحديث. وكان لعلماء الغرب سبق مذهل فى
اكتشاف هذا السر، بمعونة البحوث التى قاموا
بها، والتجارب التى أجروها.

أما قبل هذه النهضة العلمية المذهلة، فقد
حمل الناس معنى «لواقح» على أن الرياح تلقح
الزروع والنباتات بحمل طلع ذكور كل نوع منها
إلى بويضات الإناث^(٥).

وفى العلم الحديث أن «لواقح» معناه تلقيح
السحاب لأن الرياح تجمع بين الكهربائية السالبة
والكهربية الموجبة ويترتب على ذلك إنزال الماء
(المطر) من سحابتين مختلفى الشحنة بعد أن
جمعت الرياح بينهما^(٦).

(٦) الإسلام فى عصر العلم (٢٠٢) مرجع سبق ذكره.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (١٠/١٢٠) للإمام ابن عطية.



أسباع الأرض اليابسة، قادر - إذن - على
تجفيفها وإخلاؤها من الماء. وله فى ذلك
وسيلتان

● إذهاب ما فى الأرض من ماء وتغييره فى
أعماقها.

● إمساك إنزال الماء من السماء.
وهذه هى « رسالة محمد » - ﷺ - تقول:

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي
الْأَرْضِ وَلِنَاعِلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَدَرُونَ﴾ (٧).
وتقول:
قل:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (٨)

ومن تطبيقات هذا التحكم الإلهى فى دنيا
الناس، الجفاف الذى يحدث فى بعض بلدان
العالم، ويتسبب فى كوارث ضروس، تصيب
الحياة بالشلل. ولكن الله رءوف رحيم
بعباده.

فأين الكذب فى رسالة محمد (القرآن)
وهذا هو واقع الحياة يجرى كما وصفه القرآن
العظيم.

﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
سَعَاءًا ثُمَّ نَزَّلْنَاهُمْ مِنْ جِبَالٍ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرٍّ وَفَيْضٍ بِهِ مِنْ نِشَاءٍ
وَيَصْرُفُهُمْ عَنْ مَنْ نِشَاءٍ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ (٩).

أن إرسال الرياح « لواقح » كان سببا فى إنزال
الماء وأن إنزال الماء كان سببا فى إسقاء الناس الماء
- والإشعار برباط السببية بين هذه الأفعال هو
المعنى الثانى للعطف بالفاء.

فأنت تلاحظ أن هذا العطف ليس نمطا من
أنماط الترتيب الأدبى الخيالى، يصور رؤى خاصة
بالأديب وإنما هو تصوير أحداث تجرى فى الواقع
الكونى كما رتبها البيان القرآنى.

فليدلنا المستشرقون على مواطن الكذب فى
(رسالة محمد) فى الحقائق الكونية التى أشارت
إليها هذه الآية؟

ولكن قد يعمد فيقول:

إن الآية تقول:

﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ وليس هذا الخبر
بصحيح ولا صادق، لأن تخزين الماء أمر ممكن، بل
هو واقع فعلا. فالناس يخزنون الماء فى بيوتهم، أو
فى صهاريج، أو خلف سدود وخزانات وهذا يفيد
أن هذا المقطع « وما أنتم له بخازنين » من الآية غير
صادق على الأقل؟

والرد على هذه الشبهة « البلدية » ميسور:
فليس المراد نفى الاحتفاظ بمقادير من الماء
فى المنازل أو غيرها من مرافق الحياة. وإنما
مصادر الماء الكبرى، التى أقرها الله فى
الأرض، كالمحيطات والبحار والأنهار، ثم
العيون الصغرى والآبار، والله الذى أقر هذه
المصادر فى الأرض، ومساحتها تبلغ خمسة





مما لم يكن كائنا في عصر نزول القرآن .
ومن قبسات صدق رسالة محمد ﷺ ماتشير
إليه هذه العبارة :

« من جبال » أنها تقرر حقيقة كانت مفاجأة
لمعارف البشر ومدركاتهم في ضوء الاكتشافات
العلمية الحديثة ذلك أن من يرى السحاب من
الناس وهم على الأرض، لا يكون لديه أدنى ريب
في أن السحب جسم مستوى السطح أملس،
أشبه ما يكون بـ « القشرة » وإن اختلفت صورها
وأبعادها، وما يزال هذا التصور يتبادر إلى الأذهان
حتى الآن .

لكن من تتاح له رؤية السحب من مكان أعلى
منها، مثل راكبي الطائرات، والذين يقطنون مناطق
جبلية عالية، فإن الرؤية عندهم تختلف، لأنهم
يرون السحب في شكل مرتفعات لها قواعد وقمم،
مع اختلاف أحجامها . وإذا مرَّ راكبو الطائرات فوق
منطقة ملبدة بالغيوم، خِيلَ إليهم أنهم يسيرون
فوق منطقة جبلية، بين جبالها انخفاض وارتفاع
وفجوات، كل سحابة بمثابة جبل، ترى قاعدته
المنبسطة، وارتفاعه التدريجي، وقمته المدببة وإلى
هذه المعاني أو الحقائق أشارت رسالة محمد ﷺ
بهذه العبارة :

« من جبال » حيث شبهت السحب بالجبال في
الصورة والشكل والأبعاد .
وكون السحب شبيهة بالجبال، أصبح من
الحقائق البديهية الآن . إذ ليس المراد الجبال
الحقيقية المكونة من الصخور والحصى والرمال .
وإنما المراد ذرات الماء المتجمد .
هذه الحقيقة : التي قررتها رسالة محمد ﷺ

وهذا بيان ثالث من رسالة محمد ﷺ
يكشف عن حقائق ظلت بعيدة عن الإدراك
البشرى إلى عهد قريب .

ولما اكتشف العلم الحديث هذه الحقائق، وماج بها
فرحا، فوجئ بأن رسالة محمد (القرآن) قد عرضتها
بدقة وإحكام منذ أربع عشرة مائة من السنين .

هذه الآية، وإن اشتركت مع آيتي « فاطر »
و« الحجر » في أصول الدلالة، فإنها أضافت إليها
حقيقة كونية مع الإشارة إلى كيفية تكوينها .
إشارات علمية ذكية مذهلة لأولى الأبواب .

تلك الحقيقة، هي تكوين « البرد » والذي عرفه
العلم الحديث أن « البرد » يتكون بتأثير منطقة
شديدة البرودة، ومن أسباب نشوء البرودة
الشديدة السحاب « الركام » أي وجود طبقتين من
السحاب، سحابة فوق سحابة . فتجمد قطيرات
الماء بين طبقتين :

ثلجية علوية . ومطرية سفلية . في هذه الأثناء
يتكون البرد ويكبر، ثم يتساقط على الأرض في
حجوم مختلفة . ويشتد بياضه .

هذه الحقيقة أشار القرآن (رسالة محمد) ﷺ
إليها فقال :

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ۝ ﴾

لقد جاءت نتائج العلم الحديث مطابقة لما
أشارت إليه رسالة محمد ﷺ . والسادة
المستشرقون يعرفون ذلك جيدا فيكيف ساغ
لبعضهم أن يتهموا رسالة محمد بالكذب، وهم،
وغيرهم، غير واجدين فيها إلا الصدق واليقين،
في الخبر، وفي الوصف، وفي التنبؤ بما سيكون،



هذه هى رحلة الإنسان من قبل المهد، إلى اللحد وقد عرضت هذه الآية الحكيمة، عناصر رحلة الإنسان من جانبيها:

- الجانب غير المنظور، ومرحلة ما قبل الولادة.
- الجانب المنظور، أو مرحلة ما بعد الولادة.

وقد صدقت رسالة محمد ﷺ كل الصدق فى الثانية (الجانب المنظور) وما كذبت أى كذب فى الأولى (الجانب غير المنظور) صدقت وما كذبت: ففى الجانب غير المنظور، الإجماع منعقد على أن النطفة التى تحمل عناصر «التلقيح البشرى» تتكون من الأغذية التى يطعمها الإنسان.

والأطعمة تتكون من الخبز والفواكه واللحوم ومنتجات الحيوان. وهذه كلها لها مصدر واحد، هو ما يخرج من الأرض، والأرض تراب. وقد صدقت رسالة محمد.

هذا إذا وضعنا فى الاعتبار خلق الإنسان الذى تناسل من أبى البشر آدم - عليه السلام.

وإذا كان المراد خلق آدم وهذا مستساغ لأنه أصل زوجة (حواء) وذريته إلى يوم القيامة. كان الخلق من التراب مباشرة، دون الحاجة إلى وسائط متسلسلة وقد صدقت رسالة محمد.

أما الطور الثانى من الخلق. فهو النطفة.

والطور الثالث هو العلقه.

والطور الرابع هو المضغة، بنوعيتها: المخلقة، وغير المخلقة:

وهذه كلها موضع إجماع لدى جميع أهل الذكر، مسلمين وغير مسلمين، بل إن

لا سبيل لردّها أو الطعن فيها، لأنها أمور واقعة، محسوسة مشاهدة ليستوى فى إدراكها كل من تمكن من مشاهدتها ولو بالعين المجردة.

فماذا يقول المستشرقون؟ أهذا كذب أم صدق؟ وأين يجدون الصدق المنافى لهذه الحقيقة ياترى؟ أم على قلوب أقفالها.

سُننُ الله فى خلق الإنسان

ما تقدم كان قبسا من سنن الله فى الكون خارج نطاق الإنسان وهو غيض من فيض من سنن الله الكونية، التى لا يحصى عد ولا يحيط بها إلا علام الغيوب.

ونقدم نموذجا آخر من سنن الله فى خلق الإنسان، والأطوار التى يمر بها من ساعة تكوين عناصر خلقه قبل أن يودع فى رحم أمه، إلى ساعة أن يعود إلى التراب فى نهاية أطواره، كما خلق منه فى بداية أطواره. حيث كان مبدؤه ترابا، ومنتهاه ترابا.

وننظر فى صدق رسالة محمد (القرآن) فى عرض تلك الأطوار بمعونة الآية الآتية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ رِيبَ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرَّبُ إِلَى الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُوَكُمْ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنْفِقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرْدُ إِلَى آرْزَلٍ عَمُرٍ لَّيْسَ يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴿١٠﴾﴾





الزمن، أكثرها زمنها متساو في الوجود فبين تكوين النطفة من الأغذية، وبين تناول الأغذية وخروجها من الأرض فسحة، من الزمن، وقد أشارت إلى هذه الحقيقة «ثم» حين توسطت المعطوف والمعطوف عليه، وبين تحول النطفة الى علقه فسحة من الزمن (أربعون يوماً) دلت عليها «ثم» بتوسطها بين النطفة والعلقة: «ثم من علقه»

وبين العلقه والمضغة فسحة من الزمن أو مأت إليها «ثم» حين فصلت بين المعطوف والمعطوف عليه (أربعون يوماً) «ثم من مضغة».

ولكل من هذه العناصر: (النطفة - العلقه - المضغة) خصائص ذاتية رصدها العلم الحديث رصدا كاشفا عن مميزات كل عنصر منها عن الآخر. كما رصد العلم الحديث العمر الزمني لكل عنصر منها، فوجده أربعين يوماً.

فأنت ترى أن «ثم» في هذا العرض دالة من الدوال العلمية وليست مجرد أداة ربط بين سابق ولاحق.

ومن هذه الدقائق المذهلة لأولى الألباب تنويع المضغة إلى مخلقة وغير مخلقة. وهذا سبق علمي لرسالة محمد ﷺ كان حرياً بالسادة المستشرقين أن يخروا امامه ساجدين، إيماناً برسالة محمد - ﷺ - كما سجد سحرة فرعون لمعجزة الإيمان التي أجزاها الله - عز وجل على يد رسوله الكريم موسى عليه السلام، لا أن ي - صروا على وصف هذه الرسالة الخالدة بالكذب.

أبحاث علماء الغرب أرسخ قدما في هذه الدراسات، وهم قوم المستشرقين - أرسخ قدما فيها من غيرهم.

وقد نشأت دراسات لاحصر لها، وتجارب معملية، وتصوير وتجسم لمتابعة هذه الأطوار، وهى فى أرحام الأمهات وتوصلت إلى نتائج يقينية فيها.

وكان صدق رسالة محمد (القرآن) أسبق من هذه الاكتشافات والأبحاث، التى تطابقت نتائجها مع ما فرغت من بيان رسالة محمد ﷺ. أفما كان هذا كافيا لتراجع المستشرقين عن مزاعمهم الكاذبة فى وصف رسالة محمد ﷺ بالكذب؟!!

وبقى فى الجانب غير المنظور من أطوار خلق الإنسان دقائق مذهلة من صدق رسالة محمد:

- منها عطف هذه الأطوار بعضها على بعض بـ «ثم» وهى كما هو معروف تفيد أمرين:

الأول: الترتيب الزمني الوجودى بين المعطوف والمعطوف عليه.

الثانى: وجود فسحة زمنية (التراخى) بين وجود المعطوف والمعطوف عليه.

إن هذه الأداة «ثم» يكمن وراء العطف بها سر علمي لم يكن معروفا لأحد من البشر قبل مائتى سنة على الأكثر من العصر الحديث. كشفت عنه التجارب بعد طول عناء وكل «ثم» من هذه «الثمات» الخمس بمنزلة تجربة ومتابعة، مخبرية بينها فسحة من

﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ﴾ (١٢).

والمعروف أن المضغة متولدة عن العلقه، والعلقه تطوير للنطفه.

والمفسرون الأولون معذرون، لأن تفاسيرهم كانت تعتمد على المنهج النظرى المجرد.

فهل بعد هذا الصدق صدق، حتى يصح فى العقول أن يقال: إن رسالة محمد ﷺ كاذبة؟! إنه - والله - لقول أبهت من البهتان، وأكذب من الكذب وبقي من الجانب غير المنظور فى خلق الله الإنسان حقيقة أخرى لا ينزع فيها عاقل يحترم عقله وفكره، هى قوله تعالى:

﴿وَنُقَرِّفُ الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

إن الأجنة فى أرحام الأمهات تصرف إلهى خالص، ومدة استضافتهم فيها - بدءا ووسطا، ونهاية تقدير الهى لا يشركه فيه أحد.

وتخليقهم ذكورا وإناثا وألوانا شأن خالص لله - عز وجل - أن الغالب على مدة قرارهم فى الأرحام هو التسعة الأشهر ولكنها غير مطردة.

فقد تنقص أسبوعا أو أقل أو أكثر. وقد تزيد أسبوعا أو أقل أو أكثر.

هذا ما أسفر عنه الواقع، وأشارت إليه رسالة محمد - ﷺ:

﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أى محدد فى علم الله وحده. وهذا هو الواقع الذى لا يقبل التغيير ولا

كان اتجاه المفسرين الأولين هو أن النطفه المخلقة هى ماتم خلقها أى ماصارت جنينا كامل الخلقة وأن غير المخلقة هى السقط (١١).

أما بعد التطور العلمى الهائل، الذى شهده العصر الحديث، وتنوع آلات البحث، وغوصها وراء مالا يدرك بالحواس المجردة منذ خطأ العلم خطوات كاشفة عما كان مجهولا من حقائق الخلق والتكوين.

وقد تبين للدارسين السر الدفين فى قوله تعالى:

﴿مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ﴾ وخلاصة ما وقفوا عليه

بمعونة آلات البحث الحديثة هو ما يأتى:

أن النطفه بعد تلقيحها الرحم بالحيوان المنوى (الذكورى) والبويضة المخصبة، واستقرارها فى الرحم، تنقسم قسمين القسم الأول يخضع لقدرة الله فى تكوين الجنين فى كل مراحله حتى يصبح خلقا آخر.

أما القسم الثانى فيلزق بجدار الرحم، وتكون وظيفته تغذية القسم الأول، الذى يتخلق منه الجنين.

وهذا القسم يستهلك ولا يدخل فى عناصر تكوين الجنين التابعة، مثل الدم، الذى يستهلكه الجسم فى الحياة اليومية. وكل مانفد منه مقدار تجدد مكانه مقدار آخر.

وبناء على هذا الاكتشاف رجح علماء الأجنة المسلمون أن يكون هذا الانقسام هو المراد لله من قوله تعالى:

(١١) فتح القدير للإمام الشوكانى (٥١٤/٣).

(١٢) خلق الانسان بين العلم والقرآن (١٢٠) د. محمد على البار.

وبلوغ مرحلة الشيخوخة الفانية سنة أخرى لله في عباده، وحقيقة واقعة يؤمن بها المؤمن والكافر هذه السنن الإلهية كان للعطف بـ «ثم» تنسيق حكيم في عرضها. وهذا صدق آخر نصت عليه رسالة محمد ﷺ فأين الكذب فيها والواقع براهين قاطعة على صدقها.

الوجه الثاني: أن هذه السنن الإلهية، التي عرضتها رسالة محمد ﷺ مطردة في الحياة لم - ولن - ينتقص منها شيء. لأن رسالة محمد تقول:

﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (١٣)

فهل يستطيع أحد - كائنا من كان - أن يجعل سنة من سنن الله موضع سنة أخرى، تؤدي دورها في الحياة؟

وهل يستطيع أحد - كائنا من كان - أن يرفع سنة لله في الحياة، ويضع بدلها سنة أخرى من عنده. تقوم بإنجاز سنة الله؟ كلا، وألف كلا.

هذا ماجاء به رسالة محمد ﷺ وجري كل شيء في الحياة، وفق سنن الله، التي أفاضت في ذكرها رسالة محمد - ﷺ فإن كان هذا كذبا، فقد تبوأ الكذب مكانا عليا في الوجود. وهوى الصدق - الذي يراه المستشرقون صدقا - إلى الحضيض.

إذن:

﴿فَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (١٤).

التبديل من أحد غير الله العلي الحكيم. فأين الكذب المزعوم في رسالة المعصوم عليه صلوات الله وتسليماته.

أما الجانب المنظور والذي - صدقه رسالة محمد ﷺ في المراحل الآتية.

● الإخراج من أرحام الأمهات أطفالاً.
● بلوغ الأشد بعد مرحلة الطفولة (أى النضج والاكتمال).

● الوفيات المتباينة المبكرة (مرحلة ما قبل الشيخوخة).

● بلوغ أرذل العمر (الشيخوخة الفانية) هذا الجانب نواجهه به فرية المستشرقين عبر محورين لاثالث لهما:

الأول: سر العطف بـ «ثم» للدلالة على الفجوات الزمنية بعد هذه الأطوار المتعاقبة في حياة الإنسان، لأنها ليست مجرد رابط بين أمرين، بل هي كما تقدم دالة من الدوال العلمية.

● فالإخراج أطفالاً تفصل بينه وبين القرار في الأرحام فجوة مناسبة من حساب الأيام والشهور

● وبين الطفولة وبلوغ الأشد فجوة زمنية بحساب الشهور والأعوام.

والتوفى متفاوت من ساعة «الولادة» إلى بلوغ سنة الله - عز وجل - في عباده (تفاوت الآجال بين الطول والقصر).

من رجال الشريعة :

الأوزاعي بين العلم والعمل

للدكتور / محمد فتوح والحى

العلماء في كل أمة هم صانعون نهضتها، وحاملو راياتها، ومفجرو طاقاتها، والمؤتمنون على فكرها وعقيدتها. وفي الأثر عن رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس العلماء والأمرء». وفي تاريخنا الإسلامى صفحات مشرقة من تاريخ هؤلاء العلماء.. وعالمنا اليوم رجل جمع الفضل من أطرافه وحاز إعجاب أئمة المسلمين في عصره.

فمن هو الأوزاعي وكيف بلغ في العلم هذه المنزلة؟

لقد بحثت في حياة الرجل وتتبعته نسبه لأرى هل بلغ هذه المنزلة بنسب يعليه أو حسب يرفعه ويزكيه. فوجدت صاحب كتاب «الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام» يقول:

«لم يثبت التاريخ للأوزاعي أصولا تدرك منها صفاته وموارثه منسوبة إلى الآباء أو الأخوال بل كان كأنه فذ، وواحد فرد. فلم يعرف من أصوله

قال مالك: كان الأوزاعي إماما يقتدى به، وقال سفيان بن عيينة وغيره: كان الأوزاعي إمام أهل زمانه. وقال محمد بن عجلان: لم أر أحدا أنصح للمسلمين من الأوزاعي. ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى في مجلسه أحد إلا بكى بعينه أو بقلبه، وما رأيناه يبكى في مجلسه قط. وكان إذا خلا بكى حتى يرحم. وقال يحيى بن معين: العلماء أربعة: الثورى وأبو حنيفة ومالك والأوزاعي^(١).

(١) البداية والنهاية - ابن كثير ج ١٠ - ص ١١٦ - دار الفكر العربى.



« لما دخل عبدالله بن علي -عم السفاح الذي أجلى بنى أمية من الشام وأزال الله - سبحانه - دولتهم على يده - دمشق - طلب الأوزاعي فتغيب عنه ثلاثة أيام ثم حضر بين يديه . قال الأوزاعي : دخلت عليه وهو على سرير وفي يده خيزرانة والمسودة^(٣) . عن يمينه وشماله ، معهم السيوف مصلته -والغمد الحديد- فسلمت عليه فلم يرد ، ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده ثم قال : يا أوزاعي ، ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد ؟ أجهاد ورباط هو ؟ قال : فقلت : أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصارى يقول : سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول : سمعت علقمة بن وقاص يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كان هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

قال : فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت ، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم ، ثم قال : يا أوزاعي ما تقول في دماء بنى أمية ؟ فقلت : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . فنكت بها أشد من ذلك ثم قال : ما تقول في أموالهم ؟ فقلت : إن كانت في أيديهم حراما فهي

الأولين إلا هو وأم له مجهولة الاسم والحال ، ولم يعرف من أصول قومه إلا خليط من الأقوال لا تهتدى إلى مستقر^(٢) .

وزاد يقيني في أن الرجل في تفرده لم يعول على نسب أو حسب عندما قرأت وصيته لأبي جعفر المنصور يقول له فيها :

أما بعد :

« فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله - عز وجل - وتواضع يرفعلك الله - تعالى - يوم يضع المتكبرين في الأرض بغير الحق واعلم أن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حق الله إلا وجوبا » .

فبم ساد الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو الأوزاعي ؟

إن من ينظر في حياة هذا الإمام لابد أن يلمس بوضوح ظاهر صفتين بارزتين في حياته كلها منذ نشأ طفلا حتى لقي الله - تعالى - .

أولاهما : صفة الإخلاص الصادق لله وطلب وجه الله وحده في كل ما يأتي وما يذر .

والثانية : همته العالية في طلب العلم ، ومصابرته ودأبه ، وبذل غاية جهده في ذلك .

وقد أثمر الإخلاص في حياة الرجل مواقف تذهل القلوب وتحير الأبواب ولا يملك المرء لها تفسيراً إلا الربانية الكاملة والإخلاص الصادق لله - تعالى - من ذلك ما يرويه ابن كثير من شجاعته وجراته وثقته بربه ، واستخفافه بأهل الأرض جميعا في جنب الله . فيقول :

(٢) الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام - الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل سنة ١٩٦٦م .

(٣) المسودة : الذين يلبسون السواد وهو اللباس الذي اختاره العباسيون شعارا لهم .

يقول: من أطلال القيام فى صلاة الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة» أخذ ذلك من قوله تعالى:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝﴾ (٥).

وقال الوليد بن مسلم: ما رأيت أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعى فى العبادة. وكان من شدة الخشوع كأنه أعمى. ودخلت امرأة على امرأة الأوزاعى فرأت الحصى الذى يصلى عليه مبلولا فقالت لها: لعل الصبى بال هاهنا فقالت: هذا أثر دموع الشيخ من بكائه فى سجوده هكذا يصبح كل يوم» (٦).

ولا يذهبن بك الخيال أخى القارئ أن تظن أن استغراق الرجل فى عبادته وشدة الخوف من ربه قد حملته على اعتزال الناس والهرب من خضم الحياة ومعاركها. مؤثرا لذة الخلوة وجمال الأنس وروعة القرب من الحبيب - سبحانه وتعالى - جاعلا ذلك بديلا عن جهاده لإحقاق الحق وإبطال الباطل ونصيحة الحكام. كلا، وإنما جعل الرجل لذة قربه وروعة حبه دافعا لقول الحق، ووعظ الخلق، وتعريفهم بالله - سبحانه وتعالى - واسمع معى إلى هذه الموعظة التى تنبئ عن رجل يعيش بكيانه كله مع خالقه فقد كتب إلى أخ له: أما بعد:

«فقد أحيط بك من كل جانب، وإنه يسار بك فى يوم ليلة فاحذر الله والقيام بين يديه، وأن يكون آخر العهد بك. والسلام».

حرام عليك أيضا، وإن كانت حلالا فلا تحل لك إلا بطريق شرعى. فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك ثم قال: ألا نوليك القضاء؟ فقلت: إن أسلافك لم يكونوا يشقون علىّ فى ذلك، وإنى أحب أن يتم ما ابتدعوني به من الإحسان. فقال: كأنك تحب الانصراف؟ فقلت: إن ورائى حرما وهم محتاجون إلى القيام عليهن وسترهن وقلوبهم مشغولة بسببى. قال: وانتظرت رأسى أن يسقط بين يدى، فأمرنى بالانصراف. فلما خرجت إذا برسوله من ورائى. وإذا معه مائتا دينار، فقال: يقول لك الأمير: استنفق هذه قال: فتصدقت بها، وإنما أخذتها خوفا. قال: وكان فى تلك الأيام الثلاثة صائما فيقال: إن الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الفطر عنده فأبى أن يفطر عنده» (٤).

فما كان للأوزاعى أن يقف هذا الموقف ويثبت فى وجه الموت ذلك الثبات إلا وقلبه معلق بربه وحده يستمد منه قوته ويخلص له نيته، ولا يطلب إلا وجهه سبحانه ولو أدى ذلك إلى قتله، فإن ذلك لا يخيفه ولا يقلقه، لأنه يعلم أن الموت فى سبيل الله وسيلة لنقله إلى رحاب من يحب ويرضى - سبحانه وتعالى - وتلك هى الربانية الخالصة والولاء الصادق لله - تعالى.

وقد أعان الأوزاعى على بلوغ هذه الدرجة من الإخلاص الصادق لله، قلب خاشع وكيان خاضع باك لله - سبحانه وتعالى - يقول ابن كثير: «كان الأوزاعى - رحمه الله - كثير العبادة، حسن الصلاة، ورعا ناسكا، طويل الصمت، وكان

(٥) الإنسان آية (٢٦، ٢٧).

(٤) البداية والنهاية ج ١٠ - ص ١١٨.

(٦) البداية والنهاية ج ١٠ - ص ١١٧.



وصفوه، فلم يبق منه إلا جمة شر، وصباية كدر، وأهاويل عبر، وعقوبات غير، وإرسال فتن، وتتابع زلازل، ورذالة خلف، بهم ظهر الفساد فى البر والبحر، يضيّقون الديار، ويغفلون الأسعار، بما يرتكبونه من العار والشنار، فلا تكونوا أشباها لمن خدعه الأمل، وغيره طول الأجل، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن إذا دعى بدر، وإذا نهى انتهى وعقل»^(٩).

ومن خلال هذه الموعظة نحس روح العالم البصير بطوايا القلوب وخبايا النفوس، كما نحس روح العابد الزاهد الذى يعلم حقيقة الدنيا، وأنها دار «الثراء فيها قليل، وأهلها عنها راحلون». كما نلمح من خلال الكلمات قريحة أديب بارع، يعرف كيف يتسلل إلى القلوب بأناقة لفظه وعذوبة جرسه، وسحر موسيقاه، دون أن يشغله ذلك عن فكرته، أو يقلل من وضوح قضيته. وقد ظهر من خلال هذه الموعظة طبيعة الثقافة الدينية ومدى حضور القرآن فى ذهن الشيخ حتى ليوشك أن تكون الموعظة كلها آيات من القرآن. لكن ذلك يتم فى براعة وعفوية حتى كأن الجزء المقتبس قد سبك مع كلام الشيخ سبكا. وذلك لقوله: «تقووا بهذه النعم التى أصبحت فيها، على الهرب من نار الله الموقدة، التى تطلع على الأفئدة» وكقوله: «فهم كانوا أطول منكم أعمارا، وأمد أجساما، وأعظم أحلاما، وأكثر أموالا وأولادا» فالجملة الأخيرة جزء من آية فى سورة التوبة. وكذلك قوله: «فخددوا الجبال، وجابوا الصخر بالواد» كما نلاحظ قدرة الشيخ على توظيف السجع توظيفا موسيقيا تطرب له النفس وتستريح إليه الأذن.

ومن مواعظه التى تشهد له بصدق اللمحة، وعمق المعية، ودوام الذكر، والوعى بأحوال الناس والإشفاق عليهم من غرور الدنيا وإغواء الشيطان ما يرويه ابن أبى الدنيا يقول: حدثنى محمد بن إدريس^(٧) سمعت أبا صالح - كاتب الليث^(٨) - يذكر عن الهقل بن زياد عن الأوزاعى أنه وعظ فقال فى موعظته: أيها الناس تقووا بهذه النعم التى أصبحت فيها، على الهرب من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة، فإنكم فى دار الثواء فيها قليل، وأنتم عما قليل عنها راحلون، خلاثف بعد القرون الماضية، الذين استقبلوا من الدنيا آتقها وزهرتها، فهم كانوا أطول منكم أعمارا، وأمد أجساما، وأعظم أحلاما، وأكثر أموالا وأولادا، فخذدوا الجبال وجابوا الصخر بالواد، وتنقلوا فى البلاد، مؤيدين ببطش شديد، وأجساد كالعماد، فما لبثت الأيام والليالى أن طوت آثارهم، وأخربت ديارهم، وأنست ذكركم، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع له ركزا؟ كانوا بلهو الأمل آمنين، وعن ميسقات يوم موتهم غافلين، فأبوا إياب قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم الذى نزل بساحتهم بيانا عقوبة من الله، فأصبح كثير منهم فى ديارهم جائمين، وأصبح الباقون المتخلفون ينظرون فى آثار نعمته، وزوال نعمته عن تقدمهم من الهالكين، ينظرون والله فى مساكن خالية، وبيوت خاوية قد كانت بالعز محفوفة وبالنعم معروفة، والقلوب إليها مصروفة، والأعين نحوها ناظرة.

فأصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم، وعبرة لمن يخشى. وأصبحت بعدهم فى أجل منقوص ودنيا منقوصة فى زمان قد ولى عفوه، وذهب رخاؤه

(٧) يقصد الإمام محمد بن إدريس الشافعى صاحب المذهب المشهور.

(٨) هو الليث بن سعد إمام أهل مصر.

(٩) البداية والنهاية ص ١١٩.



وكما وعظ العامة وأخلص النصح لهم نراه يتوجه بالنصيحة إلى الحكام مستشعرا أمانة العلم، مدركا أن الله سائله عما أعطاه من العلم بشريعته ومعرفة حقوقه وحدوده.

وهذا موقف وقفه الإمام الأوزاعي أمام الخليفة أبي جعفر المنصور يحرضه على افتداء ألوف الأسرى من المسلمين، كانوا قد وقعوا في يد ملك الروم، وكان ملك الروم يحب أن يفادى بهم، وأبو جعفر يتردد في فدائهم بخلا بالمال كعادته التي بسببها سمى «الدوانيقي» (١٠) فكتب إليه الإمام الأوزاعي كتابا جاء فيه:

أما بعد: فإن الله - تعالى - استرعاك هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائما وبنبيه ﷺ في خفض الجناح متشبيها، واسأل الله - تعالى - أن يمكن لأمر المؤمنين ويرزقه رحمة هذه الأمة. فإن سائخة (١١) المسلمين التي غلبت عام أول، وموطئهم حريم المسلمين، واستنزاهم العواتق والذراري من المعقل والحصون كان ذلك بذنوب العباد وما عفا الله عنه أكثر. فبذنوب العباد استنزلت العواتق والذراري من المعقل والحصون، لا يلقون لهم ناصرا ولا عنهم مدافعا كاشفات عن رعو سهن وأقدامهن. وكان ذلك بمرأى ومسمع وحيث ينظر الله - تعالى - إلى ما نزل بهم، فليقت الله أمير المؤمنين وليبتغ بالمفاداة بهم من الله سبيلا، وليخرج من حجة الله. فإن الله تعالى قال لنبيه:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ (١٢).

ووالله يا أمير المؤمنين، ما لهم يومئذ في موقف، ولا ذمة تؤدي خراجا إلا خاصة أموالهم. وقد بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأسمع بكاء الصبي في الصلاة فأتجاوز فيها مخافة أن تفتن أمه» فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين في أيدي العدو يمتهنونهم ويتكشفون منهم ما لا تستحله الشريعة، وأنت راعي الله، والله - تعالى - فوقك، ومستوف منك:

﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ

الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ

مِنْكَ آلٌ حَبَشَةٌ مِنْ خَدَلٍ أَنْتَ بِهَا وَكَفَى بِنَاحِسِينَ﴾ (١٣)

فلما بلغت هذه الرسالة أبا جعفر استجاب من فوره للأوزاعي وافتدى الأسرى (١٤).

وهكذا يستشعر الإمام الأوزاعي مسؤوليته أمام الله ويحس بمرارة كل أم فقدت ولدها، وبلوعة كل أسير فقد حريته ويسام الخسف والنيكال بيد الكفار. فيندفع لأداء حق الله عليه صادعا بالحق، ناصحا لإمام المسلمين، مستعملا معه ألوانا من الترغيب والترهيب حتى يبلغ منه ما يريد، بعد أن أهاج كامنه، وحرك ساكنه وخوفه من مقامه بين يدي الله.

وببركة هذا الموقف العظيم فرجت الكربات وزالت الحسرات عن ألوف من أسرى المسلمين، ودخلت السعادة وعم الفرح قلوب أهليهم وذويهم.

فليت أهل العلم في زماننا يستشعرون أمانة الله عليهم وثقة أمته بهم. وحاجة الحكام إليهم. ويصلون ما انقطع من مواقف البطولة، ومواطن العزة وأسباب الفخار.

(١١) السائخة: القوة.

(١٠) نسبة إلى الدائق وهو أصغر جزء من الدينار.

(١٢) الأنبياء (٤٧).

(١٣) النساء (٧٥).

(١٤) الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام - عبدالعزيز سيد أهل ص. ٩١.



صفحة من حياة

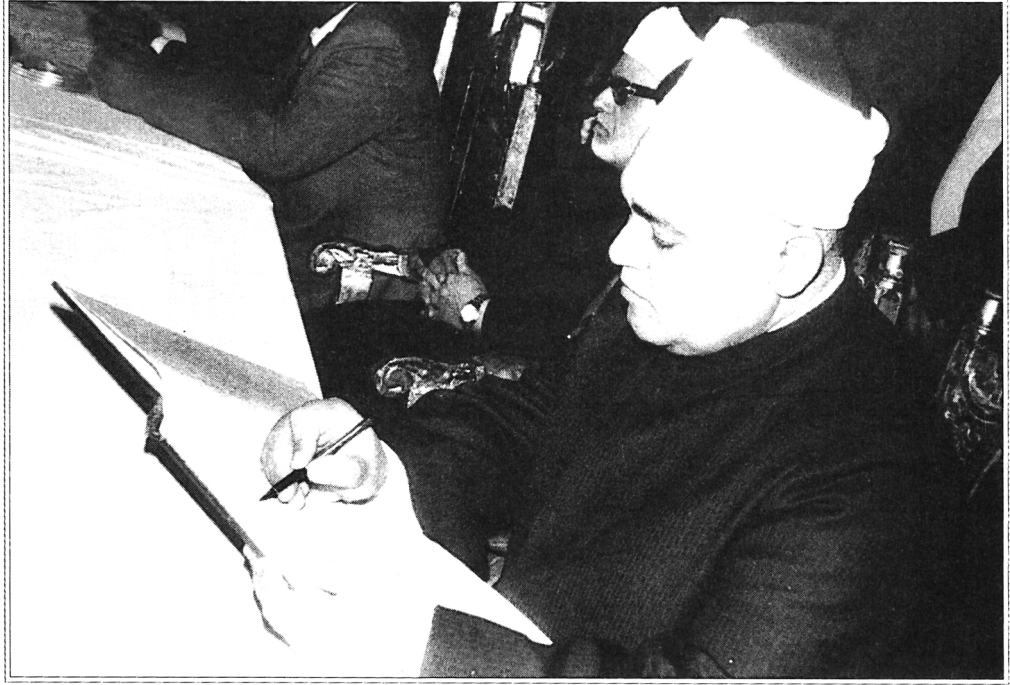
الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود (*)

الأستاذ الدكتور / محمد رجب البوسوى

زاملت الدكتور محمد السعدى فرهود فى مراحل الدراسة التعليمية بالابتدائى والثانوى وكلية اللغة العربية ومعهد التربية العالى، ثم زاملته فى مرحلة التدريس الجامعى مدرساً وأستاذاً، فلم أرتغير أفى أخلاقه منذ عرفتته، مما أكد لى أن الطبع الإنسانى المفسطور على جبلية لا يتغير بتغير الأحوال والملابسات، وما يظن أنه تطوير وانتقال، هوشى وظاهرى مفتعل، إذ أن الجوهر الأصيل يظل محتفظاً بمعدنه، فكل ما يراه خلاؤه اليوم من هدوئه وورائته وسعيه فى الخير كان واضحاً عند الطالب الصغير فى المعهد الابتدائى بالأزهر، هكذا رأيت ولمست! ولقد كان مع هذه السجايا الخلقية غيوراً على سمعته العلمية، إذ كان حريصاً كل الحرص على أن يكون الأول بين زملائه، وقد تحقق له ذلك فى أكثر السنوات، وفى السنوات التى جاء فيها الثانى كان يأخذ نفسه بأسباب اللوم، إذ يكون أمامها مقصراً، وأنا أعلم أن درجات الشفوى بالأزهر قد تعطى لمن لا يستحق فيسبق الكادح الجاد، ولكن الله يعوض كثيراً فيما بعد..

أول ما عرفت الطالب محمد السعدى فرهود كان فى حفل عام أقامه معهد دمياط الدينى فى مناسبة المولد النبوى الشريف، وقد حضره محافظ الإقليم وفريق من كلية القوم، وقام كبار الأساتذة يلقون كلماتهم الموسمية، فيمتعون، ثم قام الطالب محمد السعدى ممثلاً لزملائه، فألقى كلمة ضافية، جذبت إليها الأنظار، إذ ترك المعانى التقليدية التى تكرر فى هذه المناسبة، والتى توسع فيها بعض من سبقه من الأساتذة المتكلمين إلى عناصر جديدة تتصل بأخلاق صاحب السيرة المطهرة.

(*) من مذكرات رئيس التحرير، ينشرها بمناسبة ارتحال الفقيد العزيز وستنشر مجلة الأزهر عنه بحثاً تحت عنوان (السعدى وتفسير القرآن) قريباً إن شاء الله.



دخولها، فانتسب لكلية اللغة العربية غاضباً، ولم يدر أن إرادة الله فوق كل إرادة، إذ كان في طي الغيب أن يصبح محمد السعدى عميداً لكلية اللغة العربية، فمديراً لجامعة الأزهر.

برز السعدى فى كليته الأزهرية، وكان رئيساً لجماعة «الضاد» التى أسسها الأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى - رحمه الله -، أخذ الرئاسة بعد تخرج الدكتور الشرباصى، فزاوّل النشاط الأدبى، وصار له بالكلية ذكر حميد، وأشير إلى أن أحد أساتذته كان يعهد إليه بتحضير الدرس الأدبى ليلقيه على الطلاب تمريناً للنابهين، وهو سلوك تربوى

وكان إلقاؤه يزيّن بيانه، فخرج السامعون يشنون عليه تفكيراً وإلقاءً وهدوءاً، ومن يومها طاب لى أن أعرف الكثير عنه.

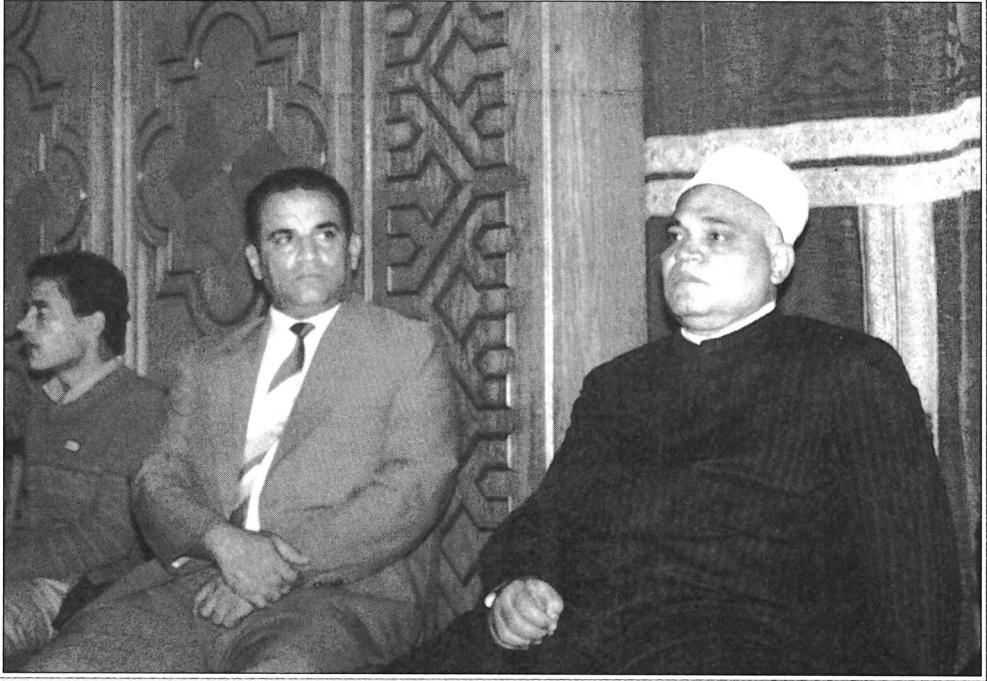
ذهبنا إلى معهد الزقازيق الثانوى، فحافظ محمد السعدى على أوليته المعهودة، وأعدّ نفسه ليكون أوّل الشهادة الثانوية على القطر جميعه، ولكن ظروفًا سياسية عاقته عن الالتحاق بالدور الأوّل، ظروفًا لا شأن له بها، إذ أن غيرته الإقليمية دفعته إلى مناصرة زعيم سياسى من أبناء بلده (الزرقا)، وأتت الرياح بما لا يشتهي، فذهب عهدٌ وجاء عهد، يُناوئ الزعيم، وتأخر السعدى عن الالتحاق بدار العلوم التى كان مصمماً على

طلبه، فصور ما أراد من الرسائل، وبعثها إلى ثانية. والغريب أنى بعد عشرين عاماً من هذا الموقف، احتجتُ إلى بعض الرسائل، وبحثت عنها دون جدوى، ثم حدثتُ الدكتور السعدى بذلك، فقال: إن الصور محفوظة لديه، وتكرم بإرسال نسخة منها، ولولا ذلك لفقدتُ إلى الأبد، ومنها تفويض من الشاعر لى بطبع مؤلفاته نثراً وشعراً.

لم يقتصر السعدى على مراسلتى بشأن رسائل شكرى، فقد راسل كثيراً من الأدباء فى العالم العربى، حتى جمع من الرسائل ما يصلح أن يكون كتاباً، وأذكر أنه راسل الأستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة المقتطف، وكان حينئذ قد ترك القاهرة إلى لبنان، فأمدّه بعدة رسائل تضم أنباء أدبية ونظرات علمية، وهى لا تزال لدى الصديق، كما أنه حين كتب رسالة الماجستير عن (عبدالله النديم) لم يدع أحداً يعرف اتصاله بأسرته إلا سافر إليه، وأخذ من أخباره ما كان مجهولاً، إذ زار الإسكندرية لذلك عدة مرات.. وقد كتب الكثيرون عن النديم كتابة من رجع إلى آثاره وحدها، ولكن رسالة السعدى تضمنت أشياء جديدة عمل على جمعها، ثم تحرى مدى صوابها، وحازت تقدير لجنة المناقشة بمعهد الدراسات العربية. وقد زاملت السعدى، إذ كنا مدرسين بكلية اللغة العربية بالقاهرة حيناً من الدهر، فاتضح لى من نشاطه جانب إدارى كنتُ

ناجح، لأن الطالب حين يقفُ أمام زملائه موقف الأستاذ يشمر عن ساعد الجد، ويحاول أن يملأ الموقف قدر ما يستطيع، وقد ألقى الطالب محمد السعدى عدة محاضرات عن الشاعر العباسى بشّار بن بُرد، حازت إعجاب أستاذنا الكبير أحمد شفيع السيد رحمه الله، فأثنى عليه فى الملأ المشهود، وتنبأ له بمستقبل زاهر.. ثم مضت الأيام فأبرزت تحقيق نبوءته!..

وانتقلنا بعد الكلية إلى معهد التربية العالى بالإسكندرية، فدرّسنا الجديد من علوم النفس والتربية والاجتماع مما لم نكن نألفه فى الدراسة الأزهرية، وأذكر أن الدكتور رياض عسكر أشار فى بعض محاضراته إلى «مجلس الآباء» وضرورة إنشائه بالمدارس المصرية تقليداً للمدارس الإنجليزية، فأعجبت الفكرة الطالب محمد السعدى فرهود، وكتب مقالاً تربوياً نشرته جريدة الأهرام فى مكان بارز، وتوالى الرد عليه، لدرجة أدهشت الدكتور عسكر، وتمنى أن يُرزق من الطلاب من يُذيعون رأى التربوى على نطاق جهير.. ثم تفرقنا بعد التعلّم، ومضت عدة سنوات حتى جاءنى خطاب رقيق من الأستاذ محمد السعدى فرهود يعلن أنه يكتبُ رسالة الدكتوراه عن شعر الأستاذ عبدالرحمن شكرى، وقد علم أن لَدَى بعض رسائله الخاصة، ويريد الاطلاع عليها، فرمما يكون بها ما يضىء جانباً من نواحي الشاعر المتعددة، وقد سارعتُ بتلبية



عصوره، وقد فاجأ طلابه بنظام من التأليف في تاريخ النقد الأدبي القديم لم يالفوه من قبل، حيث درجوا على أن يكون تاريخ النقد وفق توالى العصور، اقتداء بما صنعه رائد التاريخ النقدي في مصر المرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم، حيث بدأ بحديث النقد في العصر الجاهلي، وتابع العصور حتى انتهى إلى العصر العباسي. والحق أن هذا الكتاب التليد لا يزال يحمل بريقه اللامع منهجاً وأسلوباً واستنتاجاً، وقد حاكاه أناس - أو قل إنهم سرقوه - ثم أخذوا يعيبونه، وكأنهم لم يتكثروا عليه كل الاتكاء، وتلك من محن العلم في العالم العربي، أما الدكتور فرهود

أجهله، لأنه مع إكبابه على التأليف الأدبي كان يد الإدارة في شئون الامتحانات، وموضع استشارتها في أحوال الطلاب، ولجان الشباب، وسفر الرحلات، وما زال يجمع بين الإدارة والتدريس والتأليف العلمي جمعاً متوازناً دقيقاً، وذلك يتطلب منه مزيداً من الجهد الجاهد، وثقة المحيطين به في مواهبه تدفعه إلى مواصلة هذا الجهد في احتفاء.

وقد تنوعت مؤلفات الدكتور السعدى بالكلية لأن المواد التي قام بتدريسها كانت تقتضى هذا التنوع، ولكن إبداعه الأول كان في حقل النقد الأدبي، حيث أصدر عدة كتب مهمة تشمل خطوات النقد في جميع



فى مجلة الأديب اللبنانية (أكتوبر سنة ١٩٧٠)
وجاء فيه ملخصاً:

« أَلَمُ الكَاتِبِ إِيَّاماً مَوْجِزاً فى مَطْلَعِ بَحْثِهِ بما سبق أن أَرخ به الدارسون حركة النقد العربى، ثم اتجه إلى أبواب معاصرة، بدأها بالحديث عن تأثير النقد الأدبى بعلوم النفس والاجتماع والجمال، وخَتَمَ كل فصل بتعقيب يرجع فيه ما يرتضيه من الآراء المتضاربة فى حيدة تامة لا تعرف الانحياز لمذهب معين، ولكى يصل إلى ما يريده من حديث النقد المعاصر عبر ما قبله من الاتجاهات التراثية عبوراً موجزاً، ولكنه مستوعب، ثم تفرغ للبحث فى قضايا التجربة الشعرية والوحدة العضوية، ومُتَّبِعاً بذورها فى كتب النقد القديم، حتى انفسح المجال لرصد التيارات المعاصرة، إذ تحدث عن خليل مطران، وعبدالرحمن شكرى، والعقاد، والمازنى! وقد لاحظتُ فى مقالى بمجلة الأديب أنه قد بَحَسَ مطران حقه حين جعله ينحاز إلى جانب شوقى فى منحاه، لأن اتجاه مطران الإبداعى مسلم به، وهو الرائد الحقيقى لحركة التجديد فى الشعر المعاصر. إذا أردنا أن نقرر الحقيقة دون انحياز ».

هذان الكتابان البارزان فى نتاج الدكتور السعدى كانا موضع تعليقات لى فى دروس النقد وأنا أجاوره بمدرجات الكلية، وقد تناقل الطلاب هذه التعليقات، فكنت أنتظر من صديقى أن يتأثر بعض الشيء بموقفى، ولكنه قابلنى مبتسماً ليقول إنه سيسعد حين أدون له خواطرى النقدية فى بحث خاص ليرجع إليه إذا

فقد درس كتاب الأستاذ طه أحمد إبراهيم، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم رأى أن يؤرخ للنقد على غير مذهبه، فأصدر كتابه (اتجاهات النقد العربى) متحدثاً فى المقدمة منحنى الأستاذ طه أحمد إبراهيم، ثم معقلاً بقوله:

« وآن لنا أن نقوّم هذا الاتجاه، لأنه يسمح بقيام فواصل بين نقود العصور، وإطلاق القواعد العامة على هذه العصور، مثلما قالوا: إنَّ النقد فى العصر الجاهلى نقدٌ فطرى، وفى عصر صدر الإسلام نقدٌ ذوقى، وفى الدولة الأموية نقدٌ جزئى، واختلف فى الشام عنه فى العراق، وهذه فى تقديرنا تفرقة لا مسوغ لها، فقد تداخلت النقود، وتداخلت العصور الأدبية، ولم تتمايز هذه أو تلك تمايزاً يحتم الفصل بينها، وهذا تفسير الاتجاه إلى تناولنا الموضوعى لهذه الأمور، غير مغفلين ما يفرضه الترتيب الزمنى على حركة التاريخ النقدى.

ووفقاً لهذه الخطة الجديدة كتب الباحثُ فصولاً متتابعة عن اتجاهات النقد العربى، فتحدث عن النقد الاستحسانى، والنقد الانتخابى، والنقد الاجتماعى. والنقد الوصفى، والنقد على سبيل الموازنة، ثم جاء الفصل الأخير ليلم بأهم النظرات النقدية التى تفرقت فيما سبق من الأبواب. والكتاب بهذا المنحنى الجديد طريف كل الطرافة فى بابهِ.

أما أهم كتاب أصدره الدكتور السعدى فى حقل النقد فهو كتاب (قضايا النقد الأدبى الحديث)، وقد أفردتُ له مقالاً خاصاً بتحليله





السعدى، حيث ذكر أسماء الزملاء والإداريين والموظفين الذين عاونوه جميعاً جميعاً، وأحصى لكل فرد جهده الذى قام به، وكأنه كان أثناء عمله عميداً يُسجل خطوات من يقعون تحت إدارته تسجيلًا واعياً، وقال فى تواضع: إن الشكر لهؤلاء جميعاً. وقد خرج المستمعون ذهّبين لهذه الذاكرة التى وعّت كل شيء، ولهذا الاعتراف المثالى بكل جهد مبذول، وكم رأينا من رؤساء لم يعملوا شيئاً ارتكائاً على جهود مرءوسيه، ثم هم بعد ذلك يتلمّسون الهفوات التافهة لعقابهم، وكأن الرئاسة لا تتم إلا بالاستعلاء وترصد وسائل العقاب.

وفى اجتماعات اللجان الدائمة لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر، رأيت من حزم الدكتور فرهود ما أعجبني، لأن هذا الحزم الدقيق لم يمنع نظرة الرحمة المتسامحة لمن قعدت بهم بعيد ظروفهم الصحية فى مختتم العمر، عن الإجابة التامة، فكان الدكتور يقف فى صف هؤلاء الذين سيودعون عملهم عن قريب، قائلاً: إنهم كافحوا قدر ما يستطيعون، ولهم جهدهم العلمى الذى يؤيده نشاطهم الممتد عبر السنوات الماضية، وهو رأى قد يجد المعارض، ولكنى أسجله كما رأيته. مع ملاحظة أن النتائج يكون دائماً فى مستوى مقبول، ولا يهبط إلى درجة المؤاخذة، فهنا يكون الحسم الدقيق.

هذه خواطر أكتبها عن صديقى الكريم - رحمه الله - راجياً أن أجد مجالاً آخر للحديث عنه كما أريد بإسهاب.

حانت الطبعة الجديدة للكتاب، وهذا السلوك المطمئن الواثق هو ما يميز الدكتور السعدى دائماً، وما جعل أصدقائه وزملاءه يعتزون به، وقد جنى كثيراً من الشوك بسبب هذه السماحة، ولكنه لم يثر ثورة الغاضب، إذ طُبع على الهدوء اليقظ، وقد دعى منذ أعوام للإلقاء محاضرة أدبية نقدية عن الشاعر الكبير عبدالرحمن شكرى بالنادى الأدبى فى جدة، وهو أولى الزملاء بالبحث فى موضوع من صميم تخصصه، إذ كتب رسالة الدكتوراه عن الشاعر فعرف عنه أكثر مما يعرف سواه، ولكن - وهذا موضع العجب العجيب - رأيته بعد كتابة بحثه المسهب، يدعونى إلى زيارته، ثم يعرض على المحاضرة قبل أن يلقيها، فقد يكون بها ما يصلح أن يكون موضعاً للنقاش، وقد دهشت جداً لهذا الطلب غير المنتظر، وأخذت المحاضرة وأفدت منها، ولم أر بها غير الجيد الصحيح، وعاتبته على ما صنع، فقال فى ابتسام: وماذا يمنع من أن أطمئن؟ فقلت له: إن اطمئنناك هذا مع وثوق الناس بك قد حيرنى.

وقد كان الدكتور محمد السعدى عميداً لكلية اللغة العربية بالمنصورة حين أنشئت، فلاقى تأسيسها العلمى والإدارى والبنائى جهداً كبيراً قام بتذليله، على نحو مرهق شاق، ثم ترقى إلى منصب أعلى، وجئت عميداً لكلية من بعده، فرأيت أن أقيم حفلة تكريم اعترافاً بجهده فى إنشاء الكلية وسيرها هذا المسير الصحيح، وقام المتحدثون فاثنوا عليه بما هو أهله، وكانت المفاجأة فى الكلمة الختامية التى ألقاها الدكتور



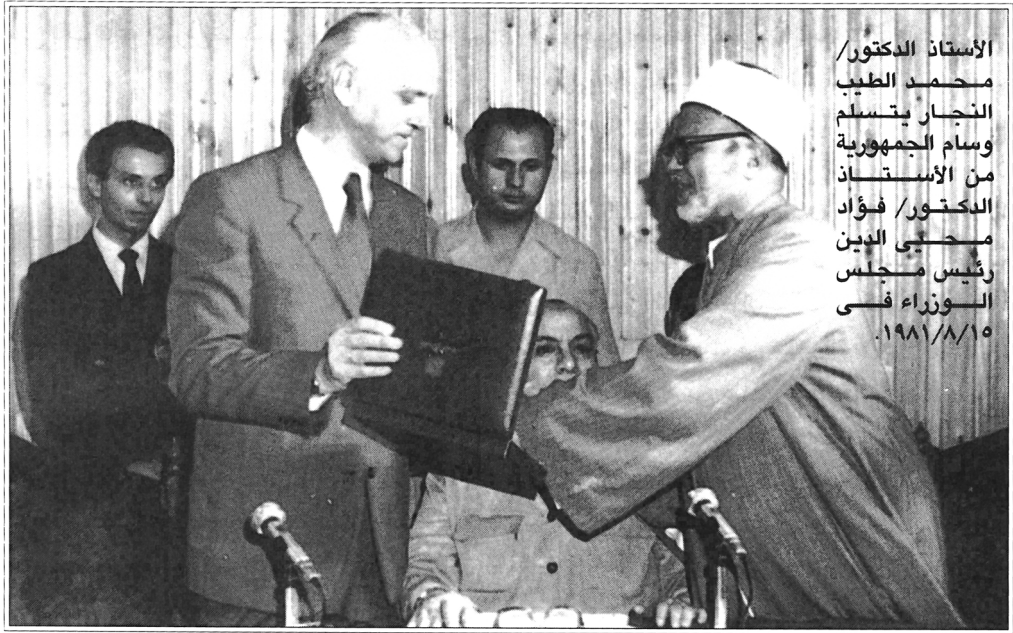
في صحبة الشيخ الدكتور

مُحَمَّد الطَّيِّب النِّجَّار

(رحمه الله)

مؤسّس الدكتور / محمّد الهيم الفيومي

يرجع عهدي بمعرفة فضيلة الشيخ الدكتور / محمد الطيب النجار الى زمن الطلب أي عهد دراستي في كلية أصول الدين، جامعة الأزهر. وكان فضيلة الشيخ أستاذًا للتاريخ الاسلامي وأحد ثلاثة يدرسون لى مادة التاريخ الاسلامي في السنة الأولى من مراحل الكلية، الشيخ الدكتور / محمد مصطفى النجار. اتفاق في اللقب، والشيخ الدكتور / عبد الحميد بخيت. وكان الشيخ مصطفى النجار يدرس: عرب الجزيرة والشيخ بخيت: عصر الرسول والخلافة، والشيخ محمد الطيب النجار يدرس الدولة الأموية. وكانوا جميعاً - رحمه الله - من العلماء الأفذاذ الذين يهضمون الثقافة الدينية والتاريخية وكانت محاضراتهم تتميز بالسلاسة الأدبية والبيان الواضح فكانت تشعر الأسماع، وتفتح الذهن، وتعين العقل على الفهم، وهم إذ يعرضون قضايا التاريخ الإسلامي، يعرضونها من خلال روايات التاريخ وهي متعددة تحتاج لفرز نقدي لاستخلاص الرأي الصحيح من سقيمه، وبيان أدلة لاختياره من غير ميل إلى هوى من غير دليل، وكان نقدهم قائم على قواعد المنهج التاريخي في تغليب رواية على رواية أو تزييف ضعيفها، إما لأنها رأى ينم عن عصبية يميل إلى عصبية الجاهلية الأولى، أو لأنه رأى مغلف بجب سياسي يشاع من هواه معه. وأنه يمثل اتجاهًا مذهبياً أو... أو.. إلخ، وكنا كلفين بذلك الاتجاه النقدي، وذلك مما زاد من إقبالنا على محاضراتهم، ورغم أن المقرر علينا في التاريخ كان واسعاً فهو يشمل: التاريخ الجاهلي وذلك في كتاب يربو حجمه على الخمسمائة صفحة.



الأستاذ الدكتور/
محمد الطيب
النجار يتسلم
وسام الجمهورية
من الأستاذ
الدكتور/ فؤاد
محلي الدين
رئيس مجلس
الوزراء في
١٥/٨/١٩٨١.

بني أمية وأخذت شأن الطلاب شخصية تاريخية، أذكر شخصية «المختار الثقفي» وكان بحثاً مختصراً، وأجهدت فيه نفسي وخاصة جمع الروايات وتحليلها ونقدها على ضوء ما سمعت ولقد ساعدني في دراسته كتاب خرج عنه في سلسلة أعلام العرب وكان ثمنه آنئذ خمسة قروش فأعانني هذا الكتاب وغير من المراجع وهي متعددة على هضم البحث حتى استوى على قواعده ثم قمت بتسليمه للشيخ - رحمه الله - وكان يهجم خاطر في داخلي أن البحث ذهب إلى مصير الإهمال وليس لدى نسخة منه فلم يكن التصوير سهلاً مثل اليوم.

ثم بعد مدة زمنية غير طويلة وعلى غير ما كنت أتوقع رأيت الشيخ يسأل عني وكان موقفاً طريفاً، ففي ذات يوم قابلت الشيخ وأنا واقف

وعصر النبوة والخلافة الراشدة فيما يقرب من سابقه في عدد صفحاته ثم تاريخ بني أمية في كتاب يقع في مائتي صفحة وكان ذلك كله مقرراً علينا في السنة الأولى من كلية أصول الدين وهذا ولاشك يوجب السآمة والملل والزهد في الدراسة. غير أن حسن العرض وأداء المحاضرات والتفاعل الثقافي بين الطلاب والأساتذة، وحضور المادة العلمية لدى الأستاذ المحاضر، والإعداد المناسبة في قاعة الدرس، وذلك كله عوامل يسرت علينا الانشغال بالعلم وتحصيله عن البحث فيما يجلب علينا السآمة ويسرب إلى نفوسنا اليأس من عظم المادة التاريخية المقررة.

أما فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الطيب النجار صاحب الترجمة فلقد قامت بيني وبين فضيلته أواصر المحبة ووشائج التلمذة وذلك عندما كلفنا ببحوث في قضايا تاريخية في عصر



على باب قاعة الدرس فسلمت عليه وصافحته ثم
سألني :

- محاضرتي عندكم الآن؟

- قلت له : نعم

- فقال لي : هل أنت معنا في هذه القاعة؟

- فقلت له : نعم

- فقال لي : هل تعرف طالبا اسمه - ثم أخرج

ورقة من جيبه وقرأ الاسم - محمد إبراهيم الفيومي

فتبسمت .. وقلت له : هو أنا فشدد من يدي

فاضطربت نفسي ثم قال لي : لا تخف، بعد أن

تفرسني بنظارته، يا بني : إنك كتبت بحثا ممتازا،

ومن إعجابي به أعطيته لزميلي الشيخ مصطفى

النجار والشيخ عبد الحميد بخيت فأعجبنا به

جميعا - ورأيت من الأصوب أن أتعرف عليك

لأنني رأيت فيك مستقبلا طيبا فبارك الله فيك ثم

عرفني على زميليه وكانت بداية علاقة طيبة

قامت بيني وبينهم جميعا وظللت وفيما لهم،

حريصا على اللقاء بهم حتى عرفوني منذ كنت

طالبا حتى أصبحت عضوا من أعضاء هيئة

التدريس بذات الكلية، ثم توطدت العلاقة بيني

وبين فضيلة الشيخ محمد الطيب النجار حتى

اختارني في فترة رئاسته للجامعة، عميدا لكلية

الدراسات الإسلامية والعربية وشاءت الأقدار أن

أسكن بجانبه، وأخرج معه كل مساء متريضا

ونشد معا أطراف الأحاديث في قضايا شتى،

وللحديث شئون وشجون، في رواحنا وغدونا،

وكنت حريصا على ملازمة الشيخ في تريضه

فكانت لدى مجالس علم وإثارة للخواطر،

وتنشيطا للجسم .

وحين أهديته كتابي : « تأملات في أزمة العقل

العربي » في طبعته الأولى قرأه مرة بعد مرة ثم

علق عليه بقلم رصاص ثم قرأ عليّ ما علق عليه

تعليقا جميلا وددت حين سمعته أن يكون

مقدمة للكتاب ساعة طبعه .. ثم دارت الأيام

ودورها ومرت سنون تسع حتى كانت حرب

الخليج بين العراق والكويت فكتب الأستاذ

الكبير أحمد بهجت في صحيفة الأهرام في بابه :

صندوق الدنيا عن ذلك الكتاب وقال : الآن بعد

تسع سنوات على صدور كتاب الدكتور الفيومي

وقد حذر فيه مما وقعنا فيه اليوم .. إلخ فرح الشيخ

بذلك التعليق - وكان قد نفذت الطبعة الأولى ثم

أخذت في إعدادها للطبعة الثانية ثم كلمت

فضيلة الشيخ مذكرا فضيلته بتعليقه المكتوب

بالرصاص أن يكون مقدمة للطبعة الثانية فسرح

بذهنه بعيدا ثم قال : أود قراءته مرة ثانية لأنني لا

أذكر أين الكتاب من المكتبة فازددت فرحا

فأعطيته أصول ما أعددته لدفعه إلى المطبعة

فقرأها ثم كتب المقدمة وأعطاه لي لدفعها إلى

المطبعة وخرج الكتاب بالمقدمة على ما تمنيت، ثم

سافر الشيخ إلى أمريكا في رحلة علاج وكانت

رحلته إلى الله وبقيت المقدمة آخر ما خطت

يمينه رحمه الله .

وأما عن منهج الشيخ - رحمه الله - في كتابة

التاريخ : فإنه قد فرغ نفسه للعلم والبحث

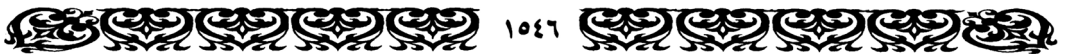
والدراسة في قضايا التاريخ والقضايا الدينية

والدعوة الخالصة إلى الله بقوله وسلوكه وعلمه

وعمله وهو في كل كتاباته التاريخية وغيرها : لم

يكن يقصد من تأليفها إلا بيان الحقيقة ناصعة

نزها في بحثه، قاصدا قوله اللباب .





بغير تمحيص، وطالما كانت تلك المفتريات عضدا لمن أراد البغى على العرب: هاشميين أو أمويين، إذ يسوقها حجة عليهم وكان المظهر التاريخي الذي يبدو عليها يخدع بعض طلاب المعرفة عن حقائقها.

ولكن هذه الروح العادلة التي حدثت به إلى نصره الحق في جانب على حدثت به كذلك إلى نصره الحق في جانب معاوية، فلم يحاول أن يخفى من فضائلها شيئا. أو يعكر من صفو سيرتها على مدار بحوثه وهي كثيرة فكان عادلاً في وصف الأفراد والمجموع، ذلك كان جهاد الشيخ في سبيل البحث والمعرفة للوصول إلى الحقيقة وهو كما يقول: قصة هذا الصراع الرهيب قصة دامية، وأحداثه أليمة تكتنفها ظلمات متكافئة. ومن أجل ذلك يتحرج بعض المؤرخين المسلمين عن الخوض في التفصيلات الدقيقة لمثل هذه الموضوعات. ولكننا نجد من واجبنا ألا نغض عيوننا أمام هذه الأحداث، وألا نضع أصابعنا في آذاننا، فالواقع الذي سجل أحداث التاريخ لا يمكن أن يرتفع، ولا ينبغي أن يزيف أو يحرف، وإنما يجب أن نلتمس من خلاله العبرة والموعظة الحسنة، فالعبرة دائماً هي ضالة المؤمن، والهدف المرجو لكل عاقل، والمنارة الساطعة التي تضيء طريق الخير وتهدي للتي هي أقوم.

وما كنت أود كتابة تلك المقدمة لما تبعته في النفس من كوامن الشجن وعميق الذكريات وألم الفراق لكنها هي سنة الله. وبالله التوفيق.

وهو - رحمه الله - إذ يعالج قضايا تاريخ بنى أمية، وهو عصر ملئ بالخصومات والعصبية المذهبية وهو فوق ذلك كله عصر الفتوحات الإسلامية، ووقع فيه خلط كثير، وانبهم الرأي الحق، فهو عصر حرج، وفترة زمنية عصبية، من الصعب على الباحث أن يصل إلى رأى صواب، ما لم يكن متمرساً بقواعد المنهج التاريخي وإطالة النظر وقوة الحجة ودوام المراجعات في المصادر التاريخية مع تحل بالصبر والدأب على البحث بروية واصطناع الأناة.

لقد كان الشيخ صاحب الترجمة هو كذلك، فهو يذكر حوادث التاريخ ذكر القاضى الناقد، لا يعبأ أين تميل به الحجة، لأنه لا يقصد إلى نصر فئة على فئة ولا الدعاية لطائفة أو أنه من شيعة على خارج على معاوية أو من شيعة معاوية خارج على الإمام إنما هو قاضى التاريخ فيذكر ما كان في الماضي، ويوضح ما فيه من المسائل، من غير أن تكون في نفسه مرارة من هذا، أو من ذاك، أو يكون في كلمه زيغ فهو إن رأى الحجة مع على وإن رأى الحجة مع معاوية فهي مع معاوية وكشف عنها كشفاً صريحاً، وفي نفسه سرور الباحث عن الحقيقة إذا وفق إلى كشفها، إذ ليس في قلبه ما يسخطه على تلك الحقيقة إذا هي تبدت في جانب دون جانب.

وكان له - رحمه الله - فضل التعرض لبعض مفتريات التاريخ. وكانت شائعة عند بعض المعنيين بدراسة التاريخ يأخذونها تلقفاً



حديث في علوم الدين وعلوم الحياة



رد
على مقال

لرؤساء الدكتور / إبراهيم عوضين

عبر اتصال هاتفي سألتني صديق فاضل عما إذا كنت قرأت مجلة (الهلال) الصادرة في أول يوليو سنة ٢٠٠١ كما يعرف عني، ولما أجبت بأن أمرا حيويا شغلني عن النظر فيها مؤقتا، أردف قائلا: أرجو أن تبدأ بما كتبه الدكتور صلاح قنصوه تحت عنوان (بحث في علوم الدين وعلوم الحياة)، وأنا في انتظار ما تراه فيه.

على مقال الدكتور، مخالفا نهجك المؤلف الذى نلتقى عليه دائما، فليس لدى شك فى أنك مازلت عند مانفق عليه أنا وأنت من أن كلام المخلوقين وآراءهم تخضع لقبول المتلقين أو رفضهم، فيما عدا كلام سيدنا محمد ﷺ فى محور الرسالة، لأنه ﷺ :

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (١) وَمَا يَنْطِقُ

عَنِ الْمَوَى (٢) إِنَّهُ هُوَ الْوَحَى يُوحَى (٣) (١).

كما قرر ذلك ربنا - سبحانه وتعالى - فى كتابه الكريم، فلك أن تقبل من كلام الدكتور قنصوه ما تقبل، وأن ترفض منه ما ترفض.

قال: لا خلاف حول ذلك فيما يتعلق بالكلام الذى لا يتعارض مع ثوابت الحياة، لأنى أعلم يقينا أن ما اتفقنا عليه لا يشمل مثل ما لوقال مخلوق: إن حلاق القرية - بإيمانه وملازمته المساجد، وممارساته بعض أعمال الطب - يضارع الطبيب المتخصص؛ فمثل هذا الكلام - وما أكثره - لا يصح بأى حال أن يقبله إلا سفيه أو جاهل اختلطت عليه الأمور، فظن أن إسلام الشخص يمكنه من كل ميدان، فلا يكون فى حاجة إلى الدراسة المتخصصة.

فقاطعتة قائلاً: وما علاقة ذلك بما نحن فيه؟ أم لعلك تشير إلى ما ذكره الدكتور قنصوه فى تمثيله بالدكتور مصطفى محمود؟

قال: نعم أشير إلى ذلك.

قلت: ولكن الدكتور لم يكن هو الذى ذكر الدكتور مصطفى محمود، فقد ذكره به

قلت: ابتداءً أقرر أن الدكتور قنصوه - كما تدل عليه كتاباته - مفكر على قدر من الذكاء والخبرة يستطيع بهما أن يدير حواراً، تراه فى ظاهره أنه حوار يتسم بالعقلية الحرة، ولكنه - بذكائه وخبرته - يخفى تماماً سطوته وقهره الذى يدفع متلقيه إلى التسليم بما يريد.

وأقرر - كذلك - أن كاتب العنوان خانه التوفيق؛ فعلوم الدين هى نفسها علوم الحياة، لأن الله تعالى مادان الإنسان إلا ليحيا فى رغد الدنيا، ونعيم الآخرة، والتفرقة بين الدين والحياة ما عرفها المسلمون إلا من ثقافة الأوروبيين الذين كان الدين يمثل عندهم سيف الإرهاب الأعمى، وبطش الجهل الطائش، وسلطة الأثرة المستبدة؛ فما كان الدين عندهم إلا ستارا يخدع عامة الناس ويخضعهم لأفراد معدودين على أصابع اليد فى كل أقليم.. أما ومجلة الهلال عربية، والكاتب مسلم فلا معنى إذن لذلك العنوان بتلك الهيئة، اللهم إلا أن تكون واو العطف لا تعنى سوى التفسير، ولا تشير إلى اختلاف بين المعطوف والمعطوف عليه!

فعاد محدثي ليقول: الأمر يا صديقي أخطر مما يشير إليه العنوان، فما وجدت فى المقال كله إلا كأساً شفافاً ممتلئة بعسل نقى ولكنه مسموم، لا يكاد متجرعها يشك فى سلامة محتواها.

قلت: يا صديقي ألا ترى أنك تطلب رأيي وتصادره فى الوقت نفسه، وما عهدت منك هذا، بل إننى أراك تسرعت فى إصدار حكمك



أترى أن الدكتور قنصوه محق في دعواه أن ليس لأحد أن يتحدث في الإسلام دون أن يتزود بعلوم الدين التي يدرسها الأزهر الشريف، وليس لمصطفى محمود أو غيره أن يحدث أمراً في الإسلام. ويصطنع الاجتهاد وهو فارغ اليد من العلوم المؤهلة لذلك؟!!

ألم تلاحظ ما في عبارته من قصد الإثارة. بما قامت عليه من التلاعب بالألفاظ، حيث ذكر في مقدمة دعواه أن ضرورة التزود بعلوم التخصص تتناول كل من يتحدث في الإسلام - هكذا على وجه التعميم والإطلاق - ثم عاد فخص الأمر بمن يحدث أمراً في الإسلام، ويصطنع الاجتهاد؟ أم إن الدكتور قنصوه - مع قدراته وخبراته - لا يدرك الفرق بين من يتحدث في الإسلام ومن يحدث أمراً في الإسلام ويصطنع الاجتهاد.. ولذلك صاغ عبارته تلك خالي الذهن مما يعنيه هذا؟!!

قلت: يا أخى لقد أبعدت وكدت تخرج في ملاحظاتك عن لب الموضوع!

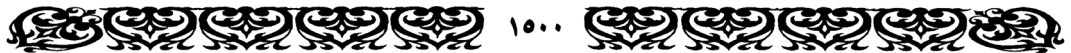
فقاطعنى صائحا: إني ما ترحزحت قيد أنملة عن موضوعنا. إن أحدا لم يضع أى قيد على أى مسلم يتحدث في الإسلام؛ فلكل مسلم أن يدعو أخاه المسلم إلى الصلاة، وإحسان الوضوء، والصبر على الشدائد، والتمسك بآداب الإسلام، فإذا أراد واحد أن يتوجه إلى أعماق الإسلام، ويستحدث حكما في أى شأن من شئونه، معتدا على نظره واجتهاده أصبح عليه أن يتزود لذلك بالعلوم التي تؤهله لمثل هذا التوجه، فالفرق بين من يتحدث في الإسلام ومن يحدث أمراً

محدثه، وقد حسم الدكتور قنصوه الموقف بما أجاب به محدثه من أن الدكتور مصطفى محمود لم يكن له أن يجتهد في الإسلام إلا إذا أعد نفسه بعلوم الاجتهاد في متغيرات الإسلام. قال محدثي - في سخرية -: ما كنت أنتظر منك أن تخدع في عبارة الدكتور قنصوه التي اتسمت بما وصفته به من ذكاء وخبرة، لقد كنت أتوقع أن تشم ما شمته أنا ما في عبارة الدكتور من سخرية وتهكم بمن يشترط هذه الشروط فيمن يتصدى للاجتهاد في علوم الإسلام. ولا أدل على ذلك من حديثه عن الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم؛ فقد اختار هو ومحدثه هذه الجزئية بخصوصها من العلوم لينطلق منها بسخريته وتهكمه ممن يشترط فيمن يتصدى للاجتهاد في الدين امتلاء يده من علوم اللغة، والفقه، والقرآن ناسخه ومنسوخه، والحديث صحيحه وحسنه وضعيفه، إلى آخر سلسلة علوم الدين. حيث جعل محدثه يستوقفه عند الناسخ والمنسوخ بخصوصه ليقول هو فيه ما قال.

لماذا الخلط في الكلام؟

وقبل أن الفظ بالرد على محدثي واصل الكلام قائلاً: أهى علوم الدين وحدها - بالفهم الذي يرمى إليه الدكتور - هي التي تحوج إلى شروط يجب توافرها في المجتهد؟!!

إن جميع العلوم الإنسانية - العملية والنظرية - يحوج كل منها إلى شروط مخصوصة يجب توافرها فيمن يتعرض للاجتهاد فيها، أو لنقدها.



قال : تعنى ذلك الثوب الساخر الذى غلف به الدكتور عبارته وهو يجيب محدثه حول النسخ فقال : « والغريب أن المنسوخ فى نظرهم -يعنى طبعاً علماء الأزهر- هو كل ما يتعلق بالصبر والرحمة، والمعاملة بالحسنى، وغيرها من هدى القرآن، ويزعمون أنها نسخت بما يسمونه آية السيف »؟

فأجبت محدثي : نعم . فلقد رأيت الدكتور قنصوه -فى تعبيره عن النسخ- قد صدر عن فهم خاطئ للنسخ، بل عن عدم معرفة بأصل النسخ، فظن أن النسخ مادة تدرس لطلاب الأزهر ليحفظوها، يقسم فيها القرآن إلى محكم، وناسخ ومنسوخ (أى ملغى) .

ولو أن الدكتور قرأ قول المولى سبحانه :

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

لعرف أن دراسة النسخ وما يتعلق به ليس من اختراع الأزهر ومناهجه . ولكن النص القرآنى هو الذى فرض على كل من يسعى للتخصص فى الدراسة القرآنية أن يقف عليه فى أبعاده، ويتعرف على المقصود بالنسخ المذكور .

ولو أن الدكتور قنصوه لم يقف عند السطح القريب للناسخ والمنسوخ لعرف أن النسخ مصطلح علمى إسلامى تجاوز الإطلاق اللغوى، ولحفظ نفسه من الوقوع فيما وقع فيه بعض محدودى المعرفة ممن اتصلوا بالقرآن، وبعض من

فى الإسلام ويجتهد فيه كالفرق بين من يمتن البناء الذى يتحدث عن المبنى، واتساع حجراته، وتوافر مرافقه، وبين مهندس البناء الذى يحدث فى الأساس تعديلاً، أو يدخل على تصميمه جديداً، وهو كالفرق بين الممرض الذى يحدث المريض عن ضرورة تنفيذ تعليمات الطبيب، وتناوله الدواء الذى وصف له، وبين من يتصدى لتشخيص الداء، وتحديد الدواء، أو استبدال دواء بآخر، أو تغيير طريقة تناوله، ومواعيده . . إلخ كل ذلك . ولكن الدكتور قنصوه -كما ترى - خلط بين الاثنين فى أمور الإسلام، فسوى بين من يتحدث فى الإسلام، ومن يحدث أمراً فى الإسلام ويجتهد فيه . فهل ترى أن عدم توفيق الدكتور فى التعبير هو الذى ساقه إلى ذلك الخلط، أم إن ذلك يرجع إلى جهله الفرق بين الحالين، أم هو يعرف ذلك الفرق، ولكنه قصد التشويش والتشكيك عن طريق التلاعب بالتعبير ليصل إلى غاية من الغايات التى يبتلى بها الإسلام والمسلمون هذه الأيام ؟!

المقصود بالنسخ إسلامياً

قلت محدثي : فى الحقيقة لقد شغلت بأمر آخر عن تلك الملاحظة، التى لا أملك إلا أن أضم صوتي إلى صوتك فى تساؤلِكَ، وإلا أن أعذر إليك بأن ما ذكره الدكتور قنصوه فى شأن النسخ كان أقوى تأثيراً فى جذب انتباهي !

قادهم فكرهم المشوش عن الله تعالى؛ فالنسخ -بالتعبير البسيط الواضح- فى الاصطلاح الإسلامى يعنى: التدرج الإلهى بالحكم فى المتغيرات وفق الأطوار البشرية. وتغير حاجاتها مع إحكامه فى الأصول العقدية. ومن هنا جعل رسله ورسالاته ناسخة لما قبلها، فيما يوائم أمة من حكم المتغيرات قد لا يوائم من سبقها أو من يأتى بعدها، على ما نرى فى نحو قوله تعالى:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كَلَّ ذِي طُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شَحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٣).

حيث حرم الذين هادوا أجزاء من ذبيحة البقر والغنم، ثم أباحها لغيرهم. وكما فى قوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ (٤).

حيث حرم عليهم العمل فى يوم السبت وأباحه لغيرهم. وكذلك الحال بالنسبة للأمة الواحدة، فإن حكمة الله ورحمته بعباده، وعلمه بحاجات كل طور من أطوار حياتهم. إلى غير ذلك، كان وراء التدرج فيما ألزمهم به من تشريعات، فمع طور الضعف فى بداية

الدعوة لم يكن ليأمرهم بقتال من يقاتلهم، فكان الأمر بالصبر على الإيذاء والاحتساب، حتى إذا كان طور القوة النسبية جاء الإذن بدفع القتال بالقتال، ومواجهة السلاح بالسلاح. وكذلك الشأن بالنسبة لتخليصهم من السلوكيات التى تمكنت من الناس فى الجاهلية، حيث اقتضت الحكمة الإلهية أن يسير التشريع فى تخليصهم منها على أساس التدرج، كما ترى فى الخمر والميسر اللذين تمكنا من الجاهليين، فلم يشأن أن يأتى الحكم التحريمى لهما باتا من أول الأمر، ولكنه تدرج بهم من الكشف عن أخطارها، إلى النهى عن الصلاة فى حال السكر، إلى تبيان دور الشيطان فى استغلال الخمر والميسر لإفساد الإنسان وما يلزم عن ذلك من وجوب اجتنابها. ومن هنا جاء قوله تعالى ابتداء:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ﴾ (٥).

ثم قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (٦).

ثم انتهى بهم إلى قوله تعالى:

(٤) النساء / ١٥٤.

(٦) النساء / ٤٣.

(٣) الانعام / ١٤٦.

(٥) البقرة / ٢١٩.



د. مصطفى
محمود

قلت: نعم.. ومن هنا يتبين ضرورة أن يملأ الدارس يديه من علوم اللغة، والفقه، والقرآن، والحديث؛ فلو ملأ الدكتور يديه من هذه العلوم لما وقع فريسة هذا الوهم الفتاك.

السنة النبوية بين التطبيق والتدوين

قال محدثي: على فرض التسليم معك بأن الدكتور قنصوه كان فريسة عدم التمكن من علوم القرآن، أو فريسة الوهم الناشئ عن الخطأ غير المقصود فيما ضمنه مقاله، فهل كان ذلك وراء خلطه بين جمع الحديث النبوي، وبين استنباط الأحكام الفقهية منه، أم تراك توافقه على ذلك الخلط؟

ثم واصل حديثه -في حدة-: إن هم الدكتور قنصوه أن يتلمس الحجة لموقف الدكتور مصطفى محمود بأية وسيلة، ثم لا

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَيْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿٧﴾.

والأمثلة على ذلك لا يمكن حصرها في مقال. ولتقريب أمر النسخ -بالمفهوم الإسلامي- إلى الأذهان، نذكر بما يسلك اليوم مع مدمن المخدرات من التدرج في السماح له بتعاطي جرعة صغيرة من المخدر لمدة من الزمن، ينتقل منها إلى جرعة أصغر، ثم إلى التحريم الكامل. كما نذكر بما يسلكه الطبيب مع المريض في الانتقال به من دواء إلى دواء، والتدرج بالدواء الواحد من جرعة إلى جرعة، حيث ينتهي به إلى التوقف تماما عن تناوله، فمع أن هذا المسلك البشري يماثل النسخ في المفهوم الإسلامي تقبله الدكتور وغيره، دون أن نلمس رنة سخرية من الطبيب، أو نسمع تعليقا متعكبا، بل دون أن يخالجه شك في قدرة الطبيب، وسلامة تذكره الدواء.. بل على العكس فإن ذلك يُعد من مظاهر تمكن الطبيب. واقتداره، وسعة علمه. أما مع القرآن الكريم فقد لبس إيليس الأمر على الكثيرين فتوهموا أن مثل ذلك لا يصح من الله تعالى، وهو العليم الخبير؛ لما يعنيه -في وهمهم- من خشية وصف الله تعالى بالجهل، أو بالتناقض، إذ كيف يأمر بشيء، ثم ينسخه ويلغيه؟!

قال محدثي: إذن فهذا الوهم هو الذي دفع الدكتور قنصوه إلى أن يقول: «كما أن المنطق البسيط ينكر علينا أن نعتقد أن الله يعدل عن حكم إلى آخر، وهو العليم الخبير».



اليوم قد تختلف عن رؤيته فى الغد أو فى مكان آخر، فلا يصح أن يجمع الناس على رؤية واحدة. هذا فى شأن الأحكام المستنبطة.

أما فى شأن الحديث النبوى فإن من نهضوا لجمعه كانوا خاضعين لقواعد مخصوصة استصحبوها فى أثناء التنقل وراء الرواة، ولذلك التزموا بنسبة كل حديث إلى راويه ليبرئوا ذمتهم، وليوفروا للآخرين فرصة التنقيب وراءهم والتحقيق من صدقهم، وسلامة نطقهم، وصحة إدراكهم، وقوة حفظهم... إلى غير ذلك من الشروط التى فرضوها فى قبول الرواية، حتى لقد ابتكرت علوم تمكن الباحثين من ذلك، مثل علوم الجرح والتعديل التى تبحث فى تاريخ كل رجل من رواة الحديث، وتضعه تحت منظار مكبر، تكشف من خلاله حقيقته وسجاياه، لكى يطمئنوا إلى صحة ما يروونه منسوبا إلى رسول الله ﷺ.

وهذا يعنى أن الدكتور قنصوه أخطأه الصواب حين جمع بين النشاطين عليهما معا عدم تيقنهم من ثبات ما قدموه، بينما الذين لم يكونوا متيقنين مما قدموه هم الفقهاء. أما علماء الحديث وجامعوه فلم يكونوا كذلك -على إطلاقه- خصوصا أئمة الحديث من أمثال مالك، وابن حنبل، والبخارى، ومسلم، وأبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، فقد بذلوا أقصى جهدهم فى التعرف على سلسلة الرواة الذين نسب إليهم كل حديث، مع ذكر القواعد العلمية التى التزموها فى نقد كل راو على حدة، مخلفين وراءهم ما حصلوه من الأحاديث، فاتحين بذلك باب النقد واسعا أمام كل من يملك قدرة النقد على كل المستويات

يهم ما قد ينشأ عن ذلك، ولذلك لم نجد مانعا لديه من أن يشكك - أن يتقبل التشكيك - فى صحة السنة النبوية، حتى يحقق مقصوده، فلجأ إلى أسلوب الخداع والتلاعب بالألفاظ، فخلط بين جمع الحديث النبوى وبين استنباط الأحكام الفقهية منها، ليوظف موقف الإمام مالك بن أنس مع أبى جعفر المنصور، حين طلب منه أن يصنف كتابه ميسرا موطأ فى الفقه يجمع به المسلمين على رأى واحد. فرفض الإمام مالك ذلك، وليستشهد الدكتور بذلك الموقف المالكى على أن السابقين فى جمع الأحاديث وبيان السنة لم يكونوا على يقين ثابت مما صنعوا. وبالتالي فلا يحق لأحد أن يرفض شك الدكتور مصطفى محمود أو تشكيكه فى بعض الأحاديث النبوية، مستندا إلى ما ظنه تعارضا مع القرآن الكريم.

قلت: مع رفضى هذه الحدة فى الحديث، أقول: لا تنسى أن النية محلها القلب، ولا يطلع عليها غير الله سبحانه، فإذا كنت ترفض مقولة الدكتور -وأنا أوافقك على الرفض- فلا يحق لك أن تصنع صنيع الآخرين فى الوصم بالتهم المطلقة.

إن مالك بن أنس -وليس أنس بن مالك كما جاء فى مقال الدكتور- ما رفض جمع الأحاديث النبوية، وإنما رفض أن يجمع الناس على ما استنبطه هو من أحكام فقهية استمدتها من القرآن الكريم والحديث النبوى.. وهو ما رفض مطلب المنصور إلا لأنه وغيره من الأئمة كانوا على يقين ثابت أن قدرات البشر تتباين فيما تستنبطه من الأحكام، بل إن رؤية الواحد

مسئول عن كل ما يصدر منه؛ فأنا متفق معك تماماً في ترك نوايا البشر وما تكنه ضمائرهم الخالق الجميع، فهو وحده الذى يعلم ذلك، كما أننى وأنت لا نوافق بعض المتعجلين فى إصدار الأحكام على الآخرين بالكفر أو الإلحاد أو غير ذلك من النعوت .

ولكن أأست معى فى أن ما يصدر عن هؤلاء من نعوت الكفر والإلحاد يضارعه تماماً ذلك الذى يصدر عن الآخرين مثل الدكتور قنصوه ومحدثه من أحكام ونعوت لعلماء الأزهر المتخصصين حين يؤدون دورهم الذى أناطته بهم الدولة فى نطاق الدستور الذى ينص على أن دين الدولة هو الإسلام، وأن شريعة الإسلام هى مصدر القوانين، حيث يضيق بعض الناس -على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم- بسماع صوت الإسلام أو حكمه فى أى أمر من الأمور العارضة، اذكر نحو قوله تعالى:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ
دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٨) .

قلت: يا أخى أنا متفق معك تماماً فى ذلك، خصوصاً أن أحكام هؤلاء المتصدين لعلماء الأزهر، لا تقوم على سند من الحقيقة ولا من الواقع، فهم حين يتصدون لعلماء الأزهر يجمعون كل من انتسب إلى الأزهر فى حزمة واحدة، ثم يصدرون عليها حكمهم بأنهم يمثلون رجال الكنيسة فى العصور الوسطى، بما

النقدية، من نقد الرجال -بجرحهم أو تعديلهم- ونقد النصوص، بمقابلتها بالنص القرآنى، وبما قد يوافق أو يعارض مما ينسب إلى رسول الله ﷺ .

ومع كل ذلك، فعلى التسليم بجواز أن يقع أحد المجتهدين فى الخطأ، فيأخذ الحديث من طريق معيب، فليس فى مقدور أى شخص أن يصدر فى صحة الحديث حكمه بحجة أنه مسلم حسن الإسلام، أو أنه طبيب ناجح، أو اقتصادى بارع، أو سياسى محنك، وإنما لذلك الدور رجاله المتخصصون الذين يتقنون نقد الكلام، والتعرف على صحاحه من مكذوبه أو ملفقه، بحيث يستطيع أن يعيد النظر فيما رواه هؤلاء الأئمة الذين أخلصوا أنفسهم للتنقيب وراء الصحيح من حديثه ﷺ، سواء كان ذلك الناظر دكتوراً أو غير دكتور، حتى لو كان هذا الدكتور هو مصطفى محمود، أو صلاح قنصوه .

أى إنه على من يتصدى اليوم -أو أمس أو غدا- لنقد الحديث النبوى أن يملأ يديه من العلوم المؤهلة لنقد الحديث؛ فالنقد فى هذا الميدان شأنه شأن النقد فى الميادين الأخرى -من علوم طبية، واجتماعية، وفلسفية، وسياسية، واقتصادية- يتطلب من الناقد أن يملأ يديه من العلوم المؤهلة لنقد ما يتوجه لنقده .

الخطيبين عالم الدين ورجل الدين

قال محدثى: إن ما دفعنى إلى ما لاحظته على من الحدة هو علمى أن مثل الدكتور قنصوه



كما يوضح ذلك قانون الأزهر ومؤسساته وكما يقرره الواقع الماثل. وما كان على الدكتور قنصوة ومحدثه إلا أن يرجع إلى تلك المصادر ليعرف الحقيقة.

٣- ومغمضين أعينهم -ثالثا- عن الفرق بين الفتوى، والحكم القاضى، والفعل النافذ، حيث خلطوا بين هذه كلها عندما يستفتى مجمع البحوث، أو غيره من المتخصصين فى علوم الدين؛ فما يقبلونه فى ميدان الطب مثلاً عندما تثور الشبهات أو الشكوك فى مصاب المريض، فيلجأون إلى جمع من نطس الأطباء ليقوموا بفحص المريض، ثم يدلى كل واحد بدلو، ليصلوا إلى رأى قريب من الصواب.

فما يقبلونه فى هذه الميادين يرفضونه فى ميدان علوم الدين، بل يخيل لهم الوهم أن تلك الفتوى فى العلوم الدينية تعنى وصاية من نستفتيهم، أو تعنى العود إلى استبداد رجال الكهنوت الذى سيطر على أوروبا جميعها فى العصور الوسطى.

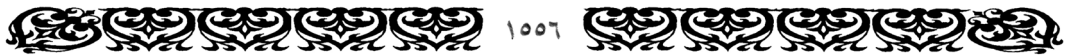
وهنا قاطعنى محدثى قائلاً: وبم تنعت ذلك منهم؟

قلت: هى الغفلة أو الوهم، أو التقصير فى البحث والنظر.. من كل ما يحتاج منا إلى التبصير والتبيان الكاشف، والدعاء الخالص أن يبصرنا الله ويبصرهم بالحق، ويهدينا ويهديهم سواء السبيل.

كان لهم من دور غاشم يقبضون به على شتى مناحى الحياة فى البلاد، حتى الملوك والأباطرة.

١- مغمضين أعينهم أولاً عن أن علماء الأزهر ليسوا كلهم على مستوى واحد من العلم؛ فهم درجات فى تمكنهم العلمى، كالشأن فى غيرهم من دارسى فروع العلم المختلفة، إذ ليس جميع من تخرجوا فى كلية الطب على مستوى واحد، ولا مستوى متقارب، وكذلك دارسوا التجارة، والهندسة، والصيدلة.. إلخ؛ فمنهم من يقف عند حدود السطح، ومنهم من يتعمق بعض الشيء، ومنهم من يصل به التعمق العلمى إلى درجة التخصص الدقيق، فيصبح مؤهلاً لأن يرجع إليه عند الحاجة إلى بيان أو فتوى... ومن هنا نراهم يسارعون إلى رفض السعى لمعرفة رأى الإسلام فى أمر ما، بحجة أن من بين خريجي الأزهر من يكفرون الآخرين، ويحاسبونهم على نواياهم؛ فكانوا مثل ذلك الرجل الساذج الذى أضير من خطأ طبيب ممارس، فانطلق يصب لعناته على كل من ينتسب إلى مهنة الطب، ويحذر الناس من الرجوع إلى طبيب.

٢- ومغمضين أعينهم -ثانياً- عن أن مجمع البحوث الإسلامية ليس مقصوداً على النخبة من علماء الأزهر، ولكنه مكون من متخصصين من العلماء فى شتى وجوه المعرفة: من طب، وهندسة، واقتصاد، وفلسفة، واجتماع، وقانون، إلى جانب جمع من علماء الإسلام على اختلاف انتماءاتهم، وليس من الأزهر وحده





كارل بروكلمان وبحوثه عن الإسلام

للمستأذ الدكتور / مصطفى رجب



ومن دافعوا عن المستشرقين بحماس، وإذا أشاروا إلى تعصبهم أشاروا إشارة هينة لينه، المؤرخ الراحل الدكتور حسين مؤنس وفيما يلي نقتبس فقرة تعكس النموذج الذي يمثل موقفه من المستشرقين، يقول د. حسين مؤنس: [مجلة العربي الكويتية، العدد ٦٦، مايو ١٩٦٤] «فمنذ زمن بعيد ونفر ممن لا يقرأون الكتب الغربية في لغاتها يصرون على أن كل ما كتبه المستشرقون عنا تحامل وعصبية، حتى ثبت في أذهان بعض قرائهم أن كل مستشرق عدو.

وهذه فكرة خاطئة، فإن الكثيرين جدا من المستشرقين منصفون، وقد قالوا الحق كما تصوره.

حقيقة هناك ناس متحاملون من أمثال لويس استبرنجر وهنري لامانس والأب زويمر ومن إليهم، ولكن إلى جانب هؤلاء هناك علماء أجلاء لا يستطيع الإنسان إلا تقديرهم واحترامهم، وإذا وجد المسلم في كتاباتهم ما لا يرضيه فليس من الضروري أن يكون ذلك صادراً عن سوء نية، بل هذا هو الحق كما رآه، وما دام قد صدر فيما يكتبه عن إخلاص فنحن نحترم رأيه وإن لم يرضنا».

فانظر إلى الدكتور مؤنس كيف يهون من شأن مغالطاتهم ويصفها بأنها «قد لا ترضينا» ثم يستأنف إشادته بهم فيقول: «ولا ننسى كذلك أن أولئك المستشرقين خدموا لغتنا وعلومنا خدمات جليلة، ويكفي أننا تعلمنا منهم تحقيق النصوص ونشرها، وطريقة البحث العلمي الصحيح على أساس

ينقسم العرب حين يتحدثون عن المستشرقين عادة ثلاثة أقسام: قسم واضح في عداوته للمستشرقين والخط من قدرهم والإزاء بما أنتجوا من مؤلفات تتصل بتراث المسلمين. وقسم ثان فخور بهم يثنى خيراً على ما أسدوه من خدمات، ويدافع عنهم بحماسة واضحة. وقسم ثالث يصطنع لنفسه الموضوعية والحياد. فهو معهم ما أحسنوا، وهو ضدهم إذا بدا لهم منهم ما يريبه.

ولست أشك في أن أسباب كل موقف من هذه المواقف الثلاثة أسباب انفعالية عاطفية، حتى الفريق الثالث الذي يريد أن يوحي لنا بأنه متعقل يزن الأمور بميزان العدل والحيادة، ليس في نظرنا سوى إنسان يريد أن يحاكم إنتاج الآخرين على حسب ما يراه هو صواباً أو خطأً. ثم إن هذا الفريق الثالث يمثل في رأينا نوعاً من التميع والضبائية ورمادية الرؤية وامعية الفكر. وإنما الموقف الصحيح في رأينا أن يكون للمسلم موقف صارم حازم حاسم واضح، إما معهم أو عليهم. أن نقبل كل ما يكتبون، أو نشك في كل ما يكتبون ونعلوه بمعاول النقد العلمي الصريح الذي لا مداراة فيه.



عن النسيان وتبرير السهو، أما إذا قلت «كل» المؤلفين فقد ألزمت نفسك بالإحصاء الشامل وأقفلت على نفسك باب الاعتذار والتبرير».

وبعد أن لخص الدكتور مؤنس لقارئه حياة بروكلمان انتقل للحديث عن كتابه الخطير (تاريخ الآداب العربية) فأوسعته إشادة وتقريظا وحمدا ومدحا. ولم يبد أية ملاحظة تغض من قدر الكتاب على رغم ما فيه من مطاعن اتضحت فيما بعد للدارسين المنصفين.

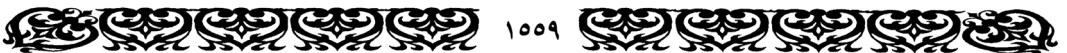
على أن حديثنا في السطور القادمة لن يتجه إلى كتاب بروكلمان الضخم (تاريخ الآداب العربية) وإنما سنخصصه لكتاب آخر لا يقل خطرا عن تاريخ الأدب العربي وهو كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) وهو كتاب شديد الخطر حقا، لأسباب كثيرة منها ما يمثله مؤلفه من مكانة مرموقة كما أشرنا آنفا، ومنها ضخامة حجم هذا الكتاب فطبعته العربية التي بين يدي الآن تقع في نحو تسعمائة (٩٠٠) صفحة وهي الطبعة الثانية عشرة منذ الطبعة الأولى التي صدرت عام ١٩٤٨. وقد نقله إلى العربية الأستاذان نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي ونشرته دار العلم للملايين (البيروتية).

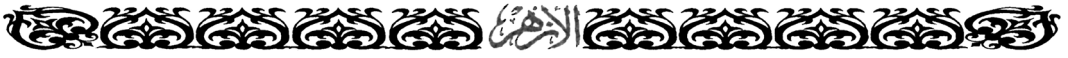
وقد أشار المترجمان في مقدمة الطبعة الأولى إلى ما يمثله الكتاب من أهمية متجها نهج د. مؤنس في رفع شأن الكتاب وصاحبه، ثم قالوا وهما يهونان من شأن دسائس بروكلمان بأسلوب فيه لين واسترخاء:

من النصوص، ومهما كان في آرائهم مما لا يرضينا فهي آراء لا تنقص من قيمة الخدمة التي قاموا ويقومون بها».

وإذا أمعنا في البحث عن رأى الدكتور مؤنس في كارل بروكلمان شخصا بوصفه واحدا من أهم المستشرقين الذين لقيت أعمالهم رواجاً عظيماً بين المثقفين العرب على اختلاف مشاربهم، وجدنا له مقالا كاملا اختص به كارل بروكلمان ونشره في مجلة العربي الكويتية أيضا (العدد ١٣٩ الصادر في يونيو ١٩٧٠) وقد قدم لهذا المقال على مدى صفحتين موجزا لرؤيته التي أشرنا إليها من المستشرقين بعامة. ثم انتقل إلى الحديث عن بروكلمان وموقعه بين المستشرقين فقال:

«وفي مقدمة أولئك الأفاضل الذين قدموا للدراسات العربية في العالم أجل الخدمات كارل بروكلمان Carl Brocklman الذي أكمل سلسلة معاجم أسماء الكتب والمؤلفين العرب وتراجم حياتهم وأهم مؤلفاتهم. لقد اشترك في كتابة هذه السلسلة أعلام من أمثال ابن خلكان وياقوت الحموي وابن النديم وحاجي خليفة، ثم جاء هذا الألماني الفريد فأربى على كل ما فعله غيره، فإن أولئك الذين ذكرناهم آنفا كتبوا عن أهم «المؤلفين والمؤلفات»، فجاء بروكلمان وكتب عن «كل» المؤلفين والمؤلفات، أى أنه عمد إلى الاستيفاء والشمول، وهذا هو المطلب العسير، لأنك إذا قلت إنك ستذكر «أهم» المؤلفين فتحت لنفسك بابا واسعا للاعتذار





- التشكيك في المكانة الاجتماعية

للهاشميين:

من المسلم به بين المؤرخين -عربا وعجماء- أن زعامة قريش قبيل البعثة المحمدية كانت لبني هاشم بعد محاكمة شهيرة قضى فيها كاهن خزاعي لهاشم [واسمه عمرو العلاء] بسدانة الكعبة بعد أن نازعه إياها أمية بن عبد شمس ابن أخى هاشم الذى خرج إلى بلاد الشام ثم لابنه عبدالمطلب من بعده، ولا يخفى على أحد أن تلك المهمة كانت هى موئل الشرف، وسر الزعامة التى انعقدت للهاشميين.

تلك حقائق لا ينكرها إلا من كان فى قلبه مرض أو فى نفسه غرض، فما موقف بروكلمان من تلك الحقيقة التاريخية؟

إنه يقول فى كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) (ص ٣٤) : « وليس يبدو أن عشيرة، هاشم، قد لعبت دوراً على شىء من الامتياز فى مكة » وهل هناك امتياز فى عرف العرب، أيها المستشرق المنصف!! أكبر من سدانة الكعبة؟

وقد قال بروكلمان كلمته تلك فى سياق فقرة طويلة شكك فيها فى كل شىء: فى تاريخ ميلاد النبى ﷺ حيث رجح تأخره عما هو معروف لدى المؤرخين من أن مولده الشريف كان نحو عام ٥٧٠ من ميلاد المسيح عليه السلام. متبعاً فى ذلك سنن الأب هنرى لامنس المعروف بتعصبه وقد رد عليه العلامة عمر فروخ فى تعليقه على هذه النقطة فقال:

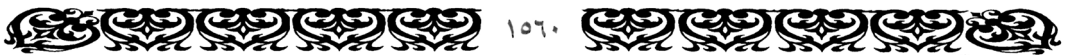
« وإذا كان فى الكتاب بضعة آراء [لاحظ

استخدام: بضعة] خاصة بالمؤلف تتنافى أحياناً [لاحظ استعمال: أحياناً] مع وجهة النظر الإسلامية، فقد عهدنا بالتعليق عليها إلى زميلنا الدكتور عمر فروخ أستاذ الفلسفة فى كلية المقاصد الإسلامية فى بيروت.. ولسنا فى حاجة إلى القول إن هذا لا يفيد، بالضرورة، موافقتنا المؤلف على آرائه الباقية جميعاً. لأننا لم نستهدف بالتعليق إلا تلك الآراء التى تتصل بحياة الرسول ﷺ وتعاليم الإسلام ».

وقد ظن العربان الفاضلان أنهما بهذا النص الهين اللين قد ضمنا براءة ساحتهم من موافقة المؤلف إذا جد الجد، ووضح أن المؤلف يدس السم فى الدسم، كما أنهما أوضحا أن اهتمامهما بأمر المراجعة التى وكلاها إلى الدكتور عمر فروخ، قد انصب على حياة الرسول ﷺ وتعاليم الإسلام.

والواقع أن فى الكتاب مآخذ شديدة الخطر، لا نزع أن الدكتور عمر فروخ لم يلتفت إليها، ولكن بقاءها فى الكتاب إلى اليوم على حالها دون تعليق، أمر يستثير حفيظة كل مسلم غيور، من الباحثين المدققين.

وفيما يلى سنذكر مجرد نماذج مما نرى أنه مطاعن لا يسوغ السكوت أمامها. فقد يؤخذ بها أشباه الباحثين من الأجيال الجديدة من طلاب العلم ويتقبلونها على علاتها دون تمحيص لا لشيء إلا لأنها صادرة عن (طوطم) كبير اسمه: كارل بروكلمان.





تزوير التاريخ

وفى حديثه عن غزوة تبوك يتعمد بروكلمان تزوير التاريخ فيقول فى سفه ظاهر: « ولم يقدر محمد نفسه أن يخوض غمرات القتال من جديد إلا مرة واحد . وذلك بأن الهزيمة التى أنزلها البيزنطيون بجيوشه، فى مؤتة، ظلت على كل حال بلا ثار . ومن هنا أمر أصحابه، فى أشد أيام الصيف قيظا من سنة ٦٣٠، بأن يحملوا على البيزنطيين . ولسنا نعرف على اليقين ما الذى دعاه إلى انتهاج هذه السبيل فى ذلك الوقت بالذات . فقد يكون قصد إلى أن يشغل أتباعه المدنيين الذين كانوا لا يزالون فى حال من عدم الارتياح بعد توزيع غنائم حنين . ولعله كان يرجو إخضاع ما بقى من نصارى العرب، الذين كانت بيزنطة من ورائهم، تمدهم وتساندهم . ثم إنه خرج بجيش عظيم يبلغ عدد رجاله ثلاثين ألفا ووجهته الشمال، حتى إذا بلغ تبوك، وهى واحة تزهو بما ينبت فيها من حنطة ونخيل، قرب الحدود البيزنطية، توقف بعد أن نال منه الجهد، واستشعر وطأة السن العالية، ولعله اقتنع بأن خطته للهجوم على الروم أمست غير ذات غناء . وهناك جاءه صاحب « أيلة » (العقبة اليوم) عند الطرف الشمالى الشرقى، من جانب البحر الأحمر الأيمن، وكان نصرانيا، فأقسم له يمين الطاعة، فمنح الرسول نصارى تلك المنطقة حرية العبادة أيضا مقابل تعهدهم بأداء الجزية . وفى النص السابق عدة مغالطات سخيفة :

« كانت ولادة محمد رسول الله عام ٥٧٠ - ٥٧١ للميلاد على وجه التقريب ولكن لم تكن بعد ذلك بزمان طويل . والأب هنرى لامنس اليسوعى قد حاول أن يؤخر ذلك عشر سنوات حتى ينقض القول الشرعى الذى يقول إن محمدا بعث على رأس الأربعين من عمره ويخرج إلى القول إنه ما دام الأنبياء يبعثون على رأس الأربعين ومحمد قد صدع بالدعوة على رأس الثلاثين فمحمد ليس نبيا . ولامنس غير ثقة فى البحوث الإسلامية لأن غايته الدس لا البحث عن الحقيقة . ويلام بروكلمان على الأخذ برأى لامنس، فلامنس معروف فى أوربا بهذه النزعة » .

كما شكك فى الحالة المالية لعبد الله بن عبدالمطلب وفى حالة أسرته بوجه عام دون أن يسوق على ذلك دليلا واحد، وفيما يلى نص فقرته :

« لسنا نعلم علم اليقين السنة التى ولد فيها النبى، والمشهور أن ولادته كانت حوالى ٥٧٠، ولكن الذى لاشك فيه أنها متأخرة عن ذلك بعض الشيء، وليس يبدو أن عشيرته هاشم، قد لعبت دورا على شىء من الامتياز فى مكة . والواقع أن الروايات الإسلامية قد سعت إلى أن تحيط النبى بهالة من التمجيد منذ اللحظة الأولى، ولكن هذا لا ينفى حقيقة مقررة . وهى أن أسرته كانت تعاني فى الحقبه التى ولد فيها ظروفًا قاسية جدا . والمعتقد أن والده عبد الله بن عبدالمطلب كان تاجرا صغيرا » .



معظم معاركه فى جزيرة العرب. فأدركوا الخطر وآثروا الانسحاب من مواقفهم واعتصموا بحصونهم. فتوقف الجيش عن مسيرته وأقاموا فى تبوك وبدأت قبائل النصارى تأتى لرسول الله ﷺ فتعقد معاهدات السلام والجزية.

كل ماسبق كما قلنا فى المقدمة، مجرد نماذج لما فى هذا الكتاب الخطير من مزالق تحتاج إلى جهود مكثفة من علماء المسلمين لتجليتها بالحق، هذا من جهة، وتحتاج من دار النشر التى نشرت اثنى عشرة طبعة من هذا الكتاب من سنة ١٩٤٨ إلى اليوم إلى أن تنشر طبعة محققة معلقة عليها تعليقات وافية كافية شافية. هذا وبالله التوفيق.

مراجع المقال:

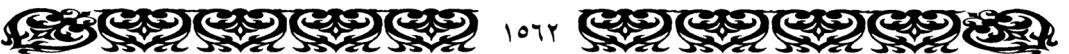
- ١- د. حسين مؤنس، مقال بمجلة العربى الكويتية، العدد ٦٦، مايو ١٩٤٦.
- ٢- د. حسين مؤنس، مقال بمجلة العربى الكويتية العدد ١٣٩ الصادر فى يونيو ١٩٧٠.
- ٣- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط ١٢، بيروت، دار العلم للملايين.
- ٤- د. مصطفى رجب، فيض المنان فى علوم القرآن، ط ١، القاهرة: المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٠م.
- ٥- هاشم معروف الحسنى، سيرة المصطفى، بيروت: دار المعارف للمطبوعات، ١٩٩٦م.

أ- فقد خاض رسول الله ﷺ بنفسه غمرات القتال مرات عديدة. وليس مرة واحدة.

ب- وقوله: «ولسنا نعرف على وجه اليقين ما الذى دعاه إلى انتهاج هذه السبيل» -يعنى بذلك مسيرته إلى تبوك- فلا يخفى عليه، وهو المتخصص فى تاريخ العرب، أن أنباء كثيرة وصلت إلى المدينة بأن البيزنطيين يحشدون الحشود لغزو المسلمين فى المدينة. فكان لابد من الخروج لمقابلتهم على حدود الجزيرة الشمالية. وهو ما أجمع عليه مؤرخو السيرة فكيف جهله بروكلمان؟ أم تراه تجاهله عمدا ليظهر البيزنطيين كما لو كانوا ضحايا لغزو خارجي؟

ج- وقوله «أتباعه المدنيين الذين كانوا لا يزالون فى حال من عدم الارتياح بعد توزيع غنائم حنين» فيه مغالطة تاريخية كبيرة فبعد أن اجتمع الرسول ﷺ بالأنصار فخطب فيهم خطبته الشهيرة التى ورد فيها رضاهم برسول الله ﷺ بدلا من الغنائم ارتاحت نفوسهم واقتنعوا بما قسم الله لهم من الغنائم، حتى لقد بكوا وتأثروا وكادوا ينزلون عما نالوه إرضاء للرسول ﷺ.

د- وقوله «توقف بعد أن نال منه الجهد واستشعر وطأة السن العالية» هذه العبارة وما بعدها فيها إساءة بالغة متعمدة، فالرسول ﷺ لم يتوقف لما ناله من مشقة ولا لكبر السن، وإنما توقف لأن أخباره كانت قد وصلت إلى الروم قبل أن تصل جيوشه إلى تبوك كما بلغت الروم أخبار انتصاراته فى



في نقد سيرة ابن إسحاق / ابن هشام رد على الدكتور إبراهيم عوضين

للدكتور / محمود على مراد

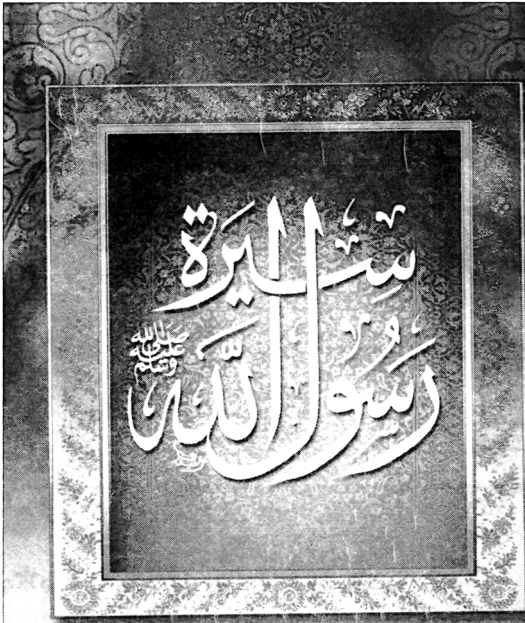
يقرر الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين في مقاله الصادر بعدد جمادى الأولى ١٤٢٢ من هذه المجلة الغراء أنني أردت برسالة الدكتوراه التي قدمتها إلى جامعة السوربون بفرنسا في تحليل ونقد نص الفترة المكية من سيرة ابن إسحاق / ابن هشام، أن أهدم السيرة النبوية. وهو يورد في الوقت ذاته ما ذكرته في رسالتي من أن نص ابن إسحاق يصور الرسول ﷺ من البداية إلى النهاية، على أنه رجل ليس ذا حيثية. ولو فكر الدكتور قليلاً لوجد أن من يتهم كاتباً بأنه غرض من قدر الرسول ﷺ لا يمكن أن يكون غرضه الإساءة إلى نبي الإسلام أو هدم سيرته.

خـلـط أسـاسـي

١- لاختلاف الشيعة في الطبيعة، فالسيرة النبوية حدث تاريخي وموضوع، أما سيرة ابن إسحاق، فكتاب كُتِبَ عن هذا الموضوع.
٢- هناك أكثر من ألف كتاب ألفها كُتَّاب مسلمون وغير مسلمين، بالعربية وبلغات أخرى، عن حياة الرسول - ﷺ - ولم يدَّع أحد أن أحدها، أو أن سيرة ابن إسحاق، هي السيرة النبوية.

وواضح من عبارة د. عوضين أنه يطابق في قوله هذا بين سيرة ابن إسحاق وبين السيرة النبوية، فسيرة ابن إسحاق عنده هي السيرة النبوية، والسيرة النبوية هي سيرة ابن إسحاق. ولكن هذه المطابقة في غير محلها، وذلك للأسباب الآتية:

(*) ورد إلى المجلة من الدكتور محمود على مراد مقالان للرد على الدكتور إبراهيم عوضين، وسوف ننشرهما تباعاً إيماناً بحرية الكلمة.



د. محمود علي مراد

أنا والمستشرقين

يزعم الأستاذ الدكتور أن من يتحینون الفرص للانقضاض على الإسلام، والانتقاص منه ومن رسوله محمد ﷺ أغروني بنقد سيرة ابن إسحاق، وأن رسالتي هي الثمن الذي قدمته لاستحقاق درجة الدكتوراه، حتى يخلو الجولي ولأساتذتي المستشرقين كي نصطنع السيرة التي نرضاها والتي تحقق لنا المراد من مسح الحقائق وتزييف الواقع لنشين الإسلام ونشوه صورة رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه.

٣- الدكتور ذاته يقول: إنه لا يدفع عن ابن إسحاق احتمال الخطأ ويقر بأن كل جهد بشري يحتمل الخطأ والصواب. وقد ضرب الدكتور إبراهيم عوض، صاحب كتاب «إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية» الذي أشار إليه د. عوضين، أكثر من مثل على أخطاء ابن إسحاق، ولو كانت سيرة ابن إسحاق هي السيرة النبوية لما تحدثنا عن خطأ أو أخطاء فيها.

٤- الذين كتبوا في السيرة النبوية على مرّ القرون، لم يأخذوا كل ما جاء في سيرة ابن إسحاق قضية مسلمة، وكثير منهم لم يستقوا منها في كتبهم سوى عنصر واحد هو السرد التاريخي، أما العنصران الآخران، أي الشعر وشرح الاقتباسات القرآنية، فقد أغفلوها أو أغفلوا جانباً صغيراً أو كبيراً منهما.

٥- حتى بالنسبة لعنصر السرد التاريخي، لا يكاد يكون هناك كاتب واحد للسيرة أخذ بكل ما قاله ابن إسحاق.

٦- ابن هشام، الذي راجع هذه السيرة، والذي تحمل السيرة اسمه، أعمل فيها يد الحذف والتصحيح، كما ذكر في تقديمه لها.

٧- هذه السيرة، وإن لم يُفرد لنقدها كتاب واحد حتى الآن، سواء في العالم الإسلامي، أو في الغرب، لم تخل من نقد، سواء بأقلام المستشرقين أو بأقلام الكتّاب العرب والمسلمين.

كتابه بعنوان «الإسلام والغرب» من أن المواد التي تتضمنها مصادر السيرة الأولى، ومنها سيرة ابن هشام، استخدمت، كما هي أو بعد تحويلها، لإعطاء صورة ممسوخة عن محمد ودينه.

لذلك فإن من يهدم سيرة ابن إسحاق لا يمكن أن يكون من أعوان خصوم محمد ﷺ أو من عملاءهم، إذ أنه بهذا التشكيك يسحب البساط من تحت أقدامهم، كما تقول العبارة الفرنسية، ويحرمهم من الأساس الذي بنوا عليه مطاعنهم، وهو يقف حيالهم، من ثم، في موقف العدو لا في موقف الصديق أو الحليف.

أهم ما في الرسالة

أهم شيء في رسالتي هو ما ذكرته تحت رقم (١) من محصلتها العامة، وما قلت فيه، مع الاختصار (١):

«سيرة رسول الله لابن إسحاق / ابن هشام» على الرغم من عنوانها ومن قصد مؤلفها المعلن، ليست في جزئها المكى، سيرة للرسول ﷺ وذلك للأسباب الآتية:

أ- هي لم تخصص للقرآن الكريم مكاناً مركزياً في وصف حياة الرسول - ﷺ .

ب- الرسول ﷺ لا يظهر في هذه السيرة وهو يتحدث أو يدعو الناس إلى دينه.

ج- هذه السيرة لا تصور الرسول بأبعاده

وهذا كلام خطير، وكان بودى أن أرد على هذه الاتهامات التي تمسني وتمس الأستاذ الذي أشرف على رسالتي، ولكنني أجد نفسي أمام حكم بالإدانة بلا حيثيات.

لذلك فإنني أناشد الدكتور عوضين، وأناشده بالجاح، لكي أتمكن من الرد عليه، أن يكتب مقالاً أو مقالين أو أكثر يعقد فيها مقارنات بين ما كتبه هؤلاء المستشرقون أعداء الإسلام، وبين الاستنتاجات التي وردت في رسالتي، ليثبت أنني صنيعة لهم، أو أنني جزء من مخططهم للكيد للإسلام، أو أنني متأثر بأفكارهم.

وإلى أن يثبت الدكتور ذلك بالحجة والبرهان، فإنني أود أن أوضح أن أعداء الإسلام من المستشرقين يعتمدون في هجومهم على الرسول ﷺ على ما ورد بشأنه في المصادر الإسلامية، وفي مقدمتها سيرة ابن إسحاق، وأنهم، شأنهم في ذلك شأن المستشرقين الذين لا يعادون الإسلام، وشأن كُتّاب السيرة المسلمين، وهم لا يشككون في صدق هذه المصادر إلا بالقدر الذي بينته في الصفحتين ٦ و ٧ من كتابي، وإن كانوا يؤولون ما فيهما من أخبار تأويلاً ينال من اعتبار الرسول ﷺ وقد أشرت إلى ذلك في مقال لي عن سيرة ابن إسحاق في عدد يناير ١٩٩٨ من مجلة الهلال، استشهدت فيه بما ذكره المستشرق الإنجليزي نورمان دانييل في

(١) كتابي بعنوان «سيرة رسول الله ﷺ (لابن إسحاق/ ابن هشام) الفترة المكية، دار الهلال: ص ٥٠١».

ومحمد شهاب الزهرى، وابن حزم الظاهرى، الذين قالوا ما قاله ابن إسحاق ولا يمكن اتهامهم بمبالاة العباسيين، لأجعل من ابن إسحاق كبش الفداء الذى أحقق بذبحه ما قصدت إليه ابتداء من نفس السيرة النبوية.. (وهذه ملحوظات سأناقشها فى مقال لاحق بإذن الله).

قلة حديث الفترة المكية

ينتقل الدكتور عوضين، فى عرض كتابى، من آخره.. أى المبحث الذى خصصته للمحصلة العامة.. إلى أوله، أى «التمهيد»، الذى شرحت فيه السمات الغربية التى لاحظتها فى كتب السيرة الحديثة، والتى وجدت أنها ترجع إلى سيرة ابن إسحاق. وكان من هذه السمات، قلة مادة الفترة المكية، التى لا يمثل عدد صفحاتها، فى سيرة ابن إسحاق إلا خمس عدد صفحات الجزء المخصص للفترة المدنية.

ويلقى الدكتور على ملاحظتى فى هذا الشأن، تحت عنوان: «بين الكم والكيف»، فى مقاله، بأن عدد الصفحات لم يكن - ولن يكون - معيار الصدق والكذب، ولا دليل الصواب والخطأ، ولا مناط الإنصاف وعدم الإنصاف، وأن المهم هو أن نوازن بين ما تضمنته المرحلتان من أحداث تتعلق بالرسول ﷺ وأن المرحلة المكية كانت مرحلة الميلاد والنشأة والمبعث والدعوة إلى الإسلام، والأحداث التى واكبت ذلك، بينما كانت

الحقيقية، «لقد أصبح الرسول ﷺ بفضل القرآن الكريم، أهم وأبرز شخصية فى مكة وفى بلاد العرب كلها، وكانت عظمتها تكبر وتزداد بتوالى نزول السور، وبتوسع دائرة تابعيه. ومع ذلك فإن النص يصوره، من البداية إلى النهاية على أنه رجل ليس ذا حيثية».

وكان المنتظر من تولى عرض مادة كتابى أن يفرد لهذا رأى فى عرضه مكاناً يتفق وأهميته، ولكن الأستاذ الناقد اكتفى بنقل جملته الأخيرة.

وكان المنتظر أيضاً ممن يتهمنى بتشويه صورة الرسول أن يضع إصبعه على مكان هذا التشويه فيما ذكرته فى هذه المحصلة أو فى غيرها.. ولكنه لم يفعل. وأهم من هذه النقطة الأساسية، فى رأيه، نقطة فرعية وردت تحت رقم (٢) من محصلتى العامة قلت فيها: إن سيرة ابن إسحاق، فى جزئها المكى، إنما هى فى واقع الأمر، كتاب دعاية، كُتِبَ تمجيذاً لبنى هاشم، قبيلة الخليفة العباسى وقتها.

ولم يقف الدكتور عند هذه النقطة ليجادلنى فى الأسباب التى استندت إليها بشأنها، والتى فصلتها فى بحثى طولاً وعرضاً، ولكن ليقرر، تحت عنوان «ويمكرون ويمكر الله» أننى لو تجردت من الغرض الشخصى والاستسلام الخانع لما ادعاه أحد المستشرقين - وهو، بالمناسبة، مستشرق لم أقرأ له شيئاً ولا أوردته فى قائمة مراجعى - لما اتهمت ابن إسحاق بمبالاة العباسيين، وليقرر أننى تعمدت تجاهل كتابات عروة بن الزبير،



سلطانها عليه، وتخلق إخوة تعلو على إخوة القبيلة، هي الإخوة في الله والإسلام» .

٣- كان نزول القرآن الكريم أهم أحداث مكة على مستوى الأفراد أيضاً، لأن آياته كانت تضع كل من تبلغه أمام خيار صعب لا مهرب منه : الإيمان بدين محمد ﷺ والتعرض لما يترتب على ذلك من مخاطر إزاء القبيلة، مقابل دخول الجنة بعد الموت، أو الكفر بهذا الدين، والحرص على السلامة في الدنيا، والتعرض لدخول النار في الآخرة .

والحاصل أن سيرة ابن إسحاق لم تقل شيئاً عن تأثير القرآن في أسس المجتمع أو في حياة الأفراد في مكة .

٤- أهم الأحداث في حياة الرسول ﷺ العامة، بعد نزول القرآن الكريم، كان النهوض بأعباء الرسالة التي بُعث لإبلاغها للناس، أي الدعوة إلى دين الله، وتنظيم شؤونها، وتوزيع مهامها على أصحابه، ومواجهة الإجراءات التي كانت قريش تتخذها لمحاربة المسلمين في مجموعهم، واضطهاد المسلمين على يد قبائلهم . والحاصل هنا أيضاً، أن ابن إسحاق لم يقل شيئاً عن نشاط الرسول والصحابة في نشر الدعوة، وعن سيرها وتنظيمها ومراحلها، وما صادفته من نجاح أو فشل .

السلام والحرب .. ومحمد (ﷺ)

تحت هذا العنوان يقول د . عوضين إني زعمت - متأثراً ببعض المستشرقين والصلبيين - أن رسول الله ﷺ كان رسول حرب، فظننت

المرحلة المدنية مرحلة الانتشار الشامل والمواجهة العامة، وأن اهتمام الرواة بالنشأة دائماً أقل بكثير من اهتمامهم بما يلي النشأة من أحداث متشابكة .

وليسمح لي الدكتور بمخالفته في هذا الرأي، وذلك للأسباب الآتية :

١- أهم أحداث الفترتين في حياة الرسول ﷺ ليس شيئاً مما يذكره الدكتور، وإنما هو نزول سور القرآن الكريم . وإذا كان ما نزل من هذه السور في الفترة المكية يتراوح - حسب التقديرات - بين ضعف وثلاثة أمثال ما نزل في الفترة المدنية، فإن هذا المعيار هو الذي ينبغي الركون إليه، في نظري، لتحديد أهمية كل فترة من الفترتين بالنسبة للآخرى، علماً بأن الفترة المكية كانت أيضاً أطول - زمنياً - من الفترة المدنية بثلاث سنوات .

٢- كان القرآن الكريم، في واقع الأمر، حدث الأحداث في مكة، وكان كما قلت في كتابي : « أشبه بزلزال مستمر هز كل الأسس التي كان يقوم عليها المجتمع المكي، سواء في ذلك الأساس العقائدي، أي ديانة الجاهلية، بآلهتها، وأوثانها، وخرافاتهما، وكهنتهن . . أو الأساس الاقتصادي، لخشية قريش أن يترتب على انهيار هذه الديانة إهدار لمركز مكة باعتبارها مقصد الحجاج، والمعتزين، وضياع المكاسب المادية والتجارية والمعنوية التي كانت تعود على قريش من ذلك، أو الأساس الاجتماعي . . لأن مبادئ الإسلام تضعف انتماء من يعتنقه إلى قبيلته، وتحد من



تشغل الرسول، وأن فقرات القرآن الكريم التي انصبت على القتال لا تشكل إلا جانباً صغيراً من القرآن الذي نزل في الفترة المذكورة. وقلت أيضاً، تحت (٢) من المحصلة العامة أن سيرة ابن إسحاق، لا سيما في الفترة الخامسة، أى في السنتين الأخيرتين من الفترة المكية، تصور العقلية العسكرية للقرن الذي كتبت خلاله.

وقد قلت أيضاً في «التمهيد» وفي عدة مواضع من كتابي: إن ابن إسحاق لم يخصص إلا حيزاً ضئيلاً من حديث الفترة المكية لحالات الاضطهاد ولإجراءات القمع التي اتخذتها قريش ضد المسلمين.

والدكتور عوضين يخالفني في هذا ويقول: إن قريشاً - طبقاً لابن إسحاق - أعلنتها - في مكة - حرباً يواجهون بها محمداً ﷺ وأتباعه بالتعذيب والتسفيه، والسب، والدعوة المضادة، والحصار، إلى غير ذلك من وسائل الحرب ومظاهرها.

ولى على هذا القول ملاحظتان:

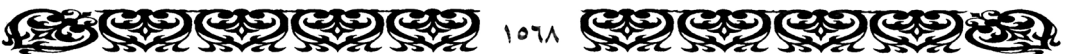
- فإن ابن إسحاق لم يقل أبداً إن قريشاً واجهت محمداً ﷺ بالتعذيب، بل فرّق بين معاملة قريش للرسول ومعاملتهم للمسلمين، وجعل أبرز سمة من سمات الفترة المكية، حتى وفاة أبي طالب، أن رسول الله ﷺ لم يتعرض بفضل حماية عمه، ومن ورائه قبيلته، لما تعرض له المسلمون من اضطهاد وتعذيب.

- كذلك لم يقل ابن إسحاق إن أى قبيلة من قبائل المسلمين تعرضت للحصار كما تعرض له بنو عبد المطلب وبنو هاشم، وذلك

أن المرحلة المكية كانت مرحلة سلام، وأن المرحلة المدنية كانت - وحدها - رحلة حرب، طبقاً لمؤلف السيرة، واستشهد في هذا الصدد بما قلته في الصفحتين ٣٩٤ و ٤٢٥ من كتابي.

وقد أساء الدكتور فهم كلامي. والذي ذكرته في ص ٣٩٤، بصدد عبارة « فلما أراد الله - عز وجل - إظهار دينه » التي استهل بها النص أول لقاء بين الرسول ﷺ ومجموعة الخزرج الستة، هو أن ابن إسحاق لم يكن يولى مسيرة الإسلام في المدينة وإلا جانباً صغيراً من اهتمامه، وأن ما كان ماثلاً أمامه هو حروب الرسول ﷺ أى أنه بعبارة أخرى، كان يرى أن النصر الحقيقي للإسلام إنما هو النصر العسكري.

والذي ذكرته في ص ٤٢٥، في تعليقي على بيعة الحرب، هو أن الصورة التي يعطيها لنا نص ابن إسحاق هنا، هي صورة تظهر فيها الحرب من منظور مختلف تماماً عن ذلك الذي يستخلص من الآيات القرآنية التي يسوقها النص بخصوصها. أنا إذا لم أقل أن ابن إسحاق يقرر أن رسول الله ﷺ كان رسول حرب لا سلام وأن الإسلام دين حرب لا دين سلام، كما لم أتحدث عن سلام مكى وعن حرب مدنية، وإنما قلت في «التمهيد» إن حديث الجزء الأكبر من الفترة المدنية، في كتب السيرة الحديثة التي تأثرت بابن إسحاق، ينصرف إلى غزوات النبي ﷺ على الرغم من أن القتال لم يكن يمثل إلا واحدة من المسائل التي كانت





٢- وهو يقول إن قريشاً كانوا يواجهون محمداً بإغراء سفائهم به يطعنون فيه بالقول ويسبونونه، وأن أحد هؤلاء السفهاء أخذ بمجمع رداءه. والدكتور هنا يشير إلى واقعيتين وردتا في «السيرة»^(٢) ووُصِفَتَا فيها بأنهما أكثر ما رأى راويهما قريشاً تصيبه من رسول الله ﷺ فيما كانوا يظهرهون من عداوته، ولا أظن أحداً يعتبر أن هاتين الواقعتين تدخلان في باب «الحرب الشرسة» التي يتحدث عنها الدكتور، والتي يعتبر أن محاربة الرسول ﷺ بالسلاح في المدينة كانت امتداداً لها.

٣- والدكتور يقول: إن من صور المواجهة في حرب الرسول إغراءه بالمال والجاه والسلطان. ولا أظن أن مثل هذا الإغراء الناعم - على فرض صحته، وقد أبدت على قصته تحفظات في كتابي - يعتبر هو الآخر حرباً شرسة كالحرب بالسلاح ضد من يوجه إليه.

٤- ويتحدث الدكتور عن محاولة أبي جهل شذخ رأس رسول الله ﷺ بحجر ثقيل، وقد تعرضت لهذه القصة التي ذكرها ابن إسحاق كسبب لنزول الآيات ٦ : ١٩ من سورة العلق (الاقتباس رقم ١١)^(٣) وذكرت بشأنها أن الآيات المذكورة جزء من سورة نزلت في فترة الاستخفاء، المفروض أن عداوة أبي جهل للرسول خلالها لم تبدأ بعد، لأن أبا جهل كان يجهل وقتها دعوة الإسلام.

لسبب بسيط هو أن قبيلة من القبائل المذكورة لم تحم مسلميها كما حمت قبيلة الرسول الرسول ﷺ ولم تجلب على نفسها بالتالي غضب قريش وإعلان الحصار ضدها.

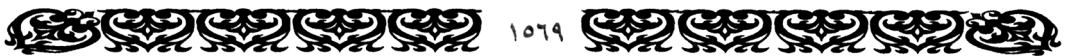
أدلة الحرب

يسوق الدكتور، تدليلاً على الحرب التي أعلنتها قريش على الرسول ﷺ والتي يصفها بأن نارها موقدة لم يهدأ لها أوار، وبأنها حرب شرسة، أمثلة أذكرها فيما يلي، مع ملاحظاتي:

١- هو يتحدث عن المساعي الثلاثة التي مشى سادة قريش فيها إلى أبي طالب لمطالبته بكف ابن أخيه عنهم «أو ننازله في ذلك وإياك حتى يهلك أحد الفريقين» أو للمطالبة بتسليمه لهم ليقتلوه مقابل اتخاذ عمارة بن الوليد بن المغيرة ولدأ له. وقد تناولت هذه اللقاءات في حديثي عن أبي طالب، في الصفحات ١٣٦ : ١٤١ من كتابي، وأبدت اثنتي عشرة ملحوظة تشكك في صحتها من الناحية التاريخية، أخص منها بالذكر الملحوظة رقم (٥) التي قلت فيها إن قواعد الحكومة في مكة لم تكن تجيز للأشراف أو لقبائلهم أن يطلبوا من قبيلة ما أن تسلمهم فرداً من أفرادها ليُعاقبوه على مخالفة أو جرم ارتكبهما، وأن الجهة الوحيدة التي كانت مختصة بالمعاقبة على المخالفات أو الجرائم هي قبيلة المتهم ذاتها.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الأول، ص ٢٨٩، ٢٩٠ الطبعة الثانية. مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٥.

(٣) كتابي، ص ٢٧٩.



إسحاق لم يذكر ذلك حرصاً منه على تقليل مظاهر معاناة المسلمين إلى أقصى حد بحيث لا يقال إن أحداً ينافس قبيلة الرسول (والخليفة العباسي) في تكبد الولايات حماية لشخص الرسول ﷺ.

— إن قريشاً أرسلت مندوبين إلى النجاشي ليسلم المهاجرين إليها. وقد شرحت في تحليلي لموضوع الهجرة إلى الحبشة أن قصة هذين المندوبين قصة لا يقبلها العقل لأسباب خمسة ذكرت، ورجحت أن يكون غرض ابن إسحاق من اختلاقتها هو تقرير أفضال لصالح بنى العباس ضد بنى أمية وضد عمرو بن العاص، وإخفاء موضوع الاضطهاد الذي اضطر جعفر إلى الهجرة.

لا.. يا سيدى الأستاذ الدكتور.. لقد كانت الحرب التي أعلنتها قريش على الرسول وصحبه الأبرار في مكة - كما وصفتها - حرباً شرسة وناً موقدة لم يهدأ لها أوار. ولكن هذه ليست هى الصورة التي صورها ابن إسحاق، سواء فى وصفها أو فى الحيز الذى خصصه لها من سيرته. والصورة التى صورها بها لا تعطى أدنى فكرة عن هول هذه الحرب وعن أبعادها الحقيقية. ولو أن ابن إسحاق وصفها الوصف الصحيح، لأسمى موقف الرسول وصحابته فى مواجهتها بالجهاد ولأسماهم - رضوان الله عليهم - بالمجاهدين، وهو الاسم الذى أطلقه عليهم القرآن الكريم. ولكن ابن إسحاق لم يستخدم هذا التعبير فى حقهم، فى حديث الفترة المكية.

وللحديث بقية،

٥- ويقول الدكتور: إن قريشاً كانوا يواجهون الرسول ﷺ كجزء من حربهم ضده، بعزله عن الوافدين إلى مكة، كما فعلوا مع الطفيل بن عمرو الدوسى. وتعليقى على هذا أن قريشاً لم يكن بوسعها، مهما فعلت، أن تمنع أحداً من الوافدين إليها من رؤية الرسول ﷺ أو أحد أصحابه والاستماع إليهم وحضور مجالسهم، وخير دليل على ذلك أن الطفيل بن عمرو الدوسى ذاته استمع إلى الرسول ﷺ وهو يتلو القرآن فى صلاته، على الرغم من تحذيرات قريش، وأسلم، وعاد إلى بلده ودعا إلى الإسلام، واستطاع أن يهدى إليه سبعين أو ثمانين بيتاً من دوس (٤).

٦- ويقر الدكتور أن قريشاً ضغطت على الرسول ﷺ بالمقاطعة التى فرضوها على قبيلته، وردى على هذا أن ما تقوله السيرة هو أن قريشاً استخدمت المقاطعة ضد بنى عبد المطلب وبنى هاشم كوسيلة للضغط على الرسول، لا العكس. هذه هى أدلة حرب قريش ضد الرسول ﷺ التى يذكرها د. عوضين نقلاً عن ابن إسحاق، أما عن حربهم ضد المسلمين، فقد استشهد الدكتور بما ذكره ابن إسحاق فى موضعين هما:

— أن أبا جهل كان، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزاه، وإن كان تاجراً قال لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به، وتعليقى هنا هو أن هذه كانت فى الواقع سياسة قبائل قريش كلها حيال مسلميها، لا موقفاً تفرد به أبو جهل، ولكن ابن



الأزهر المعمور

مهداة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

لأستاذ الدكتور / صابر عبد السلام بونس (*)

عَلِمُ الكِنَانَةَ فِي وَجُودِكَ يَخْفِقُ وَرَأَى الخُلُودَ عَلَى جَبِينِكَ تُشْرِقُ
وَجَلَّالُكَ الرِّضَاءُ فِي آفَاقِنَا عَبَّرَ العُصُورَ عَلَى المَدَى .. يَتَأَلَّقُ
يَا أَزْهَرَ الدُّنْيَا .. بَنُورِكَ أَزْهَرْتُ مُهَجُ اللَّيَالِي وَالْبُؤَادَى تُورِقُ
مَنْ أَلْفَ عَامٍ فَيُضُ ذَاتِكَ مَائِجٍ
مَا أَنْتَ مِئْدَنَةٌ وَصَرَحٌ شَامِخٌ بَلْ أَنْتَ هَدَى فِي القُلُوبِ مُعْلَقُ
أَنْتَ انْطِلَاقُ الرُّوحِ مِنْ أَعْغَالِهَا أَنْتَ الأَمَانُ بِكُلِّ نَفْسٍ يَبْرُقُ

أَنْتَ الأَذَانُ .. وَأَنْتَ .. أَنْتَ شَهَادَةُ التَّوْحِيدِ فِي قَلْبِ البَرَايَا تَعْبِقُ
أَنْتَ الزَّمَانُ يُجَدُّ فِي خُطُواتِهِ وَخَطَاهُ تَضُوى كَالْبُرُوقِ وَتَسْبِقُ
مِنْ جَوْهَرِ الإِيمَانِ شَادَكَ جَوْهَرٌ فَإِذَا بَضُوءُكَ بِالْحَقِيقَةِ يَنْطِقُ

(*) وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق.



شدُّوا الرِّحالَ وأنتِ قبلَـةُ عاشقٍ
عـادوا.. وبرَّقَ العلمُ في أيديهمُ
فإذا الجِـهالاتُ الكثيفةُ تَرتَمي
ومشي ضيـاؤك في ظلامِ كيـاننا
أعلامك الغُرُ الميامنُ التَقَّوا
يسقون من وهَجِ العقيدة فتيةً
لنفائس العلمِ الفريدة يَعْشَقُ
والحق في آفاقهم.. يَتَرَقَّرَقُ
في مَـغربِ الآفاق وهي تَمزَقُ
فإذا الأمانى في الحياة تَحَقَّقُ
في ساحةٍ.. العلمُ فيها الفيلقُ
أرواحهم لربما العلا تَتَشَوَّقُ

يا أزهر الدنيا.. بنورك أزهَرتَ
في قلب مصر.. تظل نبضا ثائرا
لغة السيوف لديك أصدقُ حجةٍ
وغَدوتَ بركانا تفجر باللطى
كالبحر أنت.. لفظتَ كل مخاتلِ
المعتدون عليك.. صاح خيالهمُ
فسعوا.. يقودهمُ الغرورُ خُتفهمُ
وطئتُ ثراكَ خيولهمُ.. فإذا بهمُ
بقذائف الإيمان جُنْدُك حاربوا
فكان صَحْنُكَ للمغير متاهةً
مهج الليالى.. والبوادي تُورقُ
لا يستكين لمن يَجُور.. ويحنقُ
إن ضاع عَهْدُ.. أو تَبَدَّلَ موثِقُ
في جوفة يَهوى المضل وَيَغْرِقُ
فإذا به فوق الشواطىء.. يَنْفُقُ
أخنى على مَصَرِ الجمودِ المطبقُ
ركبوا المحيط وفي جدارك عُلِّقوا!!!
في كل زاوية رمادٌ.. يُحْرِقُ
وبصيحة التوحيد خَصْمُكَ يُصْعَقُ
وعلى النوافذ كُلُّ عيادٍ يُشْنَقُ



الدِّينُ السَّلَامُ وَالْقِتَالُ

فضيلة الشيخ / فوزى فاضل الزفراف



إذا استعرضنا الدعوة إلى القتال في القرآن الكريم نجد أن الإسلام لم يدع إلى القتال إلا في حالتين اثنتين فقط هما:

ففي الآيات السابقة نجد أن الله - سبحانه وتعالى - أمر المسلمين بقتال من بدءوا بالعدوان والقتال وإخراج المسلمين من ديارهم. وهذا حق من حقوق الدفاع عن النفس لا ينكره صاحب عقل سليم وفكر محايد.

وفي الوقت نفسه ينهى الله - سبحانه وتعالى - عن البدء في الاعتداء على الغير محذرا أن من يفعل ذلك لا يحبه الله. ومن لا يحبه الله فقد خرج من دائرة رحمة الله ومغفرته. فهل هناك تنفير من الاعتداء أبليغ من ذلك؟؟

١- الدفاع عن النفس وتأمين الدعوة الإسلامية.
٢- أو الرد على نقض العهود والمواثيق والتحالف مع أعداء المسلمين.

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾
وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ يَقْبَلُونَهُمْ وَأَخْرُجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْبَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ١٩١ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٩٢ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ١٩٣﴾ (١).

(١) الآيات ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، من سورة البقرة.



طفل أفغانى يبكى فوق
جثة أبيه جراء الهجوم
الأمريكي الوحشى.
أين هم من إنسانية
الإسلام؟

ومن شدة حرص الإسلام على السلام وكرهه للقتال أنه طلب من المسلمين الكف عن القتال عندما يسلم المعتدون ويعلنون انتهاء القتال من جانبهم:

﴿ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

بل طلب بصيغة الأمر الالتزام بالسلم ومنع القتال عندما يميل الأعداء إلى السلم ويعلنوا ذلك:

إنسانية الإسلام فى القتال

ومع أن الإسلام أمر بالقتال فى حالات محددة - كما أشرت سابقا - إلا أن الإسلام دعا المسلمين إلى الالتزام بقتال من يحمل السلاح فقط، ونهى عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال، ونهى عن تخريب الزرع والأشجار المثمرة بل وحتى عن ذبح الحيوانات إلا للأكل فقط. ولا أعلم ديناً فى إنسانيته ورحمته وعدله وسماحته مع أعدائه حتى فى معارك القتال مثل الدين الإسلامى.

فها هو خليفة المسلمين سيدنا أبوبكر الصديق يوصى جيش المسلمين - وهو متوجه للقتال بقيادة أسامة بن زيد - بما ينبغى عليهم التزامه فى حالة قتال الأعداء فيقف فى رجاله خطيباً قائلاً:

﴿ وَإِنْ جَحَّوْا لِلْسَّيِّمِ فَأَجَحَّ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢).

كما طلب الإسلام من المسلمين عدم قتال أعدائهم إن اعتزل الأعداء واتخذوا جانب السلم قال تعالى:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ فَلَمْ يَغْنَبْكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمْ

السَّلَامَ فَأَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ (٣).

أما إذا نقضوا العهود والمواثيق، وخانوا حق الجوار وتآمروا مع أعداء المسلمين ضد المسلمين فقتالهم مطلوب وحربهم مفروضة وهذا حق تقره الشرائع والقوانين:

﴿ وَإِنْ تَكُونُوا

أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقْتُلُوا

أَيْمَةً الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ

﴿ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَتْهُمُ أَيْمَنُهُمْ وَهَمُّوا

بِإِخْرَاجِ الرُّسُولِ وَهُمْ بِكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهِمْ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤).

(٣) الآية ٩٠ من سورة النساء.

(٢) الآية ٦١ من سورة الأنفال.

(٤) الآية ١٢، ١٣ من سورة التوبة.



السفاحين الذين قتلوا أطفال المدارس الأبرياء فى بحر البقر، وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ فى قانا وفى صبرا وشاتيلا، وذبحوا وشقوا بطون النساء الحوامل فى دير ياسين، بل ويعلنون على العالم أجمع بكل وقاحة وهمجية، وبلا حياء ولا خجل أنهم سيصفّون جسديا قادة المقاومة الفلسطينية - الذين يستخدمون حقهم المشروع فى الدفاع عن أنفسهم وعن أرضهم وعن وطنهم - فى أصحاب العقول السليمة، وبأصحاب الضمائر المحيدة فى كل مكان فى العالم قولوا: من هم الإرهابيون الحقيقيون؟؟؟

إن الإصرار على توجيه هذه الاتهامات الكاذبة الباطلة إلى الإسلام والمسلمين لتؤكد على أن الإسلام مستهدف، وعلى أن المسلمين مستهدفون من أعدائهم، وأن المؤامرات تحاك بتخطيط وتدبير محكم ضد الإسلام والمسلمين.

الإسلام واحترام حقوق الفرد

فى النفس والمال والعرض

لقد احترم الإسلام النفس البشرية، وجعلها موضع إجلال وتقديس، واعتبرها هى الحياة، ونظر إليها نظرة عامة شاملة، وحرّم الاعتداء عليها إلا بحق، واعتبر أن مَنْ قتلها فكأنما قتل الناس جميعا قال الله - تعالى:

أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة وسوف تمرّون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئا بعد شئ فاذكروا اسم الله، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب^(٥) فاخفقوهم بالسيف خفقا. اندفعوا باسم الله اقتاكم (وقاكم) الله بالطعن والطاعون^(٦).

هذا هو الإسلام وإنسانيته فى السلم وفى الحرب قبل أن يعرف العالم الحديث المعاهدات والمواثيق الدولية.

وللأسف الشديد نجد - مع كل هذا الوضوح فى إنسانية الإسلام حتى فى القتال - نجد أن أعداء الإسلام يتهمون الإسلام - كذبا وزورا وبهتانا - بالإرهاب والوحشية والهمجية وسفك الدماء، وتغمض أعينهم، وتصم آذانهم، وتخرس ألسنتهم فلا يهاجمون من استعمل السلاح الذرى فى هيروشيما ونجازاكى ولم يفرقوا بين الجيوش المحاربة والمدنيين الآمنين، ولا يهاجمون المجرمين

(٥) كتاب العشرة المبشرون بالجنة للشيخ قرنى بدوى. طبعة محمد على صبيح ١٩٧٤م.

(٦) هم الجنود الذين يحملون السلاح وكانوا مشهورين بهذه الأوصاف فى ذلك الزمان.



﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٧).

وتنكير كلمة النفس فى الآية الكريمة تفيد العموم أى: أى نفس لا فرق بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون، ولا بين رجل وامرأة.

ونهى الإسلام عن الاعتداء على النفس قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنَّمَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ﴾ (٨).

وشدد العقوبة على من يرتكب هذه الجريمة فقال تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٩).

ثم صان الإسلام المال الخاص بالفرد وعرضه، ونهى عن الاعتداء عليهما يقول رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله» (١٠)، ويقول رسول الله ﷺ فى حديث آخر: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا» (١١) ولا تباغضوا ولا تدابروا (١٢) ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو

المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» (١٣) وبذلك ضمن الإسلام للفرد السلام والاطمئنان فى حياته حتى يتفرغ للعمل والإنتاج فى دنياه.

الإسلام واحترام حقوق الجماعة

ولتأكيد معنى التعاون بين الأفراد، وانتشار روح المحبة والإخاء بينهم حذر رسول الله ﷺ من الاعتداء على الجار أو إيذائه ولو بالقول. وبلغ التحذير ذروته حين نفى الإيمان عمن يؤذى جاره فيقول الرسول ﷺ: «والله لا يؤمن. والله لا يؤمن. والله لا يؤمن» (١٤) يأمن جاره بوائقه، قالوا يارسول الله وما بوائقه؟ قال شره» (١٤).

ثم يوضح رسول الله ﷺ حق الجار على التفصيل فيقول ﷺ: من أغلق بابه دون جاره مخافةً على أهله وماله، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه، أتدرى ما حق الجار؟: إذا استعانك أعنته، وإذا

(٧) الآية ٣٢ من سورة المائدة.

(٩) الآية ٩٣ من سورة النساء.

(١١) تناجشوا: تزيدوا فى الثمن لخداع الغير.

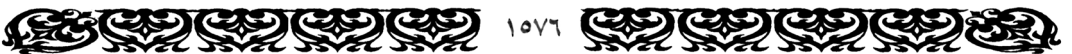
(١٣) رواه مسلم.

(٨) الآية ١٥١ من سورة الأنعام.

(١٠) رواه الترمذى وابن ماجه وأبو داود وأحمد.

(١٢) تدابروا: تقاطعوا.

(١٤) الترغيب والترهيب جـ ٣.





برلسكوني
رئيس وزراء
إيطاليا
وهجوم حاد
على الإسلام

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

ويكون هذا الاتصال والتعاون في نطاق
الاحترام المتبادل، والوفاء بالعهود والمواثيق
والمعاهدات، وعدم الاعتداء، وتبادل المنافع
والخبرات بما يخدم الإنسانية ويعم الخير على
البشر جميعا.

وبعد كل هذا الإيضاح لموقف الإسلام من
احترامه لحقوق الإنسان في النفس والمال
والعرض، واحترامه لحقوق الجار.. وحقوق
الجماعة.. وحقوق المجتمع الدولي.. يطلع
علينا فجأة رئيس الوزراء الإيطالي
سيلفيو برلسكوني - متجردا من كل قواعد
الدبلوماسية والذوق العام الذي يفرضه عليه
منصبه - فيصف الإسلام بأنه لا يحترم حقوق

استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت
عليه، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير
هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيتته، وإذا
مات اتبعت جنازته، ولا تستطيل عليه
بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا
تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تعرف له
منها، وإن اشتريت فاكهة فأهد له، فإن
لم تفعل فادخلها سرا، ولا يخرج بها
ولدك ليغيظ بها ولده» (١٥).

وإذا كانت صلة الفرد بالفرد في المجتمع
الإسلامي قد حددها ورسمها الإسلام في هذه
العلاقات التي تضمن سلامة وأمن وأمان
واطمئنان الفرد والأسرة [وطبيعي أن الفرد
والأسرة ما هما إلا النواة التي يتكون منها
المجتمع] فمعنى ذلك أن الإسلام قد أسس
مجتمعا يسوده السلام والترابط والاتصال
والتعاون والتناسق بين الحقوق والواجبات.

الإسلام والمجتمع الدولي

ثم يوجه الإسلام نظر المسلمين إلى أن
مجتمعهم الإسلامي ما هو إلا جزء من المجتمع
الدولي ككل فيجب على المسلمين ألا يعيشوا
في عزلة عنه بل يجب عليهم الاتصال
والتعاون والتعارف مع بقية المجتمعات فإن أبا
الجميع واحد وأم الجميع واحدة قال الله -
تعالى:

(١٦) الآية ١٢ من سورة الحجرات.

(١٥) الترغيب والترهيب ج٣.



يراقب الله فى كل تصرفاته، لا يعرف الكذب والغدر والنفاق، ينكر الجريمة ولا يقرها، حريص على سلامة مجتمعه والمجتمع الإنسانى، يتمسك بالشرف، يصون الأمانة ويرفض الخيانة.

والآيات القرآنية - والأحاديث النبوية التى ذكرت سابقا تؤكد هذه المعانى وهى قليل من كثير وردت فى القرآن الكريم وفى كتب السنة الصحيحة.

فإذا ما ارتكب فرد أو جماعة - تنتسب إلى الإسلام - بعض الجرائم التى لا يقرها الإسلام، فقبل أن توجه التهم إلى الإسلام يُسأل علماء الإسلام أولا: ما موقف الدين الإسلامى من هذه الجريمة؟ وما الحكم الشرعى فيها؟ فإذا جاءت الإجابة بأن الإسلام ينكر هذه الجريمة ولا يقرها فإن الأمانة تقتضى عدم الربط بين مرتكب هذه الجريمة والدين الإسلامى، كما تقتضى العدالة أن تنسب الجريمة إلى اسم من ارتكبها ولا تنسب إلى دينه، وبذلك تتحقق الأمانة والعدالة.

كما يجب علينا نحن المسلمين أن نرد على الادعاءات الكاذبة، والتهم الباطلة التى توجه ضد الإسلام - والإسلام منها برئ - وذلك بتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، وبيان أحكامه الصحيحة، ومبادئه السامية، ودعوته إلى ما فيه خير للبشرية.

الإنسان، ويدعى أن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية!!!.. الخ ما نقلته وكالات الأنباء من تصريحاته الغربية المهينة التى تتهم الإسلام كذبا وزورا بما هو برئ منه.

وإننى فى حيرة من أمر رئيس الوزراء الإيطالى سيلفيو برلسكونى ومن تحديد فهمه للإسلام ومعرفته بمبادئه وأحكامه.. هل هو جاهل بالإسلام؟؟ أم هو حاقدا على الإسلام؟؟ فإن كان جاهلا بالإسلام علمناه، وإن كان حاقدا على الإسلام فلن ينفعه العلم ولن تجدى معه النصيحة فليمت بغيظه ولن يضير الإسلام أمثاله.

غير أننى أقول له كلمة أخيرة: إن كنت تعرف القراءة والكتابة ياسنيور سيلفيو برلسكونى فارجع إلى مكتبات بلدك إيطاليا واقرأ ما كتبه العلماء الإيطاليون أنفسهم عن الحضارة الإسلامية، وأنه لولا الإسلام وحضارته لكانت أوروبا حتى الآن تعيش فى ظلمات القرون الوسطى.

الخطأ فى الربط بين الإسلام

وتصرفات بعض المنتسبين إليه

وضح الآن أن الدين الإسلامى هو دين السلام، دين الأمن والأمان، وأن المسلم صحيح العقيدة يتمسك بالفضائل ويتجنب الرذائل، يتعاون مع غيره ولا يؤذيه، سمح فى معاملاته،



قصة ميلاد إنسان

المؤستاذ الدكتور / محمود عمارة

حر وعبد ومعه يومئذ أبوبكر وبلال - رضى الله عنهما - فقلت : إني متبعك . قال : إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا : ألا ترى حالى . وحال الناس . ولكن . ارجع إلى أهلِكَ . فإذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى .

فذهبت إلى أهلى . وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت فى أهلى . فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة .

حتى قدم نفر من أهل المدينة فقلت :

ما فعل هذا الرجل الذى قدم المدينة ؟

فقالوا :

الناس إليه سراع .

وقد أراد قومه قتله . فلم يستطيعوا ذلك .

فقدمت المدينة . فدخلت عليه فقلت :

يا رسول الله : أتعرفنى ؟

عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : كنت وأنا فى الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة .

وأنهم ليسوا على شىء وهم يعبدون الأوثان . فسمعت برجل فى مكة يخبر أخباراً . فقعدت على راحلتى .

فقدمت عليه .

فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً .

جرأً عليه قومه .

فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له :

ما أنت ؟ قال : أنا نبى . فقلت وما نبى ؟

قال : أرسلنى الله . فقلت : بأى شىء أرسلك ؟

قال : أرسلنى بصلة الأرحام . وكسر الأوثان . وأن

يوحد الله . لا يشرك به شىء . قلت : فمن معك

على هذا ؟ قال :

من مظاهر التحول

ومن مظاهر تحول قوله :

[كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة]

إنه يفتح بصره على كثير .. ولكن لا يرى أحداً !

ومع ما تملكه القبيلة من وسائل الضغط .. والإغراء .. إلا أنه أفلت من قبضتها .. متحرراً من إسارها .. شاهداً بأن الإنسان سيد قراره .. وأن له عقلاً يفكر .. وقلباً يتذوق .. وإرادة تصمم .. فلا يليق به أن يمضى معصوب العين مع الكثرة وإن كانت كاثرة .. ليكون واحداً من تلك المدرسة التي يقول قائلها :

إذا الفتنة اضطربت في البلاد

.. ورمت النجاة .. فكن إيمه

لقد قرر أن يكون رجلاً :

مع الناس .. فقط .. إذا ما أحسنوا ..

فإذا تنكبوا طريق الحق أعرض عنهم ..

إنه الرجل الذي يملك إرادته .. ولا يسمح لأحد أن يساوم على كرامته .

وصحيح أنه سوف يخسر كثيراً بهذا الاستقلال ..

ولكن يكفي أنه كسب عقيدته .. فاسترد بها وجوده ..

وإذ يقول الفيلسوف :

إنه لو خير بين فكرة جديدة يقع عليها .. وبين اعتلاء عرش بلاده .. لاختار الفكرة !

قال : نعم .. أنت الذى لقينى بمكة .

فقلت يا رسول الله :

أخبرنى عما علمك الله وأجهله : أخبرنى عن الصلاة .. الحديث (١) .

* تمهيد

إلى أى شىء يدعوننا الإسلام؟ وكيف يدعوننا؟ وإلى أى حد كانت دعوته مباركة الثمرات؟ إلى أى حد كان الداعية حكيماً فى الهداية .. وكان المدعو راغباً فى الاهتداء؟ ثم فى الاقتداء؟ ذلك ما نحاول تفصيله وتاصيله من هذا الموقف الفريد :

البيئة .. والإنسان

إذا قال الماديون : إن البيئة تصوغ الإنسان . وتفرض عليه منهج حياته .. فقد كان « عمرو بن عبسة » رداً على هذا الافتراء .

فقد كان جاهلياً مع قومه ، يأكل مما يأكلون منه . ويشرب مما يشربون .

بل ويفكر كما كانوا يفكرون .

وفجأة .. حدث التحول الكبير فى كيانه ..

وفى لحظة صفاء جرد نفسه من علائق الدنيا ..

ثم نظر فى صنع الله تعالى ..

وآثار قدرته الباهرة .. وحكمته البالغة ..

وفى الوقت الذى وقف الغرور حائلاً بين قومه وبين

رؤية هذه العظمة .. وجد نفسه .. هو وبلا حائل ..

وقد امتلأ كيانه بالإحساس بعظمة خالق الوجود -

سبحانه وتعالى - وعلى ضوء فطرته بدأ يغير اتجاهه ..



فكيف إذا كان البديل هو العقيدة .. وليست مجرد نظرية ..

إنه منهج الرجل الذى قد يفقد فى خضم الحوادث شخصه .. بيد أنه أبدا لن يفقد شخصيته .

مثل من التاريخ

وفى التهوين من أمر البيئة والتعويل على فطرة الإنسان .. مارواه ابن عباس -رضى الله عنه - :

«إن أول من يعطى كتابه بيمينه : أبو سلمة بن عبد الأسد وأول من يعطى كتابه بشماله : أخوه : سلمة بن عبد الأسد» (٢) .

وفيهما نزل قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ مَآءُ أَكْثَرِ ﴾ (٣) .

فأنت واجد نفسك أمام أخوين .. شقيقين .. ومع ذلك فبينهما بعد المشركين .

ولو كانت البيئة هى المؤثرة .. لكانا نسخة واحدة !

وهكذا كان « عمرو » -رضى الله عنه - والذى تأبى على سياسة الأمر الواقع .. وصمم أن يكون رجلا . مضموما إلى اخوة له كانوا على ذات الطريق . ومنهم ما ذكره ابن الكلبي فى كتابه الأصنام :

أن صنما يقال له « سعد » وكان صخرة طويلة فأقبل عليه رجل من كنانة بإبل ليوقفها عليه تبركا .. لكنها نفرت .. فقال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا

فشتتنا سعد .. فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة تفوقه

من الأرض .. لا يدعى لغى ولا رشد !

وهذا الصنم مقرون إلى زميله الذى قال فيه

عابده :

أرب يبول الثعلبان برأسه !؟

لقد ذل من بالت عليه الثعالب

أجل .. لقد ذل من بالت عليه الثعالب .. وعزَّ

الإنسان الذى تبرأ منه ..

وفى طليعة هؤلاء الأعراء : « عمرو بن عبسة »

رضى الله عنه .

قيمة التحول عند عبسة

لم يكن موقف عبسة -رضى الله عنه - مجرد قرار اتخذه .. ولكنه التحول الكبير .. والفرار من بيئة ضاغطة .. فيما يشبه المعجزة :

يقول ابن الجوزى ناعيا على الطبيعة المعاندة .. والتى استعلى عليها .. عبسة استعلاء شاهدا بقوة إرادته :

طال تعجبنى من أقوام لهم أنفة . وعندهم كبر زائد فى الحد خصوصا العرب :

الذين من كلمة ينفرون ويحاربون . ويرضون بالقتل ... ومع هذه الأنفة . يذلون لمن هم خير منه ، هذا يعبد حجرا . وهذا يعبد خشبة . وقد كان قوم يعبدون الخيل والبقر وإن هؤلاء لآخس من إبليس : فإن إبليس أنف لادعائه الكمال - أن

(٣) الحاقة: ١٩ .

(٢) الاصابة: ٩٥/٤ .



يسجد لناقص فقال: «أنا خير منه» وفرعون أنف أن يعبد شيئاً أصلاً، ولكن عبسة -رضى الله عنه - دون قومه جميعاً - يتخذ قراره الصعب بالتنزه عن الذلة .. اعتصاماً بالعزة .. التى دفع ثمنها بهذا التفرد.

من حكمته

ومن حكمة الرجل أنه لا يتحدث عن قومه حديثاً مباشراً. قد يجبر عليه المتاعب: فهو يتحدث عن «الناس» بعامه .. لا عن قومه.

ثم لا يحكم يقيناً وإنما هو مجرد «ظن» .. والله حسيب الناس ومحاسبهم. عكس أولئك الذين يرون حالة جزئية .. فيعممون الحكم فى صفة يقين لا يملكون عليه دليلاً.

ثم هو يحدد معنى الجاهلية .. لا كما يطلقها البعض اليوم .. على مجتمع أهل بالمساجد حافل بالركع السجود .. وإنما يحدد معنى «الجاهلى» وأنه هو: الذى يعبد الأصنام.

دراسة الجدوى

لابد قبل البدء فى مشروع ما .. من دراسة الجدوى منه .. ولقد كانت لعبسة هذه الدراسة: يقول فى رواية «أسد الغابة» (٤).

ألقى فى روعى أن عبادة الاوثان باطلة. فسمعتنى رجل وأنا اتكلم بذلك. فقال: ياعمرو: بمكة رجل يقول كما تقول. قال: فأقبلت إلى مكة أسأل عنه ..

ثم كان أن رآه مختفياً جراًء قومه عليه.

والملفت للنظر هنا أنه لم يدخل على الرسول ﷺ جهاراً نهاراً. وإنما كما يقول هنا: فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة»

وتفسر رواية أسد الغابة هذا التلطف بما يلى:

.. فأخبرت أنه مختف. لا أقدر عليه إلا بالليل يطوف بالبیت فنمت بين الكعبة وأستارها.

وإن تعجب فعجب كيف تعبر الفطرة السليمة - حتى فى غيبة الشريعة - كيف تعبر عن الحقيقة كما هى ..

إنه يقول انه وجده ﷺ «مستخفياً» «جراًء قومه عليه». إن قومه يؤذون. ويؤذون من؟ آخر من يؤذى إذا كان ولا بد من إيذاء .. كما يفيد تقديم الجار والمجرور .. عليه. ثم .. ومن الذى يؤذيه؟ إنهم قومه؟!

فمن وقع عليه الغشم .. هو آخر الناس استحقاقاً له .. والذى يباشر الغشم .. هم آخر من يقع منهم ذلك وإنها لمفارقة عجيبة!!

حوار الأبرار

وفى حوار - رضى الله عنه - يسأله أولاً: ما أنت!

والسؤال «بما» استفسار لا عن الذات .. وإنما عن صفة من صفاتها.

ويعنى ذلك أن عبسة -رضى الله عنه - لا تهتم نفس الذات .. فهو لا يريد أن يعرف الحق



بالرجال .. وإنما هو يريد معرفة الرجال بالحق .. عن طريق خصائصهم التي ترشحهم للريادة .. إن أسماء الدعاة مهما كانت رنانة .. لا تهم .. وإنما إلى أى شىء يدعون .. وبأى صفة يتصفون .. وليكن شخص الداعية بعد ذلك ما يكون!

الداعية الحكيم

والداعية الحكيم هنا هو: محمد ﷺ والذي كان إسلام عبسة - رضى الله عنه - ثمرة يانعة من جنى غرسه الطيب:

فقد نقل إليه الإسلام .. وهو فى عمق قبيلته .. مع صعوبة ظروف الاتصال يومئذ .. وإذا كان من مقاييس البشر: أن تقدير ناظر المدرسة ينبع أساسا من نتيجة جهده وارتفاع نسبة النجاح فى مدرسته ..

فقد كان إسلام «عبسة» شاهدا على تفرد ﷺ بالحكمة .. مع أنه لم يكن معه يومئذ إلا اثنان: أبوبكر، وبلال - رضى الله عنهما.

وإذا كان التاريخ يسجل مواقف الأبطال المشاهير .. فإن السنة تسجل حياة أناس مغمورين .. لم يسعوا إلى الشهرة سعيها .. وفى طليعتهم: عبسة - رضى الله عنه - والذى أسعده الله بالإسلام.

من دروس الحوار

ربما تأخذ الداعية اليوم: العزة بالإثم .. حين يقطع طريقة شاب مغمور يسأله هذه الأسئلة .. ولكنه ﷺ:

أ - يجيبه .. وبلا حساسية ..

ب - ويجيبه باختصار شديد .. فالعقيدة تنامى الآن .. ولا ينبغى إرهاقه بالمعانى المعقدة.

ج - كان من الممكن أن يجمع للرجل إجابات أسئلته .. ليقدمها إليه دفعة واحدة ..

ولكنه يعلم الدعاة أن الله - تعالى - سمي عمل الفلاح «حرثا» فى - قوله تعالى :-

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (٥).

ولابد من قلب التربة بالحرث لتأخذ حظها من الهواء والضياء .. ولكى تتخلخل التربة حتى تمتد الجذور فى الأعماق.

لقد كان «عبسة» - رضى الله عنه - تلميذا متميزا ومخلصا:

فهو يسأل وغير متعنت:

يسأل أولا عن خصائصه

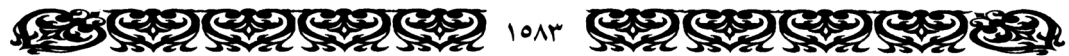
ثم عن وظيفته

ثم هل هذا الدين قابل للتطبيق ..

وخلال ذلك .. يحاول أن يسأل عما لا يفهم ..

وإذا بهذه الرغبة الجادة .. يحتويها قلب الداعية الكبير:

والذى كان بالحياء متميزا .. وبالتواضع متعززا.





وتبدو ذاكرة الداعية واعية .. فقد عرف الرجل
رغم تطاول الزمان .. وتقلب الأحداث .

من حكمة الرجل

لكن عمرا - رضى الله عنه - يؤكد حكمته أولا
وأخيرا: فقد علمنا أنه فى المرحلة الأولى قال:
« فسمعت برجل فى مكة » إنه مازال فى حسه
مجرد رجل لا يعلم من أمره شيئا ..

أما هنا فهو يقول: ما فعل هذا الرجل فهو
رجل معروف .. متميز .. ثم هو مع ذلك يتلطف
ولا يصرح باسمه المجرد .. حتى لا يؤلب الأعداء
عليه ..

ولاحظ من حكمته أنه يقول:

ما فعل هذا؟ باسم الإشارة للرقب وكأنا يوجه
رسالة تحذير إلى أمته أن يتهاونوا فى الدفاع عنه ..
وأن يظل الرسول فى بؤرة الشعور .. لا
يغيب ..

من فقه الداعية

بعد أن استقرت عقيدة الإسلام فى قلب
الرجل .. بدأت المرحلة الأخيرة بالسؤال عن
الشريعة المنبثقة عن هذه العقيدة .

وذلك قوله:

يا رسول الله أخبرنى عما علمك الله
وأجهله .. أخبرنى عن الصلاة .. ثم يقول له بعد
ذلك: يا رسول الله: فالوضوء .. حدثنى عنه

ولاحظ أن الرجل لم يلتزم بالترتيب الزمنى، فهو
يسأل عن الصلاة .. قبل أن يسأل عن الوضوء
ولا يضيق به الداعية .. بل يرخى له الحبل .. إن

جوهر الرسالة

وتلخص إجاباته ﷺ جوهر الرسالة:

ومن أصول هذه الرسالة: صلة الأرحام ..

ثم تنحية كل ما يشل إرادة الإنسان .. من هذه
الأوثان المانعة من الوصول ..

على أن ينبثق ذلك كله من عقيدة التوحيد
التي عبر عنها بالمضارع إشارة إلى تجددتها .. وفى
إجابته ﷺ: حر وعبد .. بدل قوله:

« أبو بكر وبلال » ما يؤكد شمول الإسلام
المفصل على الحياة كلها .. من ألفها إلى يائها ..
فهو للأحرار وللعبيد .. وما بينهما من مستويات
تجد فيه كل نفس هداها .

الإيمان الحر

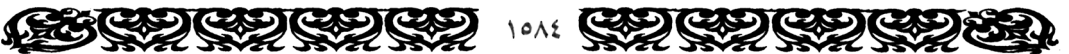
وعن طريق هذا الحوار الحر .. تولد العقيدة
الحرّة:

فلقد أعلن الرجل أنه متبعه .. بل ومقيم معه ..
ولكنه ﷺ لا يبحث عن الأرقام والاحجام ..
لا يريد لبنات مكدسة .. تنهار عند الضربة
الأولى .. ولكنه يريد بناء مرصوفا يشد بعضه
بعضا ..

ومن ثم لم يأذن له بالبقاء .. على حاجته إلى
من يقف إلى جانبه فى تلك اللحظات الحرج إلى
أن يشتد عود الإسلام .. وعندئذ يمكن للمدعو
أن يأخذ مكانه فى البناء الوطيد لبنة صالحة .

العودة الحميد

ويعود الرجل إلى رسول الله ﷺ بعدما هاجر
إلى المدينة .. وصارت له دولة ..





عندما يرى مخطئاً .. فيحاول رده إلى الصواب ..
أو ضالاً .. يود لو عاد به إلى الهدى .. وقد يجد
نفسه بين اثنين :

أما أولهما فهو ذلك الصنف الذى يحول بينه
وبين الهدى والصواب . صغائر الشهوة يعجز عن
مخالفتها .. وحقائير المغريات يضعف عن
مقاومتها، إنها العادة التى مرد عليها .. ومن ثم
تنحصر مهمة الداعية فى اعانته ليتخلص من
عاداته .. لتكون عوناً له .. بعد أن كانت عبئاً
عليه !

وقد يكون الحوار سبيلاً إلى إقناعه بضرورة أن
يغير وجهته إلى الفضيلة التى نريد أخذه بها ..
ويجىء قوله - تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ﴾^(٦)

ذلك بأن الضال هنا مقتنع بانحرافه عن الجادة
لكنه فقط يطلب الدليل

إما إذا كان معتقداً بأنه على الحق .. فإن حوار
يأخذ سمناً آخر .. وذلك ما يشير إليه قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾^(٧)

ونقول لهؤلاء الذين ظلموا فلم ينصفوا .. ولا
يغرنك أن كان « سن قلمك ذهباً .. فإن من ورائه
حبراً أسود !

المهم لدينا أن تكون العقيدة راسخة فى القلب ..
ولا يجمل بنا أن نتمارى فى جزئيات تأتى فى
مرتبة تالية ..

إن الداعية هنا يهتم بالمقاصد أولاً .. تلك
المقاصد التى نتفق عليها أولاً .. ثم تأتى الوسائل
بعد ذلك متعددة .. لكنها كلها تصل بنا إلى
المقصود الأسمى .

وبعض الناس يتجاوزون الأهم .. ليشغلوا
أنفسهم بالفرعيات .. وقد يذهب المرء بالأصول
والفروع !

واقع المسلمين اليوم

ونحاول قراءة واقع المسلمين اليوم .. ولعلنا أن
نعدل من خطة حياتنا .. على ضوء ما سبق :

وواقع المسلمين على ما قيل :

أضاع المسلمون اليوم ما نيط بهم من جهاد :
الجهاد الأصغر ..

والجهاد الأكبر

فلاهم يجاهدون العدو فيؤدوا الجهاد الأصغر .
ولا هم يجاهدون النفس . ويقومون بحق الله
فى أنفسهم وفى الناس .. فيؤدوا الجهاد الأكبر .

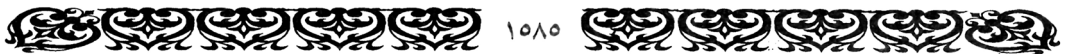
وليس ينقص المسلمين العلم بما عليهم لله فى
أنفسهم وفى إخوانهم .

فإنهم يعلمون من ذلك ما إن عملوا به ..
لكفاهم ولكن ينقصهم العمل بما عندهم من
العلم المستفيض فيهم .

ومن ثم .. تشتعل الغيرة فى قلب الداعية ..

(٧) العنكبوت «٤٦» .

(٦) النحل «١٢٥» .



قصة العذر

بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ

للأساذ / محمد سعيد العريان

اليوم هلال المحرم من السنة السابعة بعد البعثة وقد وقف أبو الحكم بن هشام المخزومي موقفه من نادى قومه، واجتمع إليه قبائل من أشراف مكة وذوى الرأى من قريش يسمعون مقالته، وما منهم أحد إلا كان له بلاء فى إيذاء محمد وصحابته حتى بلغوا فى الكيد لهم ما بلغوا ولم ينالوا منهم منالا، فإن أبا الحكم وأصحابه اليوم لفى هم ناصب وأمر عظيم...

إن أمرهم ليوشك أن يفلت من أيديهم، وهم أعلى قريش منزلة ومكانة بين سائر العرب، من الساحل إلى أطراف البادية. وهذا محمد وإنه لرجل فرد ليس له منعة من أهل ولا عصبية من دم ولا جاه من غنى، وإنه على ذلك ليحاول أمرا يفرق جماعتهم ويعيب رأيهم ويلحد فى آلهتهم وما يعبدون، حتى ليوشك لوخلوا سبيله أن يكون هو صاحب الرأى والسلطان فى العرب جميعا... وأين هو من هؤلاء وأنى يبلغ؟

وحزبه أن يعرف أحد، بلى وإن هذه الدعوة لتطوى البيداء وتجتاز البحر من ساحل إلى ساحل حتى تجد الطمأنينة والسلام فى بلد المسيحية من مملكة النجاشى!

باللعاقبة لو بلغ محمد ما أراد!

... واجتمع وجوه قريش وأصحاب الرأى

فى مكة يتشاورون ليدبروا لهم أمرا.. وقال

ولقد افتنت قريش فى حربه ومناهضة دعوته والكيد له ولأصحابه ما بلغ بهم الجهد، ليصرفوه عن وجهه ويفضوا صحابته من حوله، فما بلغوا شيئا مما أرادوا، وإن دعوته لتنتشر وتذيع حتى يتسامع بها العرب، وإن أصحابه ليزيدون ويكثرون، وإن قبائل العرب من قريب ومن بعيد لتسمع عنه وتعرف من خبره مالا يريد أبو الحكم بن هشام



أبو الحكم بن هشام :

وصاح من أقصى المجلس : « رضينا يا أبا الحكم » وجاء كاتبهم منصور بن عكرمة فأملى عليه :

باسمك اللهم

« هذا ما تعاهد عليه أشراف مكة وذوو الرأي من قريش : أبو الحكم بن هشام ، وأبوطالب بن عبد المطلب ، ومنصور بن شرحبيل ، وبغيض بن عامر .. أنهم برآء من بنى هاشم وبنى المطلب ، لا يبيعونهم شيئا ، ولا يبتاعون منهم ، ولا يخالطونهم فى شىء ، وكل رحم بينهم مقطوعة ، حتى يفيئوا .. »
وتناول أبو الحكم الصحيفة فطواها ، ثم علقها فى جوف الكعبة ، ليشهد الله أمرهم وأمر بنى عبد مناف !



وأوى محمد وأصحابه الى شعب أبى طالب من شعاب مكة حتى يقضى الله أمرا بينهم وبين بنى عمهم من قريش ، ليس لهم مطمع إلا فيما بين أيديهم من طعام ولباس وشراب ، ولا يعرفون إلى كم يمتد الحصار المضروب عليهم فى هذا الشعب الضيق ليس له إلا باب واحد يقف الأعداء بمرصد قريب منه يمنعون أن يدخل إليهم بشىء من الزاد أو الميرة ...

وتتابعت الشهور شهرا فى أذيال شهر ، والمسلمون فى معقلهم من شعب أبى طالب ، لا يجدون من الطعام ما يغنى من جوع ولا من اللباس ما يدفع من قر ، إلا ما يتسلل إليهم

« يا قوم ، أما إنه ليوشك أن يكون أمر شديد : وإن هذا الرجل ليبالغ فيما يدعو إليه حتى كان ما كان من أمره ، فإن لم يكن قتله واستئصال خضرائه حتى يذهب بدعوته وتذهب به ، فيلكن تدبير جديد .. »
وتناولت الأعناق تترقب ما يكون من تدبير أبى الحكم فى جهاد محمد وأصحابه ، واسترسل يقول :

« ... ألا إن هذا الحى من بنى عبد مناف هو منا ومنكم حيث علمتم ، وإنهم ليطلبون غاية ليس إليها سبيل ، أفنتركهم وما يحاولون حتى يأول أمرهم إلى أمر ؟ .

« .. وهذا أبوطالب بن عبد المطلب يمنع ابن أخيه أن يخلص إليه ما يكره ، فما لنا سبيل عليه بعد ، فليجتمع أمرهم على ما يريدون وليجتمع أمرنا ، ولتكن براءة قاطعة بيننا وبين هذا الحى من قريش : لامعونة بيننا وبينهم فى أمر ، فلانبيعهم شيئا ، ولا نبتاع منهم ، ولا نخالطهم فى شىء ، وكل رحم بيننا مقطوعة حتى يفيئوا إلى أمرنا ، فإنهم يوشكون إن بلغت هذه القطيعة أن تجف خضرأؤهم فيموتوا جوعا وعطشا وعريا أو يعودوا إلينا مغلوبين وما تجرد سيف من غمده ولا أريق دم !

« يا قوم ، فإن رأيتم فهذه يدى ، وليكن بيننا عهد مكتوب نعلقه فى جوف الكعبة توكيدا لما تقاسمنا عليه .. وإن أبيتم .. »





قريش ، حتى جهدوا وأشرفت نفوسهم على التلف جوعا وعريا . .

ويرى محمد ما أصاب أصحابه في سبيل الله ، فيثبتهم ويربط على قلوبهم ، ويقول : « لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنيين ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ولَيُتَمَّنَّ الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله ! »

فتهدأ نفوسهم مطمئنين إلى العاقبة ويبلغ بهم الجهد ، حتى يأكلوا ما يسقط على الأرض من ورق الشجر ، وحتى يصنعوا ما تصنع الشاة : لا تجد أكلا إلا ما تتقمم من خشاش الأرض ومن بارض النبت في مسايل اللوى . . . ويشد سعد بن أبي وقاص على بطنه من ألم الجوع حتى يكاد يلتصق بظهره ، وينال منه الجوع حتى يخرج في سواد الليل يلتمس رmqه ، فيطأ على شيء رطب ، فيضعه في فمه فيبتلعه ، لا يدرى ما هو ، ولا يجد له في فمه مذاقا !!

ويتضاغى أطفال المسلمين من الجوع ، وتسمع أصواتهم من وراء الشعب صائحين من السغب والمترية !

والمسلمون على ما بهم : لم ينل منهم الكفار منالا بما صنعوا لأنهم وهبوا نفوسهم لله ، فلا عليهم أن يموتوا جوعا أو يموتوا مجاهدين في سبيل الله ! . .



في جنح الليل من شيء ليس فيه غناء يرسله إليهم من يرسل من أبناء عمومته على حذر ورقبة !

وجاء الموسم ، وأم الحجيج من قبائل العرب سوق مكة يسوقون الإبل قد أوقرت طعاما وبزا لبيعوا ويشترى ويتعوضوا وطمع المسلمون أن يكون لهم من أولئك شيء ، فإن هؤلاء التجار العرب في حل مما تعاقد عليه بطون قريش ، فإن لهم أن يبيعوا أبناء عبد مناف ما يشاءون من بضاعتهم يدا بيد ، فما كان لهم في تلك (الصحيفة) الظالمه رأى ولا عقد .

ويخرج من يخرج المسلمين ليشتري زادا من زاد القوم ويبيعهم مما عنده ، ويقف على صبرة من قمح يهم أن يشتريها ، ويبصر به أبولهب فيقول في السوق مناديا :

« يامعشر التجار ، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا ، فقد علمتم مالى ووفاؤى ذمتى ، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم ! »

ويسمع التجار ما قال أبولهب ، فيزيدون على المسلمين في السلعة قيمتها أضعافا ، فيرجع المسلمون إلى أهليهم وما باعوا ولا اشتروا وليس في يدهم شيء يطعمون به ، ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم فيما معهم من الطعام واللباس !

ومضى عام و عام وأوشك ثالث ، والمسلمون حيث حصرهم أبناء عمومته من





بهذا؟» قال : «نعم»

وخرج أبوطالب إلى قريش في ناديهم ليتحدث إليهم في أمر ..

ويصعب على هشام بن عمرو ما يلقي أخوه نضلة والمسلمون معه، فيمشي إلى جماعة من أشرف قريش لهم في بنى عبد مناف صهر وخنولة، فيحرضهم على نقض الصحيفة، رعاية لحرمت النسب وحفاظا على حق الدم، فيجتمع على رأيه بضعة نفر، فيتوافون على معيادهم الى حيث كان وجوه قريش مجتمعين في ناديهم من الحجر، ويقدمهم زهير بن أمية (وأمه عاتكة بنت عبدالمطلب) فيطوف بالكعبة سبعا ثم يقبل على الناس فيقول: «يا أهل مكة، أناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لايباع ولا يتباع منهم؟ والله لا أقعد حتى نشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة»

ويرتاع أبوجهل بن هشام لما يسمع، فلا يكاد يرد رأيه حتى تأخذه الأصوات من كل جانب: مزقوا الصحيفة، لانرضى ماكتب فيها ونبرا إلى الله منه»

تلك كانت أصوات هشام بن عمرو وأصحابه الاربعة : المطعم بن عدى بن عبد مناف ، وزهير بن أمية بن المغيرة، والعاص ابن هشام، وزمعة بن الاسود.

ويبلغ الغيظ بأبى جهل وأصحابه ما يبلغ، أن رأوا ما أجمعوا عليه يحاول أن يخرج من أيديهم حين ظنوا أنهم من الغاية التى

وتسامع المشركون بما نال محمدا وأصحابه من الجهد والمسغبة فمنهم من سره ذلك ، ومنهم من ساءه ..

ويفرح أبوالحكم بن هشام بما نال المسلمين من الجهد والمسغبة، ويستخفه الفرح حتى يأمل أملا ..

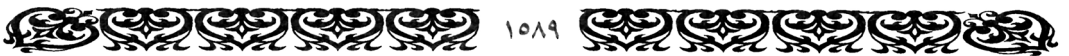
ويغضب من يغضب من قريش لما نال إخوانهم وأبناء عمومتهم من بنى عبد مناف، وإن كانوا على دين محمد!

ويشفق هشام بن عمرو بن ربيعة على ما نال أخاه لأمه نضلة بن هشام بن عبد مناف ، وكان مع المسلمين فى شعب أبى طالب فيأتى ببعيره قد أوقره طعاما ويزا .. فيقبل به فم الشعب ليلا وقريش فى غفلاتها، ثم يخلع خطامه ويضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ليقتسموا ما يحمل من طعام ويز .. وماذا يغنى بغير واحد والمسلمون كثرة يكاد يقتلها الجوع والعري ؟ ..

ويقول أبوطالب لابن أخيه: «لقد بلغ الجهد منا ماترى وإن رجالا من قريش قد استشعروا الندم على ما تعاقدوا عليه لولا شرف السمعة وتهمة الخيانة لأحلوا أنفسهم مما ارتبطوا به من عهد الصحيفة!»

وابتسم محمد بن عبدالله وقال : «يا عم ، إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان!»

ويفرح أبوطالب ويقول : «أربك أخبرك





الحصار الذى كان مضروباً عليهم ثلاث سنين لا يبيعون ولا يباعون، وإن كانوا من عداوة المشركين لهم وائتمارهم بهم فى حصار أُمّهم وأبلى، ولكن شيئاً من ذلك لم ينل من نفوسهم ولم يوهن عزائمهم.

ومضت أربع سنوات آخر، ثم انطلق المسلمون من الحصار المضروب عليهم حول مكة كلها مهاجرين إلى حيث يؤلف محمد وصحابته حكومتهم فى دار الهجرة، ولا تمضى إلا سنوات من بعد، حتى يكون محمد وأصحابه فى طريقهم إلى مكة يقودون الجحفل اللجب ليحاصروا مكة كلها ويسلم إليهم أهلها صاغرين!.

ودار الفلك دورته، فإذا تلك القلة من بنى عبد مناف وجيرانهم الذين كانوا بالأُمس محصورين فى شعب من شعاب مكة لا يجدون ما يأكلون - قد وثبوا أكبر وثبة عرفها التاريخ، فإذا منهم القادة والسادة والأُمراء، يضعون يدهم على مفاتيح خزائن الدنيا، ويبشرون بدين الله فى أربعة أقطار الأرض. ورفرفت الراية الإسلامية على قلاع فارس والروم والمغرب وأوربا، ومضى جنود المسلمين من أنبائهم وحفدتهم يطأون العروش ويقتحمون الممالك وهتافهم يدوى حيث كانوا: «باسمك اللهم! باسمك اللهم!»

يهدفون إليها على خطوات، وأن محمدًا وأصحابه يوشكون أن يفيئوا!.

وقال أبوجهل: هذا أمر قضى بليل، وما حسبكم إلا دبرتموها فى غير هذا المكان.

ويقدم أبوطالب بن عبدالمطلب فى جماعة من بنى أبيه قد لبسوا أحسن ما يجدون من الثياب، فما إن سمعوا ما يقول أبوجهل حتى يبتدره أبوطالب: «بل هو أمر قد قضاه رب محمد»

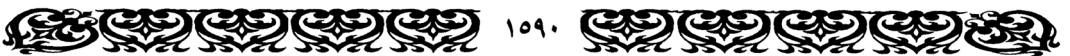
والتفت أهل الندى إلى حيث كان أبوطالب فى أهله لا يدرون ما يعنى مما يقول! وتقصف الناس على أبى طالب يستثبتونه عما قال، ومضى فى حديثه:

«... بلى، وإن بيننا وبينكم هذا العهد المكتوب فى الصحيفة فإن ابن أخى أخبرنى من أمرها.. فهلم إلى صحيفتكم فإن كان كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذبا دفعته إليكم فما شئتم فافعلوا به!»

ووثب المطعم بن عدى إلى حيث كانت الصحيفة فى جوف الكعبة، وفض غلافها، ونظر القراء، فإذا الأرضة قد لحستها لم تترك فيها من شئ يقرأ إلا «باسمك اللهم...»



وخرج المسلمون من شعب أبى طالب إلى فضاء مكة كعهدهم يوم كانوا، وانفك



تقرير لجنة كاهان الصهيونية

حول مذبحة صابرا وشاتيلا آرئيل شارون .. رؤية إسرائيلية

للككتور / محمد حسن عبد الخالق

إن ما نراه اليوم على الساحة الفلسطينية من تعنت واجحاف المؤسسة العسكرية الصهيونية تجاه الشعب الأعزل ومحاولاتها المستميتة للقضاء على شعب بأكمله وعدم الموافقة على إقامة الدولة الفلسطينية، هو موضوع قديم جداً، نابع من فكرهم التلمودي وبيروتوكولات حاخاماتهم، فهي حرب ضروس ضد العرب والإسلام، يخطط لها منذ القدم، وكلما حانت الفرصة، انقضوا بلا رحمة لصفك بأى مسلم أو أى عربى، وقد يتصور البعض منا أن الأحزاب الإسرائيلية تختلف فى نظرتها للعرب والمسلمين، فمنها المتشدد والمعتدل، وأنوه هنا أن الجميع اختلفوا فيما بينهم لأمر تتعلق بهم، ولكنهم اتفقوا جميعاً على التتكيل بالعرب وخاصة عرب فلسطين، ورحم الله الرئيس السادات عندما قال ذات يوم: « لا فرق فى إسرائيل بين حمائم وصقور، وأن لعبة السلطة والسياسة فى إسرائيل مقسمة إلى مراحل تكتيكية، لكل مرحلة الرجل الخاص بها، ويخطئ أى عربى إذا اعتقد أن أحد قادتهم رجل سلام يمكن التفاوض معه، ولكنه فى الحقيقة ورقة رابحة بالنسبة لهم، فكلما زادت أعمال البطش والتتكيل بالعرب فى فلسطين من قبل جيش الدفاع الإسرائيلى، وغلت الدماء فى الشارع العربى، يدفعون برجلهم هذا كى يلتقى بأحد الزعماء الفلسطينيين فى محاولة منه للتظاهر بتهدئة الوضع وكسب الرأى العام بأنهم يسعون للسلام. فى نفس الوقت الذى تزداد فيه أعمال القتل والهدم والتشريد.

الضحايا العشرات بين شهيد وجريح، واستمرت فصول هذه المذبحة حتى كان الفصل الأخير الذى بدأ في اليوم السادس عشر من سبتمبر واستمر متصلاً ثلاثة أيام تم فيها ذبح وقتل وتشويه الآلاف من سكانها، وقد حدث هذا بالأسلحة الخفيفة والسكاكين و(البلط) .. وكان الفصل الأخير قد بدأ بقتل بشير الجميل رئيس لبنان .. واحتل الجيش الإسرائيلي جميع البنايات العالية المحيطة بصابرا وشاتيلا كى يتمكن من الرؤية بوضوح.

وادعى الإسرائيليون بعد ذلك أنهم لم يروا شيئاً. وفي ليلة «الذبح» قطع التيار الكهربائي عن بيروت الغربية كلها، وأطلقت القوات الإسرائيلية القنابل المضئية فوق صابرا وشاتيلا على فترات متقاربة بحيث يمكن رؤية أية حركة في تلك المنطقة لترصدها طائرات الاستطلاع الإسرائيلية، وقد منع جيش الدفاع الإسرائيلي الدخول أو الخروج من منطقة الخيميين إلا للقتلة الذين كان عليهم البقاء ثلاثة أيام داخل الخيميين وهم يقتلون ويذبحون ويدمرون.

أما التمهيد لهذه المذبحة، فكان عصر الثلاثاء ١٤ سبتمبر ١٩٨٢ حين فجر مبنى حزب الكتائب (المسيحية) حيث كان رئيس الجمهورية الجديد والمنتخب منذ ثلاثة أسابيع يعقد فيه اجتماعاً مع الكوادر المسؤولة بالحزب عن منطقة بيروت.

أُغتيل بشير الجميل .. الذى كان في يوم من الأيام الرجل المناسب لرئيس الوزراء مناحم بيجين ووزير الدفاع آريل شارون وهو الذى سيوقع معهم اتفاقية سلام، خاصة وأنه يدين بفوزه للدبابات الإسرائيلية، وقبل مقتله بيومين التقى بشارون فى (بكفيا) وهى مسقط رأس آل الجميل، وكان شارون يسعى للحصول على توقيعه على اتفاقية

وما تقوم به القيادات الصهيونية العنصرية المتعاقبة هى محاولة يريدون بها أن يثبتوا للإسرائيليين واليهود والرأى العام العالمى أن «العرب» أشد عنصرية منهم ولا يستبعد أن يفتعلوا الحوادث التى تثير الشبهة العنصرية حول العرب كما حدث فى الماضى عندما أحرق اليهود الصهاينة كنسا يهودية لإجبار يهود العالم العربى على الهجرة إلى فلسطين، أو عندما نسف الصهاينة أماكن عبادة يهودية فى أوروبا لتشويه سمعة النضال العربى الفلسطينى.

وما أعلنه شارون عندما شن هجومه على لبنان عن ضرورة تدمير البنية التحتية للمخربين، ولكن ما تم تدميره بالفعل هى البنية التحتية لشعب بأكمله، هو شعب لبنان، فضلاً عن حرب الإبادة التى تعرض لها سكان الخيمات الفلسطينية.

ولسنا هنا فى معرض حديث وتحليل للمذابح الصهيونية المرتكبة فى حق الشعوب العربية قاطبة، ولكن نكتفى منها بجريمة نكراء هى جريمة مذبحة صابرا وشاتيلا.

فلم يعرف العالم ظلماً حاق بشعب من الشعوب مثل الظلم الذى تعرض له الشعب الفلسطينى، وما مذبحة صابرا وشاتيلا إلا مثلاً حياً راح ضحيته آلاف الفلسطينيين من الشيوخ والنساء والأطفال.

لم تبدأ المذبحة فى يوم ١٦/٩/١٩٨٢ كما هو مذكور فى الوثائق والتحقيقات، وإنما بدأت عصر يوم ٤/٦/١٩٨٢، حينما قصفت الطائرات فى الثالثة والرابع عصراً وصبت حمماً من القذائف على جانب من الاستاد الرياضى على حدود منطقة صابرا ومخيم شاتيلا، حيث سقط من



السلام.. لكن البشير كان يتهرب منه ويكرر طلبه الرامى إلى إعطائه فرصة من الوقت لتثبيت الوضع فى لبنان ولإعادة العلاقات مع العالم العربى الذى استقبل انتخابه بحذر.

وبعد اغتيال بشير قرر شارون الاستفادة من الوضع والدخول إلى بيروت الغربية، فقد اتصل شارون برئيس وزرائه، وقرر كل منهما احتلال بيروت الغربية دون التشاور المسبق مع الحكومة، وكان وزير الخارجية إسحاق شامير الوحيد الذى أحيط علماً بهذا القرار ودعمه.

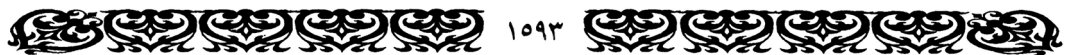
وعلى الفور تم تدعيم الجسر الجوى الإسرائيلى، وكانت طائرات النقل الإسرائيلىة (هر كول) تُنزل فى مطار بيروت الدولى - الذى تحتله إسرائيل - أطناناً من المعدات مع وحدات من المظليين.. وقد صرح (إيتان) رئيس الأركان قائلاً: «لم يحدث أبداً فى تاريخ جيش الدفاع الإسرائيلى أن تمت عملية بمثل هذا الحجم وبالسعة التى تمت بها».

وكانت أوامر شارون تقضى بتجنب أية خسائر بشرية فى صفوف القوات الإسرائيلىة، وحسب أقوال الجنرال شارون أيضاً: «تمنع قوات جيش الدفاع الإسرائيلى من الدخول إلى مخيمات اللاجئين، وسيتم تمشيط وتنظيف المخيمات على يد الكتائب أو الجيش اللبنانى».. وقد أثار نبأ دخول القوات الإسرائيلىة إلى بيروت الغربية موجة من الاستنكار فى العالم أجمع، أما الإسرائيليون، فلم يكن يشغلهم فى المقام الأول إلا ردود الفعل الأمريكية، حيث توجه فى صباح ١٥/٩/١٩٨٢ موريس درايبير المبعوث الخاص للرئيس ريجان إلى مكان رئيس الوزراء فى القدس.. أما ردود الفعل

فى إسرائيل فقد كانت متباينة حتى أن بعض الوزراء قد علموا بدخول القوات الإسرائيلىة إلى بيروت الغربية من الإذاعة، وكانت ردود أفعالهم عنيفة حتى أن أحدهم ذكر للمحرر الدبلوماسى الجريدة «هآرتس» أن هذه الفضيحة لم يسبق لها مثيل. أما «شمعون بيريز» فقد أذان «هذه العملية غير المحسوبة».. وقد بدأت أولى عمليات القتل المنظم فى الساعة الخامسة عصراً، فى حين أعلن شارون فى أول تصريح له أمام الكنيست «إن القوات دخلت خلال الليل».

وقد استمرت أربعين ساعة دون انقطاع، استطاع الإسرائيليون مراقبة العملية من على أسطح المباني المجاورة.

وقد قامت حكومة إسرائيل بتشكيل لجنة «كاهان» الصهيونية للتحقيق فى مسؤوليات مذبحه مخيمى صابرا وشاتيلا فى بيروت عام ١٩٨٢ والذى قدمته اللجنة عن أعمالها إلى حكومة إسرائيل، ويحوى التقرير نتائج ستين جلسة سرية وعلنية للجنة وخلاصة شهادات ثمانية وخمسين شاهداً من الإسرائيليين وغيرهم حول المجزرة والفترة التى سبقتها، ثم حادثة اغتيال بشير الجميل ودخول الكتائبيين إلى المخيمين. وحتى خروجهم منهما، والتقرير يحدد مسؤولية المذبحة من وجهة النظر الإسرائيلىة ومسؤولية المراتب السياسية والمؤسسات العسكرية فى إسرائيل، والتقرير فى مجمله مزيف وضعيف مهترىء، يدل على الخسة والزيف والبطلان، ورغم الجهد الذى بذلوه بقوة فى حبكته، وعلى وجه العموم جاء التقرير ليصفع صانعيه ويكشفهم أمام رأى العام العالمى أجمع.



ولجنة التحقيق كانت مؤلفة من:

إسحق كاهان .. رئيس المحكمة العليا .. رئيساً
للجنة.

هارون باراك .. قاض في المحكمة العليا، يونا
إيفرات ميجر .. جنرال احتياط.

ومع أن معظم تلك التقارير ذكرت أن المجزرة
نُفذت من قبل أفراد كتائبيين، فقد وجهت
الانتهاامات فوراً إلى قوات جيش الدفاع الإسرائيلي
ودولة إسرائيل، ذلك أن دخول الكتائبيين إلى
الخيميات حسب التقارير التي نشرت في حينه تم
بمساعدة وموافقة جيش الدفاع الإسرائيلي. وجاء
التقرير ليشتكك في عدد الضحايا، وأن معظمهم من
الذكور .. وأن عدد الأطفال والنساء قليل جداً، برغم
اعتراف الناجين من المذبحة بأن الضحايا بالآلاف،
وكانت هناك سيارات تجمع القتلى وتخرج بهم ليلاً
تحت حراسة جنود الجيش الإسرائيلي.

أما ما يدعو حقاً للدهشة .. فقد جاء بالتقرير:
« ووفق الشهادة التي استمعنا إليها، لم يقدم
أى تقرير عن المذبحة في الخيميات إلى رئيس
الوزراء (بيجين)، فقد سمع رئيس الوزراء بالمجزرة
من إذاعة «بى. بى. سى» مساء السبت، فاتصل
فوراً برئيس الأركان ووزير الدفاع اللذين أبلغاه بأن
العمليات قد توقفت وبأنه تم إخراج الكتائب من
الخيميين ... ص ٧٧١ ».

وقد نفى قادة الكتائب في مقابلات مختلفة
في وسائل الإعلام أنهم قاموا بارتكاب المذبحة.
وقد سارع رئيس الأركان يرافقه الميجر جنرال أمير
درورى بالاجتماع بقادة الكتائب بالإضافة إلى
مثل عن الموساد وهددوهم قائلين: « من أجل

مستقبلكم يجب أن تعترفوا بارتكاب هذه
المجزرة » ولكنهم رفضوا .. وبعد الاجتماع تابع
رؤساء الكتائب في ظهورهم العلنى نفى أية علاقة
بالمجزرة هناك.

وجاء بالتقرير أن رجال جيش الدفاع الإسرائيلي،
حتى وإن كانوا لم يريقوا الدماء في المذبحة!! .. فإن
دخول الكتائبيين إلى الخيميين تم مع المعرفة المسبقة
بأن هناك مذبحة سترتكب، ومع النية الأكيدة بأنها
يجب أن تحدث، وبناءً عليه فإن جميع من مكنا
الكتائبيين من الدخول إلى الخيميين، يجب
اعتبارهم متواطئين مع أعمال الذبح ويشاركون في
ذلك بتحمل مسؤولية مباشرة. وقد حدث بشهود
العيان أن وجهت نيران دبابات جيش الدفاع
الإسرائيلي إلى مصادر النار داخل الخيميين ».

بالإضافة إلى موقف الكتائبيين من
الفلسطينيين بعد الصدمة العنيفة التى ولّدها
موت بشير الجميل ومجموعة من الكتائبيين فى
انفجار الأشرفية والشعور بالانتقام الذى أثاره هذا
الحادث حتى بدون معرفة هوية المهاجمين!! ..

وبالطبع يعرف الجميع هوية المهاجمين
والمستفيدين من الوضع القائم ..
كما جاء أيضاً فى التقرير تناقض خطير ..

«إننا لا نقول بأن قرار إدخال الكتائبيين إلى
الخيميين كان يجب ألا يحدث فى جميع الظروف
وليس له أى مبرر، هناك اعتبارات جدية لصالح
قرار كهذا» ..

بالإضافة إلى عبارة: « لدينا رغبة مفهومة لمنع
حصول خسائر فى صفوف جيش الدفاع
الإسرائيلي فى معركة جرافية داخل منطقة



معترف بها.. وأن المحكمة لا تتدخل في السياسة التي تخططها السلطة لنفسها».

والسؤال الذي يطرح نفسه، كيف سمح جيش الدفاع الإسرائيلي للكتائب بدخول المخيمات، وهذا يتطلب موافقة أولية مسبقة من رئيس الوزراء، لا أن يسمع رئيس الوزراء ما حدث في وزارته من الإذاعة البريطانية!!.. وطالما أن القرار قد اتخذ فإن النظام الحكومي يتطلب إعلان رئيس الوزراء بأية تجاوزات يتم ارتكابها.

ويبدو أن البطش الشاروني هو المسيطر على صنع القرار وأن هناك خطط سرية مسبقة متفق عليها، وكيف تؤكد اللجنة (أن الشرح الذي قدمه شارون - المستند ٢٧ - والذي قال فيه: «سأدخل الكتائبين المخيمات» لا يمكن أن يكون تقييماً بطبيعة الحال) .. وبرغم أن التقارير كلها وردية، فقد صفت أصحابها أمام الرأي العام العالمي والشارع الإسرائيلي، وانسجاماً مع القرار الذي أصدرته اللجنة في ٢٤/١١/١٩٨٢ أرسلت ملاحظات إلى تسعة أشخاص - آخذة في الاعتبار الأذى الذي سيتعرضون له من التحقيق ونتائجه، وذلك استناداً إلى الفقرة «١٥ أ» من قانون لجان التحقيق لعام ١٩٦٨، وسنحاول أن نستعرض الاتهامات والردود لهؤلاء التسعة أبطال هذا المسلسل الدموي وكيفية خروجهم من هذا المأزق وحصولهم على البراءة الإسرائيلية.

١- رئيس الوزراء مناحم بيجين:

تنص الملاحظة التي أرسلت إلى رئيس الوزراء على: «أنه قد يتعرض للأذى إذا قررت اللجنة أنه لم يبق بالشكل المناسب الذي يمكن أن تلعبه

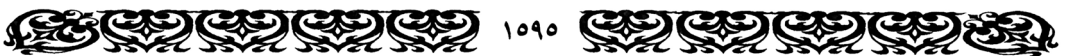
سكنية، وإن كان الطلب إلى الكتائبين للمشاركة في معركة هو بالنسبة إليهم بداية للاستيلاء على السلطة واستعادة استقلال لبنان».

ويخلص هذا الفصل من التقرير إلى التأكيد على أن: «الأعمال الوحشية في مخيمات اللاجئين ارتكبت من قبل أعضاء من الكتائب، وأنه لا تقع أية مسؤولية مباشرة إطلاقاً على إسرائيل، أولئك الذين تصرفوا باسمها، وأن قرار دخول الكتائبين إلى مخيمات اللاجئين، اتخذ دون اعتبار للمخاطر».

ولمحاولة تزييف الحقائق واللعب بثغرات القانون، فإن القاتل قد ارتكب جريمته بنية حسنة حيث ورد فيه: «إننا لا نستطيع قبول هذا الموقف، فقد أصبح واضحاً بالفعل أن الذين قرروا إدخال الكتائبين إلى المخيمات كان يجب أن يتنبأوا بوجود خطر مجزرة ولم يتخذوا أية خطوات كان يمكن أن تزيل هذا الخطر أو تخفف منه».

وباختصار: فإن كل ما حدث يقع تحت المسؤولية غير المباشرة سواء أكانوا علموا بالقرار أو سمحوا للكتائبين بالدخول، وأنهم لم يسمعوا طوال فترة ارتكاب المجزرة بأن هناك مجزرة.

كما فاجأنا اللجنة بمجموعة طويلة من البنود الأساسية التي لا تدخل في اختصاصها!!.. وعلى سبيل المثال: «مسألة تقييم الوزير لا تخدم موضوع تحقيق اللجنة، حسب قانون لجان التحقيق لعام ١٩٨٦!!..» وأن: «تقييم الوزير هو تقييم سياسي، وليس هناك قواعد تتطلب تقييمات من هذا النوع، وهي وجهة نظر قانونية





● رد شيطان الدمار:

« لم يتخيل أحد أن الكتائبيين قد ينفذون مذبحه في المخيمات، وأنها مأساة، وقد كنت على صلة بمدير الاستخبارات العسكرية، ولم أستلم من الموساد أى تقرير » .

● وجاءت صفة التقرير لتؤكد :

« من المستحيل تبرير إهمال وزير الدفاع لخطر حدوث مذبحه وأن الشعور بمثل هذا الخطر كان يجب أن يكون فى وعى وزير الدفاع الذى قام بجانب فعال فى كل شىء يتعلق بالحرب، وأن انغماسه فى الحرب كان عميقاً والعلاقة مع الكتائبيين كانت تحت رعايته المستمرة » .

٣- وزير الخارجية .. شامير :

● نفس الديباجة .. وأنه لم ينقل المعلومات إلى رئيس الوزراء، أو وزير الدفاع، ونفس التنصل .

● أما الجديد فكان رأى اللجنة التى قالت :

المعروف أن له موقف تشكيكى مسبق إزاء معلومات الوزير الذى نقل إليه المعلومات، والمعروف عنه فى الحكومة بأنه منتقد ثابت لوزير الدفاع آرئيل شارون، ولرئيس الأركان ولأعمالهما ومعارضته لهما فيما يتعلق بالحرب فى لبنان، وخصوصاً قضية التعاون مع الكتائبيين . وأنه كان يجب عليه على الأقل أن يلفت نظر وزير الدفاع .

٤- رئيس الأركان .. اللفتنان جرنال رافائيل إيتان :

● لم يأخذ بعين الاعتبار خطر أعمال الانتقام وسفك الدماء، ولم يأمر باتخاذ خطوات مناسبة لتجنب هذا الخطر وأن فشله فى القيام بذلك مساوٍ للإخلال بالواجب المسند إلى وزير الدفاع ولا يجب لومه على ذلك .

القوات اللبنانية عقب دخول جيش الدفاع الإسرائيلى إلى بيروت الغربية، وتجاهل خطر أعمال الانتقام والأعمال الدموية التى ارتكبتها هذه القوات بحق السكان فى المخيمات .

● الرد:

لا أعلم شيئاً!! .. وفى كافة الحوارات التى أجريتها مع وزير الدفاع شارون ورئيس الأركان، لم يجر التطرق لهذه المسألة فى التقارير التى تلقيتها .

● رأى اللجنة:

يمكننا أن نعجب من كون مشاركة الكتائبيين فى دخول بيروت الغربية والمهمة الموكلة إليهم بتطهير المخيمات، بدت غير مهمة لدرجة أن وزير الدفاع شارون لم يطلع بيجين عليها، ولم يأخذ موافقته!! ..

وخلصت اللجنة إلى أن هذه المجزرة لا تُحْمَل رئيس الوزراء بيجين أية مسؤولية .

.. والمضحك .. قول رئيس الوزراء : « لقد أبلغت رئيس الأركان فى الليلة ما بين ١٤ ، ١٥ أيلول ١٩٨٢ فى أثناء توضيح قرار احتلال جيش الدفاع الإسرائيلى لمواقع فى بيروت أن هذا القرار اتخذ « بهدف حماية المسلمين من انتقام الكتائبيين » .

٢- وزير الدفاع آرئيل شارون : وهو المسئول الأول عن هذه المذبحة والمخطط لها .

وقد نصت الملاحظة التى أرسلت إليه على : « أن وزير الدفاع قد يتأذى إذا ما قررت اللجنة بأنه (تجاهل أعمال العنف وإراقة الدماء) » .



توصية اللجنة الخاصة بوزير الدفاع

آرئيل شارون كما جاءت بالتقرير

«لقد وجدنا كما هو مفصل في التقرير، أن وزير الدفاع يتحمل مسئولية شخصية، ومن الملائم برأينا أن يتحمل وزير الدفاع النتائج المناسبة الناجمة عن العيوب التي تم الكشف عنها والخاصة بالطريقة التي أدخل فيها بواجباته، وإذا ما لزم الأمر، أن ينظر رئيس الوزراء ما إذا كان عليه ممارسة صلاحياته وفق المادة (٢١/أ) من القانون الأساسي والتي تنص «بحق لرئيس الوزراء بعد إطلاع الحكومة على نيته في القيام بذلك، عزل وزير من منصبه».

والخلاصة أن هذا التقرير الملقق جاء ليزيد الطين بلة، ويصنع صانعيه، ويُعَرِّى مؤسسة السفاحين الصهيونية أمام الرأي العام العالمي والتي ادعت أن الأجهزة العسكرية والاستخباراتية تعترف بوجود ثغرات كبيرة في قنوات المعلومات وأن التضارب في جميع الأقوال، أرجعتها اللجنة إلى «الثغرات من الناحية البشرية».

هل دماء رحبعام زئيفي وزير السياحة الإسرائيلي أغلى من دماء آلاف الضحايا في مخيمي صابرا وشاتيلا، ومن عشرات الكوادر الفلسطينية التي تقتل في وضوح النهار بتفجير السيارة بصاروخ من طائرة عسكرية إسرائيلية، ولم تعلن أية جهة حتى الآن مسئوليتها عن مقتل عربي واحد، وإذا جرح إسرائيلي تسارع المنظمات الفلسطينية المختلفة بإعلان مسئوليتها عن الحادث. اتقوا الله فيما تفعلون، وانظروا كيف نفكر وكيف يفكرون.

.. واستكمالاً في المغالطة يورد التقرير: «أنهم لم يتحدثوا معه عن أية مسألة حول هذه العمليات الشاذة».

٥- مدير الاستخبارات العسكرية.. الميجور

جنرال يهوشع ساغي:

هو أيضاً لا يعلم!!..

٦- رئيس الموساد:

أيضاً لا يعلم، «برغم أن عدم التحرك من قبل رئيس الموساد يتضمن ثغرة في مسئوليته».. وقد تولى رئيس الموساد منصبه في ١٢/٩/١٩٨٢.. أي قبل يومين من مقتل بشير الجميل.

٧- قائد الجبهة الشمالية.. الميجر جنرال أمير

دروري:

وقد اكتفى بدور سلبي بشكل مطلق، (وأن هذا الانتباه المنخفض لا يمكن تبريره على الإطلاق).

٨- قائد الفرقة.. البريجادير جنرال موشيه

يارون:

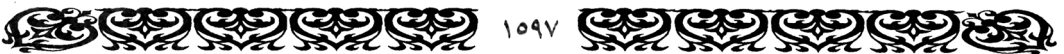
لم يفعل شيئاً برغم أنه تلقى أنباء عن عمليات قتل مساء ١٦/٩/١٩٨٢.

● الغريب أن تقرير اللجنة يعفيه لأنه وقتذاك كانت لديه كقائد فرقة مشاكل قتالية أهم بكثير من مسألة الكتائبين داخل المخيمات.

٩- آفي دوداي: المساعد الشخصي لوزير

الدفاع شارون..

تملص هو أيضاً من إجابات قاطعة.



القصة القرآنية في الدراسات المعاصرة

د. أستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

٢

ويعتد سيد قطب المنظر الحقيقي للأصول الفنية للقصة في القرآن الكريم بلا جدال، فقد عرض لهذا الموضوع الجليل في تفسيره: «في ظلال القرآن»، كلما اقترب من آيات تتصل بظاهرة القص، ومعروف أن القصص القرآني ميثوث فيه عبر سياقات متعددة، يتفاوت فيها بين الملحة الدالة والتفصيل المستفيض، وبين التناول البكر والتناول المكرور، وبين توزيع الحديث القصصي الواحد في سور كثيرة وتمحيص سورة واحدة لقصة واحدة.. ثم عرض سيد قطب لهذا الموضوع الجليل في كتابه: «التصوير الفني في القرآن» الذي محضه لدراسة أمثال هذه الظاهرة الفنية، وتبدو دراساته هناك أكثر اهتماماً بالجانب الفني. وأكثر انصرافاً عن هذا الجانب الفني، مما أتاح له أن يضيء أسس القصة القرآنية؛ وظيفته، وأداء، وبناء، وخصائص مستفيدة في كل أولئك من وعيه النقدي الحاد، وحسه العقيدى المرفه، وإحساسه بضرورة التنوير الجمالي لما في النص القرآني من جوانب إبداعية تشكل المدخل الحقيقي لعناق ما في سياقاته الفنية من جوانب الإعجاز والامتياز.

وهذا طبيعي.. فالقصص القرآني قصص ناهض بأداء رسالة عقيدية معينه أداء يجعل منه في النهاية سلاحاً نقاتل به كل جوانب التخثر في واقعنا الحياتي، وليس مجرد إشباع جمالي نصيب به الغاية من وجودنا مرة، ونخطئ به الغاية من هذا الوجود مرات.

وحتى يرسم سيد قطب صورة عامة أولية

وبدأ يحدد سيد قطب مفهومه للقصة القرآنية في إطار من تكويناتها الخاصة، فيرى أن «القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، التي ترمى إلى أداء غرض فني طليق، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية»^(١).

(١) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن - ص ١١٧.



متعددة، لأن المناسبة الموضوعية هي التي تستدعي هذا القص، وهي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء، «والقرآن كتاب دعوة ودستور نظام، ومنهج حياة، لا كتاب رواية، ولا تسلية، ولا تاريخ، وفي سياق الدعوة يجئ القصص المختار، بالقدر، وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق وتحقق الجمال الفني الصادق، الذي لا يعتمد على الخلق والتزويق، ولكن يعتمد على إبداع العرض وقوة الحق، وجمال الأداء»^(٤).

فالواقعية الصادقة هي منطق القص القرآني وقراره، والقرآن الكريم لا يتكئ في تحقيق فاعليته القصصية على خلق الشخوص وتزويق الأحداث، ولكنه يتكئ في تحقيق هذه الفاعلية على محوري «الحق المضموني، والجمال الأدائي» وفي هذا المجال يمكن أن يقال: إن النص القرآني في سياقه القصصي حقق الشرط الفني المستحيل، وهو تسوية المثال الجمالي، والنفاز من خلاله إلى أعماق المتلقى بعيداً عن تهاويل التلفيق والتزويق التي يمارس القص الإنساني في رهجها فاعلياته الجمالية.

ويستطرد سيد قطب إلى غايات يخيل إلينا أنه كان ينبغي - من الوجهة الفنية - إرجاء الحديث عنها إلى مناسبات موثمة، وهي تحديد أغراض القصة القرآنية في مثل: إثبات الوحي والرسالة، وبيان أن الدين كله من عند الله، وأن الدين كله موحد الأساس، وأن وسائل الأنبياء في الدعوة

يحدد من خلالها طبيعة القصص في السياق القرآني، كمدخل إلى الرؤية الكلية في هذا الصدد من جهة، وكتحديد للشروط الخاصة بالنسق القرآني في قصه من جهة أخرى، يقول:

«يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات وهذه المناسبات التي يساق من أجلها هي التي تحدد مساق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتى عليها، والطريقة التي تؤدي بها، تنسيقاً للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه، وبذلك تؤدي دورها الموضوعي وتحقق غايتها النفسية، وتلقى إيقاعها المطلوب»^(٢). وربما تكررت القصة في مواضع متعددة ولكنه ليس تكراراً عشوائياً، لأنه «ما من قصة، أو حلقة من قصة، قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار»^(٣).

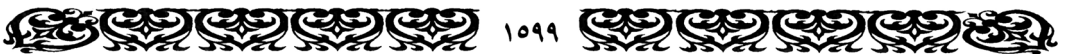
فالمناسبة فهي التي تحدد طبيعة القصة القرآنية، مساقاً وكماً وصورة وطريقة وجواً، فإذا تكررت هذه القصة فليس هذا التكرار تنويعاً على أساس قديم، وإنما تنويع جديد يعمق الرؤية، ويرهف الاستجابة، ينقلنا به من وضعية إلى وضعية أخرى تماماً.

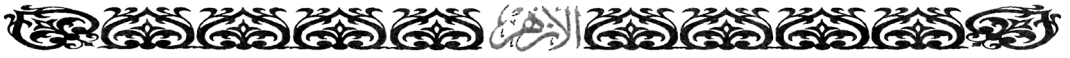
وقد يقع بعض الناظرين في هذا القصص القرآني في وهم أن هذا القصص ككل قص يقوم على اختراع الحوادث والشخوص في بنائه، أو نسيجه، ولكن مثل هذا الظن باطل من جهات

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن - المجلد الأول - ص ٥٥.

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن - المجلد الأول - ص ٥٥.

(٤) سيد قطب: في ظلال القرآن - المجلد الأول - ص ٥٥.





ببعض حلقاتها، وتارة تتوسط بين هذا وذاك، حسبما تكمن العبرة في هذا الجزء أو ذاك»^(٦).

وفى «أن تمزج التوجيهات الدينية بسياق القصة، قبلها وبعدها وفى ثناياها»^(٧).

ثم يقرر سيد قطب أن خضوع القصة القرآنية للغرض الدينى هكذا هدفاً وطريقة، لم يمنع بروز الخصائص الفنية فى عرضها.. ولكنه على النقيض أبرز خصائص فنية بعينها تحسب فى الرصيد الفنى للقصة فى عالم الفنون الطليق، حيث «يجعل الجمال الفنى أداة مقصودة للتأثير الوجدانى، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية»^(٨).

ولعله يمكن إجمال الخصائص الفنية التى نشأت عن خضوع القصة القرآنية للأغراض الدينية فى: واحدة العرض، على تغاير موضوعات القصة وشخصياتها جميعاً، كأنما ليستنبت فى وعى المتلقى إحساساً أصولياً بوحدة الدين... وفى عرض الحلقات التى تقتضيها الأغراض، حتى إن آخر حلقة تعرض - بحسب ترتيب السور - تتفق مع أظهر غرض دينى صيغت القصة من أجله، وفى الوقت ذاته يتفق هذا الختام مع الأصول الفنية، ويبدو كأنه ختام فنى لذاته، وفى تساوى القصة مع الوسط الذى تعرض فيه، فأنشاء التساوق نوعاً من التناسق الفنى^(٩).

وأخيراً ينحو سيد قطب إلى الدراسة الجمالية

موحدة، وأن استقبال قومهم لهم متشابه، وأن الله ينصر أوليائه فى النهاية ويهلك المكذبين، إلى آخر هذه الأغراض التى كان من الممكن ترك استشفافها لطاقة المتلقى من واقع حركة النص، والتركيز على أصولية الخصائص «الفنية» للقصة القرآنية.. ولكن ربما كان السبب الكامن وراء استطراد سيد قطب فى هذا الاتجاه، هو ما أحس به من أن خضوع القصة القرآنية للغرض الدينى ترك عليها آثاراً معينة، جعلت لها ملامح أفردتها - فى ظل هذه الخصوصية - من بين كل الإبداعات القصصية الآخر، وهذا ما يتضح فى عنوانه لفصل تال لحديثه عن «أغراض القصة القرآنية» على هذا النحو: «آثار خضوع القصة للغرض الدينى».. هذه الآثار التى حددها فى مجموعة من الطرائق الفنية، أعادت لدراسته وجهها الفنى الحقيقى، والتى يمكن إجمالها فى: ورود القصة الواحدة - فى معظم الحالات - مكررة فى مواضع شتى.

«ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها غالباً إنما هو تكرار لبعض حلقاتها، ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها، أما جسم القصة كله فلا يذكر إلا نادراً، ولمناسبات خاصة فى السياق»^(٥).

وفى أن تعرض القصة بالقدر الذى يكفى لأداء الغرض الدينى ومن الحلقة التى تتفق معه «فمرة تعرض القصة من أولها، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها، وتارة تعرض كاملة، تارة يكتفى

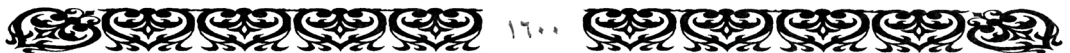
(٦) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن - ص ١٢٢.

(٨) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن - ص ١٣٩.

(٥) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن - ص ١٢٦.

(٧) سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن - ص ١٣٧.

(٩) انظر: التصوير الفنى فى القرآن - سيد قطب - ص ١٣٩-١٤٦.



﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (١٠)

هذه إشارة البدء ، أما ما يلي ذلك فمتروك لإبراهيم وإسماعيل :

﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١١)

إلى نهاية المشهد الطويل ...

ب - وثانية هذه الخصائص تنوع طريقة المفاجأة :

فمرة يكتفون سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة، حتى يكشف لهم معا في آن واحد، مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح العالم في سورة الكهف ..

ومرة يكشف السر للنظارة، ويترك أبطال القصة عنه في عماية، وهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر، وأولئك يشاهدون تصرفاتهم عالين، وأغلب ما يكون ذلك في معرض السخرية، ليشاركوا النظارة فيها، منذ أول لحظة، حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين، وقد شاهدنا مثلا من ذلك في قصة أصحاب الجنة .

ومرة يكشف بعض السر للنظارة وهو خاف على البطل في موضع، وخاف على النظارة وعلى البطل في موضع آخر، في القصة الواحدة، مثال ذلك قصة عرش بلقيس الذي جئ به في غمضة، وعرفنا نحن أنه بين يدي سليمان، في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم :

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَشُكِ قَالَتْ كَانَهُ هُوَ﴾ (١٢)

بشكل نهائي في حديثه عن نوعية «الخصائص الفنية للقصة» التي تحقق غاياتها المضمونية عن طريق الجمال الفني، ويلاحظ أنه استقى في هذا الحديث جوانب البناء القصصي : من عرض، إلى مفاجأة، إلى سرد، إلى تصوير ، مع حرص لا يتخلف على أساسية أن يظل إيقاع الحديث قابضاً على إحساس أننا نتعامل مع قص قرآني وليس مع مطلق قص فيقول :

١- «أولى هذه الخصائص : تنوع طريقة العرض، وقد لاحظنا في قصص القرآن أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة على النحو التالي :

مرة يذكر ملخصا للقصة يسبقها، ثم يعرض التفاصيل بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها، وذلك كطريقة قصة أهل الكهف ..

ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها ، وتسير بتفصيل خطواتها، وذلك كقصة موسى في سورة القصص ... وقريب من هذا النحو قصة يوسف .

ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكون في مفاجأتها الخاصة ما يغني، مثل ذلك قصة مريم عند مولد عيسى، ومفاجأتها معروفة ...

ومرة يحيل القصة تمثيلية، فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطالها، وذلك كالمشهد الذي عرضناه من قصة إبراهيم وإسماعيل ..



فهذه مفاجأة عرفنا نحن سرها سلفاً، ولكن مفاجأة الصرح المرد من قوارير، ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرهما معها، حينما:

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ (١٣).

ومرة لا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة في آن واحد ويعلمان سرها في الوقت ذاته، وذلك كمفاجآت قصة مريم، حين تتخذ من دون أهلها حجاباً، فتفاجأ بالروح الأمين في هيئة رجل.. وقد فوجئنا كذلك معها إذ

﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ (١٤).

جـ «وثلاثة الخصائص الفنية في عرض القصة: تلك الفجوات بين المشهد، والمشهد، التي يتركها تقسيم المشاهد، «وقص» المناظر، مما يؤديه في المسرح الحديث إنزال الستار، وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة، بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق، وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب» (١٥).

ويخصص سيد قطب للخصيصة الرابعة وهي: «التصوير في القصة» فصلاً بذاته، لأنها – كما يرى – أبرز الخصائص الفنية في القصة. مؤكداً على أن «هذا التصوير في مشاهد القصة ألوان: لون يبدو في قوة العرض والإحياء، ولون يبدو في تخيل العواطف والانفعالات، ولون يبدو في رسم الشخصيات».

ثم يردف مستدركاً: «وليسست الألوان منفصلة، ولكن أحدها يبرز في بعض المواقف ويظهر على اللونين الآخرين، فيسمى باسمه، أما الحق فإن هذه اللمسات الفنية كلها تبدو في مشاهد القصص جميعاً» (١٦).

وهكذا يلوح واضحاً أننا هنا أمام دراسة فنية لخصائص القصة، تضيء لنا طريقة العرض، وطريقة المفاجأة، وطريقة السرد، وطريقة التصوير، في تنوعاتها التقنية، التي تتردد في: «العرض» بين الإجمال، والتلويح بالمغزى، والاكتفاء بالدهشة الكامنة، وحكاية الفعل بالفعل، والتي تتردد في «المفاجأة» بين الحجب الكامل، والحجب عن الشخص دون النظارة، والحجب التبادلي، والحجب غير الوارد أساساً.. والتي تتردد في «السرد» بين ترك الفجوات، وقص المناظر... والتي تتردد في «التصوير» بين قوة العرض، وتخيل العواطف، ورسم الشخصيات.

وكل أولئك بالطبع فعل فني حقيقي، يحاول اكتناه التركيب في نصوص معينة، ويحاول كذلك أن يضئ جماليات هذا التركيب، بدءاً من الغاية التي يهدف إليها، ومروراً بالبناء الحامل لها، وانتهاءً إلى الخصائص المميزة التي تجعل من هذا الفعل الفني عالماً تحكمه قوانينه وضوابطه.

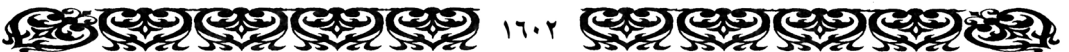
والملاحظ في هذه الدراسة بحق، أن صاحبها ينطلق من النص إلى القانون، النقدي، وليس النقيض، فقد فشلت دراساتنا المعاصرة من الدخول في النص بقوانين جاهزة مصمتة، كأن كل الإبداع يمر بحتمية غير مرئية من ثقبها الضيقة، مما أصاب النقد والإبداع جميعاً بضمور مؤكد تتقازم فيه الرؤى، وتنحسر فيه الاجتهادات!!

(١٤) مريم (٢٣).

(١٣) النمل (٤٤).

(١٦) انظر: التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ص ١٥٤.

(١٥) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن - ص ١٤٦-١٥٢.



الإبداع وحرية المبدع

دراسات
أدبية

للأستاذ الدكتور / متولى محمد البساطي (*)

إن تقويم أى عمل إبداعى، والحكم عليه يرتبط بأمرين: الأول: هو مدى حرية المبدع فى التعبير، والثانى: هو النظر إلى وظيفة الفن.

والأمران مرتبطان، إذ لا يمكن الحديث عن أيهما بعيدا عن الأخرى، وسيظلان باقيين، ومرتبطين ما بقى الإبداع.

قد تتقاطع الآراء، أحيانا، حولهما. ويشتجر الخلاف إلى درجة الحدة، فيصدر الرأى تبعا لثقافة الفرد، وانعكاسا لمزاجه، وهو ما نلاحظه فى العصور المختلفة، والبيئات المتعددة، وليس عصرنا ولا يئتنا بدعا فى ذلك.

وفى العملية الإبداعية ينبغى أن نفرق بين التفكير، والتعبير، إذ انهما مرحلتان، مختلفتان فى طبيعة كل منهما، مع مراعاة عدم الفصل بينهما، وبالتالي تختلف الحرية الممنوحة للمبدع تبعا لذلك، كما يختلف الحكم على عمله الإبداعى.

فكل له الحق فى أن يفكر فيما يشاء، وكيفما شاء، وليست هناك قيود على حرية التفكير، أما عندما يخرج الأمر إلى مجال التعبير فتلك مرحلة أخرى تختلف فى طبيعتها، إذ أن الإبداع إذا كان فيه تحقيق لذات المبدع، فإن هذا العمل من جهة أخرى ليس ذاتيا بصور مطلقة تماما، إذ أنه موجه إلى الآخرين، وعندما يتدخل الناقد وهو الطرف الثالث فى العملية الداعية فإنه يقوم بدور الوسيط بين المبدع، والمتلقى أو بعبارة أخرى يمارس جدلية الحوار البناء مع المبدع، التى قد يمارسها القارئ الواعى.

(*) الكاتب: رئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة.



إن ذلك أو بعضه قد يدغدغ مشاعر المتلقى، فينتشي به حيناً، ولكنه أشبه ما يكون بالحركات الفجة، المثيرة للغرائز، أو الكلمات الماجنة التي تخذش الحياء، وتصدم الذوق، والشعور، والإدراك. وما سبق لا يمكن أن نسلكه في نطاق الإبداع إلا إذا وظف توظيفاً فنياً جيداً، وجاء في خدمة العمل الإبداعي.

فالمبدع ليست مهمته محصورة في نقل الواقع، وإنما في إعادة صياغته، بعد أن يضيف عليه من ذاته، وإن بقي الواقع هو نقطة الارتكاز، والمحور الذي يدور حوله ملحقاً.

ومن ناحية ثانية ينبغي أن ينظر إلى التجربة الفنية على أنها تهدف إلى الخير بوجه عام^(١)، ولذا يرى هربرت ريد أن العلاقة بين الفن والدين من أكثر المسائل التي ينبغي علينا أن نواجهها على الرغم مما فيها من صعوبة، وأن الفن والدين يبرزان يداً في يد من أعماق مما قبل التاريخ، وبدا عليهما انهما مرتبطان ارتباطاً لا ينفصم، وعلى الرغم من محاولة فصل الفن عن الدين في أوروبا، واتساع هوة الانفصال مع ما يعرف بعصر النهضة، بوجود فن متحرر يهدف إلى التعبير عن شخصية الفنان لكنه ينتهي إلى الاعتقاد «بأنه لا يمكن أن يكون هناك فن عظيم، أو مراحل عظيمة للفن دون ارتباط وثيق بين الفن والدين، وعلى الذين ينكرون ضرورة الارتباط بين الدين والفن أن يكتشفوا بديلاً للمشاعر الدينية عند الجماعات، يستطيع أن يضمن في المدى البعيد وجود نوع من الاستمرار التاريخي لذلك الفن الذي ليس دينياً»^(٢).

وفي مرحلة التعبير لا يمكن لذى بصيرة أن يقول بالحرية المطلقة للمبدع، وإلا انقلبت هذه الحرية المطلقة إلى فوضى مطلقة، وصار الفن معول هدم بدلاً من أن يكون وسيلة بناء، وارتقاء.

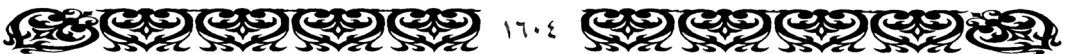
والمبدع عندما ينتقل من مرحلة التفكير إلى مرحلة التعبير فإن أول ما يقوم به هو «الضبط» والتنظيم والانتقاء»، ولا نتصوره يعبر عما بداخله من أفكار وخواطر، بأى كيفية، لأن ما يقوم به فى هذه الحالة سيأتى أشبه ما يكون بهذيان المحمومين، أو تهويمات الخبولين، أو الأحاديث المباشرة العادية التى تجرى فى الأسواق، أو داخل غرف النوم، وبعض هذه الظواهر وجدت فى الأدب العالمية فى فترة من الفترات، وكانت انعكاساً لعوامل غير صحية، سرعان ما تعافت منها تلك الآداب.

فعملية «الضبط»، والتنظيم، والانتقاء» من صميم العمل الإبداعي، ولا يقال بأن ذلك يقف حجر عثرة أمام المبدع، إنها ضوابط، لا قيود، وهى ضوابط تأخذ بين المبدع، ولا تعيقه طالما رزق البصيرة النافذة، والقدرة الخلاقة، والحس المرهف، ليحلق فى سماء الفن، ويأخذ بيد المتلقى، ليحلق معه هو الآخر بدلاً من أن يدفعه إلى الحضيض، ويهوى بمداركة ومشاعره.

ليست مهمة المبدع أن ينقل الواقع كما هو، محتجاً على ذلك بالواقعية، وإنما مهمة المبدع أن يرتفع عن الواقعية المسفة، المبتذلة، ليسمو بالمتلقى إلى واقعية لإبداع الراقى.

(١) علم الجمال والنقد الحديث د/ عبدالعزيز حمودة ص ٨٦، ٨٧ نقلاً عن كتاب الفن لكليف بل. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩.

(٢) معنى الفن ص ٤٨/٥٠ ترجمة سامى خشبة. الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة/ ١٥ نوفمبر سنة ١٩٩٠.



أن يمحي اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره، إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير، وابن الزبير وأضرابهما ممن تناول رسول الله ﷺ وعاب من أصحابه بكما خرسا، وبكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»^(٣).

وهذا القول يمثل الوجه الثاني للعملية النقدية، وهو رأى يعود بنا ثانية إلى قضية الفصل بين الفن والدين، وأن البعض يرى أن الفن لا يعيش فى كتف الدين، وأن الأهداف الدينية، والأخلاقية، لا تأتلف وطبيعة الفن، متناسين أن القول بهذا فيه من الخطر ما يكفى لهدم الممثل والقيم الأخلاقية، وهو أمر تنبه له أفلاطون قديما، إذ يقول: «فينبغى أن نراقب الشعراء، ونحملهم على أن يبرزوا فى إنتاجهم صورة الخلق الخير، وإلا عاقبناهم بالحربان من التأليف، وأن يمتد الإشراف إلى أساتذة جميع الحرف الأخرى بالمثل، ونمنعهم من إبراز الموضوعات، والانحلال الخلقي، والتسفل، وكل ما تكون طبيعته شريرة»^(٤).

ونحن نفهم قول الجرجاني «الدين بمعزل عن الشعر» على أن طبيعة الدين تختلف عن طبيعة الشعر، فالشعر ينبغى أن يقوم على أساس فنى أولا، وحتى الشاعر الملتزم تتحكم فيه طبيعته الفنية فى إطار المعايير الأخلاقية.

وتلك محاولة منه للخروج من المأزق الذى قد يتعرض له بتناول هذا اللون من الشعر، وربما الإعجاب به، فالشعر فن، وليس شعيرة، أو ورثا من الأوراد.

والحرية المطلقة كما تجنى على الفن فإنها كذلك تجنى على الأخلاق، ولا يخفى على أحد أن كل مجتمع له مقدساته، وله أعرافه، وتقاليده، ومنه لا يجوز انتهاكه من قبل الآخرين حتى الذين يختلفون عنا فى العقيدة، أو المذاهب، أو الفكر، إذ أن الاختلاف فى ذلك يعطى للمخالف الحق فى التناول على المقدسات، أو النيل منها بدعوى حرية الفكر.

والقول بالارتباط بين الفن والدين ليس معناه الدعوة إلى أن يتخذ الفن منبرا للوعظ، أو الدعوة المباشرة إلى تقرير القيم والمثل الأخلاقية، لأن ذلك لا يجدى الفن، والدين شيئا.

كما أننا من ناحية أخرى لا نميل إلى محاكمة المخالفين فى الرأى، ونصب المشائق لمن يخرجون عن المثل، والقيم الأخلاقية، إذ أن هذه ليست من مهام الناقد، وإنما نقصد إلى القول بأن الأساس الأخلاقى أحد الأسس التى وجدت فى نقد الآثار الفنية قديما، وحديثا، عند العرب، وعند غيرهم.

وينبغى أن يكون الأمر فى هذا داخلا فى إطار الخلاف فى الرأى، أو فى وجهات النظر، ولا ينبغى أن ينتج عنه اتهام بالتعصب، أو التناذب، والمقاطعة، والتكفير، ورد الفريق الآخر بالاتهام بالجهل، وضيق الأفق.

وفى تراثنا العربى يكفى أن نجد ناقدا مثل القاضى عبدالعزيز الجرجاني «ت٣٦٦هـ»، الذى اشتهر بالفقه، والتفسير يتسع صدره لشعر أبى نواس، ولشعر غيره ممن نهج نهجه فى اللهو والمجون، والخروج عن الأساس الأخلاقى، إذ يقول: «فلو كانت الديانة عارا على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر، لوجب

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه - تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى البجاوى مطبعة الجلى ص٤٤.

(٤) جمهورية أفلاطون ص٥٥/٥٦ ترجمة نظلة الحكيم، ومحمد مظهر سعيد... دار المعارف، ط الثالثة.



طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

صون العرض

قال أبو علي الدقاق: ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة طلبها، إن كان كريما أصون عرضه، وإن كان لثيما أصون عرضي.

قال الشاعر:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه

لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتال للمال إن أودى فأجمعه

ولست للعرض إن أودى بمحتال

حكمة

وإذا حملت إلى سفيه حكمة

فقد حملت بضاعة لاتنفق

يدك.. تربي

روى الأعمش أن أعرابيا جلس إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه، وكانت يده أصيبت يوم «نهاوند» فقال الأعرابي: والله إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتربيني!!

فقال زيد: ما يربيك من يدي إنها الشمال فقال الأعرابي: والله ما أدري اليمين يقطعون أم الشمال، فقال زيد: صدق

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ (١).

ويعني تربيني أى تدخل إلى قلبى الشك هل قطعت فى سرقة، وهذا من جهل الأعرابي.

(١) التوبة (٩٧).



خير الزاد التقوى

دخل على بن أبي طالب - رضى الله عنه - المقابر، فقال: أما المنازل فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، وأما الأزواج فقد نكحت، هذا خبر ماعندنا فما خبر ماعندكم؟! ثم قال: والذي نفسى بيده لو أذن لهم فى الكلام لأخبروا أن خير الزاد التقوى.

خير ما يؤتى المرء

قال رجل لحكيم: ما خير ما يؤتى المرء؟ قال: غريزة عقل.
قال: فإن لم يكن؟ قال: فتعلم علم.
قال: فإن حرمه؟ قال: صدق اللسان
قال: فإن حرمه؟ قال: سكوت طويل
قال: فإن حرمه؟ قال: ميتة عاجلة.

دعاء

اللهم إنا دعوناك ثقة بكرمك، وطمعا فى رحمتك، وسعيا وراء مرضاتك فما غير وجهك قصدنا، ولا إلى غيرك لجأنا، أنت وليّى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين.

أخلاق الصالحين

سأل الرشيد أبا يوسف، قاضى القضاة فى عهده: صف لى أخلاق «أبى حنيفة» فقال: كان والله شديد الدفاع عن حرّمات الله، مجانبا لأهل الدنيا، طويل الصمت، دائم الفكر، لم يكن مهذارا ولا ثرثارا، إن سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب، وما علمته - يا أمير المؤمنين - إلا صائنا لنفسه ودينه مشغلا بنفسه عن الناس، لا يذكر أحدا إلا بالخير، فقال الرشيد: هذه أخلاق الصالحين.

قالوا...

- خير المال ما وجهته وجهه.
- خير الناس للناس خيرهم لنفسه.
- خالف هواك ترشد.
- خير الناس من فرح للناس بالخير.
- ليس من أراد الحق فأخطأه كمن أراد الباطل فأصابه.
- كفاك أدبا لنفسك اجتناب ماتكره من غيرك.
- من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استنفاء أريت الفقرة

بجيب عنها الجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ / معوض مبروك عباس

وقال - تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٢).

ومن مظاهر التيسير على المسلم إعفاؤه من فريضة الصيام في شهر رمضان، إذا فنيته قوته، وعجز عن أداء الصوم لكبر سنه، وهو ما يسميه الفقهاء بالشيخ الفاني، والعجوز الفانية.. قالوا: ويجوز الفطر لشيخ وعجوز فانية، وتلزمهما الفدية، وهي إطعام مسكين عن كل يوم غداء وعشاء، أو فطور وسحور، أو يخرج قيمة ذلك والأصل فيه قوله - تعالى :

● سؤال من السيد / حسين القطان

يقول فيه :

رجل في الثمانين من عمره، ضعيف الصحة لا يقدر على الصيام، وهو فقير لا يملك شيئاً وينفق عليه أولاده الفقراء جداً فهم يعيشون على الكفاف لكثرة أولادهم وعدم وجود مورد رزق لهم، فما حكم فدية الصوم عن هذا الرجل، وهو لا يستطيع إخراجها، كما لا يستطيع أولاده إخراجها عنه؟.

●● الجواب :

قال الله - تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (١)



يصح، والمسافر قبل أن يقيم، وإن كان المستحب أن يفدى.

ومن هذا يتبين للسائل أنه ليس على الرجل موضوع السؤال.. إذا كانت حالته كما شرح، لا صيام ولا فدية.. وليس عليه إلا أن يستغفر لله - سبحانه - ويطلب عفوہ. والله - تعالى - لا يكلف نفساً إلا وسعها، والله أعلم.

● سؤال من السيد / فوزى سيد حبشى.. يقول فيه:

عندى مرض السكر، ولا يمكننى الاستغناء عن الماء، ولا عن الغذاء، فإن صمت وامتنعت عن الماء يحصل عندى ضعف ولا يمكننى القيام بمباشرة عملى الذى أستعين به فى الحصول على معاش أولادى.. فما الحكم الشرعى.

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن والاه.. وبعد،

فإن علماء مذهب الفقه الحنفى قد نصوا على أن المريض إذا غلب على ظنه بأمانة أو تجربة أو إخبار طبيب حاذق مسلم مأمون أن صومه يفضى إلى زيادة مرضه أو تأخير شفائه، جاز له الفطر، وكذا يجوز الفطر

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَ فِدْيَةَ طَعَامٍ مَسْكِينٍ﴾ (٣).

قال العلماء: أى لا يطيقون الصيام، وتقدير حرف النفى «لا» أسلوب معروف فى القرآن الكريم كما فى قوله - تعالى:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ﴾ (٤).

أى لا تفتأ، وقوله - تعالى:

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكُرْبَىٰ﴾ (٥).

أى لا تضلوا.. ويرى بعض العلماء أن المعنى.. وعلى الذين يطيقونه أى يقدرُونَ عليه بتعب ومشقة وعسر... روى عطاء أنه سمع ابن عباس - رضى الله عنهما - يقرأ: «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» قال ابن عباس - رضى الله عنهما - هى للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكين.

رواه البخارى.. قال الفقهاء: فمن لم يقدر على الفدية لعسرته، يستغفر الله - تعالى - ويستقبله أى يطلب منه الإقالة والعفو، ومن الفقهاء من قال: إنه لا فدية على الشيخ الفانى والعجوز الفانية، وهو مذهب المالكية، وبعض فقهاء الأحناف، لأنه عجز مستمر إلى الموت، فكان كالمرضى، إذا مات قبل أن

(٤) يوسف (٨٥).

(٣) البقرة (١٨٤).

(٥) النساء (١٧٦).



الذين لا يزرعون .

والقدر الواجب إخراجه عند الشافعية صاع عن كل فرد، والصاع عندهم (قدحان بالكيل المصرى) من غالب قوت المخرج عنه، وأفضل الأقوات، القمح والذرة والشعير والأرز إلخ.....

والمقدار الواجب إخراجه عند المالكية صاع عن كل شخص، وهو قدح وثلاث بالكيل المصرى.. فتجزئ الكيلة عن ستة أشخاص، وهو صاع كذلك عند الحنابلة.

ووقت وجوب الزكاة من طلوع فجر يوم العيد، ويصح أدائها مقدماً ومؤخراً.. عند الشافعية.. إلا أنها تستحب قبل الخروج إلى المصلى لقوله ﷺ : « اغنوهم عن ذل السؤال فى هذا اليوم ».. وقال الشافعية: إن وقت وجوبها آخر جزء من رمضان وأول جزء من شوال، ويسن إخراجها أول يوم من أيام عيد الفطر بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد، ويكره إخراجها بعد صلاة العيد إلى الغروب إلا لعذر كانتظار فقير قريب ونحوه، ويحرم إخراجها بعد غروب الشمس يوم العيد. ويجوز إخراجها من أول يوم شهر رمضان فى أى يوم شاء.

وزكاة الفطر واجبة على كل مسلم يجد ما يَفْضُل عن حاجته وعن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته، وعن كل من تلزمه نفقته من أولاده وأهله وخدمه والديه الفقيرين.

للمريض بمرض السكر المعروف إذا كان صومه يفضى إلى عدم قدرته على أداء عمله الذى يتعيش منه وعليه أن يقضى ما أفطره فى رمضان فى أيام آخر بعد زوال هذا العذر، وإن تحقق اليأس من زواله، وجبت عليه الفدية كالشيخ الكبير الفانى بشرط أن يستمر عجزه إلى آخر حياته، ولا قضاء عليه فى هذه الحالة.. والفدية هى إطعام مسكين واحد عن كل يوم غداء وعشاء مشبعين أو دفع القيمة للفقير وهى ثلاثة جنيهاً تقريباً والله أعلم.

● سؤال من السيد / صديق جودة السحار.. يقول فيه :

ما مقدار زكاة الفطر عن كل فرد؟ وهل يجوز إخراجها فى منتصف شهر رمضان؟ وما الفرق بينها وبين زكاة المال من حيث النصاب، والقدر الواجب من كل منهما؟.

●● الجواب :

زكاة الفطر عند الحنفية نصف صاع من بر عن الفرد الواحد، والصاع عندهم بالكيل المصرى قدحان وثلاث، فالواجب إخراجه قدح وسُدس من القمح عن كل فرد، فالكيلة المصرية تكفى سبعة أفراد إذا زيد عليها سُدس قدح، ويجب من التمر والشعير والزبيب صاع كامل، ويجوز إخراج القيمة الواجبة من النقود، بل هو أفضل لأنه - عند الأحناف - أنفع للفقراء وخاصة أهل المدن

حجة مستقيمة لمن قال : إنه يكره للصائم أن يتسوك بعد الزوال، لأن الأدلة في مشروعية السواك عامة ليس فيها ما يدل على التفصيل، وقد ذكر البخارى فى صحيحه عن عامر بن ربيعة - رضى الله عنه - قال : رأيت النبى ﷺ ما لا أخصى يتسوك وهو صائم، ولكنه ذكره معلقاً بصيغة التمريض (أى تضعيف الأمر فهو رأى ضعيف) .

وعلى هذا فالتسوك للصائم مشروع كما أنه مشروع لغيره، وأما الفرشاة والمعجون للصائم محل السؤال فلا يخلو من حالتين : إحداهما أن يكون قوياً ينفذ إلى المعدة ولا يتمكن الإنسان من ضبطه، فهذا محذور عليه ولا يجوز استعماله، لأنه يؤدى إلى إفساد الصوم، وما أدى إلى المُحَرَّم فهو مُحَرَّم، وفى حديث لقيط بن صبرة أن النبى ﷺ قال له : « بالغ فى الاستنشاق، إلا أن تكون صائماً » فاستثنى الرسول ﷺ من المبالغة فى الاستنشاق حالة الصوم، لأنه إذا بالغ فى الاستنشاق وهو صائم، فإن الماء قد يتسرب إلى جوفه، فيفسد بذلك الصوم . وبناء على ذلك فإذا كانت الفرشاة أو المعجون قوية تنفذ إلى المعدة فلا يجوز استعمالها، أو على أقل تقدير تكون مكروهة، والله أعلم .

ويرى السادة المالكية - رضوان الله عليهم - أن زكاة الفطر واجبة على كل مسلم قادر عليها فى وقت وجوبها سواء كانت موجودة عنده أو يمكنه اقتراضها، فالقادر على الاقتراض يعد قادراً إذا كان يرجو الوفاء ويشترط أن تكون زائدة عن قوته وقوت من تلزمه نفقته فى يوم العيد .

أما زكاة المال فلا تجب إلا على من ملك نصاباً فارغاً من الدين وعن حاجته الأصلية وحال عليه الحول، ومقدار النصاب حوالى ٨٤ جراماً من الذهب بسعر اليوم الذى تجب فيه الزكاة، ومقدار الزكاة ٢,٥٪ . وأما زكاة الزرع والثمار فإن كانت تسقى بآلة ففيها نصف العُشر، وإن كانت تسقى بغير آلة كالطر وخلافه، ففيها العُشر كاملاً . . ويجب إخراج الزكاة يوم الحصاد كما قال الله - تعالى :

﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (٦)

والله أعلم .

● سؤال عن معجون الأسنان والفرشاة للصائم، هل يقاس على السواك؟ .

●● الجواب :

جوابنا على هذا نقول : السواك للصائم سنة فى أول النهار وفى آخره، ولا أعلم

يا أمة الإسلام أفيقي

دكتور حسين عباس الأنصاري (*)

﴿إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ (١)

وواعد الله لا يتخلف .

ويوجه الصحابة - رضوان الله عليهم - تسألهم إلى رسول الله ﷺ : أمن قلة بنا يومئذ؟؟ والقلة عندهم لم تكن معيارا للهزيمة، وهم الذين هزموا أعداء الله في معارك غير متكافئة في العدد والعدة وكان النصر دائما حليف المؤمنين .

لكنها المفاجأة التي أصابتهم حينما سمعوا كلام رسول الله ﷺ والذي كان يشق حجب الغيب وينظر بنور النبوة، ويرد عليهم ﷺ : أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وسيصيبكم الوهن. قال: قلنا وما الوهن؟ وصدق رسول الله ﷺ .

ضحكت لأنني تخيلت صحابة رسول الله ﷺ وقد اصفرت وجوههم، وانخلعت قلوبهم من صدورهم، وهم يسمعون هذا النبأ العظيم من رسول الله ﷺ، وقد تصوروا أن عقابا من عند الله يوشك أن يعمهم، بما قدمت أيديهم أو بما فرطوا في حق الله لأنهم موقنون تماما بقوله تعالى:

عن ثوبان، مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: «قلنا يا رسول الله»: «أمن قلة نحن «بنا» يومئذ قال لا بل أنتم كثير.. ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وسيصيبكم الوهن. قال: قلنا وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكرهية الموت»، (١). وصدق رسول الله ﷺ .

حينما قرأت هذا الحديث ضحكت، ثم بكيت؟! .

ضحكت لأنني تخيلت صحابة رسول الله ﷺ وقد اصفرت وجوههم، وانخلعت قلوبهم من صدورهم، وهم يسمعون هذا النبأ العظيم من رسول الله ﷺ، وقد تصوروا أن عقابا من عند الله يوشك أن يعمهم، بما قدمت أيديهم أو بما فرطوا في حق الله لأنهم موقنون تماما بقوله تعالى:

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(*) الكاتب طبيب بوزارة الصحة.

(٢) محمد (٧).



لكنه ﷺ كان يقصد أناسا آخرين من أمته، يختلفون عن هذا الرعيل الذى تربى بين أنوار النبوة وتشرب روح القرآن.

وبكيت حينما تذكرت أحوال المسلمين اليوم، وهى أحوال تستدعى البكاء، بل النحيب وأى ثكل أقسى، هل الثكل فى الولد أم الثكل فى الدين؟

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾ (٣)

بكيت وأنا أرى المسلمين وقد أصبحوا أذلاء بعد عزتهم ضعفاء بعد قوتهم، قلة رغم كثرتهم، مستعبدين بعد أن كانوا سادة العالم.

إن كثيرا من المسلمين اليوم أصبح مشرفا على الغرق، تتهدده الأمواج العاتية والحيتان المفترسة، وإخوته وعشيرته على الشاطئ ما بين لاه عنه بملذاته الشخصية أو خائف على نفسه من المخاطر المتوهمة على الرغم مما يملك من وسائل النجاة.

أو قليل حيلة رغم ما تعتمل به نفسه من إشفاق وحزن على أخيه المشرف على الغرق لأن سيد الشاطئ يمنع من محاولة إنقاذه.

وإذا ألقينا نظرة عامة على المسلمين فى مختلف البلدان من هذا العالم فإننا نجد أنهم ليس لهم وزن بين شعوبه بعد أن كانوا سادة هذه الشعوب، ليس بسيفهم ولكن بقوة إيمانهم وسمو

فالمسلمون اليوم تتكالب عليهم الأمم والشعوب من كل جانب وفى جميع انحاء الأرض من كل ملة وعقيدة، فالجميع قد اتفقوا فيما بينهم - وهم أعداء الأمس - على إبادة المسلمين ومحو آثار الإسلام من على الأرض « وهذا لن يكون بإذن الله » فهم يمحرون ويمكرون الله وهو خير الماكرين.

لقد أصبح المسلمون مستضعفين على الرغم من أنهم يمثلون ربع سكان العالم، فما السبب؟ إن الجواب على هذا التساؤل سوف نجده عند هذا الشاعر الحكيم حيث يقول:

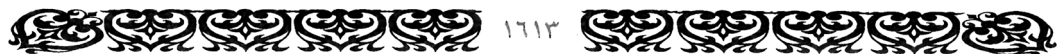
ومن يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح يميئ إيلام
نعم لقد هان المسلمون ببعدهم عن الإسلام الذى هو مصدر عزتهم وكرامتهم وأصبحت كثرتهم الكاثرة غناء كغناء السيل، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

أرض المسجد الأقصى مسرى رسول الله ﷺ وقبلته الأولى ترزح تحت نير الاحتلال الصهيونى منذ أكثر من خمسين عاما بواسطة أبناء القردة والخنازير ممن كتب الله عليهم المذلة مشتتين فى

(٤) ال عمران (١١٠).

(٣) التوبة (٢٤).





وإذا عدنا إلى الوراء قليلاً فإننا سنرى ذلك واضحاً فيما حدث للمسلمين في البوسنة والهرسك وفي كوسوفا وفي الشيشان، شعوب تباد وأعراض تنتهك ومقدسات تداس تحت الأقدام، وأمة الإسلام واقفة تتفرج، بل إن بعضها شارك في هذه المآسى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لأن من ليس مع أخيه فهو عليه.

هذه الأحقاد لم يخفها أصحابها، لكنهم قالوها بكل وقاحة.

قالها نيكسون وقالها بوتين ثم قرن القول بالفعل، وقالها بوش وقالها رئيس وزراء إيطاليا فماذا ننتظر بعد هل، ننتظر أن نسألهم إن كنتم تقصدون ما تقولون أم أنها مداعبة لنا فقط؟! كما قلت فإننا لسنا سذجاً بهذه الدرجة.

وما يحدث الآن في أفغانستان إنما هو فصل في هذا المسلسل المهيّن.

الموضوع ليس أسامة بن لادن ولا طالبان فهم أضعف من أن يدبروا هذا المخطط الدقيق، لكنهم يعيدون قصة الذئب والحمل مرة أخرى.

ما معنى أن تجيش الجيوش من أقوى دول العالم لإبادة شعب شبه أعزل لمجرد اشتباه في بعض الأفراد بأنهم قاموا بالتخريب الذي حدث في واشنطن ونيويورك! أى شريعة وأى قانون هذا الذى يتعاملون به؟! لاشك أنها شريعة الغاب وقانون البلطجة، وكما قلت من قبل فلم تعد هناك أم متحدة ولا مجلس أمن، فقط هناك الجلاد الأمريكى الذى يعيد قصة نيرون مرة أخرى والذى سيهزم بأضعف جند الله.

الهدف ليس أسامة بن لادن ولا طالبان، ولكن

بقاع الأرض قرونا طوالاً، منبوذين من جميع شعوب العالم، حتى جثموا على الأرض المقدسة على حين غفلة أو تغافل من أهلها، حينما أصابهم الوهن. وآخر حقدة هؤلاء الخنازير ذلك الخنزير الشرس المدعو شارون، صاحب السجل الأسود الذى راح يعيث فى الأرض فساداً دون رادع يردعه، لأن الكل وقف متفرجاً لا فرق بين دولة عربية أو إسلامية وكأن الأمر لا يعنيههم فالشان شأن أمريكا فهى الراعية الأولى للسلام كما يحلو لنا أن نسميها أو هى الراعية الأولى للاستسلام كما هى حقيقة أمرها فهى تساند إسرائيل بكل ما تستطيع من قوة عسكرية ومساندة سياسية تكشف عن وجهها القبيح، حتى يجثو الشعب الفلسطينى على ركبتيه رافعاً راية الاستسلام فى مسرحية هزلية لا يعرف التاريخ الإسلامى لها مثيلاً.

هل انعدمت النخوة والشهامة من دولنا العربية والإسلامية ولم يعد لها سوى الاستغاثة بالمجتمع الدولى ليحتمى المسلمين من الإبادة والدمار؟ ومن هو المجتمع الدولى الذى يتحدثون عنه إنه أمريكا، فهى الأمم المتحدة وهى مجلس الأمن وهى التحالف الظالم وليست عضواً فيه فقط كما تدعى فالكل ياتمر بأمرها والكل رهن بإشارتها، حتى ألد أعدائها بالأمس، روسيا والصين.

لماذا اجتمع كل هؤلاء على هدف واحد، وما هو هذا الهدف؟! الطفل متوسط الذكاء يستطيع أن يستنتج أن الهدف هو الإسلام. وللسنا من السذاجة بأن تغيب عنا هذه الحقيقة، لكنه الوهن الذى أصابنا بحبنا للحياة وكرهنا الموت.

﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾^(٥)

هكذا اجتمع أبناء صهيون مع المنتمين إلى المسيح زورا وبهتانا والسيد المسيح منهم براء، مع الملحدين والمشركين مع الله آلهة أخرى من بوذيين وهندوس وسيخ.. الخ.

فهل سنسمح لكل هذا أن يحدث؟ واقعنا يقول نعم... وقد حدث بعض هذا في التاريخ القريب جدا.

وفى التاريخ البعيد وقف العرب الحفاة، رعاة الإبل أمام أعتى قوتين فى العالم فى ذلك الوقت وهما دولتا الفرس والروم وجعلوهما أثرا من بعد عين وخلصوا العالم من شرورهما.

إن الإيمان القوى بالله لا ترهبه القوة ولا تخدعه الأبهة الزائفة.

ولعل شهر رمضان المبارك يعيد إلينا أمجاد الانتصار على أنفسنا كما يعيد أمجاد الانتصارات فى بدر والعاشر من رمضان.

زفرة: إن أخوف ما أخافه وما يؤرق مضجعى أن يفنى الأفغان بعضهم بعضا ولا يمكن القضاء عليهم إلا من هذا الجانب وهذا ما يخطط له الغرب والشرق، أما إذا توحد الأفغان، شمالهم وجنوبهم فستكون أرضهم مقبرة لأى غاز، فاللهم سلم.. ويا أمة الإسلام أنفضى عن نفسك تراب الوهن حتى تكونين كما أراذك الله.

الهدف الأساسى - والعلم عند الله - هو التمرکز فى منطقة وسط آسيا، بعد التمرکز فى منطقة الخليج العربى لضرب عدة عصافير بحجر واحد:

أولاً: السيطرة على بعض الدول فى المنطقة التى تحاول أن تجعل الإسلام منهجا لحكمها مثل إيران وأفغانستان، وإن كانت لنا ملاحظات على أسلوبهما فى الحكم، لكن ليس هذا وقت إبداء هذه الملاحظات فلكل مقام مقال، وكذلك دولة باكستان المعين الأكبر على دمار نفسها!!

كذلك السيطرة على الدول الإسلامية الوليدة التى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى قبل أن تفكر فى استعادة هويتها الإسلامية وأمجادها الغابرة حيث خرج منها الإمام البخارى والسمرقندى والمجرجاني والبيرونى وغيرهم وغيرهم.

ثانياً: التحكم فى منابع البترول بمنطقة بحر قزوين التى تمثل مخزوننا هائلا من هذه الثروة الخطيرة كما حدث فى منطقة الخليج.

وصدقونى، فإن أمريكا لن ترحل عن هذه المنطقة إلا إذا رحلت بقدرة قادر.

ثالثاً: العمل على التخلص من العدو الأول وهو الإسلام كما أعلنه نيكسون مكتوباً وأعلنه بوش مسموعاً، تعبيرا عن حقيقة ما بداخل نفسه وإن كان قد أعلن تراجعاً بعد ذلك ذرا للرماد فى العيون.

تسانده فى ذلك دول الشرق والغرب مصداقاً لقوله تعالى:



استقبال شهر رمضان

مُستَاز / مجدى عبدالمحميد بشر

التأمل فى مواسم الخير الإسلامية يتملكه شعور جارف بأن شهر رمضان على وجه الخصوص فاز صائموه وقائموه بأعظم حظ وأوفر نصيب. فهو شهر كريم مبارك يمن الله فيه على عباده بموفور الخيرات التى تستوجب من العباد الشكر على جزيل العطايا وعظيم الهبات وواسع المنن والرحمات التى يجدون خيرها وبرها فى الحياة قبل الممات حيث ترفع بها الدرجات. فالؤمن رفيق الخير يدور حيث دار هدفه نشر الفضائل والمكرمات. ولا يكون ذلك إلا فى أمثلة تعيش وسط الناس ونماذج تمشى بينهم تعلمهم كيف يستغلون أوقاتهم فى الطهر والطاعات، شعارهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعة والنفس طماعة فالزمها القناعة، وهم فى ذلك لا يملون أو يكلون؛ لأنهم بعميق إيمانهم يدركون أن السأم والملل هما الأفتان اللدودتان لكل من سلك الطريق إلى الله عبادة وذكرًا وشكرًا، ونهلاً من الفيوضات الرمضانية وقطفاً من ثمار دوحته الزكية.

كل مسلم، فرمضان ضيف يزورنا كل عام مرة واحدة يعيش المسلم أيامه وكأنها حلم جميل أو لمعة برق خاطف تذخر بأذكى الذكريات وأسعد اللحظات، وحب ذلك الوافد الكريم مغروس فى الروح مزروع فى القلب لما خصه الله به من المزايا والعطايا والمنن، وقد صور الحديث النبوى الشريف تلك المنح الجزيلة والجود الربانى أبدع تصوير يجعل المؤمن يتمنى من سويداء قلبه لو كانت السنة كلها

أقول إن الأفراد فى حاجة ماسة كما هو حال الأمم إلى فترات من الراحة والصفاء لتجديد الإيمان وتقوية دعائمه فى النفوس إصلاحاً لما اعوج من أحوال وعلاجاً لما استفحل من أدواء بعد أن طغت الماديات واستحكمت الشهوات فى كثير من المجتمعات وتجذ هذه الأمراض المستعصية علاجها الناجع كلما أطل ذلك الموسم الكريم والشهر العظيم الذى هو أحب الشهور إلى



وإصلاح النفوس وضبط الغرائز وكبح جماح الشهوات والنزوات .

فى الصيام تحقيق التقوى وقوة الإرادة وتهيئة المسلم وإعداده لمواقف التضحية والفداء . كما تتحقق به وحدة الأمة وتقوى أواصر المحبة والأخوة بين أبناء العقيدة الواحدة . كفى برمضان فضلاً أن يشعر المسلم فيه بشعور المحتاجين ويحس جوع الجائعين وينجو من العقبة الكؤود التى توعده الله بها الكفرة فى قوله - سبحانه - :

﴿ فَلَا أَفْزَحُمُ الْعَقَبَةَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۚ فَكَّرْ بِرَبِّكَ ۚ وَأَوَّلِعْ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۚ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۚ أَوْ يَسْكِينَا ذَا مَقْرَبَةٍ ۚ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَنَةِ ۚ ﴾

البلد (١١ - ١٨)

فالصيام كما ترى مدرسة للبذل والجود والبر والصلة أوفل هو مؤسسة للتكافل الاجتماعى الذى هو روح الدين وفحواه كما أنه معين للأخلاق لا ينضب ورافد للرحمة أى رافد وما أجمل ما يتحلى به الصائمون من سجايا وما يحصلون من خلال فهم أصفى الناس أرواحاً وأرقهم قلوباً وأصلحهم أنفساً وألطفهم مشاعراً وأرهفهم أحاسيساً .

وإذا كنا قد ركزنا لبعض الوقت على الصيام وثمراته ترى كيف نستقبل شهراً

رمضان، فبعد أن بدأ المسلم البذر والزرع فى رجب وواصل السقى فى شعبان يحين موعده مع القطاف والجنى والحصاد فى رمضان، ولا يقف الحصاد عند أمور مادية تنتهى بانتهاء الحياة وإنما هى بركات تدوم وخيرات تصحبه، ما أنارت السماء النجوم، ففى الصحيح من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين وينادى مناد يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة » فأى فرص تلك؟! . . . وأى مناسبات هذه؟! . . . إنما تهفو إليها الأرواح وتصفو فيها الأنفس وتزكو فيها دواعى الخير وتكثر أسباب البر إذا قل لى بربك أى أمل ينشده المسلم أكثر من تفتح أبواب الجنان إلا دخولها . . . والتمتع بطيباتها؟ ويا لها من صورة رائعة وجوا إيمانى يسود فى رمضان ففيه تلاوة وصلوات وصدقات، وأذكار ودعوات، وابتهاالات، ودعاء وتراويح، وتسابيح، بكاء وخشوع، امتثال وخضوع، التجاء ودموع . إنه فترة روحية المأمول منها إصلاح ما فسد من أمور، وهو محطة هامة لتعبئة القوى الروحية والأخلاقية التى تبنى عليها الحضارات وإلى جانب ذلك الجو الإيمانى السننى فإن رمضان مدرسة لتجديد الإيمان وصقل القلوب وتهذيب الأخلاق



لعمري إن هناك أنواعاً من الاستقبال لذلك الشهر الفضيل نهيب بالمسلمين أن يناو عنها وأولاها الإسراف والتبذير فما إن تعطر الجو نسمات ذلك الشهر حتى يهرع الناس مهرولين إلى الأسواق لشراء ما لذ وطاب من أنواع الطعام والشراب ناسين حكمة الصيام .

ويحضرني هنا ما أكده أحد علماء الإسلام ومفكره وهو الشيخ أبو الحسن الندوى عالم الهند الكبير من أن ما تكتظ به موائد المسلمين في رمضان من ألوان الطعام وأصنافه يكفى لإشباع البطون التي تصطلى بسياط الجوع طول العام .

وثانى الأمور التي نحذر منها هو اتخاذ لياليه النورانية فرصة للسهر والسمر بدلاً من تعطيها بالقيام وتلاوة القرآن .

وينبغى على المسلم أن لا ينسى ما وعد به من الجوائز والمكافآت السخية التي أخبر بها المصطفى - ﷺ - فيما أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وتلك الجوائز يستحقها من صام رمضان وقام لياليه .

فالمستهدف أن يخرج المسلم من ذلك الشهر نقياً .

أخرج البخارى من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ولو رأيت حرص السلف على استقبال رمضان لأدركت مدى ما نحن فيه من تقصير . فقد ذكر الحافظ ابن رجب عن معلى بن الفضل « أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه بقية السنة أن يتقبله منهم » . وكأنى بهم قد انشغلوا برمضان والتهيء له العام كله ثم اسمع دعائهم الذى نقله يحيى بن كثير فقال : « كان من دعاءهم : اللهم سلمنا لرمضان وسلمه لنا وتسلمه منا متقبلاً » .

ولقد فرح الشعر بمقدم الضيف العزيز فقال شاعر حكيم :-

جاء شهر الصيام ذى البركات

أكرم به من زائر هوآت

وقال آخر :-

أتى رمضان مزرعة العباد

لتطهير القلوب من الفساد

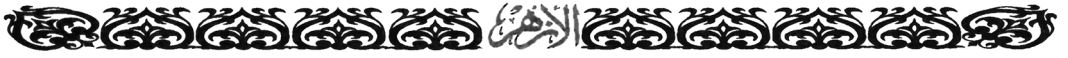
رمضان والتحديات المعاصرة

للأستاذ / إسماعيل أبو الهيثم

يهل علينا شهر رمضان الكريم، وجه من وجوه السعادة، وباب واسع من أبواب الرحمة والمغفرة والعنق من النار، ولكنه جاء هذا العام ونحن نعيش آلاماً ومآسى وفواجع. آلاماً لما يحدث على أرض الإسلام في أفغانستان وفلسطين. ومآسٍ على النظرة العدائية للإسلام من قبل الغرب الذين ألصقوا به ظلماً وبهتاناً الإرهاب. وفواجع في حال الأمة العربية والإسلامية الممزقة وسيطرة النظرة الأحادية عليها إلى جانب ضعف معنى التقوى (الهدف من الصيام) في حياتنا الفردية والجماعية، تلك التقوى التي هي السبب الأساسي لنزول النصر الإلهي الذي يخلق الانتصارات ويهزم قوى الشر والكفر والطاغوت. إن شهر رمضان فرصة عظيمة لدراسة الواقع، دراسة واقعية تتناول جميع التحديات التي تواجهنا، والعمل على حلها، حتى يمكن إنقاذ هذه الأمة من جميع الشرور والآثام التي تعيط بها لذا كان هذا الحوار لتشخيص الداء ووصف الدواء.

عن شهوة البطن والفرج والتسامي بالغرائز حتى تكون في إطار كلمة الله ومنهجه تعالى. فرمضان هو شهر تربية الإرادة والمراقبة الذاتية، والتخفف من ثقل المادة وأوزارها وليس رمضان شهر الأكلات والحلوى فهذه الأوضاع فيها قلب للحقيقة. ولم يخف الدكتور جودة المهدي عميد كلية القرآن الكريم فرع طنطا تعجبه من التنافس في إعداد الوجبات والأكلات بدلاً من التنافس في عمل الخير.

الدكتور صفوت زيد الأستاذ بجامعة الأزهر يرى أن الإنفاق البذخي في رمضان أمر لا يتسق مع مجتمعاتنا الإسلامية النامية، كما أن شراهة الاستهلاك المتنامية فينا تدل على مدى التخلف السلوكي، وهو عمل مذموم ذمه الإسلام. حيث وصف الله المسرفين والمبذرين في كتابه العزيز بأنهم إخوان الشياطين. وأكد الدكتور محمد سيد أحمد المسير على هذا المعنى بقوله إن شهر رمضان هو شهر التعالي



لا تصل لمستحقيها - الذين لا يسألون الناس إلحافاً - والتعديل الذى يراه هو عمل حقيقية مثلاً تشتمل على بعض المواد الغذائية ويقوم أصحاب الخبرة بأحوال الناس، أو الجمعيات الخيرية بتوصيلها إلى بيوت المحتاجين. وأضاف وياليت أن يشترك البعض فى إقامة بعض المشروعات الصغيرة لعدد من الشباب، لأننا فى حاجة إلى أن نعلم الناس العمل بدلاً من أن نقدم لهم المأكول.

موائد الفنانين

وحول موائد الفنانين أكد الدكتور المسير أنه لا توبة مع الإصرار. فالفنان أو الفنانة التى تقيم مأدبة فى شهر رمضان مع إصرارها على الاستمرار فى عملها ظناً منهما أنهما يقدمان عملاً صالحاً فهذا وهم، وعمل غير مقبول ومردود طالما أن المعصية قائمة.

لكن إذا تاب وأناب وأقلع وأراد أن يتخلص من المال الزائد بمثل هذه الطرق فهذا هو الحل الذى أراه أقرب إلى الصواب.

فرقة المسلمين

الدكتور جودة المهدي يرى ان من أهم التحديات التى تواجهنا الآن هى الفرقة بين الدول الإسلامية والعربية وأن الأمة الآن مغيبة عن المشاركة فى صياغة النظام العام وأنها تقف موقف المتفرج بل المشجع فأين رأيها الموحد لما يحدث فى أفغانستان وفلسطين واعترض الدكتور جودة

وشاركه الدكتور صفوت زيد التعجب من الشباب الذى يعتبر رمضان شهراً للكسل وموسماً للأخذ لا العطاء، والترف لا المعاناة بينما رمضان فى الحقيقة موسماً للانتصار على نوازع النفس والهوى، وفطم الجوارح عن فعل المحرمات، وجسر نورانيا عبرت عليه حشود المؤمنين فى كل العصور، رافعة أعلام النصر فى بدر، وتبوك، والقادسية، وفتح مكة، وفتح الأندلس، والحروب الصليبية، وعين جالوت، والعاشر من رمضان.. مما يؤكد صدق القول بأن الإيمان يصنع النصر. وطالب الدكتور صفوت الجميع ان يقرأوا التاريخ بوعى المؤمنين.

البرامج الإعلامية

الدكتور محمد المسير يرى أن الاعلام فى رمضان يستغل فى تمزيق الشعور الدينى، ومحادة الله ورسوله برغم أنه من المفروض عليه أن يتوافق مع الحدث، وأن يمارس دوره فى تعبئة المشاعر نحو القيم، ولكى يصون الفكر الإسلامى ويقدمه نقياً صافياً.

ويؤكد أن مايقدم فى رمضان لا يعبر عن أمة تريد أن نستعيد دورها فى قيادة الحياة.

موائد الرحمن

موائد الرحمن فى نظر الدكتور المسير. ظاهرة طيبة، وعلامة مضيئة من علامات التواصل الاجتماعى لكنه يرى أن هذه الظاهرة تحتاج تعديلاً لمسارها. لأنه يرى أنها فى بعض الأحيان



والموساد يعملان بكل جهد وذكاء لتضليل هذه الشعوب بحقائق الإسلام.

واختتم الدكتور جودة المهدي حديثه محذرا الأمة الإسلامية «الجسد الإسلامي» من تداعى حمى التعصب والإرهاب والعنصرية البغيضة على عضو من أعضاء هذا الجسد «فلسطين» وحمل الدكتور جودة مسؤولية الوصول إلى هذا القرار السحيق إلى كل مسلم كل حسب دوره وحجمه.

التخلف الفكري والعلمي

بينما يرى الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق أن أهم الأمراض التي تصيب الأمة الإسلامية والعربية هو التخلف الثقافي والفكري بجانب التقليد الذي سيطر على شبابنا تقليد السلبات فقط وترك الأعمال النافعة التي تتفق مع ثوابتنا وقيمنا وديننا.

وطالب الدكتور هيكل بالعمل على تنحية المعوقات التي تحول دون تواصل الأمة وتأخيها لكي تتجاوز حالة التخلف والتمزق، والصراع، خصوصا وأن عالم اليوم لا يحترم إلا الأقوياء وأكد الدكتور هيكل أنه يجب على الأمة أن تستغل شهر رمضان في إعادة ترتيب الأوراق إذا كانت جادة في تصحيح أوضاعها. ونستكمل الحوار في العدد القادم.

على أن ما يحدث في أفغانستان هو محاربة الإرهاب والإرهابيين ودلل على اعتراضه بقوله: وهل يعقل حشد كل هذه الآلات الحربية والتقنيات الحديثة والمتطورة جدا لمحاربة فرد أو مجموعة أو تنظيم أم أنها الحيلة المفتعلة لاحتلال المنطقة الهامة الثرية؟!

إن المقصود من حرب أفغانستان هو الإسلام وليس الارهاب كما يزعمون!! وأين كانوا عندما كان الإرهاب مصدر قلق ودمار لكثير من الدول ولا يغيب عن الذاكرة ما لقيناه في مصر من الإرهاب.

كانوا يفضون الطرف عنه ويصمون آذانهم عن استغاثات الآخرين وكانوا يظنون أنهم في مأمن من شرر هذا الوباء.

وتساءل الدكتور جودة عن علاقة ما يحدث في فلسطين بالإرهاب؟ وكيف يعد من يقاوم العدوان إرهابيا؟!

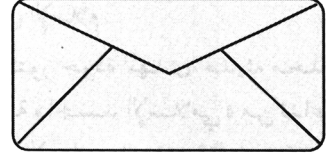
وأرجع الدكتور المهدي سبب ذلك لخفوت الصوت العربي وفقدان الإحساس بالمسؤولية ووهن النبض الإسلامي فضلا على أن الإعلام الإسلامي والعربي يتحمل الدور الأكبر والمسؤولية القطعية لظهور الإسلام بهذا الشكل في وجدان الغرب وطالب الدكتور جودة الأزهر الشريف أن ينتقى قيادات مؤهلة لتوضيح الصورة الصحيحة للإسلام وبث الإشعاع القرآني والنوراني والمحمدي في هذه المناطق خصوصا وأن الإعلام الغربي

اقرأ قريبا في ملحق مجلة الأزهر :

رد الدكتور عبد العظيم المطعني على فتوى الشيخ القرضاوي



رِسَالَةٌ .. وَ .. رَدٌّ



لفضيلة الشيخ /عبد الفتح سيد جمعان

في بريد المجلة رسالة يقول صاحبها:

كنا في سفر فصلينا الظهر في مصلى على الطريق وبعد السلام اكتشفنا أننا صلينا عكس القبلة تماما
فمننا من قال تجب إعادة الصلاة، وأعادها البعض بالفعل، ومننا من قال: إن الصلاة صحيحة. فما هو الحكم
الصحيح؟ ومطلب الأخ القارئ توجيه كلمة للذين يتسرعون بالإفتاء من غير علم.

شئ من ذلك فعليه أن يجتهد ويصلى إلى أى
جهة أدى إليها تحريره واجتهاده ولا إعادة عليه إذا
تبين له أنه صلى إلى غير القبلة أو عكسها
لحديث معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال:
(صلينا مع رسول الله ﷺ في يوم غيم في سفر
إلى غير القبلة فلما قضى الصلاة تجلت الشمس
- أى ظهرت - فقلنا: يا رسول الله صلينا إلى
غير القبلة قال: « قد رفعت صلاتكم بحقها إلى
الله - عز وجل - » أى صحت وقبلت وثبت لكم
الثواب .

أما من كان في الصلاة وأخبر أنه إلى غير
القبلة وجب عليه أن يتحول إلى القبلة وإلا لم

والجواب: أن استقبال القبلة شرط في
صحة الصلاة في سفر أو إقامة ولهذا جلعت
الحاريب في المساجد وذلك لقوله تعالى:

﴿ قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (١)

ومن كان في مكة يرى الكعبة عليه أن يتوجه
لعين الكعبة ومن كان بعيدا عن مكة أو لا ينظر
إلى الكعبة فيكفيه أن يتوجه إلى جهتها، ومن
كان لا يعرف جهة القبلة عليه أن يسأل أحدا من
أهل المكان الذى هو، فيه فإن لم يجد فليتحرك
جهة القبلة برؤية الشمس أو النجوم فإن لم يكن

(١) البقرة (١٤٤).



﴿وَلَا تُنْسِكُوا بَعْضَ الْكُوفَرِ﴾ (٢).

فقد قرأت في ص ٥٧٠ من مجلة الأزهر لفضيلة
الأمام الأكبر أنه يجوز للمسلم الزواج من الكتابيات
ولقد فهمت من الشرح أن الكتابيات من الكوافر
ولسن المشركات فهل وقع في الآية نسخ أو
تخصيص أرجو الاهتمام بالرسالة والإفادة.

وأقول للأخ محمد كمال الآية التي أشرت
إليها وذكرت من سورة الممتحنة لا من سورة
المائدة كما قلت والتي في المائدة قوله تعالى:

﴿أَلْيَوْمَ أَجِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبَتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حُلٌّ
لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حُلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَتِ وَالْمُحْصَنَتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ (٣)

الآية. وهذه الآية صريحة في حل زواج
المسلم بالكتابية الحرة إذا أعطاها مهرها وهذا
أمر مجمع عليه بين المسلمين جميعا.

أما آية الممتحنة التي ذكرت في رسالتك:

﴿وَلَا تُنْسِكُوا بَعْضَ الْكُوفَرِ﴾

فهى محكمة عامة غير منسوخة
ولامخصصة والكوافر جمع كافرة معناها
لايجوز أن تبقى العلاقة الزوجية بين المرء إذا
أسلم وبقيت زوجته على الشرك ووجودها
كعدمه فلا تمنعه من نكاح أختها إذا كانت
مسلمة ولا من نكاح خامسة فكانها غير
موجودة ولعل الأمر التبس عليك، ففرق بين
أهل الكتاب والكفار قال تعالى:

تصح صلاته كما فعل أهل قباء حين علموا
بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد
الحرام فتحولوا إليها وهم في صلاة الصبح
ولهذا سمي هذا المسجد مسجد القبلتين.

هذا ويجوز للراكب في السفر وغيره أن
يصلى النافلة على راحلته أو دابته إلى أى
جهة توجهت الدابة أو الراحلة وعندئذ يومئ
بالركوع والسجود ويكون سجوده أخفض من
ركوعه وقبلته حيث اتجهت دابته، فعن عامر
بن ربيعة قال: « رأيت رسول الله ﷺ يصلى
على راحلته حيث توجهت به » رواه البخارى
ومسلم، وزاد البخارى يومئ برأسه ولم يكن
يصنعه فى المكتوبة.

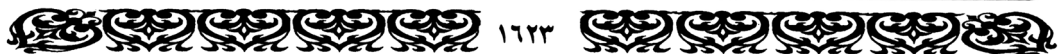
وقال الأحناف لا يشترط السفر بل نصلى من
غير اتجاه للقبلة فى السفر وغيره، وعن أبى
يوسف: تجوز النافلة على الراحل فى المصر -
أيضا- وقال الشافعى والأوزاعى: يجوز للمتنقل
أن يصلى ماشيا إلى الجهة التى يقصدها قياسا
على الراكب بجامع التيسير للمتطوع.

أما من تسرع بالإفتاء من غير علم أو من
غير تثبت فعقابه شديد عند الله لأنه ضال
مضل وهو ممن تقرض شفاهم بمقاريض من نار
يوم القيامة.

●● وفى بريد المجلة كذلك رسالة أخرى
من الأخ محمد كمال أحمد والى من
بهنبأى - مركز الزقازيق يقول فيها: أرجو
توضيح قوله تعالى:

(٣) المائدة (٥).

(٢) الممتحنة (١٠).





﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾^(٤)

فالكفار أعم من أهل الكتاب لأنه يشملهم ويشمل المشركين. أما إذا قيل أهل الكتاب فيراد اليهود والنصارى فهذا تخصيص، والله أعلم.

وثمة سؤال آخر من القارئة أميمة محمد عبدالسلام من جزيرة الذهب بالجيزة تقول فيه: دفنت أُمى فى مقبرة تخص أخوالى وبعد سبع سنوات من دفنها قرر أخوالى بيع هذه المقبرة وشراء مقبرة أخرى فى مدينة ٦ أكتوبر، وعليه سيتم نقل جثة والدتى فهل ذلك جائز شرعاً؟ ولو أقدرنى الله واشتريت مقبرة فهل يجوز نقل والدتى مرة أخرى؟

وسؤال آخر: هل يجوز أن يوصى الإنسان بدفنه فى مقبرة بذاتها...؟

وجواباً على هذا السؤال نقول: اتفق العلماء على أن الموضع الذى يدفن فيه المسلم يصير وقفاً عليه مابقى منه شئ من لحم أو عظم فإن بلى وصار تراباً جاز الدفن فى بعضه وجاز الانتفاع بأرضه فى الغرس والزرع والبناء وسائر وجوه الانتفاع، وقال -العلماء-. أيضاً لا يجوز بيع أحجار المقابر الدارسة لبناء دار أو قنطرة أو ما شابه ذلك لأن مابنى على أرض القبر صار وقفاً كذلك..

وعلى هذا نقول للسائلة: إن بيع أخوالك لأرض مقبرتهم لايجوز إلا إذا كانت كل القبور قد بلى مافيها ولم يبق منه شئ من عظم أو لحم أما عن نقل الميت من قبر إلى قبر فلا يجوز إلا

لعذر شرعى ولذا لم ينقل كثير من الصحابة بعد أن دفنوا فى الأماكن التى استشهدوا بها وهى أرض حرب أما نقل الميت من بلد إلى بلد قبل أن يدفن فأجازه علماء الحنفية مع الكراهية والمستحب أن يدفن كل ميت فى مقبرة البلد التى مات بها فقد روى أنه لما توفى عبدالرحمن بن أبى بكر -رضى الله عنهما- بعيداً عن مكة حمل إلى مكة فدفن بها فلما قدمت عائشة -رضى الله عنها- أتت قبره وقالت: «والله لو حضرتك ما دفنت إلا حيث مت ولو شهدت ما زرتك - تعنى أنها لو شهدت موته ما زارت قبره لنهى الرسول ﷺ النساء عن زيارة القبور - وروى أن أبا عبيدة بن الجراح قال قبل موته: «ادفنونى حيث قبضت» وقال المالكية يجوز نقل الميت من مكان إلى مكان لمصلحة كأن يخاف عليه أن يجرفه السيل أو يأكله السبع، وكرجاء بركة المكان المنقول إليه أو لزيارة أهله له أو لدفنه معهم كل ذلك مالم تنتهك حرمة الميت بانفجاره أو تغير رائيحه أو كسر عظامه.

وحرم الشافعية نقل الميت إلى بلد آخر إلا أن يكون بقرب مكة أو المدينة أو بيت المقدس لفضل هذه الأماكن.

وعلى نقول للسائلة: يجوز لك أن توصى بدفنك فى أى مقبرة مالم تكن بعيدة عن المكان الذى ستموتين فيه أكثر من ميلين إلا أن يكون ذلك بقرب الحرمين الشريفين أو بيت المقدس، والله أعلم

تأملات في غزوة بدر

للأستاذ / أحمد إسماعيل

الموقف العام

* المسلمون :

ازداد عدد المسلمين في المدينة المنورة وأصبحوا أشد قوة وتماسكا من ذي قبل، ولكن حالتهم الاقتصادية كانت ضعيفة لأن أكثر المهاجرين فروا بأنفسهم ودينهم وتركوا أموالهم في مكة.

* المشركون واليهود :

١ - أصبحت الطرق التجارية الحيوية بين الشام ومكة تحت رحمة المسلمين وحلفائهم وهذا يعني موت تجارة قريش.
٢ - انتشار نفوذ المسلمين وازدياد قوتهم الأمر الذي لا يتفق مع سيادة قريش على العرب.

٣ - أصبح للمشركين ثأر عند المسلمين في مقتل عمرو بن الحضرمي (في نخلة)، فلا بد من الأخذ بهذا الثأر حتى تعود لقريش وحلفائها هيبتهم وكرامتهم عند العرب.

قوات الطرفين

* المسلمون :

بلغت قوة المسلمين ٣٠٥ رجال من المهاجرين والأنصار بقيادة الرسول ﷺ وكان معهم فرسان وسبعون بعيرا.

* المشركون :

بلغت قوة المشركين ٩٥٠ رجلا أكثرهم من قريش ومعهم مئتا فرس وعدد كبير من الإبل وكان على رأس هذه القوة عدد من رجالات قريش البارزين.

يحتفل المسلمون في

كل عام، في شهر رمضان

المبارك، بغزوة بدر لما لها

من أثر طيب في نفوس

المسلمين جميعا منذ

صدر الإسلام وحتى

يومنا هذا لأنها كانت

أول تصادم بالقوات بين

قوة المسلمين النامية

وبين رجال قريش

وأتباعهم من المشركين،

وقد نصر الله المسلمين

في هذه الغزوة

لتماسكهم ووحدة

قيادتهم، ورسوخ

إيمانهم بعقيدتهم

وهكذا أراد الله أن

تنتشر دعوة رسوله في

ربوع الأرض وأن تخبو

جذوة المشركين..



أهداف الطرفين

* المسلمون :

١ - استخلاص أموالهم من قريش وذلك بالتصدي لقافلته التجارية العائدة من الشام التي يقودها أبوسفیان بن حرب .

٢ - البقاء في (بدر) بعد إفلات القافلة استعدادا لمواجهة قريش التي أجمعت لمحاربتهم .

* المشركون :

١ - حماية القافلة التجارية القادمة من الشام .

٢ - بعد إفلات القافلة يتم قتال المسلمين والقضاء عليهم حتى يعرف العرب قوة قريش وسطوتها .

أحداث ما قبل المعركة

* المسلمون :

١ - أرسل الرسول ﷺ طلحة بن عبيد الله، سعيد بن زيد لاستطلاع أمر قافلة قريش التجارية القادمة من الشام حتى وصلا (الحوراء) على طريق الشام، فمرت بهم القافلة فأسرعوا إلى النبي ﷺ يخبرانه بأمرها .

٢ - تحركت قوة المسلمين من المدينة في ٨ من رمضان (السنة الثانية للهجرة) بالترتيب التالي :

أ - دورية استطلاع أمامية : للحصول على معلومات باتجاهات القافلة التجارية .

ب - القوة الرئيسية : مؤلفة من كتيبتين (كتيبة المهاجرين ورايتها سوداء مع على بن أبي طالب وعمير بن هاشم - وكتيبة الأنصار ورايتها سوداء مع سعد بن معاذ) .

ج - مؤخرة : تحت إمرة قيس بن أبي صعصعة .

د - راية المسلمين العامة بيضاء مع مصعب بن عمير بن هاشم .

٣ - سلك المسلمون طريق القوافل بين المدينة المنورة وبدر البالغ طوله (١٦٠ كم) ولما وصلوا قريبا من « وادي الصفراء » بعث النبي ﷺ دورية استطلاع مكونة من رجلين للحصول على معلومات عن قريش وعندما وصل المسلمون « وادي زفيران » جاءهم الخبر بخروج قريش مكة لنجدة قافلته .

٤ - تحرك الرسول ﷺ أمام قواته وبصحبه أبوبكر حتى كانوا على مقربة من « بدر » .

٥ - أرسل الرسول ﷺ دوريتي استطلاع للحصول على معلومات عن قريش ومواقعها وكانت الدورية الأولى مكونة من : على بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعادت ومعها غلامان لقريش واستطاع الرسول ﷺ من مساء لتهما أن يستنتج أن قوة المشركين بين ٩٠٠ - ١٠٠٠ رجل وأن أشرف قريش خرجوا جميعا لمنعه .

أما الدورية الثانية : فكانت من رجلين ووصلا إلى ماء بدر وسمعا أن القافلة ستأتي غدا أو بعد غد وأخبرا الرسول ﷺ بذلك .

٦ - عسكر المسلمون في أدنى ماء بدر ثم جاء الحباب بن المنذر والأنصاري السلمى وأشارا على الرسول ﷺ يقترب من أدنى ماء القوم ويعسكر فيه ثم يفسد ما وراءه من آبار وأن يبنى عليه حوضا ويملاؤه بالماء ليشرب منه المسلمون ويحرم منه المشركين .. وهكذا أخذ الرسول ﷺ بهذا



الرأى وتم تنفيذه ليلا وتحرك المسلمون إلى معسكرهم الجديد وامتلكوا موقع الماء.

* المشركون :

١ - كانت تضم قافلة المشركين ألف بعير ساهم فيها كل رجال قريش ونسائها حتى قدر ما تحمله بخمسين ألف دينار، وعندما تأكد أبوسفیان بن حرب من خروج المسلمين للتعرض لقافلته أرسل (ضمضم بن عمرو القنارى) إلى مكة ليستنفر قريشا على أموالهم.

٢ - جهزت قريش نفسها ولم يتخلف من أشرافها غير أبى لهب الذى أرسل مكانه العاص ابن هشام بن المغيرة.

٣ - سبق أبوسفیان بن حرب قافلته لاستطلاع أمر المسلمين، واستطاع أن يدرك أن جيش النبى ﷺ فى مكان بالقرب منه، فرجع إلى قافلته وسلك طريق الساحل تاركا بدرا إلى يساره فى سرعة فائقة، وعندما لمس أن قافلته نجت أرسل إلى قريش يطلب منها العودة إلى مكة.

فى ذات الوقت أرسلت قريش (عسير بن وهب الجمعى) ليستطلع لها قوة المسلمين، فعاد وأخبرهم بأنها تقدر بثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون، ولا كمين لهم ولا مدد - ولكن لا ملجأ لهم إلا السيف - احتارت قريش هل يعودون أم يتقدمون، وبعد أخذ ورد قرروا قتال المسلمين.

سير القتال

١ - قبل بدء القتال أنجز المسلمون ما يلى :

أ - انتخب النبى ﷺ موقعا مشرفا على بدر وبنى فيه مقراً للقيادة (عريشا) وأمن حراسته.

ب - جرى ترتيب المقاتلين فى صفوف، وساوى الرسول ﷺ بين الصفوف وشجع أصحابه وحرضهم على القتال، كما أمرهم بصد هجمات المشركين المحتملة وهم مرابطين فى مواقعهم.

ج - كانت كلمة التعارف بين المسلمين وشعارهم فى القتال «أحد.. أحد».

٢ - أما المشركون فقد استعدوا لممارسة أسلوب القتال المعروف لديهم (الكر والفر) بدون قيادة منظمة ولا سيطرة على القوات.

٣ - بدأ هجوم المشركين بهجوم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذى بناه المسلمون، فتصدى له حمزة بن عبد المطلب وضربه بسيفه ضربة أطارت نصف ساقه ومع ذلك حبا إلى الحوض لاقتحامه فتبعه حمزة بن عبد المطلب حتى قتله.

٤ - برز من المشركين: عتبة وشيبة وأبناء ربيعة والوليد بن عتبة فخرج إليهم فتية من الأنصار ولكن الرسول ﷺ أعادهم وطلب خروج عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب لأنهم من أهله فهو يؤثرهم بالخطر على غيرهم ولأن شجاعتهم وممارستهم للقتال معروفة وأن نجاحهم مضمون مما يرفع من معنويات المسلمين ويضعضع من معنويات المشركين.

٥ - استشاط المشركون غضبا فأمطروا المسلمين وابلا من سهامهم وهجموا بفرسانهم غير أن صفوف المسلمين بقيت صامدة فى مواقعها نبالها على المشركين مستهدفة اصابة سادتهم بالدرجة الأولى، ولم يفتن المشركون



على ساحة القتال وخص لعريشه حرسا خاصا تحت إمرة مسئول .

وبعكس ذلك فلم يكن للمشركين قائد عام ولم يكونوا على رأى واحد .

ثالثاً: تكتيك جديد :

١- طبق الرسول ﷺ فى سير الاقتراب من المدينة المنورة إلى بدر تشكيلا لا يختلف عن التكتيك الحديث فى حروب الصحراء فكان لجيشه : مقدمة، وقسم أكبر (القوة الرئيسية)، ومؤخرة وخصص دوريات استطلاع للحصول على معلومات والاستفادة منها .

٢- أما أثناء القتال فقد قاتل المسلمون بأسلوب (الصفوف) بينما قاتل المشركون بأسلوب الكر والفر .

رابعاً :

أمر الرسول ﷺ أصحابه بأن يصدوا هجوم العدو وهم مرابطون فى مواقعهم- أى مواقع دفاعية- وتسديد النبال إلى صدورهم .

خامساً :

عندما تهاوت رجالات قريش وضعف هجومهم أصدر الرسول ﷺ أمره بالهجوم ثم بالمطاردة بعد انهزام المشركين .

سادساً : عقيدة راسخة ومعنويات مرتفعة :

لقد أيقن المسلمون بأن قريشا تفوقهم عددا وعدة، ومع ذلك عزموا على الصمود إلى النهاية لأنه كانت للمسلمين أهداف معينة يعرفونها ويؤمنون بها وهى : الحرية الكاملة لنشر دعوتهم وحمايتهم حتى تكون كلمة الله هى العليا

لأسلوب المسلمين الجديد فى القتال، مما جعل رجالات المشركين تنهأوى بوابل من نبال المسلمين المصوبة إليهم تصويبا دقيقا .

٦- نزل الرسول ﷺ بنفسه يقود صفوف المسلمين، وأخذت هذه الصفوف تقترب رويدا رويدا من فلول المشركين التى فقدت قاداتها حتى تبعثرت قوات المشركين، وحينذاك أصدر الرسول ﷺ أمره لقواته (شدوا) أى قوموا بالمطاردة، وبدأت المطاردة لفلول المشركين ثم أخذ المسلمون يجمعون الغنائم والأسرى .

٧- بدأت معركة بدر يوم الجمعة ١٧ من رمضان من السنة الثانية للهجرة وانتهت مساء وبقي المسلمون ثلاثة أيام فى بدر بعد المعركة ثم غادروها عائدين إلى المدينة .

خسائر الطرفين

- المسلمون : استشهد أربعة عشر مسلما (ستة من المهاجرين، ثمانية من الأنصار)
- المشركون : قتل منهم سبعون رجلا وأسر سبعون .

أسباب انتصار المسلمين

أولاً : قيادة موحدة :

كان الرسول ﷺ هو القائد العام للمسلمين فى بدر وكان المسلمون يدا واحدة تحت قيادته - ﷺ .

ثانياً : مقر القيادة :

بنى الرسول ﷺ مقرا لقيادته (عريشا) يسيطر منه على المعركة وانتخب له رابية تشرف



أطفال المسلمين القراءة والكتابة ثم أطلق سراحهم بعد ذلك .

٣- القتلى والجرحى :

حفر المسلمون قليبا دفنوا فيه قتلى المشركين، وهذا مبدأ وضعه الرسول ﷺ وجوب دفن قتلى الأعداء، كما عني بجرحى المشركين فضمدوا جراحهم أسوة بجرحى المسلمين .

خاتمة:

سلام الله ورحمته وبركاته عليك يا رسول الإنسانية بما أرسيته من قواعد وأصول فى مجال المارك والقتال، ووضعت مبادئ سامية يهتدى بها القادة العسكريون المسلمون خاصة هنا فيما يتعلق بالأسرى، فقد أوصى بهم خيرا والمعاملة الطيبة لهم وعلاج جراحهم ودفن موتاهم وياليت عالم اليوم يسير على هدى هذه الخطى ويتخلق بها فهى من مبادئ حقوق الإنسان الحققة- فى هذا المجال- وليس كما يتشدد بها اليوم من يدعون أنهم حراس حقوق الإنسان وحراس الديمقراطية، واليهم يعلمون- بالمقارنة- هنا أن مبادئ حقوق الإنسان لديهم هشة ومزيفة تكيل الأمور بمكايل مختلفة لأنها بنود ومبادئ من صنع الإنسان وهواه، أما حقوق الإنسان كما وضحها رسولنا الكريم ﷺ فهى مبادئ منزلة من عند الله العلى القدير لكافة شعوب الأرض على لسان نبيه ﷺ .

وكلمة المشركين هى السفلى، ولذلك قاتلوا بشجاعة تامة .

كما أن تشجيع الرسول ﷺ لأصحابه قبل القتال وخلاله قوى من عزائمهم ومعنوياتهم وبذلك ظلت معنويات الكبار ومعنويات الأحداث الصغار عالية أثناء المعركة وبعدها .

سابعاً: مبادئ عامة أرسى قواعدها رسولنا الكريم ﷺ :

١- الغنائم :

جمع الرسول ﷺ غنائم المعركة وقسمها بالتساوى بين المسلمين من أهل بدر ومن عاونهم على إحراز النصر: فقد جعل للفارس سهمين (سهم له وسهم لإعاشة فرسه وإعدادها للحرب) وجعل حصّة لمن تخلف فى المدينة لرعاية شئون المسلمين أو من بقى فى المدينة بأمر الرسول . لأن النصر فى الحرب لا يحزره المقاتلون فقط، بل ويتعاون على إحرازه فى الخطوط الأمامية وفى الخلف لتهيئة أسباب النصر .

٢- الأسرى :

أمر الرسول ﷺ بقتل أسيرين فقط لقوة عداوتهم للمسلمين إذ اعتبرهما مجرمى حرب لا مجرد أسيرين . أما بقية الأسرى وعددهم ثمانية وستون فقد وزعهم الرسول ﷺ على صحابته قائلا: « استوصوا بالأسرى خيرا » ثم فادى أغنياء الأسرى بالمال . أما فقراء الأسرى فأطلق سراحهم دون مقابل، كما كلف المتعلمين منهم بتعليم



بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ

اعداد الأستاذ / محمود الفشتي

تفسير بيدبا

توقفنا مع صندوق الدنيا للأستاذ أحمد بهجت في الأهرام في عددها الصادر في ٢٠٠١/١٠/٣١ قال فيه:

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: اشرح لي يا بيدبا.. ما يحدث في أمريكا وأفغانستان.. فأنتى لم أعد أفهم شيئا.. قال بيدبا الفيلسوف: «مما أمريكا تؤدب أطفالها بقنابل في يدها اليمنى، بينما يدها اليسرى تحمل الدقيق والخبز، لأن أطفالها جائعون وسيئو التغذية.. وهى ذات قلب حنون.. هل تقنعك هذه الصورة يا مولاي؟

قال الملك: إنها صورة غير مفهومة.. لقد تحدث أحد المسؤولين من طالبان فقال إن أمريكا تضربنا بصواريخ ثمن الواحد منها مليون دولار، ولكن هذه الصواريخ تصيب خيمة ثمنها ٢٠ دولارا.. هل هذا معقول؟

فى الخلفية أربع قوى دولية تصعد بسرعة الصواريخ.. هى: روسيا - رغم لحظات ضعفها الآن - والصين والهند واليابان، وثمة من يقول يا مولاي إن هناك كنزا من البترول فى بحر قزوين، وهو أكثر من بترول الخليج العربى.. ولما كان وجود أى كنز يستدعى وجود طامعين فيه، ووجود حارس يقظ له، من ههنا جاء اهتمام أمريكا بالأمر.

إن الغيوم تتكاثر على عقلى.. ولم أعد أتبين موضع قدمى يا بيدبا.. إن هذا لغز لا يقل عن ألغاز الحواديت.. ما رأيك فيه؟

قال بيدبا الفيلسوف لدبشليم الملك: ليس هناك لغز فى الموضوع يا مولاي.. أنت تنظر الآن إلى الصورة التى تقع أمامك.. وتحكم عليها طبقا للأحداث التى تجرى فيها.. بينما



كل الدلائل اليوم تؤكد أن هناك حرباً صليبية جديدة خطط وأعد لها منذ أمد غير قريب كان محور الحروب الصليبية فى القرون الوسطى لندن وباريس وبرلين وروما حيث يوجد البابا الذى دعا إليها وشجع عليها أما الحرب الحديثة فمحورها تل أبيب وواشنطن وكانت أحداث الثلاثاء الأسود فى واشنطن ونيويورك بداية هذه الأحداث التى أسقطت هيبة واشنطن ومزقت غرورها الذى زكم أنوفها وجعلتها مبعث سخرية أتباعها قبل خصومها.

لقد نجحت الموساد بمركزها الرئيسى فى تل أبيب وفرعها فى واشنطن فى التخطيط والتنفيذ وتسخير الإعلام لوضع العرب والمسلمين فى قفص الاتهام واعتماد أسامة بن لادن كبش الفداء الذى رفعت الأحداث من قيمته فبعد أن كانت واشنطن قد أعلنت فى الماضى عن مكافأة قدرها خمسة ملايين دولار لمن يسلمها رأس أسامة بن لادن حياً أو ميتاً رفعت المكافأة إلى خمسة وعشرين مليوناً من الدولارات ومن يدرى فلعل طبيباً فذا متخصصاً فى الاستنساخ يستنسخ صورة من بن لادن يقدمها إلى واشنطن ليفوز بالمكافأة التى يسيل لها اللعاب.

● التعليق:

لقد جعل الأمريكان بن لادن أسطورة ترعبهم فى صحوهم ومنامهم وهذه هى الحرب الحقيقية ..

إن أمريكا هى حارسة الكنوز فى أرجاء المعمورة .. أى كنز يظهر تظهر هى معه لحراسته، وهى تقوم بهذه الحراسة بلا أجر .. إنما بدافع قوى من وجوب سيادة العدالة .. هكذا تقول .. ودعنا نصدقها فليس من الأدب تكذيب الكبار!!

قال الملك دبشليم لبیدبا الفيلسوف: ماذا تريد أن تقول يا بیدبا .. إننى أجاهد محاولاً الفهم ..

قال بیدبا الفيلسوف: كل دولة فى الدنيا لها حساباتها الاستراتيجية يا مولای .. وهذه الحسابات لها لحظة لدخول المسرح والوجود فيه .. وحبذا لو كانت هذه اللحظة مثيرة من الناحية الدرامية.

قال الملك دبشليم: أعرف كيف بدأت الحرب ضد الإرهاب .. السؤال هو كيف تنتهى؟

قال بیدبا الفيلسوف: لكل شىء بداية ونهاية يا مولای .. إلا حرب الإرهاب .. لها بداية فقط، وليس لها انتهاء!!

● وهكذا ظل الملك دبشليم حائراً محاولاً فهم ما يجرى بعد أن انقلبت الموازين وأصبح سمك القرش هو سيد الموقف.

أهى حرب صليبية جديدة؟

نعم هى حرب صليبية الهدف منها قتل الأبرياء وتشريد المسلمين وتشويه الأطفال وهدم البيوت كما قال الأستاذ محمد عبدالله السمان فى (اللواء الإسلامى) يوم ١١/١١/٢٠٠١ تحت عنوان «حصاد الخير»:

التخبط الأمريكي

تحت هذا العنوان كانت الافتتاحية للأستاذ مصطفى بكرى فى جريدة (الأسبوع) فى ١/١٠/٢٠٠١ قال فيها:

إن من يتتبع التخبط الأمريكى والأدلة المفبركة والخطابات الساذجة يدرك حجم الإفلاس والورطة التى وقعت فيها واشنطن بعد أن نصبت نفسها على رقاب العباد حاكما بأمره توزع الاتهامات وتصدر الأحكام.

ونقول: إن الذين يظنون أن أحداث الثلاثاء الأسود الحزين هى التى كشفت عن النية عن إعلان حرب شاملة ضد الإسلام لا يدركون أن نية الحرب بدأت مع الحروب الصليبية الأولى وكان الاستعمار الأوروبى الصليبيى بعد فشلها امتدادا لها ثم انبرى الاستشراق والتبشير يذكى نيران هذه الحرب.

ونجح اليهود فى جعل الخائن أتاتورك دمية فى أيديهم حتى قضى على الخلافة الإسلامية وحول تركيا مركز الخلافة إلى دولة علمانية تخضع للمحفل الماسونى الأعظم وينتهى بها المطاف بسرعة البرق.

إنه ليس تخبطا فقط إنه الجنون الأمريكى النابع من سلوكيات رعاة البقر الهمجية ولا بد أن يقف العالم الإسلامى لإنقاذ البشرية قبل أن تقوده أمريكا إلى الهاوية.

أمريكا والنصب السياسى على العرب!

نشكر الأستاذ وجيه أبوذكرى على مقاله الجرىء فى (الأخبار) بعددها الصادر فى ٧/١١/٢٠٠١ قال فيه:

طالبنا أكثر من مرة الزعيم الفلسطينى سرعة إعلان الدولة الفلسطينية لاختبار النوايا الأمريكية المعلنة والمؤيدة لقيام الدولة الفلسطينية، وليس سرا أن الأمين العام لجامعة الدول العربية وحده الذى حذر من الكمين الأمريكى للدول العربية، ففى اجتماعات لجنة المتابعة العربية الذى عقد فى دمشق مؤخراً صرح عمرو موسى أنه يخشى أن تعرض الدول العربية لعملية نصب سياسى إذا ما أعيد تحريك عملية السلام دون أن يكون الهدف منها قيام دولة فلسطينية، وقال عمرو موسى: «إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين»، مشيراً بذلك لاتفاقات أوسلو التى عقدت سنة ١٩٩٣ وقال موسى: «لن ننتظر عشر سنوات أخرى»، وأشار إلى أن التصريحات وحدها لا تكفى، بل يجب أن يكون لها أرجل تمشى، موضحاً أن العرب ينتظرون مبادرة دولية ملموسة!

إذن فالتصريحات الأمريكية وربما الدولية هى لتهدئة خواطر العرب وليست للحل، وهم فى انتظار انتهاء الأزمة الأفغانية، وبعدها تدخل القضية الفلسطينية فى ثلاجة التاريخ وتترك إسرائيل تمارس إرهاب الدولة ضد الفلسطينيين حتى يتم إجلاؤهم أو إبادةهم.

ولا حل أمام الفلسطينيين إلا باستمرار انتفاضة الأقصى، ولا حل أمام العرب إلا بدعم الانتفاضة.

بين المجلنة.. والقارئ

إعداد وتقييم / عادل رفاعي خفاجة

قانون مكافحة الإرهاب ردة للحرية في أمريكا



ترى ماذا يفعل الشعب الأفغانى بشيوخه ونسائه وأطفاله أمام قوة أمريكا وحلفائها؟! اللهم إلا الدعاء أن تشوب أمريكا إلى رشدها فتوقف وابل النيران الذى تلقىه على الأبرياء.

وكان ضرب مركز التجارة العالمى فى أمريكا لا يكفى؛ فقد تم تسديد ضربة أخرى أشد إبلاماً تم توجيهها إلى الحرية المزعومة فى بلد الحريات ولكن هذه المرة بأيدى الأمريكيين أنفسهم، حيث أصدروا قانون مكافحة الإرهاب الذى يعطى السلطات حق التنصت على المكالمات التليفونية، وتعقب الرسائل الالكترونية، وحق احتجاز المشتبه فيه لمدة أسبوع وترحيله دون الاطلاع على التهمة الموجهة إليه.. وذلك تحت شعار: «الأمن قبل الحرية». هكذا برغم القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية الفائقة التى تتمتع بها أمريكا والتى تمكنها من التروى والتحقيق دون أن تمس حرية المواطنين، نجد أنها لم تتورع عن قصف الحرية التى باتت تتغنى بها، تماماً مثلما لم تتورع عن قصف الشعب الأفغانى البسيط طلباً للهيبة الضائعة!!



العدل هو الحل الوحيد للإرهاب

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (١).

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فالعدل هو الحل
الوحيد للإرهاب ولنتأمل قول مبعوث امبراطور الروم
عندما رأى أمير المؤمنين نائماً تحت شجرة بدون
حراسة: «حكمت فعدلت فأمنت فمنت يا عمر»
-ولله الأمر من قبل ومن بعد- وعلى الله قصد
السبيل- وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وحول مسألة الارهاب، كتب الاستاذ
الدكتور سميح أحمد محمد إبراهيم -استاذ
الاحصاء بكلية تجارة الزقازيق يقول :

-العدل أساس الملك ولا غرو فالعدل اسم من
أسماء الله الحسنى - وفي ضوء ذلك فإنه يمكن
القول أن (العدل هو الحل الوحيد للإرهاب)
مصادفاً لقول الله - سبحانه وتعالى- في القرآن
الكریم:

عالم بلا قلب

جهاتنا الأربع وبحيث يصدق القول ان الدنيا
ترقد على صفيح ساخن فتختلط الفواجع
بالمآسى والرزايا بالمعاناة والكل يرزح تحت
وطأة العذاب وإن تنوعت الأشكال والأسباب .
ولقد أصبح الرعب يتسلل إلى أعماقنا ويصل
إلى مضاجعنا من خلال شاشات التلفاز أو
عناوين الصحف إن كنا مشاهدين . أما
المشاركين ممن يعيشون في مواقع الحدث فهم
يخالطون الموت ويدخلهم الهلع والضياع
بفعل الدمار ويتملكهم القلق ليل نهار ولا
يصل لأبصارهم سوى مشهد النيران والدخان
وحمامات الدم والأشلاء وتلال الركام والحطام

أما الاستاذ / السيد حسين العزازی -
رئيس القطاعات بالكهرباء والطاقة-
فيشير إلى انعدام الرحمة في ظل النظام
أحادى القطبية، حيث يقول :

- نظن خطأ أن البشرية قد بلغت رشدها
وأفاقت من عبثها وتخلت عن غيها وتخلت
بالحب والتراحم بعد أن عركت التجارب
وعايشت المحن واكتوت بنار الظلم والتسلط
إذ لا يزال كدرها جزءاً من قدرها وان العدل
كامل يبتعد مداه ويحيد عن مرماء فلا تصله
ولا تدركه . وشاهدنا على ذلك مساحة
الغضب والعنف التى تشمل الدنيا من

(١) الأنعام آية (٨٢).



يكتب لها الفوز إن تمسكت بدواعي الكرامة من احترام الاستقلالية والاعتماد على الذات وانتاج مقومات الحياة دون سند أو مدد ممن يتربصون به أو يضمرون له سوءً للاحتواء والهيمنة وهو ما نلاحظه في سياقات العولمة . وكفانا غفلة وسذاجة وأولى بنا ألا نسعى لسجناننا وان نبحت لأنفسنا عن ملاذ آمن يتوفر فيه السلام ومعطيات الرخاء وهذا لن يكون إلا إذا بذلنا جهدا مضاعفا لاستغلال ثرواتنا الطبيعية والحفاظ على البيئة، ووظفنا طاقة البشر فيما يفيد وتبصرنا مستقبلنا بعد فحص كل الاحتمالات، واستقر بنا الرأي على سياسات واضحة وموضوعية .

وإذا كان رخاء العالم أو ركوده اقتصاديا يرتبط بحالة امريكا ايجابا أو سلبا فمعنى ذلك أن العالم يتحرك من خلال مزاج وظروف سيده وهذا دليل على عدم نضوج الانسانية بمعناها الواسع ووقوعها أسيرة الخضوع والخنوع وذلك فى مجمله يفسر أن العالم باستكانته وتواكله لا يزال تحت وصاية سيد خشن الطباع يرتضى لنفسه أن يُطاع ولغيره أن ينصاع ولتحقيق ذلك يصرخ ويهدد وليس مهما لديه أن ندين أو نندد فالذئب لا يشغله ثغاء القطيع بقدر ما تشغله المباغته والانقضاض .

وغاية الأمر أن فلسفة القوة لا تفرز سوى العنف وأجدر بنا -إن أردنا السلام- أن نسعى للعدل لأنه قيمة بناء ونماء ورخاء ومدخل أخلاقي للرخاء الإنسانى واستقامة الحياة واستدامتها على النهج المنشود .

ويدوى فى آذانهم دوى القذائف وازيز الطائرات التى تخترق حاجز الصوت وتهتك ستر الحياة بالموت بغير تمييز بين صغير أو كبير فالمصير واحد ما دام الجميع -كما يقولون- فى خندق واحد .

وأيا كان ما يحدث من أفعال أو ردود أفعال فكلها نتاج الانحراف وفساد الفكر وعدم توظيف العقل فيما خلق من أجله والممارسات المعاصرة لا تقل ضراوة عن الاستعمار القديم فى أخط صوره وأشكاله، خاصة وان تكنولوجيا الإبادة من حرق وخنق ومسخ تحقق فى الدقيقة ما كان يتعذر تحقيقه قديما فى أعوام .

وفى ظل هذا المسلك الوقح أصبحت الانسانية بلا أرضية أو غطاء وتضاعف عدد المستضعفين؛ فالأقوياء تجمعهم اوروبا الغربية والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة .. وإسرائيل ذئبٌ لهؤلاء مجتمعين .. والمغلوبون على أمرهم يقطنون آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية وأجزاء من اوروبا الشرقية . أما استراليا فلا زالت تابعا مستأنسا للتاج البريطانى وقضايا الأمس هى قضايا اليوم؛ فالطرف القوى يتسلط ويتحكم ويحاصر والطرف الأضعف يجأر ويناجز ويقاوم وفى ظل القطبية الثنائية احيط به وفى ظل النظام الاحادى أجهز عليه وتقطعت أنفاسه بل ويحتضر فى بعض أجزائه وإن كان هذا فى مجمله ليس مفروضا عليه بالتمام .. خاصة وان لديه الفرصة للتوحد مع أنداده والترابط مع أقرانه ليشكل قوة تصدى وتحدى قد

جرانادا، توليدو، سافيل

العالم كله فى هذا الوقت وعند عودتهم إلى بلادهم كانوا ينقلون ما تعلموه فى قرطبة وغيرها من مدن العالم الإسلامى إلى بلادهم تماما كما يفعل أبناؤنا فى هذا العصر إذ يتعلمون فى معاهد اوروبا وأمريكا. أما عمن صار بابا روما فقد أخذ معه الصفر. لم يكن الصفر معروفا من قبل وكانت العمليات الحسابية تجرى بطريقة صعبة فاخترع العلماء فى الأمة الإسلامية «الصفر» فأصبحت العمليات الحسابية أكثر سهولة. ولنا أن نتصور كيف يمكننا الآن إجراء عمليات حسابية تحتوى على أعداد بها الملايين والبلايين بدون الاستعانة بالأصفار.

إن صاحب الحضارة الحق لا يتعالى على الآخرين فإذا تعالى أحد علينا وتفاخر بحضارته فيمكننا أن نعرض عليه وعلى العالم أجمع صورا من حضارتنا، بل يمكننا أن نبين لهم كيف استفاد الغرب من هذه الحضارة السامية .. و... لدينا مزيد.

فى هدوء وواقعية وبعيدا عن العصبية البغيضة يوضح د. أحمد شوقى عرفة كيف استفاد الغرب من حضارة العرب، ويوضح أنه برغم تنكر الغرب للحضارة العربية، إلا أن الإعجاب الكامن فى أعماقهم يخرج رغماً عنهم فى بعض تصرفاتهم، يقول الدكتور أحمد شوقى:

- هذه أسماء لثلاثة من أفخم السيارات الأمريكية مأخوذة من أسماء ثلاث مدن أندلسية عظيمة وهى: غرناطة وطليلة وأشبيلية. لقد اختار المصنعون الأمريكيون هذه الأسماء لتكون دليلا على عظمة ماصنعوا. إنهم بهذا يشهدون على عظمة حضارة الأندلس وفى نفس الوقت يشهدون ويعترفون بعظمة الحضارة الإسلامية.

كان أحد باباوات روما فى شبابه يدرس فى معاهد قرطبة فى الأندلس كما كان كثير من شباب اوروبا يفعل بعد أن يجيدوا دراسة اللغة العربية بل لقد كانوا يفتخرون بإتقانهم هذه اللغة السامية التى كانت لغة العلم فى

اقرأ قريبا فى ملحق مجلة الأزهري:

بهجة النفوس وتحليتها بما لها أو عليها .. شرح مختصر البخارى لابن أبى جمرة

الأعياد الإسلامية

(رواه البخارى). وهو يوم الجائزة.. عن النبى ﷺ: «إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بالصيام فصمتتم، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد: ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة». (رواه الطبرانى)

من القارىء/ حسام جابر محمد عبدالعزيز- محرم بك- الاسكندرية- وردت كلمة عن الأعياد نقدم منها قوله: كلمة «العيد» مشتقة من العود أى «العود» لأنها تعود كل عام حاملة ما يمنحه الله -عز وجل- من عوائد الخير والمغفرة على عباده، وعيد الفطر المبارك هو اليوم الأول فقط من شوال، فيه يفرح المسلمون بفضل الله عليهم بإتمام شهر رمضان وتمكينه -عز وجل- لهم بأداء فريضته. قال النبى -صلى الله عليه وسلم-: «للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه»

من الأخطاء الشائعة

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾. [الفرقان: آية ٦٤]
٣- من الخطأ: قرأت المجلة إياها. والصواب: قرأت المجلة نفسها أو عينها بالتوكيد، لأن (إياها) ضمير نصب منفصل لا يختص بالتوكيد.
٤- من الخطأ: تقرر انتداب الموظف والصواب: تقرر ندب هذا الموظف، لأن الفعل (ندب) مصدره (ندب) بسكون الدال على وزن فَعَلَ - فَعَلًا؛ فالمصدر: فَعَّلَ وليس افتعال. وبالله التوفيق.

ومن ديرب نجم - شرقية - يلقي القارىء الاستاذ إبراهيم نصحي بعض الضوء على أخطاء شاعت بين المتحدثين بالعربية، نشكره، ونرجو أن يتوصل عطاؤه يقول: من الخطأ أن تقول:
١- سحب محمد الشكوى. والصواب: استرد محمد الشكوى.
٢- من الخطأ: بات محمد هادئا -أى: نام. والصواب: نام محمد هادئا.. لأن معنى بات: أظله المبيت، سواء أنام أم لم ينم. قال تعالى:

من إبداعات القراء :

مع هلال رمضان

شعر / جابر عبدالعليم مصطفى - سوهاج

نور الهداية من عظيم يغفر
فى كل عام نوره يتفجر
وكذا بعثت فى النهاية يسطر
يمحو الإساءة والفضيحة ينشر
فهو الجدير وإنه لمبشر
يجنى ثوابا والكريم يقدر
حل الوفاق وللقطعة تهجر
وكذا للغو فى الصيام تطهر
رب العباد بخير دين يظهر

قد هل نور للهلال فكبروا
شهر تجلى للعباد معلما
قرت به عين العباد برحمة
شهر المودة والخبرة والهدى
من صامه وأقام ليلا ضارعا
وقراه ضيفا حين يمسي مفطرا
وإذا سعت لمن أمرت بوصلهم
وزكاة فطر للتكافل خصصت
هذا العطاء لأمة قد خصها

الصلاة

شعر / خديجة أحمد محمود فرغل

فى فرحة لندائه
م لتستظل بظله
م مرددا كلماته
د إذا مضى واطفر به
ع النور فى جنباته
حتى تفوز بقربه
ك وفيك بعض جلاله

نادى المؤذن فاستمع
يدعوك للبر الرحيم
فدع المشاغل والهمو
فانهض لوقت لن يعو
وأرح فؤادك كى يشي
واسجد لربك واقترب
فـالله يرضى أن يرا



شعر / عبدالرحمن محمد أحمد - نجع حمادى

رمضان يا من قد سموت مبشرا

أهل الهدى بالخير والبركات
وتنافس الأبرار فى الطاعات
لله قد صاموا عن الزلات
بين العظات وعطرات الآيات
وتزينت بالذكور والصلوات
بالفتح أقبل فى سنا وثبات
فاقت بهاء الدهر و السنوات
أهل الصيام بأرفع الدرجات
ندعو سواك فجد لنا بنجاة

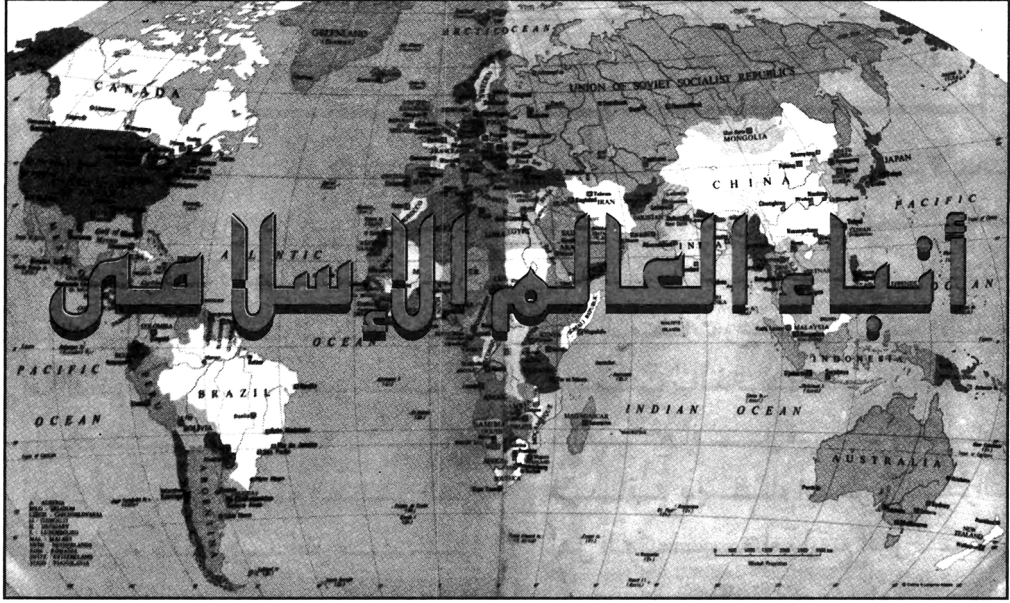
رمضان يا من قد سموت مبشراً
صامت بك الأرواح عن شؤم الهوى
وكست وجوه الصائمين نضارة
أهواك حيث المسلمون بك التقوا
أهواك كم فيك المساجد عمرت
وإليك عاد النور مكة أبشرى
أهواك فيك الليلة العظمى التى
والعيد خلفك قد أطل مبشرا
يارب أنت المستعمان ونحن لا

شعر / محمود الطاهر الصافى

دُعَاءُ لَيْلَةِ الْقَدَرِ

يَا مُذْهَبَ الْيَأْسِ بِالرَّجَاءِ
مُبَدِّدَا ظُلْمَةَ الْعَنَاءِ
وَأُبْعِدِ الْبُؤْسَ بِالْهِنَاءِ
وَأَنْفُسَ النَّاسِ فِي صَفَاءِ
كَمْ طَلَعَ الْفَجْرُ بِالضِّيَاءِ
مَنْ كُلُّ كَرْبٍ وَكُلُّ دَاءٍ
شُعَاعُهَا مَصْدَرُ الْإِخَاءِ
يَهْدِي إِلَى مَشْرِقِ الْعِلَاءِ
أَسَاسُهُ ثَابِتُ الْبِنَاءِ
لِيَصْنَعُوا أَمْجَدَ السَّنَاءِ

يَارَبَّ يَا مَنَاحَ الشَّفَاءِ
أَسْبَغْ عَلَيْنَا الشَّفَاءَ نُورًا
وَحَفِّفْ الْكَرْبَ عَنْ مَرِيضٍ
وَاجْعَلْ جَمِيعَ الْحَيَاةِ خَيْرًا
وَابْعَثْ لِي ذِي مَحَنَةٍ خَلِصًا
وَأَنْقِذِ الْمُتَعَبَ الْمُعْنَى
وَاجْعَلْ سَلَامَ الْقُلُوبِ شَمْسًا
وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رُشْدًا
وَاجْعَلْ يَقِينَ الْإِيمَانِ صِرْحًا
وَوَحِّدِ الْعُرْبَ لَأَنْتَ صَارِ



للأستاذ / محمد الشرقاوي

نشاط كبير للمؤسسات الإسلامية في ألمانيا

ذكر الدكتور حسين البحراوى رئيس المجلس الإسلامى فى ألمانيا أن المسلمين فى ألمانيا يتزايد عددهم حتى وصلت المؤسسات الإسلامية فى ألمانيا إلى (٢٠٣٠٠) مؤسسة إسلامية من المدارس والمساجد والمعاهد والمراكز الإسلامية.

وشرح بأن المجلس يسعى إلى توحيد المنهج والجهود فى كل المؤسسات الإسلامية فى المانيا حتى تكون فى إطار التكامل وليس التناحر والتنافر وعن التعليم فى ألمانيا للمسلمين قال: إننا نفكر فى قضية التربية والتعليم بجدية تامة لأبناء المسلمين فى ألمانيا حيث إن ٦٠٪ من المسلمين

إقبال كبير على الكتب الإسلامية

فى معرض فرانكفورت للكتاب

شهد معرض فرانكفورت الدولى للكتاب إقبالا كبيرا على الكتب الإسلامية سواء من قبل أبناء الجالية الإسلامية المقيمة فى المانيا أو من الألمان أنفسهم وفى العالم الغربى يتزايد الإقبال حالياً على الاطلاع على الكتب عن الإسلام ومعانى القرآن الكريم.

يذكر أن ألمانيا بها عدد كبير متزايد من المسلمين يتركز معظمهم فى المدن الكبرى مثل «ميونيخ» و«شتوتجارت» و«فرانكفورت».



عدد الأمريكيين الداخلين في الإسلام

تضاعف « ٤ » مرات بعد أحداث سبتمبر

ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية أن حوالى « ٢٥ » ألف شخص يعتنقون الإسلام سنوياً في الولايات المتحدة وأن عدد الذين يدخلون الإسلام يومياً قد تضاعف أربع مرات بعد أحداث ١١ سبتمبر الماضى ونقلت الصحيفة عن خبراء قولهم إن أسباب انتشار الإسلام فى أمريكا متعددة ومن بينها: عالمية رسالته ولأنه يقر بنبوّة عيسى - عليه السلام - والخليل إبراهيم وأنبياء آخرين ورد ذكرهم فى الكتب السماوية القديمة بالإضافة إلى أن الدخول فى الإسلام لا يحتاج إلى إجراءات شكلية معقدة حيث إنه دين بسيط واضح. ولا نملك إلا أن نذكر بقول الله - عز وجل -:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرٌ
نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١).

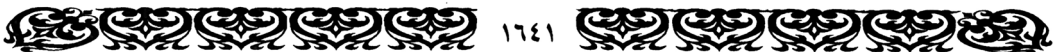
كتاب «محمد ﷺ» الأعلى مبيعاً

سجل كتاب «محمد ﷺ» للمؤلف اللبناني المقيم فى باريس «صلاح شتيّة» والمنشور بالفرنسية أعلى الكتب المبيعة فى فرنسا بما حذا بدور النشر الكبرى إلى التنافس على حق طباعتها حيث أعيد إصداره فى طبعة جديدة للجيب فى «٢٥» ألف نسخة بعد أن كان قد صدر فى طبعته الأولى عدد «٥» آلاف نسخة.

فى ألمانيا فى سن التعليم من الابتدائى حتى الثانوى، لذلك أسسنا بعض المدارس ونركز على التربية من خلال المحاضرات فى المساجد والمراكز الإسلامية للأبناء والأمهات كى نحافظ على الهوية من خلال التربية والحمد لله النتائج جيدة. وعن نشاط المجلس الإسلامى قال: استطعنا إعداد ٧ اجتماعات لرؤساء المؤسسات الإسلامية فى الغرب كلها فى أوروبا والأمريكيتين كى نضع استراتيجية لعمل ثقافى ودعوة موحدة كى نحافظ على هوية المسلمين فى الغرب.

٣٠ ألف كتاب إسلامى للمسلمين فى إثيوبيا

قدمت الندوة العالمية للشباب الإسلامى ومقرها «جدة» نحو «٣٠٠٠٠» كتاب إسلامى من إصداراتها باللغة العربية والإنجليزية إلى المسلمين فى إثيوبيا وذلك فى إطار سعيها المتواصل إلى نشر العلم النافع لتعليم المسلمين أمور دينهم وتعميق ثقافتهم الإسلامية وشملت الكتب التى قام بإرسالها مكتب الندوة «بجدة» بعض أجزاء من تفسير القرآن الكريم وبعض كتب السيرة النبوية وكتب فى العقيدة والحديث وعن حياة الصحابة والتابعين ويأتى توزيع هذه الكتب ضمن خطة الندوة الخاصة بطباعة وتوزيع الكتاب الإسلامى بهدف نشره وتوفيره للقراء والباحثين وطلبة العلم خاصة فى الدول التى يصعب فيها الحصول عليه، علاوة على ماتشكله المطبوعة الإسلامية من وسيلة أساسية ومهمة فى الدعوة إلى الله ونشر الدين الحنيف وتوثيق صلة المسلمين بدينهم وتعريف غيرهم به.



أنباء مكاتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

سماحة الإسلام ونبذ الإرهاب



فضيلة الإمام الأكبر

يجاهدون، ومن يفجر نفسه فى عدوه فهو شهيد وليس إرهابيا كما يدعى البعض، وقال إن الحضارات تتقارب وتتعاون ولا تتصارع وكل حضارة تعطي

للأخرى وتأخذ منها فالحضارات بذلك تتكامل الشرق يأخذ من الغرب والغرب يأخذ من الشرق وهكذا ومن يقول عكس ذلك فهو جاهل أو حاقد .

وتحدث الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى للسيد رئيس الجمهورية فقال: إن ظاهرة اتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب هى

عقدت جامعة الأزهر الشريف مؤتمرا عن «سماحة الإسلام ونبذ الإرهاب» تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وألقى فضيلته كلمة قال فيها: إن الإسلام يقوم على السماحة والعدل ويرفض الإرهاب بكل صوره سواء العدوان على النفس أو العرض أو المال أو الحرية أو الكرامة الإنسانية، والإسلام دين الأنبياء جميعا، ولا بد أن نرد على من يتهمون الإسلام بالباطل فالرسول ﷺ قاد سبعة وعشرين غزوة ليس فيها غزوة للعدوان ولكن جميعها كانت من أجل رد العدوان ومن أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، وآيات الجهاد التى نزلت في القرآن الكريم كانت من أجل رفع الظلم ورد العدوان، فالإسلام دين السماحة فمن يتهم الإسلام بالإرهاب والتهم الباطلة فهو حاقد ولا بد أن ندفع هذه التهم بجميع الوسائل، كما أوضح أن الفلسطينيين عندما يدافعون عن أرضهم وأنفسهم فهم



أ.د/ محمود زقزوق



أ.د/ أحمد عمر هاشم



أ.د/ أسامة الباز

الأزهر الشريف ورئيس المؤتمر بأن الإسلام يحرم الإرهاب على المسلمين وغير المسلمين وأن ما تمارسه إسرائيل هو أبشع أنواع الظلم والإرهاب والعالم يرى بعينه ما يحدث ولكن إسرائيل أدارت ظهرها وصارت تحفر حول المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ودعا المجتمع الدولي والدول العربية لمكافحة الإرهاب لتنهض جميعا، وتؤيد دعوة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لمؤتمر دولى لمكافحة الإرهاب، وأشار إلى أن الإسلام قرأن الأمان رهن العدالة، والظلم يولد الانفجار.

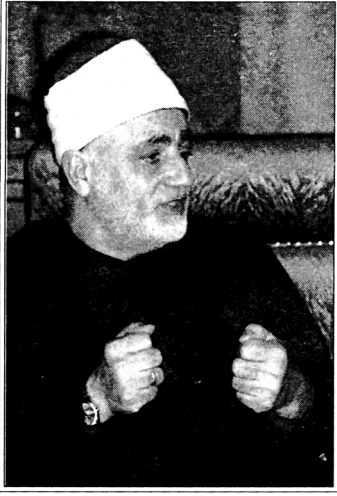
وتحدث فضيلة الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف قائلا: إن بعض المسلمين لا يفهمون الإسلام فهما صحيحا ولا يعرفون مبادئه ولا تعاليمه الحقيقية، فالإسلام دين مظلوم بين جهل أبنائه وظلم أعدائه، وأكد أن الإسلام

ظاهرة قديمة حيث إن التعصب ونبد الآخر نمط من أنماط السلوك الإنسانى فرسالة الإسلام رسالة صلة بالرسالات السابقة والرسالات تكمل بعضها البعض، والإسلام له جذور وقواعد والذين يهاجمونه إما عن جهل أو تعصب دينى أو سياسى، والحضارة تمر بمراحل ازدهار واضمحلال، والإسلام لا يكره أحدا علي الدخول فيه قال تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١) أو الحرية لها ضوابط وقواعد، وأكد على قيام مؤتمر دولى للإرهاب حتى تكون المواجهة من الأسرة الإنسانية كلها وليس مع الحدث بذاته وهذا يؤدي إلى أمن الشعوب واطمئنانها كما تحدث بذلك ونادى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك.

وأكد الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة

(١) البقرة: ٢٥٦.



د. نصر واصل

والتاريخ
والإنساني
وما ورد في
كل الشرائع
السماوية
فسنجد أن
الإسلام هو
سلم وأمان
لكل إنسان
على الأرض
فالإسلام
صنوان لعملة

واحدة، كما أن النصوص الشرعية سواء المتعلقة بالعبادات أو المعاملات كلها تحمل هذا المعنى وتوجب على من انتسب إلى الإسلام أن يؤمن بذلك وأن يطبقه في حياته، وقال: إن الأنبياء جميعا جاءوا لتحقيق الخير للإنسانية كما جاء في شريعة الإسلام وقال: إن الإنسان مع بنى جنسه يمثل نفسا واحدة ولذلك فالاعتداء على نفس واحدة هو اعتداء على الناس جميعا وهو إفساد للحياة كلها فكيف يتصور أن يكون في الإسلام إرهاب بعد ذلك، وأشار إلى أن الإسلام شرع الجهاد للحفاظ على النفس البشرية والإسلام حارب الإرهاب بكل صوره وأشكاله، وقال إن تواصل الحضارات في الإسلام ضرورة حتمية، وقال إن الإسلام دين السلام والمسلمون يطبقون ذلك عقائديا في كل أمور حياتهم مع أنفسهم ومع غيرهم.

بمصادره الأساسية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية وبحضارته أيضا بعيد كل البعد عن الإرهاب وعن الظلم وجوهر الإسلام هو الرحمة قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢).

والإرهاب ظاهرة عالمية لا يختص بها شعب معين والغريب أن الإسلام وحده من بين كل الأديان في الأرض يوصف بالإرهاب وهذا يثير العديد من علامات الاستفهام، مع أن الإسلام وشريعته يحترم النفس الإنسانية وقد كرمها الله عز وجل - وجعل الحفاظ عليها مقصدا من مقاصده، وحينما أذن للمسلمين بمقاتلة من اعتدى عليهم كان ذلك بشرط ألا يتجاوز الاعتداء إلى من لم يعتد، وإذا كان الإسلام قد شرع الجهاد فقد شرعه كحرب دفاعية وليس كحرب مقدسة كما يقول البعض، وليعلم العالم أن الإسلام أمر بالحوار والتعاون والتعارف بين جميع الشعوب، كما أمر أتباعه بأن يتعايشوا مع غيرهم بالعدل والإنصاف ونحن كمسلمين ليس لدينا حساسيات من أى حضارة ولذلك نرفض بشدة صراع الحضارات، والحضارة الإسلامية تعاونت مع الحضارات الغربية وأعطت لها الكثير، وعندما أرادت أوروبا أن تبنى عصرا جديدا قامت حركة نشطة بترجمة العلوم العربية إلى اللغات الأجنبية.

وتحدث فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية فقال: إننا عندما نحكم العقل والواقع

الإمام الأكبر يشهد حفل تخرج طلبة

البعوث الإسلامية

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وبحضوره احتفلت مدينة البعث الإسلامية بتخريج الدفعة ٤٣ من طلاب وطالبات مدينة البعث بعد انتهاء دراستهم بجامعة الأزهر الشريف من جميع الكليات والتخصصات وبلغ عددهم ٢٥٠ طالبا وطالبة يمثلون ٥٨ جنسية من جنسيات العالم المختلفة وتحدث فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى المشرف العام علي مدينة البعث الإسلامية عن النهضة التي حدثت في عهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وذلك في المجالات العلمية والتعليمية والثقافية وتحديد المباني وتحديث المدينة ودخول الكمبيوتر والإنترنت والعمل على أن يتصل كل طالب بأهله وذويه من داخل المدينة إلى غير ذلك من تحديد وتحديث المطابخ ثم تحدث فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف عن النهضة العلمية والثقافية في الأزهر الشريف واستقباله لطلاب وطالبات من ٩٥ دولة من دول العالم المختلفة من جميع القارات يتعلمون في الأزهر الشريف على منح منه ثم يحصلون على أعلى الشهادات العلمية فأصبح منهم رؤساء دول وسفراء ومسؤولين في بلادهم وعلماء ينشرون دين الإسلام ويقومون بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الذى هنأهم بحصولهم على أعلى الشهادات من الأزهر الشريف من كلياته المختلفة وقد أوصاهم بأن يكونوا على

ما يحدث في أفغانستان عدوان متجبر

أجتمع مجمع البحوث الإسلامية برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بجلسته يوم ١١/١١/٢٠٠١ وناقش الوضع الدولى الراهن بشأن رأى الإسلام فى ظاهرة الإرهاب وما دار حولها من ملايسات وقد أصدر المجمع بيانا رأى فيه أن الإرهاب هو ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحررياتهم وكراماتهم الإنسانية بغيا وإفسادا فى الأرض، كما رأى أن الجهاد الإسلامى إنما هو بذل الجهد نصرة للحق ودفعاً للظلم، كما رأى المجمع أن كل العقلاء من كل الأديان والحضارات قد أجمعوا على أن معالجة أسباب المشكلات والأمراض لابد أن تسبق معالجة الأعراض، وأنه يجب التفرقة بين عنف الطغاة الذين يغتصبون الأوطان ويهددون الكرامات، ويدنسون المقدسات، وبين ممارسة الدفاع المشروع الذى يجاهد به المستضعفون لاستخلاص حقوقهم المشروعة، كما رأى أن محاربة الإرهاب التى يؤيدها المجمع في بيانه لا تبرر الاعتداء على شعب أفغانستان الفقير الأعزل الذى تتعرض مدنه وقراه ومساجده ونساؤه وأطفاله ومقومات حياته لعدوان متجبر دون سبب ودون بينة.

حضر الاجتماع فضيلة مفتى الجمهورية وفضيلة وكيل الأزهر الشريف وفضيلة رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الأمين العام للمجمع والسادة الأعضاء.



صلة بالأزهر الشريف وعلمائه وأن يظلوا على تواصل مستمر مع إخوانهم المصريين وأن يكونوا قدوة حسنة طيبة لإخوانهم، وأن يقوموا بنشر الدعوة الإسلامية في بلادهم ثم قام فضيلته بتوزيع الجوائز عليهم .

دورة أئمة ووعاظ العالم الإسلامي

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة رقم ٥٤ لأئمة ووعاظ العالم الإسلامي الذين أتموا الدورة التدريبية بمدينة البعوث الإسلامية وعددهم ٢٨ إماماً وواعظاً من دول تنزانيا ، بنجلاديش ، جزر القمر، جيبوتي، البوسنة والهرسك، والجزائر وقد استمرت هذه الدورة لمدة ثلاثة أشهر من ١/٨ - ٣١/١٠/٢٠٠١ تلقوا خلالها التدريب والمحاضرات على أمور الفتيا والعلوم والمعارف الإسلامية على أيدي السادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف وأساتذة جامعة الأزهر الشريف وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة هنا فيها الخريجين على تفوقهم في هذه الدورة وحثهم على متابعة حفظ كتاب الله - عز وجل - والتمسك بسنة رسوله ﷺ، وأن يكون مثلاً يحتذى في سلوكهم الإسلامي، وأن يظهروا سماحة الإسلام ويسره، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، ونبذ الإثم والعدوان، وأن يتحلوا بمكارم الأخلاق، وأن يترفعوا عن الخلافات المذهبية لأن الدين الإسلامي دين يسر لا عسر دين تبشير لا دين تنفير، دين يدعو إلى العدل ويبغض الظلم والعنف والتطرف وهو دين الاعتدال يعطى كل ذي حق حقه بأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما أوصاهم بأن يذكروا

مصر وأزهرها الشريف بعد عودتهم إلى بلادهم وأن يكون التواصل بينهم وبين معلميه وإخوانهم دائم وقائم، وأن يكونوا رسل سلام وحب، وأن يبلغوا ما تعلموه لأهلهم وذويهم ثم قام فضيلته بتوزيع الجوائز وشهادات التخرج على الخريجين ثم قام فضيلته بافتتاح الدورة ٥٥ لأئمة ووعاظ العالم الإسلامي وعددهم ٢٩ علماً وأماماً من دول : الصين ، المالديف، تشاد، سريلانكا، الفلبين، الجزائر وقد بدأت الدورة في ١١/١ وتنتهى بعد مدة ثلاثة أشهر حضر الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا أبو عجزور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والسادة علماء الأزهر .

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد الدكتور / سري نسيبة مسئول ملف القدس يرافقه السيد السفير / زهدى القدرة سفير فلسطين في القاهرة .

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن أن القدس في قلوبنا ومشاعرنا ودمائنا، وأن من حق الشعب الفلسطيني أن تكون له دولة الحرة التي لها مكانها فوق الأرض وتحت الشمس، ونحن نؤيد إخواننا في فلسطين ، ومن يفعل غير ذلك يكون مقصراً في حق دينه وأمته، وقال إن للفلسطينيين الحق في الدفاع عن أرضهم وكرامتهم وهو أمر واجب على كل إنسان عاقل، وأن ما نراه من اعتداء على الأراضي الفلسطينية والمقدسات الإسلامية والمسيحية، واعتداء على الآمنين من الرجال والنساء والأطفال يعتبر اجراماً في حق الإنسانية ، وأن استمرار الدفاع من جانب الفلسطينيين عن حقوقهم من شأنه أن يحصلوا على تحرير أرضهم حتى تكون لهم دولة حرة أبية ماداموا ثابتين وصابرين .

قضاة السودان في ضيافة الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد القضاة والمستشارين بجمهورية السودان الشقيقة برئاسة السيد / عثمان ميرغنى محمد المستشار بوزارة العدل السودانية في إطار الدورة التي يعقدها مركز الدراسات القضائية بالقاهرة.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر وأزهرها الشريف وأوضح أن شريعة الإسلام واضحة في عقيدتها ومعاملاتها وهذا من مميزاتها، وأن شريعة الإسلام هي شريعة العقل السليم، ومنذ بداية الكون وحتى الآن هناك فضائل وهناك رذائل، واتفق العقلاء على كل الفضائل، ولم يتفقوا على الرذائل، كما اتفقوا على الأصول في العبادات والمعاملات. وأن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - أوضحوا ذلك لأقوامهم في دعوتهم إلى الله عز وجل، وأن العبادة لله الواحد الأحد، وفي الدعوة لمكارم الأخلاق وفي العدل وفي الحكمة، وأن شريعة الإسلام شرعت وبينت للناس المعاملات فيما بينهم، ولا يستطيع إنسان أن يعيش بمعزل عن الناس، فالله سخر بعضهم لخدمة بعض لتستقر موازين الكون ولولا ذلك لاختلت موازين الكون، ومن مميزات شريعة الإسلام السماحة، والعدل في الأقوال والأحكام والتيسير والتبشير والبعد عن التشدد والمغالاة.

والقى فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نبذة عن تاريخ الأزهر وتطوره منذ أكثر من ألف عام، وأوضح أن نشاط الأزهر حيث يرسل بعثات من علمائه ووعاظه لدول العالم المختلفة لنشر دين الله الحنيف، والأزهر الشريف يدرس كل المذاهب الإسلامية الفقهية دون تعصب أو إفراط أو تفريط.

نحن ضد العدوان على الإنسانية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور / إبراهيم الأمين مندوب السيد / الصادق المهدي رئيس حزب الأمة بالسودان.

رحب فضيلته بالضيف في الأزهر الشريف، وقد نقل الضيف رسالة تحية وإجلال من الصادق المهدي لمواقف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر المتزنة والمعتدلة في هذه الفترة الحرجة التي يدبرها أعداء الإسلام، والتصدى لمن يتعرض لتشويه صورة الدين الإسلامى، وهى مرحلة تحتاج إلى التعاون والصبر والجلد، وإظهار سماحة الإسلام لدى دول العالم.

شكر فضيلته الضيف مؤكدا له بأن أحاديثه عن تلك الأحداث تتلخص في ثلاث نقاط:

أولا: أننا ضد العدوان على النفوس الإنسانية مادامت هذه النفوس لم ترتكب ما يوجب الاعتداء عليها.

ثانيا: أنه من حق من وقع عليه الاعتداء أن يبحث عن الجناة الحقيقيين ويتعقبهم ويقبض عليهم ويحيلهم للجهات القضائية لتقول كلمتها فيهم.

ثالثا: ليس من حق المعتدى عليه أن يعاقب غير الجناة وهذا كلام واضح وضوح الشمس.



الفهرس

- الرئيس حسنى مبارك فى لقائه مع علماء الأزهر
إعداد / أحمد السيد تقى الدين ١٤٥٨
● رمضان غريب بين أهله (الافتتاحية)
للاستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ١٤٧٦
● تفسير سورة القدر
لفضيلة الإمام الأكبر ١٤٨٢
● فى ظلال الحديث النبوى: السنة... الصوم
لفضيلة الشيخ / إبراهيم الجبالى ١٤٨٧
● شهر رمضان عند المحدثين
للدكتور / أحمد الشيمى ١٤٩٣
● رمضان عيد ميلاد الأمة الإسلامية
للدكتور / محمد عمارة ١٤٩٨
● قراءة إيمانية فى كتاب الكون والحياة
للدكتور / أحمد فؤاد باشا ١٥٠٣
● رمضان ناسك الزمن (قصيدة)
للشاعر محمود حسن إسماعيل ١٥٠٨
● رمضان يا أكرم الشهور
للشيخ / الطاهر الحامدى ١٥١١
● الصيام ورخصة الفطر
للدكتور / عفيفى محمود عفيفى ١٥١٦
● رمضان موسم الخيرات
للشيخ / السيد عبد المقصود عسكر ١٥٢٠
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للدكتور / عبد العظيم المطعنى ١٥٢٤
● الأوزاعى بين العلم والعمل
للدكتور / حمدى فتوح والى ١٥٣٣
● صفحة من حياة الدكتور محمد السعدى فرهود
للدكتور / محمد رجب البيومى ١٥٣٨
● فى صحبة الدكتور محمد الطيب النجار
للدكتور / محمد إبراهيم الفيومى ١٥٤٤
● حديث فى علوم الدين وعلوم الحياة
للدكتور / إبراهيم عوضين ١٥٤٨
● كارل بروكلمان ويحوثه عن الإسلام
للدكتور / مصطفى رجب ١٥٥٧
● فى نقد سيرة ابن اسحق / ابن هشام
للدكتور / محمود على مراد ١٥٦٣
- الأزهر المعمور
للدكتور / صابر عبد الديم بونس ١٥٧١
● الإسلام دين السلام (٢)
للشيخ / فوزى الزقزاف ١٥٧٣
● قصة ميلاد إنسان
للدكتور / محمود عمارة ١٥٧٩
● قصة العدد: باسمك اللهم
للاستاذ / محمد سعيد العريان ١٥٨٦
● تقرير لجنة كاهان الصهيونية
للدكتور / محمد حسن عبد الخالق ١٥٩١
● القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة
للدكتور / محمد أحمد العزب ١٥٩٨
● الابداع وحرية المبدع
للدكتور / متولى محمد البساطى ١٦٠٣
● طرائف ومواقف
للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٦٠٦
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر ١٦٠٨
● يا أمة الإسلام أفيق
للدكتور / حسين الأنصارى ١٦١٢
● استقبال شهر رمضان
للاستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ١٦١٦
● رمضان والتحديات المعاصرة
للاستاذ / إسماعيل أبو الهيثم ١٦١٩
● رسالة .. و..رد
للشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان ١٦٢٢
● تأملات فى غزوة بدر
للاستاذ / أحمد إسماعيل ١٦٢٥
● بين الصحف والمجلات
للاستاذ / محمود الفشنى ١٦٣٠
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم / عادل خفاجة ١٦٣٣
● أنباء العالم الإسلامى
للاستاذ / محمد الشرقاوى ١٦٤٠
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
للشيخ / عمر البسطويسى ١٦٤٢



الأهرام

مجلة شريعة جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وسر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد جيب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢٠٢٠

ت: ٨٥٩٩ ٦٦٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر

- عيد الفطر في موكب التاريخ

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

- الحث على العمل وقوة العزيمة

لفضيلة الشيخ / إبراهيم الجبالي

- الرفق بالجاني من خلق النبي ﷺ

للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفني

- رمضان في بلاد الأمريكان

لفضيلة الشيخ / الطاهر العامدي

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيها مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠ ☎

شوال ١٤٢٢هـ - يناير ٢٠٠٢م - الجزء العاشر - السنة الرابعة والسبعون

عيد الفطر في -

لو تمثل عيد الفطر إنسانا يروى قصة حياته، لرأيت شابا مشرق الطلعة غرد الحديث يسمعك من روائع الأنباء ما يبهج ويلذ، ولا عجب فقد جعل الله منه بلسماً للجراح الناعرة، وسعة للصدور المنقبضة وأن المحزون العابس لنتنابه الأحزان من كل صوب، فتضيق في عينيه الأرض بما رحبت، ثم يقبل عليه العيد فإذا البسمة اللامعة تشرق في محياه، وإذا رفقاؤه وأحبابه ينهضون من حوله متخذين من الصفو المتاح في موسم البهجة سبباً كافياً لتأسي الأشجان!

وقد خضع هذا العيد الحبيب لقانون التطور، فهو في شبابه الريان غيره في طفولته الناعمة، إذ نشأ في صدر الإسلام وادعاً هادئاً تتلمسه في المساجد العامرة تكبيرا وتهليلاً، وتراه في الوجوه الضاحكة بشراً وأملاً، وتتأمله في الأكف المسلمة محبة وسلاماً، فإذا بحثت عن شيء وراء ذلك، فلن تجد غير السكينة الوادعة، والهدوء الرزين.

وقد كان أول عيد للفطر في الإسلام في السنة الثانية للهجرة فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما فسأل رسول الله عن هذين اليومين فقالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ (١): «إن الله قد أبدلكم خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى فكان عيد السنة الثانية أول عيد في الإسلام».

ثم دارت الأيام كرة أولى، وفتح المسلمون ممالك الأرض، وورثوا عزة الأمم وتقاليد الأجيال، فأصبحت ترى بغداد عاصمة بني العباس تحتفل بالعيد بما لا نعهده في المدينة عاصمة الراشدين أو في دمشق حاضرة بني أمية، إذ سنّ الفرس من الحاكمين تقاليد باهرة رائعة.

(١) اتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٨٣.

موكب التاريخ

فها هو ذا الخليفة العباسي يجلس في قصره ليلة العيد، وقد غرقت حُجْرُهُ الآهلة في الأضواء ومن خلفه دجلة يموج في لجج من النور، فالزوارق تقطعه ذاهبة رائحة، وقد علتها المشاعل والقناديل، والمآذن الشماء متوجة بأكاليل من الضياء حتى ليتحول الليل إلى صباح بهيج، ووفود الوزراء والأمراء والحكام تندافع إلى دار الخلافة مهتة مسلمة، وقد سارت الموكب في شوارع العاصمة تدوى بالطبول والزغاريد، ويمضي الليل في عرس ساحر حتى ينبلج الفجر فيصدر الأمر إلى القواد بالسير إلى المسجد، ويتقدم الخليفة في قبائه الأسود، وعمامته المكورة تعلوه كالتاج القشيب، وقد تمنطق بوشاح مرصع بالجواهر، وعليه عباءة سوداء، وجواده الأبيض من تحته يتيه عجباً براكبه، وعن اليمين والشمال حملة الشباب وأصحاب السلاح من الحرس والحجاب، ويسير الموكب هونا فإذا مر بقصر لأمير أو رئيس وجد كوكبة صغيرة تنتظر الموكب الحافل، فيتقدم صاحبها إلى الخليفة منحنياً إلى الأرض ثم يسأله الإذن في متابعة الركب فيجابه إلى ما يريد، ويأتى سواه وسواه من زملائه فلا يكاد أمير المؤمنين يصل إلى مصلاه حتى يكون الطريق إليها من القصر قد غص بالناس فيجلس قليلاً بعد أن يؤدي ركعتين خفيفتين، وتنطلق الألسنة بالتكبير والتحميد، فإذا حانت صلاة العيد تقدم الخليفة فأم الناس، ثم صعد إلى المنبر وقد ارتدى بردة الرسول فوق عباءته، وخطب الناس مفتتحاً بالتكبير، فتخشع الأصوات للرحمن ويتحدر الوعظ البليغ في النصيحة والإرشاد، فإذا انتهى من مقامه نزل لتوه وسار الموكب إلى القصر ثانية فأقيم السماط الفخم للطعام، وأقبل المهنتون وتسابق الشعراء!

منظر باهر يكرر في العام مرتين!! وقد خلده البحترى في بعض قصائده، إذ تحدث عن موكب المتوكل على الله في سامراء، وقد ظهرت بهجة الدنيا في جحفل عظيم خيل للشاعر أن الجبال تسير لا الناس، ثم مضى فصور المصلى والحشد والأعلام راصداً تطلع



العيون إلى المتوكل ولهفتها إلى رؤيته، ثم يلج إلى المنبر فيتحسس خواجه ونوازعه مفصحا عنه في مثل قوله :

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما فى وسعه لسعى إليك المنبر
وغير البحترى كثير ممن أثارهم رونق الاحتفال فتغنوا به وخلدوه .

وتدور الأيام كرة ثانية فنرى القاهرة تسابق بغداد وسامراء سباقا يدعو إلى العجب والاستغراب وإذا كان خلفاء مصر من الفاطميين يحتفلون احتفالات واسعة بأعياد القبط، كعيد الغطاس والنيروز وخميس العهد فيسهر المسلمون طيلة الليل ومعهم المشاعل والمصابيح فما ظنك حينئذ بعيد الفطر؟! إن السماط الأول ليمتد بعد صلاة الفجر مباشرة، وقد أثقل بالحلوى والفواكه إثقالا باهظا، فيتصدر الخليفة وعن يمينه الوزير ، ويأذن للأمراء والقضاة والدعاة، فيجلسون ثم يمد يده ويأكل شيئا قليلاً فتمتد الأيدي وراءه امتدادا لا ينقطع وينهض أمير المؤمنين إلى مقصورته فيتزاحم العامة أفواجا خلف أفواج ناهبين ما تقع عليه أيديهم من غذاء السماط!!

وبعد قليل يتهيأ الموكب لصلاة العيد، فى فضاء متسع غير المسجد، وقد أعدت الأمور إعدادا مرتبا فاصطف المؤذنون وقوا على المصاطب بين القصر والمصلى وإن طال الطريق، وجلس المقرئون طوال الليل بجوارهم يرتلون القرآن ويضجون بالتكبير، وقد ترامى الجنود من الجانبين يحفظون النظام ويفسحون الطريق للموكب حتى يهل، أما المصلى فيفرش بالسجاد الفاخر وقد عبقت فيه المباخر بالنند والعود وأخذ زينته الجميلة من سندس وديباج، فإذا ركب الخليفة رفعت فوقه مظلة من لون ثيابه، وحف به أعيان الدولة من الجانبين ثم سار من باب الذهب إلى باب الفتوح، وقد نصبت الرايات وأقيمت الزينات فوق المتاجر والمصانع، وتقدمت الخيول ذوات السروج الذهبية، وأمامها الفيلة تحمل جنودا يبرزون السلاح، وقد دوى المؤذنون والقراء بالتكبير والتهليل، فإذا كان المصلى ترجل الجميع، حتى إذا قامت الصلاة نهض الخليفة فأم الصفوف مكبرا تكبيرة هادئة فيرددوها الوزير وراءه فالقاضي فجماعة من المؤذنين على الجانبين فى الداخل، إلى أن تصل إلى مؤذنى المصلى الخارجى، فينقلونها إلى من يتلقفها من زملائهم على المصاطب بين المصلى والقصر!! فيكون لذلك التكبير جلاله الساحر، فإذا انتهت الصلاة صعد الخليفة إلى المنبر مراعىا فى ذلك نظما خاصة تتعلق بمن يصعد وراءه ويقبل الأرض بين قدميه، ويحمل كسوة المنبر أمامه فإذا فرغ من خطبته وتحرك موكبه للعودة اتبع نظاما خاصا بها حتى يبلغ القصر، فيمد السماط الثانى وقد حفل بأشهى الأطعمة وتعددت مأكله تعددا يوقع فى الحيرة والارتباك فلا يدرى أحد ما يأخذ أو يدع!! فإذا انتهى الناس من فطورهم الشهى



فرقت الهبات المالية على جميع من اشترك فى تقليد رسمى يتعلق بنظام الموكب، فتغمر الهدايا عليه القوم من أمراء وقضاة إلى مؤذنين ومقرئين، ثم توزع صحائف الطعام وبها التحف المعدنية من ذهب وفضة، أما الحلل الزاهية فقد كادت تعم جميع الطبقات المختلفة حتى عرف عيد الفطر إذ ذاك بعيد الحلل، ومنها ما يرصع بالفضة والذهب، وما يطرز بالوشى النادر!! ونحن نقرأ فى وصف ذلك من الغرائب ما لا نكاد نصدق!! ولكنه ذهب المعز وكفى!!

وحين سقط الفاطميون، وقامت الدولة الأيوبية لم تتخل عن الاحتفال بموكب العيد، ولكنه احتفال يسير لا يجوز أن يقاس بما عرف لدى الفاطميين من روعة وإسراف، وإنما يقاس بما كان فى مصر لدى الطولونيين والإخشيد، إذ كانت فرق الجيش تتجمع، ويتوجه الحاكم ليلة العيد إلى مسجد عمرو بن العاص ووراء خمسمائة من حملة المشاعل مع فريق من المقرئين والمؤذنين وربما أنعم السلطان ببعض الهدايا الخاصة فى نطاق محدود، وقد يكون اندلاع الحروب الصليبية مدعاة هذا الاقتصاد من ناحية، ومن جهة أخرى فإن صلاح الدين يعرف ما يحب وما لا يحب، ويرى التبذير ضرباً من السفه لا يجوز لأمة تواجه العدو القوى فتوجه بماله إلى جلائل الأعمال، وأصبحنا لا نسمع بحديث هذه الصحاف التى تتلى بالذهب وهذه الفواكه التى تحشى بالماس والدر، ثم تنثر على الناس فى الميادين، فيلتقط السعيد ما يأتیه. على أن أكبر مظاهر العيد حفاوة واهتماماً كانت تترأى فى احتفال الثغور المتاخمة لبلاد الروم حيث يغمر الشعور الدينى هؤلاء المرابطين للجهاد على قدم وساق، فيقومون بالاحتفال على وجه يوحى بالروعة والهيبة والأبهة والجلال فى نفوس المجاورين من الأعداء المتربصين، وأبرز مثال لذلك طرسوس المجاهدة التى كان يتوافد إليها غزاة المسلمين من كل صقع، وترد إليها تبرعات المحسنين من كل صوب، ووقعها على الحدود الإسلامية يجعل الاحتفال بالعيد مظهر أبهة وقوة ونفوذ حتى عد كثير من المؤرخين من محاسن أيام الإسلام الزاهية احتفال المسلمين بعيد الفطر فى طرسوس بالذات وشبيهه بذلك احتفال المسلمين بالعيد فى صقلية فقد تهافت الرحالون من العرب والأجانب على تسجيل مباحجه حتى قال المقدسى: إن الاحتفال الإسلامى بالعيد فى هذا المكان النازح يمتاز بمظهر جذاب كما امتازت الجمعة فى بغداد، وإذا كانت جمعة بغداد تشير إلى ركب الخليفة والوزراء والحجاب والولاية فى عاصمة الشرق الذائعة المثيرة فإن اقتران احتفال العيد فى صقلية بها فى رحلة المقدسى مما يجعل هذا الاحتفال ذا رونق وجلال.

أما الممالك فقد كانوا أهل شجاعة وأريحية، فكانت مواسم الأعياد لديهم مجالاً للصيال والمبارزة، ولم يضمنوا على رعاياهم بالخلع والهدايا المناسبة دون

سرف واشتطاط، وقد رأينا فيما تقدم أن هناك موكباً واحداً فى العيد للدولة فاطمية أو عباسية، ولكننا نجد موكبين فى حكومة المماليك، فموكب السلطان يخرج للصلاة، ومعه الخليفة والقضاة الأربعة والأمراء، وموكب الوزير يبتدىء من القلعة إلى داره وقد نafs موكب السلطان فى زينته وحاشيته وبهائه، ولعل ذلك كان فى بعض العهود لا جميعها، إذ أننا نعرف بين المماليك العظماء من لا يسمح بتعدد الرئاسة كالظاهر ببيرس وقلاوون والغورى، فهؤلاء يتعاضدون أن يوجد معهم من يشذ عن متابعتهم كائنا من كان! أما سواهم من المستضعفين فمن الجائز أن يستطيل عليهم بعض الوزراء، معترزا بماله من أشياء، ولو ذهبت الآن إلى صميم الريف المصرى وشاهدت ما يقوم به القرويون فى الاحتفال بالعيد، لرأيت نظير ما تقرأه عن أهل مصر فى عهد المماليك حتى فى الأطعمة والأشربة، فهناك الكنافة والقطايف والكعك والبسكوت والفطيرة، كما هنا سواء بسواء، بل إن زيارة المقابر بعد صلاة العيد لم تنتشر فى عصر من عصور الإسلام انتشارها بقرى مصر الآن كما فى العهد المملوكى على السواء، وبعض الناس يروون فى ذلك حديثا نبويا نترك للمتخصصين أن يبحثوا رواته ومثنته، إذ أننا نعرف أن يوم العيد للسرور والهناء، لا أن يكدر بتذكار راحل عزيز.

وكنت أظن أن مصر الإسلامية فى عهد الفاطميين قد ضربت أكبر الأمثال فى الإسراف والبذخ إذ تحتفل بالعيد، ولكنى وجدت ابن بطوطة الرحالة المغربى يصف احتفالا شاهده فى بلاد خوارزم فأرانا من العجائب ما يقعد دونه الوصف. ولن يرمى الرجل بالتزديد فى هذا المجال، فقد وصف فى رحلاته المتتابعة احتفالات مختلفة بالعيد فى بلاد متفرقة، ولو قصد التزديد لعممه فى كل موضع، ولكنه أفرد احتفال السلطان محمد أوزبك خان فى بلاده بكل نادر عجيب!! وما تقوله فى احتفال تشترك فيه زوجات السلطان الأربع ولكل زوجة موكبها أهل وحشدها العظيم، فهى تركب فى عربة مذهبة مطعمة بالعاج، وعن يمينها الوزيرة، وعن شمالها الحاجة، وعلى رأسها تاج مكلل بالجواهر، وبأعلاه ريش الطواويس، وخلفها عشرات العربات تحمل الخدم والأتباع وقد انضم ذلك كله إلى الموكب الرسمى الكبير، فإذا انتهت صلاة العيد تقدم السلطان فجلس فى برج عظيم مذهب مع زوجاته وجواريه، وعن يمينه برج ثان لولى العهد وزوجته ومالهما من حاشية، وحولهما مئات الكراسى يجلس عليها الأمراء والحكام ثم يقوم بعض العامة بالألعاب مضحكة مرفهة، والسلطان يخلع هداياه الثمينة على كل أمير ليفرقها بدوره على الأتباع والأنصار، ثم

يركب الملك المعظم فرسه وقد ترجل جميع من عداه فيمشون خلفه الى سرادق كبير له أربعة أعمدة مكسوة بصفائح الفضة المموهة بالذهب، وقد فرش بالحريز والديباج، وفي وسطه سرير فخم قوائمه من الفضة الخالصة وأعواده مكسوة بصفائح الذهب، وحوله مئات الكراسي للمحتفلين من رجال ونساء، ثم يأتي الطعام على موائد الذهب والفضة أيضا! فتوضع بين يدي كل أمير مائدة خاصة، ولكل مائدة خادم نظيف يقطع اللحم، ويفرقه في أطباق الذهب، على الآكلين، ثم يؤتى بأواني الشراب ولا يتناول أحد شيئا مما أمامه حتى يبدأ السلطان أولا فزوجاته ثانيا، فأولاده ثالثا، فمتقدمو الأمراء رابعا فغيرهم من الكبار على نسق خاص أعدت مراسيمه وروعى تنفيذه الدقيق، ودون هذا السرادق المهيب قبة كبيرة للعلماء والفقهاء يأكلون من صحائف الذهب والفضة إلا من تورع إيمانا وتقية، ويظل الاحتفال الرسمي حتى قرابة العصر في مرح وضحك، ولكل محتفل مكانه الذي لا يبارحه، فإذا أراد السلطان أن يرجع، نهض الجميع من ورائه ودوت الطبول والزغاريد!!

ألا يصدقني القارئ بعد ذلك إذا قلت له: إن عيد الفطر لو تمثل إنسانا يروى قصة حياته لكان شابا فاتنا مشرق الطلعة يحكى من الغرائب ما يبهج ويروع!! ولماذا نستنطق التاريخ ليروى لنا مباحج هذا اليوم، ونحن في عصرنا الحاضر نرى من مظاهر الاحتفال به ما يدهش ويعجب بعد أن أتى الزمن بالتهذيب والاعتدال على ما تورطت فيه الدكتاتوريات الحاكمة من سرف وإتلاف!! فخلص لنا بعد مرور خمسة عشر قرنا على مولد هذا العيد احتفال رائع مهذب ينهض فيه رئيس الجمهورية إلى الصلاة في مكان فسيح ووراء الآلاف الحاشدة من المحتفلين فإذا انتهت الصلاة وفرغ الخطيب أقبل الجميع يتبادلون عواطف التهئة وتحايا الود ثم ينهض كل إلى منزله فيستقبل أضيافه ويتلقى بطاقات التهئة وقد لبست المنازل والحلات العامة زينتها الآهله وتنقل فيها الأطفال بملابسهم القشبية كالورود بين الرياض، فإذا خطوت قليلا فيما أمامك من الميادين والحدائق فلن ترى غير الرونق الجذاب!! وإنك لتتمنى أن يمتد بك هذا اليوم إذ تفرغ من شجونك وتغرق فيما حولك مستمتعا إلى أغنية مرحة تذاق، أو متطلعا إلى منظر فاتن يروق، أو مشاركا في سمر هادئ تغمره البشاشة ويسوده الأنس والصفاء!! ولا أحب أن ننغص القارئ بذكر مخزيات يعرفها فيما يذاع من السخافات، فكفى ما قلناه عن رمضان في افتتاحية العدد الماضي، وما أشبه الليلة بالبارحة، فعسى أن نفيق.

د. محمد رجب البيومي



تَقْسِيمَاتُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

لفضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى - : ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ

فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ
تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ
بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ
زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ
يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

الآيات من ٢٢٩ : ٢٣٠





بإحسان بمعنى أن يتركها حتى تنتهي عدتها، ويطلق سراحها بدون ظلم أو إساءة إليها، كما قال - تعالى:

﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢).

قال القرطبي: والتسريح: إرسال الشيء، ومنه تسريح الشعر ليخلص البعض من البعض، وسرح الماشية أرسلها...».

وعلى هذا التفسير يكون المراد بالطلاق في الآية الطلاق الرجعي وبالمرتين حقيقة التثنية، ويكون وقت الإمساك أو التسريح هو ما بعد الطلقة الأولى أو الثانية بصفة خاصة، وفي كل الأوقات بصفة عامة. وعلى هذا التفسير سار كثير من العلماء.

ويرى بعضهم أن المراد بالطلاق في الآية الطلاق الشرعي، وبالمرتين التكرار لا العدد، وأن المراد في التسريح بالإحسان هو الطلقة الثالثة. أى بعد الطلقتين الأوليين يتروى في الأمر فيمسك بالمعروف أو يطلق الطلقة الثالثة. وقد ذكر هذا

الرأى صاحب الكشاف فقال: ﴿الطَّلُقُ﴾ بمعنى التطلق كالسلام بمعنى التسليم، أى التطلق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة، ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير، كقوله:

﴿ثُمَّ أُنْجِ الْعَصْرَ كَرْنَيْنِ﴾ (٣) أى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين، ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها

قال الإمام ابن كثير: هذه الآية رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة، فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات، قصرهم الله - تعالى - على ثلاث طلاقات، وأباح الرجعة في المرة والثنتين، وأبانها بالكلية في الثالثة فقال: الطلاق مرتان... الآية (١).

وروى ابن أبي حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا قال لامرأته: لا أطلقك أبداً ولا آوئك أبداً. قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلق حتى إذا دنا أجلك - أى قاربت عدتك أن تنتهي - راجعتك. فأتت المرأة إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فأنزل الله - تعالى -:

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ﴾ - الآية.

والطلاق كما يقول القرطبي - هو حل العصمة المنعقدة بين الأزواج بألفاظ مخصوصة وأل في قوله:

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ﴾ للعهد الذكري.

أى: الطلاق الرجعي المشار إليه في قوله - تعالى -:

﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَرْجِعُ﴾ مرتان، وأمر المطلق

بعد إحدى هاتين الطلقتين يدور بين حالتين: إما إمساك بمعروف بمعنى أن يراجعها على نية الإبقاء على العلاقة الزوجية، والمعاملة الحسنة وإما تسريح

(٢) الاحزاب «٤٩».

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٧١.

(٣) الملك «٤».





التكريم كقوله: لبيك وسعديك .. وقوله:

﴿فَإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾ .

تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم إياه .. وروى أن سائلا سأل النبي ﷺ رأيت قول الله - تعالى -:

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ فأين الثالثة، فقال ﷺ «التسريح بإحسان» (٤).

والفاء في قوله - تعالى -:

﴿فَإِمْسَاكِ﴾ للتفريع، وإمساك خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: فالشأن أو فالأمر إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

قال الفخر الرازي: والحكمة في إثبات حق الرجعة: أن الإنسان مادام يكون مع صاحبه لا يدرى أنه هل تشق عليه مفارقتها أو لا؟ فإذا فارقه فعند ذلك يظهر، فلو جعل الله - تعالى - الطلقة الواحدة مانعة من الرجوع لعظمت المشقة على الإنسان بتقدير أن يظهر المحبة بعد المفارقة، ثم لما كان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة، فلا جرم أثبت - سبحانه - حق المراجعة بعد المفارقة مرتين، وعند ذلك يكون قد جرب الإنسان نفسه في تلك المفارقة مرتين وعرف حال قلبه في ذلك الباب. فإذا كان الأصلح إمساكها راجعها وأمسكها بالمعروف،

وإن كان الأصلح له تسريحها على أحسن الوجوه، وهذا التدريج والترتيب يدل على كمال رحمته ورأفته بعباده .

هذا، ويرى بعض العلماء كابن تيمية وابن القيم أن الرجل إذا أوقع الطلاق دفعة واحدة، بأن قال لزوجته: أنت طالق ثلاث مرات، فطلاقه لا يكون إلا طلقة واحدة، لأن اقتران الطلاق بكلمة ثلاثا لا يجعله ثلاث مرات بل هو مرة واحدة كمن يقول: أحلف بالله ثلاثا فهو يمين واحدة.

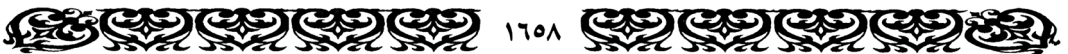
ويرى الأئمة الأربعة أن طلاق هذا الرجل في مثل هذه الصورة يقع ثلاثا، لأنهم يرون أن الطلاق المقترن بالعدد لفظاً أو إشارة يكون ثلاثاً أو اثنين على حسب ما اقترن به. ولأن عمر - رضى الله عنه - أفتى بذلك. فقد أخرج مسلم وأبوداود والنسائي والحاكم عن ابن عباس قال: «كان الطلاق الثلاث في عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد أبى بكر، وسنتين من خلافة عمر واحدة، فقال عمر: إن الناس قد استعجلوا في أمر لهم فيه أناة فلو أمضيانه عليهم» فأمضاه.

وهذه المسألة مبسوبة بأدلتها في كتب الفقه وبعض كتب التفسير.

ثم قال - تعالى -:

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾

(٤) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٧٣.





قال الراغب: الخوف: توقع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمانة مظنونة أو معلومة. ويضاد الخوف الأمن...».

والجناح: الإثم من جنح بمعنى مال عن القصد - وسمى الإثم به للميل فيه من الحق إلى الباطل - يقال جنحت السفينة أى مالت إلى أحد جانبيها. والافتداء: تخلص النفس بمال يبذل لتخليصها ودفع الأذى عنها. وأصله من الفدى والفداء بمعنى حفظ الإنسان نفسه عن الشدة بما يبذله من أجل ذلك^(٥).

والمعنى: ولا يجوز لكم أيها المطلقون أن تأخذوا من زوجاتكم فى مقابلة الطلاق شيئاً مما أعطيتموهن من صداق أو من غيره من أموال، لأن هذا الأخذ يكون من باب الظلم الذى نهى الله عنه، وليس من باب العدل الذى أمر الله به. ثم استثنى - سبحانه - صورة يجوز فيها الأخذ فقال:

﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾. إلخ أى: لا يجوز لكم أن تأخذوا فى حالة من الأحوال إلا فى حالة أن يخاف الزوجان كلاهما أو أحدهما ألا يقيما حدود الله فى هذه الحالة يجوز الأخذ وحدود الله هى ما أوجبه - سبحانه - للرجل على زوجته. ولها عليه.

ثم خاطب - سبحانه - الحكام وجماعة المؤمنين المتوسطين للإصلاح بين الزوجين فقال:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيقَا﴾ أى الزوجان:

﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾ التى حدها لهم وأمرهم باتباعها فى حياتهم الزوجية « فلا جناح عليهما فيما افتدت به » أى: فلا إثم على الزوج فى أخذ ما أعطته له الزوجة من مال مقابل انفصالها عنه، ولا إثم عليها كذلك فى هذا الإعطاء، لأنهما ما داما قد وصلا إلى هذه الحالة من التنافر، وما دامت الزوجة قد أصبحت تفضل أن تعطيه من المال ما تفدى به نفسها من البقاء فى عصمته، مادام قد أصبحا كذلك. فوقع الفراق بينهما أولى وأجدى:

﴿وَإِنْ يَنْفَرَا فَيُعِنَ اللَّهُ كَلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾.

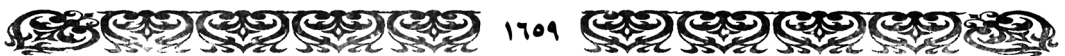
قال صاحب الكشاف: فإن قلت: لمن الخطاب فى قوله:

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا﴾ إن قلت: إنه للزوج لم يطابقه قوله:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيقَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ وإن قلت إنه للأئمة والحكام فهؤلاء ليسوا بأخذين منهم ولا بمؤتيهم؟ قلت: يجوز الأمران جميعاً: أن يكون أول الخطاب للزوج وآخره للأئمة والحكام، ونحو ذلك غير عزيز فى القرآن وغيره. ويجوز الخطاب كله للأئمة والحكام، لأنهم الذين يأمرهم بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون^(٦).

(٥) المفردات من غريب القرآن للراغب الأصفهاني من ص ١٦١، ص ١٠٠، ص ٢٧٤.

(٦) تفسير الكشاف ج١ ص ٢٧٤.





والمراد بقوله : ﴿ وَمَاءٌ آتِيْتُمُوهُنَّ ﴾ أى من المهور وتخصيصا بالذكر وإن شاركها فى الحكم سائر أموالهن إما لرعاية العادة وإما للتنبيه على أنه إذا لم يحل لهم أن يأخذوا مما أعطوهم فى مقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلا أن لا يحل لهم أن يأخذوا مما لا تعلق له بالبضع أولى وأحرى .

وقوله : ﴿ شَيْئًا ﴾ مفعول به لتأخذوا . التنوين للتقليل أى : لا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ولو كان المأخوذ شيئا غاية فى القلة ، لأن هذا الأخذ يجافى الإحسان الذى أمرتم به . وقريب من هذه الآية فى النهى عن الأخذ قوله - تعالى - :

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَهَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِنَّمَا تَأْخُذُونَ بِغُلُوبٍ ﴾ (٧) .

وأن والفعل فى قوله :

﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَا ﴾ فى موضع نصب على الحال أى إلا خائفين . وقوله :

﴿ أَلَا يَظُنُّ ﴾ فى موضع نصب على المفعول به ليخافا والتقدير إلا أن يخافا ترك حدود الله . وهذه الآية قد اعتبرها العلماء أصلا فى جواز الخلع .

قال ابن كثير : وقد ذكر ابن جرير : أن هذه الآية نزلت فى شأن ثابت بن قيس ، ففى صحيح

البخارى عن ابن عباس : أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله إن زوجى ثابت بن قيس - ما أعيب عليه فى خلق ولا دين ، ولكن أكره الكفر فى الإسلام - أى أكره عدم الوفاء بحقه لبغضى له - فقال لها رسول الله ﷺ أتردين عليه حديثه ؟ - وهى المهر الذى أمهرها - قالت : نعم ، قال رسول الله ﷺ لثابت : « أقبل الحديقة وطلقها تطليقة » (٨) .

قالوا : ففرق رسول الله ﷺ بينهما بطريق الخلع فكان أول خلع فى الإسلام . ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله :

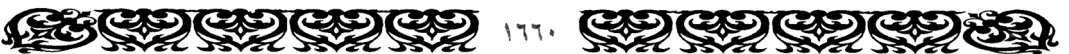
﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

أى : تلك الأحكام العظيمة الحكيمة المتقدمة التى بينتها لكم فى شأن الطلاق والرجعة وغير ذلك حدود الله التى حدها ، فلا يجوز لكم أن تخالفوها ، ومن يتعد هذه الحدود فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها لسخط الله وعقابه .

وكانت الإشارة للبعيد ﴿ تِلْكَ ﴾ لبيان سمو قدر هذه الأحكام ، وعظم منزلتها ، وجلال ما فيها من مصالح واضحة لأصحاب العقول السليمة . وسميت هذه الأحكام حدودا للإشارة إلى أنها فواصل بين الحق والباطل ، والظلم والعدل والمنفعة والمضرة . إذ الحد هو الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر . يقال : حددت كذا أى جعلت له حدا يميزه . وحد الدار ما تتميز به عن غيرها .

(٨) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٧٤ .

(٧) النساء « ٢٠ » .





وفى إضافة هذه الحدود إليه - سبحانه - إشعار بأن مخالفتها إنما هي مخالفة له - سبحانه - وأن هذه الحدود لا يتطرق إليها الريب لأنها صادرة من العليم الخبير الذى أحسن كل شئ خلقه .
والفاء فى قوله :

﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ للتفريع أى : إذا كانت هذه الأحكام حدود الله فلا يصح لكم أن تتجاوزوها لأن تجاوزها يؤدى إلى سوء العقبى .
وعبر فى قوله :

﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ بفاء السببية وباسم الإشارة وبضمير الفصل وبالجملة الإسمية لتأكيد معنى السببية وللإشارة إلى أن الظلم شأن من شئونهم وصفة يتميزون بها عن غيرهم .

وقد جاء - سبحانه - بكل هذه المؤكدات فى تلك الجملة الكريمة لكبح جماح غرور الإنسان، وتحذيره من الانقياد لهواه وأوهامه، فكثيرا ما يتوهم بعض الناس أن أحكام الله ليست ملائمة لمقتضى الزمان الذى يعيشون فيه، ويحاولون إخضاع شرع الله - تعالى - لمصالحهم وشهواتهم، أو يتركون ما شرعه الله بتلك الحجة الواهية الساقطة . وأنت ترى هناك أن القرآن قال :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ ۖ ۖ ﴾ بينما قال هناك فى ختام آية الصوم :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ۚ ۖ ۖ ﴾ ^(٩) وذلك

لأن الكلام فى شأن الأسرة وما يسودها أحيانا من خلافات، واصطدامات، واضطرابات . . والخشية هنا إنما هى من تعدى هذه الحدود التى حدها الله فى أى مرة من مرات الخلاف . . فجاء التحذير من التعدى لا من المقاربة، بينما هناك كان الحديث عن محظورات مشتبهة مستلذة تريدها النفس لترضى شهوتى البطن والفرج، فجاء التحذير من مجرد الاقتراب من هذه الحدود التى حدها الله اتقاء لضعف الإرادة أمام جاذبيتها .

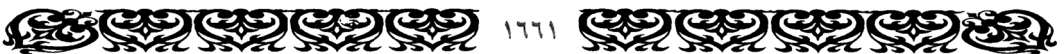
فسبحان من هذا كلامه :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ^(١٠) .

ثم بين - سبحانه - أحكام الطلاق المكمل للثلاث، بعد بيانه لأحكام الطلاق الرجعى وأحكام الخلع فقال - تعالى - :

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرًا ﴾

أى : فإن طلق الرجل زوجته طليقة ثالثة بعد الطلقتين اللتين أباح الله له مراجعتها بعد كل منهما فى أثناء العدة، فإنه فى هذه الحالة تكون زوجته محرمة عليه، ولا تحل له حتى تنكح زوجا غيره نكاحا شرعيا صحيحا، بأن يدخل بها ، ويباشرها مباشرة شرعية ما يباشر الأزواج زوجاتهم .



فالمراد بالنكاح فى قوله تعالى :

﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ الزواج بشخص آخر يدخل بها دخولاً صحيحاً. ويؤيد هذا المعنى ما جاء فى الحديث المشهور الذى أخرجه البخارى وغيره عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : جاءت امرأة رفاعة القرظى إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن رفاعة طلقنى فبت طلاقى. وإنى نكحت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظى، وإن ما معه مثل الهدبة، فقال رسول الله ﷺ : لعلك تريدان أن تترجعى إلى رفاعة؟ لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك (١١).

وواضح من ذوق العسيلة أن يدخل بها ويجامعها. وعلى هذا انعقد إجماع الفقهاء. ولم يلتفتوا إلى ما نسبته بعضهم إلى سعيد بن المسيب من أنه أجاز للمرأة أن تعود إلى زوجها الأول بعد عقد زواجها على الثانى دون أن يدخل بها. وحملوا هذا المنسوب إلى سعيد بن المسيب على أنه من شواذ الفتيا التى لا وزن لها لمخالفتها لنص حديث صحيح لعله لم يبلغه.

ثم قال - تعالى - :

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا
إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾

أى : فإن طلق الثانى تلك المرأة التى سبق طلاقها من الزوج الأول، فلا إثم عليها وعلى

زوجها الأول فى أن يرجع كل منهما إلى صاحبه بعقد جديد بعد انقضاء العدة ما دام يغلب على ظنهما أنهما سيقيمان حدود الله، ويؤدى كل واحد منهما ما يجب عليه نحو صاحبه بأمانة وإخلاص.

وقوله :

﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ فى موضع جر بإضمار حروف الجر أى فى أن يتراجعا وقوله :

﴿أَنْ يُقِيمَا﴾ فى موضع نصب على أنه سد مسد مفعولى ظن.

قال صاحب الكشاف : ولم يقل : إن علما أنهما يقيمان حدود الله لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله. ومن فسر الظن ها هنا بالعلم فقدوهم ولأن الإنسان لا يعلم ما فى الغد وإنما يظن ظناً (١٢).

ثم ختم - سبحانه - هذه الآية بقوله :

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

أى : وتلك الأحكام المذكورة عن الطلاق وعن غيره مما كلف الله به عباده بينهما ويوضحها بتلك الطرق الحكيمة لقوم يعلمون الحق. ويعملون بمقتضى علمهم.

وبهذا نرى أن الآية الكريمة قد بينت أنه لا يحل للمرأة التى طلقت من زوجها أن تعود إليه بعد الطلقة الثالثة إلا بعد أن تتزوج

(١١) صحيح البخارى فى كتاب الطلاق الثلاث ج٧ ص ٥٥.

(١٢) تفسير الكشاف ج١ ص ٢٧٦ بتلخيص.



بلى يا رسول الله . قال : هو المحلل لعن الله
المحلل والمحلل له .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ سئل عن
نكاح المحلل فقال : لا ، إلا نكاح رغبه - لا
نكاح دلسة أى لا نكاح غش وتدليس - ولا
استهزاء بكتاب الله - ثم يذوق عسيلتها . .
وجاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق
امراته ثلاثاً فتزوج أخ له من غير مؤامرة منه
- أى من غير مشورة ورغبة منه - ليحلها
لأخيه فهل تحل للأول؟ فقال : لا إلا نكاح
رغبة . كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول
الله ﷺ .

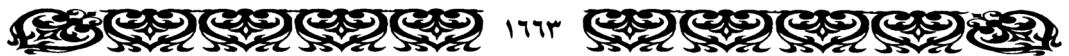
ثم قال ابن كثير : والمقصود من أن الزوج
الثانى يكون راغباً فى المرأة قاصداً لدوام
عشرتها كما هو المشروع من التزويج .
واشترط الإمام مالك مع ذلك أن يطأها الثانى
وطأ مباحاً فلو وطئها وهى محرمة أو صائمة
أو معتكفة أو حائض . . لم تحل للأول بهذا
الوطء والمراد بالعسيلة الجماع لما رواه الإمام
أحمد والنسائى عن عائشة أن رسول الله
ﷺ قال : «ألا إن العسيلة الجماع» .

زواجاً آخر صحيحاً يدخل بها ويجامعها ثم
يطلقها وتنقضى عدتها منه .

ومن حكم هذا التشريع الحكيم ردع
الأزواج عن الاستخفاف بحقوق زوجاتهم ،
وزجرهم عن التساهل فى إيقاع الطلاق ، فإن
الرجل الشريف الطبع ، العزيز النفس إذا علم
أن زوجته لن تحل له بعد الطلقة الثالثة إلا إذا
افترشها شخص آخر توقف عن إيقاع الطلاق ،
وتباعد عن التسرع والاندفاع وحاول أن
يصلح ما بينه وبين أهله بالمعالجة الحكيمة
التي تتميز بسعة الصدر وضبط النفس .

هذا ، وقد ساق الإمام ابن كثير سبعة
أحاديث فى النهى عن نكاح المحلل - وهو أن
يعقد رجل على امرأة طلقت ثلاثاً من زوجها
بقصد إحلالها لهذا الزوج لا بقصد الزواج
الدائم ثم يدخل بها دخولاً صورياً وليس
شرعياً - ومن الأحاديث ما رواه الإمام أحمد
والترمذى والنسائى عن عبد الله بن مسعود
قال : لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له ،
وأكل الربا وموكله .

وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله
ﷺ «ألا أخبركم بالتيس المستعار»؟ قالوا :



الحث على العمل وقوة العزيمة

السنة

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ / إبراهيم الجبالي (*)

إعداد الشيخ / علي حسان عبد الرحيم

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»^(١).

نعم: علو الهمة من الإيمان، والكبح في العمل مع الاستعانة بالله من أيمن نعم الرحمن على الإنسان. لقد نرى قومًا يزعمون أن معنى التوكل على الله الجنوح إلى الكسل والرضا بالقعود في الزوايا، منصرفة قلوبهم إلى الأمانى، عاجزة همهمهم عن الأعمال، ولكن أجسامهم قادرة على نقل الجبال. فهو لاء قد سلك الشيطان من نفوسهم مسلكًا جعلهم منقادين له مطيعين لأوامره: وهو يوسوس لابن آدم من الشر بما يرى أنه ناجح معه فيه، موافق لرغباته في الاستماع إليه: فإذا أتى واحداً من ناحية تزيين الشهوات، جاء آخر من قبل تجبيذ التعلى والاستطالة، وصور له الفخر كل الفخر في الإيذاء، وجعل له ذلك مصدر العلاء. ويجىء لثالث فيصور له السعادة في التكالب على الدنيا وأحرازها من أى طريق: حل أو حرم، عدل أو ظلم. ويجىء لرابع فيزهد فيها وينفرد عنها، ويرضيه أن يكون عالة على أبنائها يعولونه وهو قادر، ويطعمونه وهو أهل لأن يطعم العشرات لو أراد وعمل. ومتى رأى إبليس اللعين انقياد الإنسان إليه بأى أسلوب، بادراً إلى تزيينه وتصويره له بصورة الخير، وذلك أخطر ما يدخل به على الناس.

لقد يقتحم ابن آدم شيئاً من أعمال الشر عالمًا أنه شر، ولكنه ينقاد في ذلك لحركة شهوية أو ثورة غضبية، فيستغفر الله من ذنبه وقتاً ويتوب إلى ربه، فيكون ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم. ولكن الويل كل الويل لمن عميت بصيرتهم، واستحكمت شقاوتهم، فزعموا الشر خيراً والخير شراً، والنفع ضراً والضرر نفعاً، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

(١) أخرجه مسلم.

(*) عضو جماعة كبار العلماء..

نعم : قد وردت أحاديث كثيرة، وآثار شهيرة، ترغب في الزهد والقناعة، وتنفر من التكاليف في الدنيا، ولكن ليس معنى ذلك أن يكف المرء عن العمل المفيد المنتج الموسع لدائرة العمران، واستخراج ما بث الله في هذا الكون من خيرات وثمرات، بطريق الزراعة والصناعة وما أشبههما، وإنما معناه أن يكون مقتصدا في الطلب، فلا يضيع دينه في تحصيل دنيا، ولا يجلب دنياه من حيث حرم الله، ولا يكون سعيه وكده ظلما باغيا، ولا جبارا طاغيا؛ وأن يكون في استمتاعه بما أنعم الله عليه معتدلا : فلا يكون مقترفا للحرام، ولا مسرفا في تناول الحلال . هذا هو المذموم في أمر الدنيا . أما السعي لتحصيلها من وجوه حلها وأداء ما فرض الله على عباده الذين أنعم عليهم بنعمها، والاستمتاع بالطيبات من رزقها، فلم يقل بذهمه ولا تحريمه أحد :

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (٢).

ترى العاجز النكس، الضعيف النفس، قد ركن إلى القعود والكسل، ورضى بمسامرة الأمانى وغرور الأمل . امتلأ قلبه من حب الدنيا والتطلع لملاذها، وذابت نفسه حسرات على إحراز القليل والكثير من خيراتها، ولكنه ضعفت همته وصغرت نفسه، فجعل نفسه عالية على غيره، يتطلع لما في الأيدي، ويتردد على الأبواب، ويقعد على الاعتبار، ويتمرغ في التراب . عمد إلى التجول للتسول، وأصبح

وأمسى يذرع الأرض شرقا وغربا، يقاطع المارة فيعطلهم عن مقاصدهم، ويزعج بصيحاته المنكرة أولئك الوداعين ليستريحوا بعد أداء أعمالهم، لا يكل ولا يمل، ولو صرف بعض هذا الجهد في عمل نافع لدرّ عليه ما يصون ماء وجهه . ولقد يبتكر أحدهم من ضروب الحيل والتغدير ما يحتاج إلى فضل ذكاء لو صرفه في النافع لأفاد واستفاد . فهم يصرفون من الجهد العقلي والبدني ما لو وفقوا في صرفه لكان خيرا لهم ولأمة جميعا . ولكنهم رضوا بهذه الصناعة المقنونة وانخدع لهم ذوو القلوب السليمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

إن للعبادة حدودا، لا بل إن من العبادة السعى في تحصيل الرزق من الوجه الحلال . وقد جاء « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة بطلب المعيشة » (٣) . وقد ورد عن عمر - رضی الله عنه - أن جماعة أثنوا في مجلسه على رجل بأنه مستغرق كل أوقاته في العبادة، وقالوا : إنه خير منا كلنا، فقال لهم : فمن يعوله؟ فقالوا : كلنا نعوله، فقال : كلكم خير منه . وروى أيضا أنه قال : « لا يقعدن أحدكم في بيته ويقول : اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، ولكن اعملوا » وانظر إن شئت إلى قوله تعالى :

﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (٤)

وقوله جل وعلا :

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (٥).

(٣) كشف الخفاء ٢٩٧/١ رقم ٧٨٣.

(٥) الملك (١٥).

(٢) الأعراف (٣٢).

(٤) الجمعة (١٠).



وقوله تعالى :

﴿وَأَخْرَوْا يُضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَقُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (٦)

وقد ورد عنه عليه السلام أحاديث ترغب في الكسب والتعفف عن مسألة الناس - منها قوله عليه السلام : « اليد العليا خير من اليد السفلى » (٧). ومنها أحاديث يقوى بعضها بعضها، مثل « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » (٨). « أحل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح » (٩). « من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله، وتعطفا على جاره، لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » (١٠). « إن الله يحب المؤمن المحترف » (١١). وهذا الحديثان وإن ضِعف إسنادهما فإن في غيرهما ما يشهد لهما، مثل قوله عليه السلام : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه » (١٢). وقوله عليه السلام : « من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » (١٣).

كل هذا وما في معناه يدلنا على أن روح الدين روح عمل لا روح كسل، وروح إعطاء للمحتاج العاجز لا روح استعطاء من القوى الكسول. ولأتحسين من هؤلاء القعدة طائفة الهداة والمرشدين الذين نصبوا أنفسهم إلى إرشاد العباد لما فيه مصلحة المعاش والمعاد، وأخذوا على عهدتهم معالجة النفوس والأرواح، وتنقية القلوب من أدران الفجور والشور، فهؤلاء مهمتهم في إسعاد البشر من أشق المهمات وأحقها بعظيم التقدير.

ولقد رخص للعاجز الضعيف أن يأخذ ممن آتاه الله من فضله حسب حاجته لا بمقدار ما يجمع ثروة، ومع هذا الترخيص، ومع أن الضعيف أمر قهري غالبا، جاء هذا الحديث الذي معنا يبين فضل المؤمن القوي على المؤمن الضعيف مع جبر خاطره بقوله عليه السلام : « وفي كل خير » فلا حيلة له فيما أصابه من ضعف. وكيف لا يكون فيه خير وقد تحلى بحلية الإيمان الذي هو أساس كل خير؟

وقد أرشد عليه السلام في بقية الحديث إلى أنه ينبغي للمؤمن أن يحتال ويعمل ما في وسعه ويبدل كل جهده، مستعينا بالله وقوته على الوصول لما يريد، فإنه ليس معنى القوى أنه قوى العضلات متين البنية فحسب، لا بل هذا وإن دخل في القوة دخولا ما فإن أساس القوة قوة الرأي، قوة العزيمة، قوة الهمة، قوة تصريف الأمور. هذه معادن القوة في الإنسان. أما قوة العضلات ومتانة البنية، فهي قوة حيوانية محضة، فالقوى هو من يعمل رأيه الصائب بفكرة صحيحة، ثم يصمم عزمته على إنفاذ ما يريد، ثم يحرك همته بنشاط حتى يصل إلى ما يبتغي، فإذا اعترضه ما ليس له في حساب تصرف في أموره تصرفا حكيما حتى يزيل ما يعترضه من عقبات. هذا هو الحرص الذي أرشد إليه عليه السلام بقوله : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » (١٤). فكلمة « احرص » حث على الدأب في العمل، وحفز الهمة، وصدق النية. وليس هذا هو الحرص المنهى عنه، فذلك هو التكالب ونسيان

(٧) أخرجه البخاري ١٣٩/٢، ٨١/٧، ١١٦/٨.

(٩) حسنة الترمذي.

(١١) مجمع الزوائد ٦٢/٤.

(١٣) رواه الترمذي بالمعنى وقال حديث حسن.

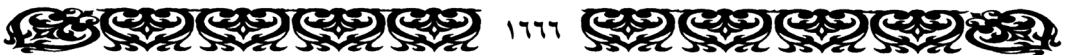
(٦) المزمّل (٢٠).

(٨) اتحاف السادة المتقين ٤١٤/٥.

(١٠) اتحاف السادة المتقين ٤١٤/٥.

(١٢) أخرجه البخاري ٧٥/٣.

(١٤) أخرجه البيهقي.





وعاد عليه بخسران لم يكن في حسابه . ومن هذا جاء قولهم : أول ما يجنى على المرء اجتهاده . وكم من عمل من أعمال الآخرة لحقه الخذلان فكان موجبا للخسران . وآفات النفس ومسالك الشيطان لا يكاد يسلم منهما إنسان ، إلا من عصمه الرحمن . وهل يشك أحد في أن الشيطان قد يجيء للمرء من تصوير الشر بصورة الخير حتى يستدرجه إلى ما لم يخطر له على بال ؟

وأما قوله : « ولا تعجز » فهو النهى عما يلحق المرء أثناء عمله إذا صادفه بعض العقبات فيقف مبهورا مكتوف اليدين خائر العزيمة ، وقد آتاه الله من قوة العمل وسعة الحيلة ما يستطيع به أن يفتق لنفسه مسلكا مما أصابه من انسداد الأبواب . وقد قالوا : الكريم يحتال واللئيم عيال . وما منح الله العبد عقلا إلا ليؤدى به عملا ، ولو شاء لجعل الأمر سهلا ، ولكن ليتليكم فيما آتاكم .

وأما قوله ﷺ : « وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل » فإنه إرشاد إلى أمرين عظيمين على جانب كبير من الأهمية في شؤون الحياة : (الأول) الإبعاد عن الندم على مافات . و (الثانى) الطمأنينة لما قدر الله والرضا به مع استقبال الكثير الغزير من نعمه . فاما الندم والتلفت للماضى بالحسرة تتبعها الحسرة ، فهو مميت للهمم مخمد للعزائم ، كاسر للنفس ، مضيع لحركة العقل فى جلب النافع ودفع الضار . تجدد الندم المنهزم قد قعد كاسف البال خامد القوة مضعضع الحواس مغتما ، بينما ترى الراضى بالقدر متقد العزيمة مشمرا عن ساعد الجد مهتما .

النفس ما يجب عليها فى سبيل الوصول إلى بغيتها ، وفرق ما بين الأمرين . وبعد : فهل قوة الأمة تكون إلا بقوة أفرادها ؟

وقوله : « واستعن بالله » هذا إرشاد إلى معنى التوكل على الله ، وأنه يكون مع السعى والعمل ، لا مع التواني والكسل . روى عن عمر أنه مر على جماعة قعود فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون . قال : « بل أنتم المتأكلون ، إنما المتوكل رجل ألقى حبة فى بطن الأرض وتوكل على ربه - عز وجل ! - ولقد صدق عمر - رضى الله عنه - فإن المرء أكثر ما يملك من استنبات الحب أن يحرق أرضه ويلقى حبه ويتعهد ذلك بالتنظيف والرى وما أشبههما ، أما أن ذلك الحب ينبت أولا ينبت ، فأمره موكول إلى الله . وهنا يجيء التوكل فيما لا يد للإنسان فى تحصيله ولا قدرة له على إيجاده ، بل هو من محض آثار القادر المختار ، أما قرأت قوله تعالى :

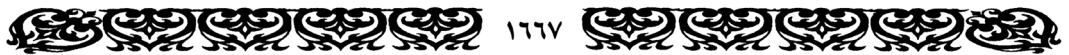
﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾

﴿ ١٣١ ﴾ أَتَسْتَرْزِعُونَهُ وَأَمْ تَحْنُ الزَّرْعُونَ ﴿ ١٣٢ ﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ

حُطَمَا فَظَلَّتْ نَفْسُكُمْ وَنَفْسُهُمْ ﴿ ١٣٣ ﴾ إِنَّا لَمَعْرُومُونَ ﴿ ١٣٤ ﴾ بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿ ١٣٥ ﴾

هذا هو السر فى قوله ﷺ : « واستعن بالله » بعد قوله : « احرص على ما ينفعك » .

ولا يفوتك التنبيه الى أن الحرص على النافع يتناول كلا من أعمال الدنيا وأعمال الآخرة ، وأن الاستعانة بالله متناولة كذلك لكليهما ، فليس كل عمل بمؤت ثمره ما لم يصحبه المعونة والتوفيق الإلهيان ، فكم من عمل فى الدنيا خانه التوفيق فأصبح وبالأعلى صاحبه ،



دونها من أبواب الخير. أما لو ولو ولو.. فهي لاتفيد إلا التحسر على الماضي، والندم على الفائت، والنوم على اجتناء الخير المستقبل، فضلا عما تحويه من السخط على قضاء الله وقدره، وما يتبعه من الاعتراض على فعله وعادل قسمه، وما يصحب ذلك غالبا من الحسد لمن أنعم الله عليه بنعمه، أو نجاه مما أصاب هذا النادم من كربيه وغمه. وكفى بالحسد مهلكة وبالحقد مذمة. فهل رأيت كيف كانت لو تفتح باب الشيطان؟ وهل وراء الحقد والحسد، والتسخط على القضاء والقدر، من خسران للإنسان، وكسب للشيطان، وإغارة على حمى الإيمان؟ ومما جاء فى معنى قوله ﷺ: «قدر الله وما شاء فعل» قوله عز وجل:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ (١٦).

وقوله ﷺ: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك» وقوله: «واعلم أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك» (١٧).

نسأل المولى جلّت قدرته أن يكسبنا الرضا بقضائه وقدره، ويقوى نفوسنا على فتح أبواب خيره، ويجعلنا مقتدين بالسنة الحسنة، ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه سميع مجيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وهنا لانرى بأسا من أن نشرح ما قالوه فى التفرقة بين الغم والهم: فالأول أن تنزل على النفس غمة تكبسها وتضعضها وتفقدوها الحركة وتجعلها مستكينة ضعيفة خائرة، فهو من الغمة. وأما الثانى فهو من هم بالشىء تحركت نفسه له. فهما وإن كانا كلاهما يحصل على نازلة ومصيبة، ولكن الغم يسكن النفس عن الحركة ويسكتها عن التفكير ويجعلها تئس من كل فوز. أما الهم فهو محرك للهمة، مشعل للعزيمة، محرك للنفس. ولذلك قالوا: الغم يقتل والهم لا يقتل. وفرق بعيد بين المغتم والمهتم. فقوله ﷺ: «وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت لكان كذا وكذا» نهى عن الاستكانة والتضعض وقصر النفس على التلفت للوراء واليأس عن انفراج الكرب بحيلة من الحيل. وأما الطمأنينة لما قدر الله فهي فى قوله عقبه: ولكن قل قدر الله وما شاء فعل. ففى ذلك ترضية للنفس بما قدر الله، وهو يستتبع الموازنة بين ما فقدته من هذا الذى كان ينتظره، وما هو غارق فيه من نعم الله الكثير، فيرى أن ما فاته ليس بشىء بالنسبة للنعم التى يتمتع بها، فتنشط نفسه الى استقبال نعمه - عز وجل - قائلا لنفسه:

لا تياسن ولا تخف

ودع التفكير والأسف

الله عودك الجميـ

ل فقس على ما قد سلف

وهذا مثار للنفس لتحرك فيما ينفعها، وتسدد رتق ما فتح عليها من أبواب الشر، وتفتق ما أغلق

التَّحَضُّرُ أَوَّلًا وَالْبِرَّةُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ

سُلَاسِلَان / عبد الله على الزبيدي

روى الإمام البخارى - رضى الله عنه - عن يزيد بن أبى عُبَيْد أبى خالد الأسلمى، مولى سلمة بن الأكوع، عن سلمة بن الأكوع: أنه دخل على الحجاج بن يوسف الثقفى، حين ولى الحجاج إمرة الحجاز، فقال له الحجاج: «يا ابن الأكوع، ارْتَدَدْتَ عَلَى عَقْبِكَ!! تَعَرَّبْتَ؟ قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أَذِنَ لى فى الْبَدْوِ» أهـ (البخارى - كتاب الفتن - التعرب فى الفتنة).

وبعد:

الله ﷺ سبع غزوات، وقال عنه رسول الله ﷺ: (خير رجالاتنا سلمة بن الأكوع) قال ذلك رسول الله ﷺ فى غزوة (ذى قرد).

فهذا الحديث يجمع بين شخصيتين كما يحمل فى ثناياه (قضية):

ولما قُتل عثمان بن عفان - رضى الله عنه - خرج سلمة إلى (الربذة) وهي قرية بادية يومئذ تبعد عن المدينة بنحو ثلاثة أميال^(١)، وخروجه إلى الربذة يُعَدُّ منه «بداوة» بعد هجرته.

فأما الشخصيتان فهما سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - والحجاج بن يوسف الثقفى الأمير المعروف، وتكاد كلتا الشخصيتين تناقض إحداهما الأخرى تماما.

وقال ابن حجر: مدة سكنى سلمة البادية نحو الأربعين سنة^(٢).

فسلمة بن الأكوع صحابى جليل كان أحد من بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة فى (الحديبية) ورؤى عنه أنه قال: بايعتُ رسول الله يوم الحديبية على الموت، وكان - رضى الله عنه - شجاعا راميا مُحْسِنًا خَيْرًا فاضلا، وغزا مع رسول

وسوف نتبين سريعا لماذا استطردنا حتى انتهينا إلى ذكر اعتزاله (الحَضَر) ونزوحه إلى البادية - رضى الله عنه.

(٢) راجع فتح البارى لابن حجر ٣٥/١٣.

(١) راجع ابن الاثير - أسد الغابة ٤٢٣/٢.

أشهر الحج، فحمله من حمله فأصاب به قدم
عبدالله - رضى الله عنه - وقيل: كان السلاح
مسموما، وكانت الإصابة مقصودة.



والقضية التي يحملها الحديث هي حَضُّ
ديننا الحنيف الأعراب على ترك البادية، لينضم
تاركها إلى صفوف المسلمين، ثم لا يعود إليها
إلا في الضرورة الشديدة، فهي دفع من
الشريعة إلى التحضر والعمل في صالح
الجماعة، بدل التقوقع في البادية، فليست
البداءة من الحضارة في شيء، قال ابن حجر
عن الرجوع إلى البادية: «وكان إذ ذاك محرما
إلا إن أذن له الشارع».

روى الإمام أحمد - في مسنده - ثلاث
مرات، ثنتين عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله
ﷺ: «من بدا جفا» والثالثة عن البراء بن عازب،
قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ بَدَأَ جَفَا»^(٦) ورواه
أبو داود - رضى الله عنه - في سننه عن ابن عباس
- رضى الله عنهما - عن رسول الله ﷺ: «من
سكن البادية جفا»^(٧).

ورواه الترمذى في صحيحه عن ابن عباس -
رضى الله عنهما - عن رسول الله ﷺ: «من
سكن البادية جفا»^(٨).

والحجاج بن يوسف الثقفى هو الشخصية
الثانية، ويكفى للتعريف به، وبما كان من خطره
على فضلاء المسلمين، والتكثير حتى بالصحابة،
تقديم العماد الحنبلى له فيمن مات سنة خمس
وتسعين من الهجرة، قال عن هذه السنة ذاكرا هذا
الحجاج:

«فيها أراح الله العباد والبلاد بموت الحجاج بن
يوسف بن أبى عقيل الثقفى الطائفى (أى من
الطائف البلدة الشهيرة) فى ليلة مباركة على
الأمة ليلة سبع وعشرين من رمضان، وله ثلاث،
وقيل: أربع أو خمس وخمسون سنة أو دونها،
وكان.. سفاكا، وكلى الحجاز سنين، ثم العراق
وخراسان عشرين سنة.. ولأه عبد الملك الحجاز
ثلاث سنين.. ثم ولأه العراق وهو ابن ثلاث
وثلاثين سنة، فوليها عشرين سنة... وله
مقحّمات^(٣) عظام وأخبار مهولة. أه^(٤).

كان من ضحاياه عبدالله بن عمر بن الخطاب -
رضى الله عنه - من أئمة الصحابة - رضوان الله
عليهم - ومن ضحاياه - كذلك - إمام التابعين
سعيد بن جبيرة المفسر المحدث - رحمه الله.

روى البخارى - فى صحيحه أن عبدالله بن
عمر قال للحجاج: «أنت أصبّتنى»^(٥) ذلك لأنه
أول من سمح بحمل السلاح فى الأرض الحرام فى

(٣) مفردة قمحة بزنة علية وهى الأمر العظيم الشاق لا يكاد يركبه أحد، وركوب الإثم.

(٤) العماد الحنبلى - شذرات الذهب ١٠٦/١ ط دار الآفاق الجديدة - بيروت.

(٥) صحيح البخارى - كتاب العيدين باب ما يكره من حمل السلاح.

(٦) مسند أحمد ٣٧١/٢، ٤٤٠ - ٢٩٧/٤.

(٧) سنن أبى داود ١٠٠/٢.

(٨) سنن الترمذى ٥٢٣/٤.



من هنا يقول لسلمة: «ارتددت على عقبيك».

أى ارتكبت كبيرة بتركك الحضر، ونزوحك إلى البادية بعد هجرتك إلى رسول الله ﷺ ثم يُعَقَّب الحجاج على كلمته مؤكداً فى استفهام توبيخى فيقول: «تَعَرَّيْتُ» أى عدت إلى البادية. قال سلمة: «لا» أى ما ارتددت على عقبي، ولا نالت البادية من ديني، «ولكن رسول الله ﷺ أذن لى فى البدو» يريد رضى الله عنه:

إنى على رخصة من رسول الله ﷺ إذ نزحت إلى البادية، فنزوحى إليها - إذاً - لم يمس ديني. وقد صدق سلمة:

فإنه - رضوان الله تعالى عليه - خرج إلى البادية بعد مقتل عثمان بن عفان - رضى الله عنه - يريد اعتزال الفتنة، ولم يعد إليها رغبة فى العيش فيها مفضلاً إياها على الحضر، وفات على الحجاج ما أراه من سوء بسلمة.

ولقد قدم سلمة المدينة فلقبه بريدة بن الخصيب - رضى الله عنه - فسأله كيف نزح إلى البادية قال: ارتددت عن هجرتك؟ قال سلمة: معاذ الله، إنى فى إذن من رسول الله ﷺ. أى أنه ﷺ أذن لسلمة أن يعود للبادية إذا كان ثم فتنة.

قال جابر رضى الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لأسلم (أى قبيلة سلمة): ابدؤا، قالوا: إنا نخاف أن نرتد بعد هجرتنا!! قال ﷺ: أنتم مهاجرون حيث كنتم.

فهؤلاء ثلاثة من الأصحاب - رضوان الله عليهم - يروون هذا الحديث، فلا جدال فيه.

ويشتد الأمر فى (البداوة) إذا وقعت بعد الهجرة إلى رسول الله ﷺ وعُدَّ ذلك من الكبائر، فقد أخرج النسائى من حديث ابن مسعود - رضى الله عنه - مرفوعاً إلى رسول ﷺ فى المعداد من الكبائر: «والمرتد بعد هجرته أعرابياً» قال ابن الأثير فى «النهاية»: كان مَنْ رَجَعَ بعد هجرته إلى موضعه (أى من البادية) من غير عذر يُعَدُّونه مرتداً. أهـ

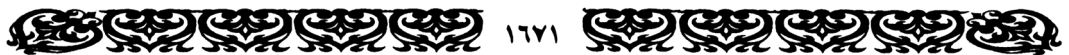
وأخرج الطبرانى - من حديث جابر بن سمرة مرفوعاً إلى النبى ﷺ:

(لعن الله من بدا بعد هجرته إلا فى الفتنة، فإن البدو خيرٌ من المقام فى الفتنة).



وبعد؛ فمن هذا العرض عن سُكْنَى البادية إلى النزوح عنها هجرة إلى رسول الله ﷺ نتبين: كيف أراد الحجاج أن يتأمر ليقتل سلمة - رضى الله عنه - أو ليركه - على الأقل - بين الناس صحابياً مفتوناً، وفى ذلك كُلُّ الزرابة به - رضى الله عنه - ولم يكن يعلم أن حِرْصَ سلمة على دينه أقوى وأشد من حرصه هو على دنياه.

كان لقاء سلمة بالحجاج عندما ولى هذا الأخير إمارة الحجاز، تلك الإمارة التى تولاها سنة أربع وسبعين من الهجرة، وتم هذا اللقاء فى أحد أيام سنواته الثلاث التى قضاها والياً على الحجاز، وقد اشتدت حرارته فى مقاومة أصحاب رسول الله ﷺ والتنكيل المير بهم،





قضايا قرآنية :

جمع القرآن وتدوينه

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عريطة

إن قضية جمع القرآن وتدوينه، من أبرز القضايا القرآنية الهامة التي نالت عناية قصوى من المؤرخين لكتاب الله - عز وجل - حتى صارت من الواضوح، بحيث يكاد يعرفها بتفاصيلها الدقيقة قارئو القرآن الكريم، على امتداد العالم الإسلامي كله، وهناك الكثير من الطباعات، التي سجلت ملخصا وافيا لها في نهاية المصحف، وأصبحت من المسلمات، التي تقتن في عقيدة المسلم، بقدسية القرآن، وارتفاعه عن أن تمسه يد التحريف والتبديل. وكان ذلك بمثابة التطبيق الفعلي لقول الله - عز وجل :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(١) ويرى المسلم أن هذه الآية المباركة، التي كانت عند نزول القرآن مجرد وعد من الله لرسوله، إحدى معجزات هذا الكتاب الأسنى، التي لا يزال ينضج بها إلى يوم يجمع الناس لرب العالمين.

والقرآن « للإمام الشيخ محمد أبو زهرة و » إعجاز القرآن « للكاتب المسلم التقى، الأديب مصطفى صادق الرافعي .. وغير ذلك الكثير مما لا يتسع المقام لذكره .

وإن عقيدة المسلمين جميعا، في شتى بقاع الأرض، ومنذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، تقوم

ومن المراجع التراثية الهامة، التي أفاضت في هذه القضية « الجامع لأحكام القرآن » لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، و « البرهان » للإمام بدر الدين، محمد بن عبد الله الزركشي . و « الإتقان » للسيوطي ... ومن مؤلفات العصر الحديث : « المعجزة الكبرى ..

(١) الحجر (٩).



مصطفى صادق الرفاعي



الشيخ محمد أبو زهرة

أن تعرف أن أمريكا قد تلقت هذا الكتاب، وأودعت نسخة منه في مكتبة وايدنر بجامعة ولاية هارفرد.

وهذا الكتاب ما يزال يطبع ويباع بأثمان زهيدة برغم جودة طباعته. ونحن في مناقشتنا لهذا الباب من كتاب «الفرقان» لا يعنينا كثيرا غير تشكيكه في نصوص بعض الآيات البينات من كتاب الله العزيز. وقد لا نسير مع ترتيب النصوص في هذا الجزء من الكتاب، نظرا لأن أفكاره غير مرتبة، فليعذرنا القارئ المنصف، وسوف نشير إلى رقم الصحيفة التي نقتبس منها النصوص، ليسهل الرجوع إليها عند من يقتنى هذا الكتاب.

تشكيك المؤلف في نصوص بعض الآيات

يقول المؤلف في صفحة ٤١ وما بعدها، وتحت عنوان «لحن الكتاب في المصحف»: «وقد سئلت عائشة - رضي الله تعالى عنها - عن اللحن الوارد في قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا نِ لِسَٰحِرَٰنِ﴾ وقوله عز من قائل:

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّٰلِحِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْكَافَّةِ﴾.

على أن حفظ الله - تعالى - لكتابه الكريم، الذي وعد به، إنما يشمل اللفظ والمعنى كليهما.

غير أن صاحب كتاب «الفرقان» - سامحه الله وعفا عنه - يأتي إلا أن يكون خارجا عن إجماع المسلمين، ليصدمهم في أقدم مقدساتهم، التي يتحلقون حولها، منذ فجر الإسلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو لا يدري أن «من فارق الجماعة شبرا واحدا، فكأثما خلع ربة الإيمان من قلبه» فبدءا من صفحة ٣٤ إلى صفحة ٥٢ يقوم المؤلف «العلامة» بهجوم شرس على القرآن الكريم، ومن خلال الحديث في عدد من الموضوعات التي يتصل بعضها ببعض اتصالا وثيقا، وقد عنون لها بالعناوين التالية: «سبب جمع القرآن - كتابة المصحف - لحن الكتاب في المصحف - ما غيره الحجاج في المصحف».

وإن من يقرأ هذه الفصول الأربعة، سوف يشعر بالغثيان والاكْتئاب لما يراه من رداءة التأليف، وتناثر الفكر، وتدني المستوى الأخلاقي الذي لا يحترم مقدسات المسلمين، ويحثو التراب في وجه التاريخ الإسلامي كله، من خلال الافتراءات المغرضة، التي يفتش عنها هنا وهناك - دون رادع من ضمير حي أو زاجر من دين - ليسجلها في هذا الكتاب الغريب على الساحة الإسلامية بأكملها، وقد تمت مصادرة هذا الكتاب في مصر بعد أن ردت عليه مجلة الأزهر في حينه وإن كانت الردود أقل مما كان يجب آنذاك؛ حيث كانت في عدد قليل من المقالات، التي لم تستوعب الكتاب كله.. غير أن هذا الكتاب وجد طريقه للخارج بعد ذلك، وتمت طباعته في إحدى الدول العربية، ولأغراض لا يعلم حقيقتها إلا الله رب العالمين. ولكن يكفي

وقوله جل وعز:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ﴾ .

فقلت: هذا من عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب ثم يعقب المؤلف على هذا الخبر قائلا: «وقد ورد هذا الحديث بمعناه بإسناد صحيح على شرط الشيخين» .

ثم يقول: «وأخرج الإمام أحمد - رضى الله تعالى عنه - فى مسنده، عن أبى خلف مولى بنى جمح، أنه دخل على عائشة - رضى الله تعالى عنها - فقال: جئت أسألك عن آية فى كتاب الله - تعالى - كيف كان يقرأها رسول الله ﷺ؟ قالت: أية آية؟ قال: «الذين يأتون ما أتوا» أو «الذين يؤتون ما أتوا»؟ قالت: «أيتهما أحب إليك؟ قال: والذى نفسى بيده، لإحدهما أحب إلى من الدنيا جميعا. قالت: أيتهما؟ قال: «الذين يأتون ما أتوا». قالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرأها، وكذلك أنزلت، ولكن الهجاء حرف .. وغير ذلك الكثير من الآيات التى أوردها مشككا فى صحة نقلها، بتحريف الإعراب تارة، وباستبدال كلمة مكان أخرى تارة ثانية، وبزيادة حرف هنا، ونقص حرف هناك تارة ثالثة؛ مما يتنافى تماما مع عصمة هذا الكتاب الكريم، وحفظه من التحريف والتبديل، الذى تكفل الله - تعالى - به !! وفى تعليقنا على ذلك نقول:

أولا: تمت مناقشة بعض هذه الآيات من الوجهة الإعرابية، وذكرنا تخريج العلماء الذين يعتبر بآرائهم

لهذه الآيات عند مناقشتنا لقضية الرسم العثمانى^(٢)، ونظرا لطول العهد بهذه الردود سنعيد الرد هنا لنؤكد على أن مؤلف كتاب «الفرقان» كان ضئيل الحجم علميا، ضحل الاطلاع. ففى قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَوَاحِرَ جَنِّ﴾^(٣).

يقول محبى الدين الدرويش: «إن مخففة من الثقيلة ومهملة وهذان اسم إشارة للمثنى فى محل رفع مبتدأ، واللام الفارقة وساحران خبر هذان ..»^(٤).

أما فى إعراب:

﴿لَنَكِينٍ﴾

الرَّسُوحُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ^(٥)

فسنركز على بيت القصيد:

﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾^(٦) وفيها يقول محبى الدين الدرويش: «الواو معترضة والمقيمين نصب على المدح بإضمار فعل لبيان فضل الصلاة على ما قاله سيبويه وغيره والتقدير أعنى أو أخص المقيمين الصلاة، الذين يؤدونها على وجه الكمال، فإنهم أجدر المؤمنين بالرسوخ فى الإيمان، والنصب على المدح أو العناية لا يأتى فى الكلام البليغ إلا لنكتة، والنكتة هنا هى ما ذكرنا آنفا من مزية الصلاة، على أن تغيير الإعراب فى كلمة بين أمثالها ينبه الذهن إلى وجوب التأمل فيها، ويهدى التفكير لاستخراج

(٢) راجع مجلة الأزهر الاعداد من جمادى الأولى ١٤١٩هـ إلى ذو القعدة ١٤١٩هـ.

(٣) طه (٦٢).

(٤) إعراب القرآن الكريم وبيانه مجلد ٦ ص ٢٠٧.

(٥) النساء (١٦٢).

مزيتها وهو من أركان البلاغة .. الصلاة مفعول به للمقيمين ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ عطف على ما تقدم، والزكاة مفعول به للمؤتون لأنه اسم فاعل^(٦).

وفى الآية ذاتها أورد الفخر الرازي عدة آراء فى إعراب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ والمختار هو رأى البصريين حيث قال: القول الثانى: وهو قول البصريين: إنه نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، قالوا: إذا قلت: مررت بزيد الكريم، لك أن تجر الكريم لكونه صفة لزيد، ولك أن تنصبه على تقدير أعنى، وإن شئت رفعت على تقدير هو الكريم، وعلى هذا يقال: جاءنى قومك المطعمين فى المحل والمغيثون فى الشدائد، والتقدير جاءنى قومك أعنى المطعمين فى المحل وهم المغيثون فى الشدائد فكذا ههنا، تقدير الآية: أعنى المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة^(٧).
وفى إعراب قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّيِّئُونَ﴾^(٨).

يقول محبى الدين الدرويش: «... والصابئون والنصارى. الواو استئنافية، والصابئون رفع على الابتداء، وخبره محذوف. والنية به التأخير عما فى «إن» من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك. وهذا ما رجحه سيبويه فى مخالفة الإعراب وأنشد شاهدا له:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم

بغاة ما بقينا فى شقاق

أى: فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك، ويكون العطف من باب عطف الجمل، فالصابئون وخبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: إن الذين آمنوا، ولا محل لها، كما لا محل للجملة

التي عطفت عليها، وإنما قدم ﴿وَالصَّيِّئُونَ﴾ تنبيها على أن هؤلاء أشد إغالا فى الضلالة واسترسالا فى الغواية، لأنهم جردوا من كل عقيدة^(٩).

وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازى لرفع ﴿وَالصَّيِّئُونَ﴾ عدة أوجه، كان أشهرها وأوضحها «الوجه الأول»: وهو مذهب الخليل وسيبويه (وفيه يقول): ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون كذلك، فحذف خبره، والفائدة فى عدم عطفهم على من قبلهم هو أن الصابئين أشد الفرق المذكورين فى هذه الآية ضلالا، فكأنه قيل: كل هؤلاء الفرق إن آمنوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم وأزال ذنبهم، حتى الصابئون فإنهم إن آمنوا كانوا أيضا كذلك^(١٠).

ثانياً: إن الأستاذ، لم يعمل عقله ولو قليلا فيما ينقل من هنا أو هناك، منسوباً إلى السيدة عائشة أو غيرها، ولكن كان همه الأول والأخير، أن يصدم مشاعر المسلمين بكل غريب من القول، متجرئاً على الله، وعلى كتابه الأسنى .. !!

فلو أعمل المؤلف هذه القاعدة الشرعية، التي

(٧) مفاتيح الغيب. المجلد الخامس ص ٥٢٣.

(٩) إعراب القرآن الكريم وبيانه. المجلد الثانى ص ٥٢٧.

(٦) إعراب القرآن الكريم وبيانه مجلد ٢ ص ٣٧٧

(٨) المائدة (٦٩).

(١٠) مفاتيح الغيب المجلد السادس ص ٩٣. اقرأ فى ذلك.



ثالثاً: إن هذا الخبر الذى نسب إلى أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - لكاذب فما كان لهذه السيدة الجليلة، أن تسكت عن هذا الأمر الجلل، الذى وضع أمامها فى كتاب الله - عز وجل - وهو الذى أنزل على زوجها، وقد بلغ من فضلها ومكانتها فى الإسلام، أن قال عنها النبى ﷺ: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» (١٢).

أقول: هذا الخبر كاذب ومدسوس عليها - رضى الله عنها - ونحن إنما نقول ما تمليه علينا عقيدتنا، ومعرفتنا بطبيعة من نسبت إليهم هذه الأخبار. وقد ردت مجلة الأزهر على هذا المؤلف فى هذه النقطة بما مؤده «أن رواية عائشة هذه إن صحت فهى رواية آحاد، لا تثبت بمثلها القرآن» (١٣).

رابعاً: لا يفوتنا أن نذكر رد الأستاذ الدكتور محمد أبو شعبة على هذه الشبهة حيث قال (١٤): «١ - إن هذه الرواية فى سندها إسماعيل المكى، وهو ضعيف فلا تعارض القطعى الثابت بالتواتر، ولا يثبت بها قرآن حتى ولو كانت صحيحة».

«٢ - هذه الرواية على فرض صحتها، لا تفيد إنكار القراءة الثابتة التى أجمع عليها السبعة وهى «يُؤْتُونَ مَاءَ آتَوْا» وقولها: إن رسول الله كان يقرأ بها وكذلك أنزلت «لا ينافى أن تكون القراءة المتواترة منزلة؛ وقرأ بها النبى ولا سيما وهى المتواترة التى أجمع عليها القراء السبعة».

أعلنها أئمة الفقه الإسلامى، التى مؤداها أنه: إذا صح حديث رسول الله ﷺ فلا يلتفت إلى كلام غيره من البشر، إذ الاجتهاد مع النص الذى ثبتت صحته، وإذا تعارضت الآية مع الحديث، ولم يكن بالإمكان الجمع بينهما، فلا يلتفت لغير الآية، لاحتمال أن يكون الحديث موضوعاً. أقول، لو أعمل المؤلف هذه القاعدة الشرعية، ما سمح لنفسه أن يخطئ بمينه هذه الافتراءات والأراجيف، التى بلغت الغاية فى الجرأة على الله وعلى كتابه.

إن مجرد استمرار القرآن الكريم، وهو يكتب ويحفظ ويتلى، على هذا النص المبارك، منذ عصر النبوة، وعصر الخلافة الأولى، إلى يومنا هذا، لهو خير شاهد على كذب هؤلاء الأفاقين، الذين لا يرعَوون عن التجرؤ على كتاب الله - تعالى - إذ ليس من المعقول، ولا من المقبول فى موازين العقل والشعور والعقيدة، أن تظل الآيتان الكريمتان:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ . و

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (١١)

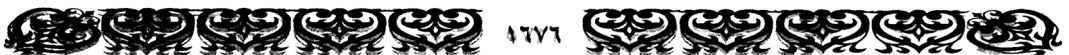
معطلتين، طيلة أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، ليأتى هذا «الفارس الهمام»، ومن كانوا على شاكلته، فى آخر الزمان، ليمنحوهما الحركة والحياة، فى مجال العمل والعقيدة.

(١١) فصلت (٤٢).

(١٢) الإتيان للسيوطى ١ النوع الحادى والأربعون فى معرفة إعرابه، وكتاب جمع القرآن الكريم للدكتور جمال مصطفى ص ١٧٩، ١٨٠.

وكذلك المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور أبو شعبة ص ٣٣٤ - ٣٣٦.

(١٣) مجلة الأزهر. المجلد العشرون ص ٩٣. (١٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣٣٨، ٣٣٩.



إن هذه القصة يتضح فيها الخيال الكاذب، بل الخيال المغرق في الكذب الذي لا يقبله من له أدنى معرفة بطبيعة هؤلاء الرجال الذين نسبت إليهم مثل هذه المواقف، وبطبيعة المهمة التي أوكلت إليهم، وإدراكهم لفداحة الخطر، الذي يتهدد الإسلام وأهله، نتيجة سهو لا يقبله المرء في عصرنا، وهو ينقل أحد النصوص العلمية من مصادرها، عندما يكلف ببحث علمي مثلاً !! ألم يقرأ واحد منهم ما سبق أن كتب هو أو كتب غيره ؟!

لقد كانت هذه «اللجنة» مكونة من بعض كبار الصحابة المشهود لهم باليقظة وحسن الضبط، فضلاً عن الأمانة، التي هي شرط مقدم على غيره في مثل هذه المهمة الجسيمة. لقد كانت هذه «اللجنة» مكونة من: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث، فضلاً عن أن هناك نفراً من جلة الصحابة قد جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ منهم: علي ابن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود.

إن أول ما كانت تعرف «اللجنة» من ملابسات تخطيط بأداء هذه المهمة، أنها كانت تقوم بتسجيل كتاب تقوم عليه الدعوة من أساسها، أو تتقوض من أساسها. أفيعقل أن يكتب أحدهم بعض آياته «وهو ناعس» ؟ كما قال الأفاقون، وقد نقل عنهم المؤلف - رحمه الله - بلا وعى ولا دراية، فيما يكتب أو ينطق، ألم يراجع ذلك الذي كتب «المقيمين» بالنصب حسبما قيلت له سهواً، ألم يراجعها، ليدرك أنه أخطأ ؟!

وأما القراءة الأخرى التي وافقت السيدة عائشة السائل على استحسانها فهي غير متواترة ولا يثبت بها قرآن، وقد ذكرت في بعض كتب الحديث؛ ولكن لم يردّها القراء من طرقهم ولعلها مما نسخ من القراءات في عهد النبي ﷺ، أو مما ترك عند جمع القرآن لعدم ثبوتها وتواترها، وأما قولها: إن الهجاء حرف، فالمراد بالحرف اللغة أى القراءة الثابتة لغة، ووجه من وجوه الأداء للقرآن، ولا يصح أن تريد من الحرف الخطأ والتحريف إذ اللغة لا تشهد له.

يقول المؤلف صفحة ٤٣: « وقد سئل أبان بن عثمان: كيف صارت:

﴿لَنَكِينِ
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنْزِلَ مِنْ فَاتِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾

ما بين يديها وما خلفها رفع وهى نصب ؟»
« قال: من قبل الكاتب، كتب ما قبلها، ثم سأل المملى: ما أكتب ؟ قال: اكتب المقيمين الصلاة. فكتب ما قبل له، لا ما يجب عربية، ويتعين قراءة». « وعن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - فى قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسْلِمُوا﴾ قال: إنما هى خطأ من الكاتب: « حتى تستأذِنُوا وتسلموا».

« وقرأ أيضاً: « أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً فقبل له: إنها فى المصحف: « أفلم يئأس » فقال: أظن أن الكاتب قد كتبها وهو ناعس .. !! وغير ذلك مما ينفر القلم ويعف عن الاستمرار فى نقله. غير أننا فى تعليقنا عليه نقول:



مُحَمَّدٌ ﷺ فِي كِتَابَاتِ
الْمُسْتَشْرِفِينَ

القرآن مقتبس من التوراة؟!!

لِلْمُسْتَشْرِفِينَ / عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمُطْعَنِي



من قبل تصدينا لفرية استشراقية شديدة النكارة زعموا فيها - كما يذكر القراء - أن محمداً ﷺ ألف القرآن من عنده، وهو منعزل في غار حراء، ولما أكمله واجه الناس به، وزعم أنه وحى أنزله الله عليه من السماء؟!!

وفرية أخرى زعموا فيها أن محمداً ﷺ صادق، ولكنه مخدوع؛ لأن رسالته كاذبة؟! وبدء من هذا المقال نواجه فرية أخرى، زعموا فيها أن القرآن مقتبس من «التوراة» وليس له مصدر سماوي مستقل؟! وتطاول بعضهم فقال:

ما في القرآن من جديد فليس صحيحاً، وما فيه من صحيح فليس جديداً؟! يريدون أن يقولوا: إن الصحيح الذي في القرآن منقول عن غير القرآن (التوراة) والجديد الذي ليس مأخوذاً عن «التوراة»، بل هو خاص بالقرآن، كذب واقتراء. هكذا سؤل الحقد والحسد، وزين لهم الشيطان، فاتبعوا خطواته لاهئين.

سبب هذه الفرية

بنوا من «حبتها» «قبة» لأنهم لا يبحثون عن الحق ليتبعوه، وإنما همهم كله محاربة الإسلام، والقضاء عليه، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق.

وليس لهم حجة فيما قالوا، سوى شبهة واهية، ومع علمهم بضعفها، بل ببطلانها، فإنهم





وعملية الاقتباس - بعد هذا - تخضع لكيفيات أخرى لأن المقتبس (اسم فاعل) إما أن يأخذ الفكرة المقتبسة كلها بلفظها ومعناها .

وإما أن يأخذها كلها بمعناها فقط . أما اللفظ أو العبارة فتكون من عنده .

وإما أن يأخذ جزء الفكرة بلفظها ومعناها أو بمعناها فقط، ويعبر عنها بالفاظ من عنده .

وبناء على هذا فإن المقتبس (اسم الفاعل) يدور في فلك المقتبس منه، ومحال عليه أن يزيد في الفكرة المقتبسة (كلا أو بعضا) لأنه ليس له مصدر سوى المادة العلمية أو الفكرية، التي يريد أن يقتبسها من عمل غيره . إذا جرى الاقتباس في هذه الأطر التي تقدمت فإن الاقتباس يكون صحيحا، ولا يمكن للمقتبس (اسم فاعل) أن ينكر دعوى من يهتمه بأنه سطا على فكرته، وأنها عمله هو لا عمل المقتبس .

أما إذا تشابه عملان : سابق ولاحق، وكان للاحق ملامح جديدة خاصة، لا وجود لها في الأول، أو وردت عند اللاحق حقائق أظهرت أخطاء جوهرية عند السابق، فدعوى الاقتباس هنا لا تصح، لأن معنى هذا أن الثاني تخطى الأول، وأتى بما لا يعرفه الأول فالثاني أو اللاحق ليس ناقلا بل هو مؤسس حقائق قد انفرد بها .

فتعال نطبق هذه الأسس على دعوى المستشرقين والمبشرين (المنصرين) أن القرآن مقتبس من التوراة كمصدر أساسى للقرآن،

وافترض حسن النية فيهم مستحيل ، لأن البغضاء بدت من كل كلمة تفوهوا بها في هذا المجال والشبهة التي تمسكوا بها، ورود مواضع فى القرآن تتشابه بمواضع وردت فى التوراة، ومن أبرزها الجانب القصصى، وبعضهم يضيف إلى التوراة باعتبارها - عندهم - مصدرا للقرآن، يضيف « الإنجيل » كمصدر ثانوى، مساعد للتوراة فى « تكوين القرآن » ؟!

ونريد هنا أن نواجه هذه الفرية مواجهة علمية موضوعية، ونبدأ فى الرد عليها من « الألف » إلى « الياء » .

كيف يتحقق الاقتباس

الاقتباس عملية فكرية لها ثلاثة أركان :

١- الأول : الشخص المقتبس [اسم الفاعل] .

٢- الثانى : الشخص المقتبس منه [اسم المفعول] .

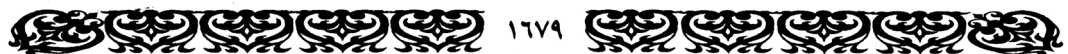
٣- الثالث : المادة العلمية المقتبسة [اسم المفعول كذلك] .

وتطبيق هذا على ما نحن بصددده يسفر عن الآتى .

● محمد ﷺ هو المقتبس (اسم الفاعل) .

● موسى - عليه السلام - (أو التوراة) هو المقتبس منه (اسم المفعول الأول) .

● المادة القصصية التى فى القرآن، هى المقتبسة (اسم المفعول الثانى) .



ومن الإنجيل كمصدر ثانوى مساعد فى تكوين القرآن؟!

ونبدأ المواجهة معهم بهذا السؤال :

هل القرآن عندما اقتبس من التوراة أو الإنجيل - كما تدعون - كان خاضعا لشروط الاقتباس المتقدم ذكرها، وهى مرة أخرى .

● نقل الفكرة كلها بلفظها ومعناها، أو بمعناها دون لفظها .

● نقل جزء من الفكرة بلفظها ومعناها، أو بمعناها دون لفظها .

● عجز المقتبس (اسم فاعل) عن الإتيان بجديد لم يكن له وجود فى المصدر الذى حدث الاقتباس منه بل يتحتم عليه أن يدور فى فلكه دائما .

إذا قارنا بين مواضع التشابه فى القرآن وفى التوراة لاحت لنا حقيقة « ضخمة » لا يمكن عقلا انكارها تلك الحقيقة أن القرآن كان أطول باعا، وأرحب أفقا، وأوسع مساحة، مما عليه التوراة والإنجيل وملحقاتهما، التى يدرجها القوم فى مفهوم « الكتاب المقدس »

ذلك أن القرآن :

● - عرض الوقائع عرضا يختلف عن عرض التوراة لها .

● - ساف جديداً لم تعرفه التوراة ولا أسفار الكتاب المقدس جميعها .

● - صحح أخطاء فاحشة حفلت بها

أسفار التوراة .

● - انفرد القرآن بحقائق خاصة، ليس لها فى الوجود مصدر سواه^(١) .

● فى حالة اختلاف القرآن مع التوراة يكون الصواب هو ما فى القرآن، والخطأ هو ما فى التوراة، بشهادة العقل والنقل والعلم والواقع .

صور التشابه

وما علينا بعد ذلك إلا أن نستعرض بعض صور من التشابه بين القرآن والتوراة، ونطبق عليها الأسس المتقدمة، تاركين الحرية المطلقة للقارىء، سواء كان مسلما أو غير مسلم، لأننا سنحتكم للعقل والواقع وهما معياران ملزمان لكل الناس . وسننظر أنحن على صواب فى دعوانا أن للقرآن مصدرا إلهيا غير التوراة والإنجيل؟ أم هم على صواب فى أن القرآن مأخوذ من نصوص التوراة والإنجيل؟

والمسألة بعد ذلك، ليست مسألة اختلاف فى رأى فى موضوع قابل للاحتمال . بحيث يكون الرأى والرأى الآخر كل منهما محتمل للصواب . وإنما المسألة مسألة مصير أبدى من ورائه عقيدة لا تبنى على الظن والتخمين، بل على اليقين، تهىء لصاحبها النجاة من سوء المصير، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم . أو عقيدة فاسدة تكل قومها دار البوار، يوم يقدم الله إلى ما عملوا فيجعله هباء منثورا .

(١) على القارىء، أن يعرف أننا نتحدث عن مواضع التشابه بين القرآن والتوراة.. أما عموم القرآن فليس له مقابل فى التوراة.



الصورة الأولى من التشابه بين التوراة والقرآن « قصة يوسف - عليه السلام »

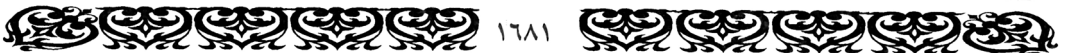
تبدأ هذه اللقطة من بدء مراودة زوجة عزيز مصر ليوسف - عليه السلام - عن نفسه، ليفعل بها الفحشاء، وتنتهي بقرار وضع يوسف في السجن :

حديث التوراة	حديث القرآن
« وحدث بعد هذه الأمور، أن امرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف وقالت اضطجع معي، فأبى وقال لامرأة سيده: هو ذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت، وكل ماله قد دفعه إلى يدي، ليس هو في هذا البيت أعظم مني، ولم يمسك عني شيئاً غيرك؛ لأنك امرأته، فكيف أصنع هذا الشر العظيم، وأخطيء إلى الله، وكان إذ كلمت يوسف يوماً فيوماً أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها.	﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَرْءُ هَوًى فَبَيَّتَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَوَازٍ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٢) ﴿ وَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَاثَرَ إِصْرَافَ عَنْهُ الشَّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْخَالَصِينَ ﴾ (٢٣) ﴿ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ يُعَذَّبَ أَلِيمٌ ﴾ (٢٤) ﴿ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدْرًا مِنْ قَبْلٍ فَسَدَّتْ وَهِيَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ (٢٥) ﴿ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدْرًا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢٦) ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا قَمِيصَهُ قُدْرًا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَذِبِكُمْ إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (٢٧) ﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفَرَ لِذُنُوبِكُمْ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (٢٨) ﴿ وَقَالَ يَسُوْفُ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرِيدُ فَتَنَّا عَنْ نَفْسِهِ، فَدَسَّقَهَا خُبْرًا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢٩) ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَاوِءًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣٠) ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمَنِاعْنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُمْ عَنْ نَفْسِهِ، فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ (٣١) ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَلَا أَتَصَرَّفُ عَنْ كَيْدِهِنَّ أَصَبَ إِلَيْنِ وَأَنْ مِّنَ الْهَاجِلِينَ ﴾ (٣٢) ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٣) ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْأَيَّاتِ لَيْسَ جُنْدُهُ حَتَّى جِئَ ﴾

سفر التكوين الإصحاح [٣٩]

من [٧ إلى ١٩] .

يوسف (٢٣ : ٣٥)





الأولى:

أن يردد ما ورد فى التوراة ولو
بألفاظ أخرى بشرط ألا يزيد عليه شيئاً
قط. فإن رده بلفظه ومعناه كان مجرد
ناقل.

وإن رده بمعناه دون لفظه، كان ما
رده حكاية معنى وفى كل يعجز كل
العجز عن الإتيان بجديد لا وجود له
فى التوراة؛ لأنها حسب زعمهم هى
«الأصل والمورد» والقرآن هو «الفرع».

الصورة الثانية:

أن يردد القرآن بعض ما ورد فى
التوراة باللفظ والمعنى، أو بالمعنى
دون اللفظ

وفى هاتين الصورتين - لو كان
القرآن اقتصر عليهما - تكون دعواهم
أن التوراة مصدر القرآن صحيحة
ومقبولة، ولا يصح لنا أن نرد دعواهم،
وإلا كنا جاحدين معاندين.

لكن الواقع النصى لما فى المصدرين
(التوراة - القرآن) ينسف هذا الادعاء
نسفاً، ويتضح هذا لكل ذى عقل من
المقارنات والتنظيرات الآتية، ونرجو
من القراء النظر فيها بكل عناية
وتمحيص.

تلك هى نصوص الواقعة فى المصدرين :

التوراة التى يزعمون أنها مصدر القرآن،
ولولاها لم يكن القرآن؟
والقرآن الذى يدعون أنه أخذ مادته
القصصية - على الأقل - من التوراة؟

وإنى لأدعو القراء أن يقرأوا الحديثين
(حديث التوراة) و(حديث القرآن) فى هذه
اللقطه من قصة يوسف، التى اخترناها من
المصدرين أساساً لهذه المقارنة، أن يقرأوا
الحديثين بوعى وصبر، ثم يحاولوا جهد
الطاقة التعرف على الفروق بين المصدرين
ويرصدوها ويتأملوها جيداً

ثم يسألوا هذا السؤال :

هل تصلح التوراة أن تكون مصدراً فعلاً
للقرآن وهل وقف القرآن فى حديثه عن هذه
الواقعة عند الحدود التى وقفت عندها التوراة؟
إذا ثبت أن القرآن فى حديثه هذا مكبل
بما ورد فى التوراة، فإن دعوى مصدرية
التوراة للقرآن تكون صادقة.

أما إذا ثبت أن القرآن تخطى ما أوردته
التوراة. فإن دعوى مصدرية التوراة للقرآن
تكون باطلة كاذبة

إن مقتضى ادعائهم أن التوراة هى مصدر
القرآن يلزم منه عقلياً أن يكون حديث القرآن
هنا محصوراً فى صورتين لا ثالثة لهما :



المقارنات

معطيات التوراة

● المراودة حدثت مراراً. ونصح يوسف لامرأة العزيز كان قبل المرة الأخيرة.

● تخلو التوراة من الإشارة إلى غلق الأبواب، وتقول: إن يوسف ترك ثوبه بجانبها وهرب، وانتظرت هي قدوم زوجها العزيز، وقصت عليه القصة، بعد أن أعلمت بها أهل بيتها.

● لم يكن يوسف موجوداً في البيت حين دخل العزيز، ولم يدافع عن نفسه حين اتهمته امرأة العزيز واقترحت عليه سجنه أو تعذيبه.

● تخلو التوراة من حديث الشاهد وتقول: إن العزيز حمى غضبه على يوسف، ثم أودعه السجن فوراً دون عرض أمره على حاشيته.

● تخلو التوراة من حديث النسوة باتهامهن امرأة العزيز بمراودة فتاها يوسف عن نفسه ووصفها بأنها كانت من الضالين.

● تعبر التوراة عن مراد امرأة العزيز من يوسف بالاضطجاع معها، وهو كناية مبتدلة لفظاً ومعنى، لأنها تجسيم مكشوف لعمل الفاحشة.

معطيات القرآن

● المراودة حدثت مرة واحدة، وقد اقترنت بعزم امرأة العزيز على يوسف لينفذ رغبتها ● يشير إلى تغليق الأبواب، وأن يوسف هم بالخروج فقدت قميصه من دبر، وحين وصلا إلى الباب وهي تطارد يوسف فوجئاً بالعزيز يدخل عليهما، فبادرت المرأة في الحال بشكوى يوسف - عليه السلام - إلى زوجها. واقترحت على زوجها سجن يوسف أو تعذيبه

● يوسف كان موجوداً في البيت لما دخل العزيز، وقد دافع عن نفسه أمامه وقال يوسف للعزيز: هي التي راودتني عن نفسي.

● يذكر القرآن شهادة الشاهد تفصيلاً كما يشير إلى اقتناع العزيز بالشهادة مع توجيه اللوم إلى امرأته، ويثبت يوسف على العفة والطهارة. ويؤكد أن امرأته قد أخطأت، وأن إدخال يوسف السجن كان بعد مشاورة حاشية العزيز

● يذكر حديث النسوة بالتفصيل وتوجيه الدعوة إليهن من امرأة العزيز وحضورهن إلى بيتها مع مدار في هذا اللقاء من أحداث مذهلة ● يعبر القرآن عن مراد المرأة من يوسف - عليه السلام - بـ «المراودة» وإغرائها إياه

﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ وهما كنيتان عفيفتان تومئان إلى المعنى المراد من وراء حجاب.



« حدود العمليات الرياضية، لا مجال فيها للأهواء ولا لعمل الخيال، ونرجو أن يكون القراء قد لمسوا هنا نزاهة هذا المنهج واطمأنت إليه نفوسهم، وسلمت بصدقه عقولهم.

والنظر الفاحص في المصدرين، يرينا أنهما لم يتفقا إلا في « أصل الواقعة » من حيث هي واقعة وكفى. ثم اختلفا بعد هذا في كل شيء :

على أن القرآن أتى بجديد لم تعرفه التوراة، ومنه حديث النسوة. مدحهن لـ يوسف . الهم بين المرأة ويوسف (٢) ، دعاء يوسف ربه، استجابة الله دعاء يوسف، قد قميص يوسف من الخلف، عرض الواقعة على حاشية العزيز

ولو كانت التوراة هي مصدر القرآن فأين نجد هذا الجديد في التوراة؟! إن القاعدة العقلية التي تقول: « فاقد الشيء لا يعطيه » شديدة الانطباق على وضع التوراه هنا.

وهي - وحدها - كافية في إبطال دعوى القوم أن محمدا ﷺ اقتبس القرآن من التوراة، ثم زعم أنه وحى نزل عليه من الله - عز وجل - .

وأمر آخر: إن القرآن قام بتصحيح أخطاء وردت في حديث التوراة عن هذه « الواقعة » من قصة يوسف - عليه السلام - . ومن تلك الأخطاء :

وبعد هذه المقارنات بقيت أمور لأبد من الإشارة إليها وهي أمور خلت منها التوراة، وذكرها القرآن، وهي :

● خلو التوراة من حفظ الله ليوسف وثناء الله على يوسف :

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

● خلو التوراة من دعاء يوسف ربه وإعلانه إن السجن أحب إليه من الصبوة إلى النساء :

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾

● خلو التوراة من استجابة الله دعاء يوسف - عليه السلام - :

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

نتائج المقارنة

الفروق التي تقدمت بين حديث التوراة، وحديث القرآن عن « الواقعة » الى رشحناها لإجراء هذه المقارنة، احتكنا فيها إلى الواقع « النصي » للتوراة، والواقع « النصي » للقرآن الأمين . لتكون الأحكام على « المصدرين » مقنعة لاستنادها على حقائق لا يسوغ في حكم العقل الطعن فيها، فهي أشبه ما تكون

(٢) هم المرأة بيوسف كان بقصد تنفيذ رغبتها فيه، وهم يوسف بها كان هو إثارة شهوته لا إرديا، كما يسيل لعاب الجائع إذا اشتتم رائحة شواء بلا إرادة منه، بل هو انفعال فطري قاهر.



وهذا - وحده - كاف في صدق ما ذهبنا إليه

أما الداعى الثانى: وهو منتزع من واقع القصة نفسها موضوع هذه المقارنة وإليك البيان.

إن كلا من التوراة والقرآن متفقان على عفة يوسف - عليه السلام - وإعراضه عن الفحشاء، ثم اختلفا بعد ذلك:

التوراة تقول: إن يوسف ترك ثوبه كله بيد المرأة وهرب.

والقرآن يقول: إن يوسف لم يترك ثوبه، بل فرّ هارباً من كيد المرأة، فأمسكته من الخلف ومزقته، واقتطعت جزءاً منه فأى الروائتين أليق بعفة يوسف المتفق عليها بين المصدرين؟

● أن يترك ثوبه ويخرج عارياً أو شبه عارٍ
● أم أن يظل مرتدياً ثوبه، ثم تقتطع منه امرأة العزيز قطعة من الخلف؟

إذا سلمنا برواية التوراة، فيوسف ليس عفيفاً - حاشى لله - وامرأة العزيز تكون على صواب فى اتهامها إياه بإرادة عمل الفحشاء معها، لأن «الرجل» أى رجل، لا ينزع ثوبه عنه إلا إذا كان هو «الراغب».

وقد يقولون: إن امرأة العزيز هى التى نزعته عنه ثوبه

ونقول: هذ مردود واقعا؛ لأن يوسف كان شاباً قويا مفتول العضلات، وهى امرأة، ولم تجر العادة بأن تغلب المرأة الرجل فى هذه الأحوال

- لم يترك يوسف ثوبه بيد المرأة فى بيت العزيز، بل كان مرتدياً ثوبه، وهو يحاول الإفلات من الوقوع فى الفاحشة، التى كانت المرأة تطارده من أجلها، هذا ما أثبتته القرآن الأمين.

كل ما فى الأمر أن المرأة قدت قميصه من الخلف. وهذا هو الأليق بسمعة رسول كريم، ورسّل الله جميعاً منزّهون عن الخطايا، مبرأون من الدنيا.

وقد يقول بعض الناس:

لماذا نفترض الخطأ فى جانب التوراة، وأن الصواب هو ما ذكره القرآن؟ ألا يعتبر تحيزاً منكم للقرآن، وتحاملاً على التوراة؟

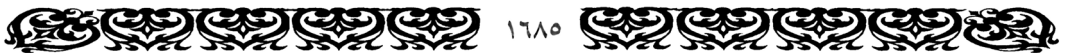
وذلك لأن القرآن كتاب المسلمين، وأنتم منهم، وقد يقول «الخصم» غير ما تقول أنت:

إن الذى ذكره القرآن خطأ؟ والذى ورد عن التوراة هو الصواب؟

والجواب:

نحن لم نتحيز للقرآن؛ لأنه كتاب المسلمين، ولكن دعانا إلى هذا داعيان:

الأول: لم يرد فى القرآن - قط - ما هو خلاف الحق؛ لأنه لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وعلى كثرة ما طعن فيه الطاعنون - قديماً وحديثاً - لم يعثروا فيه على ما يخالف الحق والصواب. وقد ثبتت هذه الحقيقة فى كل مجالات المعارف والعلوم التى أجريت على مفاهيم القرآن العظيم فى كل العصور والبيئات.





التوراة وكان لابد من تصحيحها .

كما صحح القرآن واقعة أخرى، لأن التوراة كررت أن يوسف خرج من البيت، ولم يدافع عن نفسه أمام العزيز حين حضر القرآن يثبت العكس، وهو الصحيح، لأن العزيز رجع إلى البيت حين مطاردة امرأته ليوسف، لا قبلها ولا بعدها .

وهؤلاء الذين ادعوا أن التوراة هي التي اقتبس منها محمد ﷺ القرآن، يتهمون القرآن بتزوير الواقع، حيث أثبت شهادة شاهد للواقعة من أهل امرأته ويقولون: إن يوسف وامرأة العزيز كان وحدهما في البيت فأين كان يختبئ هذا الشاهد؟

والجواب: لا يلزم من إثبات الشهادة في القرآن، وجود أحد معهما في البيت . لا من أهلها ولا من غير أهلها . فهذا أمر مسكوت عنه في القرآن :

لا يثبت ولا ينفيه . ومع هذا فالشهادة مقبولة، لأنها قد تكون إدلاء رجل من أهلها حضر مع العزيز، فأدلى برأيه وأشار على العزيز بتحكيم هذه « الأمانة » بعد اقتناعه بإدانة المرأة .

والخلاصة

كيف تصلح التوراة مصدرا في تكوين القرآن، وفي القرآن ما ليس فيها من أمانة العرض ونزاهته، وتصويب القرآن ما فيها من أخطاء، لو كانت التوراة هي مصدر القرآن لعجز القرآن أن يأتي بجديد ليس فيها، ولعجز عن تصويب ما فيها من أخطاء .

ثم: كيف يترك يوسف ثوبه عندها إن كانت هي التي نزعت عنه جدلاً

والخلاصة: أن رواية التوراة فيها إدانة قوية ليوسف - عليه السلام - وهذا يتنافى مع العفة التي اتفقت التوراة على إثباتها ليوسف مع القرآن الكريم .

أما رواية القرآن ففيها إدانة قوية لامرأة العزيز، وبراءة قوية ليوسف - عليه السلام -

لقد دعت له لنفسها فأبى واستعصم وعاد بالله من كيدها، ولما لم ترتدع وأصرت على تحقيق رغبتها وولى هاربا، فاتبعته وهي تمسك بثوبه من الخلف ليعود إليها، ولكنه ولى هاربا، فما كان إلا أن مزقت ثوبه من الخلف .

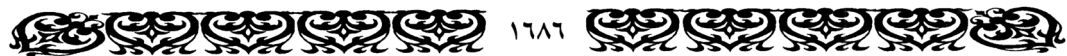
إن قطع ثوب يوسف - عليه السلام - كان رد فعل لعمليتين متضادتين: جذب إلى الخلف من امرأة العزيز، واندفاع إلى الإمام من يوسف ولهذا جاءت شهادة الشاهد مستندة إلى « موضع قد القميص » .

إن كان من الإمام فهي صادقة، ويوسف كاذب .

وإن كان من الخلف فهي كاذبة، ويوسف صادق .

وهي الشهادة التي عمل بها لأول وهلة عزيز مصر .

وهذا يتفق مع عفة نبي الله يوسف التي أجمع عليها المصدران لهذا قلنا - ونقول - : إن القرآن لم يكتف بإيراد جديد في القصة لم تعرفه التوراة، بل صحح أخطاء وردت في





الرفق بالجانى من خلق النبى ﷺ

للمستاذ الدكتور / عبد الحليم مهنى

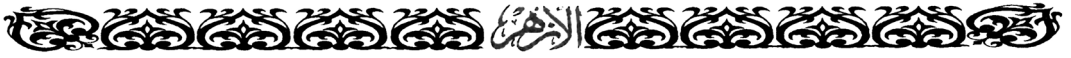
من حكمة الشعر قول الشاعر العربى القديم:

ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجانى عقاب

وتتركز حكمة الشاعر فى قوله إن الرفق بالجانى عقاب، فالجانى بشر، ومهما يكن أمره فإن له مشاعر وأحاسيس كسائر البشر، وحين يزل أو يرتكب جرماً فإنه يتوقع العقاب، ويهيب نفسه له، ولكنه حين يفاجأ بأنه يجد بدل العقاب رحمة ورفقا فإن هذا قد يكون أبلغ تأثيراً فى نفسه، وأشد تقويماً لاجواجه من العقاب، ومن هذا المحيط كان خلق الحلم والعفو عند النبى ﷺ.

بذاءة الأردلين، وقد أشار النبى ﷺ إلى هذه المعانى حينما قال: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب) بمعنى ليست القوة فى المقدرة على البطش وما ينتج عن القوة أو يؤدى إليها فى نظر الناس كمشاعر الغضب والثورة والهيّاج، وإنما القوة فى ثبات النفس وصلابتها إزاء ما يدعو إلى إثارتها أى التحكم فى النفس عند انفعالها وثورانها، فهذه النفس هى التى تستطيع أن تكتسى ثوب الحلم بدل الغضب، وترفع شعار الصفح والعفو بدل الانتقام، فأقوى النفوس أقدرها على الصفح والغفران، ولم يكن من المصادفة أن يجعل القرآن

وقد يتصور بعض الناس أن القسوة والصرامة وحب الانتقام كلها من مظاهر القوة، وهذا وهم، فالحقيقة أنها من مظاهر الضعف النفسى، وأن الحلم والاستعداد للصفح والغفران هو أثر القوة والصلابة النفسية، فإن النفس التى تهيج وتنفلت كلما أصابها ما يؤذيها أو ما تضيق به هى كالشئ الرخو الضعيف الذى يسهل تحريكه وزعزعته، أما الحلم المستعد للصفح فهو القوى الثابت الذى يزن ما يوجه إليه بعقله وخلقه وليس بمشاعره وانفعالاته، فلا يرد ولا ينتقم إلا حينما يكون ذلك واجباً، ولكنه فى كل الأحوال يرى نفسه أقوى وأثبت من أن تهزه سفاهة السفهاء أو



كأنك اشتركت معه في السوء، خصوصا وأن القرآن سمي القصاص سيئة من باب التنفير من القصاص والترغيب في العفو، كقوله تعالى:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (٣).

فإذا أردت أن ترفع درجتك فوق درجة المسيء فالجأ إلى العفو فهو الحسنة التي لا تستوى مع السيئة، فإذا أردت أن ترفع نفسك فوق درجة الاثنين لتكون في الدرجة العليا، درجة الصفوة من الناس فالجأ إلى الإحسان إلى المسيء زيادة عن العفو عنه، كما يقول تعالى:

﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وليس من المصادفة أن يكون خطاب القرآن في مرتبة الإحسان فرديا في لفظ الآية الكريمة:

﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

فكان الذين يستطيعون أن يبلغوا هذه المرتبة ليسوا إلا أفرادا، والواقع أن هذه المرتبة هي مرتبة الزعامة والقيادة، ولو في محيط الأسرة والجماعة المحدودة.

وحين نلقى نظرة على خلق النبي الكريم في هذا المقام نجد أنه قد بلغ بالإحسان القمة التي تناسب قيادته وخلقته العظيم، فمما عرف عن النبي الكريم بإجماع كل معاصريه: مؤيديه ومعارضيه أنه ما انتقم لنفسه قط، وهذا مبدأ عام في خلقه العظيم، فما أكثر ما عرض له في حياته

الكريم الناس مراتب في موقفهم مما يوجه إليهم من إساءة أو عدوان، فجعل المرتبة الدنيا هي مرتبة الانتقام، وشعارها (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وجعل مرتبة النفوس الكريمة القوية في مرتبة أعلى هي مرتبة العفو، وكلما علت المرتبة قل عدد أصحابها، كما يقول الشاعر (.. إن الكرام قليل) والآية الكريمة تصرح بالمنزلتين، المنزلة الدنيا لعامة الناس، وهي تقابل نزعة الانتقام والقصاص، والمنزلة الأعلى وهي منزلة التجاوز والصفح، في قوله تعالى:

﴿وَلِإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١).

ولكن هناك منزلة عليا فوق المنزلتين، وهي منزلة الإحسان إلى المسيء فضلا عن العفو عنه، وهي منزلة الصفوة من الناس، ولا يستطيع أن يروض نفسه عليها إلا من آتاه الله قوة نفسية ومقدرة على كبح جماح النفس والتحكم فيها، وإذا كان العافون من الناس قلة بالقياس إلى الراغبين في الانتقام، فإن المحسنين إلى المسيء أقل من هذه القلة، ويشير القرآن إلى ذلك بقوله تعالى:

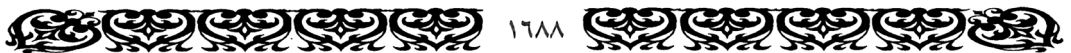
﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢).

فالسيدة هي ما صدر من المسيء، والحسنة هي العفو عنه، بمعنى أنك حين تقابل السيئة بالسيئة فرغم أنك استخدمت حقك في القصاص إلا أنك

(٣) الشورى (٤٠).

(٢) فصلت (٣٤).

(١) النحل (١٢٦).





ندم على ما أسلفوا من إساءة إليه وإلى دينه وأصحابه، قائلًا لهم إن الإسلام يجب ما قبله أى يمحوه، بل كان يحرص على أن يرعى المسلمون شعور هؤلاء، وألا يؤذوا نفوسهم حتى بذكر مساوىء أهلهم وذويهم الذين ماتوا على الشرك، فمثلاً آمن عكرمة بن أبى جهل حتى كان من خير الناس إسلاماً، ولكن أباه أبا جهل كان شر الكافرين كفراً وعداء للمسلمين، وقد ظلت بعض آثار عداوته ماثلة فى نفوس بعض المسلمين وجسومهم، وكان من الصعب عليهم أن ينسوا ذلك أو يتناسوه، ولكن النبى مع ذلك كله، وحفظاً لشعور عكرمة وأمثاله كان يلزم أصحابه ويطلب منهم أن يكفوا عن أى حديث عن الماضى يؤذى نفسية مسلم، بمثل قوله: (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء)^(١).

وقد ضرب النبى الكريم فى الإحسان إلى المسيئين إليه أمثلة لا زال ترديدها يملأ النفوس إكباراً وإجلالاً لهذا الخلق العظيم، فهذا أنس بن مالك يقول (كنت أمشى مع النبى ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبى قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال مر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه فضحك (النبى) ثم أمر له بعطاء) .

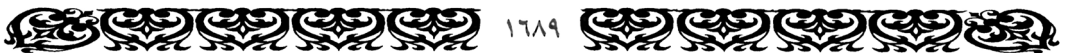
وكان صفوان بن أمية من أعتى عتاة قريش وأشدّهم عداوة للنبى ودينه، ومن أحرصهم على أن يقدم للنبى وأصحابه كل ما يمكن من بغى وإيذاء، وظل صفوان على شركه، وعلى عداوته

سواء بمكة أو المدينة من حوادث الإساءة إليه، أو العدوان عليه، وما أكثر ما أتيح له أن ينتقم لنفسه وأن يحتكم فى الانتقام كما يشاء، ولكنه لم يتخل مرة واحدة عن خلقه الكريم فى العفو، ولم ينزل مرة واحدة عن قمته الرفيعة، وهذه عائشة تحدثنا عن هذا الخلق فتقول (ما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) فهو حينئذ ينتقم لله وليس لنفسه .

وهذه المرتبة من خلقه الكريم لا تحتاج إلى كثير استشهاد أو تمثيل، لأن حوادثها أكثر وأشهر وأوضح من التمثيل .

وإنما نتحدث قليلاً عن صفة الإحسان فى خلقه العظيم، وهو الإحسان إلى المسيئين أى الجنّة، فنقول إنه صلوات الله عليه لم يترك فرصة يمكن أن يحسن فيها إلى المسىء إلا وأحسن إليه كأكرم وأرحب ما يكون الإحسان، بل كان أحياناً يوجد الفرص لإيجاداً ليقدم هذا الإحسان، ومن الواضح أن الكثيرين جداً من أصحابه كانوا من أعدائه الذين قدموا كل ما يمكن أن يقدموا إليه وإلى دعوته وإلى أصحابه من إساءة وعدوان، وفى مقدمتهم عمر بن الخطاب الذى كان من ألد أعدائه وأعنف خصومه، ومع ذلك فلم يؤثر أنه ذكر إساءة أحد منهم، أو عرض بماضيه العدائى، سواء فى محضره أو غيبته، بل كان يغمرهم بما يغمرهم به من بر وعطف وإحسان، وكان يحرص دائماً على أن يمحو من نفوسهم ما يثور فيها من

(١) مجمع الزوائد ٩٦/٨ .





قال له النبي هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، وفي رواية قال: وهل أهلكني إلا الصيام يارسول الله؟ قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟ قال لا، فدعا النبي فجيء له من بيته بقدر من التمر، فقال للشاب خذ هذا فتصدق به، قال الشاب: أعلى أفقر مني يارسول الله؟ فوالله ما بين لبيتها أهل بيت أفقر من أهل بيتي، يعني لا يوجد في المدينة أحد أفقر مني، فتبسم النبي ﷺ وقال: فأطعمه أهلك. فقد جاء الشاب إلى النبي فزعاجزعا، ولكن رفق النبي به جعله يعود من عنده راضيا مطمئنا، وتتعدد الروايات عن أشخاص جاءوا إلى النبي وهم ممتثلون جزعا وهلعاً من عظم ما ارتكبوا من ذنب فإذا رفق النبي بهم يهدى من روعهم، ويمحو من نفوسهم ما خيم عليها من جزع، بل يزيد فوق هذا أن يحسن إليهم، ومن تلك الأمثلة الكثيرة ما ورد في صحيح مسلم من أن رجلاً واقع زوجته وهو صائم في رمضان ثم جاء إلى النبي في المسجد يقول يارسول الله احترقت احترقت فسأله النبي عن شأنه فأخبره فقال النبي تصدق، قال الرجل والله يا نبي الله ما لي شيء وما أقدر عليه، قال النبي اجلس فجلس، فأقبل رجل يسوق حماراً عليه طعام فقال النبي أين المحترق آنفاً؟ فقام الرجل فقال النبي: تصدق بهذا فقال: يارسول الله أغيرنا؟ فوالله إنا لحياء ما لنا شيء قال (النبي) فكلوه، فمثل هذا الرجل وذلك الشاب الذي يشعر كل منهما لعظم ذنبه أنه هلك أو أنه احترق كان ولا شك يتوقع من النبي غضباً شديداً ونقمة على ما ارتكب من

للنبي وللإسلام حتى فتح النبي مكة، فعفا عن صفوان فيمن عفا عنهم، ولكن صفوان مع ذلك ظل على شركه، ثم استعد النبي وأصحابه لمقاتلة هوازن وثقيف، وكانت قريش قد وكلت إلى صفوان أسلحتها التي تحتاج إليها عند الحرب، فاحتاج النبي أن يستعير من صفوان ما عنده من دروع وسلاح، ولعل صفوان كان يقدر أن محمداً إنما يستولى على هذا السلاح استيلاء الفاتحين، وماله لا يتوقع، وقد أصبحت مكة بمن فيها وما فيها ملكاً للنبي، ولكن صفوان يفاجأ بأن النبي يرد إليه كل سلاحه بعد أن تنتهي الحرب، ولا يكتفى بذلك، وإنما يرسل إلى صفوان فوق ذلك مائة ناقة من أجود النياق هدية منه إلى صفوان رغم أنه ما زال على شركه، وينظر صفوان فإذا المفاجأة تملك عليه نفسه وقلبه، وإذا هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فيقول له بعض أصدقائه: عجباً لك يا صفوان أتعادي محمداً ما عاديتك، ثم تؤمن به من أجل النياق؟ فيقول له صفوان: يا هذا، إنك لتعلم أن إبلى تملأ بطاح مكة، ولكني آمنت لأن محمداً يعرف كيف يداوي النفوس المريضة.

وما أكثر ما كان النبي يحسن إلى المسيئين حتى في الذنوب ولو كانت من الكبائر، وكان شديد الرفق بالذين لم يكن الذنب نابعا من نزعة شر في قلوبهم، وإنما كان نابعا من ضعف الإرادة أو جموح الغرائز، كما يروى البخاري وغيره أن شاباً جاء إلى النبي ﷺ ذات يوم في رمضان بادى الجزع يقول هلك يارسول الله، هلك يارسول الله، فحين سأله النبي قال: واقعت زوجي وأنا صائم، فحين وجد الشاب أن النبي لم يغضب كما كان يتوقع أخذ يهدأ، ثم



﴿أَدْفَعْ بِأَلْيِّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

بمعنى أن إحسانك إلى المسيء يجعله من ولائه
كأنه تابع مخلص لك، فالحسن في مكان القيادة،
والحسن إليهم في مكان الاتباع.

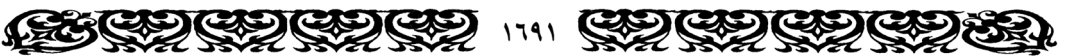
وحتى حينما لم يكن مفر من تنفيذ العقاب،
نجد النبي الكريم يكسوا العقاب بالعطف على
الجاني والإحسان إليه، أو حمايته من قسوة الناس
عليه، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ أتى برجل قد
شرب، فقال اضربوه، قال أبو هريرة: فمن الضارب
بيده، ومن الضارب بنعله، والضارب بثوبة، فلما
انصرف قال بعض القوم: أخزأك الله، قال النبي:
لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان، وقد
تكرر هذا المعنى من النبي، فمثلا نراه يصد خالد
ابن الوليد عن سب امرأة معترفة بالزنا حين سبها
في أثناء عقابها، فقال النبي: مهلا يا خالد، لقد
تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة لوسعتهم.

وحين نتأمل مثل هذه المعاني والأمثلة نجد
الفارق بين نظرة عامة الناس إلى المجرم، وبين نظرة
النبي إليه، فالناس يرونه مجرد مجرم يستحق
منهم فوق العقاب مقنا وبغضا وسبا، ولكن النبي
ينظر إليه على أنه إنسان منحرف، يعاقب على
انحرافه، ليرتدع وليكون عبرة لغيره، ولكنه بعد
هذا العقاب إنسان ينبغي أن نشفق عليه، وأن
نداوى نفسه المريضة، وأن نعيده إلى صف
الجماعة، لا أن نبذه عنها، وهذا خلق القمة
وخلق القيادة التي تحول كل من حولها حتى
المسيئين، فيصبح كل منهم:

﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

جرم كبير في حق الله ودينه، ولكن النبي دون
ريب يراعى أن من يحمل من الإيمان والخوف
من الله ما يجعله يشعر بالهلاك أو الاحتراق من
جرا ما اقتترف فلن يكون شرير الطبع ولا
مستهينا بحدود الله، وإنما هي ساعة ضعف
زلت فيها قدمه، فهو أولى بالرحمة والرفق منه
بالقسوة والعقاب، وسيكون الرفق حينئذ أوقع
في نفسه وأشد تقريبا له إلى الطريق القويم،
بينما القسوة عليه قد تدفعه إلى التمرد على
الطريق القويم حين يجده مسدودا أمامه، وهذا
مضمون حكمة الشاعر (فإن الرفق بالجاني
عقاب) بمعنى أن الرفق بالجاني ينتظر له أن
يؤدي في إصلاح الجاني وتقويمه ما يؤديه
العقاب، بل كثيرا ما يكون الرفق خيرا من
العقاب، ومن هذا القبيل كانت حكمة الله في
أن كل آيات القصاص والجزاء تدعو إلى وضع
العفو مكان العقاب.

وقد كان بعض العامة من الناس يعجبون لما
يصدر عن النبي من الإحسان، وكان هذا العجب
يصل ببعضهم إلى الحيرة والتساؤل، لأنهم
يقيسون الأمور بمستواهم هم، فلا يرون في
المسيء إلا شخصا يستحق العقاب فيما يعرفون،
أو العفو فيما يتخيلون، أما أن يقابل بهذا الفيض
من البر والإحسان فذلك مالا تفهمه عقولهم أو
تسيغه نفوسهم، ولكن القيادة التي تعرف كيف
تجعل من الأعداء أنصارا كانت أعرف بإرضاء
النفوس وكسبها، وحيث سبقت الإشارة في هذا
الحديث إلى أن خلق الإحسان لا تحمله إلا النفوس
المهيأة للقيادة والزعامة، فإن القرآن بدقته البالغة
في أسلوبه وتعبيره يشير إلى هذا في قوله تعالى:





الدِّينُ وَالْحَضَارَةُ

د. سَازِدُكَتُور / مَحْمُودُ الْهَيْمُ الضُّيُومِي

لا شك أن الحضارة تواجه مستقبلاً أشد غرابة إذ أنه يحمل من إمكانات الدمار التي لا يمكن قياسها اليوم بأي عصر مضى، فشغلنا مستقبل الحضارة عن البحث في ماضي الحضارات حرصاً منا على المحافظة على مستقبلها وخوفاً من فقدانها. ومعنى فقدانها: دمار الجنس البشري بأكمله.. فأصبح من أهم مطالب الجنس البشري: حاجته إلى الأمان أكثر من حاجته إلى الحرية، إذ لا حرية من غير أمان، والأمان أصبحت حريتنا هي التطلع إلى التخلص من المسؤولية الجماعية نحو طلب الأمن والأمان، ولا سبيل لنا إلى ذلك إلا إذا رجعنا سجل حضارات الماضي، فمراجعات الماضي الثقافي من الحقائق الثابتة التي يمكن اعتبارها مرتكزات أساسية لوجود الحاضر وكيفية المحافظة عليها فدائماً ما نطلق عليه ماضٍ قد مضى هو في عرف مفهوم الثقافة ليس كذلك إنما هو ماضٍ دائم الوجود لأن الفكر الثقافي في النهاية جهد إنساني أخذ من التاريخ وأعطى، ومحاولات أخذه وعطائه تتردد بين الخطأ والصواب.. فالتاريخ الثقافي تجربة إنسانية لزم من مضى لها فعاليتها في الحاضر.. وعلى ذلك تكون الثقافة ذات الماضي المتجدد هي التي تشير في الإنسان الولع بالتفكير وتجعله قادراً على ضبط نفسه والتحكم فيها بدلاً من أن يفقد سيطرته على نفسه وعلى معاييرها الثابتة فيفقد توازنه مع حضارته وثقافته.

إلى اتجاهين يتنازعان كسب الثقة الاجتماعية لانتهاجها وهما فيما بينهما يتنازذان بالألقاب بعضهما البعض دون أن يتفهما وجهتي نظرهما أو يتفهما مبادئ فكرهما نحو «الإصلاح» أو «التحديث».. ونقطة الخلاف بينهما، ربما تكون، غير عميقة، أو ربما تكون غير جوهرية،

وأحب أن أذكر على سبيل المثال طرفاً من الجدل الدائر بيننا حول قضية «الإصلاح» أو «التحديث» وليس «أو» هنا جاءت لمجرد العطف للترادف، أي أن الإصلاح، يعني: التحديث أو أن التحديث يعني: الإصلاح، ليس الأمر هكذا إنما المصطلحان يشيران من حيث نعلم أو لانعلم



هذا الطريق الغربى وقد حاولوه منذ زمن بعيد لم يزدوا الفكر عندنا إلا تشتتا وضياعا حتى سلب منا إرادة التفكير وبقينا مع فكر ليس لنا منه إلا حمله فإذا ما تركه الغرب تركناه وإذا ما استبدله بغيره وقفنا حيارى من عدم صلاحيته وتعارضه مع مقومات الشخصية العربية وعدم قدرته على التفاعل مع العقل العربى، لذلك كله رفضه الناس والمجتمع ويعنى هذا الاتجاه أيضا استخدام بعض المفاهيم الفكرية المستمدة من التطور الفكرى للغرب وذلك سبيل من سبل التزييف العلمى والتضليل الثقافى الذى يعوق مسيرة الفكر العربى ويتخيلون من حيث يعلمون أو لا يعلمون أنهم يختصرون الطريق أمام التفكير العربى .

لذلك علينا اكتشاف ذاتيتنا الإسلامية وما فيها من عناصر قوة ومن عناصر ضعف ومعرفة الخلل الذى نعيشه حتى نستطيع أن نستلهم القوة التى تعيننا على سلوك البناء الفكرى بما يتوافق وواقعنا الاجتماعى ..

أما الذين يذهبون إلى القول بإصلاح «العقل العربى» أن نقوم بترميم ما يجب ترميمه وبما يتفق مع الماضى فى نظر من يرون أن معنى انسياق الفكر العربى وراء الفكر الغربى، عليه أن يقف من الدين موقفا يتسم بالعداء والخصومة وذلك حين بدأ عصر النهضة الحديث على أطلال الكنيسة ومعاداة رجالها تم تطور العداء حتى أصبح ضد الدين نفسه كما يقولون: تلك التجربة ثقافية ثبتت فعاليتها فى دفع عجلة التقدم الحضارى .

لكننا نلاحظ: أن تلك المقولة الداعية إلى معاداة الدين وخصومته وخصومة رجاله تقوم على افتراض غير واقعى فى المجتمع الإسلامى وهو

أو ربما، تكون عميقة، وجوهرية، قد يكون كل ذلك . على أى حال هذه احتمالات منطقية يجيزها المنطق كشأن أى قضية لها احتمالات فروضها العلمية من حيث هى قضية . أما ما نحتاج إليه ليس احتمالات القضية لذاتها يعنى أطرح قضية ما، أطرح معها فروضها المحتملة من حيث هى قضية لكن الأمر الذى بيننا ليس من قبيل الفروض الذهنية والتخيلات الذاتية حتى نحتكم إلى آرائنا الفردية أو إلى وجهات نظر تعصبية تحكمها نزوات عصبية، مهما كانت خلفيتها الثقافية، مادامت معتزة برأيها وتأنف

النظر فى رأى غيرها .. إنما الأمر الذى بيننا ليس من هذا القبيل إنما هو قضية مطروحة وحولها آراء وخلافات ووجهات نظر واتجاهات وهى قضية «تحديث العقل العربى» كما يذهب بعضهم إلى تسميتها والبعض الآخر يطلق عليها «إصلاح العقل العربى» وبينهما جدل دائر فعلينا مراجعة تلك الآراء لتبنى وجهة نظر مشتركة مادامت الأطراف تنطلق من واقع عربى غير سليم يثير عدم الرضى فى النفوس .

فالذين يذهبون مذهب «التحديث» يرون أن على الفكر العربى أن ينساق تجاه الفكر الغربى محاكاة وتقليدا . أى علينا أن نبحث ماضينا من الجذور وغاب عن الذين ينادون بهذا الاتجاه أن المحاكاة ليست فكراً وأن التقليد جمود إذا كان الأمر كذلك فمن العبث أن نتمسك بتلك الدعوى ومن العبث أن يظل الفكر العربى سائرا خلف الفكر الغربى ومن كان سائرا فى الخلف دائما يضل الطريق عند مفترق الطرق وما أكثر المفترقات والذين يحاولون الدعوة إلى السير فى



أنه يلغى القول بالمبدأ المقرر وهو الفروق الثقافية بين الشعوب فإن الأخذ به يعنى أن على الإنسان العربى أن يقع من حيث يعلم أو لا يعلم فى نفس الأمراض التى اغتالت الإنسان الأوروبى وهى أمراض القلق والتوتر وكان معنى نسخنا للحضارة أى نقلها بخللها الذى وقعت فيه وذلك من جراء معاداتها للدين. لذلك ننادى « بمبدأ الاستفادة » الذى يعيننا كثيرا على فرز المفيد من غيره وعزله عن الأمراض الحضارية الخبيثة ويحافظ على بيئتها الثقافية والدينية ويكسبنا وسائل العصر الحضارى ويرفعنا من ورطة التقليد والمحاكاة التى تجعل حالنا كشأن القردة تجيد سلوك المحاكاة والتقليد فإن وقف حالنا إلى هذا الحد غدونا ألاعيب دمي تشير الضحك فى نفس المقلد الذى يأجرنا جزاء على تقليدنا إياه بما يحمله من سقط المتاع .

ولا شك أن معاداة الدين فى ظل الحضارة الغربية أوقعت الإنسان العربى فى حرج بين نفسه ودينه وحضارته وكانت السبب المباشر فى محنة الإنسان المعاصر . . لماذا؟ لأن التدين يعنى عند الإنسان أن وجوده يصبح له معنى أمام ما يحيط به من أسئلة قد تحطمه إذا لم يجد لها فى نفسه معنى . وكان ذلك سر قلقه وتمرده من هذه الأسئلة . ما معنى الوجود؟ وما هو وجودى؟ وماهى علاقة « الذات » أى « وجودى » بالموضوع « أى » « الوجود »؟

مثل هذه الأسئلة قد لايجاب عنها إجابة مطمئنة تطمئن إليها الذات عند فقدان الدين . . وهى وجدانية يعيشها الإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن زمانه ومكانه أو انتماؤه فهى انسانية منذ بدأ الوعى الإنسانى يفكر فى

أنه ليس هناك طبقة دينية لها من التحكم فى الإنسان ومصيره مثلما كان للطبقة الدينية فى أوروبا بل وليس فى الدين الإسلامى مايسمح بذلك أى أن النظام الإسلامى لايشعرها وليس فى تاريخ الاجتهاد من تأول النصوص ليقيمها . لذلك لايجوز أن تقاس بلادنا بمفاهيم أوروبية فليست بنية المجتمع العربى الإسلامى كبنية المجتمعات الأوروبية وليست بنية الدين الإسلامى كبنية المسيحية وليست أحوال تاريخنا مع الإسلام كأحوال تاريخ الغرب مع الكنيسة . ومن جانب آخر: لا يخفى على أى مراقب للحضارة الغربية أن الخلل الذى وقع فى بداية النهضة الحضارية بين الدين والحضارة ظهرت عوارضه المرضية على الإنسان المعاصر معنى ذلك أن ثمة مشكلات من نوع خاص بدأ يعانىها الإنسان الغربى من بداية النصف الثانى للقرن العشرين . . فلو أخذنا بمبدأ نقل نسخة من الحضارة الغربية إلى الشعوب الأخرى التى تتطلع إلى ذلك التقدم تحت مبدأ يقول: بأن الحضارة إنسانية أى ملك الإنسان وليست تخص شعبا من الشعوب وأن نسبتها إلى الغرب عرض طارىء نقول بأن هذا صحيح . ولا نجادله إنما نناقش قضية « نقل نسخة الحضارة » ثم تفصيل قوام الشعوب على هذا « الموديل » فذلك ما نناقشه ونحرص على بيان مواقع الزلل فيه وذلك شئ يختلف كلية عن قضية إنسانية الحضارة، ولا يمنع القول بإنسانية الحضارة مناقشة قصة « النسخ الحضارى » لأن القول بإنسانية الحضارة يقرر القول بالفروق الثقافية بين الشعوب والمحافظة على هويتها وذاتيتها، أما القول بالنسخ الحضارى فضلا عن



نفسه وفي وجوده ومن علو شأن خطرها بنى عليها الفيلسوف العقلى فلسفته العقلية، وبنى عليها المتدين حياته الدينية من هنا كان الدين إنسانيا فى أعماق طبيعته ويمكن القول بأن الدين من حيث مفهومه التاريخى حالة من اهتمام الإنسان بوجوده الخاص وبالوجود العام فلعل هذا يفسر القول بأن الدين فطرة إنسانية فما من إنسان إلا وهو مهتم بالدين والدينونة له حتى الذين يشعرون بأنهم جد بعيدين عن الدين فإنهم أكثر الناس اهتماما بالقضية الوجودية: وجودهم العام ووجودهم الخاص ونلاحظ أن ثورة الإنسان الأوروبي على الكنيسة فى أوائل عصر النهضة بدأت حين شعر الإنسان بأن هذا الدين القائم بطوقسه أخفق فى التعبير عن اهتمامه العميق فى صورة غير كافية وغير مناسبة. وهذه التجربة النفسية التى مر بها الإنسان مع سيطرة الكنيسة هى التى جعلت المختصين أن يميزوا بين: معنى الدين الذى يعايشه الإنسان فى عمقه الوجدانى بعيدا عن التعبيرات الخاصة أو الطقوس الكنسية التى سادت وقتئذٍ والتى حرصت عليها الكنيسة، وبين كون رموزه كهنوتية ومؤسسات كنسية.

من هنا راح يرى مع زهو بالتقدم الحضارى المذهل وعدم تمييزه بين مفهوم الدين من حيث هو دين وبين المفهوم الكنيسى أن الدين لاجدوى منه والعودة إليه بائسة. ومع هذا الزهو بالتقدم الحضارى بدأ الإنسان ينفلت من نفسه فى وقت أصبحت الطبيعة تخضع له علميا وتقنيا وخايله ظنه أن طموح التعالى الروحى، الذى يهبه الدين، أنه خرافة وسوف يخبو كلما تقدم فى عالم الفضاء على متن الأقمار الصناعية

ومازال يصارع فى الطريق إليها ليتربع على متنها. ولقد تخيل من حيث سولت له نفسه أن أمانيه فى التعالى الروحى الآن تحققت مع عالم الأقمار الصناعية أنها تعكس الرؤى والمشاهدة على مستوى العالم وتحمله إلى أعلى حيث العلو الحقيقى كل ذلك جعل الإنسان يثق بنفسه وأنه على حق فى إحساسه وأنه قادر على معرفة هذا العالم وباستطاعته السير إلى الأمام وفى جميع الاتجاهات دون حد معين. وعلى كل فإن كل ما يخيله من طموح يشده إلى السير فى أبحاث الفضاء غير المحدود السفر إليه ليتغلب على طموح التعالى الدينى. لا شك أن الإنسان يجد النشوة التى لا حدود لها وهو يسير عبر الزمان والفضاء وهو يصنع أدواته التى تعينه على تخطى عقبات الصعود إلى الفضاء. وهو يقنع نفسه بأنه يتحرك إلى الأمام. من هنا بدأ الإنسان يبحث عن ذاته وعن مكانه فى هذا البعد الكونى أنه فى خضم حركى بين ما يجب عمله أو رؤيته أو قوله أو صنعه أنه يحول كل ما يواجهه إلى أداة الى آلة حتى أصبح هو ذاته أداة.. أنه يود أن يكون تلك الآلة الصاعدة أدراج الفضاء. لقد غاب عنه عمق ذاته ولا يمكن الوصول إليه دون أن يمنح نفسه لحظات تثبت فيها ذاته التى فقدتها منذ أن فقد الدين ذلك صوت الحق الأبدى وبجانب زهو الإنسان بتقدمه الحضارى، قويت حركة النقد العلمى التى وجهت إلى الدين إبان النهضة الحديثة ذلك الطاغوت المادى، وفى الحقيقة أن حركة النقد العلمى التى وجهت إلى نقد الدين كان سببها فى غالب الأمر نزوات عصبية اندفعت إلى الثورة



نفسه معنى السؤال الدينى بأكثر معقولة وأبعد عمقا ليسمو بذاته .

من هنا بدأ يبحث الإنسان عن ذاته وعن عمقه الدينى الذى فقدته وبفقدته فقد معنى الحياة لا ليجد إجابة لمعنى وجوده وإنما ليجد جوابا أمينا وليس معنى الرجوع إلى الدين رجوعا إلى تقاليد قديمة وعودة إلى أساليب بناء قديم لا يتناسب وهذا العصر وتوصم عودته إلى الدين بأنها هروب من حداثة العصر ليس الأمر كذلك . لذلك قلنا فى بداية البحث : إن التاريخ الثقافى تاريخ تجربة إنسانية ذات ماض متجدد دائم الحضور، والدين وهو توجيه إلهى ثبتت فعاليتها فى حياة الإنسان الوجدانية فهو ذلك الماضى المتجدد . فإن ما نحتاج إليه هو ذلك الإدراك الصحيح لوعينا .

لقد عزلت شيئية الحضارة الإنسان عن نفسه وعن القيمة الحقيقة لمعنى الوجود وكون الإنسان بدأ يعانى عزلته عن المصدر النهائى لمعنى الوجود فإن إدراكه لذلك ليدل على أنه ليس مفرداً معزولاً عن خالقه بل متحد مع معنى الوجود الإلهى لذلك هو يقاسى البعد عنه .

من هنا إذا تمكنا من إحياء المفاهيم الإسلامية كانت قوة خلاقة فى ثقافتنا وإذا ما قدرنا على ذلك استطعنا أن نفتح بابا جديدا للحوار الحضارى بين ماضينا ومعاصرتنا وفهما جديداً لأساليب الماضى لنجعله أكثر ملاءمة لوضعنا الحالى بدلا من أن نقدم أجوبة خادعة أو غير مكتملة النضج . . من هنا نكون أكدنا على أهم العوامل الخلاقة فى الثقافة وأبرزنا عاملاً شافيا للكثيرين ممن يعيشون فى عزلة وقلق ويأس .

العلمية - كرد فعل - لحركة مقاومة العلم التى قامت بها الكنيسة . ومن سوء فهم كامل لمعنى الدين وعدم الفهم السليم للنقد العلمى حين أعطى رجل العلم نفسه الحق فى مهاجمة الدين هذا اذا استثنينا موقف رجال الدين أنفسهم حين دافعوا عن مظاهرهم الكنسية التى اكتسبوها من فساد الوضع الاجتماعى فى العصور الوسطى فهى ليست من الدين فى شىء واعتبرها رجاله أنها هى الدين نفسه . وبذلك عمل رجال الدين أنفسهم على تلطيخ سمعتهم حين جندوا الدين للدفاع عن مكتسباتهم الشخصية فأفقدوا الحياة الدينية قوتها ومعناها وأصبح الدين فريسة سهلة للهجوم العلمى الذى أدى بدوره إلى شيوع الحياة اللادينية .

وحينما يحرم الإنسان من الدين يحرم من ذاته ويصبح عندئذ جزءا من المستوى الأدنى أى مستوى عالم الأشياء أى شيئا من مجموعة الأشياء أى سلعة مستهلكة فى عملية الإنتاج . . وهكذا أصبح الإنسان بإرادته أداة من الأدوات التى يتحكم فيها منهجه المادى دون أن يكون له حرية التصرف أو له حسن تقدير المسؤولية الذاتية فى ذلك تمكن منهجه المادى وولعه به أن يحول ذاته إلى مادة قابلة تصنعها الآلة من عملية الإنتاج والاستهلاك . ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يجتث من ذاته : إنسانيته، أخذ يقاوم جيروت هذه الآلة لقد أصبح واعيا بهذا الفراغ الداخلى واشتد وعيه بفراغه الداخلى وأصبح يعانى حين داخله الإحساس بالشيئية أى أنه شىء من أشياء الحضارة ومستهلكاتها . هذه المشاعر أثارت فى



للأمة مصدر السلطان

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

يحرص الإسلام على إقامة دولته القوية التي يسودها العدل والأمن والأمان والاستقرار والاطمئنان، والمساواة في الحقوق والواجبات بين أفرادها لا فرق بين الحاكم والمحكومين، ولا يتحقق ذلك إلا إذا توفر لكل فرد فيها حق الحرية السياسية، وحق التعبير عن رأيه في كل أنظمة الحياة السياسية للدولة، وذلك في نطاق الآداب والأخلاق التي تحترم رأي ومشاعر الآخرين دون طعن أو تجريح إذا كانت مخالفة لرأيه، وفي الوقت نفسه احترام رأي الأغلبية والامتثال له ولو كان مخالفاً لرأيه.

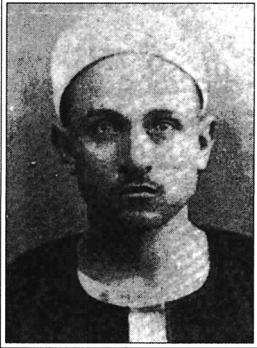
ولهذا حرص الإسلام على أن يجعل حق الأمة في حريتها السياسية حقاً طبيعياً لها، تستمده من كونها مصدر السلطات في الحكم.

ويرى أستاذنا المرحوم فضيلة الشيخ / عبد المتعال الصعيدي في كتابه « حرية الفكر في الإسلام » أنه على هذا الأساس قام الحكم في عهد النبي ﷺ، وقام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين.

وأن النبي ﷺ أثناء فترة تأسيس الدولة الإسلامية في مراحل نشأتها الأولى بعد الهجرة إلى المدينة كان يتلقى الوحي الذي يحدد معالم نظام الدولة، ويضع الأسس العامة لقيامها، ويرسم العلاقة بين الأمة والحاكم، فكانت فترة عهده ﷺ

ومعنى ذلك أن الأمة هي مصدر السلطات، فهي التي تختار الحاكم الذي تريده حاكماً عليها، وتختار الشكل العام لنظام الحكم التي تعيش في كنفه، ولكل فرد من أفرادها الحق في هذا الاختيار المطلق.

ومتى كانت الأمة هي مصدر السلطات فإن حاكمها يكون تحت سلطانها، فتكون لها حريتها السياسية بأكمل معانيها، وهذا هو حقها الذي أعطاه الإسلام لها، لم تأخذه منحة من حاكم من حكامها، لأنه لو كان منحة من حاكم لم يكن حقاً صحيحاً لها، لأن من له حق المنحة له حق استردادها، فتكون حريتها مهددة بحق الحاكم في استردادها منها متى أراد.



الشيخ/ عبدالمتعال الصعيدي
نادى بحق الامة فى الحرية
السياسية

بنا غداً، إنا لصبر
عند الحرب، صدق
عند اللقاء، ولعل الله
يريك منا ما تقر به
عينك، فسر على
بركة الله.

فأشرق وجهه ﷺ
وسر بذلك سروراً
عظيماً لأنه حصل
على موافقة كبار
المهاجرين والأنصار

ماكان يريده من اختيار ذات الشوكة من
الطائفتين لينال به نصراً حاسماً على قريش، أما
المال الذى كان مع العير فإنه لايهمه بشيء لأنه لم
يكن يقاتل من أجل المال، وإنما كان يقاتل دفاعاً
عن الدعوة التى يقوم بها.

ثم نزل ﷺ على رأيهم فى هذه الغزوة أيضاً
حين سار بجيشه حتى نزل أدنى ماء من بدر،
فقال له الحباب بن المنذر - وكان مشهوراً بجودة
الرأى -: يارسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس
لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر؟ أم هو الرأى والحرب
والمكيدة.

فقال له: «بل هو الرأى والحرب والمكيدة».

فقال الحباب: يارسول الله، ليس لك هذا
بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من
القوم، فإننى أعرف غزارة مائه وكثرتة، فتنزله
وتغور ماعده من الآبار، ثم تبني عليه حوضاً
فتملؤه ماء فتشرب ولايشربون.

فيها التزام بما ينزل به الوحي من أوامر وتكليفات.
ومع هذا كان ﷺ يشرك الأمة فى بعض أمور
الحكم التى لا يكون فيها وحي، والأمثلة كثير فى
ذلك.

فقد استشار الصحابة فى غزوة بدر، إذ جمع
كبراء جيشه وقال لهم: «أيها الناس، إن الله قد
وعدنى إحدى الطائفتين أنها لكم: العير أو
النفير» وكانت العير قادمة مع أبى سفيان
بتجارتها فى الشام، وكانت النفير قد خرجت من
مكة لتمنع المسلمين من هذه العير، فاستشار
النبي ﷺ كبراء جيشه فيمن يقصده بالقتال من
الطائفتين - وكان قد تبين له أن بعضهم يريدون
غير ذات الشوكة من الطائفتين وهى العير
ليستعينوا بما فيها من الأموال.

فقام المقداد بن الأسود - رضى الله عنه - فقال
له: يارسول الله، أمض لما أمرك الله، فوالله لآنقول
لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (١)

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما
مقاتلون، والله لو سرت بنا إلى برك الغمام
«موضع جنوب المدينة الغربى» لجالدنا معك من
دونه حتى تبلغه. فدعا له النبي ﷺ بخير.

ثم قام سعد بن معاذ، سيد الأوس من الأنصار
فقال للرسول: فقد آمنا بك وصدقناك، وأعطيناك
عهودنا فامض لما أمرك الله، فوالذى بعثك بالحق
لو استعرضت بنا هذا البحر «البحر الأحمر»
فخضته لنخوضه معك، وما نكره أن تلقى العدو



ولما علم أبوبكر - رضى الله عنه - باجتماعهم فى سقيفة بنى ساعدة ذهب إليهم فى نفر يعد على الأصابع من المهاجرين، ودار النقاش بين الفريقين فيمن يولونه على المسلمين فى حرية تامة، وإخلاص تام حتى اتفق الفريقان على تولية أبى بكر، فتمت توليته باختيارهم له، وعلى ذلك الأساس الذى تكون فيه الأمة مصدر السلطات كلها.

وقد اعترف سيدنا أبوبكر - رضى الله عنه - بهذا الحق لهم فى أول خطبة له عقب توليه الحكم وأعلن أن حكمه سيكون بتوجيههم له فقال: «أيها الناس، إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى، القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له».

وليس أصرح من هذا الاعتراف فى خطبته بأن الأمة مصدر السلطات، لأنه اعترف بأن توليه الحكم كان منحة منها له، وبأنه لم يستحقه لفضل له على أفرادها، لأنه قد يكون فيهم من هو خير منه.. ولهذا طلب منهم أبوبكر مشاركتهم له فى حالتى إحسانه وإساءته فى الحكم، لأنه يجتهد فيه برأيه فيصيب ويخطئ مثل كل مجتهد، ومشاركتهم فى حالة الإحسان فى الحكم بإعانتهم له، ومشاركتهم فى حالة الإساءة فى الحكم بتقويمهم له، فإذا لم يخضع لتقويمهم فلمهم حق عزله، كما لهم حق توليته، لهذا تكون الأمة مصدر السلطات أولاً وأخيراً فى الحكم.

فقال له: «أشرت بالرأى». ونهض حتى نزل أدنى ماء من القوم، ثم أمر بالآبار التى خلفهم فغورت، ليقطع أمل المشركين فى الشرب من وراء المسلمين، وكان بعد هذا له ما كان من ذلك النصر العظيم.

وكتب السيرة مليئة بهذه الاستشارات النبوية - فى الأمور التى لم يكن للوحى فيها نص - منها ما كان فى أسرى بدر، ومنها ما كان فى غزوة أحد، ومنها ما كان فى غزوة الأحزاب، وغير ذلك كثير.

وفى هذه الأمثلة مايكفى لبيان ما كان يتمتع به المسلمون فى عهد النبوة من الحرية السياسية، ولبيان ما كان لهم من المشاركة فى أمورهم التى لا شأن لها بالوحى، ولأن هذا الوحى سينقطع بعد عهد النبوة، فلا بد أن يعطوا شيئاً من السلطة فى بعض أمورهم، ويترك للوحى ماعداه من الأمور، حتى إذا انقضى عهد الوحى كانت السلطات كلها فى أيديهم قياساً على ما أعطاهم الوحى من السلطة فى بعض أمورهم.

وقد عرف جمهور المسلمين هذا الحق لأنفسهم بعد وفاة النبى ﷺ، بل بادروا إلى استعماله وبعض أصحابه مشغول بتكفينه وتجهيزه للدفن، حرصاً منهم على هذا الحق أن يسلب منهم، لتقوم كسروية أو قيصرية فيهم.

فاجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة لينظروا فيمن يتولى أمر المسلمين منهم، وقد ظنوا أنهم أصحاب الدار، وأن المهاجرين طارئون فيما عليهم، فهم أحق بأمر الحكم فى المسلمين منهم، وقد فاتهم أن الإسلام لا يعرف حدود الدار، ولا يعرف حدود القومية، وإنما هى المصلحة العامة للمسلمين جميعاً.

مواقف إسلامية

مسئولية الزوجة عن استقرار البيت

للككتور / محمود محمد عمارة

إذا بذلت الزهراء.. وأسماء- رضى الله عنهما- إذا بذلتا من ذاتهما حين نهضت كلتاهما بأعباء البيت على ما فيها من تضحية وعناء.. إسهاما منهما في تحمل مسؤولية المعيشة.. وفاء لرب البيت وانتماء.. إذا حدث ذلك فقد كانت «زينب الثقفية» واحدة من سيدات سائنات مجاهدات.. حين كانت تعمل.. يديها.. ثم تتفق من مالها راضية على زوجها.. فكان لها في حسن التبعل يد صناع.. وباع طويل.. وذلك ما نفهمه من هذا الموقف الفريد:

روى البخارى بسنده^(١) عن زينب قالت :

كنت فى المسجد . فرأيت النبى ﷺ . فقال :
تصدقن . ولو من حليكن .

وكانت زينب تنفق على عبد الله . وأيتام فى حجرها .

فقال لعبد الله :

سل رسول الله ﷺ : أيجزى عني أن أنفق عليك . وعلى أيتامى فى حجرى من الصدقة؟ فقال :

سلى أنت رسول الله ﷺ .

فانطلقت إلى النبى ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب : حاجتها مثل حاجتى فمر علينا بلال . فقلنا : سل النبى ﷺ : أيجزى عني أن أنفق على زوجى وأيتام فى حجرى . وقلنا : لا تخبر بنا .

فدخل ، فسأله . فقال : من هما ؟

قال : زينب .. قال : أى الزينب ؟ قال : امرأة

(١) فتح البارى - ج ٣ / كتاب الزكاة / ٣٢٨.



عبدالله . قال : نعم . ولها أجران : أجر القرابة .
وأجر الصدقة .

تهيه

يقولون :

عندما ينفق الصديقان من كيس واحد ..
تكون النتيجة : أن أحدهما يضحك .. بينما
الآخر يبكي !

وهكذا تكون عقبى التعامل بين طلاب الدنيا :
فالدافع يبكي .. بينما يضحك المنتفع .. أو
النفعى !

ولكن المؤمنين .. فى تعاملهم محكومون بقيم
الإيمان .. حين يتصرفون خارج الزمن الردى ..
بقانون : الإيثار .. الإيثار .. الذى يصل إلى الحد
الذى يشكر فيه المعطى من أخذ منه .. فكأنما كان
بالأخذ متفضلا عليه .

فإذا كان المعطى زوجة .. هى « زينب »
الثقفيه .. وإذا كان الآخذ هو زوجها .. عبدالله
ابن مسعود . فإنها تتخذ من العطاء سبيلا إلى
إرضاء زوجها .. وكسب مودته . إنها لا تتخذ من
العطاء سبيلا إلى لى الذراع .. أو فرض نفسها قوة
تحت سقف البيت .. بما أنفقت من مالها .. وبما
بذلت من عرق جبينها .. وإنما هى تعطى :
زوجها .. رجلها .. والد ذريتها .. تعطى الذى
طالما أعطاها من نفسه .. وماله .. وطاقته فإذا
عجزت يده يوما عن الإمساك بالمجداف .. نابت
عنه هى فى قيادة السفن .. بلا من وبلا أذى .

إنها تلك الزوجة الأدبية الأريية . التى أرادت
أن تجامل زوجها بهدية .. فكان أجمل من الهدية
محاولتها التخفيف من مشاعر الإحراج .. حين

كتبت على الهدية :

إلى الرجل الذى هو .. كل شئ .. بعدما كان
الرجل .. الذى يملك كل شئ !!
ولنبداً القصة من أولها :

كانت « زينب » - رضى الله عنها - امرأة
صناع اليدين .. كانت تعمل .. لا بيدها .. وإنما
كما تقول رواية أخرى « تعمل بيديها » أى أنها
تعانى لا من أجل حياتها هى .. وإنما تدخل فى
حسابها : الأسرة كلها : الزوج .. وأيتام له ..

الزوجة .. الإنسان

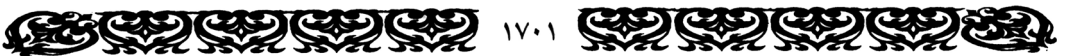
وقد أحست الزوجة الإنسان .. بما يعاينيه
زوجها من شظف العيش فتحركت فى نفسها
الرغبة فى أن تنوب عنه فى الإنفاق على البيت ..
شريطة ألا يصطدم ذلك بقاعدة شرعية مقررة .
ولا بأس أن تساعد الزوجة رفيقها .. وإذا جفت
ينابيع الحقل يوما .. وأوشكت أعواده أن تصفر ..
فإن قلب الزوجة الوفية يكون عندئذ ذلك النبع
الرائق .. الذى يمد البيت بماء الحياة .. وتلك سنة
الحياة ..

لقد كان الوالد سيد البيت .. فلما وهن العظم
منه واشتعل الرأس شيبا .. كان من الطبيعى أن
يتقدم الجيل الجديد ليمسك بالمجداف .. على حد
قول الشاعر :

كفانى الذى كنت أسمى له

فصار أباً .. وصرت الوليد !

وهاهى ذى زينب - رضى الله عنها - تهيه
لتحمل مسئولية نفقة البيت .. مستعلية على
ضغوط نفسية قد تحول بينها وبين اتخاذ قرارها ..





ولكنها كانت كما قيل بحق :
وواحد كالألف إن أمرنا !

احترام مشاعر الزوج

كانت الزوجة هنا تدرك عروبة زوجها ..
وإسلامه قبل ذلك . وإذن فليس من السهل أن
يخضع لقرارها .. وإن جاوز الحزام الطبيين .. فهو
من هذا الصنف الذى عناه الشاعر :

وأعرض عن ذى المال حتى يقال لى
قد أحدث نخوة وتعظما
وما بى كبر عن صديق ولا أخ
ولكنه فعلى إذا كنت معدما
ويعنى ذلك :

أن له رافدين يمدانه بالعزة : عروبه .. وإسلامه
ولكن الواقع الاليم يفرض نفسه .. ولابد من
مواجهته بلا حساسية ..

وقد كانت لها صاحبة على نفس الطريق : « خوله
بنت مالك » : لقد ظاهر منها وزوجها .. فاستوعبت
المشكلة بآثارها النفسية والاجتماعية .. مشكلة
الأولاد الذين سوف يجوعون أو يضيعون ..
وكان زوجها الذى ظاهر منها ابن عمها ..
فساعدته فى تدبير كفارة الظهار !!

بيوت زمان

كانت البيوت زمان تقل من الكلام .. ثم تبالغ
فى العمل ..

معصومة من الزلل فى جو يظلمه الوفاء ..
مدفوعة بالإخلاص .. وبما تقرر فى العقول من

[إن الناس يعملون الخير . وإنما يعطون أجورهم
يوم القيامة على قدر عقولهم] .

إن البيوت معادن : فنجاره

ذهب .. وكل جدوده ضخم^(٢)

متهلل « بنعم » للاءٍ بجانب

سيان منه الوفور والعُدم

نزر الكلام .. من الحياء تخاله

ضمنا .. وليس بجسمه سقم

عقم النساء فلا يلدن شبيهه

إن النساء بمثله عقم

ومن مثل هذا البيت العريق خرجت « زينب »

الثقفية – رضى الله عنها – ولم يكن أجمل منها
فى أريحيته .. إلا ابن مسعود فى عزته :

إذا أعسرت لم يعلم رفيقى

وأستغنى .. فيستغنى صديقى

حيائى حافظ لى ماء وجهى

ورفقى فى مكالمتى رفيقى

ولو أنى سمحت ببذل وجهى

لكنت إلى الغنى سهل الطريق

بالحوار .. لا بالشجار

كان الموقف مشكلة عائلية تريد حلا : فالزوج
هنا عزيز أبى ومن الصعب أن يعدل عن
مقتضيات العزة التى هى دينه .. وحياته :

خلقنا لا أرضى طريقهما :

بطر الغنى .. ومذلة الفقر

(٢) أصله طيب . والأخوال والأعمام كذلك .





وإذا غَنيت .. فلا تكن بطرا

وإذا افتقرت .. فته على الدهر !

أما هي فقد كان إيمانها بالفكرة قويا : لقد أمر الرسول ﷺ النساء بالذات .. أن يتصدقن .. ولو من حليهن .. وقد اقتحمت المرأة العقبة فاستغنت عن مالها .. لا بل عن زينتها . وفاء لزوجها .. وقبل ذلك استجابة لأمر الرسول .. وكان لا بد أن يبدأ الحوار الهادف سبيلا إلى الاتفاق على رأى تستقر به أوضاع البيت ..

وقد عرضت على زوجها أن يذهب هو إلى رسول الله ﷺ ليسأله عن حكم نفقتها عليه .. وعلى عياله .. ولكن الرجل اعتذر .. مقترحا أن تذهب وتسال هي رسول الله ﷺ .

وانتهى الحوار الخاطف بتحملها مسئولية سؤال الرسول ﷺ .

لقد كانت نبرة الزوج هنا هادئة .. لكن صوت برهانه كان أعلى .. إن الموقف فى حس العربى الأبى صعب .. فهو الرجل القوام على زوجته .. وتوشك هذه القوام أن تهتز قواعدها بهذا الوضع المقلوب ! ثم إنه لا يريد أن يجمع إلى مرارة « الإشفاق عليه » مرارة عرضه قضية هو موضوعها ..

إنه « عبدالله بن مسعود » :

عميد القراء .. وشيخ فقهاء الإسلام .. فكيف تطاوعه نفسه أن يقف هذا الموقف الصعب !؟

الزوجة المطيعة

وتدرك الزوجة كل هذه المعانى .. فلا تمارى .. وفى رواية [أن ابن مسعود زعم أنه وولده أحق] ومع ثقتها المطلقة بزوجها .. إلا أنها أبت أن تتخذ قرارها إلا بإذن من الرسول ﷺ . والذى

حرضها على هذا الإنفاق الذى تحقق به أمرين : أجر الصدقة .. وأجر صلة الرحم .

ويلاحظ أنها لم تذهب متناقلة الخطى .. بما يفهم منه أنها مرغمة لا مطمئنة .. وإنما كما تقول الرواية : [فانطلقت] .

لقد انطلقت .. فيما يشبه الاندفاع الذى يعكس رغبتها الملحة فى تحقيق الفكرة .. على أن يظل الزوج كما يحب .. بعيدا عن مواطن الإحراج .. ليظل سيد البيت مع نفقتها عليه !

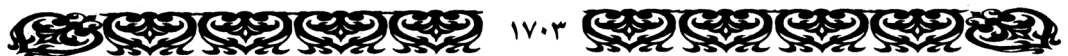
النظافة .. قبل الثقافة !

كتب الكاتبون عن مواصفات الزوجة سلبا وإيجابا .. فقالوا :

[الزوجة الجاهلة : لا تفهم عنك ، والمتعلمة أكثر منك : لا تفهم عنها ، والمساوية لك فى الثقافة : أن تزيد عنها برجولتك ، وهى تزيد عنك بغرورها ، والرجولة تستوجب التحكم .. والغرور يستلزم التمرد ، وبين التحكم والتمرد يولد شقاء الأسرة فمن الخير أن تكون أكثر ثقافة من زوجتك .. لتفتأ حدة الغرور بسلطان العلم]

ونقول نحن - ومن خلال هذا الموقف - إن من الخير أن نكون أكثر نظافة .. ولا تكفى كثرة الثقافة ..

ونعنى : نظافة القلب .. ونظافة الضمير .. ولقد أوتيت بيوت كثيرة من كثرة الثقافة التى جعلت المنزل قاعة للحوار الفلسفى . والذى جعل منه ساحة للمراء الذى ينتهى بتدميره لا بتعميره . أما إذا عمرت القلوب بالإخلاص .. وقامت علاقاتها على أساس التعاون .. فقد تمت كلمة ربك





ولقد تخلت « زينب » -رضى الله عنها- عن
البخور والعطور .. وخلعت المعطف الفضفاض ..
ثم جلست فى بيتها .. عاملة .. تفيض أناملها
بالرخاء .. حتى إذا تعرضت الأسرة لمشكلة
اقتصادية كانت هى خط الدفاع الأخير .. ولم
تكن هى المشكلة التى يؤتى البيت من قبلها ..
كما قد يحدث اليوم .

الزوجة العاقلة

وإذا كانت شيم الرجال تظهر بالولاية .. فإن
العقل يظهر بالعاملة .. وبهذا المقياس : كانت
الثقافية عاقلة النساء .. التى تقى مالها
بسلطانها .. ونفسها بمالها .. ودينها بنفسها .
ومن دلائل عقلها :

أنها عرفت كيف تحقق رغبتها دون مساس
بكرامة زوجها .
وقد قيل :

إياك أن تزدرى الرجال .. فما
يدريك .. ماذا يكنه الصدف
نفس الجواد العتيق بأقية
يوما .. وإن مس جسمه العجف
والحر حر وإن ألم به الضر ..
وفيه العفاف والأنف

تكييف القضية

وقد تتقبل النفس الإنفاق على صاحب ..
من حيث كانت سعاداته راجعة إلى صاحبه ..
لكن الإنفاق على أبنائه من أخرى .. فذلك مما
لا يساعد الطبع عليه ..

صدقا وعدلا .. وإذا كانوا يقولون : إن المرأة قد
تغضب .. وقد تذهب إلى بيت أهلها .. لكنها لا
تطبق أن تطبق شفيتها .. فقد كانت زوجة ابن مسعود
-رضى الله عنهما- تلك المرأة التى تعمل فى
صمت .. والتى كان صوت عملها أبلغ من صوت
لسانها .. فكانت مثالا للزوجة : العاملة .. العاقلة :
أما أنها عاملة ..

فـ تلك آثارنا تدل علينا

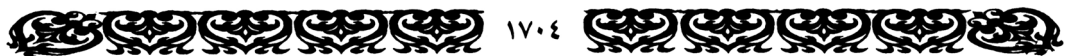
فأنظروا بعدنا إلى الآثار

لقد كانت تلك التى عناها الشاعر « طاغور »
بقوله :
[يجب عليك أن تتوقف عن إنشاد أناشيدك .
وتلاوة تراتيلك .

من الذى تعيده فى هذ الزاوية المظلمة ؟
هذه الزاوية المعزولة .. المنفردة ..
فى معبد أبوابه كلها مغلقة ؟
عليك أن تفتح عينيك .. وتنظر .
إن إلهك ليس هنا .. إنه هناك .
حيث الفلاح .. يحرق الأرض القاسية .
وحين يشقى عامل فى كسر الحجارة .
إنه معهم : فى الشمس الساطعة .. وفى
الأمطار الهاطلة ..
فلتنزع معطفك القدسي .

ولتترك تأملاتك .. ولتتخل عن البخور
والزهور

أى سوء سوف يصيبك .. لو تمزقت ثيابك أو
تلطخت ؟ فلتذهب إلى هناك : حيث العمل
وحيث عرق الجبين] .





التوفيق بينها بين زوجها .. ثم التوفيق بينها ..
وبين أهله وأهلها ..

وما يترتب على ذلك من ذرية ينشأون على ما
عودهم آبائهم وأمهاتهم من خلال الخير ..
ثم بما رفعت رأس زوجها الذى لم تلجئه
إلى سؤال الغير .. وما وفرت من أعصاب كان
يمكن أن تحترق فى معارك جانبية .. حين
تقدمت بالحل العملى للمشكلة ولو على
حساب أعصابها، منطلقة من القاعدة التى
تقول :

نغير ما هو كائن .. حتى نصل إلى ما ينبغى أن
يكون ..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا قَوْمٌ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٣)

إن ما مضى .. لم يبق منه شئ .. وما بقى .. لا
تدرى هل تبلغه ! فاشغل نفسك بالحاضر ! قبل أن
تذهب نفسك حسرات .

بعض الزوجات

وقد كانت « زينب » - رضى الله - حجة
أقامها الله - تعالى - على زوجات مشاكسات ..
ومنهن تلك الزوجة التى تحاول افتراس زوجها
كالذئب .. أو تمكربه كالثعلب .. والتى قالت
لزوجها يوما محزنة له على أهله :
أقرباؤك لا يأتوننا إلا وقت الرخاء .. ثم لا
يزوروننا وقت الشدة .. فرد عليها مؤكدا مسئولية
الزوج عن أمن الأسرة .
انهم قوم كرام : لأنهم لا يزوروننا إلا فى الوقت
الذى نستطيع فيه مجاملتهم !

وكثيرات من النساء يسقطن فى هذا الامتحان ..
حين تتأبى الزوجة عن بذل ما يعود بالنفع على أبناء
ضرتها .. وإن كان ذلك مراغمة لزوجها !

وذلك من سوء تصرفها حين لم تحسن تصور
القضية كما تصورتها « زينب » - رضى الله
عنها - والتى لم تتصور الأيتام على أنهم أبناء
ضرتها .. وإنما تخيلتهم إخوة أولادها .. وأبناء
زوجها الذى يحب من أحسن إليهم . إنهم جميعا
يحملون نفس الاسم .. اسم الوالد الواحد ..
وتجرى فى عروقهم دماء واحدة .

حتى لا يستنوق الجمل

وإذا كانت هناك من الزوجات من تريد بالمال
أن تمتلك زوجها .. لتستقل هى بإدارة البيت ..
فإن « زينب » - رضى الله عنها - لا تفعل ذلك :
إنها تشهده ﷺ .. والذى أقر أن ما يأخذه
الزوج هنا هو حقه المعلوم .. الذى لم يجعله تحت
رحمة أحد ! وأما هى فقد عادت بنصيب الأسد :
بأجر الصدقة .. وأجر الصلة .

وتظل « زينب » - رضى الله عنها - مثلا أعلى
للزوجة الصالحة .. والتى تعرف كيف تصون
كرامة زوجها بين الرجال فى المجتمع .. وتحت
سقف البيت أمام الصغار ..

لقد خصمت من « راتبها » ما تسد به حاجة
زوجها .. فلم تكن الزوجة الجميلة المشاكسة
كالزهرة بلا رائحة .. وإنما كانت تلك الزوجة
« الكاملة » الكاملة بفضيلتها التى حققت بها
أعظم النجاح وهو :





وما أحوج البيوت اليوم إلى قيمة الشورى ..
التي نحل بها أعقد المشكلات .. لو أردنا ..
ولقد كان لهذه القيمة فى حياة أمتنا قيمة ..
جعلت منها مرفأ النجاة .. لمن أراد النجاة
قال حكيم :
إذا استخار العبد ربه .. واستشار صديقه ..
واجتهد رأيه . فقد قضى ما عليه .. ويقضى الله
فى أمره ما أحب
وقيل :
عليك بالمشورة :
فإنها تأمر بالتي هى أحسن .. وتهدى للتي
هى أقوم .

ولذا قالوا :

لا تستبد بتدبيرك . ولا تستخف بأمرك
فمن استبد بتدبيره .. زل
ومن استخف بأمره .. ذل
لا تدخل فى مشورتك بخيلا فى عطاء ..
فيقصر بك .

ولا جبانا فى حرب .. فيخوفك
ولا حريصا فى بذل .. فيصدك
فان البخل والجبن والحرص طبيعة واحدة
يجمعها سوء الظن بالله - تعالى - .

قال الشاعر :

خصائص من تشاوره ثلاث
فخذ منها جميعا بالوثيقة .
وداد خالص ووفور عقل
ومعرفة بحالك فى الحقيقة
فمن حصلت له هذى المعانى
فتابع رأيه والزم طريقه

وفى الوقت الذى تصبح الزوجة فيه مصدرا
للمتاعب التى تصنعها .. ثم تشكو منها ..
وفى الوقت الذى يعود فيه الزوج محملا
بهموم العيش الثقلا .. مضافة إلى هموم البيت ..
يعود عبدالله بن مسعود -رضى الله عنه- ليجد
البيت جنة ظليلة .. وتظل صورة هذا البيت
السعيد ماثلة فى خيال كل زوج سدت فى وجهه
السبل لتقول له : عد إلى زوجتك الوفية المؤمنة
فبين الطرق المتشعبة طريق واحد . هو الباقي
الذى يصل بك إلى السعادة . إنه الطريق إلى
بيتك . ففيه زوجتك . ففيه .. جنتك . تسليك
.. أو تنجيك .. أو تتوجع !

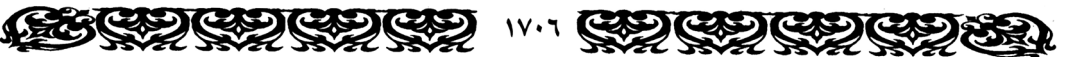
من الآثار الاجتماعية

كانت لزينب - رضى الله عنها - صاحبات
على ذات الطريق .. وقفن إلى جانب أزواجهن
ساعة العسرة .. مؤكدات بهذا الموقف مسئولية
الزوجة المباشرة عن سعادة الأسرة كلها .. معلنات
فى نفس الوقت :

١- أن للمرأة ذمتها المالية المستقلة .. والتى
تمنحها حق التبرع بمالها بدون إذن زوجها .
٢- وجواز التحدث مع النساء .. متى كانت
الفتنة مأمونة .

٣- ازدهار قيمة الحياء وقت أن كانت الحياة
حياة ! يوم أن كان الإيمان صاحبا فى القلوب ..
ويوم كانت الهيبة سمة الرجال .. فكان من هذا
الحياء وتلك الهيبة مزيج كان هو إكسیر الحياة .

٤- وتبرز قيمة الشورى التى يتهاذى فيها
الزوجان الآراء .. ويتبادلان الأفكار .. بعيدا عن
الشجار وما يخلفه من بوار ..



رمضان في بلاد الأمريكان

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

قيل لأحد الصالحين: بم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم، والذي أفهمه من هذه العبارة - فوق أن العارفين يرون الله - تعالى - في كل شيء، ويتعرفون عليه مع كل نفس من أنفاسهم - أن الإنسان قد يتجه إلى شيء بهيمته كلها. وبلا مقدمات يتحول الاتجاه إلى شيء آخر وإلى وجهة قد تكون مختلفة تماماً ويكون التحول بنفس العزم والتصميم فمن الذي حول القلوب والههم؟ الله!! هكذا يقول العارفون.

فقد ترغم على شيء غير الذي كنت تتوهم. وعوامل التحويل بادية أمامك لكنك مرغم على تغيير الاتجاه. فليست هذه تلك. الذي نتحدث عنه أنك أنت بنفس الحماس. وبنفس الاندفاع. وبنفس القوة. تمشي وتسير وتجد في السير ونجس أنك راغب غير مكره!! أما الإكراه فتلك قضية أخرى خصوصاً إذا كانت أسبابه بادية ومؤثراته واضحة. فأنت لم تغير عزمك وإن تغير مسارك، فما زال خاطرك الأول يتراءى لك بادياً يلوح - فأنت والحالة هذه مكره غير راغب فيما صرت إليه، وما زالت تداعبك آمنيات الأمس، أما ما نحن بصدده فهو أن العزم نفسه قد تحول والهمة اتجهت إلى اتجاه آخر فسبحان مقلب القلوب.

ظاهرها ضد الفكرة وتحققها إلا أنني وجدت التيسير في كل خطوة يجتاز كل عقبة أو ظرف معوق. وكانت نهاية الرحلة في ولاية (واشنطن) وهي غير العاصمة (واشنطن) وفي بلدة (Spokane) اسبوكان استقر بنا المقام. وتتبع ولاية واشنطن هذه مدينة اسمها «سياتل» وتعتبر أكبر مدن الولاية وأجملها وهي المدينة التي انعقد فيها مؤتمر التجارة

لست ممن يألفون السفر في رمضان اللهم إلا لزيارة المصطفى ﷺ أو أداء عمرة أو زيارة الأهل وقد أكره على زيارة عمل قصيرة تفرضها ظروف خاصة. أما أن يكون رمضان كله خارج الوطن بعيداً عما اعتاد الإنسان وألف فذلك ما لم أدبر له أو حتى أفكر فيه. على أنني وجدت نفسي مندفعاً بلا تردد أسير في اتجاه السفر. رغم أن الظروف في



باستفهام أبله أو سؤال مرذول فج فحواه: ما دام الإسلام قد أباح التعدد للرجل فلماذا لا يبيحه للمرأة؟

ورغم أن مسألة تعدد الزوجات فى الإسلام فيها حجة القوية وأن معارضية لا يملكون غير اللجاجة والعناد حتى هؤلاء الذين يصورون المسألة على أنها ضرورة فى مجاملة سخيفة للغرب المسيحي. فإنه - أى التعدد - أفضل بكثير - فى عرف كل إنسان نبيل - من الحيوانية التى يمارسها الغرب فى حياته اليومية. والذين يزعمون أن مبدأ المساواة يقتضى أن يباح التعدد للمرأة كما يباح التعدد للرجل إن كان فى شريعة الإسلام إنصاف. أما أن يباح للرجل ويمنع عن المرأة فذلك هو التحيز والجور الذى ترفضه الحضارة الغربية!!

أقول لهم: أليس ذلك بلها فى التشريع وجمودا فى تطبيق مبادئ المساواة والعدالة؟ إن تلك المساواة الغبية وهذه العدالة الخرقاء يذكرانى بقصتين فى كتب المطالعة الأولية كنا درسناهما فى مراحل التعليم الأولى وهما وإن كانتا من حكايات الأطفال وأدب الأطفال إلا أنه يمكن أن يكون فى أدب الأطفال رادعا للحقد الصليبي الذى يرفض العدل والأنصاف والسمو ما دامت هذه القيم متدثرة بثوب الحياء الإسلامى ويقبل الظلم والتحيز بل والانحطاط الخلقي إن قدم له من أى مذهب أو عقيدة أو فلسفة شريطة أن تكون غير إسلامية!!

إن الغرب لا يمكن أن يفهم معنى الحياء

العالمى وأظن أن العالم الثالث نسى المدينة والمؤتمر لكننى أعتقد أن ما اتخذ فى هذا المؤتمر من قرارات سوف تجعل العالم الثالث يتذكرها جيدا.

وتقع مدينة سياتل فى شمال غرب الولايات المتحدة وتطل على المحيط الهادى كما أن مدينة نيويورك تطل على المحيط الأطلنطى. ويمكن - تجاوزا - أن نقول: إنها فى مواجهة الدار البيضاء بالمغرب العربى حيث وقف عقبة بن نافع على شاطئ المحيط وهو يقول كلمته المشهورة «لو أعلم أن خلفك من يوحد الله لسرت إليه». ومن المعروف أن مدينة اسبوكان مثل باقى مدن الشمال الأمريكى تغطى بالثلوج فى فصل الشتاء. وسوف أرجى الحديث عن رحلة السفر من القاهرة إلى اسبوكان والتنقل بين مطارات القاهرة ونيويورك وسياتل واسبوكان ورحلة طيران من القاهرة إلى نيويورك (١١) إحدى عشرة ساعة لكن لنقصد سويا إلى الحديث عن المسلمين هنا. هم مجموعة قليلة من جنسيات مختلفة. الباكستاني والأفغانى والعربى والبوسنى والأمريكى أيضا وبعض الطلبة العرب جاءوا فى مهمة دراسية قصيرة. بالليل وعقب صلاة التراويح تدور حوارات بعضها يواجه به المسلمون من الأمريكيين خصوصا من يريد منهم أن يدخل فى الإسلام وهى أسئلة تافهة لكن الإعلام الأمريكى والامنتشراق الغربى يلوكلها مصورا للنشء أنها معضلات فى الديانة والإسلامية. وأول ما يثيره مسألة تعدد الزوجات ثم يتبعه



حقا مسكين والد حسان!! أليس فى هذين المثليين تطابقا مع ما يزعمون أنهم يحرجون الإسلام به وأنهم أكثر عدلا لأنهم يطلبون المساواة فكما أن الرجل فى شريعة الإسلام يتزوج أربعاً فالمرأة كذلك ينبغى أن تتزوج أربعة؟!

قل لى بربك: أليس ذلك الصلف الغربى يشبه غباء حسان عندما ساوى بين البطة والنعجة ومثل ذلك القاضى الذى حكم بإيداع الطفل دار الأيتام؟ ونحن نسأل أصحاب الرأى: هل يوجد فى أى شريعة وأى دين أن تتزوج امرأة واحدة أربعة رجال؟ وهل وجد فى الشرائع السابقة سماوية أو أرضية؟ وهل يسمى ذلك زواجا وتسمى المرأة زوجة؟ وإذا كان هذا الوضع لم يوجد ولن يوجد هذا النظام الظالم لطبيعة المرأة وللطبيعة الانسانية كلها إنائها ورجالها على السواء ولا يمكن لهم أن يحققوه حتى فى سلوكهم الإباحى الشاذ وما دام كذلك فلماذا يريدون أن يفرضوه على شريعة الإسلام السمحاء التى لا تعرف الخنا بأى شكل. المسألة تصبح عنادا لا أكثر وليست حوارا بغية الوصول إلى الحق. والإسلام دين الفطرة لا يمكن أن يرغم الآخرين على اعتناقه والإيمان به. فليس من مبادئ الدين نفسه ولا من سلوك النبى ﷺ ولا من خلق أتباع الدين الإكراه لأننا نعتقد كما أن هناك نفوسا تعاف الرذيلة فهناك نفوس كالخنازير لا تعيش إلا فى المستنقعات ولا تأكل إلا الجيف.

ولو أنا سألنا العقلاء فى كل دين وفى كل

والعفة إنها خارج نطاق تفكيره واهتمامه إنها أصيلة فى الإسلام. عربية أبية حتى قبل الإسلام وجاء الإسلام وأقرها وهذبها كما أقر كل خلق حسن فى سلوك الجاهلية فهذا عنثرة الجاهلى قال بيتا من الشعر يمكن أن يتغنى به كل مسلم لأنه عفيف طاهر لكنه خارج نطاق الأدب والأخلاق فى قاموس الغرب.

يقول عنثرة:

وأغض طرفى ما بدت لى جارتى

حتى يوارى جارتى مأواها

ونعود إلى قصص المطالعة الأولية نذكر بها كل سادر فى غى الصلف الغربى والاستشراق الأعمى. تقول القصة الأولى: إن امرأتين تنازعتا طفلا كل تدعى بنوته وأدلت كلتاهما بحجتها أمام القاضى. فهل يطبق القاضى العدالة الغربية العمياء ويقسم الطفل نصفين بين المرأتين أو يحكم بنزع الطفل من كليهما ويودعه دار الأيتام!!؟

أم ماذا يفعل؟! إن مبادئ العدالة والمساواة المزعومة تؤكد ذلك الغباء.

القصة الثانية بعنوان مسكين والد حسان. ذلك أن والد حسان أعطاه شاة يوصلها من الحقل إلى الدار فحمل الشاة على كتفيه وكانت ثقيلة حتى أرهقته فقال له أبوه: يا ولدى إذا كلفتك بتوصيل شاة فجره بحبل ولا تحمله على كتفك ثم أعطاه فى المرة الثانية بطة فما كان من حسان إلا أن ساوى بين البطة والنعجة وربط البطة من رقبتها فاختنقت وماتت.



ملة إنسانية سؤالاً واحداً محدداً. ما هو الهدف من الزواج؟ لقال كل عاقل ذو فطرة سوية: إن هدف الزواج حفظ النوع الإنساني وإشباع الغريزة بطريقة تحفظ الحياء وفق منهج الله. تلك إجابة الحنفاء أصحاب الفطرة السوية كما جاء في حديث النبي ﷺ: «إن الله خلق عباده كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم»^(١).

أما إجابة من اجتالتهم الشياطين فشوهت فطرتهم فيقولون: إن هدف الزواج هو المتعة!!! فهل يمكن أن نعقد مقارنة بين هدف هؤلاء وأولئك؟ وهل يمكن أن يقاس نبل الأولين وعبث الآخرين أو إن شئت فقل: دنس الآخرين؟ عجباً! أيقاس بالكافور نبت الشيخ.

ولسنا في حاجة إلى إجابة عن هذه الأسئلة لأننا على قناعة تامة بما نحن عليه لكننا نوجه سؤالاً آخر أو استفهاما عاما ونقول: اسألوا أصحاب المتعة، هل تغنى عنهم متعتهم لو أنهم تزوجوا أجمل الجميلات وحرّموا من نعمة الولد؟ أو تغنى عن الإنسانية شيئاً؟

ليتهم يفيعون إلى ظلال الهدى النبوي الذي يقول في الحديث:

«سوداء ولود خير من حسناء لا تلد»^(٢).

وبعد: ماذا أجدى على الإنسانية في

تحقيق هدفها وهو حفظ النوع؟

هل لو تزوجت امرأة بعشرة رجال لا أربعا،

أم لو تزوج رجل بأربع نسوة؟

وبعد: فإن إجابة قوم لوط هي إجابة كل شرير عابث بالإنسانية وبالمثل العليا عندما يضيق بالطهر والعفاف.

﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّظْهَرُونَ﴾^(٣).

أولئك صرف الله قلوبهم عن الهدى وأعمى أبصارهم عن الحق، فالإسلام سما الله به عن أن يسكن هذه القلوب الصدئة.

يقول الله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَكَ فِي الْقُرَىٰ أَن وَحْدَهُ وَلَوْ أَن أَدْبَرْتُمْ نُفُورًا﴾^(٤).

ويقول:

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا﴾^(٥).

فالله - سبحانه وتعالى - أغفل هذه القلوب وصرفها عن الحق فلا تؤمن به ولا ترضى بالإسلام ديناً، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المجرمون.

والى لقاء آخر

(٢) مجمع الزوائد ٢٥٨/٤.

(٤) الاسراء (٤٦).

(١) أخرجه مسلم.

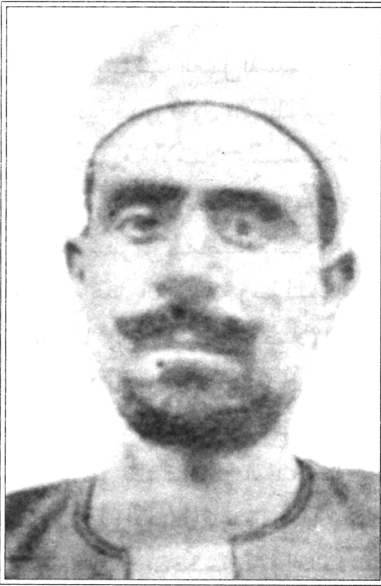
(٣) سورة النحل الآية ٥٦.

(٥) الكهف (٢٨).





قضية.. وكتابان



ين



الخضر حسين و علي عبد الرزاق

٥

لأستاذ الدكتور / محمد عمارة

إحداها: أن أحكام هذا القسم تختلف بحسب ما يقتضيه حال الزمان وتطور الشعوب، فإذا وقعت الواقعة أو عرضت الحاجة نظر العالم في منشئها وما يترتب عليها من أثر، واستنبط لها حكما بقدر ما تسعه مقاصد الشريعة ومبادئها العليا.

ثانيها: أن وقائع المعاملات والسياسات تتجدد في كل حين، والنص على كل جزئية غير متيسر، علاوة على أن تدوينها يستدعي أسفارا لا فائدة للناس في كلفة حملها.

ثالثها: أن الشريعة لا تريد أسر العقول وحرمانها من التمتع بلذة النظر والتسابق في مجال الاجتهاد^(٢).. ولذلك وجدنا فقهاء المسلمين يجتهدون، كل من منظوره، وعلى ضوء واقعه، ووفق مقتضيات عصره، يجتهدون في «وضع» القوانين الإسلامية المسترشدة بروح الشريعة والحكومة بمنطقها الإسلامي العام.. فهم ينظرون إلى المصالح ويوازنون بينها وبين المفاسد.. كما ينظر إليها أصحاب القوانين الوضعية، من حيث عظمها وصغرها، ومن حيث ما يترتب عليها في الخارج من آثار نافعة أو عواقب سيئة^(٣).. ثم يصوغون القوانين، التي كونت تراثنا في فقه المعاملات.

.. فالذين يتصورون أن «أسلمة القانون» في الدولة الإسلامية، يعني إلزام الحاضر باجتهدات الماضي، أو إلزام كل عالم الإسلام باجتهد واحد لا يفقهون هذا الجانب من سياسة الإسلام.. بل إن بلوغ عالم الإسلام في التقارب والتضامن والاتحاد درجة إقامة الخلافة الواحدة، أو الحكومة الواحدة لايعنى وحدة النظم والقوانين إذا ما اختلف الواقع في إطار عالم الإسلام..

وإذا كان «الدين» وضعاً إلهياً، ثابتاً.. فإن «الصبغة الدينية» للدولة الإسلامية وسياستها لا تعنى ثبات نظم هذه الدولة وثبات قوانينها، ولا تعنى «الإلهية» و«الثبات» لهذه النظم والقوانين جميعاً.. فالثابت هو المقاصد والفلسفات والغايات، وبعض قليل من الأحكام التي تعلقت بثوابت لا تتغير ولا تتطور بتغير الزمان والمكان.. أما ما عدا هذا القليل فهو متغير ومتطور يلعب فيه العقل المسلم والإبداع التشريعي للمسلمين الدور الأول والأعظم دونما قيد إلا الروح العامة لشريعة الإسلام والمصلحة المبتغاة للأمة الإسلامية.. فلقد «أجمع المسلمون على أن إصلاح السياسة شطر من مقاصد الإسلام»- (ولكن)- هل ادعوا، مع هذا، أن الإسلام رسم للسياسة خطة معينة ووضع لكل واقعة حكماً مفصلاً؟!.. الحق أنهم لم يفعلوا ذلك بل ملأوا كتبهم ببيان أن الشريعة فصلت بعض أحكام لا تختلف فيها أحوال البشر، ثم وضعت أصولاً ليراعى تطبيقها على الوقائع حال الظروف الخافة بها، ومن هذه الأصول قاعدة «رعاية المصالح المرسلة»، وقاعدة «العادة محكمة»، وقاعدة «سد الذرائع»، وقاعدة «المشقة تجلب التيسير»، وقاعدة «ارتكاب أخف الضررين»، وقاعدة «الضرر يزال»^(١).. ولقد عنيت الشريعة في الأكثر بتفصيل ما لا تختلف فيه مصالح الأمم ولا يتغير حكمه بتغير الزمان والمكان، وذلك ما يرجع إلى العقائد والأخلاق ورسوم العبادات، ثم جاءت إلى قسم المعاملات والسياسات فأثت على شئ قليل من تفاصيله، وطوت سائرته في أصول عامة ثلاث:

(٢) الباب الثاني من الكتاب الثاني «ص ١٥٤، ١٥٥ من طبعة الأصل».

(١) الباب الثالث من الكتاب الثاني «ص ١٧٧ من طبعة الأصل».

(٣) الباب الأول من الكتاب الثالث «ص ٢٠١ من طبعة الأصل».

الكهانة الكنسية في أوروبا العصور المظلمة والوسطى، بل ويزيفون صورة الإسلام، بجعله «علمانية» أو «كهانة».. لا لشيء إلا ليبرروا استعارتهم «للعلمانية» الغربية.. فهم يستوردون «مشكلة» ليستوردوا لها «الحلول»!؟

هكذا نظر الشيخ الخضر الى القضية المحورية والجمهورية في كتاب (الإسلام وأصول الحكم).. وحدد حيالها، رؤيته لموقف الإسلام.



على أن إعجاب الباحث والقارئ بهذا (النقض) الذى نهض به الشيخ الخضر لدعائى صاحب (الإسلام وأصول الحكم)، ولقلم الشيخ الذى تجلى عفيفا ودقيقا وجيد التذوق والاختيار لألفاظه وعباراته.. إن هذا الإعجاب لا ينقضه «هنتان» ننبه عليهما، وقع فيهما قلم هذا الشيخ الجليل:

الهنة الأولى: هى أن الشيخ الخضر برغم مجئ كتابه نموذجاً فى أدب البحث والجدل والمناظرة، وتميزه بالعفة والترفع عن إلقاء التهم جزافاً.. إلا أنه استخدم عبارة «الوقوع فى حمأة الإلحاد» على نحو «يوحى» بأنه يتهم بها الشيخ على عبدالرازق!..

ونحن برغم رفضنا للفكرة المحورية والجمهورية لكتاب (الإسلام وأصول الحكم)، وإيماننا بخطر الكتاب على التوجه الفكرى للأمة الإسلامية، ومعرفتنا بالتأثير الذى أحدثته فى دعم «العلمانية» الغربية عن المناخ الإسلامى والفكر الإسلامى.. برغم ذلك، إلا أننا ننكر استخدام ألفاظ من مثل «الكفر» أو «الإلحاد» فى وصف «الاجتهادات الخاطئة» بميدان الفكر السياسى الإسلامى بوجه عام..

ذلك «أن أخذ الأمم الإسلامية بحكومة واحدة لا يقتضى توحيد قانونها السياسى أو القضائى بل يوكّل أمر كل شعب إلى أهل الحل والعقد منه، فهم الذين ينظرون فيما تقتضيه مصالحه.. ولا يقطعون أمراً حتى يشهدهم من أوتوا العلم بأصول الشريعة لئلا يخرجوا عن حدودها ومقاصدها.. فالتشريع الإسلامى قائم على رعاية المصالح، وما هى إلا المصالح التى توضع فى ميزانه المستقيم، وهذا الميزان المستقيم لا يبخس شعباً من الشعوب مصلحة التى يشهد بها العقل السليم، ولا يفصل حكماً واحداً يجريه على كل شعب وفى كل زمان، إلا إذا لم تختلف فيه مصالح الشعوب، فإن اختلفت اختلفا بعقله العالمون لكل شعب حكم وسياسة، وذلك تقدير العزيز العليم..»^(٤).

.. فالدولة الإسلامية: دولة دستورية.. ورأسها: حاكم دستورى.. وأمتها: هى مصدر السلطات.. وقانونها إبداع وثمره لعبقرية فقهاءها، يصوغون أغلبه بالاجتهاد المحكوم بروح الشريعة ومصلحة الأمة المرتبطة بظروف الزمان ومقتضيات المكان.. وهى فى ظل الخلافة والحكومة الواحدة، أشبه بعصبة الأمم الإسلامية وجامعة الدول الإسلامية منها بالدولة الواحدة التى يسود فيها القانون الواحد والنظام الواحد فى واقع متغاير رغم وحدة الإسلام!..

وإذا كان هذا هو حال «الإسلام السياسى»، وإذا كانت تلك هى قاعدة «سياسة الإسلام».. فهل بنا من حاجة «لعلمانية» الحضارة الغربية، نتنكر باستعارتها لطبيعة إسلامنا؟!.. ألا يروعى أولئك الذين يزيفون تاريخنا السياسى وفكرنا الإسلامى السياسى، لا لشيء إلا لافتعال التماثل بينه وبين تاريخ

(٤) الباب الثالث من الكتاب الثانى «ص ١٧٩، ١٨٠ من طبعة الأصل».

عندما قال: «إن الخلافة ليست من نوع العقائد .. والبحث فيها يرجع إلى النظر في حكم عملي لا في عقيدة من عقائد الدين» وأنها، لذلك، يكتفى في مستندها «بالأدلة المفيدة ظنا راجحا» ..

فإذا جاء الشيخ على عبدالرازق وقال عن «المملكة النبوية»: إنها «عمل منفصل عن دعوة الإسلام وخارج عن حدود الرسالة» .. وإذا وصف هذا الرأي بأنه، على غرابته، ليس «كفرا ولا إلحادا». فنحن ننكر هذا «الرأي»، لكننا معه في نفي صفة «الكفر والإلحاد» عن قائله، لأنه «رأى» في مبحث من مباحث الفروع، وهو خطأ، لكنه كما قال الغزالي «لا يوجب التكفير».

ولذلك، فما كنا نود أن يكون تعقيب الشيخ الخضر على قول علي عبدالرازق هذا هو قوله: إن «تصرف النبي ﷺ في مثل الجهاد والزكاة والجزية والغنائم يستند إلى صريح القرآن، فلا مفر لمنكره من الوقوع في حماة الإلحاد» .. ولا أراني في حاجة إلى نقل شيء من نصوص الراسخين في علم الشريعة وفتواهم بأن من أنكر حقيقة معلومة من الدين بالضرورة فقد انقلب على عقبيه مدبرا عن الإسلام ولا يحق له بعد ذلك الإنكار أن يتأثم من المسلمين إذا طرحوه من حساب أولياء دينهم الحنيف^(١٠).

فنحن نعتقد أن الخلاف والاختلاف حول «الخلافة» .. والإمامة .. والدولة لا يدخل في باب إنكار «ما هو معلوم من الدين بالضرورة»، لأن المراد

لقد استقر الرأي في علم الكلام الإسلامي على أن مباحث «الخلافة - الإمامة - الدولة» هي من «الفروع» وليست من «عقائد» الدين ولا «أصوله» ومن ثم فإن الخلاف والاختلاف فيها أليق به أوصاف: «الخطأ» و«الصواب» و«الضرر» و«النفع»، لا «الكفر» و«الإيمان» أو «الإلحاد» .. الخ .. الخ ..

.. «إن الإمامة مستخرجة من «الرأي» وليست مستخرجة من الكتاب أو السنة»^(٥) .. والجويني، إمام الحرمين (٤١٩ - ٤٧٨ هـ / ١٠٢٨ - ١٠٨٥ م) يقول: «إن الكلام في الإمامة ليس من أصول الاعتقاد»^(٦) .. والإمام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م) يقول: «إن نظرية الإمامة ليست من المهمات، وليست من فن المعقولات فيها، بل من الفقهيات»^(٧) .. أما ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) فإنه يقول: وإنها ليست من أركان الإسلام الخمسة، ولا من أركان الإيمان الستة، ولا هي من أركان الإحسان^(٨) ..

وفوق ذلك، وتبعاً له، يقول الإمام الغزالي: «واعلم أن الخطأ في أصل الإمامة وتعنيها وشروطها وما يتعلق بها لا يوجب شيء منه التكفير»^(٩).

هذا هو موقف علماء الكلام من طبيعة الإمامة، وطبيعة الاختلاف في مباحثها، بدءاً من «أصلها» إلى «تعنيها وشروطها وما يتعلق بها» .. وهذا الموقف هو الذي تبناه - كما سبقت إشارتنا - الشيخ الخضر،

(٥) أبو حفص عمر بن جميع «عقيدة التوحيد» ص ٥٠٦ طبعة القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ.

(٦) «الإرشاد» ص ٤١٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠ م.

(٧) «الاقتصاد في الاعتقاد» ص ١٣٤ طبعة صبيح - القاهرة - بدون تاريخ.

(٨) «منهاج السنة» ص ٧٠ - ٧٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢ م.

(٩) «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» ص ١٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧ م.

(١٠) الباب الثاني من الكتاب الثاني «ص ١٤٨، ١٤٩ من طبعة الأصل».

الحق!.. فتلك قضية إن لم يختلف فيها «الشهود»، فإن إجماعهم، أو إجماع أغلبيتهم سينقض «شهادة» الشيخ الجليل!؟..

● ثم.. ما كان يليق بالشيخ الجليل أن يغفل عن أن «عناية» الملك فؤاد بالمعاهد العلمية الإسلامية - بالأزهر - لم تكن بالأمر الخالص للأزهر وعلوم الإسلام، وإنما كانت - كما ثبت في الواقع - سبيلاً لإفقاد الأزهر استقلاله، وإحكام قبضة «القصر الملكي» على مشيخة الأزهر، لاستغلالها في صراعه ضد حزب الوفد وزعيمه سعد باشا زغلول (١٢٧٣ - ١٣٤٦ هـ / ١٨٥٧ - ١٩٢٧ م) الممثل لسلطة الشعب - في ذلك التاريخ.

● وأخيراً.. فإن هذا «الإهداء» قد ألقى ظلالاً على هذا العمل العلمي الفذ، جعلت منه - ولو ظاهراً - جهداً مكروساً لخدمة طموحات الملك فؤاد الأول (١٢٨٤ - ١٣٥٥ هـ - ١٨٦٩ - ١٩٣٦ م) ففى منصب خلافة المسلمين.. ولقد كان الشيخ فى غنى عن هذه «الشبهات» التى ألقته على عمله العلمى الفذ هذه الظلال التى تمثلت فى ذلك الإهداء.

هاتان هما «الهنات» اللتان نأخذهما على كتاب الشيخ الخضر حسين.. وإذا كان «ضد» المعايير فى عمل من الأعمال هو شهادة تقدير للعمل وصاحبه.. فما بالنأ إذا كانت هذه «المعايير» «هنات».. و«هنات» من هذا القبيل، لا تقدر فى تألق هذا العمل العلمى الفذ: جهداً مخلصاً ونبلاً وعميقاً فى الدفاع عن علاقة ديننا الإسلامى بدولتنا الإسلامية، ونقض أعظم الشبهات التى أثيرت حول هذه العلاقة فى عصرنا الحديث!؟^(١١)

هنا هو إنكار الأصول والأركان.. وليس الخلاف فى قضية أو أكثر من قضايا الفروع.. وعلى عبدالرازق، برغم مجانفته للصواب فى بحثه حول الخلافة، لم ينكر ركننا من أركان الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، وإنما أنكر إسلامية الخلافة، وهى من الفروع.. فما كان يليق بالقلم العف للشيخ الخضر أن يدخل هذا «الخطأ»، برغم فداحته ومضاره، تحت باب «الاحداث» حتى ولو أخذنا «الإلحاد» بمعناه الأصلي، وهو «الميل عن القصد» ولأن يصف صاحب هذا «الخطأ» بأنه «قد انقلب على عقبة مدبراً عن الإسلام»!؟..

تلك هى «الهنة» الأولى فى الكتاب..

والهنة الثانية: هى تلك الصفحة التى صدر بها الشيخ الخضر كتابه، والتى طبعها «بماء الذهب» وسطر فيها إهداء كتابه العظيم «الى خزانة حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر المعظم».. ذلك أننا، برغم إدراكنا خطأ تقييم مثل هذه الأمور، التى كانت طبيعية ومألوفة فى عصرها، بمعايير عصرنا، وهى غير مألوفة، بل مستنكرة فيه.. إلا أننا نعتبرها «هنة» لنا عليها ملاحظات:

● ففى هذا «الإهداء» يقول الشيخ الخضر: «شهدت من حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم غيرة على الدين الحق، وعناية برفع شأن المعاهد العلمية الإسلامية، فقلت: إن فى هذه الغيرة والعناية لحماية الدين الحنيف من نزعة ترمى حوله بشرر الكيد والأذى».

وما كان يليق بالعالم والقاضى المحقق الشيخ الخضر أن «يشهد» بغيرة الملك فؤاد على الدين

(١١) هذه آخر مرحلة من حلقات البحث، وسيوالى الكاتب مقالاته فى موضوعات شتى.

الدكتور محمد السعدى فرهود مفسراً

للدكتور/ رضا عبد المجيد المتولى (*)



تعرض أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومى إلى كثير من جهود الدكتور محمد السعدى فرهود فى مقاله عنه «بمجلة الأزهر»، وقد رأيت أن أشبع الحديث فى ناحية هامة من نتاج الدكتور السعدى وهى ناحية التفسير القرآنى فأقول:

تكمن جهود الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود فى التفسير فى نوعين منه، هما:

أولاً: التفسير الإجمالى.

وهو تفسير القرآن الكريم بطريق الإيجاز، والاختصار

والإجمال من غير إسهاب ولا تطويل، ولا إطناب، وهو أن يقصد

المفسر إلى توضيح معنى الآية وبيان المقصود منها بعبارة وجيزة

مقتضبة، تبين معناها فقط من غير تعرض إلى شىء آخر غير

المعنى المقصود، وذلك بتتبع آيات القرآن آية آية، وسورة سورة حسب ترتيب المصحف بعد أن يكون قد وضع هذه المعانى فى إطار من العبارة السهلة التى يصوغها من ألفاظه والأسلوب السلس الذى يفهمه العالم والأمة والمتوسط، فهو يخاطب الناس كلهم بأيسر أسلوب وأوضح المعانى حتى يسهل لهم إدراك ما فى القرآن الكريم من نور وهداية من غير تعقيد ولا بعد عن هلف القرآن وقصده.

(*) المدرس بكلية أصول الدين بالمنصورة.



الآيات والجمل، وتناول الألفاظ بالتحليل اللغوى الدقيق مما يظهر أسرار التعبير بها وسر العدول عن مرادفاتها، والتعرض لأوجه الإعراب المختلفة وبيان الأسرار والمزايا البلاغية التى تكمن وراء العبارات والتراكيب، وغير ذلك.

وقد أسهم - رحمه الله - فى هذا الجانب بمؤلفين عظيمين: الأول (فى رحاب البيان القرآنى لسورة الرعد)، والثانى: (فى رحاب البيان القرآنى لسورة إبراهيم) حيث تناول فيهما الجانب التطبقى للتفسير البيانى فى سورتين من سور القرآن الكريم، فبدأ بسورة الرعد، وثنى بسورة - إبراهيم عليه السلام - ولعله كان ينوى إتمام التفسير البيانى للقرآن الكريم، لكن الظروف والأعمال الإدارية لم تمكنه، ومن ثم قال - رحمه الله - فى مقدمة كتابه الأول: (الحمد لله رب العالمين، وبعد فإننى لأرجو أن أبدأ - بهذا المصنف - تفسير القرآن الكريم تفسيراً بيانياً، وأمل أن يوفقنى الله إلى المضى فيه قدماً، وأن يهدينى فى بيانه سواء السبيل، وأن يجنبنى الهوى والزلل والرأى الفطير، ومن الله العون والسداد)^(٢).

وسأقطف لك - أيها القارئ الكريم - من هذين المؤلفين قطفين يدلان على الجهد المشكور الذى بذله أستاذنا فى هذا الجانب. - قال عند تفسير قوله تعالى :

وقد يفسر القرآن بلفظ القرآن حتى يشعر السامع أنه لم يبعد به فى عبارته عن سياق القرآن الكريم وأسلوبه السمع الجميل. وقد يشير فى بعض المواضع إلى سبب نزول الآية أو إلى حادثة توضح المعنى، أو حديث نبوى، أو أثر عن السلف الصالح، حتى تكمل الفائدة المرجوة، ويصل إلى غرضه بأوجز أسلوب وأحسن عبارة^(١).

وهذا بالفعل ما قام به الدكتور فهد حين أدرك حاجة الناس إلى تفسير ميسر يبرز لهم جوانب هداية القرآن فى شئون الحياة المختلفة بأسلوب سهل سلس. ومن ثم كان تفسيره للقرآن الكريم الذى أذاعته إذاعة القرآن الكريم المباركة صباح كل يوم طيلة سنوات عديدة تحت عنوان: (على هامش التلاوة)، ويوم أن يظهر هذا التفسير مدونا بين أيدي الناس سوف يعظم نفعه، ويأخذ مكانه مستريحا بين كبار التفاسير الميسرة للقرآن الكريم كتفسير الأستاذ محمد فريد وجدى، وتفسير صفوة البيان لمعانى القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف، والتفسير الميسر للشيخ عبد الجليل عيسى، وتفسير تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى، وغير ذلك كثير.

ثانياً: التفسير البيانى.

وهو التفسير الذى يعنى بالجانب البيانى فى القرآن الكريم من حيث إبراز الترابط بين

(١) تاريخ علم التفسير ومناهج المفسرين للدكتور على حسن العريض ص ٧٩، ط دار الاعتصام.

(٢) مقدمة فى رحاب البيان القرآنى سورة الرعد - دار الطباعة المحمدية بالأزهر، الطبعة الأولى، المحرم ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.





لتقرير معنى الجملة السابقة والاستدلال عليها بأن كل المنزل حق وصدق .

ويرى الزمخشري: أن هذه الجملة جاءت للاستدراك على وصف السورة فقط بالكمال، فإن القرآن أثبت لهذه السورة الكمال ثم استدركه بأن كل المنزل كذلك لا تختص به سورة دون سورة، والقرآن كله هو الحق لا هذه السورة وحدها. قال الزمخشري: ومثل هذا قول فاطمة الأتلمرية حين سئلت: أى بنيتها أفضل؟ أجابت: الربيع، بل عمارة، بل قيس، بل أنس، ثم استدركت فقالت: ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل، إنهم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها، ففاطمة بإثباتها آخرها لكل ابن من أبنائها الكمال فقد نفت التفاضل للدلالة على أن كمال كل واحد منهم كمال لا يحيط به الوصف .

ثم قال الدكتور فرهود - رحمه الله -: ولا يغيب عن البال أن فى صياغة الجملة:

﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ .

بالعبارة بالاسم الموصول، وإسناد الإنزال إلى الله ولا منزل للقرآن إلا هو، فى هذه الصياغة ما يشير أولاً إلى فخامة شأن القرآن، وما يرمي ثانياً إلى شرف المنزل إليه وهو الرسول بما خاطبه الله بالحديث وبما عرضه من صفة الربوبية مضافة إلى ضميره ﷺ وكذلك ما يدل عليه ثالثاً الحكم على القرآن بأنه الحق

﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ (٣) .

أى والقرآن الذى أنزله الله ربك إليك - يامحمد - هو الحق الذى لا مزيد عليه . أو والقرآن الذى أنزله الله إليك هو من عند ربك وهو الحق، فالاسم الموصول على التقديرين فى موضع المبتدأ، وعلى التقدير الأول يكون

﴿الْحَقُّ﴾ خبره، وعلى التقدير الثانى يكون

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ فى موقع الخبر، ويكون ﴿الْحَقُّ﴾

خبراً بعد خبر، وقيل: يكون ﴿الْحَقُّ﴾ جملة جديدة فهو خبر مبتدأ محذوف تقديره (هو)، وعلى هذا كله تكون الجملة معطوفة على الجملة السابقة:

﴿الْمَرْءُ يَكْتَسِبُ الْكُتْبَ﴾ ومن المعربين من يرى أن العطف من عطف المفردات، إذ عطف

﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ على ﴿يَكْتَسِبُ الْكُتْبَ﴾

من قبيل عطف إحدى الصفتين على الأخرى، أو من باب عطف أحد المترادفين على الآخر إذا فسر الكتاب بالقرآن، ومن باب عطف العام على الخاص أو من باب عطف الكل على الجزء إذا فسر الكتاب بالسورة وأردت من اسم الموصول القرآن . ويتعين لدى القول بعطف المفردات أن

يكون ﴿الْحَقُّ﴾ جملة جديدة فـ ﴿الْحَقُّ﴾

خبر مبتدأ محذوف، والقول بعطف الجمل أوضح وأشهر وأقرب . وهذه الجملة تتصل بما قبلها اتصالاً معنوياً جليلاً، فقد جاءت هذه الجملة



ذلك من غير حاجة إلى الترجمة، وعليهم - بعد ذلك - إذا نشروا دين الله فى الأرض بين أقوام غير عرب أن يترجموا القرآن لهؤلاء الأقوام حسب الحاجة، فكما يسّر الله عليهم ولم يشاقهم وجب أن ييسروا على الناس ولا يشاقوهم، وهذا واضح فى عموم النصوص إلا ما جرى به التعبد منها، وعلى هذا جاء نزول القرآن باللغة العربية، ولا يلزم منه القول باختصاص بعثة محمد ﷺ بالعرب كما هو زعم طائفة من يهود، فإن هناك من الدلائل والقرائن الأخرى ما يدفع هذا الزعم ويحقق عموم رسالة محمد ﷺ :

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾

ليوضح لهم أمور الدين. وحذف المفعول به فنزل الفعل منزلة اللازم للإشعار بأن وظيفة الرسول التبیین والبلاغ، وليس من وظيفته الهداية أى خلقها فى النفوس، فالهداية بهذا المفهوم من شأن الله. وهنا إيجاز بالحذف مفهوم من السياق، والتقدير (فبين - أى الرسول - لقومه). ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى الكتابين ذاتهما وللأستاذ الدكتور عبداللطيف الحديدي بحث شاف فى هذا المجال نود أن ينشره للقراء، رحم الله الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والعطاء جزاء ما قدم للقرآن والإسلام والعربية.

ولاحق غيره. والحق هو الصدق وهو الصواب، ولكن غلب استعمال الحق فى المسائل الاعتقادية، واستعمال الصدق فى الأخبار والأنباء، واستعمال الصواب فى الأجوبة، والمعنى قريب^(٤).

وبهذا ترى أن الدكتور السعدى فرهود لم يترك شاردة ولا واردة فى تفسير هذه الجملة الكريمة إلا وذكرها، حيث بدأ ببيان الإعراب، ونوع العطف، ثم رجح من وجهة نظره ما رآه راجحاً، ثم بين مناسبة الجملة لما قبلها، ثم استدل بما ذكره إمام البيان الزمخشري فى كشفه، ثم أمتعنا بأسرار التعبيرات فى الجملة الكريمة وإيحائها المباركة، ثم ختم كلامه ببيان بعض الفروق اللغوية بين لفظ ﴿الْحَقُّ﴾، (الصواب)، (الصدق).

- وقال عند تفسير قوله تعالى :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾^(٥)

(من) ابتدائية أو بيانية، فهى تشعر أن كل رسول من الرسل دعا قومه بلسانهم. واللسان: يطلق على اللغة على سبيل المجاز المرسل وعلاقته الآلية. وفى الجملة قصر إرسال الرسول على التلبس بلسان قومه، وحكمة ذلك: أن يكون ما يبلغه إياهم عن الله مفهوماً لديهم غير غريب على أسماعهم، حتى يتلقوه منه بسهولة وسرعة، فيمتثلوا

(٥) إبراهيم (٤).

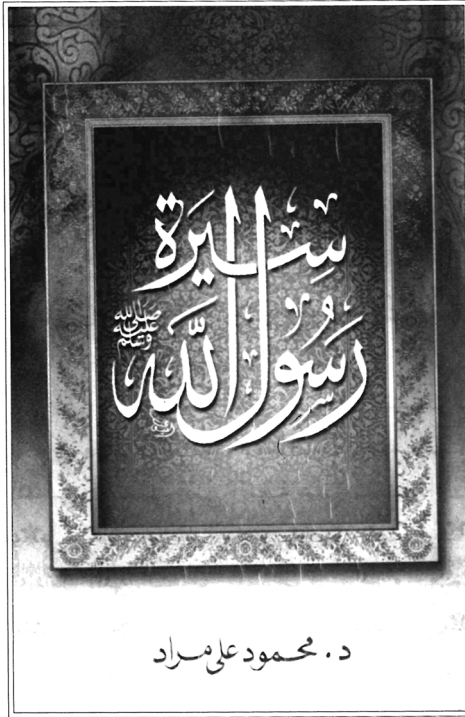
(٤) فى رحاب البيان القرآنى، سورة الرعد ص ٨ : ١١.

في نقد سيرة ابن إسحاق / ابن هشام

د. على الدكتور إبراهيم عوضين

٢

للدكتور / محمود على مراد (*)



د. محمود على مراد

على الرغم من أن الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين يشكك كثيرا في معرفتي باللغة العربية، فإنه لم ينتقد تحليلي لما جاء في سيرة ابن إسحاق من شعر، ولم يطقن في النتيجة التي خرجت بها من هذا التحليل وهي أن أكثر هذا الشعر منجول، وأن نحل الشعر الذي هو ديوان العرب، قرينة لا تقبل إثبات العكس على رغبة في تزوير السيرة عن طريقه، ومع أن الشعر عنصر أساسي من عناصر السيرة، الثلاثة، إلى جانب السرد التاريخي وشرح الاقتباسات القرآنية، وأن ابن إسحاق استخدمه على نطاق واسع في الموضوعات التي طرقتها الدكتور في مقالته الثاني، الصادر في عدد جمادى الآخرة ١٤٢٢ لهذه المجلة الغراء، فإن كون هذا الشعر منجولا لا يزعم ثقة الدكتور في صدق ابن إسحاق، والدكتور يغمض عينيه عنه وعن ملاحظاتي بشأنه ويعتبره، ببساطة، كأن لم يكن، ويمضى في دعواه بأن الكاذب والمزور والمخلتق هو ناقد ابن إسحاق، وأنتى كذبت وزورت واختلقت تحقيقا لغرضي الأصلي وهو نسف السيرة النبوية ترفلا لأساتذتي المستشرقين وتأثرا بأفكارهم.

(*) بهذا المقال تتضح فكرة الدكتور مراد، ونهني الكتابة عن هذا المؤلف لضرورات خاصة من ناحية الناقد والمنقود.



الرد

الظن، خيال قصصى جميل (أى أنها ليست تاريخاً). (ص ١٢٨)

ج - القول بأن ما ينال العباسيين من رفعة ينال محمداً، كما ينال العلويين قول فيه نظر للأسباب الآتية:

١- إذا كانت قصص أبرهة وزمزم والفداء - كما أوضحت - قصصاً مختلفة فإن عبدالمطلب يصبح رجلاً عادياً لا رفعة له تميزه على معظم أقرانه من أرباب الأسر في مكة غير أنه كان يتولى مهمة السقاية.

٢- شرف محمد ﷺ بالرسالة لا يقاس إليه شرفه بالانتساب إلى عبدالمطلب، حتى إذا كان عبدالمطلب الشخصية الأسطورية التي يصفها ابن إسحاق.

٣- حين كتب ابن إسحاق سيرته كان الرسول ﷺ قد لحق بالرفيق الأعلى منذ أكثر من قرن، وكان العلويون قد أقصوا من الخلافة بيد العباسيين، وكان المستفيد الوحيد الفعلي من رفع شأن عبدالمطلب هو الخليفة العباسي الذي كان سند شرعيته هو انتماءه لا إلى الرسول ﷺ، وإنما إلى القبيلة التي تجمعها هو والرسول، القبيلة التي كان يعنيها أول خلفاء بني العباس حين قال في خطبته الأولى: «وبنا هدى الله الناس».

٤- القول بأن الحديث عن عبدالمطلب هو في الواقع حديث عن محمد كان يكون صحيحاً لو أن المؤلف خصص للرسول ﷺ الجزء الأكبر من حديث الفترة. أما وقد جعل الرسول لا يحتل إلا عشر الحيز الذي يحتله عبدالمطلب، فالأصح أن يقال: إن الحديث عن محمد هو حديث عن عبدالمطلب.

فيما يلي ملحوظاتى على معظم ما جاء فى مقال الدكتور عوضين الثانى .

أ - الدكتور عوضين يقول : إننى أقيم رسالتى على فرض سلمت به مقدماً مفاده أن ابن إسحاق عميل عباسى قصد من وراء كتابه الدعاية للعباسيين . وهذا غير صحيح ، فإننى لم أسلم مقدماً بهذا الفرض بل كانت هذه إحدى النتائج التى أفضى إليها تفكيرى حين حاولت استكناه الأسباب الخفية التى تكمن وراء الغرض المعلن من تأليف الكتاب وهو كتابة سيرة للرسول ﷺ ، بعد أن اكتشفت أن هذا الكتاب ليس سيرة للرسول ﷺ .

أساس رسالتى إذن هو هذا الاكتشاف أما ما قلته عن مقاصد ابن إسحاق من كتابة سيرته، ومنها أنه كتبه دعاية للعباسيين، فشئى فرعى . وخطئى فى استشفاف هذه المقاصد - إن كنت قد أخطأت - لا يغير شيئاً فى الحقيقة الأساسية، وهى أن سيرة ابن إسحاق تفتقر إلى جميع المقومات التى تتكون منها أى سيرة لأى رسول، وهى حقيقة ثابتة كل ما فعلته بشأنها هو أن سلطت عليها الأضواء.

ب - إذا كان العقل لا يقبل قصة حفر زمزم، فلا يكفى أن يكون الزهرى قد رواها لكى يقبلها العقل . ويلاحظ فى هذا الصدد أن الدكتور إبراهيم عوض، الذى نصب نفسه للدفاع عن ابن إسحاق، درس هذه القصة وعلق عليها فى صفحة ونصف من كتابه «إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية» وانتهى إلى أنها، أغلب

لا يحدثنا أبدا عن رد فعل أى قريب من أقاربه حين عرض عليهم الإسلام.

٢- يسألنى د. عوضين بعد ذلك عن تفسيرى لنزول الوحي عليه آمرا إياه بإنذار عشيرته الأقربين. وجوابى عن هذا وارد فى كتابى (الصفحات ٦٩: ٧٢). وقد وجهت النظر فى صفحة ٧٢ إلى أن الذى يخطر على البال لأول وهلة لدى قراءة آية:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١).

من سورة الشعراء، هو أن المقصود هم قبيلتنا الرسول ﷺ أو حتى قبيلة بنى عبدالمطلب وحدها. ومع ذلك فإن الذين سيتجه إليهم الرسول بعد نزول الآية، فى نص ابن إسحاق، ليسوا هم أفراد قبيلته بل هم قريش فى مجموعها. إذن فنحن، سواء قبل نزول هذه الآية أو بعدها، لا نعلم شيئا على الإطلاق عن نتيجة اتصالات الرسول بعشيرته الأقربين، وهذه فى رأى قرينة قوية على أن ردود فعل هذه العشيرة لم تكن سلبية فحسب بل كانت عدائية.

٣- يسألنى الدكتور: ماذا أقول فيما رواه الإمام البخارى والإمام مسلم عن أبى هريرة من أنه لما نزلت آية «وأنذر عشيرتك الأقربين» دعا رسول الله ﷺ قريشا فعم «وخص» فى التحذير من النار، مبتدئا ببني كعب بن لؤى ومنتهيا ببني هاشم وبني المطلب وبابنته فاطمة ويضيف الدكتور، قاصدا إخراجى: «أم لعل الدكتور يضم البخارى ومسلم بأحاديثهما مع ابن

د- أنا، كما قلت فى رسالتى، أرفض تصديق القصة التى يقول فيها ابن إسحاق إن الرسول ﷺ بكى فى حضرة عمه حين تصور أنه تخلى عن حمايته. وأنا أصدق أن الرسول قال: «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»، ولكننى أرى أنه قاله فى مناسبة أخرى، وأن ابن إسحاق استخدمه فى هذه المناسبة لكى يسهل «يلع» قصة بكاء الرسول - ولكن، حتى إذا أضفنا العبارة المذكورة إلى المنظر الذى يصوره ابن إسحاق، فإن إيمان الرسول يبدو فى القصة أضعف من إيمان عبدالمطلب فى موقفه من أبرهة. فعبد المطلب لم يخف على نفسه خوف محمد، كذلك فقد جعلته ثقته فى أن للكعبة ربا يحميها دون وسيط، يتحدى أبرهة على الرغم من أنه كان فى معسكر جيشه. أما محمد فإنه، على الرغم من إصراره على المضى فى رسالته بالعزم الذى تنطق به عبارته، لم يكن على ثقة من أن رب الكعبة سيمنعه، وكان محتاجا إلى وسيط يحميه، ولما خيل إليه أن هذا الوسيط لن ينصره بكى.

فترة الاستخفاء

١- يسألنى د. عوضين عمن يتجه إليه نبي أوحى إليه بدين يختلف تماما عما عليه قومه أول ما يتجه. وجوابى وارد فى رسالتى، وهو أنه يتجه أولا - فى النظام القبلى - إلى أقرب الأقربين إليه، أى إلى أبناء قبيلته. ولكن ابن إسحاق يخبرنا أنه ﷺ كان يخفى صلاته مع على عن أعمامه، وهو

(١) الشعراء (٢١٤).

فى يديه ويقول تبا لكما، ما أرى فيكما شيئا مما
يقول محمد فأنزل الله فيه :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (٢).

(السيرة، القسم الأول، ص ٣٥١) هنا إذن
تعارض بين ما يقوله ابن إسحاق وما يقوله
الإمامان. وقد أبدت عدة ملحوظات على قول
ابن إسحاق هذا في تعليقي على الاقتباس رقم
١٧ (ص ٢٨٨ من كتابي).

٤ - ويقول الدكتور عوضين: إننى أتجاوز كتب
السنة الصحاح فلا ألتفت إلى ما رواه الإمام أحمد
عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ
يقول: «ثم فتر الوحي عنى فترة، فبينما أنا أمشى
سمعت صوتا من السماء، فإذا الملك الذى جاءنى
بحراء الآن قاعد على كرسى بين السماء والأرض،
فجثت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض، فجئت
أهلى، فقلت: زملونى، زملونى، فأنزل الله - عز
وجل - :

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَذِّرْ

﴿٢﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ (٣).

وتعليقى على هذا هو، أولا، أنى لم أرجع
إلى كتب السنة الصحاح بصدد إعداد بحثى
لأننى اقتصر على القرآن الكريم كمرجع
وحيد، وثانيا أننى لم أنكر فتور الوحي عن
الرسول ﷺ، وثالثا، هو أن الرواية التى
يسوقها الدكتور عوضين تتعارض مع ما ذكره

هشام.. ليضع ثلاثتهم مع ابن إسحاق فى طابور
المتهمين بتزييف الحقائق وتلفيق الأحداث
واصطناعها لينالوا رضا أبى جعفر المنصور أو
غيره من بنى العباس؟».

وجوابى عن هذا هو أن هذا السؤال ليس له
موضع هنا، لأننا بصدد ما جاء فى سيرة ابن
إسحاق لا فى صحيح البخارى ومسلم،
والحديث الذى يرويه الدكتور لم يرد عند ابن
إسحاق.

على أننى لا أتردد فى أن أقول: إن أبا هريرة إذا
روى شيئا يتعارض مع ما يستفاد بشكل واضح
من القرآن الكريم، فإننى آخذ بالقرآن ولا آخذ بما
قاله أبو هريرة، والذى يتضح بصورة لا لبس فيها
من القرآن الكريم أن دعوة الرسول ﷺ كانت
علنية من اليوم الأول، وهذا على أى حال هو
حكم العقل وهى طبيعة الدعوة، ولم يرد فى
قصص الأنبياء كلام عن نبي كانت دعوته سرية
فى بدايتها أو فى أية مرحلة من مراحلها.

وانتهز هذه الفرصة لأضيف أن سبب نزول
الآيتين الأولى والثانية من سورة المسد، الذى
يذكره ابن إسحاق، يختلف عن ذلك الوارد فى
الرواية التى يسوقها الدكتور والتى فحواها أن أبا
لهب قال للرسول عبارة «تبا لك سائر اليوم، ألهذا
جمعتنا؟» فى الاجتماع الذى يتحدث عنه
أبوهريرة، فإن ما يقوله ابن إسحاق هو: وحدثت
أنه - أى أبولهب - كان يقول فى بعض ما يقول:
يعدنى محمد أشياء لا أراها، يزعم انها كائنة بعد
الموت، فماذا وضع فى يدي بعد ذلك، ثم ينفخ



والدكتور عوضين يخالفنى في هذا التخريج، ولكنه بدلا من أن يقدم أدلة عقلية أو نصية أو قرآنية تثبت عكس ما أقول، أى أن ما نزل من القرآن الكريم فى السنوات الثلاث الأولى من الدعوة كان أقل بكثير مما قدر بلاشير أو أن مبادئ الإسلام الأساسية لم ترد فيه أو أن الرسول ﷺ كان يأمر أصحابه بالأذى يذيعوا القرآن الذى تلقوه منه، أو أن ما نزل من القرآن الكريم فى السنوات الثلاث الأولى ليس فيه رد على دعاوى الكفار أو تهديد لهم، أثار مسائل مثل:

بلاشير

٦ - كيف تأخذ بترتيب بلاشير وتتجاهل كل التراث الإسلامى والعربى مما قدمه العلماء المسلمون على مدى تلك القرون المتطاولة؟ وإجابتي عن هذا السؤال هى:

أ - أن التراث الإسلامى والعربى لم يتفق على ترتيب واحد لسور القرآن الكريم، وهناك - فضلا عن ترتيب المصحف - بدل الترتيب ستة لعلماء مختلفين.

ب - أن الأستاذ ريجى بلاشير، الذى توفى عام ١٩٧٣ كان واحدا من أكبر المستشرقين الفرنسيين فى العصر الحديث، إن لم يكن أكبرهم وقد ترجم القرآن الكريم إلى الفرنسية ووضع ترتيبا لسوره اعتمد فيه على أعمال العلماء المسلمين والعلماء الألمان، الذين كان لهم باع طويل فى هذا الموضوع، وشفع

ابن اسحاق كسبب لنزول آيات سورة المدثر، فهو يقول: إن أشد ما لقي رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوما فلم يلقيه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه، لا حر ولا عبد، فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه، فأنزل الله عليه قوله: «يأيها المدثر قم فأنذر»، وقد تحدثت عن هذا الموضوع فى ملحوظتي على الاقتباس رقم ٢ (ص ٢٦٢ من كتابي).

٥ - لمعرفة ما إذا كان فى القرآن الكريم ما يؤيد مقولة الاستخفاء رجعت إلى ترتيب بلاشير لسور القرآن واستخرجت منه مجموعة السور التى يرجح أن تكون نزلت فى السنوات الثلاث الأولى من البعثة، وآياتها تبلغ نحو ١٢٠٠ آية، ولخصت مادتها، فوجدت الآتى:

أ - أن معظم مبادئ الإسلام الأساسية نزلت فى هذه الفترة، وهذا أمر لا غرابة فيه.

ب - أن مادة هذه الآيات كانت تتجه إلى الكافة لا إلى دائرة محدودة من الناس، الأمر الذى يستحيل معه تصور إمكانية إخفاء الدعوة.

ج - أن بعض الآيات القرآنية التى اقتبسها ابن اسحاق وأدرجها فى حديث الفترة التالية لفترة الاستخفاء والتى يرد فيها القرآن الكريم على دعاوى الكفار ويهددهم، إنما نزلت فى فترة الاستخفاء المزعومة وهو ما ينفى احتمال السرية.



تاج شيخ الأزهر الأسبق، والدكتور محمد عبدالله دراز عضو جماعة كبار العلماء وأحد أعلام الأزهر في العصر الحديث، والدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر في الستينيات، ويمكن أن يضاف إليهم الدكتور عبدالحليم محمود، الذي تولى هو الآخر مشيخة الأزهر الشريف، وبين جامعة السوربون والجامعات المصرية علاقات ثقافية مختلفة في الوقت الحاضر وتضم مدرجات هذه الجامعة والجامعات المتفرعة عنها كل عام آلاف من الطلبة العرب والمسلمين، بعضهم من مبعوثي الدول العربية والإسلامية، وتقدم إليها عشرات من رسائل الدكتوراه سنويا في فروع الدراسات العربية والإسلامية.

على طريق التلاعب بالقرآن الكريم

تحت هذا العنوان يقرر الدكتور عوضين أن اندفاعي إلى غايتي الأصلية وهي نفس السيرة النبوية، دون أن يمنعني من ذلك عقل أو قيم أو دين، جعلني أوظف القرآن الكريم في تحقيق مقصدي بتأويل ما جاء في سورة البروج من حديث عن قصة أصحاب الأخدود.

والجمال لا يتسع هنا لعرض جميع الأسباب التي حملتني على الشك في أن يكون أصحاب الأخدود هم نصارى نجران الذين قتلهم ذو نواس ملك اليمن اليهودي لأنهم رفضوا اعتناق اليهودية، وترجيح أن يكونوا

ترجمته للقرآن بمقدمة قيمة له. وقد ألف كتابا صغيرا عن الرسول ﷺ وآخر عن مشكلة كتابة السيرة المحمدية أفدت منه في بحثي، وكان الأستاذ بلاشير يتردد كثيرا على مصر، وكانت له اتصالات عديدة بعلماء الأزهر الشريف، ولم يعرف عنه أنه كان معاديا للإسلام، وكانت جامعة القاهرة تدعوه أحيانا لإلقاء محاضرات فيها. وكان مديرا لمعهد الدراسات الإسلامية بباريس وأستاذا للفلسفة الإسلامية في جامعة السوربون العريقة «التي تفرعت عنها جامعة السوربون الجديدة التي قدمت إليها رسالتي»، وقد وجدت من اللائق والمفيد أن أستخدم ترتيب سور القرآن الكريم الذي وضعه الأستاذ بلاشير نظرا لأنني استخدمت ترجمته للقرآن في رسالتي، ونظرا لمكانته العلمية في فرنسا، ولأنه كان أستاذا في الجامعة التي فتحت لي أبوابها، وأتاح لي فرصة تقديم دراسة علمية تصحيحية عن كتاب في سيرة رسول الإسلام.

جـ- أن الجامعة الأزهرية كانت توفد إلى جامعة السوربون، التي كان الأستاذ بلاشير من أعلامها، بعض خريجيها للحصول منها على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، وقد ذكر الأستاذ الدكتور عبدالعظيم المطعني أسماء بعض هؤلاء العلماء، في أحد مقالاته عن كتابي في صحيفة «عقيدتي» مثل الدكتور عبدالرحمن



من الموحدين لا من أهل التثليث، وإلا لما وصفهم الله بالمؤمنين. (الصفحات ٦٧ : ٦٩ من كتابه) فالدكتور يتحفظ إذن بالنسبة للحاكم وبالنسبة لضحاياه وبالنسبة لباقي عناصر القصة.

وكلمة أخيرة:

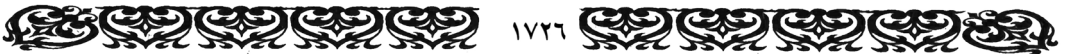
يقول الدكتور إن وهم خيالي المريض جعلني أملاً مائة وخمسين صفحة من كتابي بافتراضات مؤسسة على قوله (لا بد). وهذا غير صحيح، فإن أكثر استخدامي لهذا التعبير لم يكن في معرض التحليل، الذي يشغل الجانب الأكبر من رسالتي، ولكن في معرض استخلاص النتائج. وقد أكثرت - لدرجة الإفراط - في استخدامه لكي يدرك القارئ أن الاستنتاجات التي خرجت بها من التحليل ليست جزماً يقينا بشئ، وإنما هي ترجيحات ظنية تحتل الخطأ، وما كان يمكن أن تكون غير ذلك.

وهذا التعبير مألوف عند المؤرخين والنقاد في الغرب في معالجتهم لاشياء لا تؤيدها وثائق ولا تقوم عليها شواهد أو أدلة قطعية، لا سيما حين يتعلق الأمر بالتاريخ القديم. والتحفظ الذي ينطوى عليه هذا التعبير يقابل ذلك الذي نجده عند المؤرخين والفقهاء المسلمين في عبارة «والله أعلم».

شهداء من المسلمين أحرقوا في أخدود حفر بمكة لأنهم رفضوا أن يفتنوا عن دينهم، وقد أعددت في هذا الموضوع بحثاً أرجو أن ينشر مع غيره في وقت قريب، وأكتفى بأن أذكر هنا من هذه الأسباب سببين:

الأول هو أن وصف «المؤمنين» في القرآن الكريم ينصرف دائماً إلى المؤمنين بدين محمد ﷺ، والثاني هو أن رقم عشرين ألف قتيل من نصارى نجران، الذي يذكره ابن اسحاق، يعادل أربعين مثلاً لمجموع من قتلوا في حروب الرسول ﷺ، من المسلمين والكفار، أجل أربعون مثلاً!!

ومما هو جدير بالذكر في هذا الخصوص أن د. إبراهيم عوض، الذي يخالفني، مثل د. عوضين، في كل ما قلته عن سيرة ابن اسحاق، تناول موضوع أصحاب الأخدود بحذر شديد، فهو يقول إن كتب التاريخ والتفسير والتفسير تشير عند تعرضها لهذه الحادثة إلى ملك قديم «من العرب أو من غيرهم» كان يضطهد طائفة من رعاياه آمنوا بدين غير الدين الذي كان يعتنقه هو ورجال دولته فأضرم لهم نارا في حفرة ورمى بهم فيها عقاباً لهم على انشقاقهم على دين الدولة الرسمي، وهو يرى إن ما تقوله الكتب المذكورة معقول جداً ولكن على أن يفهم أن النصارى المضطهدين في هذه القصة كانوا





١٤٩

علم المعرفة

ماهية الحروب الصليبية

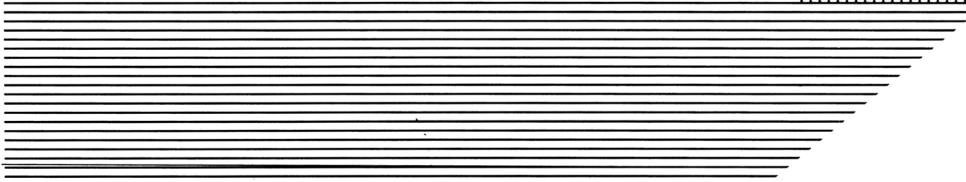
تأليف الدكتور
قاسم عبده قاسم

سلسلة كتب ثقافية شهرية تصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



عرض وتقديم

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين



فى أعقاب ما أصاب الولايات المتحدة الأمريكية فى ١١ من سبتمبر سنة ٢٠٠١ جهر كثير من زعماء أمريكا ودول الغرب بما كانوا يضمرونه من عداوة وحقد على الإسلام والمسلمين، فلم يتورع كبيرهم عن التصريح بالدعوة إلى التحالف لحرب الإسلام والمسلمين بدعوى أنه بذلك يحارب الإرهاب والإرهابيين، ثم عاد هؤلاء جميعاً، فزعموا أنهم ما أرادوا بما قالوا حقيقة، ولكنهم قصدوا جماعة محدودة جداً من بين المسلمين، هم الذين يدانون بالإرهاب والتعصب.

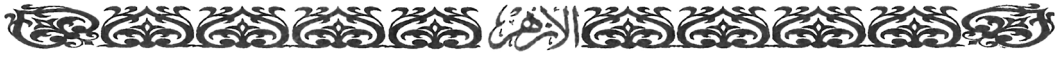
وقد بات كثير من المسلمين فى حيرة من أمر هؤلاء القادة الكبار حتى تفرق أمر المعلقين المسلمين حول ذلك بين مصدق مزاعم قادة الغرب بأنه سبق اللسان، ومكذب هذا الزعم، مستقر على أن الحقد الدفين استغل الموقف، فطفأ على السطح، وجرى على الألسن فى هيئة تلك التصريحات المتواليّة، فما أن صدر من الرئيس «جورج بوش» تصحيحه حتى بادرنى صديق سبق له الحوار معى فى ذلك قائلاً: ألا تجد فى هذا التصحيح تأكيداً لما قتلته لك من أنه لم يقصد بما قاله عن الإسلام والمسلمين تعميم الحكم، ولكن انفعاله أمام الحادث أنطقه بما قال؟

قلت: مهلاً يا أخى، فالذى اعتدناه من هؤلاء الغربيين يؤكد أنهم ينطوون على تعصب أعمى ضد الإسلام، وحقد مريع عليه وعلى المسلمين، فهم ليسوا من السذاجة بالدرجة التى يندفعون معها إلى تعبير يخالف عقيدتهم، خصوصاً أولئك الذين أقاموا حياتهم على النفعيّة البرجماتية.

ولو أمعنت النظر فى الظروف التى واثت هذه الأحقاد لتطفو على السطح، وتبرز من مكانها، والظروف التى أحاطت بهؤلاء الزعماء والقادة، فنضوا قصد الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، وادعوا أنهم لا يكون للإسلام والمسلمين إلا كل الخير لوجدنا اختلافاً بينا بين هذه الظروف وتلك.

فهم فى الحالة الأولى يخاطبون شعوبهم ليدفعوها إلى كراهية الإسلام، ومعاداة المسلمين، وبذلك يضمنون استنفار شعوبهم ليضحوا فى سبيل تلك الحرب بأموالهم وأبنائهم، كما يضمنون ما هو أهم من ذلك، وهو صرف الكثيرين منهم عن الإقبال على الإسلام، فلقد طالما أقلقهم ما لاحظوه فى الأيام الأخيرة من أحاديث طيبة واعية عن الإسلام، مما كان وراء دخول كثيرين من بينهم فى الإسلام عن يقين وإيمان بأنه المرفأ الأصلى الآمن فى هذا الزمن المضطرب الرهيب.

وهم فى الحالة الثانية يجعلون من خطاب المقاصد حقنة مخدرة يحقنون بها المسلمين ليضمنوا سكوتهم على عربتهم، إن لم يضمنوا عونهم على تلك العريضة.



١٩٨٣م، وله كثير من المؤلفات التي تدور حول تاريخ الحروب الصليبية، ويعمل حالياً - يعنى سنة ١٩٩٠م - أستاذا بجامعة الكويت .

والكتاب ليس تاريخاً للحروب الصليبية ولكنه بحث فى الأفكار التي وجهت لها، والدوافع التي دفعت إليها، والنتائج التي تخلفت عنها، فهو إلى فلسفة التاريخ أدنى منه إلى التاريخ .

ولقد حرص المؤلف على أن يعتمد على الوثائق القديمة والحديثة قدر الإمكان، وأن يستقرىء ما قدمه المؤرخون الأوروبيون والعرب على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم منذ بدأت تلك الحروب، وأن يوازن بين ما يقال وما وقع بالفعل بعد أن يربط الأحداث بعضها ببعض .

فالمؤلف يحاول التعرف على التفكير الأوروبي الذى أفرز تلك الحروب، والوقوف على الدوافع والأسباب التي دفعت عجلة أحداثها، والظروف التاريخية التي أحاطت بها، ثم الوقوف على آثارها فى العالم العربى الذى عانى من جراء وقائعها على مدى أكثر من قرنين من الزمان .

والمؤلف - فى محاولاته تلك - يومئ إلى العلاقة بين تلك الحروب، وما يتعرض له المسلمون اليوم فى الأرض العربية وغير العربية من غزو غربى صهيونى، تحت مختلف العناوين والمصطلحات .

ارتباط الحرب بالصليب

وفى الفصل الأول « فكرة الحروب الصليبية .. منظور تاريخى » يذكر المؤلف أن هذه الحروب ارتبطت بالصليب بعد حوالى قرن ونصف من بداية أحداثها، ليكشف التناقض بين ما يرمز إليه الصليب من الفداء والتضحية بالنفس فى سبيل

ولا تظنن يا أخى أن فى هذا الكلام مبالغة، أو أن فى هذه النظرة انحرافاً وتجنياً على الحقيقة، فعلاقة الغربيين بالإسلام والمسلمين منذ نحو ألف عام تقرر هذا فى إجماله وتفصيله، وما علينا إلا أن نصيخ السمع لما يصيح به تاريخ الحروب الصليبية لتؤكد من أن الحركة الصليبية حركة استعمارية استيطانية تمثّل السابقة الأولى لمحاولة استعمار العالم العربى بضرب الإسلام تحت راية الدين المسيحى، وتحت شعار الصليب، وتذكرنا دوافعها وأطوارها ونتائجها بالحركة الاستيطانية الصهيونية التي تتخذ من الدعاوى التاريخية الدينية تعليلاً لها .

من هنا .. وجدت المناسبة تفرض علينا أن نستعرض واحداً من الكتب التي تناولت أطوار الحروب الصليبية وأهدافها فى إيجاز غير مخل .

ماهية الحروب الصليبية .. الكتاب والكاتب

أما الكتاب فهو من إصدارات المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت - سلسلة عالم المعرفة، رقم ١٤٩ فى شوال سنة ١٤١٠هـ مايو ١٩٩٠م، ويشغل ستاً وخمسين ومائتى صفحة من القطع المتوسط، ويضم مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة .

وأما الكاتب فهو الدكتور قاسم عبده قاسم، وهو - كما جاء فى ذيل الكتاب - من مواليد القاهرة، حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة ١٩٧٥م، عمل أستاذاً بقسم التاريخ بجامعة الزقازيق ٨٤ - ١٩٨٧م، وحصل على جائزة الدولة التشجيعية من مصر ١٩٨٣م، وحصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من مصر سنة



المؤرخين والأدباء العرب فريسة الانبهار بالتقدم الأوربي، فبدأوا يستخدمون مصطلح «صليبي»، و«حملة صليبية»، و«حروب صليبية» فى تناولهم للظاهرة التى درج أسلافهم على معالجتها تحت مصطلح «الفرنج»، و«حركة الفرنج».

ويعلق المؤلف على ذلك بأن مكنم الخطورة فى هذا التغيير أنه يوحى بأن هذه الحركة كانت حركة دينية ترتبط بالصليب رمز المسيحية ولا تضعها فى إطارها الصحيح باعتبارها مغامرة استيطانية متعصبة، كما إن هذا التغيير - من ناحية أخرى - يظلم المسيحيين الشرقيين الذين عانى كثير منهم من وحشية الفرنج وعداوتهم.

الأفكار التى أفرزت هذه الحروب

ومن النظر فى التطور التاريخى فى العقليّة والوجدان الأوربيين بسماته الثقافية المعروفة فى العصور الوسطى يقفنا المؤلف على أن الأفكار التى أفرزت هذه الحروب تولدت عما شاع فى أوروبا الغربية من قرب نهاية العالم، مع اكتمال الألف الأولى بعد المسيح، حيث ظهر فى عدة أماكن فى أوروبا الغربية بعض ظواهر فلكية وطبيعية، مثل ثورة بركان فيزوف فى إيطاليا رآها الناس دليلاً على اقتراب نهاية العالم، وساعد على نشر هذه الشائعات ما كان عليه الأساقفة والقساوسة من تدن فى مستواهم الفكرى، وسلوكهم الأخلاقى، وما كان عليه الغرب الأوربى من جهل جعل الدين عندهم مزيجاً من الخرافة، وطقوس عبادة الطبيعة، وبعض تعاليم الكنيسة ويسر لديهم رد الظواهر الطبيعية إلى قوى غيبية من ناحية، وربطها باقتراب نهاية العالم والأفكار الألفية الأخرى من جهة أخرى.

الآخرين، وما امتزجت به أحداثها من القسوة والوحشية والتدين المشوب بالتعصب.

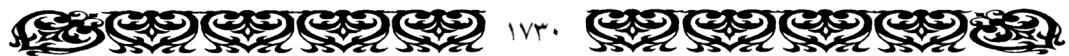
ويذكر أن تلك الحرب كانت فى البداية تتخفى وراء الستار الدينى فكان من يشاركون فيها يوصفون بأنهم حجاج، وكان يطلق فى الغالب على الحملة «رحلة الحج».

ومع ذلك... فلقد وسمت هذه الحروب فى كثير من كتابات المؤرخين اللاتين الذين عاصروها بأسماء مختلفة منها: «الحملة، والرحلة إلى الأرض المقدسة، والحملة العامة، ومشروع يسوع المسيح».

كما أن مؤلفاتهم جميعاً خلت من ذكر كلمة «الصليبيين» أو «الحملة الصليبية»، ولكنها دارت حول الحملة، أو «حجاج البيت المقدس» أو «الفرنج»، وعلى الرغم من الفشل النهائى الذى منيت به هذه الحرب، تحول المثال الصليبي بمرور الوقت - بفعل الخداع الإعلامى - من العمل فى خدمة الاستعمار الأوربى، إلى مثال براق خير يوحى بالتضحية بالنفس فى سبيل المثل الأعلى، حتى أصبح مصطلح «الحملة الصليبية» يستخدم بهذا المفهوم النبيل، والخير والعادل.

ويذكر المؤلف أن الأدبيات العربية القديمة التى تناولت تاريخ الحركة الصليبية لم يستخدم فيها مصطلح «الصليبيين» أو «الحملة الصليبية» أو «الحرب الصليبية»، وإنما عبر عن ذلك بعبارات مثل «حركة الفرنج»، كما وصفوهم على الدوام بكلمة «الفرنج».

وعندما بدأت من جديد فى القرن التاسع عشر محاولات النهوض الثقافى والفكرى فى العالم العربى - بعد أن توقف مدة طويلة - وقع كثيرون من





ناحية أخرى،.. تلك التى تطورت لتصل إلى صكوك الغفران .

ومن ناحية أخرى لعبت تجارة « الذخائر المقدسة » دورا هاما فى إثارة الاهتمام بالأرض المقدسة فى الغرب الأوروبى ، من رفات القديسين وملابسهم، وأدواتهم الشخصية .

هذا إلى أن عجز الكنيسة عن التصدى لتيار الحج العاطفى الذى ظل يجذب الناس فى غرب أوروبا إلى الأرض التى شهدت قصة المسيح .. هذا العجز جعلها تلجأ إلى اختراع الحج التكفيرى « حج التوبة » ليكون عقوبة كنسية على الجرائم الكبرى، مما كان سببا فى تزايد الناس فى الإقبال على المشاركة فى رحلات الحج .

وبذلك استقر فى ضمير الناس فى غرب أوروبا فى القرن الحادى عشر الميلادى، أن رحلة الحج تنويع لحياة المرء، يتمنى المتدينون أن تكون هى الخاتمة المناسبة لرحلتهم فى الحياة الدنيا، فكثر تلك الرحلات .

من ذلك يرى المؤلف أن الحملة الصليبية كانت التطور المنطقى للحج المسيحى إلى فلسطين، إذ لم تكن فكرة الحملة الصليبية لتطراً على بال أحد لو لم تكن رحلات الحج الكاثوليكية قد استمرت منذ فترة باكرة، وحتى أخريات القرن الحادى عشر .

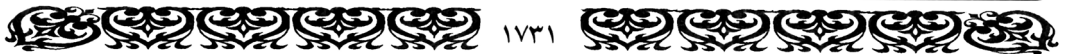
وهكذا اختلطت فكرة الحج بفكرة الحملة الصليبية، وأصبحت كل منهما تعنى الأخرى فى بداية الحركة الصليبية، ثم توارت فكرة الحج فى الخلفية، على حين صارت فكرة الحملة الصليبية تعنى « جندى الرب » فكان الغفران استجابة لحاجة

وفى ظل سيطرة المشاعر الألفية والأخروية على وجدان الناس أصبحوا تواقين لضمان الخلاص الذى تحول إلى التأكيد على ضرورة الرحلة إلى بيت المقدس .

ومن هنا تداول الناس - على اختلاف مشاربهم فى غرب أوروبا الكاثوليكية - أخبار الإشارات المقدسة، مثل هجوم الجراد بشكل وبائى، والنجوم التى أمطرتها السماء، وغير ذلك مما ربطه الناس بما جاء فى سفر الرؤيا .

ويروى المؤلف عن « بلدريك الدوللى » أن هذا الخبر الذى ارتبط بسفر الرؤيا لم يكن نتيجة الدعوة الرسمية التى وجهتها البابوية إلى الفرسان الإقطاعيين للمشاركة فى الحملة الصليبية، وإنما كانت نتيجة استجابة الفقراء السريعة التى نجمت عن معاناتهم بسبب تدهور المحاصيل فى السنوات القليلة التى سبقت خطبة البابا « أربان الثانى »، إذ كان من السهل عليهم أن يرحلوا من بلادهم بحثا عن خلاصين، خلاص دنيوى من الفقر، وخلاص أخروى من جزاء الخطايا، وبحثا عن سبيل يوصلهم إلى مستقبل أفضل، وهو مستقبل حملته الجموع الجاهلة بأحلام أخروية غامضة .

وعلى الرغم من أن هذه الأفكار والتوقعات التى دارت حول اكتمال الألف الأولى فى التقويم المسيحى، وما أفرزته من أخبار المعجزات والخوارق والأحلام المقدسة كانت كل هذه الأفكار من روافد « الأيديولوجية » التى صاغت الحملة الصليبية، إلا أنها فى التحليل الأخير لم تكن عامل الحسم فى الوصول إلى صيغة الحملة الصليبية، وإنما كان الفضل فى ذلك راجعا إلى تسليح الحج المسيحى من ناحية، وفكرة المكافأة التى ينالها الصليبي من





ريفية متخلفة بالقياس إلى العالم البيزنطي، والعالم العربي الإسلامي، إذ كان حضارة هذين العالمين قد وصلت إلى قممتها، وبدأت في التآكل، بسبب الصراع الداخلي بين البيزنطيين، وبسبب التشرذم السياسي في العالم العربي الإسلامي رغم احتفاظه بإمكانياته العسكرية والبشرية الهائلة، وثرواته الأسطورية، بينما كانت الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا تسعى لفرض السيادة المطلقة على العالم المسيحي متضامنة مع العلمانيين الذين خضعوا للتنظيم الإقطاعي، والذين كانوا يتوقون إلى توسيع سلطانهم وأملاكهم على حساب الملكية، ومع البرجوازيين الناشئين الساعين لفرض سيطرتهم على تجارة البحر المتوسط، وتجارة العالم.

ومن تضامن هذا الثلاث برزت الدعوة إلى غزو العالم العربي الإسلامي استجابة للفكرة الصليبية، وفق التفسير الخاص الذي يناسب مصالحهم وساعد هؤلاء في تحالفهم أن أوروبا قد أيقنت في ذلك الوقت أن طاقتها الحضارية النامية أكبر من أن تستوعبها أراضيها الضيقة، فأخذت تسعى لإيجاد منافذ خارجية لها، وقد كان هذا هو أهم أسباب التوسع الذي شمل جهات عديدة.

وقد شهدت السنوات العشر التي سبقت الدعوة إلى الحملة الصليبية الأولى سلسلة متصلة من الفيضانات والمجاعة، والأوبئة الفتاكة، فكان من الطبيعي أن يكون رد فعل الناس التعلق بأهداب الدين، أو محاولة التكفير عن الذنوب، والتجمع حول الزاهدين والنساك بحثاً عن الخلاص، ولذا راقبت الدعوة التي وجهها البابا لشن حملة صليبية ضد المسلمين في عيون الفلاحين والفقراء، ورأوا فيها نبوءة تعدهم بالخلاص، خصوصاً أنهم كانوا

الناس التواقين إلى الخلاص من ناحية، واستجابة لمتطلبات الحركة الصليبية من ناحية أخرى.

ثم حدث تطور جديد وهام، فقد صارت البابوية تمنح الغفران لمن يرسلون المحاربين بدلاً منهم، ولمن يساهمون بأموالهم في تمويل إحدى الحملات الصليبية، عوضاً عن المشاركة بأنفسهم.

ونتج عن توسع البابوية في استخدام الفكرة الصليبية في شن الحرب ضد خصومها داخل أوروبا الكاثوليكية نفسها.. فتح الباب على مصراعيه أمام فكرة شراء الغفران بالمال، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور مشكلة صكوك الغفران التي ثار ضدها مارتن لوثر فيما بعد.

ومن هنا.. كانت الدعوة إلى أى حملة صليبية تبدو في نهاية القرن الثالث عشر للكثيرين من رجال الكنيسة والعلمانيين مجرد وسيلة لجمع الأموال للبابوات والفرسان لاستخدامها في عدة أغراض لا تتصل بالحرب ضد المسلمين في فلسطين.

ويرى كثير من الباحثين أن «جريجورى السابع» هو الذى صاغ فكرة الحرب المقدسة في شكلها النهائي، وأحدث نقلة نوعية في موقف المسيحية من الحرب، وقد استخدم عبارة جيش المسيح للمرة الأولى بالمعنى الدنيوى، وليس المعنى المجازى الذى استخدمه القديس بولس.

تحالف المنتفعين للدعوة إلى الحملة

وفى الفصل الثانى «الظروف التاريخية والدوافع» ذكر المؤلف أن أوروبا حتى القرن الحادى عشر كانت مجرد منطقة جغرافية لم تتشكل بعد على المستوى السياسى وأنها كانت مجرد منطقة



انتصارات الحملة الصليبية الأولى والاستيلاء على الإمارات العربية والإسلامية الصغيرة في بلاد الشام.

ففى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى كان المسلمون فى المنطقة العربية موزعين فى ولائهم السياسى بين الخلافة العباسية السنية فى بغداد، والخلافة الفاطمية الشيعية فى القاهرة.

وقبيل الحملة الصليبية الأولى كانت كل مدينة كبيرة فى بلاد الشام إمارة مستقلة، تحت حكم حاكم عربى، أو حاكم تركى سلجوقى، وكانت مشاعر الحقد والشك المتبادلة بين هذه الكيانات السياسية الصغيرة سببا فى العداء السياسى والعسكرى والذى نشأ عنه تنافر هذه القوى، وعدم توحيدها فى جبهة تواجه الغزو الصليبي، بل كانت سببا فى تورطها فى الحروب المنهكة على مدى قرن كامل قبل قدوم الصليبيين، فلما قدموا لم يكن لدى الحكام العرب سوى ميراث طويل من الشك والمرارة يسود علاقة بعضهم ببعض.

ومن هنا.. مضت قوات الصليبيين كما تمضى السكين فى قطعة الزبد، فسقطت الإمارات العربية واحدة تلو الأخرى، مما أحدث صدمة عنيفة لجميع القوى الإسلامية أثارت فيهم الفزع والاضطراب.. ومع ذلك فإن الأنانية وضيق النظر جعل تلك الصدمة وذلك النذير بدون فائدة.

اندفاع أوربي جارف للحملة الأولى

وفى الفصل الثالث «الحملة الصليبية.. عرض تاريخي» قدم المؤلف عرضا تاريخيا للحملة الصليبية بدءا من الحملة الأولى، وانتهاء بالحملة السابعة مبينا ما كان وراء كل حملة من

يستمدون معلوماتهم من قساوسة الأبرشيات الأميين، فكانت كلها معلومات تتسم بالجهل والتعصب، والتزمت المقيت.

وهكذا كانت الأوضاع الاجتماعية المحيطة، والجو الفكرى المشبع بالخرافات، والتدين العاطفى، والتعصب الأعمى من أهم الدوافع التى حركت المقهورين من أبناء الغرب الأوربي فى القرن الحادى عشر الميلادى إلى المشاركة فى الحملة الصليبية وكانت هذه الحملة تعنى بالنسبة للفلاحين وعامة سكان المدن الذين ساهموا فيها شيئا يختلف عما قصده البابا.

أى أن رغبة بعض الأفراد فى المغامرة والنهب، مع تطلع رجال الكنيسة إلى السيطرة، قد اجتمعا لدفع عامة الأوربيين للقيام بتلك الحملة، سعيا وراء التوسع، وبحثا عن فرصة لحياة أفضل تحت سماء الشرق ومحاولة للفوز بالثروة الطائلة التى ينعم بها العالم الإسلامى، وقصدا للحصول على دور المسلمين فى تجارة العالم، فتجمعت كل هذه القوة - الفلاحون والفرسان ورجال الكنيسة - فى شبكة واحدة للتوسع والنمو فى مشروع الحملة الصليبية الذى طرحه البابا «أربان الثانى» فى خطبته التى ألقاها فى ٢٧ من نوفمبر سنة ١٠٩٥ م.

وقوع العرب فريسة للتمزق السياسى

والتناحر العسكرى

وكما أظهر المؤلف دوافع التحالف بين رجال الكنيسة والإقطاعيين، والبرجوازيين - على الرغم مما بينهم من تنافر - للقيام بتلك الحملة الصليبية، أظهر فى المقابل ما كان عليه العرب من تمزق سياسى وتناحر عسكرى كان له الفضل الأكبر فى تحقيق



ودوافع، وما كان لها من مقاصد، وما ووجهت به من مقاومة عربية إسلامية، فأبرز دور الخطبة التي ألقاها البابا «أربان الثاني» في إثارة الجماهير الأوروبية، مستغلا سلطته الدينية، في تفسيره لبعض النصوص الإنجيلية، فقد دعا في هذه الخطبة إلى حملة مقدسة هدفها فلسطين، زاعما أنه يدعو إلى ذلك باسم الرب، لأنه نائب عنه في الأرض، ومستثيرا الفرنج بامتداح شجاعتهم وقدراتهم القتالية، والتذكير بأمجاد أسلافهم، وواعدة بمنح غفران جزئي لكل من يشارك في هذه الحملة سواء مات في الطريق أو قتل في حرب المسلمين، مردداً، Deus lo Volt أى الرب يريد، فأصبحت شعارا يردده الصليبيون في كل معاركهم ضد المسلمين.

مع التحول الإسلامي

في مواجهة الحملات الأخرى

وكان رد الفعل الإسلامي منطلقا من جماهير الناس العاديين، فشكل رأيا عاما قويا بدأت على أثره الدعوة إلى الجهاد تسرى بين الناس بسرعة كبيرة، وكانت ثمرة ذلك ظهور عماد الدين زنكي ليقود حركة الجهاد والمقاومة العربية بعد أن تغلب على النعرات الفردية، والانعزالية في بلاد الشام والعراق، والجزيرة، وأصبح الطريق مهذا أمامه لتوجيه ضربة قوية للصليبيين سنة ٥٣٩ هـ - ١١٤٤ م.

ولكن الأوروبيين بدأوا يدعون إلى حملة أخرى سنة ١١٤٥ م - فتجمعت قوات «كونراد الثالث» إمبراطور ألمانيا، وقوات لويس السابع ملك فرنسا بعد أن أخذوا شارة الصليب، فوصلت القوات في أواخر سنة ١١٤٧، وبداية سنة ١١٤٨ مشكلة الحملة الثانية، لتلقى على أيدي المسلمين هزيمة فادحة، نجا منها الملك الفرنسي من الأسر والقتل بأعجوبة، بعد تمزق جيشه.

ومع توحيد الجهة الشمالية تحت قيادة نور الدين محمود، واستمرار هجماتها ضد الصليبيين اتجهت الأنظار إلى مصر التي كانت تعاني من الضعف السياسي آنذاك، ولكنها بمواردها البشرية والاقتصادية الكبيرة كانت كفيلة بترجيح كفة من يضمها إلى جانبه.

وكانت استجابة الناس من أبناء الطبقة الدنيا في غرب أوروبا سريعة وحماسية، كما كانت بمثابة صدام حضارى وسياسى بين البيزنطيين ورجال الحملة الصليبية، وعلى الرغم من زعمهم أنهم جاءوا لنجدهم، إذ كان عليهم أن يعبروا إلى الشرق العربى مدينة القسطنطينية الجميلة، بوابة الشرق، والمدخل الكبير إليه.

وأمام التشرذم السياسى للحكام العرب، صادفت الحملة أنسب الظروف لتحقيق انتصار سريع لم يخطر لهم ببال، تمكنوا من اقتحام مدينة القدس، يوم الجمعة ٢٢ من شعبان سنة ٤٩٢ هـ - ١٥ من يوليو سنة ١٠٩٩، فعاثوا فيها فسادا وظلوا بين النهب والقتل عدة أيام، حتى فاض الدم في الشوارع وظلت الجثث مطروحة عدة أيام.

هكذا أسفرت الحملة الأولى عن قيام مملكة بيت المقدس وإمارتين صليبيتين في الرها وأنطاكية. ولما أدرك الأوروبيون أنهم أقل كثيرا من العرب

وكانت استجابة الناس من أبناء الطبقة الدنيا في غرب أوروبا سريعة وحماسية، كما كانت بمثابة صدام حضارى وسياسى بين البيزنطيين ورجال الحملة الصليبية، وعلى الرغم من زعمهم أنهم جاءوا لنجدهم، إذ كان عليهم أن يعبروا إلى الشرق العربى مدينة القسطنطينية الجميلة، بوابة الشرق، والمدخل الكبير إليه.

وكانت استجابة الناس من أبناء الطبقة الدنيا في غرب أوروبا سريعة وحماسية، كما كانت بمثابة صدام حضارى وسياسى بين البيزنطيين ورجال الحملة الصليبية، وعلى الرغم من زعمهم أنهم جاءوا لنجدهم، إذ كان عليهم أن يعبروا إلى الشرق العربى مدينة القسطنطينية الجميلة، بوابة الشرق، والمدخل الكبير إليه.



يكون هدفها مصر، فبدأ الاستعداد للحملة الرابعة، ولكن الصليبيين بعد تجمعهم توجهوا لحصار القسطنطينية بدلا من القاهرة.

ثم خرجت من أوروبا الغربية حملة عجيبة عرفت باسم «صليبية الأطفال» تعبيرا عن التدنيس العاطفى الذى ملك على الأوروبيين عقولهم، واستجابة لرد الفعل الشعبى لفشل البابوية وحكام أوروبا فى أخذ مدينة القدس.

ومع ذلك نهض البابا «إنوسنت الثالث» يدعو الحملة صليبية جديدة، هدفها مصر، لتمكين المدن التجارية الإيطالية من السيطرة على تجارة المتوسط، وضرب المنافسة المصرية، ولتحسيد مصر بعد هزيمتها، ولاسترداد الشرف العسكرى الذى تمرغ فى التراب، بهزيمة حطين.

ولكن هذه الحملة انتهت بهزيمة منكرة، قضت على أحلام الصليبيين فى شهر رجب سنة ٦١٨ هـ - سبتمبر ١٢٢١م، فكانت آخر المحاولات البابوية المنفردة لتوجيه حملة صليب.

البابا يعاقب من رغب فى السلام

ويذكر المؤلف أن الصليبيين والبابوات فى فلسطين لم يحاولوا الإفادة من سياسة المهادنة التى اتبعها المسلمون بقيادة السلطان الكامل الأيوبي، ولم يستجيبوا لها، ولكن «فرديك الثانى» إمبراطور ألمانيا ١٢١٥ - ١٢٥٠ كان مختلفا، حيث أبدى استعدادا للإفادة من الروح السلمية البادية فى موقف السلطان الكامل، لأنه كان واسع العلم، غزير المعرفة، يكن للمسلمين ودينهم وحضارتهم تقديراً كبيراً، فتواصلت المراسلات بينه وبين السلطان الكامل، لتسفر عن قدوم الإمبراطور إلى

ومن هنا عمل نور الدين محمود على أن يسبق الصليبيين ليضمها إلى صفه دون انتظار لنهاية الدولة الفاطمية، فنشب صراع عنيف بينه وبين الملك الصليبي «أمالريك» المشهور باسم «عمورى» الذى نتج عن فشله فى محاولاته تقلص الموارد البشرية والمادية لمملكة بيت المقدس اللاتينية من جهة، وتغيير خريطة العلاقات السياسية لصالح القوى العربية الإسلامية من جهة أخرى.

وموت نور الدين محمود وانفراد صلاح الدين الأيوبي بالسلطة فى مصر الذى تمكن من توحيد الجبهة العربية الإسلامية، وتحقيق الانتصار على زهرة جيوش الفرنج عند حطين فى ٢٤ من ربيع الآخر سنة ٥٨٢ - ٤ من يوليو سنة ١١٨٧م - فقدت مملكة بيت المقدس قواتها العسكرية الرئيسية، ولم يتبق بأيدي الصليبيين سوى «صور - أنطاكية - طرابلس» وبعض القلاع والحصون المتناثرة فى بلاد الشام.

عندئذ قام البابا «جريجورى الثامن» بإرسا خطاب بابوي لكل المؤمنين فى الغرب يحضهم على التحرك لحرب المسلمين، فتدافعت القوى من كل جانب إلى بلاد الشام لتبدأ معارك الحملة الصليبية الثالثة التى خيبت آمال الأوروبيين والفرنج، وحولت آمالهم إلى إحباط.

ومرت بالبلاد العربية عدة تقلبات، حيث مات صلاح الدين فى ٢٧ من صفر سنة ٥٨٩ - ٤ من مارس ١١٩٣، وساد العلاقة بين الأيوبيين شىء من التوتر والخلاف، فتجددت آمال الأوروبيين فى الاستيلاء على بيت المقدس، وضرب مصر، ونهض البابا «إنوسنت الثالث» يدعو إلى حملة جديدة



وظلت الجهود العربية الإسلامية بقيادة بيبس ثم بقيادة السلطان المنصور قلاوون تطارد الصليبيين إلى أن انحسروا في عكا وصيدا وعتليت سنة ١٢٨٩م ولما اعتدى بعض الصليبيين الإيطاليين سنة ٦٨٩هـ- سنة ١٢٩٠م على المسلمين نهض السلطان لتأديبهم ومع وفاته تولى ابنه الأشرف خليل قيادة الجيش ليقضى على الصليبيين تماما وتنتهى دولتهم في فلسطين تماما.

ومع ذلك ظلت بقايا الصليبيين الذين فروا إلى قبرص ورودس مصدر إزعاج للمسلمين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

أبرز آثار الحملات الصليبية

وفى الفصل الرابع «الحصاد، أو أثر الحروب الصليبية في العالم العربي» يذكر المؤلف أن من أبرز آثار الحملات الصليبية إدراك العالم العربي أن مؤسساته السياسية القائمة غير قادرة على قيادته سياسيا وعسكريا ومسارعتة إلى فرض صياغة سياسة جديدة تضع الدولة الموحدة بدلا من الكيانات السياسية الهزيلة وتقوم على أسس عسكرية تضع كل الموارد في خدمة المجهود الحربى.

٢- أما آثار تلك الحروب الاجتماعية فقد كانت أكثر وضوحا في بلاد الشام لأن البنية السكانية وعلاقات القوى الاجتماعية والنظام القيمى والأخلاقى قد اهتزت كثيرا نتيجة الاستيطان الصليبي الذى مكث حوالى قرنين من الزمان بالإضافة إلى ما أحدثه استمرار الحروب من تأثيرات.

وكان من آثار ذلك أن أصبحت مصر هي

فلسطين سنة ٦٢٥ هـ- ١٢٢٨م، مما أثار غضب البابا في روما، الذى دعا إلى شن حرب صليبية ضد «فردريك الثانى» بعد أن وقع ضده عقوبة الحرمان، بينما كان الإمبراطور في فلسطين يؤدى واجبه الصليبي الذى تجنب فيه إراقة الدماء وعقد هدنة مع السلطان الكامل مدتها عشر سنوات يتسلم بمقتضاها مدينة القدس وبيت لحم وشريطا من الأرض يصل بين عكا والقدس على أن يبقى في حوزة المسلمين المسجد الأقصى وقبة الصخرة والمناطق الريفية وفى المقابل يتعهد «فردريك» بمنع أى حملة صليبية من أوروبا طوال عشر سنوات ثم عاد إلى أوروبا في يونيو سنة ١٢٢٩م متوجا ملكا على مملكة بيت المقدس ومحققا كسبا لم تستطع أى حملة قبله أن تحققه، وأمام غضب العالم الإسلامى لهذا الاتفاق بعث السلطان سفراءه إلى كل مكان ليبرروا فعلته.

وفى سنة ٦٤٧هـ- سنة ١٢٤٩م تواترت الأنباء عن قدوم حملة جديدة تحت راية الصليب بقيادة «لويس التاسع» لاحتلال مصر وفى العشرين من شهر صفر سنة ٦٤٧هـ- ٤ من يونيو سنة ١٢٤٩م نزل الصليبيون قبالة دمياط التى لم تصمد طويلا فنقل السلطان معسكره إلى مدينة المنصورة حيث بدأت حرب العصابات إلى أن أصبح الظاهر بيبس سلطانا فقاد الجيش فى معركة رهيبة قرب فارسكور قضى فيها على الجيش الصليبي وتم أسر «لويس التاسع» حيث بقى سجيناً حتى أفرج عنه لقاء فدية كبيرة مع الجلاء عن دمياط.

وكانت تلك الحملة الصليبية السابعة آخر المحاولات الأوربية ضد مصر لكنها لم تكن آخر الجهود الصليبية على أى حال..



ولقد بذل المؤلف جهدا شاقا في محاولاته تلك بدت في قلبه بين خضم هائل من الوثائق القديمة والحديثة وبحر محيط من المراجع والمصادر المتضاربة مع نظر يقظ مقارنة بين ما كان وما هو كائن اليوم من أحداث مازالت تفرزها الأفكار والأيدولوجيات الصليبية نفسها كان وراء ما يعايناه العالم العربي والإسلامي من تأمر وضغط واستعمار واستيطان وعمل متواصل حتى يظل على جموده الحضاري وخوائه الاقتصادي وفراغه الثقافي .

وعلى الرغم من أن المؤلف حرص كل الحرص على أن يجنب دراسته تلك أسباب التعقيد فقدمها في أسلوب عربي سهل لكنه لم يستطع تجنب القارئ الخوض في غمار الأحداث التاريخية الكثيرة، بل إن الملاحظ أنه - وقد حاول تجنب القارئ ذلك - أوقعه فيما هو أخطر وهو تكرار كثير من الأحداث حيث يقدم الحدث مجملا ثم يذكره معززا بالوثائق التي تنبئ به ثم يعود فيذكره عند الموازنة أو استخلاص الأثر أو التعريف بالنتيجة من كل ما يحوج القارئ إلى التأنى ومعاودة النظر فيما تقدم .

ومع ذلك .. فالكتاب جهد مشكور يذكرنا مضمونه بأن ما يصنعه الغرب الأوروبي والعصابات الصهيونية اليوم في العالم العربي الإسلامي ان هو الا امتداد لما حاولوه في القرون الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر الميلادية ويجعلنا نضرع إلى الله أن يوفق أمتنا إلى من يوحد كلمتها ويجمع شملها كما وفقها من قبل ليدفع عنها ما دفعه عنها من قبل والله المستعان في البدء والمنتهى .

المعقل الأخير الآمن للحضارة العربية والإسلامية حيث دفعت الغزوات التتريية بالكثيرين من أهل العراق والشام إلى مصر، ودفع هجوم الكاثوليك على مسلمى الأندلس بالكثيرين كذلك إلى مصر .

٣- وفي الميدان الأخلاقي كان لتلك الحملات من الإفزازات السلبية ما يفوق إفزازات الحروب العادية فقد امتلأت النفوس بالغضب ومشاعر الإحباط والمرارة .

٤- وفي المجال الاقتصادي عانت الزراعة من التدهور والتخريب في بعض المناطق واضمحلت بعض المدن التي كانت التجارة فيها مزدهرة كما ساءت أحوال الفلاحين .

هذا إلى أن بلاد الشام عرفت عددا من الصناعات والحرف التي اكتسبت لنفسها شهرة تاريخية في العالم المعروف آنذاك بينما تجلى في التجارة الآثار السلبية للحروب الصليبية .

وهكذا يتضح أن الحروب الصليبية كانت صداما عسكريا ومواجهة حضارية طويلة مضيئة بين الشرق العربي الإسلامي والغرب الأوروبي الكاثوليكي .

فالكتاب - على وجه الإجمال - محاولة جادة من مؤلفه لرسم صورة شاملة لحقيقة الحركة الصليبية بعيدا عن التفاصيل التاريخية وهو مسعى عقلي - كذلك - للوقوف على الأفكار التي أفرزت تلك الحركة كما أنه نظر فاحص لتبيان الدوافع المتنوعة التي حركتها وتتبع مدق لإبراز تأثيراتها السلبية في العالم العربي وفي الحضارة العربية الإسلامية بوجه عام .



صفحات

من تاريخ الإبداع الأدبي
بالمدينة المنورة



د. عاصم حمدان



عرض وتقديم
الأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي



د/ عاصم حمدان

لقد شعر المؤلف بدين أدبي في عنقه حول مدينة رسول الله ﷺ وتاريخها الحافل بأدبائها وشعرائها وأحداثها، فأخرج من الآثار العلمية ما ينبىء عن هذا الحب الخالص مؤلفاً ومترجماً ومبدعاً، وما زال بعد ذلك يحس قصوراً فيما أبدع وألف وترجم، فهو يعدّ القراء بالمزيد، ونحن منتظرون.

وقد صدق حين جعل العنوان «صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة» لأن «من» التبعية هذه تدل على أن التاريخ الحافل للمدينة لا تسعه صفحات كتاب، وحسب المؤلف أن يختار من هذا التاريخ ما يمثل لبنة متواضعة في هذا الصرح الحافل، على أنه أجاد إجادة تامة في كثير مما عناه بالتحليل.

وذلك حق لا مرية فيه، وقد آثر الباحث الشاعر «جعفر البيتي» ببحثه الخاص، ودفعه هذا الحب إلى النظر إليه أو إلى شعره على وجه الدقة بمنظار مكبر، حيث ألبسه لباساً فضفاضاً كاد يغرق في ذيوله الضافيات، فالشاعر البيتي هو في الحقيقة دون إجحاف ابن عصره، ولم يخرج عن منحى العصر الأسلوبى فى شيء مهما نظم القصائد المطولة، التى عدها الباحث العطوف من طراز الملاحم! وقد خالف جمهرة الباحثين فى الحكم على شعر هذا العصر بعامة وعلى الشاعر بخاصة حين عد جعفر البيتي استثناء من نفر متواضع زاملوه وسأووه، وأنا أدله على كتاب تحت عنوان «الأدب المصرى فى ظل الحكم العثمانى» ظهر فى الستينيات للأستاذ محمد سيد كيلانى حيث تحدث عن

وفى مقدمة الكتاب وما يليها حديث عمّن كتبوا عن المدينة على مر العصور فأحصاهم عدا قدر ما يستطيع إذ أن فى رَحِم الغيب من هؤلاء من لاتزال آثاره مطمورة تُسأل الباحثين هاتفة بقول الله:

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾﴾ (١).

وفى رأى أن الدكتور عاصم أصلح من يكتب عن هذه الأسفار كتابة مستفيضة شافية، بحيث يستقل جزء ضاف بهذا المنحى، فيبرز أثر كل مؤرخ، ومن أخذ وما أضاف وما أخطأ فيه وهذا عمل شاق تنوء به العصبية أولو القوة ولكن الثقة فى الدكتور عاصم تدفعنا إلى رجائه أن يكون بمقدرته المعهودة مؤرخ المؤرخين، وناقد الموجهين، ومؤلفاته الجيدة ترشحه لذلك عن اقتدار،



المآثل لم يطيلوا القول بل ألوا به إمامة الطغرائي بالجزع، هنا يظهر شعر المدينة رائعا مهيبا زاهرا، لا شاحبا ممتقعا باهتا كما نرى في شعر المتأخرين، ومؤرخ الأدب يكتب عن القمم وعن السفوح، لذلك كان من هدف الباحث أن يتحدث مشكورا عن أنوار مشعة ظهرت في ظلمات التقهقر، وهي بما قامت به أدت دورا مشكورا، إذ كانت تشق طريقها الصعب، بين جلاميد الصخور، ونحن نحكم هنا على شعر العصر بأجمعه في مختلف الدول العربية ولا نخص الحجاز بعينه فليس البلاء بواحد.. أما الرائع حقا فهو تلك الفصول النيرة التي تحدثت عن أعلام المدينة المنورة، وأعظم ما قرأته في هذه الفصول هو ما جاء تحت عنوان «الدور الرائد لحلقات العلم في المسجد النبوي الشريف» فهو تسجيل شاف للحركة العلمية المعاصرة في المسجد النبوي، ويصلح أن يكون فهرسا لكتاب مستقل يبين فضل المسجد النبوي في الحاضر العتيد، مذكرا بما كان من فضله من قبل في عهود الإسلام الزاهرة التي أخرجت حلقاتها مدرسة الإمام مالك الفقهية ومدرسة القراءات التي تزعمها نافع وتلاميذه وبه إشارات طريفة لنوادير علمية دوى صداها في العالم الإسلامي جميعه، كالمركة اللغوية التي نشبت بين العلامة البرزنجي والإمام الشنقيطي، وبسببها كتب الشنقيطي الكبير

معاصرين للشاعر بمصر، بلغوا مبلغه المتواضع، وإن لم يسترسلوا مثله استرسالا في نظم الأحداث كما استرسل، وأقول في نظم الأحداث عن عمد فالبيتي في أكثر ما تحدث به عن ما شاهد من المواقف والوقائع ناظم، وقد اعترف الباحث بذلك في بعض تعليقاته، لذلك أجدني مخالفًا للدكتور عاصم في محاباته للبيتي، ونحن لا نقسو عليه لأنه ابن العصر، وفضله الأثير في مختاراته الشعرية الطيبة لا في قصائده المنظومة، فقد دل على ذوق واستيعاب وجهد، وحسبه هذا وحيدا لو أعيد نشرها كمختارات البارودي.

وقد كنت أطمع أن يتحدث الباحث أولا عن شعراء المدينة في عهد الازدهار الأول فيتحننا بنماذج رائعة ممتازة لأمثال عبدالرحمن بن حسان ولأبيه، والنعمان بن بشير، والأحوص، وقيس بن ذريح، وابن قيس الرقيات، ونصيب - الشاعر المهضوم - والحسين بن علي، والعرجي - وإن سكن بالطائف حيناً - وابن أراطاة، وابن هرمه، والسري بن عبدالرحمن، وعروة بن أذينة، وعبيدالله بن عتبة بن مسعود، وعبدالله بن الحسن، وجعفر بن الزبير، وهؤلاء وأكثر منهم محتاجون فعلا إلى دراسة شافية مفصلة تبين أثر المدينة في الشعر أيام الديباجة الصافية والطبع الأسر، لأن الذين كتبوا عن هؤلاء





إليه، بل هو أولى وأجدر من كثير بشهادة
الواقع الذى لا يمتري فيه .

هذا وقد ذكرنى قول جعفر البيتى ص ١٥٣
رأى البق من كل الجهات فراعته

فلا تنكروا إعراضه وامتناعه

بقصيدة رنانة لابن النحاس من شعراء
العصر المتحدث عنه، ومن أقاموا بالمدينة
المنورة وقتا طويلا، ودفن بالبقيع فى الثانى
عشر من صفر سنة ١٠٥٢هـ، قال ابن النحاس
فى مطلعها:

رأى اللوم من كل الجهات فراعته

فلا تنكروا إعراضه وامتناعه

ولا تسألونى عن فؤادى فإننى

علمت يقينا أنه قد أضاعه

والقصيدة طويلة وهى روح مضرجة بالدم كما
يقول الدكتور زكى مبارك - رحمه الله - وقد
غنتها أم كلثوم فى عهدها الأول، ومن يدرى فقد
يكون البيتى قد استعان بغيرها .

وبعد فهذه خطرات سريعة عن كتاب قيم
نرجو أن يكون طليعة لكتب فائقة من هذا
الطراز، وأشكر للمؤلف تفضله بإهداء كتابه
إلى، وقد عهدت لديه نبلا يفسح صدره
لقبول بعض ما ذكرت .

كتابا حافلا كان له رنة فى مساجد الأزهر
بمصر، والزيتونة بتونس، حيث امتد الشرر
إلى عالمها الكبير الشيخ سالم أبى حاجب،
فليت الدكتور عاصم يهيبى بعض طلاب
الدراسات العليا بكلية الآداب بجدة إلى
تدبيح رسالة علمية عن تاريخ الحركة العلمية
المعاصرة فى المسجد النبوى الشريف، لاسيما
أن بعض أعلام التدريس قد تحدث عنهم هذا
الكتاب فى فصول تالية مثل الشيخ محمد
أمين الشنقيطى والشيخ عطية سالم
وغيرهما، ومن الشخصيات الأدبية الشجاعة
الباهرة التى تحدث عنها الدكتور حمدان
شخصية الأستاذ محمد حسين زيدان وقد
جعل عنوان حديثه « فارس الكلمة المرتجلة »
وهذا ما كنت أجهله لأنى فى قراءتى الكثيرة
لآثار الأستاذ زيدان كنت ألحظ التأنى الشديد
المتريث، الذى يوحى بإعمال الفطرة، فأفكاره
ذات غوص بعيد، ثم هى تحمل تعبيرا صافيا
لا يتاح للكاتب بديهة، إذ لابد حينئذ من
إعمال الروية، لذلك قرنه مؤرخه بالأستاذ
مصطفى صادق الرافعى، وهو أستاذ البيان
العالى فى أرقى مصاعده، وأعمق أغواره،
وقد غاب عن عيني ما كنت أنتظره من
حديث واف عن الأستاذ عبد القدوس
الأنصارى - رحمه الله - فهو جدير بفصل
مستقل، ومجده الأدبى أوضح من أن يشار

القصة القرآنية في الدراسات المعاصرة

د. أستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب



ويأخذ فتحى رضوان طرف الخيط من سلفيه: طه حسين، وسيد قطب، ويحاول أن يضىء فى كتابيه: (الإسلام والمذاهب الحديثة) و(القصة القرآنية) بعض خصائص النوع القصصى كما ورد فى القرآن الكريم، مع مُسلِّمة أنه ينطلق فى بحثه من منطلق إيمانه بخصوصية القصّ القرآنى، وَيَعْبُرُ - واثقاً - فوق موضوعات القصة كما تلوح فى إبداع البشر، وكما يؤصل لها الفكر النقدى فى القديم والحديث. ولعله كان أميل الثلاثة إلى إيجاز خصائص القصة القرآنية، ربما فى سطور لينتقل بعد ذلك إلى تفرس السياقات القرآنية القصصية، يأخذ منها شواهد التطبيقية على ما ارتأى أنه أصول القص القرآنى، أو خصائص القصة القرآنية، وهو يوجز هذه الخصائص فيما يلى:

ويوجه كل طاقته بعد ذلك إلى استقصاء هذه الخصائص من واقع النص القصصى فى القرآن الكريم بشكل عام، وفى قصة موسى عليه السلام بشكل خاص، حتى ليجوز لنا أن نقول إن كتابه: (القصة القرآنية) موجه ربما بكامله إلى استجلاء خصائص الفن القصصى القرآنى من خلال قصة موسى وحده، مع تفرق إشارات عابرة هنا وهناك إلى بعض قصص الأنبياء الآخرين فى تضاعيف هذه الدراسة، قد تكون الحاجة إلى توضيىء قصة

أولاً: أن القرآن الكريم لا يعرف بالشخصيات التى يدور حولها الكلام فى القصة...
ثانياً: أنه يجرد كلامه - تعالى - من الزمان والمكان...
ثالثاً: أنه يصطنع أسلوباً من الإيجاز العام الذى لا نعرف له نظيراً فى آثار الأمم الأخرى مهما سمت مكانتها البيانية...
رابعاً: وحدة الغاية فى كل ما ورد فى القرآن من أنباء وأخبار وأحاديث وذكر^(١).

(١) فتحى رضوان: الإسلام والمذاهب الحديثة - نقلا عن كتابه (القصة القرآنية ص ٨).



سيد قطب



طه حسين

كما قال تبارك وتعالى :

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٥)

وفى سورة النازعات :

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ ﴾ (٦)

وفى القرآن الكريم يتحدث عن أخبار الماضي بأنها أنباء الغيب، أو أنباء ما سبق، كقول الله تعالى فى سورة آل عمران :

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ (٧)

ولكن الأمر يختلف فى سورة يوسف، فهى القصة التى جاء فى صدرها قول الله تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (٨).

وهى السورة التى تروى قصة أحد أنبياء الله - تعالى - ورسله من الصبا حتى بلغ أعظم درجات

موسى هى التى دعت إلى الإشارة إليها مرة بعد مرة، وحيناً بعد حين.

والذى يهمنى هنا، أن نشير إلى طبيعة خصائص القصة القرآنية، سواء وردت هذه الخصائص فى قصة يوسف أو قصة موسى، أو قصة إبراهيم، لأن المنهج فى النهاية واحد، والإعجاز الإبداعى الذى يستهدى هذا المنهج واحد كذلك، ولكن فتحى رضوان ينبه إلى ما يبدو إشكالية حقيقية: هل فى القرآن قصص كثيرة؟ أم أن فيه قصة واحدة يمكن أن يطلق عليها هذا المصطلح وهى قصة يوسف؟ والغريب أنه بعد التنبيه على هذه الإشكالية لايقدم إجابة واضحة على ما أثاره، واكتفى بعرض تساؤلاته على هذا النحو:

ولقد يثور التساؤل: هل فى القرآن قصص، أم فيه قصة واحدة هى قصة يوسف؟ فالقرآن يستعمل أكثر ما يستعمل لفظ نبأ وأنباء وحديث وذكر، وهو يروى ما جرى للأنبياء مع أقوامهم، فى أدوار رسالتهم المختلفة، من ذلك ما جاء فى سورة إبراهيم:

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَوَرَّوْهُمُ وَغَادَوْهُمْ مُدًى ﴾ (٢)

وفى سورة الشعراء:

﴿ وَأَتْلَوْا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٣).

وفى سورة هود:

﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ﴾ (٤).

(٢) الشعراء (٦٩).

(٥) الذاريات (٢٤).

(٧) يوسف (١٠٢).

(٢) التوبة (٧٠).

(٤) هود (١٢٠).

(٦) النازعات (١٥).

(٨) يوسف (٣).

النفوذ والجاه، في حين أن الأنبياء الآخرين جميعاً - عليهم الصلاة والسلام - توزعت وتناثرت أخبارهم في عشرات من سور القرآن، وقد اتصل الحديث عن يوسف - عليه السلام - في السورة المسماة باسمه، دون أن يتخلل الكلام عنه أمور أخرى، أو وقائع خارجة عن سياق حكايته كما هو العهد بالقرآن الكريم بالنسبة لجميع رسل الله. والأهم أن يوسف عليه السلام استأثر بسورة كاملة، ثم لم يرد بعد ذلك إشارة إلى شيء من أعماله أو أقواله في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كما هو الحال مع غيره ممن اصطفاهم الله برسالاته^(٩).

إن فتحي رضوان هنا يرصد الظاهرة، ظاهرة توزع الحديث القصصي عن الأنبياء والمرسلين في مواضع شتى من القرآن الكريم، وتخصيص قصة يوسف وحدها بسورة كاملة، ثم لا يستطرد إلى ذكرها بعد هذه السورة، مما يعطيها خصوصية معينة، هذه هي الظاهرة، أما تحليلها أو تعليلها أو الإجابة عما تثيره من تساؤلات فلم يتطرق إليها، واكتفى بمجرد رصدها وتسجيلها.. على النقيض مما فعل سيد قطب مثلاً، حين علل لهذه الظاهرة تعليلاً نقدياً ثاقباً، من خلال ما قرره من أن طبيعة القصة - قصة يوسف - هي التي أوجبت أن تكون على هذا النحو من التلاحم والتكامل: (لأن طبيعتها تستلزم هذا اللون من الأداء، فهي رؤيا تتحقق رويدا رويدا، ويوماً بعد يوم، ومرحلة بعد مرحلة، فلا تتم العبرة بها - كما لا يتم التنسيق الفني فيها - إلا بأن يتابع السياق خطوات القصة

ومراحلها حتى نهايتها، وإفراد حلقة واحدة منها في موضع لا يحقق شيئاً من هذا كله، كما يحقق أفراد بعض الحلقات في قصص الرسل الآخرين، كحلقة قصة سليمان مع بلقيس، أو حلقة قصة مولد مريم، أو حلقة قصة مولد عيسى، أو حلقة قصة نوح والطوفان... الخ، فهذه الحلقات تفي بالغرض منها كاملاً في مواضعها، أما قصة يوسف فتقتضى أن تتلى كلها متوالية حلقاتها ومشاهدتها من بدئها إلى نهايتها^(١٠).

(فالقصاص القرآني - غير قصة يوسف - يرد حلقات تناسب كل حلقة منها أو مجموعة حلقات، موضوع السورة واتجاهها وجوها، وحتى القصص الذي ورد كاملاً في سورة واحدة كقصص هود وصالح ولوط وشعيب، ورد مختصراً مجملاً، أما قصة يوسف فوردت بتمامها وبطولها في سورة واحدة، وهو طابع متفرد في السور القرآنية جميعاً، هذا الطابع الخاص يتناسب مع طبيعة القصة، ويؤديها أداء كاملاً، ذلك أنها تبدأ برؤيا يوسف، وتنتهي بتأويلها، بحيث لا يناسبها أن تكون حلقة منها، أو جملة حلقات، في سورة، وتكون بقيتها في سورة أخرى. وهذا الطابع كفل لها الأداء الكامل من جميع الوجوه، فوق تحقيقه للهدف الأصيل الذي من أجله سيقّت القصة، والتعقيبات التي تلتها^(١١)).

ولا يخفى أن سيد قطب هنا يمثل عقلاً نقدياً مرهفاً، يرصد الظاهرة الفنية، ثم يتطرق

(٩) فتحي رضوان - القصة القرآنية - ص ٨ - ٩.

(١١) سيد قطب - في ظلال القرآن - المجلد الرابع - ص ١٩٥١.



السلام - كما وردت في القرآن الكريم نصاً متكاملأً، وبناءً فنياً، ورؤية تنطلق من خصوصية البطل واللحظة والمكان، إلى مطلق الشخص والزمان والمكان، وإن مال أحياناً إلى تكديس آراء المفسرين، وانكبّ أحياناً على استقصاء جوانب المضامين، وانصرف أحياناً عن تأمل خصائص الشكل الفني الحامل، مع أنه محور الحركة في هذا المجال، أو ينبغي أن يكون محور الحركة في هذا المجال.

على أن فتحي رضوان في دراسته للقصة القرآنية لم يتحدد في هذه الخصائص التي قدم بها فحسب، ولكنه استطرد منها إلى خصائص أخرى: كالحوار، والتكرار واستعمال ألفاظ بأعيانها.. وإن حاول إخضاع هذه العناصر لتدخل ضمن الخصائص الأربع التي حددها في مطالع حديثه عن: (القصة القرآنية).

ومهما يكن من شيء، فقد قدم فتحي رضوان دراسة جيدة للقصة القرآنية، إذا نحن تجرؤنا فسمينا حديثه عن (قصة موسى) حديثاً عن مطلق القصة في القرآن الكريم.

ويبقى في النهاية أن نؤكد أن للقصة القرآنية في الدراسات المعاصرة مساحة أكبر من هذه المساحة، وأن جانباً من الاجتهادات التي توفرت على هذه النوعية من الدراسة قد وصل إلى نتائج فنية هامة، تجعل من تأمل القصص القرآني ليس حتمية عقيدية فحسب، وإنما حتمية فنية ونقدية كذلك، ويبقى النص القرآني منجماً قابلاً لمزيد من الكشف، ومزيد من الاستقصاء بلا حدود!!!

إلى تحليلها وتعليلها والإجابة على ما تثيره من أسئلة، فقصة يوسف وردت كاملة في سورة واحدة لأن مضمونها يحتم هذا الأداء السياقي، فهي تبدأ برؤيا وتنتهي بتأويل هذه الرؤيا، وليس من الطبيعي أن نبعثر الحديث عن رؤيا وتأويلها في مواضع شتى، أو أن نجسّد رؤيا خاصة بمصير نبي، ثم لا نهتدي إلى تأويلها، أو أن نترك السياق يتنامى في اتجاهات متعاكسة قد تفضي بنا إلى ضياع المضمون النهائي الذي تشعه رؤيا صادقة، تنتهي إلى تأويل صادق كذلك... وقد كان يتحتم على فتحي رضوان، وقد أشار إلى إشكالية التنصيص على أن السياق الذي جسّد ما حدث ليوسف - عليه السلام - سماه القرآن الكريم (قصة).. في حين أن السياقات الأخرى التي جسّدت ما حدث للأنبياء الآخرين سماها القرآن الكريم نبأ مرة، وحديثاً مرة أخرى، وأنباءً آناً، وذكرأنا آخر.. كان يتحتم على فتحي رضوان وقد أشار إلى هذه الظاهرة أن يتأملها على هذا النحو الذي فعله بجدارة سيد قطب، ولكنه لم يفعل.

ولعل فتحي رضوان اكتفى بمجرد استقصاء الخصائص التي حددها في مطالع حديثه عن القصة القرآنية، وهي: خاصية الإيجاز المعجز، وخاصية وحدة الغاية، وخاصية تجريد الكلام من عنصرى الزمان والمكان، وخاصية عدم التعريف بشخوص القصص فيما يتعرض له من قصص متكامل في موضع واحد، أو مفرق في عديد من المواضع والموضوعات.. ولكن تكثيف الحديث عن هذه الخاصيات يتجسد أساساً في تأمله المستفيض لقصة موسى - عليه

قصة العدر

أم عربية فضيحة (*)

للكاتب السوري / الأستاذ خليل هندواوي

وتأبى المقادير إلا أن تخلق (ذاقار) ثانية في ضاحية السواد، ولكن وقعة ذي قار الثانية تمتاز عن الأولى بأن العرب حشدوا ما عندهم من المقاتلة يدفعون بصدورهم صدور مقاتلة الفرس الذين أقبلوا من أقاصى فارس وأدانيها يذودون العرب عنهم! أحست القادسية وطء هذه الجموع الزاحفة بخيلائها وعزائمها وأدركت أنه يوم سينضح ثراها فيه بالنجيع، ويسطع على سمائها كوكب من كواكب عهد جديد!

النصر بأهازيجها وتلك فئة منصتة يدوى فيها صوت يرجع صوتاً رن منذ عهد لم يطل عليه الأمد فوق هذه الأرض التي أرادت الفارسية أن تقهرها وما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

صوت هانيء بن مسعود يدوى كالرعد القاصف: «يا معشر العرب هالك معذور خير من ناج فرور، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، والطنع في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور، وإن الصبر من أسباب

أشرق الفجر تغمر أنواره الباهتة جموعاً تيقظت قبل أن تتيقظ وعلت أصوات تخللها نداء وصهيل ورغاء! والقوم خلال ذلك منكبون على جيادهم يمسحون أعرافها، أو متلمسون مقابض سيوفهم يهزونها، أو مادون برماحهم يُسرون إليها ما يُسرون! ففريق يتبعه فريق، وكردوس يشد خلفه كردوس، يمشون والأهازيج ملء الفضاء، والنقع يوشك أن يحجب السماء. فهذه فئة مقاتلة تمشى إلى

(*) مجلة الرسالة - ١٩٤٠م / ٣ / ٤



الظفر، قاتلوا فما للمنايا من بد، فتح لو كان له رجال! يا معشر العرب شدوا واستعدوا، وإلا تشدوا تردوا».

تسمع هذه الأقوام أصوات خطبائها فتحن أنفسها لذلك اليوم الذى هو أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وإن هذا ليوم آخر أقبلت فيه الفارسية الوثنية تنازل الجزيرة المسلمة التى تغلى بدم الحياة!

وغير بعيد عن الساحة المستوية التى أعدت للقاء الأبطال -بطحاء انتصبت فيها خيام تقيم فيها الضعائن، وكانت أهازيجهن تجاوب أهازيج الرجال، ومن فوقها الصدى يكاد يلائم بينها، يحملها إلى القيعان البعيدة التى حنت إلى الحرية المكتوبة على أسنة العرب.

فى خيمة منفردة حمراء الأديم عجوز تخذد وجهها، ولعل الكبر قد نال منها شيئاً، لكن أحداث الدهر لم تبق منها إلا على شبح نسيه الموت أو تناساه، تمشى بهراوتها الغليظة مشية وثيدة مستقيمة، وعلى بدنها صدار أسود ممزق الإهاب، يدل على أنه علامة فاجعة قديمة العهد، لكنها حية كأنها بنت ساعتها، وقفت فى ناحية لا يصل إليها تيار الزاحفين، وحولها أربعة فتية ما أنضر الشباب الذى تفيض به أعينهم، وما أسمى العزيمة التى تتلألأ على وجوههم! تلمست العجوز هؤلاء الفتية بيديها، وتلمست محاسنهم وأكبت على رؤوسهم ووجوههم تشم ريحهم، وما إن انتهت من ذلك حتى بادرتهم بوصيتها:

«أى بنى! إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، والله الذى لا إله إلا هو، إنكم لبنور رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالككم ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم. واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية. اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمרת عن ساقها فيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها، تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والقيامة.

أى بنى! اطلبوا الموت توهب لكم الحياة».

كانت تسيل هذه الكلمات العاصفة من فمها دون ما تلجلج ولا اضطراب، لم ينل منها موقف التوديع شيئاً، وكان أولادها يسمعون خطابها، وكان نفوسهم ارتابت فى شك أمهم منهم، وهم الذين أقدموا إلى الجهاد مختارين بعد أن باعوا أرواحهم واستقلوا ذلك فى جنب الله.

قبلوا يد أمهم، وودعوها توديع مفارق لن يؤوب، وزحفوا على جيادهم وهى لا تزال تتجه بمسامعها نحو وقع الخوافر حتى تلاشى وقعه، وقرت كل حركة حولها، فعادت إلى خيمتها، وكأنا ضاقت بها نفسها فهى لا تستطيع القعود إلا قليلاً فنهضت تتلمس الأرض بعصاها، ولكن أين تريد أن تدب؟ فى نفسها خواطر كثيرة، منها ما يتعلق بالمعركة ونهايتها، ومنها ما يخص أبناءها وحدهم. أتلقاها كدأبها فى المساء؟ أم تلقى بعضهم، والآخر أكلته شفرات السيوف!





شاخصة فى الناحية التى أطل منها وقد رفعت رأسها تهم بتكليمه لو لا أنها خفضت رأسها لأنها تريد أن تكون كلمتها الأولى لأحد أولادها.

شاهدها الرجل وغلبت على عينيه دمعتان محرقتان أسقطهما الحزن على هذه العجوز التى نالت منها القادسية أعظم تضحية. حتى لتحسب فيها رمزاً للأومة التى ضحت بأبنائها فى هذه الواقعة.. أثر أن يمشى وهو يخطو الخطوة ويلتفت إلى خلفه. كأن شيئاً - لا يستطيع أن يدركه - يبعث الروح فى نفسه. حاول أن يخبرها أكثر من مرة، وتردد أكثر من مرة، وأقل ما يحمله على التردد أنه لا يريد أن يكون ناعياً لأربعة أولاد فى يوم واحد، ولكن ماله يكتم عنها ما كان، وماله لا يشفق على هذه العجوز التى تنتظر، والتى لا تزال تنتظر حتى مطلع الفجر! فلينبئها بمصيرهم، وليعزها بكلمة قد تقع موقعاً حسناً أو لا تقع وليصنع الله بها بعد ذلك ما يشاء! وإن أعظم ما ينتظره لها الموت، وما يدريه أنها هى التى تفتش عن الموت بعد مصرع بنيتها. فعاد إليها مرة ثانية، وسمعت الخنساء وقع الخطأ من ورائها فهمت بالاستغراب، ولكنها شعرت أن هذه الخطأ تسر أمراً لها وحدها، فناداها:

- يا خالتاه! لا إخالك تألمين إذا أنبأتك أن أولادك الأربعة يسرحون هذا المساء مع شباب.. الجنة! فاه بهذه الجملة، والحزن يكاد يقطع عليه أنفاسه، ولم يبلغ كلمة «الجنة» إلا بعد أن

خواطر كثيرة تحاول أن تغطي على طمأنينتها وإيمانها، ولكنها لا تريد الآن أن تعرف شيئاً عن رجوعهم وعن مصارعهم، وإنما تريد أن تعرف كيف استقبلوا الموت، بنحورهم أم بظهورهم! ولكن فيم تشك فى أشبالها، وما علمتهم يوماً إلا أهل مروءة ونجدة!

قضت يومها تغالب هذه الخواطر، وما إن دنا الأصيل حتى هتفت أصوات البشرى فى القوم بهزيمة الفرس، فخرجت النساء يستقبلن البعولة والإخوة والأبناء، ومن مثل الخنساء تنشط إلى تنسم الأخبار وهى متوكئة حانية على عصاها ترتفع الأصوات من فوقها ومن تحتها، وعن يمينها وشمالها، والظافرون عائدون بالأردية الحمراء، والسيوف المضرجة بالدماء، قد أذهلهم النصر عن النصب، يحيى بعضهم بعضاً وما تحيتهم إلا مصافحة بالسيف أو السنان!

تعلو الضجة آنأ وآناً تخفت، وإنها لتدل على أن أكثر المقاتلة أووا إلى بيوتهم إلا مصاباً يتحامل على نفسه، أو فارساً يتظالع به فرسه بعد أن أبلى، ولكن ما لأولاد الخنساء لم يطل أحد منهم على هذه العجوز المرتقبة التى أخذت ترتجف من الريح الباردة! ومن ذا ينبئها بمصيرهم بعد أن أبطأوا عليها.

ولكنها اعتقدت أن واحداً منهم أدركه مصرعه، وأن إخوته قعدوا يحثون عنه بين القتلى لأنهم يؤثرون أن يدفنه بأيديهم.

ها هى ذى تنتظر! يمر بها أحد رجال القادسية ممن شهدوا مصرع أولاد الخنساء، يراها



وذهب وهو لا يكاد يوقن بأن هذه التي كانت مثل الأخت المفجوعة الحزينة التي لا يسرى عنها شيء، والتي قضت أيامها تبكي حتى ابيضت عيناها من البكاء، هذه الأخت الولهي تصبح المثل الأعلى للألم التي تعتقد أن أولادها للوطن والواجب قبل أن يكونوا لها، وإذا أراد الوطن استثنائاً بهم قدمتهم، وإذا استوهب الوطن منهم أنفسهم لم تضن بها ولم يضمنوا، وكأنها بعد ذلك لم تبذل شيئاً ولم تفقد شيئاً.

في الإيمان سر تنحني الإرادة عنده، وكيف يريد علماء النفس أن يعللوا مزاجين مختلفين في نفس واحدة، هذه المرأة التي فجعتها إحدى الوقائع بأخيها الجريء الجميل في الجاهلية، والتي لم تترك منها هذه الفاجعة إلا لساناً يندب وصدراً يزف! جاء الإسلام، فلم يقدر أن يصرفها عن حزنها، ولكنها أصيبت في الإسلام بفاجعة قد تهون الأولى عندها وهي فاجعة أبنائها، فلم تحرك من نفسها شيئاً، لأنها وهبت مصيبتها لله!.

فكرت في المصيبة الأولى، فلم تجد ما ينفس عنها، فاحتفظت بأثرها في منطقة منعزلة من مناطق نفسها، تكشف فيها عن ذكرياتها، وتخوض في أرجائها وحدها.. أما المصيبة الثانية، فقد تولاها الإيمان الذي فاض على نفس الخنساء كلها، حتى أصبح سواء عندها أفقدت واحداً أو أربعة، أو جميع من في الكون في سبيل هذا الإيمان..

رباه..! ألسنت بقادر على أن تحيي الموتى؟!

قاسى من ألم النفس مثل ما قاساه من نصب يومه، فتقدمت منه وكأنه الخبر لم يعصف بنفسها، ولم يظهر أثره على وجهها...

– ويك ماذا تعنى؟ أقتلوا جميعاً؟

– رأيتهم الواحد يُصرع بعد الآخر، يذودون عن موقف تهافت العدو على أخذه تهافت الجراد على النار.

– أذهبوا متاعاً رخيصاً؟

– إنهم – وحدهم – كانوا جيشاً – كأنما الموت مورد عزموا أن يردوه جميعاً، كلما فترت عزيمة واحد منهم هتف به الآخر «وصية العجوز يا أخاه»!

وكان هذه الكلمة أيقظت فيها الروح التي كلمت بها أولادها فقالت:

– ذلك ما يبعثنى على أن أقول: الحمد لله الذى شرفنى بقلتهن، وإنى لأرجو الله أن يجمعننى وإياهن فى مستقر رحمته، ولكن أنبئننى ما صنع الله بكن؟

– جئنا بالنصر معقوداً على راياتنا

– هذه التعزية المثلى لى فيما تبقى من أيامى المعدودة، لقد مات أخى صخر من قبل، فلم يسعنى من دنياى بعده إلا هذا الصدار الأسود، وهيهات أن أجد مكاناً للتعزية فيه، وها يموت أبنائى الأربعة فيعزىنى عن موتهم هذا الظفر

والتفتت إلى ناحية بيتها، وأخذت تدب وتبدأ، والرجل يتبعها صامتاً حتى توارت عنه، فوالله ما إن سمع لها أنة، ولا رأى لها عبرة،





القيم في عصر المعلومات



دكتور / أحمد فؤاد باشا^(*)

مفهوم «القيمة»

إن مفهوم «القيمة» Value من المفاهيم المراوغة التي اهتم بها كثير من الباحثين في مجالات مختلفة كالدين والفلسفة والفن والتربية والاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها.

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة لشئون البيئة، وقد شارك بهذا البحث في المؤتمر الثقافي العربي السابع للمجمع الثقافي العربي حول «الثقافة والقيم» الذي عقد بجامعة السلطان قابوس في مسقط عاصمة سلطنة عمان في الفترة من ٢١ - ٢٣ أكتوبر ٢٠٠١م.



هذا التدرج القيمي إلى قيمة عليا تكون منبع القيم جميعا، ومصدر السلطة والإلزام. وعلى هذا يكون الخلاص أو الفوز في الدنيا والآخرة مصحوبا بمدى الامتثال للقيم الدينية والأخذ بما تأمر به واجتناب ما تنهى عنه.

وفي الإسلام، يعتبر الخطاب الإلهي هو الفيصل في الحكم على الحسن والقبيح، وعلى المباح والمحرم، والحسن ما وافق الشرع واستوجب الثواب، والقبيح ما خالف الشرع ويترتب عليه العقاب في الآخرة، وقيم الأشياء من حيث ما تحصله للإنسان من حسن الأفعال أو قبحها.

أما بالنسبة للعلاقة بين القيم والعلم فإن هناك موقفين رئيسيين منها: أحدهما ينكر تعلق العلم بالقيم لأن مجاله الوقائع والقوانين التي تجري على سنن حتمية وتثبتها الملاحظة والتجربة الموضوعية؛ الحقيقة العلمية قائمة هنالك، محايدة مستقلة عن الإنسان، وعلى رجل العلم أن يكشف عنها النقاب. وأصحاب هذا الموقف إنما يقولون باغتراب العلم عن الإنسان: صانعه ومنشئه، ويقصرون نظرهم على ما أثمرته فاعلية الإنسان في العلم، فأصبح عندهم نبأ مقطوع الجذور. وهذه نظرة قاصرة عن فهم مصدر العلم في الفاعلية الإنسانية ذات الطابع القيمي، فالعلم ليس كيانا مستقلا عنا، متمردا علينا، لا ندري أيقى بمطالبنا أو لا يبالي بها. وهنا تظهر أهمية الموقف الثاني الذي يقرن القيم بالعلم، وإن كان يقف أحيانا عند صورة الاعتراف بعلاقة العلم بقيمة الحق، لأن مدار بحث العلم هو نشدان الحق وتجليته والتطابق معه. غير أن صلة العلم بالقيم لا تقف عند هذا الحد، لأن القيم تنفذ إلى كل نشاط علمي ابتداء من الملاحظة حتى صوغ النظرية وتطبيقها.

وقد ترتب على ذلك نوع من الخلط والغموض في استخدام المفهوم من تخصص لآخر، واستخدمت أدوات ومقاييس مختلفة، تتحد معالمها في ضوء الإطار النظري الذي يحكم كل باحث من الباحثين في ميدان القيم.

بل إن «بولكينجهورن» Polkinghorn - في كتابه الصادر عام ١٩٩٦ من مطبعة جامعة كامبردج بعنوان «ما وراء العلم» - يسلم باختلاف القيم باختلاف الأمم، ربما على الأقل في التفاصيل والجزئيات، ويرفض هذا الفيلسوف ما يُقال من أن أحكامنا التقديرية للقيم استجابات لما هو مبرمج في جينات فينا تسمى «الجينات الأنانية» Selfish genes. والواقع أنه لا يمكن دراسة قيمة معينة أو فهمها بمعزل عن القيم الأخرى، ولهذا يفضل الحديث عما يسمى «نسق القيم» Val-ue System الذي ينتظم به مجموعة من قيم الفرد أو المجتمع تبعا لأهميتها، ويتسم بالديناميكية والتفاعل بين عناصره، وعند انضمام قيمة جديدة إلى النسق يتطلب الأمر نوعا من إعادة الترتيب أو التوزيع لمجموعة القيم وفقا لأولويتها.

القيم في الدين والعلم

تتفق الأديان جميعا على استنادها إلى موقف معين من القيم، ولعلها هي نفسها - أي الأديان - موقف قيمي صريح لأنها تحدد ما ينبغى للإنسان أن يقوم به إزاء هذا الكون، حيث يكبر الحكم على قيم الأشياء والأعمال بشعور ما يترتب عليها من ثواب، فثمة ما هو أسمى وما هو أدنى، ومتى عرف ذلك التدرج في المنزلة، كان التزام المؤمن إزاءها بمواقف محددة. ويسلم





خلاف وصراع داما نحو خمسة قرون، كان -فى واقع الأمر- ضمن هبة الحضارة العربية الإسلامية للغرب، ولكن الغرب لم يوفق إلى الاستفادة منه .

حرية البحث كقيمة أخلاقية

إن الوعي المتزايد بنتائج العلم والتقنية وانعكاساتها المؤثرة على مختلف جوانب الحياة، جعل من الضرورى على العلماء أن يكونوا أكثر إقداما من غيرهم على التبصير برسالة البحث العلمى وصناعة المعرفة، بل إن الأمر يتطلب منهم أن يمتنعوا أصلا عن مواصلة البحث فى مجال معين إذا أيقنوا أن نتائج أبحاثهم لن يكون لها إلا أoxم الآثار .

وعندما نتحدث عن مسئولية العلماء بصورة عامة، تبرز قضية الحرية- كقيمة أخلاقية- وكأنها محل جدل تتفاوت بشأنه الآراء :

١- فهناك شبه إجماع على اعتبار السعى من أجل العلم ونشره ضرورة معرفية وحضارية فى آن معا، وعلى الباحثين أن ينهلوا ما استطاعوا من بحور العلم، وأن يحرصوا على نشر ما يتوصلون إليه من نتائج فى مجالات متخصصة . ولا يشترط أنصار هذا الاتجاه أن يؤدى السعى من أجل العلم إلى تطبيقات عملية مباشرة .. ولهذا فإنهم يعتبرون الحرية المطلقة هى من أهم دعائم البحث العلمى وتطوره، ويدعون إلى رفع كل قيد على العلم وأبحاثه ونتائجه .

٢- وهناك من يضيّقون مسئولية العلماء إلى الحد الذى لا تتعدى فيه حدود معمل الأبحاث ولا شأن للباحث بما يحدث خارج هذه الحدود .

٣- وهناك من يوسعون هذا المسئولية إلى الحد

ولقد قدمت الحضارة العربية الإسلامية نموذجا رائعا لما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين عناصر ثلاثية القيم والدين والعلم . فقد نقلت حضارات الأقدمين -دون مانع من جنس أو لون أو دين- ولخصتها وتمثلتها وطورتها، وقدمتها علما عالميا موحدا، وثيق الارتباط بمبادئ الدين والخلق القويم، لأن الإسلام جاء ليكون ديننا للحياة فى جميع جوانبها، وأمدنا بمنهج رشيد يعلو على كل ضروب الهوى والتحيز، ويجعل من تحصيل العلم النافع فريضة واجبة الأداء .

وعندما انتقلت راية الحضارة إلى أوروبا، نشأ العلم الغربى الحديث منذ بداية عهد النهضة متمردا على الدين والقيم- وكان لهذا أسبابه التاريخية والسياسية المعروفة . وكان اليقين عند علماء الغرب أن العلم مجرد عن القيم لأنه موضوعى . ولكن مآسى الحريين العالميتين الأولى والثانية، التى كانت من ثمار العلم الخاطئة، جعلت القوم يدركون أن العلم قادر على إحداث أضرار بليغة بالإنسانية . ثم امتدت آثار العلم -فى بعض جوانبه التطبيقية- إلى إحداث التغيرات المندرة فى بيئة الإنسان، بل إلى الاجتراء على أخص خصوصيات الإنسان وجوهر ميراثه المكنون فى أعماقه . وكان من أبرز الذين رفعوا صوتهم بالندير والتحذير فى عقد الثمانينيات من القرن الماضى « نيكولاس ماكسويل » Maxwell الذى لخص دعوته فى عنوان كتابه المثير: « من المعرفة إلى الحكمة -ثورة فى أهداف العلم وطرائقه » . ومن هنا أخذ فلاسفة العلم المحدثون يطامنون من استعلاء العلم ويكفكفون من غلواء العلماء، وأصبحوا ينادون باجتماعية أو (سوسيولوجية) العلم Sociology of Science، وبأن العلم نشاط إنسانى يرتبط بقيم المجتمع فيتأثر بها كما يؤثر فيها ... وهذا الذى بلغته الحضارة المعاصرة بعد



المعرفية ذاتها .

والحديث عن أخلاقيات وقيم البحث العلمي فرضته خلال العقود الأخيرة مشكلات أخلاقية عديدة ومتنوعة أفرزتها ثورة العلوم الفيزيائية البيولوجية المتطورة، وفجرتها تقنيات المعلومات والاتصال . فعلى قدر ما تضيف هذه العلوم والتقنيات إلى حصيلتنا المعرفية وتزيد من قدرتنا على التحكم بالأشياء، وتتيح لنا خيارات جديدة على الدوام، نجدها تثير أيضا قضايا جديدة تدور حول ما هو صواب وما هو خطأ، ما هو خير وما هو شر، ما هو حلال وما هو حرام . . أما المعايير التي تحدد صواب الأمور أو خطأها، خيرها أو شرها، حلالها أو حرامها، فإنها تنبع من مصادر متباينة بشأن المبدأ الأخلاقي والموقف القيمي .

ومن فضل الله - تعالى - علينا أن أمدنا بمنهاج إسلامي قويم، وأمرنا بالسعى في ظله إلى تحصيل العلم وفهمه ونقده وتمحيصه - دون أى قيد - ثم علينا أن نعرضه على قيمنا وحاجتنا، فيكون لنا من بعد ذلك فيه رأى واختيار، على ضوء ما فى شريعتنا الإسلامية من أصول كلية دقيقة يمكننا أن نتخذها نبراسا يعصمنا من الخطأ إذا حاللنا الصواب فى تطبيقها، وذلك من قبيل ما نتعلمه من الفقهاء، من أن الأصل فى الأمور الإباحة ما لم يكن هناك حكم شرعى قاطع بعكس ذلك، وهذا يفتح لنا أبواب الاستفادة المشروعة من كل جديد ينفع البشر أفرادا أو جماعات، وكذلك قواعد المفاضلة بين المصالح والمفاسد، مثل ترجيح المصلحة الأعلى على المصلحة الأدنى، ومثل الرأى باختيار أخف الضررين، وأن درء المفاسد أولى من جلب المنافع، وأن الضرورات تبيح المحظورات، وما إلى ذلك .

(يتبع)

الذى تمتد فيه إلى المجتمع بأسره وشجع هذا على الاعتقاد بحق العلماء والتقنيين فى إدارة المجتمع واتخاذ القرارات الكبرى بشأنه .

٤- وهناك من يتخذون موقفا وسطا .

ولكل من هؤلاء حججه ومبرراته التى يدعم بها موقفه .

ودونما استرسال فى مناقشة تفصيلية لتلك المواقف، فإن الوضع الراهن يفرض على العلماء فى عصرنا أن يكونوا على دراية كاملة بالنتائج المترتبة على أبحاثهم، لأن طبيعة العلوم وتقنياتها تقتضى ذلك . فحين تتغير وظيفة العلم من نشاط لا يؤثر إلا تأثيراً محدوداً، إلى نشاط مصيرى يمتد تأثيره إلى مختلف جوانب الحياة البشرية، يكون طبيعياً أن تتغير نظرة الباحث من الإطار المهنى الضيق إلى الميدان الإنسانى الشامل . وما يستوجب التنبيه إليه هو أن البحث العلمى فى عصرنا أصبح مرتبطاً بمؤسسات أكبر من العالم، هى التى تقدم إليه الإمكانات، وكثيرا ما تفرض اهتماماتها الخاصة على مجالات البحث وتوجيهه . . وهذا من شأنه أن يحد من حرية العلماء فى التعبير عن آرائهم فى كثير من المجتمعات . الأمر الذى ينعكس على المجتمع مباشرة بتغيير ممارسته المنهج العلمى عند بحث الموضوعات التى تمس حياة الإنسان .

وإذا كان من المسلم به ضمان حرية البحث والابتكار للعلماء والباحثين، فإن ذلك يجب أن يقترن بمسئولية أكبر من جانب العلماء والمبتكرين أنفسهم على أساس الالتزام بميثاق أخلاقى يحدد مسار البحث العلمى ووجهته، بحيث لا يقتصر الأمر على عدة خواطر تلاحق أى اختراع أو ابتكار عند حدوثه، بل يجب أن يسبق أى مشروعات علمية نوع من التفكير العميق فى النتائج والآثار، بغض النظر عن القيمة





﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾

سورة يوسف : ٨٤

العمى النفسى المؤقت

لدكتور / السيد الجميل

الإعجاز
الطبي
فى
القرآن
الكريم

توطئة طبية:

قد يحدث عمى البصر بسبب تلف أو تدمير للجهاز البصرى فى جسم الإنسان، سواء أكان هذا التلف فى التركيب التشريحي، أم فى آلية الإبصار الوظيفية لسبب من الأسباب الكثيرة التى تلابس الشخص ذاته، ولعل أهم هذه الأسباب ذيوياً، بل إن أكثرها شيوعاً ما ينجم وما يترتب على جلطات الشريان الشبكي المركزى. Central Retinal Artery Emboli.

الإبصار مرة أخرى للمرضى .. لكن نجاح مثل هذه الجراحات الحرجة Urgent Surgeries لا يزال مرهوناً بشروط صعبة، ولا ريب أنه يعتبر نوعاً من المعجزات، ولوناً من التوفيق المدهش الذى يلفت الأنظار لعدم توارده وتكراره.

لكن نوعاً من العمى الوقتى العابر، وهو المسمى بالعمى المؤقت الرجعى النفسى – Psychological Transient (Recurrent)

ويسمى هذا اللون من فقدان البصر المعروف بالعمى العضوى Organic Blindness وهو الذى يكون نتيجة « مباشرة » لأسباب محدودة بعينها. ثم إنه ليس عارضاً ولا عابراً أى ليس وقتياً ولا رجعياً، لكن مع محاولات جراحى العيون فى حصر الأسباب المفضية والمؤدية إليه، والمصارعة الفورية القوية بالتعامل الحاسم مع أسباب هذا العمى جراحياً أمكن فى أحيان قليلة إعادة حالة



الصدر - نصيباً مقسوماً لأبيه الشيخ الكبير المسن يعقوب - عليه السلام - ذلك الشيخ الفانى الذى ناهز العمرين والذى صار مفجوعاً بأصغر أبنائه، وأحبهم إليه وأقربهم منه .. وهذه سنة الله - تعالى - فى خلقه ... أن يكون أحبّ الأبناء إلى الآباء وإلى الأمهات: الصغير حتى يكبر، والغريب حتى يرجع، والمريض حتى يشفى ويبرأ .

لكن نزق العاطفة وتدهور الفكر، وتهور الخرق كان مراسه قوياً مسيطراً على إخوة يوسف، حيث تغلب هذا الشعور بالحزاة والغيرة على أطواء صدورهم واستولى على إحساساتهم فأعمى البصائر وأطبق على الرحم الماسة، وأجهز على واشجة الدم وآصرة القربى، وشجنة الرحم .

كان يوسف فى مهده وفى صغره أشد احتياجاً للشفقة شأنه فى ذلك شأن كل صغير يكون دائماً مرعياً مستوجباً للحدب والشفقة، واستدامة الرعاية والتعهد بالعناية، حتى يستوى صلبه، وتقوى شوكته، ويستعجم عوده، وتستقيم قناته .

وكان يعقوب قد أنجب أحد عشر رجلاً فتياً، فأعقب رجلاً أشداء، وهو قد وصل إلى مراحل متقدمة من الشيخوخة والكهولة التى صار بموجبها ومقتضاها غريباً فى دار غربة، يستعد للرحيل والظعن إلى الآخرة ... وهذا الشعور يجعل الشيخ أكثر تعلقاً بأصغر أبنائه الذى لم ينل ولم يحرز إلا أدنى وأقل فترة مع أبيه دون سائر إخوته، فلا بد أن يستعيض رصيدهم أكبر من العطف والحنان ودفء

Blindness وهو ذلك العمى الذى يعتري الشخص ويعتوره بسبب أزمة نفسية أو إصابة وعاهة نفسية فادحة As a result of Psychic Trauma فإذا أمكن إزاحة أسباب هذه الإصابة وإزالة دواعيها كان ممكناً أن يعود البصر ويرجع الإبصار من تلقاء نفسه (تلقائياً بدون مقدمات) لمجرد أن تطمئن نفسه ويهدأ روعه وينكشف عنه الحزن الذى ألمَّ به واستولى عليه .



قد يكون أعمى البصر فاقداً للإبصار ومع ذلك يكون ناظراً للأمور ببصيرته، والأغلب الملحوظ فى أكثر الأحيان أن يتفوق ويتعاطم دور البصيرة على مدى البصر والإبصار العينى والعضوى فى مجال الإحساس والشعور والتقويم .

من ثم كان عمى البصيرة أشد قسوة وأقوى تأثيراً من عمى البصر فى الطبع والشخصية والسلوك . وحسبنا من دليل على ذلك أن البصر محصور مقيد بمدى مكانى، أما البصيرة فهى تنتظم اتساعاً مديداً غير محصور ولا مقيد بحدود المكان أو الزمان .



ابتلاء يعقوب . عليه السلام :

لما حدث ما حدث من أمر سيدنا يوسف - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - حيث كان يوسف ضحية لنزوات أنفـس شريرة قاسية القلوب، جاسية الأكباد، كأنها الصخر الصلد - كانت الهموم والأحزان وتفطر

شاكين، وقد افتعلوا قصة مختلقة مكذوبة زاعمين أن الذئب أكل فلذة كبد الشيخ .

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا أَتَآذِهِنَا نَسْتَبِيقُ
وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْنَعِنَا فَكَلَهُ الذَّئْبُ وَمَا أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ
بِدْمٍ مَّكَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ .

وقد بلغ بهم الاحتيال والتدليس على أبيهم غاية المدى حيث اختلقوا وافتعلوا دليلاً فاسداً مدخولاً مكذوباً فيه عندما عرضوا قميص يوسف مضرجاً ملطخاً بدم شاة ذبحوها، وادعوا بأن هذا هو دم ابنه يوسف إذ أكله الذئب وقضمه .

بيد أن بصيرة الشيخ وعمق إدراكها، ومضاء هذه البصيرة المشحودة كان أقوى من أى تزوير أو تدليس أو اختلاق، إذ إنه كان يبصر من خلال مشكاة النبوة والذكاء والحصافة والجلاء البصرى، فردّ على افتراء أبنائه بقوله: ما أحلمك يا ذئب! تأكل ابني يوسف ولا تمزق قميصه؟؟!!

استنباط «لطيف» واستدلال «مرهف» مدهش قال تعالى:

﴿وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ .

أى مكذوب فيه، وهذا وصف بالمصدر على سبيل المبالغة أى كأنه الكذب نفسه وعينه. (٢)

الإشفاق والرعاية من ثم كانت العلائق راسخة مكيئة ضاربة أصولها فى أعماق نفس يعقوب، مسيطرة على مطاويه وعلى كل أنحاء دخيلته .

وكان صعباً جداً ومتعذراً غاية التعذر أن يكتنم يعقوب فى نفسه حبه العارم وشوقه الجارف وعاطفته الهادرة الدافقة إلى يوسف .. لم يكن سهلاً أن يكتنم، ويضمّر هذا الشعور وذلك الإحساس الذى يسيطر على دخائله وخوارج نفسه ومكنون ضميره .

وقد بدا هذا واضحاً من المردود العنيف والانتقام الشرس العنيف الموسوم بالشناعة الموصوم بالجفاء المتجرد من كل القيم الإنسانية والآدمية، وهو فى قوته وضلّاعته ينم ضمناً ويقر بمدى قوة الواشجة الأبوية من يعقوب على يوسف التى حرمت هذا الصبى الصغير من شفاعته من الشفاعات عند إخوته المتهوّكين . لا شفاعته الصغر ولا شفاعته الأخوة ولا الأبوة ولا غير ذلك من الشفاعات التى تعتمد إلى التروى أو الإغماض والتردد فى تنفيذ المخطط الإجرامى للحيلولة دون وقوعه أو التخفيف من وطأته وشرته وجماحه .

حيلة مفترقة:

احتال الأبناء على أبيهم، وانتزعوا أخاهم يوسف (على ما نعرفه جميعاً من قصة يوسف) من حضن أبيه برفق شديد ثم ألقوا به فى بئر عميقة (الجب) ثم قفلوا إلى أبيهم راجعين باكين

(١) يوسف (١٧، ١٨).

(٢) قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: ذبحوا شاة، ولطخوا بدمها القميص، راجع القصة بتمامها فى تفسير الطبرى ١٦٤/١٢ وما بعدها.



للعذاب، وجالب للمرض النفسى والانهيـار العصبى بكل ألوانه وأشكاله .

لم يكن العمى الذى أصاب يعقوب - عليه السلام - عضوياً أى لم يكن معزواً مرجوعاً إلى تلف أو دمار وظيفى أو تشريحى فى أعضاء الإبصار فى العين، ولكنه نتيجة محتومة للحزن وكظم الغيظ وقلة الحيلة وطول البكاء^(٦) .

إن العمى النفسى Psychologic Blindness يحجب الرؤية تماماً مثله مثل العمى العضوى تماماً لكن الأول مؤقت وعابر مرتجع، وليس أبدياً، فهو يدهم وينزل بالمنزول به بسبب جائحة أو مصيبة أو كارثة نفسية عفيفة لكنه سرعان ما يزول بزوالها، وينكشف بانكشافها قال تعالى : على لسان سيدنا يوسف :

﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِى يَأْتِ بِصِيرًا وَأُنُوفٍ يَأْهِلُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٧) .

هذه الحالة المعروفة فى الطب النفسى تقطع قطعاً جازماً وتقرر تقريراً حاسماً بأن القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

يقول الإمام الرازى^(٣) : إنما جاءوا بهذا القميص الملطخ بالدم ليوهم كونهم صادقين فى مقاتلتهم .. قيل : إنهم ذبحوا جدياً ولطخوا ذلك القميص بدمه ولو أنهم خرّقه مع لطخه بالدم لكان الإيهام أقوى فلما شاهد يعقوب القميص صحيحاً علم كذبهم أهـ .

الهموم والأحزان:

أطافت الهموم والأحزان النوازل على يعقوب وأنشبت الأنكاد أظفارها فى لحمه، وأغارت جيوش الفرع على خواجه وأطواء كيانه تنهش فى بدنه وتأتى على روحه بلا شفقة ولا هوادة .

يذكر لنا الإمام الرازى أن يعقوب - عليه السلام - كان قد سقط حاجباه، وكان يرفعهما بخرقة، ف قيل له : ما هذا؟ فقال : طول الزمان وكثرة الأحزان .. فأوحى الله - تعالى - إلى يعقوب : أتشكونى؟ فقال : يارب، خطيئة أخطأتها، فاعفها لى^(٤) .

ثم ذهب بصره، وصار ضريباً بسبب الزلزال النفسى والبركان العصبى والإعصار المدمر الذى أتى على قواعده إن كظم الغيظ وكتم الأحزان، وتراكم الألم الوجيع بين حنايا الضلوع مجلب

(٣) التفسير الكبير ١٨/١٠٤ . وذكر السدى أن يعقوب عليه السلام قال: إن هذا الذنب كان رحيماً، فكيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه!!!

(٤) من التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ١٨/١٠٥/١٠٦ بتصرف.

(٥) وهذا هو المسمى بالعمى غير العضوى ويطلق عليه فى الطب النفسى مسمى: العمى الهستيرى.

(٦) قال بعض المفسرين: إن مدار العذاب والألم والمضاضة إنما هو بسبب كظم الغيظ، ثم قالوا: (وابيضت عيناه من الحزن): كناية عن كثرة البكاء، والدليل على صحة هذا القول أن تأثير الحزن فى غلبة البكاء لا فى حصول العمى... أهـ. لكن هذا الرأى لم يلق قبولاً عند كثير من العلماء...

قال مقاتل: لم يبصر بهما (أى بعينه) ست سنين حتى كشف الله - تعالى - عنه بقميص يوسف عليه السلام.

(٧) يوسف ٩٣.



الفرق بين الحزن وبين البث؛

إنه بينما يكون الحزن مدمراً ومقوضاً للبدن والنفس والروح، فإن البث غير ذلك، وذلك لأن الحزن يكون مطوياً في الصدر تتأجج نيرانه بين أنحاء الضلوع ولا تجد مخرجاً. ولا متنفساً للتفريح والتسرية.

أما البث: فهو الحزن المنتشر أى المبعوث من خلال الزفرات وفيه من التسرية والترويح والسلوان ما يعالج ويداوى سلبيات الكظم والانطواء من ثم يزيح أثقال الهموم من الصدر.

كان يعقوب مهموماً بالاثنتين معاً: الحزن والبث، لقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ
وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨).

أما قوله: ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ فيجوز أن يكون بمعنى الكاظم (٩) وهو الممسك على حزنه فلا يظهره. (١٠) ويجوز أن يكون أيضاً بمعنى مملوء من الغيظ على أولاده، واعلم أن أشرف أعضاء الإنسان هذه الثلاثة، فبين الله - تعالى - أنها كانت غريقة في الهم:

فاللسان كان مشغولاً بقوله: ﴿ يَتَأَسَّفُ ﴾ والعين بالبكاء والبياض، والقلب بالغم الشديد الذي يشبه الوعاء المملوء الذي شد ولا يمكن خروج الماء منه، وهذه مبالغة في وصف ذلك الغم.



الخلاصة: أن المختار الذي يرتضيه صاحب هذه الدراسة المتواضعة أن العمى الذي أصاب يعقوب - عليه السلام - لم يكن مجازياً (أى على سبيل المجاز) كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين (وهم مأجورون على اجتهداهم) لاعتقادهم أن رجوع الإبصار إليه يتعارض مع حقيقة الإصابة... فهي فى تصورهم لم تخرج عن غشيان طائف محدود.

لكن الحكمة تكون أعلى، والموعظة أبلغ والمعجزة أرقى وأسمى عندما يكون العمى حقيقياً مانعاً من الإبصار كلية ثم يعود مرة أخرى.. والطب النفسى يقرر هذا تماماً ولا يرى حرجاً فى الأخذ به والتعويل عليه.

إن الضغوط النفسية الرهيبة المكبوتة المضغوطة فى العقل الباطن لا بد أن تجد متنفساً ومخرجاً عن طريق تحويل المسار إلى مشكلة بدنية وجسدية صرفة، فالمشكلة النفسية فى قرار اللا شعور سرعان ما تتحول إلى مشكلة عضوية صارخة مثل العمى، أو الشلل الهستيرى، أو فقدان النطق تماماً أو الصمم، أو التشنجات العصبية أو الغيبوبة، أو القيء واحتباس البول، وقد يظهر ذلك أيضاً فى صورة فقدان الإحساس أو ظهور حركات لا إرادية Involuntary Movements فى الأعضاء أو رعشة فى الأطراف أى: Tremors.

كان يعقوب يعلم يقيناً أن يوسف لم يمت، ولكن لواعج الحزن والأسى من لوعة الفراق وموجدة البعد، وما أضنى فراق الأحبة جمعنا الله بهم فى الدنيا والآخرة.

(٩) وذلك لأن فعل تاتى بمعنى فاعل.

(٨) يوسف (٨٦).

(١٠) وقال ابن قتبية: ويجوز أن يكون بمعنى المكظوم، ومعناه المملوء من الحزن من سد طريق نفسه المصدر من كظم السقاء إذا اشتد على ملئه. أهـ



من قادة الفتوحات الإسلامية :

عكرمة بن أبير جهل

للاستاذ: / أحمد السيد فقي الدين

أخرج البخارى فى صحيحه عن عروة بن الزبير،
أن عائشة - رضى الله عنها - حدثته أنها قالت
لرسول الله ﷺ : يا رسول الله، هل أتى عليك يوم
كان أشد من يوم أحد؟

فقال : لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت
منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد
الليل بن عبد كلال، فلم يجبنى إلى ما أردت،
فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم استفق إلا
بقرن الثعالب، فرفعت رأسى، فإذا أنا بسحابة قد

ذاك رجل من
أجله، ومن أجل
ضربائه، أبى رسول
الله ﷺ أن يدعو
على قومه، أو أن
يصيبهم ما أصاب
الأمم قبلهم عندما
كذبوا رسلهم، ولجوا
فى الكفر والعصيان.



أُظِّلْتَنِي، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله - عز وجل - قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني، فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين.

فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً^(١).

واستجاب الله - سبحانه وتعالى - لرجاء نبيه ﷺ، فأخرج من أصلاب رؤوس الكفر رجال قال فيهم المولى عز وجل:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٢).

من هؤلاء كان رجلنا.. عكرمة بن أبي جهل.. فأى رجل كان.. وأى رجل صار..؟! يوم دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحاً يحطم الأصنام يتلو قول الله عز وجل -:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٣).

كان عكرمة واحداً من الذين أهدر رسول الله

ومن هنا ما إن دخل رسول الله ﷺ مكة حتى فر عكرمة إلى اليمن، ولكن الله أراد بالرجل الخير كله استجابة منه - عز وجل - لدعوة رسوله الكريم ورجائه ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده

من هؤلاء كان رجلنا.. عكرمة بن أبي جهل.. فأى رجل كان.. وأى رجل صار..؟! يوم دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحاً يحطم الأصنام يتلو قول الله عز وجل -:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٣).

كان عكرمة واحداً من الذين أهدر رسول الله

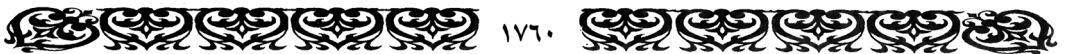
(١) الأحزاب (٢٣).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٢، ٦٠، ٦٢.

(١) أخرجه البخارى.

(٣) الإسراء (٨١).

(٥) المصدر السابق ٢، ١٦٩ : ١٧٩.



ولم يكن أبداً من الذين قال فيهم المولى تبارك اسمه :

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا مَا لَكَ إِذَا قِيلَ لَكَ: أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفَلْتُمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٩).

حتى قيل عن عكرمة: إنه لا يعرف له ذنب
بعدما أسلم، وكان يقبل المصحف ويبكي
ويقول « كلام ربى .. كلام ربى » وبه احتج
الإمام أحمد على جواز تقبيل المصحف
ومشروعيته (١٠).

وينتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه بعد أن
بلغ الرسالة وأدى الأمانة فاعتقد الناس أن
الإسلام قد مات بموت رسول الله ﷺ، وتردد
العرب قاطبه عن الإسلام، بحيث لم يبق
للإسلام ذكر إلا في مكة والمدينة، فيقرر
الصديق، خليفة رسول الله ﷺ حربهم جميعاً،
فيجيش لذلك الجيوش، حيث عقد اللواء لأحد
عشر قائداً من أعلام الصحابة كان فيهم عكرمة
- رضى الله عنه - حيث وجهه الصديق إلى
اليمامة لحرب مسيلمة الكذاب مدعى النبوة،
وكانت تعليمات الخليفة له أن ينتظر المدد
القادم إليه بقيادة شر حبيل بن حسنة وألا
يتعجل الهجوم قبل ذلك، ولكن رغبة عكرمة
في الجهاد والانتصار لله ولرسوله، أو قل هي

لا يشرك به شيئاً» فأسلمت زوجته: أم حكيم
بنت الحارث بن هشام، واستأمنت لزوجها من
رسول الله ﷺ، فأمنه فخرجت في طلبه إلى
اليمن حتى أتت به ليلقى رسول الله ﷺ (٦) ..
ويا له من لقاء! ويلقى عكرمة رسول الله ﷺ،
الذى ابتدره هاشماً باشاً وقد علم من إشراقه
وجهه أن الإسلام قد عرف طريقه إلى قلبه،
فقال له ﷺ: « مرحباً بالراكب المهاجر » فقال
عكرمة: يا رسول الله علمنى خير شيء تعلمه
حتى أقوله فقال له النبي ﷺ: « شهادة أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده
ورسوله ».

فقال عكرمة: « والله لا أدع نفقة كنت أنفقها
فى صد عن سبيل الله إلا أنفقته ضعفها فى
سبيل الله، ولا قتالا قاتلته إلا قاتلت ضعفه،
وأشهدك يا رسول الله ».

وبرَّ عكرمة بقسمه ووعدده لرسول الله ﷺ
فكان فى طليعة الذين لبوا النداء استجابة لقوله
تعالى:

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧).

وقوله عز وجل:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَإَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ (٨).

(٧) التوبة (٤١).

(٩) التوبة (٢٨).

(٦) المصدر السابق ٢، ٤١٠، ٤١٨.

(٨) النساء (٧١).

(١٠) ابن كثير، البداية والنهاية ٣٨/٧.



وكانوا قد ارتدوا عن الإسلام - يأمرهم بتقوى الله وأن يرجعوا إلى الحق، ولكن الأشعث يمزق الرسالة ويقتل الرسول الذي حملها فكتب الصديق إلى عكرمة يقول: «بلغك ما كان من أمر الأشعث بن قيس وقبائل كندة.. فإذا قرأت كتابي هذا فسر إلى زياد بن لبيد في جميع أصحابك واسمع له وأطع فإنه الأمير عليك، وانظر لا تمرن بحى من أحياء العرب إلا استنهضتهم فأخرجتهم معك إلى محاربة الأشعث بن قيس وأصحابه إن شاء الله».

فسار عكرمة، حتى صار إلى صنعاء، فاستنهض أهلها فأجابوه إلى ذلك، ثم سار إلى مأرب فنزلها، وبلغ ذلك أهل (ذمار) فغضبوا من مسير عكرمة إلى محاربة كندة وجعل بعضهم يقول لبعض: (تعالوا حتى نشغل عكرمة عن محاربة أبناء عمنا من كندة وقبائل اليمن ووثبوا على عامل الخليفة أبي بكر الصديق فطردوه، فعلم الصديق بذلك فكتب إلى عكرمة يقول: «سر إلى أهل دباء (ذمار) على بركة الله، فأنزل بهم ما هم له أهل، ولا تقصر فيما كتبت به إليك، فإذا فرغت من أمرهم فابعث إلي بهم أسيرا، وسر إلى زياد بن لبيد، فعسى الله أن يفتح على يديك بلاد حضرموت إن شاء الله تعالى».

ولحق عكرمة، بزياد وأصحابه قرب حضرموت حيث حملوا على الأشعث وأصحابه كحملة رجل واحد فهزمهم حتى لجأوهم إلى حصنهم الأعظم، فحاصروهم زياد

روح الفدائي التواقة لنيل الشهادة، كانت أقوى من تعليمات الخليفة، فلم يطق صبرا، فهجم على مسيلمة الكذاب، ولكن الأخير تمكن منه وأوقع به، فغضب الخليفة الصديق أشد الغضب، فهو لم يرسله لمجرد أن ينال الشهادة التي يتوق إليها - وكم هي عزيزة على نفس عكرمة - وإنما أرسله ليجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، وكتب إليه يأمره بالأرجع المدينة فيوهن الناس، وأن يمضى مددا إلى حذيفة بن محصن لحرب المرتدين في عُمان ثم إلى عرفجة بن هرثمة لحرب أهل مهرة الذين ارتدوا عن الإسلام.

وكانت المرة الأولى والأخيرة التي عهد فيها الصديق لعكرمة بقيادة عمليات عسكرية رئيسية، وإنما جعله تحت إمرة من هم أقدر منه دون أن ينال من كرامته ومكانته، فقد تأكد الصديق أن عكرمة لديه رغبة أكيدة في الجهاد، هدفه الأواحد نيل الشهادة، ليمحو كل ما كان منه قبل الإسلام، وأن يتخلص من عار لم يكن له دخل فيه، وهو أنه ابن أبي جهل رأس الكفر في الجاهلية، وهو إحساس عظيم المرارة حمله عكرمة في نفسه يعتصر قلبه هما وكمدا، حتى أن رسول الله ﷺ لما رأى ذلك وأحسه في عكرمة قال لأصحابه: «إن عكرمة يأتيكم، فإذا رأيتموه فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذى الحي ويؤلمه»^(١١) وتستمر رحى حروب الردة في دورانها، ويكتب الصديق إلى الأشعث بن قيس ومن معه من قبائل كندة -

(١١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٠٨٢/٣.



ولكن الروم فى المقابل حشدوا حشودا هائلة وضعوا فيها كل مقدرات إمبراطوريتهم مما أعجز القادة عن تحقيق الهدف المنشود، فكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى الخليفة الصديق فى ٢١ من شوال عام ١٢ هـ يسأله المدد والمشورة.

فجمع الصديق أشراف المهاجرين والأنصار، وأهل السابقة منهم، ثم دعا بأشرف أهل مكة، فقال له عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - «لأى شئ دعوت بأهل مكة من المهاجرين والأنصار» (١٢).

فقال له الصديق: «لأستشيرهم فى هذا الأمر الذى كتب إلينا فيه» فقال عمر: «أما المهاجون والأنصار فأهل المشورة والاستنصاح، وأما رجال أهل مكة الذين كنا نقاتلهم لتكون كلمة الله هى العليا ويقاتلوننا ليطفئوا نور الله بأفواههم جاهدين على قتلنا وذلنا، أن قلنا ليس مع الله آلهة أخرى، وقالوا مع الله آلهة أخرى، فلما أعز الله دعوتنا وصدق أحذوثنا ونصرنا عليهم تريد أن تقدمهم فى الأمور وتستشيرهم فيها وتستنصحهم وتدنيهم دون من هو خير منهم؟ فما نصحنا إذا بصلحائنا الذين كانوا يقاتلونهم فى الله حين تقدمهم تدونهم فلانراهم إذا وضعهم عندنا جهادهم إيانا وجهدهم علينا، والله لا تفعل ذلك أبدا فقال له أبو بكر: إنه قد حسن إسلامهم، ولقد كنت أريد أن أدنيهم أنزلهم بالمنازل التى كانوا بها فى قومهم من الشرف، فأما إذا ذكرت ما ذكرت فقد رأيت أن الرأى فى هذا رأيك»

وعكرمة وسدوا عليهم كل مهرب، وسمعت بذلك كندة فسارت لحرب المسلمين.

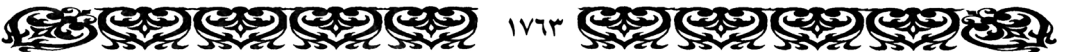
وعلم عكرمة بحشود كندة الزاحفة فاقترح على زياد أن يخرج هو (عكرمة) لمواجهة كندة، ويظل زياد مقيما على باب حصن حضرموت، واستحسن زياد رأى عكرمة.

فجيش المسلمين أن بقيت على حصارها لحصن حضرموت لدهمتهم جموع كندة وحصرتهم بينهم وبين المقيمين فى الحصن الذين كانت معنوياتهم سترتفع ولاشك وهم يرون كندة قد هبت لنجدتهم.

وبالفعل ييأس الأشعث بن قيس من طول الحصار فيستسلم ويطلب الأمان وهو لا يعلم بقدوم كندة، ويكتب زياد إلى عكرمة بذلك فيستبشر عكرمة، ويصيح فى جموع كندة قائلا: «يا هؤلاء، على ماذا تقاتلون، فقالوا: نقاتلكم على صاحبنا الأشعث بن قيس، فقال عكرمة: إن صاحبكم قد طلب الأمان» فاستسلمت كندة.

وهكذا يحقق عكرمة أمل الصديق فيه ودعاه له «عسى الله أن يفتح على يديك بلاد حضرموت إن شاء الله تعالى».

وعندما قرر الصديق حرب الروم فى الشام جيش لذلك الجيوش، إذ خرج خالد بن سعيد على رأس جيش فى ٢ من ربيع الآخر سنة ١٢ هـ، وتبعه يزيد بن أبى سفيان فى ٢٣ من رجب سنة ١٢ هـ، تبعه شرحبيل فى ٢٧ من رجب، ثم أبى عبيدة بن الجراح فى ٧ من شعبان للعام نفسه.



سعيد بن العاص فلحق به في إيلياء حيث كلفه بأن يبقى رداً للجيش يحمي مؤخرته ويؤمن انسحابه إن دعت الضرورة وجدت أن تورط خالد بن سعيد في هجوم فاشل على دمشق أغراه به (ماهان) قائد جيوش الروم الذي ألحق به الهزيمة فانسحب خالد بن سعيد تجاه عكرمة الذي أحسن توزيع رجاله بشكل حال بين الروم وبين مطاردة جيوش المسلمين المنسحبة بل وثبت في مواجهة جيوش الروم التي فضلت الانسحاب والعودة إلى دمشق، ولكن عكرمة في هذه المرة لم يتورط في مطاردة المنسحبين وإنما ظل ملتزماً بدوره الذي كلفه به قائده خالد بن سعيد وهو أن يبقى رداً للجيش (١٣).

لقد تعلم عكرمة الكثير من حرب اليمامة وأول ما تعلمه الطاعة للقائد وعدم الاندفاع الحماسي، تماماً مثلما فعل في فتح حضر موت عندما التزم بالطاعة الكاملة للخليفة الصديق الذي رأى فيه نموذجاً للمجاهد في سبيل الله الباحث عن إعلاء دينه، ولكنه كان في حاجة إلى تدريب وتعليم فعمد إلى تكليفه بمهام عسكرية ولكن تحت إمرة من هم أقدر على تعليمه وتدريبه حتى يكسب للإسلام قائداً يحسن القيادة والتوجيه، فالشجاعة والتضحية والفداء صفات مطلوبة في أي مقاتل ولكن القائد ينبغي أن تتوفر فيه صفات أخرى، حرص الصديق على إكسابها لعكرمة من خلال عمله تحت قيادة رجال خبروا المعارك والحروب.

وبلغ هذا الحوار عكرمة، ونفر من أشرف قریش المعنيين بهذا الحوار وكان فيهم سهيل بن عمرو وكان شريفاً عاقلاً فشق الأمر عليهم فخرجوا للقاء الصديق، وعمر، وتحدث عكرمة والألم يأكل قلبه: «إنكم كنتم تجدون في عداوتنا قبل اليوم مقالاً فلستم اليوم بأشد على من ترك هذا الدين، وعادى المسلمين منا»

فقال عمر بن الخطاب: «إني والله ما قلت ما بلغكم إلا نصيحة لمن سبقكم بالإسلام وتحرياً للعدل فيما بينكم وبين من هو أفضل منكم من المسلمين»

فقال عكرمة وهو في قمة التأثر: «أنا أشهدكم أني حبيس في سبيل الله»

فقال الصديق: «اللهم بلغ بهم أفضل ما يأملون واجزه بما كانوا يعملون، قد أصبتم فيما صنعتم فأرشدكم الله»

وخرج عكرمة ورفاقه وهو يبكي دماً من كلمات عمر فهو لم يكن فقط ممن حاربوا الإسلام قديماً، ولكنه ابن رجل هو مضرب لمثل في الكفر، ولا مناص من دفع العار إلا بالشهادة، ولم يفق عكرمة من شروده الحزين إلا على قول سهيل بن عمرو: «ما من أعمال عند الله أفضل من الجهاد في سبيل الله، فانطلقوا حتى تكونوا بين المسلمين وبين عدوهم فتجاهدوهم دونهم حتى تموتوا فلعلنا أن نبلغ بذلك فضل المجاهدين»

فخرجوا جميعاً إلى جهاد الروم بالشام وكان خروج عكرمة مع نفر من المسلمين مدداً لخالد بن



وتتجمع قيادة جيوش الشام فى يد خالد بن الوليد سيف الله المسلول، الرجل الذى لم يهزم فى أى معركة خاضها، فيعيد تنظيم الجيش، ويجعل عكرمة والقعقاع بن عمرو على مجنبتى قلب الجيش^(١٤)، لم يجد خالد من يفوقهما جرأة وبسالة ومقدرة ليقفا بجواره فى الصفوف الأمامية استعدادا للمعركة الفاصلة فى مواجهة جحافل الروم فى اليرموك سنة ١٣ هـ حيث وقعت المعركة الفاصلة التى مثلت بداية ونهاية، بداية ظهور الدولة الإسلامية خارج نطاق الجزيرة العربية، ونهاية الدولة البيزنطية.

وحمى وطيس المعركة، وضغطت جموع الروم على المسلمين فتراجعوا عن مواقعهم، فصاح عكرمة: «قاتلت رسول الله ﷺ فى مواطن وأفر منكم اليوم!» ثم نادى: «من يبايع على الموت؟» فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور فى أربعمائة من وجوه المسلمين^(١٥) ويقاتل عكرمة كما لم يقاتل مبدىا من ضروب الشجاعة والبسالة ما كان مضرب الأمثال حتى سقط شهيدا وبه بضعة وسبعون ما بين ضربة ورمية وطعنة^(١٦).

ليس هذا فقط، بل كانت لشهادته قصة

تجعله مضرب المثل فى الإيثار استشهد البطل عكرمة، ومعه الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، هؤلاء الثلاثة تحديدا الذين خرجوا سويا من المدينة طلبا للشهادة فى سبيل الله والألم يعتصر قلوبهم بعد أن رفض عمر بن الخطاب أن يكونوا وضرباءهم ممن أسلموا يوم الفتح أن يكونوا ممن يؤخذ منهم رأى ومشورة، كان لهؤلاء الثلاثة مشهد لا ينسى، الثلاثة سقطوا صرعى واستشعروا العطش فأتوا ماء فتدافعوه، كلما دُفِعَ إلى رجل منهم قال اسق فلانا، حتى ماتوا ولم يشربوه قال عبدالله بن مصعب: طلب عكرمة الماء، فنظر إلى سهيل ينظر إليه فقال: ادفعه إليه فهو أحق به منى، فنظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه فقال: ادفعه إليه. فلم يصل إليه أحد منهم حتى ماتوا جميعاً^(١٧) وحتى اللحظة الأخيرة أبى عكرمة ورفاقه رضى الله عنهم - إلا تمثل قول الله - عز وجل:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(١٨).

ومتى؟ وهم يعانون سكرات الموت، فكانوا حقا.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

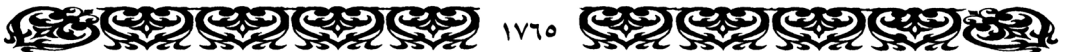
(١٥) المصدر السابق ١٣/٧.

(١٧) الاستيعاب ١٠٨٤/٣.

(١٤) المصدر المطبق ١٣/٧.

(١٦) المصدر السابق ٣٨/٧.

(١٨) الحشر (٩).





غَدْرُ الْيَهُودِ

للشاعر الكبير الأستاذ / أحمد محرم

فقل لبنى قريظة ما السبيل؟ ^(١)	ترامى الجيش، واندفع الرعيل
نزىل الشؤم هل صدق النزىل؟ ^(٢)	سلوا كعبا وصاحبه حيا
من الأحداث داهية أكلول	أطعتم أمره، فتلقفتكم
وقد يجنى على القوم الدليل	وكان دليلكم، فجنى عليكم
يسدده، ولا رأى أصيل	دليل السوء، لا عقل حصيف
جنود الله يقدمها الرسول ^(٣)	تفرقت الجموع وأدر كتم
رأيتم كيف يتعظ الجهول	جهلتم ما وراء الغدر حتى
به وبسيفه البطل المهول؟	ألم تروا اللواء مشى إليكم
ولا يغرركم الأطم الطويل ^(٤)	حذار بنى قريظة من على
وهل يجدى المخبّل ما يقول؟	وما يجديكم الهذيان شيئا

(١) الرعيل مقدمة الخيل أو القطعة القليلة منه تقدر بالعشرين أو الخمسة والعشرين.

(٢) إشارة إلى ما كان من أمر حبي بن أخطب مع كعب بن أسد حين ذهب إليه وحمله على نقض العهود وتمزيق الصحيفة. راجع غزوة

الخنديق وإلى أنه معه في الحصن وفاء بعهده.

(٤) الأطم: الحصن.

(٣) الذين جاءوا لحرب النبي في غزوة الخندق.



وما لبنى القروود سوى المواضى يكون لها بأرضهم صليل^(٥)

تواروا كالنساء محجّبات خلا الميّدان، لا بطل ينادى أقاموا مُحجّرين على هوان يرنّق عيشهم جوع وخوف يبيت الهم منتشرا عليهم يلفهم السهاد، فلا رقّاد يخاف النوم أكثرهم سهادا إذا مـالـت به سـنة تنزى تطوف بهم مناياهم ظنونا بهم وبحـصـنـهم مـادهاهم

حمتها فى المقاصير البعول ألا بطل؟ ولا فرس يجول أقام، فما يريم ولا يحول^(٦) كلا الخطبين أيسره جليل^(٧) إذا انتشرت من الليل السدول^(٨) يطيب لهم، ولا صبر جميل كأن النوم فى عينيه غول يظن جوانب الدنيا تميل^(٩) توهج فى مخابها النصول وحـاق بهم جنون أو ذهول

يقول كبيرهم يا قوم ماذا ترون؟ أهكذا تعمى العقول؟^(١٠)

(٥) إشارة إلى قول الرسول الكريم لهم وقد دنا من حصنهم - يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته؟، فإن عليا - كرم الله وجهه - أقبل على الحصن فى جماعة من المهاجرين والأنصار، وغرز اللواء عند أصله، فسمع من بنى قريظة كلاما بذينا فى رسول الله وأزواجه، ثم رآه مقبلا فأوصى أبا قتادة الأنصارى - رضى الله عنه - أن يلزم اللواء وخف إليه فقال: يا رسول الله لا عليك ألا تدنوا من هؤلاء الأخاب، قال: لعلك سمعت منهم لى أذى قال: نعم فدنا من الحصن وقال لهم: يا إخوان القردة...».

(٦) أحجّره غطاه وستره، كناية عن بقائهم فى الحصن رام مكانه زال عنه وفارقه.

(٧) يرنق بمعنى يكر. (٨) جمع سدل وهو الستر.

(٩) تنزى توثب وتسرع.

(١٠) كعب بن أسد، قال لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى عارض عليكم خلا لا ثلاثا، أيها شتمت فذاك. قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدق، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه الذى تجدونه فى كتابكم، فأتأمنون على دمانكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب، حيث لم يكن من بنى إسرائيل، ولقد كنت كارها لنقض العهد، ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس (يعنى حى بن أخطب) أتذكرون ما قال ابن خراش حين قدم عليكم، أنه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارا فتكونوا قد أمتتم بالكتابين. الأول والآخر - قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره: قال: فهلم فلنقتل أبناءنا ونسائنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ثقلا، وإن نظفر فلعمري لنجدن النساء والأبناء... قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؟ قال: إن الليلة ليلة السبت. وأن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة، فقالوا نفسد سبتنا وأبوا.





أليس محمد من قد علمتم
رسول الله ما عنه صدوف
أبعد العلم شك؟ بل ضللت
هلموا نتبعه، فإن أبيتم
نضحى بالنساء وبالذراى
بأيدينا السيوف مسلات
فإلا تفعلوا فالقوم منا
لهم منا غدا بالسبب أمن
هلموا بالقواضب إن أردتم
عصوه، وراضهم عمرو بن سعدى
أبوها جزية ثقلت عليهم
ففارقهم على سخط وضغن
نهامهم قبل ذلك أن يخونوا

فما الخبل الملح، وما الغفول؟^(١١)
لمن يغنى النجاة، ولا عدول
على علم، وذلكم الغلول^(١٢)
فليس لنا سوى الأخرى بديل
ونخرج، والدم الجارى يسيل
نصون بها الذمار إذا نصول
بمنزلة تنال بها الذحول^(١٣)
فإن تك غرة شفى الغليل
فما يغنى التردد والنكول
فما اجتنب الجماح ولا الجفول^(١٤)
وقالوا: بئسما يرضى الذليل
وراح يقول: لا نعم القبيل
فكان الغدر والداء الويل

توالى الضّر عبئا بعد عبء
دعوا يستصرخون: ألا دواء
فهذا قواهم العبء الثقيل
فقد أشفى على الموت العليل؟

(١١) الغفول بمعنى الغفلة.

(١٢) الغلول - الخيانة.

(١٣) الذحول جمع ذحل والنحل الثأر.

(١٤) قال لهم عمرو بن سعدى: خالفتم محمدا ولم أشرككم فى غدركم، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية، وأعطوا الجزية.

فأبوا وغضب فقال: إني برىء منكم، ثم فارقهم ولم يعد إليهم.

الجفول : النفور من كل شيء.





لعل أبا لبابة إن ظفـرنا وأرسله النبي فـخالفوه لكم منا السـلاح إذا أردتم وعاد، فراجعوه على اضطرار إليك أبا لبابة ما منعنا خذوه مع السـلاح، وأطلقونا فقال: دماؤكم لا بدّ منها أجب يا كعب إن الأمر حتم وما من معشر يا كعب إلا نصحت لكم، وما للقوم عذر

بقدمه لعشرتنا مـقيل^(١٥) وقالوا: لا يصاب لنا قتيل وتنطلق الركائب والحمول وهان عليهم المال الجـزيل وشرُّ المال ما منع البـخيل فحسب محمد منا الرحيل وذلك حكمه، فمتى القبول؟ فماذا بعد إلا المستحيل على حكم النبي لهم نزول إذا نصح الحليف أو الخليل

هووا من حصنهم، وكذلك تهوى وجاءوا ضارعين، لهم خوار يبتُّ الوجد مـبتئس حزين قضاء الله من قتل وسبى

وتهبط من معاقلها الرعول^(١٦) يجاوبه بكاء أو عـويل وتذرى الدمع والهـمة ثـكول مضى، والبغى دولته تدول

(١٥) لما جاءهم أبو لبابة - رضى الله عنه - واسمه «رفاعة بن المنذر» قام إليه الرجال وأسرع النساء والأطفال يبكون فى وجهه، وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد «أن لا تحقن دماؤهم وأن تترك لهم نساؤهم وأبناؤهم» قال - نعم، فأبوا وقالوا: نترك السلاح ونجول، فلم يقبل النبي، وعادوا فقالوا نترك السلاح والمال، فكذا.

(١٦) نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم فبرزوا من الحصن. وجاءوه أدلاء ضارعين. فأمر بهم فكتفوا، وأخرج النساء والذرارى فجعلوا ناحية - الوعول جمع وعل. وهو التيس الجبلى أو ذكر الأروى.

يقول الأوس إن القوم منا
موالينا، إذا خطب عناهم
وهم حلفاؤنا، نحنو عليهم
أنقتلهم بأيدينا؟؟ فعفوا
فقال: جعلت أمر القوم طراً
وجيء به، يقول له ذووه
فقال: دعوا اللجاج فإن سعداً
فصاح يقول: واقوماه منهم
أتى، فأقر حكم الله فيهم
على والزبير لكل غضب
هما استبقا نفوس القوم نهياً

على عهد، وقد طمت السيول^(١٧)
عنانا ما يشق وما يعول
ونحذب إن جفا الحذب الوصول
رسول الله إن أثم الضلول
إلى سعد فنعم هو الوكيل
ترفق، إنك المولى النبيل^(١٨)
بنصرة ربه الأعلى كفيل
رجال عزمهم واه كليل^(١٩)
وآل الأمر أحسن ما يؤول^(٢٠)
صقيل منهما غضب صقيل^(٢١)
وروح الله بينهما رسيل^(٢٢)

تقدم يا حيي فلا محيص ورد يا كعب ما ورد الزميل^(٢٣)

(١٧) توثب الأوس وقالوا: يا رسول الله.. موالينا وحلفاؤنا، وقد فعلت في موالينا إخواننا بالأمس ما قد فعلت يعنون بنى قينقاع حلفاء الخزرج وقد كلمه فيهم عبدالله بن أبي بن سلول، فوجههم له على أن يجلو - فقال: أما يرضيكم يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم، قالوا: بلى - فقال: فذلك إلى سعد بن معاذ.

(١٨) بعث النبي إلى سعد بن معاذ وكان في خيمة ربيعة الأسلمية فحملة بعض قومه على حمار وهم يقولون له: يا أبا عمرو أحسن في مواليك. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم، فقد رأيت ابن أبي وما صنع في حلفائه - كانوا يقولون ذلك له وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال - رضى الله عنه -: لقد أن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فصاح بعضهم: واقوماه.

(١٩) واه كليل: بمعنى ضعيف.

(٢٠) جاء سعد فقال لبنى قريظة: أترضون بحكمي؟ قالوا: نعم - قال: فإني أحكم فيكم أن تقتل الرجال، وتغنم الأموال، وتسبى الذراري والنساء.

(٢١) كان الذي تولى قتلهم على بن أبي طالب والزبير بن العوام - رضى الله عنهما -.

(٢٢) الرسيل المرسل، والموافق في النضال وغيره.

(٢٣) جى، يحيى بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. فقال له النبي: ألم يمكن الله منك يا عدو الله؟ قال: بلى، أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكن من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر، وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه. أما كعب بن أسد فقال له بعض قومه: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: في كل موطن لا تعقلون، أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع؟ هو والله القتل.. قد دعوتكم إلى غير هذا فأبيتكم على، قالوا: ليس حين عتاب.



لكل من شقاء الجِدُّ ورد
وَسَجِّلْ مِنْ مَنِيَّتِهِ سَجِيلٌ^(٢٤)
أَصَابَكُمْ مِنَ الْأَقْدَارِ رَامٍ
هُوَ بِكُمْ، فَشَأْنُكُمْ أَضْيَلُ
لِبئس السَّيِّدَانِ لَشَرِّ قَوْمٍ
هُمُ الْبَرْحَاءُ وَالْدَاءُ الدَّخِيلُ^(٢٥)
مَنَابِتُ فِتْنَةٍ خَبِثَتْ وَسَاءَتْ
فَلَمْ تَطْبِ الْفُرُوعُ وَلَا الْأَصُولُ
قُلُوبُ مِنْ سَوَادِ الْقَوْمِ عَمِيٌّ
وَأَلْبَابُ مِنَ الزَّعَمَاءِ حَوْلُ
أَضْلَهُمُ الْغَبَاءُ، فَهُمْ كَثِيرٌ
وَعَمَّهُمُ الْبَلَاءُ، فَهُمْ قَلِيلٌ

تَخَطَّفَهُمْ هَرِيْتُ الشَّدَقِ ضَارٍ
لَهُ مِنْ مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ غِيلٌ^(٢٦)
فَمَا نَجَتْ النِّسَاءُ وَلَا الذَّرَارِيُّ
وَلَا سَلِمَ الشُّبَابُ وَلَا الْكُهُولُ
تَهَلَّلَتْ الْمَنَازِلُ وَالْمَغَانِي
وَأَشْرَقَتْ الْمَزَارِعُ وَالْحَقُولُ
وَبَاتَ الْحَصْنُ مَبْتَهَجاً، عَلَيْهِ
لَا لَاحِمْ مَحْمَدٌ ظِلُّ ظَلِيلٍ

لَعَمْرُ الْهَالِكِينَ لَقَدْ تَأَذَّى
تَرَابٌ فِي حَفَائِرِهِمْ مَهِيلٌ^(٢٧)
طَوَى رَجَساً تَكَادُ الْأَرْضُ مِنْهُ
تَمُورُ بِمِنْ عَلَيْهِمْ هَاهَا أَوْ تَزُولُ^(٢٨)
يَسَاقُ السَّبْيُ، شَرْدَمَةٌ بَنَجْدٍ
وَأُخْرَى بِالشَّامِ لَهَا أَلِيلٌ^(٢٩)

(٢٤) السَّجِّلُ: الدُّلُوعُ. وَسَجِّلْ بِمَعْنَى عَظِيمٍ، وَلَا يُقَالُ لَهُ سَجِّلٌ إِلَّا إِذَا كَانَ مَمْتَلِئًا، وَالْجِدُّ الْحَظُّ.

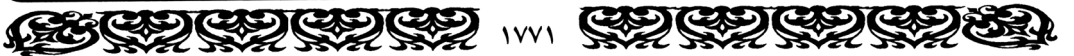
(٢٥) الْبَرْحَاءُ الْأَذَى الشَّدِيدُ.

(٢٦) وَاسِعُ الشَّدَقِ: مِنْ صِفَاتِ الْأَسَدِ، وَالْمُرَادُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢٧) أَمْرُ النَّبِيِّ فَحَفَرَتْ الْحَفَائِرُ، ثُمَّ أُلْقِيَ قَتْلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فِيهَا وَهِيَ عَلَيْهِمُ التَّرَابُ.

(٢٨) تَمُورُ تَضْطَرِبُ.

(٢٩) بَعَثَ النَّبِيُّ سَعْدَ بْنَ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ بَعْضَ سَبَايَا بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَى نَجْدٍ، وَسَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ بَبَعْضَ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ لِيَبْتَاعَا بِهَا خَيْلًا وَسِلَاحًا - الْأَلِيلُ: الْأَتْنِينُ، وَرَفَعَ الصَّوْتُ بِالصَّرَاحِ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ.



جلائب، لا أب في السوق يحمي
تجر على الهوان، ولا مغيث
أصاب المسلمون بها سلاحاً
مكرمة، تُعد لكل يوم
إذا ذكرت مناقبه الغوالي
مناقب ما يزال لها طلوع
لها من نابه الأدب انبعاث
ضمنت لها البقاء وإن عنتي
وما تغني الخزائم حين تلو
تخلد لها مصونات حسان
صفايا الشَّعر، لا خلق زري
لعل الله يجعلها ربيماً
فوا أسفاً، أطمعني القوافي
وواحرربا، أما يرجى فكاك

ولا ولد يذب، ولا حليل^(٣٠)
بأرض ما تجرُّ بها الذبول
وخيل في قوائمها الحبول
كريم الذكر، ليس له مثيل
تعال أمة، واعتز جيل
إذا الأقمار أدركها الأفول
فما يخفي زواهرها الخمول
من الدهر العوائق والشغول
إذا انطلقت حاجتها الفحول
حرائر، ما لها أبداً مذيّل
يخالطها، ولا أدب هزيل
لألباب أضرب بها الخول
فيخلف مطمع، ويخيب سول؟
لأسرى ما تفارقها الكبول؟^(٣١)

(٣٠) جلائب: مسوقات؛ يذب : يدفع.

(٣١) يقصد الأمم الإسلامية المغلوبة على أمرها في أيامنا هذه.

العصر الذهبي للصهيونية العالمية فى مواجهة الإسلام

للككتور / محمد حسن عبد الخالق

بعد اندلاع أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ولأول مرة فى تاريخ أمريكا المعاصر، وأول اختبار للرئيس الأمريكى الجديد بوش (الابن) ترى الإدارة الأمريكية أنها أمام خيارين لا ثالث لهما، الجماعات الإسلامية والمسلمين والإسلام فى كفة وكرامة وكبرياء وقوة أمريكا فى كفة أخرى، وحسمت الأمر منذ البداية مخاطبة العالم أجمع بأن أمريكا ستقود حرياً شرسة ضد ما أسمته بالإرهاب برغم أن العالم حتى الآن يتساءل ما مفهوم أمريكا للإرهاب، وأعلن بوش صراحة أن العالم أجمع أمام خيارين لا ثالث لهما، من معنا ومن ضدنا، وسنبداً بأفغانستان وبعدها دولاً أخرى، والحرب قد تستمر لأعوام، وكان الخطاب بمثابة إرهاب للعالم أجمع، من معنا سيكافىء، ومن ضدنا سيذوق الأهوال السبعة.

معقل بن لادن الأسطورى الذى يمتلك مصباح
علاء الدين والقادر على تدمير أى قارة على
الكرة الأرضية!! وأصبح الشجب الذى يعلقون
عليه أخطاءهم ويبررون به أفعالهم تجاه الإسلام

إذاً فالحرب ضد جماعات إسلامية تنتمى
لدول إسلامية، والصورة قد اتضحت، وأعداء
أمريكا دول معروفة على خارطة العالم، وعلى
العالم المشاركة فى تدميرها، والبداية أفغانستان



ومسلمين، والذي زرعه وغذاه اللوبي الصهيوني طوال عقود مضت . منذ شهرين تُضرب أفغانستان المسلمة بكل ما وصل إليه الغرب من اختراعات لأحدث أنواع القنابل والصواريخ برغم التصريحات البراقة والمواد الغذائية التي تلقيها الطائرات الأمريكية لأطفال أفغانستان . أو وليمة الإفطار التي أعدها بوش في البيت الأبيض لتناول طعام الإفطار مع ٥٣ سفيرا من الدول الإسلامية في حادثة لم يشهدها المجتمع الأمريكي من قبل . ومع مدفع الإفطار تتساقط القنابل على أفغانستان وتُحصد الأبرياء . وسجون أمريكا وأوروبا تعج بالسجناء العرب والمسلمين الأبرياء المشتبه فيهم . وبعد أيام تصدر مصلحة البريد الأمريكي طابعا تذكاريا بمناسبة عيد الفطر المبارك . وقد شهدت الساحة العالمية نشاطا غير عادي للصهيونية العالمية واللوبي الصهيوني في حملة شرسة استهدفت المسلمين والعرب داخل الولايات المتحدة وخارجها مسخرة أبواق إعلامها . وتدخلها المباشر أو غير المباشر في صنع القرار وكانت النتيجة مصادرة أموال البنوك الإسلامية والجمعيات الخيرية الإسلامية وأموال أثرياء المسلمين بحجة أنها توجه للإرهاب .

ومسلمين، والذي زرعه وغذاه اللوبي الصهيوني طوال عقود مضت .

منذ شهرين تُضرب أفغانستان المسلمة بكل ما وصل إليه الغرب من اختراعات لأحدث أنواع القنابل والصواريخ برغم التصريحات البراقة والمواد الغذائية التي تلقيها الطائرات الأمريكية لأطفال أفغانستان . أو وليمة الإفطار التي أعدها بوش في البيت الأبيض لتناول طعام الإفطار مع ٥٣ سفيرا من الدول الإسلامية في حادثة لم يشهدها المجتمع الأمريكي من قبل .

ومع مدفع الإفطار تتساقط القنابل على أفغانستان وتُحصد الأبرياء . وسجون أمريكا وأوروبا تعج بالسجناء العرب والمسلمين الأبرياء المشتبه فيهم . وبعد أيام تصدر مصلحة البريد الأمريكي طابعا تذكاريا بمناسبة عيد الفطر المبارك .

وقد شهدت الساحة العالمية نشاطا غير عادي للصهيونية العالمية واللوبي الصهيوني في حملة شرسة استهدفت المسلمين والعرب داخل الولايات المتحدة وخارجها مسخرة أبواق إعلامها . وتدخلها المباشر أو غير المباشر في صنع القرار وكانت النتيجة مصادرة أموال البنوك الإسلامية والجمعيات الخيرية الإسلامية وأموال أثرياء المسلمين بحجة أنها توجه للإرهاب .

وعن طريق إعلام اللوبي الصهيوني قلبوا الموازين وألصقوا تهمة الإرهاب بالمسلمين وحزب الكفاح المسلح الوطني الفلسطيني المشروخ إلى إرهاب، وحولوا إرهاب إسرائيل الموجه لتصفية الوجود الفلسطيني إلى دفاع عن النفس، وفرضوا النظرة الأحادية على الولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت أمريكا تنظر إلى

مشارك الشرق الأوسط بعيون إسرائيلية والإعلام الصهيوني يلعب على كل الأوتار، ولدى اللوبي الصهيوني سيناريوهات جاهزة التحضير والرؤية المستقبلية المحتملة لاستغلال ما يحدث لصالحهم، أو يفعلوه هم ويلصقوه بالآخرين . فإن الرعب الذي اجتاحت أمريكا بكل ولاياتها بعد ظهور ميكروب الجمرة الخبيثة « الإنثراكس » في عدة أماكن، وبث اللوبي الصهيوني البلاغات الكاذبة عن وجود بودة بيضاء يشبه أن تكون ميكروب الجمرة الخبيثة في الأماكن الحساسة بأمريكا . أو بالبريد . كى يقنع العالم أجمع ويسكب البنزين على النار المشتعلة بأن وراء هذا الرعب عربيا مسلما ذا لحية سواء أكان من قارة آسيا أو أفريقيا أو أوروبا أو حتى إن كان قد ولد وعاش هو وأجداده في أمريكا إنها حملة مسعورة يخوضها اللوبي الصهيوني لأنه المستفيد الوحيد لما يحدث الآن، والجميع يتساءل عن اليد الخفية التي تبث الرعب في كل مكان بأمريكا في الكونجرس الأمريكي تعلن الحكومة أنها عثرت على جراثيم الجمرة الخبيثة في أجهزة التكييف .. الخ .

وعمة نيويورك عثر عليها في مكتبه .. إلخ . كيف يخترق أى عربى مسلم هذه الأماكن؟؟ الذى يمكنه اختراقها هم اليهود الذين يعملون ويتقلدون المناصب المهمة فى أمريكا وسيطروا تقريبا على كل المؤسسات الحساسة بها . كما استغل الإعلام الصهيوني الوضع المتردى للمسلمين فى أفغانستان، وقام بنشر وبث صور بعض الأفغانيات وقد خلعن الحجاب على أنها ظاهرة صحية تعبر عن القهر الإسلامى الذى



يرضى الإسلام والمسلمين، وحتى كتابة هذه السطور لم يجزم التحقيق الأمريكى بمرتكب هذه الحادثة الشنيعة التى تدمى القلوب، وسواء قام بها الموساد الإسرائيلى لزرع فتيل العداء بين العالم الغربى والعالم الإسلامى، أم قام بها بن لادن الذى صنعته أمريكا فى حربها ضد السوفييت أو قامت بها مؤسسات إرهابية أمريكية فما صلة كل هذا بالدين الإسلامى الحنيف؟ وإذا بحثنا عن المستفيد الأول فهو اللوبى الصهيونى الذى غزا المؤسسات الأمريكية جميعاً، واستغل الموقف على مرأى ومسمع من العالم أجمع فى التنكيل بالفلستينيين وضم الأراضى الفلستينية والعالم فى ذهول من هول الحادث الأليم وقد سبق اعتقال خمسة عسكريين إسرائيليين سابقين يوم ١١ سبتمبر وهم يلتقطون صوراً لمركز التجارة العالمى أثناء انهياره وفى حوزتهم خرائط وأسلحة بيضاء يقول المحققون إنها تشابه الأسلحة التى استخدمها المختطفون، وإسرائيل تنفى وأمريكا فرضت السرية على التحقيقات!!

والآن تعترف السلطات الفيدرالية الأمريكية باعتقال ٦٠ اسرئيليا وترفض الإفراج عنهم بكفالة للاشتباه فى تورطهم فى أحداث الحادى عشر من سبتمبر، وكلهم من الشباب اليهودى المتشددى أدوا الخدمة العسكرية فى إسرائيل . هناك تنسيق أمريكى - إسرائيلى مشترك لكل ما يحدث حتى يفوز اليهود بنصيب الأسد فى فلسطين وتصفية الوجود الفلستينى وتدمير القوى العربية المحيطة بحجة أنها تأوى الإرهاب أو تغذيه كى تدخل فى خارطة الدول

عانت منه نساء أفغانستان والذى يتعارض مع حقوق المرأة ويتعارض مع حقوق الإنسان وكذلك صور بعض الشباب وهو يقوم بحلق لحيته (تحت تهديد قوات التحالف الشمالى التى تدعمها أمريكا) على أنه كان مجبراً لإطالة لحيته، والآن تحرر منها .

وكذلك يطالعنا الإعلام الغربى الصهيونى بأن القضية الفلستينية لن تحل إلا إذا قدم الفلستينيون تنازلات لإنجاح المفاوضات . أى تنازلات يقدمها صاحب الأرض لمن احتلها!!

وتسعى الصهيونية منذ احتلالها فلسطين إلى تفرغها من العرب سواء بالترحيل أو الإبادة وعجزت آلة الحرب التى تدور رحاها منذ سبتمبر ٢٠٠٠ ضد أطفال الحجارة لإبادة هذا الشعب الأعزل . واستغلت سيناريو «الحرب ضد الإرهاب» مسخرة وسائل إعلامها وتغلغلها المباشر أو غير المباشر فى صنع القرار الأمريكى كى تحظى بتأييد أمريكا باعتبار ما يقوم به الفلستينيون من مقاومة مشروعة للاحتلال إرهاب .

وبعد الجهود العربية والدولية والمطالبة بمحاكمة ارئيل شارون كمجرم حرب، يسعى اللوبى الصهيونى جاهاً للمطالبة باعتبار ياسر عرفات مجرم حرب، وأود أن أشير إلى أن الجرائم التى ارتكبها سفاح إسرائيل لا تعد ولا تحصى، أليس هو الذى قتل زوجات وأطفال الضباط البريطانيين عندما نسف مقر إقامتهم فى فندق الملك داود بمعاونة عصابات الأرجون وشتين!!

وما حدث فى أمريكا من إرهاب مأساوى لا





الليكود، أكدوا فيه أن أية اجتماعات أو مباحثات يجريها بيريز أو غيره من الإسرائيليين مع عرفات أو مساعديه ليس لها أى ثقل وغير معترف بها.

القدس: بلغ التطاول على الإسلام والمسلمين طلب وزير البيئة الصهيونى اليميني المتطرف (تساحى هنبخى) إلغاء الآذان فى مساجد القدس جميعا بما فيها المسجد الأقصى - وذلك للضجيج المنبعث من مساجد مدينة القدس!!

فى مصر والسعودية: استغلت الصهيونية العالمية الوضع الراهن وحاولت النيل من مصر والمملكة العربية السعودية، ونظرا لثقل مصر فى الشرق الأوسط على وجه الخصوص والعالم على وجه العموم، ولوضع السعودية المتميز بالنسبة لأمريكا. وقد أعلنت الدولتان العربيتان الإسلاميتان رفضهما القاطع للممارسات الصهيونية فى فلسطين المحتلة وسياسة الكيل بمكيالين التى تتبعها أمريكا وكذلك رفضهما بأن تطول الضربات دولا عربية أخرى.

وسخر اللوبى الصهيونى وسائل إعلامية فى الهجوم على مصر والسعودية فى محاولة لتسميم الأجواء بينهما وبين الولايات المتحدة.

وخلاصة القول أن هناك هجمة شرسة يتعرض لها الإسلام فى وسائل الإعلام الغربية تغذيها وتخطط لها الصهيونية العالمية، ولا خوف على الإسلام فإن له رب يحميه، ولكن علينا مراجعة أنفسنا نحن المسلمين، وماذا أعدنا لمثل هذا اليوم، وماذا علينا فعله فى عصر لا يعترف إلا بالقوة وليس فيه مكان للضعفاء، وقد منحنا الله كل شيء.

التي عليها الدور. كمكسب أمنى وأمريكا تثبت تعاليها وكبرياءها على العالم أجمع وتفرض وجودها وسط آسيا لمواجهة إيران والصين عن قرب ولاستغلال بترول بحر قزوين، والذي يؤكد هذا عرض إسرائيل المساهمة فى تجريد باكستان من سلاحها الذرى برغم امتلاكها لترسانة ذرية!!

رصدت اسرئيل ٢٠٠ مليون دولار لتحسين صورتها وإلصاق الإرهاب بالفلسطينيين وفى نفس الوقت هناك قلق فى الدوائر العربية على أموالها المملوكة للحكومات والشركات والأفراد التى تقدر بحوالى ألف مليار دولار فى البنوك الأمريكية، والتى قد تتأثر بالحرب ضد الإرهاب.

أما تداعيات ما حدث فى الحادى عشر من سبتمبر فكثيرة طالت كل مناحى الحياة فى العالم أجمع سواء السياسية أو الأمنية أو الاقتصادية.

وإذا كان قدرنا أن نعيش عصر التكتلات التى لها نظرياتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية تحت شعارات جديدة سواء أكانت العولمة أو العلمانية أو الحداثة.

وكلها تحت سيطرة اللوبى الصهيونى الذى حدد العالم الإسلامى هدفا لتجريده من خصوصياته وتذويب مقوماته وطمس حضارته الروحية والفكرية مستغلا الانفتاح الإعلامى الذى يسيطرون عليه. وعلى سبيل المثال:

فى إسرائيل: كشفت صحيفة (هاآرتس) الإسرائيلية أن شارون قد عقد اجتماعاً مع قادة





الأزهر

الجامعة الإسلامية الكبرى

دُرستاز الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

نستطيع أن نقول: إن أقدم الجامعات الإسلامية هي الحلقات العلمية التي كانت تتعقد في مسجد رسول الله ﷺ في عهد صاحب الرسالة العظمى بعد هجرته إلى المدينة المنورة ﷺ، وفي مختلف العصور الإسلامية حتى العصر الحديث. وقد قامت الحلقات العلمية في المسجد الحرام بعد فتح مكة في العام الثامن للهجرة النبوية، وتصدرها كبار الصحابة ثم التابعون من بعدهم، ثم تابعو التابعين، واستمرت هذه الحلقات تؤدي رسالتها في خدمة الثقافة الإسلامية، والفكر الإسلامي، وشباب المسلمين، في مختلف العصور حتى العصر الحديث، وكانت هذه الحلقات العلمية تشكل ثاني جامعة إسلامية كبرى.

المختار لإلقاء الدروس العلمية، فقد كان مركزاً اتخذته الصحابة والتابعون لنشر الدين والعلم ولإقامة الحلقات العلمية فيه، وأخذت الحركة العلمية في هذا المسجد تنمو وتتسع حتى أمه الكثير من العلماء والأعلام الذين تركوا ثروة جليلة من الكتب والتأليف، كما كان لتلك الحلقات فضل إخراج عدد كبير من الفقهاء والمحدثين حتى أوائل القرن الرابع الهجري، وأشهر هؤلاء عبد الله بن عمرو بن العاص،

ثم بعد أن بنيت الفسطاط وبنى فيها جامع الفتح، الذي سمي تاج الجوامع، أو جامع عمرو بن العاص، لم يلبث أن قامت فيه حلقات علمية كبيرة، كان منها مثلاً حلقة عبد الله بن عمرو بن العاص، ثم حلقة الليث بن سعد، وحلقة الإمام الشافعي، وغيرهم، فكانت هذه الحلقات العلمية تشكل ثالث جامعة إسلامية كبيرة في بلاد الإسلام. وقبل إنشاء الأزهر كان جامع عمرو هو المكان



الأشعار. وقد تألفت بعض تلك الحلقات، اشتهر منها حلقة بيت عبد الله بن الحكم الفقيه المالكي وولديه عبد الرحمن ومحمد وكانوا من أنبغ الفقهاء المحدثين حتى أوائل القرن الثالث.

وكانت حلقاتهم موضع التقاء أكابر العلماء والأدباء المعاصرين الذين كانوا يفدون على مصر من مختلف الأقطار، فما أن وفد الإمام الشافعي إلى مصر، حتى وجد من تلك الأسرة كل عناية ورعاية وإكرام. فلما أقام حلقة في جامع عمرو، كانوا هم أول من شجعه وحضر درسه.

وظل التدريس في جامع عمرو على هذا المنوال عامر الحلقات، وموضعا لنشر العلم والتعليم مدة طويلة، واقتفى أثره كثير من الجوامع الشهيرة كجامع أحمد بن طولون، فلم يأت القرن الرابع حتى كان العلم في جامع عمرو قد وصل إلى مرحلة مثلى بفضل من كان يؤمه من أقطاب الفقه واللغة، وأشهرهم أبو القاسم بن قديم وتلميذه الكندي الذي ترك كتابا عظيما في تاريخ ولاة مصر ومن تولى قضاءها - وأبو القاسم ابن طباطبا الحسني الشاعر.

فلما أن كان عصر الأمير محمد بن طنج الإخشيدى، أصبحت مجالس الدراسة والحلقات الأدبية الخاصة من تقاليد الحياة الرفيعة، وقد لقيت العلوم والآداب بفضل هذا الأمير وولده أنوجور ووزيره كافور وكثير من أمراء الدولة كل حماية ورعاية. وكانت حلقات الشاعر أبي الطيب المتنبى الذي وفد على مصر عام ٣٤٦هـ (٩٥٧م) على إثر مفارقتها لبلاط سيف الدولة في حلب، من أهم حلقات الشعر والأدب واللغة في ذلك العهد.

كما قامت حلقات للمسجد الأموي بدمشق، وفي مساجد البصرة والكوفة وبغداد وفي مسجد القيروان، وفي مسجد القرويين وفي المسجد الجامع بقرطبة، وفي غيرها من المساجد الكبرى، ولكن هذه

ويزيد بن حبيب، وعبد الله بن وهب، وسعيد بن الصلت، ويحيى بن أزهر، وسعيد بن عبد الرحمن، وغيرهم.

وكانت الدراسة في أول أمرها دراسة دينية فقهية قامت في الزوايا التي أنشئت على مر السنين بالجامع العتيق، وأشهر تلك الزوايا، زاوية الإمام الشافعي التي كان الناس يهرعون إليها لسماع شروح الإمام ومحاضراته والتي تخرج فيها عدد من أعظم الفقهاء والعلماء في ذلك العهد. ثم بنى محمد بن مجد الدين أبي المحاسن الأزدي البهنسي الشافعي، وزير الملك الأشرف موسى بن العادل أيوب، زاوية سميت الزاوية المحمدية، ورتب في تدريسها قاضى القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي وأوقف عليها عدة أوقاف بمصر والقاهرة، ثم الزاوية الصاحبية التي أنشأها صاحب التاج محمد بن فخر الدين، وجعل لها مدرسين أحدهما مالكي، والآخر شافعي، وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة، ثم حذا حذوه كثير من الأمراء وذوى اليسار المهتمين بالعلم، فما وافى عام ٧٤٩هـ حتى زادت حلقات جامع عمرو على الأربعين حلقة.

وكانت هذه الحلقات العامة والخاصة منها تؤدي رسالتها، فالعامة منها ما كان يقام يوميا بجامع عمرو والخاصة في يوم الجمعة الذى كانت حلقة تفوق حلقات بقية الأيام أهمية، إذ كان يوم الجمعة هذا يعد موسما علميا هاما، يهرع الناس فيه لسماع أكبر عدد من الفقهاء والشعراء والأدباء، وهم يتناقشون ويتباحثون في الفقه واللغة ويتطرحون الشعر ويروون الأخبار.

أما الحلقات الخاصة فهي التي كانت تعقد في منازل أكابر العلماء والفقهاء حيث كانوا يجتمعون بتلاميذهم وأصدقائهم يقرأون عليهم بعض شروح الفقه الإسلامى وبعض كتب العبادات ويروون بعض



الحلقات لم يكتب لها الدوام والاستمرار ماعدا حلقات مسجد القرويين بفاس بالمغرب .

وكان إنشاء الأزهر عام ٣٦١هـ وقيام الحلقات العلمية فيه منذ إنشائه حتى اليوم وطيلة ألف عام أو يزيد معجزة من معجزات الثقافة الإسلامية التليدة الخالدة، لأن الأزهر اليوم هو أم الجامعات الإسلامية، وهو الذى يمدّها بالتوجيه وبالأساتذة، وبالخطط العلمية المدروسة .

وقامت بعد ذلك الجامعة النظامية التى أسسها الوزير نظام الملك ووزير السلطان السلجوقى ألب أرسلان وصديق الشاعر الصوفى الكبير عمر الخيام، وذلك عام ٤٥٧ هـ، ثم الجامعة المستنصرية فى بغداد، كما قامت جامعات إسلامية أخرى فى نيسابور ودمشق وبيت المقدس والإسكندرية والقاهرة وغيرها من عواصم العالم الإسلامى، ولكنها اندثرت ولم يبق منها شىء .

والأزهر على أية حال هو الصورة المشرقة لكل الجامعات الإسلامية، وهو الذى يلخص تاريخ الحضارة الإسلامية كلها طيلة ألف عام، فقد ازدهر بازدهارها وضعف بضعفها، ولأنه لم يكن جامعة إسلامية لمصر وحدها، بل كان جامعة إسلامية للعالم الإسلامى كافة، يؤمه طلاب العلم من كل مكان فى بلاد الإسلام، وهو مفخرة حقا، لأنه روح الحضارة الإسلامية ودرعها الواقى . وبحسبنا أنه عاش موئل العربية وملاذها الأمين .

والفاطميون هم الذين أنشأوا الأزهر فى مصر، إثر فتحهم لها مباشرة، حيث أمر قائد الفتح جوهر الصقلى عام ٣٥٩هـ بالبدء فوراً فى إنشائه، لا ليكون مكاناً للعبادة والصلاة فحسب، ولكن ليكون منبرا دينيا للدولة الفاطمية لنشر مذهبها والدعوة إليه .

وقد شرع فى بناء الأزهر فى الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ - ٩٧٠م وأقيمت الحلقات فيه أول مرة فى اليوم السابع أو التاسع من رمضان عام ٣٦٢هـ - ٩٧٢م، واختير لبنائه مكان فى الجنوب الشرقى من القاهرة بالقرب من القصر الكبير بين حى الديلم وحى الترك .

وسمى الأزهر لأنه كان محاطا بقصور زاهرة، ولأنه كان أكبر الجوامع على الإطلاق فخامة ورواء، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنه سُمى باسم فاطمة الزهراء التى ينتسب إليها الفاطميون، ويقال إنه سُمى كذلك تفاقولا بما سيكون له من الشأن والمكانة بازدهار العلوم فيه .

وما كاد جوهر يضع أساس الأزهر، حتى كان بعد تسعة شهور قد تم بناء المسجد ويتلقى الناس فيه عقائد المذهب الفاطمى .

والأزهر أول مسجد أنشئ بالقاهرة المعزية، وعندما أنشأه جوهر الصقلى ترك أمامه رحبة واسعة فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الأزهر، تدخل العساكر كلها وتقف فى هذه الرحبة حتى يدخل الخليفة إلى الجامع .

وبقيت هذه الرحبة إلى وقت الدولة الأيوبية . ثم شرع الناس بالعمارة فيها حتى لم يبق لها أثر . وكان الأزهر كسائر الجوامع الإسلامية فى العصر الذى بنى فيه يشتمل على محل مسقوف للصلاة يسمى مقصورة وآخر غير مسقوف يسمى صحن .

فلما أن تحول الجامع الأزهر إلى جامعة منذ انشائه، اتخذت الدراسة فيه طابع الحلقات الموجود فى ذلك الوقت، إذ لم يكن قد استعيز عنه بنظام آخر .

وبانتقال هذا النظام إلى الأزهر انتقلت معه دراسة العلوم بمختلف أنواعها، فازدهرت فيه وترعرعت أيما ازدهار وصار الأزهر جامعة إسلامية كبرى يؤمه الطلاب والعلماء من كل مكان .

وكان إنشاء الأزهر عام ٣٦١هـ وقيام الحلقات العلمية فيه منذ إنشائه حتى اليوم وطيلة ألف عام أو يزيد معجزة من معجزات الثقافة الإسلامية التليدة الخالدة، لأن الأزهر اليوم هو أم الجامعات الإسلامية، وهو الذى يمدّها بالتوجيه وبالأساتذة، وبالخطط العلمية المدروسة .

وقامت بعد ذلك الجامعة النظامية التى أسسها الوزير نظام الملك ووزير السلطان السلجوقى ألب أرسلان وصديق الشاعر الصوفى الكبير عمر الخيام، وذلك عام ٤٥٧ هـ، ثم الجامعة المستنصرية فى بغداد، كما قامت جامعات إسلامية أخرى فى نيسابور ودمشق وبيت المقدس والإسكندرية والقاهرة وغيرها من عواصم العالم الإسلامى، ولكنها اندثرت ولم يبق منها شىء .

والأزهر على أية حال هو الصورة المشرقة لكل الجامعات الإسلامية، وهو الذى يلخص تاريخ الحضارة الإسلامية كلها طيلة ألف عام، فقد ازدهر بازدهارها وضعف بضعفها، ولأنه لم يكن جامعة إسلامية لمصر وحدها، بل كان جامعة إسلامية للعالم الإسلامى كافة، يؤمه طلاب العلم من كل مكان فى بلاد الإسلام، وهو مفخرة حقا، لأنه روح الحضارة الإسلامية ودرعها الواقى . وبحسبنا أنه عاش موئل العربية وملاذها الأمين .

والفاطميون هم الذين أنشأوا الأزهر فى مصر، إثر فتحهم لها مباشرة، حيث أمر قائد الفتح جوهر الصقلى عام ٣٥٩هـ بالبدء فوراً فى إنشائه، لا ليكون مكاناً للعبادة والصلاة فحسب، ولكن ليكون منبرا دينيا للدولة الفاطمية لنشر مذهبها والدعوة إليه .

وقد شرع فى بناء الأزهر فى الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ - ٩٧٠م وأقيمت الحلقات فيه أول مرة فى اليوم السابع أو التاسع من رمضان عام ٣٦٢هـ - ٩٧٢م، واختير لبنائه مكان فى الجنوب الشرقى من القاهرة بالقرب من القصر الكبير بين حى الديلم وحى الترك .

وسمى الأزهر لأنه كان محاطا بقصور زاهرة، ولأنه كان أكبر الجوامع على الإطلاق فخامة ورواء، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنه سُمى باسم فاطمة الزهراء التى ينتسب إليها الفاطميون، ويقال إنه سُمى كذلك تفاقولا بما سيكون له من الشأن والمكانة بازدهار العلوم فيه .

وما كاد جوهر يضع أساس الأزهر، حتى كان بعد تسعة شهور قد تم بناء المسجد ويتلقى الناس فيه عقائد المذهب الفاطمى .

والأزهر أول مسجد أنشئ بالقاهرة المعزية، وعندما أنشأه جوهر الصقلى ترك أمامه رحبة واسعة فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الأزهر، تدخل العساكر كلها وتقف فى هذه الرحبة حتى يدخل الخليفة إلى الجامع .

وبقيت هذه الرحبة إلى وقت الدولة الأيوبية . ثم شرع الناس بالعمارة فيها حتى لم يبق لها أثر . وكان الأزهر كسائر الجوامع الإسلامية فى العصر الذى بنى فيه يشتمل على محل مسقوف للصلاة يسمى مقصورة وآخر غير مسقوف يسمى صحن .

فلما أن تحول الجامع الأزهر إلى جامعة منذ انشائه، اتخذت الدراسة فيه طابع الحلقات الموجود فى ذلك الوقت، إذ لم يكن قد استعيز عنه بنظام آخر .

وبانتقال هذا النظام إلى الأزهر انتقلت معه دراسة العلوم بمختلف أنواعها، فازدهرت فيه وترعرعت أيما ازدهار وصار الأزهر جامعة إسلامية كبرى يؤمه الطلاب والعلماء من كل مكان .



طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الحياء

قال الشاعر:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
وحياؤك فاحفظه عليك وإنما
يدل على فعل الكريم حياؤه

التقوى زينة الصالحين

خرج بعض الزهاد فى يوم عيد، وليس
عليه جديد، فقيل له: لم تخرج فى مثل هذا
اليوم فى مثل هذه الهيئة؟
والناس متزينون؟
فقال: ماتزين لله - تعالى - بمثل
طاعته ..

لماذا لا تخالط الناس؟

قال سفيان الثوري: دخلت على جعفر
الصادق، فقلت له: يا ابن عم رسول الله ﷺ
مالى أراك سكنت دارك ولا تخالط الناس؟
فقال: نعم يا ابن سعيد، فى العزلة دعة،
وفى الدعة راحة، وما قدر لك يأتبك،
ياسفيان: فسد أهل الزمان، وتغير الأصدقاء
فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد.

بلوغ المنزلّة

قبل لبعض الملوك، وقد بلغ فى القدر مالم
يبلغه أحد من ملوك زمانه: ما الذى بلغ بك
هذه المنزلّة؟، قال: عفوى عند قدرى،
ولبنى عند شدتى، وبذلى الإنصاف ولو من
نفسى، وإبقائى فى الحب والبغض مكانا
لموضع الاستبدال.

نصيحة

وصاية جامعة

يا ابن آدم:

- عَفْ عن المعاصي تكن عابدا.
- وارض بما قسم لك تكن غنيا.
- وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما.
- وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عدلا.

لا تكن ممن يقول في الدنيا يقول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، فإن أُعطي منها لم يشبع، وإن مُنِع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، وينهى الناس ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم، ويبغض الطالحين وهو منهم.

دعاء

لا تقنع بأدنى منزل

اللهم أعد علينا رمضان أياما عديدة وأعواما مديدة.

من يستطيع بلوغ أعلى منزل

اللهم اجعلنا ممن صام الشهر وأدرك ليلة القدر، وفاز بالثواب والأجر.

ما باله يرضى بأدنى منزل؟

اللهم وفقنا لما وفقت إليه عبادك الصالحين واهدنا صراطك المستقيم.

معاوية.. والأحنف

آمين

كلم معاوية الأحنف بن ياسين في شيء بلغه عنه، فأنكره الأحنف، فقال له معاوية: بَلَّغْنِي عنك الثقة، فقال له الأحنف: إن الثقة لا يبلغ مكروها.

مكتبة مكة المكرمة - المولد النبوي

لرؤساذ / عبدالسلام ناصف

اذا سعدت بزيارة البيت الحرام حاجاً أو معتمراً، وأردت الخروج من أحد أبوابه عبر المسعى حيث ساحته الشرقية، صافحت عينك مبنى متواضعاً في نهايتها تحت أعتاب جبل أبي قبيس، وحيداً، شامخاً، يشد بصرك، ويلفت انتباهك، وترتاح نفسك لرؤيته، ويهفو إليه قلبك، ويجذبك إليه حنين جارف لا تعرف له سبباً، تتسابق إليه أقدام الحجاج والمعتمرين، فإذا ما اقتربت منه طالعت على مدخله لافتة تحمل اسم (مكتبة مكة المكرمة) ولو سألت أى قاصد إليها لأجابه بأنها بيت سيد الرسل وخاتم النبيين - صلوات الله وسلامه عليه - ففيها ولد الهادى البشير محمد ﷺ الذى ملأ بمولده الأرض نوراً وهداية لكل شعوب الدنيا وكان الله - سبحانه وتعالى - قد أراد لهذا المكان الطاهر البقاء الأبدى فجعله خزانة رائدة للمعارف الإسلامية - بكل ما تحتويه من نفائس ومخطوطات نادرة عبر القرون الأربعة عشرة..

الجهة الشرقية تحيط به الأنفاق والطرق الممهدة المعبدة التى تصل بينه وبين كل أحياء مكة المكرمة لتربط العاملين بمولد الحبيب المصطفى ﷺ ذلك الحدث الجلل الذى سعدت به الدنيا والتى شرفها به ربها - جل وعلا - والمكتبة قريبة من الأسواق والخوانيت التى تقضى للقارئ والرائد كل ما يطلب وكل ما يحتاج.

الوصف العام

تتكون المكتبة من طابقين بطول أربعة وعشرين متراً، وعرض ثلاثة عشر متراً، وبارتفاع عشرة أمتار، مبنية بالحجر الأحمر،

والمكتبات مقياس لتقدم الأمم وعنوان حضارتها - أما مكتبة مكة المكرمة خاصة فإنها تفخر بأنها من أحدث المؤسسات الحضارية فى العالم الإسلامى إضافة إلى أنها شيدت فوق بقعة شهدت وسعدت بمشاهدة مولد المصطفى الهادى البشير - صلوات ربه وسلامه عليه - أسهم فى إثرائها نخبة فاضلة من أهل الخير العلماء العاملين كرمها ربها ودفعها لفعل الخير - خاصة فى هذا الميدان - ولنعرض لموقعها وشكلها ومبناها.

الموقع

تقع هذه المكتبة المباركة (المولد النبوى) فى وسط البلد الآمن على حدود البيت المعمور من



قسمه بين بنيه فى حياته وكان لعبد الله - والد رسول الله ﷺ - نصيب فيها، فصارت ملكا لسيدنا رسول الله الصادق الأمين - صلوات ربى وسلامه عليه - ففيها ولد وفيها تربى ونشأ النشأة النبوية الرفيعة التى رباه عليها ربه - جل وعلا . -

ولقد تواتر هذا السرد التاريخى للمبنى فى كل المراجع الكبار التى يعتمد عليها ومنها نختار ابن اسحاق فى سيرته سنة ١٥١هـ، وابن هشام فى تهذيب السيرة سنة ٢١٣هـ، وابن سعد فى طبقاته سنة ٢٣٠هـ الأزرقى فى أخبار مكة سنة ٢٤٤هـ، والفاكهى فى أخبار مكة سنة ٢٧٢هـ، والطبرى فى تاريخه سنة ٣٠١هـ، وابن عبد البر فى الاستيعاب سنة ٣٦٨هـ، والسهيلي فى الروض الأنف سنة ٥٨١هـ، وابن الأثير فى الكامل سنة ٦٣٠هـ، والحب الطبرى فى «القرى لقاصد أم القرى» سنة ٦٩٤هـ، وابن سيد الناس فى عيون الأثر سنة ٧٣٤هـ، وابن كثير فى سيرته سنة ٧٧٤هـ، والفاسى فى شفاء الغرام سنة ٨٣٢هـ، وابن فهد فى تحاف الورى سنة ٨٨٥هـ.

فقد أجمعوا - بلا استثناء - على أن مولد الهادى كان بها، ولما أمر - صلوات ربى وسلامه عليه - بالهجرة تركها واستولى عليها ولدعمه عقيل بن أبى طالب وتوارثها أبناءه وأحفاده حتى سعد بشرائها محمد بن يوسف الثقفى شقيق الحجاج - ولما علمت بقصتها والدته الخليفة العباسى هارون الرشيد أمرت بشرائها وجعلتها مسجداً يصلى فيه عام ١٧١هـ ولقى المسجد المبارك كل عناية وكل تقدير من ولى أمر

ومسقوفة بالحرسانة المسلحة، ومطلية باللون الأبيض، وعلى الجزء السفلى من جدرانها رخام رمادى اللون مشابه ومماثل للرخام الملصق على جدران المسجد الحرام. كل نوافذها مغلقة اعتماداً على الإضاءة الكافية وتكييف الهواء بداخلها.

الوصف الداخلى

يتكون كل طابق من صالة كبيرة فسيحة مجهزة بالأرائك والكراسى والمناضد، لتسهيل عملية الاطلاع والقراءة والبحث - مهما طال الوقت أو تعدد التردد عليها - وعلى جوانبها خزانات زجاجية مليئة بالكتب والمراجع والمؤلفات والدوريات والحوليات، ويوجد على يمين الداخل قاعة زودت بمكتبة خاصة مهداة من أحد أهل الخير وعلى يساره قاعة كبيرة مليئة بالخطوط النادرة فى شتى العلوم الإسلامية، وفى نهاية صالة المطالعة من جهة الشرق توجد قاعتان مماثلتان للغرفتين الغربيتين إحداهما خصصت للمكتبات المهداة والأخرى تعج بالكتب والمؤلفات. يفصل بينهما مدخل لسلم الطابق الثانى الذى يماثل ويشابه الطابق الأرضى.

تاريخ المبنى

حظى المبنى باهتمام الأمة الإسلامية، فحسبها فخراً وشرفاً ورفعة أنها دار المولد - كما سماها الأزرقى فى كتاباته إذ يقول عنها: إنها البيت الذى ولد فيه النبى ﷺ، .. كان ملكا خاصا بجده عبد المطلب الذى

مايزيد على خمسة آلاف مؤلف هي كل ما أنتجته مطبعة الترقى الماجدية . ومنها مكتبة « الشيخ قدسي » التي تزيد على ألف وستمئة كتاب ومؤلف، والشيخ المالكي شيخ علماء زمانه في الفقه المالكي بأكثر من ألف ومائتي مؤلف، والشيخ حسب الله في الفقه والناسك والفتاوى بأكثر من خمسمائة مؤلف وكتاب، إلى جانب ما أهدى إليها من وزارة الأوقاف التي تربو على ٣٥٠٠ ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب ومؤلف، ويضيق المقام عن ذكر أعداد الكتب والمؤلفات التي قدمها كل من أصحاب الفضيلة العلماء أمثال الشيخ الشثي، والسادة الأدارسة والشيخ شطا، والأستاذ علاف، والشيخ صدقه، والشيخ رشيد الفارسي، إضافة إلى الكتب والمؤلفات التي تهل عليها طوال فترة استقبالها للجمهور على مدار اليوم وبعض الليل، وإضافة للصحف والمجلات والدوريات والحوليات والبحوث والمخطوطات، ولا يزال المواطنون يواصلون إهداء المزيد والمزيد لهذه المكتبة الرائدة كل يوم ترحماً على موتاهم وتخليداً لذكراهم أمثال المغربي وخوجة والجفري - رحم الله الجميع .

ولقد تم تصوير مخطوطاتها على (ميكروفيلم) للمحافظة على هذا التراث الفريد الخالد، وصنفت الكتب والمؤلفات والمخطوطات حسب نوعياتها وموضوعاتها ومؤلفيها في شتى المجالات لتسهيل استخراج الكتاب المطلوب لتصبح هذه المكتبة المباركة أول مكتبة تعمل بهذا النظام الآلي والإفادة منه منذ عام ١٤١٥هـ.

المسلمين من الأمراء والخلفاء والحكام اهتماماً يليق بقدره حتى رأى تحويله إلى مكتبة عامة تكون محراباً للعلم والعلماء وخزانة لأنفس المخطوطات وأندر الكتب والمؤلفات الإسلامية عام ١٣٧٠هـ، فأضحت أثراً حضارياً ومعلماً تاريخياً شهد أعظم حدث في تاريخ البشرية، وكانت تابعة وقتها لوزارة الإعلام وفي عام ١٣٨٠هـ صدر قرار بتبعية لوزارة الحج والأوقاف، وانتهى بها المطاف لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة عام ١٤١٤هـ.

ويقصد المكتبة المباركة الباحثون والمفكرون في مجالات الفكر الإسلامي لتوافر المصادر النادرة من الكتب والمخطوطات وساعد على علو قدرها وكثرة روادها قربها من الكعبة المشرفة والبيت الحرام وتوفر سبل ووسائل المواصلات وكثرة أماكن انتظار السيارات بالقرب منها .

ثم هي تضم مجموعات خاصة أهديت إليها - تبركاً وتقرباً - من أفاضل المؤلفين والعلماء الأحياء أو ذويهم وهي تنمو وتضطرر وتتطور وتتضاعف باستمرار بجهود هؤلاء المتبرعين وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ حسين عرب الذي أهداها مكتبة كاملة تزيد محتوياتها على ٤٢٠٠ بين كتاب مطبوع ومؤلف ومخطوط، خصص لها قاعة كبيرة على يسار الداخل، والشيخ الكردي الذي كان يمتلك مطبعة خاصة بمكة المكرمة أسسها عام ١٣٢٧هـ لطباعة الكتب والمؤلفات الإسلامية دون سواها والذي وهب كل ما يملك للمكتبة الحبيبة وخصص لها قاعة في الدور الأول تضم



خصائص المجموعات الخاصة بالهداة

١- تحتوى هذه المجموعات على مؤلفات ومخطوطات وكتب نادرة طبعت فى الهند وقازان وتركيا والبلاد الشرقية والبلاد المغربية - يندر تواجدها فى أى مكان آخر - ويرجع تاريخ طباعتها لأكثر من مائة عام كالدردر البهية سنة ١٣١١هـ، وصلح الجماعتين بجواز تعدد الجمعيتين سنة ١٣١٢ هـ، سبل السلام لمن دخل المسجد الحرام سنة ١٣١٢هـ، القصد الثمين فى فضائل البلد الأمين سنة ١٣١٤هـ، شرح المسالك المقسط على المنسك المتوسط سنة ١٣١٩هـ، حاشية المسلك القديم على حل ألفاظ المنهج القويم على مسائل التعليم سنة ١٣٢٦هـ، الوسيلة المرعية لمعرفة الأوقاف الشرعية سنة ١٣٣٨، هداية العوام إلى معنى حديث نبي الإسلام سنة ١٣٣١ هـ، تحفه الأنام فى مآثر البلد الحرام سنة ١٣٢٩هـ، تحفه السالك لمذهب الإمام مالك سنة ١٣٣٢ - الترغيب والترهيب سنة ١٣٣٨ هـ، الأزهار الوردية نظم التحفه السنوية سنة ١٣٥٤هـ، حق المعرفة وحسن الإدراك بما يلزم فى وجوب الفطر والإمساك - قازان، سنة ١٢٩٧، زيد الإسرائ شرح مختصر المنار - قازان سنة ١٣٠٤هـ، جهد المقل مع شرح الموسم بيان جهد المقل - بترسبورج سنة ١٣١٦ هـ، قيام الليل وقيام رمضان وقيام الوتر سنة ١٣٢٠ لاهور، صحائف العامل بالشرع الكامل سنة ١٣٢٣ مصر، مختصر الوقاية سنة ١٣٢٤ هـ قازان .

المخطوطات

تنال المخطوطات عناية فائقة فى كل مكان فى جميع المكتبات الخاصة والعامة، ومن ثم أفردت لها المكتبة الرائدة فى مكة المكرمة بدار المولد الشريف قاعة مستقلة على يمين الداخل تطل على ساحة البيت الحرام مفهسة بنظام الحاسب الآلى الحديث تسهل للباحث والمطلع الوصول إلى ما يريد بسرعة وسهولة ويسر وهى تذخر بالمخطوطات فى شتى فروع الميدان الإسلامى، خاصة ميدان التفسير الذى يزيد عدد مخطوطاته النادرة على أربع وتسعين مخطوطا والحديث (١١٨) والفقه المالكي (٦٢) والسير (١٢٢) والأدب (٤٥) والدواوين الشعرية (٤٣) والعلوم العربية (١٧٤) والفتاوى (٦٧) وأصول الفقه (٢٥) والتوحيد (٨٨) وعلم النفس (٧) ومتنوعة (١١) والمجاميع (٤٧) والحساب والفلك (٢٤) والفرائض (٣٥) والمنطق (٤١) والتصوف (١٦٩) والمناسك (١٧) .

ومن بين هذه المخطوطات النادرة مخطوطات باللغة الفارسية والأندلسية محلاة بزخارف نادرة فريدة وبديعة برسم اليد .

والآمال معقودة على أن تنال هذه المكتبة المباركة كل عناية وكل رعاية لتؤدى دورها العلمى بما يواكب تقدم العصر ويتناسب مع مكانتها الرفيعة فى النفوس والقلوب لتكون واجهة حضارية مشرقة ومعلماً خيراً رمز وذكرى لمولد الهادى البشير .

والله من وراء القصد، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ فى الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فِي ذِي قَعْدِ رَمَضَانَ

المُستأذ / محمد عبد الحميد بشير

ها قد غادرنا شهر عظيم وضيع كريم هو شهر رمضان، شهر القرآن والإيمان شهر المغفرة، والإحسان، شهر أزهت فيه المساجد بكل راع وساجد، واستنهض فيه للخير كل قاعد وراقد. انقضى شهر التعب والتراويح والذكر والتسابيح. شهر لبست فيه السنة ثوب الفريضة، بينما ارتفع أجر الفريضة الواحدة فيه إلى أجر سبعين فريضة. شهر امتاز على سواه من الأشهر بليلة القدر التي يفوق قيامها صلاة ألف شهر، شهر الاستقامة والاعتكاف، من صامه وقامه إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه.

أقول هذا وعيني على السلف الصالح - رضوان الله عليهم - واهتمامهم منصب على قبول العمل أكثر من اهتمامهم بالعمل نفسه. يصور ذلك الإمام على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - بقوله: كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل. ثم يستلهم روح الدين في استفهام ينبه به الغافلين فيقول: ألم تسمعوا الله يقول:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(١). انهم يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه؛ لأنهم

ودع المؤمنون شهر البركات والرحمات بقلوب محزونة وأنفس يملؤها الأسى لفراقه.

وأناس هذا حالهم جدير بهم أن يسألوا أنفسهم ويلحوا في السؤال ويحاسبوا مدققين في الحساب ماذا ربحنا فيه؟ وما مدى استفادتنا منه؟ وكيف تأثرت سلوكياتنا به؟

نعم يراجعون أنفسهم مخافة أن يكونوا قد خسروا فيه وهل تقبل الله أعمالنا فيه أم تراه ردها علينا؟.

(١) المائدة (٢٧).



يخشون رده، يصور ذلك القرآن في قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمَ قُلُوبِهِمْ وَجِلَّةٌ﴾ (٢).

ويوضح أحدهم هذه الحقيقة ويجليها في أنصع بيان حين يتمنى لو قبل الله مثقال حبة من خردل من عمله، الأمر الذى يفوق في تقديره وتقدير كل مؤمن الدنيا وما حوت . فعن فضالة بن عبيد قال : "لأن أكون أعلم أن الله يتقبل منى مثقال حبة من خردل أحب إليّ من الدنيا وما فيها" ، ثم يتلوا آية المائدة سالفة الذكر . وفى لفظ صريح يقول مالك بن دينار : "الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل" . وهذه المسألة تؤرق المؤمن الحق لدرجة يستغربها المسلم العادى، فقد بين ذلك عبد العزيز بن أبى رواد فقال : "أدركتهم يجتهدون فى العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا"؟! .

ورمضان الذى رحل إما شاهد لنا أو علينا فيا ليت شعرى! ماذا أودعناه، وبأى الأعمال ودعناه أتراه ذهب عنا حامدا صنيعنا؟ أو ذاما تضيعنا وتفريطنا؟ فالمطلوب من المسلم أن يظل - كما عهد نفسه فى رمضان - حرا غير مملوك، عزيزا لا ذليلا، قويا لا ضعيفا . ولكن ترى كيف تتحقق تلك المآرب العظمى والمناقب الكبرى؟ دعنى أوضح لك . فحرية المسلم تتحقق بإخلاص العبودية لله وحده وعدم الشرك به سبحانه، لا تستعبد المسلم

نزواته أو شهواته ولا يستدرجه إغواء، سلاحه فى ذلك كبج جماح نفسه الأمارة بالسوء والارتقاء بها إلى مرتبة النفس اللوامة التى تستلذ العبودية لله بل تجد فيها فخرا لا يضارعه فخر أو يساويه وفى تصوير ذلك المعنى الفريد يقول الشاعر :

وما زادنى شرفا وتيها

وكدت بأخمصى أطأ الثريا

دخولى تحت قولك يا عبادى

وأن صيرت أحمد لى نبيا

وأما عزة المؤمن وفى طاعته لربه وامتناله أوامره واجتناب نواهيه متمثلا مكانته عند ربه وأنه معه كلما ذكره يناجيه وقتما شاء ويتضرع إليه ويبتهل كلما أحب ورغب .

لقد اعتاد المؤمن فى ذلك الشهر التشبث بأهداب الفضيلة وتفويض أموره كلها إلى الله يستلهم فى ذلك صورتين رسمهما اثنان من الشعراء . الأولى محبة إلى النفس تصفى القلب من الهموم حينما يتجه المرء بكليته إلى ربه يقول الشاعر :

لا تسألن بنى آدم حاجة

وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله

وترى ابن آدم حين يسئل يغضب





تجارته وازداد رأسماله وكان من الفائزين . ومن ظل على حاله كما كان قبل رمضان أو أسوأ مصرا على المعاصي بعيداً عن الطاعات يرتكب ما حرم الله ويترك ما أوجب فما استفاد من رمضان أنه لم يستفد إلا البوار والخسران والحسرة والندامة والعقاب ، ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر والتعب فيا من تلذذتم بالقرآن والصلاة في رمضان وأدر كنتم أن الإسلام حريص على الجوهر والمحتوى لا يهتم كثيراً بالشكل أو يأبه بالمظهر كيف تجاهلتم ذلك بعد رمضان أما تخافون شكوى الرسول إياكم لربه التي سجلها القرآن في قوله :

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي
اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (٣).

إنه وإن انقضى شهر رمضان فإن عمل المؤمن يقينه كما جاء في الكتاب العزيز فقال تعالى :

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَقًّا يَا أَيُّكَ الْيَقِينُ ﴾ (٤).

ولعمري كيف يتخاذل المسلم عن أن يكون من المتقين وهو أمر مفيد له حتى في صحته وبدنه، قيل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟ فقال: إنهم خلوا بالرحمن فالبسهم نوراً من نوره " فمن منا لا يحب أن يكون صبوح الوجه مشرق الطلعة وضئ الحيا، ولكن الرسول الرؤوف الرحيم بأمته يستديم لها البركة والخير العميم بعد انتهاء شهر رمضان بأن

وأما الصورة الثانية فمقيدة وبغيضة تبين ضيق الإنسان - قليل الإيمان - بأخيه الإنسان كلما اشتدت حاجته إليه . ولو درى ما لتفريج الهموم من جزاء ومكافأة عند الله لاقتصرت وظيفته على تنفيس الكروب وما أجلها من مهمة يقول الشاعر:

لا ترفعن إلى صديق حاجة
فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشيء القليل فإنه
ما صان عرضك لا يقال قليل
من عف خف عن الصديق لقاءه
وأخو الحوائج وجهه مملول
وأخوك من وفرت ما في كفه

ومتى عقلت به فأنت ثقليل
ولربما شملت من تلك الأبيات دعوة إلى التعفف عما في يد الغير وهذا صحيح لكن ما بين السطور شيء يثير الاشمئزاز والتقزز ويشي بضيق الإنسان بحاجة أخيه الإنسان .

وعود على بدء نقول: إن للقبول والربح وهما هدف كل العاملين في هذا الشهر علامات، وكذلك للخسارة إشارات يعرفها كلا الفريقين لشدة وضوحها . فمن واطب على الخير وداوم على الاستقامة والصلاح بعد رمضان وكانت حاله أحسن وتحسنت أخلاقه وعظمت رغبته في الطاعة وابتعد عن المعاصي ونفر منها فقد ربحت





والعلم يرفع قدر مشغل به

ويذيع صيت المرء في الآفاق

ولا أجد تصويرا لرحيل ذلك الشهر المبارك
النفحات، العظیم الفيوضات، الميمون
الغدوات والروحات، من موعظة قالها أبو
الدرء حينما دخل الشام ونصح أهلها في
كلمات مؤثرة نبعت من قلب مفعم بالإيمان
مترع بالزهد، همه الجنة وما قرب إليها فقال:
"يا أهل الشام اسمعوا قول أخ ناصح".
فاجتمعوا إليه فقال مستطردا: «مالى أراكم
تبنون ما لا تسكنون!! وتجمعون ما لا
تأكلون!! وتؤملون ما لا تدركون!! إن الذين
كانوا قبلكم بنوا مشيدا وأملوا بعيدا وجمعوا
عتيدا فأصبح أملهم غرورا وجمعهم ثبورا
ومساكنهم قبورا". فليس رمضان إذن هو
الراحل وحده، وإنما الكل راحل ومفارق،
والكيس الفطن من لم تغره أمانى، وعمل لما
بعد الموت، وأيقن أن الأمانى بضاعة الأحمق
ورأس مال المفلس، وأن خيرنا من طال عمره
وحسن عمله ورأى بثاقب بصيرته أن كل ما
فى الكون من إنسان وحيوان وشهور وأيام
وأزمان ونبات وجماد كل ذلك فانٍ ولا يبقى
إلا الديان.

﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهِمْ أَفَانٌ ﴿٦٧﴾ وَبَقَى

وَجَهْرُكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٥﴾﴾.

شرع لنا أعمالا صالحة تذكركنا بشهر الصيام
وتربطنا به ففى صحيح مسلم عن أبى أيوب -
رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "من
صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام
الدهر" وكان ﷺ يصوم الاثنين والخميس ويقول
"إن الأعمال تعرض يوم الإثنين والخميس فأحب
أن يعرض عملى وأنا صائم" وفى الحديث أيضا:
"صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله"
وكذا صيام يوم عرفة وعاشوراء وأوائل ذى الحجة
وأفضل الأعمال أدومها وإن قل كما هو مشهور.

ومن تمسك بهذه السمائل الطيبة فرح بفطره
وأحس أن رمضان فى قلبه لم يفارقه البتة وشكر
الله على ذلك شكرا حقيقيا فقد نظر وهب بن
منبه إلى قوم يضحكون فى يوم عيد فقال "إن
كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وإن
كانوا لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين" وهى
دعوة إلى الالتزام الذى هو الهدف الأول لكل
من رام خيرا والسعداء حقا هم من حافظوا على
مكارم الأخلاق بعد رمضان لأنهم يعلمون أن
المسلم يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم
والشاعر الذى فهم المغزى الفعلى من صوم
رمضان يقول:

طوبى لأهل المال والعلماء بل

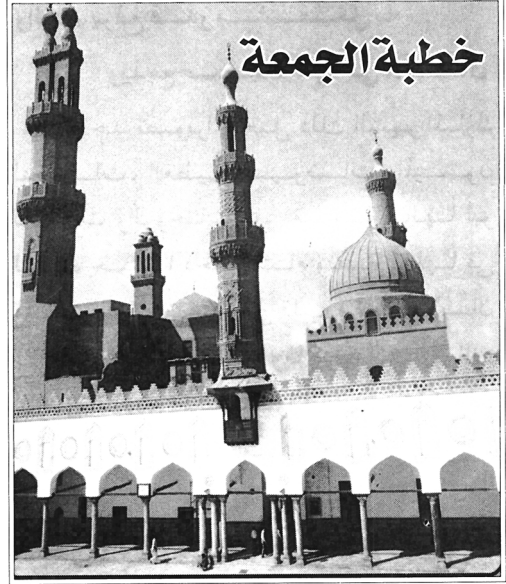
طوبى لأهل مكارم الأخلاق

فالمال يجعل أهله فى منزل

سام وإن كانوا من الفساق



حرب على الإسلام^(١)



لفَضِيلَةِ الْأَسَازِ الدُّكْتُورِ / أَحْمَدَ الشَّرِيبَا صِي

الحمد لله - عز وجل - هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون... أشهد أن لا إله إلا الله، أتم النعمة وأكمل الملة؛

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وترك الناس على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامته عليه، وعلى آله المستجيبين لربهم، وأصحابه المعترزين بيقينهم؛ وأتباعه الثابتين على دينهم وإيمانهم؛

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

(١) أُلْقِيَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ٢٠ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةِ ١٣٧٧ هـ الْمَوَاقِفِ ٩ مِنْ مَّيَّو سَنَةِ ١٩٥٨ م.

(٢) النحل (٣٠).

(٣) المائدة (٣).

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

كم تود النفس المؤمنة أن تجد من حولها متنفساً تستريح فيه - ولو إلى حين- من الشكوى والأنين، وكم يتمنى المسلم الغيور أن لو استقام أمامه الطريق، حتى يهدأ ويطمئن، ويخلص للتحديث بنعم ربه، والتأمل في جمال كونه، والاستمتاع بما شرع الحكيم العليم من أسباب الخير ووسائل النعيم؛ ولكن ماذا يصنع المرء وهو لا يكاد يخلو من شجن حتى يصطدم بشجن، فيظل مرغماً على مواصلة التوجع والبكاء؟

ماذا يصنع المرء والشواهد تتكاثر من حوله دالة على أن هناك حرباً واسعة منظمة ضد الإسلام وتعاليم الإسلام وأخلاق الإسلام، وأن هذه الحرب تسفر عن وجوهها الكالحة وأساليبها الخبيثة الفاضحة في كل مناسبة وكل مقام، ويظهر لها جنود وأنصار وأتباع، ويتسع نطاقها يوماً بعد يوم بما تعان به من ألسنة وأقلام، وصحف ومجلات، وكتب ونشرات، وأعوان وأموال، وبما تتفنن فيه تفنن الشياطين من مكائد ومفاسد، ودعوات ومحاولات، تتوسل بها جميعها لكي يصبح هذا الدين نسياً منسياً، وبعدها يقترب هؤلاء ما يشاءون!...

ليتكم تستمعون واعين إلى جانب من فصول هذه المأساة التي لم تتم بعد... إن هؤلاء قد بدأوا محاولاتهم بالطعن في علماء الدين والتندر عليهم والسخرية منهم، ولم

يكن قصدهم من وراء ذلك أن يشوهوا علماء الدين بذواتهم وأنفسهم، فقط ولكنهم يقصدون تشويه الدين بتشويه حملته ونقلته، حتى يصبح سلطانه في النفوس ضعيفاً ضئيلاً، وقد يكون في رجال الدين ما يؤخذون عليه ولكنهم على كل حال يستطيعون أن يميزوا لنا بين الحلال والحرام، ورُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه... ثم انتقل أعداء الإسلام من الطعن في العلماء إلى الطعن في الفقهاء وأئمة المذاهب الأعلام، فأخذوا يكتبون في صحفهم ومجلاتهم، ويقولون في مجتمعاتهم وأنديتهم ما لا يصح أن يُقال في هؤلاء الأئمة الكرام، والرواد العظام الذين مهدوا لنا الطريق، وبينوا الشريعة، وجعل هؤلاء المتطاولون يصفون الكثير من أقوال الأئمة ومذاهبهم بالجمود والرجعية وضيق الأفق، ولو نصبت موازين الحق والعدل لما صلح أحد هؤلاء المهاجمين أن يكون تلميذاً صغيراً لواحد من أولئك الأئمة الخالدين.. ثم انتقلوا إلى الطعن في حديث الرسول ﷺ، فأخذوا يكتبون في صحفهم ومجلاتهم يشككون في الأحاديث ويطعنون عليها. ويحكمون على أحاديث رواها الإمامان البخاري ومسلم بأنها موضوعة أو باطلة أو لم يقلها الرسول، وهم يحاولون من وراء ذلك أن يبطلوا الاحتجاج بالسنة والاستدلال بالأحاديث، ليكون ذلك فصلاً هاماً من فصول المأساة المبكية وهي محاولة القضاء على الدين... وأغلب الظن أنه إذا

﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَتِلْكَ وَرُبِعٌ﴾ (٦)

وهم يطالبون بإلغاء الطلاق، ومعنى هذا في باطلهم الأثيم أن نلغى قوله تعالى:

﴿إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِغَيْرِ مَنِّ وَأَحْصُوا أَلْعَدَّةَ﴾ (٧)

وهم ينادون بالتسوية المطلقة الشاملة بين الرجال والنساء، مدعين أنه لا فرق بين النوعين في أى شأن، مع أن الله خلقهما نوعين:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ (٨).

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ (٩).

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ (١٠).

وأشار القرآن الكريم إلى الذكر والأنثى في نحو سبعة عشر موضعاً منه... وإذن فالطبيعة البشرية قائمة على ذكر وأنثى، وستبقى مكونة من ذكر وأنثى، وكلما استأنث الرجال، أو استرجل النساء، أو طغى أحد الفريقين على الآخر في حق من حقوقه أو اختصاص من اختصاصه فسدت هذه الطبيعة؛ فمن التبجح أن يُقال: إن الرجل والمرأة سواء في كل شيء، لأن الله - تعالى - لا يخلق نوعين متميزين وهو يريد أن يكونا متساويين في كل شيء، وإلا لكان ذلك عبثاً،

استمرت الحال على ذلك دون ردع لهؤلاء من ولاية الأمور أو استمرار من عين الدولة فإن الخطوة القادمة منهم ستكون هي نقد القرآن والطعن فيه بصراحة (٤)، فيبلغون قمة الإجرام ويقولون مثلاً على آيات من القرآن لا تعجب فجورهم وتحللهم: هذه آيات مكذوبة، أو هذه آيات غير سليمة، أو هذه آيات استنفدت أغراضها، أو هذه آيات شرعت لحياة الصحراء لا لحياة المدنية، أو هذه آيات لأبناء القرن السابع لا لأبناء القرن العشرين! .. وهكذا.. وهكذا تتم المأساة وتقبل الطامة الكبرى!..

أتظنون أنهم لا يفعلون؟... وكيف وقد فعلوا ذلك بطريق غير مباشر أو من وراء ستار!.. أليست دعواتهم التحليلية والإلحادية التي يرددونها الآن دليلاً على إنكارهم لتشريع القرآن وهدى السماء؟.. إنهم مثلاً يشككون الناشئة في وجود الله - عز وجل - أفليس هذا إنكاراً منهم لقوله عز وجل:

﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَنِمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِيَّاكَ اللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ﴾ (٥).

وهم ينادون بمنع تعدد الزوجات إطلاقاً، ومعنى هذا في زعمهم الأثيم أن نلغى قوله تعالى:

(٥) البقرة (١١٥).

(٧) الطلاق (١).

(٩) النجم (٤٥).

(٤) وكان الشيخ رحمه الله يقرأ المستقبل بفراصة المؤمن.

(٦) النساء (٣).

(٨) الحجرات (١٣).

(١٠) آل عمران (٣٦).

صفحات الجرائد والمجلات المتحللة هم الذين لا يؤمنون بالدين ولا يؤمنون بوجود الله، أصبح الذين يفصلون في أمر الحديث النبوي هم الذين لا يعرفون النبي، أصبح الذين يتحدثون عن القرآن والأخلاق والأعراض هم الذين لا يغارون على الأعراض ولا يؤمنون بالقرآن ولا بالأخلاق والبقية تأتي، فإن الرواية لم تتم فصولها...

يا أتباع محمد ﷺ... إن أعداء الله وأعداء دينه ورسوله يبذلون الجهود الجبارة للقضاء على الإسلام وإخراج المؤمنين من دينهم إلى ساحات الإلحاد ومواخير الفجور. فابذلوا جهودكم المستطاعة في الإعراض عنهم والإقبال على ربكم، ذاكرين دائماً أن ربكم يدعوكم إلى دار السلام، ويهديكم إلى أكرم مقام، وأن شياطين الفجور والإلحاد يدعونكم إلى الضلال والفساد:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (١٧)
فاستمسكوا بدينكم ولو وجدتم في ذلك لذع الجمر أو لفح الهجير، فلأن تكونوا مؤمنين معترزين بعزة الله مع التعب والنصب والمجاهدة، خير لكم ألف مرة من أن تكونوا ذيولاً أو خيولاً يركبها هؤلاء الفاسقون ليصلوا بها إلى ما يشاءون من إلحاد وإفساد، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون.

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً... وهم يطالبون بأن يكون نصيب النساء في الميراث كنصيب الرجال (١١) فماذا نصنع في قوله تعالى:

﴿لِّلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (١٢)...

وهم يطالبون بإلغاء رعاية الرجل للمرأة، فماذا نصنع في قوله تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (١٣).

وقوله:

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (١٤)...

وهم يعملون لإشاعة التبرج وإظهار مفاتن النساء، فهل نلغي قوله تعالى:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ

يَغْضَضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (١٥).

وهم يطالبون بإبقاء الخمر مباحة حلالاً، فهل نلغي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٦).

أرأيتم ماذا يريدون وماذا يحاولون؟... إنهم يريدون ألا يبقى من الدين شيء. ولذلك أصبح الذين يتحدثون في دين الله على

(١٣) النساء (٣٤).

(١٢) النساء (١١).

(١١) وقد قالوا ذلك فعلاً «إن يقولون إلا كذبا».

(١٦) المائدة (٩٠).

(١٥) النور (٣١).

(١٤) البقرة (٢٢٨).

(١٧) البقرة (٢٥٧).

﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسئفنا وارت القراء

نجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ / معوض مبروك عباس

● سؤال عن حكم الشرع فى الزواج العرفى ؟

●● الجواب :

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد .

فى الحقيقة لا تمر ساعة إلا ويسأل بعض الشباب فى لجنة الفتوى عن حكم الشرع فى الزواج العرفى، وهل هو حلال أو حرام؟

●● الجواب :

وقبل أن نجيب عن هذا السؤال لابد أن نشير إلى رأى الفقهاء فى تعريف الزواج وأركانه وشروطه وآثاره . أولاً: الزواج (النكاح) لغة: الضم والجمع . وشرعاً عقد يبيح حل الاستمتاع للرجل بالمرأة . وأركانه: إيجاب وقبول أى موافقة ولى الزوجة ومن يريد الزواج بها على هذا الزواج وشاهدين، ومهر . وشروطه: أن يكون العقد على امرأة خالية

من الموانع؛ وأن لا تكون المرأة من المحرم على الزوج نكاحها؛ وأن يكون النكاح معلناً وأن لا يكون سراً فإن ذلك يكون زناً .

واتفق الفقهاء جميعاً على أنه لا نكاح إلا بولى فى المرأة الصغيرة والكبيرة لما روى عن أبى موسى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا نكاح إلا بولى »^(١)

وعن عائشة -رضى الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل »^(٢) وقد أخذ الأئمة الثلاثة بهذا الحديث فاشتروا لصحة النكاح الولى ما عدا أبو حنيفة الذى لم يشترط الولى . إن كانت المرأة بالغة أو ثيباً فزوجت نفسها فزواجها صحيح مع استيفاء بقية الشروط . أما الزواج الذى اشتهر فى هذه الأيام باسم الزواج العرفى

(٢) أخرجه الطبرانى .

(١) أخرجه أحمد .



ألا يصدروا كلامهم بكلمة حلال ثم يضعون الشروط بعد ذلك .

ولا تقل لى إن هذا الزواج صحيح لأنه أخذ الشكل الرسمى للعقد، أو أنه يصح على بعض المذاهب، فليس هناك مذهب يجيزه على هذا الصورة المهينة التى تستبيح الأعراض، وتساعد على انتشار الرذيلة فى المجتمع، فهذا لم يسلم به أحد مطلقاً من علماء الإسلام قديماً أو حديثاً .
هذا وقد يكون الشئ مباحاً ثم يطرأ عليه ما يجعله غير مباح لما يترتب عليه من ضياع الحقوق والآثار المترتبة عليه والإسلام يقول: « لا ضرر ولا ضرار » .
هذا والله أعلم،

● سؤال من السيد / ربيع إبراهيم محمد
يقول فيه :

شخص يريد الزواج من فتاة، وقد رضع أخوه الأكبر على أختها الكبرى رضاعة كاملة فهل يصح لهذا الأخ أن يتزوج هذه البنت بعد أن رضع أخوه الأكبر من أمها ؟

●● الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد، فقد قال الله - تعالى - فى المحرمات من النساء :

﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ (٣) .

قال رسول الله ﷺ : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

من هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية

فهو مغالطة وتسمية الأشياء بغير اسمها الصحيح فاسمه فى الحقيقة « الزواج السرى » وهو اجتماع الرجل مع المرأة فقط سراً مع كتابة ورقة بينهما يعترف فيها الرجل بأنه تزوج المرأة حتى ولو كان هناك شهود على هذه الورقة فهذه مغالطة لتبرير فعلتهم، هذا بالإضافة الى أن مثل هذا الزواج لا تترتب عليه آثاره .
كما أئنى ألفت النظر إلى عدم الاستجابة إلى تقنين هذا الزواج ما دام قد تم فى السر؛ لأن معنى هذا أننا نقنن لإباحة الزنا وفى هذا ما فيه من خطر على المجتمع وكثرة الأبناء غير الشرعيين (أبناء الزنا) وأيضاً بتقنين هذا الزواج كأننا نقول للبنت افعلى ما شئت، واخرجى على طاعة الآباء والأولياء فتقطع بذلك الروابط الأسرية وتفكك الأسر .

ولا تظن البنت أن فى هذا التصرف قيداً على حريتها وتصرفاتها أو قيداً على فكرها ومحو شخصيتها، فالإسلام لم ينكر حقها فى الاعتراض على الزواج، بل أمر الأولياء بأخذ رأيهن فيمن يتزوجنه ومنع الأولياء بتزويج البنت إلا برضاها فإن كانت بكرةً فرضاها سكوتها، وإن كانت ثيباً فتعرب عما فى نفسها بالقول .

وختاماً أقول للقائمين على أمر الإعلام فى مصر والعالم الإسلامى وضحو للناس مخاطر هذا النوع من الزواج، وبينوا للناس كيف يكون سببا فى ضياع حق المرأة وهيبتها وكرامتها هى وأسرته، وأن يشرح العلماء والخطباء على المنابر وفى المحافل الإسلامية، ويلفتوا النظر إلى ضرورة التمسك بتعاليم الإسلام وترسيخ مبادئه فى نفوس الناس . كما أئنى أهيب بإخواننا العلماء





فمن المعلوم أن الوضوء شرط من شروط صحة الصلاة، ومن شروط صحة الوضوء عموم البشرة بالماء الطهور، حتى قال الفقهاء: إنه لو بقي مقدار مغرز إبرة لم يصبه الماء من المفروض غسله لم يصح الوضوء، ومن شروط صحته كذلك إزالة ما يمنع من وصول الماء إلى الجسد، حتى يمكن أن يعم الماء جميع البشرة التي يفترض غسلها، وقد مثل العلماء والفقهاء لذلك المانع بالشمع والشحم لأنهما يستران البشرة، ويحولان دون وصول الماء إليها، ومن ذلك - أيضا - العجين فإنه يمنع وصول الماء إلى البشرة، وشبهه ذلك ما تضعه السيدات على أظافرهن (كالمانوكير) مادام له جرم.

أما الزيوت فإنها سوائل لا تستر البشرة، ولا تحول دون وصول الماء إليها، ولذلك فإن وجودها لا يؤثر في صحة الوضوء، ومثلها مثل الحناء لا تمنع وصول الماء إلى البشرة، والقاعدة في ذلك، أن كل ما له جرم فإنه يمنع وصول الماء إلى البشرة فلا يصح معه الوضوء أو الاغتسال ولا بد من إزالته وماليس له جرم فوجوده لا يضر، لأنه لا يمنع وصول الماء إلى البشرة والأصل في ذلك قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (٤).

فلا بد أن يصل الماء إلى جميع أعضاء فرائض الوضوء.

هذا وعلى السائل أن يعيد ما أداه من صلوات سابقة، ولا يعفيه من أدائها وقضائها جهله بالحكم الشرعي. والله أعلم.

والتي تنص على أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب مادام الرضاع قد وقع في مدته الشرعية وهي سنتان قمريتان من تاريخ الولادة في هذه الفترة التي يكون فيها الرضاع منبثا للحم ومنشرا للعظم،... وقد اختلفت آراء الفقهاء في عدد المرات التي تحرم، فقال علماء الأحناف والمالكية: قليل الرضاع وكثيره سواء في التحريم ولو مصصة واحدة، وعند الشافعية والظاهر من مذهب الإمام أحمد أنه لا يحرم إلا ما كان خمس رضعات متفرقات مشبعات فأكثر...

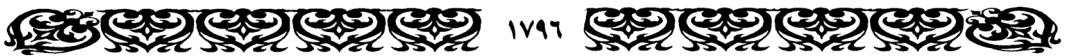
أما الواقعة موضع السؤال، فنفيد بأنه يجوز للأخ الأصغر الزواج من الأخت الصغرى حيث إنه لم يرضع من أمها ولم ترضع من أمه ولم يلتقيا على ثدى آخر، وإنما التحريم ينصب على الأخ الأكبر على الأخت الكبرى وعلى جميع بنات الأم اللاتي رضعن منها سواء قبل رضاعته أو بعدها لأن جميع أولاد هذه السيدة صاروا إخوة له. هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال والله أعلم،

● سؤال من أحد المواطنين يقول فيه:

ما هو الحكم الشرعي في إزالة الشحوم والزيوت عن أعضاء الوضوء حيث إنه يعمل في محطة بنزين مع أنه يحافظ على الصلاة، ولكنه كان يتوضأ من غير إزالة الشحوم والزيوت حتى علم أخيرا من أحد العلماء أنه لا بد من إزالة كل ما يمنع وصول الماء إلى البشرة في جميع أعضاء الوضوء، ويسأل كذلك عن حكم ما أداه قبل ذلك من غير إزالة الشحوم والزيوت؟

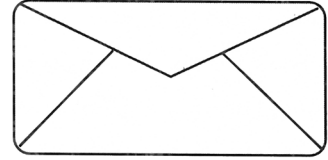
●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،





رسالة .. و .. رد



لفضيلة الشيخ /عبد الفتاح سيد جمعان

رسالة هذا العدد من القارىء محمد عبد الحافظ سالم من حى المنتزة بالإسكندرية يقول فيها:
قال تعالى فى سورة الإسراء:

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمۥ وَلَٰئِنْ عُدْتُمْ عَدُوًّا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝﴾^(١)
هل المقصود بها اليهود أم المسلمون لقد ذكر المفسرون أن المقصود بها اليهود وأنا غير مقتنع بما قالوا لأن الآية التى تليها مباشرة بها حديث عن القرآن وأهله كقوله سبحانه:
﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝﴾^(٢).

على المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، وأذكر هنا ما قاله بعض السلف - رضى الله عنهم - : «أى سماء تظلمنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى القرآن برأىى». ثم إن المفسرين القدامى الذين لم يعجبك تفسيرهم وضعوا نصب أعينهم أولا النصوص القرآنية ولذا قالوا: القرآن يفسر بعضه بعضا، وقالوا: لا تفسير أبين من تفسير الله - عز وجل - ثم أقوال الرسول الكريم ﷺ الذى أمر أن يبين للناس ما أنزل إليهم، ثم أقوال الصحابة الأبرار كل ذلك إلى جانب العلم التام باللغة العربية نحوا وبلاغة ولغة

لذلك أرجح أن المقصود بالآية السابقة عليها المسلمون لا اليهود خلافا لما ذهب إليه المفسرون القدامى الذين كتبوا تفسيراتهم يوم أن كان المسلمون مسلمين على حق سائرين على الصراط المستقيم، والحال قد تبدل الآن ففينا من عبد الشيطان وفينا من فعل فعل قوم لوط. فما رأيكم فيما ذهبت إليه؟ أرجو الإفادة وشكرا.

بداية أقول للأخ السائل: شكر الله لك غيرتك على الإسلام إن تفسير القرآن الكريم لا يكون بالرأى والهوى، مهما كان الرأى نابعا من حرص

(٢) الإسراء (٩).

(١) الإسراء (٨).

فرجعوا إلى ربهم وأصلحوا أحوالهم وأفادوا من البلاء المسلط عليهم وحتى إذا استعلى الفاتحون وغرتهم قوتهم فطغوا هم الآخرون وأفسدوا في الأرض أдал الله للمغلوبين من الغالبين ومكن للمستضعفين من المستكبرين وذلك قوله تعالى :

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَنَفِيرًا﴾ (٤).

وفى ثنايا القصة يقرر الحق - سبحانه - قاعدة العمل والجزاء :

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (٥)

القاعدة التي لا تتغير في الدنيا والآخرة والتي تجعل عمل الإنسان كله له بكل ثماره ونتائجه وتجعله مسئولاً عن نفسه إن شاء أحسن إليها وإن شاء أساء فلا يلومن إلا نفسه حين يحق عليه الجزاء .

وبعد أن يقرر السياق هذه القاعدة يمضى ليكمل القصة والنبوءة الصادقة

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (٦)

وذلك بما يرتكبونه فيهم من نكال يملأ النفوس بالإساءة حتى يفيض على الوجوه .

ولقد صدقت النبوءة ووقع الوعيد فسلط الله على بنى إسرائيل من قهرهم أول مرة ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض ودمر مملكتهم تدميراً - أى في المرة الثانية - ويعقب السياق على

لأن القرآن نزل بلسان عربى مبين مع الفقه التام بمقاصد الإسلام وأهدافه وروحه .

ثم إن الآية لا تفسر بعد استيعاب كل ما سبق مقطوعة عن سابقاتها أو لاحقتها فكثيراً ما يوضح السياق المعنى وبخصوص الآية موضوع السؤال :

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمۥٓ وَإِنْ عُثِمَٰمُ عُدُنَاۥٓ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾

يقول صاحب الظلال - رحمة الله عليه - مراعيًا سياق الآيات كلها : (ولقد قضى الله لبنى إسرائيل فى الكتاب الذى آتاه الله لموسى أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين وأنهم سيعلمون فى الأرض المقدسة وسيخذون ذلك وسيلة للإفساد فى الأرض فيسلط الله عليهم من يقهرهم ويستبيح حرماهم ويدمرهم تدميراً وذلك قوله تعالى :

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (٣).

فهذه هى الأولى يعلمون فى الأرض المقدسة فيفسدون فيها فيبعث الله عليهم عباداً من عباده أولى بأس شديد يستبيحون الديار ويروحون فيها ويغدون باستهتار ويطأون ما فيها ومن فيها بلا تهيب

﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ لا يكذب ولا يتخلف .

حتى إذا ذاق بنو إسرائيل ويلات الغلب والقهر

(٤) الإسراء (٤).

(٦) الإسراء (٧).

(٣) الإسراء (٥).

(٥) الإسراء (٧).

النبوءة الصادقة والوعد المفعول بأن هذا الدمار قد يكون طريقا للرحمة إن أفادوا منه العبرة :

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمۥ﴾^(٧) فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض فالجزء حاضر والسنة ماضية ﴿وَلَٰنَ عُدْتُمْ عَدُنَا﴾ ولقد عادوا إلى الإفساد فأسلم الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها ثم عادوا إلى الإفساد فأسلم الله عليهم عبادا آخرين حتى كان العصر الحديث فأسلم عليهم هتلر .

ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة إسرائيل التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات ومازالوا يفعلون ذلك على مرأى ومسمع من العالم أجمع في تبجح منقطع النظير ووحشية لم يسبق لها مثيل وليسلم الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقا لوعد الله القاطع وفاقا لسنته التي لا تتخلف وإن غدا لناظره قريب^(٨) .

هذا يا أخى كلام أحد مفسرى العصر الحديث المجددين وهو يجزم كالمفسرين السابقين بأن المقصود بالآية موضوع السؤال :

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمۥ وَلَٰنَ عُدْتُمْ عَدُنَا
وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾

هم اليهود لا المسلمون وزيادة في الفائدة والتأكيد يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن وهو تفسير أحدث من الظلال يقول عن الآية

نفسها : « هو خطاب لبنى إسرائيل وإفادات لهم إلى بأس الله الذى لا يرد عن القوم الظالمين وأنهم بعد أن ينفذ فيهم قضاء الله ويقعوا تحت وعد الآخرة لن يرفع عنهم التكليف المفروض على كل إنسان فهم - شأنهم شأن الناس - معرضون لرحمة الله إن نزعوا عما هم عليه من شر وفساد ورجعوا إلى الله واستقاموا على طريق الحق والخير فإن عادوا بعد أن يضربوا الضربة الثانية عاد الله عليهم بالبلاء والنقم وسلط عليهم من عباده من يأخذهم بالبأساء والضراء ثم حشروا محشر الكافرين فكانت لهم النار حصيرا أى : سجننا مطبقا عليهم يحصرون فيه ولا يجدون لهم طريقا للخلاص منه .

أما قولك يا أخى إن قوله تعالى :

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

تخاطب أهل القرآن واستنتجت منها أن الآية السابقة عليها من المسلمين أيضا فيقول عنها : « مناسبة هذه الآية لما قبلها هي أن بنى إسرائيل قد تنكبوا طريق الحق وركبوا طريق الباطل والضلال فضربهم الله - سبحانه وتعالى - هاتين الضربتين المدمرتين وكانت إحدى هاتين الضربتين على يد المسلمين أصحاب المسجد الذى استولى عليه بنو إسرائيل فكان قوله تعالى :

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ .

دعوة لبنى إسرائيل إن هم أرادوا أن يرفع عنهم بلاء الله وتستقيم طريقهم فى الحياة أن يؤمنوا بهذا

(٧) الإسراء (٨) .

(٨) فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ج ٥ ص ٢٠٦ وما بعدها ط دار إحياء التراث العربى ببيروت بتصرف .



فى الدنيا مرة أخرى، قال القفال : وإنما حملنا هذه الآية على عذاب الدنيا لقوله تعالى خبرا عن بنى إسرائيل فى سورة الأعراف :

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُكْبُكَ لِيُعَذَّبَنَّهُ عَلَى يَوْمِهِ
الَّذِي كَانُوا بِهِ مُوَاعِدِينَ﴾

وقال العلامة الآلوسى فى روح المعانى :

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد البعث إن تبتم وانزجرتم عن المعاصى « وإن عدمتم للإفساد بعد الذى تقدم منكم ﴾ عَذَابًا للعقوبة فعاقبناكم فى الدنيا بمثل ما عاقبناكم به فى المرتين الأوليين، وقد عادوا بتكذيب النبى ﷺ وأرادوا قتله فعاد الله عليهم فسلطه عليهم فقتل قريظة، وأجلى بنى النضير، وضرب الجزية على الباقين، وقيل عادوا فعاد الله عليهم بأن سلط عليهم الأكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الإتاوة ونحو ذلك (١٢).

وقد ذهب كل المفسرين إلى هذا القول .
على أن معنى الآية العام لا يمنع ما ذهبت إليه على أنه قاعدة إلهية عامة فى الثواب والعقاب، فمن أحسن نالته رحمة الله، ومن عاد إلى المعصية من كل ملة عاد الله عليه بالعقوبة لكن الآية قصد بها بنو إسرائيل وخصوص السبب لا يمنع من عموم المعنى، والله أعلم .

القرآن الذى يهدى للطريق المستقيم وألا يبحثوا عن دواء غيره يطبون به لدائهم إن أرادوا أن يخرجوا من البلاء الذى ضربه الله عليهم، وفى قوله تعالى :

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٩).

إشارة إلى بنى إسرائيل وأنهم المرادون بهذا الخطاب فهم لا يؤمنون بالآخرة كما يؤمن بها المؤمنون وإنما يرون أن الجزاء معجل لهم فى هذه الدنيا وأن الجنة والنار هما فى هذه الدنيا حيث السعداء والأشقياء هم الأغنياء والفقراء، هذه هى عقيدة بنى إسرائيل فالمراد بهذه الآية هم اليهود والمطلوب منهم أن يؤمنوا بالآخرة فهم إن ذكروا الآخرة لا يذكرونها إلا بالسنتهم ولكن قلوبهم منعقدة على إنكارها (١٠).

وقد ذهب إلى التفسير نفسه الشيخ أحمد مصطفى المراغى فى تفسيره .

ويقول الرازى فى تفسيره مفاتيح الغيب : ثم قال تعالى :

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ والمعنى لعل ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يابنى إسرائيل ثم قال تعالى :

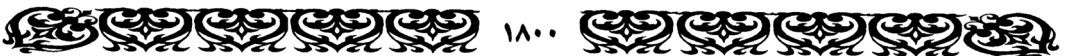
﴿وَلِإِنْ عُدْتُمْ عَدَاؤُنَا﴾ يعنى إن بعثنا عليكم من بعثنا ففعلوا بكم ما فعلوا عقوبة لكم وعظة لتنتفعوا به وتنزجروا عن ارتكاب المعاصى، ثم رحمكم فإزال هذا العذاب عنكم، فإن عدم مرة أخرى إلى المعصية عدنا إلى صب البلاء عليكم

(٩) الإسراء « ١٠ » .

(١٠) التفسير القرآنى للقرآن للشيخ عبد الكريم الخطيب ط دار الفكر المجلد الرابع ص ٤٥٧ وما بعدها .

(١٢) روح المعانى ٢١/١٥ دار إحياء التراث العربى .

(١١) مفاتيح الغيب للرازى ج ٢٤/١٠ ط دار الغد العربى .



رمضان والتحديات المعاصرة

لأستاذ / إسماعيل أحمد أبو الهيثم

رصدنا في العدد السابق بعض التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية وطالبنا بأن يستغل شهر رمضان المعظم في شحذ الهمم لمواجهة هذه التحديات، بشيء من الترتيب والتنظيم العلمي والعقلي. حتى يمكن التغلب على هذه التحديات.

وفي هذا العدد يرصد لنا الدكتور محمد سيد أحمد المسير الأستاذ بجامعة الأزهر ثلاثاً من هذه التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وهي: الإدمان، والإرهاب، وعدم وحدة الموقف الإسلامي تجاه أغلب قضاياها. وفي السطور القادمة نرصد الداء ونصف الدواء من وجهة نظر الدكتور محمد سيد أحمد المسير.

الإدمان

الدكتور محمد المسير يرى أن الإدمان من التحديات الخطيرة التي تواجه الأمة بشكل خطير ما لم تواجه هذه الظاهرة بشيء من التنظيم الدقيق. ويعترف بأن طريقة علاج هذا الوباء طريقة خاطئة وتسير بعيداً عن المنهج الإسلامي.

وأرجع الدكتور المسير الخطأ إلى اعتقاد أن التربية الدينية قاصرة على المسجد فقط، ولكن الحقيقة أن الأسرة والمدرسة والنادى شركاء في التربية. ولكن الأسرة غائبة وفقدناها كموجهة وعامل تربية، والمناهج لا تغنى ولا تسمن من جوع.

ثمة نقطة هامة يجب أن تأخذ وضعها الصحيح وهي العقوبة الشرعية، فلا نستطيع أن نعالج الإدمان بدون عقوبة شرعية. والعقوبة الشرعية هنا هي الجلد، ثمانون جلدة في ميدان عام. فلو نفذنا هذه العقوبة على بضعة أفراد لامتنع الباقون عن ارتكاب هذه الجريمة.. لأن الله يزع بالسلطان ما لم يزع بالقرآن.. ولو طبقنا هذا الحد.. ستجد من لا يخاف الله.. يخشى العقوبة.

التفرقة بين المخدرات والمسكرات

ثم إن التفرقة بين المخدرات والمسكرات تفرقة مصطنعة لا قيمة لها.. فإما أن نسمح بهما أو نمنعهما. والإسلام يمنع كل مسكر ومخدر..



وبالتالى « فإن محاربة الخمر مقدمة على محاربة المخدرات ».

ومالم تتواكب المسيرة فى محاربة كل مغيبات العقل، نكون قد خدعنا أنفسنا!! فإن كنا جادين فى محاربة الإدمان. يجب علينا فورا إغلاق محلات الخمر وعدم استيرادها، وكل مصانع التدخين التى هى الأساس فى صناعة كل مدمن ولا نكتفى بكتابة التدخين ضار جدا بالصحة!! فهذا خداع! لابد من تعميم التجريم لكل من التدخين والخمر والمخدرات.

ثم لابد من إقامة حد الحراة على كل تجار المخدرات دون تفرقة وفقا للمنهج الإسلامى :

﴿ إِنَّمَا

جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

الإرهاب

يرى الدكتور محمد المسير أن الإرهاب من الدعاوى التى ألصقت زورا وبهتانا بالإسلام وتعجب الدكتور المسير من أن الذين ألصقوه بالإسلام، هم الذين صنعوه فالإرهاب صناعة أوروبية وصناعة أمريكية على مستوى الفرد وعلى مستوى الدولة. ودلل الدكتور المسير على ذلك بقوله: إن قيام إسرائيل فى دولة فلسطين هو الإرهاب بعينه، واستمرار وجود إسرائيل هو استمرار للإرهاب!

ثم إن عمليات المذابح التى حدثت مؤخرا فى خان يونس ورام الله وصبرا وشاتيلا وفى كل المواقع المساوية وقعت على أيدى زعماء إسرائيليين.

وحتى ما يسمى بالجماعات المتطرفة هم صانعوها، وهم الذين أمدها لاختراق صفوف الأمة الإسلامية ولتمزيق وحدتها. وأن قادتها كانوا إلى وقت قريب يعيشون فى أوروبا وأمريكا. ولما انتهى دورهم المحدد لهم من قبل أجهزة المخابرات والموساد، تخلصوا منهم.

ثم إن أوروبا وأمريكا مليئة بهذه الجماعات. فلما فى إيطاليا، والنازيون الجدد فى ألمانيا، والجيش الجمهورى فى أيرلندا، وعصابات المخدرات فى كولومبيا، وما يسمونه باليمين المتطرف فى أمريكا. وكلهم متأصل فيهم العنصرية والعصبية البغيضة، وعلى الرغم من ذلك يغضون الطرف عنهم ويلصقون الإرهاب بالإسلام.

وأكد الدكتور محمد المسير: بأن الإسلام لا يعرف الإرهاب، لأن الإرهاب إنما يقوم به أعداء وليسوا أصحاب حق، ولأن الإرهاب يقوم على الظلم، والإسلام دعوة حق، والإرهاب يقوم به أناس لا يحترمون الإنسانية، وليس عندهم شعور بالولاء نحو البشر، والمسلم هو الإنسان الوحيد الذى يعترف بالأصل الواحد الذى يجمعنا جميعا، ولا يعرف العصبية أو الجاهلية، ويؤمن بقول الله تعالى:



ولنجعلهم دائما وأبدا فى حيرة، هذا أقل ما يجب أن يقدم.. فرد العدوان له أساليب شتى تبدأ بالكلمة وتمر بمراحل كثيرة حتى تصل إلى المواجهة الميدانية.. والله - تعالى - يقول:

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

وكلمة خفافا وثقالا تشمل كل ألوان التعبئة صغيرها وكبيرها، بدءا من الكلمة ومرورا، بالمقاطعة للمنتجات حتى تصل إلى المواجهة الميدانية.. فطالما هناك فرصة متاحة لأن نقص من عدونا بأى وسيلة مشروعة فلا حرج فى ذلك. وأيضا لابد أن تكون المواجهة بالمثل امتثالا لقول الحق:

﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ (٤).

فما دامت إسرائيل لا تفرق بين الطفل والشاب، والمرأة والعجوز. فلا بد من المعاملة بالمثل امتثالا لقوله تعالى:

﴿ فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ ﴾ (٥).

الغرب إما حاقد على الإسلام وإما جاهل به: وعن مسئولية الإعلام العربى والإسلامى فى عدم وضوح سماحة الإسلام للمجتمع الغربى

﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٦).

العمليات الفدائية عمليات استشهادية ودليل حياة الأمة الإسلامية

هناك فرق كبير بين الدفاع عن الحق، والاعتداء على المظلومين!! كيف يقال عن الفلسطينى الذى يدافع عن أرضه وعرضه ومقدساته إنه إرهابى؟! هذا رأى شائن وفكر لئيم، لا يمكن قبوله.. فمن حق الشعوب أن تدافع عن نفسها.. ومن هنا فكل العمليات الاستشهادية التى يقوم بها الفلسطينيون، عمليات جهادية! ولا تدخل فى إطار الإرهاب.. وعلينا أن نشجعها وأن نقدم العون المادى والمعنوى لها.. وأن الانتفاضة الفلسطينية دليل حياة الأمة الإسلامية، التى أصيبت بصمت الموتى! ولا يكاد يحس بها أحد، وقضايا الأمة الإسلامية، غيبت عن الاهتمام الدولى العالمى. ولولا هذه الانتفاضة، ما سمع أحد عن القضية الفلسطينية ولا بد من تدعيم هؤلاء الأبطال ومساندتهم، والوقوف بجوارهم، وإمدادهم بكافة الوسائل حتى يطهروا أرض الإسراء والمعراج من أحفاد القردة والخنازير.

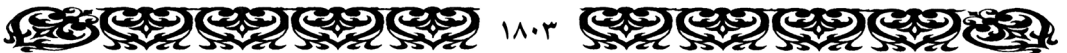
فلندع مثل هذه الأعمال الاستشهادية تأرق مضاجعهم، ولتسلب النوم من عيونهم،

(٣) التوبة (٤١).

(٥) البقرة (١٩٤).

(٦) الحجرات (١٣).

(٤) التوبة (٣٦).



أوروبا تجتمع فى وحدتها على أوهن من بيت العنكبوت

وعن الوحدة الأوروبية قال الدكتور المسير:
إن أوروبا الآن تجتمع فى وحدتها على أوهن
من بيت العنكبوت.. فليس بين الأوروبيين ما
يجمعهم! وليس لديهم سبب واحد يدفع إلى
الوحدة فليس بينهم دين مشترك، ولا لغة
مشتركة، ولا تاريخ مشترك.. فدينهم متعدد
المذاهب، والمذاهب هناك متأصلة فى الخلاف،
ومتعمقة فى التفرقة، فلا يلتقى مذهب مع
مذهب.

ونعى الدكتور المسير حالة الأمة الإسلامية
الاقتصادية.. التى تصلى على سجادة
مصنوعة فى الصين الشيوعية، وتسبح الله
بمسبحة كورية.. وتتفاخر باقتناء الأجهزة
اليابانية وطرح سؤالاً موجهاً لأرباب الصناعة
الإسلامية: هل عجزنا أن نصنع سجادة نصلى
عليها؟ هل فقدنا الأمل فى تجويد منتجاتنا؟
ولماذا لا يقتصر المعروض فى موسم الحج على
المعروضات الإسلامية بعد تجويدها؟

واختتم الدكتور المسير حديثه قائلاً: يجب
علينا جميعاً كل من مكانه أن نعيد حساباتنا
وترتيب الأوراق من جديد، وأن نستثمر
السمو الروحى الذى نكون عليه فى رمضان
لإعادة صياغة الوضع الإسلامى.

قال الدكتور محمد المسير: إن الغرب، إما
حاقد على الإسلام، وإما جاهل بالإسلام نتيجة
الموروثات الصليبية القديمة، ونتيجة للدعاية
اليهودية المضللة ونتيجة لعدم تقديم الصورة
الصحيحة للإسلام لهم.

فالحقد لا تستطيع أن تستأصله من قلوبهم قال
تعالى:

﴿قَدَبَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَهِهِمْ
وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (٦).

أما الجهل فنستطيع أن نستأصله من خلال
الإعلام ومن خلال تواجد المسلمين فى المجتمعات
الأوروبية بأخلاق الإسلام.

وأكد الدكتور المسير: أن العالم الغربى
عندما يتعرف على الإسلام يُقَدِّم عليه
ويعتنقه.. ونلاحظ أن الذين يعتنقون الإسلام
فى أوروبا هم الصفوة من السياسيين
والفلاسفة والعلماء والباحثين بعكس عمليات
التنصير التى تقوم بها الجمعيات التنصيرية فى
أفريقيا وآسيا، التى تعتمد على الخداع وتعتمد
على لقمة الخبز، أو تقديم الدواء، فهى تحاول
أن تخدع الناس فى عقائدهم بما تقدمه لهم
من خدمات اجتماعية.

أما الإسلام فينتشر فى أوروبا رغم ضعف
المسلمين. وليس لدى المسلمين من إغراء
يقدمونه لأوروبا حتى يسلموا.



بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَالَتِ

اعداد الأستاذ / محمود الفشتي

رمضانية نتبادل فيها أمور ديننا وأحوال
دنيانا. وسألني صاحبي لماذا أصبح القرآن
مهجورا في بلاد المسلمين؟ قلت يا صاحبي
لأن المسلمين لم يتدبروا آياته قرأوا وما فهموا
ولو فهموا ما طبقوا، والقرآن يقول:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (١).

وقال تعالى:

﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢).

ووصف القرآن الذين يصدون عن تعاليمه
بقوله:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (٣).

قال لي صاحبي

طالعنا جريدة اللواء الإسلامي بهذا
الحوار الصادق للدكتور محمد فؤاد شاکر
يرثي فيه العالم الإسلامي وما وصلنا إليه
من وهن وقلة حيلة.

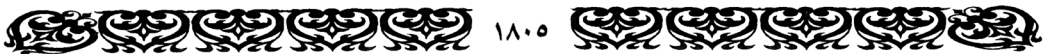
كان هذا في الحوار الثنائي بينه وبين
صاحبه في اللواء الإسلامي في
٢٩/١١/٢٠٠١:

ما زالت عملية الإبادة الظالمة للمسلمين
مستمرة وما زال أعداء الله من شياطين الإنس
يتخذون الحجج للإجهاز على أفغانستان
المسلمة ونحن نتفرج نعيش حياتنا طولا
وعرضا ولا نهتم بل أصبح مألوف لدينا أن
نسمع عن التدمير وعن السفك والقتل ولا
يحرك ذلك ساكنا فينا.. ذلك ما افتتحت به
مجلسنا الأسبوعي ونحن نجلس جلسة

(٢) النساء (٥٩).

(١) الأحزاب (٣٦).

(٣) النساء (٦١).





قال صاحبى : فكيف يكون العلاج؟
قلت: بالرجوع إلى كتاب الله بالكلية وألا نفوض أمرنا إلا لربنا فهو المستعان وفى القرآن الخير كله فإن جعلناه بين أيدينا حكما فهو:

﴿مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي
الْصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

وهو أيضاً:

﴿هُوَ الَّذِي آمَنَّا بِهُدًى وَشَفَاءٌ لِّلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ (٥).

الله أعلم.. يا أمريكي

قال فتحى سالم فى أخبار اليوم
٢٠٠١/١١/١٠

بعد انتهاء مؤتمر ديربان بثلاثة أيام فقط وقع الهجوم الرهيب الذى دمر هيبة سيدة العالم وعمدته وولية أمره وما أن بدأت أمريكا حريها ضد طالبان والقاعدة. وكل ضحاياها حتى الآن من الأفغان البؤساء... حتى أعلن بوش عن تأييده لإقامة دولة فلسطينية دون أن يتبع ذلك بأى قرارات أو تصرفات تلزم إسرائيل التى لا ترسخ ولا تعترف بأى سلطة فى العالم إلا بسلطة أمريكا. بالرجوع إلى الحق والتوقف عن البلطجة والإرهاب. والمدعش أن وزارة الدفاع الأمريكية لا تزال «تستعبط» وتعلن عن

فكيف بنا ونحن نحتكم إلى غير شريعة الله ونحتكم إلى قوانين لا تمت إلى الإسلام بصلة بل هى تأتى منافية تماماً له فى كثير من تشريعاتها وتتناقض معه ولهذا صيغ الناس فى حياتهم وتعاملاتهم بصيغة غير إسلامية فأصبح الإسلام غريباً لا يحتكم أتباعه إلى منهجه وأصبحت القواعد والتعاليم الإسلامية مستنكرة وليس هذا الكلام سبيلاً إلى الغلو أو الإفراط. ولهذا انقسم الناس إلى أقسام وشيع كل حزب بما يتبعون ويحتكمون وكثرت الحيل وانتشر التعدى على حقوق الناس وأسرف الناس فى التفریط فى إقامة موازين الحق وأصبح دعاة البدع والضلالات يشار إليهم ويأخذون مواقعهم بل ويتقدمون الصفوف بغير حق، والشريعة الحقّة تربى المسلمين على احترام حقوق الناس وحسن التعامل مع غير المسلمين وتضبط حركة الحياة، ولا يصاب خلالها المجتمع الإسلامى بخلل أو خروج عن المنهج القويم، أما قوانين البشر فمن أقطع ما صنعتته فى الناس أنها ارتكبت فى الناس أكبر الجرائم حيث بثت فيهم روح التمرد على الدين ونشرت وسائل معاداة الإسلام وأفسحت المجال لحملات التبشير الباطلة لتنتشر بين العباد من المنكرات والمفاسد تحت مسمى حرية الأديان، والحق أنه لا يوجد دين حمى حرية الاعتقاد كما فعل الإسلام.

(٥) فصلت (٤٤).

(٤) يونس (٥٧).



وبالقطع . لم نصدق ما يقال : إن بوش الابن اضطر إلى دغدغة المشاعر والآمال العربية والإسلامية ، وارتداء ثوب الحياد والعدل . تحت ضغط الحاجة المؤقتة لمساندتهم له في حملته الجارية ضد أفغانستان ، تحت شعار الحرب ضد الإرهاب وأنه – لا سمح الله – سوف ينسى أو يتناسى عودته بالدولة الفلسطينية فور تحقيق ما يريده منا .

نيران الحقد والكراهية

التي أشعلتها أمريكا في أفغانستان

نشرت جريدة عقيدتي في عددها الصادر فى ٢٧/١١/٢٠٠١ هذا المقال للأستاذ بسيونى الحلوانى والذى فتح الباب على مصراعيه لكى يوضح للعالم الوجه المضىء لأمريكا وها هى توجه للعالم قبورها وشرها والله المستعان عليها .

قد تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال حملتها العسكرية على أفغانستان أن تقضى على تنظيم القاعدة وأن تقتل أو تقبض على أسامة بن لادن .. وقد تستطيع أن تقضى على حركة طالبان وتقتل زعيمها الملا محمد عمر كما قتلت الآلاف من مقاتلى الحركة والآلاف من المدنيين .. لكنها لن تستطيع من خلال هذه الحملات العسكرية أن تقضى على الإرهاب وأن توفر الأمن والطمأنينة لشعبها .

فالحقيقة المرة التى لا يريد الأمريكان الاعتراف بها هى أن الظلم والقهر والعدوان

مسابقة عالمية لتقديم اقتراحات لمحاربة الإرهاب دون أن تعترف بأن السياسة الأمريكية الخاطئة بانحيازها الأعمى لإسرائيل ، وتجاهلها لحاجة شعوب العالم الصغيرة للعدل والإنصاف من القوة الوحيدة التى تحكم الدنيا هو المفجر لكل عمليات الإرهاب ، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً والمذهل أيضاً أن رئيس الأركان الأمريكى أعلن منذ أيام أن الحرب الأمريكية الحالية سوف تستمر إلى الأبد وهو ما يثير الشكوك فى أن هذه الحرب كانت مقررة من قبل ضرب واشنطن ونيويورك فهل الغرض الحقيقى منها هو السيطرة على منابع البترول فى وسط آسيا؟! أم هى حرب صليبية فعلا ضد الإسلام؟! الله أعلم يا أمريكا .

التصريحات الأمريكية الجوفاء

فى أخبار اليوم وفى عددها الصادر فى ١٠/١٠ كلمة للأستاذ محمد بركات ، قال :

بالتأكيد لم يخطر على بالنا فى لحظة من اللحظات أن رئيس الدولة الأعظم يمكن أن يطلق تصريحات جوفاء ، لا يعنيها ، أو يقول كلمات لا وزن لها ولا قيمة سوى الضحك على ذقوننا ، أو سعياً لامتنصاص غضب الشارعين العربى والإسلامى تجاه المواقف الأمريكية المتعاقبة بطول السنوات الماضية ، التى كانت منحازة دائماً لإسرائيل ومؤيدة لكل جرائم الدولة الصهيونية ضد الشعب الفلسطينى .



هو الذى يولد الإرهاب، وأن العـدل والإنصاف والانحياز للحق طريق المحبة والأمن والاستقرار.

إن كل التقارير الواردة من أفغانستان تؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يشغلها من حملتها العسكرية إلا الانتقام وإخماد النيران المشتعلة فى قلوب ونفوس الأمريكيين منذ أحداث نيويورك وواشنطن.. وقد دفع الشعب الأفغانى ثمن جريمة لم يرتكبها فقد حصدت الصواريخ والطائرات الأمريكية والبريطانية أرواح الأبرياء وحصدت الكراهية والبغضاء المتأججة فى نفوس «المجاهدين الأفغان» أرواح الآلاف انتقاماً.. ومازال أسامة بن لادن حراً طليقاً وفشلت أمريكا بأجهزتها الدقيقة وقواتها الخاصة المدربة ووسائل التجسس التى تسجل وتنقل كل صغيرة وكبيرة تحدث على الأرض وملايينها التى رصدتها لمن يدلى بمعلومات عن مكان اختفائه.. فشلت كل هذه الوسائل فى تحديد مكان أسامة بن لادن.

لذلك ليس غريباً أن يعلن الرئيس الأمريكى «بوش» ووزير خارجيته «باول» أن الحرب فى أفغانستان لا تزال فى مراحلها الأولى، فكل ما يفقدونه من هذه الحرب هو الصواريخ والقنابل ووقود الطائرات أما الذين يقاتلون ويفقدون أرواحهم ويرتكبون أبشع الجرائم فى حق دينهم ووطنهم فهم إخواننا الأفغان الذين عادوا من جديد إلى مسرح الأحداث وسيكونون مصدراً خصباً لتشويه صورة الإسلام والمسلمين بحربهم ضد بعضهم

البعض وتقديم ما تبقى من شعبهم وقوداً لمرحلة جديدة من النزاع والأحقاد والحروب التى بدأت بالفعل على أرض أفغانستان ولن يعلم إلا الله وحده متى ستنتهى.

من هنا فإن الحديث عن مؤتمر للمصالحة بين الأفغان وتشكيل حكومة تمثل كل الأعراق الأفغانية يصبح حلماً بعيد المنال فيخاوننا فى أفغانستان أدمنوا الحروب والقتل ولا يمكن أن يعيشوا فى طمأنينة وأمان دون أن يتقاتلوا ويريقوا دماء بعضهم البعض.. فلم يتبق لهم من تعاليم الإسلام إلا تطويل اللحى.

لقد كنا نتصور أن القضاء على حركة طالبان وإزاحتها عن الحكم يعنى عودة الحياة إلى أفغانستان وأن الفصائل الأفغانية التى وحدت جبهتها وفرشت لها الطائرات الأمريكية الطريق إلى كابول ومزار الشريف بالورود قد تعلمت الدرس وأن مرحلة النزاع والصراع قد انتهت لتبدأ مرحلة الوفاق والبناء.. ولكن للأسف كل التقارير الواردة من أفغانستان تؤكد أن مرحلة الصراع والنزاع بين إخواننا المجاهدين قد بدأت على الأرض ليستكملوا هم مسلسل الحروب والصراعات والقتل والتخريب فى أفغانستان.

لذلك فإن الأصوات التى تطالب بعدم التسرع فى تقديم مساعدات من أجل إعمار أفغانستان لها ما يبررها فما سيقدم من الدول العربية والإسلامية للفصائل الأفغانية سيوظف لشراء أسلحة جديدة تحصد أرواح المزيد من أبناء أفغانستان.



بين المجلنة.. والقارئ

إعداد وتقييم / عادل رفاعي خفاجة

السعادة الموهومة

هل من الصواب أن يظل الإنسان أسير رغبته حين كان (صبيًا - أو مراهقًا) بينما هو الآن يخطو خطواته نحو الأربعينيات والخمسينيات من عمره؟ فكان جوابهما يتلخص في أنهما يشعران بسعادة! قلت : سعادة بماذا؟ فجاء الجواب : سعادة وكفى، لا ندرى لأى شيء!! ولكننا سعداء .

انتهى الحوار وواصلنا العمل . ولكنى وجدتني أفكر في هذه القضية، وبخاصة وقد أعطانا رمضان فرصة طيبة للتعود على الامتناع عن التدخين من مطلع الفجر حتى مغرب الشمس، وإن في ذلك لبرهان ساطع لإمكانية ترك هذه العادة الرديئة!!

.. فقط بعض إرادة وينتصر المدخن على عادة اكتسبها في غفلة من وعيه!!
.. فقط بعض الإرادة ويكون قد بُعدَ عن أخطار التدخين وتمتع بصحة جيدة .

بينما كان شهر رمضان الفضيل يجمع أوراقه التى ملئت بأعمال العباد، مستعداً للرحيل، شاهداً على ما قدموا من خير أو شر، وعلى اجتهدهم أو تفريطهم . ونحن فى تلك اللحظات نرجو رحمة ربنا الواسعة آمليْن أن نحظى بمغفرة من الله، وأن ننال براءة من النار بفضل العَميم، فنصبح من عتقاء الشهر الكريم . فى هذه اللحظات المباركات، وبعد الافطار بقليل وجدت الأستاذ أحمد عثمان والأستاذ صفوت عكاشة قد أشعل كل منهما سيجارة فى انتظار الملزمة التالية من مجلة الأزهر لتجهيزها للطبع .

فبادرت الأستاذ أحمد : متى دخنت أول سيجارة؟

فقال : منذ كنت فى الصف الرابع الابتدائى .، ثم وجهت نفس السؤال للأستاذ صفوت الذى أفاد بأنه دخّن فى سن مبكرة أيضاً .
وهنا وجهت سؤالاً آخر :



أن الأولى عدم التدخين.. والأولى: إنفاق المال فيما هو أنفع وأهم مثل الطعام والملبس والسكن... إلخ. فإن بقي فضل مال فليعد به على أصحاب الحاجات والفقراء والمساكين وما أكثرهم.

نعم.. لو أراد المدخن أن يستفيد من رمضان لوعى الدرس واستفاد من الامتناع الجزئي، واستثمره وواصل امتناعه الجزئي هذا بعد رمضان للوصول إلى الامتناع التام، عندها فقط سيشعر بالسعادة الحقيقية لا السعادة الموهومة.

إضافة إلى فوزه برضى ربه بخروجه من دائرة الإسراف المنهى عنه شرعاً.

وإذا كانت السعادة الموهومة تجعل المدخن يتغاضى عن الآثار السلبية التي تؤذيه هو شخصياً: صحياً ومادياً، فليس من حقه أن يتغاضى عما يسببه لمن حوله من أضرار من جراء تدخينه.

وليس له الحق -أيضاً- أن يتغاضى عما قاله فضيلة الإمام الأكبر ا. د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر - وهو أيسر الأقوال - أن التدخين «خلاف الأولى» أى

علامة استفهام

سبيلها كل هذه الأشياء جملة لمجرد أنها عنده عادة؟..

ولكن يحيرنى ذلك المخلوق الذى جعله الله خليفته فى أرضه وزوده بالعقل والذكاء والرقى.

كيف يتصف بالحق؟.. إذن فما الذى يقوده نحو التدخين؟

ربما سوء الفهم هو الذى جعله يعتقد أن التدخين فيه مزية للإنسان كما نسمع من بعضهم أنه يهدئ الأعصاب. فما ثبت علمياً هو عكس ذلك تماماً.

فالتدخين ما هو إلا مخدر لأعصاب المدخن للحظات قليلة وإذا تركه المدخن لوقت معين هاجت أعصابه وتوترت تماماً. إذن فهو لاء قد أساءوا الفهم نحو التدخين.

وما زال السؤال الذى يجول بخاطرى: ما الذى يحمل ذلك المدخن للانسياق نحو التدخين؟

ربما هو التقليد الأعمى.. فهل من الممكن أن هذا الإنسان سيد هذا الكون ينساق خلف التقليد

وعن نفس الموضوع وردت رسالة القارىء أحمد بسيونى جامعة الأزهر فرع المنصورة تحت عنوان: «علامة استفهام» يقول فيها:

أعجب كثيراً لهذا الإنسان العجيب.. اذكر صورته الشاردة أمامى دائماً، أراه متشبثاً بتلك السيجارة القصيرة التى تشبه فى حجمها حجم القلم الصغير، فهى بالنسبة له قلم البقاء الذى يكتب به قصة نهايته، اندهش لم كل هذا التمسك بتلك السيجارة البذيئة؟

فلم أر من صورته سوى وجهها شاحباً فى طريقه للفناء، وذهناً شارداً فى اللاشئ وعينين عكرتين تنظران فى الفراغ، وسعال قاتل يصحبه من آن لآن، وضيق تنفس يخنقه، وبعض الأمراض الحاضرة الملتفة حول عنقه، وقطيع من الأمراض الدفينة الذى ينتظره على شاطئ الموت.

وأسائل نفسى فى حيرة: هل من الممكن أن يمارس ذلك الإنسان هذه العادة البذيئة، ويتحمل فى



وتعكر عينيك، واسوداد أسنانك، وسعالك المتكرر؟ فعدم الاهتمام بهذه الملامح يشوه صورتك تماماً.

فأنا لا أملك سوى أن أناديك بسيدي الإنسان: أرجو منك العفو والمغفرة من أجل تدخلتي في حياتك الخاصة ولكن معذرة سيدي، فأنا لا أعلم للتدخلين اسماً سوى أن أسميه (مقبرة الحياة) ولا أدري لم إصرارك على الولوج بها، والتصدى لأشباحها؟.. ولكنني أدري تماماً أنني إنسان يعتز بإنسانيته وعقله، وصحته.

الأعمى؟.. لا أعتقد ذلك. إلا إذا كان إنساناً شاذاً يتصف بالضعف والهشاشة.

وما زالت حيرتي قائمة، ما هو الدافع الحقيقي لتلك العادة الرديئة؟ أمن الممكن أن يكون الشكل الخارجى للمدخل هو الذى يتطلب منه وضع تلك السيجارة بين شفتيه لتكتمل صورته الخارجية؟ وهل يحافظ عليها كجزء هام يكمل مظهره الخارجى؟.. لا أدري.

ولكن إذا فهم أنه يعتنى بالمظهر الخارجى فنوجه إليه سؤالاً واحداً: لم لا تعتنى بشحوب وجهك،

فى رحاب اللغة العربية

ضرورة الاهتمام باللغة العربية إلى أن تصبح اللغة العالمية.

وما أوجدنا فى هذه الأيام إلى تعلم العربية وتعليمها ونشرها.

واللغة العربية محفوظة بحفظ الله - تعالى - لها، ومن أجل أن يعود للأمة الإسلامية مجدها الغابر وعزها الدائر، فلنحافظ على لغتنا العربية، الدعامة الأساسية لشخصيتنا، وهويتنا العربية والإسلامية. ولنردد مع القائل:

أحمى حمى الفصحى فإنها لغتى وبها جاء الكتاب المنزل وأخيراً: علينا أن نبذل الجهد فى تعلم اللغة العربية، وعلينا أن نتحدث بها ولا سيما فى الحوارات الأدبية والمناقشات العلمية.

يواصل الأستاذ / أحمد ناصر أحمد ناصر حديثه عن اللغة العربية، ونشكر له وللأستاذ وائل على عبدالعزيز، سرعة استجابتهما فى الكتابة حول هذا الموضوع. حيث قال الأستاذ / أحمد ناصر

اللغة العربية

العربية ليست كأي لغة من اللغات الأخرى بل هى فريدة من نوعها؛ فقد اختارها الله - تعالى - واصطفاه لتكون وعاءاً لكتابه الخالد، ولذا أوجب الشارع الحكيم تعلمها حتى نفهم مقاصد الكتاب والسنة.

يقول ابن تيمية: «إن معرفة اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب وإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب». ١. هـ.

ولا أظن أحداً منصفاً يختلف معى فى





أخطاء شائعة

ونقدم بعض ما أرسل به الأستاذ وائل على عبدالعزيز - كوم النور - ميت غمر - يقول :

١- إن من الخطأ الشائع أن نقول (تلا المقرأ) والصواب (القارئ) لأن الفعل إذا كان ثلاثياً يتم صياغة اسم الفاعل منه على وزن (فاعل) والفعل هنا ثلاثي (قرأ) ، يقول تعالى :

﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾

[سورة غافر آية ٣]

٢- من الخطأ الشائع أن نقول لأسماء الآلات التالية

(مُسمار، مُنشار، مُلقاط) يضم الميم في كل، والصواب (مسمار، منشار، ملقاط) بكسر الميم لأن اسم الآلة من الفعل الثلاثي المتعدي له ثلاثة أوزان منها، (مفعال) بكسر الميم، وليس بضمها .

٣- من الخطأ الشائع أن نعتقد أن كلمة (الشيخ) خاصة بالكبير في السن فقط، ويقولون أن كلمة (الإمام) كيأمام المسجد مثلاً لا نقول عنه شيخ، والصواب غير ذلك؛ ففي المعجم الوجيز ص ٣٥٦ (الشيخ) من أدرك الشيخوخة . وهي غالباً عند الخمسين، وهو فوق الكهل ودون الهرم . و : ذو المكانة من علم أو فضل أو رياسة . وبناءً عليه فيجوز أن نقول للإمام : شيخ لأنه ذو مكانة ولو لم يكن كبير السن .

منزلة العلماء في الإسلام

العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإنهم لم يورثوا ديناراً ولا درهماً لكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

[رواه أبو داود، وابن ماجه]

فيا من تريد سعادة الدارين عليك بالعلم لأن العلم بالنسبة للناس كالعافية للبدن لا يستغنى عنه .

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم

على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه

والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز بعلم تعيش به أبداً

الناس موتى وأهل العلم أحياء

أما القارئ الشيخ / محمد محمد عبدالحى الشافعى - إمام وخطيب بالأوقاف - فيقول :

إن لله عبداً اختصهم بالعباء الواسع، والكلام النافع، والقلب الخاشع . . قوم لا يملون، بالعلم يعملون، فى جُح الليل يقرأون، حقاً إنهم العلماء . زكاهم الله فى قرآنه، ومدحهم بعظيم بيانه؛ فقال فى فرقانه :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

وصدق النبى إذ يقول :

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم يستغفر له من فى السموات والأرض، حتى الحيتان فى الماء، وإن فضل العالم على



من إبداعات القراء :

«إن بعض الظن إثم»

شعر / حسن أبو الغيط - شبن الكوم / منوفية

ضربوك «أمريكا» ولا تدرين من
ضربوا ولا من ذا الذى لا يؤمن
هلاً نظرت لغيرنا فى هذه؟
هلاً اتهمت الخائنين على الزمن؟
إن اليهود على الزمان تمرّد
ولهم أمور من سواهم لم تكن
لم يحضروا يوم القضا كحضورهم
وكأنهم يدرون دون بنى الوطن
غابوا عن الأحداث قبل حدوثها
من ذا الذى فى الناس يدري الغيب من؟
عينك دوماً بارتياح نحونا
كونى كذلك نحوهم ظناً كظن
والظن ظلمٌ بعضه فتفكرى
يا من لهذا الظن فينا تطمئن
بل «إن بعض الظن إثم» فاحذرى
يا من تقاد بذى الظنون وقد تجنّ

فصل القرآن

شعر / جابر عبدالعليم مصطفى - سوهاج - دار السلام

تَرْضَى إِلَهَكَ خَالِقَ الْإِنْسَانِ
فَهِيَ الثَّنَاءُ وَبُغْيَةُ الْحَيْرَانِ
بِاللَّهِ تَأْمَنُ سَطْوَةَ الشَّيْطَانِ
أَنَّ الْجُزَاءَ عَطِيَّةُ الرَّحْمَنِ
دُسْتُورُ دُنْيَا شَامِخُ الْبَيَانِ
وَعَلَا بَلْفَظِ قِمَّةِ الْإِتْقَانِ
بَلَّغَ الْعُلَا وَمَنَازِلِ الْفُرْسَانِ

إِقْرَأْ كِتَابَ اللَّهِ فِي إِمْعَانٍ
وَأَبْدَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ تَيْمُنًا
كُنْ طَاهِرًا قَبْلَ الْقِرَاءَةِ وَاسْتَعِذْ
وَالزَّمْ خُشُوعًا حِينَ تَتْلُو مُوقِنًا
يَا أُمَّةَ الْقُرْآنِ إِنَّ كِتَابَكُمْ
جَمَعَ الْقُلُوبَ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالتَّقَى
بُشْرَى لِمَنْ حَفِظَ الْكِتَابَ فَإِنَّهُ

رسالة قارىء

القراء فنقل نصين متفرقين ونسبهما لهذا الكتاب، ومعنى ذلك أن بقية المقال من تأليفه، ولكن الواقع المؤلم أن المقال جميعه بقلم الأستاذ فريد وجدى، حتى المقدمة التى افتتح بها المقال كان مضمونها من كلام الأستاذ فريد وجدى فى صفحة سابقة. ولا أدري لماذا لم يجعل المستشار مقاله من باب المختارات وينسب المقال إلى صاحبه فهذا أشرف وأجدى!!

رئيس التحرير:

هذه رسالة من ثلاث رسائل هى أهونها تناولوا، وكنا نود أن تستقيم الأمور على وجه صحيح.

ورد إلى إدارة المجلة هذه الرسالة من الأستاذ الدكتور عبداللطيف الحديدي يقول فيها:

أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومى
رئيس تحرير مجلة الأزهر
سلاماً وتحية وبعد:

لاحظت أن المقال المنشور بمجلة الأزهر عدد شعبان ١٤٢٢ هـ تحت عنوان: «الإسلام دعوة لتحقيق الوحدة الإنسانية» للمستشار محمد عزت الطهطاوى، هذا المقال مأخوذ من فصل نشر فى كتاب «السيرة الحمديدية فى ضوء العلم والفلسفة» للكاتب الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى، وقد قمتم أنتم بجمعه وتحقيقه ونشره فأنتم أدري به. وقد حاول الكاتب أن يخدع



لأستاذ / محمد الشرقاوي

أول فضائية إسلامية في شرق آسيا

في مرحلة لاحقة في إنتاج برامج دينية لقنوات أخرى وتخطط إدارة القناة الفضائية التي ستبث اعتمادا على أحد على الأقمار الصناعية التوسع مستقبلا في بث إرسالهم إلى دول مجاورة مثل ماليزيا - سنغافورة - بروناي - التي لا يصل المسلمون فيها إرسال القنوات الإسلامية وقد بدأت إدارة القناة في تركيب أجهزة استقبال للبث في المدارس الدينية كخطوة لإشاعة برامجها خاصة أنها متوجهة بالأساس إلى الشباب والمسلمين الذين يمثلون ٨٥٪ من تعداد أندونيسيا البالغ ٢٣٠ مليون نسمة.

آفاق عربية

٢٠٠١/١١/٢٩

شهدت العاصمة الإندونيسية جاكارتا مؤخرا تدشين البث التجريبي لقناة «الرحمن» الفضائية والتي تعد الأولى من نوعها في إندونيسيا ومنطقة جنوب شرق آسيا وهذه القناة ستكون موجهة للتعريف برسالة الإسلام وستغطي اهتمامات الناس الدنيوية والأخروية كما صرح بذلك المدير العام لشركة «الرحمن ميديا» التي تدير القناة لشبكة «إسلام أون لاين» ومن المقرر أن تعتمد القناة في مرحلتها الأولى على برامج القنوات الخاصة الإندونيسية إضافة إلى شراء البرامج من قنوات الخارج لعدم وجود ما يمكن أن تسد به ساعات البث من الإنتاج المحلي الديني والثقافي العام بما في ذلك الأفلام الكارتونية المنتجة في الوطن العربي والتي تحمل مضمونا ورسالة إسلامية على أن تبدأ



٧٠٪ من لاجئى العالم مسلمون

صرح كريم الأتاسى المستشار الإعلامى للشرق الأوسط بمفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين بأن عدد اللاجئين فى العالم بلغ طبقاً لآخر الإحصاءات ٢٢ مليون لاجئ ٧٠٪ منهم مسلمون، ويأتى لجوؤهم بسبب الحروب والنزاعات المسلحة والاضطهاد الدينى الذى أصبح فلسفة للصراع المعاصر.

وأكد أنهم يعانون ظروفًا قاسية جداً بسبب عدم كفاية الموارد المالية اللازمة لتقديم الخدمات الأساسية من غذاء ودواء ومأوى لهذا العدد الهائل بالفعل وأكد أنهم يعيشون فى بؤر ساخنة ومتوترة جداً من العالم.

وأعرب الأتاسى عن قلقه إزاء تقليص الدول الأجنبية المانحة للمعونات المقدمة للمفوضية واتجاهها لتسريح بعض عمال الإغاثة وإغلاق بعض المكاتب بسبب قلة الموارد والتمويل وهو ما يؤثر على المواد الإغاثية والخدمات إذا قطعت الدول المانحة دعمها فى أى وقت.

آفاق عربية

٢٢ / ١١ / ٢٠٠١

● نقول للأستاذ الأتاسى: إن البديل الإسلامى موجود وهو الالتزام بفريضة الزكاة التى فرضها الله لتحقيق العدل والتكافل والأمن الاجتماعى.

الصين تمنع الحجاب وتجبر المسلمين

على الإفطار فى رمضان

أورد موقع «الإسلام» على الإنترنت أن الحكومة الشيوعية فى الصين فرضت الإفطار الإجبارى فى شهر رمضان على مسلمى إقليم «تركستان» الشرقية

الذى تحتله وتطلق عليه اسم إقليم «سنكيانغ» «شمال غرب الصين» وذكرت الأنباء الواردة من الإقليم أن الحكومة الصينية أمرت طلاب المدارس بمن فيها من المسلمين بالأكل فى مطعم المدارس وسط النهار؟ وأصدرت أوامر بعقاب الممتنعين عن الإفطار بالفصل من مدارسهم وقد أشار أحد المدرسين إلى أن توجيهات الحكومة الصينية للمسلمين بعدم الصيام فى رمضان بدأت العام الماضى ولكنها ازدادت خلال هذا العام بسبب أحداث أفغانستان.

وكانت السلطات الصينية قد منعت المسلمات من ارتداء الحجاب فى المؤسسات الرسمية بحجة أنه مظهر عدائى - كما منعت المدرسات المسلمات من ارتداء حجابهن الشرعى.

وأعدمت مؤخراً ٢١ شاباً مسلماً من تركستان وسجنت عشرين آخرين بتهمة العمل من أجل استقلال الإقليم - وأورد الموقع نقلاً عن مصادر تركستانية أن الحكومة الصينية جمعت أئمة المساجد وعدداً من علماء المسلمين فى إطار خطة من المقرر أن تمتد إلى تسعة أشهر وتستهدف نحو ثمانية آلاف خطيب وإمام ومدرس شرعى وذلك لإعدادهم فى مواجهة ما يسمونه بالتيار الانفصالى الذى تنتشر أفكاره بين الشباب التركستانى المسلم وإقناعهم بسياسات الحكومة الشيوعية.

شبكة المعلومات الدولية الإنترنت

موقع «الإسلام»

من أخبار أفغانستان المسلمة الجريجة

ضرب وحرقت وتدمير بجميع أنواع الأسلحة المحرمة وغير المحرمة.





المدنيون العزل في الأراضي المحتلة وتبدو فيها سيدة فلسطينية تتعرض للضرب من قبل المستوطنين اليهود.

نشر الصورة على هذا الموقع المهم الذي تبثه «مؤسسات التجمع الإسلامي» «بكندا» آثار حالة من الغضب والغليان الشديدين بين يهود أمريكا الشمالية وتحرك اللوبي الصهيوني متمثلاً في «منظمة بناي بيرث» التي تهتم بالدعاية والحماية الإعلامية لليهود بنشر إعلانات تشويهية ضد الموقع في جريدة «ناشيونال بوست» الكندية واسعة الانتشار تتهمه فيها بأنه يروج للإرهاب ويدعو للجهاد ضد «إسرائيل» وذلك بنشره صور الشهداء ومنفذى العمليات الاستشهادية في المدن الإسرائيلية وطالبت المنظمة اليهودية الحكومة الكندية بإغلاق الموقع وتقديم بلاغ للشرطة الفيدرالية وإدارة الاستخبارات والأمن الكنديتين ضده.

وكشف «محمد الإحمدي» رئيس أمناء التجمع الإسلامي بأمریکا الشمالية والمسؤول عن موقع «طريق الإسلام» في رسالة بثها عبر البريد الإلكتروني لعدد من الصحف العربية الأسباب الحقيقية للحملة الصهيونية على الموقع مؤكداً أنها تأتي بعدما أعلنت منظمة «اليكسا» العالمية للإنترنت أن «طريق الإسلام» يعد أكبر موقع إسلامي على شبكة الإنترنت.. وزاره خلال شهر سبتمبر مليون و ٧٠ ألفاً من جميع أنحاء العالم، ومما أثار حفيظتهم وحققدهم أن الموقع دفع عدداً كبيراً من الأمريكيين لاعتناق الإسلام ونشر قصص إسلامهم على صفحاته.

– قنابل «القلاع الطائرة». – القنابل «الغبية» عفا «الذكية». – القنابل «الانشطارية» ولاشك النووية والذرية. – الخنق بغاز «السارين».

– استخدام اليورانيوم المشع والأسلحة الكيماوية. – استخدام القنبلة الثقيلة «ديزي كتر» والتي تزن ١٥ ألف طن والتي سقطت منها ثلاثة على المواقع المدنية ومنازل المواطنين الأفغان العزل.

كل هذه الترسانة الحربية بجميع أنواعها تستخدم ضد الشعب المسلم والشيوخ والأطفال والنساء الذين لا حول لهم ولا قوة.

والنتيجة:

إبادة أكثر من ١٥٠٠ مسلم أفغانى وتحذير من الأمم المتحدة من احتمال موت ١٠٠ ألف طفل أفغانى.

ودماء المسلمين تراق في كل ركن في العالم والقاتل أمريكى.

المحرر: افيقوا أيها المسلمون قبل أن تقولوا «أكلنا يوم أكل الثور الأبيض».

حملة يهودية لإغلاق أهم موقع إسلامى على الإنترنت

يتعرض موقع «طريق الإسلام» أحد أبرز المواقع الإسلامية على شبكة الإنترنت لحملة هجوم عنيفة تقف خلفها واحدة من أقوى المنظمات اليهودية فى العالم لإغلاقه.. حملة الهجوم التى انطلقت منذ عدة أسابيع وتتصاعد يوماً بعد يوم بدأت بعدما نشر الموقع صورة تفضح الممارسات الوحشية التى يتعرض لها





أنباء مكاتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يشهد:

المسابقة العالمية التاسعة للقرآن الكريم

افتتح الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء وفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف المسابقة العالمية التاسعة للقرآن الكريم التى تنظمها سنويا وزارة الأوقاف بالتعاون مع الأزهر الشريف ويشارك فيها وفود من ٦٥ دولة ويمثلها ٧١ شابا وطفلا وفتاة وافتتحت بتلاوة من القرآن الكريم للطالب الإيراني مهدى محمد عباس واختتمها بتلاوة للمتسابق احمد ناصيفى عبدالفتاح من أندونيسيا وذلك بقاعة الإمام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف .

وفى كلمته أكد الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء أن مصر عرفت منذ دخول الاسلام فيها أنها وفيه لتعاليم الدين السمحة وقيمة النبيلة، وأن هذا الاهتمام ازداد كثيرا بعد أن ارتفعت مآذن الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام وأصبح كعبة المسلمين العلمية، والذى

يهفوا إليه طلاب العلم الدينى والثقافى الصحيح من كل أنحاء العالم وقال أيضا: إن مصر التى عرف أهلها بالحرص الدائم على القرآن الكريم والتزام منهجه السمع المستنير تفتح صدرها وعقلها منذ آلاف السنين وكذلك مؤسساتها للوافدين من أبناء العالم الاسلامى وتوفر لهم كل ما يعينهم على تلقيهم العلوم الإسلامية وغيرها بالأزهر الشريف حتى بلغ عدد الطلاب فى مراحل التعليم الأزهرى المختلفة من الوافدين حتى قبل التعليم الجامعى حوالى ٢٠ عشرين ألف طالب وطالبة وذلك لما يتمتع به الأزهر الشريف ومناهجه وأساتذته من وسطية واعتدال وبعد عن الغلو والتطرف، والإسلام الذى تعرفه مصر هو دين التسامح والسلام والتعايش مع الآخرين، والتعاون معهم على كل ما يؤكد دعائم الأمن والاستقرار والسلام فى ربوع العالم كله والتعاون على البر والتقوى بعيدا عن الإثم والعدوان، وقال أيضا: إن مصر تحرص كل الحرص على تأكيد ضرورة الفهم الصحيح للإسلام انطلاقاً من أن الفهم الصحيح يقضى على المفاهيم المغلوطة والأفكار الخاطئة، كما أنه من الثابت يقينا أن

مصر الدين الصحيح الذى ينير العقول ويصحح البصيرة والبصر وأبواب الأزهر، الشريف مفتوحة على مصراعيها لكل وافد إليه وعلماؤه فى خدمة المسلمين فى كل مكان .

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق فى كلمته: أنه فى ظل رعاية كريمة من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية ومن منطلق مسئولية مصر التاريخية إزاء عالمها الاسلامى بوصفها بلد الأزهر الشريف - قلعة الإسلام الحصينة تنظم وزارة الأوقاف المصرية بالتنسيق مع مشيخة الأزهر الشريف : المسابقة العالمية التاسعة للقرآن الكريم، وقد كانت مصر ولا تزال وستظل إن شاء الله الى آخر الزمان معنية كل العناية بكتاب الله ولذا كانت هى أول دولة فى العالم الاسلامى تنشئ محطة إذاعية للقرآن الكريم منذ عشرات السنين وتزيع برامجها لبلادنا نهارا دون توقف وستظل مصر دائما وفيه لدينها حامية لتراثها الإسلامى راعية للقرآن الكريم فقد شرفها الله بأن انزل فى شأنها قرآنا يتلى، ويتعبد به المسلمون فى كل مكان، وجعل أرضها آمنة تفتح صدرها لكل من يلوذ بها .

وقال : ان هذه المسابقة العالمية تأتى تعبيراً عن حرص مضر الدائم على الحفاظ على كتاب الله الذى أنزله على رسوله الكريم فى ليلة مباركة هى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ليكون هذا القرآن هدى للناس ورحمة للعالمين، وشفاء لما فى الصدور، وقد جاء القرآن الكريم معجزة خالدة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - دالة على صدق رسالته وهى معجزة عقلية باقية أبد الدهر تحترم عقل الانسان وتخطبه

الوحي منذ العصر الإسلامى الأول ركز على العلم وحث عليه وشجع اتباعه فى كل العصور على الاهتمام به ...

وقال فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر فى

كلمته: إن القرآن الكريم شرعه الله - تعالى - هداية للإنسان وللإنس والجن معا وهو كما قصد به التقرب إلى الله - عز وجل - بقراءته وتلاوته وكان - عليه الصلاة والسلام - لا يكف عن قراءته وسماعه وتدبره وتبليغه وأنزله الله - تعالى - للناس كافة وبشر الذين يحفظونه ويعملون به ببشارات متعددة منها قوله: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ومنها قوله: « الساهر بقراءة القرآن مع السفارة الكرام البررة، ومن قرأه وهو عليه شاق له أجران عند الله تعالى » وقال فضيلته: إن الأزهر الشريف يعاهد الله - تعالى - ويعاهد كل المسلمين أن يحرص على تعليم المسلمين القرآن الكريم ونكرر دائما أنه ليس بأزهري من لا يحفظ القرآن الكريم، وقال: إن الأزهر يهتم بحفظ القرآن الكريم كاملا فى مراحل التعليم المختلفة. وفى المرحلة الابتدائية من سن ست سنوات وحتى اثنا عشر سنة يحفظ الطالب أو الطالبة ثمانية عشر جزءا وفى المرحلة الاعدادية ومدتها ثلاثة سنوات يحفظ الطالب أو الطالبة سبعة أجزاء، وفى المرحلة الثانوية ومدتها ثلاث سنوات يحفظ الطالب خمسة أجزاء ولا ينتقل من مرحلة إلى أخرى إلا إذا نجح فى القرآن الكريم ويتم الامتحان فى المنهج المقرر للسنة وفى المقرر فى الأعوام السابقة ونحن على يقين من أن القرآن الكريم يحفظ من يحفظه وقال: إن الأزهر الشريف والأوقاف وكل المؤسسات الدينية يتعاونون معا لمعرفة كل فرد فى



الأعلى للشئون الإسلامية بالتعاون مع الأزهر الشريف يقومان بواجبهما في هذا الصدد .

حضر حفل الافتتاح عدد من الوزراء والسفراء وفضيلة مفتي الجمهورية، وعلماء الأزهر والأوقاف وأبناء العالم الإسلامي الذين يدرسون بالأزهر والمتسابقون .

الإمام الأكبر يشارك في احتفالات المملكة العربية السعودية

شارك فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر في احتفالات المملكة العربية السعودية بمناسبة مرور عشرين عاما على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز مقاليد الحكم بالمملكة بناء على دعوة كريمة من حكومة المملكة ضمن الشخصيات العالمية رفيعة المستوى وفي حديث فضيلته أشار إلى أن الدور الكبير والمميز الذي تقوم به المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز حفظه الله في دعم ورعاية مسيرة الدعوة الإسلامية محل تقدير واعتزاز الأزهر الشريف وعلمائه ومؤسساته المختلفة . كما أنه محل تقدير كل مسلم مخلص لدينه وأمته في شتى أنحاء العالم، وأن دعم ورعاية خادم الحرمين الشريفين لجهود وأنشطة الدعوة الإسلامية لا تتوقف داخل المملكة العربية السعودية وإنما يمتد ذلك الدعم وتلك الرعاية إلى مسيرة الدعوة الإسلامية في مختلف أنحاء العالم لخدمة المسلمين في كل مكان وإن المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله تبذل جهوداً كبيرة في دعم مسيرة الدعوة الإسلامية في كثير من دول العالم .

بالحجة والبرهان وقد اشتمل القرآن على العقائد والأخلاق والتشريعات وأخبار الأولين، وأحوال الدار الآخرة، كما اشتمل على الحث على إعمار الكون والتدبر في ملكوت السموات والأرض، وأكد أن المسلمين أدركوا منذ الصدر الأول من الإسلام ما في القرآن الكريم من إرشادات ربانية وتوجيهات إلهية تهدف إلى تحقيق الخير للإنسان فقاموا بحركة علمية كبرى أدت إلى صنع حضارة عريقة كانت من أطول الحضارات عمرا في التاريخ وقد استفادت منها البشرية أعظم فائدة، وهكذا كان القرآن الكريم بما فيه من قيم نبيلة وما اشتمل عليه من تعاليم سامية محور اهتمام المسلمين على المستويين النظري والعلمي، وقد ظل القرآن بعيدا عن أى تحريف أو تبديل لأن الله تكفل بحفظه منذ أنزل وإلى أن تقوم الساعة وأكد على أن جميع محاولات الطعن في القرآن باءت بالفشل الذريع ولم يكن لهذه المحاولات تأثير على هذا القرآن العظيم الذي تكفل الله بحفظه ولا على حقائق الدين الواضحة وضوح الشمس في وسط النهار ولا على المؤمنين بهذا الكتاب الكريم، وقد دأبت بعض الجهات المغرضة والمشبوهة في بث سور مزعومة على شبكة المعلومات الدولية في محاولة مفضوحة لتزييف حقائق الدين، وإشاعة البلبلة في أوساط المسلمين وإذا كانت المحاولات القديمة قد ماتت في مهدها فإن المحاولات الجديدة ستموت أيضاً في مهدها، وأبلغ رد على هذا الباطل يتمثل في تقرير الحقائق الإسلامية والتعريف بالقرآن الكريم بأسلوب علمي سليم ووزارة الأوقاف من خلال المجلس



ويلقى دروساً بالمغرب

وأشار فضيلته إلى أنه من الواجب علينا أن نبين للناس الوجه المضيء والسماح للإسلام، وأن نفتح الأبواب المغلقة لأصحاب الرؤى المختلفة لينفتح بعضهم على بعض ويبين كل منهم وجهة نظره، وقد أكدنا على أن هناك الاتفاق الكامل على أصول الشريعة مثل إخلاص العبادة لله، والصلاة، والزكاة وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً، فهي أركان نؤمن بها ونؤيدها، وإن وجد خلاف فهي في الفروع وليس في الأصول، وفي الأزهر الشريف لجنة الحوار تفتح باب الحوار بيننا وبين إخواننا في الفاتيكان وغيرها، وتجتمع كل فترة، وقد اتفقنا على أن يكون الحوار في الأمور التي تتعلق ببيان الفضائل والتعاون على ما يعود على الإنسانية بالخير، لأن الحوار يفتح الأبواب المغلقة.

كما شارك فضيلته في المحاضرات الدروس الحسنية التي يلقيها كبار العلماء والمفكرين من شتى أنحاء العالم والتي تلقى أمام وفي حضرة ملك المغرب جلالة الملك / محمد السادس ملك المملكة المغربية بدعوة كريمة من جلالة الملك شخصياً وهي سنة متبعة بدأها جلالة الملك محمد الخامس - رحمه الله تعالى - كما التقى فضيلته أثناء زيارته لدولة المغرب الشقيقة بمعالى وزير الشؤون الدينية بالمغرب وتم التباحث في أمر النهوض بالدعوة وتنسيق الجهود وتوضيح سماحة الاسلام وخاصة في هذه الظروف الراهنة.

الإمام الأكبر:

الحضارات يجب أن تتعاون

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشخة الأزهر الشريف وفداً أردنياً رفيع المستوى برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال يرافقه صاحب السمو الملكي الأمير / راشد بن الحسن ومعالى السيد / نذير رشيد ومعالى السيد ناصر جودة.

رحب فضيلة الإمام بسمو الأمير ومرافقيه في مصر وأزهرها الشريف مشيداً بالدور الكبير الذي يقوم به سموه في مجال الدعوة الإسلامية وخطواته الطيبة المباركة فيما يتعلق بصراع الحضارات وبكلماته الحكيمة التي ألقاها في المؤتمرات المتعددة التي حضرها سموه.

والأزهر الشريف من جانبه يؤيد كل مجهود من أجل الحوار أو التقريب، وقد أوضحنا وجهة نظر الإسلام فيما حدث في ١١ من سبتمبر وقتلنا أولاً: إن هذه جريمة شنعاء، وثانياً: من حق الدولة التي تعرضت للعدوان أن تبحث عن الجناة المجرمين وتتعبهم وتقض عليهم وتقدمهم للمحاكمة حتى يقول القضاء كلمته العادلة فيهم، وثالثاً: ليس من حق الدولة التي وقع عليها العدوان أن توقع العقوبة على شعب بأكمله فيه الآمنين من الأبرياء الرجال والنساء والأطفال والعجزة، وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بياناً أوضحنا فيه ذلك وبيننا وجهة النظر حول ما يثار من صراع الحضارات وقتلنا إنه يجب أن تتعاون الحضارات ولا تتصارع ومن يقول بتصارع الحضارات إنما هي وجهة



عن قلقه الشديد بخصوص ما يحدث حالياً في آسيا الوسطى .

فى نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف المصحف المفسر طبع الأزهر الشريف لسموه وللوفد المرافق .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف .

الدول الإسلامية تطبق

مناهج التعليم الأزهرى

● استقبال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الوفد الإعلامى لدولة أذربيجان حيث أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد التى دارت حول دور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين قائلًا: لدينا طلاب من أكثر من ٩٤ دولة ومنهم طلاب من أذربيجان يتلقون التعليم الأزهرى مثلهم مثل طلاب مصر ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية وتهياً لهم كل سبل المعيشة والإقامة والعلاج، كما أن الأزهر الشريف يرسل العلماء والمدرسين إلى الدول التى هى فى حاجة إليهم وكثير من الدول تطبق مناهج التعليم الأزهرى فى بلادهم ويدرسون المناهج الى تدرس فى الأزهر الشريف، وأوضح أن العلاقة بين الأزهر الشريف ودولة أذربيجان علاقة تاريخية وعلاقة طيبة ويوجد تعاون ثقافى وتعليمى .

وحول سؤال: هل الأزهر يدرس المذهب السننى فقط أم السننى وغيره قال فضيلته: إن الأزهر الشريف يدرس المذهب السننى والمذهب الشيعى بل جميع المذاهب، ونحن نتبادل

السفهاء، وكل ما نتمناه أن يكون عدد العقلاء أكثر من عدد السفهاء، ونحن فى الأزهر الشريف ندرس جميع المذاهب الفقهية، وفى الأزهر الشريف الدراسة تمتاز بالتوسط والاعتدال، وفى رأينا أن من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مسلم، والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - وليس هناك ما يمنع من دراسة المذهب الشيعى أو غيره والأزهر بابه مفتوح لكل ما يعرض عليه، وكان هذا رداً على الأسئلة والاستفسارات التى عُرِضت على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

شكر سمو الأمير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على الجهود الكبيرة والعظيمة التى يبذلها الأزهر الشريف فى مديد العون والمساعدة لبلدان العالم المختلفة من استقدام طلاب على منح للتعليم بالأزهر الشريف وأيضاً على البعثات من العلماء الذين يرسلهم الأزهر الشريف لتعليم أبناء المسلمين فى بلادهم وإظهار يسر الإسلام وسماحته وعظمته، وقال سموه: نحن نطالب بضرورة الاتفاق بين قادة علماء الإسلام وبخاصة الأزهر الشريف على أساليب الحوار مع الجانب المسيحى فى مجال حوار الأديان لإظهار القواسم المشتركة بين الأديان، ووجه سموه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة الأردن قريباً للمشاركة فى فعاليات وملتقى الفكر العربى» والذى سيناقش موقف العالم العربى والإسلامى من الإرهاب حتى تتضح الحقائق والمفاهيم الصحيحة التى يغفلها البعض عند حديثهم عن العرب والمسلمين كما أعرب سموه

فضيلة الإمام الأكبر في عام ١٩٨٨ أيضاً، وأن عدد المسلمين في ولاية كشنة تصل نسبته إلى ٩٩,٩٪ والجامعة الإسلامية بكشنة تختص بالمسلمين وتشتمل على مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي ومخصصة للتعليم الإسلامي لتربية النشء على تعلم اللغة العربية والتمسك بالإسلام بعد أن أثر الاستعمار الإنجليزي وحاول طمس اللغة العربية والإسلام في الولاية.

ويستقبل مدير المركز الإسلامي بأمريكا الشمالية

● استقبال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / على أبو عكوك مدير المركز الإسلامي بأمريكا الشمالية يرافقه الدكتور / بى / دى جون المدير الاقليمي لاتحاد الهيئات المسيحية الأمريكية الهندية بأمريكا الشمالية حيث أبدى الضيفان سعادتهما بكلمات فضيلة الإمام الأكبر على أثر أحداث ١١ سبتمبر وموقف الأزهر من تلك الأحداث، وما كان لها من أثر ايجابى مهم لدى حكومة وشعب أمريكا، كما تم مناقشة الاضطهاد للأقليات سواء للمسلمين أو المسيحيين أو لغيرهم، أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن شريعة الإسلام ضد الاضطهاد للأقليات سواء كان ذلك فى الشرق أم فى الغرب وسواء أكان فى الشمال أو الجنوب لأن ذلك يتنافى مع العدالة الاجتماعية والشريعة الإسلامية تدعو إلى السماحة، وإلى الوسطية وإلى اليسر، وتنبذ العدوان، والاضطهاد بكل أشكاله وصوره.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الزيارات مع دولة إيران الشقيقة، ومنذ فترة قصيرة زار إيران فد من الأزهر على مستوى عال برياسة فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وكانت زيارة ناجحة وفعالة، وقال فضيلته إنه زار دولة أذربيجان حين كان مفتياً لمصر من عشر سنوات والتقى بعدد من المسؤولين بالعاصمة، وزار بعض الأماكن الدينية، كما زار سماحة شيخ الإسلام هناك كما عقد عدة اجتماعات ولقاءات مع المسؤولين.

الإمام الأكبر يستقبل قاضى قضاة نيجيريا

● استقبال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الحاج مسى دان لادى قاضى قضاة ولاية كشنة النيجيرية والحاج ثانى أبو بكر السكرتير العام لجامعة كشنة وعضو المجمع الإسلامى بنيجيريا وقد رحب فضيلته بالضيفين وأوضح أن صلة الأزهر الشريف بدولة نيجيريا صلة قوية ووثيقة وقديمة، وللازهر الشريف علماء فى دولتهم يتعاونون من أجل نشر العلم النافع وتثقيف أبناء نيجيريا وتعليمهم، كما يستقبل الأزهر الشريف طلاباً للدراسة بالأزهر على منح يتلقون العلم بجانب إخوانهم المصريين وقيموهم فى مدينة البعوث الإسلامية، وقال فضيلته: إن الأزهر على استعداد لتقديم العون والمساعدة للجامعة الإسلامية سواء بالكتب أو المناهج أو المدرسين، وأضاف فضيلته أن الأزهر يرحب بتعليم اللغات المختلفة بجانب اللغة العربية حتى يمكن قراءة القرآن وفهمه.

وقد أعرب الضيفان عن سعادتهما بلقاء

الفهرس

- عبد الفطر في موكب التاريخ (الافتتاحية) ١٦٥٠
 ● للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٦٥٠
 ● تفسير سورة البقرة ١٦٥٦
 ● لفضيلة الإمام الأكبر ١٦٦٤
 ● البحث على العمل وقوة العزيمة ١٦٦٩
 ● التحضر أولاً.. والبداءة عند الضرورة ١٦٦٩
 ● للأستاذ/ عبدالله على الزيدى ١٦٧٢
 ● جمع القرآن وتدوينه ١٦٧٨
 ● للشيخ/ صديق بكر عيطة ١٦٨٧
 ● محمد ﷺ في كتابات المستشرقين ١٦٩٢
 ● للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٦٩٧
 ● الفرق بالجاني من خلق النبي ﷺ ١٧٠٠
 ● للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى ١٧٠٧
 ● الدين والحضارة ١٧١١
 ● للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٧١٦
 ● الأمة مصدر السلطات ١٧٢٠
 ● لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفراف ١٧٢٧
 ● مسئولية الزوجة عن استقرار البيت ١٧٣٨
 ● للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ١٧٤٢
 ● رمضان في بلاد الأمريكان ١٧٤٢
 ● لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٧٤٢
 ● قضية وكنايان.. بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق ١٧٤٢
 ● للدكتور/ محمد عمارة ١٧٤٢
 ● الدكتور محمد السعدى فرهود مفسراً ١٧٤٢
 ● للدكتور/ رضا عبدالمجيد المتولى ١٧٤٢
 ● فى نقد سيرة ابن اسحاق/ ابن هشام ١٧٤٢
 ● للدكتور/ محمود على مراد ١٧٤٢
 ● ماهية الحروب الصليبية ١٧٤٢
 ● عرض وتقديم الدكتور/ إبراهيم عوضين ١٧٤٢
 ● صفحات من تاريخ الإبداع الأدبى ١٧٣٨
 ● عرض وتقديم الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٧٣٨
 ● القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة ١٧٤٢
 ● للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٧٤٢
- أم عربية تضجى ١٧٤٦
 ● للكاتب السوري خليل هنداوى ١٧٤٦
 ● القيم فى عصر المعلومات ١٧٥٠
 ● للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٧٥٤
 ● الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم ١٧٥٩
 ● للدكتور/ السيد الجملى ١٧٦٦
 ● عكرمة بن أبى جهل ١٧٧٣
 ● للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٧٧٧
 ● غدر اليهود (قصيدة) ١٧٨٠
 ● للشاعر الكبير/ أحمد محرم ١٧٨٢
 ● العصر الذهبى للصهيونية ١٧٨٢
 ● للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٧٨٦
 ● الأزهر.. الجامعة الإسلامية الكبرى ١٧٩٠
 ● للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ١٧٩٤
 ● طرائف.. ومواقف ١٧٩٤
 ● للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٨٠١
 ● مكتبة مكة المكرمة.. المولد النبوى ١٨٠٥
 ● للأستاذ/ عبدالسلام ناصف ١٨٠٩
 ● فى وداع رمضان ١٨١٥
 ● للأستاذ/ مجدى بشير ١٨١٥
 ● خطبة الجمعة: حرب على الإسلام ١٨١٥
 ● لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٨١٥
 ● استفتاءات القراء ١٨١٥
 ● إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس ١٨١٥
 ● رسالة.. و..رد ١٨١٥
 ● لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٨١٥
 ● رمضان والتحديات المعاصرة ١٨١٥
 ● للأستاذ/ إسماعيل أبو الهيثم ١٨١٥
 ● بين الصحف والمجلات ١٨١٥
 ● إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١٨١٥
 ● بين المجلة والقارىء ١٨٠٩
 ● للأستاذ/ عادل خفاجة ١٨١٥
 ● أنباء العالم الإسلامى ١٨١٥
 ● للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٨١٥
 ● أنباء مكتب الإمام الأكبر ١٨١٨
 ● لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ١٨١٨



الأهرام

مجلة شهرية جامعية
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
ومصدر العدد الأول في المرمم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي
مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي
سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢/ نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر

- رحلات الحج من مصادر التاريخ

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

- الموقف الإسلامي من الحضارات غير الإسلامية

للدكتور / محمد عمارة

- الإسلام ومشكلة الفقر

للأستاذ الدكتور / محمد شوقي الفنجري

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

٨٥٧٦٢٠٠ - ٥٧٨٦١٠٠

ذو القعدة ١٤٢٢هـ - فبراير ٢٠٠٢م - الجزء الحادي عشر - السنة الرابعة والسبعون

رحلات الحج

من يقرأ كتب الرحلات التي ألفها الجغرافيون والمسافرون إلى شتى الأقطار الإسلامية يجد أن الحج كان من أهم البواعث على الرحلة، لأن المسلم في كل مكان من بقاع الإسلام يتوق إلى أداء هذه الفريضة التي تعد من أركان الإسلام، فهو يعمل على تحقيقها من شبابه الأول حتى إذا اكتملت له أدوات الرحلة بادر من أقصى المكان إلى زيارة بيت الله الحرام، وفي هؤلاء من رزقه الله نعمة الكتابة والتأليف فيجد من نفسه دافعا إلى تسطير انطباعاته الشخصية فيما يشاهد من الممالك ويرى من الأحداث، ويعاين من الآثار، فإذا جاء الرحالة من الأندلس مثلاً فإنه يبدأ بتسجيل مشاهدته من أول نقلة ينتقلها، فيمر بالمغرب واصفاً محللاً، ويشاهد الصحراء الغربية، ومنها إلى مصر ومنها إلى البحر الأحمر حتى يسعد برؤية الحجاز، فتتملىء خواطره بذكريات الإسلام في مشرقه الزاهر، ويرسم انطباعاته حول الربوع الطاهرة التي سعدت بوجود رسول الله وصحابته الأكرمين، وتفيض خواطره في هذا المكان بالذات على نحو متسع لم يعهد فيما ذكره من قبل ومن بعد، فيكون الحج مصدراً من مصادر التأليف العلمي النافع، وكثير من هؤلاء تدفعهم الرغبة العلمية إلى استطلاع سائر الأماكن الإسلامية فلا يرجعون إلى بلادهم قبل أن يواصلوا الرحلة في كل اتجاه، ومنهم من يمتد به السير إلى أوروبا بعد أن يزور الصين، ثم يعود وقد قدم للقرءاء على تعاقب الأحقاب تاريخاً واقعياً لم يكن ليدون، لولا رحلة الحج المباركة، فإذا قلنا: إن رحلة الحج كانت مصدر ثراء فكري للمكتبة العربية والإسلامية في شتى لغاتها - فلسنا بمبالغين، ومحاولة رصد كل الرحلات التي كان الباعث عليها حج بيت الله الحرام تحتاج إلى كتاب مستقل لا إلى مقال في مجلة، لذلك سأقتصر في هذا المجال على الحديث عن ثلاثة من كبار الرحالة هم: ناصر خسرو، وابن جبیر وابن بطوطة، تاركاً لغيري أن يتجه إلى سواهم من الرحالين.

من مصادر التاريخ

رحلة ابن جبير

في
مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية

محمد بن أحمد بن جبير

سفرنامه

(رحلة ناصر خسرو)

تحفة النظار

في
غرائب الأقطار وعجائب الأسفار

(رحلة ابن بطوطة)

أبو عبد الله محمد بن بطوطة

ناصر خسرو

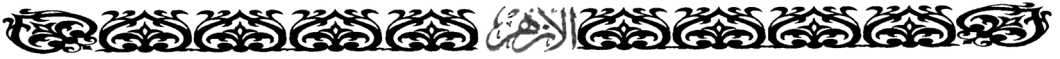
إذا أسرف الإنسان في لذته وتهالك على الشهوات، فإنه يستشعر ندماً لا ذعاً يدفعه إلى التوبة، ومن مظاهر التوبة لدى النادمين السعي لحج بيت الله الحرام، وافتتاح صفحة جديدة من صفحات الحياة تبرا من الآثام، وكان صاحبها يردد قول أبي نواس :

ولقد نهزتُ مع الغرابة بذلهم

وأسمتُ سرحَ اللهو حيث أساموا

وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه

فإذا عصارة كل ذاك أثم



وكذلك كان الرحالة الفارسي ناصر خسرو، فقد ولد في أواخر القرن الرابع بإحدى مدن بلخ، ووجد من نفسه دافعاً للرحلة فقام بأسفار شملت أكثر بقاع العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، واستقر في منصب كبير من مناصب الدولة السلجوقية هائماً في ملذاته اللاهية، ثم رأى في منامه - كما ذكر في رحلته - شيخاً وقوراً يدعوهُ إلى الكف عن الهنات الخلقية الآثمة، وأن يبادر بالسير إلى مكة حاجاً بيت الله الحرام، ويظهر أن هذه الرؤيا جاءت وليدة إحساس مكتوم بالندم قد اعتمل في خاطره فشغل نفسه متيقظاً، فلما حان نومه كان الحلم تعبيراً واضحاً عن هذه العواطف المكظومة، فبادر بتلبية الدعوة، وأم بيت الله، وقد رأى من أحوال المسلمين في الجزيرة العربية ما دفعه إلى استقصاء هذه الأحوال عن آخرين في الدول المختلفة فلم يلبث بعد عودته إلى وطنه أن غادر إيران إلى مصر وقد وصفها وصفاً دقيقاً كان المرجع الحضاري لكل من كتب عن حضارة الفاطميين، لأنه كان ذا ولع بوصف مظاهر العمران والتقدم العلمي، والحالة الاجتماعية، وهذا ما لا يوجد بالدقة المستقصية في كتب المؤرخين من معاصريه على النحو الذي جذب نظره، فقد يكون حديث المؤرخين كافياً في تصوير الوضع السياسي، ولكنه يحتاج إلى تكملة نجدها لدى ناصر خسرو، لذلك اعتمد عليه مؤرخو الحضارة اعتماداً أساسياً وترجموا رحلته إلى شتى اللغات، فإذا تركنا حديث الرحالة عن مصر إلى حديثه عن الجزيرة العربية فإنه كان ذا بصر تام بالعلائق الاجتماعية بالذات، ومن أطرف ما ذكره في هذا النطاق حديثه عن إقليم «الإحساء» إذ وجد أهله في مستوى رائع من التكافل الاجتماعي، والتعاون الإنساني، ومن مظاهر ذلك ما لاحظته من العطف التام على الفقير، فإذا أعسر أحد السكان أقرضه جيرانه ما يستعين به على إنعاش حياته، وأمهلوه حتى يكسب وينتعث فيؤدي المبلغ، دون ربح ما، لأن المساعدة الإنسانية هي الأصل، والإسلام يحرم الربا، هذا بالنسبة للمواطن الذي ينتمي إلى الإحساء، أما الغريب الوافد الذي يحسن بعض الحرف، ولا يجد المال الذي يعينه على شراء الأدوات وتأجير المكان فإنه يقترض فوراً مبلغاً من المال يستعين به على تدبير أحواله الكسبية، وإذا تهدمت دار، أو متجر، وعجز المالك عن إصلاح ما انهار، فإن القوم يسارعون إلى إعانتته، وبالإحساء مطاحن تطحن القمح بالمجان!

وبعض من كتبوا عن هذه المروءات التي سطرها ناصر خسرو عن الإحسائيين يقول: إن هذه الروح قد عمت القوم بتأثير بعض القراءات في كتب فارس، وتلك





لعمري مهزلة المهازل حقا، لأن شريعة الإسلام بما تضمنت من آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم، وسير الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان قد دعت إلى التعاون الأخوى والتكافل الإنساني، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، فكيف نترك دين القوم وتاريخ نبيهم وتعاليم فقهاءهم ثم نبحت عن مصدر فارسي قديم؟! أليست هذه مهزلة حقا!!

ابن جبير

أما ابن جبير الأندلسي، فقد حج بيت الله ثلاث مرات، وأتيح له أن يتتلمذ على علماء الحرم بعد أن تتلمذ على علماء الأندلس، وقد جعل حجه الثالث كفارة عن ذنب أرغم على ارتكابه إذ حضر مجلس صاحب غرناطة، فقدم إليه الكأس، فلم يقبل، فتشدد الحاكم وحلف عليه ليشرب سبعا!! فاضطر مكرها، وعزم على أن يكفر عن ذنبه بزيارة بيت الله الحرام ملتتمسا غفران ما تقدم من ذنبه، وكانت رحلاته إلى بيت الله مصدر نفع علمي مؤكد لأنها أتاح له أن يصف كل ما شاهد فيما زاره من بقاع العالم الإسلامي.

وأقصر حديثي عنه على ما ذكره من احتفال مكة المكرمة بشهر رمضان المبارك، إذ كتب في هذا المجال ما بقي سجلا خالدا لبعض مشاهد رمضان في أطهر مكان، إذ ما تأتي الليلة الأولى حتى يتلأل الحرم الشريف بالضياء، ويتفرق أئمة المذاهب الفقهية من شافعية ومالكية وحنفية وحنابلة في أماكن خاصة بهم، لتأدية صلاة التراويح خلف أتباعهم - هكذا كان في ذلك العصر - وقد لاحظ ابن جبير أن كثيرا من أتباع «مالك» الموسرين قد حجوا عند مقدمه، فجلبوا لإمام المالكية شمعا كثيرا، ومن أكبره شمعتان كبيرتان نصبتا في الحرم كأنهما قمران ساطعان، وليس في البيت العتيق مكان يخلو من قارئ يصلي في جماعة، فيرتج المسجد بأصوات القراءة.

وقد جرت العادة - في أيام ابن جبير - على أن يختم القرآن كل ليلة من ليالي العشر الأواخر من رمضان طفل ممن حفظوا كتاب الله في هذا العام، وقد شاهد الرحالة أحد أبناء ذوى اليسار من المكيين في احتفال ختمة القرآن فشاهد ثريات وضيئة من الشمع على هيئة الغصون وقد انتظمت فيها أنواع الفواكه من رطبة ويابسة، وأعد لها من الشمع ما يفوق العد، ثم وضع وسط الحرم محراب أقيم على أربعة أعمدة تتدلى منه المصابيح المضيئة، وتحاط دائرته بمسامير مدببة الأطراف



ليغرز فيها الشمع فتتوزع الأنوار على نحو بديع، ويأتي الطفل الذي حفظ القرآن، فيصلي التراويح بالناس، ثم يصعد إلى المنبر، ويجلس بين يديه بعض القراء، يتلون كتاب الله، فإذا فرغوا من التلاوة نهض فألقى خطبة واعظة، وبين يديه قوم يحملون الشمع الموقد، وتتصاعد أصواتهم بالدعاء، ووالد الطفل وأسرته في ابتهاج وسرور، ويتكرر هذا المشهد في كل ليلة من الليالي العشر على يد طفل جديد، فإذا كانت ليلة القدر زاد الاحتفال بهاء ورونقا لأن القاضى فى هذه الليلة هو الذى يؤم الناس جميعا، ثم يلقي عظة بليغة بعد انتهاء صلاة القيام.

هذا عن رمضان أما مشاهد الحج فى ذى الحجة فقد أبدع ابن جبير فى وصفها، بما نجاهه عند سواه أيضا، ولكنه انفرد بذكر اهتمام الحجاج من كل مكان بالدعاء لله كى ينصر المسلمين فى الحروب الصليبية وقد لاحظ الرحالة أن الخطيب فى الحرم إذا ذكر اسم صلاح الدين الأيوبي ضجت الأصوات بالتأمين على دعائه، وخفقت القلوب لذكره، لأن أهوال الحرب فى البلاد العربية كانت شغل الحجاج الشاغل إذ ذاك، وبعضهم قد صادف أهوالا كثيرة فى رحلته إلى بيت الله، حينما أخذت بعض السفن الصليبية تتعرض للمسافرين، وتأتى النجذات لنصرتهم من المهاجمين.

ابن بطوطة

تكاد تكون رحلة ابن بطوطة أشهر الرحلات العربية جميعها، لأن صاحبها قد طاف أكثر مما طاف غيره، وكان ذا عين لاقطة وعقل مفكر، بحيث يخضع كل ما تشاهده عينه اللاقطة إلى بؤرة تفكيره فيأتى بالتعليل الصائب، ولا نطالبه بأكثر مما ينتظر منه فى مثل عصره، لأن بعض الكتّاب يوازنون بينه وبين المرتحلين فى هذا العصر الحاضر فيجحفون به تمام الإجحاف وقد اتفق فى كثير مما كتبه مع من سبقه من الرحالة وبخاصة ابن جبير، حتى عده بعضهم مؤلفا: ناقلا لا مشاهدا، وهذا ابن كبير، لأن التطور الزمنى كان بطيئا فى الأجيال السابقة، فرمما شاهد ابن بطوطة ما سبق أن شاهد سواه فنقله كما رآه، وظنه بعض الناس يأخذ من سواه، هذا إلى أن ابن بطوطة لم يدون رحلته بقلمه، لأن السلطان المرينى قد وكل به (ابن جزى) ليسمع ما يرويه ويكتبه عنه، وقد اعترف (ابن جزى) أنه زاد بعض الصفحات تكملة للموضوع من رحلات السابقين، وما كان له أن يفعل ذلك، ولكن هذا ما كان.



وحديث ابن بطوطة عن مشاهد الحج متسع فياح، كدأبه في حديثه عن كل موضع يحظى باهتمامه وأى مكان أدعى للاهتمام من مكة وأى مشهد أروع من مشاهد الحج!! لقد وصف الرحالة مكة بجبالها وأبوابها وبطحاتها وشوارعها، وخص المسجد الحرام بوصف بارع، حيث حدد طوله وعرضه وارتفاع حيطانه، وأعمدته التي ترتكز عليها السقوف، وأبدع في وصف الكعبة الشريفة والميزاب والحجر الأسود، والمقام الكريم بين الكعبة والركن العراقي، والحجر وزمزم المباركة وأبواب المسجد الحرام وصوامعه، وما حول الحرم الشريف من منازل وجبال وسطوح، كما ألم ببعض المشاهد خارج مكة كالحجون والمحصب وذى طوى، وثنية كداء والتنعيم، وقال عن أهل مكة:

«ولأهل مكة الأفعال الجميلة، والمكارم التامة، والإتيار للضعفاء والمنقطعين، وحسن الجوار، ومن مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم وليمة، يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين، ويستدعيهم بتلطف ورفق، وحسن خلق ثم يطعمهم» وأفاض في ذلك بما يذكرنا بحديث (ناصر خسرو) عن أهل الإحساء وقد سبق.

وفى تفصيل شعائر الحج أفاض ابن بطوطة في شرح ما يكون عند ابتداء شهر ذى الحجة حيث تضرب الطبول في أوقات الصلوات بكرة وعشية إشعاراً بالموسم المبارك، ولاتزال كذلك حتى اليوم السابع، وهو اليوم الذى يصعد فيه خطيب الحرم المكي بعد صلاة الظهر ليلقى كلمة جامعة لكل مناسك الحج، وتقع المباهاة والمفاخرة بين أهل مصر والشام والعراق في إيقاد الشمع، ولكن الفضل في ذلك لأهل الشام دائماً، ويتابع ابن بطوطة حديثه عن الرحلة إلى منى، فعرفات، فوادي المحسر، وهو الحد ما بين مزدلفة ومنى، وقد وصف ما شاهده في عامه هذا من كبار الحجاج وزوجاتهم وصفا صادقاً خالياً من التزويق، لأن بلاغة الصدق وحدها تغنى عن شطحات الخيال.

خاتمة

هذا مطاف موجز ببعض ما أوحى به رحلات الحج الى الكُتّاب، فأضافوا بما سجلوه تاريخاً يقرأ عبر الأجيال، ولولا الحج ما كتبت هذه المؤلفات الخالدة، ولدينا في العصر الحديث مؤلفات رائعة عن هذه الرحلة الخالدة قد نعود إليها مؤكدين أن الحج إذا كان مصدر خير ديني فهو ينبوع ثقافة متصلة، ومورد علم غزير.

د. محمد رجب البيومي

تَقْسِيمُ سِتْرَةِ الْبَقَرَةِ

فضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى - :

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِتَعْنُدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ
يَعْظُمُ بِهِ عَوَاقِبُ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾
وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ
أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٣١ - ٢٣٢

بعد أن بين
سبحانه في الآية
السابقة أن الزوج
مخير بين
الإمساك
والتسريح في
مدة العدة عقب
ذلك ببيان أن
هذا التخير من
حقه حتى آخر
وقت في العدة،
وذلك لتذكيره
بأن الإمساك
أفضل من
التسريح وأن
عليه ألا يلجأ إلى

الطلاق إلا إذا سدت طرق الإصلاح والمعالجة.

وأنه إذا اختار الطلاق فعليه أن يسلك فيه طريق الحق والعدل لا طريق الباطل والجور.



قال الراغب: الأجل: المدة المضروبة للشئ
قال- تعالى:-

﴿لَتَبْلُغُوا أَجَلَ مُسَمًّى﴾ - أى مدة معينة -
والبلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى المقصد
والمنتهى مكانا كان أو زماناً أو أمراً من الأمور
المقدرة، وربما يعبر به عن المشاركة عليه وإن لم
ينته. فمن الانتهاء قوله- تعالى:-

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۚ ۞﴾

وأما قوله:

﴿فَلَنَنْ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ﴾

فللمشاركة فإنها إذا انتهت إلى أقصى الأجل لا
يصح للزوج مراجعتها وإمساكها.

والمراد بالأجل هنا عدة المرأة. وبلوغها قرب
انتهائها.

والضرار- كما يقول الرازى- هو المضارة.
قال- تعالى:-

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ۚ﴾

أى «اتخذوا المسجد ضرراً ليضاروا المؤمنين،
ومعناه يرجع إلى إثارة العداوة، وإزالة الألفة،
وإيقاع الوحشة، وموجبات النفرة».

والمعنى: وإذا طلقتم -أيها المؤمنون- نساءكم
طلاقاً رجعيًا، ﴿فَلَنَنْ أَجْلُهُنَّ﴾ أى فشارفت
عدتهن على الانتهاء، وقاربت الانقضاء، فعليكم
أن تتدبروا ملياً فى أمركم، فإن رأيتم الأصلح فى
بقائهن معكم فنفذوا ذلك وأمسكوهن بمعروف،
أى بما هو المعروف من شرع الله الحكيم، وبما تفره

الأخلاق الحسنة والعقول السليمة، وإن رأيتم أنه
لا رغبة لكم فى البقاء معهم فسرحوهم بمعروف
أى فأمضوا الطلاق، وتفارقوا بالطريقة التى
يرضاها الحق - سبحانه - بأن تؤدوا لهن حقوقهن،
ولا تذكرهن بسوء بعد انفصالكم عنهن، فهذا
شأن الأتقياء الصالحين فقد سئل بعضهم، لم
طلقت امرأتك؟ فقال: إن العاقل لا يذكر ما بينه
وبين أهله.

قال القرطبى: «معنى ﴿فَلَنَنْ﴾ قاربين

بإجماع من العلماء، ولأن المعنى يضطر إلى ذلك،
لأنه بعد بلوغ الأجل لا خيار له فى الإمساك، وهو
فى الآية التى بعدها بمعنى الانتهاء، لأن المعنى
يقتضى ذلك، فهو حقيقة فى الثانية، مجاز فى
الأولى - أى التى معنا -».

ثم نهى - سبحانه - عن الإمساك الذى يكون
معه الضرر فقال:

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ﴾

أى لا تراجعوهن إرادة الضرر بهن والإيذاء لهن
لتعتدوا عليهن، والجملة الكريمة تأكيد للأمر
بالإمساك بمعروف، وتوضيح لمعناه، وزجر صريح
عما كان يفعله بعضهم من مراجعته لامرأته قبل
انتهاء عدتها لا لقصد الإبقاء على الزوجية إنما
القصد إطالة عدة الزوجة، أو لقصد أن تفتدى
نفسها منه بالمال: و ﴿ضِرَارًا﴾ منصوب على
الحال فى تمسكوهن أو على أنه مفعول لأجله.
واللام فى قوله: ﴿لِّتَعْتَدُوا﴾ هى لام العاقبة أى
لتكون عاقبة أمركم الاعتداء.



وحذف متعلق «لتعتدوا» ليتناول الاعتداء عليهن وعلى أحكام الله - تعالى - .
وقوله:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

وعيد شديد لمن يقدم على ما نهى الله عنه .
أى: ومن يراجع مطلقة بقصد الإضرار بها والاعتداء عليها فقد ظلم نفسه ظلماً مؤكداً، لأنه سيعرضها لعقاب الله وسخط الناس .

وجعل ظلمهم لنساءهم ظلماً لأنفسهم، لأن عملهم هذا سيؤدى إلى اختلال المعاشرة الزوجية واضطرابها، وشيوع العداوة والبغضاء بين الزوجين وبين أهلها . ثم كرر - سبحانه - تحذير المخالفين لشريعته، وذكرهم بالولان نعمه عليهم ليستجيبوا لأمره فقال:

﴿وَلَا تَنْخِذُواْ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُوَ وَادْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾.

آيات الله: أحكامه التى شرعها فى شأن الطلاق وغيره .

والهزة - بضمتين - مصدر هزأ به إذا سخر ولعب وهو هنا مصدر بمعنى اسم المفعول أى:

مهزوءاً بها . وقوله: ﴿هُزُوءٌ﴾ مفعول ثانٍ لتتخذوا .

والمراد بالحكمة هنا . السنة النبوية المطهرة .

والموعظة والعظة: النصيحة والتذكير بالخير . بما يرقق القلوب، ويحذر النفوس مما نهى الله عنه .

أى: ولا تتخذوا - أيها الناس - آيات الله التى شرعها لكم فى شأن الطلاق وغيره مهزوءاً بها بأن تعرضوا عنها، وتتهاونوا فى المحافظة عليها، والتمسك بتعاليمها، ومن مظاهر ذلك أن بعض الناس كان يكثر من التلفظ بالطلاق متوهماً أن ذلك لا يضر، أو كان يتخذ المراجعة وسيلة لإيذاء المرأة .

قال القرطبي: وفى موطأ مالك أنه بلغه أن رجلاً قال لابن عباس: «إني طلقت امرأتى مائة مرة فماذا ترى على؟ فقال ابن عباس: طلقت منك بثلاث، وسبع وتسعون اتخذت بها آيات الله هزواً»^(١).

والجملة الكريمة نهى أريد به الأمر بضده، أى جدوا فى العمل بأوامر الله وآياته، وارعوها حق رعايتها .

وقوله: ﴿وَادْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ . الخ

أى تذكروها فى هدايتكم إلى الإسلام، وفى مشروعية الزوجية وفى غير ذلك مما لا يحصى من النعم وتدبروا نعم الله عليكم فقابلوها بالشكر، واستعملوها فيما خلقت له، وتذكروا كذلك ما أنزل الله عليكم بواسطة رسولكم محمد ﷺ من الكتاب وهو القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم، ومن الحكمة وهى السنة النبوية المطهرة، بما جاء فيهما من توجيهات سامية، وآداب عالية .

و«ما» فى قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ﴾ موصولة والعائد محذوف أى ما أنزله و«من» فى

(١) تفسير القرطبي ج ٣ ص ١٥٦ .



قال القرطبي: «تعصلوهم معناه تحبسوهن، ودجاجة معضل، أى: قد احتبس بيضها، وقيل: العضل التضيق والمنع وهو راجع إلى معنى الحبس. يقال: أعضل الأمر: إذا ضاقت عليك فيه الحيل. قال الأزهري: وأصل العضل من قولهم: عضلت الناقصة إذا نشب ولدها فلم يسهل خروجه. ويقال أعضل الأمر إذا اشتد، وداء عضال أى شديد عسر البرء أعيا الأطباء...» (٢)

والمعنى: وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أى: انقضت عدتهن وخلت الموانع من زواجهن، فلا تمنعهن من الزواج بمن يردن الزواج به، متى حصل التراضى بين الأزواج والزوجات على ما يحسن فى الدين، وتقره العقول السليمة، ويجرى به العرف الحسن.

والمراد ببلوغ الأجل هنا بلوغ أقصى العدة، بخلاف البلوغ فى الآية التى قبل هذه، فإن المراد به المشاركة والمقاربة كما أشرنا من قبل لأن المعنى يحتم ذلك، والخطاب هنا للأزواج وللأولياء أو لكل من له تأثير على المرأة المطلقة، وذلك لأن منع الزوجة من الزواج بعد انقضاء عدتها قد يكون من جانب الزوج السابق، لاسيما إذا كان صاحب جاه وسلطان وسطوة، فإنه يعز عليه أن يتزوج مطلقة أحد بعده فيمنعها من الزواج.

وقد يكون المنع من جانب الأولياء، وقد أورد المفسرون آثارا تشهد لذلك منها - كما يقول الآلوسى - ما أخرجه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه وأبو داود من طرق شتى عن معقل بن

قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ بيانية، وجملة ﴿يَعْظُمُ بِهِ﴾ حال من فاعل أنزل أو من مفعوله، والضمير فى ﴿بِهِ﴾ ويعود على الكتاب والحكمة بعد تأويلهما بالمذكور. وجعل ضميرهما واحدا لانهما فى مؤداهما وغايتهما شئ واحد، فالسنة ليست نابعة إلا من الكتاب ومنه أخذت قوتها وسلطانها. وقوله - سبحانه -: فى ختام الآية:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
تذكير لهم بتقوى الله وخشيته ومراقبته، وتحذير لهم من مخالفة أمره.

أى: صونوا أنفسكم عن كل ما يغضب الله - تعالى - فيما يتعلق بأمور الزوجية وفى غيرها مما شرعه لكم، واعلموا أنه - سبحانه - عليم بكل شئ، عليم بما تسرونه وما تعلنونه، وسيحاسب كل إنسان بما قدمت يدها:

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾
ثم بين - سبحانه - ما ينبغى اتباعه عند حصول الطلاق وإمضائه حتى لا يقع ظلم أو جور فقال - تعالى -:

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾

(٢) تفسير القرطبي ج٣ ص ١٥٩.



هو نعت لمصدر محذوف أى تراضيا كائنا بالمعروف أو هو متعلق بتراضوا. أى تراضوا بما يحسن فى الدين والمروءة، وفيه إشعار بأن المنع من التزوج بغير كفاء أو بما دون مهر المثل ليس من العضل المنهى عنه.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله :

﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ ۖ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ
ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۖ ﴾

أى : ذلك القول الحكيم، والتوجيه الكريم المشتمل على أفضل الأحكام وأسمأها يوعظ به، ويستجيب له من كان منكم عميق الإيمان بالله - تعالى - وبثوابه وبعقابه يوم القيامة. ذلكم الذى شرعه الله لكم - أيها المؤمنون - من ترك عضل النساء والإضرار بهن وغير ذلك من الأحكام ﴿ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ أى أعظم بركة ونفعاً، وأكثر تطهيراً من دنس الآثام، فإن المرأة إذا عوملت معاملة كريمة، ولم تظلم فى رغباتها المشروعة، التزمت فى سلوكها العفاف والخلق الشريف، أما إذا شعرت بالظلم والامتهان فإن هذا الشعور قد يدفعها إلى ارتكاب ما نهى الله عنه. والله - تعالى - يعلم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم، وأنتم لا تعلمون ذلك، فامثلوا ما أمركم به واجتنبوا ما نهاكم عنه تفوزوا وتسعدوا.

والإشارة بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى ما فصل من أحكام وما أمر به من أفعال والخطاب لكل من يصلح للخطاب من المكلفين.

يسار قال : « كانت لى أخت فأتانى ابن عم لى فأنكحتها إياه، فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة، ولم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهوته ثم خطبها مع الخطاب. فقلت له : أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها ثم جئت تخطبها، والله لا ترجع إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فعلم الله - تعالى - حاجته إليها وحاجتها إلى بعلاها فأنزل هذه الآية. ففى نزلت فكفرت عن يمينى وأنكحتها إياه .. » (٣)

وعبر - سبحانه - عن الرجال الذين هم محل الرضا من النساء بالأزواج فقال :

﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ۖ ﴾

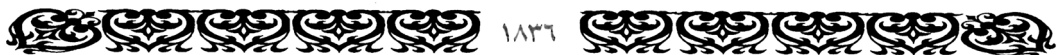
مع أن الزواج لم يتحقق بعد، للإشارة إلى الحقيقة المقررة الثابتة، وهى أن من يقع اختيارها عليه، ولم يكن اقترانها به فيه ما يشينها أو يشين أسرته، فمن الواجب ألا يمانع أحد فى إتمام هذا الزواج، بل على الجميع أن يقروه وينفذوه، لأن شريعة الله والفطرة الإنسانية يقضيان بذلك.

وقوله : ﴿ أَنْ يَنْكَحْنَ ﴾ تقديره : من أن ينكحن فهو فى محل جر عند الخليل والكسائى وفى محل نصب عند غيرهما، وقوله :

﴿ إِذَا تَرَضَوْا ﴾ ظرف لأن ينكحن أو لقوله :

﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾، وقوله : ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا، أو

(٣) تفسير الألوسى ج ١ ص ١٤٤.





مصلحة الزوجين، فإنه في الوقت نفسه قد وضع كثيرا من التعاليم التي يؤدي اتباعها إلى الإبقاء على الحياة الزوجية، وعلى قيامها على المودة والرحمة، ومن ذلك:

١- أنه أرشد أتباعه إلى أفضل السبل لاختيار الزوج، بأن جعل أساس الاختيار الدين والتقوى والخلق القويم، لأنه متى كان كل من الزوجين متحليا بالإيمان والتقوى، استقرت الحياة الزوجية بينهما، وقامت على المودة والرحمة وحسن المعاشرة.

٢- أنه أمر كلا الزوجين بأن يبذل كل واحد منهما قصارى جهده في أداء حق صاحبه، وإدخال السرور على نفسه، فإذا ما نجم خلاف بينهما فعليهما أن يعالجهما بالحكمة والعدل، وأن يجعلا الأناة والصبر رائدهما، فإن الحياة الزوجية بحكم استمرارها وتشابك مطالبها لا تخلو من اختلاف بين الزوجين.

٣- دعا الإسلام إلى إصلاح ما بين الزوجين إن ابتدأت العلاقة تسير في غير طريق المودة، فقال - تعالى -:

﴿وَإِنْ أَمْرُهُ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

كما دعا أولى الأمر أن يتدخلوا للإصلاح بين الزوجين عند نشوب الشقاق بينهما أو عند خوفه فقال - تعالى -:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ

بَيْنَهُمَا فَاغْلُظْوا كَلِمَاتٍ مِنْ أَهْلِهِمْ وَحُكْمًا مِنْ أَهْلِهِمْ

يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَا بَيْنَهُمَا نِصَابًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا

وخصص الوعظ بالمؤمنين لأنهم هم الذين ينتفعون به، وترق معه قلوبهم وتخشع له نفوسهم.

وأتى - سبحانه - بضمير الجمع ﴿ذَلِكَ﴾

بعد أن قال في صدر الجملة ﴿ذَلِكَ﴾ للإشارة إلى أن حماية المرأة من الهوان ومنع التضيق عليها في اختيار زوجها واجب على جميع المؤمنين، وأن فائدة ذلك ستعود عليهم جميعا ما دام هذا الاختيار في حدود الآداب التي جاء بها الإسلام. وقوله:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ رد على كل

معترض على تطبيق شريعة الله، أو متهاون في ذلك بدعوى أنها ليست صالحة للظروف التي يعيش ذلك المعترض أو هذا المتهاون فيها، لأن شرع الله فيه المنفع الدائم والمصلحة الحقيقية، والنتائج المرضية، لأنه شرع من يعلم كل شئ ولا يجهل شيئا، ويعلم ما هو الأنفع والأصلح للناس في كل زمان ومكان، ولم يشرع لهم - سبحانه - إلا ما فيه مصلحتهم ومنفعتهم، ومادام علم الله - تعالى - هو الكامل، وعلم الإنسان علم قاصر، فعلينا أن نتبع شرع الله في كل شئونا، ولنقل لأولئك المعترضين أو المتهاونين: سيروا معنا في طريق الحق فذلكم

﴿أَزَكَّى لَكُمْ وَطَهَّرَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

وبعد: فهذه خمس آيات قد تحدثت عن جملة من الأحكام التي تتعلق بالطلاق، وإذا كان الإسلام قد شرع الطلاق عند الضرورة التي تحتتمها





٤- نهى الإسلام عن إيقاع الطلاق على الزوجة في حال حيضها، أو في حال طهرها مباشرة فيه، لأن المرأة في هاتين الحالتين قد تكون على هيئة لاتجعل الرجل مشوقاً إليها.. وأباح له أن يوقع الطلاق في طهر لم يجامعها فيه، لأن إيقاعه في هذه الحالة يكون دليلاً على استحكام النفرة بينهما.

٥- نهى الإسلام عن الطلاق البات بالنسبة للمرأة المدخول بها، وأمر الزوج بأن يجعل طلاقه رجعيًا، وأعطاه فرصة طويلة تقرب من ثلاثة أشهر ليراجع خلالها نفسه، فإن وجد الخير في مراجعة زوجته راجعها بقصد الإصلاح واستمرار الحياة الزوجية، وإن وجد الخير في غير ذلك تركها حتى تنقضي عدتها وفارقها بالمعروف عملاً بقوله - تعالى -:

﴿فَإِمْسَاكِ الْمَعْرُوفِ أَوْ تَزَيِّجِيْهُ بِأَحْسَنِ﴾.

٦- جعل الإسلام الطلاق بيد الرجل، لأنه هو الذى وقعت عليه معظم أعباء الزواج، وهو الذى سيتحمل ما سببته على الطلاق من تكاليف، ولاشك أنه بمقتضى هذه التكاليف وبمقتضى حرصه على استقرار حياته، سيتأني ويتروى فلا يوقع الطلاق إلا إذا كان مضطراً إلى ذلك.

كما أن الإسلام أباح للمرأة أن تفتدى نفسها من زوجها، أو ترفع أمرها للقاضى

ليفرق بينها وبينه إذا تيقنت من استحالة استمرار الحالة الزوجية بينهما لأى سبب من الأسباب، وفي هذه الحال للقاضى أن يفرق بينهما إذا رأى أن المصلحة تقتضى ذلك.

٧- أباح الإسلام للرجل الذى طلق امرأته ثلاثاً أن يعود إليها من جديد، وذلك بعد طلاقها من رجل آخر يكون قد تزوجها زوجاً شرعياً وانقضت عدتها منه، وفي ذلك بما فيه من التأديب لهما، والتهديب لسلوكهما.

٨- وردت أحاديث متعددة تنهى عن إيقاع الطلاق إلا عند الضرورة وتتوعد المرأة التى تطلب من زوجها أن يطلقها بدون سبب معقول بالعذاب الشديد، ومن ذلك ما رواه أبو داود والترمذى عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «أما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس - أى من غير عذر شرعى أو سبب قوى - فحرام عليها رائحة الجنة»، وروى أبو داود وغيره عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»^(٤).

هذه بعض التشريعات التى وضعها الإسلام لصيانة الحياة الزوجية من التصدع والانهدام، ومنها نرى أن الإسلام وإن كان قد شرع الطلاق، إلا أنه لا يدعو إليه إلا إذا كانت مصلحة الزوجين أو أحدهما تقتضيه وتستلزمه.

﴿يتبع﴾

(٤) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٢ ص ٨٣.



في كتابات
المستشرقين

مُحَمَّدٌ ﷺ
صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

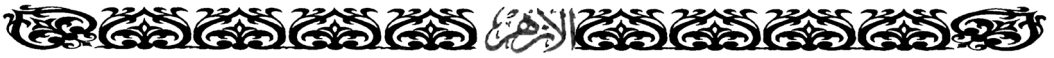
دعوى اقتباس القرآن من التوراة والإنجيل (٢)

للمؤلف الدكتور / عبد العظيم المطعني

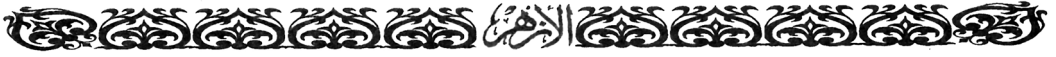
الحلقة
الأخيرة

أنه محال محال أن يكون القرآن مقتبسا من التوراة. هذا هو ما حكم به العقل، وحكم به الواقع. وفي هذه الحلقة نقارن بين نصين أحدهما من التوراة والآخر من الإنجيل، وبين نصين من القرآن الكريم يقابلان كلا من نصي التوراة والإنجيل، لنضيف يقينا بعد يقين في أن دعوى اقتباس القرآن من التوراة وحدها، أو منها ومن الإنجيل دعوى كاذبة في حكم العقل وحكم الواقع المحسوس.

في الحلقة الماضية أثبتنا كذب هذه الدعوى من خلال نصين: أحدهما من التوراة نتحدث فيه عن مشهد من مشاهد قصة يوسف - عليه السلام - والثاني من القرآن الكريم يتحدث عن المشهد نفسه، الذي تحدثت عنه التوراة. ثم قارنا بين «معطيات» التوراة في حديثها عن ذلك المشهد و«معطيات» القرآن الأمين عن ذلك المشهد الوارد في المصدرين معا. وقد تبين لنا من خلال المقارنة



حديث القرآن	حديث التوراة
﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِائِسٍ وَإِنَّمَا فَتُكُونَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَهُ أَخِيهِ قَالَ يُؤْتِلُنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَهُ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٤١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَ تَهُمَّ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٤٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤٣﴾ المائدة: (٢٧ - ٣٣)	وحدث بعد أيام أن قدم قابين من أثمار الأرض قرباناً للرب، و قدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه، ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قابين وقربانه لم ينظر، فاغتاز قابين جداً، وسقط وجهه فقال الرب لقابين: لماذا اغتظت؟ ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت أملاً رفع، وإن لم تحسن، فعند الباب خطية رابضة، وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها. وكلم قابين هابيل أخاه، وحدث إذا كانا في الحقل أن قابين قام على هابيل أخيه وقتله، فقال الرب لقابين: أين هابيل أخوك؟ فقال لا أعلم. أحارس أنا لأخي؟ فقال: ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض فالآن ملعون أنت، التي فتحت فاهها، لتقبل دم أخيك من يدك، متي عملت الأرض لاتعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض، فقال قابين للرب: ذنبي أعظم من أن يحتمل. إنك طردتني اليوم على وجه الأرض ومن وجهك اختفي، وأكون تائهاً وهارباً من الأرض، فيكون كل من وجدني يقتلني، فقال له الرب لذلك كل من قتل قابين فسبقه أضعاف ينتقم منه. وجعل الرب لقابين علامة لكي لا يقتله كل من وجده، فخرج قابين من لدن الرب، وسكن في أرض تود شرقى عدن». سفر التكوين الإصحاح الرابع [٣ - ١٦]



إلا في عنصرين من عناصر الواقعة المقصودة
فيهما:

● **العنصر الأول:** مسألة « القربان » الذي قدمه
الأخوان .

● **والثاني:** عنصر اعتداء أحد الأخوين على
الآخر بالقتل .

وإنصافا للحق نقول:

يمكن إضافة عنصر ثالث إلى الاتفاق بين
المصدرين ذلك العنصر هو ندم الإبن القاتل . ومع
هذا الاتفاق فان مورده في القرآن غير مورده في
التوراة، كما سيأتى .

أما فيما عدا ذلك، فإن القرآن يختلف تماما مع
ما ورد في التوراة .

ونستعين على بيان ذلك بالجدول الآتى :

هذان هما حديث التوراة وحديث القرآن،
وضعنا كلا منهما بإزاء الآخر، تيسيرا لنظر
القارىء فيهما ومحاولة المقارنة بينهما بغية
الوصول إلى نتيجة مهمة يتقدمها هذا السؤال .

هل حديث القرآن عن ولدى آدم صورة طبق
الأصل من حديث التوراة عنهما؟

إن كان الأمر كذلك صحت دعوى
المستشرقين أن القرآن مقتبس من التوراة وليس له
مصدر سماوى غيرها .

وإذا لم يكن حديث القرآن عن ولدى آدم
صورة طبق الأصل من حديث التوراة عنهما
فالدعوى كاذبة . إن نظرة واحدة تظهر للناظر فى
الحديثين : حديث التوراة، وحديث القرآن فى
الموضوع المشترك بينهما، أن الحديثين لم يتفقا

معطيات القرآن	معطيات التوراة
● القرآن لم يطلق أسماء على ابني آدم واكتفى بأنهما ابنان لآدم - عليه السلام - .	● التوراة تسمى أحد ابني آدم قابين، وهو القاتل، وتسمى الآخر هابيل، وهو المقتول .
● القرآن لم يحدد نوعى القربان بل اكتفى بذكرهما إجمالا .	● التوراة تحدد نوعية ما قدمه الابنان من قربانين .
● القرآن يخلو من ذكر هذا الحوار بين الابن القاتل والرب قبل القتل وبعده لا مباشرة ولا غير مباشر .	● التوراة تروى حوارا مباشرا بين الابن القاتل « قابين » وبين الرب، وأنه حدث مرتين: قبل القتل وبعده .
● القرآن يخبر أن القاتل أصبح من الخاسرين بعد قتله أخاه .	● التوراة تقول إن الرب طرد قابين ولعنه .
● القرآن يخلو من هذا العفو والتغليظ فى عقوبة من يعتدى على القاتل « قابين » أو من وضع علامة عليه تحذر من قتله .	● التوراة تصرح بأن الرب عفا عن قابين القاتل وحصن دمه، وغلظ عقوبه، من يعتدى عليه ووضع عليه علامة تحذر من قتله .



معطيات القرآن	معطيات التوراة
● لم يرد شيء من افكار الحوار الذى روته التوراة فى حديث القرآن الكريم، فضلا عن عبارة .. أحارس أنا لأخى؟ مع ما فيها من سوء أدب مع الله . ● القرآن يروى حوارا دار بين ابنى آدم، حوار موجز لكنه صور الواقعة مع مقدماتها تصويرا مقبولا . ● يغفل القرآن هذا الجانب تماما لأنه لا يضيف شيئا الى جوهر الواقعة . ● يجعل القرآن ندم ابن آدم القاتل نتيجة لإحساسه بقبح جريمته التى اقترفها، وهى قتل أخيه . ● يوظف القرآن الواقعة توظيفاً تربوياً وتشريعياً، ويهول من جريمة قتل النفس البريئة، ويجعلها بمثابة قتل جميع الناس، كما يعظم من فضل حماية النفس من الاعتداء عليها ويجعلها بمثابة إحياء الناس جميعاً ترغيباً فى صون الدماء .	● الحوار الذى روته التوراة احتوى على عدة أفكار ثانوية منها قول قابين للرب : أحارس أنا لأخى؟ ● التوراة خلت من الحوار الذى دار بين ابنى آدم، وحولته إلى حوار بين الرب، وبين ابن آدم القاتل . ● تحدد التوراة المكان الذى أوى إليه قابين بعد جريمته . ● تجعل التوراة ندم قابين نتيجة للعن الرب إياه، وطرده من وجه الأرض . ● أوردت التوراة الواقعة مجرد سرد لحادثة وقعت . ولم توظفها تربوياً، ولا تشريعياً . وفى روايتها عبارات غامضة، وأغرب ما فيها محاماة الله عن قابين .. المجرم، وصون دمه، وتغليظ عقوبة من يعتدى عليه .

هذا الحوار ليس له وجود فى التوراة فإذا كانت التوراة هى مصدر القرآن فى هذه الواقعة فأين نجد فى التوراة هذا الحوار الذى قصه القرآن بين الأخوين؟!

نعم فى رواية التوراة حوار بين قابين - على حد تعبيرها - وبين الرب، لكن القرآن عزف عنه، ولم يقم له وزنا، وعزوف القرآن عن ذكر الحوار التوراتى دليل آخر قاطع بأن للقرآن مصدرا خاصا به، حدد موقفه من التوراة ساميا عليها لا تابعا لها .

هذه هى المقارنة التامة بين الحديثين، ومن خلالها يتضح أن القرآن الكريم يكاد أن ينفرد بالحقائق التى ذكرت فيه ولم يرد لها ذكر فيها . وهذا يسلمنا إلى حقيقة غير قابلة للجدل بأى وجه، وهى:

محال عقلا أن يكون القرآن مقتبسا من التوراة، وإضافة إلى ما تقدم نقرر الحقائق الراسخة الآتية:

- أورد القرآن الأمين حوارا دار بين الأخوين، جاء فى نهايته قتل أحدهما الآخر .



● أورد القرآن الأمين قصة لم تعرفها التوراة قبل القرآن ولم يعرفها الإنجيل بعد التوراة.

وهى قصة «الغراب» الذى بعثه الله معلما ومرشدا لابن آدم القاتل، لينقذه من ورطته التى وقع فيها وهى حيرته أمام جثة أخيه «القتيل» كيف يصنع بها؟

ومرة أخرى: لو كانت التوراة هى مصدر القرآن فأين ذكر هذه القصة فى التوراة؟ أو فى الإنجيل، أو فى مصدر سابق على القرآن؟!

إن القاعدة العقلية «فاقد الشيء لا يعطيه» إذا حكمناها هنا صاحت قائلة، بملء فيها:

كاذب من يدعى أن القرآن مقتبس من التوراة.

وعند هذا الحد توقفت التوراة، لأنها بعد سرد ما تقدم انتقلت إلى الحديث عن حياة قابيل الزوجية، وتحدثت عن أنجب وعن أحفاده.^(١)

أما القرآن المدعى أنه رضيع التوراة فقد خطا خطوات إلى الإمام، ورتب على وقائع القصة أمورا ذات شأن عظيم مستثمرا لوقائع القصة فى بناء الأخلاق وحياطة الدماء وذلك خلال التشريعات الآتية:

أولاً: تفضيع قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق.

ثانياً: الحث والترغيب فى رعاية الحرمات.

ثالثاً: سن عقوبات لمن يحارب الله ورسوله، ويسعى فى الأرض فساداً:

أولها: التقتيل.

ثانيها: التصليب.

ثالثها: تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف.

رابعها: النفى من الأرض «التغريب أو الحبس».

هذا ما تفرد به القرآن عن التوراة، فإذا كان هذا هو عطاء القرآن، وأفقه الواسع، الذى استقى منه هذه الحقائق فكيف تصلح التوراة أن تكون أصلاً لما هو ذو سلطان أقوى من سلطانها وآفاق أرحب من آفاقها.

وصدق وصحة التوراة خلت منهما؟

والحق الذى لا محيد عنه، حتى فى حكم العقل، أن ما ورد فى التوراة لا يصلح - ولن يصلح - أن يكون أساساً لما ورد فى القرآن، مهما كانت نسبة التشابه فى عموميات ما ورد فى المصدرين.

ونكتفى بما تقدم فى نفى أن تكون التوراة هى مصدر القرآن وإن بقيت فى التوراة أمور كثيرة صالحة للاستدلال على نفى اقتباس القرآن من التوراة نكتفى به لأنه قدر صالح لإبطال دعوى المستشرقين، وأسأتدتهم المبشرين، أن القرآن مقتبس من التوراة.

وبقى علينا خوض هذه التجربة مع الإنجيل الذى بيد النصارى اليوم، لأن المستشرقين والمبشرين زعموا أن التوراة والإنجيل معا كانا أساسى القرآن ولولاهما ما كان القرآن.

(١) انظر التوراة، الإصحاح الرابع، الفقرات من (٧ إلى ٢٤).



الصورة الثالثة من الإنجيل والقرآن: «بشارة زكريا بن يحيى - عليهما السلام -»

حديث القرآن	حديث الإنجيل
هَذَا لَكَ دَعَارٌ كَرِيمٌ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٧﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيْحَنٍ مُصَدِّقًا بِكَلِمَاتٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ إِنَّكَ عَلَىٰ أَمْرٍ مُسْتَعْتَبٍ وَآتَاكَ مِن لَّدُنَّا آيَةً وَاتَّقِ اللَّهَ ۚ كَثِيرًا مِّنْهُ سَاجِدٌ بِأَلَمَشْيِ وَالْإِنجِيلِ ﴿٤٠﴾ آل عمران: (٣٨ - ٤١) ﴿كَهَيْعَصَ﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴿١﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ يَدَّاءَ خَفِيًّا ﴿٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٣﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرْدِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلَدًا ﴿٤﴾ يَرْنِي يَرْثِ مِنِّي ۖ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٦﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَئِنَ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ۖ إِنَّا نَبِّئُكَ ۖ أَلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٩﴾ يَبْخِحُ خُرْدًا لِّكُتُبٍ يُقْرَأُ ۖ وَأَنبَتَهُ الْخَلْمُ صَبِيًّا ﴿١٠﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَنَازًا عَصِيًّا ﴿١٢﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٣﴾ مريم: (١ - ١٥)	« ولم يكن لهما ولد - أى لزكريا وامرأته - إذ كانت اليصابات - يعنى امرأة زكريا - عاقرا وكانا كلاهما متقدمين فى إياهما فبينما هو يكهن فى نوبة فرقة أمام الله، حسب عادة الكهنوت، أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور فظهر له ملاك الرب واقفا على يمين مذبح البخور، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف فقال له الملاك لاتخف يا زكريا، لأن طلبيتك قد سمعت، وامراتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب ومن بطن أمه يمتلىء بروح القدس ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم .. يرد قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى فكر الأبرار، لكى يهيبىء للرب شعبا مستعدا فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا؟ لأنى أنا شيخ وامراتى متقدمة من أيامها فأجاب الملاك وقال له: أنا جبريل الواقف أمام الرب، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته، وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه فى الهيكل فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم، ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل، فكان يومىء إليهم وبقى صامتا. » إنجيل لوقا: الإصحاح الأول الفقرات من (١ إلى ٢٢)





ثانياً: فى مريم

«و» رتب زكريا على دعائه الله أن يهبه ولدا الغرض من هذه الهبة، وهو أن يرثه ويرث من آل يعقوب، ولم يرد هذا فى الإنجيل.

«ز» ذكر القرآن السبب الذى حمل زكريا على دعائه ربه وهو خوف الموالى من بعده، وليس للإنجيل صلة ما بهذا.

«ح» أمر زكريا قومه بعد خروجه من المحراب أن يسبحوا الله بكرة وعشيا، هذا الأمر لم يرد فى الإنجيل.

«ط» الثناء على المولود «يحيى» -عليه السلام- بأنه بار بوالديه وأنه عليه سلام يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حيا، ورد فى القرآن فحسب دون الإنجيل.

«ى» نداء الله يحيى -عليه السلام-، وأمره بأخذ الكتاب، والإخبار بأن الله آتاه الحكم صبيا، انفرد القرآن بذكره، وخلا منه الإنجيل.

هذه أبرز الحقائق والدقائق التى انفرد بها القرآن، ولا دراية للإنجيل بها.

إذاً لو كان الإنجيل مصدرا للقرآن فأتى يا ترى مواضع هذه الوقائع فى الإنجيل، التى نقل عنها القرآن هذه الوقائع؟

هل المعدوم يصلح أن يكون مصدرا للموجود؟ العقل والعلم والواقع، كل هذه المعايير تقول: لا، وألف لا.

هذا عن الجديد الذى تفوق به القرآن على الإنجيل، والرجوع لنصوص المصدرين يؤكد هذه الملاحظات.

تصحيح الأخطاء

تصحيح الأخطاء هو المهمة الثانية التى قام بها القرآن الحكيم بعد انفراده بإيراد الجديد الذى خلا منه الإنجيل، وهذا هو البيان.

أثبتنا النصوص الواردة فى المصدرين: الإنجيل والقرآن لتكون ماثلة أمام نظر القارىء، تيسيرا للوقوف على ما سنورده فى المقارنة الفاحصة بين ما ورد فى الإنجيل، وبين ما ورد فى القرآن من اتفاق أو اختلاف، بقصد أن نقف معا على الإجابة الواقعية على هذا السؤال:

هل يصلح الإنجيل - عقلاً - أن يكون مصدرا للقرآن، وأن القرآن لولا الإنجيل لعجز عجزا تاما عن الحديث عن البشارة التى تلقاها زكريا بـ «يحيى» -عليهما السلام-.

وقائع المقارنة

أن المقارنة الأمانة الصادقة، تسفر عن انفرد القرآن بحقائق ودقائق لا وجود لها فى الإنجيل.

كما أنه يصحح أخطاء وردت فى النص الإنجيلي لا ينازع فيها أحد، وهاكم البيان:

«أ» تقدم على قصة البشارة بـ «يحيى» فى سورة «آل عمران» قصة نذر امرأة عمران ما فى بطنها محررا لله تعالى، وهذا لا وجود له فى الإنجيل.

«ب» شكوى امرأة عمران لله أنها ولدت أنثى، ولم تلد ولدا وكأنها تعتذر لله بعدم الوفاء بنذرها، لأن الإناث لا يصلحن للنذر.

وهذا بدوره لم يرد فى النص الإنجيلي «ج» كفالة زكريا - عليه السلام - للمولودة ووجوده رزقها عندها، دون أن يعرف مصدره، وسؤاله إياها عنه، وهذا لا وجود له فى الإنجيل.

«د» القرآن يربط بين دعاء زكريا ربه أن يهب له ذرية طيبة، وبين مولودة امرأة عمران، والإنجيل يغفل هذا كله.

«هـ» دعاء زكريا - عليه السلام - منصوص عليه فى القرآن وليس له ذكر فى الإنجيل.

بثناء الله وتسبيحه بكرة وعشيا كما ورد في القرآن الآمين .

وكان الله - عز وجل - فرغه بهذا الصمت لذكره هو وحده، وهذه لطيفة تشع من القرآن دونما سواه .

«ب» الإنجيل حدد مدة الصمت من خروج زكريا من الهيكل إلى يوم أن يولد يحيى، وهذا خطأ بين صححه القرآن، وجعل المدة ثلاثة أيام بلياليها .

«ج» الإنجيل يجعل البشارة على لسان ملاك واحد، فصحح القرآن هذا الخطأ، وجعلها على لسان جمع الملائكة، تكرر هذا في آل عمران ومريم، والتكرار تأكيد وتقرير:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ أَنَّ اللَّهَ بُشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾
﴿يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ .

«د» الإنجيل يجعل التسمية بـ «يحيى» أو «يوحنا» من اختيار زكريا، بيد أن الملاك قد تنبأ، أما القرآن فيعزو هذه التسمية إلى وحى الله - عز وجل - إلى زكريا:

﴿يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾
﴿أَسْمُوهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾
يعنى أن الملائكة بشرت زكريا بشرتين:
● أنه سيولد له غلام .

● أن ذلك الغلام سماه الله ﴿يَحْيَى﴾ .
«هـ» الإنجيل يقول إن زكريا حين جاءه ملاك الرب وقع عليه خوف واضطراب، أما القرآن فلم ترد فيه نسبة الخوف والاضطراب إلى زكريا، ولو كان زكريا قد خاف واضطرب فعلا لذكره القرآن، فكان سكوت القرآن عن هذا تصويبا لما ورد في الإنجيل .

«أ» الإنجيل يجعل الصمت الذى حل بزكريا - عليه السلام - عقوبة من ملاك الرب، لأنه لم يصدق كلامه؟ .

فصحح القرآن هذا الخطأ، وجعل الصمت استجابة من الله لدعاء زكريا - عليه السلام -، وقد حرص على هذا التصحيح النصان القرآنيان، فى كل من سورتي «آل عمران - ومريم» ففى آل عمران جاء قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾
وفى مريم جاء قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾

فالصمت كان تكريما لزكريا من ربه، وأمانة على قرب الوفاء بالبشارة، وليس عقوبة من الملاك وإلا فما هو الذنب الذى ارتكبه زكريا - عليه السلام - حتى يستحق العقاب من الملاك أو من الله؟! هل دعاؤه ربه ذنب؟

أم شكواه لربه من كبر سنه وعقم امرأته ذنب لقد وقع هذا الاستفهام عن الإنجاب بعد الشيخوخة وفى عقم المرأة من إبراهيم - عليه السلام -، ووقع من زوجه سارة ولم يعاقبهما الله عليه، ووقع كذلك من مريم حينما بشرت بعيسى دون أن يكون لها زوج، ولم يعاقبها الله عليه، فما السر - إذن - فى ترك هؤلاء الثلاثة من العقاب، ثم إيقاعه على زكريا؟ أهى محاباة من الله لفريق، وتحامل على فريق آخر؟

كلا، فالله لا يحابى أحدا، ولا يتحامل على أحد، إن الصمت الذى حل بزكريا - عليه السلام -، كان بالنسبة للناس أما لسانه فظل يلهج

ذلك لأن القرآن ذكر هذا الخوف في مثل هذه الحالة
لأنبياء آخرين، لما اعتراهم الخوف حقيقة
ذكره في شأن موسى - عليه السلام -

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (٢).

وذكره مرتين آخرين بل ثلاثاً في شأن موسى -
عليه السلام - وذلك كله مرتبط ببعضى موسى -
عليه السلام - .

قال :

﴿قَالَ أَلَيْهَا يَمُوسَى ۖ فَالْقَنَاءَ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى

ۖ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (٣).

والنهي عن الخوف دليل على وقوعه من موسى ،
وهذا مألوف من النفس البشرية أمام هذه المفاجأة المذهلة :

﴿وَأَنِّي عَصَاكَ فَلَئِمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدَبِّرًا لَّا يَعْقِبُ

يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ۚ﴾ (٤).

﴿وَأَنِّي عَصَاكَ فَلَئِمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدَبِّرًا لَّا يَعْقِبُ

يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (٥).

وحكاه في شأن إبراهيم - عليه السلام - حين
جاءه رسل ربه :

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ

ۖ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٦).

وحكاه في شأن مريم أمام رسول ربها إليها :

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (٧).

هذا هو منهج القرآن في القصص، وتسجيل هذا
الانفعال إذ حدث من نبي أو غير نبي .

إذن، لو كان هذا الانفعال قد حدث فعلاً من
زكريا - عليه السلام - لحرص القرآن على ذكره،
وفاء بمنهجه المطرد الذى أشرنا إليه فى القصص عن
إبراهيم، وموسى، -عليهما السلام- وفى القصص
عن مريم البتول - رضى الله عنها- .

فسكوت القرآن عن نسبة الخوف والاضطراب
إلى زكريا يعد تصويبا لما ورد فى الإنجيل .

وحتى لو لم نعتبر هذه الملاحظات تصويبا
لأخطاء، بل مجرد اختلافات بين الإنجيل والقرآن،
فإن هذا لا يؤثر على ما أردناه منها فى حسم
دعوى (الإنجيل مصدر للقرآن) .

بيان ذلك

أن دعوى مصداقية الإنجيل للقرآن لا تثبت
عقلا ولا نقلا ولا واقعا .

فبالنسبة للجديد الذى فى القرآن ما كان فى
قدرته الإتيان به مع خلو الإنجيل منه .

وبالنسبة للاختلافات الخمسة، أو التصويبات
من أين كان للقرآن أن يأتى بها، وأصله الذى
اقتبس منه لا يسمح له بهذا الخروج ؟

هل يقبل العقل أن نهرا لا يحتوى إلا على
نصف مليار متر مكعب من الماء يتفرع عنه نهر
يحتوى على مليار متر مكعب من الماء الصافى ؟ .

إن صح هذا فى العقل صح أن الإنجيل مصدر
للقرآن وإذا لم يصح هذا لم يصح أن الإنجيل وحده أو
التوراة وحدها أو هما معا مصدر للقرآن، لا فى كمية
المعلومات، ولا فى نوعها، وهذا هو المصير المحتوم فى
حسم هذه الدعوى، لأن للقرآن مصدراً إلهياً غير
التوراة والأنجيل، وفائد الشيء لا يعطيه .

(٤) النمل (١٠) .

(٣) طه (١٩ : ٢١) .

(٢) طه (٦٧) .

(٧) مريم (١٨) .

(٦) الحجر (٥٢، ٥٣) .

(٥) القصص (٣١) .

الموقف

الإسلامي

من

الحضارات

غير

الإسلامية

لأستاذ الدكتور / محمد عمارة

من القضايا

الفكرية التي يحتدم من حولها

الجدل، في حياتنا الفكرية المعاصرة، قضية:

علاقة «الأنا: الحضارية، بـ» الآخر الحضارى...»

وعلى وجه التحديد، بـ« الآخر الحضارى» المهيمن عالميا،

وهو الحضارة الغربية!.. وفي اعتقادي أن الرؤية

الإسلامية لهذه القضية هي من البساطة والتميز

والموضوعية، إلى الحد الذي لابد وأن تحسم حسما

نهائيا، شريطة أن تفهم عناصر هذه الرؤية

الإسلامية فهما جيدا.. وهي العناصر التي

نوجزها في هذه النقاط:

● إن الإسلام ينظر إلى البشر أجمعين باعتبارهم: «وحدة واحدة متساوية في الخلق لله الخالق الواحد».. وباعتبارهم في ذات الوقت: «متعدددين في الروابط والجامعات».. وهذه «الوحدة في الخلق» مع «التعددية في الجامعات» هما موطن الإشارة في الآية الكريمة:

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١).

فلاشتركا والوحدة في الخلق، وفي الإنسانية، يزامله التعدد والتمايز إلى شعوب وقبائل وأقوام.. بل إن القرآن الكريم



يتحدث عن هذه التعددية باعتبارها آية من آيات الله - سبحانه - وسنة من سنته في خلقه، فيقول:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ
الْسِّنِينَ كُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢).

وفى الدين أيضا، يؤكد الإسلام على «وحدة البشرية في دين الله الواحد»، أزلا وأبدا.. مع «تعدد الشرائع بتعدد أمم الرسالات الدينية». أزلا وأبدا كذلك.. فالقرآن الكريم قد نزل:

﴿يَا ذِينَ اللَّهِ مُصَدِّقَاتِ لِمَا بَيَّنَّ
يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣).

و ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ (٤) ..

والرسول ﷺ كذلك:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (٥).

والله - سبحانه وتعالى - يتحدث إلى رسوله فيقول له:

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٦).

ومع هذه «الوحدة في الدين» كانت «التعددية في الشرائع» لدى أمم الرسالات.. فالبعثة المحمدية قد تميزت بالشرعية الخاتمة:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧).

وكذلك كان حال الأمم السابقة فاليهود

﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ (٨) ..

﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ (٩)

وكذلك حال النصارى مع الإنجيل:

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ (١٠).

ثم كانت الشريعة الخاتمة: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ

بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَايِ مِنَّا مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا
عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُم
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾

ثم تمضى الآية لتقرر أزلية وأبدية هذه السنة الإلهية في تعدد الشرائع بتعدد أمم الرسالات. فتقول:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا
ءَاتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (١١).

(٤) البقرة: ٩١.

(٣) البقرة: ٩٧.

(٢) الروم: ٢٢.

(٧) الجاثية: ١٨.

(٦) آل عمران: ٨٤.

(٥) آل عمران: ٨١.

(١٠) المائدة: ٤٧.

(٩) المائدة: ٤٤.

(٨) المائدة: ٤٣.

(١١) المائدة: ٤٨.

والقبائل والألوان واللغات .. كذلك قد اتحدوا فى الدين، وتعددت أمم الرسالات فى الشرائع التى شرعها الله .. فالوحدة .. مع التعددية هى سنة الله، التى تلتزمها الرؤية الإسلامية فى هذا الميدان ..

● وكذلك الحال فى ميدان الحضارات .. فعلى مر التاريخ عرفت البشرية التعددية فى الحضارات، مع الالتقاء والتبادل والتفاعل فيما هو مشترك إنسانى عام بين هذه الحضارات .. فمع الخصوصيات الحضارية، التى تتميز بها كل حضارة عن غيرها، هناك ما هو مشترك إنسانى عام بينها جميعا، وخاصة فى المعارف والعلوم التى تشترك فى ثبات الموضوع ووحدة المناهج والحقائق والقوانين .

فالعلاقة بين « الأنا : الحضارية » وبين « الآخر : الحضارى » يجب أن يحكمها هذا القانون .. التفاعل والتبادل الحضارى، لا التبعية - بزعم الوحدة الحضارية - ولا الانغلاق والعزلة - بزعم الاختلاف الكامل والكلى - .. فكما أن التعددية فى الأمم هى سنة من سنن الله فى الخلق، كذلك التعددية فى الحضارات لأن هذا التمايز الحضارى هو واحد من أهم أسباب هذه التعددية بين الأمم .. وكما أن « التعارف » .. الذى أمرنا الله به ليكون طابع العلاقات بين الأمم والشعوب .. يقتضى العدول عن القطيعة، ورفض « الصراع » ..

ففى الدين : وحدة الرسل والرسالات، ووحدة أمم هذه الرسالات .. وفى الشريعة : تعددية تمايز فيها وبها أمم الرسالات .. للابتلاء والاختبار والتنافس واستباق الخيرات .. ولقد وقف مفسروا القرآن الكريم أمام هذه الآيات فقالوا : « إن الشرعة والشريعة : هى الطريقة الظاهرة التى يتوصل بها إلى النجاة .. والمعنى : أن الله جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله، وهذا فى الشرائع والعبادات . والأصل : التوحيد، لا خلاف فيه ..

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ :

أى لجعل شريعتكم واحدة ..

﴿ وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتِنَاكُمْ ﴾ ..

أى ولكن جعل شرائعكم مختلفة ليعتبركم، والابتلاء : الاختبار « (١٢) » .

وعن هذه الحقيقة، التى أفاض القرآن فى تقريرها وفى الإفصاح عنها - حقيقة : الوحدة فى الدين مع التعددية فى الشرائع - يعبر الحديث النبوى هذا التعبير الجميل، عندما يقول صلوات الله وسلامه عليه : « الأنبياء : إخوة من علات - [أى من أب واحد] - وأمهاتهم شتى . ودينهم واحد .. » (١٣) .

فكما توحد الناس ويتوحدون فى الخلق والإنسانية، مع التعددية فى الأقوام والشعوب

(١٢) القرطبى [الجامع لأحكام القرآن] ج٦ ص ٢١١ طبعة دار الكتب المصرية.

(١٣) رواه البخارى ومسلم.

فكذلك «الاختلاف».. الذى جعله الله سنة ومظهرا للتعددية، يقتضى رفض «التبعية» أو «الهيمنة» بزعم وحدة الحضارة للبشر أجمعين

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١٥) ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (١٤).

ولقد قال المفسرون لقوله تعالى:

﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: إن معناها: «وللاختلاف خلقهم» (١٥)!!.. ففى الاختلاف والتمايز: التنوع، والغنى، والتنافس فى استباق الخيرات..

وهنا.. لسائل أن يسأل: إذا كانت الرؤية الإسلامية مع «التعددية الحضارية» كسنة من سنن الله فى تعدد الأمم التى تتمايز بتمايز الحضارات.. ومع التبادل والتفاعل الحضارى فيما هو مشترك إنسانى عام بينها، امتثالاً لأمر الله وحكمته أن يكون التعارف هو رباط وسمه العلاقات بين أمم الحضارات المتعددة.. إذا كانت هذه هى رؤية الإسلام لهذه القضية، فما الموقف إزاء علاقة «النفى والصراع» التى مارسها الحضارة الغربية مع وإزاء غيرها من الحضارات والموايرث الحضارية التى وجدتها لدى الأمم التى اتصلت بها أوغزت بلادها منذ الزحف الاستعمارى الكبير الذى شنه على العالم قبل قرنين من الزمان؟!..

هنا، وفى الإجابة على هذا السؤال، لابد من التنبيه على رفض الإسلام أن يكون «النفى

والصراع» هو طابع العلاقة مع «الغير».. فالإيمان بالتعددية يقتضى الإيمان بحق الغير فى الوجود المتميز، حتى تكون هناك تعددية حقيقية.. ولهذه الحكمة كان «التوازن» بين الفرقاء المتميزين هو مذهب الإسلام فى العلاقة بين الطبقات والجماعات داخل الأمة الواحدة، وبين الأمة وغيرها من الأمم الأخرى.. وهذا «التوازن» يفترض، بل ويشترط كى يقوم وجود «فرقاء» متمايزين ومختلفين.. أما «الصراع» فإنه يعنى ابتغاء «نفى» الآخر، والانفراد والواحدية دون شريك!..

ولأن هذه هى فلسفة الإسلام فى العلاقة بالآخر، كان استخدام القرآن الكريم لمصطلح «الدفع» عندما تدعو الحاجة، بسبب اختلال توازن العلاقات مع الأغيار، وحلول «الخلل» محل «التوازن» وسيادة «الظلم» بدلا من «العدل» وقيام «الجور» بدلا من «الوسطية».. هنا يكون «الدفع»، أى الحركة الاجتماعية التى تبتغى إعادة العلاقات إلى مستوى اللحظة ومقام «التوازن» ثانية، مع الاحتفاظ بالتعددية والتمايز للفرقاء المختلفين.. هنا يكون «الدفع» ولا يكون «الصراع»، لأن الصراع يقتضى نفى الآخر، بصصره، وإنهاء وجوده، والانفراد والواحدية.. فهو ضد فلسفة التعددية وضد شرعية ومشروعية تمايز الفرقاء المختلفين.. ففى «الصراع»..

﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَابُ زُحُلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (١٦)

(١٥) [الجامع لأحكام القرآن] ج٩ ص ١١٤، ١١٥.

(١٤) هود: ١١٨، ١١٩.

(١٦) الحاقة: ٧.



أما فى « الدفع » فإن الغاية مختلفة :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ

وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (١٧).

فإذا كانت الحضارة الغربية قد تبنت واعتمدت فلسفة « الصراع » فرأته قانون العلاقة فى الأحياء - صراع البقاء فى الدارونية - وفى الاجتماع - الصراع الطبقي فى الماركسية .. وفى العلاقة مع الحضارات الأخرى - المسخ والنسخ والتشويه لموارث الأمم التى أصابها الاستعمار والهيمنة الغربية .. إذا كان هذا هو طابع العلاقة، كما فرضتها الحضارة الغربية علينا .. فهو كالقتال الذى فُرض علينا .. وهو كره لنا! - وعسى أن تكون الثمرة، ثمرة هذا الصراع الذى فرض علينا، شحذ الهمة فى معركة التجديد للفكر الإسلامى، إخراجا له من أزمتة المعاصرة، وتجديدا لواقع الأمة به، لا لنفى « الآخر الحضارى » وإنما لنقصره غدا، كما قسره أسلافنا بالأمس، على التخلّى عن طموح الهيمنة الحضارية، وعلى القبول بالتعددية، ليصبح الكوكب الذى نعيش عليه « منتدى حضارات » تتفاعل وتتبادل العلم النافع، وتحتفظ كل منها بما لها من خصوصيات .. مثلها كمثّل الإنسان الراشد المستقل، يصافح الجميع، دون أن يفقد

بصمته وهويته التى تميزه عن الجميع! ..
إننا نرى الآن قضية علاقة « الأنا : الحضارية » بـ « الآخر : الحضارى »، واحدة من قضايا « أزمة الفكر » الإسلامى المعاصر .. بينما هذه القضية لم تكن بالأمس - عندما قامت علاقة أسلافنا العظام بالحضارات الأخرى، هندية وفارسية وإغريقية .. لم تكن من قضايا « الأزمة » .. بل كانت من سمات « الصحة » ومظاهر « النهضة »؟! .. وما كان هذا الفارق بين حال ذات القضية اليوم عنها بالأمس إلا من الفارق بين حالنا اليوم وحال أسلافنا بالأمس .. لقد تفاعلوا مع « الآخر الحضارى » من موقع القوى الراشد المستقل، فكانت « لمعدتهم الحضارى » .. إن جاز التعبير - القدرة على التمييز بين الصالح والفساد، بين النافع والضار، بين الملائم وغير الملائم فى موارث الآخرين .. فلم تكن فى العلاقة « قضية مشكلة على الإطلاق! .. أما نحن، فإننا نتعامل من موقع الضعيف المهزوم، الذى تحالفت عليه تحديات : التخلف الموروث .. وتحديات : الاستلاب الحضارى الوافد فى ركاب الغزاة! ..
وليس كالتجديد للفكر الإسلامى بابا يدخل منه العقل المسلم إلى عالم النهضة - له ولأمته - من جديد، فيتجاوز هذه المآزق ويحل هذه المشكلات .





الإسلام ومشكلة الفقر

للمستشار الدكتور / محمد شوقي الفنجري (*)

تمهيد :

١- مشكلة الفقر وإن كانت قديمة، لازمت الإنسانية منذ فجر التاريخ، إلا أننا لم نشعر بوطأتها إلا تدريجياً بتزايد حاجات الإنسان تبعاً لدرجة تطوره وتقدمه. فالإنسان الأول، بالرغم من قلة موارده، لم يكن يشعر بوطأة الفقر لقلة حاجاته وتطلعاته الاستهلاكية.

٢- ولقد بلغت مشكلة الفقر ذروة حدتها متأخراً في عصرنا الحالي، وذلك بحكم سهولة اتصال الناس بعضهم ببعض وظهور الفوارق مع ازدياد الوعي الاجتماعي. فالفلاح في القرية ذات الاقتصاد المغلق لم يكن يشعر بفقره إلا حين اتصاله بعالم المدينة، ومجتمع كاليمن قبل انفتاحه على العالم الخارجي لم يكن في عزلة يشعر بفقره أو تخلفه الشديد.

٣- وعليه فإن مشكلة الفقر نسبية، تختلف باختلاف الزمان والمكان. فلا شك أن فقير العصر الحاضر يعتبر غنياً بالنسبة إلى إنسان العصور القديمة، كما أن متوسط الحال اليوم في مصر أو الهند يعتبر فقيراً بالنسبة لمتوسط الحال الأمريكي أو الأوروبي.

(*) أستاذ الاقتصاد الإسلامي وعضو مجمع البحوث الإسلامية.



أولاً: حقيقة مشكلة الفقر

١- فى الفكر الاقتصادى التقليدى، تتمثل مشكلة الفقر فى عدم توافر المستوى الأدنى للمعيشة، وهو ما يعبر عنه أصحاب هذا الفكر بمصطلح « حد الكفاف Minimum Vital » مما يتعلق بمتطلبات البقاء، بمعنى أن الفرد يعد فقيراً عندما لا تتوافر له متطلباته بالقدر الذى يحفظ له حياته وقدراته على العمل والإنتاج.

وفى الفكر الاقتصادى الإسلامى، تتمثل المشكلة فى عدم توافر المستوى اللائق للمعيشة بحسب ظروف الزمان والمكان وبحسب عمل ومسئولية الفرد، وهو ما عبر عنه فقهاء الشريعة القدامى بمصطلح « حد الكافية M.D'Aisance » مما يتعلق بمتطلبات الحياة الكريمة، وأحياناً بمصطلح « حد الغنى M.DE Richesse » بمعنى أن يعد الفرد فقيراً متى لم تتوافر له متطلباته بالقدر الذى يجعله فى بحبوحة من العيش وفى غنى عن غيره.

ونخلص من ذلك إلى حقيقة هامة، وهى أن التصور الإسلامى للمشكلة الاقتصادية أى مشكلة الفقر، لم يرتبط منذ البداية بهدف توفير الضرورات الأساسية للمعيشة، وإنما بهدف رفع مستوى المعيشة وتحسينه، وهو ما انتهى إليه أخيراً الفكر الاقتصادى الحديث بعد أربعة عشر قرناً معبراً عنه بمصطلح « الرفاهية الاقتصادية » أو « الرخاء المادى ».

٢- من ذلك يتبين أن الفقير فى الإسلام فرداً كان أو دولة، هو من يعيش فى مستوى تفصله

هوة سحيقة عن المستوى المعيشى السائد فى المجتمع المحلى أو العالمى المتقدم.

ويترتب على ذلك أن المشكلة الاقتصادية فى نظر الإسلام، هى على المستوى المحلى تكمن أساساً فى اختلال التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع، وهى على المستوى العالمى تكمن فى الهوة المتزايدة بين الدول النامية والدول المتقدمة. وهو الأمر الذى سبق به الإسلام كل تفكير متقدم، حيث لا يستهدف اليوم أى تغيير أو إصلاح أو أى نظام اقتصادى جديد، سوى - أساساً - تحقيق التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع على المستوى المحلى، وتحقيق التوازن الاقتصادى بين دول العالم على المستوى العالمى. الأمر الذى نبه إليه الإسلام منذ أربعة عشر قرناً بقوله تعالى:

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (١).

بمعنى ألا يكون المال متداولاً بين فئة قليلة تستأثر به دون غيرها، سواء على مستوى أفراد المجتمع أو دول العالم، بل يجب أن يعم الخير الجميع.

وخلاصة القول أن الفقير فى الإسلام، فرداً كان أم دولة، هو من لا يتوافر له المستوى اللائق للمعيشة بحسب الزمان والمكان وهو باصطلاح الفكر الاقتصادى الإسلامى، من لا يتوافر له « حد الكافية » أو « حد الغنى » لا مجرد « حد الكفاف ».

(١) الحشر (٧).

ديانته وأيا كانت جنسيته، ما دام ذلك الفرد موجودا في مجتمع إسلامي. وكلنا يذكر قصة الخليفة عمر بن الخطاب مع المتسول العجوز اليهودي، حيث قرر له راتبا شهريا من صدقات بيت المال، مفسرا آية الزكاة:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ (٢).

على أن المساكين هم فقراء أهل الكتاب. وعليه فإن ضمان حد الكفاية، هو في الإسلام حق الله الذي يعلو فوق كل الحقوق، وفي إنكاره أو إغفاله إنكار وتكذيب للدين والإسلام ذاته بقوله تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَدَلَكَ الَّذِي يُدْعُ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ (٣).

بل هو قرين الكفر بالله - تعالى - وموجب لسخطه وعذابه بقوله - تعالى -:

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ (٤).

وقد ورد عن الرسول ﷺ قوله: « اللهم أعوذ بك من الكفر والفقر » (٥) قال رجل: أبعادان، قال: « نعم ». وجاء في الأثر: « كاد الفقر أن يكون كفرا ».

٣- ومصطلح « حد الكفاية » أو « حد الغنى »، وإن لم يرد صراحة في أحد نصوص القرآن أو السنة، إلا أنه يستفاد من روح هذه النصوص.

وقد ورد صراحة في تعبيرات أئمة الإسلام، خاصة في مختلف كتب الفقه القديمة بمناسبة بحث الزكاة التي هي بالتعبير الحديث مؤسسة الضمان الاجتماعي في الإسلام، والتي انفرد بإنشائها منذ أربعة عشر قرنا لمواجهة حالات الفقر والحاجة. فيقول الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : « إذا أعطيتهم فاغنوا »، ويقول الخليفة الرابع على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - : « إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم ». ويقول الإمام السرخسى في الجزء الثالث من كتابه المبسوط ص ١٨ : « وعلى الإمام أن يتق الله في صرف الأموال، فلا يدع فقيرا إلا أعطاه من الصدقات - أى فرع الزكاة ببيت المال - حتى يغنيه وعياله، وإن احتاج بعض المسلمين وليس في بيت المال من الصدقات شيء أعطى الإمام ما يكفيهم من بيت المال - أى الموارد الأخرى ببيت المال كالغنائم والخراج » ويقول الإمام الشاطبي في الجزء الأول من كتابه الموافقات ص ١٠٤ : « الكفاية تختلف باختلاف الساعات والأحوال ... وإن صيانة النفس في كفايتها ». ولقد اعتبر الإسلام ضمان حد الكفاية، هو حق إلهي مقدس لكل فرد كإنسان، أيا كانت

(٣) الماعون (٢:١).

(٥) مسند ابن عدى ١٨١٩/٥.

(٢) التوبة (٦٠).

(٤) الحاقة (٣٠:٣٤).

ثانياً: سبب مشكلة الفقر

١- فى الاقتصاد الرأسمالى: سبب المشكلة هم الفقراء أنفسهم سواء لكسلهم أو لسوء حظهم بشح الطبيعة أو قلة الموارد. فقضية الفقر هى أساساً قضية قلة إنتاج أو موارد.

وقد رتب على ذلك أن على الدولة أن تبيح الحرية المطلقة للجميع لينتجوا ويكسبوا ويغتنوا دون قيد أو شرط، وأن على من خانه الحظ أن يرضى بواقعه فهو نصيبه وقسم الله له.

وفى الاقتصاد الاشتراكى: سبب المشكلة هم الأغنياء أنفسهم باستئثارهم دون الأغلبية الكادحة بخبرات المجتمع، وبالتالي نشوء التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع. فقضية الفقر هى أساساً قضية سوء توزيع.

وقد رتب على ذلك نظرياته فى الصراع بين الطبقات، والتركيز على تغيير أشكال ووسائل الإنتاج بإلغاء الملكية الخاصة والقضاء على الأغنياء البورجوازيين بحسب تعبيراته.

وفى الاقتصاد الإسلامى: مرد المشكلة ليس الفقراء أو قلة الموارد، كما ذهب الفكر الاقتصادى الرأسمالى. كما أنه ليس سببها الأغنياء أو التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع، كما ذهب الفكر الاقتصادى الاشتراكى. وإنما مرد المشكلة هو:

أولاً: قصور الإنتاج بعدم استغلال الموارد الطبيعية لا قلة هذه الموارد، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ﴾

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٦﴾.

وقوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِ السَّمَوَاتِ وَمَافِ

الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً ﴿٧﴾

ثانياً: سوء التوزيع لا الملكية الخاصة ذاتها، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة:

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾.

وقوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بِرَكَاتٍ

مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩﴾.

٢- فمشكلة الفقر فى الاقتصاد الإسلامى، مردها الإنسان ذاته وفساد نظامه الاقتصادى، سواء من حيث ضعف الإنتاج أو سوء التوزيع. فهى ذات صفة مزدوجة أو هى كالعملة الواحدة ذات وجهين أولهما يتعلق بوفرة الإنتاج. وثانيهما يتعلق بعدالة التوزيع، بحيث لا يغنى أحدهما عن الآخر. ذلك أن وفرة الإنتاج مع سوء

(٧) لقمان (٢٠).

(٩) الاعراف (٩).

(٦) ابراهيم (٢٤).

(٨) ياسين (٤٧).



الروحى أو الخلقى . فهو حين طالب الناس بالعبادة وذكر الله، علل ذلك فى القرآن بقوله تعالى :

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۚ ﴾ (١٠) .

وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه « السياسة الشرعية » ص ٢٢ : « إن الله تعالى خلق الأموال إعانة على عبادته ، لأنه خلق الخلق لعبادته » ، وكما يقول الإمام الشيبانى فى كتابه « الاكتساب فى الرزق المستطاب » ص ١٤ : « إن الله فرض على العباد الاكتساب بطلب المعاش ، ليستعينوا به على طاعة الله » .

ومن هنا حكم الإسلام بأن الكفاية أو التقدم المادى وحده لا يفيد ، كما أن العبادة والتقدم الروحى وحده لا يكفى . وكما نرى ونلمس ، لا قيمة لحضارة متقدمة أو تقنية متفوقة بدون مثل وارتباط بالله - تعالى - وخشيته ، وإلا فإن هذه الحضارة وتلك « التكنولوجيا » ستصبح بدون صمام أمان ، وبالتالى لابد وأن تطفى وتنتهى لتصبح عنصر فساد وتدمير ، وهذا هو شأن الحضارة الغربية المتقدمة التى نلخص معاناتها ومختلف مشكلاتها فى قوله تعالى :

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنْفُسَهُمْ ۖ ﴾ (١١) .

أو قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۖ ﴾ (١٢)

كذلك لا غنى لمثل طيبة وتطلعات تعبدية عن المادة وتوفير حد الكفاية وتعمير الكون ، وإلا فإن

التوزيع هى احتكار واستغلال لا يسلم به الإسلام ، كما أن عدالة التوزيع دون إنتاج كاف هى توزيع للفقر والبؤس مما يرفضه الإسلام .

على أن ذلك لا يمنع الباحث فى الاقتصاد الإسلامى من التركيز على أحد الوجهين بحسب ظروف بلده ومجمعه . فيرى أن مشكلة الفقر فى إحدى الدول أو المجتمعات الإسلامية هى مشكلة إنتاج وتنمية أكثر منها مشكلة توزيع وعدالة ، بينما يراها فى دولة أو مجتمع إسلامى آخر هى مشكلة توزيع وعدالة أكثر منها مشكلة إنتاج وتنمية . ولا يؤدى به ذلك إلى أن يكون متبعا - الفكر الاقتصادى الاشتراكى ، ما دام لا يساير فى الأساس الفكرين الوضعيين فى تشخيص مشكلة الفقر ، وبالتالى موقفه فى مواجهتها وحله لها .

٣- وثمة أمر هام يعتبره الإسلام فى تشخيصه لمشكلة الفقر ، فهو لا يقف بالنسبة للفقراء موقف الأثرة واللامبالاة شأن الفكر الاقتصادى الرأسمالى ، كما لا يقف بالنسبة للأغنياء موقف الكراهية وتغذية الصراع ضدهم شأن الفكر الاقتصادى الاشتراكى ، وإنما هو يعمل على التقريب بين الفئتين عن طريق إحلال التعاون والتكامل بينهما لا التناقض والصراع .

ثم هو فى النهاية ، وعلى خلاف المذاهب والنظم الاقتصادية الوضعية ، لا يستهدف فى تعرضه لمشكلة الفقر الجانب المادى أو الاقتصادى فحسب ، وإنما هو يستهدف أساسا الجانب

(١١) الحشر (١٩) .

(١٠) قریش (٤:٣) .

(١٢) التوبة (٦٧) .



أشكال الإنتاج السائدة، وإنما هي بنص القرآن :

﴿وَأَن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ

إِنَّكُم لَإِنسَانٌ لَّطَلُمٌ كَفَّارٌ﴾ (١٦).

أى مردها سلوك الإنسان نفسه سواء بظلمه إزاء أخيه الإنسان، أو بكفرانه النعمة إزاء الموارد الطبيعية .

لذلك كان الحل الإسلامى هو ضمان حد الكفاية لكل فرد يوفره لنفسه ولمن يعولهم بعمله وجهده، فإن لم يستطع ذلك لسبب خارج عن إرادته، كمرض أو عجز أو شيخوخة أو تعطل، تكفلت له بذلك الدولة من مال مؤسسة الزكاة التى انفرد الإسلام بإنشائها منذ أربعة عشر قرناً ليحرر الإنسان من عبودية الفقر والحاجة، وليخلص فى عبادة الله وحده، ويكون بحق خليفته فى الأرض. بل لقد رفع الإسلام من أمر الزكاة إلى مرتبة العبادة، فجعل أداؤها فى مرتبة أداء الصلاة. وأنه فى حالة إذا لم تكف موارد الزكاة، بحسب النسب المقررة لها، لسد حاجة الفقراء، فإنها تحصل على ما يلزمها من بيت المال أخذاً من فضول الأغنياء.

٢- ولقد عالج الإسلام كفران النعمة بما وضعه للإنتاج من أحكام، كما كفل محو الظلم بما وضعه للتوزيع من تعاليم. وكان له فى ذلك حله الخاصة سواء بالنسبة للإنتاج أو بالنسبة للتوزيع، مما يميزه عن سائر المذاهب والنظم الوضعية، ونبينه فيما يلى :

هذه المثل وتلك الروحانية ستصبح بدون عناصر بقائها واستمرارها، وبالتالي لابد أن تضعف وتضمّر، وهذا هو شأن الشعوب الإسلامية اليوم التى نسيت قوله تعالى :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (١٣).

وصدق الله العظيم .

﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى

فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (١٤).

ثالثاً: الحل الإسلامى لمشكلة الفقر

١- يبين مما تقدم أن الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، قد كشف لنا حقيقة مشكلة الفرد، وأنها تتمثل فى عدم توافر حد الكفاية لكل فرد حسب زمانه ومكانه، وليس مجرد حد الكفاف، فالقضية ليست درجات من الغنى أو الفقر، وإنما هى قضية إنسان له احتياجاته الأصلية أو متطلباته التى يتعين أولاً وقبل كل شئ، إشباعها فى إطار يحافظ على إنسانيته وينميها، ليكون بحق خليفة الله فى أرضه بقوله - تعالى - :

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ (١٥).

وليكون صادقاً فى عبادته، إذ كما عبر بحق المفكر الجزائري مالك بن نبي - رحمه الله تعالى - :

« كيف أصلى وأنا جائع؟ » .

كما كشف لنا الإسلام عن سبب المشكلة ومردّها، وأن القضية ليست قضية ندرة موارد أو

(١٤) الإسراء (٧٢).

(١٦) ابراهيم (٣٤).

(١٣) الأنفال (٦٠).

(١٥) البقرة (٣٠).



(أ) بالنسبة للإنتاج: يدعو الإسلام إلى التعمير والتنمية الاقتصادية بقوله تعالى:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ عَلَيْهَا﴾ (١٧).

أى كلفكم بعمارته. ويعتبر العمل والإنتاج والتنمية من ضروب العبادة، بل هو بنص الأحاديث النبوية من أفضل صورها. ولقد سوى الله - تعالى - بين المجاهدين فى سبيل الله وبين الساعين على الرزق بقوله تعالى:

﴿وَأَخْرَوْنَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرَوْنَ يَقْنِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١٨).

وبلغ حرص الإسلام على التنمية الاقتصادية وتعمير الدنيا أن قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة - أى شتلة - فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها فله بذلك أجر» (١٩). وهو فى ذات الوقت ينذر بعذاب أليم الذين يكتزون المال أو يحبسونه عن الإنتاج والتداول، ويصف الكسالى والمستضعفين فى الأرض بأنهم ظالموا أنفسهم وإن مأواهم جهنم وبئس المصير.

كذلك يستلزم الإسلام تنويع الإنتاج بحيث يشبع كافة احتياجات المجتمع، وإن كانت بعض الأحاديث النبوية تعتبر الصناعة والتجارة من أطيب الكسب وأهم أوجه النشاط الاقتصادى.

وهو إذ يشجع الكسب الحلال ويمجد الاغتناء بالعمل وبذل الجهد، فإنه ينهى عن الإنتاج الضار كالخمر، أو الكسب على حساب الآخرين كالربا، أو استغلال ظروف الناس كالاحتكار.

(ب) بالنسبة للتوزيع: يقرر الإسلام ضمان حد الكفاية لكل فرد بإعتباره حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق، وبحيث لا يسمح بالغنى مع وجود الفقر والحرمان، وإنما يبدأ الغنى والتفاوت فيه بعد إزالة الفقر والقضاء على الحرمان. ومع ذلك فإن هذا التفاوت ليس مطلقاً، بل هو تفاوت منضبط بالقدر الذى لا يخل بتوازن المجتمع، وذلك عن طريق منع التبذير والحجر على السفه بقوله تعالى:

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ (٢٠).

وعن طريق تحريم الترف واعتباره إجراماً بقوله تعالى:

﴿وَاتَّبِعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٢١).

وكذا عن طريق اتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع كلما افتقد أو اختل هذا التوازن إعمالاً لقوله تعالى:

﴿كَى لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمُ﴾

(١٨) المزمّل (٢٠).

(٢٠) النساء (٥).

(١٧) هود (٦١).

(١٩) مسند ابن عدى ٢٢٩٤/٦.

(٢١) هود (١١٦).



يقول: «لأخذت فضول الأغنياء»، أى مازاد عن حاجتهم، ولم يقل «لأخذت أموال الأغنياء»، ذلك لأن الإسلام لا يقر مصادرة الملكية الخاصة. كما يقول «لألحقن أسفل الناس بأعلاهم» ولم يقل «لألحقن أعلى الناس بأسفلهم» ذلك لأن الإسلام يحرص على إغناء الفقير دون إفقار الغنى.

ومن هنا يجمع فقهاء الإسلام على اعتبار الحاكم آثماً إذا لم يوفر حد الكفاية لكل فرد أخذاً مما زاد عن حاجة الأغنياء لقوله تعالى:

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٢٣).

وقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ (٢٤)

لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٢٣).

فاستخدم الله - تعالى - مصطلح «حق» ولم يقل «إحسان أو تبرع» وقوله تعالى:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا

وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (٢٤).

فلم يقل تعالى «ما اكتسبوا» وإنما فقط

﴿نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ إذا كانوا أفراداً،

ونصيب مما أفاء الله عليهم دولاً. ومن ثم جاء الحديث النبوى صريحاً: «تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»، ولا يفهم من ذلك نزع الملكية أو الاستيلاء على أموال الناس، وإنما فقط أخذ الفضل من الغنى بقدر كفاية الفقير، إذ لا

ولقد لخص الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سياسة الإسلام فى توزيع الثروة، وذلك فى عبارتين دقيقتين مشهورتين عنه:

أولاهما: قوله: «ما من أحد إلا وله فى هذا المال حق، الرجل وحاجته - أى كفايته - ثم الرجل وبلاؤه - أى عمله».

وأخراهما: قوله: «إنى حريص على ألا أدع حاجة إلا سددها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجزنا تأسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف».

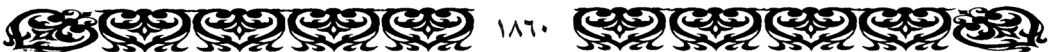
ويذهب - رضى الله عنه - عام المجاعة سنة ١٨ هـ إلى أكثر من ذلك فيقول: «لو لم أجد للناس ما يسعهم إلا أن أدخل على كل بيت عدتهم - أى مثل عددهم، فيقاسموهم أنصاف بطونهم حتى يأتى الله بالحيا - أى المطر - لفعلت فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم».

«وفى آخر أيام حياته، حين بدأت تظهر طبقة من كبار الأثرياء فى شبه الجزيرة العربية وخارجها، ولم يمتد به الأجل ليواجهها بما عرف عنه من حسم حيث طعن تلك الطعنة التى قضى بها، نقل عنه كلمته المشهورة: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت، لأخذت فضول الأغنياء فرددتها على الفقراء»، وقوله: «والله لئن بقيت إلى الحول لألحقن أسفل الناس أعلاهم»، ولكن القدر لم يمهلهم وخلفه سيدنا عثمان بن عفان، - رضى الله عنه - ويلاحظ هنا دقة العبارة العمرية فهو

(٢٣) المعارج (٢٥:٢٤).

(٢٢) الذاريات (١٩).

(٢٤) النساء (٢٢).





وقول الرسول ﷺ: «من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له» ويضيف الرواة أن الرسول ﷺ ذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا في فضل.

ولقد صاغ الإمام الشافعي العلاقة بين الأغنياء والفقراء، أفرادا كانوا أو دولا في عبارة دقيقة مشهورة عنه بقوله: «إن للفقراء أحقية استحقاق في مال الغنى، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير». بينما ذهب الفقيه أحمد ابن على الدلجى فى ص ١٦ من كتابه «الفلاكة والمفلوكون» أى الفقر والفقراء إلى القول: «أن من حق المحروم أن يرى النعم التى بأيدي الناس مغصوبة، والمالك المستحق يطالب باسترداد ماله من أيدي الغاصبين». ومن قبلها صرخ الصحابى أبو ذر الغفارى قائلاً: «عجبت لمن لا يجد قوت يومه، كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه».

هذا هو موقف الإسلام بالنسبة لأكبر مشكلة أو أكبر تحد يواجهه دائما الإنسانية عبر مسارها وتاريخها الطويل.. بل هذا هو حق الإنسان فى الإسلام، الذى أكدته منذ أربعة عشر قرنا، من حيث ضمان «حد الكفاية» لكل فرد، أيا كانت جنسيته أو ديانته، وذلك كحق إلهى مقدس يعلو فوق كل الحقوق، ولو أدى الأمر فى حالات الشح والندرة أو المجاعة، وهى ظروف استثنائية، أن يتساوى الجميع فى حد الكفاف. فأين ذلك من العالم المتقدم اليوم!!؟؟.

نسأله تعالى السداد والتوفيق

يتصور الإسلام أن يبیت فرد أو دولة على شیع وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم. وصدق الخليفة عمر بن الخطاب بقوله: «إن الله استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ونوفر لهم أمنهم، فإن لم نفعل فلا طاعة لنا عليهم».

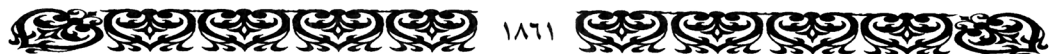
٣- وخلاصة القول إنه بحسب الإسلام، كل فرد اكتسب مالا مشروعاً، أو كل دولة حباها الله بموارد وافرة، فإنه يكون لهذا الفرد وحده أو لتلك الدولة وحدها، السيادة على هذا المال أو تلك الموارد لا ينازعها فيها أحد بدعوى عدالة التوزيع.

إلا أنه مقابل ذلك، ولأن المال أصلا هو مال الله، والبشر - بنص القرآن - مستخلفون فيه ومسئولون عنه أمام الله، فإن يدهم على هذا المال أو الثروة هى يد أمانة، وملكيتهم لها هى مجرد وظيفة شرعية أو اجتماعية. ومن ثم فقد أوجب الله - تعالى - على كل فرد غنى، وبالمثل كل دولة غنية، التزامات معينة تتمثل فى تقديم ما يزيد على حاجة الفرد الغنى أو الدولة الغنية إلى الفرد أو الدولة المحتاجة، وذلك دون حدود سوى ما يسد أو يكفى هذا الفرد أو تلك الدولة المحتاجة على أن يبدأ بالأقرب فالأقرب، وكل ذلك إعمالا لقوله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (٢٥)

والعفو هنا هو الفضل، أى ما زاد على الحاجة، وقوله تعالى:

﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (٢٦).





لفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق

إعداد الشيخ / على حار عبد الرحيم

هذا الإنسان الذي استخلفه الله في الأرض ليعمرها بالعبادة والعمل، العبادة للذي خلقه وسواه وكرمه وعدله في أي صورة ما شاء ركبته، لم يخلقه مكبا على وجهه أو زاحفا على بطنه أو من ذوات الأربع، وإنما صورته منتصب القامة عالى الهامة، مزودا بالعقل مميزا به عن سائر المخلوقات التي طوعها لخدمته، تحمل أثقاله، يستخدمها في زراعته وفي صناعته ومنها غذاؤه، وكساؤه.

ولقد أتم الله عليه نعمته فكلفه بالعبادات التي تهذب نفسه، وتنمي عقله وفكره، ويروض بها سلوكه ويقوم معوجه وتستديم بها المودة في مجتمعه، فالعبادات التي شرعها الله للناس كان من أبرز أهدافها ترويض المسلمين على الاجتماع والتلاقي في ظل الرحمن، تعويدا لهم على ضم الصفوف واتحاد الكلمة وتجاوز أسباب الخلاف والاختلاف ونزوات التمرق والشقاق.



ومن هذه العبادات فريضة الحج :

﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا﴾ (١).

هذه الفريضة تهدف إلى معان سامية، وتدعو إلى التقاء القلوب، واتحاد الأفئدة، وتوثيق الروابط وجمع كلمة المسلمين الذين يتوافدون من مشارق الأرض ومغاربها استجابة لأمر الله ونزولا على حكمه :

﴿وَاذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا لَا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْبَاسِ الْفَقِيرِ﴾ (٢).

وها هي وفود المسلمين تترى إلى بيت الله الحرام تجمعهم غاية واحدة ويسعون إلى هدف واحد عبادة الله سبحانه استجابة لدعوته، يسارعون إلى أداء المناسك متجردين من زينة الحياة الدنيا من فاخر الملابس وطيب الطعام ولذة الراحة، يرجون رحمة الله، إنهم جاءوا شعثا غبرا يبسطون أيديهم وأرديتهم على عرفات داعين تلهج ألسنتهم بالذكر وقلوبهم مليئة بالشكر لله، الذي أنعم عليهم بأداء هذه الفريضة وزيارة بيته الحرام، يعلمون أن في الحج حرمتين : حرمة الزمان، وحرمة المكان، وبهما يقوى شعور المسلم بحرمة هذا الركن من أركان الإسلام : الحج،

فيصبح المسلم ويمسى مرهف الحس قوى النفس، كأنما يتحرك بين يدي ربه، أنى رحل كان فى طاعة، يحاذر أن يعصى وهو فى الحرم وفى الأشهر الحرم :

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ (٣).

وحرمة المكان :

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبِدَ رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٤) وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (٥).

لما كانت هذه الفريضة تؤدى فى زمان له حرمة ومكان له حرمة كانت المعصية فيها أغلظ وأشد، بل لقد ذهب فريق من العلماء إلى أن مجرد إرادة المعصية فى هذه الرحلة الربانية أغلظ وأشد منها إذا وقعت فى غير هذا المكان وذات الزمان يقول الله سبحانه :

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِظِ بَطْلٌ يُدْفَعُ مِنْ عَذَابِ الْبَاسِ﴾ (٥)

فهل رأت الدنيا أمانا فى الزمان والمكان وتدريبا عمليا على الاستقامة كهذا الذى صنعه الإسلام فى فريضة الحج.

فى الحج استشعار القلوب الطمأنينة والصفاء والنقاء والتخلّى عن الحقد والبغض والحسد لأنها

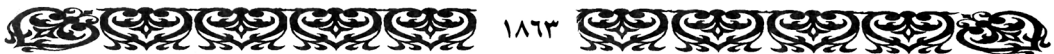
(٢) الحج (٢٧، ٢٨).

(٤) النمل (٩١، ٩٢).

(١) آل عمران (٩٧).

(٣) التوبة (٣٦).

(٥) الحج (٢٥).





توحيداً وتلاقياً على موقع واحد من أهل ملة الإسلام كما اتحدت عقيدتهم وأقوالهم وأفعالهم أثناء عبادة الصلاة وتلك ميزتهم عن سواهم .

إن من مقاصد الحج وأهدافه تحقيق الوجود الإسلامي الموحد وإظهار قوة المسلمين، فهل لهم أن يستفيدوا من هذه العبادة في مواجهة ما أحاط بهم وأن يكونوا صفاً واحداً كالبنين المرصوصين : اللهم اهد المسلمين إلى صراطك المستقيم واجمع كلمتهم وكن لهم ولا تكن عليهم فضلاً منك ورحمة وانفع الأمة بهذه الدورة التدريبية في الحج لتجتمع كلمتها ويشد ساعدها وتسارع إلى ضبط النفس وتتسلح بالصبر والعفو حتى تواجه ما حاق بها في هذا العصر وتجمعاته المناوئة لهذه الأمة .

إن الحج فريضة يؤاخذ الله فيها بمجرد : اللهم :

﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُطْلَقُ نَذْرُهُ مِنْ عَذَابِ الْيَمْرِ﴾ .

قال ابن مسعود - رضى الله عنه - : (لو أن رجلاً بعدن هم بأن يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله عذاباً أليماً) .

فكونوا أيها الحجاج على حذر من أية خطيئة وعليكم أن تتوخوا الطاعة ولأجل لهذا البيت وحفاظاً على ما أنعم الله به عليكم .

ففى الحج منافع ليست مقروءة فى كتاب ولكنها ممارسة فى واقع العمل الصالح الذى تهدونه إلى هذا المقام، وليست المنافع دينية فحسب ولكنها شاملة للدين وللدنيا رحمة من الله وتوسعة على عباده .

قد اجتمعت لعبادة جماعية فى مؤتمر عام يتساوى فيه الحجاج فى لباسهم وطوافهم وسعيهم وتجمعاتهم وابتهالاتهم وخشوعهم وخضوعهم ودعائهم لربهم . والله أكرم من أن يردهم خائبين .

روى ابن ماجه بسنده أن رسول الله - ﷺ قال - :
(الحجاج والعمار وفد الله - عز وجل - وزواره ،
إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعاوا
استجيب لهم وإن شفّعوا شفّعوا) (٦) .

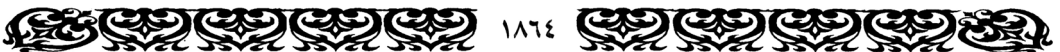
ويقول الله - سبحانه - :

﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٧) .

أليس الحج بهذا وغيره من المقاصد والأهداف منحة ربانية ومدرسة روحانية تصفو فيها القلوب وتتخلص من أدران الحياة ؟

وأليس الحجاج وفود الرحمن يتعاونون على البر والطاعة ويتعارفون، ويتوادون ويتحابون مع بعد الأوطان واختلاف الألوان واللغات .

أليس الحج موسماً لتنمية الصلوات وتوثيق الروابط بين شعوب المسلمين وفيه مصلحة للفرد ولجماعة المسلمين ؟ هلا أخذ المسلمون من هذه الفريضة ما ترمز إليه فى مناسكها ؟ فالإحرام واللباس والتحركات الواحدة يعنى كل هذا وحدة المصير للأمة، والطواف حول الكعبة يعنى إلغاء كل ما يكون من محاور وجماعات وتوجهات والعكوف على محور واحد هو شرع الله رب البيت الذى شرع الطواف حوله، كما شرع التوجه إليه فى الصلاة قبله لكافة المسلمين



وفى قول الله - سبحانه -:

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ﴾ فقه التدريب على الأعمال ووجوبه ضماناً لإحسانها وأدائها على وجهها سواء كانت للدين أو الدنيا. ولعلنا فى هذا نذكر من الآثار الكريمة للتدريب. (صلوا كما رأيتمونى أصلى) (٨) وفى الحج: (خذوا عنى مناسككم) (٩).

مسارات السلوك فى الحج

فى موسم الحج ينبغى أن نتذكر أدب السلوك السوى الذى شرعه الله ودعا إليه حتى يستقيم أمر المسلمين.

وللسلوك القويم مسارات تدعو بذاتها روادها إلى دروبها المعبدة الموصلة إلى رضا الله ونوال الحسنيين، الاستقامة فى الدين والدنيا وفى إيجاز نرتاد بعض هذه المسارات.

فهذا الأمن المكانى للحج هبة من الله ومنحة لزواربيته يشير إليه قول الله - سبحانه - فى سورة البقرة:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا
وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (١٠).

هذا الأمن أساس للاستقرار النفسى وقاعدة للاستمرار فى العبادة وتجويدها بالإخلاص والإنابة، وقد ارتبطت العقيدة بالمكان:

﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (١١).

وأول مسارات السلوك ذلك الإحرام ومحظوراته حيث به يتغير ما اعتاده المسلم والمسلمة فى حياته اليومية من لباس ورياش وأحاديث إلى تجرد من ذلك كله وتسربل بسواتر للجسد خلصت من الخيط ومن كل ما يصنعه الإنسان من تجميل وزينة.

إن المسلم حين يتجرد مما اعتاده يكون قد انخلع جسداً ونفساً، ظاهراً وباطناً مما ارتبط به فى حياته اليومية من الشواغل البدنية والنفسية وتفرغ لهذه العبادة: الحج ومناسكه، ها هو يلبي، يكبر ويهمل، ها هو يتلو القرآن ويعرض نفسه وأعماله وسلوكه على آياته حتى يستبين درجته فى الطاعة لله.

ها هو يقاوم نزوات النفس ونزغات الشيطان، فيمسك اللسان عما حرم الله ويغض البصر امتثالاً لأمر الله، ويملاؤ البصر والبصيرة بحرم الله، ها هو المسلم المحرم قد نسى أو تشاغل بحاضره مع ربه عما انشغل به من مال وولد، فحصر فكره وجهده وحاسب نفسه حتى لا يقع فى محذور أو يأتى عملاً منكوراً، إنه قد استمع إلى قول الله - سبحانه -:

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ﴾ (١٢)

﴿أَطِيعُوا رِجْلَيْهِ ۖ﴾ (١٣).

فاستقرت نفسه بين جنبه، فقد ضمن الله زاده وريه وطهوره، فما عليه إلا أن ينصرف إلى هذه المهمة: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾.

(٩) أخرجه أحمد ومسلم والنسائى.

(١١) البقرة (١٢٥).

(٨) أخرجه البخارى.

(١٠) البقرة (١٢٥).

(١٢) قريش (٤).

﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَكِّدْ﴾

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿١٥﴾.

إنها قد استمرت وعورة الطريق مهما كانت الوسيلة، وتعالى كل العوائق والموانع لتنعم بالمشول بين يدي الله فى حرمة تطوف وتسعى كما أمر، وتلبى وتكبر وتهلل تخلصا مما ران على القلوب من قسوة الحياة ومتاعبها، وإخلاصا لله ولدينه، وشكرا وحمدا له سبحانه على هدايته إلى أداء هذه الفريضة - الحج -.

إن السلوك فى الحج هو الثمرة الطيبة لهذه العبادة، إذ السلوك القويم ما هو إلا تلك المعانى السامية التى ينبغى أن تظهر باعتبارها المقاصد العظمى لهذه الشعيرة التى رغب الرسول ﷺ فى الحرص عليها والبعد عن خبائث السلوك ذلك قوله ﷺ: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) (١٦).

وهذا مصداق قول الله - سبحانه -:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَنْ تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَكَزَّوْدًا فَإِنْ خَيْرٌ زَادَ الْقُوَى وَأَتَّقُوا يَتَأْتُوا لِيَالِ الْآلَتِيبِ ﴿١٧﴾.

ذلك تأصيل من الله ورسوله لمسارات السلوك السوى فى الحج ومن مقتضى هذا أن يبعد الحجيج بين أنفسهم وبين الرفث والفسوق والجدال فى مسالك هذه العبادة، إذ كل أولئك

إحرام متواصل يذكر الإنسان بمآله، فيخشع منه القلب ويقشعر البدن، وتنصهر الذنوب وتمحى، ويتخلص من عقدة الخطايا والذنوب والآثام: (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) (١٣).

إن الإحرام وما يتبعه من انصهار وإخلاص وانصراف إلى العبادة كل العبادة مسار مستقيم نحو الأمن النفسى للفرد المسلم الذى ارتحل مهاجرا إلى الله مستجيبا دعوته:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا لَاَوْعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾

هذه الهجرة إلى الله تتوافر بها كل مقومات الأمان لنفس المسلم واطمئنانه حيث يتخلص من القلق والتوتر الذى عجزت عن معالجته ووقف آثاره، اجتهادات العلم المعاصر وعقاقيره، ولكنه الله الذى خلق فسوى شرع هذا الحج عبادة ورياضة جسدية ونفسية قوامها النية: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ..) (١٤) والإخلاص والتجرد لهذه العبادة.

ثم هذه الأخوة الإسلامية التى تتجلى فى هذه الجموع التى حشدت ليوم الحج الأكبر من الذى ناداها؟ ومن الذى هداها؟ ومن الذى حركها من مأواها هذه الحشود المختلفة لونا ولسانا ولكنها تنشئ رضا الله الواحد الأحد الذى

(١٣) أخرجه أحمد والبخارى.

(١٤) متفق عليه.

(١٥) الإخلاص (٤، ٣).

(١٦) أخرجه أحمد والبخارى والنسائي.

(١٧) البقرة (١٩٧).



وأى فسوق بعد هذا التدافع بالمناكب الذى يتنافى مع ما يجب أن يكون عليه الحجيج من خشوع وخضوع وذكر وحمد وشكر، إذ هم فى الطواف وفى السعى، وفى الرمي فى عبادات ومناسك كالشأن فى الصلاة..

إن المسلم حين أحرم بالحج حرم على نفسه كل موبقة تعود به إلى ما قبل الإحرام فليتعاون الحاج جميعا على أداء هذه المناسك وهم رحماء متراحمون وليعملوا بقول الرسول ﷺ (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من السماء) (١٨) وقوله ﷺ: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف) (١٩).. وفى نهى الله ورسوله عن الرفث والفسوق والجدال فى الحج دعوة إلى الامتناع فى الحج عن مزاوله ما اعتاده الناس فى حياتهم اليومية من سباب وشتائم وتنابز بالألقاب مع من تعرف ومن لا تعرف، الأمر الذى يودى بالعلاقات الأخوية التى من مقاصد الحج التمكين لها بين المسلمين، وقد تكون الدواعى لهذه الآثام من توافه الأفعال وسواها الأفعال.

فليأخذ الحجيج بآداب الإسلام وسلوكياته. فلا سباب ولاشتائم فإن هذا من الفسوق كما جاء فى الحديث الشريف: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) (٢٠). ولا تنابز بالألقاب فقد اعتبره الله فى كتابه فسوقاً؛

من مدمرات مهلكات، مثيرات لنوازع الشرور التى غاضت حين تنادت الأنفس المؤمنة إلى اللقاء فى حرم الله الآمن تعبد به أحداً، وفى رحابه تشعر بالأخوة وتصر على تقوية أو اصرها، ولا تبددها بالجدال وبالرفث والفسوق.

إن مسارات السلوك فى الحج إذا استقامت على سنن الله ورسوله هدت إلى وعى أخلاقى سليم ليس فحسب فى مدة الحج وإنما صار هذا عرفاً قويمًا وعادة مستقيمة وكسبا محموداً ثم تخليا عن منكرات السلوك التى لا يخلو منها مجتمع، فما بالناس بمجتمع الحج الذى توافدت إليه أجناس متباينة العادات والأعراف وإن جمعها الإسلام فى صلاته وصيامه وزكاته وحجه وفى ظل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

إن هذا الجمع - ولا شك جاء مهاجراً إلى الله وفى مرضاته - ينأى عن كل قبيح من الفعال والأقوال، وهو بهذا ينكر على أولئك الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا؟ فينكر المزاحمة فى هذه البقاع المقدسة، تلك المزاحمة المتعمدة من قبل البعض الذى لا يبالي بما يلحق الآخرين من أذى وضرر لاسيما الضعفاء كالنساء والأولاد والمسنين، وقد تحتل المزاحمة القردية، لأن آثارها محدودة ولكن المزاحمة الجماعية التى تقوم بها بعض الجماعات باندفاع رهيب مؤذ وغير متناسب مع جلال المكان والزمان والعبادة:

﴿فَمَنْ وَضَّ فِيهِمْ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فَسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِسَرِّ الْأَسْمِ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَنِ﴾ (٢١).

(١٨) أخرجه أبو داود والترمذى.

(٢٠) أخرجه أحمد والترمذى والنسائى.

(١٩) أخرجه البخارى فى الأدب.

(٢١) الحجرات (١١).





فكيف يقدم بعض الحجاج على تدنيس البيت وحرمة وسائر أماكن المناسك دون حياء من الله ولا من الناس

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (٢٥).

إن الإقدام على قضاء الحاجة والتبول في تلك الأماكن وحولها بل وفي الشوارع والطرق العامة خروج وهتك لحرمة الله ونقض لأوامر رسول الله ﷺ في آدابه ووصاياه لأمنته فقد قال: «اتقوا اللاعنين» قالوا: «وما اللاعنان يا رسول الله» قال: «الذى يتخلى في طريق الناس وفي ظلمهم» (٢٦) وفي رواية اتقوا الملاعن الثلاثة: (البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل).

أليس هذا من سوء الفعال التي ينبغي ألا تصدر ممن أووا إلى حرم الله واستجابة لدعوته؟ أليس هذا منكرا وانتهاكا لحرمة الله، وإفسادا في الأرض ومضارة للناس أصابهم بالنجس وفعل سوء يتنافى مع وصية الرسول ﷺ في قوله: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٢٧).

ها نحن في الأشهر الحرم في الأشهر المعلومات للحج وهذا توضيح لمسارات السلوك الحميد كما رسم الإسلام في القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ وبضدها تتميز الأشياء، فلعل من تهيا لأداء هذه الشعيرة أن يتزود لها وخير الزاد التقوى.

من مختارات مجلة الأزهر عدد ذوالقعدة ١٤١٠هـ

ولا تحاسد ولا تباغض ولا تدابر ففي الحديث الشريف: (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا) (٢٢) ولا أنانية ولا شح بين المسلمين:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٣).

ولا كذب ولا خداع ولا شهادة زور فإن كل أولئك مما حرمة الإسلام فكيف به بين المهاجرين إلى الله ورسوله في رحلة الحج؟

إن وقت هذه الرحلة يجب أن يكون خالصا لله - سبحانه - يستثمر في الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن وذكر الله والتقرب إليه، لاسيما والعبادة في هذه الأماكن جزيلة العطاء من الله - سبحانه - فصلاة الجماعة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة في غيره وفي المسجد النبوي تعدل ألف صلاة فأين الحجاج من هذه الميزات والحرص عليها بدلا من اللغو والغيبة والنميمة، والسعي بالفساد في الأرض:

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾

ولعل من السلوك القويم أن يحرص الحجاج على طهارة أماكن الشعائر فإنها أماكن عبادة لا سيما وقد أمر الله إبراهيم - عليه السلام - بتطهير البيت فقال:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٤).

(٢٤) الحج (٢٦).

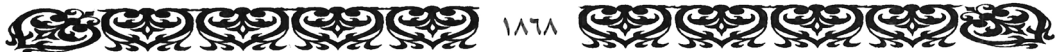
(٢٣) الحشر (٩).

(٢٢) أخرجه البخاري وابن أبي شيبة.

(٢٧) أخرجه البخاري.

(٢٦) أخرجه ابن حبان.

(٢٥) الحج (٣٠).





ازدهار الإسلام في العالم

دكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

وهكذا خفقت راية الإسلام في كل مكان، وكما فتحت الأندلس، فتحت بعد قرون القسطنطينية وسقط وكر من أوكار التآمر ضد الإسلام، كما سقطت أوكار كثيرة بعد معركة اليرموك والقادسية وذات الصواري وغيرها من معارك الإسلام الكبرى من أجل القضاء على العبودية والوثنية في الأرض.

انتشر الإسلام في العالم لأنه جاء من السماء لتحرير الإنسان، ورعاية حقوقه ولتحرير الشعوب من نير العبودية، وما كانت الحرب في الإسلام إلا انتصاراً للحق، وحماية للضعفاء والمستعبدين، وتحريراً للشعوب من الاضطهاد والظلم والهوان وإلا دفاعاً عن الأوطان الإسلامية، والشعوب التي دخلت في دين الله.

انتشر الإسلام، أو لنقل: انتصر الإسلام، في كل مكان، وإذا كانت الحروب الصليبية، ثم حروب التتار قد أضعفت القوة الإسلامية قليلاً، فإن دعوة الإسلام سارت في طريقها إلى كل مكان في العالم، دعوة إلى الحرية والمساواة ودعوة إلى الإخاء وحقوق الإنسان قبل دعوات أوروبا المدمرة باسم الحرية.. الحروب الصليبية كان يحركها باباوات روما^(١)، وغزو التتار المدمر كانت القوى الصليبية هي المحرك

في العهد النبوي العظيم دانت جزيرة العرب كلها للإسلام، وقضى أبو بكر خليفة رسول الله على حركة الردة بعد وفاة الرسول الأكرم سيد المرسلين، وخاتم النبيين بأعوام قلائل، حرر المسلمون بلاد الشام من سيطرة الرومان وبطشهم، ثم حرروا العراق من سيطرة الفرس وجبروتهم، وحرروا مصر والشمال الأفريقي كله من سيطرة بيزنطة - دولة الروم الشرقية - وقضى المسلمون على الوثنية وعبادة النار في فارس، وانتشر الإسلام شرقاً إلى حدود الصين والهند، ثم فتحت الأندلس في أواخر القرن الأول الهجري، وصار للإسلام والمسلمين السيادة في الأرض وأصبحت دولة الإسلام ظاهرة غالبية منصور، ترفرف رايتها في كل أفق، وفي كل جهة وصقع.



في اعتناق دين سماوى، وعقد في بلاطه مناظرة بين دعاة يمثلون الأديان السماوية المعروفة، وقام كل داع بالدفاع عن دينه^(٥) وشرح تعاليمه فحال بين فلاديمير وقبول الإسلام تحريم الخمر في الإسلام حيث أجاب بأن الشراب متعة الروس ولا حياة لهم بدونه، وكذلك أخفق اليهود الذين جاءوا من بلاد الخزر - في استمالته إلى ديانتهم، فبعد أن أصغى الأمير إلى حججهم سألهم: أين بلدكم، فأجابوا كاذبين: بيت المقدس، ولكن الله شئت شملنا في كافة أنحاء العالم غضبا منه علينا، فرد عليهم فلاديمير: إذا كان الله قد قطعكم من رحمته فهل تريدون منا اعتناق دينكم فنلقى نفس المصير... ثم بعث الأمير عشرة من رجال دولته المشهود لهم بالحكمة وسداد الرأي، ووجههم إلى البلاد المختلفة ليدرّسوا أمور دياناتها، ودونت هذه السفارات ملاحظاتها عن الأديان ومعتقداتها وكتبوا عن البلغار المسلمين أن أماكنهم حقيرة، ولكنهم أخذوا بمظاهر المسيحية في القسطنطينية فجهروا بها واعتنقوها عام ٩٨٨م - ٣٧٨هـ، وجهر الشعب كله بها.

ويحدثنا التاريخ كذلك أنه في عام ٣٠٩هـ - ٩٢١م اتصل ملك الفولجا بالخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٨-٩٣٢م) حيث أرسل

الأول لها^(٢) من أجل بلوغهم الأهداف في تدمير العالم الإسلامي وإيقاف مسيرته، ويذكر التاريخ أن هبتون ملك أرمينية المسيحية سعى في إقناع حانجوخان المغولي (٦٤٦ - ٦٥٥هـ / ١٢٤٨ - ١٢٥٧م) بإرسال حملة بقيادة أخيه هولالكو لتدمير بغداد (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، كما سعى في تزويج ابن هولالكو من ابنة إمبراطور القسطنطينية المسيحية^(٣).

ومن عجب أن تتآمر أوروبا المسيحية مع الوثنية في كل مكان من أجل محاربة الإسلام بكل وسيلة ممكنة.

وقد قامت دولة الخزر في آسيا الوسطى في القرن الثاني والثالث الهجري بحركات التفاف كبيرة حول العالم الإسلامي الشرقي وفشلت في مساعدتها الخطيرة.

ومع هذا كله فإن الملك البريطاني في أوفيا (٧٥٧ - ٧٩٦م) قد اعتنق الإسلام، وسلك نقودا عليها كلمة التوحيد بجانب اسمه وعليها كذلك تاريخ عام ٧٧٤م - أي ١٥٧هـ في خلافة المنصور العباسي^(٤).

ويحدثنا التاريخ أن فلاديمير أمير كييف عاصمة روسيا قديما كان على الوثنية، ثم رغب

(١) الحركة الصليبية لسعيد عبدالفتاح عاشور.

(٢) راجع: الدعوة إلى الإسلام، وتوماس أرنولد، ترجمة حسن إبراهيم حسن، وعبد الحميد عابدين.

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٠.

(٤) المجلة العربية، الرياض، عدد ربيع الثاني ١٤٠٩هـ، نوفمبر ١٩٨٨م.

(٥) يماثل ذلك ما فعله بوبدين (١٥٤٠ - ١٥٩٦م) وهو فيلسوف فرنسي، ألف بحثاً عن الأديان بما فيها الإسلام، وهو حوار بين سبعة يمثلون عقائد مختلفة، ويقررون في النهاية ليس اتباع عقيدة بعينها من العقائد، ولكن أن يعيشوا معاً بإحسان وتسامح، والكتاب مطبوع في أوروبا لأول مرة عام ١٨٤١، راجع أ.هـ. ميلتون، الثقافة الإسلامية.



وفى فصل مثير من فصول التاريخ نشرت صنداي تايمز البريطانية قصة رواها مؤرخ صحفى إنجليزى ونشرتها صحيفة الأهرام المصرية فى عددها ١١ / ١١ / ١٩٧٨ - الصفحة الخامسة، بعنوان « كادت بريطانيا تصبح إمارة إسلامية » قالت الأهرام:

كشف تاريخى فريد أثبت أن بريطانيا أوشكت ذات مرة أن تتحول إلى إمارة إسلامية عربية تابعة لسلطان المغرب والأندلس محمد الناصر أوائل القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) طواعية وباختيار الملك جون الأول الذى عرض أن يعتنق الإسلام هو ورجال بلاطه وشعبه، وأن يكون تابعا مخلصا للسلطان فقط إذا قبل السلطان أن يبسط عليه حمايته^(٨).

يقول صاحب هذا الكشف: إن صاحب ذلك السجل التاريخى الذى دونت به هذه القصة هو المؤرخ الانجليزى الفذ « ماثيو باريس » الراهب فى دير « سانت البانى » الذى تفرغ لكتابة أحداث القرن الثالث عشر يوما بعد يوم تماما كما يفعل

إليه رسالة لكى يبعث المقتدر إليه من يرشده إلى الإسلام، فبعث له بابن فضلان وأسلم الملك وشعبه، وعاد ابن فضلان فكتب رحلته إلى البلاد التى رحل إليها، وهى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، وهذه الرحلة نشرها المستشرق الروسى كراتشوفستى وحققها ونشرها د. سامى الدهان.

وبعد أقل من نصف قرن مرت على تدمير بغداد اعتنق إمبراطور المغول غازان خان الإسلام هو وشعبه وذلك فى الرابع من شعبان ٦٩٤هـ - يوليو ١٢٩٥م، وانتصر الإسلام بذلك انتصاراً شديداً، وقد سبق إسلام غازان خان هو وشعبه أن أسلم أحد سلاطين المغول بأرض فارس وهو تكودار خان (٦٨١-٦٨٣هـ / ١٢٨٢-١٢٨٤م) وذلك فى عهد السلطان قلاوون بمصر (٦٧٨-٦٨٩ / ١٢٧٩-١٢٩٠م). كما ذكر ذلك القلقشندى.^(٦)

وتقوم اليوم الصهيونية العالمية بعملية التميع التراث العربى والإسلامى فى منطقة الشرق الأوسط على الرغم من تمسكها بتراتها الدينى اليهودى^(٧).

(٦) صبح الأعشى ٦٥/١: ٦٨، ٢٢٧، ٢٤٤٢.

(٧) الصفحة الثالثة من جريدة الحياة البروتية عدد ١٥ نوفمبر ١٩٧٠، وتتلاقى الصهيونية فى ذلك مع هدف أمريكا السياسى والعلمى والثقافى، وهو تميع المبادئ، والعقائد الروحية والدينية فى منطقة الشرق الأوسط (المرجع السابق نفسه) وليس هناك دولة تخشى الانتفاضات الإسلامية بمثل ما تخشاه روسيا، لأنها بدون المناطق الإسلامية التى ضمتها إليها لا تستطيع اقتصادياً أن تظل دولة كبرى (المرجع السابق نفسه)، وتتلاقى هذه الأهداف كلها فى منطقة الشرق الأوسط لتعمل من أجل هذه الغاية.

(٨) صاحب هذا الكشف التاريخى هو الصحفى المؤرخ الإنجليزى (جابريل روني) مؤلف كتاب: « الإنجليزى سفيرخان التتار... من الأسقف الإنجليزى روبرت دى لندن » وخيانتة منذ كان قسيس الاعتراف الخاص بالملك جون إلى أن أصبح الدبلوماسى والمترجم الخاص لأحد خانات التتار فى منتصف القرن (١٣) الميلادى، وصحب الخان فى إحدى حملاته الرهيبة على شرق أوروبا ضمن غزوات التتار عبر آسيا للعالمين الإسلامى والمسيحى فى ذلك العصر، ويقول صاحب هذا الكشف أنه عثر على القصة الكاملة لمحاولة الملك جون اعتناق الإسلام وتسليم مملكته إلى أمير مغربى يدعى محمد الناصر، وذلك هرباً من مشاكله السياسية الداخلية التى انتهت بهزيمته أمام البارونات والنبل، وتسليمه لهم الميثاق الأعظم (ماجنا كارتا) التى تعتبر أول وثيقة قامت عليها الديمقراطية البريطانية.



سمعت عن ملك أو حاكم يمتلك هذه المملكة الثرية، وهي مملكة مطيعة لأوامره خاضعة له، ثم يتخلى بهذه الصورة عن سيادته وسلطانه بتحويله بلادا حرة إلى ولاية تابعة، وبأن يمنح لحاكم غريب ما هو ملك خاص له، ورفض الملك الطاصر العرض بشدة وبصفة قاطعة.

ويصف ماثيو باريس نقلاً عن قسيس الملك جون أن الملك بكى بكاء مريراً لخبية مسعاه بهذا الشكل حينما عاد رسله إليه، ولكنه كافأ قسيسه بأن عينه رئيساً لدير سانت الباني وهناك قابله ماثيو باريس وسمع منه القصة لكي يضمنها تاريخه، وكان روبرت دى لندن مكروها من رهبان الدير، فدفعوا للملك ٧٠٠ قطعة فضية مقابل عزله من رياسة الدير، وبعزله انهارت علاقة روبرت بالملك، فتخلى القسيس عن الملك، وانضم إلى أعدائه البارونات الذين انتزعوا من الملك الميثاق الأعظم بعد ذلك. وكان الملك جون قد اتفق مع بابا روما - وكانت الكنيسة الإنجليزية تابعة له فى ذلك العصر - على معاقبة البارونات المتمردين والقساوسة المنضمين إليهم لأنهم زعزعوا سلطان الملك فأضعفوا الكنيسة بذلك ولهذا أمر الملك جون كنيسة بإصدار قرار بحرمان القسيس روبرت دى لندن ونفيه من إنجلترا، ولكن روبرت هرب إلى آسيا وذهب إلى خان التتار «المغول» فى منغوليا، وأصبح ممثله الديبلوماسى وترجمانه إلى أن عاد إلى أوروبا فى إحدى الغزوات المدمرة ولا ريب فى أنه كان صلة وثيقة بين بابا روما والأميراطور المغولى.

ويضىء الفنان الأديب المعروف الأستاذ جمال قطب هذه القصة المثيرة بمقال نشره فى إحدى

المؤرخون المسلمون والمصريون بعد العصر الفاطمى، وحتى عصر محمد على أى منذ المقرئى حتى الجبريتى.

ويؤكد «جابريل» أنه ليس هناك ما يدعو إلى الشك فى هذه القصة لأن «ماثيو باريس» كان قد سمعها من فم بطلها شخصياً، وهذا البطل هو الأسقف «روبرت دى لندن» نفسه حينما كان لا يزال قسيس الاعتراف الخاص بالملك جون.

قال «روبرت دى لندن» لماثيو باريس: إنه كان أحد ثلاثة أرسلهم الملك جون فى بعثة سرية إلى الأمير محمد الناصر عام ١٢١٣م (٦١٠هـ)، وكان الاثنان الآخران من رجال الدولة العسكريين وهما: البارون توماس هارد ينجتون، والبارون رالف فيتزنيوكولاس، وقد أرسل الملك قسيسه الخاص معهما حتى يضمن أن لا يخونه أو يفشى سره أحد البارونين وقد كلف الملك جون رئيس البعثة وهو البارون رالف - أمام البارون الثانى والقس روبرت بأن يقول للملك العظيم ملك إفريقيا والمغرب وأسبانيا بأنه على استعداد لأن يُسلم الملك الناصر طواعية نفسه ومملكته، فإذا شاء الملك الناصر، فليأخذ هذه المملكة كولاية ضمن دولته، وكتب الملك جون خطاباً بهذا المعنى أيضاً سلمه البارون توماس للملك الناصر، وأخذ البارون - بمعاونة أحد المترجمين - يصف للملك الناصر - مستخدماً فصاحته وبلاغته - ثراء أرض إنجلترا وخصوبة حقولها وما يتمتع به أهلها من دراية ومهارة ومعرفتهم بثلاث لغات: اللاتينية والإنجليزية والفرنسية، بالإضافة إلى إتقانهم كل حرفة يدوية وميكانيكية أخرى... إلا أن إجابة الملك الناصر المسلم كانت عاقلة ومتزنة بصورة غير عادية، فقد قال: لم يحدث لى أبداً أن قرأت أو



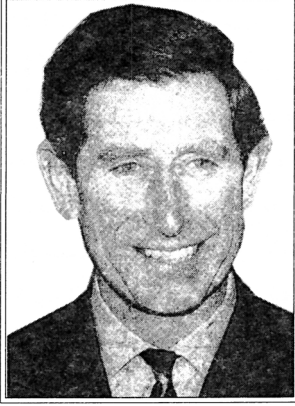
المجلات، وأظنها «آخر ساعة»، يقول بعنوان: «وكادت إنجلترا تعتنق الإسلام»:

«عندما توفي ريتشارد الأول «قلب الأسد» خلفه على العرش أخوه الملك جون، الذى كانت أشد أزمة مرت به هى نزاعه مع البابا «أنسنت الثالث» حول الاختلاف على تعيين كبير الأساقفة فى إنجلترا فقد اختار جون أحد أصدقائه المقربين لهذا المنصب الدينى الخطير بينما أصر البابا على تعيين راهب آخر يسمى «ستيفن لانجتون» ولكن الملك ضرب برغبة البابا عرض الحائط، وأصر على الاحتفاظ بالمنصب لصديقه دى جراى فغضب البابا وشرع فى وجه الملك سلاح «الحرمان» أى الطرد من عضوية الكنيسة، أى التجريد من المسيحية بكافة مظاهرها وشعائرها، وأن يتبرأ الجميع من المحرم وليس له سلطان عليهم. وأصدر البابا قرار الحرمان وأمعن الملك بدوره فى تعذيب رجال الدين والتنكيل بهم لوقوفهم فى صف البابا ممثل السلطة الدينية العليا وتمادى البابا فى حربه لجون، فأغرى ملك فرنسا بغزو إنجلترا وبارك حملته، وعينه ملكا على إنجلترا مع فرنسا وتلفت جون حوله فلم يجد من يناصره ضد البابا وفرنسا فاتجه صوب الأندلس وأرسل رسله إلى عبدالرحمن الناصر^(٩) مستنجدا به، وتعهد ملك بريطانيا للناصر بأن يكون فى مقابل ذلك تابعا هو ودولته للدولة الإسلامية وبأن يرسل له جزية سنوية وأن يعتنق هو وأسرته وشعبه الإسلام. ولكن الناصر أبى ذلك».

ويسترسل أديبنا الفنان فيشوه صفحات تاريخ جون، وهو فى ذلك معذور لأن جميع المصادر الانجليزية شوهت تاريخه بسبب ما كان قد ترتب عليه من اعتناق الإسلام.

ونسترسل هنا لنذكر - مع صفحات التاريخ - «ماركو بولو» هذا الرحالة ابن البندقية الذى رحل إلى بخارى فالصين ليعيش ضيفا على الإمبراطور المغولى قبلاى خان وموظفا فى قصره، ووكيلا له فى عديد من المهمات السياسية، وحاكما لمدينة «يانغ تشو» الصينية، وأصبح والد ماركو بولو وعمه مستشارين عسكريين للإمبراطور المغولى يرسمان له خطط غزو بغداد وتدميرها والاستيلاء على امبراطورية الخلافة العباسية، ثم رحلا عام ٦٩٢ هـ/١٢٩٢م مرافقين لأميرة صينية فى رحلة بحرية إلى فارس، ومن فارس عادا إلى البندقية وواصل ماركو بولو عمله فى خدمة الإمبراطور مظهرا كل الولاء له، وكان الوساطة الخطيرة بين بابا روما والإمبراطور وهو الذى زين له حملة أخيه وشقيقه هولاء العسكريين للاستيلاء على دولة الخلافة وتدمير بغداد وبعد أن تحققت أحلامه عاد إلى البندقية عام ٦٩٩ هـ/١٢٩٩م وكتب رحلته «التي ترجمت وطبعت فى القاهرة حيث صدرت عن الهيئة العامة للكتاب فى أربعة أجزاء» ورحلة ماركو بولو هى التى أضاعت الطريق للاستعمار الغربى لغزو الهند وسيلان وبورما وغيرها والخرائط التى رسمها ماركو بولو هى التى سار عليها كولومبوس حتى قادت هذه المسيرة إلى اكتشاف أمريكا.

(٩) يخطئ الكاتب فى ذلك، لأن جون إنما اتجه إلى المغرب وإلى السلطان الناصر.



الأمير تشارلز

الثقافى لليونان
القديمة
وللحضارة
الرومانية
فحسب، وإنما
فسرت وطورت
تلك الحضارة
وأضافت
إسهاماتها الحيوية
الخاصة فى عدد
من حقول المعرفة

الإنسانية. لقد كان الإسلام جزءاً من أوروبا فى
أسبانيا ثم البلقان، فالإسلام جزء من ماضينا
وحاضرنا فى جميع حقول النشاط الإنسانى، وهو
الذى ساعدنا على خلق أوروبا الحديثة، إنه جزء من
تراثنا وليس معزولاً عنا.

– بإمكان الإسلام أن يعلمنا المنهج الذى
نعيش به فى عالم افتقرت فيه المسيحية بفعل ما
فقدته.

– الإسلام يرفض فصل الإنسان عن الطبيعة
وفصل الدين عن العلم، والفكر عن المادة.

وينادى الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا بحوار
الحضارات نابهاً فكرة صراعها... حفظاً للسلام
العالمى.

وبعد، فلسوف يبقى الإسلام فى الأرض،
محفوظاً برعاية الله، ليبذر فى الأرض بذور العدل
والرحمة والخير والسلام، وليضيء الحياة بنور
الإيمان والحب والرخاء.

وبعد ذلك كله لحة من مشاهد مسيرة الإسلام
فى دنيا الأمم تعرفنا بأشياء كثيرة عن انتشاره
وانتشار دعوته فى العالم قروناً طويلة، وما انتشر
الإسلام إلا بفضل الله وبما جاء به من مبادئ
التوحيد والحق والعدل والقوة والخير والجمال^(١٠).

هذه المبادئ كلها التى اعترف بها ولى عهد إنجلترا
النبيل الأمير تشارلز الذى قال فى محاضرة له فى
أكسفورد فى نوفمبر ١٩٩٣م، والذى جاء فيها:

– إن سوء الفهم بين الإسلام والغرب لا يزال
مستمراً.

– الوقت ليس متأخراً لأن يقوم الإسلام
والغرب بتوحيد قواهما من أجل الصالح الإنسانى
المشترك.

– من الغريب أن يستمر عدم الفهم بين
الإسلام والغرب لأن ما يربط بين العالمين أقوى مما
يفرق بيننا بكثير.

– يشترك الإسلام والمسيحية فى رؤية أن الحياة
على الأرض هى فترة انتقالية وفى الجزاء على
أعمالنا وفى الثقة فى الحياة الآخورية.

– نحن نشترك فى العديد من القيم الأساسية:
احترام: للعلم، للعدالة، للتعاطف مع الفقراء،
أهمية الحياة العائلية، احترام الأبوين.

– العالم الإسلامى فى العصور الوسطى من
أواسط آسيا وحتى سواحل الأطلسى كان مزدهراً
بالمفكرين والعلماء، ولقد قللنا من أهمية ثمائنائة
عام من المجتمع والثقافة الإسلامية فى أسبانيا. ولم
تكتف أسبانيا المسلمة بجمع وحفظ المحتوى

(١٠) راجع كتاب: السر فى انتشار الإسلام للشيخ محمد عرفة ط ١٩٣١، رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ط ١٣٦١هـ.

الإسلام .. وقضية الشكل والمضمون

د. سَاز الدكتور / محمد أحمد العزب

ربما يثير هذا العنوان، (الإسلام.. وقضية الشكل والمضمون).. إشكالية فكرية لا تلبث أن تزول، لأن مصطلح (الشكل والمضمون) مصطلح أدبي نقدي يعالج به الفكر الفني الناقد بعض المحاولات الغاشمة التي تريد أن تعزل - في العمل الفني - بين ماهو شكل محض، وماهو مضمون محض، مع بداهة أن مجرد تصور شكل خاو من المضمون،، أو مضمون عار من الشكل، تصور باطل تماماً، على الأقل في العمل الفني الذي يتدامج فيه الشكل والمضمون تدامجاً عضوياً يبطل معه أى تصور لوجود أحدهما فى غياب الآخر.

التاريخى لهؤلاء الرجال الجوف أو بل على مسار الحركة العقيدية من حصاد الوجود التاريخى للملاحدة والرافضة والمارقة غير المقتنعين .. لأن لدى الجماهير المسلمة حصانة طبيعية ضد هؤلاء وانخداعا ساذجا بمظهرية أولئك .. ومن هنا تصبح خطورة الوجود المسلم الخادع أفدح بكثير لأن الذين يتلقون عنه يخيل إليهم أنهم يتلقون عن منهج إسلامى صحيح، ومتى فشلت هذه الظاهرة وتمددت بجذورها الوبيلة فى التربة التاريخية المسلمة، فقد يمكن أن تشكل واحدا من محاور الاقتلاع العقيدى، أو تزييف ما يمارس الجيل المسلم على الأقل من إيمان..!!

ولو أننا أحصينا أحجام الإحباطات التى يفرزها سلوك هؤلاء الجاهلين بالدين الذين

وفى يقينى أن قضية التدامج العضوى بين الشكل والمضمون فى الإسلام قضية أولية، ربما بتعديل طفيف ينقلها من التوجه إلى قضايا الإبداع فى الفن إلى قضايا السلوك العقيدى فى المسلم.

فالمسلم الذى يمارس الإسلام شكلا بلا مضمون مسلم مرفوض منذ البداية، فلا اللحى المرسله، ولا المسابح الطويلة، ولا تتمات الشفاه بلا ملل، ولا العكوف على لزوم المسجد، ولا استنابات زبيبة الصلاة فى الوجه، ولا التشنج الزارع كلما عرضت آية .. يمكن أن تكون دلالة وجود إيمانى إذا كانت لا ترجم موقفا سلوكيا شاملا يتعامل به هؤلاء مع الواقع، ومع الإنسان، ومع الكون، ومع الله .. وربما كان حصاد الوجود



الوضعيات هوة نحفر قراراتها بأيدينا، ونجهض فى ظلامها التاريخى كل ما نحتاز من انتصارات!!

نحن المسلمين نصاب بالإحباط حين نرسم لهؤلاء صورة عقيدية ملتزمة، ثم نفاجأ باهتراء هذه الصورة عند أول ممارسة حياتية تصل بيننا وبينهم. وتكشف أمامنا عن عالم دميم يسكنه هؤلاء المتاجرون بالشكل..

أما غير المسلمين الذين يتوقون إلى الإسلام كحركة عقيدية تحتوى الآن والمآ بعد وتمارس الدين والدنيا، وتزواج بين الكلمة والفعل، وتوحد الجوهر والإطار وتتعامل مع الواقع اليومى كأنها تقرأ من كتاب الله، ومع كتاب الله كأنها تلمس به مفردات الأشياء.. فإن إحباطهم يوشك أن يكون أفدح، إذا ما صادفوا هذه النماذج الرديئة التى ترحم الهواء بالكلام، وتعجز أن تعطى حتى ذرة من الفعل الوسيم.. لأن غير المسلمين الذين يتوقون إلى الإسلام يفرون إليه من جحيم واقع غليظ، يدوس على كثير من قيم الحق والخير والجمال، ويحاصر إنسانية إنسانه فى واقع مآدى لا يتنفس هواء القيم، ولا يتيح لهذا الواقع أن يكون أعلى من ذاته حتى بقياس ضعيل.. فإذا صادفوا هنا فى هذه النوعية مثل هذا الانحدار السلوكى الذى بَشِمُوا منه هناك أصيبوا تماما بمحنة الإحباط وتمزق الآمال..!!

إن غزو الإسلام للعالم كان بإهداء هذا العالم نوعية من الرجال والنساء جسدت مضامينه بلا خطابة وبلا وضعيات مظهرية خالية لأن هذه النوعية كانت بؤر إشعاع حقيقى بما تمارس من فعل تواصلت فيه دورات المثال والواقع، فكان

يبالغون فى التزام الشكل ويهدرون مبالغين كذلك قيمة المضمون، لعرفنا إلى أى مدى تكون فداحة هذا النمط السلوكى، وإلى أى مدى كذلك تكون تأثيراتهم الباهظة فى حركة المد الإسلامى الذى يحسرونه عن الفعل الحقيقى بهذه الانفصامية السوداء!!

ولنتصور تاجراً.. أو طبيباً.. أو رائداً دينياً.. يلتزم حرفية الشكل الدينى ويبالغ فى احتذاء النمط الخارجى الذى يرمى إلى جتمية التزامه العقيدى.. ولنتصور أننا تعاملنا معه.. فوجدناه تاجراً غاشاً، أو طبيباً وحشاً، أو رجل دين بلا دين.. ماذا يمكن أن يكون رد الفعل الذى يصيبنا من سلوكيات هؤلاء؟ أو شك أنؤكد أن الشكل هنا يستحيل ليس إلى لعنة ذاتية، فتلك جريمة محتملة، وإنما إلى اتهام ظالم يتوجه بأصابع الإدانة إلى الدين عند كثير ممن لا يتعمقون النظر أو يصححون الحكم.. وهذا هو الخيف!!

والمذهل أننا نعايش هذه الظاهرة الوبيلة ولا نجسر على فضحها، أو الإيماء الرافض إليها، ربما لأننا أقصر قامة من أن نجهر بقضية الحق الذى هو جوهر الإيمان وربما لأن فينا نحن ملامح من هذه الظاهرة الوبيلة، وبلا شعور نمارس لونا من خداع الذات أو تلهيتها عن جنوحها السلوكى.. ولن يغفر التاريخ لنا هذه الوضعية الدميعة، لأن المدخل إلى كل هزائم التاريخ يبدأ من هنا: من نقطة أن نرى المأساة ونغنى، أو من نقطة أن نراها ونحجب رؤيتنا بأيدينا حتى نهرب من بطولة الشهادة.. أو من نقطة أن نرى ونمتلك الوعى بما نرى، ولكننا نحاصر هذا الوعى الفاهم بأسوار غليظة من اللامبالاة السيئة.. وفى كل وضعية من هذه



القرآن الكريم يقرن في نداءاته دائما بين الإيمان والعمل، ولكننا نؤثر الأخذ بجانب الإيمان غير المكلف، ونتعمى عن حقيقة أن مثل هذا الإيمان مرفوض، لأن الإيمان كما حدده حامل لواء هذه الدعوة هو: «ما وقر في القلب وصدقه العمل».

هل هي إذن دعوة إلى عصمة غير مستطاعة؟؟؟
أبدا، فنحن أول من يؤمن بحتمية الخطأ الآدمي، وبحتمية القصور الآدمي كذلك، ولكننا نؤمن أيضاً بأن الخطأ الآدمي ليس القاعدة، وبأن القصور الآدمي لا ينبغي أن يظل هو القاعدة، ففي وسع البشر متى شافوا إيمانهم العقيدى أن يوائمو بين الشكل والمضمون من جهة، وأن يحققوا في ذواتهم قدر ما يستطيعونه بلا ادعاءات، وأن يقفوا في قضية السلوك عند حد لا يجوز التنازل عنه. من ضرورة تقديم الحب على الكراهية، والتأزر على الافتراس، والمناصحة على الختل، والمواجهة على الكذب، والمشاركة على الأنانية، والود على قطع الأنامل.

وإذن فالذين يفهمون الإسلام شعارات لاسلوكا، مرضى ينبغي أن يعالجوا من صرع التخيل الأصفر..

والذين يأخذون الإسلام شكلا لا مضمونا، مرضى ينبغي أن يعالجوا من سوداوية الانفصام الرهيب.

والذين يركضون إلى غد إسلامي يتعانق في ساحاته الشعار والسلوك، والمضمون والشكل، والمحتوى والإطار.. هم وحدهم أمل هذه الدعوة، وهم فرسانها القادمون من عصور الغياب على صهوات فهم حقيقى نفرش له الدروب بالحب والدماء!!!

جذبها الخارق أقوى من أن تكفه معاندة غاشمة، أو يكبحه شرود عرقى مريض..

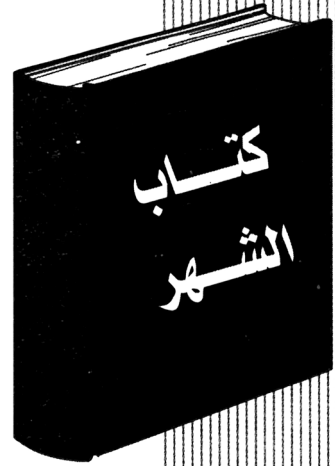
ومن هنا نبع إيمانهم بهذه الحكمة الجليلة:

«فعل رجل فى ألف رجل، أجدى من قول ألف رجل فى رجل».

وكان حرصهم الحريص على أن يكونوا هم أول ضحايا نداءاتهم إذا حزب الأمر، وآخر حاصدى ثمراتها إذا أفاء عليهم التاريخ.. كان جريحهم يؤثر صاحبه بحسوة من الماء وهو صديان.. وكان جائعهم يقدم زاده للوافدين وهو عاصب بطنه بحجر.. وكان قائددهم يعانق الصدمة الأولى ويرفض أن يظل على سرير القرار.. وكانوا كما قيل فيهم بحق:

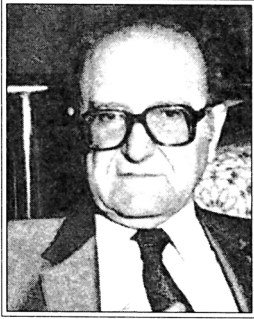
(رهبان بالليل . وفرسان بالنهار). بكل ما يحمل هذا القول من عناق القيمة والفعل فى جدلية تاريخية رائعة..

هل هذه دعوة إلى تفريغ المسلم المعاصر من مضمونه المادى، وإحالاته إلى ربانى جديد؟؟
ربانى نعم.. ولكن تفريغه من مضمونه المادى غير وارد على الإطلاق، فليس هناك دين -غير الإسلام- احتفى بالمادة احتفاء بها، أو دفع أتباعه إلى الحلول فى التاريخ كما فعل، ولكن دفعه واحتفاء جميعا كانا يتمان من خلال شمولية تضع المثال فى قلب الواقع، والنموذج فى تلافيف التطبيق، والفعل فى واجهة القول، لأن انشطار المعادلة إلى شكل منخوب، ومضمون مجرد، يحيل المعادلة ذاتها فى النهاية إلى صفر كبير، والإسلام إيجاب ومعادلة صوابية لا بد أن تنجب نتيجة بحجم عطائها العريض.. والعجيب أن



عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض





رجاء جارودي

ومن هنا.. قر في معتقد الغربيين أنهم محور الكون جميعه، وأن على الآخرين أن يدوروا في هذا المحور، وإلا أصيب الكون بالبور، ولذلك فإن عقاب من تسول له نفسه أن يخرج على هذا المعتقد الهلاك

السريع؛ لأنه - بخروجه - كأنه يدمر الكون، ويخل بنظام الحياة المستقرة الآمنة.

وسرعان ما سرى هذا المعتقد الغربى، فانتشر بين كثير من أبناء العالم الثانى - العالم النامى - لا عن اقتناع منهم، ولكن عن توهم أن ما صدر عن السادة فهو الصدق الذى لا ينقض، وهو الصحيح الذى لا يمارى فيه.. وبذلك تأكد لدى هؤلاء السادة الغربيين أن لهم قواعد تكمن بين العالم النامى من أبنائه، تنوب عنهم فى التبشير بمعتقدهم، والدفاع عنه كلما دعت الحاجة، وظهر من تسول له نفسه أن يشك فى سيادتهم، أو أن يتجرأ على سلطانهم؛ فكان فرعون بعث وعاد إلى الظهور بزعمه أنه الرب الأعلى بحجة ما يحوزه من ثراء وسلطان؛ فأخذ الإنسان الغربى الأبيض يردد فى كل محفل ما قاله فرعون من قبل :

﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (١)

وتطور بهذا الزعم، فقال :

منذ بدايات النصف الثانى من القرن العشرين تزايد اشتغال المفكرين والسياسيين بعقد الموازنات بين أم الأرض، وإسهامات كل أمة فى تحضير البشرية على مدى العصور المختلفة المتوجة بالعصر الحديث.

وقد واكب هذا خروج العالم من الحرب الكونية الثانية، وبدء التفرغ لجنى ثمارها، بما فرضه ذلك من الدخول فى صراع آخر، يكاد لا يقل ضراوة عن صراع المتحاربين منذ ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٥، بيد أن هذا الصراع الأخير أطلق عليه (الحرب الباردة)، وهى حرب - وإن لم تخلف هذه الآلاف من القتلى، والعديد من المدن المهدامة، والمزارع المباداة - خلفت تشويها فى الفكر، وزيفا فى المعتقدات، وخداعا فى الآراء وتحولا حادا فى القيم والأخلاق.

وكان أبرز ثمار هذه الحرب توسيع الهوة الفاصلة، بين الدول والشعوب، تلك الهوة التى قسمت العالم - على وجه الإجمال - قسمين، عالم سيد، وعالم مسود، أو عالم مستعمر، وعالم مستعمر، أو عالم مالك وعالم مملوك، أو عالم غنى وعالم نام.

وفى ظل هذا الشعور بالعلو والسيادة، وما يقابله من الشعور بالدونية والعوز.. سادت أفكار تولدت فى رأس الأقوى، وهيمنت على مشاعره، وتحكمت فى عواطفه، تفرض أن كل ما يصدر عنه هو الأفضل، وهو الأصح، وهو الدواء الناجع لإصلاح كل فاسد، وعلاج كل عليل، أيا كان موقعه، وأيا كانت ظروفه.



﴿ فَقَالَ أَنَارِبُكُمْ أَلَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) داعماً زعمه

الكاذب بسعة ما أوتيه من مال وملك، فقال :

﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِثْلُ مِثْرِهِ أَفَلَا تَنْهَرُونَ ﴾

تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٣).

مغمضاً عينيه وأعين الآخرين عما تستلزمه الألوهية من قدرة مطلقة، ليخدع نفسه ويخدع الآخرين بما أوتيه من ملك ومال، يوشك في لحظة أن يكون وبالا عليه وعلى من معه.

ومع القرار على هذا المعتقد وإذاعته بكل الوسائل الخادعة. أملى على الجميع أن الغرب - أو الإنسان الأبيض - هو مصدر الخير للبشرية كلها، وهو صانع الحضارات، وأن على الآخرين أن ينعموا في ظل حضارة الأسياد، وأن لا يتطلعوا إلى غيرها، وإلا كانوا مصدر قلق، وموطن إزعاج يخشى منه على العالم، لأنه يصارع الحضارة، فيجب مقاومته، مادام قد تجرأ على الأسياد، ورفض حضارتهم ونعيمهم، كما صنع فرعون من قبل مع موسى ومن تابعه :

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٤)

وقال هو وأتباعه :

﴿ أَقْتُلُوا آبَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ

وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ (٥).

فما إن تحلل بناء الاتحاد السوفييتي الذي كان بقوته النووية يشغل البيض الغربيين، وما إن تأكد

هؤلاء الغربيون أنهم أمنوا جانبه، ولم يعد مصدر قلق لسيادتهم، حتى تلفتوا باحثين عما يتوقع منه الخروج عن سلطانهم الممتد، فأروا في الإسلام تلك القوة الذاتية والقوة المادية التي يخشى جانبها، بما لديها من تراث حضارى فعال، يمكن أن يكشف عوار حضارتهم وزيفها، إذا ما تهيأ للإنسان العصري أن يوازن بين الحضارتين.

لسان الحق أقوى

وعلى الرغم من صيحات بعض الغربيين البيض التي علت في الآونة الأخيرة تستعدى الغربيين على الإسلام، وتخيف الآخرين منه، بدعوى أن الإسلام يضاد الحضارة الغربية الحديثة التي تكفل للإنسان من أسباب الترف والنعيم ما لم يكن يحلم به أحد.. على الرغم من تلك الصيحات الحمومة - بل المسعورة - نهض واحد من مفكرى الغرب المعتدلين ليدفع هذا الاتهام الجائر، ويكشف حقيقة الإنسان الغربى، وما صدر عنه من جرائم، وما تنطوى عليه حضارته المزعومة من شرك وخدع، قصد بها تمكين قبضته من عنق الإنسان غير الأبيض، حتى يظل عبداً له، محتاجاً له، لا يملك إلا أن يدور فى محوره.

أما هذا المفكر فهو الفيلسوف الفرنسى (روجيه جارودى) الذى أصبح اسمه بعد إسلامه (رجاء)، والذى بدأ تعرفه على الإسلام حين اعتقل فى مارس سنة ١٩٤١ لمقاومته الهتلرية، وكان معتقله وزملائه فى (جلفة) جنوبى (الجزائر).

(٣) الزخرف (٥١).

(٥) غافر (٢٥).

(٢) النازعات (٢٤).

(٤) الشعراء (٢٧).





هذا الجانب من الدور المشعوم الذى نهض به الإنسان الأبيض فى التاريخ، وأن الرؤية الخالصة تقرر أن منابع الغرب (الإغريقية والرومانية والمسيحية) إنما ولدت فى آسيا وأفريقية، وأن عصر النهضة قد هدم حضارات أسمى من حضارات الغرب باعتبار علاقات الإنسان فيها بالطبيعة، وبالاجتماع، وبالإلهى، وأن ابتكار مستقبل حقيقى يقتضى العثور مجدداً على جميع أبعاد الإنسان التى نمت فى الحضارات والثقافات اللغربية.

وبين المؤلف أنه حصل على رؤيته تلك بعد أن خلق فوق ذرى العالم كلها، واجتاز كل الأبواب، وتأمل فى جميع المرتفعات التى أبدعها الإنسان، وما يحلم به البشر هناك من المشاريع الإنسانية المستقبلية، فاجتمع إليه ما تعلمه من أساتذته الغربيين، وما قرأه فى كتب الإنسان المقدسة من (زاندافستا) الزرادشتيين فى إيران، وملحمة (كلكامش) عن (الخليج العربى). و(باغافاد - جيتا)، وملحمة (رامايانا) فى دلهى وفى (كاتماندو)، و(طاو-ته-كينغ) لـ (لاو - تسى)، كما قرأ (بوبول - فو) (للمايا)، وقرأ القرآن، مثلما قرأ التوراة، إلى غير ذلك من مصادر النور التى كان أناسى عصرنا يمتحون منها معنى وجودهم، وترتدى كل قارة وجهها الإنسانى، وقد ضم المؤلف إلى ذلك ما وقف عليه فى أميركا اللاتينية، وفى أفريقية من مصادر التراث المكتوب، والمنقوش، والمعاش، فتوفرت لديه تلك الرؤية الكاشفة لحقيقة الغرب وحضارته، ونبات تلك الحضارة.

ومنذ أطلق سراحه أخذ نفسه بالتجول فى بلدان العالم الإسلامى وغير الإسلامى فى قارتى آسيا وأفريقيا، فاكتشف الحقيقة التى عمل الغربيون على إخفائها وطمس معالمها، وهى أن الحضارة الغربية زيف، وأن منابع الغرب (الإغريقية، والرومانية، والمسيحية) إنما ولدت فى آسيا وفى أفريقية، فكان هذا الكشف من الدوافع التى قادته إلى تقديم كتابه (حوار الحضارات).

وأما كتاب (حوار الحضارات) فهو من تعريب الدكتور عادل العوا، وطبع (عويديات للنشر والطباعة ببيروت - لبنان)، وتشمل الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٩ من الكتاب على ثلاثين ومائتى صفحة من القطع المتوسط، تضم مقدمة، ومدخلا، وخمسة فصول، وخاتمة.

الغرب المعاصر هو الشر الأبيض

من البداية يتضح أن المؤلف انتزع نفسه من برائن التعصب الأعمى، فوقف على الأعراف بين الغرب والشرق صائحا: إننى لأرجو أن يسهم هذا الكتاب فى توسيع ذلك الحوار وتعميقه، والاستعاضة عن هيمنة (الغرب) الثقافية المفروضة خلال أربعة قرون من الاستعمار، وتجربة سيمفونية، هى تجربة الثقافة العالمية الشاملة.

ويدعم المؤلف رؤيته وصيحته تلك بما استعرضه فى المدخل (شهادة تجربة عالمية) حيث يذكر أن الغرب عارض طارئ، وأن عبارة (الشر الأبيض) هى العبارة التى يطلقها على



(الغرب بدءٌ مطلق)؛ وهمٌ كاذب

وفى الفصل الأول (بلد الفسق وأساطيره « عقدة مارثون ») استعرض المؤلف العوامل التى كانت وراء فرصة الهيمنة الغربية، والتى أثمرت الوهم الكاذب القائل أن الغرب بدءٌ مطلق، منطلقاً فى استعراضه ذلك من تأكيد (بول فاليرى) أن أوروبا وليدة تقاليد ثلاثة هى : (المسيحية الكاثوليكية فى المجال الأخلاقى، والقانون الرومانى فى مجال الحقوق والسياسة والدولة، والتقليد الإغريقى فى ميدان الفكر والفن، لافتنا النظر إلى أن قصد التزييف فرض على الأوروبيين أن يقفوا عند حدود ما أكده (بول فاليرى)، ولو أنهم أرادوا إنصاف الحقيقة لبحثوا عن منابع هذه التقاليد الثلاثة التى تولدت عنها الحضارة الأوروبية، ولكنهم أغفلوا ذلك عن عمد ليخلص لهم الزعم أن حضارة الغرب إنما انبجست انبجاس كائن فريد وحيد، بنوع من معجزة تاريخية.

ولو أنهم بحثوا عن منابع هذه التقاليد الثلاثة لتبين لهم أن ما عرف باسم (الغرب) إنما ولد فى (ما بين النهرين) وفى (مصر)، أى ولد فى آسيا وأفريقية.

ومن هنا .. يأخذ المؤلف فى الكشف عن منابع التقاليد الثلاثة، فيستعرض دور كل تقليد فى حضارة الغرب، وبدء تأثير الغرب به، وأصل هذا التقليد، ومصدره ليخلص من ذلك إلى أن رؤية العالم التى نعتبرها غربية ترجع بتاريخها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، وهى ترتدى شكلها خارج أوروبا فى مصر، وفى بلاد الرافدين.

الزيف المفضوح

ثم يأخذ المؤلف فى الكشف عما أصاب هذه التقاليد من تغيير على أيدي الغرب، فانحرف الغربى بها عن مسارها الإنسانى، حيث أراد أن يكون سيد الطبيعة المطلق، معتزاً بفرديته وفكره المجرد، غير مبال بانفصامه عن الرؤية الشرقية التى تؤلف بين حب الطبيعة وبين التقوى؛ فنجم عن ذلك إفقار الإنسان.

وكانت ثمرة هذا الانفصام أن أصبح هذا الغربى بمذهبه الثنائى، وبفرديته استثناءً بائساً فى الملحمة الإنسانية التى بدأت قبل ثلاثة ملايين سنة فى أفريقية، والتى استمرت خلال ستين قرناً فى جميع القارات حتى عصر النهضة الغربية .. أصبح الغرب منفرداً بامتلاك أسلحة أكثر تدميراً، فاستعبد العالم، وسيطر عليه، بعد أن خنق جميع الثقافات الأخرى.

والمؤلف يرجع هذا الانفصام إلى عصر وفكر (بروتاغوراس)، و (أوربيد)، و (سقراط)، و (أفلاطون) الذى سعى إلى أن يوحى بنظرياته لطاغية (سيراكوزة). حتى كان (الإسكندر المقدونى) الذى عمل على أن يفرض نفسه على الناس قاطبة، فجعل الغرب يعى وحدته، ويصبح توسعياً.

وفى ظل هذا انطلق المؤرخون الرسميون - وفى مقدمتهم هيرودوت - يزيفون منظور التاريخ العام، فلقنوا الأطفال عبارات أصبحت فيما بعد أسس آرائهم السياسية حيث أغفلوا تأثير الحضارة الآسيوية فى حضارة الإغريق



تولد عنه الرأسمالية ذات البعد الواحد، والاستعمار الذى يزعم أنه يتخذ هذا الإنسان التقنى مقياس الأشياء كلها.

وبذلك صبغت الحضارة الغربية - فى نموها من القرن السادس عشر، حتى نهاية القرن العشرين - بالصبغة الفاوستية القائمة على ثلاثة موضوعات هى : جعل الفعل والعمل قيمة أساسية، وتقرير أن العقل قادر على حل جميع المشكلات، والاعتقاد بإمكان لا نهائى فى النمو المقصور على الإنتاج والاستهلاك.

ويوضح المؤلف أن قيام الحضارة الغربية على هذه الموضوعات الثلاثة قد حول الإنسان إلى العمل والاستهلاك، وحول الفكر إلى الذكاء، وحول اللانهائى إلى الحكم، فأصبحت حضارة مؤهلة للانتحار، بسبب فقدان الهدف، وإفراط الوسائل.

وبذلك صار النمو محصورا فى الازدياد الاقتصادى، وأصبح الازدياد الاقتصادى هو المعيار الوحيد لتقدير جميع أشكال الحياة الاجتماعية، فهيمن التعارض بين الأقطار المسماة (متطورة) والأقطار المسماة (متخلفة). ومن هنا... يبرز عدم إمكان إقامة حوار حقيقى بين الحضارات، إذا لم نبدأ بتحليل الآليات التاريخية التى منعت - أو زيفت - هذا الحوار إلى اليوم.

ازدهار الغرب يفرض الصراع

ويرى المؤلف أن عدم إمكان إقامة حوار حقيقى بين حضارة الغرب وحضارات العالم الثالث يرجع إلى أن نمو الغرب يقوم على نهب ثروات القارات الثلاثة (آسيا وإفريقية، وأمريكا اللاتينية) ونقلها

على الرغم من وضوح ذلك التأثير فى مجال الفن، والأدب، والأخلاق، والسياسة.

ويذكر المؤلف أن من مظاهر الزيف الذى يعتمد عليه الغرب الانتساب إلى المسيحية، مغفلين أن ما عرف بالمسيحية فى الغرب، إنما هو نتاج ما سكب فى قالب الفكر الإغريقى من تصور عن الحياة بعيد غاية البعد عن النزعة الهلينية، فما أدخل إلى الغرب منذ عهد الإمبراطور قسطنطين إنما هو مسيحية أفسدتها تماما الثنائية اليونانية، والمثالية اليونانية على الصعيد الفكرى النظرى، فالتقليد القسطنطينى فى الكنيسة يمسى فى اتجاه يصاد تقليد العناية بالشئون الأخروية.

استمرار الغرب فى الضلال مع النهضة الحديثة

وفى الفصل الثانى (الغرب عَرَضَ) يذكر المؤلف أن الغرب - مع دخوله فى عصر النهضة - دخل فى طور جديد من الضلال المغرور، حيث أكد على سيادة مبدأ المنافسة، وخصومة الناس بعضهم مع بعض، فى إطار السوق، فخلقت فى المجتمع عقيدة تبرر الممارسة، وتدعم القصور السابق لعلاقة الإنسان بالطبيعة، وعلاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالله، مما فتح المجال لسيادة النزعة الفردية، ورحب بسيطرة إرادة الغازى الذى لا يتردد فى اقتحام تخوم العالم، ولا يتوانى عن تدمير القارات والحضارات، وهى النفوس لا اعتناق دين قوامه تحريض الرغبة تحريضا دائبا بدلا من الدين الذى يبشر بالصبر. من كل ما



هكذا تعامل الغرب مع الشعوب التي استعمرها

مستعمرة يعنى خلق سوق للصناعات الأوروبية. وثانيتها حجة إنسانية تعلن : أن للشعوب العليا حقا تجاه الشعوب الدنيا. وثالثتهما حجة سياسية تؤمن بأن بحرية الغرب فى حاجة إلى ملاجئ متينة، وتوفير حماية ومراكز تموين.

ويرى أن أنصار الاستعمار يتذرعون بحجة أخرى يخفون بها هذه المراكز الثلاث حيث يزعمون أن الاستعمار ما هو إلا سعى من الغربيين لتمدين الشعوب المتخلفة، يفرض عليهم أن يجلبوا إليها ثقافتهم، ومسيحياتهم، ومدارسهم، ومستشفياتهم. وهى تبريرات يؤكد الواقع زيفها وكذبها، وأوضح مثال على ذلك ما برهن عليه

إلى أوروبا وأمريكا الشمالية. من كل ما دفع الغرب إلى أن يحرص على جعل العالم الثالث متخلفا، وإلى أن يقاوم كل محاولة للتخلص من التخلف، متوسلا إلى ذلك بكل الوسائل، من إبادة لهنود أمريكا، ونشر لتجارة العبيد، ثم إلغاء الرق، واستبدال الاستعمار به الذى تمكن الغرب بواسطته من السيطرة السياسية والعسكرية على إفريقيا، ثم السيطرة على مصادر الثروة فيها بإنشاء الشركات متعددة الجنسيات، وتوسيع أنشطتها التى قامت بتنظيم النهب المستمر لثروات العالم الثالث.

ويدعم المؤلف هذه الرؤية بعرض موجز لما قام به الغرب - فى سبيله إلى إشباع جشعه - من إبادة جماعية للهنود، واستيلاء على الأراضى الإفريقية. وقنص لثروات العالم العظيم، مستغلا فى ذلك ما حققه من اختراعات استمدها من حصيلة ما أخذه من حضارة الصينيين والعرب، خصوصا فى قطاعى البحرية والأسلحة.

ولذلك.. يرى أن التخلف فى إفريقيا - بجميع صوره - لا يرجع إلى طبيعة المجتمعات الإفريقية - كما يزعم الغربيون - ولكنه وليد الاستغلال الخارجى، فلم يظهر الفارق فى مستوى الثقافة بين أوروبا وإفريقية إلا بعد الغزو الأوروبى لأفريقية، وإلا بعد الإبادة الجماعية لهنود أمريكا، حيث أصيب الاقتصاد الأفريقى بالتقهقر.

ويرى أن الازدهار الغربى يتركز على حجج ثلاثة تستلزم التمسك بإخضاع إفريقيا للهيمنة الغربية : أولاها حجة اقتصادية ترى أن تأسيس



معها والإفادة منها - فكانت تلك الفرصة الأولى التي فقدتها أوروبا في مواجهة الحضارات .

وكانت الفرصة الثانية التي فقدتها الغرب . . أن المستعمرين الفرنسيين والإنجليز، والأسبان عملوا على تشويه ما قدمه العرب المسلمون من إسهامات حضارية، فوصفوا ما قدموه للأسبان من شتى ألوان الحضارة بأنه غزو عسكري، مغفلين ما قدموه للأسبان من تحرير، حيث أنقذوا الأقبان من وصاية ملوك «الفيريغوط»، وما أقاموه في إسبانيا من أجمل منشآت الرى التي عرفها العصر، وما نهله الأسبان والأوروبيون جميعا على أيدي العرب المسلمين من علوم الطب، والصيدلة، والكيمياء، والجبر، والرياضة، والجغرافيا، والفلك، والنظم الاجتماعية والاقتصادية .

فالعرب ما دخلوا أوروبا غزاة، ولكنهم دخلوها معلمين، ناشرين تلك الحضارة الإنسانية الشاملة، التي حظيت بقبول الجماهير التي كانت تزرع تحت وطأة نظام الرق . ومع ذلك شوهدت صورتهم حتى عد المستعمرون معركة «بواتيه» التي انتصر فيها (شارل مارتال) على العرب . . كسبا أوروبا، مغفلين أن ما نشأ عنها من تراجع العلم العربى، والفن العربى، والحضارة العربية جعل هذا اليوم أشأم يوم فى تاريخ فرنسا على ما صرح به العقلاء .

ومع هذا كله نرى أن المصدر الرئيسى الذى يرجع إليه الباحثون يقدم لهذه المعركة الصورة التاريخية المشوهة، كذلك الصورة التى قدمها «هيرودوت» لمعركة «ماراثون» قديما، مغفلين

(جوزه دى كاسترو) من أن كل دولار تقدمه الولايات المتحدة إلى أمريكا اللاتينية يقابله ثلاثة دولارات تعود إلى الولايات المتحدة . وما أعلنه رجل الدولة الأمريكى (هرمان) من أن المعونة المقدمة إلى البلدان المتخلفة وسيلة ممتازة تتيح للبلدان الفقيرة أن تساعد البلدان الغنية .

الغرب فى مواجهة الحضارات

وفى الفصل الثالث (الفرص المفقودة) يستنتق المؤلف تاريخ الغرب فى علاقته بالحضارات التى استمد منها حضارته بواسطة الغزو منذ القرن السادس عشر، حيث حرص (هرمان كورتر) - عندما وطعت قدماء اليايسة - على أن يبيد ثقافة (الأزتك)، وثقافة (المايا) بحجة إدخال المسيحية، ولكن ما بقى من معابد (بالنك) أو (شيشن إيتزا) يعلن أن من شادوا هذه المعابد كانوا قادرين على تقديم الكثير من المظاهر الحضارية لو لم يواجهوا من الغرب بسطوة الغازى المغتصب، فقد سبقت هذه الشعوب إلى إيجاد زراعة متقدمة، وعرفت كثيرا من الأعشاب الطبية، وازدهرت لديهم الكيمياء والأقرباذين ازدهارا عظيما، وكان لهم من ناحية أخرى تقويم أدق من تقويم أوروبا فى ذلك العصر، وكان (المايا) يستخدمون الحساب العشرى - الذى أخذوه عن الصينيين والعرب - قبل أن يعرفه الغربيون، وفنهم التشكيلى خير شاهد على تفوقهم الحضارى .

فلما غزاهم الأسبان والبرتغاليون بأسلحتهم النارية أبادوا هذه الحضارات - بدلا من التحوار





ولو أن الغرب حاور الرياضيات الصينية التي تتسم بروح جبرية، لا بروح هندسية، لما أضاع هذا الزمن الطويل في إصراره على اعتبار أن النموذج الميكانيكي هو النموذج الوحيد، والأقدم مبكراً إلى ما اضطر إليه أخيراً من العود إلى الفكر الصيني التقليدي.

وهكذا يتبين أن قرونا من الابتكار الإنساني قد غلفها الجهل أو الهدم بسبب التعنت الغربي، وإصرار الغربيين على مصارعة تلك الحضارات الإنسانية ورفضهم التحوار معها، حتى أضاعوا على الإنسانية -وعلى أنفسهم- تلك الفرص، وهم في ذلك مستجيبون لوهم: أنهم وحدهم يملكون الحقيقة، لا شيء إلا لأنهم غربيون، وأن غير الغربيين بدائيون، سيئو النية، أو مرضى، وأن من واجب الغربيين أن يهبوا لمعالجتهم أو لقمعهم!

ميراث الجهل، ودوره في فكر الغربيين

وفي الفصل الرابع «الأبعاد المطلوبة مجدداً» حاول المؤلف أن يكشف عن مصدر العلة الغربية -بعد أن شخصها- تمهيداً لوصف الدواء، فذكر أن الغربيين وقعوا فريسة ملاحظة خاطئة أدلى بها «هيرودوت»، وتضمنتها «سياسات» (أرسطو) تفيد أن هناك تعارضاً بين تذوق الأوروبيين للديمقراطية، وبين خضوع الآسيويين للاستبداد، ورضوخهم له.

والناظر في سلوك الغربيين وتفكيرهم اليوم يجد أنهم مازالوا فريسة هذا الوهم الخاطيء الذي أصبح نظرية يحرس الشراح على الغلو في بسطها، متناسين الروابط الكثيرة التي

أن عصر النهضة في الغرب ما وقف على الثقافات القديمة بدءاً من الثقافة الهلينية إلا عن طريق العرب الذين ترجموا «أرسطو» و«جالينوس»، و«أفلاطون» و«بطليموس» و«إقليدس» و«أرخميدس» وقدموه للغرب من جديد مع ما أضافوه إليه.

ولو أن الغرب استقبل هذه الحضارة العربية الإسلامية بالتحوار البناء لأفاد الإنسانية كثيراً ولكنه شوهاها، وقلب حقيقتها، فأضاع الفرصة الثانية.

وهناك فرصة ثالثة أضاعها الغرب كذلك، حيث احتقر العلم الصيني الذي قاد إلى كشوف علمية، وتقنية، سبقت ما توصل إليه الغرب بعدة قرون.

فلو أن الغرب حاور الفكر الصيني المستند إلى رؤية جدلية، وليس إلى رؤية منطقية ميكانيكية، لما حبسوا أنفسهم في ميكانيكية الأفلاك السماوية الشفافة، بل لآتحووا لأنفسهم الانطلاق من تصور أقل سذاجة للأمكنة السماوية الرحبية، وإقامة مصورات عن السماء، وسجلات للكسوف وللشهب والآثار العلوية التي لا يزال علماء الفلك إلى اليوم يستخدمون مبادئها.

ولو أن الغرب حاور الفلسفة الصينية المادية العضوية، ولم يعارضها بالمادية الميكانيكية لعرف مبكراً أن كل ظاهرة ترتبط بسائر الظواهر الأخرى، ولعرف ما عرفه الصينيون عن «البوصلة»، ونظرية «المد والجزر»، بدلاً من أن يضيعوا ذرعاً بالمناقشات الجوفاء حول «التأثير من بعد»، وما يحدثه القمر في المحيط.





أخلاقي، أو قواعد جمالية تستطيع أن تزعم أنها تتعالى على التاريخ.

ومن هنا... لم يبق ما كان يعتبر خلال قرون طويلة على أنه نظام مطلق - في السياسة أو في الأخلاق، أو في علم النفس، أو في الفلسفة، أو في الفن - سوى موقف أو مرحلة تاريخية في سلسلة إبداع الإنسان إبداعا دائما موصولا.

فكانت هذه الهزة العميقة، وذاك الانقلاب الجذري نهاية حركة داخلية لدى الإنسان الأوربي، وملتقى خصب بالثقافات اللاتينية.

غير أن حوار الحضارات الحقيقي - في توجه الأوربي - لم يزل في طور بدء المغامرة الإنسانية، وإن كان أكثر الأمور إلحافا من أجل إقامة علاقات جديدة مع سائر البشر، ومع المستقبل المشترك.

ويدلل المؤلف على هذه التوجهات المتحررة بما أفاده الفن الأوربي في القرن العشرين من الفنون التي قدمها الصينيون في القرن الحادي عشر، ومن الفنون الإفريقية التي كشفها التكعيبون، والتعبيريون، ثم السرياليون، ومن الفنون الإسلامية في مجال الشعر والرسم، فيذكر كثيرا من الأمثلة الدالة على ذلك.

ثم يقرر: أن حوار الحضارات لم يستأنف إلا في القرن العشرين، بعد أن ظلت علاقة أوروبا بالآخرين علاقة استعمار، وإزدراء نحو ستة قرون.

ويأمل: أن يتم في القرن الحادي والعشرين القضاء على العوائق الأخيرة، ليمضي الإنسان إلى النهاية في تحقيق فن عالمي، وثقافة عالمية.

(يتبع)

ربطت جميع ثقافات البحر المتوسط وآسيا الصغرى بعضها ببعض.

وزاد الطين بلة أن هذا التفكير اكتسب - في القرون الوسطى - بعدا دينيا، فاستقر في العقل الغربي أن علاقات المسيحية بالإسلام ليست بعلاقات متناظرة، بل إن هناك تعارضا بين المسيحي والكفار - ولا سيما المسلمين - فبينما يجل القرآن المسيح وأمه، نجد «دانتى» يقصى محمدا مع أتباعه إلى الجحيم.

وكان لسيطرة هذا التفكير على الغربيين أثره في تجاهلهم ما نالوه من غير الغربيين في شتى مجالات المعرفة والثقافة، حيث وجدت أوروبا نفسها - على أثر اكتشاف أمريكا - حيال ثقافات لم تكن لتخطر في بالها إطلاقا.

توجه الأوربيين إلى الحوار

ومع انفتاح بعض الفلاسفة والمفكرين والرسامين الأوربيين على العالم غير الأوربي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر بدأت المحاولة الأولى لفهم ما ليس أوربيا، فبدأ من الضروري القضاء على المركزية الأوروبية، وأخذت أسطورة «المعجزة اليونانية» المزعومة تنهافت وتتهاوى على محك التحليل التاريخي الذي كشف عن جذورها العميقة الممتدة إلى التاريخ المصري، والفينيقي، وبلاد الرافدين، وأبانت دراسة عصر النهضة مدى ما تدين به لفنون الإسلام، وفنون الشرق الأدنى والصين.

ومع تواصل هذا الانفتاح في شتى المجالات لم يعد في وسع أحد أن يجد أساسا للقيم في طبيعة جاهزة، في عقل خالد، ولا في معيار

مواقف
إسلامية

من دروس الدعوة

مُستَاز الدكتور / محمود عمارة

فى المدينة الساحلية .. عاش هذا الغنى السخى .. وإذا شئت أن تتلمس الطريق إلى أعماقه ..
بانت لك شواهد من فضله .. من حيث كان من أشد الناس حباً للشيخ الجليل ..

والهمة على قدر الاهتمام

وكان من مظاهر حبه للشيخ أن كان يستضيفه فى كل عام مرة أو مرتين ..
لكنه هذه المرة .. دعانى وبعض زملائى لنكون مع الشيخ متحدثين!!
قلت: إذا حضر الماء بطل التيمم .. ولكن هذا الغنى السخى: أثر أن يكون العيد مهرجاناً ..
يجمع من خدم الدعوة أشتاتاً .. الفاضل والمفضول ..
وكأنما كانت عاطفته الدينية .. ورغبته فى إشاعة الخير .. بحيث لا يشفى غليلها واحد ..
مهما كانت قيمة هذا الواحد؟! ..
إن الشيخ الجليل .. كان وما يزال .. نقياً ..
وإذن فهو المصباح الذى كلما كان نقياً .. كان ضوءه قوياً .. وإذ يطلع الصباح .. فلنطفئ
القنديل؟! ..

لكن الرجل لم يطفىء القنديل .. ودعانا إلى ضيافته محققاً بالدعوة ما قرره العلماء:
قد يكون فى المفضول .. ما ليس فى الفاضل ..
قد يكون لدى التلميذ .. ما لا يكون عند أستاذه ..
وإذا تغالى بعض الناس فى تلك الليلة .. فانسحبوا من بين أيدي المتكلمين .. حتى يجيء
الشيخ الجليل .. فقد فاتهم ذلك الفهم الرحب .. وأن الله - تعالى - أرحم من أن يترك إنساناً
بلا مواهب .. وأنه تعالى قد يضع سره فى أضعف خلقه:



نحن أحوج إليها .. وأحياناً يخطف الغلام الصغير الأضواء من كبار المشاهير.

أرأيت إلى ذلك الفتى الذى زار الخليفة داره .. فقال للفتى :

دارى أحسن .. أم دار أبيك؟! ..

فما كان جوابه إلا أن قال :

دارك ما دُمتَ فيها .. ودار أبى متى كنت فيها!!

وهكذا .. وبهذا المنطق العفوى .. صار

الفتى حديث المدينة .. ومحور الإعلام!!

بداية اللقاء

.. وفى تلك الليلة .. وإلى أن يطلع الشيخ

الجليل كالفجر القادم .. كان لابد من أن «نملا

الفراغ» بحديث إلى الناس قبل العشاء .

وكنت أول المتحدثين، وقلت للمستمعين :

لقد جئتم لتستمعوا إلى شيخنا الجليل ..

ولهذا السبب جئت مع زملائى .

وأصدقكم القول : إن الحديث الذى كنت

زورته فى نفسى طار منى شعاعاً .

فأنتم جمهور الشيخ .. ولستم جمهورى !

ولا يتم نجاح الخطيب حتى يجد نفسه بين

يدى مريديه ليكون ذلك التواصل .. أو هذا

الجسر العاطفى بين المُرسِل والمُتلقي .. والذى

من شأنه أن يحقق التجانس المطلوب بينهما .

أما أن تخاطب قوماً سيوفهم معك .. وقلوبهم

مع بنى أُميَّة .. فتلك مجازفة غير محسوبة النتائج

وكان ذلك انطلاقاً من قاعدة :

وقد يحدثك البليغ .. فلا تتأثر .. لأن لحظة الإجابة لم تحن لك بعد ..

ثم يأتى الضعيف .. فيقولها كلمة ..

تستمع إليها فى ساعة إجابة .. فإذا بها تصنع

منك خلقاً آخر!!

ألم تر إلى الأحنف بن قيس؟!

لقد كان أحلم العرب .. ولما قيل : كيف

يكون أحلم من عبد المطلب وغيره من صفوة

العرب؟! كان الجواب :

إن عبد المطلب : كان حلمه .. كمروءته ..

كنجدته .. كشجاعته .. فى مستوى يقترب

به من القمة .. أما الأحنف .. فكان قمة فى

الحلم .. ثم كان فيما سواه متوسطاً .. إذا صح

التعبير!! وهى نفس النسبة بين الأستاذ

وتلميذه :

فقد يبرز التلميذ أستاذة .. فى جزئية

واحدة .. ثم يتأخر عنه فى الكثير!!

والأمر على ما يقول ابن خلدون :

« من حصل على مَلَكَة عِلْمٍ من العلوم

وأجادها فى الغاية، فَقَلَّ أن يجيد مَلَكَة علمٍ

آخر على نسبته .. بل يكون مقصراً إن طلبه

إلا فى الأقل النادر من الأحوال » .. لأن

الصناعات تتدافع وتتنازع ..

فَقَلَّ أن يجتمع لعالم ملكتان تامتان .

ومهما اجتمعت أصول الدعوة فى واحد ..

فقد بقيت للآخرين بقية من التخصصات



الدرس المفيد

والدرس المفيد هنا هو:

ضرورة مواجهة الخطيب للمواقف الصعبة ..
أما الهروب فما أسهله!

ثم .. عدم الدخول في موضوع مُعَدٍّ .. بين
يدى بحر زاهر سيأتي بعد قليل ..

وإنما هي الإشارات .. الوقتية العابرة ..
والحادّة .. والتي تحاول زرعها في قلوب الناس ..
فلا تفارق خيالهم مهما كان من بعدك سحبان ..
ولقد تلخصت إشاراتي الخاطفة فيما تلاه
القارئ بين يدى الحفل .. والذى تلا من
سورة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (١).

قلت: كان ﷺ سراجاً منيراً .. كان شمساً ..
وإذ تنسخ الشمس الظل .. فماذا نسخ الرسول
بشريعته من الضلال؟ ..

وإذ تقول الأسطورة: إن الشمس تراهنت مع
الريح .. مَنْ منهما يجبر الفلاح على خلع
عباءته .. فعجزت الريح .. ونجحت الشمس التي
اقتربت من الرجل .. فتصبب عرقاً .. فخلعها
طواعية واختياراً! ..

ولكن الشمس .. ولكن الرسول .. اقترب من
هند بنت عتبة مثلاً .. فحملها طواعية أيضاً على

ضرورة فراغ بال المستمعين لك .. حتى يتسنى لهم
الاستمتاع بك أو الاستماع إليك وإذا كانت مسئولية
الداعي تتم بالبلاغ .. فإن نجاحه لا يتم إلا بالتزام
المدعو .. والمدعو هنا .. فى واد .. والداعى فى واد آخر.
وأنا بين أيديكم لست أكاديمياً ..

لست بليلِيٍّ ولكنى نَهَرٍ ..
لست بليلِيٍّ: يسهر فى المكتبة حتى الصباح،
ولكنى نَهَرٍ:

أجوب الديار .. بالنهار:

أتأمل .. وأراقب، ثم أعلق ..
وأعالج .. ما استطعت ..

لقد حاولت أن أمسك بانتباه الناس بين
يدى .. دقائق معدودات ..

حاولت أن أدخل إلى قلوبهم: عن طريق
العلم .. فالشيخ أعلم!

عن طريق التقوى؟ .. فالشيخ أتقى

ولا تزكى على الله أحداً والله حسيبه

ولقد وجدت أن باب التودد .. والتَلَطُّف .. هو
الباب الوحيد الذى يسمح لك فيه بالدخول ..
وإذا كانوا يقولون فى الأثر:
ما عبد الله بمثل جبر الخاطر ..

فقد أحسست عندئذ بأن الله جبر خاطر
عبده .. على الأقل: ليصلح أن يكون تمهيداً
للشيخ الجليل .. وذلك يكفيه ..



نجاح الخطة

وبعد انتهاء الحفل .. أحسست بنجاح الخطة
التي بدت بوادرها فى إقبال الناس .. وتساؤلهم،
ولكن يبقى عتاب .. أوجهه للغنى الذكى :

لقد كان من رحمته ﷺ أنه فى السباق بين
الخيول .. كان يفصل بين الخيل المضمرة والتي لم
تضمّر - أى المعدة للسباق والغفل التي لم تعد له
- طبق توجيهه ﷺ :

« سبروا بسير أضعفكم » ..

ولكن الرجل الطيب جمع فى هذه الليلة بين
الخيول المضمّرة .. والضعاف منها .. فكان هذا
الخرج الذى أخرجنا الله - تعالى - منه بهذا
التلطف .. بين يدى أستاذ الأساتذة .

بين يدى الشيخ

وبدأ الشيخ يتكلم .. بدأ الداعية يهدى إلى
الناس ذوب قلبه .

إنه إذا كان هناك دعاة يجيدون الحديث
عن النجاح .. ثم لا ينجحون .

فإن الشيخ كان ممن يقولون .. فيعملون ..
فيخلصون .. فينجحون .

بل ويُنجحون الناس معهم حين يجددون
المفاهيم .. ويفضون الاشتباك بين القيم
السديدة .. والقيم العَفنة :

أن تخلع .. تخلع ماذا؟ .. تخلع عقيدتها حين
حطمت صنمها وبيدها!!

ولكن بأى شىء كان هذا النجاح الساحق؟
بالأخلاق .

وهذا ما تلاه علينا القارئ أيضاً عندما قرأ :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢)

وبالحُلُق استطاع أن يغير الإنسان .. وبالحُلُق
سينتصر .. وذلك قوله - تعالى - بعد ذلك :

﴿ فَاصْبِرْ وَبَصِرْ ﴾ (٣)

أى : لأنك على خُلُقٍ عظيم .. فسوف يترتب
على ذلك أن يعرف الجميع :

من الذى سينتصر غداً .. وهو أنت ..

وانتهى التعليق فى دقائق .. بلا إطناب .. حتى
يظل تركيزه داعياً إلى استحضاره .

فلما أقيمت صلاة العشاء .. ظهرت بوادر
التوفيق حين أصر القائمون على الحفل أن أقدم
الشيخ الجليل، فكان التقديم تعليقاً أيضاً على
آيات قرأها الإمام ..

ومنها :

﴿ كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطْئَهُ ﴾ (٤)

لماذا التمثيل بالزرع؟ ..

وما مدى صدق ذلك على المؤمن؟ ..

(٢) القلم (٥)

(٢) القلم (٤)

(٤) الفتح (٢٩)



بين التوكل .. والتواكل .

بين التواضع .. والذلة .

بين القناعة .. والخمول .

بين الإبداع .. والابتداع .

ليظهر لك الفرق .. بين الدُّعاة

فإن وجدت جديداً .. فيها ..

وإلا .. فقد صار محبوبك بعد ذلك أكثر
عذوبة .

الدعوة ليست تجارة

فى كتاب «الحيوان» للجاحظ .. أنه قال
للأخفش :

مالك تكتب الكتاب فتبدؤه عذباً سائغاً، ثم
تجعله صعباً غامضاً .. ثم تعود به كما بدأت ؟ ..
قال :

ذلك لأن الناس إذا فهموا الواضح
فَسَرُّهُمْ .. أتونى فَفَسَّرْتُ لهم الغامض ..
فأخذت منهم !!

كان ذلك سُنَّةَ جروا عليها .. وغاية
تواطوا على بلوغها .. فَتَعَقَّدَ النحو .
ولكن الشيخ الجليل .. تسمعه :
فإذا هو فى البداية .. كالنهاية .
عذب .. سائغ شرابه .

طيبون مع إيقاف التنفيذ

ويبقى الود ما بقى العتاب .. عتاب هذا
الرجل الطيب الذى ضاق صدره أن يتحدث
متحدث فى حضرة الشيخ ؟ !! ونقول له :
اجلس يا رجل .. واستمع .. على الأقل

وبضد هاتتميز الأشياء

إن الأمر ليوشك هنا أن يكون تعلقاً بأهل
الثقة على أهل الخبرة .. ومع عظيم احترامنا
للشيخ الجليل فإننا نقول : ظاهرة الملكيين أكثر
من الملك .. والتى تحصر النبوغ كله .. والفضيلة
كلها فى شخص واحد .. قد يودع الدنيا اليوم
أو غداً .. وعندئذٍ تصير الأمة بلا قيادة !!
أما بعد :

فعود على بدء .. لنشد على يد الغنى
الذكى .. على ما بذل .. وعلى ما أكرم .
وكثيرهم الباذلون .. فى الدنيا .
لكن النوايا الطيبة .. لكن مصارف المال .
كل أولئك دليل على التوفيق .
إن الفرق لهائل هائل .. بين منفقين ..
وإن اتحدت صورة الإنفاق .

لقد قُتِلَ الصائغ اليهودى الذى ثبت
الشوكة فى طرف ثوب المرأة المسلمة .
ثم قُتِلَ المسلم الذى طعنه أيضاً .
ولكن الأول طريد ..
والثانى .. شهيد !!

فضيلة الأدب

لفضيلة الشيخ / فوزى الزرفاف

الأدب من أفضل الصفات التي يتحلى بها المرء في حياته ويتصف بها في سلوكه، فإن حاز هذه الصفة الكريمة وتلك الخصلة الحميدة فقد حاز الخير الكثير، والفضل العميم.. ولسمو مكانة الأدب وعلو منزلته ورفعة شأنه تولى الله، سبحانه وتعالى، أدب نبيه محمد ﷺ فأدبه بأحسن الآداب كلها، فكان محمد الإنسان، عفيف اللسان، بليغ البيان، عالى الهمة، متريع القمة.

لقد جمع الله - تبارك وتعالى - لنبيه محمد ﷺ جوامع الكلم فى كتابه المحكم، ونظم له مكارم الأخلاق كلها فى ثلاث كلمات، فقال:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١)

ففى أخذه العفو صلة من قطعه، والصفح عمن ظلمه، وفى الأمر بالمعروف تقوى الله، وغض الطرف عن المحارم، وصون اللسان عن الكذب، وفى الإعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن ممارسة السفهيه ومنازعة اللجوج.

ثم أمره تبارك وتعالى فيما أدبه، باللين فى

عريكته، والرفق بأمته، فقال:

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

وقال:

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٣).

وقال:

﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٤) وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا
إِلَّا الْأَذْوَ حَظٌّ عَظِيمٌ (٤).

(٢) الشعراء (٢١٥).

(٤) فصلت (٣٤، ٣٥).

(١) الأعراف (١٩٩).

(٣) آل عمران (١٥٩).



وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بشر الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من أكل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده، ثم قال: ألا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال من يبغض الناس ويبغضونه» (٩).

وأوصى بعض الحكماء بنبيه فقال: الأدب أكرم الجواهر طبيعة، وأنفسها قيمة، يرفع الأحساب الوضيعة، ويفيد الرغائب الجليلة، ويعز بلا عشيرة، ويكثر الأنصار بغير رزية، فالبسوه حلة، وتزينوه حلية، يؤنسكم فى الوحشة، ويجمع لكم القلوب المختلفة.

ومن كلام سيدنا على - كرم الله وجهه - أنه قال: من حلم ساد، من ساد استفاد، ومن استحيا حرم، ومن هاب خاب، ومن طلب الرياسة صبر على السياسة، ومن أبصر عيب نفسه عمى عن عيب غيره، ومن سل سيف البغى قتل به، ومن احتفر لأخيه بئرا وقع فيها، ومن نسى زلته استعظم زلة غيره، ومن هتك حجاب غيره انتهكت عورات بيته، ومن كابر فى الأمور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تجبر على الناس ذل، ومن تعمق فى العمل مل، ومن صاحب الأنذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن حسن خلقه سهلت له طريقه، ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه، ومن خشى الله فاز، ومن استقاد الجهل

وأرشدته - جل وعلا - إلى الالتزام بالوسطية والاعتدال فى حياته فقال - سبحانه وتعالى - :

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (٥).

فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير، وأمر بتوسط الحالتين، كما قال - عز وجل - :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٦).

فلما كملت فى الرسول ﷺ الآداب الربانية قال الله تعالى :

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٧).

ولقد حرص رسول الله ﷺ على إرشاد أمته وتوجيهها إلى مكارم الأخلاق، وجميل الصفات والتحلى بالآداب فقال : «أوصانى ربي بتسع وأنا أوصيكم بها، أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمنى، وأعطى من حرمنى، وأصل من قطعنى، وأن يكون صمتى فكرا، ونطقى ذكرا، ونظرى عبرا» (٨).

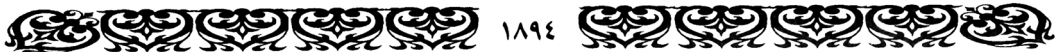
(٦) الفرقان (٦٧).

(٨) العقد الفريد ج ٢ ص ٤١٧.

(٥) الإسراء (٢٩).

(٧) التوبة (١٢٨، ١٢٩).

(٩) كنز العمال ج ١٦ ص ٢٦٠، رقم ٤٤٣٦٧.





وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز:
قال لى رجاء بن حيوة: ما رأيت أكرم أدبا،
ولا أكرم عشرة من أبيك، سمرت عنده ليلة،
فبينما نحن كذلك إذ عشى المصباح ونام
الغلام.

فقلت: يا أمير المؤمنين قد عشى المصباح
ونام الغلام، فلو أذنت لى أصلحته! فقال إنه
ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه، ثم
حط ردائه عن منكبيه، وقام إلى الدبة
«الوعاء الذى فيه الزيت» فصب من الزيت
فى المصباح، وأشخص الفتيلة ثم رجع.
وأخذ ردائه وقال: قمت وأنا عمر ورجعت
وأنا عمر.

وقالوا: من حسن الأدب ألا تغالب أحداً
على كلامه، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه،
وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه، ولا
تقتحم عليه فيه، ولا تره أنك تعلمه، وإذا
كلمت صاحبك فأخذته حجتك فحسن
مخرج ذلك عليه ولا تظهر الظفر به، وتعلم
حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام.

وقال يحيى بن أكثم: ماشيتُ المأمون يوماً
من الأيام فى بستان مؤنسة بنت المهدي،
فكنت من الجانب الذى يستره من الشمس.
فلما انتهى إلى آخره وأراد الرجوع أردت أن
أدور إلى الجانب الذى يستره من الشمس،
فقال: لا تفعل، ولكن كن بحالك حتى
أسترك كما سترتنى! فقلت: يا أمير المؤمنين،
لو قدرت أن أقيك حر النار لفعلت، فكيف
الشمس؟ فقال: ليس هذا من كرم الصحبة.
ومشى سائراً لى من الشمس كما سترته.

ترك طريق العدل، ومن عرف أجله قصر أمله، ثم
أنشأ يقول:

إلبس أخاك على عيوبه
واستر وغط على ذنوبه
واصبر على بهت السفيه
ه وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلاً

وكل الظلوم إلى حسيه
وقال شبيب بن شبة: اطلبوا الأدب فإنه
مادة العقل، ودليل على المروءة، وصاحب فى
الغربة، ومؤنس فى الوحشة، وحلية فى
المجلس، ويجمع لكم القلوب المختلفة.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم
بطلب الأدب، فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم
مალًا، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالًا.

وقال ابن المقفع: إذا أكرمك الناس لمال أو
لسلطان فلا يعجبك ذلك: فإن الكرامة تزول
بزوالمها، ولكن ليعجبك إذا أكرموك لدين أو
أدب.

وقال الأحنف بن قيس: رأس الأدب
المنطق، ولا خير فى قول إلا بفعل، ولا فى
مال إلا بجد، ولا فى صديق إلا بوفاء، ولا فى
فقه إلا بورع.

قيل للعباس بن عبد المطلب: أنت أكبر أم
رسول الله ﷺ؟ قال: هو أكبر منى وأنا أسن منه.

وقيل لعمر بن ذر: كيف ير ابنك بك؟
قال: ما مشيت نهارة قط إلا مشى خلفى، ولا
ليلاً إلا مشى أمامى، ولا رقى عليه وأنا تحته.

قصة العرد

لو كان معه رجال!

للأستاذ / شوقي محمود أبو ناصح

استيقظ الرجل وهو يشعر بكثير من الراحة، مع أن التورم الذي أصاب قدميه منذ يومين قد ضيق من خطوه، ولكن لا ضير فقد طوى الشوط الأكبر من المسافة.. إنه يسير منذ سبعة أيام ولم تبق إلا ساعات قلائل على دخوله المدينة.. وتهادى إلى مسمعه من بين أغصان الشجرة التي يقبل تحتها أصوات زغب تصفق بأجنحتها الصغيرة وهي تعالج ما تقدمه لها أمها من طعام.. وفكر أن يتسلق الشجرة إلى هذه الأفراخ يستعين بها على غائلة الجوع، ولكنه عدل عن هذا الخاطر فما كان له وهو في طريقه إلى الأمان أن يزعج طيرا في عشه، وتناول تمرات من صرة صغيرة شارف ما فيها على الانتهاء وأكل بعضا منها وشرب قليلا من ماء وحمد الله وجعل يتمم ببعض الدعوات، ثم انطلق يوسع الخطا.



كانت هذه الأنباء وغيرها تنزل بردا وسلاما على أبى بصير ورفاقه من المسلمين المحبوسين فى مكة، ولم يكن أبو بصير بقادر على إخفاء مشاعر الشماتة، وإن كان هذا يزيد من المشركين عذابا على ما يلقيه من عذاب .

لقد كان يلقي الحفاوة كل الحفاوة والإكرام كل الإكرام فى قريش قبل أن يعلن إسلامه فهو بن أختهم سائلة بنت عبد بن يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب، ويربطه حلف ببني زهرة، ولكنه الران على قلوب المشركين يصم آذانهم عن دعاء الرحم والقراية والحلف، كما صم آذانهم عن دعوة الحق .

كانت مثل هذه الخواطر تدور برأس أبى بصير بينما هو يوسع الخطا مغذا السير ليبلغ المدينة قبل اختفاء الشمس ليتمكن من أداء صلاة المغرب خلف النبى ﷺ، ويجلس إليه يستمع منه وحى السماء ويأخذ عنه النهج الذى ينظم صلة العبد بخالقه والإنسان بمن حوله وما حوله، وكيف يسلك الصراط المستقيم متجنباً السبل التى تفرق بالإنسان عن سبيل الله .. إنها الأمنية التى لم تبارح تفكيره منذ سمع بمقدم الرسول ﷺ، محرماً بالعمرة، ونزل بالحديبية وحدث ما كان من أمر الصلح الذى اشترط فيه سهيل بن عمرو: «على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا من عند محمد لم يردوه عليه» فأحس كثير من المسلمين أنهم أعطوا الدنية فى دينهم مع

منذ متى لم تكتحل عيناه بمراى الوجه الكريم؟ .. منذ ست سنوات أو يزيد، وإنه ليحس فى نفسه وخز الندم لتأخيرته إعلان إسلامه إذ فاته شرف الاشتراك فى المواقف الجليلة وشرف المبايعة تحت شجرة الرضوان، ولكنه يحمد الله على أية حال فقد استطاع الهروب من محبسه والإفلات من قبضة هؤلاء الزبانية الذين يسومون المسلمين فى مكة سوء العذاب .. ولكن .. وأراد أن يطرد الخاطر الذى اقتحم عليه تفكيره .. إنه لا يتصور أن يعود مرة أخرى إلى قريش لكى يلقيه الأخنس ابن شريق وأزهر بن عوف .. وتحسس خطوطا بارزة فى ظهره وجنبه .. لقد نسيها طوال الرحلة فحفف الله عنه آلامها، ولكنه عندما تحسسها فكأنما أيقظ الألم من سباته، فأحس كأن سياط أزهر بن عوف لا تزال تهوى على ظهره، وأبوبصير يردد ما قال حويطب بن عبدالعزى لمكرز بن حفص أثناء مفاوضات الحديبية: «لن نأخذ من محمد نصفا بعد اليوم حتى يدخلها عنوة» .. ولشدهما أحس بالسرور يملاً أقطار نفسه وهو يسمع فى محبسه ابن عمه عروة بن مسعود الثقفى الجافى، غليظ الطبع وقد أرسلته قريش إلى محمد ﷺ فى الحديبية فعاد يقول: «يا قوم لقد وفدت على كسرى فى ملكه، وهرقل فى ملكه، والنجاشى فى ملكه وإنى والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيهم من محمد فى أصحابه» .



انطلق أزهر بن عوف مسرعا إلى صديقه الأخنس بن شريق الذى كان قد تواعد أبا بصير بأفانين من العذاب لقاء ما فعله معه أول أمس إذ استخلص أبوبصير يده من وثاقه وشد زئمة الأخنس فأكبّه على وجهه صارخا ولم يقتصر الضحك على المسلمين المحبوسين ولكنه تعالى من المشركين الذى شاركوا المسلمين السخرية من احمرار هذه الزئمة المدلاة من عنق الأخنس حتى قال صبى منهم: «إنه يحتاج إلى زئمة أخرى ليصبح تيسا».

حز فى نفس الأخنس بن شريق أنه لم يستطع التشفى من أبى بصير: ولم يطل به التفكير وأمسك لحية أزهر بن عوف وصاح فيه:

– عجل بإرسال رجال أشداء ليأتوا بأبى بصير وكن سخيا فى الكراء، وخذ من إبلى رواحل لهم، ثم دفع إليه صرة فيها مال واستحثه فى التعجيل.

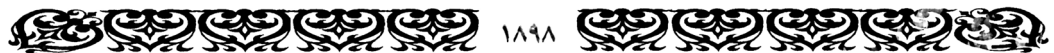
لم يبت أبوبصير غير ليلة واحدة فى المدينة حتى قدم مبكرا خنيس بن جابر من بنى عامر ومعه مولى له اسمه كوثر بكتاب من الأخنس بن شريق وأزهر بن عوف الزهرى إلى النبى ﷺ، وقرأ أبى بن كعب الكتاب على رسول الله ﷺ، فإذا فيه: «قد عرفت ما شارتناك عليه، وأشهدنا بيننا وبينك من رد من قدم عليك من أصحابنا.. فابعث إلينا بصاحبنا».

قوتهم التى يستطيعون بها أن يدخلوا مكة عنوة، ولكنه أمر الرسول الذى يتلقى الوحي من السماء يجب أن يطاع، وقد أسماها الوحي بعد ذلك فتحا مبينا.

كان أبو بصير يسير وحيدا فى الشعب المفضى إلى المدينة والحصى ينغرز فى قدميه فلا يزيده الألم إلا إصرارا على بلوغ المدينة قبل المغيب، وإنه ليتخيل المسافة القصيرة الباقية تمتد طويلة أمام قدميه وقد كان يظن عند خروجه من مكة أنه سيطوى الطريق فى ساعات قصار، ومع هذا فهو يستعذب كل مشقة وألم ما دامت تفضى به إلى أرض يقيم فيها النبى الحبيب.

لم يسأل أبوبصير عن أى من دور أصدقائه أو أقاربه بالمدينة، فليس هناك من هو أحق باللقاء من المصطفى ﷺ، وتنفس أبوبصير الصعداء، وجلس بعد الصلاة مع المتحلقين فى صمت وخشوع يصيخون بأسماعهم إلى الذى لا ينطق عن الهوى: ولكنها فرحة لم تتم وأوقات السرور القصار كأنها تنتزع من برائن المنخفضات لتستردها مرة أخرى.

افتقد أزهر بن عوف بين المحبوسين المغلوبين على دينهم ذلك الشقى الجرىء الذى ما إن يرى رأسا من رؤوس الشرك حتى يسفه أحلامهم ويسخر من صغار عقولهم التى تجعلهم يوفضون إلى تلكم التماثيل الشوها خاشعين مقدمين النذور والقرايين.





الرسول ﷺ، «إن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا».

تحركت الشمس نحو كبد السماء تحكم تصويب أشعتها الملتهبة إلى الرؤوس والأعناق الثلاثة، ولم يعد بهم طاقة على تحمل المزيد من هذا الهجير، كما إن السير قد أجهدهم بعد أن بعدوا عن المدينة ستة أميال دون راحة في الطريق، إذ كان العامرى والمولى فى شوق إلى بلوغ مكة لصرف المكافأة السخية من أزهر بن عوف، والأخنس بن شريق وليتحدث الناس عن شجاعتهم فى استقدام أول مهاجر إلى المدينة بعد صلح الحديبية تنفيذا للاتفاق المبرم بين الفريقين.. ونبه المولى سيده إلى شجرة وارفة الظلال من أشجار ذى الحليفة فأتجهوا نحوها.

كان العامرى والمولى يأكلون كسرهم فى شهية بالغة، ولو أن بالزاد وفرة لالتهموا أضعاف ما طعموا، وازدرد أبو بصير لقيمات وحسا حسوات من ماء وجلس يسمع إلى ذلك العامرى المغرور وقد استل سيفه وجعل يهزه فى الهواء قائلا: - لأضربن بسيفى هذا فى الأوس والخزرج إلى الليل.

وأحس أبو بصير أنه قاب قوسين أو أدنى من تنفيذ ما يدور فى رأسه.

فقال للعامرى:

- أوصارم سيفك هذا يا أخ بنى عامر؟

- نعم.

- ناولنيه أنظر إليه إن شئت.

نظر أبو بصير إلى النبى ﷺ، نظرة تقطر حزنا ورجاء وقال فى صوت مختنق:

- يارسول الله: أتردنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى؟!!

وترقرقت الدموع فى أعين الصحابة المحيطين به، وقد أثار أبو بصير كوامن الشجن إذ أضاف حزنا إلى حزنهم على أبى جندل بن سهيل بن عمرو وهو يردد نفس العبارة: «يامعشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوننى فى دينى؟! بينما أبوه يضرب وجهه بغصن ملء بالشوك ويشده عنوة إلى معسكر المشركين تنفيذا للشرط المجحف والدماء تغلى فى عروق المسلمين ويتعالى صياح الكثير منهم «لم نرض الدنية فى ديننا؟!»

قال أحد المسلمين بتأثر شديد:

- يارسول الله الرجل يكون خيرا من ألف رجل!!

وتحشرج صوته ولم يتم كلامه. قال النبى ﷺ، فى حزن وثقة ويقين لأبى بصير:

- إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا.

وغامت الدنيا فى عيني الرجل وقد قبض العامرى فى قسوة على يده ومشى المولى خلفهما، ولكن ما عتم أن رفع أبو بصير رأسه فى تصميم وقد تردد فى نفسه صدى صوت



وما إن استمكنت كف أبى بصير من
مقبض السيف حتى علا العامرى به وجعل
يضره حتى جعله فى الغابرين .

وأذهلت المفاجأة المولى كوثرًا ولكن خوف
الموت خف به إلى ظهر راحلته يستحثها فى
العودة إلى المدينة وما إن فرغ أبوبصير من
سلب العامرى حتى كاد المولى أن يغيب عن
نظره فوثب على بغير العامرى يجد فى إثر
المولى فى مطاردة خيم عليها شبح الموت، وما
إن بلغ العامرى مداخل المدينة حتى قفز عن
الراحلة وانطلق يعدو إلى المسجد والحصى
يطن تحت قدميه .

نظر الصحابة فى دهشة إلى ذلك القادم
يعدو نحوهم فقال النبى ﷺ :
- لقد رأى هذا فرعا .

وأقبل المولى يلهث والخوف يطل من عينيه
وقال بصوت مرتجف :

- لقد قتل صاحبكم صاحبى وأفلت منه
ولم أكد، وإنى لمقتول .
واستغاث برسول الله ﷺ، فأمنه .

وقدم أبوبصير وأناخ بغير العامرى بباب
المسجد وعلى وجهه مشاعر متباينة من
الاعتزاز بالنفس والخوف والرجاء، وشغله
الموقف عن إفشاء السلام فابتدر الرسول ﷺ ،
قائلا - يارسول الله : فت ذمتك وأدى الله
عنك .. أسلمتنى بيد القوم وامتنعت بدينى
أن أفتن فيه فقال له الرسول ﷺ :

- اذهب حيث شئت

- يارسول الله هذا سلب العامرى .. رحله
وسيفه، فخمسه .

- إذا خمسته لم أوف بالذى عاهدتهم
عليه، ولكن شأنك وسلب صاحبك، واذهب
حيث شئت .

خرج أبوبصير من مسجد الرسول ﷺ ،
ليلتف حوله خمسة الرجال الذين قدموا
مهاجرين من مكة، ولم يرسل فى طلبهم أحد
بعد، وفى أعينهم تساؤل عن المصير المجهول .
وقبل أن يبدأ أى منهم بحديث ترامى
إليهم صوت النبى ﷺ، عن أبى بصير :

- ويل أمه مشعل حرب لو كان معه
رجال .

ودون أن ينبس أحد ببنت شفة سار
الرجال الخمسة خلف أبى بصير .

استقر المقام بالرجال بين العيص وذى المروة
من أرض جهينة على طريق قوافل قريش مما
يلى سيف البحر . وبلغ أبا جندل بن سهيل بن
عمرو والمحبوسين بمكة ما قاله النبى ﷺ، عن
ابى بصير: « ويل أمه مشعل حرب لو كان
معه رجال » فجعل أبا جندل يزين لأصحابه
المحبوسين بمكة الانفلات إلى أبى بصير .. وما
إن أسدل الليل ستوره حتى كان سبعون من
الرجال يطوون الأرض تحت جناح الظلام إلى
سيف البحر .

لم يخلص إلى أبى بصير هؤلاء الفارون من



أبلغ قريشاً عن أبي جندل
أنا بذى المروة بالساحل
في معشر تخفق راياتهم
بالبيض فيها والقنا الذبل
يأبون أن تبقى لهم رفقة
بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجاً
والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه
أو يقتل المرء ولم يأتل
ولم يخل بيت من بيوت مكة دون أن
يخيم عليه الحزن على قتيل لا يودى أو مال
لا يسترد ولم يجد غضب أبي سفيان على
سهيل بن عمرو الذي اشتط في اشتراطه على
الرسول ﷺ، أن يعيد إلى قريش من ذهب
منها إليه، فلولا هذا الشرط ولولا حبسه لابنه
أبي جندل ما حلت بهم النكبات .
ولم يكن أمام أبي سفيان خيار في الأمر،
فلا بد أن يتوجه بنفسه إلى محمد ﷺ،
ويطلب منه إلغاء هذا الشرط الذي كان في
ظاهرة إحجاف بالمسلمين فإذا به يرسل تباشير
الفتح . . . وقدم أبو جندل إلى أبي بصير كتاب
النبي ﷺ الذي يخبرهم فيه بإلغاء الشرط،
ويطلب إليهم القدوم إلى المدينة . . . ورفع أبو
بصير عينيْن واهنتين إلى الكتاب يقرؤه
فاطمأنت نفسه وحمد الله قبل أن يسلم الروح
إلى بارئها .

بطش قريش وحدهم بل تسامع المغلوبون على
دينهم من غفار، وأسلم، وجهينة، وطوائف
من الناس فخففوا إلى ذى المروة فكانوا
ثلاثمائة فدائي أو يزيد وتنحى أبو بصير عن
القيادة والإمامة لأبي جندل الذي عرف كيف
يزعج قوافل قريش حتى وصلت العير القادمة
من الشام والتي أودعت فيها قريش أموالها
فلم يبق من بين بطونها أو أفخاذها إلا وله
مال أو فلذة كبد في هذه العير . . . وأحس
الفدائيون أن في هذه العير ما يعوضهم عن
أموالهم التي تركوها بمكة وعن نفيتهم بعيداً
عن الأهل والأرض الحبيبة .

انقض الرجال على القافلة انقضا أسود
الكاسرة فلم يمض وقت طويل حتى كانت
العير أنفالا والحراس في عالم الغيب إلا من
أبقوا على حياتهم ليحملوا إلى قريش نباء
الكارثة .

طال انتظار أصحاب الأموال في مكة
وساورهم الهم والقلق وكلهم يخشى أن
يصرح بما يدور في خاطره من شكوك حتى
ظهر رجال امتد بهم حبل الأجل فأفلتوا من
مخالب الموت ولكن صفرت لآلته ترسم
وجوههم وفي أعينهم ما يغنى عن التفصيل .
وتقدم أبوسفيان من الرجال وهو لا يريد أن
يصدق ما يرى وقد دفع الغيظ الدماء في
عروقه حتى برزت أوداجه فقال : ماذا أصاب
العير؟

فراح رجل ينشد ما قال أبو جندل :



القيم في عصر المعلومات



د. س. أ. أ. / أحمد فؤاد باشا^(*)

تحديات القيم في عصر المعلومات والاتصال

لقد دخلنا مع بداية القرن الواحد والعشرين عصراً جديداً للمعلومات والاتصال يسمى «كوم-كوم» (COM-COM) .Computer-Communication

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة لشئون البيئة، وقد شارك بهذا البحث في المؤتمر الثقافي العربي السابع للمجمع الثقافي العربي حول «الثقافة والقيم» الذي عقد بجامعة السلطان قابوس في مسقط عاصمة سلطنة عمان في الفترة من ٢١ - ٢٣ أكتوبر ٢٠٠١ م.



أقمار الاتصالات، وما نتابعه على شاشات التليفزيون من معلومات تأتي من الداخل، وقد تأتي من أى مكان فى العالم أيضاً.

وإذا كان عصر المعلومات والاتصال يشهد حالياً ثورة هائلة للعمل على السرعة فى الحصول على المعلومات ونشرها وتبادلها ونقلها من مكان إلى مكان آخر بأقصى سرعة ممكنة، إلا أن هذه التقنيات الجديدة لم تكن خيراً محضاً، بل أصبح لها عديد من التأثيرات السلبية التى تهدد منظومة (نسق) القيم الإنسانية. ويمكن إيجاز ذلك فيما يلى:

١- حق الإنسان فى الحصول على المعرفة بصورة عامة لم يعد مكفولاً للجميع بسبب اتساع فجوة المعرفة Information gap بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون لدرجة أصبحت تشكل انزعاجاً وقلقاً بشأن من لا يمتلكون القدرة على الوصول إلى خدمات الإنترنت والقنوات الفضائية العالمية. ذلك أن تكاليف أجهزة الحاسب (العتاد والبرامج)، وأطباق الاستقبال، والاشتراك فى شبكات المعلومات، ليست فى متناول نصف سكان العالم تقريباً من الطبقات الفقيرة التى لا تستطيع حتى الآن أن تصل إلى الخدمة التليفونية. ومن المعروف أن التليفون يمثل القاعدة الأساسية للوصول إلى شبكة المعلومات. وحتى فى أكثر الدول ثراء وليبرالية، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، نجد أن حوالى ٩٥٪ من المنازل يوجد بها تليفونات، بينما تقل هذه النسبة إلى ٨٥٪ فى المنازل التى يقطعها أمريكيون من أصل أفريقى African Americans.

فقد أصبحت تقنيات المعلومات والاتصال وجهين لعملة واحدة، على أساس أن ثورة تقنية الاتصال قد سارت على التوازي مع ثورة تقنية المعلومات التى تدفقت نتيجة للتفجر المعرفى وتضاعف الإنتاج الفكرى فى مختلف المجالات، وظهور الحاجة إلى تحقيق أقصى سيطرة ممكنة على فيض المعلومات المتدفق، وإتاحته للباحثين والمهتمين ومتخذي القرارات فى أسرع وقت وبأقل جهد وتكلفة، عن طريق استحداث أساليب جديدة فى تنظيم المعلومات تعتمد بالدرجة الأولى على الحاسب (الكومبيوتر) واستخدام تقنية الاتصال لمساندة مؤسسات المعلومات ودفع خدماتها لتصل عبر القارات. والواقع أن تعريف «المعلومات» ينطوى على معنى هذا التزاوج، إذ ينص فى إحدى صيغه على أنه «اقتناء واختزان المعلومات وتجهيزها (معالجتها) فى مختلف صورها وأوعية حفظها، سواء كانت مطبوعة أو مصورة أو مسموعة أو مرئية أو ممغنطة أو معالجة بالليزر، وبثها وتبادلها ونقلها باستخدام توليفة من المعلومات الالكترونية، ووسائل أجهزة الاتصال عن بعد».

وهكذا لا يمكن الفصل بين تقنيات المعلومات والاتصال، فقد جمع بينهما النظام الرقعى الذى تطورت إليه نظم الاتصال، فترابطت شبكات الاتصال مع شبكات المعلومات، وهو ما نلمسه واضحاً فى حياتنا اليومية من التواصل بالفاكس عبر شبكات التليفون، وفى بعض الأحيان مروراً بشبكات



التليفون المحمول أنفسهم مدفوعين لاستخدامه دون وعي منهم. وقد أوضحت إحدى الدراسات الحديثة أن الموجات الكهرومغناطيسية التي يولدها التليفون المحمول، والتي يتسرب تأثيرها إلى المخ، تسبب إفراز نوع من «الأندومورفينات» يشبه مخدر «المورفين» ويسبب «الإدمان» المرتبط بإهدار قيمة الوقت.

وقد لوحظ أن ما بين ٣٠٪ إلى ٤٠٪ من إجمالي عدد الحاسبات تترك في وضع التشغيل طوال أيام وليالي الأسبوع دونما حاجة لذلك لتستهلك طاقة كهربية تعادل الطاقة التي تنتجها ١٢ محطة توليد كهرباء. ولم تلفح كثيراً جهود خفض استهلاك الحاسبات والشاشات والطابعات للطاقة الكهربائية من خلال وجود ما يسمى «بنظام نوم الطاقة» (Power Sleep mode) في فترة عدم الاستخدام، أو تشغيل خط إنتاج لما يسمى «بالحاسبات الخضراء» التي تحد من استهلاك الطاقة وتحافظ على البيئة المحيطة.

٤- مع انتشار تقنيات المعلومات والاتصال بصورة كبيرة انتشرت أيضاً الجرائم الجنائية والأخلاقية المرتبطة بها، وتعددت وتنوعت هذه الجرائم التي يتمحور أغلبها حول سرقة معلومات أو بيانات، أو مجرد الاطلاع عليها والانتفاع بها بصورة غير شرعية أطلق على معظمها اسم «القرصنة» وعلى مرتكبيها اسم «القراصنة»، قياساً على ما يقوم به قراصنة البحار من استيقاف بعض السفن والمراكب والانتفاع بمكوناتها المادية

ويعول البعض في حل هذه المشكلة - لتحقيق المساواة الاجتماعية في إتاحة القدرة للحصول على المعلومات - على ما يسمى بالطريق السريع للمعلومات Information Superhighway لتحقيق التدفق الحر Free Flowing للمعلومات ووصولها إلى أية مكتبة أو مدرسة أو مستشفى.. ولكن هذا الحلم يعوق تحقيقه واقع الحال فيما يتعلق بالبرامج المنافسة وتحديد أسعار الخدمات والممارسات التسويقية للشركات.

٢- ترتباً على وجود فجوة المعرفة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وصعوبة تحقيق المساواة الاجتماعية، يخشى أن يصبح أثرياء المعلومات أكثر ثراءً، وفقراء المعلومات أكثر فقراً، الأمر الذي يندرج بخطر إعادة تشكيل أخلاقيات مجتمع الرفاهية والثراء بصورة مغايرة للقيم الإنسانية. ذلك أن أثرياء المعلومات يتمتعون بالمزايا التي تساعدهم على أن يتسيدوا التقنيات الجديدة ويتفوقوا في استخدامها بشكل أسرع، وهذا يؤدي في النهاية إلى تشكيل مجتمع من طبقتين Two-Layered Society تباعد بينهما عوامل أخرى - بالإضافة إلى تقنيات المعلومات والاتصال - مثل حالة الكساد الطويلة والضرائب المتزايدة، وانخفاض معدلات التعليم المجاني.

٣- تدل الإحصاءات الحديثة على تزايد ظاهرة إدمان الإنترنت والتليفون المحمول، حيث يقضى بعض مستخدمي الإنترنت أكثر من ١٨ ساعة يومياً في الاتصال المباشر معها (ثرثرة ومناقشات تافهة)، ويجد مستخدمو

تبادل الصور الفوتوغرافية المخلة بحرية تامة عن طريق هذه الشبكة، وأصبح هناك نواد للإباحية فى الغرب، تباشر أعمالها بالاستعانة بشبكة «الويب» العالمية. ورغم أن الغرب كان يتغاضى أحياناً عن إباحية الكبار بدعوى الحق فى حماية الخصوصية Right of Privacy إلا أن ذلك لا ينطبق على الأطفال والصبية الصغار بعد ما انتشرت «دعارة الأطفال» ونظراً لخطورة هذه المشكلة، فقد نظمت اليونسكو خلال شهر يناير ١٩٩٩م المؤتمر الدولى لمكافحة دعارة الأطفال عبر الإنترنت.

٦- تحاول بعض المنظمات المشبوهة - من خلال شبكة الإنترنت - تشويه الإسلام وتحريف القرآن الكريم وتلفيق أقوال مكذوبة على لسان الرسول الأمين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

وهذا التحريف المتعمد يتنافى مع كل الأعراف والمواثيق الدولية التى تؤكد على ضرورة احترام المعتقدات وعدم المساس بالمقدسات.

٧- حماية الملكية الفكرية Intellectual Property Rights فى عصر تقنيات المعلومات والاتصال تعد أمراً مهماً بعد أن أصبحت عمليات النسخ أسهل بكثير مما كانت عليه فى الماضى.

● خاتمة:

يتضح من هذا العرض العام الذى قدمناه بشأن القيم فى عصر المعلومات والاتصال أن الموضوع بحاجة ماسة إلى اهتمام الباحثين

وسرقة من هم على متنها بصورة غير شرعية. وكما أن الإنترنت تتطور، فإن القراصنة أيضاً يتميزون بسرعة التكيف مع هذا التطور ويسعون لإيجاد طرق جديدة تتمشى مع تطورات الإنترنت.

كذلك تصاعدت فى الآونة الأخيرة سرقة المطبوعات والمنشورات مباشرة من الإنترنت، الأمر الذى يهدد الصناعات الإبداعية ويعطل مسيرة تطور التجارة الإلكترونية. وأصبح معروفاً أن أسلوب الدفع النقدي الإلكتروني E-Cash عن طريق بطاقات الائتمان تكتنفه مخاطر عدة أهمها سرقة أرقام هذه البطاقات، وتزوير الرسائل والبيانات بسبب غياب المستند الورقى الموقع بخط اليد، وتسويق سلع غير أصلية على شبكة الإنترنت دون أدنى حماية للمستهلك، وغيرها.

أيضاً انتشرت خلال السنوات الماضية ظاهرة سرقات عتاد الحاسب والبرمجيات، وزادت سرقة الوقت والخدمات الكابلية والتليفونية، وتصاعدت جرائم تعمد الأذى والتدمير، وتنوعت أساليب حرب الفيروسات وأعمال التجسس والإرهاب وطرق التزييف وإفشاء الخصوصيات، وغيرها.

٥- ومن المخاطر التى تهدد العلاقات والقيم الإنسانية وجود مواقع على شبكة الإنترنت للحب والزواج والعلاقات غير الشرعية. وقد استغلت شبكة المافيا العالمية بعض هذه المواقع لتحقيق أرباح طائلة من هذه العلاقات المحرمة. كذلك بدأ ما يسمى «الإباحية الإلكترونية» فى الانتشار عبر شبكة الإنترنت حيث يتم

المجتمع على حساب الأقل حظاً. وعندما يشار إلى التغير الاجتماعي الذي يفضى إلى إعادة صياغة منظومة القيم، فإن ذلك يعنى التغيرات التي تحدث فى بنية المجتمع ووظائفها المتعددة، ولهذا يكون التغير الاجتماعي جزءاً من موضوع أوسع هو التغير الثقافى فى مختلف ميادين العلم والتقنية والفلسفة والفن وغيرها. وعلى كل حال، فإن العلاقة بين القيم الثقافية والتغيرات التقنية علاقة تبادلية تقوم على التأثير والتأثر، وآية ذلك أن القيم عامل حاسم فى اختيار التقنيات، مثلما أن التقنيات عامل مؤثر فى تغيير القيم.

بدراسة التأثيرات المختلفة لهذه التقنيات الجديدة على جوانب الحياة البشرية، وبيان أهمية الحرص على صيانة الذاتيات واحترام اللغات والثقافات القومية وعدم المساس بالمقدسات، خاصة وأن مخاوف البلدان النامية تتزايد يوماً بعد يوم مع اتساع الفجوة بينها وبين البلدان الأكثر تقدماً. ويخشى أن تفرض المعلوماتية عبر انتشار البرمجيات نموذجاً ثقافياً موحداً، منبثقاً عن بلدان الشمال، وأن يكون هذا التوحيد مصدر إفقار للبشرية جمعاء، لأن الثروة - كما نعلم - كامنّة فى التنوع، بل يخشى أن تفضى المعلوماتية داخل البلد الواحد إلى تعميق الهوة وتوسيع حالات التفاوت بين فئات

أهم المراجع

- ١- د. عبداللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم (دراسة نفسية)، عالم المعرفة (١٦٠)، الكويت ١٩٩٢م.
- ٢- د. صلاح قنصوة، نظرية القيمة فى الفكر المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦م.
- ٣- د. شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال - المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٠م.
- ٤- د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز المنيف، حرب المعلومات - الحرب القادمة، د. ت.
- ٥- د. أحمد فؤاد باشا، فى فقه العلم والحضارة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٧.
- ٦- د. عبدالحسن الحسينى، العصر التكنولوجى والإسلام - دراسة نقدية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ١٩٨٦.
- V Maxwell, N., 1988. From Knowledge to Wisdom: A Revolution in the Aims and Methods of Science Blackwell, New York.
- A Polkinghorne, J., 1996. "Beyond Science". Cambridge University Press



رمضان في بلاد الأمريكان (٢)

الأرض الخصب والمشاكل الصغيرة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامري

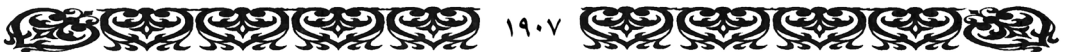
دأب الغرب على زعم أن الإسلام انتشر بحد السيف والغريب في الأمر أن الغرب يدعي الحيدة في دراسة التاريخ والسير، ويزعم أنه يستخدم أساليب موضوعية في تحليل الأحداث!! وتلك أردية مللناها، وسئمنهاها. لكنه ما زال يرتديها. ودعايات ما زال يطلقها، ولا يصدقها هو، فهو يعلم يقيناً أن مزاعمه مفتراة وأن أرديته كاذبة. وأكد أوقن أنه يضحك في خبث ودهاء عندما يرى أناساً من بني جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا يرددون زعمه ويرتدون أرديته. والحق الذي لا مرية فيه والذي يعلمه الغرب يقيناً وفي نفس الوقت يخافه على مستقبله ويرهبه، أن الإسلام انتشر بالدعوة الهينة والقدوة الحسنة، ودعاة الإسلام وعلماءه يقولون: «إن حال رجل في ألف رجل خير من مقال ألف رجل في رجل».

وكهانة يمارسونها يدعمون به المكانة الاجتماعية ومصادر الدخل، حيث إن الجاهلية كانت تعلم صدق الداعي، ونبالة الدعوة، وصدق الله حيث يقول:

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ أَلَّا يُجَاهِدُوا﴾ (١)

ولم يدخل الإسلام حرباً إلا دفاعاً عن نفسه ضد من أرادوا أن يغتالوا الدعوة في مهدها، خوفاً على مواقعهم في المجتمع أو على مصادر الثروة فيما يقصدون من حجارة يرتزقون من خلالها أو خداع وشعوذة،

(١) الأنعام (٣٣).





كان يتغنى به من ديمقراطية وحرية وعدالة أيضاً، لا فيما تعامل به مع الآخرين؛ فذلك معروف وقائم فى تعامل الغرب مع العالم القديم كله، واذكر لنهرو رئيس وزراء الهند الأسبق كلمة رقيقة لكنها حادة مثل السيف يصف بها الغرب فى تعامله مع الشعوب الأخرى عندما قال: «إن الغرب يعتقد أن الديمقراطية والحرية والعدالة فراء ثمين لايناسب أبناء المناطق الحارة». لكنى أقصد ما كان يتغنى به الغرب ويعيش به داخل المجتمع الأمريكى نفسه. حيث أقر الكونجرس الأمريكى ما عُرف بقانون الاشتباه وهو ما يبيح للسلطة التنفيذية سلطة القبض والحجز لمدة تصل إلى ستة أشهر لمجرد الاشتباه!! ومع هذا يتباكى على ما يدعيه من حقوق الإنسان المهذرة وتقييد الحريات فى عالمنا الثالث. كيف ولماذا؟

أما كيف.. فذلك بواسطة جماعات حقوق الإنسان المبتوثة فى بلادنا التى ترسل تقاريرها المشبوهة الملوثة بالعمالة والارتزاق والخيانة المملوءة بالصراخ والبكاء على الحريات المهذرة! أما لماذا.. فذلك بهدف التدخل والابتزاز والسيطرة ولا عزاء للحرية والديمقراطية. معذرة.. لقد أطلت عليك، لكنى أردت أن أبين لك شعارات وذرائع لانتهاك حريات الآخرين!! وإن ربك لبالمرصاد..

ها هى حرية الإنسان مرغها الأمريكيون فى وحل الاستبداد أمام الخوف والهلع، وصدق المثل العربى الذى يقول: «بالكيل الذى كلت يُكال لك به».

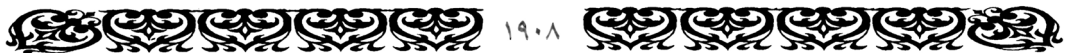
وكم عانى المسلمون من ألوان التعذيب والصد عن الدعوة!! وكتب السيرة والتاريخ خير شاهد على ذلك.. لكن مالنا وللتاريخ! وأعداء الإسلام يشوهون التاريخ ويمسخونه، ويمسخون عقولاً، ويستأجرون أبواقاً تهلل لكل ناعق بما يزورون.

وفجأة أقبل علىّ صاحبى -بعد طول غياب- مقاطعاً مشوقاً متلهلاً فى عتاب يقول: جئت إليك أود أن أرى بلاد الأمريكان من خلال حديثك ولكنى أراك تدخلنا فى منعطفات وعرة وقضايا معقدة.

قلت: والأسى يكاد يقطر فى كلماتى ومرارة الألم تملأ حلقى، أحاول جاهداً أن أخفى ما أصابنى من وقع الكلمات، ليس فيما أقول قضايا معقدة، ولم أصحبك بعد إلى منعطفات صعبة وكل ما قلته هو بعض افرازات الرحلة فى بلاد الأمريكان، فلم يكن الأمر كما توهمت وأنا لست ابن بطوطة ولا ماجلان، وعلى أى حال ربما يتيح المستقبل وقتاً للحديث عما تريده من الرحلة.

قال صاحبى فى مودة ومجاملة -فيهما من المجارة أكثر مما فيهما من الموافقة والاقتناع-: لك ما تريد، لكنى بربك أريد أن أعرف مرادك من الدخول فى هذه القضية وماذا تريد من عرضك لهذه المزاعم القديمة.

قلت لصاحبى -وقد أبهجتنى موافقته-: لا يخفى عليك ما تعانيه الولايات المتحدة والعالم مما حدث فى الحادى عشر من سبتمبر، كما لا يخفى عليك رد الفعل الأمريكى الأهوج المتهور المدمر الذى حطم فيما حطم ما





وصدق الله حيث يقول في حق أسلافهم:

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

وأثناء ذلك اشتدت الحملة على الإسلام، وبدأ الغرب كله يقلب في مخزونات الاستشراق البغيضة، وينثر على العالم كله ما يمكن أن نسميه «جمرة الحقد الخبيثة» من مزاعم وأباطيل، فندنا إحداها في المقال السابق واليوم فنند زعماء آخر وأكذوبة قديمة، وهى أن الإسلام انتشر بحد السيف، وأنه دين لا يعرف السلام.

قال صاحبى - وقد أحسست بوادى ملل تتسرب إلى كلامه -: معذرة إليك، لماذا كل هذا الجهد الذى تبذله وهذه المقدمات الطويلة فى دحض شبهة قديمة مع أن الإسلام يكاد يركع تحت سيطرة النيران الغربية، فالغرب ليس فى حاجة إلى حجج من هذا القبيل.

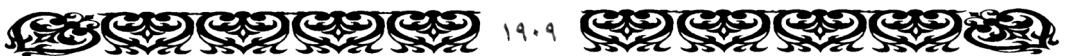
قلت لصاحبى -مقاطعاً-: أولاً: أنا لا أقبل قولك أن الإسلام يكاد يركع، لأن الإسلام دين لا يعرف الركوع لغير الله، ولا السجود إلا لسلطانه، أما المسلمون فقد أسلم بأن بعضهم يدفعهم للركوع، ما أخبر به المصطفى ﷺ بأنه الوهن الذى سيصيب المسلمين بعده وهو «حب الدنيا وكراهية الموت» أما الإسلام فلا.

إن الذى يزعم أمريكا الآن ليست الدول الإسلامية، إنما الذى يزعمها ويؤرقها هو انتشار الإسلام فى داخلها.

قال صاحبى -وفى صوته نبرة سخرية-: كيف ينتشر الإسلام داخل أمريكا حتى يزعمها؟

قلت لصاحبى: الآن اقتربت بى أو اقتربت بك من الحديث عن رحلتى فى بلاد الأمريكان، والإجابة على السؤال أيضاً.. إن المواطن الأمريكى العادى مغلق لا يكاد يعرف عن العالم الخارجى إلا ما يقدمه تليفزيون تافه مهرج ملئ بزخم إعلانى فج عن بضائع ومأكولات وأدوات زينة، وعلى قمة ذلك المرأة، فهى سلعة رخيصة تقدم وتقدم إلى درجة مقززة، يعف لسانى وأرباً بمجلتنا عن وصفها، فهل تتصور أن التلاميذ الأمريكان لا يدرسون إلا التاريخ الأمريكى فقط؟ وأين هو؟ إنه أقل من ثلاثمائة عام؟ إننا هنا فى مصر.. ندرس تاريخ العالم القديم وتاريخ أوروبا الحديث وأكثر بلاد العالم. وهى مسألة نفسية بالدرجة الأولى، فأنت عندما تدرس التاريخ القديم تفاخر بتاريخ تدرسه تنافح الأمم، أما أمريكا فسوف ينشأ الطفل مهزوماً نفسياً عندما يدرس تاريخ مصر القديمة والآشوريين والفينيقيين والرومان، حتى إن أحد الأمريكيين من أصول شرقية ناقش المسئولين فى مدرسة «لماذا لا تدرسون تاريخ العالم؟ ولماذا تدرسون تاريخ أمريكا فقط؟»

أجاب المسئولون -بكل عجرفة وعجز عن الإجابة السوية-: «مالنا وللعالم؟!» على أنى أعتقد أن التاريخ الأمريكى الذى





فأنا أنقل والناقل يجب أن يقدم رؤيته بأمانة وتحليله صادقاً. أما التبشير فليس من مهمتى ولا طبعى، على أى حال سوف أنقل لك ما رأيت بأمانة، وأحكى ما شاهدته بصدق وعليك أن تجد من الأوصاف للذى أحكيه ما يروق لك، أو ما يوافق الحقيقة فى تقديرك.

فى طريق عودتى نزلت فى مدينة شيكاغو وتسميتها مدينة فيه تجاوز كبير حيث إن مقاييسنا تختلف من القاهرة إلى أمريكا وكل شىء هناك ضخم وواسع وكبير حتى الأقداح التى يتناولون بها الشاى والقهوة والمياه الغازية، الأقداح كبيرة، كنت أسميها « القُلة الأمريكانى » نسبة إلى القُلة قبل عصر الثلاجة والديب فريزر.

قال لى صديق مصرى -يحمل الجنسية الأمريكية- والعهد على الراوى: إن مدينة شيكاغو قريبة من حجم الدلتا وبها أكثر مطارات العالم حركة، ففى كل ٣٠ ثانية حركة إقلاع وهبوط، المهم أن هذه المدينة على اتساعها المهول نظيفة تماماً، لم أر ورقة أو علبه سجائر فارغة أو أحد أقداح القهوة ملقى على الرصيف، إن الأمريكى يحمل ما تبقى معه ولا يلقيه من يده حتى يجد سلة مهملات، وتلك خصلة حميدة. ونظافة يحمد عليها و تحمد له، لكنى شاهدت فى مطار شيكاغو على مقعد أمامى فى صالة الانتظار شاباً يحمل كلباً صغيراً فى حجم قطه فى لون البقر ذو شعر قصير ملامح كلب عادى كالذى نراه فى مصر -مثلاً- فليس هو فصيلة نادرة أو غريبة الشكل، مسافر معه،

يدرس للطلاب فيه كثير من التدليس وأظنهم لا يدرسون أن أمريكا كانت منفى للمسجونين الخطرين على الأمن فى أوروبا وقطاع الطرق واللصوص، الذين يتكون منهم المجتمع الأمريكى نفسه الآن.

وأن فصائل محدودة هى التى هاجرت طواعية إلى أمريكا بعد أن استقرت الأمور، ولذلك فهم يفاخرون البيض كأنهم أشرف، أما عن الزنوج فحدث عن التفرقة ولا حرج، فلا يمكن أن يدرس تاريخ اختطافهم من أفريقيا وبيعهم فى سوق النخاسة الأمريكية.

وكل ما يتطرق لهذا التاريخ الأسود الذى يمكن أن يخرج النور على هيئة كتب وأفلام خارج فصول الدراسة ولذلك فهو يحدث دويماً يحرك المياه الراكدة فى المجتمع الأمريكى، والتى ما تلبث أن تعود إلى هدوئها تحت وطأة طاحونة العمل اليومى الرهيب.

على أن الأمريكى كموطن فيه من الطيبة ما يبلغ حد السذاجة، ومن الغطرسة ما يصل إلى حد الغرور والكبر، ومن الشراسة ما يطاول الوحوش المفترسة.

والمجتمع الأمريكى مجتمع عمل عنيف، ونظام، وطوابير أيضاً، ونظافة، لكنها شكلية مظهرية مجتمعية.

قال صاحبي: كل ذلك مقبول، أما أن تكون النظافة شكلية مجتمعية، فذلك مالا أفهمه وأحسبه نوعاً من التحامل منك.

قلت لصاحبي: لا أرى داعياً للتحامل؛



عن الرحلة «الأمريكانى» البلاد والناس .

قلت : لك هذا إن شاء الله، لكن الذى أحب أن تعرفه، والسؤال الذى أرجو أن تسأله لنفسك: «لماذا يثير الغرب كله - وليست أمريكا وحدها- ضد الإسلام هذه التهمة القديمة، «أن الإسلام انتشر بحد السيف»؟ وواصلت قائلاً: هل تعلم أن أمريكا تخاف من انتشار الدين الإسلامى الآن أكثر من أى وقت مضى داخل أمريكا نفسها حيث إن نسبة مبيعات الكتب الإسلامية تجاوزت نسبة مبيعات آلهو الأمريكى! .. وأن كثيراً من الأمريكين جاءوا إلينا يسألون عن الإسلام، فلما عرفوا عقلانية الإسلام وسماحته كانوا فى ذهول مما يقدم فى الإعلام الأمريكى عن بدوية الإسلام وتسلطه وعدوانيته .

إن حملة أمريكا العسكرية يحاول الإعلام الأمريكى تبريرها للمواطن العادى هناك بزخم دعائى حتى تؤهله نفسياً لتحمل تبعاتها المادية بعكس حرب العراق، فإن الذى تحمل تبعاتها مباشرة هم العرب والمسلمون . أما هذه الحرب فقد يتحملها الاقتصاد النفطى على المدى البعيد، لكن الخزنة الأمريكية هى الممول المباشر، فهذا مالا يرضاه الأمريكى ولا يحبه، وهو ما يزعج الإدارة الأمريكية، فكان لابد من «هوجة» إعلامية، قالت فيما قالت، وافترت فيما افترت: أن الإسلام دين الإرهاب وأنه انتشر قديماً بحد السيف، فبدأ الأمريكى يسأل عن الإسلام وهؤلاء العرب، فلم يجد أمامه إلا

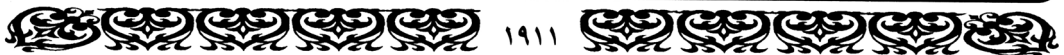
يحملة فى قفص خاص به، أخرجه من محبسه ووضعه على حجره يلاعبه ويلطفه كل هذا منظر مقزز، لكنه كثير مشاهد، أما الذى راعنى هو أن هذا الشاب كان يأكل من (كيس) عليه علامة أحد المطاعم الشهيرة التى ابتلينا بها فى الشرق به قطع من الدجاج والبطاطس، فكان يأخذ قطعة الدجاج الصغيرة ويطعمها للكلب ويبيده نفسها التى لامست فم الكلب ولسانه يقطع أخرى ويأكلها هو!

وليس ذلك فحسب، بل إنه يقدم قطعة بطاطس للكلب، فيلحسها الكلب فى مجاملة لصاحبه، ثم يرفضها، فيعاود صاحبه فيأكلها فى حبور أبله .. ياسبحان الله!! كيف يتوافق هذا مع أنه يرفض إذا ناوله البائع رغيف خبز بيده من غير منديل ورقى يرفض أن يأخذ هذا الرغيف مع أن العامل الذى يقدمه أمريكى أبيض، فهل فم الكلب ولسانه أكثر نظافة! ومستساغ أكثر من يد أمريكى أبيض؟! أم أنها النظافة الشكلية التى فرضها المجتمع الغربى، التى تميز فى غطرسة أنف الكلب وفمه ولسانه على يد إنسان خلقه الله فسواه فعده .

ومهما يكن عندنا من بغض يزعمه الأمريكان ضدهم، فلن نفضل الكلاب عليهم!!

قلت لصاحبى: أعتقد أنى جنحت بك جنوحاً بعيداً عما كنت أريد .

قال صاحبى: لا عليك، فلست أرى فيما قلت جنوحاً، على العكس، فأنا أحب وصف هذه المشاهد، فذلك ما أرجوه من حديثك



قوله تعالى ييقن:

﴿وَيَا كُونُ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمَ وَالنَّارُ مَنُورٌ هُمْ﴾ (٤)

هذا الأمريكي تحركه أجهزة إعلام رهيبة متسلطة لاهية ولا بد لها من دق طبول عنيفة حتى يتنبه ويسمع ويحس بما يدور حوله حيث إنه بليد الإحساس غالباً، فدقت طبول الحرب ضد الإسلام، لكن انقلب الحال فتحرك الوعي الأمريكي يريد أن يعرف ما هو الإسلام أولاً. فإذا عرف الإسلام فذلك ممكن الخطر على النظام الأمريكي نفسه، وهذا هو الذي حدث، وهذا سر الفزع الأمريكي الآن، إنهم لا يخافون من المسلمين، ولكن يخافون الإسلام داخل بلادهم الذي ينساب إلى القلوب الظمأى كالماء العذب في هدوء رقرق جميل، ولنا أمل عظيم أن يحول هذا الفقر النفسى والروحى إلى رياض نضرة من الرى والأمن والاطمئنان بالإسلام.

فهل بعد ذلك يسوغ لعاقل أن يقبل قول مستشرق أحقق يزعم أن الإسلام ينتشر فى أمريكا بحد السيف أم أن الواقع يكذب هذا، ويدحضه وعلينا أن نؤهل أنفسنا لمرحلة جديدة من الدعوة داخل المجتمع الأمريكى والغربى تناسب هذه الفترة. وإلى لقاء آخر بإذن الله نحاكى فيه أحداث التاريخ حول انتشار الإسلام فى العالم ونحاكى فيه بعض المشاكل الصغيرة التى يمكن أن تعوق ذلك الآن.

ترجمات كاسدة فى المكتبات الأمريكية، تناولها فى لهفة، وعرف منها بعض الحقائق عن هذا الدين، بدا من خلالها كذب ما يفتريه الإعلام الأمريكى، وتلك سقطة للإعلام الأمريكى تشهد أن الإسلام قد استفاد منها، فلو لم يربط الإعلام الأمريكى بين ما حدث فى ١١ سبتمبر وبين الإسلام لكان دور الفعل الأمريكى والعالم حرباً عادية مثل كل العبث الأمريكى الأهوج فى العالم، لكن كما يقولون: «رُب ضارة نافعة».

وكما يقول الشاعر:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبتلى الله بعض الناس بالنعم

فمن نعم الله - تعالى - المغلفة بالتدمير الأمريكى الأحقق ربط ما حدث فى ١١ سبتمبر بالإسلام، مما جعل المواطن الأمريكى يسأل عن الإسلام، ويتعرف على هذا الدين، فيجده ديناً سمحاً نبيلاً إنسانياً شاملاً.

إن المواطن الأمريكى إذا رأيته وهو يأكل، يلتهم كميات لا يتناول ربعها أكثر سكان العالم قهراً لأنه لا يجد أو أفضلهم سلوكاً لأن دينه يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (٣).

وجسم الأمريكى ضخم مترهل والسمنة منتشرة بينهم بدرجة مقززة تجعلك تحمد الله على النحافة وعلى لقيمات يقمن الصلب، هذا الأمريكى خواء من الداخل، نفسياً وروحياً وأسرياً، يجعلك تحمد الله وتذكر

فرا ظل آية كريمة

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ

للدكتور / محمد فتوح والمي

لم يشهد تاريخ أمة (ماشهده) تاريخ بنى إسرائيل من قسوة وجود واعتداء وتنكر للهداة، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناسير عددا من أنبيائهم، وهى أشنع فعلة تصدر عن أمة مع دعاة الحق المخلصين، وقد كفروا أشنع الكفر واعتدوا أشنع الاعتداء، وعصوا أبغ المعصية. وكان لهم فى كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل!

وما نشهده اليوم فى أرض الإسراء من أفاعيل تذهل العقول وتحير القلوب من سفك للدماء وتمزيق للأشلاء، وحرق للزروع وهدم للبيوت، وما نراه من قتل للأطفال وهتك للأعراض وضرب للشيخوخ وتكسير للعظام يشهد بهذه القسوة وينطق بتلك الوحشية.

بين عينيه فى حنان، وهو الذى فرغ منذ قليل من ذبح زميل ابنه فى الطفولة وخدنه فى البراءة.

لقد حاولت أن أجد تفسيراً لهذه القسوة الكافرة التى فاقت كل ما يتصوره البشر من الذئاب الجائعة والوحوش الضارية فوجدته شافيا كافيا فى قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

ولعل صورة الطفل الذى حاول الاحتماء بظهر أبيه لينجو من رصاص اليهود الغادر، وتوسلاته إليهم بصراخ يدمى العيون ويمزق القلوب، ومشهد الأب الحزين المكوم وهو يتوسل إليهم جاعلا من صدره درعا لولده فى وجه هذه الكلاب المسعورة. خير شاهد على هذه القسوة التى لم ترحم براءة الطفل ولا توسلات الأب وما زالت بالطفل حتى ذبحته فى حضن أبيه.

وتساءلت فى مرارة كيف يقوى مثل هذا القاتل أن يعود إلى بيته ويحتضن طفله فى لهفة ويقبل ما

(١) البقرة آية ٧٤.



الوصف البغيض؟

وجواب ذلك نجده فى المقصود بالإشارة من قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ .

واسم الإشارة هنا يشير إلى تجربة الحق - تبارك وتعالى - معهم عندما أخذ عليهم الميثاق فغدروا، ودعاهم إلى الإيمان به فتمردوا وكفروا .

وقد سجل الله - سبحانه وتعالى - عليهم ذلك وقصه علينا فقال :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢) .

تلك كانت صيغة العهد الذى أخذه الله عليهم وواثقهم به، إنه ميثاق بين طرفين : الحق - سبحانه وتعالى - طرفه الأول، وبنو إسرائيل طرفه الثانى . والميثاق يتضمن شرطا وجزاء . والنص القرآنى يثبت نص الميثاق وشرطه وجزاءه، بعد ذكر عقد الميثاق وملابسات عقده، لقد كان عقدا مع نقباء

والتأمل فى الآية الكريمة يلحظ مقارنة فى القسوة بين قلوب اليهود وبين الحجارة . وهذا كاف فى إلحاق صفة القسوة بهذه القلوب الكافرة، لكن الخالق - سبحانه وتعالى - يزيدنا علما بطبيعة تلك القلوب فيخبرنا أن هذه القلوب قد فاقت الحجارة فى قساوتها فالحجر قد تمر به حالات يندى فيها ويرق، ويخشع ويلين لكن قلوب اليهود ليست كذلك، فهى من الغلظة والقسوة والشدة والجفوة بحيث لا يمر بها أدنى خاطر من خواطر الرحمة أو الرأفة .

والحجارة التى يقيس الله قلوبهم إليها فإذا قلوبهم منها أجذب وأقسى، هى حجارة لهم بها سابق عهد، فقد رأوا الحجر تنفجر منه اثنتا عشرة عينا، ورأوا الجبل يندك حين تجلى عليه الله، وخر موسى صعقا، ولكن قلوبهم لا تلين ولا تندى، ولا تنبض بخشية ولا تقوى . قلوب قاسية جاسية، مجدبة كافرة، ومن ثم ختمت الآية بهذا التهديد :

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

ولغرابة هذه الصفة وشناعتها أتساءل : كيف وصل الحال باليهود إلى هذه الدرجة من الكفر والجحود والفجور والكنود، ولماذا استحقوا من بين سائر البشر أن ينعتوا بهذا



بنى إسرائيل الإثنى عشر، الذين يمثلون فروع بيت يعقوب - وهو إسرائيل - وهم ذرية الأسباط - أحفاد يعقوب - وعدتهم إثنا عشر سبطا .

وهذا نص الميثاق :

﴿قَالَ اللَّهُ
إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

ثم يضع الحق - تبارك وتعالى - شرطا جزائيا
فى هذا الميثاق بقوله :

﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

فماذا كان من بنى إسرائيل : لقد جاءت
النتيجة مذهلة للعقول، محيرة للألباب .
فبرغم ما فى الميثاق من وعد كريم يغرى
بالالتزام والمسارعة إلى التنفيذ وهو الوعد
بمعيته سبحانه لهم، إن هم وفوا وصدقوا، فإن
ذلك لم يحملهم على الوفاء، واستحضار
الحياء، وجاءت النتيجة نقضا للعهد، وغدرا
بالميثاق، وخروجاً على الطاعة وتمرداً على
الله . فكان الجزاء ماقرره الحق - سبحانه
وتعالى - بقوله :

﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ
قَدْسِيَةً يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَنَسُوا
حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (٣) .

لقد نقضوا ميثاقهم مع الله فقتلوا أنبياءه،
وعصوا رسله، وحرفوا كتابه ونسوا شريعته،
وتطاولوا عليه سبحانه وقالوا :

﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (٤) .

وزادوا على ذلك قولتهم الكافرة الفاجرة

﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ (٥)

ووقفوا من خاتم الأنبياء ﷺ موقفا لئima
ماكرا عنيدا فباءوا بالطرد من رحمة الله .
وقست قلوبهم فلم تعد صالحة لاستقبال
هدى الله .

يقول صاحب الظلال رحمه الله :

«وصدق الله - سبحانه - فهذه سمات
يهود التى لا تفارقهم .. لعنة تبدو على
سيماهم إذ تنضح بها جبلتهم الملعونة
المطرودة من الهداية . وقسوة تبدو فى
ملامحهم الناضبة من بشاشة الرحمة، وفى
تصرفاتهم الخالية من المشاعر الإنسانية،
ومهما حاولوا - مكرًا - إبداء اللين فى القول
عند الخوف، وعند المصلحة والنعمومة فى

(٤) آل عمران آية ١٨١ .

(٣) المائدة آية ١٣ .

(٥) المائدة آية ٦٤ .



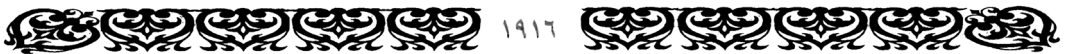
القسوة ونزع مشاعر الرحمة من أعماق تلك القلوب فصارت كما صورها ربنا - سبحانه - كالحجارة بل أشد من الحجارة .

وهذه القسوة التي استحقوها بكفرهم وفجورهم، وغدرهم بميثاق ربهم ظلت هي السمة التي تحكم علاقاتهم بكل من خالطوه وعاشروهم من أمم الأرض جميعاً، فكانوا على مدى تاريخهم كله مصدراً للشر والغدر، والخداع والمكر، والإفساد في الأرض، وكلما ظهرت مؤامراتهم وفاحت روائح جرائمهم، صبت عليهم الأمم جام غضبها وأقصى لعناتها . مما جعلهم يجتهدون في تحريف كتبهم ويضعون فيها من النصوص ما يتوافق ومشاعر البغض والغدر لجميع البشر . « وهذا دفعهم إلى أن جعلوا يوم الغفران أو التكفير يوماً يعلنون فيه نقضهم للعهد والمواثيق التي قطعوها لغير اليهود . وأفتى فقهاؤهم بأن الداعي إلى ذلك كان إكراه اليهود على تغيير دينهم، وشاع بين اليهود أن يوم الغفران هذا يجوز فيه أكل الديون التي على غير اليهودي وعدم أدائها، كما يجوز فيه الرجوع في كل وعد أو تعهد قطعه اليهودي على نفسه طوال السنة معتمدين في ذلك على نص يتعبدون به باللغة الآرامية يبدأ بعبارة: « كل ندرى وأسارى وشُبعوى .. ألخ » ومعناها « كل

الملمس عند الكيد والوقية، فإن جفاف الملامح والسمات ينضح ويشى بجفاف القلوب والأفئدة .. وطابعهم الأصل هو تحريف الكلم عن مواضعه، تحريف كتابهم أولاً عن صورته التي أنزلها الله على موسى - عليه السلام - إما بإضافة الكثير إليه مما يتضمن أهدافهم المتلوية ويبررها بنصوص من الكتاب مزورة على الله ! وإما بتفسير النصوص الأصلية الباقية وفق الهوى والمصلحة والهدف الخبيث ! ونسيان وإهمال لأوامر دينهم وشريعتهم، وعدم تنفيذها في حياتهم ومجتمعاتهم . لأن تنفيذها يكلفهم الاستقامة على منهج الله الطاهر النظيف القويم »^(٦) .

لقد عجبت لقوم يدعون إلى هذا الخير العميم، ويعددهم الله - سبحانه - هذا الفضل الكريم، ويمنيهم بهذا الجزاء العظيم، ثم يخوفهم عاقبة الكفر، ويبين لهم سوء المصير، فتأبى فطرهم النكدة وطباعهم النجسة إلا أن تختار الضلال على الهدى، وتستبدل الكفر بالإيمان، فيحل الله بهم غضبه، وينزل عليهم نقمه وتحق عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة . وكما عاقبهم ربهم بالطرد من رحمته فقد أنزل بهم عقوبة أخرى، هي ثمرة طبيعية للطرد من رحمة الله وهي عقوبة

(٦) في ظلال القرآن - سيد قطب - الطبعة السابعة ج٢ ص ٨٥٩.





المسورة جاءت مسجلة بالأسماء والأماكن والتواريخ مما يجعل من الصعب على اليهود نفيها.

ويعلق صاحب كتاب «الفكر الدينى اليهودى» بعد أن ساق سجل تلك التهمة موثقاً ومفصلاً فيقول:

«ويتساءل الإنسان إزاء سيل من مثل هذه التهم يغطى كل العصور الوسطى والجزء الأكبر من العصر الحديث، أهذه كلها إشاعات، وهى من الممكن أن تنشأ إشاعة وتهمة ووصمة عار لها كل هذه الضخامة، فتغطى رقعة العالم كله، على مدى عشرات من الأجيال، دون أن يكون لها أدنى نصيب من الواقع؟»^(٩).

وفى ضوء هذه الحقيقة الإلهية وتلك اللعنة الأبدية التى أصابهم الله بها، فصارت جزءاً من كيانه، وسمة أصيلة من سماتهم يمكننا أن نفسر سر هذه الوحشية الضارية التى يمارسونها قتلاً وذبحاً وتشريداً وهتكاً وإبادة لكل مظاهر الحياة فى أرض فلسطين المباركة أرض الإسراء والمعراج.

إن قوما هذا شأنهم لا يستغرب منهم مانراه من مظاهر الوحشية والدموية ومشاهد

النذور والتحريمات والأيمان.. إلخ ملغاة، وأن النذور ليست نذورا والتحريمات ليست تحريمات، والإيمان ليست أيماناً»^(٧).

وإذا كان العالم كله قد وقف مذهولاً أمام عملية اضطهاد الطفل الفلسطينى محمد الدرة كنوع من التسلية الشيطانية من هؤلاء المجرمين - انتهت بذبحه بين يدى أبيه، فلأنها كانت المرة الأولى التى يقوم فيها الدليل مشاهداً مصوراً أمام أعين أهل الأرض جميعاً. هذا العالم الذى لم يكن يصدق ما يقال عن فطيرة عيد الفصح أو فطيرة الدم كما يحلو لليهود أن يسموها. وخلصتها كما يقول الدكتور حسن ظاظا: «إن خبز الفطير المفروض على اليهود فى فصيحهم قد جرت العادة أن يدخلوا فى عجنته دماً بشرياً يأخذونه من ضحية يقتلونها من أمة أخرى غير اليهود، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين»^(٨).

وقد حاول اليهود إبعاد تلك التهمة عنهم معتمدين على نفوذهم الواسع فى استغلال وسائل الدعاية، لكن سجل الوقائع التى سجلت عليهم كانت أكبر من أن تدفع عنهم بالكلام والإنكار. خاصة وأن قائمة الأسماء التى وقعت ضحايا فى أيدي هؤلاء الكلاب

(٧) الفكر الدينى اليهودى - د. حسن ظاظا - دار العلم - دمشق سنة ١٩٨٧ ص ١٦٩.

(٩) المرجع نفسه ص ١٨٧.

(٨) الفكر الدينى اليهودى ص ١٨٦.



الرعب . التي تعقد الألسنة وتذهل العقول .

ولقد دفعنى ذلك إلى تعقب لفظ القسوة فى القرآن فوجدته قد ورد فى سبعة مواضع ، ثلاثة منها بلفظ الفعل (قست) وثلاثة بلفظ الاسم (قاسية) ومرة واحدة بلفظ المصدر ، والذي يلفت النظر فى هذه المواضع هو ارتباطها جميعا ببنى إسرائيل وهى تأتى بصيغ مختلفة فهى مرة تأتى بضمير المخاطب مباشرة كقوله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (١٠) .

تعقيباً على لجاحهم وعنادهم ومكرهم وخداعهم واستهزائهم بربهم .

ومرة تأتى بصيغة أهل الكتاب فى معرض تحذير أمة الإسلام من الوقوع فى قسوة القلب التى أصيب بها بنو إسرائيل نتيجة إعراضهم عن كتاب ربهم ونسيانهم لشريعته وفسقهم عن أوامره فى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١١) .

وثالثة تأتى بالإشارة إليهم بقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْأَسَاءِ وَالْضُرِّ لَعَلَّهُمْ يَنْصَرُّونَ ﴿١٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا نَضَّرِعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣) .

وواضح من خلال الآيتين مدى ما أصاب قلوب القوم من جمود وبلادة وجحود إلى الدرجة التى لم تعد تنتفع بشئ من هدى الله ورحمته وسنته .

وفى هذه المواضع الثلاثة جاء التعبير بالفعل الماضى دليلاً على نسبة القسوة إليهم ، وارتباطها بهم ، وظهور آثارها فى حياتهم . لكن صفة القسوة تتحول إلى وصف ثابت دائم ، لا ينفك عنهم بحال من الأحوال عندما يأتى التعبير بالاسم وقد جاء وصف القسوة بصيغة الاسم فى ثلاثة مواضع ، منها ماجاء حكاية عن بنى إسرائيل وتعقيباً على نقضهم الميثاق وذلك فى الآية التى جعلناها عنواناً لهذا المقال وهى قوله تعالى :

﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ ثَبَتَهُمُ الْعَهْدُ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً ﴾ (١٣) .

والقسوة هنا جاءت بلفظ الاسم دليلاً على ثبوتها ودوامها ، وارتباطها بهم ارتباط الاسم بصاحبه ، لا يبرحه ولا ينفك عنه .

(١١) سورة الحديد آية ١٦ .

(١٣) المائدة آية ١٣ .

(١٠) البقرة آية ٧٤ .

(١٢) سورة الأنعام آية ٤٢ ، ٤٣ .



فهو خطاب مباشر لليهود فى آية سورة البقرة
﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوَّشَدُّ قَسْوَةً﴾.

وهكذا نرى أن القسوة بالنسبة للقلب
اليهودى صارت أمرا غريزيا فطريا يجرى فى
دمائهم، وينضج على وجوههم، ويبدو فى
ملامحهم ويظهر فى سلوكهم. وما نشاهده
ويشاهده العالم كله معنا من مذابح تدور
رحاها بالليل والنهار على أجساد الضحايا
من أبناء المسلمين فى فلسطين، وما رأيناه
من نقضهم للعهود وغدرهم للوعود،
وتطاولهم على الله يجعلنا نتدبر رسالة ربنا
إلينا وهو يقول:

﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَّمَ اللَّهُ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ
مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٦).

ألا ياليت قومى يعلمون
ياليت قومى يعلمون

كما جاءت القسوة بصيغة الاسم فى
موضعين آخرين أحدهما يربط بين القلوب
الشیطانية التى تستمع إلى إلقاءات الشيطان
لأنها قلوب مريضة ولأنها قلوب قاسية

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ (١٤).

فانظر أين وضع الحق - تبارك وتعالى - فئة
القلوب القاسية؟.

والموضع الثانى يأتى بيانا لمصير هذه
القلوب المتحجرة الكافرة الفاجرة، فى مقابل
القلوب الإيمانية الحانية التى شرحها الله
لدينه، وأمدّها بنوره، واصطفّاها لنفسه،
وزينها بحبه:

﴿أَمَنَ سَخَّ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ قَوْلٌ
لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي صَلَاتٍ مُّيِّنٍ﴾ (١٥).

أما الموضع الذى جاءت القسوة فيه مصدرا

(١٤) الحج آية ٥٣.

(١٥) الزمر آية ٢٢.

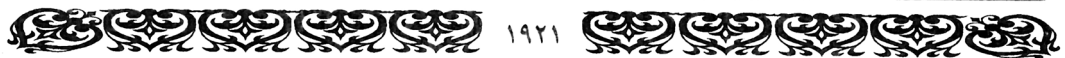
(١٦) البقرة آية ٧٥.



عادات الأيام والتاريخ شاهد
 أن هذا الطفل في المهديجاهد
 قد رأى الحاخام يطوى وطناً
 بين عينيه ويغتيال العقائد
 ورأى أعمامه في مجلس الأمن يصيحون، يدقون المناضد...!
 ينظمون الشعر حزنًا، يملأون العالم الصّخري حرباً في الجرائد
 ويدورون على أبواب دنيانا، يبيعون انتهكات المعابد...!
 ودموع القدس والأطفال والأشجار تغلى في سحابات المواجه
 تملأ الدنيا عتاباً أن هذا الوطن الحر يعانى ويعاند



باعه الشُّذَّاذ لِيلاً خفافيش بلادٍ جمَّعوا منها الشوارد
مرت الأيام والسفاح والخابخام في القدس يحكيون المكائد
ينزعون الغد من أحلام دنياه، يعيشون فساداً في المساجد
عصبة الظلم تدارى سوءة الظلام بالنار على كل الموائد
بذراع البطش - والناس عبيدٌ ليد البطش التي تحمى المفاسد
دارت الأيام والأقاصى ينادى أين سيف الله في كل السواعد؟
ياصلاح الدين إن القدس كنزٌ يتهدى فوق أعناق القلائد
أصرخ اليوم بجند الحق يسمعك صبيٌّ كان في المهدي كابد
تنطق الأحجار في كفيه: إن الحجر الحر كسيف في الشدائد
صاحت الأحجار في كفيه: هذا حجر النار سيُفنى كل جاحد
إن أبناء فلسطين أطاعوا صوت أحجار تغنى للمرصد
فاشهدوا الآن بأنا قد عرفنا دربنا للثأر والكل مشاهد
إن طفل اليوم قد علّم كل الناس أن الأرض نارٌ تتصاعد
قد رأى أعمامه في مجلس الظلم يثورون يدقون المناضد
يحملون الجسد النازف في العين، يغنون بأن الشعب صامد
وزمان الحق آتٍ، يحمل النصر، وإن الوعد بالنصر لخالد



طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

في فضل المال

● قال الجاحظ : اعلم أن تثمير المال آلة للمكارم، وعون على الدين، وتأليف للإخوان، وأن من فقد المال قلت الرغبة إليه والرغبة منه، ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به، فاجهد جهدك كله في أن تكون القلوب معلقة برغبة أو رهبة في دين أو دنيا.

● وقال حكيم لابنه : يا بني، عليك بطلب المال، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك، وذو في قلب عدوك، لكفى.

● وقالت الحكماء : لا خير فيمن لا يجمع المال يصون به عرضه، ويحمي به مروءته، ويصل به رحمه.

● وقال عبد الرحمن بن عوف : يا حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي.

ثلاثة من قريش

قال عبد الله بن عمرو بن العاص : ثلاثة من قريش أحسنها أخلاقاً، وأصبحها وجوهاً، وأشدها حياءً، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم بحق أو باطل لم يكذبوك : أبوبكر الصديق، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن عفان - رضى الله عنهم -.

عقل المروءة ولسانه

عن طاهر الزهرى، قال : كان رجل يجلس إلى أبى يوسف فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف : ألا تتكلم؟ قال : بلى! متى يفطر الصائم؟ قال : إذا غابت الشمس، قال : فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ فضحك أبو يوسف، وقال : أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعائي لنطقك.

أفضل المعرفة

قال حكيم قس بن ساعدة الإيادي : أفضل المعرفة : معرفة الرجل نفسه، وأفضل العلم : وقوف المرء عند علمه، وأفضل المروءة : استبقاء الرجل ماء وجهه .

نصيحة

خذ من الدنيا ما أتاك، وتول عما تولى عنك، فإن لم تفعل فأجمل في الطلب، واعلم أن الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر .



اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع، ومن دعاء لا يسمع أعوذ بك من هؤلاء الأربع .

حقائق

لو أراد البعـد عني
نور عيني ماتبعته
إن قلبي وهو قلبي
لو تجنى ما صحبته
كل شيء من صديقي
ما خلا الغدر احتملته

من نتائج العصية

قله التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، ونفرة الخلق، والوحشة مع الرب، ومنع إجابة الدعاء، ومحق البركة في الرزق والعمر، ولباس الذل وضيق الصدر .

النزاهة في الخصومة

يروى أن رجلا شتم المهلب بن أبي صفرة فلم يجبه، ف قيل له : لم حلمت عنه؟ قال المهلب : لا أعرف مساوئه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .



القدس في عيون يهودية

للمكتوب / محمد حسن عبد الحالق

في هذه العجالة سنحاول النظر إلى القدس الحبيبة من خلال عيون يهودية،
لنتعرف على مابدلوه من أجل تزييف الحقائق وطمس تلك الهوية العربية.
فقد استغلت الصهيونية مدينة القدس كورقة رابحة لتحقيق أهدافها، كما
استغلت بعض العبارات التي وردت في كتبهم المقدسة التي كتبها حاخاماتهم سواء
في المشنا أو الجمارا أو التلمود، بالإضافة إلى ماكتبه الأدباء عنها، والتي وجدوا
بها مادة خصبة لتعميق الوعي الديني اليهودي الزائف بالعاصمة الأبدية
الموحدة لشعب الله المختار، ومركزاً لأرض إسرائيل الكبرى التي لم ترسم
حدودها حتى الآن.

وتخوض الحكومة الإسرائيلية سابقاً عنيماً مع الزمن من أجل
فرض الأمر الواقع بالاستيلاء على القدس الشرقية ومخطط
تهويد المدينة قائم، وقد رفعت الصهيونية منذ بداية أيامها
شعار مزمار داود «إن نسيك يا أورشليم تنسى يميني»^(١).
وحاولت ترسيخ هذا الشعار في الوجدان اليهودي. وأصبح
بركة يتلوها اليهود فور أن يستيقظ من النوم بعد
عبارة: «أحمدك يا الله أنك خلقتني رجلاً ولم تخلقني
امراً».

(١) شموئيل يوسف عجنون: تاهيلا ص ٥٣.



دمشق وفي كل الاتجاهات»، وباختصار فإنه كان يكرر هذه «الرسالة التوسعية» في كل مكان من مؤلفاته^(٢).

● وكذلك في رواية (يعيش) يقول الأديب^(٣):

«وعندما كان (يعيش) يسير مع ابن أخيه، كان الفتى يحدث عمه عن طموحاته التي تتلخص في الذهاب إلى القدس التي كانت في مقدمة تطلعاته».

ويقول أيضاً: «وذات يوم ظهر رجل غريب في شوارع المدينة (باليمن) وبسؤاله اتضح أنه قادم من فلسطين، وسرعان ما انتشر الخبر وتوافد القوم عليه يسألونه:

- كيف حال القدس؟

- تبارك الله، رد عليهم الضيف بهدوء، لقد جاء اليهود إليها من كل مكان، بنوا بيوتا وزرعوا كرماً، وتدفع المال عليهم من كل مكان من روسيا وبولندا وأمريكا، وخاصة من أغنياء اليهود في العالم، فقط لكي يقيموا شعيرة استيطان أرض إسرائيل.

- ماذا يعملون هناك؟ وهل الطعام هناك رخيص أم غال؟

- هناك كل شيء رخيص جداً، رد عليهم، وكل شيء موجود بكثرة ولا ينقصها أي

ويحمل الأدب الصهيوني المعاصر مهمة تعبئة اليهود نفسياً حيث قفز الأدب الصهيوني إلى مهمته الأساسية مع بداية القرن العشرين، مدفوعاً من قبل الصهيونية المنظمة إلى المشاركة في طمس الحقائق وربط مآسى الماضي في تبرير أعمال مشينة ضد العرب مع أن العرب ليسوا الألمان، ويأسر عرفات ليس هتلر أو حفيده حتى يأخذوا الثأر منه.

واليهود الإشكناز الذين يتسلطون على أمور الحكم لا تربطهم أية صلة بيهود العهد القديم، فقد نجحوا في تحويل اليهودية إلى دولة وقومية على حساب شعب آخر، وقاموا بتسييس الدين لحساب مصالح سياسية واستعمارية والعجيب أن عدد المتدينين لا يصل بأى حال من الأحوال إلى ٣٠٪ والباقي علمانيون ولكنهم اتفقوا جميعاً على أن القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل. حتى أن أبرز ما حققه الأديب الصهيوني (عجنون) والحاصل على جائزة نوبل، أنه كان من أقدر الكتاب اليهود على دمج الموقف الدينى بالموقف السياسى، فتحت رداء الدين الفضفاض تقف بطلته المفضلة تاهيلاً لتعلن: «إننى أدعو الله أن يأتى اليوم الذى تتوسع فيه حدود أورشليم حتى تصل إلى

(٢) حاييم هزان: يعيش ج ٣ - ص ١٠٩/١١٠.

(٣) المصدر السابق ج ٤ - ص ١٢١.





شيء؛ فدائماً عين الله ترعاها من أول العالم وحتى آخره^(٤).

ويصعد (يعيش) إلى الملائكة كي يحدثهم عن القدس وجمالها والهيكل المصنوع من الذهب والأحجار الكريمة^(٥).

ومن دفن في القدس دخل الجنة، ووصف الجنة لم يرد في التوراة ولكن حاخامات اليهود وتلمودهم، وصفوها بأنها ستكون كالقدس ولكنها بمساحة أكبر كي تتسع لجميع اليهود.

وفي التلمود: ترحف جثة اليهودي تحت الأرض بعد دفنها حتى تصل إلى القدس، ومن مات يدفن فيها ومن انتحر يدفن خارج أسوار المدينة. وقد تتدخل عدالة السماء في تحديد مقابر الموتى، وقد ورد هذا المفهوم لتعميق الإيمان بقدسية تراب القدس.. حيث يقول أحد العجائز أبطال رواية (الجالس في الجنات) مايلي:

إعلم يا ولدي أن هذا حدث في أيامي.. حضر بعض الناس المعروفين لحفار القبور ومعهم جثة يهودي... وبعد أن وصلوا إلى المقابر، أمروه قائلين: احفر هنا! فأجابهم: حرام.. هنا قبر وشاهد..

وهددوه، ففعل ما أرادوا، ثم أخذوا رفات من كان في القبر وهربوا.. فذهب إلى (الحاخام باشي) يشكو إليه ما حدث، ولما أرسل الحاخام في طلبهم وجدهم قد ماتوا جميعاً منذ فترات طويلة.. وفي النهاية يعرف السر بأن قد مات حديثاً يهودي صالح مات خارج القدس، وأن الميت الذي سرقوا رفاتة لا يستحق أن يدفن فيها... وقد صدر حكم من المحكمة العليا في السماء بدفن هذا مكان ذاك^(٦).

وعن حفلات الزواج يقول الأديب:

أعادوا العريس إلى بيته بالغناء والرقص... وجاءت زوجة أخيه وربطت ورقتين خضراوتين إلى شاله وإلى قبعته ووضعت في يده قليلاً من التراب (الذي أحضره من القدس) فأخذه العريس ووضعه على جبهته وقال:

«إن نسيته يا قدس تنسى يميني»^(٧).

● والمناسبات الدينية والأعياد الحزينة

ترتكز على القدس:

فيوم التاسع من آب (وهو يوم صوم وحداد عند اليهود.

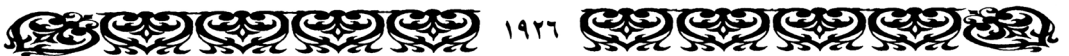
يصف «هزاز» جو الحزن الخيم على البلدة، ويقول:

(٥) المصدر السابق ج ٤ - ص ٢٠٣.

(٧) حاييم هزاز: يعيش ج ٢ - ص ١٣٥.

(٤) المصدر السابق ج ٤ - ص ١١٦.

(٦) حاييم هزاز: الجالس في الجنات ص ١١، ١٢.





- يذهب الرجال إلى المعبد أما النساء فيبقين في بيوتهن يبكين وينحن وكانت «نعمة» تولول وتقول:

«يا ويلى يا ويلى على بيت مقدسنا الذى أحرق، يا ويلى على القدس التى خربت - حتى اليوم مهجورة خربة- يا ويلى.. كالمرأة التى فقدت قلبها أصبحنا، وكالأرملة فى حياة زوجها...» ... يا ويلى. يا ويلى القدس القدس^(٨).

وطوال وجود اليهود فى المنفى حرصوا على إحضار تراب وحجارة من القدس وكانوا يقومون بتهريبها أو بيعها لليهود خارجها، وحسب ما زرعه حاخاماتهم فى عقولهم أن من دفن فى الأرض المقدسة دخل الجنة، ومن مات خارجها تظل روحه هائمة ويحاسب اليهود جميعاً على ترك هذه الروح الهائمة، ونظراً لوجود اللوى الصهيونى فى أمريكا أو وجود أثريائهم وزعمائهم خارج أرض الميعاد؛ فقد أفتى حاخاماتهم بنثر تراب تحت جثة اليهودى من تراب القدس، وبهذا يكون كمن مات فى القدس.

وإذا كان اليهود يعتمدون على بعض العبارات التى وردت فى التوراة.

فهناك العشرات من المجلدات التى قام بكتابتها علماء يهود تناولت نقد التوراة، وقد ابتدأ نقد التوراة منذ القرن الثامن الميلادى اعتماداً على أن القنوصية هى بداية نقد التوراة ومنهم على سبيل المثال حبر علماء اليهود سبنوزا ١٦٣٢ - ١٦٧٧ أمستردام الذى أرجع كتابة التوراة إلى عزرا وآخرون برغم معاداة اليهود له بعد ذلك .

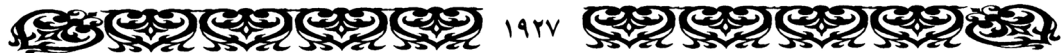
هكذا نجد أن الأدباء الصهاينة شاركوا بشكل مباشر فى خلق هذه الشخصية الصهيونية شديدة التعلق بالقدس شديدة الفتك بالآخرين لأجل تحقيق أهدافها فإذا أضفنا إلى ذلك اتصافهم بالقسوة وهو ما ورد فى قوله تعالى فى شأنهم:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾^(٩).

لعلمنا أن شارون مجرد مثال لكثيرين يمارسون البطش والتعذيب ضد الفلسطينيين غير أن شارون يمارس بطشه علانية أمام العالم كله بحكم موقعه رئيساً للوزراء، أما غيره فكثير يمارسون البطش بعيداً عن الأضواء وتحت ستر الظلام وليس حادث محمد الدرة ببعيد .

(٩) البقرة: (٧٤).

(٨) حاييم هزاز: يعيش ج ٢ - ص ٤٨ - ٤٩.



كشمير

أمة تبحث عن حق تقرير المصير

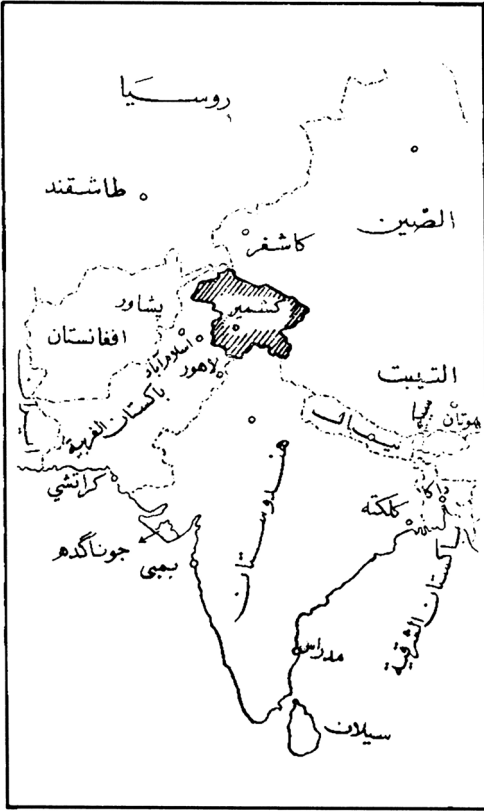
كتب:

أحمد السيد فقي الدين

مرة أخرى عادت
قضية (كشمير)، أو قل
قضية شعب كشمير المسلم
المضطهد المفتون في
دينه.

انتهزت الحكومة الهندية الفرصة، فرصة الخلط أو الربط بين الإسلام والإرهاب، على نحو ما فعلت وتفعل الولايات المتحدة في حربها في أفغانستان، وكما أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن مضطرة للإعلان عن وجود أدلة مادية تبرر حملتها العسكرية في أفغانستان، فإن الهند كذلك لن تكون في حاجة إلى أدلة مادية تبرر حملتها العسكرية على باكستان التي دعمت ولا زالت تدعم رغبة الشعب الكشميري المسلم في نيل استقلاله من نير الاحتلال الهندي.

ومادامت إسرائيل ترى في مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال الغاشم الواقع على أرضه إرهاباً، وتحصل على الدعم والتأييد الأمريكي والأوروبي لهذا الوصف، لذلك أعلنت الحكومة الهندية أنها ترى في مقاومة الشعب الكشميري للاحتلال الهندي الغاشم الواقع على أرضه إرهاباً.



■ خريطة كشمير ■

فضلاً من احتضان باكستان - العدو للدود للهند، والتي خاضت حرباً مريرة ضد الحكم الهندي حتى استقلت عنه بعد مذابح دموية مروعة في منتصف أغسطس ١٩٤٧ - مؤيدا لرغبة الشعب الكشميري في نيل الاستقلال.

فقررت الحكومة الهندية استغلال الاتجاه العالمي المعادى للإسلام للحصول على التأييد الدولي في مواجهة الدعم الباكستاني لرغبة الشعب الكشميري في الاستقلال، وها هو تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا يعلن صراحة في ٥ يناير ٢٠٠٢ دعم

ومن ثم قررت الحكومة الهندية أن العدوان الذى تم على البرلمان الهندي فى أواخر أيام العام المنصرم تم بتدبير من المنظمات الكشميرية التى ترفع راية العصيان فى وجه الحكم الهندي لأرض كشمير... هكذا.. بدون أى تحقيق وبدون أى أدلة مادية ملموسة، رغم أن الثابت فى التاريخ الهندي الحديث والمعاصر أن الهند دولة تعاني من صراعات عرقية متعددة، ورئيسة وزراء الهند الشهيرة (انديرا غاندى) قتلت على يد متطرفين من طائفة السيخ، فى ٣١ من أكتوبر سنة ١٩٨٤ حيث تطالب طائفة السيخ بالحكم الذاتى فى إقليم البنجاب الذى تتجمع فيه تلك الطائفة وتأسيس دولة تعرف باسم (خالستان)، الأمر الذى رفضته الحكومة الهندية بزعامة (أنديرا غاندى) فلقيت حتفها على يد اثنين من السيخ من حرس الأمن الخاص بها.

وإلى يومنا هذا لم تتنازل طائفة السيخ عن مطالبها فى تأسيس دولتها المزعومة.

فلماذا، والأمر كذلك تصر الحكومة الهندية على اتهام مسلمى كشمير وباكستان التى تدعم رغبتهم فى التحرر على تحميلهم مسئولية الاعتداء على البرلمان الهندي؟

الإجابة هى أن الحكومة الهندية لن تلاقى عناءً كبيراً فى سحق السيخ، فقد سبق للحكومة الهندية فى يونيو ١٩٨٤ أن سحقته تمرداً قام به السيخ فى إقليم البنجاب، قُتل فيه (١٠٠٠) من السيخ (٢٠٠) من القوات الهندية، فالسيخ طائفة لا تحظى بأى دعم أو تأييد دولي، ومن ثم من السهل التعامل معها.

أما كشمير فالأمر مختلف، فقد وقف المجتمع الدولي بجوارها ممثلاً فى قرارات الأمم المتحدة،



بلاده للحكومة الهندية ضد
باكستان .

● ولكن.. ما هي قصة
كشمير؟

- بعد انتهاء الحرب وإعلان قيام
باكستان بقيت بعض الإمارات
المستقلة عن الحكم في باكستان
وفى الهند، وكان على هذه
الإمارات أن تقرر مصيرها، إما

المتطرفون السيخ فى المعبد الذهبى فى اضطرابات ١٩٨٤م التى شهدتها الهند

بالانضمام إلى باكستان أو الهند،
فقد كانت هذه الإمارات أقرب إلى المجتمعات القبلية
منها إلى الدول وهو الأمر الذى تجلّى فى مقولة اللورد
(مونتباتن) نائب ملك إنجلترا فى الهند إبان مرحلة
استقلال الهند وباكستان، حيث خاطب أمراء تلك
الإمارات بقوله: «إنكم أحرار بأن تنضموا إلى الهند أو
إلى باكستان، ولكنكم لا تستطيعون أن تتفاوضوا عن
الأوضاع الجغرافية لإماراتكم، ولا أن تتعدوا عن
الدولة التى تجاوركم ولا أن تتفاوضوا عن مصالح
شعوبكم».

وأحدثت هذه المذابح ردود فعل قوية لدى الشعب
الباكستاني حيث هبت القبائل الباكستانية للدفاع عن
مسلمى كشمير، واستطاعوا أن يدحروا الجيوش
الهندية ويستخلصوا قسما من كشمير أطلق عليه
اسم (كشمير الحرة)، واضطر أمير كشمير الهندوكى
(هرى سنج) إلى الفرار خوفاً من بطش الشعب
الكشميرى به، وكتب إلى حاكم هندوستان
(الإنجليزى) اللورد مونتباتن كتابا يعلن فيه برغبته
ضم إمارة كشمير إلى الهند، فأوفدت الحكومة الهندية
مندوباً من قبلها يحمل وثيقة طلب الانضمام،
وطلبت من الأمير الفار أن يوقع عليها ففعل، وذلك فى
٢٧ من أكتوبر ١٩٤٧ مع إضافة مادة تنص على:
«يُستفتى الشعب الكشميرى بتقرير مصيره»، وذلك
فى الوقت الذى قامت فيه الحكومة الهندية بنقل قواتها
بالبطاريات إلى كشمير للسيطرة عليها.

وكانت كشمير -ويسكنها آنذاك نحو خمسة
ملايين نسمة - ٨٠٪ منهم مسلمون تحت حكم أسرة
هندوكية اختارت الانضمام إلى الهند، وذلك على
الرغم من أن تقسيم هندوستان إلى دولتين: الهند
وباكستان تم على أساس دينى، فضلاً عن أن كشمير
تُعد امتداداً حيويّاً لباكستان، خاصة وأن ثلاثة أنهار
كبرى تنبع من كشمير وتغذى باكستان بالمياه وهى:
السند، جليم، جناب.

وعلى الرغم من رغبة الشعب الكشميرى
الجامحة فى الانضمام إلى باكستان إلا أن الحكومة
الهندية اعتبرت أن قرار الأسرة الحاكمة فى كشمير



إحدى المقابر الجماعية لمسلمي كشمير والمقبرة خاصة فقط بالأطفال

وفي الوقت نفسه كتب (جواهر لال نهرو) رئيس وزراء الهند إلى الزعيم الباكستاني (محمد علي جناح) رسالة يؤكد فيها على «سحب الجيوش الهندية من كشمير عند استتباب الأمن فيها»، علماً بأن أحداً لم يطلب من الحكومة الهندية إرسال جيوشها إلى كشمير، وقال في رسالته: «سنترك تقرير مصير الإمارة إلى شعبها، ولا نقطع هذا العهد معكم فقط، بل ونقطعه مع شعب كشمير».

فدعا محمد علي جناح، اللورد مونتباتن الحاكم العام لهندوستان (باكستان والهند) ونهرو - رئيس وزراء الهند - إلى عقد مؤتمر في لاهور في ٢٩

من أكتوبر ١٩٤٧ لبحث الموقف، ولكن نهرو تعلل بمرضه فألغى المؤتمر، فاقترح جناح عقده في الأول من نوفمبر ولكن نهرو تهرب منه أيضاً، فاجتمع محمد علي جناح مع اللورد مونتباتن حيث قدم له عدة مقترحات تضمنت سحب القوات الهندية، ورجال القبائل الباكستانية، وإدارة كشمير بواسطة هيئة مشتركة من حكومتى الهند وباكستان، واتخاذ الإجراءات اللازمة لاستفتاء عاجل تحت رقابة الحكومتين وإشرافهما المشترك.

ولكن الحكومة الهندية رفضت المقترحات الباكستانية؛ فاقترحت باكستان رفع القضية إلى هيئة الأمم المتحدة للفصل فيها، ولكن الحكومة الهندية رفضت هذا الاقتراح، وتقدمت إلى هيئة الأمم المتحدة بشكوى ضد باكستان تطلب فيها إلزام الحكومة الباكستانية بعدم مساعدة الشعب الكشميري، وهو الأمر الذي رفضته هيئة الأمم

المتحدة، فهددت الهند باكستان بأنها ستقتحم بلادها دفاعاً عن النفس!! ورغم قرارات الأمم المتحدة المؤكدة على حق الشعب الكشميري في تقرير مصيره فقد ظلت الأوضاع على ما هي عليه، وحتى اليوم يزرع شعب كشمير المسلم تحت نير الاحتلال الهندي، ولم تجد الحكومة الهندية أفضل من حادث الاعتداء على البرلمان الهندي لحسم صراعها مع شعب كشمير، وما أيسر توجيه التهمة بلا دليل، فما دامت الولايات المتحدة اجتاحت أفغانستان بلا دليل، فلماذا لا تفعل الهند الأمر ذاته؟ بل لماذا لا تجتاح باكستان هي الأخرى بلا دليل؟، وإذا كانت إسرائيل تقمع الانتفاضة الفلسطينية ضد الاحتلال وتصفها بالإرهاب، فلماذا لا تقمع هي الأخرى الانتفاضة الكشميرية وتصفها بالإرهاب؟! من الذى سيحاسبها ويقول لها «لماذا»؟ بل من الذى سيجرؤ أصلاً على الكلام!!



المسلمون أمة مبعوثة

للمستاذ / محمد حسن داز

أحمد الله، تبارك وتعالى، وأصلى وأسلم على صفوته من خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله، محمد، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يتعرض العالم الإسلامي - اليوم - إلى هجمة شرسة، يتولى كبرها أعداء المسلمين جميعاً، على اختلاف نحلهم ومذاهبهم وحيثما وجه الناظر بصره إلى بلاد الإسلام، رأى الجراح التي تدمى القلوب، ونفتت الأكباد، وراعه توالى النكبات، وتعدد الطعنات التي توجه إلى هذا العملاق الدامى الجريح. المتآمرون لا يستخفون بمؤامراتهم، ولا يتسترون بجرائمهم، بل يتخذون من الإسلام خصماً، ومن المسلمين أعداء، يخشون أن يسترد المسلمون وحدتهم التي أضاعوها، وقوتهم التي افتقدوها، وأن يعودوا إلى عقيدتهم الصلبة النقية، التي تحيل ضعفهم إلى قوة، وفرقتهم إلى وحدة، وتدابره إلى ولاء وأخوة.

تبارك وتعالى - ، وذلك أنه ينصر دينه بأعدائه كما ينصره بأوليائه، كما قال رسول الله صلوات الله عليه : «إن الله ينصر الدين بالرجل الفاجر»^(١) وعندئذ يعز الله - جل وعلا - أوليائه، ويعيد بهم سيرة السلف الصالح، الذين شرفوا بصحبة محمد ﷺ، وكان منهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وفازوا برضى الله - عز وجل - عنهم، وجاهدوا مع

ويشاء الله - عز وجل - أن تكون هذه الضربات المتوالية، والعدوان الصارخ على المسلمين فى مقدساتهم وأعراضهم وأرواحهم سبيلاً ليقظتهم، وطريقاً لألفتهم ووحدتهم، ودعوة لالتزامهم بكتاب الله - عز وجل - وسنة - رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - .

وتتناهى صحوة العالم الإسلامي، وتنتشر شرقاً وغرباً، وتحقق سنة من سنن الله -

(١) ابن الأثير الجزري، جامع الأصول (١/١٤٥).



رسول الله ﷺ وتلقوا عنه القرآن الكريم، ورووا سنته الشريفة، وتخلقوا بأخلاقه السامية الجليلة، وتحلوا بسمته وهديه، وحملوا من بعده راية الجهاد، وأمانة التبليغ، ونشر الرسالة، ففتح الله بهم الأمصار، وهدى بهم الأمم والشعوب.

شرقت راياتهم حتى وصلوا إلى حدود الصين، وغربت حتى وقفوا على شاطئ الأطلسي، وحتى خاض عقبة بن نافع بفرسه في ماء المحيط، وقال: لو أعلم أن وراء هذا البحر أرضاً لحضته مجاهداً في سبيل الله، وانطلقوا شمالاً حتى فتحوا (باب الأبواب)، وغزوا (بلتجر والترك) أي بلنجراد وتركستان، ووصلوا إلى أسوار (القسطنطينية) عاصمة الدولة الرومانية الشرقية، واستشهد حولها بعض صحابة رسول الله ﷺ، ومنهم (أبو أيوب الأنصاري) الذي استضاف رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يوم الهجرة، حتى بنى مسجده الشريف ودوره المكرمة لأمهات المؤمنين.

وبذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ، والمسلمون من بعدهم أمة مبعوثة، تحمل رسالة الإسلام إلى أمم الأرض جميعاً. ويعرض القرآن الكريم هذه الحقيقة في قول الله - تعالى - :

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ

رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَتَّيْنُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

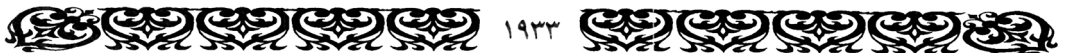
تبتدىء الآيات الكريمة بتقرير هذه القاعدة الكلية:

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ

رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾

يجتبي ويختار رسله من الملائكة ومن الناس. ويستخدم القرآن الكريم هذه الكلمة الجامعة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾، لتشتمل رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتحتمل - كذلك - حملة الرسالات من بعدهم، وإن لم يكونوا مرسلين: مثل أنبياء بنى إسرائيل، وحواريي عيسى - عليه السلام -، وأصحاب محمد ﷺ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وتزكى الآيات الكريمة هذا المعنى، فيأتى





- يثبت المسلمين، وينزل عليهم السكينة، لكيلا يبالوا بأقوال هؤلاء السفهاء وذلك بتقرير هذه القاعدة، وهى أنهم أهل الحق، وأصحاب الشهادة المقبولة بين يدى الله - عز وجل - يوم القيامة، وهم فى موقف من مواقف الأداء لهذه الشهادة، وهى ثمرة هذه الوسطية التى ميزهم الله - عز وجل - بها، والوسط العدل، كما أخبر الرسول الكريم، فكان من الأنسب أن تتوالى سنن الله - سبحانه وتعالى - عليهم:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾
الأمر الآخر: أن شهادة محمد ﷺ على أمة ثابتة مؤكدة، قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ
وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ (٤).

وقال تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٥).

أما شهادة أمة على الناس، فذلك فضل من الله العزيز الحكيم، منحه أمة محمد ﷺ، ولأنه أمر غير مسبوق، فقد احتاج إلى مزيد من التأكيد، واقتضى ذلك أن يقدم فى الذكر تثبيته له وتأكيداً، وذلك فى سورة البقرة، أول سور القرآن فى المصحف بعد

فى هذا السياق نداء الله - تبارك وتعالى - للذين آمنوا ليقيموا الصلاة، وليعبدوا الله - تعالى - ، وليفعلوا الخير، وليجاهدوا فى الله حق جهاده، لأنهم مجتوبون ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾، وبين اجتبى واصطفى صلة واضحة، وترابط وثيق، وتذكر الآيات بعض خصائص الأنبياء فى صفات أولئك المؤمنين:

﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾

وقد عرض القرآن الكريم هذه الخاصية الأخيرة لأمة محمد ﷺ فى قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٣).

وقدمت الآية الكريمة من سورة البقرة شهادة المسلمين على شهادة رسول الله ﷺ، مع أن الأصل سبق شهادته ﷺ، وشهادة المسلمين تبع لشهادته صلوات الله وسلامه عليه.

وأرى أن ذلك لأمرين: الأول أن آية سورة البقرة وردت فى معرض تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وقد اعترض اليهود على أمر الله العزيز الحكيم بهذا التحويل سفاهة وافتراء وبغيا، والله - عز وجل

(٤) النحل (٨٩).

(٣) البقرة (١٤٣).

(٥) النساء (٤١).



قال : « الوسط العدل ، فتدعون ، فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم » . جمع هذه الخصائص حديث رسول الله ﷺ ، والذي رواه الترمذى الحكيم فى (نواذر الأصول) عن عبادة بن الصامت عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال : (أعطيت أمتى ثلاثا لم تعط إلا الأنبياء ، كان الله إذا بعث نبيا قال له : (ادعنى استجب لك) وقال الله لهذه الأمة :

﴿ اَدْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(٧)

وكان الله إذا بعث نبيا قال له : (ما جعلت عليك فى الدين من حرج) . وكان الله إذا بعث نبيا جعله شهيدا على قومه ، وجعل الله هذه الأمة شهداء على الناس .

ويصرح رسول الله صلوات الله عليه لأمته أنهم مبعثون ، فى حديثه عن الأعرابى الذى بال فى المسجد ، فقام أصحابه ليقعوا به ، فقال لهم : (لا ترمزوه « لا تقطعوا بوله » فلما انتهى قال : (أريقوا على بوله سجلا من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين) صلوات الله وسلامه على نبي الرحمة ونبي الملحة وهذا التيسير يقدمه المسلمون للناس من خلال دينهم لتستقيم دينهم وعلى المسلمين أن يقدموا الإسلام للناس دينا يقيم اعوجاج الدنيا حتى تنصلح به الآخرة .

الفاخرة ، ولما ثبتت هذه القضية وتأكدت بهذا التقديم فى سورة البقرة ، جاءت على النسق المناسب فى سورة الحج ، قال تعالى :

﴿ هُوَ سَمَنَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾^(٦)

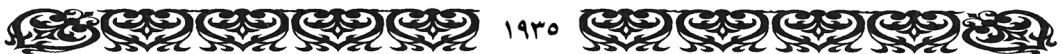
وسورة البقرة أول السور نزولا بالمدينة ، وسورة الحج مدنية متأخرة فى النزول . وتختص آية (البقرة) كذلك بتقديم الجار والمجرور فى قوله تعالى :

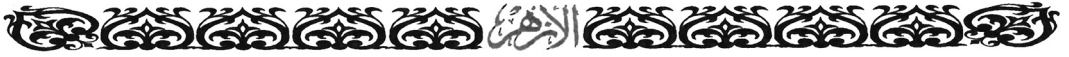
﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

وذلك لأن الله - عز وجل - يمتن على المسلمين بفضله وبره ، وأنهم وحدهم المشهود لهم بالتزكية من هذا الرسول المعظم ، وقد أفاد تقديم الجار والمجرور هذا الاختصاص !

وتؤكد أحاديث رسول الله ﷺ هذه الخاصية من خصائص المرسلين لأمة محمد ﷺ . روى البخارى وأحمد والترمذى والنسائى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : (يدعى نوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، وما أتانا من أحد . فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته . فذلك قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾





القضاء والقدر لمونتجمري وات

مع
كتاب

للمستأذ الدكتور / محمد الهيم الفيوري

انشغل المستشرقون المهتمون بالفكر الإسلامي بقضية القضاء والقدر وهم يستعرضون تلك القضية في القرآن والسنة وتاريخ المذاهب الإسلامية لم يجمعهم رأي واحد وسبيل واحدة، إنما تباينت آراؤهم بين مؤيد للفكرة القائلة بالتواكل ونفى الإرادة الإنسانية وعلى هذا الرأي أرضوا الجبرية واتهموا القرآن - زيفاً - بأنه سبب تأخر المسلمين وبين ناف لفكرة الجبرية ووجدوا في القرآن والسنة الصحيحة ما يعين على الاعتقاد بأن الإنسان مسئول عن أفعاله البشرية. وربما كان الخلاف الشديد حول تلك القضية دافعا للمستشرق الإنجليزي، والدكتور مونتجمري وات لأن يسلك سبيل تلك القضية ويسير معها وهو في صلب حياته العلمية فسجلها موضوعاً نيل درجة الدكتوراه.

الحرية الإنسانية في مفهوم علم الكلام



أبصارهم عن الوصول للنظرة الشاملة فلديه ليست قضية القضاء والقدر قصرا على الفكر الإسلامى وإنما تعرضت لها كل الأديان فهي قضية عامة إذن .

والكتاب : عرض تاريخى دقيق لفكرة القضاء والقدر ، بين استطاعة الله - سبحانه وتعالى - واستطاعة الإنسان ، قد تبدوان حقيقتين متعارضتين أو متواجهتين أو حتى متكاملتين ، ولا يمكن للإنسان فى هذه المرحلة من تطوره الفكرى أن يوفق بينهما ، لكن لابد أن يعتقد فى صحبتهما ، أى لابد أن يؤمن بالله أنه على كل شئ قدير ، وأن يؤمن أيضا بأن الإنسان مسئول عن تصرفاته .

لكن مونتجمرى وات يرى أن الإسلام قد نقل الفكرة عن القضاء والقدر نقلة حضارية محكمة فقد كانت فكرة الزمن أو الدهر قبل الإسلام تسير بأمور أو الأفعال الإنسانية « خبط عشواء » فتصيب هذا بالخير وتصيب هذا بالشر .

غير الإسلام ذلك المعتقد وجعل الأمور تسير وفقا لإرادة حكيم عليم ، عادل رحيم ، مقدر مدبر ذلك ما عليه الروح العامة للقرآن الكريم تحمل الإنسان مسئولية عمله مع عدم إغفال لطف الله ورحمته وهدايته .

وكان المؤلف حريصا كل الحرص فى عرض القضية وفق منطقها فى الفكر الإسلامى ومنطق تداعياتها أن يخرج بنتائج تعرب عن صدقه وعدم تحيزه ، ورغم عرضه لآيات القرآن وبعضا من الأحاديث التى تعرضت للقضاء والقدر والفعل الإنسانى ، فإنه كان يذهب فى تأصيله إلى أبعد من القرآن فى ظهور فكرة القضاء والقدر ربما كان ذلك تأييدا لوجهة نظر فى أن مسألة القضاء والقدر فكرة إنسانية وليست دينية تخضع للتطور التاريخى وتبادل الثقافات .

ولقد تكلف المؤلف فى أمانة علمية أن يرصد مصادر الموضوع ويقارن بينها مسكا بالخيط الرفيع الرابط بينها وما أضافه تطور التاريخ الفكرى الثقافى إليه .

يقول مونتجمرى وات : تم اكتمال هذا العمل فى خريف ١٩٤٣ وقبل كرسالة للحصول على درجة الدكتوراه فى الفلسفة بجامعة أدنبره ١٩٤٤ ثم قال : وقد غدوت خلال الأعوام التى تلت ذلك على وعى بجوانب القصور التى اعترت هذه الدراسة فكان ينبغى على أن :

- أولى اهتماما بالحسن البصرى .
- وكان من الممكن جمع معلومات عنهم من كتب التراجم العربية .
- وكان ينبغى التعمق فى البحث للتمييز الدقيق بين مصطلحي القضاء والقدر بالرجوع إلى القرآن الكريم والأحداث الصحيحة .
- كما كان من المفيد مراجعة تفسير الطبرى بحكمة ودقة .

ورغم اعترافى بأوجه القصور فقد سمحت بنشر عملى فلا يبدو أن مزيدا من المادة العلمية يؤدى إلى تغيير جوهرى فى العناصر المهمة . . ثم قام بترجمته إلى اللغة العربية د . عبدالرحمن عبدالله الشيخ ، وأقام دراسة مهمة عليه مع الرجوع إلى المصادر التى اعتمد عليها المؤلف مونتجمرى وات وأثبت فى الهامش بعضا من نصوص اقتضاها المقام ، دقة فى التحرير ، وبسطة للمسائل التى أخرجتها الترجمة عن معناها .

والمترجم قدير كفاء تحكمه الغيرة الإسلامية والأمانة العلمية والتروى الهادئ المتزن وعبارته أدبية علمية مع فصاحة اللفظ والمصطلح والأسلوب ووجهة نظر المترجم فى قيمة الكتاب العلمية يعرب عنها بقوله : رغم أن الكتاب الذى بين أيدينا رسالة حصل بها المؤلف على درجة الدكتوراه من جامعة أدنبره العريقة ، إلا أن المؤلف كان حريصا على تبسيط كل معقد ، وتوضيح كل غامض كما كان حريصا على مد الجسور بين الثقافات المختلفة والأديان المختلفة ، وغالبا ما يصل الباحثون من هذا النمط إلى ما يؤكد تقارب الأديان وتعانق الحضارات ، فهم يتجاوزون كل ما يعوق



للشاعر/ بدوى الجبل

مهداة الى أعتاب أبى الزهراء صلوات الله عليه

قصيدة رائعة من عيون
الشعر العربي نظمها الشاعر الكبير
بدوى الجبل وهو معالي الأستاذ محمد
سليمان الأحمد، الوزير السوري الأسبق،
وقد وصفت من المشاعر المؤمنة،
والعواطف الضارعة ما يجده القارئ
فى أبياتها الرصينة.

بنورٍ على أم القـرى وبطيب ** غسـلتُ فؤادى من أسىٍّ ولهيب
لثمت الثرى سبعا وكحلتُ مقلتى ** بحُسنِ كـأسرارِ السماءِ مهيب
وأمسكتُ قلبى لا يطير إلى (منى) ** بأعبائه من لهفةٍ ووجيب
فيا مهجتى: وادى الأمين محمد ** خـصيبُ الهدى: والزرعُ غيرُ خـصيب
هنا الكعبةُ الزهراءُ والوحى والشذا ** هنا النورُ فأفنى فى هواه وذوبى
ويا مهجتى: بين الخطيم وزمزم ** تركتُ دموعى شافِعاً لذنوبى
وفى الكعبةِ الزهراءُ زينتُ لوعتى ** وعطَّرَ أبوابَ السماءِ نحيبى



مواكب كالأمواج عَجَّ دُعاؤها ** ونارُ الضحى حمراءُ ذاتُ شُبوب
ورددتِ الصحراءُ شرقاً ومغرباً ** صدى نغمٍ من لوعةٍ ورتوب
تلاقوا عليها من غنى ومعدم ** ومن صبيةٍ زُغِبَ الجناحُ وشيب
نظائر فيها: بردهم برْدٌ مُحرم ** يضوع شذاً: والقلبُ قلبُ مُنيب
أناخوا الذنوب المثقلات لواغباً ** بأفـيح - من عفـو الإله - رحيب
وذللَ لعزَّ الله كُلُّ مَسودٍّ ** ورقٌ لخـوفِ الله كلِّ صليب



ولو أن عندى للشباب بقيةً ** خففتُ إليها فوقَ ظهـرِ نجيب
أنام على الكـثبان يؤنسُ وحدتى ** بـُغَامُ مَهـاةٍ أو هـَمَاهِمُ ذيب
ولى غَفوةً فى كلِّ ظلٍّ لقيتهُ ** ووقفةً سُقَيَا عند كلِّ قليب
هتكتُ حجاب الصمتِ بينى وبينها ** (بشبابةٍ) سكرى الحنين خلوب
حبستُ بها جنيةً (معبدية)^(١) ** وفرجتُ عن غمائها بثقوب



وركب عليها وسم أخفاف عيسهم ** وهام تهاوت للكرى وجنوب
وألف سَرابٍ، ما كـفرتُ بحسنها ** وإن فاجأتُ غدرانها بنضوب

(١) نسبة إلى شيخ المغنين معبد، قال الشاعر القديم: وما قصبات السبق إلا لمعبد.



وَضَجَّةٌ صَمَتْ جَدَجَلَتْ . ثُمَّ وَادَعَتْ *
وَأَطْيَافُ جَنَّ فِي بَحَارِ رِمَالِهَا *
وَتَعْطِفُنِي الْأَرَامُ فِيهَا نَوَافِرًا *
يُعَلِّلُنِي - وَالصَّدَقُ فِيهِ سَجِيَّةٌ *
وَبَدَّلْتُ حُسْنًا ضَا حَكَ الدَّلَّ نَاعِمًا *
وَمَنْ صَحِبَ الصَّحْرَاءَ هَامَ بِعَالَمٍ *
وَلِلْفَلَكَ الْأَسْمَى فُضُولٌ لِسِرِّهَا *

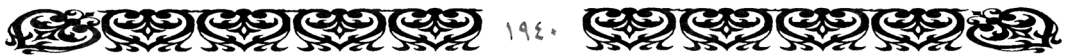
وَرَقَّتْ كَأَخْفَى هَمْسَةٍ وَدَيْبِ *
تُصَارِعُ حَالِي طَفْوَةً وَرُسُوبِ *
إِلَى رَشَاءٍ فِي الْغُوطَتَيْنِ رَبِيبِ *
بِوَعْدِ مَطُولٍ بِاللِّقَاءِ كَذُوبِ *
بَحُسْنٍ عَنيفٍ فِي الرِّمَالِ كَكَيْبِ *
مِنَ السِّحْرِ جَنَى الطُّيُوفِ رَهِيبِ *
فَلَفِي كُلَّ نَجْمٍ مِنْهُ عَيْنٌ رَقِيبِ *



أَرَى بِخِيَالِ السَّحْبِ - خَطُوهُ مُحَمَّدٍ *
وَسُمُرُ خِيَامٍ مَزَقَ الصَّمْتَ عِنْدَهَا *
وَنَارًا عَلَى نَجْدٍ مِنَ الرَّمْلِ أَوْقَدَتْ *
وَتَكْبِيرَةً فِي الْفَجْرِ سَالَتْ مَعَ الصَّبَا *
أَشْمُ الرِّمَالِ السُّمُرُ : فِي كُلِّ حَفْنَةٍ *
عَلَى كُلِّ نَجْدٍ مِنْهُ نَفْحُ مَلَائِكٍ *
تَوَحَّدَتْ بِالصَّحْرَاءِ . حَتَّى مَغِيبِهَا *
وَمِنْ هَذِهِ الصَّحْرَاءِ ، أَنْوَارُ مَرْسَلٍ *
وَمِنْ هَذِهِ الصَّحْرَاءِ شِعْرٌ تَبَرَّجَتْ *
تُعْطِرُ فِي أَنْغَامِهِ وَرَحِيقِهِ *
تَرشُّ النُّجُومُ النُّورَ فِيهَا مُمَسَّكًا *
وَمَا أَكْرَمَ الصَّحْرَاءُ .. تَصْدَى .. وَنَمْنَمَتْ *
وَيَغْفُو بِهَا التَّارِيخُ ، حَتَّى تَرْجَهُ *
شَكَا الدَّهْرُ مَا أَتَعَبَتْهُ رِمَالُهَا *
وَصَبَرَ مِنَ الصَّحْرَاءِ ، أَحْكَمْتُ نَسْجَهُ *

عَلَى مَخْصَبٍ مِنْ بَيْدِهَا وَجَدِيدِ *
حَمَاحِمِ خَيْلٍ بَشَّرَتْ بِرُكُوبِ *
لِنَجْدَةٍ مَحْرُومٍ وَغَوْتِ حَرِيبِ *
نَعِيمِ فَيَافٍ وَاخْضِلَالِ سُهُوبِ *
مِنَ الرَّمْلِ ، دُنْيَا مِنْ هَوَى وَطُيُوبِ *
وَفِي كُلِّ وَادٍ مِنْهُ سِرٌّ غُيُوبِ *
وَمَشْهَدُهَا مِنْ مَشْهَدِي وَمَغِيبِي *
وَرَايَاتٍ مِنْصُورٍ وَبَدْعٍ خَطِيبِ *
بِهِ كُلُّ سَكْرَى بِالْإِدْلَالِ عَرُوبِ *
وَرِيَاءُ : عَطْرِي مَبْسَمٍ وَسَبَبِ (٢) *
فَلَأْتِرْعُ أَحْلَامِي وَأَهْرِقُ كُؤُوبِي *
لَنَا بُرْدُ ظِلِّ كَالنَّعِيمِ رَطِيبِ *
بِدَاهِيَّةِ صُلْبِ الْقَنَآةِ أَرِيبِ *
وَلَمْ تَشْكُ فَيْنِهِ مِنْ وَنَى وَلُغُوبِ *
سَمَوْتُ بِهِ عَنْ مِحْنَتِي وَكُرُوبِي *

(٢) السبب: خصلة الشعر.





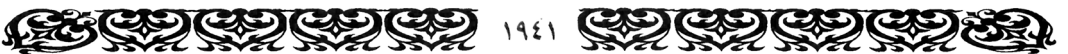
وَمِنْ هَذِهِ الصَّحَرَاءِ .. صَيَّغْتَ سَجِيَّتِي ** فَكُلُّ عَجِيبِ الدَّهْرِ غَيْرُ عَجِيبٍ
يُرْنَحُ شِعْرِي بِاللَّوَى كُلِّ بَانَةٍ ** وَيَنْدَى بِشِعْرِي فِيهِ كُلُّ كَثِيبٍ
وَلَوْلَا الْجِرَاحُ الدَّامِيَاتُ بِمَهْجَتِي ** لِأَسْكُرَ نَجْدًا وَالْحِجَازَ نَسِيبِي
وَهَيْهَاتَ مَا لَوْمُ الْكَرِيمِ سَجِيَّتِي ** وَلَا بَغْضُهُ عِنْدَ الْجَفَاءِ نَصِيبِي
نَقَلْتُ إِلَى قَلْبِي حَيَاءً وَعِفَّةً ** أَسَارِيرَ وَجْهِهِ مِنْ أَسَى وَقُطُوبِ
وَعَرَّتْنِي الْأَيَّامُ مِنْ أَحَبِّهِمْ ** كَأَيْكَ - تَحَامَاهُ الرِّبْعُ - سَلِيبِ
وَرُبَّ بَعِيدٍ عَنْكَ أَحْلَى مِنَ الْمُنَى ** وَرُبَّ قَرِيبِ الدَّارِ غَيْرُ قَرِيبِ
وَوَيْحَ الْغَوَانِي : مَا أَمَنْتُ خُطُوبَهَا ** وَقَدْ أَمَنْتُ بَعْدَ الْمَشِيبِ خُطُوبِي
وَكَيْفَ وَثُوبِي لِلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ** وَلِلشَّيْبِ أَصْفَادُ يَعْقَنَ وَثُوبِي
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَوْعَةً بَعْدَ لَوْعَةٍ ** لِعُرْبَةِ أَهْلِ أَوْ لِفَقْدِ حَبِيبِ
وَيَارَبْ : فِي قَلْبِي نُدُوبٌ جَدِيدَةٌ ** تُرِيدُ الْقَرَى مِنْ سَالِفَاتِ نُدُوبِ
يُرِيدُ حَسَابِي ظَالِمٌ بَعْدَ ظَالِمٍ ** وَمَا غَيْرُ جَبَّارِ السَّمَاءِ حَسِيبِي
وَيَارَبْ : صُنْ بِالْحُبِّ قَوْمِي مُؤَلَفًا ** شَتَاتِ قُلُوبٍ لَا شَتَاتِ دُرُوبِ
وَيَارَبْ : لَا تَقْبَلْ صَفَاءَ بَشَاشَةٍ ** إِذَا لَمْ يُصَاحِبْهُ صَفَاءُ قُلُوبِ
تَدَاوَوْا مِنَ الْجَلَى بِجَلَى .. وَخَلَفُوا ** وَرَاءَهُمُ الْإِسْلَامُ خَيْرَ طَبِيبِ



وَيَارَبْ : فِي الْإِسْلَامِ نُورٌ وَرَحْمَةٌ ** وَشَوْقُ نَسِيبِ نَازِحِ لِنَسِيبِ
فَأَلَّفَ عَلَى الْإِسْلَامِ دُنْيَا تَمَزَقَتْ ** إِلَى أُمَمٍ مَقْهُورَةٍ وَشِعْوَوبِ
وَكُلُّ بَعِيدٍ حَجٌّ لِلْبَيْتِ أَوْ هَفَا ** إِلَيْهِ - وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ - قَرِيبِي
سَجَايَا مِنَ الْإِسْلَامِ : سَمَحَ حَنَانُهَا ** فَلَا شَعْبَ عَنْ نِعْمَائِهَا بِغَرِيبِ



وَأَمَنْتُ أَنَّ الْحُبَّ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ ** وَلَا خَيْرَ عِنْدِي فِي وَغَى وَحُرُوبِ
وَكُلُّ خَضِيبِ الْكَفِّ فَتْحًا وَصَوْلَةٌ ** فِدَاءُ لِكْفٍ بِالْعَبِيرِ خَضِيبِ





وَأَمَنْتُ أَنْ الْحُبَّ وَالنُّورَ وَاحِدٌ ** وَيَكْفُرُ بِاللَّأَلَاءِ كُلُّ مُرِيبٍ
ولو كان في وسعي حناناً ورحمةً ** لَجَنَّبْتُ أَعْدَائِي لِقَاءَ شَعُوبٍ (٣)



وَيَارَبِّ لَمْ أَشْرِكْ وَلَمْ أَعْرِفِ الْأَذَى ** وَصُنْتُ شَبَابِي عَنْهُمَا وَمَشِيبِي
وَإِنِّي - وَإِنْ جَاوَزْتُ هَذَيْنِ سَالماً ** لَأَكْبِرُ لَوْلَا جُودُ عَفْوِكَ حُوبِي (٤)
وَأَهْرُبُ كَبِيراً أَوْ حَيَاءً لِنَزَلَّتِي ** وَمِنْكَ، نَعَمْ، لَكِنْ إِلَيْكَ هَرُوبِي
وَأَجْلُو عُيُوبِي نَادِمَاتِ حَوَاسِرِأً ** وَأَسْتُرُ إِلَّا فِي حِمَاكَ عُيُوبِي
وَأَيُّ ذُنُوبٍ لَيْسَ تُمَحِّي لِشَاعِرٍ ** مُعَنِّى بِأَلْوَانِ الْجَمَالِ طُرُوبٍ
وَلَوْ شَهِدْتُ حُورَ الْجَنَانِ مَدَامَعِي ** تَرَشَّفْنَ فِي هَوْلِ الْحِسَابِ غُرُوبِي (٥)
وَأَنْزَلْتَ أَحْزَانِي عَلَى قَبْرِ أَحْمَدٍ ** ضَيُوفِ كَرِيمِ النَّبَعَتَيْنِ وَهُوبٍ
مَدَحْتُ رَسُولَ اللَّهِ أَرْجُو ثَوَابَهُ ** وَحَاشَا النَّدَى أَنْ لَا يَكُونَ مُثِيبِي
وَقَفْتُ بَبَابِ اللَّهِ ثُمَّ بَبَابِهِ ** وَقُفُوفٍ مُلَحٍّ بِالسُّؤَالِ دُؤُوبٍ
صَفَاءً عَلَى اسْمِ اللَّهِ غَيْرُ مُكَدَّرٍ ** وَحُبِّ لَذَاتِ اللَّهِ غَيْرُ مَشُوبٍ
وَأُزْهِى بِتَظْلِيلِ الْغَمَامِ لِأَحْمَدٍ ** وَعَذْبِ بَرُودٍ مِنْ يَدَيْهِ سَرُوبٍ
فَإِنْ كَانَ سِرُّ اللَّهِ فَوْقَ غَمَامَةٍ ** تُظِلُّ وَمَاءٍ سَائِغٍ لِشُرُوبٍ (٦)
فَفِي مُعْجَزِ الْقُرْآنِ وَالِدَوْلَةِ الَّتِي ** بَنَاهَا عَلَيْهِ مُقْنَعُ اللَّبِيبِ



وَيَارَبِّ عِنْدَ الْقَبْرِ قَبْرِ مُحَمَّدٍ ** دُعَاءُ قَرِيبِ الْمَقْلَتَيْنِ سَلِيبٍ
بِحَمْرِ هَوَى عِنْدَ الْحَجِيجِ لِمَكَّةٍ ** وَدَمْعٍ عَلَى طَهْرٍ (الْمَقَامِ) سَكُوبٍ
بِشَوْقٍ عَلَى نِعْمَاهُ، ضَمُّ جَوَانِحِ ** وَوَجْدٍ عَلَى رِيَاهُ زَرْجُوبٍ
تَرْفُقُ بِقَوْمِي وَاحِمُهُمْ مِنْ مُلْمَةٍ ** لَقَدْ نَشِيبَتْ أَوْ أَذَنْتُ بِنَشُوبٍ

(٤) الحوب: الذنب.

(٣) شعوب، بفتح الشين: الموت.

(٦) شروب بضم الشين والراء: جمع شارب.

(٥) الغروب: الدموع.





وَرَدَّ الحُلُومَ العَازِبَاتِ إِلَى الهُدَى ** فَقَدْ تَرَجَّعَ الأحْلَامُ بَعْدَ عُرُوبِ
وَرَدَّ القُلُوبَ الحَاقِدَاتِ إِلَى نَدَى ** مِنْ الحُبِّ فَوَاحِ الظَّلَالِ عَشِيبِ



تَدَفَّقَتِ الأمْوَاجُ وَاللَّيْلُ كَافِرٌ ** وَهَبَ جُنُونُ الرِّيحِ كُلَّ هَبٍ—وُوبِ
رَمَى اليمُّ أَنْضَاءَ السَّفِينِ بِمَارِدٍ ** مِنْ اليمِّ تَيَّاهِ الحُتُوفِ غَضُوبِ
يُزَلْزِلُهَا يُمْنِي وَيُسْرِى مُزْمَجِرًا ** وَيَضْغَمُهَا مِنْ هَوْلِهِ بَنِيُوبِ
يُرْقِصُهَا حِينًا وَحِينًا يَرْجُّهَا ** وَيُوجِزُ حَالِي هِدَاةٍ وَوُثُوبِ
وَتَرْفَعُهَا عَجَلَى وَعَجَلَى تَحُطُّهَا ** لَعُوبِ مِنَ الأمْوَاجِ جِدُّ لَعُوبِ
وَأَيَقِنَ أَنْضَاءُ السَّفِينَةِ بِالرَدَى ** يُطَالِعُهُمْ فِي جِيئةٍ وَذُحُوبِ
وَلَمَّا اسْتَطَالَ اليأسُ يَكْسُو وَجُوهَهُمْ ** بِألوانِهِ مِنْ صُفْرَةٍ وَشَحُوبِ
دَعَا يَا أبا الزَّهْرَاءِ وَالْحُتَفُ زَاحِفٌ ** عَلَيْهِمْ: لَقَدْ وَفَّقْتُمْ بِمَجِيبِ
وَأَسْلَسْتَ الرِّيحَ القِيَادَ كَأَنَّهَا ** نَسِيمُ هَفَا مِنْ شَمَالٍ وَجَنُوبِ
وَبَادَهُ لُطْفُ اللَّهِ مِنْ يَمْنٍ أَحْمَدِ ** بُرْدٍ عَلَى عُرَى الرِّجَاءِ - قَشِيبِ



وَأَقْعَدَنِي عَنْكَ الضَّنَى فَبَعَثْتَهَا ** شَوَارِدِ شِعْرِ لَمْ تُرَعْ بِضَرْبِ
أَقَمْتُ وَآمَالِي إِلَيْكَ مُجَدَّةً ** تَلَفُ شُرُوقًا مُعْتَمًا بِغُرُوبِ
وَتُرَشِّدُهَا أَطْيَابُ قَبْرِكَ فِي الدُّجَى ** فَتَعْصِمُهَا مِنْ حَايِرَةٍ وَنُكُوبِ
وَعِنْدَ أَبِي الزَّهْرَاءِ حَطَّتْ رِحَالُهَا ** بِسَاحِ جَوَادٍ لِلثَّنَاءِ كَسُوبِ



جَلَوْتُ عَلَى وَادِي العَقِيقِ فَرِيدَتِي ** فَلَازَ حَسِيبٌ مِنْهُمَا بِحَسِيبِ
تَتِيهِ حَضَارَاتُ الشُّعُوبِ بِشَاعِرٍ ** وَتَكْمُلُ أَسْبَابُ العُلَى بِأَدِيبِ



الطريق إلى الله (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

أما بعد :

فإن الطريق إلى الله - تبارك وتعالى - عماده العلم والمعرفة، مع الإيمان واليقين، مع تحديد الغاية والهدف، مع سلوك الطريق باعتدال واستقامة حال، ومحاذرة الانحراف والضلال، ولذلك نرى الحق جل جلاله يقول لرسوله الأكرم ﷺ :

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١)

أى الزم الطريق المستقيم المعتدل الذى لا عوج فيه، المتوسط بين طرفى الإفراط والتفريط، أنت ومن آمن معك، كما أمرك الله ودعاك، ولا تتجاوزوا طريق ربكم فهو مطلع على كل أحوالكم ﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

الحمد كل الحمد لله - تبارك وتعالى - أحمده سبحانه وأشهد أن لا إله إلا الله هو ولي النعمة ومصدر الرحمة :

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢)

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، نبي الرحمة، وقائد الملحمة :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣)

فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه، ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين، وأستفتح بالذى هو خير :

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٤)

(*) أُلقيت بمسجد الإمام الرفاعي بالقلعة يوم الجمعة ١٨ من أغسطس سنة ١٩٧٢م.

(١) الأنبياء (١٠٧).

(٢) الأعراف (٥٦).

(٣) هود (١١٢).

(٤) المتحنة (٤).



فقولهم: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ عقيدة وعلم، واستقامة تطبيق والتزام ولهذا قال الله - تعالى - لرسوله:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

وقال له:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨)

وحينما سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ عن قول في الإسلام لا يسأل عنه أحداً بعده أجابه بقوله: «قل آمنت بالله ثم استقم».

والقرآن الكريم يجمع بين الدعوة إلى الدوام على العمل، والاستمرار في بذل الجهد حتى النهاية، والتحذير من التلفت أو الانحراف، فيقول:

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩).

أى دأوم على طريق الطاعة والعمل الصالح حتى الموت، ويقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ

وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠).

ويقول:

ولالإمام السيد أحمد الرفاعي - رضى الله عنه - عبارة موجزة مركزة، كأنها تستضيء وتستمد من هدى هذا النور الإلهي الساطع يقول فيها: «المتلفت لا يصل». وهى كلمة عميقة المدلول دقيقة المفهوم. لو جعلها المؤمن البصير جزءاً من شعاره، واستجاب لها على هدى وبصيرة، لدفعت به إلى مراحل فى سبيل الاستقامة والاعتدال. ولو أخذنا بطريقة الصوفية وأسلوبهم فى تفهم هذه العبارة، لقلنا: إن من يشغل نفسه أو حسه عن ذكر ربه وطاعته، يظل محروماً من دخول حماه، فعليه أن يلزم طاعة مولاه، لا يلتفت يمنية ولا يسرة، حتى يبلغ رضا الله عنه وقبوله له، فيفوز لديه بالأمان والاطمئنان

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٦٧﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً ﴿٦٨﴾ فَأَدْخُلْ فِي عِبَادِي ﴿٦٩﴾ وَأَدْخُلْ جَنَّتِي ﴿٧٠﴾﴾.

ونحن نستطيع أن نفهم عبارة: «المتلفت لا يصل» بأسلوب عصرنا، فنذكر أنها دعوة إلى وضع منهج، وتحديد خطة، ومواصلة مسيرة، ودوام عمل، حتى يبلغ الكتاب أجله، ويحقق المناضل عمله، وهذا لا يكون إلا بدعامتين: العقيدة القائمة على العلم الصحيح الثابت، ثم العمل المستقيم المستمر الدائم، ومن هنا قال القرآن الكريم:

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَكْفُرُوا وَلَا تُحْرَفُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٦﴾.

(٦) فصلت (٣٠).

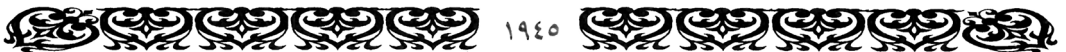
(٨) يوسف (١٠٨).

(١٠) آل عمران (١٠٢).

(٥) الفجر (٢٧:٣٠).

(٧) يوسف (١٠٨).

(٩) الحجر (٩٩).



ولا تكريم ذكر، فقد نسي قول الرسول ﷺ: «إن الله يحب من أحداكم إذا عمل عملاً أن يتقنه». وقوله: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء». وقوله: «من غشنا فليس منا». والتلميذ إذا تلفت ذات اليمين وذات الشمال، وشغله عن دروسه وتحصيله لعب يستبد به، أو لهو يسيطر عليه، لا يمكن أن يصل إلى مقدمة الصفوف أو يفوز بالنجاح، وهكذا كل إنسان في الحياة لا يمكن أن يتم عملاً، أو يحقق أملاً، إلا إذا عرف الهدف، ثم سلك الطريق ثم بذل الجهد، ثم واصل العزم. بلا تردد أو اضطراب، ولعل هذا هو بعض ما نفهمه من قول الله - تعالى -:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٤).

يا أتباع محمد ﷺ: الغاية الكريمة أمامكم، وطريق الله مفتوح لكم، والطاقة موفورة بفضل الله لديكم، فأقدموا، وتطلعوا إلى الأمام، وواصلوا المسير، ولا يشغلكم عن رسالتكم صارف أو لاف، فإن المتلفت لا يصل.

وبعد: فإن خير ما يحزره الإنسان في حياته من توفيق هو أن يعمق علمه. وأن يستقيم اعتقاده، وأن تدوم على طريق الحق خطواته، حتى يحقق في دنياه ما أراد له خالقه من حرية وعزة وكرامة، وأن يفوز بما عنده من نعيم في دار الخلود والبقاء.

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (١١).

والمتلفت إنسان قلق مبعثر، لا منهج له ولا خطة، فهو كل حين بمبدأ، وكل يوم بسلوك، إذ لا عقيدة عنده يخضع لها فتسيطر عليه في وجدانه وإيمانه، ولا خطة بين يديه يلتزم بها، أو يثابر على تنفيذها وتحقيقها، فلا استقرار عنده ولا ثبات؛ والمتلفت أيضاً يتطلع إلى هؤلاء من الناس فينخدع ببريقهم وتزويقهم فيميل نحوهم على غير رشاد أو اعتقاد، ثم يتطلع إلى أولئك من الناس، فيغتر بظواهرهم ومناظرهم، فيرتد إليهم بلا تفكير أو تدبر، وهكذا يظل كرة تتلاعب بها الأقدام:

﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (١٢).

ومع الحيرة والاضطراب لا يتم إصلاح ولا

يكمل بناء:

﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبَاحًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٣).

والعامل أو الصانع إذا تلفت في عمله أو صنعته، فلم يجمع شتات ذهنه وهو يعمل، ولم يركز جهده وطاقته في إنتاجه وهو يصنع، وشغل نفسه بتضييع الوقت تارة، ومخادعة صاحب العمل أو غشه تارة أخرى، فإنه لا يصل إلى جد الإتقان والإجادة، ومن هنا لا يستحق توفية أجر

(١٢) النساء (١٤٣).

(١٧) الأنعام (١٥٣).

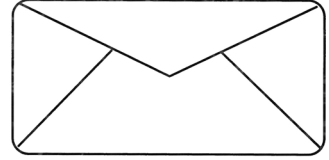
(١١) المائدة (٢١).

(١٣) الملك (٢٢).



رِسَالَةٌ .. وَ .. رَدٌّ

لفضيلة الشيخ /عبد الفتح سيد جمعان



رسالة هذا العدد وردت من القارئ خالد شاكر هلال من قرية زاوية البحر - كوم حمادة محافظة البحيرة يقول فيها:

لقرينتنا مقابر يمتد تاريخها لقرن من الزمان وما زالت تستعمل حتى الآن حيث لا بديل لها وهى عبارة عن أبنية متراسة فى صورة مجموعات تتكون كل مجموعة من عدد من المقابر، وكل مقبرة عبارة عن جزء فى باطن الأرض وجزء علوى فوق سطح الأرض من الطوب الأحمر يغطى المقبرة، وهذا الجزء مغطى بالأسمنت وقد تساقطت هذه الطبقة الأسمنتية أو كادت وعندما حاولنا إصلاحها نصحننا البعض بالتوقف لأن هذا العمل تعدى على حرمت الأموات وفيه إيذاء لهم وليس من الضرورات التى تبيح اعتلاء المقابر والسير عليها، وتضاربت الأقوال حول هذا الموضوع فبم ينصحننا علماءنا الأجلاء أنابهم الله؟

وتعالى - ابن آدم الآثم قابيل إلى دفن أخيه
المقتول هابيل حيث :

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى
سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلُكَ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُورَى سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (١).

وذلك أن هابيل كان أول ميت على الأرض من
بنى آدم قال تعالى :

بداية أقول للأخ الكريم إن دفن الموتى فرض
كفاية بالإجماع بمعنى إذا قام به البعض سقط
عن الباقيين وإذا لم يقم به أحد أثم جميع من
حضره أو علموا به لأن فى ترك الميت بلا دفن
هتكا لحرمته ويتأذى الناس من رؤيته ورائحته،
وعليه عمل الناس من لدن سيدنا آدم - عليه
السلام - إلى يوم الناس هذا، وإلى أن يرث الله
الأرض ومن عليها، فقد أرشد المولى - سبحانه

(١) المائدة (٣١).

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (٢).

وقال جل شأنه:

﴿الَّذِينَ جَعَلْنَا الْأَرْضَ كَهَاتَا ﴿٥٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ (٣).

والمعنى أنها تكفّتهم أى تضمهم وتجمعهم أحياء وأمواتاً أحياء على ظهرها فى المساكن والمنازل وأنها جامعة لكل ما يحتاج إليه الناس من مأكّل ومشرب ومسكن لأن كلّ ذلك خارج من الأرض وكما تضم الأرض الإنسان حياً تكفّت الأرض وتضم كل ما ينفصل عنه من الأمور المستقدرة.

وكما تكفّت الأرض البشر أحياء على ظهرها تكفّتهم أمواتاً فى بطنها فالأحياء يسكنون المنازل والأموات يسكنون القبور أى يدفنون فيها والتذكير فى كلمتى أحياء وأموات للتفخيم أى تكفّت أحياء لا يعدون وأموات لا يحصرون ولهذا المعنى سميت أماً لأنها فى ضمها للناس كالأم التى تضم ولدها وتكفّله، قال الشاعر:

منها خلقنا وكانت أمنا خلقت

ونحن أبناءها لو أننا شكر

ففيها القرار فما نبغى به بدلاً

ما أرحم الأرض إلا أننا كُفّر

ولا تقتصر فائدة القبر على مداراة بدن الإنسان وستر عورته، بل فيه إلى جانب ذلك تسهيل زيارته والترحم عليه والدعاء له فزيارة القبور سنة مستحبة، وقال الظاهرية: هى واجبة ولو فى العمر مرة حملاً للأمر على الوجوب، والأمر هو قوله

﴿تَبَرَّكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ (٤).

وسورة الكهف فهو على رجاء القبول كما جاء فى الأثر خاصة إذا كان الزائر ابناً لصاحب القبر، والقبر ليس مثوى للجسد فقط على الصحيح فإن روح الميت لها تعلق ببدنه بعد قبره فقد دلت الأحاديث الصحيحة أن روح العبد الصالح تخرج بسهولة وتصعد إلى الملائكة الأعلى فتحوز الرضا والقبول ثم ترجع إلى جسدها فى القبر فيسأل ويعجب أحسن الجواب، ويفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها وتكون روحه فى عليين إلى يوم البعث والنشور، وأما الفاجر والمنافق فتحضره ملائكة العذاب ويرى مكانه فى النار وتصعد روحه إلى السماء فتغلق دونها وترجع إلى جسدها ملعونة ممقوتة فيسأله الملائكة وهما على أقبح صورة فلا يجيب فيذوق العذاب ألواناً ويضيق عليه القبر ويفرش له من النار ويفتح له باب من جهنم وتكون روحه فى سجين إلى يوم الدين، فعن أبى موسى الأشعرى -رضى الله



ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء» ومعنى لا مشرفة أى ليست مرتفعة عن الأرض كثيرا ومعنى لا لاطئة أى ليس لاصقة بالأرض، وارتفاع المقابر عن قدر شبر يكون على وجهين، إما أن يسنم القبر أو يسوى وقد اختلف الفقهاء فى الأفضل منهما «التسوية والتسليم» فذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد -رضى الله عنهم- وكثير من الشافعية أن التسليم أفضل، وذهب الإمام الشافعى -رضى الله عنه- أن التسطیح أفضل لأمر الرسول ﷺ بالتسوية كما جاء فى حديث ثمامة بن شقى قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبر فسوى ثم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها» رواه مسلم.

وارتفاع القبر عن الأرض قدر شبر يكون بأحد أمرين: إما بجمع التراب الخارج من حفر القبر فوقه أو بالبناء عليه بالطوب اللبن لأن القبر للبلى لا للبقاء، ولذا لا يجوز البناء على القبر بالآجر «الطوب الأحمر» إذا كانت الأرض رخوة فإذا لم تكن الأرض رخوة فلا يبنى عليه بالآجر لأنه من زينة الدنيا ولا حاجة للميت إليها ولأنه حرق بالنار فيكره أن يجعل على الميت تفاؤلاً^(٥).

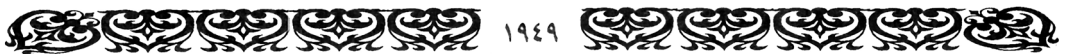
أما وقد بنيت مقابركم على النحو الذى ذكرتم فى الرسالة والموضح فى الرسم فلا مانع من بقائها على النحو الذى هى عليه، ولا داعى لترميمها أو إصلاحها إذ سوف يترتب على الإصلاح والترميم المشى على هذه المقابر وهو أمر منهى عنه فى صريح حديث رسول الله ﷺ.

هذا والله أعلم وبه التوفيق

عنه - «تخرج روح المؤمن أطيب من ريح المسك فتنتلقى بها الملائكة الذين يتوفونه فتتلقاه الملائكة من دون السماء فيقولون: هذا فلان ابن فلان يعمل كيت وكيت بمحاسن عمله. فيقولون: مرحبا بكم وبه فيقبضونها منهم فيصعد به من الباب الذى كان يصعد فيه عمله فتشرق فى السماوات ولها برهان كبرهان الشمس حتى ينتهى بها إلى العرش، وأما الكافر فإذا قبض انطلق بروحه فيقولون: ما هذا؟ فيقولون: فلان ابن فلان كان يعمل كيت وكيت بمساوئ عمله. فيقولون: لا مرحبا لا مرحبا ردوه فيرد إلى أسفل الأرض إلى الثرى» أخرجه أبو داود.

وبعد أن تكون روح المؤمن الصالح فى عليين وروح الفاجر والمنافق فى سجين ترد كل منهما إلى قبرها حيث الجسد لقوله تعالى كما فى حديث البراء: «وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى».

هذا والسنة أن يرتفع القبر عن الأرض قدر شبر حتى لا يوطأ بالأقدام ولا يجلس عليه ولكى يعرف أنه قبر فيدعو المار لصاحبه، والأصل فى هذا عمل النبى ﷺ فقد روى ابن ماجه عن أنس -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ أعلم قبر عثمان بن مظعون بصخرة أى وضع عليه الصخرة ليتبين به، وفى هذا الحديث أن النبى ﷺ حمل الصخرة فوضعها عند رأسه وقال: «أتعلم بها قبر أخى وأدفن إليه من مات من أهلى» وروى أن القاسم بن محمد بن بكر -رضى الله عنه- قال: «دخلت على عائشة -رضى الله عنها- فقلت: يا أمه اكشفى لى عن قبر النبى ﷺ وصاحبيه -رضى الله عنهما-» يعنى أبا بكر وعمر» فكشفت له عن





على باب الأصل

لـمـُـسـَـتـَـاذ / مجدى عبدالمحميد بشير

ما إن يحل الشتاء حتى تتنامى الآمال فى تطوير أدوية جديدة لمقاومة نزلات البرد والأنفلونزا وذلك فى صراع الإنسان الذى لا يكاد ينتهى مع المرض؛ ففى كل عام يصاب الملايين بتلك الأمراض اللعينة التى كان المرء -حتى وقت قريب- لا يملك حيلها دفاعاً إلا أن يرقد طريح الفراش ملازماً بيته مستسلماً للمعاناة والألم الذى يدوم أياماً. لكن مع قدوم العام الجديد يمكننا أن نزف البشرى لكل بنى البشر قائلين لهم: تشجعوا وارتفع معنوياتكم، هذا الكلام لا ينبعث من فراغ، بل هو يتسند إلى أسس علمية راسخة يمكن تلخيصها فى ثلاثة أمور رئيسية:

جدوى هو أخذ اللقاح السنوى الذى يكون مؤثراً بنسبة تتراوح ما بين ٦٠٪ إلى ٨٠٪ حيث إنه لا يمنع الأنفلونزا فقط بل يقى من الإصابة بأمراض أخرى خطيرة، أهمها تلك التى تصيب الرئتين. ولأهمية ذلك الأمر فقد قامت الأكاديمية الأمريكية لأطباء العائلة بتخفيض السن التى كان قد أوصى بإعطاء اللقاح السنوى المضاد للأنفلونزا فيها من سن الخامسة والستين إلى سن الخمسين، الأمر الذى يعنى زيادة أعداد من سيعطون هذا اللقاح.. والجدير بالذكر أن الأطفال -وهم الهدف الأول لكل أنواع العدوى التنفسية

أولاًها: تطوير عقاقير جديدة مضادة للفيروسات.

والثانية: أن تلك العقاقير ستؤدى إلى تقليل مدة المرض وحدته هذا بالنسبة للأنفلونزا.

أما ثالث الأمور: فإنه يلوح فى الأفق علاج وشيك لنزلات البرد العادية.

ونركز الحديث الآن لبعض الوقت عن الأنفلونزا، فهى يمكن أن تكون عدوى فتاكة وداءً خطيراً لصنف من الناس بعينهم ونعنى بهم أولئك المصابين بعزل تنفسية حادة، ولهؤلاء يقول الأطباء: إن أكثر وسائل الدفاع فائدة وأعظمها



والمرضى مع الأنفلونزا.

يضيف قائلاً: إن لطرق العلاج الفورى تلك أثر لا ينكر فى سرعة تحسين الأحوال الصحية للمرضى وعودتهم إلى أعمالهم ودراساتهم دون تأخير.

وتتنمى الوسائل سالفة الذكر إلى مجموعة من العقاقير تعرف بـ« المثبطات » التى قالت عنها الأوساط الطبية: إنها تقوم بضرب حصار حول أحد البروتينات حتى لا يسمح له بنقل فيروس الأنفلونزا من خلية إلى أخرى وبالتالي انحصار العدوى.

ويصف الأطباء بخاخة تستخدم عن طريق الفم مرتين يومياً لمدة خمسة أيام لسن ١٢ فما فوق بهدف وصول ما بالبخاخة إلى سطح الرئة باعتباره المرتع الأول لعدوى الأنفلونزا.

أما الدواء الثانى وهو للبالغين فقط، فيؤخذ مرتين كل يوم لمدة خمسة أيام وهو على شكل أقراص وتكمن أهمية هذه العلاجات الجديدة فى أنها على خلاف عقاقير الأنفلونزا السابقة التى اقتصرَت مهمتها على مقاومة الفيروس؛ فإن لها القدرة على مقاومة فيروسات الأنفلونزا من النوع (أ) والنوع (ب) ومن مميزات أن آثارها الجانبية طفيفة. وقد اتضح فى التجارب العملية أن لها مزايا أخرى نذكر منها اثنتين لا يمكن لأحد الاستهانة بهما. الأولى: تقصير مدة الأنفلونزا

وأمثالها- نادراً ما يطعمون ضد الأنفلونزا، والسبب -كما يبدو- هو ما يمتلك الآباء والأمهات من خوف ناشئ عن عدم اتخاذ الاحتياطات الكافية عند التعامل مع الأدوات المستخدمة فى الحقن من كل من أولياء الأمور والصغار على السواء. لكن الأمل كبير فى أن يزول شبح ذلك الانزعاج مع التقدم فى إنتاج أحد اللقاحات الذى سيكون فى شكل نقط للأنف بعد أن ثبت تأثيره الفعال حينما تم تطعيم البعض به، مما أدى إلى تخفيف هذه الأنفلونزا، وذلك عند البالغين والأطفال على حد سواء. وقد أصبح ذلك العلاج ميسوراً منذ العام الماضى ولأولئك الذين لم يحصلوا على أى تطعيم من قبل نقول: إن جيلاً جديداً من عقاقير الأنفلونزا تمت الموافقة عليه من هيئة الأغذية والعقاقير هو الحل الأمثل لمن يعانون من الآلام. وهذه العقاقير والأدوية الحديثة تمثل تقدماً رئيسياً فى مقاومة ذلك المرض الذى جعل أسرة المستشفيات تكتظ بضحاياه، بل السبب فى كثير من الوفيات. والأهم من ذلك كله ما يترتب عليه من تكلفة الرعاية الطبية التى تقدر بحوالى خمسة بلايين دولار، ناهيك عن ساعات العمل المهدرة كل عام فى جميع أنحاء العالم. ويقول أحد أساتذة المركز الطبى المتخصص فى أبحاث الأنفلونزا فى أمريكا: إن كل تلك العلاجات الجديدة سيكون لها أثر بالغ فى تغيير الطريقة التى يتعامل بها كل من الأطباء



وفى نبذة توافلية محببة يقول رئيس قسم أبحاث مضادات الفيروسات بالولايات المتحدة: دعك من المثل السائر القديم الذى طالما روج لفكرة مؤداها أن بمقدور العلم أن يضع الإنسان فوق سطح القمر لكن لا حيلة له مع نزلات البرد، إذ لا يملك إزائها أى شىء؛ فهذا كلام غير صحيح، 'سرى بين الناس سريان النار فى الهشيم، وتتعجب حين تعلم أن نصف الإصابات، هى إصابات بالفيروس، بينما النصف الآخر يشمل فيروسات تصيب الغدد وفيروسات تصيب الشرايين التاجية وفيروسات تصيب أغشية الخلايا والأنسجة المبطنة للأجهزة التنفسية.

ويوضح رئيس قسم أبحاث مضادات الفيروسات خطورة المشكلة قائلاً: إن لفيروس الأنف وحده أكثر من نوع من الأمصال، تتخذ أشكالاً عديدة.

ويستطرد مؤكداً أن هذا هو السبب فى أن معظم العلماء وضعوا فرضية مؤداها أنه ليس هناك مركب بمفرده من مضادات الفيروسات يمكنه مقاومة ذلك الجيش الجرار من الفيروسات. ثم ينبه المتحدث إلى خطأ ذلك الافتراض، ودليله على ذلك ما قام به فريقه الطبى من تحديد الذرات التى تعد المفاتيح لأحد الانزيمات التى تلعب دوراً جوهرياً حاسماً فى تناسل تلك الفيروسات وتكاثرها وهو أنزيم تشترك فى

بمقدار يومين اثنين. الثانية وهى الأهم: التقليل من احتمال نشوء التهابات شعبية أو نزلات شعبية وكذلك الحد من التهاب الجيوب الأنفية والتجاويف العظمية وما يمكن أن يصيب الإثنين من عدوى.

ولا ننسى قدرة تلك العقاقير على منع انتشار المرض بين أفراد الأسرة الواحدة؛ ففى دراسة شملت ٩٧٥ أسرة تم إجراؤها وقت تفشى الأنفلونزا لم تتجاوز نسبة الأسر التى أصيب منها فرد بالأنفلونزا ٤٪ مقارنة بنسبة ١٩٪ من أسر تناولت أدوية تقليدية.

ولا يفوتنا التنبيه إلى التيقظ للمرض والتعامل معه مبكراً حيث إن الشفاء يكون أرجى إذا تم اللجوء للعلاجات الجديدة فى مدة لا تتعدى ٣٦ - ٤٨ ساعة من بداية ظهور أعراض الأنفلونزا والاختبارات الجديدة متوافرة فى كثير من العيادات وعند كثير من الأطباء. ويمكن أن تجعلك متيقناً من صحة التشخيص فى مدة قصيرة لاتزيد على عشر دقائق وهى مسألة جوهرية. والسبب أن ثلث الأمراض التنفسية ليست فى حقيقة أمرها سوى انفلونزا بالفعل، كما أن علاجات نزلات البرد التى لاتزال فى مرحلة التجريب تقتصر فى تركيزها بشكل مكلف على الفيروس أكثر من اهتمامها بعلاج الأعراض المصاحبة.



بجامعة فرجينيا: إننا -حلاً لكل تلك المشاكل القائمة حالياً- نقوم باختبار أحد المركبات التي تم فيها دمج الأنترفيرون مع بعض الأدوية التي تؤخذ عن طريق الفم بغرض إيقاف وتعطيل أو على الأقل تحييد العمليات الكيميائية التي تسبب أعراض البرد.. وينهى خبره معلقاً: أن ذلك يمكن أن يكون أكثر جدوى وأشد أثراً في علاج نزلات البرد.

ولا تتوقف مجهودات العلماء حيث إنهم قاموا بتخليق معطر أنفي مضاد للفيروسات مهمته غلق أجهزة الاستقبال لدى فيروسات الأنف وموصلاتها، إضافة إلى دواء آخر من الزنك يؤخذ أيضاً عن طريق الأنف ولا يزال الحكم على أيهما أكثر فائدة للمريض أمراً سابقاً لأوانه، ومن ثم فعلى المرضى أن يواجهوا بصبر واحتمال عدة مواسم من العطاس وأعراض أخرى قبل أن يكتشف الدواء الناجع.

هذا وقد كان الزكام معروفاً على عهد النبي الأعظم ﷺ وعلى أيام الصحابة الكرام باسم «الخثام» وقد وصفت له السنة النبوية المشرفة نبات «المردقوش» وهو نبات طبي يزرع في صعيد مصر ويعرف باسم «البردجوش»، تشبه أوراقه أوراق نبات النعناع، وتستورده دول أوروبا وأمريكا حيث يباع بأعلى الأسعار؛ فهلا انتبهنا إلى ما بأيدينا من كنوز السنة النبوية المطهرة التي بذل الطب النبوي فيها جهداً لا بأس به.

الاستفادة منه كل فيروسات الأنف. وعن طريق نموذج «حاسوبي ثلاثي الأبعاد» تمكن فريقه الطبي من تطوير أحد المركبات الذي يقوم بالاحتباس داخل ذرات ذلك الأنزيم بهدف عرقلة الفيروس عن التوالد وإيجاد نظائره.

وفي تجارب أولية تبرع للقيام بها متطوعون تم تعرضيهم لفيروس الأنف وذلك باستخدام معطرات أنفية يحوى كل منها مثبطاً للأنزيم السابق وهو مشابه للعقاقير التي كان لها قصب السبق في محاربة الفيروس المسبب لمرض نقص المناعة المكتسبة، استطاع الفريق الطبي تقليل مستويات الفيروس وتحجيمها والتهوين من شأن الكيماويات التي تسبب المتاعب؛ فينشأ عنها أعراض نزلات البرد. كما أنه يتم حالياً اختبار أحد الأقراص التي يقوم العلماء بإدخال ما بها من مواد إلى الغلاف الخارجى لفيروس الأنف ثم يسمحون لها بتبديل شكلها حتى لا تلتصق بالخلايا في داخل الأنف، إضافة إلى معطر للأنف يحوى الأنترفيرون وهو المقاوم الذى زود الله به جسم الإنسان لمحاربة الفيروس.

وقد بينت دراسات سابقة أن الأنترفيرون يستطيع تخفيض مستويات البرد ومنع انتقال البرد وسريانه إلى باقى أفراد الأسرة، لكن للأسف ليس بمقدوره تقصير عمر نزلات البرد، ولا يهدىء من حدة أعراضه، وفي نعمة مبشرة بالأمل يقول أحد أبرز خبراء مقاومة نزلات البرد

بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ

اعداد الأستاذ / محمود الفشتني

● هذه الأحداث تجيب عن السؤال الذي يتردد عن أسباب عدم عقد المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب الذي نادى به الرئيس مبارك أكثر من مرة، وحذر مرارا وتكرارا من خطر الإرهاب على العالم.. فالمؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب سوف يناقش جوانب كثيرة أهمها تحديد معنى الإرهاب بدقة وتصنيف أنواع الإرهاب وأسبابه ودوافعه والحقوق المشروعة للشعوب المحتلة في الدفاع وتحرير أراضيها بكل السبل والوسائل وهذا ما لا تريده أمريكا لأنه ببساطة شديدة يغفل يدها عن تنفيذ مخططاتها في ضرب كل المنظمات والدول التي لا تسير في ركابها أو التي تقف عائقا أمام مصالحها الخاصة في شتى بقاع الأرض سواء أكانت السيطرة على منابع النفط في دول الشرق الأوسط أو السيطرة على مناطق النمو الاقتصادي التي تهدد عرشها أو عوالة وتغريب عقول شعوب الدول الإسلامية بوجه خاص التي تقف عائقا أمام السياسة والأفكار الأمريكية.. قد تكون أمريكا نجحت في تنفيذ بعض المخططات والأفكار التي يرسمها لها اللوبي الصهيوني، ولكنها قد لا تدرى

أين مؤتمر مكافحة الإرهاب؟!

تحت هذا العنوان تحدث الكاتب عبد العزيز النحاس في جريدة الوفد في عددها الصادر في ٣٠/١٢/٢٠٠١ قائلا

● يبدو أن القانون الأمريكي هو الذي أصبح يحكم العالم بأسره وهو ما أكدته تصريح كولين باول وزير الخارجية منذ أيام بإضافة منظمين جديدين إلى المنظمات الإرهابية وتتخذان من باكستان مقرا لهما وطالب بضرورة تصفيتهما.. وسبق هذا التصنيف تحديد عدة منظمات كان منها منظمتا الجهاد وحماس في فلسطين على أنهما منظمتان إرهابيتان يجب تصفيتهما، كما قامت الولايات المتحدة من قبل بتجميد أرصدة الكثير من الجمعيات الخيرية الإسلامية باعتبار أنها جميعات تساعد المنظمات الإرهابية.. الأمر لم يقف عند حد التصنيف ولكن تتم الاجراءات الفعلية فور هذا التصنيف والتصفيه من قبل المجتمع الدولي الذي يرضخ للقانون والقرارات الأمريكية خوفا من البطش والعدوان والحصار الاقتصادي.

نتخلى عن تفرقنا وتمزقنا، نتخلى عن قيم الهدم من رشوة وظلم ومحاباة، وليعد إلينا وعلينا المفقود بأسباب تقدم الأمة من تحقيق قيم العدالة والأمانة بيننا ومعرفة أن العلم هو سر الحضارة، ولنعلم أولادنا الدرس كى لا يكونوا ألعوبة بين يدى الأعداء.

● فلنتحول عن البكاء والأحزان إلى العمل من أجل أمة الإسلام ولنعلم أن جراحات الأمة لا تدويها الانفعالات الطائشة ولا العواطف المتهورة وإنما العمل المخلص الذى يؤسس على علم وتدبير بعيدا عن العشوائية وضربات الحظ والمجازفة.

● ولنتأس برسول الله ﷺ فى مواجهة الأزمات فقد علمنا ﷺ ألا نهار ولا نياس وإنما نبحت عن الحلول الممكنة فقد ذهب النبی ﷺ إلى الطائف والتقى بوفود الحجاج وأرسل من يهئ المدينة للإسلام قبل هجرته ﷺ، فلنعمل فما زال بأيدينا الكثير وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

●● تعليق:

قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها: فقال قائل: أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن فقال قائل: يا رسول وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» (١).

أن النجاح الأكبر كان فى استعداد معظم شعوب الكرة الأرضية بشكل لم يحدث مع أى إمبراطورية سابقة صالت وجالت حتى انهارت.. ورب ضارة لشعوب مغلوبة على أمرها نافعة للأجيال القادمة.

بداخلنا ماتم.. ولكن!!

فى جريدة اللواء الإسلامى فى عددها الصادر فى ٢٧/١٢/٢٠٠١ كانت هذه الكلمات المؤلمة لحال أمتنا الإسلامية للدكتور محمد محمد داود قال فيها:

● قسوة الظروف الحالكة التى تمر بها أمتنا الإسلامية من طغيان المارد الأمريكى وإرهاب إسرائيل المدمر فى مقابل الصمت الرهيب من العرب والمسلمين هذه المأساة جعلت الكثيرين من المسلمين فى حالة إحباط فبداخل كل منا ماتم!! وأدى ذلك إلى أن الأعم الأغلب من الكتابات والحوارات فى إعلامنا أشبه بالنواح والولولة وصفا لحال مأساتنا وحزنا على أحوالنا ولوما وسبا لأمريكا وإسرائيل.

● وهكذا نقع فى هذا الفخ ننتظر من عدونا أن يرأف بنا ولا نرأف بأنفسنا، ننتظر أن تنجز لنا يد القدر آمالنا ولا نتقدم لدفع المهر لتحقيق الآمال بالعمل الدؤوب والكفاح مازلنا نبكى على ما ضاع منا ولا ننتبه إلى ما بين أيدينا من أسباب وفرص.

● فلننتبه فما زال بأيدينا الكثير فلنصنع شيئا ولنبدأ بأنفسنا نتخلى عن كل سلبية بغیضة فينا،

(١) رواه أبوداود فى سننه ج٤/٤٨٣، ٤٨٤ برقم ٤٢٩٧.

بين المجلد.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

بين الجد والفكاهة

ولعل الأستاذ الحبشى قد أصابه ما أصابه من أدعياء الطرب والغناء الذين يصدعون الرعوس فى غير طائل فأرسل هذه الأبيات الفكاهية الرائعة التى قالها الشاعر الكبير أحمد الزين فى مطرب شبيه بهؤلاء :

حمار لا يمل من النهيق
يضيق به التَّجلدُ أى ضيق
مُنَى الأوتار لو كانت سيّاطاً
يصبّ بها على الجلد الصفيق
بطانته حماك الله منها
كأن صياحهم جرس الحريق
دعاني للسَّماع رفيقُ سوءٍ
فقلت جزاك ربى يا رفيقى
وكانت ليلة يا ليت أنى
دُفِعْتُ بها لقطاع الطريق

منذ عدة أشهر أرسل إلينا الأستاذ هلال الحبشى من برهمتنوش - دقهلية - رسالة تناول فيها أصل كلمة «أرشانة» ونشرناها فى هذا الباب تحت عنوان : « بين الجد والفكاهة » .

ثم شارك أساتذة أفاضل فى إثراء هذا الجانب الذى نكاد نفتقده برغم ماله من تأثير إيجابى فى تخفيف الضغط النفسى الذى أصبح سمة من سمات العصر .

غير أن أحداث سبتمبر ألقت بظلال قاتمة على كثير من رسائل القراء .

ولكن يبدو أن القارئ نفسه صاحب الطرفة الأولى . أعنى الأستاذ هلال الحبشى لم يعجبه أن يرى هذا الجانب الفكاهى الجاد وقد أصابه الفتور فأراد أن يعيد إليه النشاط ، ونحن نرحب بذلك حتى نخرج - ولو للحظات - مما ألم بنا من ألم .

العلم والعقل

عُرف بي، وقال العلم: أنا أفضل لأن الله اتصف بي في الكتاب، فوافقه العقل واعترف له بالفضل. فكانت هذه الأبيات:

علمُ العليم وعقلُ العاقلِ اختلفا
من ذا الذى منهما قد أحرز الشرف
فالعلمُ قال أنا أحرزت غايته
والعقل قال أنا الرحمن بي عرف
فأفصح العلم إفصاحاً وقال له
بأينا الله فى فرقانه اتصف
فبان للعقل أن العلم سيده
فقبل العقل رأس العلم وإنصرف

ولم تكن الرسالة السابقة فقط هي التي جاءت تتناول موضوع الجد والفكاهة بل أرسل إلينا القارئ **حسام جابر محمد عبدالعزيز - محرم بك الاسكندرية -** هذه الكلمة في الفرق بين العلم والعقل وأيهما أفضل يقول القارئ:

العلم هبة من الله - عز وجل - يهبها لمن اصطفى من عباده، والعقل كرم الله به الإنسان على سائر الكائنات الحية، وهما سبيل المؤمن إلى الجنة إن صلحا أدخلوا صاحبهما الجنة، وفى هذه الطرفة، يتخيل الشاعر اختلاف العقل مع العلم، فقال العقل: أنا أفضل لأن الله - عز وجل -

كيف نربي أولادنا على الطاعة؟

أن سلامة المجتمع، وقوة بنيانه وتماسكه.. مرتبطتان بسلامة أفرادهِ وإعدادهم.. ومن هنا كانت عناية الإسلام بتربية الأولاد اجتماعياً وسلوكياً.. حتى إذا تربوا وتكونوا وأصبحوا يتقبلون على مسرح الحياة أعطوا الصورة الصادقة عن الإنسان المُنزَن العاقل الحكيم.

ومن أهم الأصول التي يحرص الإسلام فى تربية الأولاد عليها: الطاعة، فالطاعة إذا أحسن استخدامها تلعب دوراً لا غنى عنه فى حياة كل فرد، وفى تحقيق نضجه ونموه، وكذلك فى تحقيق

ومن الرسائل التي نحرص على نشرها تلك الرسالة التي وردت من **القارئ / محمد عباس محمد**، حيث تتناول موضوعاً تتمناه كل أسرة ويرجوه المجتمع بأسره حيث يقول:

أقام الإسلام قواعد التربية الفاضلة فى نفوس الأفراد صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً شبيهاً وشباناً.. على قواعد تربوية باقية، وأصول نفسية نبيلة ثابتة.. لا يتم تكوين الشخصية الإسلامية إلا بها، ولا تتكامل إلا بتحقيقها. وهى فى الوقت نفسه قيم إنسانية خالدة. ومن الثابت تجربة وواقعاً



بوجهة نظره فى هذا المجال قبل طاعته، فالطفل يجب أن يكون مقتنعا بقيمة الأمر وفائدته بالنسبة له وبالنسبة للأسرة التى يعيش فيها. ولا بد أن تقوم صراحة بين الآباء والأبناء تمكن الأبناء من الاستفسار عن بعض الأوامر وابداء الرأى فيها فى حدود قدراتهم ومستوى نضجهم ودون خروج عن حدود الأدب واللياقة.

ثانياً: شعور الأمن: شعور الطفل بالأمن يجعل العلاقة بينه وبين أسرته علاقة ود وتفاهم، وهذا يجعله أكثر تقبلاً لأوامر الوالدين، أما الطفل الذى لا يشعر بالأمن والذى يحس بأن شخصيته فى البيت مهددة، فإنه عادة يتقبل أوامر الوالدين ليس عن اقتناع ولكن خوفاً من أن تؤدى معارضة هذه الأوامر إلى تعريض شخصيته فى الأسرة لمزيد من التهديد.

وقد يؤدى عدم شعور الطفل بالأمن فى الأسرة إلى سلوك مضاد للسلوك الذى سبق ذكره فقد يدفع ذلك الطفل إلى عدم إطاعة أوامر الوالدين.

الفرد لذاته. ولذلك فإنه من اللازم أن يفهم الآباء طبيعة الطاعة ومخاطر إساءة استخدامها.

إن الطاعة وسيلة لتحقيق أهداف تربوية كثيرة، وهى ليست هدفاً فى حد ذاتها. فنحن لا نجبر أطفالنا على الطاعة حباً فى الطاعة نفسها، ولكننا نطلب منهم أن يكونوا مطيعين فى بعض المواقف سعياً وراء القيم التربوية لهذه الطاعة بالنسبة لهم. فعن طريق طاعة الأبناء للآباء يكتسب الأبناء الكثير من القيم والاتجاهات الطيبة والخبرة النافعة، كما أنهم يتدربون منذ طفولتهم على احترام النظم والقواعد والتقاليد السليمة. والطاعة عموماً يعتبرها الناس فضيلة من الفضائل، وعادة ما يكون وصف الطفل بأنه مطيع أمر يدعو إلى السرور والغبطة.

كيف نجعل للطاعة قيمة تربوية؟

أولاً: الصراحة: فلا بد أن يسود جو الصراحة للعلاقة بين الآباء والأبناء. فالطفل إذا لم يكن مقتنعا بأمر من الأوامر، يجب أن يصارح والديه

من الأخطاء الشائعة

لأن هذا الفعل لا تستعمل معه إلا الباء سواء كان ربا عيا مضعفاً، كما ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ لقمان/ ١٤

وقوله تعالى:

﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

الأنعام/ ١٥٣

أما القارئ إبراهيم نصحى محمد - من ديرب نجم - شرقية: فيرسل بعضاً من الألفاظ التى شاع استخدامها بطريقة خاطئة ويقدم تصويماً لها، يقول:

١- من الخطأ أن تقول: لقد وصينا المدير على أحمد، وهذا كتاب موصى عليه. والصواب أن تقول: وصينا المدير بأحمد، وهذا كتاب موصى به.



والصواب: هذا الحزن أثر فيه. لأن أثر يحتاج إلى حرف جر (فى) وليس (على).

٤- من الخطأ: كلما اجتهدت كلما تفوقت، والصواب: كلما اجتهدت تفوقت. لأن (كلما) الشرطية لا تتكرر فى الجملة. قال تعالى:

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾.

المائدة/ ٦٤

٥- من الخطأ: أرسل له خطابا والصواب: أرسل إليه خطابا قال تعالى:

﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رَسُولًا﴾ المائدة/ ٧٠

أم كان رباعيا مهموزا كما ورد فى الأثر: «أوصيك بتقوى فإنها رأس الأمر كله». وفى قوله تعالى:

﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ مريم/ ٣١.

٢- من الخطأ أن تقول: لن أحضر طالما أنتى مريض.

والصواب: استعمل (مادام) بدلا من طالما فيقال: لن أحضر ما دمت مريضا لأن طالما بمعنى طال وكثير فتقول: طالما كلمتك عن هذا الأمر: أى طال كلامى عن هذا الأمر.

٣- من الخطأ أن تقول: هذا الحزن أثر عليه،

من شروط تحصيل العلم

الصادرة من أحد مؤسسى المذاهب الشرعية الإسلامية فى العالم أجمع، وذلك لندلل بذلك على ما نرمى إليه من رأى، وجدية المقصد.

فما هو أكد ومعلوم لكل امرئ منا، أن لكل حدث جديد، إيجابياته التى ترفع من مستوى الذين سينتهجون قواعده، وكذا سلبياته التى تؤدى فى بعض الأحيان إلى إحساس بعدم الإفادة والراحة. ولقد ظهر فى عصرنا الحالى حدث جديد فى الجامعة سنخصص كلامنا لذكر بعض السلبيات التى يسببها.

ويُدعى هذا الحدث الفصل الدراسى الواحد أو كما يطلق عليه الكثيرون (التيرم)، فمن سلبيات هذا الحدث بل وأهمها (عدم المعرفة أو قلة المعرفة وعدم

أما القارئ عبد الغنى عبيد الغنى
سكرة - خريج جامعة الأزهر - فرع المنصورة
يصدر رسالته بقول الامام الشافعى:

أخى لن تنال العلم إلا بـسـتة

سأنبئك عن تفصيلها ببيان

ذكاء، وحرص، واجتهاد، وبلغة

وصحبة أستاذ وطول زمان

ثم يلقي الضوء على الشرطين الأخيرين حيث يقول:

على الرغم من بلوغ الغاية فى الابداع فى هذين البيتين إلا أننا سنركز كل أو معظم اهتماماتنا على الشطر الثانى من البيت الثانى وهو قول الشافعى (وصحبة أستاذ، وطول زمان) لننهل من الحكمة



ان هناك من العلوم ما يحتاج إلى سنوات كي يعرفها الطالب ويفهم فحواها .

إن هذا التجديد في نظم التعليم من الممكن أن يخلق لنا أجيالاً لا تدري ماذا تعلمت، وممن تعلمت، وكيف تعلمت وكيف تطبق في الحياة ما تعلمت؟

ونعود إلى الامام الشافعي (وصحبة أستاذ وطول زمان) فيالها من حكمة ومن ركائز، وما أبدعها من نصيحة، ولنجعل من هذه الشروط دليلاً واضحاً على ضرورة تعدد اللقاءات وكثرتها بين الأستاذ والتلميذ، فإن ذلك هو الذي يأتي بالخير والمصلحة وصدق من قال : « في الثأني السلامة وفي العجلة الندامة » وأتمنى من الله أن يهدينا سبلنا .

المصاحبة للأستاذ، وضيق فترة لقائهما، وضيق الوقت لعلوم عميقة الأغوار كثيرة القواعد تحتاج إلى تطبيق وجهد وصبر .

فمع مضى الكثير من العصور بل القرون والتلميذ له شيخ أو معلم يلقنه ما لذ وطاب من شتى أنواع المعرفة والحكمة، وإذا كان التلميذ نابغاً، ولم يكن سئل عنه فيقال من أستاذه؟ فيجواب : إنه تلميذ فلان، أما في ظل هذا الحدث (التيرم) فلا نجد هذه الأواصر والروابط بين الأستاذ والتلميذ، التي كانت على مدى عصور متتالية أقوى من صلة الأسرة بعضها ببعض .

فماذا تفيد هذه الشهور القلائل التي لا تسمن ولا تغني من جوع .

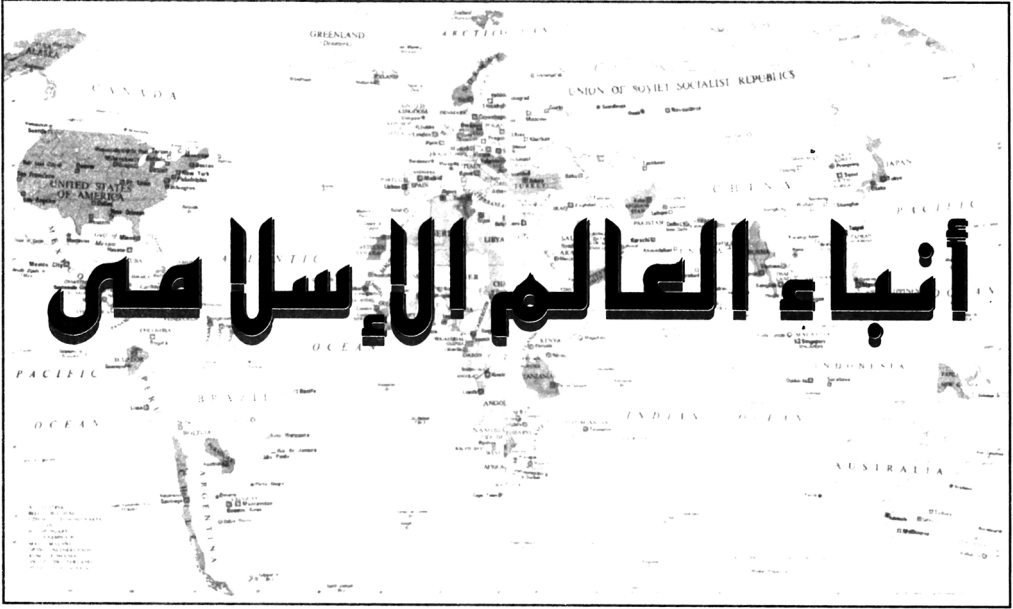
شهيد الفداية

مه ابداعات القراء :

للطالب: أحمد حمدي والي - مدرسة الهدى والنور الثانوية بالمنصورة

وسطرت العُلا صرحاً متيناً
ومُتَّ وأنت لا تُحْنِي الجبينا
ولم ترهب صُراخاً أو أنينا
فصاروا كالنَّعام مهرولينا
وراح الوغد يذبح ذا الجنينا
وقومك في الديار مششتينا
سيوقف مدفع الكفر اللعينا
وودَّعت الأحببة والعرينا
كتابُ الله كان له معينا
تفجر منبع الطهر الأمينا
لدى الجنَّات بين المؤمنين

وهبت الروح يا بن الأكـرمينا
فعمشت على الشهادة في إباء
فلم ترهب أسـاليب المنايا
أذقت الكفر كأساً من هوان
رأيت أخاك يُقتل من رصاص
وأختك يستباح العرض منها
فأقسمت اليمين بأن تاراً
خرجت من الدنيا في شـمـوخ
وأملك بالحزام تلف صدرا
وتخـرج والإله عليك يرضي
هنيئاً يا حبيب الله عرس



لأستاذ / محمد الشرقاوي

دراسة أمريكية

مصرع (٣٨٠٠) مدني أفغاني في الغارات الأمريكية على أفغانستان

معلومات عن الضحايا من المدنيين الأفغان منذ بدء العمليات العسكرية من تقارير وكالات الأنباء والصحف الكبرى وروايات شهود العيان في الفترة من السابع من أكتوبر وحتى السابع من ديسمبر الماضي .

وكشفت الدراسة التي قام بها عن أن (٣٧٦٧) مدنياً أفغانياً قُتلوا في الغارات الأمريكية، تضمنت الدراسة تفاصيل مطولة عن مواقع مقتل هؤلاء الأفغان والأسلحة التي تسببت في مصرعهم ومصدر المعلومات . وأشار الباحث إلى أن المعلومات التي توصل إليها تعتبر متحفظة للغاية وأن العدد الحقيقي للضحايا من المدنيين الأفغان يمكن

أعلن باحث أمريكي أن عدد الضحايا من المدنيين الأفغان لعمليات القصف الجوي التي قامت بها الطائرات الأمريكية في أفغانستان فاق عدد ضحايا الهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة في ١١ من سبتمبر الماضي حيث لقي أكثر من (٣٨٠٠) مدني أفغاني مصرعهم منذ بدء الغارات الأمريكية على أفغانستان في حين بلغ إجمالي عدد الضحايا في الهجوم على مركز التجارة العالمي (٢٩٩٨) شخصاً .

وقال الباحث (مارك هيرولد) الأستاذ في جامعة (نيوهامبشير): إنه عكف على جمع



أرض قرية « سيلة الظهر » قرب « جنين » استولوا على مسجد بالقرب من القرية وقاموا بتحويله إلى معبد يهودى بعد أن علقوا عليه الأعلام والشعارات اليهودية .

سيناتور أمريكي ينتقد أسلوب التعامل

مع المعتقلين المسلمين

انتقد السيناتور الأمريكي « روس فينچولد » ممثل الحزب الديمقراطي عن ولاية « ويسكونست » الأسلوب الذى تتبعه وزارة العدل الأمريكية تجاه الأشخاص الذين تعتقلهم السلطات الأمريكية للاشتباه فى تورطهم أو صلتهم بالهجمات التى تعرضت لها الولايات المتحدة فى سبتمبر الماضى وانتقد السيناتور الديمقراطية بشكل خاص إصرار وزارة العدل على عدم توفير معلومات كافية عن الأشخاص الذين تم اعتقالهم منذ وقوع الهجمات .

كما أن الوزارة لم تستجب لمطالب عديدة قدمها عدد من رجال الكونجرس وبعض جماعات الحقوق المدنية الأمريكية لتوفير معلومات كافية عن المعتقلين تسمح بالتعرف على طبيعة المعاملة التى يلقونها داخل السجون الأمريكية المحتجزين بها، وما إذا كانت تلك المعاملة تنتهك حقوقهم الدستورية أم لا . وقال « فينچولد » : إن الوزارة اعترفت بأن معظم من اعتقلتهم منذ ١١ سبتمبر والذين زاد عددهم على (١١٠٠) شخص ليست لهم علاقة بالهجمات أو بتنظيم القاعدة ومع ذلك لم توفر الوزارة معلومات عما حدث لهم .

أن يصل إلى أكثر من خمسة آلاف شخص . وقال : إن تقديراته تستند فقط إلى الأنباء التى أوردتها وكالات الأنباء والصحف الكبرى، وبالتالي لا تتضمن ما سقط من ضحايا مدنيين أبرياء فى المناطق النائية بأفغانستان، كما أنها لا تتضمن أيضاً من قُتلوا بطريقة غير مباشرة عندما أدت الغارات الأمريكية لمنع المدنيين من الوصول إلى المستشفيات أو الحصول على الغذاء أو الكهرباء أو المياه الصالحة للشرب . كما أنها لا تتضمن جرحى الغارات الأمريكية الذين لقوا مصرعهم فى وقت لاحق .

مسلمو استراليا يساعدون ضحايا

حرائق الغابات

تجمع نحو أربعة آلاف من الجالية المسلمة فى مدينة سيدنى الاسترالية بالقرب من مسجد « لاكمبا » فى شمال غرب المدينة وأدوا صلاة الاستسقاء داعين الله أن يهطل المطر لإخماد حرائق الغابات المحترقة .

وذكرت تقارير إخبارية أن التبرعات التى تم جمعها عقب صلاة الجمعة فى المسجد سوف يتم تخصيصها لصندوق حرائق غابات منطقة « نيوساوث ويلز » الاسترالية .

مستعمرون يهوديحولون

مسجداً إلى معبد يهودى

ذكرت جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية داخل الخط الأخضر أن المستعمرين من مستعمرة « سانور » المقامة على

أنباء مكاتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

تدريس مناهج الأزهر

بدولة الإمارات العربية المتحدة

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه معالى الشيخ / محمد بن النخيرة الظاهرى وزير العدل والشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة والوفد رفيع المستوى المرافق لسيادته.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه فى مصر والأزهر الشريف مشيدا بعمق العلاقات بين مصر وأزهرها الشريف ودولة الإمارات العربية المتحدة التى نكن لها فى مصر رئيسا وحكومة وشعبا كل الاحترام والتقدير لأن على رأسها رجل حكيم وشجاع وهو صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

ودار الحديث حول التنسيق فى مجال الشئون الإسلامية والتعليم والدعوة ومدارسه

الأساليب العلمية والتعليمية التى يسير عليها الأزهر الشريف فى معاهده وجامعته العريقة فى تعليم أبناء مصر والعالم، وإمكانية تطبيقها فى دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك لما تمتاز به الدراسة فى الأزهر الشريف من التوسط والاعتدال والبعد عن المغالاة.

وأعرب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم العون والمساعدة فى مجال التعليم والدعوة والثقافة الإسلامية مع جميع الدول وخاصة دول الإمارات العربية المتحدة الشقيقة.

وقد شكر الضيف فضيلته على هذا اللقاء الطيب وأبلغ فضيلته تحيات صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان وقال: إن مصر والأزهر الشريف فى قلوبنا وعقولنا، ومصر هى الرائدة والأزهر الشريف هو المعلم لنا ومن



قدم السيد السفير شكره وتقديره لدولة مصر الصديقة ولاستقبال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف له وقال: إنه تسلم عمله منذ ثلاثة أشهر، وأشاد بعمق العلاقات بين البلدين وأنهما يقدمان مساهمات طيبة لتقدم البشرية وتطور المجتمعات، واستعرض التطور بين البلدين منذ عام ٥٦ والتعاون المستمر، وأضاف أن العلاقات الدبلوماسية قائمة على أفضل وجه، وأن الصين بها أكثر من عشرين مليوناً من المسلمين يعيشون في مساواة وتسامح ويتمتعون بكل الحقوق المشروعة كما يؤدون أيضاً واجباتهم على أحسن وجه، وقال: إننا نعارض ربط الإرهاب بدين معين وبخاصة دين الإسلام، ونشارككم الرأي في أن الإسلام يعارض الإرهاب وينبذه، وقال: إننى أقدم خالص الشكر نيابة عن بلادى للمساعدات التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء الصين فقد أرسلت الحكومة ٦٥ من أنبائها للدراسة بالأزهر منذ عام ٥٤ ومنذ ذلك الحين يتوالى إرسال أبناء الصين للدراسة بالأزهر الشريف، كما ترسل حكومة الصين عالماً إسلامياً للمشاركة فى حفلات توزيع جوائز القرآن الكريم الذى ينظمها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وأعرب السيد السفير عن عزمه على تعزيز وتقوية العلاقات بين الصين والأزهر الشريف، وقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة الصين على أن يكون فى القريب العاجل.

شكر فضيلته الضيف على هذا العرض

أجل ذلك حضرنا لعقد اتفاقية تعليمية ثقافية بمقتضاها ندرس علوم الأزهر الشريف فى معاهدنا ومدارسنا حتى يكون هناك المزيد من التعاون وتوحيد رأى والفكر المعتدل.

وتم تشكيل لجنة مشتركة برياسة فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف لدراسة كيفية تطبيق مناهج وكتب الأزهر الشريف فى مدارس ومعاهد دولة الإمارات العربية المتحدة وبعد عدة اجتماعات تم عقد اتفاقية تعليمية ثقافية مشتركة يتم بمقتضاها تدريس مناهج وكتب الأزهر الشريف فى المعاهد والمدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية بدولة الإمارات تمهيدا لإنشاء كليات جامعية على نسق كليات جامعة الأزهر الشريف، وتم تسليم الوفد الكتب الدراسية المقررة والمناهج.

الإمام الأكبر يستقبل السفير الصينى

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / ليوشيو مينج سفير الصين بالقاهرة بمناسبة توليه وتسلمه عمله كسفير لبلاده فى القاهرة.

رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف مستعرضاً تطور العلاقات بين مصر والصين منذ زمن بعيد وموقف الصين المعتدل بالنسبة للدول العربية والإسلامية بصفة عامة وموقفها الحسن والجيد لمصر بصفة خاصة، والعلاقات الطيبة التى تربط بين البلدين فى المجالات المختلفة.



الأكبر الشكر للمجهودات التي تقوم بها اللجنة الدولية للصليب الأحمر، موضحا لهم أن شريعة الإسلام وجميع الشرائع تأمرنا بإغاثة المنكوبين سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين وبغض النظر عن أوطانهم، وجنسياتهم، وشريعة الإسلام تعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة والأزهر الشريف متفهم لدور اللجنة التي تقوم بتقديم العون والمساعدة للجرحى والمنكوبين والمحتاجين والفقراء، ونحن نؤيد ذلك ونعمل على نشره في كل ندوة أو لقاء أو كتاب، وذلك من منطلق تعاليم الإسلام السمحة.

أعرب الضيف عن سعادته لهذا اللقاء المشرف الطيب للمؤسسة الدينية الأزهرية وإمكانية تبادل اللقاءات مع المؤسسات الدولية بمؤسسات الصليب الأحمر الغير سياسية لأننا لا نفرق بين ضحية جيدة وأخرى سيئة، ولكننا نساعد جميع الأشخاص الذين يعانون من ويلات الحروب في أى مكان أو أية جهة، وأضاف الضيف قائلا: إن حديث فضيلتكم يمثل هذا الانفتاح بالرأى والمشورة، والفكر الصائب، وذلك بشهادة الرأى العام، وهو ما يتفق وأعمال اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وأوضح الضيف بأن لهم مندوبين فى فلسطين وأفغانستان والأماكن التي تحتاج إلى مساعدة، فنقدم العون والمساعدة الإنسانية سواء كانت طبية أو غذائية أو كساء، كما أن عملنا مع الحكومات يساعدنا فى نشر المبادئ التي شرحتموها فضيلتكم، وقمنا بترجمة مقدمة

الطيب وأوضح فضيلته بأنه يوجد ١٠٧ طلاب من دولة الصين يدرسون فى الأزهر الشريف وعلى نفقته ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية ويتلقون التعليم بجانب إخوانهم فى مصر، وأوضح بأن الدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بالتوسط والاعتدال وتدعو إلى التسامح والتواصل بين الأمم والشعوب وتبتعد عن العنصرية والعصبية الذميمة والمقيدة وتبتعد عن التطرف والإرهاب، وهذا هو الإسلام، وأيضا يستقبل الأزهر الشريف عددا من الدعاة والعلماء من دول العالم ومن الصين أيضا كل ثلاثة أشهر فى دورة تدريبية يتلقون فيها المحاضرات الدينية من كبار علماء الأزهر الشريف حتى يكون هناك تلاق للأفكار وتواصل بين العلماء وتبادل العلم النافع بينهم.

وقد وعد فضيلته بدراسة الدعوة تمهيدا لتبليتها فى القريب إن شاء الله - تعالى.

الإمام الأكبر يستقبل

مدير عام الصليب الأحمر الدولي

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / بول جروسر يدر المدير العام للجنة الدولية للصليب الأحمر يرافقه السيد / برنارد فغرلى رئيس بعثة القاهرة وقد دار الحديث حول تبادل المشورة بشأن حماية ضحايا النزاعات المسلحة فى القانون الدولي الإنسانى، وذلك ضمن زيارات الضيف لمنطقة الشرق الأوسط حيث قدم فضيلة الإمام



الإمام الأكبر:

قيم الإسلام تدعو إلى التعاون ونبذ الفجور والإرهاب

– التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بوفد جمعية المراسلين الأجانب بالقاهرة ويمثلون خمسة وخمسين دولة حيث شرح فضيلته تعريفًا مبسطًا عن الإسلام وأن الإسلام دين السماحة واليسر ويمتاز بالوضوح في كل شأن من شئونه في عباداته ومعاملاته وأن قيم الإسلام تدعو إلى التعاون والتعارف وإلى العدل والصدق والمروءة والإخلاص وتنبيذ المنكر والإثم والفجور والعنف والإرهاب وأكل أموال الناس بالباطل والاعتداء على الغير أيًا كان هذا الغير بغير وجه حق، فهي شريعة تعطي لكل ذي حق حقه لا فرق في ذلك بين المسلم وغير المسلم، ثم أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات المراسلين والتي دارت حول موقف الإسلام من الإرهاب، أوضح فضيلته بأن الإرهاب بمعنى العدوان على نفس الإنسان أو على أمواله أو أرضه أو حريته أو كرامته الإنسانية، شريعة الإسلام ترفضه ولا تقره بل تحاربه فالإرهاب تنبذه جميع الأديان السماوية وجميع العقول الإنسانية السليمة وحول سؤال عن: هل إنشاء أحزاب سياسية مثل الإخوان المسلمين يحد من الإرهاب؟ أجاب فضيلته نحن عندنا في مصر دولة مؤسسات وكل إنسان يتكلم في الأمور التي تخصص فيها فما يتعلق بالأحكام الشرعية يؤخذ من الأزهر الشريف والمؤسسات الدينية، والنواحي التجارية يسأل فيها المتخصصون في

كتاب « حماية ضحايا النزاعات المسلحة » في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية الذي تفضلتم بكتابة مقدمته، وقد حظي باهتمام واسع، وتوزيع كبير وأشكركم للتعاون معنا في مجال العمل الإنساني، كما أقدم شكرى للمسئولين بمصر لتقديم كافة التسهيلات والمساعدات .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس رابطة الثقافة الإسلامية بإيران

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف آية الله / محمود حمدي العراقي رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية بإيران يرافقه حجة الإسلام / حسين الثقفي والوفد المرافق لهما وقد دار الحديث حول توطيد العلاقات بين البلدين من ناحية التعاون الثقافي والعلمي والتعليمي بين الأزهر الشريف وإيران، والتصدي لتيارات الانحراف، والتجمد، والتطرف الديني وبخاصة في عصرنا هذا والتي من شأنها إيجاد الفتنة في الثقافة الإسلامية، وأوضح فضيلته أننا في مصر ضد تلك التيارات، وأننا نسير على تعاليم الدين الإسلامي السمح الذي يمتاز بالوسطية والاعتدال، والبعد عن المغالاة، كما وضع فضيلته المنهج والأسلوب الذي يدرس في الأزهر والذي يمتاز بالسماحة واليسر، ورعاية مصالح الناس، لأن شريعة الإسلام واضحة في عقائدها لأنها تدعو إلى إخلاص العبادة لله التي تطهر القلوب والنفوس والعقل .



النواحى التجارية وفى الزراعية والاقتصادية وغيرها يسأل كل فى تخصصه .

وحول سؤال عن الجهاد فى الإسلام والفرق بينه وبين الإرهاب قال فضيلته : بأن الفرق بينهم كالفرق بين السماء والأرض ، لأن الإرهاب هو عدوان على الآمنين من المدنيين سواء أكانوا رجالا أم نساء أم أطفالا أم شيوخا ، أما الجهاد فى الإسلام فهو الدفاع عن النفس وعن المقدسات وعن الأرض والوطن وعن العرض وهو دفاع ضد الظلم وضد الاغتصاب لحقوق الغير وكان الرسول ﷺ حينما يرسل جيشا للدفاع كانت وصيته يقول لهم : لا تقتلوا امرأة ولا صبيا ، ولا تقتلوا الرهبان الذين هم فى أماكن عبادتهم ، ولا تقطعوا شجرا ، وكل هذا يدل على أن القتال يكون ضد المقاتلين ، أما الاعتداء على الآمنين والأبرياء فشرعية الإسلام تحرمه تحريما قاطعا ، وحول سؤال عن تنظيم القاعدة هل هو ضد الإسلام أو مع الإسلام ؟ .

أجاب فضيلته : إذا كانت القاعدة تدعو إلى تنظيم العمل وإلى الأمان فلا مانع منها أما إذا كانت تدعو إلى الظلم والشر والعدوان فهى ملعونة ، ومنذ أن أوجد الله - تعالى - الناس على الأرض وفيهم العقلاء وفيهم السفهاء سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم يهود فوجود بعض المسلمين الذين لا يفهمون الإسلام ووجود بعض المسيحيين الذين لا يفهمون المسيحية هؤلاء موجودون فى كل مكان وزمان ، وكل ما نريده أن يكون عدد العقلاء فى كل دولة أكثر من عدد السفهاء والذين يؤيدون العدوان والظلم هم السفهاء وإن شئت فقل المجانين .

وحول سؤال عن رأى الأزهر فى أحداث ١١ سبتمبر قال فضيلته : إن ما حدث من عدوان على مركز التجارة العالمى وما ترتب عليه من قتل الآلاف من الآمنين الأبرياء الذين يؤدون أعمالهم قلنا إن هذه جريمة قذرة لا يقوم بها إلا السفلة والجبناء لأنه عدوان على أبرياء آمنين منهم الرجال والنساء والأطفال منهم الأمريكيين والأوروبيين والآسيويين ومنهم المسلم ومنهم المسيحي وهذه جريمة ولا يؤيدها إنسان عاقل أو إنسان عنده ذرة من مروءة ، وقلنا إن الدولة التى وقع على أرضها العدوان من حقها أن تبحث عن الجناة المجرمين الذين فعلوا ذلك وأن تتعقبهم فى كل مكان وأن تقبض عليهم وأن تقدمهم للمحاكمة العادلة وللهيئات القضائية لتقول كلمتها العادلة فيهم ، وقلنا أيضا إنه ليس من حق الدولة التى وقع العدوان عليها أن تعاقب شعبا بأكمله فيه النساء والصبيان والشيوخ والعجزة والأبرياء وفيه أيضا من ينكرون هذه الجرائم .

تعيين (٥٠٦) وعاظ بالأزهر

أعلنت نتيجة الوعاظ بالأزهر الشريف وتم اختيار ٥٠٦ وعاظ ممن تقدموا عن طريق المسابقة وتم تعيينهم فى محافظات الجمهورية على النحو التالى : ٥٠ وعاظا لمنطقة سوهاج ، ٢٥ وعاظا لمنطقة القليوبية ، ٥١ وعاظا لمنطقة المنوفية ، ٢٥ وعاظا لمنطقة الشرقية ، ٥٠ وعاظا لمنطقة الغربية ، ١٠٢ وعاظا لمنطقة كفر الشيخ ، ٢٨ وعاظا لمنطقة البحيرة ، ١٠٠ وعاظا لمنطقة الدقهلية ، ٢٥ وعاظا لمنطقة الإسماعيلية ، ٥٠ وعاظا لمنطقة أسيوط .

الفهرس

- رحلات الحج من مصادر التاريخ (الافتتاحية).
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٨٢٦
- تفسير سورة البقرة.
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٨٣٢
- محمد ﷺ في كتابات المستشرقين.
للاستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٨٣٩
- الموقف الإسلامى من الحضارات غير الإسلامية.
للاستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١٨٤٨
- الإسلام ومشكلة الفقر.
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجري ١٨٥٣
- الحج منحة ربابية.
لفضيلة الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق ١٨٦٢
- ازدهار الإسلام فى العالم.
للاستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ١٨٦٩
- الإسلام وقضية الشكل والمضمون.
للاستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٨٧٥
- كتاب الشهر: حوار الحضارات لرجاء جارودى.
تقديم الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ١٨٧٨
- من دروس الدعوة.
للاستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٨٨٨
- فضيلة الأدب.
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٨٩٣
- قصة العبد: لو كان معه رجال.
للاستاذ/ شوقى محمود أبو ناجى ١٨٩٦
- القيم فى عصر المعلومات.
للاستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٩٠٢
- رمضان فى بلاد الأمريكان (٢).
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٩٠٧
- فى ظل آية كريمة.
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٩١٣
- إن الوعد بالنصر لخالد (قصيدة).
للاستاذ/ محمد فهمى سند ١٩٢٠
- طرائف ومواقف.
لفضيلة الشيخ/ عبدالحيظ محمد عبدالحليم ١٩٢٢
- القدس فى عيون يهودية.
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٩٢٤
- كشـمير.
للاستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٩٢٨
- المسلمون أمة مبعوثه.
للاستاذ/ محمد حسن دراز ١٩٣٢
- الحرية الإنسانية فى مفهوم علم الكلام.
للاستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٩٣٦
- الكعبة الزهراء (قصيدة).
للشاعر/ بدوى الجبل ١٩٣٨
- خطبة الجمعة: الطريق إلى الله.
للاستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٩٤٤
- رسالة...رد.
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٩٤٧
- على باب الأمل.
للاستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٩٥٠
- بين الصحف والمجلات.
للاستاذ/ محمود الفشنى ١٩٥٤
- بين المجلة والقارىء.
للاستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ١٩٥٦
- أنباء العالم الإسلامى.
إعداد/ محمد الشرقاوى ١٩٦١
- أنباء مكتب الإمام الأكبر.
إعداد فضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ١٩٦٣



الأهرام

مجلة شريعة جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وسر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطبع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد جَبَّال التَّيْمُومِي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع لبحوث الإسلام / ٢، نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

﴿ وَأُذِّنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر

- الحج قراءة ميدانية لسيرة الرسول ﷺ

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

- لماذا ن الحج إلى البيت العتيق ؟

للدكتور / محمد عمارة

- بين إعلان حراء وإعلان عرفات

للأستاذ / مصطفى البيومي

الاشتراك السنوي

● داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً

● الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

● أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً

● اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

٥٧٨٦١.. - ٨٥٧٦٢٠٠

ذو الحجة ١٤٢٢هـ - مارس ٢٠٠٢م - الجزء الثاني عشر - السنة الرابعة والسبعون

افتتاحية العدد

الحجُّ قِرَاءَةُ مِيدَانِيَا

نعم، الحج قِراءة ميدانية لسيرة رسول الله ﷺ لأن زائر مكة يتطلع إلى رؤية الأماكن التي كانت مشرق الرسالة، وهو يعرفها معرفة جيدة لطول ما ترددت أمام عينيه في صفحات السيرة المطهرة، يعرفها بعقله، ويسعد حين يراها بعينه فتكون بمثابة تعبير رائع لحلم تحقق، ونقل من دنيا، الخيال إلى أرض الواقع.

هكذا كان شعوري قبل أن أشرف بحج بيت الله الحرام لأول مرة منذ ربع قرن، فقد تمثلت وقائع السيرة المطهرة في خاطري وحاولت أن أستعيدها على الخريطة الجغرافية التي انبسطت أمامي حين توجهت إلى المسجد الحرام، وقد عبرتُ عن ذلك شعرا في قصيدة نشرتها «مجلة الحج» حينها وفيها أقول:

تسمع للأباطح حين تمشي	فإن لكل ناحية لغاها
لتلك منازل القرآن أصغت	لأول آية دوى صـداها
تبخترت الحجارة في حراء	بربك أي إحساس عراها
ترى الروح الأمين سعى إليها	يسامر عندها بالوحي طه
فلم لم تنتفض تيهها بمجد	لو أن البدر أحرزه تباهي

الصفا

وكان أول ما رأيت حين دخلت المسجد الحرام «الصفا»، قبل أن ألج إلى الداخل لأرى الكعبة المشرفة، فوقفت مليا أستعرض ما أعلم عن هذا المكان الطاهر في الزمن البعيد منذ أخذت هاجر تسعى رائحة غادية بينه وبين المروة باحثة عن الماء حتى عثرت على زمزم!

ثم انتقلتُ من سيرة إسماعيل - عليه السلام - وأمه الحنون طاويا الأعوام إلى مسيرة ولده خير

سيرة الرسول ﷺ



الأنبياء محمد
ﷺ فتذكرت
أن أول ذكر
للصفا ورد في
السيرة المطهرة
كان قبل مبعثه
ﷺ حين أصر
المجتمعون على
أن يكون أول
داخل من باب
الصفاء هو
الذي سيحكم

بين الصفا والمروة حيث سعت هاجر رائحة غادية بحثاً عن الماء

بينهم ليحدد من العرب سيحمل الحجر الأسود ويضعه في مكانه، وتطلعت الأنظار إلى القادم من أعلى الصفا فإذا هو محمد بن عبد الله، وإذا كل أسرة تود أن تكون المختارة لهذا الشرف الرفيع ويلحظ الرسول ما يعتلج في النفوس من توثب، فيأمر ببساط ينشر ثم يوضع عليه الحجر ويحمله المجتمعون من أطرافه حتى إذا بلغوا مكانه من الكعبة حمله بيده الشريفة ووضعوه في مكانه، فكان حلاً سعيداً رضى به الجميع وهذا فيما أعلم أول ذكر للصفا في سيرة الرسول الأمين.

وكرت الأيام، وأشرق نور الرسالة على الكون، بدءاً من مكة، وأمر رسول الله أن يصدع بما يؤمر، فينذر عشيرته الأقربين، وهنا كان «الصفا» موضع البلاغ الأول للرسالة المحمدية، فهو أعلى مكان يصعد إليه المتحدث ليسمع من بالبيت الحرام كافة، وقد رأى الناس رسول الله يصعد إلى الصفا، ويهم بالكلام فأقبلوا عليه يستمعون.

فقال رسول الله ﷺ: «أرأيتمكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تُريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقاً؟ فقالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً، فقال ﷺ: إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غششت الناس جميعاً ما غششتكم وإني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبداً أو نار أبداً»^(١).

وتتوالى المشاهد على الصفا، ومنها هذا المشهد الأليم الذي تحمّله رسول الله صابراً، حين تجرأ أبو جهل فضرب رسول الله بحجر في رأسه فشجّه، ورسول الله ساكت، حتى أطلت جارية لعبد الله بن جدعان من مسكن لها على الصفا فرأت فعلة أبي جهل، ثم نظرت بعد حين فرأت حمزة بن عبدالمطلب مُقبلاً من صيده، متوشحاً قوسه فأخبرته بما كان من أمر أبي جهل مع ابن أخيه، فغضب حمزة، وانصرف إلى أبي جهل فصاح به أتشتم ابن أخى وأنا على دينه! ثم ضربه بالقوس فشج رأسه شجة مُنكرة، وكادت تقوم الواقعة بين بنى هاشم، وبنى مخزوم وخاف أبو جهل العاقبة فهدأ قومه، وقال: دعوا أبا عماراً، فإنى سببت ابن أخيه.

وهذا المشهد الحزين قد تلاه فيما بعد مشهد سارّ مبهج، حين زحفت جيوش رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة يوم الفتح فدخلت المسجد الحرام، وتقدم خالد بن الوليد، فقابل رسول الله على الصفا، وهنأه بنصر الله.

دار الأرقم

«دار الأرقم» يذكر المؤرخون أن دار الأرقم كانت على الصفا بناحية منعزلة على الجبل بعيدة عن أعين الطغاة، وفيها ظل المسلمون يؤدون فرائضهم بعيداً عن المشركين، وقد تساءلت عنها بمكة اليوم فلم أجد لها من أثر، وكُتب التاريخ تروى أنها كانت ناهضة كهيئتها القديمة حتى جاء أبو جعفر المنصور فاشتراها من أحفاد الأرقم بمال كثير، وجاء المهدي فأهداها لزوجته الخيزران التي جددت بناءها، ووسعتها وضمت لها بعض الدور المجاورة لتُصبح ذات شأن، ثم جُددت بعد ذلك مرات في عهود تالية وحلت عهود لم ترع مكانتها، فغابت عن الوجود، وقام مكانها بُنيان ممتد!

وقد قال الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه «فى منزل الوحي»: إنه حاول أن يزورها مع بعض أصدقائه المكيين فلم يهتد إليها^(٢)، أما الأستاذ عبد الحميد العبادى فقد

(١) صحيح البخاري ومسلم علي اختلاف يسير.

(٢) فى منزل الوحي: ٢١٧.

ذكر في «مجلة الثقافة» بعض حديثها، وقال^(٣) بشأنها: ليت القائمين بالأمر يُعنون بها، فينشئوا مكانها مدرسة تحمل اسم الأرقم تعلم فيها أصول الدين لأن هذه الدار كانت أول مدرسة في الإسلام، ومنها سال السيل، وانبثق النور، فقد حقق النبي ﷺ في هذه الدار غرضين عظيمين، أولهما: تقريره أصول الرسالة في نفوس أصحابه، وثانيهما: بث الدعوة من هذه الدار في جميع آفاق المجتمع المكي، أما صاحبها الأرقم بن الأرقم المخزومي فقد كان سابع سبعة سبقوا الناس إلى الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع المهاجرين، وشهد بدرا والغزوات من بعدها، وقد عمر طويلاً ومات عن بضع وثمانين سنة.

لقد تشبعت بما قرأت في سيرة الرسول عن أثر هذه الدار في بناء الدعوة الإسلامية منذ أشرق طورها في مكة، ونظرت إلى الصفا متسائلاً عن مكانها دون إجابة، وفي علماء مكة المعاصرين من يقدر على تحديد موضعها، وما أظن اقتراح الأستاذ العبادي بإقامة مدرسة دينية تحمل اسم صاحبها إلا واجداً من يسعى إلى تنفيذه، إن لم يكن نفذ فعلاً فقد كتب العبادي مقاله منذ نصف قرن أو يزيد.

الحجون

الحجون مكان: مشتهر بمكة وهو طريق بين جبلين، يقع أولهما بأعلى مكة ويسير الآخر حتى يصل إلى أسفلها، وكلنا نعرف قول الشاعر العربي القديم:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وندع الشاعر القديم لنذكر أن الحجون كان مجتمع نفرٍ من الجن برسول الله في مكة فقد روى المفسرون عند تفسير قول الله - عز وجل -:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤)

روى المفسرون^(٥) أن رسول الله ﷺ قال لبعض أصحابه «إنى أريد أن أقرأ القرآن على الجن الليلة فأياكم يتبعنى؟ فقال ابن مسعود: أنا يا رسول الله قال: ولم يحضر أحد غيرى، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل النبي ﷺ شعباً يقال له «شعب الحجون» وخط لى

(٤) الأحقاف: ٢٩ - ٣٠.

(٣) مجلة الثقافة ١٩٤١/١/٢٨م.

(٥) تفسير القرطبي ص ٦٠٣٢ ط كتاب الشعب.



خطا وأمرنى أن أجلس فيه وقال: لا تخرج حتى أعود إليك، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النور تهوى وتمشى فى رفرفها، وسمعت لغطا وغمغمة حتى خفت على النبى ﷺ، وغشيتة أسودة كثيرة.. حالت بينى وبينه، حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ النبى ﷺ مع الفجر». وما جاء فى هذا القول يؤازره قول الله - تعالى - على لسان نفر من الجن:

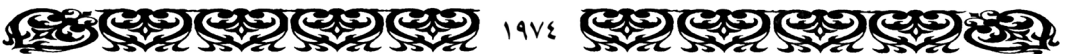
﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْصَآ وَلَا رَهَقَآ ۚ
وَأَنَّا إِنَّمَا الْمُتْسِلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنَ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (٦).

الثنية

هذا وفى عمرة القضاء دخل الرسول مكة من الثنية التى تطلعه على الحجون فمر به، أما الزبير بن العوام يوم الفتح الأعظم فقد تقدم براية رسول الله حتى نصبها بالحجون عند مسجد الفتح ولم يبرح المكان حتى جاء رسول الله إليه وجلس تحت قبة ضربها الزبير ليجلس تحتها ﷺ.

غار حراء

نعرف جميعا عزلة رسول الله فى حراء قبل أن يهبط عليه الوحي، ونعرف أن بدء الوحي كان بهذا الجبل الموحيش، وما أريد أن ألم بهذا الذى يعرفه الجميع، ولكنى أقول إن الذين صعدوا إلى قمة الجبل ونزلوا إلى الغار رأوا أعجب العجب! فبين الغار وقمة الجبل ما يبلغ عشرين مترا، والذهاب إلى الغار - كما يقول الدكتور هيكل - يقتضى المرور بين صخرتين تكادان تتلاصقان فلا يتخطى الإنسان ما بينهما إلا بمشقة، والغار داخل الجبل محجوب عن كل ما حوله بالصخور التى تحيطه، وهو لا يتسع لأكثر من شخص واحد ينام فيه نوما متقشفا! فى هذا المكان الموحيش كان رسول الله يتمتع بالأنس الروحي الذى يملأ نفسه هدوءا واطمئنانا، إنه فى عزلته يفكر فى السموات والنجوم وما خلق من كائنات، كما يفكر فى الحياة بدءا وخاتمة، ويفكر فى الناس وما يعبدون من أصنام لا تملك لهم ضرا ولا نفعا، لقد كان الرسول من أفكاره فى عالم فسيح، فهو بتفكيره فى دنيا شاسعة وإن أقام بغار ضيق مخيف، وكأن الله - عز وجل - قد حبب له هذه





العزلة فى هذا المكان ليفرغ إلى تفكيره، فإذا فاجأه الوحي كان نتيجة لمقدمات، حاول أن يصل إليها، وطالما فكر فيها فجاء الجواب على لسان جبريل!! إن قوة الرسول الروحية فى هذا المكان الموحش لم تجعله يفكر فى وحشة الموضع، وما قد يكون به من حيوان مفترس، أو حشرة مؤذية إذ كانت الوحدة سبيلا إلى ارتقاء روحى يبدد كل مخاوف الإنسان، ويشرب بصاحبه إلى خالق الكون! هذا بعض ما تبعته رؤية حراء فى نفس الزائر العابد، إنه ليطيل التفكير فى هذا الذى يرى، ثم لا يسعه إلا أن يعترف بأن عابد الغار هذا ليس فردا كالناس، وليس له ما لديهم من الشهوات والأمانى المادية، إنه مبعوث السماء وكفى.

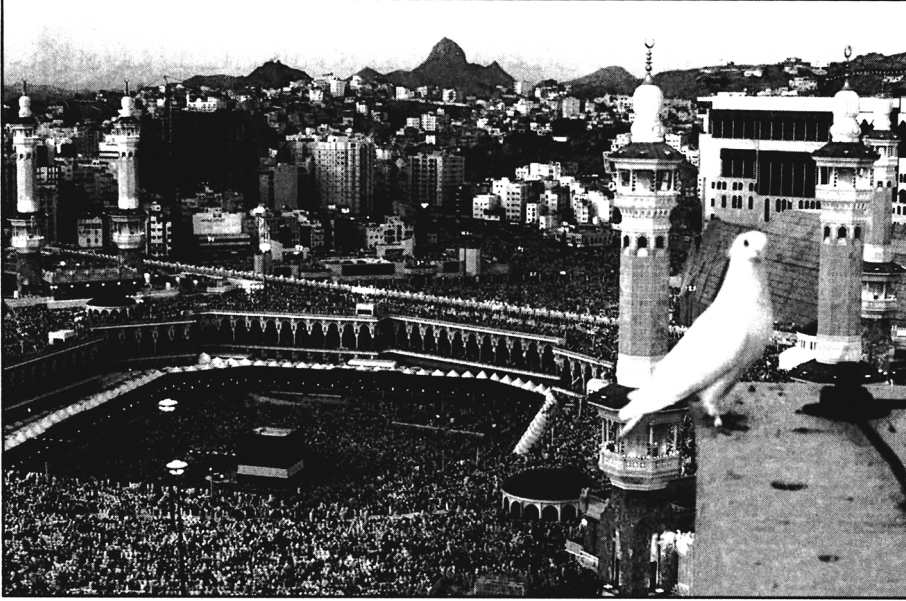
غار ثور

وننتقل من غار حراء إلى غار ثور، وهل فى المسلمين من يجهل أن غار ثور كان معجزة الإنقاذ لنبي تربص به قومه كي يقتلوه، وإذا كان غار حراء موحشا قابضا للنفس البشرية التى ليست نفس نبي، فإن غار ثور كان أشد إحاشا وأدعى للانقباض، كان الغار من الوحشة والرغبة والظلام بحيث تأكد من رأوه ساعة اختفاء الرسول به وصاحبه أنه لا يمكن أن يكون مأوى لإنسان، وقد انقطعت آثار السير عنده، وذلك ما يرجح أن بالغار من انقطعت آثار أقدامه، ولكن رهبة الغار منعت كل تفكير فى أن يكون المهاجر الأمين مقيما به مع صاحبه! لقد كان الرسول يعتقد أن الله معه فيمده هذا الاعتقاد برضا هانىء لا يعرف معه معنى التوجس والوجل، وأبو بكر - رضى الله عنه - يظهر من الهلع ما لا يخفى على صاحبه فيقول له فى ثقة: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾! (٧)

يضربون الأمثال الكثيرة على قوة العزيمة لدى نفر من الأبطال!! فأى عزيمة أقوى من المكث فى هذا الجب المظلم الضيق، حيث تقذف كل دقيقة بخطر متوقع، هذا الخطر لم تدفعه إلا السكينة المطمئنة التى قال الله عنها فى كتابه:

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُثُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ
كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٨).

(٧)، (٨) التوبة: ٤٠.



العقبة

وفي العقبة اليمنى كانت بيعة الأنصار لرسول الله، وكتاب السيرة يجعلون البيعة مرتين فحسب، فقالوا بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية، ولكنى بمراجعة صحف السيرة أرى العقبة قد شهدت ثلاث بيعات لا اثنتين، لأن الاجتماع الأول في السنة الحادية عشرة من النبوة قد هياً للرسول أن يجتمع بسبعة رجال من شباب الخزرج، هم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر وعتبة بن عامر السلمي وعتبة بن عامر الكعلى، وجابر بن عبد الله، وقد آمنوا بمحمد وعزموا على نشر الدعوة بيثرب، وهذا ما كان، ثم كان الاجتماع الثانى بالعقبة فى السنة الثانية عشرة، و«هو المعروف تاريخياً ببيعة العقبة الأولى» وقد حضره السبعة الذين تقدموا مع سبعة آخرين، خمسة من الخزرج واثنتين من الأوس، وقد بايعوا الرسول وسار معهم مُصعب بن عمير سفيراً للإسلام بالمدينة وانتشرت الدعوة حينئذ على نحو واسع، حتى كان الاجتماع الثالث الحاسم فى السنة الثالثة عشرة، وهو الاجتماع الأشهر الذى حضره العباس بن عبد المطلب، وتأكدت فيه البيعة للرسول على أن يمنعه الأنصار مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وكان هذا الاجتماع فاتحة النصر الحقيقى للإسلام فى معركة الشوك. أقول: من من المسلمين القادمين يبيت بمنى بعد قفوله من المشعر الحرام ثم لا يذكر ما كان بهذا المكان من بيعات العقبة وما أعقبها من اندحار المشركين.



على عرفات

هما خطبتان رنانتان للرسول أكدتا مبادئ الإسلام، وأوضحتا أن العقابة للمسلمين، إذ كانتا بعد أن أتم الله نوره، وأظهر دينه على الدين كله، ولو كره المشركون.

أما الخطبة الأولى ففي ساحة المسجد الحرام بعد أن تم الفتح المبين، ودعا الرسول بمفتاح الكعبة ففتحها، ودخل فصلى ركعتين، ثم دار في البيت مكبرا، ونظر فإذا قريش تملأ المسجد فخطب الناس قائلا: «يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب».. ثم قال: «يا معشر قريش: ما تظنون أنى فاعل بكم؟ فقالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء».

وأما الخطبة الثانية فهي في حجة الوداع بين الجموع في مشهد عرفات، وقد أعلنت حقوق الإنسان لأول مرة في العالم كله حين قال ﷺ: «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، فدماء الجاهلية موضوعة، وربا الجاهلية موضوع وأول ما أبدأ به ربا العباس بن عبدالمطلب، اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، وقد تركت فيكم ما إن تمسكتن به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وسنتي».

وبعد: أفلا يصح بعد ما تقدم - وهو جزء من كل - أن أقول: إن الحج قراءة ميدانية في سيرة رسول الله يقرؤها المسلم في خاطره، قبل أن تتلفظ بها شفتاه! وإذا كان للحج مزايا كثيرة، وفيه منافع للناس فلنضف إلى هذه المزايا تأمل سيرة رسول الله واضحة للعيان في مشهد الحج.

د. محمد رجب البيومي

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى - :

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا لَا وَعَلَى
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا
مَنْفَعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا
أَمْرَ الْبَاسِ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا
نَذْرَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾

بمناسبة
حلول أيام
الحج المباركة
تنشر المجلة
هذه الآيات
من تفسير
سورة الحج
لفضيلة
الإمام الأكبر

الحج : ٢٧ - ٢٩

قال الإمام الرازي: اعلم أنه - تعالى - بعد أن

فصل بين الكفار والمؤمنين ذكر عظم حرمة البيت، وعظم كفر هؤلاء الكافرين فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (١).

قال ابن عباس: الآية نزلت في أبي سفيان بن

حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية عن المسجد الحرام، عن أن يحجوا ويعتصروا، وينحروا الهدى. فكره رسول الله ﷺ قتالهم، وكان محرما بعمرة، ثم صالحوه على أن يعود في العام القادم (٢).

وصح عطف المضارع وهو ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ على

الماضي وهو ﴿كَفَرُوا﴾ لأن المضارع هنا لم يقصد به زمن معين من حال أو استقبال، وإنما المراد به مجرد الاستمرار، كما في قولهم: فلان يحسن إلى الفقراء، فإن المراد به استمرار وجود إحسانه.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ خبر

لمبتدأ محذوف، أي: وهم يصدون عن المسجد الحرام. وخبر إن في قوله - سبحانه -:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ محذوف لدلالة آخر الآية عليه.

والمعنى: إن الذين أصروا على كفرهم بما أنزل الله - تعالى - على نبيه محمد ﷺ واستمروا على منع أهل الحق من أداء شعائر دين الله - تعالى - ومن زيارة المسجد الحرام.. هؤلاء الكافرون سوف

نذيقهم عذابا أليما.

ويصح أن يكون الخبر محذوفا للتسهيل والإرهاب. وكأن وصفهم بالكفر والصد كاف في معرفة مصيرهم المهين.

قال القرطبي: قوله - تعالى -:

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل إنه المسجد نفسه وهو ظاهر القرآن، لأنه لم يذكر غيره، وقيل الحرم كله، لأن المشركين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عنه عام الحديبية، فنزل خارجا عنه.. وهذا صحيح لكنه قصد هنا بالذكر المهم المقصود من ذلك (٣).

وقوله - سبحانه -:

﴿الَّذِي جَعَلَنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾.

تشريف لهذا المكان حيث جعل الله - تعالى - الناس تحت سقفه سواء، وتشنيع على الكافرين الذين صدوا المؤمنين عنه.

ولفظ «سواء» قرأه جمهور القراء بالرفع على أنه خبر مقدم، والعاكف: مبتدأ، والباد: معطوف عليه أي: العاكف والباد سواء فيه. أي مستويان فيه.

وقرأه حفص عن عاصم بالنصب على أنه

المفعول الثاني لقوله: ﴿جَعَلَنَاهُ﴾ بمعنى صيرناه.

أي: جعلناه مستويا فيه العاكف والباد. ويصح أن

يكون حالا من الهاء في ﴿جَعَلَنَاهُ﴾ أي: وضعناه

للناس حال كونه سواء العاكف فيه والباد.

(١) الحج (٢٥).

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٦ ص ١٥٤.

(٣) تفسير القرطبي ج ١١ ص ٣٢.



ظلمه وخروجه عن طاعتنا، نذقه من عذاب أليم لا يقادر قدره، ولا يكتنه كنهه. وقد جاء هذا التهديد في أقصى درجاته لأن القرآن توعد بالعذاب الأليم كل من ينوى ويريد الميل فيه عن دين الله، وإذا كان الأمر كذلك، فمن ينوى ويفعل يكون عقابه أشد، ومصيره أقبح. ويدخل تحت هذا التهديد كل ميل عن الحق إلى الباطل، أو عن الخير إلى الشر كالاختقار، والغش.

ولذا قال ابن جرير بعد أن ساق الأقوال في ذلك: وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب: القول الذي ذكرناه من أن المراد بالظلم في هذا الموضع، كل معصية لله، وذلك لأن الله عم بقوله:

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمْ﴾ ولم يخص به ظلما دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومته، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم فيعصى الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجه له^(٤). ثم تحدثت السورة بعد ذلك عن بناء البيت وتطهيره فقال - تعالى -:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ﴾. وبوأنا من التبوء بمعنى النزول في المكان. يقال: بوأته منزلا أي: أنزلته فيه، وهيأته له، ومكنته منه. والمعنى: واذكر أيها العاقل لتعتبر وتتعظ وقت أن هيأنا لنبيين إبراهيم مكان بيتنا الحرام، وأرشدناه إليه، لكي يبنيه بأمرنا، ليكون مثابة للناس وأمنا.

والمراد بالعاكف فيه: المقيم فيه. يقال: عكف فلان على الشيء، إذا لازمه ولم يفارقه. والباد: الطارئ عليه من مكان آخر. وأصله من يكون من أهل البوادي الذين يسكنون المضارب والخيام، وينتقلون من مكان إلى آخر.

أي: جعلناه للناس على العموم، يصلون فيه، ويطوفون به، ويحترمون ويستوى تحت سقفه من كان مقيما في جواره، وملازما للتردد عليه، ومن كان زائرا له وطارئا عليه من أهل البوادي أو من أهل البلاد الأخرى سوى مكة.

فهذا المسجد الحرام يتساوى فيه عباد الله، فلا يملكه أحد منهم، ولا يمتاز فيه أحد منهم، بل الكل فوق أرضه وتحت سقفه سواء. وقوله - تعالى -:

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمْ نَذْرُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾.

تهديد لكل من يحاول ارتكاب شيء نهى الله عنه في هذا المسجد الحرام. والإلحاد الميل. يقال: ألحد فلان في دين الله، أي: مال وحاد عنه.

و ﴿مَنْ﴾ شرطية وجوابها ﴿نَذْرُهُ﴾ ومفعول ﴿يُرِدْ﴾ محذوف لقصد التعميم. أي: ومن يرد فيه مرادا بالإلحاد، ويصح أن يكون المفعول قوله ﴿بِالْحَكَامِ﴾ على أن الباء زائدة. أي: ومن يرد في هذا المسجد الحرام إلحادا، أي: ميلا وحيدة عن أحكام الشريعة وآدابها بسبب

(٤) تفسير ابن جرير ج ١٧ ص ١٠٥.

والضلالات والنجاسات، وأن يجعله مهياً
للطائفين به، وللقائمين فيه لأداء فريضة الصلاة.

قال الشوكاني: والمراد بالقائمين فى قوله:

﴿وَطَهَّرَ بَنَاتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ المصلون..

وذكر ﴿وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾ بعده، لبيان أركان
الصلاة دلالة على عظم شأن هذه العبادة، وقرن
الطواف بالصلاة، لأنهما لا يشترعان إلا فى البيت،
فالطواف عنده والصلاة إليه^(٦).

وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة، أنه لا
يجوز أن يترك عند بيت الله الحرام، قذر من
الأقذار ولا نجس من الأنجاس المعنوية ولا الحسية،
فلا يترك فيه أحد يرتكب ما لا يرضى الله، ولا
أحد يلوثه بقذر من النجاسات.

ثم ذكر- سبحانه - ما أمر به نبيه إبراهيم بعد
أن بوأه مكان البيت فقال:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَلَا عَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾

والأذان: الإعلام. و ﴿رِجَالًا﴾ أى: مشاة
على أرجلهم، جمع راجل.

يقال: رَجُلٌ بزنة فرح فلان يَرَجُلُ فهو راجل إذا
لم يكن معه ما يركبه.

والضامر: البعير المهزول من طول السفر، وهم
اسم فاعل من ضمر- بزنة قعد- يضمّر ضمورا
فهو ضامر، إذا أصابه الهزال والتعب.

وجملة ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ صفة لقوله:

قال بعض العلماء: والمفسرون يقولون بوأه له،
وأراه إياه، بسبب ريح تسمى الخجوج، كنست ما
فوق الأساس: حتى ظهر الأساس الأول الذى كان
مندرسا، فبناه إبراهيم وإسماعيل عليه.. وأن
محل البيت كان مريض غنم لرجل من جرهم.

وغاية ما دل عليه القرآن: أن الله بوأ مكانه
لإبراهيم، فهيأه له، وعرفه إياه ليبنيه فى محله،
وذهبت جماعة من أهل العلم إلى أن أول من بناه
إبراهيم ولم يبن قبله.

وظاهر قوله- تعالى- على لسان إبراهيم:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ عَرِذَى
ذَرَعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾

يدل على أنه كان مبنيا واندرس كما يدل
عليه- أيضا - قوله هنا ﴿مَكَاتٍ أَلْبَتًى﴾ لأنه
يدل على أن له مكانا سابقا كان معروفا^(٥).
و «أن» فى قوله- تعالى-:

﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا﴾ مفسرة، والتفسير- كما
يقول الألوسى: باعتبار أن التبوءة من أجل
العبادة، فكأنه قيل: أمرنا إبراهيم بالعبادة، وذلك
فيه معنى القول دون حروفه، أو لأن بوأناه بمعنى
قلنا له تبوأ.

والمعنى: واذكر- أيها المخاطب- وقت أن هيأنا
لإبراهيم- عليه السلام- مكان بيتنا الحرام،
وأوصيناه بعدم الإشراك بنا، وبإخلاص العبادة لنا،
كما أوصيناه- أيضا- بأن يطهر هذا البيت من
الأرجاس الحسية والمعنوية الشاملة للكفر والبدع

(٦) تفسير فتح القدير للشوكاني ج ٣ ص ٤٤٨.

(٥) تفسير أضواء البيان ج ٥ ص ٦٢.

التوافد على هذا البيت موجود منذ عهد إبراهيم . وما يزال وعد الله يتحقق منذ هذا العهد إلى اليوم وإلى الغد، وما تزال أفئدة ملايين الناس تهوى إليه، وقلوبهم تنشرح لرؤيته، وتسعد بالطواف من حوله .

وقوله - سبحانه - :

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ﴾ متعلق بقوله :

﴿يَأْتُوكَ﴾ .

أى : يأتيك الناس راجلين وراكبين من كل مكان بعيد، ليشهدوا وليحصلوا منافع عظيمة لهم فى دينهم وفى دنياهم .

ومن مظاهر منافعهم الدينية : غفران ذنوبهم، وإجابة دعائهم، ورضا الله - تعالى - عنهم .

ومن مظاهر منافعهم الدنيوية : اجتماعهم فى هذا المكان الطاهر، وتعارفهم وتعاونهم على البر والتقوى، وتبادلهم المنافع فيما بينهم عن طريق البيع والشراء وغير ذلك من أنواع المعاملات التى أحلها الله - تعالى - .

وجاء لفظ ﴿مَنَفَعَهُمْ﴾ بصيغة التنكير،

للتعميم والتعظيم والتكثير . أى : منافع عظيمة وشاملة لأموال الدين والدنيا، وليس فى الإمكان تحديدها لكثرتها، وقوله :

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ﴾

﴿كُلِّ﴾ . والجمع باعتبار المعنى . كأنه قيل :

وركبانا على ضوامر من كل طريق بعيد .

والفج فى الأصل : الفسجوة بين جبلين، ويستعمل فى الطريق المتسع . والمراد به هنا : مطلق الطريق وجمعه فجاج .

والعميق : البعيد، مأخوذ من العمق بمعنى البعد، ومنه قولهم : بئر عميقة، أى : بعيدة الغور . والمعنى : وأعلم با إبراهيم الناس بفريضة الحج يأتوك مسرعين مشاة على أقدامهم، ويأتوك راكبين على دوابهم المهزولة، من كل مكان بعيد .

قال ابن كثير : أى : ناد - يا إبراهيم - فى الناس داعيا إياهم إلى الحج إلى هذا البيت الذى أمرناك ببنائه، فذكر أنه قال : يارب، وكيف أبلغ الناس وصوتى لا يصل إليهم ؟ فقيل : ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقيل : على الحجر، وقيل : على الصفا وقيل : على أبى قبيس، وقال : يأتها الناس، إن ركبكم قد اتخذ بيتنا فحجوه فيقال : إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأجابه كل شىء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة : «لبيك اللهم لبيك» (٧) .

وقيل : إن الخطاب فى قوله - تعالى - :

﴿وَإِذْ قَالَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ الْكَلَامَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ -

عليه السلام - قد انتهى عند قوله - تعالى - :

﴿وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾ .

وجمهور المفسرين على أن الخطاب لإبراهيم - عليه السلام - لأن سياق الآيات يدل عليه، ولأن

(٧) تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٤١٠ .



معطوف على قوله: ﴿لِيَشْهَدُوا﴾.

والمراد بالأيام المعلومات: الأيام العشر الأولى من ذى الحجة، أو هي أيام النحر، أو يوم العيد وأيام التشريق.

والمراد: ببهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم.

أى: ليشهدوا منافع لهم، وليكثروا من ذكر الله ومن طاعته فى تلك الأيام المباركة. وليشكروه على ما رزقهم من بهيمة الأنعام التى يتقربون إليه- سبحانه- عن طريق ذبحها وإراقة دماؤها، واستجابة لأمره- عز وجل-.

وقوله - سبحانه -:

﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ إرشاد منه-

تعالى- إلى كيفية التصرف فيها بعد ذبحها.

أى: فكلوا من هذه البهيمة بعد ذبحها، وأطعموا منها الإنسان البائس، أى: الذى أصابه بؤس ومكروه بجانب فقره واحتياجه.

قال الألوسى: والأمر فى قوله:

﴿فَكُلُوا مِنْهَا...﴾ للإباحة بناء على أن الأكل

كان منهيًا عنه شرعاً، وقد قالوا: إن الأمر بعد المنع يقتضى الإباحة ويدل على سبق النهى قوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن أكل لحوم الأضاحى فكلوا منها وادخروا»^(٨).

وقيل: لأن أهل الجاهلية كانوا يتخرجون فيه، أو للندب على مواساة الفقراء ومساواتهم فى الأكل منها^(٩).

ثم بين- سبحانه- مايفعلونه بعد حلهم وخروجهم من الإحرام فقال:

﴿ثُمَّ لَيَقَصُنَّ أَنْفُسَهُمْ وَلَيَبُوءُنَّ
نَذْرَهُمْ وَيَسْتَطِفُّونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ﴾

والمراد بالقضاء هنا: الإزالة، وأصله القطع والفصل، فأريد به الإزالة على سبيل المجاز. والتفت: الوسخ والقذر، كطول الشعر والأظفار يقال: تفت فلان- كفرح- يفتت فتفا فهو تفت، إذا ترك الاغتسال والتطيب والتنظيف فأصابته الأوساخ.

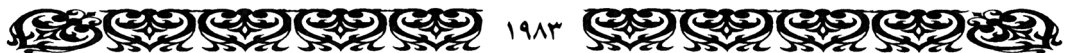
والمراد بالطواف هنا: طواف الإفاضة، الذى هو أحد أركان الحج، وبه يتم التحلل. والعتيق: القديم حيث إنه أول بيت وضع لعبادة الله فى الأرض، وقيل سمي بالعتيق لأن الله- تعالى- أعتقه من أن يتسلط عليه جبار فيهدمه أو يخربه.

والمعنى: ثم بعد حلهم وبعد الإتيان بما عليهم من مناسك. فليزيلوا عنهم أدرانهم وأوساخهم، وليوفوا نذورهم التى نذروها لله- تعالى- فى حجهم، وليطوفوا طواف الإفاضة، بهذا البيت القديم الذى جعله الله- تعالى- أول بيت لعبادته، وصانه من اعتداء كل جبار أثيم.

وبذلك نرى الآيات الكريمة قد توعدت كل من يصد الناس عن هذا البيت بأشد ألوان الوعيد، وبينت أن الناس فيه سواء وتحدثت عن جانب من فضله - سبحانه - على نبيه إبراهيم- عليه السلام- حيث أرشده إلى مكان هذا البناء، وشرفه بتهيئته ليكون أول مكان لعبادته- تعالى- وأمره بأن ينادى فى الناس بالحج إليه، ليشهدوا منافع عظيمة لهم.

(٩) تفسير الألوسى ج ١٧ ص ١٤٦.

(٨) أخرجه البيهقى ٧٦/٤.



الطاعات تفريج الكربات

السنة

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ / إبراهيم الجبالي

(إعداد الشيخ / علي حارس عبد الرزيم)

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل فانحطت عليهم صخرة، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى ثم أجيء فأحلب بالجلاب فأتي به أبوي فيشربان ثم أسقى الصبية وأهلي وامراتي، فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، ففرج عنهم. وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيتها مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجلها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة. قال: ففرج عنهم الثلاثين. قال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته وأبى ذاك أن يأخذ فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقرواغيها فإنها لك، فقال: أتستهزي بي؟ قال: فقلت: ما أستهزي بك ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فكشف عنهم «صدق رسول الله ﷺ».



فيه. وروى مثل ذلك. والروايات متقاربة واضحة. وقوله: فقال أحدهم، الروايات المعتمدة متفقة على هذه القصص الثلاث المذكورة، وإنما تختلف بالتقديم والتأخير بينها. وفي رواية ضعيفة الإسناد عن عقبة بن عامر جاء بدل الأجير: أنه كان له غنم يرعاها فحضرت الصلاة فقام يصلى فعدا الذئب على غنمه فكره أن يقطع صلاته فاتم صلاته.

والحلاب: الإناء الذى يحلب فيه. والمقصود اللبن ومعنى احتبست أى استأخرت كما فى رواية أخرى، وروى أنه نأى به الشجر أى بعد، وهذا سبب تأخره. ومعنى يتضاغون يبيكون، والضغاء الصياح. وفى رواية يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى. وقوله: دأبى ودأبهما أى شأنى وشأنهما. وروى فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما. وسبب كراهته إيقاظهما أن يسبب لهما الأرق على ما هو عادة الشيوخ إذا أوقظوا بعد هجعة، ولأن الإنسان يتأذى لإيقاظه من نومه قبل أن يستوفيه، وكراهة أن يدعهما خشية أن يستكنا لشربتهما أى أن يضعفا بسبب فوت العشاء كما هو شأن الهرم الضعيف من الاستكانة وهى الضعف. وقوله: إن كنت تعلم هذا من باب الأدب برد كل شىء إلى علم الله، كأنه يشك فى نيته ومقصده، ويدع ذلك إلى من يعلم السر وأخفى، وهو الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، فهو أعلم به من نفسه. أو كنى بقوله: تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك، عن أنه مقبول عند الله. وقوله: فافرج عنا، روى ففرج عنا. وقوله: فقالت «لا تنال ذلك منها» فى الإتيان بضمير الغيبة مع أنها تحدث عن نفسها لطف لا يخفى مع مراعاة أن الحكاية عن غائب. وقوله: «حتى تعطيهما مائة دينار»

هذا الحديث رواه البخارى واللفظ لغيره وحوى من فضائل وأحكام وفوائد، من بر الوالدين، وخشية الله حين استحكام أسباب الفتنة، وإجابة دعاء من اتقاه، وإكرام أهل طاعته؛ وكالتصرف فى مال الغير بغير إذنه لمصلحته على ما سيجىء. وسنعرض لشرح مفرداته ثم نعود للكلام عليه جملة بتوفيق الله وتيسيره.

قوله: «خرج ثلاثة» جاء فى بعض الروايات «من كان قبلكم» وفى بعضها «من بنى إسرائيل» ولم يذكر الشراح أسماءهم، وقوله: «يمشون» روى بدلها: يرتادون لأهلهم، والارتياذ: البحث عن الكلاء والمرعى والماء وأمثالها مما يجعل المكان صالحا للإقامة فيه، فالمعنى أنهم كانوا مسافرين يبحثون عن مكان يرشدون أهلهم لينتقلوا إليه. وقوله: «فدخلوا غارا» روى «فأووا إلى غار» وفى رواية «حتى أووا المبيت إلى غار» والمعنى أنهم دخلوا الغار ليؤويهم من المطر وليبيتوا فيه. وقوله: «فانحطت عليهم صخرة» روى «فانحطت على فم غارهم صخرة فانطبقت عليهم» أو فأنطبقت عليهم، أى انطبقت على فم غارهم فسدت، أو أطبقت عليهم فم الغار، وفى رواية «فسقط عليهم حجر متجاف حتى ما يرون منه خصاصه» ومعنى متجاف: غليظ، فهو بمعنى الصخرة، والجفاء: الغلظ فى الخلقة أو فى الخلق، أو متجاف متباعد عنهم لم يصبهم بل سد عليهم باب غارهم وخصاص الباب ونحوه: الثقوب والفرج التى يرى منها الضوء. وقوله: «ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه» فى رواية أنهم قالوا: عفا الأثر ووقع الحجر ولا يعلم مكانكم إلا الله ادعوا الله بأوثق أعمالكم. وروى أنهم قالوا: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه صدق

جاء في رواية « فامتنعت منى حتى أملت بها سنة » أى سنة قحط، ويكون امتناعها أولاً عفة، وإجابتها ثانياً تحت تأثير القحط الذى ألم بها. وقوله: « فقالت اتق الله ولا تفض الخاتم » روى إلا بحقه، وهو يعطى أنها لم تكن ذات زوج، وأنها كانت بكرًا، وإن كان يحتمل أن يراد بفض الخاتم ذلك الفعل المشين.

وقد روى أنها ارتعدت وبكت فسألها فقالت: إني أخاف الله رب العالمين، فقال: خفته فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء، لأنا أحق أن أخاف ربي. وفى رواية أنها قالت: أذكرك الله أن تركب منى ما حرم الله عليك.

وقوله: « بفرق من ذرة » فى رواية بفرق من أرز. والفرق: مكيال يسع ثلاثة صيعان. وقوله: فأبى ذاك أن يأخذ، روى فى سبب إياها أنه جاء أجير آخر اشتغل نصف يوم كشغل أحد الأجراء يوماً كاملاً فأعطاه كأحدهم، فغضب هذا وقال: تعطيه فى نصف يوم كما تعطى أحدنا فى يوم كامل: فقال: يا هذا هو مالى أعطى منه ما أشاء ولم أظلمك حقك. وهذه عادة فى الأجراء إلى الآن. وقوله: « حتى اشتريت منه بقراً وراعيها » فى رواية: بقراً وإبلاً وغنماً. ولعله اشترى الأنواع الثلاثة، وكان أغلبها البقر، فذكر الكل مرة، واقتصر على النوع الغالب مرة أخرى.

أما بعد: فقد أرشدنا هذا الحديث الشريف إلى طريق الفلاح، وصور لنا طاعة الله والزلفى إليه بأجمل مظاهرها، وجلالها فى أبهى حلالها، على وجه أخذ يجتذب القلوب إلى التأسى بفاعليها، وانتهاز الفرصة للحاق بمن استحقوا هذا الثناء وتخيليد الذكر بسببها. انظر إلى صاحب القصة الأولى وما قضى به يومه من كدح وكد فى رعى غنمه، فهو طوال يومه

فى حركة ويقظة، يتلمس المرعى ويوجه غنمه ويحرسها ويسوسها، ثم يجذب عليه مكان فيرتاد غيره حتى يتطوح به السير وينأى به الشجر فلا يرجع إلا وقد نام الشيوخ ومتى ينام الشيوخ! ثم يحلب بنفسه ويجيء لتعهد أبويه وأبنائه وأهله، ولا تسلم هنا عن المعركة بين ميل الإنسان الفطرى نحو أبنائه وزوجه، وبين معرفة الجميل وتقدير الضعف المستحكم فى أبويه، معركة وجدانية يديرها من وقع فيها، فالمرء وإن أحب والديه وبالغ فى محبتهم فإن محبته لأبنائه أغلب على طبعه. تجد محبة الآباء مبناهم الوفاء، ومحبة الأبناء مبناهم الرجاء، وهل الأمر بينهما على حد سواء؟ نعم يحب المرء أبويه ويكرمهما ويبالغ فى تكرمهما، ولكنه ينظر إلى ذلك نظر المرء إلى ما يجب عليه ويكلف حمله وأداءه، لا نظر الغبطة والانتهاج الذى يشمله حينما يغدق على أبنائه ويرفه لهم العيش. سأل بعض الناس: إني ألى من أبوى الآن كل ما كانا يليان منى فى الطفولة: أفأكون وفيتهما كل حقهما؟ فقال: لا، لأنك تفعل ذلك وأنت تحب أن يموتا، وكانا يليان ذلك منك وهما يحببان أن تعيش، وسئل بعضهم: لماذا نحب أبناءنا أكثر مما يحبوننا؟ فقال: لأنهم قطعة منا ولسنا قطعة منهم.

هذه المعركة الوجدانية الهائلة تجد فيها هذا الابن الأب يتغلب على عاطفة البنوة التى ملأت قلبه نحو أولاده وفلذات كبده، عاطفة الأبوة المبنية على عرفان الجميل الماضى، ومراعاة الشيخوخة المتهدمة، والضعف الذى لا يحتمل معه تأخير عشاء. ثم انظر إليه وهو يضجى براحته، ويضيف إلى كده طول يومه سهره واقفاً متحيراً طول ليله، يتقطع قلبه لأطفال صغار يتضاغون من الجوع تحت قدميه واللبن فى

يديه، ولكنه ينتظر أبويه. ولقد كان يريجه من كل هذا العناء أن يوقظهما ولو بعد الوقت الذى يظن أنهما أخذوا قسطهما فيه من النوم، ولكن تأبى شفقتة إلا أن يلمح أنهما قد يتأذيان من الإيقاظ قبل أن يستوفيا قسطهما من النوم ويستيقظا بأنفسهما، وأنه قد يندب عنهما النوم بعد ذلك فلا يجدان السبيل إليه، فيكون قد أساء إليهما أكثر مما أحسن، أما صبيته وبكاؤهم تحت قدميه من الجوع فأمرهين، فالأطفال مرحون بطبعهم، وما هو إلا أن يسقيهم حتى ينسوا كل شئ، وفى طبيعتهم قوة التحمل.

أما إنها لإحدى الفضائل العظمى التى لا تصدر إلا عن قلب ملأته خشية الله وتقواه، وحق لمن هذا شأنه أن يرعاه الله، ويجعل له مخرجا، ويجعل له من أمره يسرا. مثل هذا يدخل فى مضمون ما ورد «رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره». إن نفسا كهذه بين رعاة الغنم تحمل النفوس على احترام طائفة بأسرها، ولكن من هذا وقد كان من بينهم خيرة الخلق عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. ولقد سمع الله من هذا الراعى فكشف عنهم، ولله فى خلقه إرادة، فلقد كان قديرا أن يكشف الباب جميعه، ولكنه أراد أن يوجه كل من الثلاثة قلبه نحو خالقه، ويمنحه شطرا من كرامته، حتى يتبين للناس إكرام الله لأهل طاعته، جعلنا الله منهم.

ثم انظر إلى صاحب القصة الثانية: شاب يملأ الحب شغاف قلبه، ويحب ابنة عمه كأشد ما يحب الرجل النساء، يتدله فيها ويهيم، ويسأل عنها ضوء الكواكب ويستنشق منها ريا النسيم، تتطاول به السنون، وهو يعلل النفس بما يكون أولا يكون، ثم تسعفه الفرصة، ويكاد يبيل تلك الغصة، أصابتها

الحب أول ما يكون مجانة

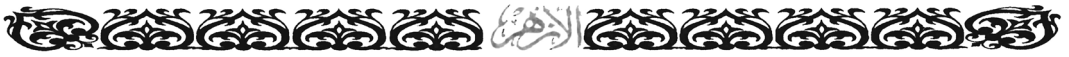
فإذا تمكن صار شغلا شاغلا

لا يعرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يعانىها

نقدها الدنانير الكثر، ليصل إلى ذلك الأمر، ولقد استسلمت الفريسة، ولكن خشية الله لم تتخل عنها. الله أكبر: إن مجرد كلمة الرجل فى أذن المرأة وقوله لها: أحبك، تعمل فى نفسها كل عمل، وتملأ قلبها بالأمل بعد الأمل فكيف به وهو ابن عمها، يقضى الأيام الطوال يترضاها، ويبدو لها منه ما هى أدرى به، ثم تتحده بالمرهق المعجز فى السنة الجذباء، فيحضره لها ثمنا لما أراد، وبرهانا على صدق الوداد. وهل كانت إلا فتاة لها حظ فى الرجل كحظه منها؟

أنظر إليها فى هذه الساعة الرهيبة تدركها خشية الله، فترتعد وتبكي، وتذكره الله ألا يركب منها ما حرم الله عليه، فتلحقه هو أيضا الخشية، وتحوطه تقوى الله، ويتذكر حين ذكرته أن الذكرى تنفع المؤمنين، فيقول: هذه تخاف الله فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء، فينصرف عنها طاهرين تقيين نقيين. الحمد لله، هذا هو مقام الخشية والخوف من الله. هذا هو ما جاء فى قوله تعالى:



﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (١).

وفى قوله عز وجل :

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (٢). يردف هذا

بمنة عظيمة فيدع لها المائة دينار، وينفلها عليها
عشرين دينارا، كما جاء فى بعض الروايات . اللهم لا
توفيق إلا لتوفيقك، ولا معصوم إلا من عصمت .

رب إن الهـــــــــــــــــدى هداك وآيا

تك نور تهدى بهما من تشاء

أما إن للشيطان فى مثل هذه الحال لجولات
وصولات، فكم يغرر بهما ويسهل الأمر عليهما،
ويضمن لهما أن لن يقتربا جرما ولا إثما، وإنما هى
المداعبات البريئة، حتى إذا غشى قلبهما ما غشى، ووقعا
فى الشرك الذى نصبه لهما، تولى عنهما بفرح وسرور،
وقال : ما كان لى عليكما من سلطان إنما دليتكما بغرور .
اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان ومن الهوى .

وهذا الثالث صاحب الأجير : ترى الأجير فى طمعه
يحسد من عمل فى نصف يوم مثل عمله فى يوم على
أن يأخذ مثل أجره، والمالك لو أعطاه بلا مقابل فلا
سبيل عليه، فيذهب به الغضب إلى الإباء، فينصرف
مغاضباً رافضاً أخذ أجره، ثم يمكث السنين الطوال
كما يدل عليه أنه زرع الفرق ونما واشترى من غلته
بقرا وراعيها وإبلا وغنما، وهل يأتى ذلك فى عام أو
عامين والفرق ثلاثة أصع من ذرة أو من أرز؟ يجىء
هذا المغاضب المحتج فيطلب أجره، ولو شاء المستأجر
لتجاهله وأنكره، ولو سمح فأعطاه ذلك الفرق لكان

جميلا منه، ولكنه امتحن الله قلبه للثقوى فوقه
لزرعه وتنمية غلته حتى اشترى منها بقرا وراعيها،
وأضاف إليها إبلا وغنما، فأصبح مالا وفيرا ورزقا
كبيرا، ومتى تبلى النفوس بالشح إلا حينئذ؟ جاءه
الأجير راضيا يأخذ الفرق الذى استحقه على عمل
يومه، فقال : دونك هذه النعم فاستقها براعيها،
ويروى برعاتها، فقال الرجل - وحق له أن يقول :
أستتهزى بى؟ وهل يظن هذا إلا أنه استتهزأ؟
يقول له : أعطنى فرق ذرة أو فرق أرز، فيقول له :
استق هذه النعم برعاتها وبصر على أن الأمر جد
وأنها له حتى ليأبى أن يقول له : لقد منحتكها
ولكنه يقول : أنا لا أستتهزى ولكنك لك، فلا يقبل
على نفسه ولا أنه صاحب جميل فيما أعطى،
ويقول إنها وديعة يأخذها صاحبها وكفى! هذه هى
الأمانة حقا، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله
ذو الفضل العظيم .

إن هذا لهو القصص الحق، يبين لنا المصطفى
ﷺ سبيل الهدى لنسلكه، ويقرب لنا سبب الخير
لندركه، ويصور لنا روح الطاعة لنتحلى بها،
ويجمل لنا وجه الزلفى لنتعلق بسببها . اللهم وفقنا
لما تحبه وترضاه، فلا حول ولا قوة إلا بالله ثم يشرح
لنا كيف كانت نجاتهم بسبب لجئهم إلى من تعرفوا
إليه فى الرخاء فعرفهم فى الشدة؛ وكيف يكون
يُمن الطاعة فى الدنيا، والدار الآخرة خير وأبقى .

نسأل الله أن يسلكنا فى زمرة المتقين، ويجعلنا
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين . وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .





لأستاذ الدكتور / محمد عمارة

عندما كتب حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ - ١٠٥٨ - ١١١١ م] كتابه الفذ [إحياء علوم الدين] كان إعلاناً عن ضرورة «الثورة الثقافية التصحيحية» لما أصاب الجوانب الكثيرة من ثقافتنا الفقهية يومئذ من «جفاف.. وشكلية» يهددونها بالموات.. فهذا الكتاب - بعنوانه ومضمونه - دعوة «لإحياء» علوم الدين، الإحياء الذي يعيد تزامن «القلب» مع «العقل» في اكتشاف أبعادها ومقاصدها. وذلك بعد أن وقفت الكثير من تأليفها عند «أشكال.. وحركات.. ومظاهر» كثير من الشعائر والمناسك والعبادات. وإذا شئنا أن نضرب أمثالا على ضرورة هذا «الإحياء» لفقه المناسك الإسلامية. الذي لانزال في أمس الحاجة إليه - فإننا واجدون الكثير والكثير:



١ - ففي القرآن الكريم وصف للعلاقة الزوجية «الميثاق الغليظ» الذى أقامته وعقدته الفطرة الإلهية بين الرجل وزوجه

﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (١).

وهذا الميثاق الفطرى هو الذى يجعل الزوجة تفضى إلى الزوج - وهى حديثة عهد بمعرفته - بما لا تفضى به إلى أهلها الذين نشأت وتربت فى كنفهم وأحضانهم، بل وتكشف له وتسرى إليه بما ترضى به على أقرب الأقربين من أولى الأرحام!

بل إن التعبير القرآنى ليصل، فى وصف رباط الزوجية وميثاقها، إلى الوصف الذى لو أفاض فيه كل شعراء الدنيا وبلغائها لما استطاعوا الاقتراب من عمقه وسموه وجمال دلالاته.. وصف «السكن» و«السكينة» التى تمثلها الزوجة بالنسبة لزوجها، الذى يسكن إليها!.. فهى له سكن يسكن فى مودته ورحمته.. يعبر القرآن الكريم عن هذا المستوى السامق للعلاقة الزوجية، تلك التى جعلها الله - سبحانه وتعالى - آية من آياته فى بناء أولى لبنات الاجتماع البشرى - الأسرة - فيقول:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

فماذا صنعت كتب الفقه بهذه المعانى الجميلة والعظيمة والعميقة التى تتحدى لغة البشر أن تبلغ سماء دلالاتها؟ لقد عرف الفقهاء عقد الزواج - هذا الميثاق الإلهي الغليظ.. وهذه الفطرة المنشئة للمودة والرحمة والسكن والسكينة - بأنه: «عقد تمليك منفعة بضع الزوجة»!!.. فقتلوا روح هذه العلاقة السامية، عندما اختزلوها فى البعد «الفرائضى» للزواج!..

ولذلك كانت دعوة الغزالي إلى «إحياء» علوم الدين، بعد أن أصابها الموت!..

٢ - والصلاة، التى هى عماد الدين.. نجد القرآن الكريم لا يستخدم فى التعبير عنها مصطلح «الأداء» لأنه يقف بالدلالة عند الشكل.. والحركات.. والسكنات.. ويستخدم - بدلا من ذلك - فى التعبير عنها مصطلح «الإقامة»، لما يعنيه ويتطلبه من «الحضور» عندما يكون العبد فى لقاء مع مولاه

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٣)

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (٤)

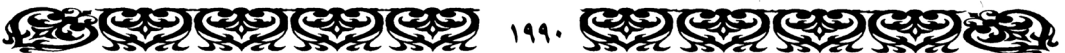
ففى «الإقامة» استقامة وحضور.. بينما «الأداء» أشكال وحركات ورياضات للأبدان!.. وإذا كانت الصلاة عماد الدين، فإن السجود

(٢) الروم: ٢١.

(٤) الأعراف: ٢٩.

(١) النساء: ٢١.

(٣) البقرة: ٤٣.





المعاني والمقاصد والدلالات العظمى لهذا المنسك العظيم، وليس مجرد سياحة نزور فيها الأماكن، «نؤدى» فيها الواجبات والفرائض والأركان.. وعلى سبيل المثال:

١ - فنحن فى حاجة إلى «الوعى» بحكمة جعل الله - سبحانه وتعالى - حج أمتنا الإسلامية إلى بيت الله الحرام، وليس إلى مكان آخر سواه..

وفى فقه هذه الحكمة ووعيتها يمكن أن يقال الكثير.

لقد شاء الله أن يكون حج الأمة الخاتمة لرسالات السماء - أمة الإسلام - إلى البيت الحرام، لأن هذا البيت هو أول بيت عبد الله فيه على هذه الأرض.. ففيه بدأ الدين، وإليه يكون حج الأمة الخاتمة، رمزا وتجسيدا لوحدة دين الله - من آدم إلى محمد ﷺ ورمزا وتجسيدا - كذلك - لاكتمال لبنات هذا الدين الواحد بشريعة الاسلام، ورسالة محمد بن عبد الله ﷺ.. وهو أيضا تكريم لهذه الأمة، عندما جمع الله لها طرفي المجد الديني، فكانتا قبلتها، وكان حجها إلى أول بيت وضع للناس فى الأرض التى هى دار الأمانة والتكليف والاستخلاف.

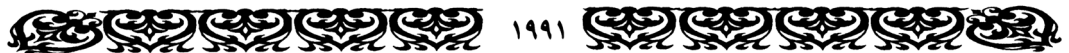
ولما كان أبو الأنبياء إبراهيم الخليل، وابنه إسماعيل - عليهما السلام - قد أقاما قواعد هذا البيت العتيق، فلقد شاء الله أن يكون إليه حج أمة خاتم الأنبياء، الذى أحيت شريعته ملة إبراهيم.. والذى تعيد أمته - فى مناسك حجها - مناسك إبراهيم وإسماعيل وهاجر، مجسدة بهذا الإحياء وحدة دين الله:

فيها هو القمة التى يكون العبد فيه أقرب ما يكون إلى الله.. إنه قمة الحضور للمصلى بين يدي الله.. لذلك، نعجب من الفقه عندما وقف، فى تعريفه للسجود، عند شكل الحركات، فغاب عنه - وغيب - المقصد واللب والمضمون.. فجاء تعريف السجود فى كثير من كتب الفقه بأنه «اطمئنان الأعضاء»!.. حتى لكأنه تمرين رياضى، وليس الدرجة العليا فى سلم الحضور بين يدي الله!

ولذلك - أيضا - كانت ضرورة دعوة أبى حامد الغزالي إلى «إحياء علوم الدين».

وإذا نحن طالعنا جميع أبواب الحج، بأغلب كتب الفقه - فى سائر المذاهب الإسلامية - أو قرأنا آلاف الكتب التى يتداولها الحجاج إلى بيت الله الحرام، والتى تتبع تفاصيل التفاصيل فى مناسك الحج والعمرة - والمطبوعة بكل لغات الدنيا - فسنفاجأ بأننا أمام سرد لكيفية «أداء» المناسك، هو أقرب ما يكون إلى «خرايط وأدلة» السباح، منه إلى روح العبادة، ومقاصد المناسك، والمعاني العظمى التى وقفت فوق ووراء أماكن وأشكال ومواقيت مناسك الحج إلى بيت الله الحرام.. الأمر الذى يدعو إلى فقه جديد يعيد «الروح» إلى المناسك التى وقف الناس ويقفون عند «أشكالها»، ويذكر «بالمعاني» التى نسيها الناس للأماكن التى يترددون عليها، ويستدعى «المقاصد» التى ما شرعت الشعائر إلا للاقتراب منها.

إننا فى حاجة إلى «إحياء» لفقه الحج إلى بيت الله الحرام، حتى يصبح الحج قصدا، إلى



﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٥) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥).

فإلى أول بيت تيج الأمة الخاتمة، لتحیی أمة خاتم الأنبياء مناسك ملة أبی الأنبياء .

٢ - ونحن فى حاجة إلى فقه الإعجاز الخالد الذى يشعر به ويعيشه كل من حج إلى بيت الله الحرام .. فلقد دعا إبراهيم الخليل ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى بيته الحرام، فتجسدت الإجابة فى هذا الحج، الذى ربط القلوب - وليس الأجساد - بهذا البيت العتيق .. بل وليس مطلق القلوب، لأن «الأفئدة» هى «القلوب المتوقدة» بالأشواق .. وهى «تهوى» إلى هذا المكان اشتياق النفس إلى ما تشتهيهِه (٦) .

لقد تجسدت معجزة الإجابة الإلهية لدعوة أبی الأنبياء فى حجيج أمة محمد - خاتم الأنبياء - .. تجسدت آية من آيات الله المبثوثة فى النفوس والأفئدة المتوقدة شوقاً إلى بيت الله الحرام، توقدا دائماً، وشوقاً خالداً، عند كل مؤمن، وعلى مر سنوات عمره، وعبر القرون، والقارات، وفى كل القبائل والشعوب .

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَتَّكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٧).

٣ - ونحن فى حاجة إلى فقه الحكمة التى جعلت من حجة رسول الله ﷺ سنة ١٠ هـ لحظة اكتمال الدين، فعندما أتم الرسول والمؤمنون مناسك الحج، ووقفوا بعرفة، وأعلن خاتم الأنبياء فى العالمين ميثاق حقوق الله وحقوق الإنسان المستخلف عن الله، نزل الروح الأمين بوحي الله الذى يقول :

﴿ الْيَوْمَ يَيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٨).

فعندما أقام النبى الخاتم والأمة الخاتمة مناسك حج ملة إبراهيم - أبی الأنبياء - مثل ذلك اكتمال أركان الإسلام، واكتمال هذا الإسلام، الذى هو الدين الله الواحد عبر كل رسالات السماء

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٩).

وليس المراد باكتمال الدين هنا اكتمال الوحي القرآنى، أو الشريعة المحمدية، فبعد هذه الآية نزلت آيات وتشريعات من مثل آيات الربا والكلالة .. وغيرها.

(٦) الراغب الأصفهاني [مفردات غريب القرآن] - مادة «فاد» - طبعة دار التحرير - القاهرة.

(٨) المائدة: ٣.

(٥) آل عمران: ٩٥ - ٩٧.

(٧) إبراهيم: ١٤.

(٩) آل عمران: ١٩.

ولأنه كان الحرم الآمن، الذى حفظه الله من الاستعباد والاستبداد، سماه الله - فى كتابه - ﴿الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، أى الحر الذى انعتق وتحرر من كل ألوان الاسترقاق ..

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا
نَذْرَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (١٢).

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعْبًا لَّهُ فَاِنَّهٗ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ﴿٣٣﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ اِلَىٰ اَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْمُلَةٌ اِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿١٣﴾ .

فهو الحر - دائما وأبدا - حتى يكون حرما
آمنا - دائما وأبدا - .. وعندما هددت غزوة
الفيل حرية هذا الحرم الآمن، لم يخالج الشك
أهل مكة يومئذ في انتصار البيت العتيق على
هذا التهديد، فكانت ثقة عبدالمطلب بأن
«لبيت رباً يحميه»! .. وجاء الإعجاز الإلهي
﴿طَبَرُ الْأَبَيْلِ﴾ تحيل مصادر التهديد وقوى
الاستعباد إلى «عصف مأكول» .

﴿الَّذِي تَرَكَيْتَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَخِيكَ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُ
فِي تَضَلُّيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ
بِحِجَابٍ مِّنْ رَّيْسٍ يَّسِيلٍ ﴿٤﴾ فَيَعْلَمُهُمْ كَعْصَفٍ مَّاكُولٍ ﴿٥﴾﴾ (١٤)

فهنالك حاجة إلى فقه معجزة «الأمن» .. في هذا البيت «العتيق» ..

٥ - ونحن فى حاجة إلى أن يفقه الحاج إلى بيت الله الحرام ما يمكن أن نسميه بـ «أبعاد

٤ - ونحن في حاجة إلى فقه سر معجزة الأمن والأمان، الذي يغمر المؤمن في بيت الله الحرام، حتى ليزيد هذا الأمن على ما يشعر به الإنسان في مسكنه الخاص.. فبصرف النظر عن جغرافية الأوطان، واختلاف الألوان، وتعدد اللغات، وتنوع الشعوب والأمم، يجد الحاج من الأمن والأمان في بيت الله الحرام ما يجسد ويفسر الإرادة الإلهية والجعل الرباني الذي عبر عنه القرآن الكريم عندما قال :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾

وَأَمَّا مَا يَخْتِذُونَ مِنْ مَقَامٍ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدَنَا إِلَىٰ آلِهِ بِرَحْمَةٍ
وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَرَ ابْنَيْهِ لِلطَّالِبِينَ وَالْمَعْبُودِينَ وَالزُّكِّيِّينَ
السُّجُودِ ﴿١٧٥﴾ وَلَا قَالُوا إِبْرَاهِيمَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بِلَدَاءِ أُمَّتِنَا وَأَرْزُقْ
أَهْلَهُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١٧٦﴾

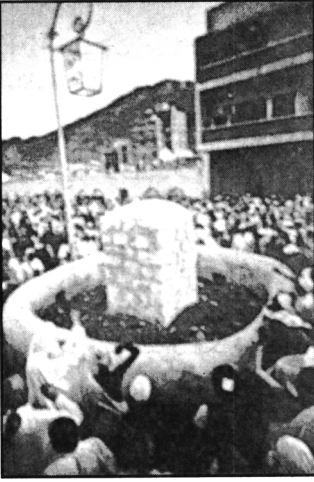
وحتى يكون هذا البيت آمناً، ومحققاً قمة الأمن والأمان للطائفتين والعاكفين والركع السجود، منذ أن وُضع للناس في الأرض، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلقد شاء الله أن ينفرد بالحرية والتحرر من استعباد الجبارين والمستعمرين عبر قرون التاريخ، فلم يخضع لجبار ولا لمستعمر، وكان الناس من حوله تتخطفهم مخاطر الاستبداد والاستعباد، وهو آمن أبداً

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفَّفُ
النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِصْمَةِ اللَّهِ يُكْفَرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۚ﴾ (١١).

(١٠) البقرة: ١٢٥، ١٢٦.

(١٢) الحج: ٢٩.

(١٤) الفيل: ١ - ٥.



رمى الجمرات

٦- ونحن بحاجة إلى أن يتذكر الحاج - وهو ذاهب ليرمي جمرة العقبة - ما هو أكثر من رمي الجمرات! - ففي هذا المكان - العقبة - عقدت «الجمعية التأسيسية» التي تعاقبت

وتعاهدت على إقامة الدولة الأولى في تاريخ الاسلام والمسلمين، الدولة التي غيرت الواقع، وجيشت الجيوش، وحولت مسار التاريخ، وجعلت المستضعفين في الأرض الأئمة والوارثين لموارث النبوات والحضارات، وذلك عندما بايع الأنصار رسول الله ﷺ على إقامة الدولة، بعد أن سبق لهم بيعته على إقامة الدين.. فولدت في العقبة الدولة التي حرست الدين، والتي ساست الاجتماع وال عمران بشريعة هذا الدين..

٧- ونحن بحاجة إلى أن يتذكر الحاج - وهو بالعقبة أيضا - أن رسول الله ﷺ قد أراد تأسيس الدولة الإسلامية الأولى على البيعة والشورى والاختيار، فعندما هم الأنصار بمبايعته على إقامة الدولة، وحماية قائدها مما يحمون منه أنفسهم ونساءهم وذرائعهم، رغب إليهم أن تتم البيعة بواسطة «مؤسسة دستورية» تنشأ بالاختيار والانتخاب، فقال لهم: «اختاروا منكم اثني عشر نقيبا».. فولدت - بالشورى والاختيار والانتخاب - أولى المؤسسات

فلسفة المكان ورسالته الخالدة».. فحول هذه الكعبة نزلت كلمات الله على خاتم الرسل والأنبياء.. وبهذه الكلمات تمت في مدرسة النبوة إعادة صياغة الجاهليين - أسرى الحمية الجاهلية وعبدة الأوثان - حتى غدوا الجيل الفريد الذي غير مجرى الدنيا والحضارة وأمسك بدفة سفينة التاريخ.. فدخل دار الأرقم بن أبي الأرقم أعراب حفاة غلاظ جفاة ليخرجوا منها وقلوبهم تفيض بالتقوى، يزيحون عن كاهل الإنسانية جبروت الكسروية واستبداد القياصرة، ليخرجوا من شاء من عباد الله من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن العبودية للطواغيت إلى قمة حرية إخلاص العبودية لله!.. وليكونوا - وهم أسد الله الذين أزالوا جبروت الاستكبار - أهل الرفق والرحمة، لا بالإنسان فقط، وإنما بالحيوان أيضا.. بل وبالنبات وسائر الطبيعة، لأن هذه المدرسة، التي بدأت دروسها في حرم الله الآمن، قد علمتهم أن كل ما في هذا الكون حيّ يلهج - على طريقتة - بتسبيح الحى القيوم

﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُمَّ الْغَفُورُ﴾ (١٥)

فنحن نحج إلى المكان الذى بدأت فيه «النعمة» التى هى أعظم نعم الله على المؤمنين.. «نعمة الإسلام».. وأعظم بها من نعمة تعطى هذا المكان خصوصية فى فلسفة المكان.. وفى رسالة المكان..



الحجاج في منى

الدستورية في الدولة الإسلامية.. وهي التي نهضت بمسئوليات «الوزارة.. والمؤازرة»، مع مؤسسة «المهاجرين الأولين» - التي نهضت في دولة الخلافة بمسئوليات الإمارة - وتوزعت بينهما الاختصاصات يوم «السقيفة»، عندما قال أبو بكر الصديق - باسم المهاجرين الأولين - لمثلي النقباء الاثنى عشر: «منا الأمراء ومنكم الوزراء».

فمن العقبة - يا من ترمى الجمرات - بدأ تراث أمتنا في المؤسسات

الدستورية، القائمة على الشورى والاختيار والانتخاب - بمشاركة الرجال والنساء - قبل أن تعرف الأمم والحضارات لها تراثاً في هذه المؤسسات!

٨ - ونحن في حاجة إلى أن يتأمل الحاج - وهو في «منى» - هذه «الغابة» من الجبال السوداء الكالحة التي تحيط بمنزل الوحي وبيت الله الحرام.. ففي هذا المنظر الموحش لهذه الجبال السوداء معجزة من معجزات إلهية وصدق القرآن الكريم، ونبينا ﷺ..

لقد اتفق البشر - من كل الفلسفات والثقافات والحضارات - على العلاقة التبادلية بين «المكان» وبين «الفكر» الذي يولد وينمو في «المكان».. وإذا كان واقع «المكان المكي» هو هذه الجبال الكالحة السوداء، فأتى لهذا «الواقع» أن يثمر «فكراً» يستحق مضمون هذا الاصطلاح؟! وذلك فضلاً عن أن تكون «الثمرة» هي هذا القرآن المعجز الذي تحدى - ولا يزال - أساطين البلاغة والفكر عبر الزمان والمكان والفلسفات

والثقافات والحضارات.. إنها شهادة على صدق النبوة والرسالة، شاء الله أن ينطق بها هذا المكان الموحش.. فَعَجَزَهُ عن إبداع «الفكر» شاهد على أن هذا الذي جاء به محمد بن عبدالله إنما هو نبأ السماء العظيم!

هذه نماذج لخواطر - مجرد نماذج لخواطر - تدعو إلى أن نفكر ونجتهد لفقه جديد - هو فقه المقاصد والمعاني والدلالات - لتعود به «الحياة الحقة» و«الإحياء الحقيقي» لمناسك الحج إلى بيت الله الحرام.. إحياء لعلوم الدين.. وإنقاذاً لكتب الحج من جفاف وشكلية «الخرائط» التي يستخدمها السائحون.

إن مناسك الحج إنما تبتغي «تقوى القلوب».

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبُكَ رَبِّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (١٦)

وحرام أن نختزلها في الحركات والسكنات، أو نفرق مقاصدها الروحية السامية في التفريعات والجزئيات.



الحج من الناحية التربوية

لأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي (*)

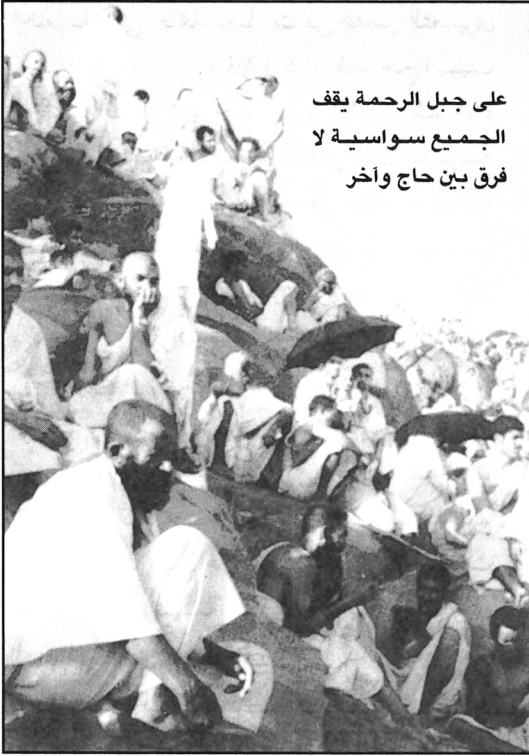
يعنى علماء الأخلاق عناية تامة بانتقال نظرياتهم السلوكية إلى ميدان التطبيق العملي، ليجدوا الثمار المرتقبة لما غرسوه من مبادئ وأفكار، وهم ينظرون إلى الحج في الإسلام نظرة تطبيقية تجعله ميداناً للتمرين السلوكي لدى المسلم، والحج بهذا الاعتبار دعامة قوية من دعائم الشخصية المؤمنة التي تركز على أسس ذات قوة وتمكين.

فالنية في الحج شرط أساسي لصلاحيته، وهي عند علماء الأخلاق من المسلمين: مدار الحكم الخلقى وموضع تقديره، إذ يوجد من الأعمال ما يروق الناس في ظاهره ولكن بواطن أصحابه المغرضة تجعله من الناحية الخلقية عملاً مدخولاً عليه لا صلاح فيه ولا فائدة مهما خدع الناس بزيفه البراق، فكم في الناس من قصد إلى الحج تاجراً أو دليلاً، أو مبتغياً للكسب بوجه غير الوجه الشرعي المقصود، وهو أمام الناس حاج يؤم بيت الله، وعند الله محترف ينشد المنفعة العاجلة في الدنيا، لذلك كانت النية المخلصة أول خطوة صحيحة في طريق الحج المبرور، وبصلاح السرائر وخلص النيات يستقيم أمر المجتمع الإسلامي على سنن صحيحة.

فالزحام عليها والافتراخ في بعض البلدان على نوال الأسبقية في الرحلة مما يدفع المسلم إلى سلوك خلقى يعتمد على الصبر والاحتمال ويتطلب التسامح والبشاشة، فإذا تهياً الأمر واستقل الباخرة أو السيارة أو الطائرة فقد أصبح زميلاً لأناس يشاركونه الرحلة وعليه أن يطبق

فإذا عقد المسلم عزمه على الحج، وتوجه في بلده النازح إلى إجراء لوازم السفر فإنه من وراء هذه النية الصادقة مأجور مثاب على كل عمل يقوم به جليلاً كان أو هيناً، والسفر في كل زمان ومكان ذو مشاق ومتاعب مهما تيسرت الآن وسائل السرعة من طائرات وسيارات وبواخر

(*) الأستاذ بكلية اللغة العربية بالمنصورة.



على جبل الرحمة يقف
الجميع سواسية لا
فرق بين حاج وآخر

آداب الاسلام الخلقية في حسن الرفقة وجمال الصحبة، ودمائة الخلق، والسفر ليس قطعة من العذاب في طول الطريق وحده ولكن في تحمل ما بالرحلة من مصاعب يذللها الخلق الإسلامي الداعي إلى التسامح واللين والرفق، لذلك كانت رحلة الحج في نظر الأخلاقيين ميدانا فسيحا للتجربة، وعلى الحاج أثناء ذلك أن يختبر احترامه لأخلاق الإسلام وقوانينه، فعليه وهو يقصد البيت العتيق أن يكون مسلما من مفرق رأسه إلى أخمض قدمه، لا يصدر عن غير أخلاق الإسلام، وإذا تعود ذلك في رحلة الحج فإنه سيعود إلى بيته وأهله وقد اكتسب السلوك الإسلامي الصحيح، وتخرج في مدرسة خلقية نظيفة ترعى المروءة وتتجه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستتة بهدى الإسلام.

فإذا ما انتهت مسافة الطريق ووجد المسلم نفسه في مكة فإن هذه الربوع الطاهرة ستذكره أقوى التذكر بصاحب الدعوة الإسلامية في مسارح صباه وأماكن شبابه، فهو يستعيد مما يعلم شريطاً حياً يريه أماكن النبوة متجسدة مجسمة، وفي هذا من إيقاظ الخلق، وصحوة الضمير ما يرتفع بمستوى المسلم من عصره الراهن إلى أرقى عصور الإيمان في صدر الإسلام، فالبيت الحرام بمكة يُذكر الحاج برواح صاحب الدعوة ومغداه إليه، وما كان يأمر به أصحابه من عبادة وخشوعٍ وها هو ذا الصفا وها هي تلك المروة، وها هو ذا غار حراء: فكل هذه المشاهد تسمو بنفس المسلم البصير إلى أفق من الصفاء النفسى فهو يطاء أجمل أرض حملت أشرف

الدعوات وأنجبت أكرم الخلق، وهو يستعرض ما تحمل صاحب الدعوة في هذه الربوع من أذى الشرك وعفونة الكفر فصبّر وصابر، وتحمل كل شاق في سبيل مبتغاه!

وإذا كان الله - عز وجل - يقول:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١).

فإن كل شبرٍ في أرض مكة يذكر المسلم الدارس بخلق حيٍّ من أخلاق الرسول فيحاول أن يحتذيه في سلوكه المثالي لقد ترك وطنه وبلاده ليكون صورةً كاملة للمسلم الذي أدى الفريضة



لعلاج الأدواء المتأصلة أعظم من مكاشفة صريحة في مكان رُوحى تغمره الرحمات، وتصعد فيه المناجاة الخالصة صادقةً إلى السماء: بل أى سعادة يشعر بها الفرد فى إطوائه حين يجد نفسه لَبَنَةً قوِيّة فى جدار قوى لا تزلزله العواصف، ثم يرجع الى أهله أشدّ تمسكاً بدينه وأقوى دراية بإخوانه وأوسع معرفة بعصره ومن وراء ذلك كله سموّ مكانته لدى نفسه وحرصه على التمسك بآداب شرّعه، وفضائل قرآنه وارتفاعه بمستواه الخلقى إلى أوج مثالى معطّار، فإذا تجرّد من ملابسه ووقف مع الجموع الزاخرة بملابس الإحرام فقد لمس المساواة الصحيحة بين الناس على مُختلف المستويات إذ لا تتضح هذه المساواة فى شعيرة إسلامية كما تتضح فى حج البيت العتيق، ففي الصلاة مثلاً قد يقف المسلمون صفوفًا صفوفًا فى صلاة الجماعة وفى مشاهد الجمعة ولكنّ ملابس الفقير تدلّ عليه وملابس الغنى تظهر مستواه المادى وهو بجانب صاحبه فإذا تساوى معه فى المكان فقد بدت فروق أخرى واضحة للعيان وفى الصوم قد يتساوى المسلمون معاً فى الانقطاع عن الطعام والشراب فى وقت معلوم يبتدىء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ولكنهم لا يتساوون فيما يأكلون من الزاد ويتناولون من الشراب، فلكل إنسان الطعام المناسب والنظام الخاصّ أما الحج فقد طبّق المساواة بجميع شرائطها فلكل محرّم لباسٌ يرتديه مكشوف الرأس، يجأر بتلبية واحدة ويضج بهتاف واحد ويسير فى ركب واحد ليؤدى مناسك متّحدة لا يَلْتزمُ بها فردٌ دون فرد، فالسعى والطواف والوقوف بعرفات والمبيت بمنى ورمى الجمار كلُّ أولئك مما يؤدّيه الناس جميعاً

الخامسة وهى خاتمة العبادات فى النسق التعبيرى لأحاديث الرسول، فإذا كان قد حج البيت ووطئت أقدامه تُراباً حمل رسول الله، وشمّ هواءً تنفّس فيه كرام الصحابة، فكل ذلك مما يرتفع بشخصه إلى مستوى المسلم الحى صاحب الرسالة النظيفة والهدى القويم، وبعد حين يقف بعرفات فيجتمع بمئات المسلمين من شتى الممالك والأجناس والألوان ويسمع هدير التلبية ينعش روحه ويبهج وجدانه، فيحسّ أنّه ليس وحيداً فى العالم وأن آلاف الآلاف يشاركونه عقيدته الصحيحة عن وعى وإيمان فيزداد يقينه ثباتاً ورسوخاً، فإذا امتد بساط الحديث بين المسلم والمسلم فقد وقف على طبائع جديدة وعادات طريفة لأناس يسمع عن بلادهم ولا يراهم رأى العين فى غير موسم الحج، وإذا كان المسلم أخ المسلم فى كل مكان فإنّ هذه الأخوة تدفع المسلمين فى هذا المؤتمر الإسلامى الطبيعى إلى التعاطف والتشاكى وطرح الآمال وشرح الآلام، ومن هنا كان الحج مؤتمرًا عالمياً واسع الرقعة ينظم المسلمين فى سلسلة متصلة الحلقات فيتعارفون ويتعاونون ويتساندون، وذلك مكسب تعاونيّ يُقدّره الأخلاقيون حق تقديره ويدعون إليه بكل ما وسعهم من الأدلة والبراهين، فإذا كان الحج ميداناً لهذا المؤتمر الإسلامى فإنّ - الله عز وجل - كان أدرى بحاجات البشر حين دعا إلى عقده فى كل عام، وحين جعل أفئدة من الناس تهوى إلى البيت الحرام ليشهدوا منافع لهم وليذكروا اسم الله فى أيام معدودات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام. وأى منفعة أقوى من تساند المسلمين وتعارفهم فى يوم مجموع له الناس، وأى طبّ



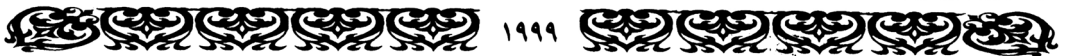
حكيمته كرمى الجمار وتقبيل الحجر مما يُحسب فى باب الأمور التعبدية، وقد حاول كثير من العلماء افتراض علل لهذه الأشياء، ولكن العقيدة فى المعيار الخلقي ترتفع عن الشبهات فإذا اعتقد المسلم صحة دينه اعتقاداً لا يتطرق إليه الشك. فإن ما يخفى عليه من علة بعض المناسك يدفعه إلى الإيمان المطلق بها اعترافاً بقصور عقله، وانخفاض تفكيره عن مستوى الإدراك الطبيعى لعل هذه الأشياء، والمؤمن الحقيقى هو من يقوم بهذه المناسك معتقداً حسنّها وأفضلّيّتها، ولا عليه إذا خفيت عليه حكمتها، فقد يأتى يوم يتضح للخلق أشياء اشتبهت على من قبله من السلف، وما زال العقل لأمر الله تلميذاً يحاول الصعود إلى مستوى التعليل والتحليل، فيصيب تارة، ويقف تارة دون الصواب، وصاحب العقيدة الصلبة فى مآمن من كل هاجس، وهو لدى علماء الأخلاق مثال طيب للمؤمن المطمئن الذى يجد من إيمانه مرفأً تصل إليه السفينة آمنةً وأدعة، ولولا قوة اليقين لزلت قدم بعد ثبوتها، ومن هنا كان نظر الأخلاقيون للأموال التعبدية فى الحج وفى غيره نظراً حاسماً يجزم بالإذعان المطلق دون تخرج والتواء.

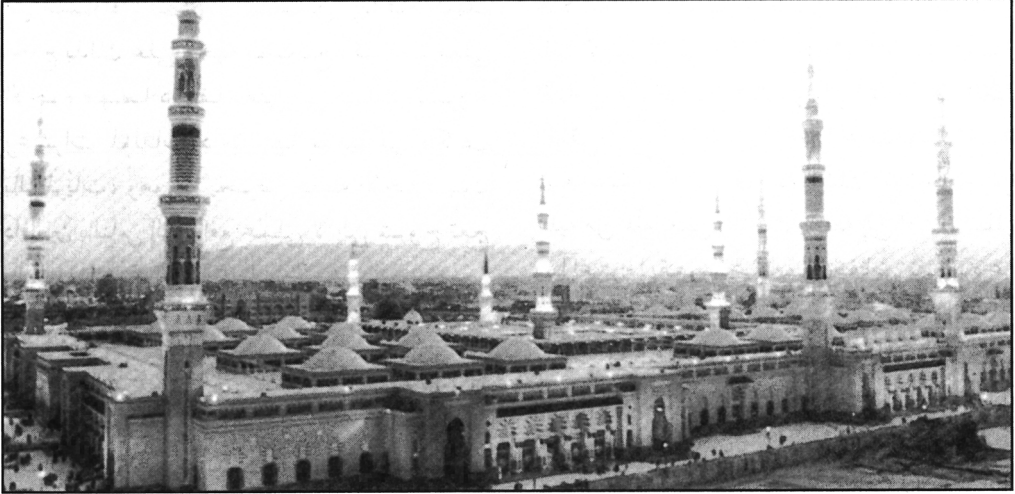
هذا بعض ما يقال عن النظرة التربوية للحج باعتباره هدفاً حقيقياً تعقبه الراحة النفسية من ناحية ويضئ بالسلوك الطيب على صاحبه فيصّبح أَمْوُذَجَ الرَّجُلِ الْعَالَمِ ذِي النِّفْعِ الطَّيِّبِ وَالسَّعْيِ النَّبِيلِ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٢).

فى مساواة لا تعرف التفضيل وإذا قام المسلم الحاج بذلك على وجهه الصحيح فقد فهم معنى الأخوة فهماً دقيقاً يغنى عن مئات الشروح وعشرات المؤلفات إذ مارسها عملياً غير مكتفٍ بالنظريات، وهو ما يحرص عليه الأخلاقيون دافعين بالناس إلى واقع عملي لا إلى شروح تعجّ بالتعريفات وتوَجُّج بالنظريات.

فإذا رجع المسلم من حجه وقد أدّاه أكرم أداء، اعتقد فى ذات نفسه أنه أصبح مغفور الذنب وأنه استجاب إلى داعي الله ليمحو عنه ما أسلف من الخطايا والأوزار، وهو بذلك قد صار نقى الصحيفة طاهر العرض، وهذا الشعور القوى بطهارته يدفعه إلى التمسك بالفضائل ليزداد فضلاً على فضل ويحول بينه وبين الرذائل كي لا يسود صحيفته بذنوب جديدة، وإذن فقد كسب سلوكاً جديداً ينأى به عن المحارم وينجو معه من الشبهات وكأنه يقارن بين أمسه قبل الحج ويومه بعد الحج فيرى درجته قد ارتفعت إلى أفق لا يجوز معه الهبوط والإسفاف، وإذا أحسن المسلم ذلك عن يقين فقد سلم من رذائل السقوط ونأى عن مكيدة الشيطان وبعبارة أخرى فقد استجاب إلى فضائل الخلق الإسلامى وأصبح من الوجهة السلوكية مسلماً بصيراً تحليه المروءة ويزينه الشرف، وبضيئه الإيمان وإذا كانت صلابة العقيدة مما يهتم به الأخلاقيون فى الإسلام ففي مناسك الحج ما يؤكد هذه الصلابة ويجعلها صخرة متماسكة لا تزعزعها ريح الشك لأن الإسلام هو الانقياد الممثل لما جاء به الرسول عن ربه، ومما جاء به ما يرتفع عن العقول فى إدراك





في أرض النبوة

للأستاذ / محمود غنيم

من وحي زيارة الشاعر للأراضي المقدسة حين حج في عام ٦٨م، أنشد هذه القصيدة المعبرة عن عاطفته الدينية الأصيلة:

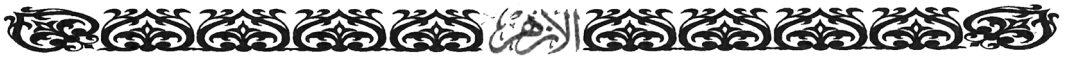
لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا آنَ، وَلَا وَاوِي^(١)
سَمِعْتُهُ بِجَنَانِي لَا بَأَذَانِي^(٢)!
مَوْجُ الْأَثِيرِ حُرُوفاً وَهُوَ رُوحَانِي؟
وَصَيْبٌ مِنْ دَمْعِ الْعَيْنِ هَتَّانِ^(٣)

صَوْتُ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلُوِّ نَادَانِي
مَا أَعَذَبَ الصَّوْتُ! مَا أَشْجَاهُ مِنْ نَعَمٍ
وَكَيْفَ تَسْمَعُهُ أُذُنٌ، وَيَحْمِلُهُ
لَبَّيْتُهُ بِفُؤَادٍ مَلُؤُهُ وَجَلٌ

(١) انى أنيا كجتي جُنُباً وَرَضِي رَضَى: تأخر وأبطأ، وَأَن: متأخر، ووَان: ضعيف متكاسل.

(٢) سَمِعْتُهُ بِجَنَانِي لَا بَأَذَانِي: الصيب: المطر، والهتان: الغزير.

(٣) هَتَّانِ -بفتح الجيم-: القلب والرُّوح.



كيف الوقوفُ على باب الرسول، وفي دار النبوة، ذنبي عنك أبعَدني لم يَدِرْ قَدْرُكَ مَنْ فِي ذاتِ أجنحة هلاً أتيْتُكَ سياراً على قدمي ما غبت عني، وإن لم يمتلئ بصرى قد كنت ألقاك في لُوحى، وفي كُتبي ما زلت رسماً جميلاً في مُحَيَّلتي كأننى لستُ ضيفاً عند أهلك، بل وما طَرِبْتُ لِلْحَنِّ ليس يذكُر لى الله يعلم كم حركت فى خلدى كم فى دُرُوبِكَ من درب أصَلَّختُ له لى من صعيدك أفواه، وألسنة يا جيرة الحرمين الآمنين، لكم الله أورثكم مَجْداً يقرُّ به والله شرف مغناكم، وشرفكم ما للشراب وردنا ماء زمزمكم بالله، لا تُترعوا من مائها قدحى هنا رحيق، عتيق، حل مشربه هنا مفاتيح أغلاق السماء، هنا هنا بنى المصلح الأميُّ جامعةً على قواعده من هدى النبوة، لا وكيف لا ورسول الله منشؤها؟ ما كان طلابها إلا شرادِم من

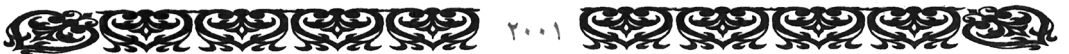
يدى صحائف زلَّاتى وعصيانى؟ وحُسْنُ ظَنِّى برَبِّى منك أدنانى أتى يزورك، أو فى ذاتِ سُكَّان^(٤) أوطار من حرِّ شوقى بى جناحان؟ من أهلك الصَّيد أو من ربِّع الغانى^(٥) وفى سطور أحاديثى، وقرآنى حتى كأننا التقينا منذ أزمان هم فى ربوعهم الفيحاء ضيفانى ما فيك من علم، أو فيك من بان من ذكريات، وكم هيَّجت أشجاني! كأنه بحديث الأمس ناجانى بقدر ما فيه من رمل، وكُثبان أهدى التحيّة من رُوح وريحان قبل الحبيب لسان الحاسد الشانى^(٦) خير البقاع أقلَّت خير سُكَّان بل للطهارة من رجس وأدران بل فاغْمروا جسدى منها بطوفان^(٧) فـيـه طهارة أرواح وأبدان باب الوصول إلى جنّات رضوان على أساسين من: علم، وعرفان على قواعده من صَخْر وَصَفْوان جلّ البناء، وجلّ المنشئ البانى! رعاة إبل،، ومن عباده أوثان

(٤) ذات أجنحة: كناية عن الطائرة، وذات سكان: كناية عن السفينة، والسكان: الدفة.

(٥) الصيد: جمع أصيد، وهو الشريف العظيم.

(٧) لا تترعوا: لا تملثوا، والقدح: الآنية.

(٦) الشانى - أصلها الشانى -: المبغض الكاره.



رَبِّي الْعَتِيقُ أَبَاكَرُ بِهَا، وَأَبَا
طَلَّابُهَا فِي رُبُوعِ الْعَالَمِ انْتَشَرُوا
وَسَمَحَةَ مِنْ سَمَاءِ اللَّهِ مُنْزَلَةً
فِيهَا تَخْرُجُ سُورُ الْبَرِيَّةِ مِنْ
سَاسُوا الشُّعُوبَ بِأَحْكَامِ الْكِتَابِ؛ فَمَا
سَمَاحَةً عُرِفَ الدِّينُ الْخَفِيفُ بِهَا
مِنْ كُلِّ مِسْعَرٍ حَرْبٍ يَوْمَ مَعْرَكَةِ
أَجْلَهُمْ كُلُّ ذِي عِلْمٍ وَفِلَسْفَةٍ
«اللَّهُ أَكْبَرُ» كَانَتْ سِرْقَتُهُمْ
شَادَ الْبُدَاةُ حَضَارَاتِهَا، وَبِهَا
لَا حَصْنٌ قِیَصَرُ أَغْنَى عَنْهُ زَحْفُهُمْ
وَالْأُمُورُ لِلَّهِ، دَارَ الدَّهْرِ دَوْرَتُهُ
قَدْ جَالَ فِي أَمْسِهِمْ فِكْرِي؛ فَأُضْحَكُنِي
يَا وَيْحَ قَوْمِي! نَسُوا اللَّهَ الْكَبِيرَ، فَلَمْ
يَأْرَبْ، شَعْبُكَ يَشْكُو مَا أَحَاطَ بِهِ
أَدْرَكَ بِلُطْفِكَ شَعْبًا غَطَّى فِي وَسْنِ
يَا سَيِّدَ الرُّسُلِ، لَمْ أَنْشُدْكَ مُمْتَدِحًا
وَمَا عَلَيَّ - إِذَا أَنْشَدْتُ - مِنْ حَرْجٍ
لَمَّا رَأَيْتُ الْقَرَابِينَ الَّتِي قَدِمْتُ
لَوْ اسْتَطَعْتُ، نَظَّمْتُ الشَّعْرَ مِنْ بَصْرِي
يَهُونُ عِنْدِي إِنْ أَكْسَبَ رِضَاكَ بِهِ
بَلْ دُونَ نَظْمَةٍ عَطَفَ مِنْكَ وَاحِدَةً
إِلَى لِأَطْرُقُ بَابَ الْمِصْطَفَى بِيَسْدٍ
وَأَبْسَطُ الْكُفَّ أَسْتَجِدِّي رِضَاهُ، وَمَا

حَفْصُ، وَرَبِّي عَلِيًّا، وَابْنُ عَفَّانٍ
مُبَشِّرِينَ بِإِصْلَاحٍ وَعُمُرَانِ
وَمُحْكَمٍ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ رَبَّانِي
أَدْنَى الْخَيْطِ إِلَى أَقْصَى خُرَاسَانَ
أَحْسَ شَعْبٌ بِجَوْرٍ، أَوْ بَطْغِيَانِ
مَا فَارَّقَتْ بَيْنَ أَلْوَانٍ وَأَدْيَانِ
وَكُلُّ نَابِغَةٍ فَذٌّ وَفَنَّانٌ^(٨)
وَهَابَهُمْ كُلُّ ذِي جَاهٍ وَسُلْطَانِ
عَلَى الْجَبَابِرِ مِنْ فُرسٍ وَرُومَانِ
ثَلُّوا عُرُوشًا، وَسَلُّوا دُرَّ تَيْجَانِ^(٩)
وَلَا احْتَمَى مِنْهُمْ كَسْرِي بِأَيَّوَانِ
فَأَصْبَحَ الْقَوْمُ شَاءَ بَيْنَ ذُؤْبَانِ!
وَجَالَ فِي يَوْمِهِمْ فِكْرِي؛ فَأُبْكَاْنِي!!
يَذْكُرُهُمُ اللَّهُ، نَسِيَانٌ بِنَسِيَانِ!
مِنْ الْخُطُوبِ، فَأَدْرَكَ شَعْبَكَ الْعَانِي^(١٠)
عَلَى تُخُومِ عَدُوٍّ غَيْرِ وَسَنَانِ^(١١)
فَأَنْتَ فَوْقَ مَزَامِيرِي وَالْخَانِي
كَمْ كُنْتَ تُصَفِّي إِلَى إِنْشَادِ حَسَّانِ
بِهَا الْوَفُودُ، جَعَلْتُ الشَّعْرَ قُرْبَانِي
وَنُورَ قَلْبِي، وَبَعْضَ الشَّعْرِ نُورَانِي
مَا نَالَ أَحْمَدُ مِنْ كَفِّ ابْنِ حَمْدَانَ
مَلِكِ السَّمَاءِ وَمَلِكِ الْأَرْضِ فِي آنِ
بِيضَاءٍ لَمْ تَتَعَوَّدْ طَرُقَ بَيْبَانَ
بَسَطْتُ كَفِّي لَذِي مَنْ وَإِحْسَانَ

(٨) مسعر حرب: موقد نارها.

(٩) البداوة: جمع البادية؛ وهو من يسكن البادية.

(١٠) العاني: الأسير، أو المرهق الذي أصابه العناء.

(١١) التخوم: جمع تخم، وهو الحد بين البلاد والدول.



وَأَسْفَحُ الدَّمْعَ سَهْلًا فِي حِمَاهِ، وَكَمْ
لَا أَكْتُمُ اللَّهَ مَا أَسْلَفْتُ مِنْ زَلَلٍ
إِذَا جَوَارِحِي الْآتِي جَنَتْ شَهْدَتْ
جَاهَدْتُ، يَارَبِّ، أَعْدَائِي فَمَا وَهَنْتَ
إِنْ عَدْتُ مِنْ حَرْبِهَا الشُّعْرَاءُ مُنْتَصِرًا
وَالنَّفْسُ أَفْتَكُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ سَبْعٍ
مَاذَا أَقُولُ؟ أَقُولُ اللَّهُ: قَدَّرَ لِي
أَوْ أَدْعَى أَنْ لِي أَمَّارَةً أَمَرْتُ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ! ذَنْبِي لَسْتُ أَجْحَدُهُ
يَارَبِّ، إِنْ لَمْ تَقُلْ ذَا عَثْرَةٍ، فَلِمَنْ
لِمَنْ بَنَيْتَ جَنَّاتِ الْخُلْدِ دَانِيَةً
لِذَاتِكَ الْعَصْمَةَ الْكُبْرَى بِهَا انْفَرَدْتَ
وَأَنْتَ أَحْنَى عَلَى الْعَاصِينَ أَنْفُسِهِمْ
مَا زَادَ فِي مُلْكِكَ الْأَوَّابُ خَرْدَلَةً
يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ الْجَانِي، وَمَنْ زَرَعَتْ
وَمَنْ أَكُونَ بِكَوْنِ أَنْتَ مُبْدِعُهُ
أَمْ ذَرَّةٌ فِي فِضَاءٍ لَا يُحْسُ بِهَا
سَبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ الْأَسْرَارَ أَجْمَعَهَا
وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي مِنْ جَهَالَتِهَا
يَارَبِّ، إِنْ كُنْتُ قَدْ قَصَّرْتُ فِي نُسْكَى
مَا جَاءَنِي فِيكَ شَيْطَانِي يَشْكُكُنِي
وَكَيفَ لَا، وَرَسُولُ اللَّهِ بَيْنَتِي

كَفْتُ عَنِ الدَّمْعِ يَوْمَ الرُّوعِ أَجْفَانِي^(١٢)
وَهَلْ يَغْطِي عَلَيْهِ طَوْلُ كَتْمَانِي؟
بِمَا جَنْتُ، كَانَ إِقْرَارِي كُنْكَرَانِي
قَوَايَ، لَكِنْ جِهَادُ النَّفْسِ أَعْيَانِي
حِينًا، فَكَمْ عَدْتُ أَحْيَانًا بِخَذْلَانِ!
ضَارٍ، وَأَرْدَى لَهُ مِنْ نَابِ ثَعْبَانِ
إِنْ شَاءَ أَسْعَدَنِي، أَوْ شَاءَ أَشْقَانِي
أَوْ أَنْ شَيْطَانِي الْبُشْرِيَّ رَغْوَانِي^(١٣)
لَكِنْ عَلَى الْغَيْرِ يُلْقَى التَّهْمَةُ الْجَانِي
مَا فِي جِنَانِكَ مِنْ حُورٍ وَوِلْدَانِ؟
قَطُوفُهَا، ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَفْنَانِ؟
وَعَصْمَةُ النَّاسِ مِنْ زُورٍ وَبُهْتَانِ
مِنْ كُلِّ أُمَّ رَعُومٍ، أَوْ أَبِ حُحْنَانِ!
أَوْ نَالَهُ الْمَذْنِبُ الْعَاصِي بِنُقْصَانِ^(١٤)
يَمِينُهُ الْخَيْرُ فِي الدُّنْيَا هُوَ الْجَانِي!
أَقْطَرَةُ بَيْنِ أُمِّجِجٍ وَشُطَّانِ؟
لَمْ أَدْرَ مَا كُنْهَهَا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي؟
وَسِرُّهُ هُوَ أَعْيَا كُلِّ إِنْسَانِ!
جَهْلِي، وَعَلْمِي بِجَهْلِي كَمْ أَرَا حَانِي
فَمَا تَسَرَّبَ شَكٌّ نَحْوَ إِيمَانِي^(١٥)
إِلَّا وَعَادَ بِثُوبِ الْخَزْيِ شَيْطَانِي
وَحَجَّتِي أَنْتَ، وَالْقُرْآنَ بَرَهَانِي؟

(١٢) أسفح الدمع: أرسله منهما، وسفح الدمع سفحا وسفوحاً: انصب، والروع: الفزع.

(١٣) النفس الأمارة: التي تأمر صاحبها بالسوء، وتزينه له، وأغواه الشيطان: استهواه، وأضله.

(١٤) الأواب: العابد، والذي يرجع إلى ربه من قريب، ولا يتمادى في الذنوب.

(١٥) النسل: العبادة.



يَارَبُّ يَوْمَ نَهَانِي فِيهِ خَوْفُكَ عَنْ
وَرُبَّ يَوْمٍ كَبَحْتُ النَّفْسَ عَنْ عِبَتِ
وَرُبَّ مَعْصِيَةٍ لَمْ آتِهَا وَرَعَا
وَلَا أَمُنُ عَلَى رَبِّي بِطَاعَتِهِ
عَصِيَانُ رَبِّكَ ذَنْبٌ وَاحِدٌ، فَإِذَا
لَبَّيْكَ، يَارَبِّ، لَا أَلُوكُ تَلْبِيَةَ
سَيِّئَانٍ: إِنْ أَقْضَى، أَوْ أَرْجَعْ إِلَى وَطْنِي
فَإِنْ أَعْدْتُ عَدْتَ مُغْفُورِ الذَّنُوبِ، وَإِنْ
لَيْسَ التَّشَبُّثُ بِالْأَوْطَانِ مِنْ أَرَبِي
كَهَفْتُ بِأَرْضِ رَسُولِ اللَّهِ أَرْوَحُ لِي
فِيمَ الْقَبَابِ عَلَى الْأَمْوَاتِ نَنْصِبُهَا؟
الْخَامِلُونَ مِنَ الْأَحْيَاءِ كَمْ طَلَبُوا
لَا تَبْتَغُوا الْمَجْدَ مِنْ تَشْيِيعِ مَيِّتِكُمْ
يَا رَبُّ، قَدْ عَشْتُ فِي دُنْيَايَ مَغْتَرِبًا
حَاشَاكَ، يَارَبُّ. فِي أُخْرَايَ تَحَرَّمْنِي
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ كُفْرَانِ نِعْمَتِهِ
أَلَمْ يَجِدْنِي أَخَا غِيٍّ فَأَرْشَدْنِي؟
أَلَمْ يَجِدْنِي أَخَا جَهْلٍ فَعَلَّمَنِي؟
وَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الدُّنْيَا وَزَخْرَفُهَا؟
وَمَا أَبَالِي بِمَا فِي الْكَوْنِ أَجْمَعِ
لَبَّيْكَ مِلءَ فَمِي، لَبَّيْكَ مِلءَ دَمِي
إِلَيْكَ شَفَعْتُ مِنْ تُرَجِّى شَفَاعَتَهُ

لَهُو، وَغَيْرِي يَلْهُو بِابْنَةِ الْحَانَ^(١٦)
فِيهِ، وَكُنْتُ شَبَابًا بَيْنَ شَبَابَانِ
وَالنَّفْسُ تَأْمُرُنِي، وَالدِّينُ يَنْهَانِي^(١٧)
إِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ كُلِّ مَنَانٍ
يُئْسِتُ مِنْ عَفْوِهِ، فَالذَّنْبُ ذَنْبَانِ
حَتَّى تَمُنَّ عَلَيَّ ذَنْبِي بِغُفْرَانِ^(١٨)
مَا دُمْتُ تَشْمَلُنِي بِالْعَفْوِ، سَيِّئَانِ
أُمْتُ فَصَحْبُ رَسُولِ اللَّهِ جِيرَانِي
كُلُّ الْبِلَادِ -بِلَادِ الْعَرَبِ- أَوْطَانِي
مِنْ قُبَّةٍ ضُرِبَتْ فِي ظِلِّ بَسْتَانٍ
يَكْفِي الدِّفِينَ بِجُوفِ الْأَرْضِ شَبْرَانِ^(١٩)
عَلَى حَسَابِ دَفِينٍ رَفَعَةَ الشَّانِ
أَوْ الْمَغَالَاةَ فِي قَبْرِ وَأَكْفَانِ
وِيَلَاهُ إِنْ أَغْتَرِبْتُ فِي الْعَالَمِ الثَّانِي!
يَارَبُّ، حَسْبِيَ فِي دُنْيَايَ حَرْمَانِي
بَلْ فَوْقَ مَا أَسْتَحِقُّ اللَّهُ أَعْطَانِي
وَهَائِمًا غَيْرَ ذِي مَأْوَى فَأَوَانِي؟
وَعَائِلًا غَيْرَ ذِي وَجْدٍ فَأَغْنَانِي؟
شَاهَتْ وَلَوْ أَنَّهَا دُنْيَا سَلِيمَانِ!
إِنْ صَحَّ مِنْهُ الرِّضَا عَنِّي وَأَرْضَانِي
لَبَّيْكَ يَارَبِّ مِنْ قَلْبِي وَوَجْدَانِي
يَارَبِّ، إِنْ خَفَّ يَوْمَ الْحَشْرِ مِيزَانِي

(١٦) ابنة الحان: كناية عن الخمر، والحانة: موضع بيعها.

(١٧) رب في هذا البيت والبيتين قبله -للتكثير، أى أنه كان كثير الخوف، وكثير كبح النفس، وكثير الطاعة.

(١٨) لا ألوک تلبية: لا أقصر في الإقبال عليك والاستجابة إليك.

(١٩) ينكر الشاعر أن تُنصَّبَ القباب على الأموات أسوة بأهل السنة، وذلك مخافة أن يصاب مقدسو هذه القباب بلوثة من الوثنية.





أسرار علمية في ألفاظ قرآنية

الزَّحْمُ وَالنَّخْرُ.. في القرآن الكريم

د. أساذ الدكتور / عفيفي محمود عفيفي (*)

[الشراء اللفظي من أبرز ميزات اللغة العربية التي شرفها الله بأن جعلها وعاءً لمعانى أكمل كتبه وأشملها ألا وهو القرآن المجيد.. ومن مظاهر حسن استغلال هذا الشراء في التعبير القرآني: استعمال لفظين أو أكثر للدلالة على شيء واحد على التعميم ولكنه متعدد الوجوه على التخصيص.. مع اختلاف الألفاظ المستعملة في مبناها بما يتفق مع أوجه معناها.. وبهذه المقدرة المتفردة تحدى القرآن - وقت نزوله - أفصح فصحاء العرب فأعجزهم.. ثم جاءت العلوم الحديثة بعد ذلك بأكثر من ألف عام لتكشف عن المزيد من أبعاد هذا الإعجاز.]

(*) الأستاذ بكلية العلوم بجامعة المنصورة والخبير البيولوجي بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.



الذبح والنحر من أشباه المترادفات

والمقصود بأشبه المترادفات الألفاظ التي تشترك في معنى عام، ولكن يندرج تحته مفاهيم خاصة لا يعبر عن كل منها إلا واحد من أشباه المترادفات .. وفي حالتنا هذه يشترك اللفظان في التعبير عن عملية الإجهاز على الحيوان بفصل رأسه عن بدنه عن طريق جز رقبتة . والفرق الجوهرى بين الذبح والنحر هو أن الأول أوسع فى دلالتة إذ أن معناه يشمل العملية بأكملها: أيًا كان الهدف منها، والأسلوب الذى تجرى به ونوع الذبح، ولعل هذا هو السبب فى كون لفظ « ذبح » أكثر استعمالا بين الناس وأكثر ورودا فى القرآن كما يتضح من الأمثلة التى سنوردها بعد أن نضع بين يديّ القارئ بعض الحقائق العلمية الأساسية المتعلقة بالموضوع .

معبر الحياة بين الرأس والجسد

هو العنق الذى عن طريقه تمر مقومات الحياة وهى: ١- الهواء عن طريق الحنجرة (وجزء من القصبة الهوائية فى الإبل والأوز والنعام وغيرها من طوال الأعناق) .

٢- الطعام والشراب عبر البلعوم (وجزء من المريء فى طوال الأعناق) .

٣- الدم الذى يضخه القلب إلى الرأس عبر شريائين رئيسيين غائرين فى لحم العنق، ويعود عبر وريدين رئيسيين تحت الجلد

مباشرة أسفل الصدغين .

٤- الإشارات العصبية الصادرة من مراكز الحركة فى الدماغ (المخ) إلى العضلات، عبر الحبل الشوكى الممتد داخل نفق يخترق سلسلة الفقرات .

(مع ملاحظة أن هذه الممرات قد ذكرت بترتيب وضعها فى العنق بدءاً من السطح الأمامى إذا كان العنق قائماً وهو نفسه السطح البطنى إذا كان العنق أفقياً) .

نهر يجرى بأسباب البقاء والفناء

هو الدم: ذلك السائل النفيس الذى ينساب فى عروق كل فرد حيٍّ - إنسانا كان أم حيوانا - ويتغلغل فى أعضائه وأحشائه حاملاً معه الأكسجين والغذاء وغيرهما من المواد النافعة، لتأخذ كل خلية ما تحتاج إليه لمزاولة نشاطهما الحيوى، وفى اللحظة ذاتها تلتف فى تياره ما تولّد فيها - نتيجة لهذا النشاط - من مواد ضارة، فيحملها إلى أعضاء الإخراج لتستخلصها منه وتطرّد أولاً بأول خارج الجسم .

وفى تيار الدم تسبح ملايين الخلايا التى تقتل الميكروبات الضارة التى قد تتسلل إليه، وتلتهمها وتحلل مادتها .. وهكذا يمكن القول باختصار شديد - أن الدم يغذو كل خلايا الجسم ويرويهها ويغسلها ويحميها (مادام متجدد التيار دوّاراً فى حنايا جسم حيٍّ) ..



● الآية ٦٧ من سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾

والذبيح هنا حيوان من الأنعام، ولكن الهدف من الذبح هو اختبار صدق إيمان أتباع موسى وإتيانهم بمعجزة حسية وهى إحياء قتيل بضربه بجزء من بقرة فارقتها الحياة على أيديهم، ليقوم ويدلهم على قاتله (وهذا وارد فى الآية ٧٣ من نفس السورة).

● الآية ٢١ من سورة النمل:

﴿لَا عَذِيبَةَ لَهُ، عَذَابٌ شَدِيدٌ أُولَئِكَ أُذِيبَتْهُ﴾

والمستهدف بالذبح هنا نوع من الطير وهو الهدهد، والهدف من الذبح هو عقابه على تهمة ظنية هى غيابه بدون إذن من مجلس نبي الله سليمان - عليه السلام.

● الآية ١٠٢ من سورة الصافات:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ
إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَازِلِ آيَاتِكَ﴾

الذبيح هنا بشر وهو فلذة كبد المأمور بالذبح، والهدف ذو شقين: الأول هو الابتلاء كما هو واضح من الآية ١٠٦:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾، والشق الثانى هو سن القربان كشعيرة إسلامية تبقى لآخر الزمان، وهذا واضح فى الآية التالية مباشرة:

﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾

* ولعل هذه الأمثلة القليلة كافية لتوضيح

وأن الدم والحياة قربان متلازمان إن توقف أحدهما توقف الآخر فوراً.

وتوقف الدم معناه تراكم المواد الضارة فيه، وموت خلاياه يفسح الساحة للميكروبات كى تغتذى بمادته وخلاياه الميتة وتشكل بسرعة فائقة منتجة ملايين متضاعفة تفرز سمومها لتضاف إلى ما فى الدم أصلاً من سموم داخلية، وبهذا يتحول من نهر يحمل فى تياره كل أسباب الحياة إلى مستنقع فاسد يعج بكل أسباب الهلاك (ولعل هذا هو أحد الوجوه الظاهرة لحكمة الإسلام فى تحريم الدم والميتة كطعام، وهى قضية تحتاج إلى دراسة مستقلة).

آيات ورد فيها لفظ «ذبح»

ورد لفظ «ذبح» ومشتقاته فى مواضع عديدة من القرآن الكريم نكتفى بإيراد بعضها كأمثلة تعين على فهم مختلف وجوه القضية التى بين أيدينا.

● الآية ٤٩ من سورة البقرة:

﴿وَإِذْ يَخْتَلِفُ أَعْيُنُكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ
الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾

الذبيح فى هذه الآية بشر، والهدف من الذبح هو قطع دابر بنى إسرائيل قبل أن يخرج من ذريتهم نبي يهدى آل فرعون إلى الله الواحد فيحرم فرعون من ربوبيته المزعومة.



يشبه النقرة الصغيرة التى يمكن تحسُّس أبعادها وحدودها، ويسهل النفاذ إليها باختراق الجلد .. وهذه المعلومة قد لاحظها من قديم الزمان رعاة الغنم فاتخذوا هذا الموضع منفذا سهلا للسكين عند ذبح الشاة؛ ومن هنا أطلق العرب لفظ المكان على الفعل نفسه فقالوا: «نحر الشاة نحرا أى ذبحها من نحرها.

● وتأسيساً على ذلك يمكن الاطمئنان إلى القول بأن النحر هو الخطوة الأولى فى عملية الذبح إن استهدفنا إتمام هذه العملية فى سهولة على الذابح ورفق بالذبيحة، إذ إن السكين تمر بخفة وسرعة بين الترقوتين. لتشق طريقا ممهدا بين غضاريف القصبة الهوائية والحنجرة، ومع تحريك السكين يمينا وشمالاً تقطع الوريدين العنقيين فينبثق منهما الدم بقوة الضخ الصادرة من القلب الواقع على هذا السطح من الجسم قريبا من موضع النحر. أما إذا بدأ الذبح من جهة القفا فالسكين تحز فى جلد سميك تحته طبقة من اللحم، ثم تصطدم بالهيكل العظمى لإحدى فقرات العنق، فإن تحاشاها الذابح دخلت السكين بين فقرتين لتعالج تمزيق قرص ليفى شديد المقاومة .. كل هذا قبل أن تصل السكين إلى الوريدين العنقيين .. وفى هذا ما فيه من عناء وتعذيب للذبيحة .. وحتى فى المجازر الآلية حيث تتوفر الأسلحة البتارة (وهذا

أن معنى الذبح يشمل اختلاف نوع الذبيحة والهدف من الذبح؛ أما عن الطريقة التى تم بها فليس بين أيدينا ما ينم عنها إلا فى الحالة الأخيرة، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى فى الآية ١٠٣ من نفس السورة:

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمُوا ثَلَأُوا لُجَجِينَ ﴾ .. التى يقول المفسرون إن الذبيح كان مُكباً بوجهه فى حجر الذابح حتى لا تلتقى أبصارهما فتأخذ الأب الشفقة بولده فتثنيه عن تنفيذ أمر ربه.

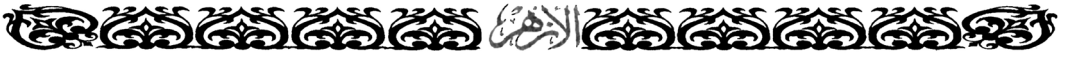
لفظ «نحر» فى القرآن

* لم يرد لفظ «نحر» ومشتقاته فى القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وذلك فى الآية الثانية من سورة الكوثر حيث يقول سبحانه:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾.

ولعل هذه الندرة تتفق مع ما يتميز به النحر عن الذبح من وحدة الموضوع ومحدودية الهدف والأسلوب كما قد يتضح من الفقرات التالية.

والنحر - فى الأصل - مكان فى قمة التجويف الصدرى لكل ذى عنق من الفقاريات، وهو ملتقى الترقوتين أسفل الحنجرة بمسافة تتناسب مع طول العنق .. وتتعبير معاصر هو معقد ربطة العنق (الكرافة) حيث تتكون فجوة يكسوها جلد رقيق يهبط فيها مع الضغط الخفيف فيما



تحاشيه لو تم الذبح من القفا حيث يكون الحبل الشوكى أول ما تجزه السكين بعد نفاذها من بين الفقرات .. وبهذا يحتبس الدم الفاسد فى العروق وما أكثرها فى ثنايا اللحم .

شائع فى كل البلاد التى لا تدين بالإسلام) فإن هذه الطريقة تخفق فى تحقيق هدف آخر يحرص عليه الإسلام ولا تتحقق إلا بالنحر .. ألا وهو « تذكية الذبيحة » واليكم بيان ذلك .

النحر ضرورى لتذكية لحم الذبيحة

✽ أما فى حالة النحر – أى بدء الذبح من ناحية الصدر – فإن أول ما يقطع بعد الجلد هو الوريدان العنقيان، وبهذا ينبثق أغلب الدم من خلالهما بالقوة الدافعة المذكورة حتى يتخلص الجسم من معظمه، ولكى يتم التخلص من بقاياه فى الشعيرات التى تتخلل اللحم على الذابح أن يرفع السكين بمجرد قطع الوريدين، ليظل الحبل الشوكى سليماً وموصلاً جيداً للسيالات العصبية، وبهذا يستمر تقلص الألياف العضلية (حتى بعد توقف القلب عن النبض)، ويعمل هذا التقلص على « اعتصار » الدم من الشعيرات، وهذا يمكن مشاهدته بعد سلخ الشاة فى شكل ارتعاشات يلى الجلد من لحم، وهو فى الطيور أكثر وضوحاً حيث تظل الدجاجة تقفز عدة مرات إلى أن يموت الدماغ وتتوقف السيالات العصبية المحركة .. وهنا فقط يمكن إكمال الذبح بفصل رأس الذبيحة عن جسمها مع ذكر اسم الله كى تتم تزكيتها بشرع الله ويصبح لحماً حلالاً طيباً .

✽ النسيج العضلى – وهو ما نسميه لحماً – من أغنى أجزاء الجسم بالشعيرات الدموية، وهذا من متطلبات نشاطه الحركى، ويظل الدم متجدداً فى أنسجة الجسم مادامت الحياة لأن تياره يظل متدفقاً بفعل القوة الدافعة التى هى جماع تضافر عاملين هما: نبض القلب وتقلص الألياف العضلية، ولكن بعد الذبح يضعف تيار الدم سريعاً نتيجة لتلاشى القوة الدافعة، وبهذا يبقى بين الألياف العضلية بعض الدم الذى تحول من مادة نافعة إلى مادة ضارة يجب تنقية اللحم منها ليحلأكله، وهذا من أركان التذكية المنصوص عليها فى الآية الثالثة من سورة المائدة .

✽ ومن الثابت علمياً أن تقلص الألياف العضلية يتم وفقاً لإشارات عصبية واردة من مركز الحركة فى الدماغ (المخ)، تسرى منه عبر الحبل الشوكى الذى ذكرناه ضمن الممرات الحيوية الممتدة فى العنق، وأى خدش للحبل الشوكى يؤدى إلى عدم وصول هذه الإشارات إلى الألياف العضلية بالقوة الكافية لحفزها على التقلص .. وهذا أمر لا يمكن





بين إعلان حراء وإعلان عرفات

للمستاذ / محمد مصطفى البسيوني

بدأت الرسالة المحمدية على جبل، ونمت على جبل، فعلى جبل النور حيث غار حراء بمكة المكرمة التقى أمين السماء جبريل - عليه السلام - وأمين الأرض محمد ﷺ للقاء الأول ليوحى إليه إرادة الحق - عز وجل - أن يحمل مشعل الهداية للخلق على حين فترة من الرسل بعد أن حنّ البشر إلى غواياتهم فاستأنفوا أباطيلهم في القول والفعل، وسدروا في غيهم يعمهون.

وعلى جبل الرحمة عند الصخرات الكبار في ساحة عرفات المباركة أثناء الحجة المعروفة بحجة الوداع أو «حجة الإسلام» التقى الأمين السماوي مع الأمين المحمدي مرة أخرى ليعلن إليه وإلى بنى الإنسان جميعاً في كل زمان ومكان أن الله - سبحانه وتعالى - قد أكمل للناس دينهم وأنتم عليهم نعمته ورضى لهم الإسلام ديناً خاتماً جامعاً لكل خير مانعاً من كل سوء

﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۖ ﴾^(١).

لماذا الجبل؟

ومما يلفت التأمل هنا أن تبدأ الرسالة الخاتمة على جبل وتكمل على جبل، ولانقول تنتهي، لأن رسالة محمد ﷺ لانتهى حتى بعد انتقاله إلى الرفيق

الأعلى، وإنما تستمر وتتواصل على أيدي أمة المسلمين طالما أنهم يأملون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وحتى تستحق هذه الأمة وصف العليم الحكيم

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(٢).

(٢) آل عمران الآية ١١٠.

(١) المائدة - الآية ٣.



للفكر البشرى النسبى المحدود أن يبلغ مغزاها .. وكيف يحيط العبد القاصر بحكمة الرب القادر؟ وسبحان الله عما يصفون .

احتفالات تقليدية موسمية ليس إلا

وكلما أقبلت ليلة السابع والعشرين من رمضان فى كل عام وهى الليلة المرجحة بليلة القدر، ليلة (إعلان حراء) حيث بداية نزول القرآن الكريم على سيد الخلق عليه الصلاة والسلام . وكذلك كلما أتى موسم الحج رأينا صفحات الكتب والصحف وموجات المذاييع وقنوات التلفازات تزدهم بالأقوال المكررة التى قلما تأتى بجديد أو تجود بمفيد وذلك فى احتفالات تقليدية موسمية ليس إلا!!

هذا إلى ابتداع البعض إضافة بعض الأوصاف للحج ومنها (الحج الممتاز) و(الحج السريع)، و(الحج السياحى) تمشياً مع الطفرات الاقتصادية المحمومة لدى البعض الذين يجدون مالا ينفقون، بينما الحج كما قضى الإسلام هو فقط (الحج المبرور) إن برىء من الرقت والفسوق والجدال .

أين معاشة الدين؟

وإذا كان من المطلوب والمرغوب نشر الوعى لدى المسلمين الذين صحت لديهم نية أداء فريضة الحج وشرعوا فى أدائها فإن هذا

نقول: إنه مما يلفت التأمل أن الرسالة الحمديدية الهاديدة قد بدأت على جبل وكملة على جبل . فهل حدث هذا - والله بحكمته أعلم - لأن الجبل هو رمز التميز والرفعة والسمو ومن هنا جاءت الإشارة إلى تميز هذه الرسالة ورفعتها وسموها؟ .

أم إن هذا يرجع إلى فطرية الجبل ونقاوته وطهارته التى لم يقربها العامل البشرى بعد، ومن هنا جاءت الإشارة إلى فطرة هذا الدين النقى الطاهر الذى لا ينبغى أن يتناوله البشر بالتغيير والتبديل :

﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّذِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ لِحَاقِ اللَّهِ﴾ (٣)

حتى ترك النبى ﷺ أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، أم إن هذا يشير إلى صمود الجبال كأوتاد فى الأرض :

﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادٌ﴾ (٤) تعمل على توازن

الأرض واستقرارها مما يوحى بأن الإسلام هو الرسالة الصامدة عبر الزمان التى تعمل على توازن قوى الإنسان واستقرار المجتمع البشرى والتمكين له فى الأرض .

وهى على كل حال مسألة مثيرة للتأمل الإيمانى شأنها شأن الإعجازات السماوية، والإشارات الإلهية التى لا تعد ولا تحصى، ولا يبلغ التأويل مداها لأنها أمور مرتبطة بالإرادة الإلهية المطلقة اللامحدودة فأنى

(٤) النبأ - الآية ٧ .

(٣) الروم - الآية ٣٠ .



ولعلنا هنا - والله دائماً أعلم بمراحه -
نحس بأن (القراءة) التى بدأ القرآن الكريم
بالحض عليها لا يقصد بها فقط عكس (الأمية
الأبجدية). وإنما هى تتسع لاستقراء الكون
والنظر فيه لنفع الإنسان وتعميق الإيمان،
وقد تعرضت آيات قرآنية كثيرة لهذا المعنى
لدفع الإنسان إلى البحث والتنقيب، حتى
لقد كلف بعض العلماء بأن يدعوا دائماً إلى
(قراءة الكون) فى استزادة واعية، واستفادة
شافية.

كما توفرت الأحاديث النبوية الشريفة
التي تستشير فى عقول المسلمين الرغبة
الدافعة إلى طلب العلم ولو فى الصين، ومن
المهد إلى اللحد.

ومن هنا لم تكن الدعوة الإسلامية منذ
بزوغها على (غار حراء) تدعو لتقويع
المسلمين وانطوائهم وبعدهم عن استنطاق
الطبيعة والأرض التى جعلها الله ذلولاً
للإنسان الذى - هو منذ خلقه - وجد
ليكون خليفة فى الأرض يمشى فى مناكبها
ويستكنه أسرارها، ويكتشف خباياها.

ومن هنا كان البحث فى مخلوقات الله
ضرباً من العبادة وصورة من صور الإيمان،
ولهذا نرى أن كثيراً من فتح الله عليهم
مغاليق المعرفة والعلم من مشاهير العلماء
المسلمين الأوائل كانوا يعبدون الله فى
أبحاثهم ويتقونه فى اكتشافاتهم

لا ينسبنا أن نحاول معايشة ديننا الحنيف
بفكرنا ووجداننا وسلوكنا فى مسيرته المضيئة
الباهرة بين موقف ﴿ أَقْرَأْ ﴾ وبين موقف
﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾، فلکم كانت
هذه المسيرة حافلة بالجهاد الأكبر وبالجهاد
والأصغر جميعاً، وكم كانت غنية بالقيم
المثلثى، والمثل العليا، وكم كانت زاخرة
بالمواقف الرائدة من خيرة الرجال والنساء
والولدان، وذلك كله فى إطار البلاغ الذى
تحمله محمد ﷺ للعالمين فى صبر واحتمال،
وأمانة واقتدار صادعا بما يؤمر طيلة ثلاثة
وعشرين عاماً هى طاقة النور الباهر التى لم
تزل تشع على الوجود وستظل مادامت
السموات والأرض:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَمُبْحِلُونَ ﴾ (٥).

بين القراءة والاستقراء

وعندما تستشرف أرواحنا الأمر الإلهى

﴿ أَقْرَأْ ﴾ فإننا نتذكر اللفظ المشتق من القراءة
وهو (الاستقراء) الذى يطلق اليوم على المنهج
العلمى أو التجريبي حتى سمي هذا المنهج
أحياناً (بالمناهج الاستقرائية) لأنه يشير إلى
فحص الجزئيات (بالتجربة) لاستنتاج الكليات
(القوانين) كما يشير القارئ من الحروف إلى
الكلمات ثم إلى العبارات وهكذا.





ساحة عرفات

واختراعاتهم ويرجون من وراء نشاطهم العلمى (الاستقرائى) عفو الله ورضوانه لأنه هو الذى أمرهم بالبحث فى مخلوقاته فأطاعوه فى خشية وامتنال. ولأنهم لم يريدوا أن يكونوا علماء صاروا بفضل الله علماء.

علماء رواد

ولنا فى سيرة جابر بن حيان صاحب علم

ببصائرنا دون أبصارنا إلى جوار الصخرات الكبار عند سفح جبل الرحمة فى رحاب عرفات، ولنستمع فى ذلك اليوم (الجمعة) بكل كياناتنا إلى صدى الصوت المحمدى الكريم الذى لا ينطق عن الهوى وهو يهيب بالعالمين فى كل زمان ومكان عبر هذه الأفواج السابقة إلى الإسلام والتي كانت هى خط الدفاع الأول عنه والتي تحملت عنا وعن كل الأجيال آلام المعاناة والتضحية بالنفس والمال والولد لتصل إلينا نعمة الإسلام سهلة هنيئة لعلنا نعرف لها قدرها ونحفظ لها دورها فى هداية العالمين.

الكيمياء وابن سينا صاحب علم الطب، والحسن بن الهيثم صاحب علم البصريات وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية بعض مايشفى غلة الراغبين فى معرفة أن العقيدة الصادقة كانت دائما وراء التقدم العلمى عند المسلمين.

حتى إذا اختلطت الأمور بين حركات المستشرقين والمستغربين وجدنا أن هذه المعانى تذهب فى معظمها أدراج الرياح ولا سيما فى المناهج التعليمية أو فى الوسائل الإعلامية والثقافية التى تتحمل مسئولية التثقيف « والتوير ».

الإعلان الحق

عبر هذه الأفواج والآلاف المؤلفة من الصحابة الأبرار يعلن محمد ﷺ أول إعلان

إلى عرفات الله

ولئن عبرنا فى عجالة من بداية الدعوة الإسلامية الرائدة إلى اكتمالها فلننظر

الطبقية مرفوضة حين يقول: « وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية » .
وإعلان عرفات يقدر الوقت وينظم علاقات الناس من خلاله، فيحرم النسىء . ويقرر ما جاء فى كتاب الله - عز وجل :-

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۖ ﴾ (٦)

ويفسر الرسول ﷺ هذه الأشهر الحرم بأنها ثلاثة متواليات وواحد فرد: « ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جماد وشعبان » .

المراة بلا مزايدات

وحاشا لنبى البشرية ألا يذكر المرأة وخاصة حريتها بوجهيها: الحقوق والواجبات .. وهى الحرية التى عبث بها العابثون وأكثرها حولها المزايدات والمناقصات .. فله درك يا محمد عندما تعلن فى عدالة ووضوح « أيها الناس . إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً » ثم يحدد الالتزامات الأخلاقية التى ينبغى أن يلتزم بها الرجال والنساء فى علاقاتهم الزوجية .

ويؤكد (إعلان عرفات) بعد ذلك على أن هذه الحقوق الإنسانية جميعها تنبع من الإيمان بإله واحد، وأن الجميع أمام الله سواء

لحقوق الإنسان تدوى أصداؤه فى كل الوجود كى يتدبر الناس ويعملوا الخير الانسانية جمعاء، وذلك قبل أن يدعى المدعون « وضع » حقوق الإنسان التى كثيراً ما خضعت للتغيير والتبديل وفق الأهواء والأغراض حتى صارت « حقوقهم » حقوقاً وغنماً للأقوياء، وواجبات وغرماً على الضعفاء والمستضعفين، ولك أن تصنف مسلمى هذا العصر ضمن أى الفريقين وفق ما ينطق به الواقع المرير .

وتتناقل أجواء عرفات بنود الإعلان « الأبدى » وليس مجرد « العالمى » لحقوق الإنسان الذى يعلنه محمد ﷺ للبشر كافة بقوله: « أيها الناس » وليس « أيها المسلمون » ، وما أعظم هذا الدين الحنيف الذى يخاطب الناس جميعاً دون تفرقة فى الحقوق بين إنسان وآخر .

ثم يستهل الصادق الأمين بيانه بالتأكيد على حرمة الدم الإنسانى ومال الغير وعلى أن الأمانة ينبغى أن تؤدى إلى أهلها وأن ربا الجاهلية ودم الجاهلية، كل هذا موضوع وتتجلى الأسوة المحمدية الحسنة هنا فى التنبيه إلى أن ربا « العباس » عم محمد أول ما يوضع من الربا وأن دم عامر بن ربيعة بن الحارث « بن عبدالمطلب » أول ما يوضع من الدم .. فلا قرابة ولا « محسوبية » فى الحق .. ثم ينص الإعلان المحمدى على أن المزايا



وما كان أحرص النبي ﷺ أثناء إلقائه بيانه الهادى الخاتم على أن يشهد ربه مراراً بين فقرات هذا البيان على أنه قد بلغ ما أمره الله به فيكرر ﷺ طيلة الخطبة (ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد) راجياً أن يكون قد بلغ رسالة ربه استجابة لقوله - تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (٧).

وعندما أجاب الحجيج (نعم) قال ﷺ :
(فليبلغ الشاهد الغائب).

وفى هذه العبارة الأخيرة تقع مسئوليتنا ومسئولية الأجيال المسلمة القادمة جميعاً فى تلقى هذه التعليمات المحمدية وفى تبليغها للآخرين.

ولما كان دور محمد ﷺ محدداً بأن يكون الأسوة الحسنة للبشر جميعاً منذ ولادته حتى اختاره الله - عز وجل - إلى جواره فقد شاء الله - سبحانه وتعالى - ألا يحج إلا مرة واحدة يبين للناس فيها مناسك الحج (خذوا عني مناسككم) لكى نعلم نحن أن حجة واحدة نقية خالصة كافية لأداء الفريضة.

فلله ما أحوجنا - مسلمى هذا العصر وكل عصر - إلى التأمل العميق والعمل الجاد الدءوب وفق ما تلقينا من مسيرة الهدى منذ (إعلان حراء) حتى (إعلان عرفات).

والله - من قبل ومن بعد - ولى التوفيق.

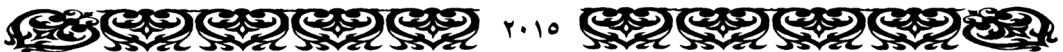
أكرمهم عند الله أتقاهم، وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى.

وغير هذا وذاك من النصوص التى ينبغى أن تنشر على الناس فى هذا الزمان الذى نسى الإنسان فيه نفسه وغفل عن الدور المنوط به فى الحياة.

وحبذا لو أدرجت هذه المعانى السامية والهادفة ضمن النصوص المدرسية والجامعية، وخصصت لها الدراسات اللائقة التى تضىء أمام الإنسان المعاصر طريق الفلاح والرشاد فى حركة الحياة.

أما بعد :

فالحديث عن ليلة القدر ينبغى أن يرصع بالإحياءات الإيمانية والعلمية التى توحىها الآية الكريمة ﴿اقْرَأْ﴾ كما أن الحديث عن الحج ينبغى أن يتحلى بالمعانى التى جاءت فى حجة الوداع حيث أحس النبي ﷺ بأنها قد تكون آخر ملتقى له مع الناس فى عرفات (أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فىئى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا (والبلد هنا مكة المكرمة) .. ومعنى هذا أن ما ذكر محمد فى هذا اللقاء هو خلاصة التجربة، وعصارة الرحيق، وجوهر الحكمة فى الوحي والإلهام.





إفى مكة.. كانت الرحلة بلا غيوم
والراسيات تعانق أحلام النجوم
ومن شرايين الصخر تتفجر أنهار الضياء

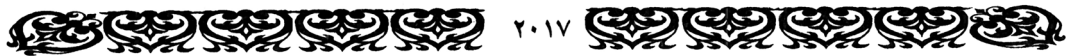
لأستاذ الدكتور / صابر عبد السلام يونس (*)

أتى أسير يضمنى الجبلُ *
من كل زاوية .. ملامحه *
فكأنه عينُ الرجود .. إلى *
حمل العصور الشَّم كاهله *
متجهم .. جرداء قمته *
فكأننى فى الصخر أرثقل *
تبدو ... وفى الأجواء تنتقل *
قلب الخفايا لمُحها يصل *
وهو الفتى .. وليس يكتهل *
لكنه بالخير يشتمل *

(*) وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق وعضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر.



مُدَّتْ إِلَى الْغِيَمَاتِ رَاحَتُهُ ** فَإِذَا بَجُرْحِ الْكُونِ يَنْدَمُلُ
وَإِذَا الْعَوَالِمُ مِنْ بُحَايِرَتِهِ ** يُسْقَوْنَ فَيُضْ الْعِزُّ إِذْ نَهَلُوا
قَدَمُ الرُّضِيعِ تَهْزُ جَبْهَتُهُ ** فَإِذَا بِهِ لِلطِّفْلِ ... يَمْتَثِلُ
وَإِذَا بَعَيْنُ الْحُبِّ مَشْرِقَةٌ ** وَالْأُمُّ يَهْجُرُ قَلْبَهَا الْوَجْلُ
وَإِذَا الطُّيُورُ عَلَى مَبَاسِمِهَا ** تَضُورِي الْأَغْنَانِي وَهِيَ تَرْتَجِلُ
وَإِذَا الْوُجُودُ الْطِفْلَ تَحْضِنُهُ ** أُمُّ الْقُرَى .. وَيَكْبُرُ الْجَبَلُ
أَنْشُودَةُ التَّوْحِيدِ مَنْطِقُهُ ** وَعَلَيْهِهِ مِنْ لَأْلَائِهَا حُلُّ
دَعَاوَاتِ إِبْرَاهِيمَ صَاعِدَةٌ ** فَإِذَا الصَّحَارَى وَجْهَهَا خَضَلُ
وَحَرَاءُ نَبْعٍ فِي تَمَاوُجِهِ ** الْأَرْضُ بِالْعِلْيَاءِ تَتَّصِلُ
صَخْرٌ وَمِنْهُ تَفْجَرَتْ شَهَبٌ ** وَلَهَا بِكُلِّ مَنَارَةٍ شَعْلُ !!!
إِقْرَأْ .. تَعَالَى اللَّهُ قَائِلُهَا ** فَإِذَا الْجِبَالُ الصَّمُّ تَبْتَهِلُ
وَكَا أَنْ زَمَزَمَ مِنْهُ قَدْ سُقِيَتْ ** وَالْعَالَمُونَ لِيَسْرَهَا ارْتَحَلُوا
فَهِيَ الْأَمَانُ لَأُمَّةٍ غَرِقَتْ ** وَلِكُلِّ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ السُّبُلُ
وَالْأُمَّةُ الْحَايِرَى .. مُمَزَّقَةٌ ** تَسْعَى .. وَلَكِنْ سَعْيُهَا فَشَلُ !!!
لَمْ تَصِفْ أَنْهَارَ الْحَيَاةِ بِهَا ** فَحَقُولُهَا يَنْمُو بِهَا الْكُلُّ !!!
مَا شَادَهُ الْأَمْجَادُ قَدْ وَأَدَتْ ** وَبَدَتْ كَأَنَّ جَدِيدَهَا طَلُّ
جِبْلَانِ تَسْعَى الدَّهْرَ بَيْنَهُمَا ** لَمْ تَدْرِ .. كَيْفَ السَّعْيُ وَالْعَمَلُ !!!
وَالْأُمْنِيَّاتُ إِلَى مَنْى سَبَقَتْ ** وَالْقَلْبُ تَسْبِقُ نَبْضَهُ الْمَقْلُ
فَهَذَا الْجِبَالُ تَخَلَّقَتْ شَرَرًا ** فَهَلِ الرَّمَاةُ فَسَادَهُمْ قَتَلُوا ؟ !!!





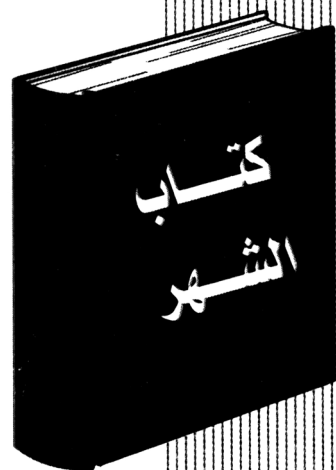
هل يَرْجَمُونَ الْإِثْمَ فِي زَمَنِ * * * الْآثِمُونَ بِهِ .. هُمُ الْمَثَلُ ؟ !!!
أَمْ يَرْجَمُونَ الْكُفْرَ فِي زَمَنِ * * * الْكَافِرُونَ : سَيُوقَفُهُمْ صَقْلُوا ؟ !!!
أَمْ يَرْجَمُونَ الْخُلْفَ بَيْنَهُمْ * * * وَقُلُوبُهُمْ .. تَغْلَى .. وَتَقْتَتِلُ !!!
صَارُوا قِبَائِلَ مَا وَعَتْ نَسْبًا * * * بَدَمُ الشَّهِيدِ تَظَلُّ تَغْتَسِلُ !!!
هَذِي حُدُودُهُمْ .. قَدْ اشْتَعَلَتْ * * * وَالنَّارُ شَيْطَانٌ لَهُ حِيلٌ !!!
هل يَرْجَمُونَ الْجُوعَ فِي غَدِهِمْ ؟ * * * وَالسَّارِقُونَ لَكَنْزِهِمْ وَصَلُوا !!!
أَمْ يَرْجَمُونَ الْحَقَّ بَيْنَهُمْ ؟ * * * وَالْحَاقِدُونَ بِذَاتِهِمْ دَخَلُوا !!!
أَمْ يَرْجَمُونَ الْجَدْبَ فِي زَمَنِ ؟ * * * الْمَجْدِبُونَ هُمْ .. وَقَدْ كَسَلُوا !!!
لَمْ يَقْطِفُوا الْأَسْرَارَ إِذْ بَزَغَتْ * * * تَوَحَّى إِلَيْهِمْ ... أَنَّهُمْ رَجُلٌ
عَرَفَاتُ .. عَرَفَهُمْ مَسَالِكُهُمْ * * * فَالْكَلُّ .. قَلْبٌ صَارَمٌ .. وَجَلُّ
رَحِمُ الْوُجُودِ هُنَا .. قَدْ ائْتَلَفَتْ * * * وَالرَّحْمَةُ الْكَبْرَى هُنَا جَبَلٌ
وَهُنَا خَطِي الْخِطَارِ قَدْ خَطَرَتْ * * * فَاخْضَرَّ فِي أَرْوَاحِنَا الْأَمَلُ
وَهَجُّ الْوَدَاعِ .. حَرُوفُهُ أَلْقُ * * * أَحْيَا الْوُجُودَ .. فَمَا بِهِ عِلُّ
مِنْ كُلِّ فَجٍّ أَقْبَلَتْ زُمُرٌ * * * وَقُلُوبُهُمَا .. لِلَّهِ تَمَثَّلُ
لَبَّتْ نِدَاءَ الْحَقِّ ضَارِعَةً * * * فَسَمَتْ وَعَنْهَا قَدْ نَأَى الزَّلُّ
الطَّائِفُونَ .. الرَّاكِعُونَ هُمْ * * * لِيَسُؤُوا بِغَيْرِ اللَّهِ قَدْ شَغَلُوا
أَلْفُوا بِظِلِّ الْبَيْتِ أَمْنَهُمْ * * * فَسَقَّتْهُ مِنْ أَشْوَاقِهِمْ قُبَلُ
وَإِذَا الْوُجُودُ الطِّفْلُ تَحْضُنُهُ * * * أُمُّ الْقَرْيَةِ .. وَيُكَبِّرُ الْجَبَلُ
أَنْشُودَةَ التَّوْحِيدِ مَنْطِقُهُ * * * وَعَلَيْهِ مِنْ لَأَلَائِهَا حُلُّ



معارف المعارف

تأليف
رجاء جارودي

تعريب
د. عادل العوا



عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين





رجاء جارودي

استطاع المفكر والفيلسوف رجاء جارودي - من فوق الأعراف بين الشرق والغرب - أن يبصر واقع الغرب في غروره، وافتتانه بقوته العسكرية والاقتصادية، وأن يوجه صيحته الموقظة الناصحة إلى الغربيين من أبناء أمتهم، ليطلعهم على هذا الواقع المشين، ويبين له ما حصله من سياحاته البحثية فوق ذرى العالم؛ من أن منابع الغرب (الإغريقية، والرومانية والمسيحية) إنما ولدت في آسيا وإفريقية، وأن عصر النهضة الأوروبية قد هدم حضارات أسمى من حضارات الغرب باعتبار علاقات الإنسان بالطبيعة وبالجتمع وبالله. وأن الغربيين لذلك يعيشون في وهم كاذب، مفاده: «أن الغرب بدء مطلق» بعد أن شوهوا ما استمدوه من الشرق.

ويلفت الأنظار إلى ما يوحى بالتفاؤل في سلوك بعض الغربيين وتفكيرهم، حيث أخذ بعض الفلاسفة والمفكرين والفنانين يفتحون على العالم غير الغربي منذ القرن الثامن عشر.

في الطريق إلى اللقاء الجديد

وفي الفصل الخامس من الكتاب (المشروع الكوني) يذكر المؤلف أن اللقاء الجاد المثمر بين الحضارات يحتاج إلى الوقوف على شروطه، ووسائل تيسيره، والفوائد الإنسانية المرتقبة من وراء تحقيقه.

ويذكر أن الوقوف على هذا وذاك يتطلب منا أن نتأمل اللقاءات السابقة المختلفة بين الحضارات؛ كي نستمد منها هذا الزاد الحاضر.

وفي هذه السياحة التأملية جاب مواطن الحضارة في أفريقية، وفي الهند، وأمريكا اللاتينية، والصين، مقرأ: أنه لا توجد حضارة منعزلة في جزيرة، وأن الحضارة منذ أولى

كما يبين للغربيين - من الأحداث الواقعية - أن عدم إمكان حوار حقيقي بين حضارة الغرب الحديثة وحضارات العالم الثالث يرجع إلى أن نمو الغرب يقوم على نهب ثروات (آسيا - وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية)، وإلى حرص الغربيين على جعل العالم الثالث متخلفاً.

ويوضح لهم أن الغربيين - بتلك المواقف المتعصبة - قد أضاعوا فرصاً كثيرة كانت كفيلة بإقبالهم مبكراً على التحاور البناء مع تلك الحضارات الإنسانية السابقة، وبالتالي .. كانت كفيلة بأن تكمل الجهود بالنجاح في الوصول إلى حضارة عصرية إنسانية.

فالعربيون المعاصرون - باعتمادهم على المصادر التاريخية المزيفة - هم الذين رفضوا التحاور البناء مع الحضارات الشرقية اغتراراً بأنفسهم، واستسلاماً لمقررات وهمية - كما كان عليه حال أسلافهم - فرضت عليهم هذا الجهل الفتاك الذي استبد بهم كما استبد بآبائهم من قبل على مدى هذه القرون الممتدة.

فرص التاريخ المفقودة لنعيد غزوها؛ إذ التاريخ الشامل الخالي من الزيف لا يمكن أن يكون إلا تاريخ الإمكانات البشرية، تنعكس على صفحته كل الآثار الإنسانية العظيمة، فكل أثر إنساني عظيم أيا كان ميدانه لم يكن البتة مجرد انعكاس واقع، بل إنه أئودج - أو مشروع - لعالم ينبغي تحويله كي يخلق نظاماً لما يوجد بعد .

٤- اعتبار التاريخ سلسلة من الحوادث متواصلة نامية، وليس سلسلة حوادث وحيدة البعد، مترابطة بحتمية قدر قاهر، فلا بد من أن تمثل قراءة التاريخ في اعتباره لانهاية إمكانات ذاخرة ومتبرعمة .

أى إن الحوار الحقيقى بين الحضارات لا يصح إلا إذا اعتبرت الإنسان الآخر، والثقافة الأخرى جزءا من ذاتى، يعمر كيانى، ويكشف لى عما يعوزنى؛ إذ الإنسان لا يحل المشكلات التى يضطلع بمسئوليتها إلا بقاء جديد، وبحوار مع ضروب الحكمة والتمرد القائمة فى آسيا وأفريقية والبلدان الإسلامية، وأميرىكا اللاتينية، فبدلك النهج وحده يمكننا التوصل إلى أن تصور علاقات جديدة بين البشر والطبيعة، ونحيا هذه العلاقات، بدلاً من قيام العلاقات على أساس التفوق التقنى، وما يستتبعه من غزو تسلطى .

الوسائل التى تقود إلى الحوار مع الآخر

وأما وسائل تيسير هذا اللقاء فيجملها المؤلف فى ثلاث وسائل هى :

١- الإيمان بأن دراسة الحضارات اللاغربية ذات أهمية تعادل دراسة الثقافة الغربية على أقل تقدير؛ إذ لا يستطيع الإنسان أن يتخصص فى

خطواتها تتألف من شبكة انتشار كلى، وأن حوار حضارات حقيقيا قد يساعد على تحقيق الوعد بوحدة الإنسان، وهو كائن يولد دوماً، وينمو دائماً فى ماضيه وفى مستقبله .

ومقرراً: أن الحوار بين طرفين يفترض أن يكون كل طرف مقتنعا بأن ثمة شيئاً يتعلمه من الطرف الآخر، وأن مجتمع اللاعنف لا يمكن أن يقام بالعنف .

وفى ظل هذه المقررات رأى أن شروط إمكان هذا اللقاء الجاد المثمر بين الحضارات تجمل فى أربعة شروط هى :

١- إبراز النقاط التى يتقارب فيها الطرفان : لأن كل تفجير ثقافى لا بد من أن يسبق بتعبئة، أى بتقارب الروافد الثقافية المتعددة فى نقطة متميزة .

٢- التجرد من سيطرة (الأنا) حتى تخلص الرؤية من آثار المصائب العظمى التى أصيب بها التاريخ المكتوب، لأن من كتب هذا التاريخ إنما هم المنتصرون الذين أرادوا دائماً البرهان على أن سيطرتهم واستبدادهم بالآخر كان ضرورة تاريخية، فرضها تفوقهم الثقافى والحضارى؛ إذ التفوق التقنى والعسكرى الذى تمكنوا به من السيطرة والاستبداد لم يكن ينطوى - فى أغلب الأحيان - على تفوق الثقافة، ولا على مشروع إنسانى يحلم به المنتصرون، بل إن الغزوات الكبرى التى قامت بها أوروبا فى أفريقية وآسيا لم تكن إلا وسائل هدم وتخريب للقيم الثقافية العليا .

٣- انتزاع جبرية التاريخ، على معنى : أن اللقاء بين الحضارات لا يكون جاداً مثمراً فى ظل تاريخ مزيف لتبرير سلوك أحد الطرفين؛ فلا بد لنا من أن نبحث عن الأبعاد التى فقدتها الإنسان خلال

فمثل هذا السلوك جدير بأن يعيد الاتصال بين الشعوب وبين ثقافتها الخاصة التي فصلت عنها، ونهبت منها.

الشمار المأمولة من هذا اللقاء

ويذكر المؤلف أن الأوروبيين إذا ما وفروا هذه الشروط، وأخذوا أنفسهم بتلك الوسائل، أصبح في وسعهم الحصول على النتائج التالية:

١- إسباغ النسبة على المفهوم الغربى، لأن هذا الحوار الجديد للحضارات سوف يتيح نزع صفة الجبرية عن المستقبل، و يتيح التدريب على تصور إمكانيات أخرى وتحقيقها، و يتيح العثور من جديد على توازن مع الطبيعة.

وبالتالى.. فإن هذا التحول الفكرى يقود إلى عدد من التحولات الاجتماعية، يتحقق معها إخراج الإنسان من حبس نفسه فى مشاغله اليومية.

٢- تحويل نظرة الغربيين إلى العالم من تركزها حول (أنا) الصغيرة؛ فالحضارات اللأ غربية تعلم الغربيين بادىء ذى بدء أن الفرد ليس مركز كل شىء، كما تعلمهم أن فضلها الأعظم يرجع إلى أنها تجعل الإنسان يكتشف (الآخر)، دون فكرة مبيتة تضمر التنافس والسيطرة.

فالعربون لا يتصورون علاقات الناس بعضهم ببعض إلا فى شكل ندب للسلطة، وهذا ما أطلق عليه (روسو) سلفا فى (العقد الاجتماعى): اسم الانخلاع؛ ولذلك كان مهما للآاية أن يتعلم الغربيون من الحضارات الأخرى المعنى الحقيقى لعلاقة المشاركة الإنسانية، من كل ما يستتبع الانتقال من ديمقراطية تمثيلية إلى ديمقراطية المشارك التى تستند إلى أساس الندب للسلطة،

ميدان إذا كان قد أوقف نفسه على دراسته فى بقعة دون أخرى.

وقدم المؤلف نفسه مثلاً يوضح ذلك، فقد حاز درجة التخرج فى الفلسفة، واجتاز جميع الامتحانات، دون أن يعرف كلمة واحدة عن فلسفة الهند، والصين والإسلام، وما كان ذلك إلا لأن الباحثين الغربيين فهموا الفلسفة على أنها فلسفة الغرب وحده، واعتبروها بحثاً فكرياً محضاً، بدلاً من أن يفهموها على أنها طراز حياة.

وكان من ثمار ذلك النهج الحصرى: أن أصبح غير المتخصصين فى دراسة الفلسفة الشرقية يجهلون جهلاً مطبقاً كل ما يتصل بالثقافة اللأغربية.

٢- أن يشغل مبحث الجمال فى الدراسة منزلة تعادل فى أهميتها - على الأقل - أهمية تعليم العلوم والتقنيات.

٣- أن يكون الاهتمام بالنظر إلى المستقبل، والتفكير فى الآيات والأهداف مائلاً للاهتمام بالتاريخ.

ويذكر المؤلف أن هذه التغيرات الثلاثة تغيرات أساسية ينبغى أن تسود المنظومة التربوية فى الغرب، فلا تقصر على الأطفال وحدهم، بل ينبغى كذلك أن يوجه فى شكل تربية مستمرة إلى الجماهير فى جملتها، فإذا أقيم معرض مثلاً وجب أن تنال المعارضات منازل متعادلة، بدلاً مما هو حادث الآن، حيث يتمتع المعارض الغربى دائماً بمنزلة أساسية، إن لم نقل وحيدة، على معنى: أن المعرض إذا ضم مائة أثر تمثل مائة وجه من وجوه البشر والآلهة، وجب أن لا يشتمل هذا المعرض على أكثر من عشرين أثراً من أصل غربى، وذلك احتراماً لمنظور ثلاثة آلاف سنة من التاريخ.



بل إلى الإسهام في جميع المستويات.

٣- تحديد الغربيين غايات أعمالهم، وذلك بالتخلص من الوثوقية التي تقود إلى تصلب العلم، وفقدان الإحساس الإنساني، والغائية الإنسانية، فهذا الضرب من التفكير يتيح للغربيين الانفتاح على المستقبل، بترجيح كفة بروز الإنسان من الناحية الشعرية، فالمستقبل غير معنى إلا بقدر ما يكون إبداعاً حقيقياً.

فهذه النظرة إلى السمة الوحيدة الجانب، الوحيدة البعد، في مفهوم الغربيين عن الإنسان، وعن الثقافة ستتيح لهم أن يفهموا أولاً مختلف ارتكاسات اللاغربيين حيال الغربيين.

رد الفعل المواجه للفطرسية الغربية

ويستعرض المؤلف رد الفعل في المجتمعات غير الغربية، الرافض لما يقدمه الغربيون باسم الحضارة، فيقدم في هذا الاستعراض خمسة أنماط من الارتكاسات الرئيسية على التحدى الأوروبي:

١- أما الارتكاسة الأولى فتتمثل في سعى اليابانيين جهد المستطاع لفصل المعارف التقنية عن القيم الثقافية، والرهان على نقل التقنيات الأوروبية لدعم القيم المحلية.

وكان نتائج هذه الزيادة إقامة رأسمالية جشعة جشعاً عظيماً، يسندها تسلسل اجتماعي، وعلاقات إنتاج موروثية مباشرة عن الإقطاع ومسيرة اليابان في درب الامبريالية. وعلى هذا النحو وضعت أحدث تقنيات الحرب والإنتاج في اليابان في خدمة عقائدية تقليدية محافظة.

٢- وتبدو الارتكاسة الثانية في موقف أميركا اللاتينية، حيث انصرفت البرجوازيات المحلية عن

تقنيات الإنتاج الحديثة، ولم يتم دخولها إلا عن طريق الرأسمال الأجنبي. وفي المقابل: حاولت منافسة أوروبا على الصعيد الثقافي بقبول قيمها وأذواقها وأزيائها؛ فتعلقت بالاستهلاك أكثر من تعلقها بالإنتاج.

ومن هنا.. تولدت الصعوبات التي تعانيها اليوم الشعوب اللاتينية الأوروبية، حين حاولت تقليص هذه التبعية الخارجية، وقد نجم عن تحرير العقول على هذا النحو فساد الضعفاء، وتمرد الأقوياء، حتى ارتدى ارتكاس التمرد أشكالاً متنوعة.

٣- وتبدو الارتكاسة الثالثة في التوجه إلى تمجيد القيم التقليدية بحسبانها تحمل الحل، في مواجهة التنكر الأوروبي للقيم الإفريقية، والهندية، على الرغم من أن ذلك لا يقدم خلاصاً من مشكلة الحيرة، أمام الإفادة من القيم الأوروبية، على نحو ما يعلنه تيار الدعوة الرنجية من الحنين إلى الماضي التقليدي، وما يحدث في الهند كذلك.

٤- وتبدو الارتكاسة الرابعة في عدم الاقتصار الأفريقي على تمجيد الماضي، بل في تجاوز ذلك إلى الرفض القطعي للحضارة الأوروبية الذي يدفع إليه السلوك الاستعماري السيء ويغذيه بما يتضمنه من سخرة وإذلال ونهب، واغتصاب، واحتقار، وعجرفة، وتبجح، وغلظة تجعل من المستعمر شريطاً يحرس محكوماً عليه بالأشغال الشاقة، وتجعل من المستعمر أدوات مسخرة للإنتاج.

٥- وتبدو الارتكاسة الخامسة في انتهاء غير الغربيين إلى وضع أكثر إرهاباً من موقف العداء، الخالص للتراث الأوروبي.

غير الغربيين على طريق الحوار الجاد

وفى مواجهة هذا الصلف الغربي، ومانتج عنه من أوهام غربية كاذبة، قدم المؤلف بعض النماذج التطبيقية غير الغربية التى حاول بها طائفة من غير الغربيين أن يقدموا شكلاً حيوياً، يعتمد على تقدير الآخر، والتحاور معه، والإفادة منه فى محاولة للجمع بين ماهو غير غربى وماهو غربى .

١- فقدم من غرب إفريقية المحاولة التى جاء بها الإفريقى (بوبوهاما) فى كتابه (تأخر إفريقية) المنشور سنة ١٩٧٢، حيث لاحظ أن الناس يعرفون الآن إنسانين: أحدهما روحى - هو إنسان الهند القديمة - والآخر مادى : وهو إنسان الحضارة التقنية الغربية .

ثم تساءل (بوبوهاما) عن إمكان تحقيق تركيب يؤلف هذا التداول للمادة مع ثقافة الروح . وخلص إلى دعم محاولته بإبراز الآثار السيئة التى تصيب الإنسان من جراء الاستمرار الهندى على إغفال المادة، والاستمرار الغربى على تجاهل الروح؛ مقررًا: أن الثقافة الغربية القائمة على أساس وحيد من العلم والتقنية قد عكفت على حاجة معينة واحدة من حاجات الإنسان؛ فتوغل بالإنسان فى درب تقنى مسدود . كما إن الهند قد نالت تقدماً روحياً إنسانياً ساقها - كذلك - إلى درب مسدود فى مجال الفكر . وأن علينا أن نعلم إلى التفكير فى مصيرنا الإنسانى العالمى، وذلك إذا قدرنا فى آن واحد ماتسهم فيه الهند القديمة والغرب الصناعى .

فالهند القديمة والغرب الصناعى يمثلان نجاحين حققهما الإنسان فى دربين مختلفين، ولكنهما إنجازان جزئيان للإنسان .

وفى مكنتنا تصور معونة لا تكون وحيدة الاتجاه، حيث يستطيع الشرق أن يسهم فى تقديم معنى عن الإنسان، وهو المعنى الذى يفتقر إليه الغرب اليوم افتقاراً رهيباً؛ ففى التأليف بين جميع طاقات الفكر والمادة وعد الإنسان الشامل .

٢- وقدم المؤلف من شرق إفريقية نموذجاً إفريقياً آخر لمحاولة التركيب والجمع بين الإنسانين، قدمه (يوليوس نيريرى) وترجمت إلى ممارسة سياسية فى هيئة اشتراكية (الجماعية) فى تنزانيا، التى تتوخى منح المجتمع والإنسان وجهاً جديداً بابتكار اشتراكية إفريقية نوعية، تقوم على أساس أن ملكية الأرض هى ملكية مشتركة، وليست مثل الاشتراكية الأوروبية المولودة من ثورة زراعية تعارض فيها مالكو الأرض مع غير مالكيها، ومن ثورة صناعية تعارض فيها الرأسماليون والبروليتاريون .

ويدعو (نيريرى) إلى رفض الاشتراكية الأوروبية التى جلبها الاستعمار معه لدمج إفريقية فى سوق الرأسمالية العالمية، لأن المجتمع الإفريقى لم يعرف الإقطاع ولا الرأسمالية، قبل مجيء الأوروبيين، ولذلك قامت هذه الاشتراكية الأفريقية، على مبادئ ثلاثة هى:

أ) الاحترام المتبادل - بخلاف الفردية الأوروبية - فيجب أن يعى كل امرئ أنه جزء من الآخر .

ب) الاشتراك فى ملكية جميع الخيرات الحيوية، بحيث يوزع محصوله بالجهود المبذولة بحسب عرف يقره الجميع، إذ لا يمكن أن يبقى إنسان جائعاً إذا كان الآخر متخماً .

ج) وجوب العمل على الجميع .



الشرقي للإحساس الجماعي، وللعلاقة بين الأشخاص؛ مقررًا أن الحرية الفردية وحدها تستطيع أن تجعل الإنسان قادراً على الانصراف إلى خدمة المجتمع انصرافاً كلياً.

فمن يمارس (ساتيا غراها) لا ينحدر بمطلبه الرفيع إلى درك الحل التوفيقى أبداً، وهذا يدعو بدوره إلى (الاعنف) حين لا يكون هناك خوف، أولاً يترتب عليه جبن، أى أنها تدعو إلى مبدأ (لاعنف) الأقوياء الذى ينطوى على شكل العلاقات الإنسانية، فالعنف المرفوض هو استخدام قوة فيزيائية لإبادة العدو أو لإلزامه - على الأقل - بأن يعمل على غير مايريد، وبخلاف حكمه وحقيقته.

ويتوج غاندى نموذجَه ذلك بقوله: «إن الإنسان يجهل كل شيء فى الدين إذا لم يربينه وبين السياسة أية علاقة.. وليس فى وسعى أن أحيا حياة دينية دون أن تطابق هويتى كل المطابقة هوية الإنسانية بأسرها، وهذا يتعذر دون الإسهام فى الحياة السياسية.. إننى واثق بأن الله واحد فقط.. وأنه الحقيقى وحده.. وأن الإنسانية تؤلف كلا واحداً، وأن لها بالرغم من تعدد الأجساد روحاً واحدة.. ونحن قد أقمنا ملكوت الله فى السياسة أيضاً».

٥- كما عرض للنموذج التربوى الذى قدمه (باولو فريرى) البرازيلى، قاصداً بها محو الأمية، والتعليم لإيقاظ الشعور الانتقادى والنضالى فى نفوس الجماهير، فقوم التوعية عنده تمثل فى إدراك التناقضات السياسية والاقتصادية، والوقوف فى وجه عناصر الاضطهاد الموجودة فى الواقع، لأن الثقافة ليست ترفاً ولا مجرد متعة جمالية، بل هى جملة الحلول التى ردها الإنسان للمشكلات التى

وفى سبيل نيريرى لتوضيح هذه الاشتراكية (الجماعية) يذكر أن الخطأ الأساسى الموروث عن الاستعمار، هو اعتبار التعليم الابتدائى إعداداً للتعليم الثانوى الذى يقود بدوره إلى طبقية تحسب فى ظلها من ينتقلون إلى التعليم الثانوى أنهم يستحقون أجوراً أعلى ومناصب قيادية، ويفرضون الرجوع للعمل فى الريف. كما أنه من الخطأ الظن أن كل معرفة تنال بواسطة الكتب المدرسية، ولاتنال عن طريق الحياة، وممارسة العمل فليست المسألة مسألة امتحانات تنسج على منوال وأنموذج دوليين لاصلة لهما بحاجات البلد.

٣- وقدم المؤلف من شمال إفريقيا نموذجاً إفريقياً ثالثاً يتمثل فى ميثاق الجزائر سنة ١٩٦٤ الملتزم بالإسلام، حيث أعلن: أنه يترتب على الثورة الجزائرية أن تعيد إلى الإسلام وجهه الحقيقى؛ وجهه التقدمى؛ «فمن الجلى أن الإسلام يمثل حصناً من أمنع الحصون ضد جميع محاولات سلخ الشخصية» وفى وسع المسلم أن يعضى نحو الاشتراكية على غير الدروب الغربية، كما نرى فى فريضة الزكاة التى تتيح إعادة توزيع الثروات، وتؤلف شكلاً إسلامياً نوعياً للاقتسام.

٤- وقدم المؤلف من الهند النموذج الذى قدمه (غاندى) فى (ساتيا غراها) التى تعني: التعلق بالحقيقة، حيث رفض النموذج الأوروبى الاستعمارى الذى يدعو إلى الانتقال من سياسة دون إله، إلى سياسة دون إنسان، سواء كان ذلك تحت عنوان (علم السياسة) البرجوازى، أو كان باسم (الاشتراكية العلمية) ودعا الى دمج معنى الاستقلال الذاتى، ومعنى مسئولية الشخص البشرى فى منظور أوسع، صادر عن التقليد

وقرر: أن المشكلة هي مشكلة إحداث تغيير جذري في النموذج الغربي لعلاقة الغربيين بالطبيعة بفضل حكمة الصين، وأفريقية، والهند، والإسلام؛ فهي مشكلة إقامة توازن في مفهوم الغربيين ذى النزعة التقنية بالإفادة من تجربة حية.

فحوار الحضارات الملمح إليه يكافح عزلة (الأنثى) الغربية الصغيرة المتبجحة، ويبرز واقع (الأنثى) الحقيقي الذى هو بالدرجة الأولى علاقة بالآخر، وعلاقة بالكل، وهو يعلمنا أن لانتصوير المستقبل فى شكل إيمان ساذج بالتقدم، ولا فى صورة فيض من إنجاز مشاريعنا إنجازاً تقنياً.

وحوار الحضارات هذا يساعدنا بذلك على أن نفتح - فى الصعيد الثقافى - على آفاق لانهاية لها فى المنظور الذى توحى به فى جميع المجالات أحدث تجديدات الثقافة الغربية.

فهو حوار يعلمنا من جديد حرية جديدة، لا تتحقق إلا مع الآخرين فى الحب، لا فى مجرد المطالبة الفردية.

وهو حوار كما يحرر الغربيين من البؤس، يحررهم من الوفرة والتخمة، والصراع وراء الربح الذى يخلق حاجات جديدة لانهاية لها، وما يتولد عن تلك الحاجات من وسائل تلبيتها تلبية ناقصة على الدوام.

وهو حوار يذكرنا دائماً أنه لا يمكن أن يوجد إنسان حراً فى مجتمع يرضى عن الرق فى داخله، أو يفرضه على شعوب أخرى فى أشكال مختلفة من التبعية.

ثم هو حوار يقضى على طائفة من ضروب القسر، ويدفع إلى إبداع إمكانات تتوخى أن تحقق لكل إنسان - وبكل إنسان - فرص حياة مادية

تطرحها عليه بيئته الثقافية والاجتماعية، ولكن الأمور تجري فى الغرب اليوم كما لو أن التقنية تحل محل الثقافة لحل مشكلات الإنسان.

وعرض للنموذج اللاهوتى الجديد الذى قدمه (الاب كوتيرز) من (بيرو)، والذى لا يكتفى بأن يكون اللاهوت حكمة ومعرفة عقلية، بل تفكيراً فى ضوء الإيمان يتناول الممارسة التاريخية لرجال ونساء انخرطوا فى النضال، فيقلب بذلك المسيرة التقليدية رأساً على عقب.

وعلى هذا النحو نجد الإيمان والعمل السياسى يتفاعلان تفاعلاً خصباً فى خلق مجتمع جديد وإنسان جديد، يصنع قدره الخاص، على خلاف ضروب اللاهوت الأمريكية القائلة (بموت الله).

ثم عرض للنموذج الذى قدمته الثورة الثقافية فى الصين المعلن عنها بشعار: (محاصرة المدينة بالريف) لمجابهة تراث ثلاثى مشعوم كانت تخضع له الصين، هو: التراث التقليدى المأثور عن البيروقراطيات، والتراث الرأسمالى الذى أدخل أول ما أدخل إلى المدن الساحلية، ثم انتشر فى الصين، والتراث التحريفى الذى يفرض اشتراكية غربية بصورة نمطية، هدفها اللحاق بالرأسمالية وتجاوزها.

الحوار المنشود

وفى الخاتمة (الحلف الثالث) ذكر المؤلف أنه لا يدعى - بما قدمه - الإجابة عن جميع المشكلات التى طرحتها الهيمنة الغربية خلال خمسمائة عام، ولكنه اقتصر على إبراز مدى ما يستطيع أن يحققه بحث لا يستند إلى الهيمنة، بل يستند إلى النظر نظرة سيمفونية إلى الثقافة.



متوازنة - وإمكان التعبير والثقافة، والمساهمة،
والنمو بالمعنى الكامل لهذه الكلمات.

ويعد :

فالكتاب - كما وضح - التفاتة مفكر غربي
حر، رأى أن يكشف حقيقة ماتعانيه البشرية،
ودور أمته في فرض هذه المعاناة، وانسياق الغرب -
أفراداً وجماعات - وراء قيادة ضالة جاهلة،
استعبد بها (أنا) التعالى، والتكبر، والوهم
الكاذب في تحقيق الذات بالتنعم على حساب
ظلم الآخر، وقهره، ونهب ثرواته، والعمل الدائب
على إبقائه في تلك الحال لإشباع حاجاتهم
الكاذبة المهلكة.

فهو صحيحة إنسان غربي في بنى جنسه - على
منهج النقد الصادق للذات - بغية إيقاظهم من
غفلتهم التي تكاد تهلكهم وتهلك الآخرين معهم.
وكذلك .. نرى أن الخطاب - في صياغاته -
خطاب موجه للغربيين التزم فيه مؤلفه باللغة التي
تناسبهم، سواء في سرد الأحداث التاريخية، أو
في الإشارات والرموز التي تضمنتها الوثائق
الداعمة لخطابه، لأن المؤلف يدرك أن مخاطبيه لن
يستعصى عليهم إدراك ما يؤول إليه.

ومن هنا ... أرى أن المغرب - وقد التزم بحرفية
الأصل - قد فاته أن يتنبه إلى حاجة الكتاب في
حال تعريبه إلى بسط وتفسير - ولو في الهامش -
يحول به الخطاب في الكتاب إلى القارئ العربي،
حتى تتحقق الغاية من التعريب، وهي إيقاف
الإنسان العربي على حقيقة الغرب المتآله،
وكشف الخدع التي عزز بها تألهه، وتعريفه
بالدور الحضاري لأسلافه، ومالديه من قوى كامنة
يمكن أن تغير من معالم الحياة، وتقود البشرية في

طريق الحضارة الحقة خطوات مثمرة.

فلو أن المغرب تنبه إلى ذلك لأسهم كثيراً في
التيسير على القارئ العربي، وبذلك تتحقق
الفائدة المرجوة من تعريب الكتاب.

ولم يكن ذلك - على خطره - هو المأخذ
الوحيد على التعريب، فقد أسهم المغرب في
تفسير الكتاب، إذ أغفل وضع الجمل المعترضة
بين شرطتين، على الرغم من طول الاعتراض،
وكثرة الجمل المعترضة، متغاضياً عما يستلزمه
ذلك من خلط وتشويش يصيب القارئ،
ويصرفه عن المضمون.

وكذلك أهمل المغرب الربط بين الجمل في كثير من
الأحيان - على عادة الغربيين في كتاباتهم - ولم يحسن
استعمال علامات الترقيم حسب النهج العربي.

واستعمل في النفي (لن) مكان (لم)، على
الرغم من الاختلاف البين بينهما، مثل قوله:
(وهي لن تظهر في أوروبا إلا في سنة ١١٨٠)
ص ٩٥، يقصد (لم تظهر).

كما إن المغرب عبر كثيراً عن الواقع بجمل
مسيبقة بحرف (السين) التي تفيد الاستقبال،
مثل قوله: (وسيصوغ «بول كلي» قانون هذا
الانقلاب) ص ١١٤ يقصد: وقد صاغ... إلى غير
ذلك من الهنات التي لوحصرص المغرب على
تلافيتها ليسر كثيراً على قارئه العربي.

ومع ذلك .. فالكاتب جهد يُشكر مؤلفه
المفكر رجاء جاروي على ما بذله فيه من جهد،
وما ضمنه إياه من صدق في زمان عز فيه الصدق.
ويشكر معربه لإسهامه في إسماعنا ذلك الصوت
الجاد الصريح. والله من وراء القصد، نرجوه
التوفيق والهداية.

وجوه الغرب في برهه المرآة

لأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

إن الفكر الغربي ليس له عذر يعتذر به عما قدمه من تشويه الإسلام والرسول ﷺ. وكيف يعتذر عما قدمه؟ وهو الذى أحكم دراسة التاريخ وأحداثه، علما ومنهجاً فبنى له علماً له نظامه وفلسفته، وهو ما عرف بـ «علم التاريخ وفلسفته»، وكانت الغاية التى رُمى إليها الغرب من وراء بنائه هذا العلم، أن يشيع روح السكينة فى نفس الدارس المتفحص للتاريخ وأحداثه، حتى لا يعجل الحكم على ما يستقرئه التاريخ تعصباً لرأى فرضته عليه مزاعمه، أو لا يدخل على التاريخ وجهة نظر تعبر عن موقف مسبق على الحدث التاريخى، ثم يتكلف له فهم الأحداث التاريخية ويتأولها على مقتضى ذلك الموقف السابق على الحدث، وليس على مقتضى سير الأحداث التاريخية..

فهناك مبادئ أحكمها الغرب فى هذا العلم - علم التاريخ - لتعينه على تحرى الموضوعية الفكرية، وتوخى النزاهة العلمية التى يطلبها الغرب دائماً من وراء مناهجه التى عرفت لديه منذ أوائل عصر النهضة «بمناهج البحث العلمى» التى تساعد على تحرى: «الحقيقة التاريخية» أو «الحقيقة العلمية» هذا ما عرفناه عن الغرب: لذلك نالنا العجب حين رأينا الغرب يتنكب سبل البحث العلمى فى فهم مسائل الشعوب التى أطلق عليها هو نفسه «دول العالم الثالث» أو (النامى) وجعلها موضوع تجاربه ليقيم قواعدها وفق مناهج أخرى غير علمية تدخل فى نطاق «الرؤية الاستعمارية» وتلك مبادئ أخرى غير مبادئه العلمية. وكنا لانرى لذلك مبرراً لتراجعه عن مناهجه فيما يخص تلك الشعوب إلى وضعها ميزاناً علمياً لدراسة

ذلك ما تعتمد الفكر الغربى

أن يقدمه لنا، ألواناً من

البغضاء الدفينة ونوعاً من

سوء الفهم المتعمد، فكيف

استطاع أن يزيّف ما رواه

التاريخ عن تعاليم الإسلام

ورسوله، حين قدم

تفسيراته للقرآن وتاريخ

الإسلام، وحين قدم الإسلام

على أنه مزيج من الفلسفات

القديمة ويقايا ملل مرفوضة

من اليهودية والمسيحية.

وحين قدم من تحت عبايته

صورة الرسول مشوهة

مكذوبة على التاريخ وعلى

الرأى العام الغربى، أصبحت

تلك الرسالة التى تشكل

حياة المسلم، تنتهى وفق

التفكير الغربى إلى التهافت

والاندثار.



لبعض الكتابات التي كانت تصدر هنا أو هناك، كل ذلك تجمع لدى على مدار خمسة عشر عاما يتراكم بعضه فوق بعض، وما كان يدور بخلدى أنى سأجمع هذا الرصيد، ولا سيما أنه قد نشر بعضه فى الصحف والمجلات أو فى حوليات المحاضرات .

لولا ظروف جدت على الساحة الثقافية والسياسية، بعضها على مستوى العالم العربى وبعضها على مستوى العالم الإسلامى، وبعضها على المستوى العالمى .. وكلها تفجرت تحت ضغط عاملين :

العامل الأول :

من الخارج وهو الغرب أمريكى .

العامل الثانى :

من الداخل وهو العالم الإسلامى نفسه .

أما عن العامل الأول : فبعد انتشار عقد الاتحاد السوفيتى واندثاره، تبعه سقوط حائط برلين، انتشى على أثره المارد الأوروبى، تحت ظل وحدة أوروبية جديدة عله يرث زعامة الاتحاد السوفيتى، ويكون عدلا لأمريكا فيما تطلبه من تغيير خريطة العالم والعالم الإسلامى من جديد، بما يهيىء لها أن تكون القوة المهيمنة والمنفردة المتحكمة فى مصير العالم ومسيره، ولا يعنى اختلاف الميول والأطماع، عدم التنسيق فى الجهود .

فلقد اتفق الغرب - أمريكى، على أن القوة الناهضة بعد اندثار الاتحاد السوفيتى، هى الإسلام . وأخرج رئيس أمريكى أسبق «ريتشارد نيكسون» كتابه «انتهزوا الفرصة» ألا وهى ضرب الإسلام، وما جاء فى الكتاب ليس بجديد - إنما

مسائل الشعوب ليزيف بها عن قصد حضارات الشعوب غير الأوروبية، وتلك هى الثنائية الغربية المزوجة التى تنطوى على التناقض المرالأليم : وجه علمى دقيق هو وجه الغرب للغرب، ووجه قبيح شره هو ذلك الوجه الكالغ أو القناع المزيف الذى يخيف به العالم .

يحرص الغرب على فهم حقيقة تلك الشعوب وفق رؤيته الاستعمارية أو اكتشافها أيا كان نوعها أو انتمائها ليستبقياها مكتومة فى حوزته لنفسه، وما يبديه منها يزيفه ويعرضه للضياع ليضل بها كثيرا ويشتت بها كثيرا وما يضل بها إلا أولئك الذين يتولون الولاء الغربى من حيث يشعرون أو لا يشعرون . لذلك يرى الغرب مثلا وبالرغم من، أنه يفهم الإسلام فهما حقيقيا ويعى دوره التاريخى إلا أنه يرى أنه ليس فى حاجة إلى أن ينسج علاقته مع الإسلام على ضوء ما يفهم إنما على ضوء مصالحه مع دول الإسلام وعلى ضوء عداوته التاريخية مع الإسلام وماضيه الحضارى، وليس على ضوء ما ينبغى أن تكون عليه العلاقات الصحيحة، وهو يعلم تقاليد العلمىة، فهو لا يريد أن يهملها إهمالا إذ أثر تعليق الحكم، وفق رؤيته الاستعمارية وفكره الاستعمارى لبنى عليه علاقات مزيفة تتناسب ورؤيته الاستعمارية التى زيفت التاريخ كثيرا .

ويرجع اهتمامى بتلك الدراسة إلى دوافع مختلفة يرجع بعضها إلى دعوتى من بعض الجامعات العربية لإلقاء بعض محاضرات فى تاريخ الفكر الإسلامى الحديث، ومنها ما كنت أدعى إليه من بعض الندوات أو المؤتمرات، ومنها ما كان رصيذا ثقافيا تجمع لدى من مراجعات ومطالعات



الفرصة . ولقد نشر الأهرام حواراً مهماً مع المفكر الفرنسي المسلم روجيه جارودى عن المتطرف - حوار أجراه د. سعيد اللاوندى بتاريخ ٢٩/٣/١٩٩٣ يقول فيه :

« ولقد وضعت هذا المؤلف الذى ترجم فور صدوره إلى عدة لغات منها الأسبانية والتركية، لكى أدافع به عن وجه الإسلام الحقيقى، بعدما لاحظت أن الغرب يخلط متعمداً بين الأصولية المتطرفة، وبين الدين الإسلامى الحنيف .

بعبارة أخرى كان على كمسلم يعتز بدينه أن أكشف هذا الزيف الذى لا تكف وسائل الإعلام الغربية عن تكراره فى هذه الفترة ، حيث تسعى إلى إلصاق صفات المتطرف والجمود بالإسلام .

وبداية . أؤكد أن هذه الأصوليات المتطرفة، ليست ظاهرة خاصة بالإسلام وحده دون الديانات والعقائد الأخرى، فالثورة الثقافية الصينية، على سبيل المثال، لم تكن ظاهرة إسلامية عندما تمرت على النموذج التنموى الغربى، وأعلنت رفضها لكل أشكال الثقافة الغربية، واستبدلت النظريات الاقتصادية الغربية بالنظرية الأخلاقية لكونفوشيوس، كما وضعت تراث ثورات الفلاحين بدلاً من الفكر الاشتراكى الطوباوى، ورفضت موسيقى بتهوفن لأنها - من وجهة نظرها - كانت موسيقى برجوازية! .

ولقد أوضحت فى كتابى أن الأصولية المتطرفة التى ظهرت فى العالم الثالث فى السنوات الأخيرة هى ردة فعل طبيعية للأصولية المتطرفة فى الغرب .. بمعنى أن الأصولية الغربية هى الأصولية « الأم » التى ولدت منها كل الأصوليات الأخرى سواء الأصولية الإسلامية فى أفغانستان وإيران

هو ترجيع ورجع صدى لما هو كامن فى أضاير سياسة الغرب الاستعمارية وفى تقارير المبشرين .. والمستشرقين .

أما ما أضافه الكتاب جديداً، فهو : إعلان ساعة الصفر، وأن الفرصة قد حانت، فعلى الغرب أمريكى أن يقوم قومته . ولقد قام فعلاً فى شراسة، ونذالة، متآمراً . وضرب دولة مسلمة فى أوروبا « البوسنة والهرسك » عصف ، فى سبيل ضربها، بكل القيم الأخلاقية والدينية والأعراف الدولية، وما تمخضت عنه ثورات الإنسانية على مدى تاريخها الطويل ورفعته ميثاقاً دولياً فيما بينها، وقامت عليه أركان الأمم المتحدة، ولقد باشر معها كل ألوان التعذيب والقتل والتمثيل فى غير رحمة . وفى بلاد مشاعر كانوا يسبون أحياءهم ويستحيون نساءهم . أما الأطفال والعجزة والشيوخ فينتظرون الموت صبراً . ذلك هو وجه الغرب - أمريكى القبح ..

ثم بدأ الغرب - أمريكى ينشد قصة الذئب والحمل فى أنه عكر عليه الماء . فشن هجومه على الأقليات الإسلامية حتى لا يستجير بها ضعفاء البوسنة والهرسك . وكل حدث إرهابى يقع فى أى مكان يجرم فيه أفراد الجاليات الإسلامية العربية .. والأوصياء على الإرهاب فى نظر الغرب، دائماً، دول عربية إسلامية . وما ترددت فرنسا فى إغلاق الباب فى وجه دعاة إسلاميين رسميين، درجت مصر منذ تاريخ طويل أن ترسل فى شهر رمضان بعض الدعاة وقارئى القرآن لإحياء هذا الشهر، إلى الجاليات الإسلامية المقيمة فى دول العالم . فتلك هى بدايات انتهزوا



الحقيقية على أى مستوى من مستويات العظمة الروحية والمادية، وبيان أن الإسلام مهما تناوشته قوى الغدر والخيانة فى الداخل أو الخارج فله مستقبل السيطرة والسيادة العالمية.

فمتى يتخلص مرضى الوهم من أنفسهم؟ ومتى يتخلص العالم الإسلامى من مرضاه؟ تضيق حينئذ الفجوة بين الإسلام وشعوبه، وتزول الجفوة التى قد رانت على القلوب حتى جفانا الإسلام. ولقد نشرت مجلة النيوزويك الأمريكية مقالا تحت عنوان : « هل يجب أن نخشى الإسلام - للكاتب الأمريكى كريستوفر ديكى - أحدث رد فعل كان من أثره أن نشرت المجلة من ردود الفعل ثلاث رسائل : الرسالة الاولى من محمد صديق قال فيها : إن المقال نجح فى تصوير مخاوف المسلمين - لكنه فشل فى ذكر معلومات كافية عن الإسلام. وانتقد الاعلام الغربى الذى يروج لتعبيرات تشوه الإسلام مثل : المتطرفون - المتعصبون - الإصوليون .. تلصقها بالإسلام لصقا .

والرسالة الثالثة للأمريكية : نورما تاراوى . دافعت فيها عن جماعات الإقلييات الإسلامية فى مواجهة عنف الدول البوليسية التى تعيش فيها .. وقالت : إن بعض المسلمين يريدون الإصلاح السياسى فى بلادهم من أجل الإصلاح الاجتماعى والاقتصادى وهو أمر لا تتعاطف معه الولايات المتحدة التى تكيل بمكياالين فى التعامل مع الدول العربية « روزاليوسف عدد ٣٣٨٠ » وتلك هى القضية.

وباكستان ، أو الأصولية العربية الإسلامية فى تركيا ومصر والجزائر وتونس ولبنان .

أما العامل الثانى فهو مرض الخوف الذى تفشى فى العالم الإسلامى . وهو فى حقيقة الأمر مرض وهمى وهو نوع من سوء التفكير، وهذا النوع من مرضى الوهم، لا يتعاملون مع العالم الخارجى، إلا من خلال ما يتوهمون، ولا يتعاملون مع أنفسهم إلا من خلال أوهام سيطرت عليهم، فهم يعيشون فى وهم، فهم مع أنفسهم واهمون، ومع العالم الخارجى فى خوف دائم منه، تلك هى مشكلة العالم الإسلامى .. مشكلته مع نفسه .. يتوهم الخوف فيخاف، ويتوهم الوهم فيتوتر، يخاف الحرية ويدعيها، يخاف الديمقراطية من أن تحيل النظام إلى فوضى .

ولما كانت حال المتوتر فى هلع دائم وخوف على مصيرها تميزت بنوع من التفكير السيئ الذى يحيل النزوات العصبية تفكيراً .. ومن كان هذا شأنه .. كيف تصدق لديه موازين الأمور .. وقد صارت موازين الأمور التى هى من صميم اختيار الشعوب إلى حالة مزاجية لدى الحاكم . فمن الصعب التمييز بين الخصم والحكم، ومن هو صاحب القضية .

لذلك جمعت هذه الدراسة . فهى تحكى من خلال التاريخ ووثائقه قضية الصراع الغرب - أمريكى مع الإسلام، آملاً إبراز الوسائل الدنيئة التى ابتدعها لضرب العالم الإسلامى .. وهى متعددة، استعمار مسلح، وجاليات الامتياز، وسماسرة تبشير، وجماعات تزييف الثقافة الإسلامية، وتوضيح أن العالم الإسلامى يركز على عناصر القوة

مَنْ الإرهابي؟

لأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني



كان من أبرز الأوصاف، التي وصف بها الغرب في العصر الحديث الإسلام والمسلمين، هو الإرهاب فالإسلام عندهم دين إرهابي دُموي، لا يعترف لغيره بحق الوجود في الحياة، وأنه ساد وانتشر بالسيف، وأن المسلمين كانوا صورة طبق الأصل من كتابهم «القرآن» ومن رسولهم «محمد ﷺ» وتعاليمه التي طبعته على القسوة، وحثتهم على العدوان؟.

هذه التهم مرت بمرحلتين حتى الآن، كانت المرحلة الأولى - وما تزال قائمة - تعتمد على القول، وكان جنود المبشرين ثم تلاميذهم المستشرقين، وقد أحصى باحث أتاحت له فرصة العيش في الغرب، ومتابعة ما تفرزه المطابع هناك أنه من عام ١٨٠٠م إلى ١٩٥٠م بلغ ثلاثة وستين ألف مجلد، كتبها المبشرون والمستشرقون في الهجوم على الإسلام والمسلمين.

لا يغزو الغرب ويحقق انتشارا جديدا في أى بقعة من الأرض، سواء كان ذلك في العالم الصليبي، أو الشيوعي، أو في غيرهما؟.

الثالث: تكثيف الحملات العدائية ضده، والعمل الدءوب لتشويه حقائقه وتكريه أبنائه فيه؟^(١)

هذه المحاور الثلاثة صال وجال من أجلها فريقان في بداية الأمر:

ثم جاء محللون آخرون، ونظروا في تلك المطبوعات نظرة أخرى، لا من حيث عددها، ولكن من حيث محتواها وغاياتها، وقد - رصدوا - بعد التحليل الأهداف الثلاثة الآتية:

الأول: محاولة القضاء على الإسلام كلية إن أمكن ذلك، فإذا لم يكن ممكنا فأمامهم بديلان يبدوان أنهما ممكنان، وهما:

الثاني: تحجيم الإسلام وحصره في بيئته حتى

(١) الإسلام قوة الغد العالمية (٢٩) باول شمنز تعريب د/ محمد شامة



● **المبشرون:** وكان هدفهم تضليل العامة، ومن لاحظ لهم من ثقافة عالية واعية يمكن أن تحصنهم من هذه الأوبئة، التي تعرض في أساليب مأكرة خادعة.

● **المستشرقون:** وكانت مهمة هؤلاء هي تشكيك المثقفين عن طريق الفكر المبرمج المنظم، فهم لا يثيرون معارك هامشية ضد الإسلام، وإنما يوجهون سهامهم نحو أصول الإسلام ومبادئه وقيمه الراسخة، وهم أكثر نتاجا من المبشرين، وماتزال أعمالهم العدوانية على الإسلام في النمو والانتشار.

وقد أتاح لهم الاستعمار الأجنبي لكثير من البلاد الإسلامية فرصة التحرك الواسع والمعلن في الديار الإسلامية كما حدث في الهند وفي مصر وفي الجزائر منذ زمن مبكر.

وبالإضافة إلى الفريقين التقليديين في مجال ما أسموه بالتبشير والاستشراق، نجح المستعمرون في تكوين فريق ثالث ربما كان أشد خطرا من المبشرين والمستشرقين وهم العملاء منا نحن - المسلمين - وهؤلاء العملاء روعى في تجنيدهم أن يكونوا في قطاعات مؤثرة في صنع الرأي والتأثير بالكلمات المكتوبة أو المسموعة في مجال الرأي العام، وذلك من خلال هذه المعابر: الصحافة والإعلام، التأليف والنشر، الأدب والفن، الجامعة، العمل السياسي، المبرات الخيرية، المؤسسات العلاجية الأجنبية، البعثات، ودور التعليم الأجنبي في البلاد الإسلامية التي تسمح بهذا النوع من التعليم الدخيل.

هؤلاء العملاء يؤدون أدوارهم حتى الآن، بعد رحيل الاستعمار الذي طوق كل البلاد الإسلامية والعربية، إلا البلاد السعودية موطن الدعوة الأول، والحرمين الشريفين.

ومنذ الجولة الأولى لجيوش المبشرين في مجاهل آسيا، وأفريقيا، والديار الإسلامية، ظهر لأعداء الإسلام خيبة رجائهم في القضاء على الإسلام، وهو الهدف الأول الذي وضعوه في خططهم لمواجهة الإسلام.

وقد سجل هذه الحقيقة المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد، في كتابه: «الإسلام في القرن العشرين»^(٢) فقد قال: «إن قوافل المبشرين لم تجد استجابة من أى مسلم لتحويله عن دينه إلى النصرانية، فكتب رؤساء تلك القوافل تقارير رفعوها إلى قياداتهم في أوروبا فجاءتهم ردود قياداتهم أن يحولوا نشاطهم التبشيري من الإسلام إلى النصرانية إلى التبشير بين المذاهب النصرانية نفسها.

فيدعو المبشرون الكاثوليك أتباع المذهب الأرثوذكسي والبروتستانتى إلى اعتناق المذهب الكاثوليكي، والكنائس البروتستانية تدعو غير البروتستانتين إلى اعتناق البروتستانية، وهكذا يؤسوا من تنصير المسلمين وخاب ظنهم في القضاء على الإسلام مهما بذل المبشرون من جهود، وقدموا من إغراءات عينية وغير عينية إلا حالات نادرة لم تبطل لهم صدى، ولم تشف لهم غليلا.

(٢) ص (١١) وما بعدها.



شكيب أرسلان

الإسلام» وإني أهيب بكل الدعاة والإعلاميين والشباب أن يطلعوا على هذه «الوثائق» لأن لها صلة قوية بالسياسات

لذلك قصروا أنشطتهم على المحورين الثاني والثالث المشار إليهما قبلاً، وما يزال العمل من أجلهما قائماً ومما تجدر الإشارة إليه في هذا التمهيد، حقيقة لا يعرفها كثير منا، وهي تبين لنا جوانب خفية ذات أهمية قصوى، في الكشف عن موقف الغرب الآن، وبخاصة أمريكا - من تأليب المجتمع الدولي ضد الإسلام، ووصف العرب والمسلمين بأنهم إرهابيون يجب التصدي لهم بكل قوة.

الغربية، التي تصاغ الآن لوقف الخطر الإسلامي كما يزعمون، ويلتمسون المبررات لضربنا، ولف حبل المشنقة حول رقابنا

تلك الحقيقة أنه في الفترة التي أعقبت سقوط الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى. كان الشغل الشاغل للغرب أن يبحث عن وسيلة يواجه بها الشرق الإسلامي ليقضى عليه قضاء مبرماً.

هذه هي أهم ملامح المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية فهم يحاولون الانتقال فيها من القول إلى العمل، والعمل هو «الحرب المسلحة»، التي أعلنوا أنهم سيستعملون فيها كل «الأسلحة» حرب صليبية جديدة كما قالوا... وسوف يعتمدون فيها على الزعم بأننا إرهابيون، ونحن لسنا إرهابيين، وهذا ما سنبينه فيما يأتي، بعد هذا المدخل أو التمهيد، الذي رأينا أن نذكره بين يدي دفاعنا عن الإسلام بأنه دين سماحة وسلام، وعن المسلمين بأنهم مسالمون، وأنهم ضحية الإرهاب العالمي في الماضي والحاضر.

وفي هذا الشأن ظهرت مشروعات بلغت مائة مشروع في كل منها خطة ومنهج لإضعاف المسلمين، وجعلهم يعيشون على هامش الحياة، لا يشعر بهم أحد، ولا يحترمهم أحد وقد اشترك في صياغة تلك «المشروعات المائة» سياسيون ومفكرون وعسكريون، وأساقفة وغيرهم، وغيرهم وقد سجل تلك المشروعات ولخصها وبين أهدافها وذكر مؤلفيها المجاهد الإسلامي الكبير أمير شكيب أرسلان^(٣) - رحمه الله - «حاضر العالم

«يتبع»

(٣) حاضر العالم الإسلامي «ج ٢ من ص ٢٠٨ إلى ٣٤٢» والكتاب من تأليف الباحث الأمريكي الشهير لوتروب ستودارد، وقد أثره الأمير شكيب أرسلان بتعليقات ومقالات دفعت الكثيرين إلى نسبة الكتاب إليه.



مواقف إسلامية

قصة زواج ناجح

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمار

تهديد

النفوس.. والهوى.. والشيطان.. والدنيا.. كلها تزين الإثم.. وتغري بالاسترسال مع الدنيا بمباهجها.
وانحذار الإنسان إلى هذا الدرك سهل.
فالغرائز غالبة.. تنجح به دائماً إلى الهبوط منحدرًا إلى الرذيلة.
الذي تطمس فيه ملكة التمييز.. حتى إنه يرى حسنًا ما ليس بالحسن.
ولو شاء الله، تعالى، لرفعه إلى أعلى.
ولكن الإنسان.. لم يتجه إلى هذه الهداية وإنما:
أخذ إلى الأرض.. واتبع هواه.. فكان جزاؤه الخسران.. الذي لا يبقى في داره ثاغية.. ولا راغبة!

موقف المسلم

إن النهار لنا.
أذن مؤذن النهضة فينا: حى على الفلاح..
فقمنا.
وصاحت ديكة الفجر تطرد بقايا النوم من
عيون الزهر.

ولكن المسلم الذى لم يخلد إلى الأرض..
ولم يتبع هواه..
يفر من هذا الحصار المضروب
عليه..
محلقًا فى السموات العلاء..
متغنيا بهذا
الشعار:



والمستقبل لنا:

للذين أدركوا أن لهم أجنحة النسر. الذى خلق ليضرب فى كبد السماء مشرقاً.. يحدق فى عين الشمس.

وليس هو بالذى يطير بجناحي دجاجة.. يلتقط بقايا.. مائدة الغرب « من مزابل الحياة.

للذين طمحت بهم همهمهم.. ليسيروا على درب المجرة:

الذى فرشت أرضه بالنجوم.. ليصلوا بقلوبهم إلى الله.

والفرق هائل بين طلاب الدنيا الذين غدوا بالنعيم.. فأفسدهم النعيم.. بل صاروا به كالحلفاء فى لهب الحريق.. وبين أناس صلبت فيهم إرادة من صنع الإيمان.. فكانوا أكبر من هذا الزمان: يفوضون أمرهم.. لمن يملك أمرهم. ويقدر على ضرهم ونفعهم.. وإذا دهمهم أمر لم يحاولوا دفعه بمعصية الله - تعالى..

إذا وقعوا فى محنة.. لم يسألوا إلا الله.. ولم يتوكلوا إلا عليه، ولم يفوضوا إلا إليه. ومن هؤلاء بطل قصة اليوم:

القاضى: «أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزار البغدادى الأنصارى»

ذكر الحافظ بن رجب الحنبلى: أن الشيخ الصالح أبا القاسم الخراز البغدادى قال:

سمعت القاضى أبا بكر.. بن البزار يقول:

كنت مجاوراً بمكة المكرمة.

فأصابنى يوماً من الأيام جوع شديد. لم أجد شيئاً أدفع به عنى الجوع.

فوجدت كيساً مشدوداً بشرابة. فأخذته.

وجئت به إلى بيتى.

فحللته. فوجدت فيه عقداً من لؤلؤ. لم أر مثله. وخرجت فإذا بشيخ ينادى علىّ. ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار

وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذى فيه اللؤلؤ.

الاختبار الصعب

كان الرجل يحس بالجوع.. ولكن إحساسه بالغربة فى مجتمعه كان أشد.

لقد تلفت حوله فلم يجد ما يدفع به غائلة الجوع.. وفتح عينه على كثير.. ولكن.. لم ير أحداً..

لقد انفض السامر من حوله.. لما صار فقيراً:

وكان بنو عمى يقولون: مرحباً

فلما رأونى مفلساً مات مرحب!!

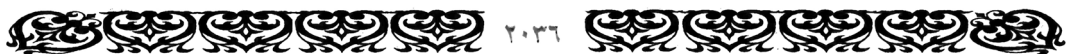
وإذن فقد كان الامتحان صعباً.

ومن تدبير - الله تعالى - أن يتخلق الفرج من الضيق نفسه، فهذا هو العقد الغالى.. رزقا يسوقه الله إليه.. وهو على أى حال خيط الأمل يخترق الليل.. ليل الهم الذى أرخى عليه سدوله.. يتبدى فى حضور صاحب العقد الذى سيضع الله - تعالى - به حدا لهمه الثقيل المقيم

الاختبار الأصعب

وإذا كان البلاء قد أناخ بكل كلكه على الرجل.. فإن أصعب منه أن يحدد موقفه الآن من هذا العقد.. وبعد ما لاح صاحبه.

فى الأفق.





وينوب عنا ابن الجوزى فى التعليق على موقف
هذا الرجل: (١)

من رزق همة عاليه .. يعذب بمقدارها . كما
قال الشاعر :

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الأجسام
وقال الآخر :

ولكل جسم فى النحول بلية
وبلاء جسمى من تفاوت همتى
وبيان هذا :

أن من علت همته ، طلب العلوم كلها ، ولم
يقتصر على بعضها وطلب من كل علم نهايته
وهذا لا يحتمله البدن .

ثم يرى أن المراد العمل .. فيجتهد فى قيام
الليل .. وصيام النهار .

والجمع بين ذلك وبين العلم صعب .
ثم يرى ترك الدنيا .. ويحتاج إلى ما لا بد منه .
ويحب الإيثار .. ولا يقدر على البخل .
ويتقاضاه الكرم البذل .

ويمنعه عز النفس عن الكسب من وجوه التبذل .
فإن هو جرى على طبعه من الكرم .. احتاج
وافقر .. وتأثر بدنه .. وعائلته .

وإن أمسك فطبعه يأبى ذلك .
وفى الجملة : يحتاج إلى معاناة . وجمع بين
أضداد .

لكن الرجل - وتحت ضغط الجوع - قرر أن يأخذ
جائزته

ثم يرد على الرجل عقده .. بعد معركة فى
نفسه بين مروءته التى تأمره أن يرد اللقطة .. بلا
عوض .. وبين حاجته الملحة إلى لقمة الخبز وشربة
الماء .

وعلى مضض يتخذ قراره حين قال :

قلت : أنا محتاج . وأنا جائع : فأخذ الذهب .
فأنتفع به . وأرد عليه الكيس .

فقلت له : تعال إلى .

فتوجهنا إلى بيتى :

فأعطاني علامة الكيس . وعلامة الشراية .
وعلامة اللؤلؤ وعدده . والحيط الذى هو مشدود
به .

فأخرجته ودفعته إليه .

فسلم لى خمسمائة دينار .. فما أخذتها
وقلت : يجب على أن أعيده إليك .. ولا آخذ له
جزاء .

فقال لى : لا بد أن تأخذ .. وألح على كثيرا .
فلم أقبل ذلك منه . فتركنى
ومضى [.

العظماء بين همومهم .. وهمهمهم

يقولون :

إن الجمع بين العلم والعمل .. صعب .. لكن
ذلك العالم الجليل قد جمع بينهما :

(١) صيد الخاطر - ٥٧٠ وما بعدها .



وما زال الزمان على هذا .. إلى أن آل الأمر إلى
انحماق ذلك .

فقلت عطايا السلاطين . وقلّ من يؤثر من
الإخوان ..
إلا أنه كان في ذلك القليل ما يدفع
الزمان [٢] .

ولكن .. إذا توقف عطاء الإخوان .. فما توقف
عطاء رب الإخوان الذى يرزق المتقى من حيث لا
يحتسب .
وصدق الله العظيم :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [٣] .

وهذا هو الذى حدث بالفعل .. لعالمنا موضوع
حديثنا .

بركة القرآن

قال القاضى :

وخرجت من مكة . وركبت البحر فانكسر
المركب . وغرق الناس . وهلك أموالهم .
وسلمت أنا على قطعة من المركب .

فبقيت مدة فى البحر . لا أدرى أين أذهب .
فوصلت إلى جزيرة فيها قوم . فقعدت فى بعض
المساجد . فسمعونى أقرأ . فلم يبق فى تلك
الجزيرة أحد إلا جاء إلى وقال :
علمنى القرآن .

فحصل لى من أولئك القوم شىء كثير من

فهو أبدا فى نصب لا ينقضى . وتعب لا
يفرغ [١] . هـ

وقد واجه الرجل هذا الامتحان الصعب ..
فاصطبر .. ورفض الجائزة وهى حقه .. فى ظروف
لا يتحملها بشر وكان أمره على ما قال الشاعر :
إذا قيل هذا مورد .. قلت : قد أرى

ولكن نفس الحر تحتل الظما
وقد تحمل الرجل : الجوع .. والظمأ معا .

الثرى .. والثريا

إذا كان هناك ناس ذمهم واسعة .. ترمح فيها
الخيال .

وإذا كان هناك من يرون الحلال هو : ماحل فى
أيديهم .

فإن عالمنا الجليل .. كان تلك الثريا .. التى
صعدت فى السماء .

فوق هذا الثرى الهابط الرخيص .

لكن الثمن كان غالياً :

فقد كان عليه أن يصبر .. فى زمان قل فيه
الأثرياء الأوفياء :

لقد كان العلماء يسكنون إلى عطاء الزملاء
الذين لا يمتنون :

كان ابن المبارك يبعث إلى الفضل وغيره .

وكان الليثى بن سعد يتفقد الأكابر :

فبعث إلى مالك ألف دينار . وإلى ابن لهيعة
ألف دينار . وأعطى منصور بن دينار ألف دينار .

(٣) جزء من الآيتين : ٢ و ٣ من سورة الطلاق .

(٢) صيد الخاطر ٤٨٥ .



فمنظف طرق الإجابة من أوساخ المعاصي . وانظر فيما تطلبه : هل هو لإصلاح دينك ؟ أو لمجرد هواك . فإن كان للهوى المجرّد .. فاعلم أنه من اللطف بك . والرحمة لك . تعويقه :

وأنت في إلحاحك بمثابة الطفل :

يطلب ما يؤذيه . فيمنع .. رأفة به ، وإن كان لإصلاح دينك : فرما كانت المصلحة تأخير .. أو كان صلاح الدين بعده .

وفي الجملة : تدبير الله - تعالى - لك خير من تدبيرك . وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء .. ليلبّو صبرك .. فأره الصبر الجميل .. ترّعن قرب ما يسر .

ومتى نظفت طرق الإجابة من أدران الذنوب .. وصبرت على ما يقضيه لك . فكل ما يجرى أصلح لك : عطاء كان أو منعا[.

قضية الرزق

إنها إذن قضية الرزق .. ماديا كان أو معنويا

..

وواجب العبد هو التسليم .. كهذا العالم الذي صابر زمانه .. فكان تفسيراً عملياً لقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ (٥)

لقد قدم الرجل من نفسه تقواها .. فحقّق الله تعالى بالتقوى ثمارها :

المال . وقالوا لى : تحسن الكتابة ؟ فقلت : نعم فقالوا : علمنا الخط . فجاءوا بأولادهم . فكنت أعلمهم . فحصل لى أيضا من ذلك شيء كثير .

وتأمل كيف يبلغ اليأس مداه .. ليشع الأمل في نفس اللحظة التي توشك فيها النفس أن تطير شعاعاً .

ثم كيف يستبد الحزن بالمسلم الذي تتخلى عنه الدنيا .. ثم هو غافل عن ذلك الكنز الثمين الذي يختزنه في قلبه وهو : القرآن الكريم .. والذي أثبت .. وفي الوقت المناسب كيف كان غوث اللهيّ .. على نحو يؤكد للحيارى .. أن الحيرة فيما اختاره الله - تعالى -

وإذا كان الشاعر يقول :

يعلننا هذا الزمان بذا الوعد

ويخضع عما في يديه من النقد

إذا كان الزمان يفعل هذا .. فإن خداعه لن يعمر طويلاً .

لأن الله - تعالى - أرحم بعبده المتوكل عليه أن يرد يديه صفراً .

وإن من حكمته تعالى أن يربى عبده حين يضربه بالحوادث التي يخرج منها ذهاباً خالصاً : قال ابن الجوزي (٤) .

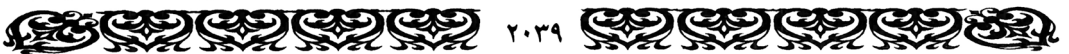
من العجب إلحاحك في طلب أغراضك . وكلما زاد تعويقها زاد إلحاحك . وتنسى أنها قد تمتنع لأحد أمرين :

إما لمصلحتك : فرمما معجل أذى .

وإما لذنوبك : فإن صاحب الذنوب بعيد من الإجابة .

(٥) الطلاق / ٢ ، ٣ .

(٤) صيد الخاطر / ٢٢٦ - ٢٢٧ .





أ - أخرجه من البحر سالماً .

ب - ثم رزقه من حيث لا يتوقع الرزق .

ومعنى ذلك :

أن يشغل العبد نفسه بطاعة خالقه - عز وجل -
- مقبلاً بقلبه عليه سبحانه .. مستدبراً الأسباب ..
مؤملاً الخير في مسبب الأسباب تعالى ..

إن التمساح الهائل الضخم .. يخرج رأسه من
البحر .. ثم يفتح فاه .. فيأتي طائر .. صغير ..
لينظف أسنانه .. فلا يؤذيه .. ثم يعود الطائر إلى
وكره شعبان ريان !!

من دروس شيخى

ومما تعيه الذاكرة من دروس شيخى (٦) .

يقول الله - تعالى - :

﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رَزْقِهَا﴾ (٧) .

ومعنى المشى فى المناكب : طلب الرزق بكل
أسبابه :

بالزراعة ، والصناعة ، والتجارة

أى : استنفاد الطاقة كلها فى طلبه .

وذلك مفتاح من مفاتيح الحضارة .. يتفرد به
الإسلام فى قيادته للحياة .. إلى التى هى أقوم

أجل : مفتاح الحضارة ، لأنها قبل ذلك ، مفتاح
عزة الأمة وكرامتها .

فالآية الكريمة تعنى :

أن رزق العبد محفوظ ، وهو بين عطائه

تعالى .. وسعى العبد شخصياً .

وإذن : فلا واسطة :

ليس فى قضية الرزق عنصر ثالث .. من مدير
يستذللك .

أو مالك يستبد بك .

ومغزى هذا :

أنك لا تطلب الرزق من المخلوق .

وإنما تطلبه من الخالق سبحانه .

ويترتب على ذلك :

أ - أنك لن تحزن على ما فاتك منه .

ب - ولن تقلق على ما تترقبه .

ج - وذلك أزكى وأحفظ للكرامة .. لأن

القضية أساساً فى يد أمينة !!

سنة التعويض

قال القاضى :

وقالوا لى بعض ذلك : عندنا صبية يتيمة . ولها

شئ من الدنيا . نريد أن تتزوج بها .

فامتنعت .

فقالوا : لابد . وألزمونى . فأجبتهم إلى ذلك .

فلما زفوها إلى . مددت عيني أنظر إليها .

فوجدت العقد بعينه معلقاً فى عنقها !!

فما كان لى حينئذ شغل إلا النظر إليه . فقالوا :

ياشيخ !!

كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد .

(٦) د. محمد سعاد جلال .. وكالعادة : له الفكرة .. وعلينا التبسيط .

(٧) الملك / ١٥ .





ولم تنظر إليها!

فقصص عليهم قصة العقد .

فصاحوا بالتهليل والتكبير . حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة .

فقلت : ما بكم ؟! فقالوا :

ذلك الشيخ الذى أخذ منك العقد . هو أبو هذه الصبية .

وكان يقول :

ما وجدت فى الدنيا مسلماً إلا هذا الذى رد على هذا العقد .

وكان يدعو ويقول :

اللهم اجمع بينى وبينه حتى أزوجه بابنتى !

والآن قد حصل .

من دروس الموقف

أ - المجتمع يكرم اليتيم .

إنه مجتمع الأبرار الذى لا يكتفى فقط بكفالة اليتيم .. وإنما يكرمه .

ومن مظاهر التكريم هنا : أنهم يسعون ويتواصون بتزويجها .

ولا بأس أن يكون الزوج شيخاً .. ففارق السن .. لا يمنع من زواج توفرت دواعى نجاحه .

ب - يعلمنا الزوج أن هناك شيئاً أقوى من الغريزة .. حين استغرق فى سبحاته وذكرياته أيما وليالى .. متدبراً فى صنع الله - تعالى - . . والذى رد العقد إليه .

ولم يسقه إليه فى شرايته كما سلمه لصاحبه .

وإنما يأتى إليه فى جيد فتاة .. حلال له .

لقد رفض مئات الدنانير .. فجاء الله - تعالى - بما هو أغلى من ملء الأرض ذهباً .

ج - ولم يكن المجتمع مجرد « خاطبة » تشرف على العقد .. ثم ينتهى دورها .

وإنما كان المجتمع يتابع .. ويراقب .. حتى يطمئن على الأمانة .. على اليتيمة التى كانت ودیعة فى يديه .. وما كان على اليتيمة من حرج فى أن تخبر « أهلها » بمشكلتها حين أعرض عنها الزوج .

وكان لابد أن يتدخلوا لمعرفة السر .. وكان هذا العتاب الرقيق .. والذى انتهى بهذا الدرس البليغ .. فى ضرورة تعويض من ترك شيئاً لله .. عوضه الله - تعالى - - خيراً منه .

د - وما أكثر الأصدقاء الذين سيكون اليوم ذلك الراحل العزيز .. وما أشد ما يتوجعون لمشهد أيتام زغب الحواصل : لا ماء .. ولا شجر .

وعند ما يوارونه التراب .. يعود كل واحد إلى دنياه مؤثراً هواه على كل ماعداه :

ويصمت الحديث عن الأيتام .. الذين يضيعون على موائد اللثام .

لكن هذا الموقف العظيم .. تشع من ورائه ظلال وألوان .. من القيم الأصيلة النبيلة التى تعمربها قلوب الأصدقاء الأوفياء .

الأوفياء .. الذين يبدأ دورهم الحقيقى بعد رحيل الصديق أن ينوبوا عنه فى تربية أيتام .. لا يشعرون بالفراغ من بعد أبيهم .. فى ظل آباء



ينبغي للعاقل أن يتخير امرأة صالحة . من بيت صالح . يغلب عليها الفقر . لتري ما يأتيها به كثير!

ثم قال :

وليتزوج من يقاربه في السن .. فأما الشيخ : فإنه إذا تزوج صبية آذاها :

وربما فجرت . أو قتلت . أو طلبت الطلاق . وهو يحبها فيتأذى . وليتمم نقصه بحسن الأخلاق . وكثرة النفقة]

هكذا قال ابن الجوزي .. قبل أن يرى قصة هذا الزواج الناجح :

بين شيخ .. وفتاة ..

ولو قد رأى .. لغير رأيه .. الذي حاول أن يجعل منه قاعدة .

ولكن الواقع شاهد بأن لكل قاعدة استثناء .

استدراك

لكن ابن الجوزي كانت له نظرتة المستقبلية الصائبة مع هذا .. ولعله كان يقصد بالشيخ .. ذلك العجوز الذي يحاول استئناف حياة فات أوانها مع بنت في عمر أحفاده!

والواقع شاهد بما يقول :

فقد وافتنا وسائل الإعلام بنبأ هذا العجوز . الذي هرع إلى قسم الشرطة بشكوى ضد زوجته .. والتي اكتشف أنها - وهي في عصمته - تزوجت بغيره؟!

جدد .. ربما كانوا أقل الناس بكاء على أبيهم .. لقد شغلهم البكاء لأيتامه .. عن البكاء عليه؟!

آباء صدق

وتأمل كيف كان صاحب الكيس يتخير لابنته .. التي طال من أجلها بحثه عن ذلك الذي وجد الكيس في الطريق .. ليكون لها زوجا .. لأنه لم يجد في حياته من استكمل عناصر الإيمان إلا هو .. وكيف حقق الله أمله وزكى عمله .. تبصرة وذكرى لكل أب يبحث عن الاسم الذائع . والصيت الذائع .. ثم لا يجنى في النهاية إلا رجوع الصدى .

من آيات الله

قال القاضي :

فبقيت معها مدة . ورزقت منها بولدين .

ثم ماتت . فورثت العقد أنا وولداي .

ثم مات الولدان .. فحصل العقد لي .. فبعته بمائة ألف دينار .

وهذا المال الذي ترونه معي .. من بقايا هذا المال [أ . هـ

من فقه ابن الجوزي

أما بعد

قال ابن الجوزي^(٨) :

(٨) صيد الخاطر/٦٠٣ .



الربيع الصامت

إنه الحمق بعينه:

أن يؤثر الإنسان حَفنة من ذهب .. تذهب
بمستقبله ومستقبل أهله معه .

وماذا يبقى من المال .. بعدما راحت هيبة
الرجال .

وأذكر هنا ذلك الربيع .. الذى صورهِ الشعراء
من قبل يأتى .. مختالا .. ضاحكا .

إنه يأتى اليوم .. صامتا كئيبا:

إن طيوره المغردة .. ماتت بالمبيدات .

فى الوقت الذى بقيت فيه الحشرات حية ..
لأنها طورت نفسها مع المبيدات .. حتى صارت
غذاء لها .. وكانت أمريكا تخسر ثلث محصولها
بالحشرات .

فاشترت المبيدات .

واشترتها بثلث المحصول .

ويعنى هذا:

أن النتيجة كانت أشد ضررا:

فقد دفعت ثمن المبيدات .. ثم خسرت
الإنسان .. والحيوان والزرع!!

وهكذا نحن فى دنيا الناس: إننا نصنع
المتاعب .. ثم نشكو بعد ذلك منها:

نشترى المتعة .. ثم فى النهاية نخسر الكرامة

نمزق دنيانا بتمزيق ديننا

فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

لقد تجاوز العجوز السبعين خريفا .. بينما كان
عمر الزوجة عشرين ربيعا .

هذا العجوز الذى لولا زوجته الأولى .. ماكان
غنيا .

ولولا غناه .. ماكانت الزوجة الثانية .

لكنه تناسى وضعه وتزوجها .. فكان أن
تزوجت من هو فى مثل سنها .

لقد ارتكبت البنت خطأ فاحشا .. نعم ..
وكان موقفها نقدا ذاتيا مدمرا .. نعم لكن
الوالد .. الطامع .. والعجوز .. الطاعن .. كلاهما
قد ارتكب خطيئة!!

وإذ يذهب العجوز بجلها .. فإن الوالد
يذهب .. بكلها!!

والمطلوب

محاكمة هذا الوالد الأحمق:

بل إنه لم يترك من الحمق شيئا .. لأنه ذلك
الرجل الذى يحاول أن يحدث فى الزمان .. مالا
يقبله الزمان!

لقد رفض الفتى .. الشاب .. القادر على
إسعاد ابنته .. وهروا وراء الغنى، فكأنه يبحث
عما يسعده هو .. لاعما يسعد ابنته فكان رد
البنت عنيفا .. مدمما .

كان ردا على كل من يُقدم ابنته لتكون أمة ..
بييعها فى أسواق النخاسة .. فكان على ما قال
الشاعر:

قد استرد السبايا كلٌ منهزم

لم يبق فى قيده إلا سبايانا!!

قصة العبد

السلام عدي بن حاتم

جلس عدي بن حاتم في ملا من طيئ، وكان سيداً مطاعاً، له المال والإبل والعبيد، فأخذ يسمع الأنباء عن سرايا المسلمين إلى القبائل الضاربة في أحشاء الجزيرة، إذ يدعون إلى الإسلام كما جاء به نبيهم محمد بن عبد الله القرشي المكي، وقد أتم الله عليه نعمته، فانتصر في حروبه شرقاً وغرباً، ثم هو عادل أمين منصف، لا يميز بين الفقير والغني، بل إن الضعيف لديه فوق القوى حتى يأخذ الحق له!

بقلم: عابر سبيل

كما أمقت هذا الذي جاء ليجعل العبيد مع السادة على صراط سواء قال له أحد جلسائه: ولكن فريقاً من سادة طيئ قد آمن بدعوته، وقد خف إليه ملا منهم بقيادة زيد الخيل فرجعوا مسلمين تائبين!

قال عدي: عجبا! أيذهب زيد الخيل، وهو فارس العرب جميعها لا فارس طيئ وحدها، ليلقى زمامه بيد رجل مكي من قريش، قد مد سلطانه على يشرب، وتبعه من لا يدينون بدين

١ قال عدي: ماهذا، لا يميز بين الغني والفقير، والضعيف عنده قوى حتى يأخذ الحق له، وأنا سيد مطاع، ولي الأمر النافذ، أبعث عبيدي فيغيرون، ولي المربع مما يغنمون، وأقضي بين المتنازعين في طيئ، فلا يخالفني أحد إن قضيت كما أشاء! ثم إنني نصراني أدين بدين المسيح، ولي أصدقاء من ملوك الشام بنى غسان، أرحل إليهم فيعرفون قدرى، ويذكرون مآثر والدي حاتم سيد كرماء العرب في البادية والحضر، والله ما أبغض شيئاً كما أبغض حديث الإسلام، ولا أمقت رجلاً



عدى، وسار بأولاده متجها إلى الشام حيث دبر من قبل، ذاهلا عن أخته سفانة بنت حاتم، وفى وهمه أن جبلة بن الأيهم سيأخذ بناصره، ويرسل معه من يحيمه فى طيئ فيقف حائلا دون امتداد الإسلام، وراعياً لمن خالف ولم يذعن.

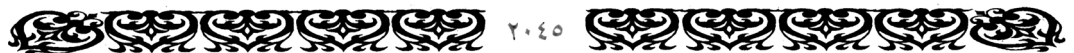
وما كاد عدى يلقي رحله لدى الغساسنة حتى فوجئ بما لم يتوقع، إذ وجد ملكهم الكبير ينتفض رعباً من المسلمين بعد غزوة تبوك، فقد أجفل سيده هرقل عن لقاء المسلمين، وضرب رسول الله الجزية على منتصرة العرب، وذهبت سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة فأسترته وفتحت مدينته، وجعل عرب الشام يطلبون الأمان فى ظل محمد، وقد يؤسوا من قوة الرومان فعاهدهم على السلام وكتب لهم أمان المصالحة! فماذا عسى أن يصنع عدى، وقد اهتز تقديره للأشياء وتلاشت ظنونه فى قوة هرقل وبأس بنى غسان! إنه انتبذ بمن معه مكاناً أميناً فى جوار بعض المنتصرة من العرب بدومة الجندل شارداً بتفكيره إلى حيث لا يستقر، فقد كان عزيزاً منيعاً فى ملئة من طيئ، لديه المال والكرام والعبيد، وإذا لم يكن يريد الإسلام فلا أحد يجبره عليه، ولكن عليه أن يدفع الجزية لمن يقومون بحمايته، ويحافظون على كيانه، وهى ليست ضريبة تؤخذ بغياً، ولكنها عوض عن جهاد يقوم به من يبذل الدم، وهو أغلى من المال! لقد حار الرجل فى أمره ولا يدرى ماذا سيصنع! ولم يلبث أن وجد الحل، فقد علمت أخته سفانة بنت حاتم بمقامه فى دومة الجندل،

المسيح! ليتنى أعرف ما كان من أمر زيد مع من يزعم أنه نبي بعد عيسى بن مريم!

فرد عليه صاحبه: علمنا من أصحاب زيد، أنهم اتجهوا إلى المدينة، فعقلوا رواحهم بفناء المسجد، وجلسوا قريباً من رسول الله حيث يسمعون صوته، فلما نظر إليهم قال لهم: أنا خير لكم من العزى وما تعبدون من دون الله، فقام زيد الخيل - وهو من أعظمهم خلقاً وأحسنهم وجهاً - فقال له محمد وهو لا يعرفه: الحمد لله الذى أتى بك من حزنك وسهلك، ويسر قلبك للإيمان، ثم قبض على يده وقال: من أنت؟ قال: أنا زيد الخيل ابن مهلهل، أشهد أن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله، فقال له محمد: بل أنت زيد الخير، وما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاء لى إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل، فبايعه هو وصحبه، وأسلمت الصفوة من طيئ.

قال عدى: ولكنى لا أسلم، ثم نادى أحد غلمانه فقال له: لا أبالك، أعدد لى من إبلى جمالا دُللاً سمانا فاحبسها قريباً منى، فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأعلمنى، لأرحل بأهلى إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان، إذ يطيب لديه المقام، ويحمينى من بنى قريش!

ولم تمض أيام حتى تحقق ما ظنه عدى، فجاء غلام يصرخ: جاءت خيل المسلمين يتقدمها على بن أبى طالب، وهى تدعو إلى الإسلام، وتفرض الجزية على من يأبى، فدهش



هذا النبي قبل أن تعلقك حباله، فإنني رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة، ورأيت خصالا تعجبني، رأيت به يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود منه ولا أكرم، فإن يكن نبيا فللسابق فضله، وإن يكن ملكا فلن تذلل في عز ملكه!

قال عدى: هذا ما انتهيت إليه يا سفانة، وسأرحل إلى يثرب منذ الآن.

٢

خف عدى إلى يثرب، وفي خواطره شجون تتضارب، فهو تارة يتخيل رسول الله غاضبا ينقم عليه هروبه واستخذائه فيعامله بما يعصف بمكانته لدى نفسه ثم لدى قومه حين يطير النبأ في الناس، وله خصوم سيتداولون ما كان، ويقارنون بين لقاء رسول الله ﷺ لزيد الخيل ولقائه لعدى، فيروون من الثناء المستطاب لزيد ما شرفه حيا، وما سيظل ذكره مترددا في أفواه لا تنسى حرفا واحدا مما يقول رسول الله، ثم يتجه عدى بتفكيره اتجاها آخر فيقول: إن سفانة تحدثت عن شمائل النبي بما يروق ويعجب، وروت أنه أطلق قومها من أجل أبيها، وأنا عدى ابن حاتم، فلا بد أن يشملني ما شمل أسرى طيئ من قبول وصفح، ثم إنني أعلم أن أناسا من المشركين شاقوا الله وعصوه، وحاربوا الإسلام في مكة، حتى ضاقت به فهاجر النبي إلى المدينة فرارا مما يلقي ثم حاربوه في غزوات بدر وأحد والخندق وغيرها، ومنهم من تولى زعامة الحرب،

فرأت أن تذهب إليه لائمة معنفة حين تركها ورحل بأهله وأولاده وكأنها ليست ابنة أبيه، وكان الرجل منصفاً فقال لها: لا عذر لي يا سفانة، ولكنه قدر كتب على وعليك.. وأرجو أن أسمع منك ما يضيئ لي الطريق، فقالت سفانة: لقد جاءت خيل على بن أبي طالب، فصبحت القوم واستاقت الخيل والإبل والناس إلى رسول الله، فلما عرض الأسرى بيثرب نهضت إليه فقلت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد، فإن أردت أن تخلني عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإن أبي كان سيد قومه، يفك العاني، ويقتل الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذمار، ويفرج عن الكروب، ويطعم الطعام، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبا، أنا سفانة بنت حاتم طيئ.

فقال رسول الله: يا جارية، هذه صفات المؤمنين حقا، ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباه كان يحب مكارم الأخلاق، ثم قال: ارحموا عزيزاً ذل، وغنيا افتقر، وعالماً ضاع بين جهال، ومن عليّ فأطلق من معي تكريماً لي، فاستأذنته في الدعاء له، فأذن لي فقلت: أصاب الله ببرك موقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم قوم، إلا جعلك سبياً في ردها عليه.

قال عدى: هل امتن على القوم فأطلقهم من أجلك، قالت: نعم وإله محمد، فقال عدى: وبماذا تشيرين عليّ؟ قالت: أرى أن تذهب إلى

أهذا نبى أم ملك، ثم جاءت الدلالة الثالثة حين بدأ رسول الله فى الحديث، فتكلم كلام من يعرف عن عدى كل ماضيه، فقال له: ألم تكن تأخذ المرباع من الأموال، وهذا ما لا يحل لك فى مذهبك وأنت تتعبد على دين المسيح؟ فرد عدى بالإيجاب إذ لم يجد مجالا للكذب، فانتقل رسول الله إلى إيضاح ما يجول بخاطر عدى دون أن يقدر على الإفصاح به فقال رسول الله ﷺ: لعلك ياعدى بن حاتم إنما يمنعك من الدخول فى الإسلام ما ترى من حاجة المسلمين فوالله ليوشكن المال أن يفيض عليهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعله إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من كثرة عدو المسلمين وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ولعله إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين أن ترى الملك والسلطان فى غير المسلمين وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت! هذا ما قاله رسول الله لعدى فى منزله، وهو ما قذف بعدى إلى محيط من الدهشة المذهلة، لقد كان حقاً يفكر فى أمر الإسلام بينه وبين نفسه، فيقول: كيف سينتشر هذا الدين الجديد فى الآفاق، وأهله قلة محصورة فى إقليم من الجزيرة العربية لا يساوى شيئاً إذا قيس بأطباق الأرض، فرد عليه الرسول بأن أوضح له بأن الإسلام سيغمر الآفاق المترامية حتى تسير المرأة من القادسية حاجة بيت الله لا تخاف من أحد، واختار الرسول المرأة دون الرجل لأنها أضعف

فرسم الخطط، ودبر المكائد، وساق الجيوش، ومع ذلك فقد عفا رسول الله عنهم جميعاً، وأنا ما حاربت، ولا دبّرت، وظننى تبعاً لذلك أننى أحق بالقبول من هؤلاء هكذا كان عدى بن حاتم يفكر فى طريقه إلى المدينة حتى وجد نفسه فى مسجد رسول الله، وقد تقدم إليه معرفاً بنفسه فقال فى أدب: من الرجل؟ فرد: عدى بن حاتم، فعرف فى وجه رسول الله ﷺ ما ينبئ عن الارتياح، وكان عبئاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهل عدى، فلم يعد لشجونه الثائرة مجال تضطرب فيه، ورسول الله يعرف كيف يعامل الغريب الوافد، إذ من شمائله الكريمة أن يؤنس وحدته، ويذهب وحشته، فقال له: هيا، وسار معه فى الطريق إلى منزله، إنه إلهام من الله لرسوله، حيث أخذ يعطى للزائر الوافد من الشواهد العملية ما يدل على أن الرسول نبى صاحب رسالة إنقاذ، وليس ملكاً ينشد السيطرة والجاه، وأى دليل يقتنع به السيد الوافد أكبر من أن يرى امرأة مسكينة تنادى رسول الله وهو متجه إلى منزله، لتسأله عن بعض شأنها، فيقف معها طويلاً سائلاً عن حاجتها، وعاملاً على قضاء مآربها، أى ملك يقف للمساكين فى رعاية وعطف، ويسير مع ضيفه دون حرس من جند، أو حاشية من أتباع، هذه إحدى دلائل النبوة، ثم تلتها دلالة ثانية حين وصل عدى إلى منزل مضيفه، ولم يجد أثير الفراش ولا عزيز الرياش، وإنما وجد حجرة خالية ليس بها غير وسادة من جلد قد حشيت ليفاً، فتقدم بها رسول الله إلى عدى ليجلس عليها، وجلس هو على الأرض!

سمع عدى حديث الرسول لأصحابه، فنزل من نفسه منزلة الماء من ذى الغلة، نقع أواما وشفى غليلا، ثم ودع المدينة، وسار إلى منزله الأول بمضارب طيئ ليجد من سبقوه إلى الإيمان يستقبلونه فرحين.

٣

آمن عدى عن اعتقاد، فصار الإسلام آثر عنده من أهله ومن نفسه، وصار يحث قومه على تعاليم الحنيف، وحفظ القرآن، أسفا أن تأخر إسلامه، فلم يصحب رسول الله ﷺ فى غزواته، وقال لقومه: أريد معارك إسلامية تسبق فيها طيئ إلى رفع اللواء كما سبق المهاجرون والأنصار، وقومه يقولون: لو أقدمت من قبل لكننا من خلفك، ولعل لله حكمة فى تمهلنا، ألتست تذكر أن الإسلام سينشر فى ربوع الروم وبلاد فارس ولن ينتشر إلا بقتال الكفر، ونحن متربصون لنجاهد.

ثم حانت المعركة الأولى حيث قامت حرب الردة، فقد انتفضت قبائل الجزيرة على الإسلام انتفاضا كادا أن يحدث أعنف الزلازل، لولا إيمان أبى بكر الصديق، فقد عرف أن الله ناصر دينه مهما تألبت الجموع، وعارض من دعا إلى الاعتصام بالمدينة ونبذ القتال، فقال مقولته الشهيرة: والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه! ومن ثم توجهت جيوش الإسلام إلى شتى القبائل، وتوجه خالد بن الوليد على رأس من خفوا

وأخوف فإذا ذهب عنها الضعف وفارقها الخوف فالرجل أولى وأجدر، كما كان عدى يفكر فى افتقار المسلمين وقلة المال لديهم إذا قيسوا بملوك الأرض، والمال باب الجاه، وركيزة السلطان، فقال له الرسول: إن الفقر البادى على المسلمين اليوم مؤقت بميعاد، وسيظل يوم قريب يفيض فيه المال لديهم حتى لا يجد من يأخذه! ثم هو قد فكر فى عظمة قيصر ومنعة كسرى وكيف للإسلام بالانتصار على أكبر مملكتين قويتين تحكمان العالم فقال له الرسول: وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت! كيف أدرك الرسول خواطره وهى دفينه فى صدره فأجاب عنها بما يشفى الغليل! إنها النبوة الصادقة لا محالة، وإذن فالإسلام حق، ولا بد أن ينضوى تحت لوائه، بعد أن اقتنع أكبر اقتناع! وقد كان.

وانتقل عدى من المنزل الشريف إلى المسجد ثانية، فوجد جماعة ينتظرون رسول الله سائلين عن التصديق بالقليل، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: لكم أيها الناس أن ترضخوا من الفضل، بصاع أو ببضع صاع، بقبضة أو ببعض قبضة، وإن أحدكم سيلاقى الله فيسأله: ألم أجعلك سميعا بصيرا؟ ألم أجعل لك مالا وولدا؟ ماذا قدمت، فينظر بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله فما يجد شيئا، فما يتقى النار إلا بوجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة لينة، إني لا أخشى عليكم الفاقة، لينصركم الله— أو ليفتحن عليكم— حتى تسير الطعينة بين الحيرة ويثرب، وما تخاف.



أتجه عدى إلى زعماء الغوث، فقال لهم: الإسلام منتصر، وقد ذهب المسلمون من قبل لقتال الروم فى تبوك والبلقاء ودومة الجندل وذى أوان فانتصروا انتصارا كبيرا، أفيثبت لهم طليحة، وأكثر من معه لا يصدقونه، ولكنهم خرجوا عصبية لا ديناً، فإذا حمى الوطيس تركوه ولاذوا بشقاق الجبال، فتنهزمون بانهمزامهم، وتدور عليكم الدائرة، ويقع فى الأسر من سلم من الموت، وتسبى الذرارى والنساء! هذا هو المآل فماذا تنتظرون؟ قالوا لعدى، آثرت بالخير، وانتظر حتى نرسل لأشياعنا فى جديلة، فنكون جميعاً على كلمة سواء! وبادروا فأتوا بأوليائهم من جديلة، وسر خالد بما كان من عدى، فقال له: بلغنا نصف ما نهدف فهلم! توجه عدى إلى جديلة فقال لهم: لقد انضمت الغوث إلى خالد، ومن ورائه مدد من المسلمين لا يحصى ولا يعد، وقد تحصن طليحة وترك القتال لأصحابه زاعماً أنه يسبح ربه، ولو كان صادقاً لانتصر حين دعا النبوة من قبل وزعم أن جبريل ينزل عليه، فهزمه ضرار بن الأزور، وأنتم الآن محاصرون بين شقى الرحى من المسلمين، إذا جاءكم من شمال ويمين، فكونوا مع الكفة الراجحة التى فاء إليها إخوانكم من الغوث، واتقوا قتل الرجال وسبى الذرارى والنساء! فقالوا لعدى: نعهدك ذا أمانة، ونحن من ورائك فسر بنا إلى خالد! ولحق بالمسلمين ألف راكب من طيئ.

لمحاربة المتنبي الكاذب طليحة الأسدى، حيث ادعى النبوة، والتف حوله ذوو المطامع ومنهم من قال لأن نتبع نبيا من أسد وطيئ خير من أن نتبع نبيا من قريش، واستمع عدى إلى ما يقال فعرف أن المرتدين كذابون يلتفون حول كذاب، وأن أوان الجهاد الذى يتشوق إليه قد حان، ولكنه كان ذا حنكة عاقلة، وتفكر أريب، إذ آثر أن يبلغ بالرأى أضعاف ما يبلغه المجاهدون بالسيف، فذهب إلى خالد بن الوليد، وقال له: إن طيئا ذات فرعين كبيرين هما الغوث وجديلة، ولى برؤسائهما صلة وإعزاز، فأجل هجومك ثلاثة أيام حتى أفعل ما أرى، فإذا يسر الله الأمر وأقنعت من أعلم، فقد كفيينا من شر كبير، قال له خالد: فماذا ستصنع، قال: سأتى إلى الغوث فهم ألين وأطوع، وأبين لهم كذب هذا المفترى حتى يعرفوا طليحة الأسدى على حقيقته، وما أزال بهم حتى ينفضوا عنه، فينضموا إلى جيشك، وهذه هى الأولى، أما الثانية فأذهب إلى جديلة وأقول لهم ماذا ستصنعون وحدكم؟ وقد اقتنع الغوث بكذب طليحة، ولئن قاتلتم جيش خالد فستقاتلون إخوانكم من الغوث وهم فى طليعة جيش المسلمين، ولا يلبث الواحد منكم أن يرى صهره وصديقه أمامه وجها لوجه فيحار فيما يصنع، قال خالد: على بركة الله يا عدى، فقد أوصانى أبو بكر بالاستماع إليك، وهو يراك رجل صدق ومعروف، قال عدى: حيا الله خليفة رسول الله، وقد جاءت نوبتنا فى الجهاد.



فقال أحد سامعيه! : وما مثلها بعد اليوم
وقد انهزم المرتدون فى كل موقعة، وألقوا
السلم عن قهر، وفاز المسلمون برضوان الله!
فرد عدى: لقد وعد رسول الله أن تسير
المرأة من القادسية إلى مكة آمنة فى كنف
الإسلام! كما وعد أن تكون قصور بابل فى
حوزة المسلمين وإنى لأنتظر هذا اليوم وهو
قريب!

ولم يتخلف ظن عدى، فقد انتقل خالد
من حرب الردة إلى فتح العراق، وتدفقت
الجيوش إلى لقاء القائد الفارسى هرمز، وكان
فى طليعة الغزاة أبطال عظام مثل: المثنى بن
حارثة وأخويه والقعقاع بن عمرو، وعياض
ابن غنم، وعدى بن حاتم وتهيأ هرمز بمن لا
يحصون من الجنود فى غزوة ذات السلاسل،
ولكن ثقة عدى فى قول رسول الله، جعلته
يستهيئ بالفيلة الضخمة فوقها الفوارس
المدرعون بسيوفهم الباترة! ولم يكن رأى فيلا
من قبل! فحين رأى تردد بعض المسلمين
صاح بهم: النصر مكتوب وقد سمعت
حديثه من رسول الله!

واشتعلت المعركة بنيرانها الملهبة، فكان
النصر للأبطال من أصحاب خالد، وسجل
التاريخ فى أمجاد المثنى والقعقاع وعدى
وعياض بأحرف من ضياء! وصاح عدى الآن
تسير المرأة حاجة من القادسية إلى مكة،
وغداً ياقوم سنحتل قصور بابل فلا مناص..
وقد كان.

ثم دار القتال فى أماكن لم يعرفها المسلمون
من قبل، فكان أعداؤهم يتحصنون فى المغاور
والكهوف حتى طال الأمد، فقال خالد لعدى:
ماذا ترى؟ فقال عدى: الرأى أن تنتظر معى
فى طيئ حتى أبعث إلى كل قبائلها، فأجمع
منهم أكثر مما معك، وقد عجل فجمع كثيراً
من الناس، ولكن أسداً وغطفان قد انضموا إلى
جيش طليحة، وقال أناس من طيئ: إن أسداً
أصهارنا، ولن نحاربهم، بل نقتصر على
غطفان، فصاح بهم عدى: والله لو كان ولدى
وإخوتى فى جيش طليحة لقاتلتهم حتى
أبيدهم، والأمر أمر إسلام وكفر لا أمر مصابرة
وأنساب! ثم تقدم إلى خالد بمن معه، فتقدم
المخالفون من ورائه، ودارت معركة رهيبة
انتهت بخذلان طليحة وفراره، رجع الطائيون
مسرورين يشيدون برأى عدى، ويقولون له:
أنت أحسننا نقيبة، لأنك خير مولود فى طيئ
كفأها الخذلان! قال عدى: كنت أرى ما
سيكون بلحظ الغيث منذ شهدت محمد ابن
عبدالله، إذ كان وجهه وجه نبي، وقوله قول
نبي، وفعله فعل نبي، أفبلغ بى الهوس أن
أقرن به كذاباً مثل طليحة الأسدى! لقد جاء
نصر الله والفتح، ودخل الناس فى دين الله فلا
نكوص ولا ارتداد.

انتهت حروب الردة بانتصار الإسلام، وأحس
عدى برد الراحة لأنه أدى عملاً بطولياً يحسب
له فى سجل الوقائع، وقد قال لقومه من طيئ:
لن يفخر علينا أحد بعد أن كسبنا النصر بالرأى
والسيف معاً، وإنى لأستعد لمثلها!

رمضان في بلاد الأمريكان (٣)

الأرض الخصبة والذهب المفرس

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

بادرنى صاحبى مهللاً: على رسلك وقبل أن تسترسل أقول لك: إن كلامك فى حاجة إلى بيان وتوضيح.

قلت: لا تثريب عليك فيما تطلب من بيان وتوضيح وليس لى عندك إلا مطلب واحد هو ألا تكتم شيئاً مما تريد فيما تحسبه يحتاج إلى بيان وتوضيح وأرجو ألا يمتنعك الحياء أن تسأل عما بدا لك فنحن - أنا وأنت - طلاب معرفة سوف نخسر كثيراً إذا كتمت أنت شيئاً ولم تفصح عنه وكذلك سوف نخسر كثيراً إن أنا كتمت عنك علماً أعرفه فذلك ينافى أدب الإسلام الذى أدبنا به رسول الله ﷺ حيث أخبرنا بما توعده الله به كاتم العلم فقال: «من علم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»^(١) وعلى أى حال الحمد لله فانا لا أزعم أنى عالم ولا أحب أن أكتم شيئاً علمنى الله إياه.

قال: جزاك الله خيراً لكنى أرجو ألا تغضب منى إن طلبت شيئاً أو ألححت فيه.

قلت: لن أغضب منك - إن شاء الله - مادام الذى تطلبه فى حدود الحوار المهدب أما إن كانت الأخرى فاسمح لى أن أقول لك - بلا حياء مصطنع - كلمة مأثورة تنسب للإمام الشافعى - رضى الله عنه: (من استغضب ولم يغضب فهو حمار) ولست كذلك ولا أحب أن أكون.

إن الذى يعاين تاريخ الإسلام يدرك أن هذا الدين يمتاز فيما يمتاز به بخصلتين بارزتين لا تخطئهما عين المعاين للتاريخ الناصع البياض أولهما: أنه دين ذو طبيعة خاصة يمتاز بالديناميكية الذاتية.

ثانيهما: وهى مؤسسة على الأولى - أنه يتحرك فى أوقات السلم.

(١) كتاب جامع بيان العلوم وفضله.



علامات استفهام وتعبث بعقله كثير من الشكوك والظنون على هيئة أسئلة لا يستطيع لها جوابا. ألم يخبرنا رسول الله ﷺ برؤياه الذى سيدخل فيها البيت الحرام ونحن معه آمنين محلقين وخرجنا يحدونا الأمل ويدفعنا الشوق إلى مكة والبيت وها نحن عائدون يمزقنا الغيظ لم ندخل مكة ولم نعتمر؟! كانوا كذلك إلا واحدا منهم كان يضطرب اضطراباً شديداً خوفاً أن يحل به عذاب لأنه خيل إليه أنه كان يعارض الرسول ﷺ فى رأى رآه! ذلكم هو سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقد كان شديد العناد فيما طلبه المشركون يوم ذاك ونزلت على رسول الله ﷺ فى طريق عودته سورة. تصور ابن الخطاب أنها نزلت فيه تنذره بعذاب لأنه كان يرى غير ما رآه الرسول ﷺ لكن السورة لم تنزل بعذاب أو وعيد بل نزلت بالبشرى وأى بشرى؟ وقد عادوا ولم يحققوا شيئا مما جاءوا من أجله؟.. فى رأى أن الصلح الذى تم بين الرسول ﷺ وبين المشركين بما حققه من وقف حرب المشركين للدعوة أعطى أعظم فرصة للإسلام دين السلام أن ينتشر وأن يغزو القلوب فى يسر وسهولة دعك من كل الشروط المجحفة أو المنصفة ولكن المهم أن يتهىأ السلام وأن يأمن الناس فذلك هو حقل الدين الخصب لأن أول ما نزل على رسول الله ﷺ بشأن تبليغ الدعوة:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢) إذن هو إنذار وبلاغ وإعلام وليس قتالاً وحرباً، ولما كان مطلوباً منه أن يتسع فى مجال الدعوة خارج دائرة العشيرة قال الله - تعالى - له:

قال: إنك تكاد أن تخرج عما نريد، لكن اسمح لى أن أقول لك إن بعض تعبيراتك غريبة لا أكاد أفهمها من أول وهلة فمثلاً قولك فى بداية حديثك (إن الذى يعاين تاريخ الإسلام) فلماذا لم تقل إن الذى يقرأ تاريخ الإسلام وهى كلمة واقعية لأننا فى الواقع (نقرأ) ما سطره المؤرخون فلماذا تركت نقرأ وآثرت (نعاين) وهى على خلاف الواقع؟

قلت لصاحبى: لقد أحسنت فيما سألتنى عنه، فهذه الكلمة هى ما أريده بالضبط من التاريخ، فالمؤرخ يسجل الأحداث فقط وقصارى ما نطلبه منه أن يسجل بأمانة ودقة وحيدة أما إذا حاول أن يكتب رؤيته وتقريره للأحداث فإنه - حتى وإن كان صادقاً موفقاً - فى التفسير والتحليل والاستنباط.

أما التحليل والتعليل فتلك مهمة أخرى تأتى بعده منه أو من غيره شريطة أن يفصل هو بين تسجيل الحدث والرؤية الخاصة أو التعليل لما حدث: وأنا أريدك أن تعاين التاريخ كأنك تشاهده أو كأنك داخل الحدث. أو أحد أفراده. إذ بالقراءة المجردة نكون قد أضفنا إلى نسخ الكتاب نسخة أخرى ليس إلا، وليس فى ذلك كبير فائدة فيما أعلم. ثم أردفت قائلاً: على أى حال تعال بنا نعاين التاريخ ونعايشه.

كان النبى ﷺ فى طريق عودته من مكة إلى المدينة بعد أن منعه المشركون من أداء العمرة فتحلل منها وكانت نفوس المؤمنين يملؤها الغيظ والأسى، على أن بعضاً منهم كانت تطل من رأسه





﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (٣).

فدعوة الإسلام ليس وارداً فيها لتبليغ الرسالة حرب أو قتال إنما هو البلاغ. وثمة ملمح جميل نراه متأصلاً عفويّاً محصلة لهذه المعانى لدى فقهاء المسلمين جميعاً عندما نتصفح كتب الفقه فى أحكام العبادات يقولون إن الأحكام الإسلامية لا يلتزم بها أو لا تجب على من لم يسمع بالدين الجديد لأن المسؤولية تقع على حملة الدعوة عند تقصيرهم عن أداء الأمانة وعدم التبليغ ولهذا الفهم المستقيم الذى تأسس على مبادئ دين سليم مستقيم نجد من أول شروط وجوب الأحكام الشرعية يذكر الفقهاء شرطاً يحدد هذه القضية تماماً فيقولون من شروط وجوب الأحكام (بلوغ الدعوة) جميع الفقهاء ذكروا ذلك بالنص وليس ذلك إلا من روح الإسلام الذى ينبذ العنف والقتال فلم يشرع القتال إلا دفاعاً عن الدعوة ضد من أرادوا اغتيالها.

كان المسلمون يتحملون العنف من المشركين صابرين مسالمين ممنوعين من القتال ومن رد العدوان. ولذلك فإن أول آية نزلت كانت بالإذن لرد العدوان وليس للقتال؟ يقول الله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا

وَلِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ (٤).

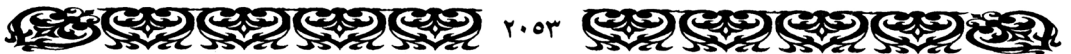
ومعنى هذه الآية فيما أفهم أنه بعد أن نفذ صبر هؤلاء المعتدى عليهم لم يعد فى إمكانهم التحمل لألوان الأذى والعدوان أذن الله لهم فى الدفاع عن أنفسهم..

قال صاحبى: يا سبحان الله - مالك قد طوحت بنا من التاريخ إلى الفقه إلى التفسير وأسباب النزول وأحس كأنك لم تقض وطرك بعد من الحديث ورغم كل ذلك لا أكاد أفهم مرادك.

قلت لصاحبى: الحمد لله أنك كنت معنى فيما طوحت إليه من مجالات؟ وأشهد أنك متابع جيد وهذا يثلج صدرى، أما أنك لم تفهم مرادى فهذا أحمد لك حيث إنك أضفت به إلى جانب المتابعة الفهم الصحيح حيث إننى لم أصل إلى مرادى حتى الآن فانا أشكرك. أولاً على المتابعة. وثانياً على الفهم الصحيح. وأحمد لك أولاً وأخيراً الصدق فى الإفصاح عن أنك لم تفهم مرادى حتى الآن فلم تجاملنى أو تخدع نفسك!!!

ثم أردفت قائلاً إن الإسلام عقيدة. والعقيدة لا يمكن فرضها بالحرب هذه حقيقة نفسية لا ينكرها خصومنا إذ ليست هى قرآناً ولا حديثاً نبوياً يسارعون إلى رفضه. فانت تستطيع أن تتغلب على شعب عسكرياً لكنك لا تستطيع أن تُكْرِهَ إنساناً واحداً على حبك.

ثم قلت لصاحبى - وأنا أحاول أن أحمله برفق إلى معاينة التاريخ -: ما لنا نعتسف الموضوع كله تعال معنى نشاهد الأحداث فى عهد النبوة فهناك حادثة مهمة فى تاريخ الدعوة





قال صاحبي - في نبرة تهكم غير خافية:
كيف؟

قلت مبادراً: إن قوى الشر استطاعت أن
تفرض بخطرستها شروطاً مجحفة ظناً منها أنها
تخنق الدعوة الوليدة في مهدها وليس خافياً أن
أصحاب النبي ﷺ كانوا يرفضون هذه الشروط
وكادت أن تحدث فتنة أو ما نسميه بلغة العصر
تمرد وعصيان بين المسلمين لولا حكمة أم سلمة
- رضى الله عنها - حيث كانت هذه الشروط
مؤلة يكفى أن توجع منها ذلك الجسور عمر بن
الخطاب - رضى الله عنه - وما أدراك ما عمر
ذلك الوحيد الذى خرج شاهراً سيفه يوم أن
هاجر يزأر متوعداً كل من تسول له نفسه أن
يعترض طريقه.

أسرع صاحبي والتقط كلمة من الحوار
يسألني عنها: لماذا تصف الفاروق عمر بأنه
يتوجع مع أنه كما عرفنا موقفه يوم الهجرة
جسوراً؟!.

قلت لصاحبي: كان عمر جسوراً يوم الهجرة
جسارة الإيمان في مواجهة الكفر وجسارة العلم
والنور في مواجهة الجاهلية والظلام؛ أما فى يوم
الحديبية فإن الوضع مختلف تماماً إنه ثار على
الشروط المجحفة فى جسارته المعهودة فى غير
تكلف أو اصطناع لكن رسول الله ﷺ كتم
ثورته وكبح جماحه بقوله: «أنا رسول الله ولن
يضيعنى» فلم يستطع أن يقف أمام هذه القوة
الإلهية التى واجهه بها رسول الله ﷺ فكان
يتوجع من كتمان الثورة الهائلة فى داخله ثم
أردفت قائلاً - فى مقارنة إيمانية بين الكلمات -
هل تذكر ماذا قال سيدنا العباس لسيدنا أبو

الإسلامية فى رأى لم تأخذ حقها من رجال
الدعوة طلاباً وأساتذة فدالتها بليغة عميقة فى
حياة الدعوة ونموها. هذه الحادثة هى صلح
الحديبية فلقد تكلم العلماء كثيراً عن بيعتى
العقبة الأولى والثانية. وبينوا أهميتهما فى
تأسيس الدعوة كما تحدثوا عن الهجرة ودورها
فى بناء الدولة الإسلامية وانتشارها حيث أمن
المسلمون وبدأوا عصراً جديداً فى بناء الدولة
وكذلك بين المفسرون أصحاب علوم القرآن فيما
بينوا فروقاً عدة بين القرآن فى عصره المدنى
وعصره المكى كدلالة على أن المرحلة المدنية
مرحلة تأسيس وبناء الدولة وتكلموا عن
خصائص الآى فيما نزل بمكة وما نزل بالمدينة
فهى فى مكة قصيرة متتابعة، أما فى العصر
المدنى فإن الآيات طويلة والسور أيضاً فأكثر
السور المدنية تمتاز بالطول فإنها تتكلم عن
الأحكام غالباً وهى تحتاج إلى بسط وتطويل.
كما تكلم العلماء عن دخول مكة وسموه
فتحاً فهى مهبط الوحى وركن الحج.

أما الحدث الذى لم يأخذ حقه من الدراسة
والتحليل فى رأى فهو صلح الحديبية فهو بداية
عصر جديد ونصوع وظهور لمنهج الإسلام السلمى
وكما أن الكائنات الحية - الإنسان والحيوان
والنبات - تحيا على الهواء فكذلك هذا الدين أنه
دين إنسانى ينمو ويتربع فى ظل الأمن وينساب
إلى القلوب فى أجواء السلام والاطمئنان.

وكانت الحديبية - فى رأى أيضاً - بداية
عصر جديد وأهم ما فيها أنها أنهت أسطورة
القوة الغاشمة لعناصر الشر والجاهلية وأرغمتهم
على طلب التراجع أمام الهدى الإسلامى.



الله ﷺ وبين المشركين - فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال بلى، قال أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال بلى؟ قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا بن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا».

فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا بن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا».

فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه قال: يا رسول الله أَوْفَتْحُ هو؟ قال: نعم. فطابت نفسه ورجع^(٥).

ولست أدري لماذا لم يسمه كتاب السير فتحاً وإنما سموه صلحاً وأدرجوه أيضاً في ثبت الغزوات - سامحهم الله - مع أن الله - سبحانه وتعالى - سماه فتحاً وأنزل في شأنه سورة سماها باسمه. ورسول الله ﷺ سماه فتحاً لما سأله عمر أو فتح هو قال نعم فطابت نفس عمر بالتسمية وكذلك قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : إنكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية؟ وعن جابر بن عبد الله: «ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية» وقال البخاري عن البراء - رضي الله عنه - قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان

سفيان - رضي الله عنهما - يوم دخول مكة وكانت كتائب المسلمين تمر أمام أبي سفيان فهالته العدة والعتاد؟ قال: - ولم يكن قد أسلم بعد - قال: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً فقال العباس كلمة نبيلة فيها تقييم للموقف كله وللعصر كله تقييم مختلف فيه استيعاب رائع للتغيير الذي طرأ على البشرية فأثار أفئدتها وأكسبها رحابة تسع الكون كله في رضى وإخاء.

قال العباس - رضي الله عنه: «إنها النبوة» - نعم فذلك الذي جعل الجسور عمر يكتنم ثورته ويتوجع في صمت تحول إلى قبول ورضاً في حجر النبوة لما سمع قول رسول الله ﷺ: «أنا رسول الله ولن يضيعني» هذه الثورة الجامحة وهذا التحول الرباني لم يستمر إلا بمقدار الزمن الذي سار فيه عمر من عند رسول الله ﷺ إلى أبي بكر - رضي الله عنه - ليسمع الكلمة ذاتها: «إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا» وأبادر فأقول لصاحبي محذراً إن هذا الزمن الذي استغرقه تغير عمر ليس راجعاً إلى القوة الإلهية، لأن القوة الإلهية لا يحدّها زمن، لأن أمرها كن فيكون إنما هو مقدار الفترة التي استغرقتها جزئيات عمر لتتحول من الاعتراض إلى الرضا والقبول فطابت نفسه - رضي الله عنه.

عن سهل بن حنيف قال: «لقد كنا مع رسول الله ﷺ - يوم الحديبية - ولو نرى قتالا لقاتلنا - وذلك في الصلح الذي كان بين رسول

(٥) البخاري كتاب الجهاد والسير حديث رقم «٩٥».



فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية»^(٦).

وأنا أرى أن تسمية الله - سبحانه وتعالى - له فتحاً وجواب النبي ﷺ الذى طابت به نفس عمر أنه فتح لأن الله - تعالى - هياً الأسباب لنشر دينه فكما يقول بعض الصالحين: «إذا أراد الله شيئاً هياً له الأسباب».

قلت لصاحبى كأنى بصلح الحديبية وقد نشر الأمن وأوقف القتال فظهرت قوة الإسلام الحقيقية التى هى أساس نشر الدين الإسلامى والتى ضج منها المشركون يومئذ يلتمسون إلغاء الصلح وذلك ليس فى بدء الدعوة فقط بل لو تصفحت التاريخ لعرفت أن الإسلام انتشر حتى الصين شرقاً عن طريق التجار وكذلك وصل إلى مجاهل إفريقيا عن طريق التجار أيضاً؟ أعتقد أنك تعلم أن التجار المسلمين لم يكونوا يخفون فى طيات ملابسهم أسلحة بيضاء ولا سوداء ولا أسلحة دمار فتاكة.

فلم تكن هناك حرب واحدة فى إفريقيا لنشر الإسلام غير ما كان فى الشمال الأفريقى.

والأعجب أنك ترى الإسلام ينساب إلى قلوب الغزاة الغلاظ فيحيلهم إلى قوة سلام دافعة للبشرية، فإن المغول دخلوا غزاة غلاظاً مدمرين فاتحين وتمت لهم السيطرة العسكرية على بلاد الإسلام، التى وصلوا إليها ثم تحولوا إلى الإسلام، فهل دخل الإسلام وانتشر بينهم بقوة السيف؟ وكما يقولون: ما أشبه الليلة بالبارحة إن أمريكا تسيطر الآن على مقدرات العالم والعالم الإسلامى بالذات لكنى أرى أن الإسلام سوف ينتشر داخل أمريكا نفسها بالسلم والإقناع.

ومهما ألفت من قنابل محرقة مدمرة فإننى أرى هذه النيران تشعل عידان الإسلام فتظهر رائحتها الذكية وصدق الشاعر حيث يقول:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت

أتاح لها لسان حـسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف طيب عرف العود

وبرغم فعال الهوج والتهور الأمريكى فإننا نرجو الخير والهداية لهم.

والوقت الآن مناسب وأمريكا بالذات مهية للإسلام.

قال صاحبى: كنت استمع إليك محلاً مدققاً فيما قلت، لكنى أراك تحلم مفرطاً فى أحلامك فما الذى دهاك هل أخذت سنة من النوم؟ قلت لصاحبى: سامحك الله إنه واجب الدعوة نؤديه فنحمله إلى البشرية فى أمن وسلام وإصرار.

وأمريكا الآن أرض خصبة فالمواطن الأمريكى خاو من الداخل يفتقد روح المودة والأسرة فهذه عملات لا يعرفها وعلينا أن نتسلح بأسلحة العصر فى مخاطبة الآخرين وأن نقدم الإسلام جادين غير هازلين أو مستهترين من خلال أناس مهيين علمياً وثقافياً وأن نترك مخاطبة أنفسنا والحديث عن أمجادنا. فأمريكا أرض خصبة وقد آفاق المواطن الأمريكى وسمع بالإسلام فعلياً أن نقدمه كما أنزل ديناً رحيماً طاهراً عفيفاً.

والله الموفق والهادى إلى سواء الصراط.

(٦) ابن كثير تفسير سورة الفتح.

دمعة على طريق التوبة

شعر / محمد فاضل اسند

من دَمْعَةٍ في الحنايا ** ولوعبة في الحشايا
 من أَوْبَتِي من طريق ** أضعتُ فَيَسِهَ خطايا
 أطعتُ نفسي فَرَأَحَتْ ** تهيم بين الشطايا
 حسبتُ بعض غنائى ** أنشودة للرعايا
 وغنوة تتهدأدى ** على شفاه البرايا
 كنتُ أنطلقُ بشعرى ** خلف الهوى والصبايا
 أهيم في سكرة العُمرى ** رسادراً في شقايَا
 بحرفة من غناء ** وحنة فنة من شكايَا
 وجلسلة عند ليلى ** أبثُ في هها هوايا
 وموعدا لاقترسام الـ ** أشواق بين الضحايَا
 رأيتُ نفسي تههاوتُ ** وعمرى ربت في الرزايَا
 تنائرت كمرماد ** يلوح خلف البشايَا
 في يوم ريح وشوكٍ ** قد للممتته الزوايا
 أضمتُ بعضى لبعضى ** كآهة في الحنايا
 دم ودمع، وأفعى ** نهاشة كالمنايا
 تفح شيئاً فشيئاً ** وتخترت في النوايا
 ويسحب الصمت همساً ** على شفاه المرايا
 صرخت: روحى، أتركوها ** لم تأت بعبد المطايا
 هذا أو أن رجوعى ** إلى دروب هدايا
 قد كنتُ عبداً شروداً ** تخطفتُ منه الدنيايا
 رجعت يوم دعائى ** نور أضواء الحنايا
 قد عدت للنور أشيدو ** بما منححت هدايا
 فاصفح وخذ بيد التا ** ثب الكشيمر الخطايا
 أنت الكريم وذنبى ** عند الكريم عطايا

الظلم

لفضيلة الشيخ / فوزي الزرفاف

الظلم كلمة بغیضة، وصفة مذمومة، ينفر منها أصحاب النفوس الكريمة، ويتجنبه ويبتعد عنه أصحاب الهمم العالية الرفیعة، يخشاه الاتقياء، ويخاف منه الأولياء. ولقسوة وقع الظلم على المظلومين، والمرارة التي يتجرع كأسها المظلومون، والإحساس بالغبن والألم الذي يعانيه المظلومون حرم الإسلام الظلم تحريماً قاطعاً، وتوعد من يرتكبه بالعذاب الأليم، وبلغ من شدة تأكيد الإسلام على تحريم الظلم إن الله - سبحانه وتعالى - قرن تحريم الظلم على نفسه بأمر العباد بتحريم الظلم فيما بينهم.

وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، مازاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي: إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم بإهاها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه^(١).
ويحذرنا رسول الله ﷺ من الظلم، ويصف

فمن أبى ذر - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ فيما روى عن الله - تبارك وتعالى - أنه قال: «يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي: كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي: كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي: كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي: إنكم تخطئون بالليل والنهار. وأنا أغفر الذنوب جميعاً. فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم

(١) الترغيب والترهيب ٢/٤٧٥، ابن عساکر ٧/٢٠٦.



كما وردت مادة قسط يقسط بمعنى جار وحاد عن الحق فى آيتين من سور القرآن الكريم .. وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى التحذير من الظلم وسوء عاقبته .. وللمعاناة التى يكابدها المظلوم، والجراح التى يقاسى ألمها المظلوم، أقسم الله بذاته على ذاته بالاستجابة لدعوة المظلوم ونصرتة حتى لو كان المظلوم فاجرا أو كافرا .. فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء»، ويقول الرب: وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين»^(٤)، وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا، فمجوره على نفسه»، وعن أبى عبد الله الأسدى قال: سمعت أنس بن مالك - رضى الله عنه - يقول: قال رسول الله ﷺ: «دعوة المظلوم وإن كان كافرا ليس دونها حجاب»^(٥).

وقد يزداد غضب الله على الظالم فيؤخر عقابه بعض الوقت فيتمادى الظالم فى غيه وهو غير مدرك أن الله يمهله ليزيده عقابا وعذابا. فعن أبى موسى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يملئ للظالم فيأذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ:

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾^(٦).

لنا سوء عاقبته فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «إياكم والظلم فإن الظلم هو ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش والمتفحش، وإياكم والشح فإن الشح دعا من كان قبلكم ففسكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»^(٦). والظالم الذى يستغل موقعه، أو يستغل قوته، أو يستغل غلبته بعد أن تمكن الشيطان منه وسخره أداة للشّر، وجعله مناعا للخير معتد أثيم يعتدى على حقوق الآخرين، ويسلب مالهم أو عرضهم أو شرفهم محابة لنفسه أو لأقربائه أو لأصدقائه أو إرضاء للحكام والرؤساء، هذا الظالم قد عمى بصره، وفرغ قلبه، وأفقده طبعه الدنى، ونفسه الأمارة بالسوء، وغروره بدينه الفانية، أفقده ذلك خشية الله والخوف منه، وأنساه قول الله - تعالى -:

﴿وَلَا تَحْسَبِ أَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاءٌ﴾^(٣).

ولقد أكثر القرآن الكريم فى النهى عن الظلم وتحريمه، والتحذير من سوء عاقبته فى الدنيا والآخرة، فقد وردت مادة: الظلم وتصرفاتها: أظلم، يظلم، ظالم، مظلوم، ظالمون، تظلمون ... الخ فى مائتين وتسعة وثمانين آية من سور القرآن الكريم.

(٣) إبراهيم (٤٢، ٤٣).

(٢) أخرجه أحمد ١٠٦/٢، ١٩١، ١٩٥، ٤٣١، ٣٢٣/٣.

(٥) مجمع الزوائد ١٠/١٥٢، الترغيب والترهيب ٣/١٨٨.

(٤) ابن عدى ٧/٢٥١٧، الترغيب والترهيب ٣/٦٨٨.

(٦) هود (١٠٢).

(٦) أخرجه البيهقى ٤٠١٨.





الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته» (١٠).

وإذا تفشى الظلم في مجتمع من المجتمعات، وتخاذل أفراد المجتمع عن منع الظالمين من ظلمهم، عمت نقمة الله على هذا المجتمع، وذاق أفراده الذل والهوان، وحرموا نعم الله، وأغلقت أبواب رحمته أمامهم. فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «لا تظلموا فتدعوا فلا يستجاب لكم، وتستسقوا فلا تسقوا، وتستنصروا فلا تنصروا» (١١).

هدانا الله إلى الحق والصواب، وأرشدنا إلى الصراط المستقيم، وجنبنا الزلل والوقوع في إثم الظلم والظالمين، وأعاننا على منع الظلم وعلى نصره المظلوم، وصلاة وسلاماً عليك ياسيدي يارسول الله فقد أرشدتنا إلى منهج الإسلام في نصره الظالم والمظلوم. فعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه عن الظلم، فإن ذلك نصره» (١٢).

هذا في الدنيا أما في الآخرة فهو الخسران المبين.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحللله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» (٨). وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أندرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار» (٩).

وعاقبة الظلم وشره، وحسابه الشديد، وسيئاته، لا تقع على الظالم وحده، بل يشاركه في الحساب والعقاب من أعان الظالم على الظلم وزينه له، بل ومن رأى وعلم وشاهد الظلم يقع على المظلوم ولم يهب يدافع عنه. فعن جابر وأبي طلحة - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمة، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله

(٩) أخرجه أحمد ٣٠٣/٢، ٣٧٢، والبيهقي ٢٢٩/١، ٩٣/٦.

(٨) أخرجه البخاري ١٢٨/٨، وأحمد ٥٠٦/٢.

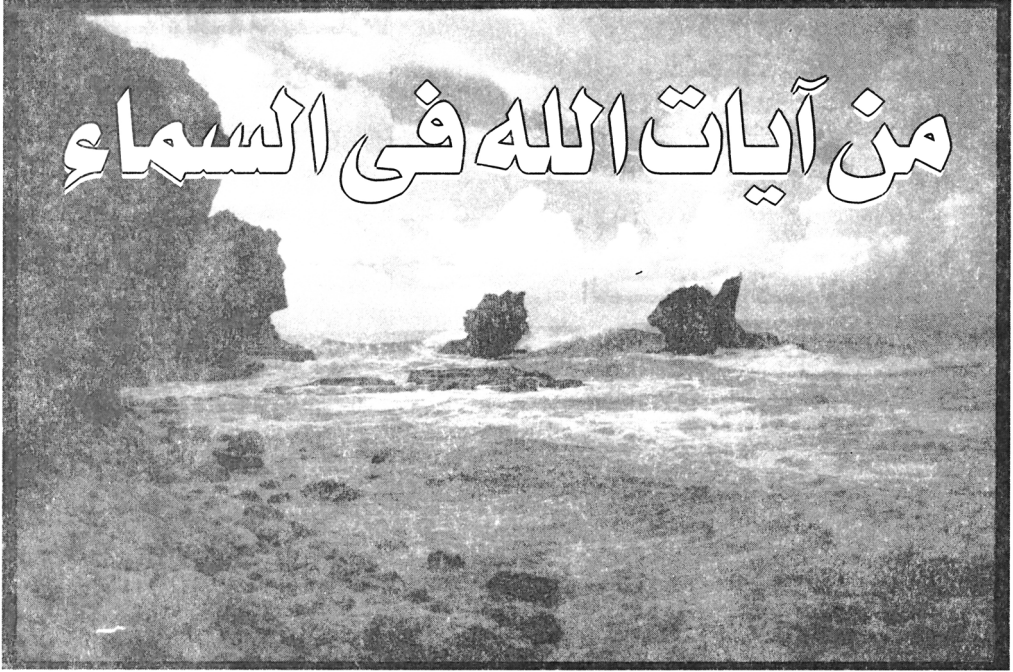
(١١) مجمع الزوائد ٢٣٥/٥، الترغيب والترهيب ١٤٨/٣.

(١٠) الترغيب والترهيب ١٩٠/٣.

(١٢) أخرجه البخاري ١٦٨/٣، ٢٨/٩، وأحمد ٩٩/٣، ٢٠١، والبيهقي ٩٤/٦.



من آيات الله في السماء



مُستأذ الكُتُب / أحمد فؤاد باشا^(*)

إن للقرآن الكريم أسلوبه الحكيم في الدلالة على آيات الله في الكون، وإن الهداية التي جاء القرآن الكريم من أجلها تقتضي ألا يخاطب الناس عن الكون بما ينكرون أو بما يستعصى على أفهامهم، فيقوم ذلك حجاباً بينهم وبين قبول دعوته، وحاملاً على أن يكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه. أيضاً، تقتضي الهداية التي جاء القرآن الكريم من أجلها ألا يوافق الناس على باطل معتقداتهم الكونية في عصر نزول الوحي به، فيقوم ذلك حائلاً دون قبول دعوته في عصور ازدهار العلم الكوني التي علم الله الذي أنزل القرآن أنها ستكون.

وتجذب هذين العائقين عن قبول هداية القرآن هو من بدائع إعجاز أسلوبه، ومن أكبر الدلائل على أنه حقاً من عند الله فاطر الناس وفاطر الكون.

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة.

السَّمَاءُ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً

كلمة «السَّماء» فى اللغة تعنى فى قول الجمهور «المظلة»، وهى أيضاً السَّماء الزرقاء التى تبدو النجوم كأنها فيها وهى فوقها. ثم هى تطلق أيضاً على السحاب، وعلى ما ينزل من السحاب من أمطار، وهى استعارة حسنة معروفة عند العرب. قال حسان بن ثابت:

ديار من بنى الحَسْحَاسِ قفر

تعفِها الروامِسُ والسَّماءُ

يعنى ماء السَّماء، ومنه أيضاً قول معاوية بن مالك:

إذا نزل السَّماءُ بأرض قوم

رعيَناه وإن كانوا غُضابا

وربما توسعوا فأطلقوا لفظ «السَّماء» على العشب لأنه يكون عن السَّماء، أى المطر، ومن بين قولهم:

«مازلنا نطأ السَّماء حتى أتيناكم»

والسَّماء لغة: من السُّمُو وهو العلوُّ والارتفاع، يقال: سما يسمو سُمُوًّا، وسَماءٌ إذا ارتفع وعلا، والسَّماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت سَماءً، وتجمع على أَسْمِيَةٍ وسَمَواتٍ وسُمِيٍّ.

والسَّماء فى إطلاق الشرع هى: ما يقابل الأرض، ويراد بها تلك الطبقات السبع التى خلقها الله ورفعها فوق أرضه، وجعل علمها وتفاصيل أخبارها من الغيب الذى لا يعلم إلا عن طريق الخبر السمعى، قال - تعالى -:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ

فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

السَّماءُ فى القرآن والعلم

أما فى العلوم الكونية فإن كلمة «السَّماء» تعنى سماء الغلاف الجوى للأرض ولغيرها من الأجرام السماوية، وهى تعنى أيضاً سماء الشمس والقمر والشَّهْبُ والكواكب والنجوم والسِّدَمَ والمَجَرَّاتِ.

والناظر فى آيات السَّماء كما وردت فى القرآن الكريم عليه أن يميز بين ما هو خاص بسماء جو الأرض من سحاب وما إليه من زُرْقَةِ الطبقات العليا من هوائه، وهو عادة أول ما يفهم من لفظ السَّماء ومن وصفها، وبين ما هو عام يشمل الكون بما فيه من نجوم وكواكب ومجرات، وبين ما تعنيه الكلمة فى لغة العرب وسياق المعنى.

فقد جاءت السَّماء فى القرآن الكريم بمعنى سقف البيت، كما فى قوله - تعالى -:

﴿مَنْ كَانَتْ

بُطْنُهَا لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِمَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ (٢).

بدت لملاحى الفضاء سوداء حالكة تلمع فيها الشمس والنجوم كأجسام مضيئة من غير أن يكون لأضوائها أثر فى تخفيف ذلك الظلام، فلولما يحملها الهواء فى جو الأرض من جسيمات ضئيلة لبدت السماء للناس حالكة السواد حين تكون الشمس ساطعة، ولكانت الظلال على سطحها سوداء مثل ظلال القمر وسماؤه، إذ هو قد فقد هواءه (غلافه الجوى) منذ زمن بعيد، فشتان بين نهار الأرض ونهار القمر، وشتان بين سماء الأرض تضىء جَوْها الشمس فلا يلقى العين منه إلا نور، كما نبّه الله إليه بقوله: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَلَهَا﴾ (٦). وبين السماء إذا تجاوزنا جَوَّ الأرض وغلافها الهوائى بالنهار، فلا تقع العين منها إلا على ليل مظلم تبدو الشمس فيه قُرْصاً فيه زرقة، وإلى ليل السماء الكونية هذا، وآية الله فيه أشار القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ (٧).

وهذا مثال واضح نسوقه لبيان الإعجاز الإلهى فى التعبير القرآنى عن حقيقة كونية قبل أن يهتدى إليها الناس من علم، فيصرف الإنسان النظر عن المعنى الحرفى الذى يجهله إلى أقرب معنى يعرفه، ولو فطن الإنسان ولزم النص وكان منطقياً معه حسب القاعدة

فالسبب هنا الحبل، والسماء هنا سقف البيت، وشبهه من الأشياء تعلق منها الحبال. والمعنى أن من كان من الكفار يظن أن الله لا ينصر نبيه فليمدد بحبل إلى سقف بيته، ثم ليختنق به وليقدر فى نفسه وينظر، هل يُذهِبُ فعله ذلك ما يغيبه من نصر الله لرسوله؟.

كذلك جاءت كلمة السماء فى القرآن الكريم بمعنى السحاب والمطر والغيث، كما فى قوله تعالى:

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (٣).

والسماء فى قوله - تعالى -:

﴿فَفَتْحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهِمٍّ﴾ (٤).

ليست هى سماء الكواكب والنجوم، ولكن هى سماء السحاب الذى ينزل الله منه الماء المُصَرَّح به فى قوله - تعالى -:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ ۚ ءَأَنْتُمْ

أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ (٥).

وجاء التعبير القرآنى ﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾

ليعنى سماء السحاب المعروف عند العرب على سبيل المجاز.

وإذا تجاوزنا السماء الزرقاء بتجاوز الغلاف الجوى للأرض، فإن السماء عندئذ تبدو كما

(٤) القمر (١١).

(٦) الشمس (٣).

(٣) نوح (١١).

(٥) الواقعة (٦٨، ٦٩).

(٧) النازعات (٢٩).



يقول الراغب الأصفهاني: والفلك مجرى الكواكب، وتسميته بذلك لكونه كالفلك. وفي حديث عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه -: «تركتم فرسى كأنه يدور فى فلك»، شبهه لدورانه بفلك السماء الذى تدور عليه النجوم.

وعلم الفلك: علم يبحث فى الأجرام العلوية وأحوالها، وقد عُرِفَ عند العرب باسم «علم الهيئة» لأنه ارتبط بدراسة تركيب الأفلاك وأحوال النجوم السماوية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها. وقد وصفه عبدالرحمن بن خلدون (٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) فى كتابه: «المقدمة» بأنه «صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة فى وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع، وغير ذلك، يعرف به مواضع الكواكب فى أفلاكها لأى وقت فُرض من قبل حسابان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة».

وعرفته دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى بأنه علم مداره الأجرام العلوية، أى الشمس والسيارات والثوابت (فى رأى العين) وتوابعها وذوات الأذنان، وهو قسمان نظرى وعملى، الأول: يصف تلك الأجرام ويبين لنا أبعادها وحركتها وفصولها السنوية وهيئاتها، والثانى: يبحث عن كيفية رصد

النحوية التى قَعَدَها لسبق العلم الحديث إلى حقيقة عن السماء لم يكشفها العلم إلا بعد قرون من نزول القرآن بقوله - تعالى -:

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٧٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٧٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٧٩﴾﴾ (٨).

لكن الحق والإنصاف يقتضيان ألا نتوقع من قدامى المفسرين أو من محدثيهم الذين لم يدرسوا جانباً كافياً من العلم الكونى أن يتصوروا سماء حالكة والشمس فيها ساطعة لا حجاب دونها، وقد كانوا فيما مضى يظنون نور النهار ممتداً إلى أقصى الكون الذى يعرفونه، وأقصى الكون عندهم كانت السماء الزرقاء التى تضيئها الشمس نهاراً وتثيرها الكواكب والقمر ليلاً.

أفلاك السماء

الفلك لغة: المدار يسبح فيه الجرم السماوى، وجمعه أفلاك وفُلك. وفُلك كل شىء: مستداره ومعظمه.

والفُلكُ: التل المستدير من الرمل حوله فضاء.

والفلك من البحر: موجه المستدير المضطرب.

والفلكة من المغزل: القطعة المستديرة من الخشب ونحوه تُجعل فى أعلاه، وتثبت السنارة من فوقها وعود المغزل من تحتها.

(٨) النازعات (٢٧: ٢٩).



تلك الأجرام .

وقد وردت كلمة « فلك » فى القرآن الكريم مرتين: فى قوله - تعالى - :

﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٩).

وقوله :

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (١٠).

وقال أهل التأويل فى معنى الفلك الذى ذكره الله - تعالى - فى هاتين الآيتين الكريمتين أنه كهيئة حديدة الرحى، أو كفلكة المغزل، لا يدور المغزل إلا بها ولا تدور إلا به، كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به، ولا يدور إلا بهن ويقول الرازى: « الفلك فى كلام العرب، كل شىء دائر، وجمعه (أفلاك) ». اختلف العقلاء فيه، فقال بعضهم: الفلك ليس بجسم، إنما هو مدار هذه النجوم، وهو قول الضحَّاك . وقال الأكثرون: بل هى أجسام تدور النجوم عليها، وهذا أقرب إلى ظاهر القرآن . ثم اختلفوا فى كيفيته، فقال بعضهم: الفلك موج مكفوف تجرى الشمس والقمر والنجوم فيه . وجاء فى المنتخب أن لكل جرم سماوى مجاله، أو مداره، الخاص الذى قدره الله له،

وأجرام السماء كلها لا تعرف السكون، كما أنها تتحرك فى مدارات خاصة لا تحيد عنها هى الأفلاك .

ولقد حثت آيات القرآن الكريم فى مواضع كثيرة على النظر فى ملكوت السماوات والأرض، وكان اهتمام المسلمين بعلم الفلك بالدرجة الأولى بسبب احتياجهم لمعرفة الزمن وتحديد مواعيت الصلاة وظهور الهلال ومواعيد الأعياد وتادية المناسك والعبادات وتحديد اتجاه القبلة ومواقع البلدان، وغير ذلك مما يتعلق بأمر دينهم الحنيف الذى فرض على الناس أن يتفكروا ويعقلوا ويعلموا، مثلما فرض على أتباعه أن يتعبدوا ويذكروا الله - تعالى - فى جميع الأحوال وعموم الأوقات . قال - تعالى - :

﴿ إِنِّي فِي

خَلَقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِثَانِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآئِكَةٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١١) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُثُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١٢).

وقال أبو عبدالله القزوينى فى كتابه: « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » .. مسترشداً بقوله - تعالى - :

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ

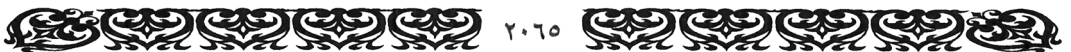
بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (١٣).

(١٠) يس (٤٠).

(١٢) ق (٦).

(٩) الأنبياء (٣٢).

(١١) آل عمران (١٩٠، ١٩١).





حالاً منها، وأشد غفلة كما قال - تعالى -:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ

لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١٣).

وقد ازدهر علم الفلك كثيراً في عصر الحضارة الإسلامية، وكان من مظاهر هذا الازدهار تصنيف العديد من أمهات الكتب في هذا الفن وتطوير أجهزة الرصد والقياس الفلكية وإقامة المراصد في البلاد الإسلامية.

إن المراد من النظر التفكير في المعقولات والنظر في المحسوسات والبحث عن حكماتها وتصاريحها لتظهر لنا حقائقها، فإنها سبب اللذات الدنيوية والسعادات الأخروية، وكل من أمعن النظر فيها ازداد من الله هداية و يقيناً، ونوراً وتحقيقاً، ثم يقول: «وليس المراد من النظر تقليب الحدقة نحو السماء، فإن البهائم تشارك الإنسان فيه، ومن لم ير من السماء إلا زرقعتها، ومن الأرض إلا غبرتها، فهو مشارك للبهائم في ذلك، وأدنى

أهم المراجع

- ١- التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب .. للإمام فخر الدين الرازي .. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (١٤١١هـ / ١٩٩٠م).
- ٢- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني .. دار القرآن الكريم .. بيروت.
- ٣- المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط ١٨، القاهرة (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).
- ٤- لسان العرب لابن منظور.
- ٥- محمد أحمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، الرسالة والرسول والقرآن، والإعجاز العلمي في القرآن. دار الإنسان، القاهرة (١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- ٦- إعداد مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي.
- ٧- د. أحمد فؤاد باشا، رحيق العلم والإيمان، دار الفكر العربي، القاهرة (١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).



يا قدس (*)

للشاعر السكندري

ربيع عبد العزيز

فمن يغيث الربى يا قدس دلينى ؟
روت عطاش الهوى فى يوم حطين
تغاضب الكون أحييها لتحيني ؟؟
منى السنون .. إلى اللقياء يناديني
فنظرة من سناء الله تكفيني
إلى حماك برغم الشوك والطين
فجحفل النار من أصفى قرابيني
سنابل القمح والزيتون والتين
وخلصى العطر من أسر الشياطين
يا ربة الحسن للعليا وساقيني
وآمر النار أن تأتي فتأتيني
إلى حماك برغم الشوك والطين
فجحفل النار من أصفى قرابيني
كتائب الفتح فى الدنيا وفى الدين
وهيئ لى هوى بيتى وضميني

يا قدس ضاع الشذى فى حمأة الطين
على ضفاف الندى للحب أغنية
ماتت فكيف وشمس الله ما برحت
يا قدس طال النوى والشوق مذرحت
يا قدس ضج الجوى فى القلب ضميني
إنى لأجمع أنفاسى على سفر
آت إليك وأيامى مؤججة
والناصرى الذى ضاءت لبسمته
آت إليك بنهر العشق فاغتسلى
من يفتدى الشمس لا يفنى فقوديني
أعانق الحلم فى الأسحار مؤتلقاً
إنى لأجمع أنفاسى على سفر
آت إليك وأيامى مؤججة
والهاشمى الذى سارت برحمته
آت إليك بيوم العتق فانطلقى

(*) من ديوان سؤال من زمن السامري للشاعر.

بين النازية

و

الصهيونية

لمؤسس / صلاح عبد الرحيم محمد

يبدو أن العلاقات الثنائية التي كانت تجمع بين النازية والصهيونية لم تكن علاقات طارئة أو استثنائية، بل كانت علاقات استراتيجية بسبب ما يؤلف بينهما من مبادئ مشتركة، وطبيعة واحدة ترتبط بالمشروع الاستعماري من جهة، والعنصرية من جهة أخرى، فالمانيا النازية كانت تطمح إلى بناء أمة قوية متميزة، والصهيونية كانت تحلم ببناء دولة يهودية في فلسطين. فبعد موت هرتزل أبى الصهيونية تولى اليهود الألمان من شباب الجامعات الألمانية إدارة الحركة الصهيونية، متأثرين بزملائهم من الطلبة الألمان من أنصار «ألمانيا الكاملة» وحركة «الطيور الجواله» أو حركة «الأرواح الحرة» الذين هيمنوا على الساحة الجامعية في ألمانيا قبل عام ١٩١٤، وكان الشباب الألمان المتعصبون يعتبرون يهود ألمانيا من دم غير ألماني، فهم - لذلك - ليسوا جزءاً من الشعب الألماني، بل هم غرباء عنه.

وقد برزت على الساحة الجامعية شريحة من اليهود تبنت أيديولوجية حركة «الطيور الجواله» فترجمتها إلى أفكار، ومفاهيم صهيونية، فسايروا أفكار الشباب الألمان المعادين للسامية الذين ينظرون لليهود الألمان على أنهم منفصلون جسداً وروحاً عن الشعب الألماني، ولذلك لا بد أن يصبح لليهود تراب خاص بهم، وهى أرض فلسطين. وأحسب أن الاتحاد الصهيونى كان قد سعى فى ألمانيا - من أجل تحقيق أهدافه - أن يتكيف سياسيا مع نظريات، وسياسات النظام النازى الجديد فى ألمانيا للحصول على دعم «أودلف هتلر» وحمايته بعد عام ١٩٣٣. وصار الهدف الرئيسى للاتحاد الصهيونى هو الحصول



هتلر



هرتزل

الذين يمكن أن يمثلوا اليهود في أى اتفاقات مع الحكومة النازية، ولقد شعرنا جميعاً بأنه من المؤكد أن الحكومة سترتب يوماً مؤتمراً مائدة مستديرة مع اليهود بعد أن تهدأ حوادث الشغب، للنظر فى وضع اليهود الألمان. ولقد أعلنت الحكومة أنه لا يوجد فى العالم بلد حاول حل المشكلة اليهودية بالجدية التى تفعلها ألمانيا» وكان فى اعتقاد الحاخام «يواخيم برنتس» أنه يمكن التوفيق بين النظام النازى الألمانى واليهود من خلال التوصل إلى اتفاق صهيونى نازى يدعو إلى إعلان «أن دولة تقوم على مبدأ نقاوة الأمة والعرق، لا يمكن إلا أن تحترم أولئك اليهود الذين ينظرون إلى أنفسهم بنفس الطريقة». وقد كرس قادة الاتحاد الصهيونى الألمانى جهودهم من أجل إقناع «أدولف هتلر» على منح اليهود حق وجود اقتصادى لهم، وحمايتهم من أى هجوم مناوئ لهم، وتدريبهم لإعدادهم للهجرة إلى فلسطين، لذلك بدأ الاتحاد الصهيونى تعبئة كافة المؤسسات اليهودية المنفصلة لتوحيدها، وصهرها فى بوتقة واحدة لخلق روح قومية

على تأييد النازيين الجدد لهجرة جيل من اليهود الأصغر سناً إلى فلسطين.

ويقال إن «كورت توخلر» عضو اللجنة التنفيذية للاتحاد الصهيونى الألمانى كان قد ألح على البارون «ليوبولد إتر إدلر فون ميلدتشتين» من قوات العاصفة الألمانية (إس.إس) أن يكتب مقالاً فى الصحافة النازية يؤيد فيه أهداف الصهيونية. كما

أجرى بعض قادة الاتحاد الصهيونى اتصالاً مع أحد الشخصيات البارزة فى حكومة ألمانيا النازية فى مارس عام ١٩٣٣، استدعى على أثرها «هيرمان جورينج» قادة المنظمات اليهودية الكبرى للاجتماع بهم لبحث ما يريدون.

ويذكر أن الاتحاد الصهيونى فى ألمانيا أرسل «مادلين روزنبلوت»، و«ريتشارد لبشتهايم»، والدكتور «لودفيج تيمتز» إلى لندن حيث قابلوا أربعين يهودياً فى اجتماع رأسه «سوكولوف» رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، وكان أمام الوفد اليهودى مهمتان: الأولى التأكيد على أن فلسطين هى الملاذ الآمن لليهود، والثانية العمل على وقف الجهود المناهضة للنازية فى الدول الأوروبية المختلفة. وبذلك تعاون الاتحاد الصهيونى مع النظام النازى الألمانى لتحقيق أهداف كل منهما.

وفى عام ١٩٣٧ كتب الحاخام «يواخيم برنتس» عقب مغادرته برلين إلى أمريكا عن تجاربه، فى ألمانيا، مذكرة أرسلها للاتحاد الصهيونى إلى الحزب النازى جاء فيها: «كان كل واحد فى ألمانيا يعرف أن الصهاينة فقط هم



للنازية فى مختلف دول العالم ترجع إلى أن يهود العالم يسعون لتحريك الدول الأجنبية ضدنا بدعوى معاداتنا لليهود» .

وظل هتلر حتى وصوله إلى السلطة لم يفكر بشكل جدى فيما يمكن أن يفعله مع اليهود، وفى ٢٤ أكتوبر عام ١٩٣٣ ألقى هتلر خطاباً قال فيه : « يؤكد الناس فى إنجلترا أن أذرعهم مفتوحة للترحيب بكل المهجرين خصوصاً يهود ألمانيا الذين تركوا ألمانيا شريطة أن يمتلك كل يهودى ألف جنيه استرلينى، ولكننا لم نشترط على كل من يدخل ألمانيا أن يكون فى حوزته ألف جنيه استرلينى، وهكذا أثبتنا نحن الشعب الألمانى الذى يوصف بالوحشية أننا أكثر إنسانية، ومازلنا حتى الآن كرماء بنفس الدرجة، ونعطى الطائفة اليهودية فى ألمانيا من امكانيات العيش أكثر مما نملك نحن» وعلى إثر هذا الخطاب الذى ألقاه هتلر بدأت تصدر السياسات المؤيدة للصهيونية بصورة علنية تدعو إلى تشجيع الهجرة إلى فلسطين. وفى هذا الإطار قام « هانس فرانك » وزير العدل الألمانى وقتئذ بإبلاغ مؤتمر الحزب فى « نورنبرج » أن الحل الأفضل للمسألة اليهودية هو أن يكون لليهود وطن قومى فى فلسطين، كما بدأت شركة الشحن الأمريكية « هامبورج ساوث » خطأ مباشراً إلى حيفا تحت إشراف حامية هامبورج، وكان اليهود فى ذلك الوقت لايزالون قادرين على مغادرة ألمانيا إلى أى بلد يريدون ومع حلول عام ١٩٣٤ أصبحت قرارات قوات العاصفة (إس.إس) مشجعة للصهيونية فى الحزب النازى، فقد كان البارون « فون ميلدتشتين » من أكبر

يهودية. ومع بزوغ فجر النازية الألمانية عام ١٩٣٣ نظرت الطائفة اليهودية الألمانية الصهيونية إلى نفسها باعتبارها مؤهلة تاريخياً للتفاوض سراً مع النازيين، ومعارضة غالبية يهود العالم الذين أرادوا مقاومة هتلر فى مقابل أن يساعد هتلر يهود ألمانيا للهجرة إلى فلسطين. ولقد ذكر « أدولف هتلر » فى أحاديثه أن فلسطين هى المكان المناسب لليهود، وهناك فقط يمكن لليهود الحصول على حقوقهم، وبدأت تتدفق المقالات التى تؤيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين فى مجلة حزب الاشتراكيين الوطنيين الذى التحق به هتلر عام ١٩١٩. ولقد ذكر هتلر فى كتابه بعنوان « كفاحى » أن اليهود الصهاينة يريدون أن يجعلوا دول العالم تؤمن بحق اليهود فى إقامة دولة لهم بفلسطين، وأن اليهود من أجل تحقيق ذلك الهدف يحاولون خداع الأمم غير اليهودية، فلم يحدث أبداً أن استقر فى عقولهم أنهم سينشئون دولة يهودية بهدف الحياة بفلسطين، فكان كل مايريدونه هو مجرد مأوى لهم». كما كان شعار: « أركلوهم إلى فلسطين » هو شعار معاداة السامية السائد فى دول أوروبا للتخلص من شرورهم. وفى الفتح من إبريل عام ١٩٣٣ - خلال المقاطعة المعادية لليهود - سارت تظاهرة ألمانية كبيرة أمام المحلات الكبرى اليهودية، وكان المشتركون فيها يوزعون على المارة من ذوى السحنة اليهودية نموذجاً لتذكرة ذهاب إلى فلسطين دون عودة. وصدر بيان نازى رسمى - فى إطار المقاطعة المعادية لليهود - جاء فيه: « إن المشاعر المعادية



الأول: القضاء على المقاطعة التي ينظمها يهود العالم ضد ألمانيا في البلاد الأجنبية الأخرى.

الثاني: تسهيل الأمر أمام اليهود في ألمانيا للهجرة إلى فلسطين كما سبق أن نوهنا قبل ذلك. وبمقتضى هذه الاتفاقية سمح النازيون لليهود بالهجرة، ووافقوا على الإفراج عن أموالهم على أن تودع في أحد المصارف، ويصرح لهم بتحويلها إلى بضائع ألمانية تصدر إلى فلسطين. وقد تم تنفيذ الاتفاقية تحت إشراف الوكالة اليهودية، وسمحت بتوفير أمهر الفنيين اليهود الألمان لإرسالهم إلى فلسطين، وتصدير الآلات والمعدات اللازمة لبناء المستوطنات الصهيونية فيها. وأتاحت هذه الاتفاقية أيضاً هجرة ١٧٢ ألف يهودى ألماني إلى فلسطين في الفترة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٣٧، بل إنه في عام واحد هو عام ١٩٣٥ سجلت السلطات في فلسطين - التي كانت تحت الانتداب البريطاني - وصول ٦٥ ألف مهاجر يهودى من ألمانيا. ولم يكن أمام الصهيونية من سبيل آخر غير هذا التعاون مع النظام النازي لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، مما يدل بوضوح على أن ألمانيا النازية كانت صاحبة الفضل الأساسى في قيام الكيان الصهيونى في فلسطين العربية. وأخيراً يمكن القول إن اليهود ينبغي أن يذكروا هتلر النازي بكل الامتنان لأن التعاون الألماني مع الصهيونية أتى أكله بتمكين اليهود من الاستيلاء على فلسطين.

المتعاطفين مع الصهيونية، فلقد زار فلسطين، واستمرت زيارته هناك ستة أشهر عاد بعدها ليصبح المسئول - في ألمانيا - عن القسم اليهودى في جهاز الأمن الخاص بقوات (إس.إس) وبدأ الاهتمام بدراسة اللغة العبرية، ونمت قوة الصهيونية داخل ألمانيا. ولقد بلغ التعاون النازي مع الصهيونية درجة أصبحت معها الصهيونية هي الحزب الآخر الوحيد المعترف به في الرايخ الألماني، وصارت الراية الصهيونية هي الراية الوحيدة التي يسمح بها النظام النازي لتتفرغ فوق أرض ألمانيا. وكتب «الفريد برندت» رئيس التحرير المسئول في مكتب أخبار ألمانيا حول وضع اليهود الألمان يقول: «كرر كل المتحدثين في المؤتمر الصهيونى العالمى في لوسيون أن يهود العالم لا بد أن ينظر إليهم باعتبارهم شعباً منفصلاً بغض النظر عن مكان إقامتهم، وحسناً إذن أن كل ما فعله هتلر هو تلبية مطالب المؤتمر الصهيونى العالمى إذ جعل اليهود الذين يعيشون في ألمانيا أقلية لها اعتبارها». وفي إطار التعاون النازي مع الصهيونية، وخدمة لليهود صار لليهود الألمان جيتو ثقافياً مستقلاً إلى درجة جعلت الحاخامات اليهود لا يستعملون اللغة الألمانية في احتفالات «عيد الشانوكاه» في السادس من ديسمبر. ويأتى ذلك في سياق الجهود التي يبذلها النازيون للسماح لليهود الألمان باستخدام اللغة العبرية في أحاديثهم باعتبارها أداتهم الثقافية. ومما يؤكد التعاون النازي الصهيونى، توقيع «أودلف هتلر» في أوائل عام ١٩٣٣ اتفاقية «الهعفراه» مع زعماء الصهيونية العالمية، وكان لها هدفان :



القدس في عيون يهودية

للدكتور / محمد حسن عبد الحالق

كان بناء اليبوسيين لمدينة القدس البناء الأول لها، وعلى مدى التاريخ جددت المدينة ثوبها ثمانى عشرة مرة، فهدمت وأودمرت ثم أعيد بناؤها في كل هذه المرات حتى استقرت على هيئتها في العهد العثماني، وقد جاء الاحتلال على مرحلتين عام ١٩٤٨، وعام ١٩٦٧ تتويجا لسلسلة متلاحقة من البروتوكولات التي تستهدف في النهاية تهديد القدس وفرض واقع سكاني جديد عليها. وفي القدس يتداخل ما خلقه الله مع ما ألهمت اليد البشرية صناعته فالجبال والوديان والتلال تتداخل مع الأسوار والأبواب التاريخية، أما سور القدس فقد أقيم أول مرة في عهد اليبوسيين قبل الميلاد بعشرات القرون والصور الحالي أقامه السلطان العثماني سليمان القانوني ١٥٣٦م وطوله ٤٢٠٠ متر يشغل الجدار الشرقي والجنوبي للحرم الشريف ٦٠٠ متر وارتفاعه يختلف وأعلاه يصل إلى ٣٠ مترا وسمكه لا يزيد على المترين. وقد بذلت الحكومات الصهيونية جهودا مضنية لتفريغ القدس من سكانها العرب ورغم أن الإحصاءات الإسرائيلية نفسها تشير إلى أن تزايد نسبة السكان الفلسطينيين تصل إلى ٢٧% من عدد السكان والدراسات اليهودية تؤكد أن هذه النسبة قد تصل إلى ٣٨% عام ٢٠٢٠م.

«أمس وأول أمس أحاطتني أزقة وأروقة المدينة القديمة، وقد أوضحت لأبنائي وبناتي عديدا من الضواحي والأماكن الغير معروفة من بوابة الربع اليهودي وحتى آخره.. وقد استجابت لى قدمائى كأيام الصبا، فكانت خطواتى خفيفة وسريعة، قفزت هنا وهناك ولم أشعر بالإنهاك» .
ويقول أيضاً :

«من هنا ارتشفت ماء الحياة الأدبي، ومن هذا الشارع حكمت العالم»^(٢) وقد احتلت القدس رقعة كبيرة فى أدبه حيث يقول فى قصة « فى كنفا » .
«لقد سكن أبناء الديانات الثلاث فى مدينة الإيمان والأديان متفرقين ومنعزلين لم يقترب هذا من ذاك طوال الأيام، وإذا اضطرب يهودى أن يمر فيما ندر بين شوارع المسلمين، بين الأزقة الصامتة، ترتعد أوصاله من الخوف لأنه يعتقد فى قرارة نفسه أن هذا السكون لد «جوى» (أى غير اليهودى) الغريب المنتشر هنا، ليس إلا سكون الكمين فى الخفاء . حيث يكن سكانه من العرب العداء دائما لليهود، وفى كل لحظة يخشى أن ينقض عليه من خلف كل باب أو جدار ظالم يسبب له الفناء»^(٣) .
كما وصف بورلا الألفية والبيوت حيث يقول :
«لقد أقيمت الألفية والبيوت فى القدس القديمة منذ أيام خلت وأنتك لا تستطيع أن تحكم على من بناها وعلى أصحابها بأنهم أهل معرفة أو على الأقل كان لهم قدر ضئيل من تذوق الجمال، كيف يصح لبشر عقلاء أن يقيموا بيوتهم وأفنيتهم وليس بها أى نظام وليست إلا تجميع أحجار وتكديس مصاطب على سطح الأرض .. تزيد ظلمتها على نورها ..

والقدس هى المحور الأساسى الذى استخدمه الأدباء اليهود فى معظم أعمالهم الأدبية يستوى فى ذلك الأدباء الاشكنار (يهود الغرب) والأدباء السفارد (يهود المشرق العربى) يعيش فيها معظم أبطالهم، ينعمون بقدسيتهما، ويحن إليها اليهود من كل بلاد العالم وقد ركزوا عليها فى أدبهم كى تصبح الأمل المنشود لليهود العالم، فى البداية ليهاجروا إليها وبعد قيام دولتهم ليحتلوها وبعد ذلك طمس معالمها وتفرغ العرب منها . وهذا المخطط قديم جدا، وضعوا له العديد من الخطط، ومهدوا له جيادا، وكانوا ينتظرون الظروف الملائمة لتنفيذ أحد هذه الخطط، وأخذ الأدب على عاتقه مهمة غسل العقول وتسييسها سواء اليهودية أو الغربية، قبل قيام الدولة الصهيونية بعمود كثيرة، كتب الأدباء عنها ووصفوا شوارعها وأزقتها، مبانيها وأفنيتهما وسكانها، ومن هذه الألفية خرج معظم أبطال أعمالهم .
والعلاقة بين فلسطين والأدباء اليهود واضحة والأكثر منها وضوحاً علاقتهم بالقدس، ولكنها تختلف بين نظرة الأدباء الاشكناز قبل مجيئهم إليها ونظرة الأدباء السفارد الذين عاشوا فيها أو زاروها . فقد اعتمد الأدباء الاشكناز على الكتب والخيال وراثاء البعيدين، أما الأدباء السفارد وعلى وجه الخصوص من ولد منهم فيها، فقد أبدعوا فى وصفها بقدر ما أبدعوا فى التغنى بقدسيتهما وفى تزييف الحقائق والتجنى على العرب للوصول إلى تحقيق الحلم الصهيونى مثل ما فعله الأديب الصهيونى المعاصر (يهودا بورلا) الذى ولد بالقدس سنة ١٨٨٦ .^(١) وبعد حرب الأيام الستة استعرض بورلا مكان ميلاده حيث يقول :

(١) توفى عام ١٩٦٩، وقد تخصص فى الكتابة عن يهود المشرق العربى، كما شارك بالكتابة فى معظم الأنشطة الخاصة بالدولة الصهيونية.

(٢) الحنانى: أبراهام حاييم: الأربعة الذين قصوا «أربعاء شيسبرو» إصدار بمعراخ القدس ١٩٧٨ ص ٣٠ (مصدر عبرى).

(٣) بورلا : فى عقبا (بيتسيل قورائينو) ص ٨٧ (مصدر عبرى).



ومن ناحية الجنوب نافذتان تطلان على غرفة «التوراة» الطويلة والضيقة التي تستخدم كمكان مخصص للنساء فى الأعياد»^(٧).

وعن ندرة المياه فى القدس يقول:

«وتحل أيام الصيف، وترتفع الحرارة فى البلاد وتقل المياه فى الآبار، وفى شهر أغسطس تكون تلك الآبار قد نضبت»^(٨).

وكما وصف الأفنية من الخارج، وصفها أيضا من الداخل حيث يقول فى رواية «عقبيا»:

«وبجانب المعابد الأربعة للطائفة السفاردية، توجد أفنية تنزلها ببضعة سلالم، وهناك يسكن العديد من العائلات اليهودية الفقيرة، وكل عائلة تعيش فى غرفة واحدة، والغرف سراديب محفورة داخل الأرض مظلمة تماما بلا نوافذ، الأرضية رطبة، والحوائط بدون طبقة من الجص، أحجار قديمة مجوفة يغطيها التراب، وعندما دخل «عقبيا»، مع اثنين من اليهود رأوا على الأرضية أرائك بالية.. ملساء من كثرة القذارة وعندما رفعوا الحصى أمام «عقبيا» رأى ديدانا كثيرة على الأرض، وكأنه نزل إلى قبر، واللون الأسود يغطى الجدران نتيجة لإشعال لمبات الكيروسين ليلا، ومروا من قبو لآخر، وهذه مساكن عشرات وعشرات من عائلات إسرائيل»^(٩). وأود أن أشير إلى أن الحى اليهودى فى المنطقة الجنوبية من القدس كان قبل حرب ١٩٦٧ اثنى عشر فدانا فقط والآن زحفوا على الأراضى العربية وهدموا ماحوله من أراض وأوقاف أثرية عربية ووسعوه حيث تضاعفت مساحته إلى أكثر من خمس وعشرين مرة.

وكان سكان هذه الغرف لا يجدون بها «حاشا لله» أى عيب، بالعكس كانوا يشعرون فيها بالنعيم والهناء كالوزراء سكان القصور.. هكذا كانت المساكن قبل ٤٠ أو ٥٠ سنة^(٤).

وهناك قاسم مشترك لكل هذه الأفنية تقريبا وهو مدخلها المظلم، وبخروجك من أحد هذه المداخل يخيل إليك أنك ستقع أو تصطدم بشئ، وبالمحاولة فقط تخرج إلى مايشبه الساحة. وهو مايسمى بالفناء، ثم تتراءى لك أقسام أو أجنحة هذا الفناء»^(٥).

ولنا أن نتأمل نحن العرب، وإنها لدعوة لكل منصف من غير العرب ليتأملوا ماجاء على لسان هذا الأديب الصهيونى الذى يعترف بالحق لأهله دون قصد منه إنه الحق الذى لا يحتاج إلى برهان وإنما يظهر واضحا وكفانا أنه من أفواه الأعداء.

وكل الأفنية فى القدس يملكها العرب منذ أجيال عديدة، أما إدارة هذه الأفنية فكانت فى أيدي اليهود، حيث يؤجر العربى مايمتلكه منها لأحد اليهود سنويا حيث يقوم اليهودى بتأجيرها ويحظى بأضعاف ماتفه للعربى بالإضافة إلى حجرة يعيش فيها بلا مقابل»^(٦).

ويصف بورلا مدخل فناء «يعقوب حى» ويقول: «والدهليز هو قلب البيت الذى يؤدى إلى كافة أرجائه، والحائط الغربى للدهليز به باب منخفض يشبه المغارة، وبداخل الحائط من ناحية اليمين مجرى مائل، وفى أيام الأمطار يسمعون من داخله خرير المياه كمجرى مائى متدفق، لأن مياه الأمطار تسقط فوق الأسقف وتنساب خلال المسالك الخفية إلى ذلك البئر.

(٤) بورلا : بالتقدیس (بقدوشاه) دار نشر متسفا. تل أبيب ص ١٣٩.

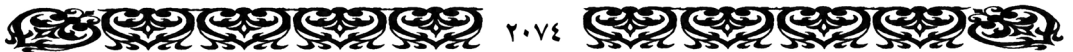
(٥) بورلا : بالفخر والعار (بجيتون أوبشيفل) سفاريم، القدس ١٩٧١ ص ٥٦.

(٦) المصدر السابق ص ٥٧.

(٧) بورلا : بالتقدیس ص ١٤١ (مصدر عبرى).

(٨) بورلا: عقبيا ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٩) بورلا : حادث بشع «معسيه نورا» ص ٩ [مصدر عبرى].





والطهارة وتسودهم الثقة والطمأنينة .. لأن القدس المنحوتة فى قلوبهم منذ القدم والتى يحنون إليها منذ أجيال هى اليوم من نصيبهم وهى زهرة خلاصهم، تسكب عليهم نور قداساتها وبهائها ..» (١٢).

والقدس هى المحور والملاذ والجنة والحساب والعقاب، مفاهيم رسخها فى عقولهم حاخاماتهم .. ففى القدس أربعة أودية الأول: هو « وادى قدرون » شرقا وهو اسم جدول مائى يجرى الماء فى قاعة عندما يسقط المطر، ويسميه اليهود « وادى يهوشا فاط » وطوله نحو كيلو مترين، وتعتقد كثير من الطوائف اليهودية أن الحشر يوم القيامة سيكون فى هذا الوادى.

والثانى: « وادى سلوان » جنوباً، ويقال إنه كانت هناك قبيلة فى قديم الزمان تسمى هُمن بتشديد النون .. وكان يقال: وادى هُمن: وكلمة وادى تعنى فى اللغات السامية كلمة (جى) وكانت هذه القبيلة فى الوثنية الغابرة تقدم الضحايا البشرية الى إلهها « مولك » فى هذا الوادى، ويقال إن كلمة جُهنم جاءت من هذه التسمية، وقد اعتنق اليهود نفس الفكرة وأضافوا عليها شيئاً من القداسة.

ثم « وادى الجبانة » و« وادى الأرواح » وبه مدافن الموتى.

ترى .. ماذا يقول الأدباء عنها بعد أن حولها شارون إلى ثكنة عسكرية تبعد شعباً أعزل على مسمع ومرأى من العالم أجمع.

هل سيسير الأدباء فى ركب شارون ويتغنون بسفك الدماء وقتل النساء والأطفال والشيوخ وهدم المنازل على رؤوس أصحابها العرب أصحاب الأرض ...؟ اللهم لطفك.

والسكن فى هذه الألفية له دلالة الدينية الخاصة. « فالحاخام شبتاى » لا يسكن إلا فى الألفية التى تطل على بيت المقدس ويقول الجيران ساخرين، إنه يرى من النافذة ملوك الهيكل الثانى، وكان لا يتضايق من هذه الكلمات ويقول: « نعم على كل يهودى أن يفكر ساعة فى اليوم على خراب هيكلنا المقدس، وكانوا لا ينكرون عليه أفكاره » (١٠).

وقداسة القدس لها طابعها الخاص حيث يقول الأديب على لسان زوج « ديامنطى » فى رواية عقيبا: « إن القداسة أمر عجيب، فعند داود الملك لم أعرف نفسى .. إنها الشعيرة والأفضلية! هذه الأفضلية كى يصبح الإنسان محظيا للوقوف هناك، أمامهم. فى بيتهم فى البيت، تبارك الله، وقد رأيت القداسة واضحة أمام الجميع .. هذه القداسة لا توجد خارجها، وإن وجدت فإنها تختلف، سواء فى المعبد أو فى اليوم المقدس للغفران « الكيبور » انها تشبه إنساناً يقف أمام قداسة بعيدة، مخفية، كأنك تقف أمام ستارة، لكن هنا، تحل القداسة بقلب الإنسان .. وتشعر بأن القداسة تحتضنك أو أنك حتى تستحم بها » (١١).

كما يصف الأديب عجائز القدس وهم ينعمون بهذه القداسة فى قصة « غروب » ويقول:

« فى كل فناء من ألفية القدس القديمة، كنت ألتقى بهم، بالعجائز الذين هاجروا من بلاد الدنيا المختلفة فى أواخر أيامهم، يسكنون فرادى وجماعات فى حجرات كالأكوخ .. صغيرة ومظلمة كرهبان أو كهنة فى دير كبير، وحتى تقاطيع وجوههم تختلف عن وجوه الرهبان المعزولين تماماً، بالعكس تغلفهم السكينة، وترى فى وجوه العديد منهم النور

(١١) بورلا : عقيبا (مصدر سابق) ص ٢٣٩ - ٢٤٠

(١٠) بورلا : فى كنفتنا (مصدر سابق) ص ٩٢.

(١٢) بورلا : غروب ص ٢٢٢.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ما بين ذلك

دعا أعرابي، وهو يطوف بالكعبة، فقال: اللهم قد أطعناك في أحب الأشياء إليك: شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك؛ ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك: الشرك بك؛ فاغفر اللهم ما بين ذلك.

ولكن اسأل الله

قال حكيم لابنه: يا بني، أكلت الحنظل، وذقت الصبر، فلم أر شيئاً أَمَر من الفقر، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك، ولكن اسأل الله - تعالى - من فضله فمن ذا الذي سأل الله - تعالى - فلم يعطه، أو دعاه فلم يجبه، أو تضرع إليه فلم يكشف ما به.

هل ركب محمد البحر؟!

سمع بعض علماء الطبيعة من غير المسلمين هذه الآية:

﴿أَوْ كُظِّلِمَتْ فِي بَحْرٍ لَّيْجٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلِمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَسْدٌ لُّوْهُ يَكْدِرُ نَهَاوْمَن لَّا يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَاعْلَمْ مِّنْ نُورٍ ۝ (١)﴾.

فسأل: هل ركب محمد البحر؟.. فقالوا: لا، فقال: أشهد أنه رسول الله، قالوا: وكيف عرفت؟.. فقال: إن هذا الوصف للبحر لا يعرفه إلا من عاش عمره في البحار، ورأى الأحوال والأخطار، فلما أُخْبِرَتْ أنه لم يركب البحر عرفت أنه كلام الله - تعالى -.



رباعيات

للشاعر محمد حسن فقي

هذا الحجيج إليك يهفو
 بدعائه فعمساك تعفو
 كدر الحياة إذا رضيت
 فإنه برضاك يصفو
 إنا نُمزق في الرداء
 الذي نسجت .. وأنت ترفو

كـرمـحاته

أغار قوم على قبيلة طيء، فتركب حاتم
 فرسه، وأخذ رمحه، ونادى في جيشه وأهل
 عشيرته ولقي القوم فهزمهم وتبعهم، فقال له
 كبيرهم: يا حاتم هب لي رمحك، فرمى به
 إليه، فقبل لحاتم: عرضت نفسك للهلاك، ولو
 عطف عليك لقتلك، فقال: قد علمت ذلك،
 ولكن ما جواب من يقول: هب لي؟! ..

دعاء

يا رب: اغفر لي جدّي، وهزلي، وخطئي،
 وعمدي، وكل ذلك عندي.

حقا

النفس تجزع أن تكون فقيرة
 والفقير خير من غنى يطغيها
 وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت
 فجميع ما في الأرض لا يكفيها

رأى الشهاب

كان مجلس عمر بن الخطاب، غاصاً بالقراء
 شهاباً وكهولاً فرما استشارهم ويقول: «لا يمنع
 أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه، فإن العلم ليس
 على حداثة السن وقدمه، ولكن الله - تعالى -
 يضعه حيث يشاء».

للغنى مدح.. وللفقير عيب

ليس من خلّة هي للغنى مدح إلا هي للفقير
 عيب:

فإن كان شجاعاً سُمي أهوج.
 وإن كان جواداً، سُمي مُفسِداً.
 وإن كان حليماً، سُمي ضعيفاً.
 وإن كان وقوراً، سُمي بليداً.
 وإن كان لسنّاً، سُمي مهذاراً.
 وإن كان صموتاً، سُمي عيباً.



دراسات أدبية

لِزُومِ مَا لَا يَلِزَمُ

بين أبي العلاء .. وسابقيه

د. سَازِدَةُ الدُّكْتُور / محمد أحمد العزب

يقول العلامة أحمد تيمور باشا عن أبي العلاء: (هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدى بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة ابن تميم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة التتوخي المعري. هكذا ساق نسبه ابن خلكان، وهو أصح ما وجدناه بالمعارضة على ما في كتب الأنساب، فإن فيما ذكره ياقوت في إرشاد الأريب إسقاطاً لبعض الأسماء واضطراباً في ترتيب بعضها فاعتمدنا على رواية ابن خلكان بعد تصحيح ما حُرف منها...



من النظم «لزوم ما لا يلزم» وهو كبير يقع فى خمسة أجزاء، أو ما يقاربها، وله «سقط الزند» أيضاً، وشرحه بنفسه وسماه: «ضوء السقط». وبلغنى أن له كتاباً سماه: «الأيك والغصون» وهو المعروف بالهمزة والردف، يقارب المائة جزء، فى الأدب أيضاً، وحكى لى من وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف، وقال: لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد؟ ولما فرغ من تصنيف كتاب: «اللامع العزى» فى شرح شعر المتنبى وقرىء عليه، أخذ الجماعة فى وصفه فقال أبو العلاء: كأنما نظر المتنبى إلىّ بلحظ الغيب حيث يقول:

أنا الذى نظر الأعشى إلى أدبى

وأسمعت كلماتى من به صمم

واختصر ديوان أبى تمام، وشرحه، وسماه: «ذكرى حبيب» وديوان المتنبى وسماه: «معجز أحمد» وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها، وما أخذهم من غيرهم، وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم، والنقد فى بعض المواضع عليهم، والتوجيه فى أماكن لخطئهم^(١).

أثبتنا هذه النقول عن حياة أبى العلاء وثقافته، لنخرج من ذلك إلى أننا معه بإزاء رجل كان مؤهلاً بالفعل لريادة اتجاهات متعددة فى الإبداع وليس اتجاهها واحداً بذاته.. فقد اشتق فى الشعر العربى اتجاهها إلى الرثاء من خلال داليتة التى يرثى بها صديقه الفقيه الحنفى وغيرها ما نظن أنه كان موجوداً قبل أبى العلاء بهذه اليقظة الفنية التى تتأمل - فى رثاء إنسان - كل مظاهر الكون، بدءاً وصيرورة ومصيراً.. كما اشتق فى

وكان أبو العلاء من بيت علم وقضاء، ورياسة وثناء، تولى جماعة من أهله قضاء المعرة وغيرها، ونىغ منهم قبله وبعده كثيرون رأسوا وساسوا، وكان فيهم الكاتب والشاعر...

ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣ هـ. وعمى بالجدري أول سنة ٣٦٧. غشى يمنى عينيه بياض، وذهبت اليسرى جملة. وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، لأنهم ألبسونى حين جدت ثوباً معصفراً، لا أعقل غير ذلك... وتوفى - رحمه الله - يوم الجمعة، ثالث وقيل ثانى وقيل ثالث عشر ربيع الأول سنة ٤٤٩ هـ بالمعرة، فى خلافة القائم العباسى، وله من العمر نحو ست وثمانين سنة^(٢).

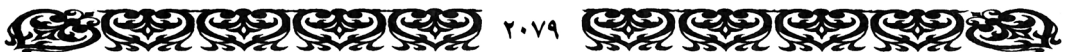
وكان مطلعاً على العلوم، لا يخلو فى علم من الأخذ بطرف، متبحراً فى اللغة، متسع النطاق فى العربية، جامع الشعوب للطرق الأدبية.. كما يقول عنه ابن فضل الله العمرى فى كتابه: (مسالك الأبصار).

وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبى، ويزعم أنه أشعر المحدثين، ويفضله على بشار ومن بعده، مثل أبى نواس، وأبى تمام.. كما يقول ياقوت الحموى فى كتابه: (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب).

يقول ابن خلكان: (وكان متضلعا من فنون الأدب، قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعرة، وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحوى بحلب، وله التصانيف الكثيرة المشهورة، والرسائل الماثورة. وله

(١) أحمد تيمور باشا: أبو العلاء المعرى - ص ١٧ - ٢٨.

(٢) ابن خلكان - وفيات الاعيان - عن (تعريف القدماء بأبى العلاء - ص ١٨٢).



وإذن فإن معنى (لزوم ما لا يلزم) أنه يلتزم قبل الروى حرفاً إذا غُيّر لم يكن مخلاً بالنظم كما يلوح فى سائر محاولته الفذّة، ولكن الرجل أخذ نفسه بهذا الشرط الفنى، وحاول أن يوائم بينه وبين ما وضعه النقاد الذين رصدوا هذه الظاهرة من شرط أساس لها، وهو عدم الانزلاق بلزوم ما لا يلزم إلى نوع من التكلف أو الاعتساف الذى يحيل الإبداع إلى مهارات لغوية فارغة من النبض الشعورى، وإن لم تسلّم له هذه المحاولة بالكامل، فوقع أحياناً كثيرة فى شرك الاعتساف والتكلف، مع أنه كان يعى بالتأكيد مثل هذا الشرط الذى أكدّه مثل ابن سنان الخفاجى فى كتابه: (سرّ الفصاحة) حين قال: (وليس يغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفن - لأجل ما ألزم نفسه ما لا يلزمه - شىء من عيوب القوافى، لأنه إنما فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير إكراه ولا إكراه، ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل، وليس بنا حاجة إلى المتكلف المطرح، وإن ادعى علينا قائله أن مشقة نالته، وتعباً مرّ به فى نظمه^(٤)).

فإذا تركنا ذلك إلى قضية البحث عن جذور هذه الظاهرة فى التراث السابق على أبى العلاء، هالنا أن الإجماع النقديّ يوشك أن ينعقد على أن المعرى هو أول من راد هذا الطريق، وأول من أصل لهذا الاتجاه، فإذا أوغلوا فى التحوط أشاروا إلى قصيدة يتيمة فى التراث الشعريّ لكثير عزة، التزم فيها اللام قبل التاء وقد أشار أبو العلاء نفسه إلى هذا السبق التاريخيّ لكثير فى قوله:

النشـر العربي اتجاهاً إلى الفَرَادَة الفنية من خلال عمله الرائع فى (رسالة الغفران) التى جلى فيها جانباً من عبقرية الخيال العربيّ وعبقرية اللغة العربية على السواء، وكشف فيها كثيراً من جوانب الحقائق العلمية المتصلة بتاريخية الشعر وأصولية اللغة فى ذكاء مثير.

فإذا تصدى فى ديوانه (لزوم ما لا يلزم) إلى ريادة أخرى من نوع مختلف. فذلك مبرر له وإن كان فى حاجة إلى استقصاء للمحاولات التى وجهته - على الأقل - إلى اقتحام هذا المجال ربما فى شعر الشعراء السابقين عليه.

وبداية يلوح فعل أبى العلاء فى (لزوم ما لا يلزم) نوعاً من التحدى العبقرى الذى يريد من ورائه صاحبه أن يؤكد جدارته الفنية واللغوية بشكل خارق تماماً، فقد أحصى أبو العلاء حروف المعجم فوجدها - كما يقول الدكتور طه حسين - ثمانية وعشرين حرفاً، ثم أحصى الحركات التى يمكن أن تختلف على هذه الحروف فوجدها ثلاثاً - وأضاف إليها السكون، فحصلت له من هذا أشكال أربعة للقافية، فلما استقام له هذا الحساب أخذ نفسه بأن ينظم شعراً يقفيه بكل هذه الحروف مضمومة ومفتوحة ومكسورة وساكنة، ولو قد اكتفى بذلك لكان فيه الجهد كل الجهد، والعناء كل العناء، ولكنه أضاف إليه التزام الحرف الذى يسبق القافية فى البيت الأول من القصيدة أو المقطوعة، بحيث لا توجد القافية فى أى بيت من أبيات القصيدة أو المقطوعة، إلا ومعها هذا الحرف الذى سبقها فى البيت الأول^(٣).

(٣) أنظر: مع أبى العلاء فى سجنه - للدكتور طه حسين - ص ١١٠.

(٤) ابن سنان - سرّ الفصاحة - ص ١٨٠ - ١٨١.



كثيراً أنا في حرفي أهيت له

في التاء يلزم حرفاً ليس يلتزم
يريد حرف اللام الذي التزمه كثير قبل التاء في
قصيدته التي مطلعها:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا

فلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

فإذا كانوا يقصدون أن أبا العلاء هو أول من
كشف الإبداع على هذا النسق حتى بلغ ذلك ديوانا
بكامله سماه: (لزوم ما لا يلزم) .. فهم على حق
في هذا الإطلاق بلا جدال .. أما إذا كانوا
يقصدون أن أبا العلاء هو أول من ألف شعره في
هذا الاتجاه، أو حتى هو ثاني من ألف شعره في هذا
الاتجاه بعد كثير عزة الذي اعترف له بريادة هذا
النسق الإبداعى، فذلك هو مناط الجدل لأن واقع
الإبداع العربى يتجاوز هذا التحديد الضيق والمغامر
فى آن .. ولأننا نعتقد أن الإطلاق هنا نوع من
التبسيط المخل، ربما لأننا نؤمن بأن أية ظاهرة فنية لا
يمكن أن تتخلق فى معزل عن سائر الظواهر
الأخرى - فضلاً عن مسلمة كونها لا يمكن أن
تتخلق فى فراغ كامل - بمعنى أن كل ظاهرة تؤثر
فى سائر الظواهر، وتتأثر كذلك بسائر الظواهر، ولا
يهم بعد ذلك أن تكون الظاهرة المتأثرة تنوعاً حرفياً
على الظواهر المؤثرة، فقد تتخذ لها اتجاهها مغايراً أو
حتى نقيضاً، ومع ذلك تؤكد أنها امتداد من لون ما
لهذه الظواهر التى دفعتها إلى هذا المنطلق أو ذاك .

وفى ضوء هذه الملاحظة النقدية يمكن أن
نفهم أن اتجاه أبى العلاء إلى (لزوم ما لا يلزم) فى
شعره، لم يكن انطلاقاً من الفراغ كما يحاول

الاجماع النقدي أن يصوره . وإنما كان امتداداً
لظواهر أخرى من جهة، وتطويراً لتكثيف
(الإيقاع والموسيقى) فى هذه الظواهر من جهة
أخرى .. بمعنى أن أبا العلاء فتن بريادات تلتزم فى
شعرها ما لا يلزم، فحاول أن يقبض منها على
الراية فى هذا الصدد وقد استطاع ... ثم هو فتن
بإيقاع بعض الشعر وموسيقاه، فحرص على
تكثيف هذه الموسيقى وهذا الإيقاع، ربما ليعوض
حاسة الرؤية بحاسة السمع، فحرص على التقفية
ليس بحرف واحد كما فعل سابقوه، وإنما بحرفين
وأحياناً بثلاثة حروف ... إلى جانب ما عرف عنه
من حب جارف لاستعراض ملكاته اللغوية
والتركيبية فى تصميم شكل القصيدة العربية وقد
يؤيد ما نذهب إليه قول ابن سنان الخفاجى: (وقد
التزم بعض الشعراء فى القوافى إعادة ما لا يلزمه
طلباً للزيادة فى التناسب، والإغراق فى التماثل،
كقول الخطيئة:

ألا من لقلب عارم النظرات

يقطع طول الليل بالزفـرات

إذا ما الشريا آخر الليل أعتقت

كواكبها كالجزع منحدرات

فالتزم الراء فى جميعها قبل الروى، وهى غير
لازمة^(٥) ... فإذا كان ذلك عند غير أبى العلاء،
فما نظن إلا أنه كان حريصاً على ذلك بأكثف من
هذا كثافة بما لا يقاس .

وإذن فالتزام ما لا يلزم كان موجوداً قبل أبى
العلاء، فى الشعر وفى النثر على السواء، حتى إن
رجلاً كابن الأثير أخذ يستقصى ما جاء منه، أو

(٥) ابن سنان - سر الفصاحة - ص ١٧٩ .



وعلى نحو هذا جاء قوله تعالى :

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ لَئِنْ كَانَ فِي صَلَاتٍ غَيْرٍ ﴿٧﴾﴾
قَالَ لَا تَخْصِمُوهُ الَّذِي وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿١٢﴾ .

ولا تجد أمثال ذلك في القرآن إلا قليلا (١٣) .

كما جاء اللزوم كذلك في الحديث النبوي الشريف من مثل قوله ﷺ : (شَرُّ مَا فِي الْمَرْءِ : شَحٌّ هَالِعٌ ، وَجَبْنٌ خَالِعٌ) (١٤) . . وقوله : (الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) (١٥) .

أما في الشعر - وهو ما يهمنا هنا بالدرجة الأولى - فقد وردت نماذج متفاوتة بين القصيدة والأبيات . . وتسلسلت هذه النماذج في عصور الجاهلية والإسلام والأُمويين والعباسيين . . مما يؤكد أن الظاهرة اللزومية كان لها حلول تاريخي في هذا الشعر . وإن كانت لم تأخذ شكلها النهائي المستقر إلا على يد أبي العلاء المعري من غير شك . . فابن الأثير يقول : (ومما ورد من ذلك أيضاً قول طرفة بن العبد البكري :

ألم تر أن المال يكسب أهله

فضوحاً إذا لم يعط منه نواصبه

أرى كل مال لا محالة ذاهباً

وأفضله ما ورث الحمد كاسبه (١٦)

فلنقل بعض ما جاء منه في القرآن الكريم ، وانتهى إلى أنه (ورد في القرآن الكريم شيء من هذا اللزوم - إلا أنه يسير جدا ، فمن ذلك قوله تعالى :

﴿أَفَرَأَيْتُمْ لِرَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٦﴾﴾

وقوله تعالى :

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٧﴾﴾ وكذلك ورد

قوله تعالى في هذه السورة :

﴿فَذَكِّرْ مَا أَنْتَ بِكَاهِنٌ وَلَا جُنُونٍ ﴿٨﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرْنَاهُ رِيبَ رِيبِ الْيَمُونِ ﴿٨﴾﴾ .

ومن هذا الباب قوله تعالى :

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٧﴾﴾

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٩﴾﴾ .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿وَقَدْ بَلَّوْهُمْ حَقًّا لَا تَكُونُ فَتْنَةً وَيَكُونُ الَّذِينَ كَلَّمَهُ اللَّهُ قَابَ أَنْتَهُمْ أَقْبَارُكَ اللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ بَعْضُهُمْ ﴿٨﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ كَمْ نِعَمَ الْمَوْتَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿١٠﴾﴾ .

وعلى هذا الأسلوب جاء قوله تعالى في قصة إبراهيم - عليه السلام - :

﴿يَتَابَتُ إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿١٥﴾﴾

﴿قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَابَرُ هَيْمٌ لِّئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿١١﴾﴾ .

(٨) الطور (٢٩ ، ٣٠) .

(٧) الطور (١ ، ٢) .

(٦) الطلق (١ ، ٢) .

(١١) مريم (٤٥ ، ٤٦) .

(١٠) الأنفال (٣٩ ، ٤٠) .

(٩) الواقعة (٢٧ ، ٢٩) .

(١٣) ابن الأثير: المثل السائر - ج ١ - ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

(١٢) ق (٢٧ ، ٢٨) .

(١٦) ابن الأثير: المثل السائر - ج ١ - ص ٣٧٠ .

(١٥)

(١٤)





ويقول: (وقد ورد للعرب شيء من ذلك إلا أنه قليل، فمما جاء منه قول بعضهم^(١٧) .

في أبيات الحماسة:

إن التي زعمت فؤادك ملها

خلقت هواك كما خلقت هوى لها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها

بلباقة فأدقها وأجلها

حجبت تحيتها فقلت لصاحبي

ما كان أكثرها لنا وأقلها

وإذا وجدت لها وساوس سلوة

شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه^(١٨) .

ويقول: (ومما يجرى هذا المجرى قول حجر بن

حية العبسي من شعراء الحماسة أيضا:

ولا أدوم قدرى بعد ما نضجت

بخلاً فتمنع ما فيها أثا فيها

حتى تقسم شتى بين ما وسعت

ولا يؤنب تحت الليل عافيتها^(١٩)

ويتبدى من خلال استشهادات ابن الأثير على هذا النحو الذي ألمّ بالشعر الجاهلي والقرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام العرب. ثم شعر العصور التالية، أن لزوم ما لا يلزم ظاهرة فرضت وجودها على الذاكرة الإبداعية وجاء القرآن الكريم ليبرر وجودها الجمالي، ويضعها نسقا من أنساق الخطاب الأسر الذي

يستولى على مشاعر المتلقين... ولكننا نلاحظ على مجمل هذه الاستشهادات أنها ليست أعمالاً كاملة، وإنما هي أبيات من قصائد، وفقرات من حديث، وآيات من القرآن الكريم... أى أنها كانت ظاهرة قليلة الورد. حتى جاء أبو العلاء فكثرها وعممها.

حتى القصيدة اليتيمة الكاملة التي استشهد بها مؤرخو هذه الظاهرة وهي لكثير عزة. لم تسلم لهم جميعها وحين لم تسلم لهم حاولوا تنحية النُتوء الذي يمكن أن يخرجها عن كلية التوجّه للزوم ما لا يلزم.. يقول ابن سنان الخفاجي:

وكان شيخنا يذهب إلى أن قصيدة كثير التي أولها:

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا

قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

قد لزم اللام في جميعها، فلما سألناه عن البيت الذي يروى فيها وهو:

أصاب الردى من كان يهوى لك الردى

وجن اللواتى قلن عزة جنت

قال: هذا البيت ليس من القصيدة^(٢٠).

وينحو هذا المنحى داود الأنطاكي فيقول: ومن أول القصيدة إلى قوله: فما أنصفت: لزوم ما لا يلزم، ولم يخالفه إلا فى البيت المذكور^(٢١). وإن تحرز فلم يطعن فى نسبة البيت. وفى ذلك كله ما يدل على اتجاه الكثيرين نحو الالتزام.

(١٨) ابن الأثير: المثل السائر - ج ١ - ص ٣٧٠.

(٢٠) ابن سنان: سر الفصاحة - ص ١٨٠.

(١٧) يعنى عروة بن أذينة.

(١٩) ابن الأثير: المثل السائر - ج ١ - ص ٣٧٠.

(٢١) داود الأنطاكي: تزيين الأسواق - ص ٧٧.



وحين يكتمل ما لدى موسى من شخصية قوية، وعلم واسع، وحجة دامغة، بما لدى هارون من طلاقة اللسان وحسن العرض وبلاغة الصياغة، فهذا كل ما هو في حاجة إليه، وهو أيضاً كل أو خير ما يحتاج إليه أى داعية، ولم يكن ينقص موسى - كما يفهم من أغلب الروايات - شيئاً يتعلق بالعجز عن النطق أو عن وضوح الألفاظ نفسها، وإنما يتعلق بطلاقة اللسان فى استرساله ومقدرته السريعة المتلاحقة ليس على توضيح الكلمات ونطقها، وإنما على تنسيقها وعرضها بالصياغة والإلقاء الجذاب المؤثر، والزمخشري يبرز هذه الملحوظة فى تعبير طريف عميق، حيث يقول: إن (الفصاحة لا يحتاج إليها مجرد إلقاء المعنى ليصل السامع إلى فهمه فيقول للمتكلم صدقت أو كذبت، فهذا القدر يستوى فيه من يضرب به المثل فى البلاغة وهو سحبان، ومن يضرب به المثل فى العى، وهو بأقل، وإنما يحتاج إلى الفصاحة لشيء فوق فهم المعنى، وهو التأثير فى السامع، وكسب مشاعره) .. وهذا جانب وإن كان يبدو دقيقاً فى التعبير عنه وفى تحديده، إلا أنه واضح ملموس فى واقع الحياة، فمن المعروف مثلاً أن أمير شعراء عصره أحمد شوقي كان يستعين بشخص آخر ليلقى شعره فى المحافل نيابة عنه مع وجوده، فهذا الشخص لم يصنع شيئاً أكثر من أن صوته وإلقاءه يضيف على الكلام شيئاً يزيد من جماله، ويجعل النفوس أشد تأثراً به، ولم يكن أحمد شوقي يخصص شخصاً معيناً تميز عن غيره بموهبة الإلقاء الحسن، وإنما يختار شخصاً لمجرد أن إلقاءه خير من إنشاد الشاعر نفسه، ولعلنا نستشف من هذا المثال الواقعى حين

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (١).

فإنه وإن كان المعنى منصباً على أنه لا بد أن تكون لغة الرسول والمرسل إليهم واحدة، إلا أن دور اللسان فى الآية وكونه الأداة الوحيدة للبيان والبلاغ، وكونه ملازماً لكل رسول ملازمة جوهرية أمر واضح شديد الوضوح، ولذلك جعل موسى - عليه السلام - اللسان مطلباً أولاً يدعو ربه أن يحققه له فيقول داعياً:

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۚ
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۖ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (٢).

بل نلاحظ أنه حينما تحدث عن اللسان ربط به جوهر رسالته كلها فى فهم الناس عنه فى قوله:

﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ لأنهم إذا لم يفقهوا قوله فقد انفصمت الروابط بينه وبينهم، لانعدام وسيلة الاتصال والتفاهم.

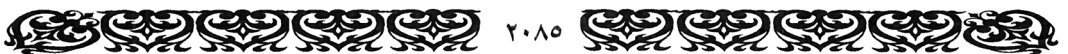
وفى إصرار موسى - عليه السلام - على أن يكتمل لديه هذا السلاح الذى لا بديل له عند الداعية، وهو البيان ممثلاً فى اللسان، فحينما كلفه ربه إعلان رسالته وتبليغها إلى أعتى طغاة عصره، فرعون، لم يطلب موسى حينئذ قوة ولا سلاحاً فى هذا الصراع الرهيب المقدم عليه سوى لسان كامل البيان ولم يكن لسانه هو كامل البيان والطلاقة، فطلب الاستعانة بأخيه الفصيح الطلق اللسان، فيقول:

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا
فَارْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٣).

(٢) طه (٢٥ : ٢٨).

(١) إبراهيم (٤).

(٣) القصص (٣٤).





إرادته، ولكننا على المدى البعيد نجد الأمر مختلفاً من عدة وجوه .

أولها: أن خضوع الذين خضعوا لصاحب السلطة إنما يستمر طالما كان سيفه مشهوراً وليس فيهم سيف يكافئه، فإذا انخفض سيفه أو قام سيف أقوى منه أسرع هؤلاء الخاضعون إلى التحلل من خضوعهم، أما انقياد الأتباع للنبي أو صاحب المذهب فإنه يستمر حتى بعد موته، بل وبعد موت الأتباع أنفسهم، حيث يحرسون على أن يورثوا هذا الانقياد لأجيالهم التالية، لأن انقيادهم في حقيقته ليس انقياداً لشخص، وإنما لمبادئ هي مضمون العقيدة أو المذهب الذي أقتنعهم به هذا الشخص .

ثانيها: أن السيف في انتصاره إنما يكسب الأعداء، أما اللسان فانتصاره يكسب الأصدقاء، ذلك أن انتصار صاحب القوة إنما يمثل هزيمة الآخرين، وهؤلاء المهزومون غالباً ما يخضعون للقوة خضوعاً ظاهرياً، أما فيما بينهم وبين نفوسهم فهم أعداء لصاحب هذا السيف، لأن الهزيمة لم تكن يوماً محببة إلى أحد، أما صاحب اللسان فإنه حين ينتصر فإن انتصاره هو اقتناع المدعويين والمخاطبين، وهذا الاقتناع يحولهم عادة إلى معجبين وأحبة، إضافة إلى تبعيتهم للداعية صاحب اللسان .

وثالثها: أن السيف لا يؤثر غالباً في السلوك، ولا يغير من الطابع العام للفرد والجماعة إلا بمقدار الضرورة التي يضطر فيها الفرد اضطراباً إلى تغيير شيء من عاداته أو رغباته، ثم يكون هذا التغيير مؤقتاً بوقت زوال كابوس السيف ورهبته، فإذا تنسم الفرد حرية عاد إلى ما كان عليه، ولكنه في غالب الأمر ينفذ مطالب صاحب القوة في الظاهر،

ننظر من خلاله إلى استعانة موسى بأخيه هارون أن موسى لم يكن لديه عجز أو عيب فيما يتعلق بوصفه رسولاً ونبياً، كما أن شوقى لم يكن لديه عجز فيما يتعلق بوصفه شاعراً، وكما أن استعانة شوقى بمنشد لشعره بدلاً منه لم تقلل من قيمته بوصفه شاعراً، بل أميراً للشعراء، فكذلك استعانة موسى بأخيه هارون لا تحمل دليلاً على عجز فيه بوصفه نبياً ورسولاً، وإنما تحمل دليلاً على ميزة فيه، وهي حرصه على أن يهيئ لرسالته أقصى ما يستطيع من وسائل النجاح .

اللسان والسيف

كلاهما سلاح في الخصومة، ولكن إذا كان السيف أشد رهبة وأصلب عوداً، فإن اللسان أنفذ طعنًا وأبقى أثرًا، سواء في أثناء الخصومة أو عند تحقيق الغاية والنتيجة حين يراد بسط النفوذ وإحكام القيادة بأى منهما .

وإذا أردنا شيئاً من إيضاح، نقول إن اللسان والسيف كلاهما سلاح تخاصم وتنافس، وكلاهما كان كذلك منذ خلقه الله، فإذا أردنا الموازنة بينهما في التأثير نجد النتيجة لا تخلو من غرابة في ظاهر الأمر، وتطبيق ذلك أن نضرب مثلاً بصاحب سلطان أو قوة يريد أن يفرض وضعاً معيناً أو مذهباً من المذاهب على شعب أو جماعة وهم لا يرغبون في هذا، ونبي صاحب رسالة أو مصلح صاحب مذهب، يريد أن ينشر هذا الدين أو هذا المذهب في جماعة من الناس وهم غير راغبين فيه، لمخالفته ومناقضته لواقعهم، كما يحدث دائماً للأنبياء ودعاة الإصلاح، ووسيلة صاحب السلطان عادة السيف، وأما وسيلة الأنبياء، والمصلحين فهي اللسان، وقد يكون صاحب السلطة أسرع في تنفيذ غرضه وفرض





المقتنع بدعوة اللسان هو الذى يستسلم لصاحب اللسان استسلاماً كاملاً ونهائياً، ولا يتصور أن يعاود الخصومة معه فيما اقتنع به واعتنقه، إلا فى حالات شاذة لا تنقض حكماً، ولا يُبنى عليها حكم، أما انتصار السيف فلا يعد انتصاراً كاملاً ونهائياً، بل هو نصر وقتى، لأن المهزوم فى أغلب الأحيان يحاول غسل الهزيمة عن نفسه، ومن ثم فإنه يبدأ فى التفكير والمحاولة للانتقام ما أمكنته الفرصة، ويبقى صاحب السيف متوجساً ومتربحاً هذا الانتقام، ولذلك ليس من الشطط أن يقال إن نصر السيف لا يعد فى حقيقته نصراً كاملاً مهما بدا من استسلام المهزوم، فالنصر حينئذٍ أقرب إلى التفوق منه إلى النصر الكامل، أما النصر الكامل والحقيقى فهو نصر اللسان.

على أن مجرد مقدرة اللسان على إظهار الحجة وإفحام الخصم حتى إذا لم يعتنق الخصم هذا اليقين، فإن تفوق صاحب اللسان حينئذٍ أبلغ وأعمق من تفوق صاحب السيف فى الوضع المشابه لذلك.

والقرآن الكريم يضرب مثلاً لهذا فى قصة إبراهيم - عليه السلام - صاحب اللسان والحجة مع خصمه صاحب السيف والقوة والمُلك العريض

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُعْبَدُ وَيُعْبَدُ قَالَ أَنَا أُحْيِ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٤).

ثم يتمرد ما وجد إلى التمرد سبيلاً، أما صاحب الدين أو المذهب، فإنه عند اقتناعه واعتناقه ما اقتنع به يبدأ فى توجيه سلوكه بما يتلاءم مع عقيدته الجديدة، فإذا أصدر صاحب السيف مثلاً أمراً إلى الخاضعين لسيفه بالامتناع عن شىء كشرب الخمر أو التدخين مثلاً، فإن الخاضعين سينفذون هذا الأمر ظاهراً، ثم يتلمسون كل وسيلة للتمرد على الأمر، ويجدون متعة فى التمكن من مخالفة هذا الأمر، أما أتباع الدين أو المذهب فإنهم حين يجدون الخمر أو نحوها محرمة عليهم يبدأون فى رياضة أنفسهم على هذا التحريم، وإذا غلبتهم أنفسهم فخالقوا، فإنهم يشعرون بتأنيب الضمير لأنهم على أيسر الفروض فعلوا شيئاً مخالفاً لعقيدتهم أو مذهبهم.

والنتيجة إذن أن اللسان - بوصفه أداة الإقناع - هو الوسيلة المثلى لتغيير السلوك وبالتالي للإصلاح الاجتماعى.

ومن هنا يتضح لماذا لم يكن رسل الله من الملوك أصحاب السلطان، ولا من القادة أصحاب القوة والنفوذ، برغم أن هذا فى الظاهر يبدو أنجح فى تبليغ الرسالة، وأسرع فى كسب انقياد الأتباع، وإنما يرسل الله النبى وليس معه إلا (اللسان) أديم الأسلحة، وأقوى وسائل الإصلاح، والهدف الوحيد للأديان السماوية وهو الإصلاح، سواء كان فى العقيدة أم فى السلوك أم فى الصلات.

ورابعها: أننا لو وازنا انتصار السيف بانتصار اللسان، نجد انتصار اللسان هو النصر الحقيقى، لأن



جرير بن عبدالله البجلي

للإسناد / أحمد السيد نفور الدين

«نعم السيد كنت في الجاهلية ونعم السيد أنت في الإسلام» عبارة قالها الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لرجل قال له رسول الله ﷺ:

«أشهد أنك لا تبغى علوا في الأرض ولا فساداً» .

فمن ياترى يكون الرجل؟ وم استحق شهادة رسول الله ﷺ، وإطراء أمير المؤمنين الفاروق عمر؟

الخلصة؟» وكانت صنما لخنعم وبجيلة باليمن . فقال له جرير: «يا رسول الله إني رجل لا أثبت على الخيل» فمسح رسول الله ﷺ على صدره وقال: «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا» فخرج جرير في مائة وخمسين فارسا فحطموا ذا الخلصة فأتى النبي ﷺ فأخبره بذلك فدعا له^(٢)

وينتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه، ويختار المسلمون أبا بكر الصديق خليفة لرسول الله ﷺ عليهم، فيجابه المرتدين حتى يدرهم ثم يشرع في فتح العراق ويسير خالد بن الوليد الذي نجح في اجتياح العراق حتى وصل الحيرة ملحقا الهزيمة بجيوش الفرس في كل المعارك التي خاضها ضدهم، ويرسل خالد إلى الخليفة يسأله المدد فيمده الصديق بجرير بن عبدالله البجلي، ومعه قيس بن أبي حازم .

ومع خالد بن الوليد شهد جرير معارك طاحنة

الرجل هو: جرير بن عبدالله بن جابر الشليل بن مالك بن نضرة بن ثعلبة بن جشم ابن عوف بن خزيمه بن حرب بن علي بن مالك ابن سعد بن نذير بن قسر مالك بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث من القحطانية باليمن، ونسبو جميعاً إلى «بجيلة» بنت مصعب بن علي بن سعد العشيرة زوجة أنمار .

واشتهر الرجل باسم جرير بن عبدالله البجلي . أسلم في السنة التي قبض فيها النبي ﷺ وسلم العاشرة للهجرة، وقد وفد عليه فقال له رسول الله ﷺ: «ما جاء بك؟» قال: جئت لأسلم . فألقى إليه النبي كساءه، فجلس جرير على الأرض فقال النبي ﷺ: «أشهد أنك لا تبغى علوا في الأرض ولا فساداً»^(١)

وكان أول عمل يكلف به رسول الله صلى الله عليه وسلم جريرا أن قال له: «ألا تريحنى من ذي

(٢) بلوغ الإرب (١/٢٤٦)

(١) بلوغ الإرب (١/٣٠٢)، أسد الغابة (٧٣٠)، سير أعلام النبلاء (٢/٢٨١)

الشيباني - الذي تولى قيادة جيش المسلمين بالعراق -، ولكن ابن الوليد استأثر بأصحاب رسول الله ﷺ، وترك للمثنى مثل عددهم ممن لم يكن له صحبة وكان جرير فيمن استأثر بهم خالد لنفسه، ورفض المثنى هذه القسمة مصراً على أن ينفذ أمر الخليفة حلفياً، فمادام الخليفة قد أمر بتقسيم الجيش نصفين إذا فليكن نصف الصحابة مع خالد، والنصف الآخر مع المثنى، وهو ما حدث فعلاً، ولكن خالدًا تمسك بجرير معه في صحبته. إلا أن جرير بن عبدالله كان يفكر في أمر آخر كان يفكر في قومه، هؤلاء المقاتلين الأشداء كيف ينجح في تجميعهم وكسبهم لمعارك الإسلام المرتقبة.

بجيلة

كانت بجيلة من قبائل العرب الكبيرة، غير أنها تشتت في جزيرة العرب نتيجة بعض المعارك في الجاهلية. وكان جرير بن عبدالله من سادة بجيلة وأشرفها - قد كلم رسول الله ﷺ في شأن بجيلة ليجمعها فوعده بذلك. ولحق النبي بربه ولما يتم في الأمر شيء. فقدم جرير على أبي بكر وذكر له وعد النبي صلى الله عليه وسلم وأتاه على ذلك بشهود وسأله إنجاز ذلك. غير أن أبا بكر كان مشغولاً بالفتوح، واعتبر الوقت غير مناسب لذلك، فقال لجرير: «تري شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بإزائهم من الأسدين فارس والروم، ثم أنت تكلفني التشاغل بما لا يغني عما هو أرضى لله ورسوله! دعني وسر نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله في هذين الوجهين»^(٤). ونفذ جرير أمر الخليفة، فسار نحو العراق

دارت رحاها ضد الفرس ومن حالفهم من قبائل العرب حيث شارك في معركة الأنبار في ٤ من رجب ١٢ هـ ثم معركة عين التمر في ١١ من رجب، ثم فتح دومة الجندل في ٢٤ رجب، ثم معركة «حصيد» في ١٠ من شعبان ثم «الحنافس» في ١١ من شعبان، ثم المصيخ في ١٩ من شعبان.

وهكذا تربى جرير في مدرسة خالد العسكرية ليصبح فيما بعد واحداً من أبرز قادة الفتوحات الإسلامية بالعراق، ليس هذا فحسب بل إن خالد بن الوليد غادر العراق في ٢٥ من ذي القعدة ليؤدي فريضة الحج، وهو تصرف غريب من خالد اعتبره بعض الناس غروراً ومغامرة ليس لها ما يبررها، ولكن هذا التصرف إن دل على شيء فإنما يدل على ثقة خالد برجاله أمثال جرير وضربائه: المثنى، والأقرع، وعاصم، ومذعور، وعدى، وغيرهم فقد صقلتهم التجارب، وصهرتهم المعارك، وعاشوا على ظهور الخيل، وتحت ظلال السيوف والرماح، فاطمأنت نفسه أن يخرج ليحج ثم يعود.^(٣)

ثم يقرر الخليفة الصديق أن الشام قد صار في حاجة لجهود خالد بن الوليد، فقد جمعت جيوش المسلمين في مواجهة جيوش الروم بالشام على مقربة من اليرموك، وكان الموقف في غاية الحرج، فقال الصديق كلمته المشهورة: «والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد» فكتب الصديق إليه قائلاً: «... سر بنصف الناس حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك...» فبدأ خالد يستعد للرحيل عن العراق وشرع يقسم الجيش إلى شطرين شطر معه، وشرط مع المثنى بن حارثة

(٤) الطبري (١٥/٤ - ١٦)

(٣) أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن ص ٣١٥، ٣١٦



«أعفنا من عرفجة».

قال: «لا أعفيكم من أقدامكم هجرة وإسلاماً، وأعظمكم بلاء وإحساناً».

قالوا: «استعمل علينا رجلاً منا ولا تستعمل علينا نزيحاً فينا».

فظن عمر أنهم ينفونه من نسبه فقال: «انظروا ما تقولون». قالوا: «نقول ما تسمع».

فأرسل عمر إلى عرفجة وقال له: «إن هؤلاء استعفوني منك وزعموا أنك لست منهم، فما عندك؟».

قال: «صدقوا، وما يسرنى أنى منهم، أنا امرؤ من الأزد ثم من بارق فى كهف لا يحصى عدده وحسب غير مؤتشب».

فقال عمر: «نعم الحى الأزد يأخذون نصيبهم من الخير والشر».

قال عرفجة: «إنه كان من شأنى أن الشر تفاقم فينا ودارنا واحدة، فأصبنا الدماء ووتر بعضنا بعضاً، فاعتزلتهم لما خفتهم، فكنت فى هؤلاء - يعنى بجيلة - أسودهم وأقودهم، فحفظوا على لأمر دار بينى وبين دهاقينهم فحسدوني وكفروني».

قال عمر: «لا يضرك، فاعتزلهم إذ كرهوك». واستعمل جريراً مكانه، وأظهر لجرير وبجيلة أنه يبعث عرفجة إلى الشام^(٨).

ويفجع المسلمون فى معركة الجسر بهزيمة خسروا فيها عدداً غير قليل من خيرة الرجال فى مقدمتهم قائد الجيش أبوعبيد بن مسعود الثقفى، وسليط بن قيس الأنصارى، والحكم بن مسعود الثقفى، وقيس بن حبيب وعدد كبير من وجوه الصحابة.

لينضم إلى خالد بن الوليد فلزمه حتى خرج معه من العراق نحو الشام. فلما ولى عمر ذكر له جرير مسألة جمع بجيلة فطالبه عمر بالبينة فأقامها. فكتب عمر إلى عماله على القبائل: «من كان فيه أحد ينسب إلى بجيلة فى الجاهلية وثبت عليه فى الإسلام يُعرف ذلك فأخرجوه إلى جرير»^(٥). وواعدهم مكاناً بين العراق والمدينة. فكان ممن أخرج لهم قيس كُبة وعُرينة وسُحمة^(٦)، وكانوا فى قبائل بنى عامر بن صعصعة. فلما أعطى جرير حاجته من ذلك وتم له جمع بجيلة، قال له عمر: «اتخذونا طريقاً» فخرج وجهاء بجيلة فى وفد منهم نحوه وخلفوا الجمهور. واجتمع بهم عمر فقال لهم: «أى الوجوه أحب إليكم؟» قالوا: «الشام أسلافنا بها».

فقال لهم عمر: «بل العراق، فإن أهل الشام قد قووا على عدوهم وإن الشام فى كفاية».

فلم يزل بهم ويأبون عليه حتى أكرههم على ما أراد، وعوضهم عن إكراههم واستصلاحاً لهم، فجعل لهم ربع خمس ما أفاء الله عليهم فى غزائهم هذه بالإضافة إلى نصيبهم من الفىء، لجرير ومن اجتمع إليه ممن أخرج إليه من القبائل^(٧).

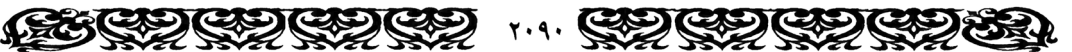
وجعل عمر عرفجة بن هرثمة على من كان مقيماً من جديلة من بجيلة وجعل جريراً على من كان من بنى عامر وغيرهم. فكانت إمارة عرفجة على أكثر بجيلة وأمرهم أن يسمعوا، له وأمر الآخرين أن يسمعوا لجرير. فسأل جرير بجيلة: «هل تقررون بهذا وقد أدخل علينا ما أدخل؟» وكانت بجيلة قد غضبت من قبل على عرفجة. فاجتمعت بجيلة ثم أتوا عمر فقالوا:

(٦) أسد الغابة (٧٣٠).

(٨) الطبرى (٧٢: ٧٠/٤).

(٥) الطبرى (٧٠/٤).

(٧) أسد الغابة (٧٣٠)، فتوح البلدان (٦٢٨).



ويستنفر أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب المسلمين للقتال فتزاحفوا من كل صوب ملبين نداء الفاروق، فعقد لواءهم لجرير بن عبدالله البجلي، فسار بهم حتى وافى الثعلبية حيث عسكر فيها المثنى بن حارثة الشيباني بمن بقي معه من المسلمين بعد معركة الجسر، فضمه إليه، وسار نحو الحيرة، فعسكر بدير هند على طريق النجف، ثم بث الخيل في أرض السواد. وعلم الفرس بخبر جيش المسلمين فحشدوا جيشاً قوامه إثني عشر ألفاً من الفرسان المقاتلة في حين كان جيش المسلمين يقل عن خمسة آلاف مقاتل.

والتقى الجمعان، ووقف جرير في قلب الجيش يحرض قومه من بجيلة قائلاً: «يا معشر بجيلة لا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو منكم، فإن لكم في هذه البلاد إن فتحتها الله عليكم حظوة ليست لأحد من العرب، فقاتلوهم إلتماس إحدى الحسينين».^(٩)

فتداعى المسلمون وتحاضوا ووقف الناس تحت راياتهم وحملوا على الفرس حملة صدقوا الله فيها فكان النصر المؤزر لهم.

ولا ييأس الفرس أبداً إذ أعاد الفرس حشد جيوشهم وولى يزيدجرد كسرى فارس قائده الشهير رستم قيادة الجيش في مواجهة المسلمين، وبلغ ذلك جرير بن عبدالله، فكتب من فوره إلى عمر بن الخطاب، فوقف عمر في مسجد رسول الله ﷺ خطيباً، يحض المسلمين على حرب الفرس، فاجتمع له نحو من عشرين ألف رجل، فولى أمرهم سعد بن أبي وقاص الذي سار بالجيش حتى بلغ القادسية

فانضم إليه جرير بجيشه.

وتدور رحى الحرب طاحنة في القادسية أياماً وليالي، وثبت المسلمون في مواجهة فيلة الفرس وكانت بجيلة وعلى رأسها جرير في المقدمة حيث أبدت من ضروب الشجاعة والبراعة ما يجعل عن الوصف. وقف فرسان بجيلة خلف قائدهم وقد شرعوا رماحهم في عيون الفيلة، في حين انقض المشاة منهم يقطعون أحزمة هودج الفيلة لتسقط بمن فيها من الجنود ليكون النصر المؤزر للمسلمين.

وشارك جرير في معارك فتوح فارس كلها في «جلولاء» و«تستر» و«نهاد» ومن خلفه قومه بجيلة فلم يخسر معركة واحدة.

ومضى جرير بن عبدالله البجلي مجاهداً بسيفه في سبيل الله لا يخشى في الله لومة لائم. وقيل أن وفاته كانت سنة إحدى أو أربع وأربعين^(١٠) أو سنة واحد وخمسين للهجرة^(١١).

ومما يروى عن جرير بن عبدالله أنه كان في مجلس يضم عمر بن الخطاب الذي وجد رائحة منفرة من بعض جلسائه فقال: «عزمت على صاحب هذه الرائحة إلا قام فتوضأ» فقال جرير: «علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزم». فقال عمر: «عليكم كلكم عزمت يا جرير، مازلت سيداً في الجاهلية والإسلام».^(١٢)

ومن مآثور قوله: «الخرس خير من الخلافة، والكم خير من البذاءة».

رحم الله جرير بن عبدالله البجلي وجزاه عما قدم لأمة الإسلام خيراً.

(١٠) أسد الغابة (٧٣٠)

(١٢) سير أعلام النبلاء (٣٨٣/٢)

(٩) الأخبار الطوال (١١٥)

(١١) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٣٨٤/٢)

﴿ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استنفاء أركان القصد

تجيب عن الجئة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ / معوض مبروك عباس

على ما فات، ويدل عليه ما رواه سعيد بن منصور عن حميد بن زيد قال: رأيت عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- طاف بالبيت ثلاثة أشواط أو أربعة ثم جلس يستريح، فقام فبنى على ما مضى من طوافه.

هذا وإذا كان من شروط صحة الطواف الطهارة، فلو أحدث وانتقض وضوؤه في أثناء الطواف، خرج وتوضأ، ثم يدخل المطاف ويبني على ما فات ليكمل الطواف.. ومما يؤكد أن الفصل بين الطواف لا يضر أن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- كان يطوف بالبيت فأقيمت الصلاة فصلى مع القوم، ثم قام فبنى على ما مضى من طوافه ولم يعارضه أحد من الصحابة. والله أعلم.

● سؤال من السيد / إبراهيم موسى النمر:
هل الزوج ملزم بأن يدفع تكاليف أداء زوجته لفريضة الحج؟ وهل للزوج أن يأخذ من مال زوجته ليؤدي فريضة الحج؟

● سؤال من السيد منير أحمد محمد.. يقول فيه:
بعد ثلاثة أشواط من الطواف، تعبت فجلست للراحة، ثم أكملت الطواف، فهل يصح ذلك؟ أو لا بد من استئنافه من الأول، وما الحكم إذا انتقض الوضوء أثناء الطواف، هل يبطل ما فات أم يجوز أن يبني عليه لو تطهر؟

● الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد:
فنفيد بأن موالاة الطواف (السعى) بين الأشواط شرط لصحته عند الإمام مالك وأحمد، فإذا كان هناك فاصل يسير لغير عذر فلا يضر، وإن كان كبيراً فإن كان بعذر فلا يضر، أما إن كان بغير عذر، بطل الطواف.
أما الموالاة عند الحنفية والشافعية فهي سنة، فلو كان فاصلاً طويلاً بغير عذر لا يبطل الطواف، ويبني



●● الجواب :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد.

فنفيد بأنه لا يجب على الزوج لزوجته إلا نفقتها من مأكّل ومسكن وكسوة، أما أن يدفع تكاليف حجّها فليس بواجب عليه، فالحج فرض على القادر المستطيع، فإن كانت الزوجة تملك مالاً خاصاً بها يكفى للحج وجب عليها الحج من مالها هي خاصة، ولا يلزم الزوج بأن يدفع أى شيء لها ولا يعاقب على التقصير، أما أن يتبرع بذلك، فهو خير له وثواب جزيل على هذا إن شاء الله، لأنها شريكة حياته.

كما أنه لا يجوز للزوج أن يحج من مال زوجته إذا كان لها مال خاص بها ورثته عن أهلها، أو ملكته من أى جهة كانت فهو حق خالص لها، ويجب عليها الحج منه، ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئاً منه ليحج إلا بإذنها ورضاها.

ولو استعان الزوج بمال زوجته على سبيل الهبة أو القرض ليحج فلا مانع منه ولها ثواب مساعدتها لزوجها على الحج. والله أعلم.

● سؤال من السيد / محمد معوض .. يقول فيه :

رجل حج في العام الماضي وكان عليه ديون كثيرة ولم يردّها، فقليل له إن حجك باطل، فهل هذا صحيح؟

●● الجواب :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فنفيد بأن الله - تبارك وتعالى - قد فرض الحج على المسلمين لمن استطاع إليه سبيلاً، والاستطاعة تشمل الصحة والمال وأمن الطريق، فإذا توفرت هذه الشروط فقد وجب الحج.

والرجل الذى عليه ديون كثيرة، فإن الواجب عليه سدادها قبل تأدية الحج، فإن بقى معه بعد سداد الديون ما يفي بالنفقة على تكاليف الحج، فلا مانع من هذا، وإن لم يتبق معه شيء فلا حج عليه، لأنه أصبح غير مستطيع، لأن سداد الديون مقدم على تأدية الحج لأن الدين يجب سداده.

ومادام هذا الرجل قد أدى فريضة الحج فإنها سقطت عنه ولا يبطل الحج، ويجب على هذا الرجل المسارعة بسداد دينه حتى يتقبل الله منه .. والله أعلم.

● سؤال من السيد / محمد إسماعيل .. يقول فيه :

من الله على بالحج هذا العام وأرغب في الحج عن والدى المتوفى .. فهل يصح أم لا؟

●● الجواب :

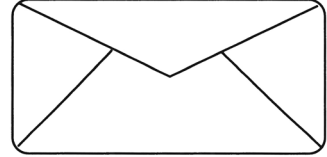
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم .. وبعد.

فنفيد بأنه لا مانع شرعاً من أن تؤدى فريضة الحج عن والدك الذى توفى دون أن يؤديها خاصة وأنت قد أديت الفريضة عن نفسك .. فقد ورد عن ابن عباس أنه قال : قال رجل : يا رسول الله إن أبى مات ولم يحج فأحج عنه؟ .. قال : أرأيت لو كان على أبك دين، أكنت قاضيه؟ قال : نعم. قال : فدّين الله أحق. ^(١).

(١) رواه النسائي في كتاب الحج ج ١ ص ١١٨.

رِسَالَةٌ .. وَ .. رَدٌّ

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان



رسالة هذا العدد وردت من القارئ الأستاذ إبراهيم عبد الوهاب شرف - كلية الزراعة جامعة المنصورة بها قصة لأخوين عقا أمهما العجوز وحرماها بعض أموالها ويسأل: كان الابن العاقان «الأخوان» قد أودعا مالا في البنك ولما انفصلا اقتسما هذا المال بينهما ولم يعطيا لإمهما شيئا فما نصيب الأم في هذا المال مع العلم بأن أحد الابنين توفي وترك زوجة وأولاداً وهذه الأم لها ابن ثالث يعمل موظفاً أعطته أمه مبلغاً من المال ليبنى به بيتاً حيث يعمل وهو بار بها فهل لهذين الابنين العاقين طلب المساواة بأخيهما البار. وفي آخر رسالته يطرح سؤالاً ثالثاً وهو: هذه الأم لها أرض خاصة بها وتريد أن تبيعها حتى تعيش عيشة كريهة وتبتعد عن ذل السؤال فهل يجوز لها ذلك؟

﴿وَقَصَّ رَبُّكَ الْأَنْبِيَاءَ وَإِلَّا إِلَهُهُ وَاللَّوْلَدَيْنِ إِحْسَنًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٦﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٣٧﴾﴾ . (٢)

بداية أقول للأخ الكريم إن بر الوالدين من أفضل الأعمال قربة لله - تعالى - بتوحيده وعدم الإشراك به في أكثر من موضع في كتابه فقال جل شأنه:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَاللَّوْلَدَيْنِ إِحْسَنًا ﴿١﴾﴾ .

قال أهل التفسير في هذه الآية: «كما قضى الله

وقال:



النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن أبى أخذ مالى . فقال له: ائتنى بأبيك . فنزل جبريل - عليه السلام - على النبى ﷺ فقال: إن الله - عز وجل - يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شىء قاله فى نفسه ما سمعته أذناه فلما جاء الرجل قال له النبى ﷺ: ما بال ابنك يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله؟ فقال: سله يا رسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسى؟ فقال له رسول الله ﷺ: إيه دعنا من هذا أخبرنى عن شىء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك . فقال الشيخ: والله يا رسول مازال الله - عز وجل - يزيدينا بك يقينا لقد قلت فى نفسى شيئا ما سمعته أذناى قال: قل وأنا اسمع، قال: قلت:

غذوتك مولودا وصنتك يافعا
تُعلِّمُ بما أجنى عليك وتُنهل
إذا ليلة نابتك بالسقم لم أبت
لسقمك إلا ساهرا متملماً
كأنى أنا المطروق دونك بالذى
طرقت به دونى فعينى تهملى
تخاف الردى نفسى عليه وإنها
لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى
إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفضاظة
كأنك أنت المنعم المتفضل
فليستك أن لم ترع حق أبوتى
فعلت كما الجار الملاصق يفعل
فأوليتنى حق الجوار ولم تكن
على بمال دون مالك تبخل
قال: فعندئذ أخذ النبى ﷺ بتلابيب ابنه وقال:
«أنت ومالك لأبيك» رواه الطبرانى .

وقد أشار السائل الكريم فى رسالته إلى أن عقوق

على عباده أن يوحدهم بالطاعة ولا يشركوا به أحداً ألزم الأولاد أن يحسنوا إلى والديهم بالقول الطيب والرعاية التامة فهما أحق الناس بحسن الصحبة ورضا الله فى رضاها وسخطه فى سخطهما فإذا تقدمت بهما أو بأحدهما السن وانتهيا إلى ضعف بعد قوة ومرض بعد صحة ولم يستطيعا القيام على أمرهما وتدبر شأنهما لما أصابهما من وهن الجسم والحاح العلة وضعف التفكير وتلك الحال مظنة أن يصدر منهما ما يغضب أو يثقل على النفوس إن حدث ذلك فلا تقل لهما أو لأحدهما ما يدل على ضجرك أو يسىء إليهما من قول بعيد عن حسن الأدب أ يكون جزاء الأب الحانى غلظة القول وجفاء الخلق أو يكون جزاء الأم الرؤوم أن تقابل بما يكسر قلبها وهى التى كان بطنها له وعاء وتديها شفاء وحجرها مهاداً أو وطاء تؤثره على نفسها وتفديه بنفسها هذا فضلاً عن الجنة تحت قدمها .

إن بر الوالدين يعدل الجهاد فى سبيل الله، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما- قال: « جاء رجل إلى نبى الله ﷺ فاستأذنه فى الجهاد فقال: أحيى والذاك؟ قال: نعم . قال: فبهما فجاهد » متفق عليه، وفى رواية لمسلم: « أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله قال: هل من والديك أحد حى؟ قال: نعم، بل كلاهما حى . قال: تبتغى الأجر من الله؟ قال: نعم . قال: فارجع إلى والديك؟ »

وروى عن طلحة بن معاوية السلمى -رضى الله عنه - قال: أتيت النبى ﷺ فقلت: يا رسول الله إني أريد الجهاد فى سبيل الله قال: أمك حية؟ قلت: نعم قال النبى ﷺ: « إزم رجلها فثم الجنة » رواه الطبرانى . وقال ﷺ لمن سألته عن حق الوالدين على ولدهما: « هما جنتك ونارك » .

وعن جابر -رضى الله عنه - قال: « جاء رجل إلى



وظيفة أو ما شابه ذلك فليس للأم فيه إلا ما يقتضيه البر، وقياساً على ما قاله رسول الله ﷺ لابن الذي شكاً أباه « أنت ومالك لأبيك » لأن للأم كما قال العلماء ثلاثة أرباع البر وللأب الربع لأنها تحمل ولا يحمل الأب وتلد ولا يلد وترضع ولا يرضع، لذا قال رسول الله ﷺ لمن سألته عن أحق الناس بحسن صحابته: أمك ثم أمك ثم أمك وقال في الرابعة ثم أبوك، ثم إن لهذه الأم نصيباً في تركة الابن الذي توفي وهو سدس ما كان يملك.

— هذا ولا يجوز للأخوين العاقين أن يطالبا بمثل ما أعطته أمهما لأخيهما الثالث لأن كلا من الأب والأم له الحق في إعطاء من شاء من أبنائه حال حياته لأن ذلك من باب الهبة بشرط أن يكون أخذ هذه الهبة محتاجاً إليها وإلا أتم المعطى لأن الإسلام أمر بالتسوية في العطية بين جميع الأولاد فقال صلوات الله عليه ما معناه: « اتقوا الله واعدولوا بين أبنائكم » وكان عليه الصلاة والسلام يأمر بالتسوية بين الأولاد حتى في القبل لكن عدم التسوية إذا كانت بلا مبرر من سفر أو طلب علم أو زمانة أو عيلة لا تبطل العطية والهبة.

— أما عن رغبة الأم في بيع ما يخصها في الأراضي الزراعية لتعيش بعيداً عن زوجة ابنها المتوفى فتصبح حرة ذات كرامة فهو جائز شرعاً وقانوناً ولا يمنعها من ذلك أى مانع.

وأختم هذا الرد بذكر ما قاله الرسول ﷺ لمن قال له إني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ فقال صلوات الله عليه: « هل لك من أم؟ قال: لا. قال: هل لك من خالة؟ قال: نعم. قال: برها » رواه الترمذى عن ابن عمرو — رضى الله عنها — فإذا كان بر الخالة يكفر الذنب العظيم فما بالك ببر الأم.

والله — تعالى — أعلم

الأم يكون بسبب تفضيل العاق زوجته على أمه لذا أسوق هذين الحديثين الشريفين عسى أن يكون فيهما عظة لهذا العاق وأضرابه.

الأول عن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: كان تحتى امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لى: طلقها، فأبيت فأتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال لى رسول الله ﷺ: « طلقها » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

الحديث الثانى عن عبد الله بن أبى أوفى -رضى الله عنه- قال: « كنا عند النبى ﷺ فأتاه آت فقال شاب وجود بنفسه فقيل له: قل لا إله إلا الله فلم يستطع فقال: كان يصلى، فقال: نعم، فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له: قل لا إله إلا الله قال: لا أستطيع قال: ثم قال: كان يعق والدته فقال النبى ﷺ: أحية والدته؟ قالوا: نعم قال: أدعوها فدعوها فجاءت فقال: هذا ابنك؟ قالت: نعم قال: أرأيت لو أجمعت نار ضخمة فقيل لك إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له قالت: يا رسول الله إذا أشفع له قال: فأشهدى الله وأشهدينى قد رضيت عنه قالت: اللهم إنى أشهدك وأشهد رسولك أنى قد رضيت عن ابنى فقال له رسول الله ﷺ: يا غلام قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فقالها. قال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذى أنقذه بى من النار » رواه الطبرانى وفى بعض الآثار أن الأم ذكرت أن سبب غضبها على ابنها أنه كان يفضل زوجته عليها.

— ويا أخى الدكتور لم تذكر هل كان المبلغ الذى فى البنك موروثاً عن الوالد المتوفى والذى كان زوجاً لهذه الأم، إن كان الأمر كما فهمت فإن للأم فيه نصيباً وهو ثمن التركة كلها وإن كان هذا المبلغ من كسب الأخوين وحصلاه بجددهما وكسبهما من تجارة أو

سؤال وجواب

المستأذ / مجدى عبدالمحميد بشير

وباستخدام البيانات الناتجة عن دراسة دامت وقتا طويلا وشملت (٤٨٠٠٠) من الذكور صحيحي الأبدان فقد نشر باحثو جامعة «هارفرد» فى الجريدة الطبية «ليوانجلاند» وذلك لعدة سنوات أن خط الإصابة بسرطان المرارة تقل نسبته عن ٥١٪ فى أولئك الذين يشربون ستة أكواب من الماء يوميا إذا ما قورنت بأولئك الذين لا يشربون إلا كوبا واحدا فى اليوم وهنا أيضا يتفوق الماء على ما سواه من السوائل .

كما أثبتت أبحاث أخرى أهمية الماء فى تخفيض نسبة الإصابة بسرطان القولون .

والسؤال الذى يفرض نفسه هو : أى ماء ذلك الذى نتحدث عنه؟ فقد أثبتت دراسات أخرى زيادة متواضعة فى خطر الإصابة بسرطان المرارة فى أولئك الذين يشربون الماء المكثور وعلى أية حال فهو أمر لايزال قيد البحث وإذا كان الخطر حقيقيا فإنه ناشئ عنه النواتج الفرعية التى تتمخض عن التفاعلات الداخلية الناتجة عن امتزاج الكلور بالمواد العضوية الداخلة إلى الجسم ولذا فإن مياه البحيرات والأنهار والخزانات بها نسب أعلى من المواد العضوية والخطر منها كبير على خلاف المياه المستخرجة من مصادر تحت أرضية كالعيون والآبار . فما الغرض الحيوى من تناول الماء؟

إنه طبعا تعويض ما نفقد من سوائل ومقدار المفقود يعتمد بشكل كبير على كمية ما يفرزه الجسم من عرق . فمثلا يفقد المصارع فى يوم عمل شاق حوالى ٢ قوارت (القوارت يساوى ١٠٠٠

ربما احتدم النقاش بين الأطباء حول كمية الماء الواجب على الإنسان شربها فى اليوم لكنهم متفقون على أنه لا غناء للإنسان عن الماء بحال واختلافهم هذا يعزى إلى عوامل يمكن إجمالها فيما يلى :-

- الأدوية التى يستخدمها المرء فى علاجه .
- ونوعية الرياضات التى يمارسها .
- والغذاء الذى يتناوله الإنسان وصحة الكلى وسلامتها وعوامل أخرى .

ترى إذن ما فوائد الماء للجسم؟!

منافعه جمة متنوعة منها أنه ينظم درجة حرارة الجسم ويساعد فى عمليات التنفس وفى نقل المواد الغذائية داخل الجسم وتخليصه من الفضلات والمخلفات كما يساهم فى بناء الأنسجة وتليين أعضاء الجسم .

إن شرب الكثير من السوائل عموما والماء خصوصا يقي الإنسان من أمراض أهمها :

حصيات الكلى فقد كان «ابقراط» يوصى مرضاه بشرب الكثير من الماء لوقايتهم من تكرار المرض وهو أمر أثبتت الأبحاث صحته .

فشرب الكثير من الماء يساعد فى منع الإمساك وانقباض الأمعاء ويقلل الإصابة بالسرطان .

والسوائل هنا جوهرية لأنها تقوم بطرد المواد المسرطنة إلى خارج الجسم قبل أن تجد تلك المواد فرصتها فى الفتك بالأنسجة القابلة للعدوى ولابد هنا من بعض التفصيل فإن داخل الأحشاء والقناة البولية تتعرض بطبيعة عملها إلى مواد سامة قادمة من خارج الجسم تماما كما يحدث لسطح الجلد والأغشية المبطنة للقناة التنفسية .



فقط كان ذلك موافقاً لتنوع النشاطات والعرق ولو تم تطبيق ذلك المعيار لاحتجنا إلى ٣٠٠٠ مللى لتر وهو ما يعادل ٧,٢٩ كوبا وليس ثمانية أكواب.

هل من الضروري أن تكون كل تلك الأكواب من الماء فقط بالطبع لا فالأبحاث تدمج بين الماء والسوائل وتركز على الأخير دون التهوين من شأن الماء القراح ولذا أكدوا أنه إذا كان لا بد من الانتقاء فإن الماء هو الخيار الصحيح وبينت الأبحاث أن للماء ثلاث مزايا لا تتوافر في غيره أولاها:-

رخص ثمنه والثانية خلوه من السعرات الحرارية والثالثة إحساس شاربه بالامتلاء غير الممض « المتعب » وهل معنى ذلك أن للمشروبات الأخرى عيوباً؟

أجل الإخلال بالنظام الغذائي إن وجد لأن العصائر التي يتناولونها تمتلئ بالسعرات الحرارية وإذا كان اللبن بديلاً جيداً للماء إلا أنه إن لم يكن منزوع الدسم كان مصدراً لإمداد الجسم بالدهون المشبعة ولمركبات بعض الأشربة آثاراً ضارة على طريقة تعامل الجسم مع الماء الذي بها وأوضح الأمثلة على ذلك المنبهات التي تحوى الكافيين والكحول فما أضرارهما؟

كلاهما يدفع الجسم إلى أن يفطر في إدرار البول وهنا مكمن الخطر فهذه المشروبات كالشاي والقهوة التي تحتوى على الكافيين رغم أن الماء أساسى في تركيبها إلا أنها تخلى الجسم من الماء أيضاً.

ما كمية الماء التي يحتاج إليها كبار السن توطئة لذلك نقول إن الجفاف هو المشكلة الكبرى التي تسبب كل شيء ابتداء من الهذيان إلى الإمساك فالطاعنون في السن يغيب عن بالهم كثيراً تناول الماء لأن حاسة الشعور بالظمأ لديهم تقل بتقدم السن ولذا طلع علينا الباحثون بهرم غذائى يخس من تجاوزوا السبعين قاعدته شرب ٢ قوارت من الماء يومياً وقد أشار أحد أطباء الشيخوخة على كثير من مرضاه بأن يفكروا فى الماء كعقار طبى وشىء لازم تناوله لبقاتهم أصحاء.

مللى لتر) من الماء فى الساعة الواحدة.

بينما يفقد الشخص العادى فى الأحوال المعتادة ما بين ٢ إلى ٣ أكواب أى من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ مللى لتر فى اليوم الواحد أما ما يفقد عن طريق البول فيتراوح ما بين واحد إلى اثنين كوب أى من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ مللى لتر ترتفع إلى ١٥٠٠ مللى لتر وإن كان كل ذلك يعتمد على ما بالجسم من مخزون السوائل إلا أن هناك عوامل أخرى تتحكم فى ذلك فما هى؟.

النظام الغذائى والأدوية وسلامة الكلى كما أسلفنا كما يفقد بعض الماء فى الغائط ٢٠٠ مللى لتر وبخار الماء المصاحب لهواء الزفير، فما هى المصادر التى تعوض ما يفقده الجسم من ماء؟.

ثلاثة مصادر: الأول:- التفاعلات الكيماوية الحيوية التى يكون الماء أحد نواتجها الفرعية ويلى التفاعلات كل من الغذاء وماء الشرب أما التفاعلات الكيماوية فلا تزيد نسبة مساهمتها عن ٢٥٠ مللى لتر أما الشخص البالغ فيحصل على «قوارت» ماء من الطعام والسبب أن الكثير من الفواكه والخضر يشكل الماء ما بين ٨٠ إلى ٩٠٪ من تركيبها وكذلك اللحوم.

فمنذ عشر سنوات قرر مجلس الأبحاث القومى الأمريكى أنه من المستحيل وضع قاعدة عامة لما يحتاج إليه الفرد من الماء فما السبب؟.

السبب أن ما يحدد ذلك ويقرره هو مستويات النشاط ولذا كان القرار الصائب والعملى هو أن يشرب الفرد مللى لتر من الماء مقابل كل سعر حرارى يقوم الجسم بحرقه فالذى يحرق ألفى سعر حرارى يومياً يحتاج إلى ألفى مللى لتر من الماء يومياً فإذا خصت ما يساهم به الغذاء والعمليات الأيضية بالجسم من ذلك ومقداره ١٢٥٠ مللى لتر فإن ما تحتاج إليه من السوائل لا يزيد عن ٧٥٠ مللى لتر وهو ما يساوى ٣,١ كوباً من الماء لكن المجلس أكد أنه إذا زادت النسبة إلى ١,٥ مللى لتر بدلاً من واحد

كيف نقدم إسلامنا للغرب؟

لمؤسّس / إسماعيل أحمد أبوالمجد

يسر «مجلة الأزهر» أن تقدم إجابة نخبة من مفكرى مصر للإجابة عن هذا السؤال ويسعدنا أن نقدم اليوم الدكتور أحمد كمال أبوالمجد، والدكتور محمد عمارة.

والمفكر الإسلامى الكبير، يرى أن السؤال عنوان المقال قد تأخر عشرات السنين! وأرجع ذلك الى آفة فى العقل العربى والإسلامى وحذر من تأخر العلاج السريع لهذه الآفة خصوصا وأن الأعمال العظيمة لأبد وأن تؤدى فى الأوقات المناسبة وإن هذا الوقت المناسب جدا لطرح هذا السؤال نظراً للظروف العالمية. وأضاف أن الإجابة على هذا السؤال تستدعى أولاً معرفة حجم الصورة التى راجت فى الغرب عن الإسلام فما هى الأسباب التى أدت إلى ذلك.

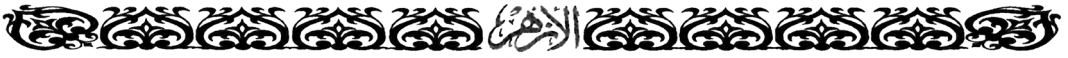
وأرجع الدكتور كمال أبوالمجد الأسباب إلى :
التقصير الجسيم جدا وطلب وضع عدة خطوط حمراء تحت كلمة جداً فى مخاطبة الآخر. ذلك أن الرؤية التى كانت سائدة ولاتزال فى كثير من الدوائر الإسلامية هى رؤية محلية (جوانية) أى تشتغل بمخاطبة الذات عبر التوجه للآخرين ويرى أن هذا مخالف لروح الإسلام وتوجهه الأساسى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم توجه بخطابه فى بواكير دعوته إلى ملوك الأرض فى عهده وإلى شعوبهم.

ثانياً : أن مؤسساتنا الدينية وعلى رأسها الأزهر لم تكن عناية كافية بتعليم وتعلم اللغات ودراسة الحضارات دراسة موضوعية تحيط بالتفاصيل الدقيقة، تصل لأن تعرف الآخرين كأنها منهم. فكانت النتيجة، أن الخطاب الثقافى والدينى الذى يستخدم

وسط الغضب الشديد فى الأوساط الغربية، وكيلى الاتهامات للإسلام والمسلمين حالياً، وبعد الصدمة التى تعانى منها الولايات المتحدة، يعتبر توصيل المعلومات الصحيحة عن الإسلام مطلوباً للغاية ويستحق الجهد من جانب كل العلماء والمؤسسات الإسلامية المؤهلة لهذا الأمر، والاستفادة من كل أدوات الاتصال، خصوصاً وأننا فى ظل نظام عالمى يكرس القوة فى يد واحدة متسلطة، وفى ظل نظام عالمى لايعترف إلا بالأقوياء، وفى ظل ظواهر جديدة تستهدف تدمير هوية الشعوب وخصوصيتها الدينية، وفى ظل عصر (العولمة) الذى يهدف إلى تدمير قوى المناعة الثقافية والحضارية للأمم ومحو شخصيتها واذابتها فى ثقافات عالمية بلا هوية أو ملامح! وفى ظل «صراع الحضارات» ترى فى الإسلام عدواً جديداً بعد سقوط الشيوعية! فى ظل كل التحديات الراهنة والمخاطر المستقبلية.

يجب أن نجيب وبصراحة. هل لنا من استراتيجية واضحة نعمل من خلالها على جذب الفكر الغربى ونجبره على احترامنا؟! وإذا كانت الإجابة بالنفى قطعاً فالسطور القادمة ربما تضع أساس هذه الاستراتيجية (خصوصاً إذا نجحنا أن نقدم إسلامنا للغرب).

الدكتور أحمد كمال أبوالمجد وزير الإعلام الأسبق



هؤلاء في بعض المواقع صاروا أكثر تأثيراً من العلماء المحققين الذين يمثلون الاعتدال والوسطية وروح السماحة (التي جعلت من الإسلام) ومن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم رحمة الله للعالمين، وأرجع الدكتور أبوالمجد ذلك إلى تقصير الجميع. بقوله: لقد جاملنا كثيراً من صور التعسف والتشدد، والتخلي عن دعوة الإسلام الصادقة للتواصل مع الدنيا كلها، ثم عدنا نستعجن هذا الفكر المتشدد المتشنج الذي يحركه الغضب وضيق الصدر، مع أننا مسئولون مع عوامل أخرى عن نموه وانتشاره حتى تصور البعض أنه المعبر عن الإسلام.

وأكد أنه كلما قوى الأزهر وزاد عطاؤه وازداد تواصله مع الدنيا، وكلما اكتملت لعلمائه رؤية الواقع مع رؤية الحق. بذلك كله تمتلك عقول الناس وقلوبهم كلما انزوى الفكر المتطرف وتراجعت الصورة السيئة التي يرسمها البعض للإسلام والمسلمين، واقترح الدكتور أحمد كمال أبوالمجد ثلاثة اقتراحات كحل لهذه المعوقات:

أولاً: أن يخرج نفر من العلماء المحققين ذوى الهمة العالية والعلم الغزير، والبصر الدقيق الذى يتابع أولاً بأول ويوماً بيوم كل تفاصيل مايجرى فى هذا الكون فى بلاد غير المسلمين لتصحيح الفهم الخاطيء وتوضيح حقيقة الإسلام وسماحته وما بينه وبين حضارات أخرى معاصرة من قواسم مشتركة تسمح بالتعاون على البر والتقوى، كما تسمح بمطاردة الإثم والعدوان.

ثانياً: توجيه دعوات من جانب الحكومات والمؤسسات الدينية ومؤسسات المجتمع المدني (الأحزاب والنقابات والجامعات) لحضور عدد من العلماء المشهود لهم بالدراية والموضوعية فى الجامعات والمعاهد ومراكز الأبحاث والدراسات ليحضروا إلى بلادنا ويستمعوا إلى علمائنا ومفكرينا ليزدادوا معرفة

فى الداخل صار يستخدم فى الخارج، فصار لا يؤتى أكلاً على الإطلاق.

ثالثاً: إننا -وهذا مانسيناه وقصرنا فى التعامل معه- تقصيراً طويلاً -لسنا وحدنا فى الساحة. وأن هناك قوى سياسية نعرفنا حق المعرفة، حريصة الحرص كله على تشويه صورتنا وصورة حضارتنا وشريعتنا وعقيدتنا.

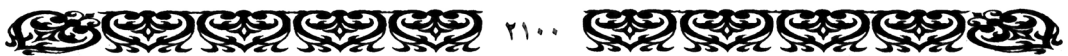
فخلق ذلك حالة من النفور الشديد لنا لدى شعوب كثيرة ليس بيننا وبينها خصومة، وتخشى هذه الدوائر من أن نلتقى مع تلك الشعوب والحضارات خوفاً على مصالحها من الضياع. فكانت النتيجة أن غُسلت الأدمغة والقلوب فى كثير من البلاد ولدى الحكام والمحكومين على السواء ورُسمت للعربى والمسلم فى أجهزة الإعلام والأفلام السينمائية -وهما مصدران للتأثير على العقول يتجاوز آثارهما كل ما يقوله العلماء- واستقرت للعربى والمسلم (لدى كثير من حسنى النية فى الغرب) إحدى صور ثلاث:

أولها: صورة الشخص المتخلف الذى ليس بينه وبين الحضارة المعاصرة وآدابها وطرق المعاشة السائدة فى الدول المتقدمة أية علاقة.

ثانيها: صورة الغنى المسرف فى الغنى إلى درجة الترف المضل الذى يسقط كل القيم.

ثالثها: صورة المتوحش الذى يضرب بسيفه عن يمين وعن شمال، والذى يجسد صور العنف والإرهاب ومعاداة الدنيا كلها، فضلاً عن تصوير المجتمعات العربية والإسلامية بأنها مجتمعات تمارس وأدأ سياسياً واجتماعياً للمرأة، كما تمارس اعتداء لحدود له على حقوق وحرىات الأقليات الدينية والعرقية والسياسية.

وأضاف الدكتور أبوالمجد: إنه لمن دواعى الأسف الشديد أن الخطاب الدعوى الإسلامى فى عدد غير قليل من مواقفه ساهم فى تثبيت تلك الصورة، وأصحاب هذا التوجه أعلى صوتاً وأكثر دأباً!! وأكد أن





أنه يريد إسلاما يقف عند الشعائر والعبادات والعلاقة الفردية بين الإنسان وخالقه .

أى أنه باختصار يريد علمنة الإسلام . فلا يريد إسلاما مجاهداً يتصدى للغزو والاستغلال الغربى والهيمنة الغربية، يريد إسلاما لا علاقة له بالسياسة والاجتماع والاقتصاد . بل ولا بمنظومة القيم، أى أنه يريد إسلاما ينحدر بالأمة بدلاً من أن يوقظها لتحرر أرضها، وتستعيد ثروتها وتحتل مكانتها اللائقة فى المجتمع الدولى .

وأضاف الدكتور عمارة، بأن الذين يريدون تحسين صورة الإسلام بمسخه على النحو الذى يريده الغرب من الإسلام . هؤلاء إما عملاء للغرب يقفون من الإسلام نفس موقف الغرب، أى أنهم علمانيون مثل الغرب تماماً، أو أنهم مهزومون نفسياً . يريدون الانحناء للعاصفة الغربية والحل ليس عند هؤلاء؟ وإنما هو عند المسلمين المرابطين على ثغور الفكر الإسلامى، الذين يقدمون وسطية الإسلام للعالم والذين يسعون إلى جعل الإسلام طاقة إيمانية محررة للأمة كى ترتب بيتها وتعظم إمكاناتها كى يكون لها صوت مسموع فى المحافل الدولية .

واقترح الدكتور عمارة لنجاح ذلك بالدعوة إلى إنجاز مشروع اختيار ألف كتاب إسلامى يعبر عن حقيقة الوسطية والاعتدال الإسلامى، وترجمة هذه الكتب إلى اللغات الدولية المختلفة ونشرها وتوزيعها على العالم لتكون المجال الذى يلتبس فيه العالم حقيقة الإسلام فضلاً إلى تفعيل المنظمات الإقليمية مثل الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى . واختتم الدكتور عمارة حديثه بالدعوة إلى تعميق الروابط بين البلاد العربية والإسلامية والانفتاح على حضارات الجنوب من الصين إلى اليابان حتى الهند لتتساند جميعاً فى مواجهة الهجمة الغربية الأمريكية .

بواقعنا وحقيقة ثقافتنا لينقلوا ذلك كله إلى بلادهم، حكامها ومحكوميها .

ثالثاً : إعادة النظر فوراً فى توجهات أجهزة الاعلام حتى لا يكون اشتغالها كله بالأمور الداخلية، وحتى تتحسن لغة خطاب الآخرين - خصوصاً وأن تقنيات الإعلام الآن - متاحة لنا كما هى متاحة للآخرين . واختتم الدكتور أحمد كمال أبوالمجد حديثه قائلاً : ويبقى بعد ذلك أن نرتفع عن تملق أنفسنا، وأن نصدق فى أقوالنا، وأن ننقل صوراً حقيقية، لا صوراً ملونة بالألوان التى تعجبنا . وأن نعرف أن الأمر يحتاج إلى عمل كثير وكلام قليل، وأمانة وشجاعة فالأمر أمر دين وأمر مصلحة الأمة ومن الكوارث أن تدخل نيات أخرى وحسابات أخرى . تلك أمانة العلماء . نسأل الله ألا يضيعوها .

الدكتور محمد عمارة المفكر الإسلامى، يرى أن تصحيح صورة الإسلام سواء أكان ذلك فى الغرب أم الشرق، لا يتم بحملة علاقات عامة أو بمسخ الإسلام كى يتفق مع الصورة الغربية، أو بتجريد الإسلام من خصوصيته، وإنما يتم بترتيب البيت العربى والإسلامى، وإبراز الوسطية الإسلامية، وترجمة الأعمال الفكرية التى تمثل حقيقة الإسلام وتقديمها إلى الإنسان الغربى، خصوصاً وأن الغرب لا يحترم سوى الأقوياء وإذا لم يكن لنا وضع يحترمه الغرب . فلن يسمع لنا كلاماً حتى ولو كان معسولاً .

وأكد الدكتور عمارة أن الإسلام ليس فيه ما يجب الاعتذار عنه، وإذا كانت الساحة الفكرية فيها بعض الأصوات الشاذة والمغالبة فإن التيار الوسطى المعتدل هو يمثل القاسم الأساسى والغالب على الفكر الإسلامى . ومن المحال أن تخلوا أمة من الأمم من بعض الغلو سواء أكان غلو إفراط أم غلو تفريط .

المشكلة أن الغرب يريد إسلاماً معدلاً، يريد إسلاماً شبيهاً بالنصرانية يدع الملقصير لقصير وما لله لله . أى



بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَاتِ

اعداد الأستاذ / محمود الفشتي

الخشب .
إلى الذين مازالت حرائق ضميرهم مشتعلة نسرد
وقائع آخر جنازات المهانة العربية .

● الزمان .. فى يوم عربى غائم ملبد بالمهانات ..
الأحد ٢٠٠١/١٢/٣٠

● المكان .. فى الطريق من غزة إلى بيت لاهيا .
● الأبطال : شبان فلسطينيون ثلاثة « محمد
أحمد لبد - محمد المدهون - أحمد بنات » كانوا
أصدقاء وجيرانا فى حى الشيخ رضوان بغزة .

الأحداث : خرج الأصدقاء الثلاثة لزيارة صديق
رابع فى بيت لاهيا . فخرجت عليهم مجنزرات العده
الصهيونى لتصطادهم مدفعيتها .. تمزق أجد سادهم
النحيلة وتحولها إلى أشلاء متناثرة تحرق الوجه وسر
الأحشاء، وتحيل الملامح إلى كتل من الشواء المتفحم
الناطق الصهيونى يقف أمام فوهة الكاميرات
الصهيونية ليؤكد أنهم وجدوا بحوزة هؤلاء الشهداء
وسائل قتالية وأسلحة وسكاكين .

● حتى الزيارة البريئة متهمه ! من يحمل الزيتون
يقتل ومن يحمل القنبلة، من يفاوض ومن يقاوم .

● إرجعوا البصر - إن استطعتم - وانظروا لصورة
الشهيد الأول، الذى فتكوا بنصفه الأسفل، وأضرمو
النيران فى يده اليمنى، ومزقوا ذراعه اليسرى، وعبثت

مشاهد من جنازة الضمير العربى هذا هو الإرهاب
الحقيقى يا من تدعون أنكم تحاربون الإرهاب، إنه
فساد فى الأرض .

هكذا عبر عزازى على عزازى فى جريدة
« الأسبوع » الصادرة فى ٢٠٠٢/١/٢١ قائلا :

لشتعل كل الحرائق فى الأكباد والصدور لأننا لا
نستطيع إشعالها فى هشيم العجز العربى وطالما تحول
شعارنا الذى كان « فلسطين من النهر إلى البحر » إلى
شعار « أفرجوا عن جثث أبنائنا » ..

● شيعوا الكرامة العربية - إذن - إلى مثواها
الأخير ..

● إحملوا نعشها القديم خافضى الرؤوس ذلة
وهوانا ..

● إحنوا هاماتكم الورق حتى تلتقى الجباه
بالنعال ..

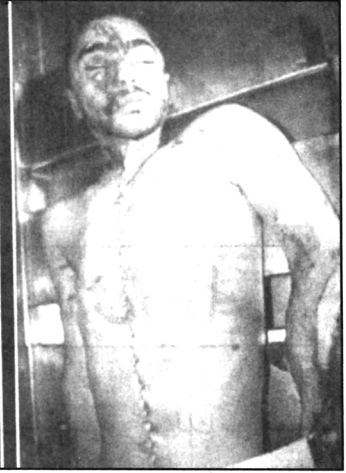
● ثم ازحفوا فوق رفات رجولتكم وولوا للوطن
أدباركم .

● وتحسسوا - صمأ وعميانا - طريقكم للموت
المجانى .

● لكن حذار أن يمتد بصركم لرؤية هذه الصورة
المنشورة ..

ففى مرآتها تظهر سوءاتكم، وعورات قلوبكم





لفحولة الحاج متولى ثم نتابع ببرود روتينى مسلسل نهر الدماء فى الأرض العربية المحتلة وجنازات الورد السماوى فى غزة ورام الله وجنين.

● لم يبتروا ساعده الأيمن - كما تشاهدون الآن صورته - بل بتروا سواعدهنا جميعاً، تلك الأكثاف والأذرع والأكف التى لم تعد تجيد سوى التصفيق طرباً أو خوفاً أو طمعاً، ولم تعد تحمل خبزاً أو مدداً للواقفين تحت ظل المذبحة.

● أما الشهيد الثالث فدعوه وشأته، يسند رأسه المذبوح بنصلنا البارد، يستريح قليلاً من فساد ضمائرنا، وبلادة مشاعرنا، ليس مهماً أن تختفى عيناه فى تجاوىف الأذن اليمنى.. ليس مهماً أن يلتصق الفك العلوى بفروة الرأس، أن يتحول الوجه القديم كله إلى جبهة محترقة، لا يهم كل ذلك، طالما تأكد انعقاد القمة العربية فى موعدها، وطالما تأكد صعود ثلاث دول عربية لنهائيات كأس العالم.

القذائف بتضاريس وجهه، هل ترون مثلى سمت التحدى مرسوماً على ما تبقى من جسده؟
هل رأيتم ضلوعه «الدروع» تكاد تقفز من تحت الجلد؟.

● هل دققتم النظر فى غضب التقاء الحاجبين، وإطباق الشفتين وطول الرقبة؟ ربما كانت تلك هى أسلحة الفلسطينى الأعزل، والتى أرهبت عدو الله وعدوهم فصب عليها القتل صباً.
● هل جحظت أعينكم حتى سقطت المقلتان وأنتم تسترقون النظر - فرعاً ولهواً - لصورة جثمان الشهيد الثانى؟

هل استقرت أوتار الحناجر بعد صراخها المكتوم، وهل لطم القلب جدار الرئتين وخرَّ صريعاً فى ممرات الساقين؟.

● أرجوكم، أستهلفكم، بالعز المنهوب والمجد المسلوب ألا تنظروا إلى وجهه، وحش الفحم الذى سقط بين مطرقة جيش الدفاع وسندان الهوان العربى، وجه عجزنا السرمدى الذى أطلقنا عليه قنابل صممتنا وقذائف شجبنا الحماسى، ثم تقاذفناه فى عراكتنا المجانى، بينما كنا نتابع المسلسل العربى، نصفق ونهمل



بين المجلد .. والقارئ

إعداد وتقييم / عادل رفاعي خفاجة

في هذا
الشهر
المبارك

تلقينا بريدا لم نتلق مثله من قبل من حيث الكثرة وكذلك من حيث الموضوعات فإذا كانت الرسائل بصفة عامة في كل شهر تتنوع من حيث الموضوعات ومن حيث أسلوب التناول أيضا فقد جاءت رسائل هذا الشهر تتناول : الحجاج المتجهين إلى عرفات ، وعرفات المحاصر في فلسطين ومن معه من رجال ونساء وأطفال يذوقون من العذاب فرق طاقة البشر جاءت كل الرسائل عن هذين الموضوعين اللهم إلا رسالة واحدة تناولت بعض أوجه الجمال في اللغة العربية ونلاحظ أن بقية الرسائل اشتركت في كونها كتبت شعرا بالإضافة إلى طول تلك القصائد ، حتى بلغت إحدى هذه القصائد ما ينيف على خمسين بيتا على غير المعتاد في رسائل القراء ، ولصاحب هذه الرسالة تحديدا أقول :

شكر الله لك هذه الحمية الدينية على حرمة المقدسات الإسلامية ، وبارك فيك ، وأرجو أن تتقبل اعتذارى عن عدم نشر بعض أبيات القصيدة برغم نبل المقصد ، وذلك لبعدها عن الوزن السليم ، وعليك أن تتخير أحد أمرين إما أن تكتب نشر ، وأعتقد أنك لا تحتاج إلى كثير إعداد . وإما أن تعود إلى دواوين الشعر العربي القديم ثم الجيد من الشعر الحديث فتقرأها قراءة جيدة حتى تتكون لديك تلك الملكة التي يمكن أن تستخدمها بعد ذلك في تقديم ما يجيش بصدرك وما يدور بخاطرك .

وإليك وإلى كل قراء المجلة أقدم التحية والشكر وآمل أن يستمر العطاء والتواصل فيما بيننا . وبعد .. فندعو الله أن يوفق حجاج بيته الحرام إلى حج مبرور وأن يتقبل دعاءهم ودعاءنا أن يرفع الظلم عن إخواننا المحاصرين في فلسطين ... اللهم آمين .

من وجوه الجمال فى اللغة العربية

٢- مثال آخر: «كلمة جنة»

أ- جَنَّةٌ: بفتح الجيم: الحديقة أو البستان،
يقول تعالى:

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾

(الكهف ٣٥)

وكذلك دار النعيم فى الآخرة، يقول تعالى:

﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾

(الرحمن ٤٦)

ب- جَنَّةٌ: بكسر الجيم: الجنون، يقول تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا بَصَاحِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ﴾

(الأعراف ١٨٤)

وكذلك الجن، يقول تعالى:

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

(الناس ٦)

ج- جَنَّةٌ: بضم الجيم: الستر، وكل ما يقى

الإنسان، وفى الحديث الشريف:

«... والصيام جنة»

(جزء من حديث رواه البخارى)

الرسالة الأولى من القارىء / وائل على
عبدالعزیز بدیر - میت غمر - کوم النور
يقدم فيها بعضا من الشذرات ووجوه
الجمال فى اللغة العربية فيقول:

١- من وجوه الجمال فى اللغة العربية: أن
الكلمة الواحدة يتغير معناها بتغيير الشكل
للحرف الواحد «فتحة، ضمة، كسرة، سكون»،
مثل كلمة: البر
أ- فالْبَرُّ: بفتح الباء: اسم من أسماء الله
الحسنى، يقول تعالى:

﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾

(سورة الطور آية ٢٨)

وكذلك ما انبسط من سطح الأرض، يقول
تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

(سورة الروم آية ٤١)

ب- والْبَرُّ: بكسر الباء معناه الخير، يقول
تعالى:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَرِّ﴾

(سورة البقرة ٤٤)

ج- والْبَرُّ: بضم الباء معناه حب القمح،
والقمح: نبات عشبي معروف «المعجم الوجيز ص

٥١٤».

الحج وضرورة التوبة

ويرسل القارىء الأستاذ / محمد عباس
محمد عرابى هذه الكلمة التى جاء فيها :

بل لابد من إخلاص التوبة، ثم أخذ يطلب من
الله أن يفيض عليه من كرمه وعفوه، فقد ابتعد
عن الرفاق وتعب فكره وتحير من الصحاب الذين
عملوا على إبعاده عن الله، ورجاه أن يقبل توبته
حيث يقول فى موشحته الشهيرة:-

عِنْدَمَا لَاحَ لِعَيْنِي الْمَتَكَأُ ذُبْتُ شَوْقًا لِلَّذِي كَانَ مَعِي
أُيْهَا الْبَيْتُ الْعَتِيقُ الْمُسْرِفُ
جَاءَكَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ الْمُسْرِفُ
عَيْنُهُ بِالْدمْعِ دَوْمًا تَذْرِفُ
فَرِيَّةٌ مِنْهُ وَمَكْرٌ فَالْبِكَاءُ لَيْسَ مَحْمُودًا إِذَا لَمْ يَنْفَعِ
أُيْهَا السَّاقِي اسْقِنِي لَا تَأْتَلِ
فَلَقَدْ أَتَعَبَ فِكْرِي عُذْلِي
وَلَقَدْ أَنْشَدُهُ مَا قِيلَ لِي
أُيْهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي ضَاعَتِ الشُّكُورُ إِذَا لَمْ تَنْفَعِ

لإتاحة الفرصة أمام أكبر عدد ممكن من القراء سنقتصر على نشر بعض الأبيات .

رجوع

اخترنا تسعة أبيات من قصيدة رجوع للشاعر نجاح عبدالقادر سرور - كوم حمادة - كفر بولين، يقول :

- (١) يَخْبِي قَلْبِي .. وَالدَّمْعُ تَذِيعُ
 - (٢) تَقَطَّرَ سَرَى .. قَطْرَةً إِثْرَ قَطْرَةٍ
 - (٣) غَرَسْتُ ضُلُوعِي .. وَسَطَ رَوْضَةِ أَحْمَدِ
 - (٤) وَعَلَّقْتُ قَلْبِي .. سِتْرَ بَيْتِ مُحَرَّمِ
 - (٥) وَرَغْمَ أَشْدَى .. إِنْ أَتَيْتُ إِلَى هُنَا
 - (٦) وَأَعْطَشُ .. أُرْوِي مِنْ طَوَافٍ وَزَمْزَمِ
- وَتَكْشِفُ عَمَّا تَحْتَوِيهِ ضُلُوعُ!
لِيُعْلَنَ حَزْنِي .. مِنْذُ كَانَ رَجُوعُ!
فَمَا زَالَ قَلْبِي بِالْحَنِينِ يَضُوعُ!
يَحُومُ .. فَيَحْتَضِنُ الْفُرَادَ خَشُوعُ!
كَأَنِّي فِي حِجْرِ الذَّبِيحِ رَضِيعُ!
وَمَائِدَتِي الْقُرْآنُ .. حِينَ أَجُوعُ!



- (٧) فياهل ترى.. هل كنت إلا نُجَيْمَةً
(٨) نعوذ.. فلا الدنيا تُضْمَدُ جُرْحَنَا
(٩) نعوذ.. وآه من رجوع بلا مُنَى
إذا ما احتوانا في الصفوف ركوع؟
ولكن تطوح.. تشتري.. وتبيع!
فقد ذاب قلبي.. منذ كان رجوع!

موكب الحجيج

ومن موكب الحجيج للأستاذ جابر عبدالعليم من دار السلام - سوهاج نقدم هذه الأبيات:

- (١) ترك الخليل وحيداً فتفجرت
(٢) من بعد سعى بين مروة والصفاء
(٣) فيجيبها رب العباد وترتوي
(٤) وعلى نداء الحق يشرع منجزاً
(٥) لكن فضل الله يسبق عزمه
(٦) يا أيها الركب المجل إنكم
(٧) لكم التحية والثوبة والرضا
من تحته بمصادر البركات
والأم تسأل باري النسمات
ووليدها والطير في الفلوات
رؤيا رآها في هدى وتببات
ولقد فداه بأعظم القربات
في خير أرض مهبط الآيات
والفضوز عند الله بالجنات

يا قاصد البيت الحرام

ومن قصيدة «يا قاصد البيت الحرام» نقدم هذه الأبيات للقارئ المهندس أسامة نصر عبده

من دمنهور - بحيرة. يقول:

- (١) يا قاصد البيت الحرام تحية
(٢) للمرسلين جميعهم للأولين
(٣) يا قاصد البيت العتيق ملبياً
(٤) وجبال مكة كلها قد رجعت
(٥) طوبى لكم ندعو الإله جميعنا
من عاشق للكعبة الغراء
وقد علواً بالراية السمحاء
والبيد تسقى من عظيم رواء
فيطوف دمع العين بالبيداء
مبرور حج في رضى وصفاء



وننتقل إلى القسم الثانى من رسائل القراء، التى تناولت المحاصرين فى فلسطين، فنقدم هذه الأبيات من قصيدة طويلة بقلم الأستاذ حسين إبراهيم حسين تحت عنوان «سيكبر التاريخ عند مجيئنا» يقول فيها :

- | | |
|--|---|
| (١) مَرَّ الزَّمَانُ عَلَى كَثِيرٍ قَبْلَنَا | لَكِنَّهُ مَا صَادَفَ الشُّجْعَانَ |
| (٢) وَإِذَا بِهِ نَصَبَ الْخِيَامَ بِأَرْضِنَا | وَأَقَامَ دَهْرًا يَغْسِلُ الْأَحْزَانَا |
| (٣) وَيَقُولُ لِلْأَبْطَالِ طَابَ مَقَامُكُمْ | فَاسْتَبَشِرُوا بَلْ بَشَرُوا الْوُلْدَانَا |
| (٤) شَارُونَ فِيهِ سَفَاهَةٌ لَا تَنْتَهَى | مَهْمَا يَبَالِغُ ذُو الْهَجَاءِ بَيَانَا |
| (٥) قُولُوا لَهُ إِنَّ اللِّسَانَ يَعْافُهُ | وَالنَّفْسُ تَكْرَهُ ذَلِكَ الشَّيْطَانَا |
| (٦) قُولُوا لَهُ مَهْمَا أَقَمْتَ فَإِنَّا | سَنُحْطِمُ الطُّغْيَانَ وَالْأَوْتَانَا |
| (٧) سَتَرُونَ رَعْدًا قَاصِفًا لَنْ يَنْتَهَى | سَتَرُونَ طِفْلًا يَسْبِقُ الرُّكْبَانَا |
| (٨) سَيُكْبَرُ التَّارِيخُ عِنْدَ مَجِيئِنَا | وَيَقُولُ هِيََا نَشْكُرُ الرَّحْمَانَا |

صمود أمة

ويواصل القارئ / أحمد حمدى والى بمدرسة الهدى والنور الثانوية بالمنصورة إبداعاته الشعرية

فيرسل تحت عنوان «صمود أمة» هذه الأبيات التى تتسم بالرصانة والتحدى حيث يقول :

- | | |
|------------------------------|-------------------------|
| (١) برغم القتل والتشريد فينا | وزعمهم الحضارة والمعالي |
| (٢) برغم جهال الطغيان ظلما | ودفن الناس فى حر الرمال |
| (٣) برغم عصاة الموساد حمقا | وعشقهم أساليب الجدال |
| (٤) برغم تمايل الجبناء فخرًا | بأجسام تراها كالبنغال |
| (٥) سنبذل ما يكون لنا خلودًا | ونرفع راية الإسلام عالى |
| (٦) نبدد موجة الطغيان قهرا | على عزم لتطحيم الخال |
| (٧) ويصرخ طفلنا فى كل واد | يؤججها جحيما للنضال |
| (٨) ويقذف صقرنا المغوار نارا | يدعمها بصاروخ القتال |
| (٩) ولكن لن نميل لهم ونرضى | بمال أو بعيش من خيال |
| (١٠) فنحن أسود إسلام حنيف | وقدوتنا رجال كالجبال |



للأستاذ / محمد الشرقاوي

مجمع البحوث الإسلامية يقرر:

عدم الموافقة على مشروع قانون الزكاة

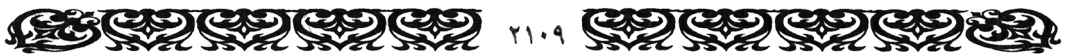
قرر مجمع البحوث الإسلامية في جلسته المنعقدة في ١٠/١١/١٤٢٢هـ - ٢٤/١/٢٠٠٢م عدم الموافقة على مقترح بمشروع قانون الزكاة لأسباب من أهمها:-

(١) أن الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة؟ وما كان ركناً من أركان الإسلام الخمسة لا يصح أن تتدخل القوانين بشأنه.

(٢) مصادر الزكاة واضحة كل الوضوح بنص الآية القرآنية التي تقول:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ
وَالْغَنَمِمْ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

(١) التوبة آية «٦٠».





(٣) كل مسلم وجبت عليه الزكاة بتوافر شروطها إن تركها جحوداً بها فهو خارج عن الإسلام أما إن تركها تهاوناً بها وكسلاً فهو عاص ندعوه إلى الإلتزام بأدائها ونرجو له التوبة .

(٤) لا يستطيع أحد أن يجبر أحداً تجب عليه الزكاة - أن يلزمه - بدفعها إلى جهة معينة؟ وإنما هو يدفع الزكاة لمن يراه أهلاً لها .

الوسطى وباكستان تتسابق لتحقيق منافع خاصة بها .

وأضاف المركز الذى يتخذ من «ميونيخ» مقراً له : أنه وفى ظل تلك الأوضاع بدأت السلطات الصينية فى توجيه سهامها المسمومة تجاه مسلمى «الأيغور» من أجل ملء الفراغ الاستراتيجى وتلافى الأضرار التى لحقت بها من الناحية السياسية والدبلوماسية - فقد قامت الحكومة الصينية بوصف واتهام مسلمى «الأيغور» بالإرهاب وذلك من أجل تبرير ممارساتها الوحشية ضدهم .

وأشار المركز إلى محاولة الصين الدخول فى مساومة مع الولايات المتحدة بشأن القضية «الأيغورية» إذ أكدت بعد مضى أسبوع على وقوع أحداث سبتمبر على لسان المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية أنه يجب على الولايات المتحدة، إن أرادت دعم الصين لحملتها ضد الإرهاب، أن تفهم وتتقبل حملاتها ضد الانفصاليين فى «سينج يانج»، و«تركستان الشرقية» . وأكد مركز تركستان الشرقية للمعلومات أنه بينما تحاول السلطات الصينية بكل جهد تلفيق تهمة الإرهاب لمسلمى «الأيغور» فإنها تقوم من جهة أخرى بتصعيد حملاتها المستمرة تحت غطاء مكافحة الإرهاب ضدهم فى تركستان الشرقية .

أطفال الشيشان ضحايا الألغام الأرضية

الأطفال المسلمون فى الشيشان هم ضحايا الألغام الأرضية فى طبيعة من تصل إليهم نيران القوات الروسية فى هذه الجمهورية الإسلامية الخاضعة للسيادة الروسية .

كان الجيش الروسى قد بدأ حملته ضد الشيشان فى الأول من أكتوبر من عام ١٩٩٩ وحتى الآن لم تفلح الحملة فى القضاء على المقاومة الإسلامية فى الشيشان التى تعرض العديد من منشآتها للدمار إلى جانب ارتفاع أعداد القتلى والجرحى ونزوح آلاف اللاجئين .

بحجة محاربة الإرهاب

اعتقال أكثر من ٣ آلاف مسلم بالصين

حذر مركز تركستان الشرقية للمعلومات من محاولات السلطات الصينية الرامية لتحويل مسلمى «الأيغور» إلى ضحايا للحملة الدولية ضد ما أسموه بالإرهاب وذلك بإلصاق تهمة الإرهاب بالناشطين والدعاة المسلمين منهم .

واكد المركز فى تقريره الموسع لوكالة «قدس برس» أن تفجيرات سبتمبر قد أحدثت تحولاً كبيراً على صعيد الأوضاع فى العالم وهو ما جعل دولاً كروسيا والصين وجمهوريات آسيا



أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

توقيع اتفاقية الحوار بين الأزهر والأسقفية الأنجليكانية

الإسرائيلية على الفلسطينيين، ورد بليير بالتعهد بأن تبذل بلاده كل ما فى وسعها حتى تنتهى إراقة الدماء فى الأراضى الفلسطينية، وأوضح فضيلته أن بليير أبلغه بأنه يقرأ بانتظام تعاليم الإسلام وأنه وصل فى قراءة ترجمة معانى القرآن الكريم إلى (سورة يوسف) وأعرب فضيلته عن اعتقاده بأن الحكومة البريطانية جادة فى تحسين صورة المسلمين بعد أحداث ١١ سبتمبر، وقال فضيلته: إن الإسلام يصون الحقوق والأعراض وليس صحيحا أنه مع العنف والإرهاب كما يردد ذلك بعض الخصوم، وأكد على ضرورة إعطاء كل ذى حق حقه، ووقف اغتصاب الأراضى الفلسطينية، والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطينى المظلوم حتى يحصل على حقوقه كاملة غير منقوصة، وحقه فى إقامة دولته المستقلة، وفيما يتعلق باتفاق الحوار التاريخى قال فضيلته: إنه خطوة لخدمة السلام والأمان والرخاء فى العالم وإقامة العدل بين الناس، وتنص الاتفاقية على المساهمة فى حل

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة للمملكة المتحدة (بريطانيا) فى الفترة من ٢٩ - ٣١ يناير ٢٠٠٢ تلبية للدعوة الموجهة من الدكتور جورج كارى كبير أساقفة كانتربرى ورافقه فضيلة الشيخ فوزى الزفراف رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف وتم خلال الزيارة توقيع اتفاقية الحوار بين اللجنة الدائمة للحوار فى الأزهر وبين الأسقفية الأنجليكانية التى يرأسها د/ جورج كارى وذلك على غرار الاتفاقية التى سبق أن وقعها الأزهر الشريف والفاتيكان فى مايو سنة ١٩٩٨م والهدف من تلك الاتفاقيات الاستفادة من القيم الروحية للأديان فى نشر السلام فى العالم ونبذ الإرهاب وتقديم العون والمساعدة للدول الفقيرة، وكذا تصحيح المفاهيم التى تسيء للإسلام والمسلمين، وتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام لدى الإعلام الغربى من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وفى لقاء فضيلته برئيس وزراء بريطانيا تونى بليير طلب ضرورة تدخل بريطانيا إيجابيا لوقف الاعتداءات



والفطرة السليمة تدعو إلى منع الظلم والقتل بغير حق والاعتداء على الشعوب، ومنع اغتصاب الأراضى وإخراج أصحابها الآمنين منها ولا بد من إعادة الحق لأصحابه وقد لمس فضيلته من المسؤولين تجاوبا مع هذه المعانى .

ومن ناحية أخرى دعا فضيلته المسلمين فى كل مكان إلى الاستمسك بشريعتهم التى هى شريعة الخلود والبقاء وشريعة الحق والعدل والسلام .

فى رسالة إلى فضيلة الإمام الأكبر:

السلطان قابوس: الأزهر هو المرجعية الدينية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير/ يوسف بن علوى وزير الدولة للشئون الخارجية بسلطنة عمان ومعالى الوزير/ أحمد ماهر وزير الخارجية المصرية وسعادة السفير/ عبد العزيز الهنائى سفير سلطنة عمان بالقاهرة والوفد المرافق .

وتأتى تلك الزيارة فى إطار تنسيق التبادل العلمى والثقافى والدينى بين وزارة الأوقاف والشئون الدينية بسلطنة عمان والأزهر الشريف، وتبليغ رسالة جلالة السلطان قابوس للأزهر لدوره الرائد فى خدمة الإسلام والمسلمين وللتعاون المثمر بين الأزهر والسلطنة، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بمواقف جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعتدلة الواضحة مع مصر، والعلاقات القائمة فى النواحي التعليمية والثقافية والتعاون العلمى الصادق وتبادل المعرفة، وأوضح فضيلته دور الأزهر الشريف فى إمداد دول العالم بالمناهج الدراسية التى يدرسها الأزهر والتى تمتاز

بالمشاكل وإنهاء الصراعات التى تحدث أحيانا بين المسلمين والمسيحيين فى بعض أماكن فى العالم، وتشجيع القادة الدينيين على استخدام تأثيرهم الدينى فى المصالحة وصنع السلام والعمل معا على تحقيق كرامة الإنسان فى العالم، ومنع الظلم والاعتداء على الحقوق المشروعة للشعوب كما تنص الاتفاقية على عدم الفصل بين السلام والعدل ونشر الفضائل المشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية وتشجيع المؤسسات التابعة للطرفين على القيام بدورها الإيجابى فى تحقيق التنمية لمصلحة شعوب العالم لنشر الرخاء والتقدم، كما تضمن البرنامج لقاء مع صاحب السمو الملكى الأمير تشارلز أمير ويلز وقد رحب الأمير تشارلز بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مؤكدا على الأهمية التى تعطىها بريطانيا تجاه فهم الإسلام فهما صحيحا مشيرا إلى أنه قد تحدث فى هذا الشأن أمام مركز الدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد بلندن عن ضرورة فهم الإسلام ورفض اعتبار الإسلام مسئولا عما يرتكبه بعض المسلمين، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على موقف الإسلام من التطرف والعنف ونوه بالأهمية التى تعطىها الأديان لنصرة المظلوم واسترداد حقوقه مشيرا إلى أن الأزهر الشريف على استعداد لأن يتحمل المسئولية القيادية التى تتطلبها إدارة الحوار والذى تطلبه الكثير من العواصم الأجنبية وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدعوة إلى الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا لزيارة الأزهر الشريف، وقد رحب الأمير بزيارة مصر مرة أخرى .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى كل لقاءاته على أن الأديان السماوية



أريتريا بالقاهرة.

حيث رحب فضيلته بالضيفين في الأزهر الشريف مشيدا بعمق العلاقات والروابط بين مصر وأزهرها الشريف ودولة أريتريا الشقيقة، وأوضح أن الأزهر يرسل العلماء والمدرسين لدولة أريتريا لتعليم أبنائهم في المعاهد هناك، ويستقبل الطلاب الذين يدرسون في معاهد الأزهر وجامعته على منح دراسية وقيمون في مدينة البعوث الإسلامية كما يستقبل الأئمة والوعاظ لحضور الدورات التدريبية التي يقيمها الأزهر كل ثلاثة أشهر ويقوم بالتدريس فيها كبار العلماء والمفكرين.

كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور فضيلة المفتي ومعالي السفير حيث تم مداولة تطبيق المناهج والخطط الدراسية والكتب التي تدرس في الأزهر ليرتبط تدريسيها بدولة أريتريا في القريب العاجل تمهيدا لقبول الخريجين من أريتريا بجامعة الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل السفير الجزائري

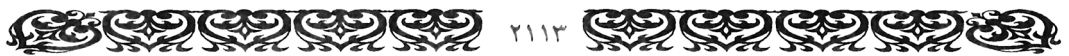
استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير الدكتور / سليمان الشيخ سفير جمهورية الجزائر الديمقراطية بالقاهرة حيث أعرب الضيف عن شكر وتقدير بلاده رئيسا وحكومة وشعبا للأزهر الشريف على ما يقدمه من تدريب للسادة الأئمة والوعاظ الذين يفدون للأزهر من دولة الجزائر والاستجابة السريعة لهذا الأمر حيث يتلقون في هذه الدورات من العلوم والمعارف الدينية والدنيوية بما يوضح الصورة الحقيقية للإسلام لدى أبناء الجزائر وخاصة الجاليات التي استقرت بالجزائر، وطلب السيد السفير من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر زيارة دولة الجزائر وهي رغبة السيد الرئيس حيث ستوجه الدعوة رسميا.

بالاعتدال والتوسط ودراسة جميع المذاهب الإسلامية بدون التحيز لمذهب معين، وأن الأزهر يستقبل طلابا من أكثر من ٩٤ دولة للدراسة به ويتلقون العلم بجانب إخوانهم في مصر، كما يوفد الأزهر العلماء والمدرسين لدول العالم المختلفة، كما ينظم الدورات التدريبية لأئمة ووعاظ العالم ليكون الترابط الديني قائما ودائما. وأضاف فضيلته بأننا في الأزهر الشريف نوضح صورة الإسلام الصحيحة والسليمة وتشريعاته وآدابه، ونبين أن الإسلام يحترم النفس الإنسانية ويصونها من الاعتداء عليها، وحدد المفاهيم الإسلامية لتبصير ذوي الأهواء والأغراض الخاصة.

شكر معالي الوزير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن اللقاء ونقل تحيات جلالة السلطان قابوس للأزهر ولشيخه، وسلم لفضيلة الإمام رسالة خاصة من جلالة السلطان قابوس أكد فيها على دور الأزهر في خدمة الإسلام والمسلمين وأنه المرجعية الدينية التي يرجع إليها، كما وضع الضيف مكانة الأزهر في قلوب الشعب العماني، وبين أن للأزهر فضلا عظيما لدى دول العالم الإسلامي في تعليم أبناء المسلمين صحيح الدين الإسلامي ووسطيته وأشاد بدور الأزهر في إرسال البعثات لدول العالم، وفي نهاية اللقاء شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على التعاون المثمر والمزدهر بين السلطنة وبين اللجان المشكلة لتدريس المناهج التعليمية والدينية. حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

تدريس المناهج الدراسية الأزهرية بدولة أريتريا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ / الأمين عثمان الأمين مفتي دولة أريتريا يرافقه معالي السفير محمود عمر طروم سفير دولة





وزير شئون البيئة الأندونيسى:

الأزهر يمثل المكانة الإسلامية العالمية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير/ عقيل حسين المنورة وزير الشئون الدينية بدولة أندونيسيا، وسعادة السفير الدكتور محمد قريش شهاب سفير أندونيسيا بالقاهرة والوفد المرافق لهما .

حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف موضحا بأن الطلبة والطالبات من دولة أندونيسيا يدرسون فى الأزهر الشريف فى معاهده وجامعته العريقة وأنهم يتلقون تعليمهم بجانب إخوانهم من الطلبة المصريين ويقيمون بمدن البعث الإسلامية، وأوضح أن عدد الطلبة يزيد على خمسة آلاف طالب وطالبة، وأن الدراسة فى الأزهر تمتاز بالتوسط والاعتدال فتدرس علوم الشريعة وعلوم اللغة والسنة النبوية المطهرة والمذاهب الإسلامية جميعها مأخوذة من الكتاب والسنة والاهتمام الأكبر بحفظ القرآن الكريم كاملا فى سنوات الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية وحين يلتحق بالجامعة يكون حافظا للقرآن الكريم كاملا شكر الوزير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة هذه الفرصة لهذا اللقاء الكريم وعلى الجهود التى يبذلها الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين وخاصة لدولة أندونيسيا، وأن الأزهر الشريف يمثل المكانة الإسلامية العالمية لأبناء المسلمين والتعليم الإسلامى المعتدل، وطلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء أندونيسيا وأوضح أنه حضر لتجديد الدعوة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة أندونيسيا ولتفقد بعض الجامعات الإسلامية هناك، وأشار إلى أن المعهد الأزهرى بأندونيسيا تحت إشراف الأزهر الشريف والبعثة الأزهرية من العلماء يؤدون واجبه على أتم وجه والبعثة قوامها خمسون عالما من الأزهر يقومون بتدريس العلوم الشرعية والعربية طبقا للخطط والمنهج الأزهرى، وأوضح بأن الدراسة الأزهرية تفيد أبناء المسلمين وتعصمهم من الزلل .

ومما يذكر أن سعادة السفير الدكتور/ محمد قريش تعلم فى الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل وزيرة الدولة للشئون الخارجية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة الوزيرة الدكتور/فايزة أبو النجا وزيرة الدولة للشئون الخارجية بجمهورية مصر العربية وهى أول زيارة لها بعد توليها مهام منصبها الجديد، ودار الحديث حول دور الأزهر الشريف ورسالته العلمية والتعليمية فى تعليم أبناء المسلمين فى الداخل والخارج وتبصيرهم بأمور الدين الحنيف بعيدا عن العصبية والعنصرية والتطرف والبعد عن المغالاة، كما يوفد الأزهر العلماء لدول العالم المختلفة لشرح تعاليم الإسلام والرد على استفسارات المسلمين فى بلاد المهجر، كما يستقبل طلابا من مختلف دول العالم من أبناء المسلمين الذين يدرسون بالأزهر ويقيمون بمدن البعث الإسلامية بالقاهرة والإسكندرية ومنهم البنين والبنات وبعد حصولهم على الشهادات العليا من الأزهر يعودون إلى بلادهم ليكونوا رسلا

رحب فضيلته بالسادة الضيوف شارحاً لهم نظام الدراسة بالأزهر الشريف وأنها تمتاز بالتوسط والاعتدال لأنها مستمدة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة، وبين أن الناس جميعاً خلقهم الله - عز وجل - من أب واحد وأم واحدة وذلك لكي يتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى وعلى نشر الإسلام والأمان والرخاء وتبادل المنافع التي أحلها الله - عز وجل - فيما بينهم، وأن يشيع الخير بينهم لا الشر، وتشيع السماحة وليس الإرهاب، وأوضح أن هناك فرقاً كبيراً بين الجهاد والإرهاب كالفرق بين السماء والأرض ومن يخلط بينهما يكون خاطئاً، لأن الجهاد معناه الدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن وعن الحرية الإنسانية، أما الإرهاب فهو الاعتداء على الآمنين وهو قمة الظلم والغدر، فتحديد المفاهيم واجب، وعندما تفهم الحقائق، ترتاح النفوس والعقول والعقلاء هم الذين يفهمون هذا جيداً، وهذا لمن يفهم الأديان فهما صحيحاً، أما من يفهم الأديان فهما خاطئاً لا يفسر الأمور تفسيراً صحيحاً، بل يفسرها حسب أهوائه، ونحن لا نؤيد من يفهم فهما خاطئاً، والأزهر الشريف يرحب بالحوار ويتعاون الحضارات، لأن في هذا سعادة للبشرية، فالغرب يأخذ من الشرق ما يناسبه والشرق يأخذ من الغرب ما يناسبه، وأبواب الأزهر مفتوحة لكل زائر وعلماء الأزهر يذهبون إلى كل مكان من أجل تصحيح المفاهيم والرد على الشبهات، وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية، عقب أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ بياناً مطولاً أدان فيه العدوان إدانة تامة.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حديثه القيم وأنه يقدر آراء فضيلته الجريئة والصريحة وهو ما أكدته الرئيس بوش للمسلمين في أمريكا بأن ما حدث لا علاقة له بالإسلام، وأوضح

للأزهر في بلادهم يؤدون واجبه نحو تعليم أبناء بلادهم ما تعلموه من علوم ومعارف إسلامية، كما تعقد الدورات التدريبية للعلماء والدعاة والأئمة الجدد من بلاد العالم المختلفة وذلك لدراسة المستجدات التي تطرأ على الساحة من جراء التطورات التي يشهدها عالم اليوم إلى جانب دراسة المواد الدينية والفقهية والعربية والبلاد التي بها معاهد أزهرية، كأندونيسيا والسنغال وجنوب إفريقيا ونيجيريا وغيرهم نرسل إليهم العلماء والمدرسين ليقوموا بالتدريس لهم في معاهدهم ويقومون بإلقاء خطب الجمعة بالمساجد ويطبقون الندوات والحلقات الدراسية وذلك كله لتوضيح صورة الإسلام الصحيحة.

وتم في اللقاء مناقشة ضرورة تصحيح صورة الإسلام في الخارج بالتنسيق مع علماء مصر وسفرائها وذلك لإظهار سماحة الإسلام ويسره والرد على الشبهات التي تحاول وسائل الإعلام الأجنبية إلصاقها بالإسلام ظلماً وعدواناً وهو منها براء.

وفي نهاية اللقاء شكرت الوزيرة فضيلة الإمام الأكبر على هذه المعلومات القيمة التي استفادت منها والتي ستساعد في أداء عملها.

زعيم الأقلية بمجلس النواب الأمريكي:

الدين الإسلامي أسرع الأديان انتشاراً

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد /ريتشارد جب هارت زعيم الأقلية بمجلس النواب الأمريكي والسيد السفير /ديفيد ولش سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة والوفد المرافق لهما،



أحلها الله - عز وجل - ويتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان والحضارات تتعاقب وتتعاون ويأخذ بعضها من بعض النافع المفيد، وتنبت الضار، والحضارات حينما تتآذر وتتكاثر يعم الخير على البشرية، ونحن كأزهريين وعلماء للدين الإسلامى الحنيف من منطلق تعاليم ديننا الحنيف نؤكد على أن الله - عز وجل - خلقنا قبائل وشعوبا لكي نتعاون على نشر الحق ونبت الباطل ونشر الخير والتصدى للشر والتعاون على البر والمعروف، ولنا فى كثير من بلدان العالم علماء ينشرون هذه المعانى السمحة التى هى مستمدة من شريعة الإسلام ونحن نؤمن بتعاون الحضارات لا بتصارعها، ونؤمن بحرية العقائد وأنه لا إكراه على العقائد لأن الإكراه عليها لا يأتى بمؤمنين صادقين وإنما يأتى بمنافقين كذابين، ونؤمن أيضا بأن الذى يحاسب على النفاق هو الله - عز وجل - وشريعة الإسلام تمد يدها بالسلام لكل من يمد يده بالسلام، ويأمرنا الإسلام أن نلتزم بالعدل، وفى الوقت نفسه ينهى عن العدوان والظلم.

أما الذين يعتقدون على أرضنا أو مقدساتنا أو أموالنا فقد أذن الله لنا أن ندافع عن أنفسنا وعن أموالنا وأرضنا ومقدساتنا.

وعن دور الأزهر فى تعميق الحوار، أوضح فضيلته أن شريعة الإسلام تؤمن بالحوار إيمانا عميقا لتوضيح وتصحيح المفاهيم ونحن على استعداد للحوار وأبوابنا مفتوحة، وقد زار بابا الفاتيكان الأزهر الشريف منذ فترة.

والأديان جميعها تدعو إلى السلام والمحبة ونبت العدوان والاعتداء حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الضيف بأن ما قلته فضيلتكم يعتقده ويحترمه الشعب الأمريكى وقال: إننا جميعا فى خندق واحد وإننا نتعاون من أجل إسعاد البشرية وتفسير فضيلتكم لوسائل الإعلام، والمراسلين الأجانب فى غاية الأهمية، لأن هناك عددا كبيرا من الناس يستمعون لما تقولونه باهتمام شديد، وتصريحات فضيلتكم القوية سوف أنقلها بصفتى زعيما للأقلية بمجلس النواب الأمريكى، والآن أصبح الشعب الأمريكى يفهم الإسلام بصورة أوضح، وما قلتموه فضيلتكم يوضح الصورة الصحيحة للدين الإسلامى، وأستطيع أن أقول إن الدين الإسلامى أسرع الأديان انتشارا هذه الأيام.

الإمام الأكبر:

شريعة الإسلام تهد يدها بالسلام

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / أندرو ناتسيوس المدير الإدارى بهيئة المعونة الأمريكية بواشنطن يرافقه السفير / دافيد ولش سفير أمريكا بالقاهرة والوفد المرافق لهم، وقد أوضح فضيلته للوفد الدور الأساسى الذى يقوم به الأزهر الشريف فى التعليم بالمراحل المختلفة وحتى المرحلة الجامعية حيث يتخرج العلماء والمدرسون المدركين لأمر الدين الإسلامى مبينا أن الدراسة فى الأزهر الشريف تقوم على الاعتدال والتوسط لأنها تقوم على دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعلومهما وهو الأساس فى التعليم الأزهرى إلى جانب المواد الأخرى من اللغات المختلفة والمواد التى تؤهل للدراسة بكليات الطب والهندسة والزراعة وغيرها، والقرآن الكريم أوضح أن الله خلق الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة ليتبادلوا المنافع التى



الفهرس السنوى لعام ١٤٢٢ هـ

المحرم

- | | |
|---|--|
| ٩٦ للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم | ٢ للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى |
| ٩٨ قصة العدد: إرادة جبارة | ٧ لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى |
| ● روضة الشعر ● | ١٩ للأستاذ الدكتور / أحمد معبد |
| - نور الإسلام | ٢٥ لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى |
| ١٠٣ للشاعر / محمود حسن إسماعيل | ٣٠ للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم |
| - الرأى | ● لاهياة بلادين |
| ١٠٧ للشاعر / أحمد زين | ٣٦ لفضيلة الشيخ / إبراهيم الدسوقي |
| ● من عيون التراث | ٤٢ للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى |
| ١٠٨ للأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم | ٤٧ للدكتور / محمد عمارة |
| ● الحوارات الأدبية: نوعياتها .. دلالاتها (١) | ٥٣ للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى |
| ١١٣ للأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب | ● استفتاءات القراء |
| ● القصيدة العربية بعد البارودى بين الشكل والمضمون | ٦٠ إعداد وتقديم الشيخ / عبد الفتاح حسين الزيات |
| ١١٧ للأستاذ الدكتور / محمود جمعة أمين | ● دار الهجرة والتجذير من هجرها |
| ● إلهة عن الاتجاه الإسلامى فى شعر إبراهيم عيسى | ٦٦ لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى |
| ١٢١ للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ | ٧٢ إعداد الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم |
| ● ما يقال عن الإسلام: | ● أبو عبيد بن مسعود الثقفى |
| ١٢٥ للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى | ٧٨ للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين |
| ● كتاب الشهر: عصر الإلحاد | ● إلهات عن صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج |
| ١٣٢ للأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين | ٨٢ للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى |
| ● المجتمع الإسرائيلى | ٨٥ الشيخ / إبراهيم الدسوقي فى رحاب الله |
| ١٤٢ للدكتور / محمد حسن عبد الخالق | ● مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى |
| ● التراث العلمى الإسلامى | ٨٧ للمستشار الدكتور / محمد شوقى الفجرى |
| ١٤٦ للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا | ● مواقف إسلامية: بين الأشرار والأخيار |
| ● من الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم | ٩٣ للأستاذ الدكتور / محمود عمارة |
| ١٥١ للأستاذ الدكتور / السيد الجميلى | |
| ● قبل أن تصير حصيدا | |
| ١٥٤ للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير | |
| ● بين الصحف والمجلات | |
| ١٥٨ إعداد الأستاذ / محمود الفشنى | |
| ● بين المجلة والقارىء | |
| ١٦٣ إعداد وتقديم / الأستاذ عادل خفاجة | |
| ● أنباء مكتب شيخ الأزهر | |
| ١٦٩ لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى | |





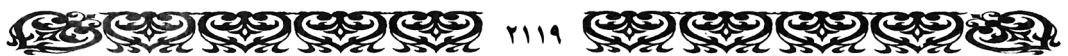
صفر

- الدين مرتكز الخلق الحميد (الافتتاحية) ١٧٨
للاستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي
- تفسير سورة البقرة ١٨٣
لفضيلة الإمام الأكبر
- وحى الأنفاظ في أسلوب القرآن ١٩٢
للاستاذ الدكتور / عبد الحليم حفنى
- العناية بكتابة السنة في عصر الرسول ﷺ وصحابته ١٩٨
للاستاذ الدكتور / أحمد معبد عبد الكريم
- الدعوة كما ينبغي أن نبلفها (٤) ٢٠٥
لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
- دعوة الإسلام إلى الوحدة ٢١١
للاستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- إسلامية المعرفة.. ماذا تعنى؟ ٢١٧
للاستاذ الدكتور / محمد عمارة
- أمتنا وفق إدارة الأزمات ٢٢٤
للدكتور / محمود محمد عمارة
- محاولة لفهم العقولة ٢٢٧
للاستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي
- نقد موضوعي للأفكار الهامة في كتاب اليمين واليسار ٢٣٤
في الفكر الديني
- للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي ٢٤٠
شئون المرأة والثوب الأشل على الإسلام
- للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى ٢٤٧
المتش بن حارثة الشيبانى
- إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين ٢٥٥
حول الشعر العذرى
- للأستاذ / محمد أحمد العزب ٢٥٨
عبد العزيز البشرى فى المرأة
- للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى ٢٦٣
رثاء الأديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشرى (قصيدة)
- للأستاذ / خليل مطران ٢٦٦
فقيد الأزهر: الدكتور محمد أحمد سحلول
- للأستاذ / محمد فريد أبو حديد ٢٦٩
للأستاذ / محمد فريد أبو حديد
- دعوة إلى نحو عصري بين الوهم والتخريب ٢٧٨
للاستاذ الدكتور / مبروك عطية أبو زيد
- الفرام السوقي (قصيدة) ٢٨٢
للاستاذ / محمد الأسمر
- يهود الشرق في الأدب العبري ٢٨٤
للدكتور / محمد حسن عبد الخالق
- دور يهود الدونة في إسقاط الخلافة العثمانية ٢٩٢
عرض الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين
- الحقائق العشر لجمعية تحول النبوة من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل ٣٠٠
للدكتور / محمد عبد العليم
- مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى (٢) ٣٠٩
للمستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجري
- التراث العلمى الإسلامى ٣١٧
للاستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
- جنون البقر.. والخروج عن الفطرة ٣٢٢
للاستاذ الدكتور / عبد الراضى حسن المراغى
- هل تغرق السفينة.. لطفك اللهم ٣٢٦
للاستاذ / مجدى عبد الحميد بشير
- طرائف.. ومواقف ٣٣١
لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
- إلى الجيل الجديد ٣٣٣
أسرة التحرير
- منبر الجمعة: من أضرار المعاصى ٣٣٥
لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم
- رسالة و.. رد ٣٣٩
لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان
- استفتاءات القراءة ٣٤٤
إعداد الشيخ / عبد الفتاح حسين الزيات
- بين المجلة والقارىء ٣٥٠
إعداد وتقديم الأستاذ / عادل رفاعى خفاجة
- بين الصحف والمجلات ٣٥٧
إعداد الأستاذ / محمود الفشنى
- أنباء مكتب الإمام الأكبر ٣٦٢
إعداد الشيخ / عمر البسطويسى على



ربيع الأول

- في ذكرى المولد النبوي (الافتتاحية) ٣٧٠
- للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ٣٧٠
- مع سورة الفتح في ذكرى مولد رسول الله ﷺ ٣٧٨
- لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٣٧٨
- ذكريات وتأملات في يوم مولده ﷺ ٣٨٨
- لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي ٣٩٤
- أنشودة في محراب نور البشرية ٣٩٤
- شعر/ محمد فهمي سند ٣٩٧
- وثيقة دستور دولة النبي في المدينة ٤٠٤
- للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى ٤١٣
- في ذكرى ميلاد سيد البشر ٤١٣
- لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ٤١٧
- يا خير من يشفى الضامس كله ٤٢٠
- لفضيلة الشيخ/ محمد الطاهر الحامدي ٤٢٠
- قصة العدد: بشائر النبوة ٤٢٥
- من روائع الماضي في مجلة الأزهر: ٤٣٤
- إعداد الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٤٣٨
- إنها النبوة ٤٣٨
- للأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي ٤٤٢
- في ذكرى المولد النبوي ٤٤٢
- للأستاذ/ أحمد محرم ٤٤٢
- سيرة النبي محمد ٤٤٢
- عرض الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ٤٥٠
- درس في الإنصاف ٤٥٠
- للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ٤٥٨
- أنشواق حجازية الإيقاع ٤٥٨
- شعر للدكتور/ صابر عبد الدايم ٤٦٠
- مشكلات أعجزت العلم وحلها الإيمان ٤٦٣
- للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٤٦٣
- ما يقال عن الإسلام ٤٦٣
- للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ٤٦٣
- للإسلام وإشكالية الفكر الحضاري ٤٦٨
- للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ٤٧٤
- محمد رسول الله ﷺ ٤٧٤
- شعر للأستاذ الدكتور/ محمد بدر معبدى ٤٧٦
- التراث العلمي الإسلامي ٤٨١
- للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ٤٨١
- إسرائيل من الداخل ٤٨٢
- عرب فلسطين ٤٩٠
- للأستاذ/ محمد حسن عبد الخالق ٤٩٧
- إسرائيل والبحث عن الهوية ٤٩٧
- للأستاذ/ صلاح الدين عبد الرحيم محمد ٥٠١
- الققعاق بن عمرو التميمي ٥٠١
- للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ٥٠٥
- الرافعي ومواقفه من قضايا الشعر ٥١١
- للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٥١٦
- السيد حسن القاياتي ٥١٦
- للأستاذ محمد مصطفى البسيوني ٥١٨
- هل تفرق السفينة؟ لطفك اللهم ٥٢٢
- للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ٥٢٨
- طرائف.. ومواقف ٥٢٨
- إعداد الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٥٣٣
- منبر الجمعة: مولد خير الأنام ٥٣٣
- لفضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم ٥٣٩
- استفتاءات القراءة ٥٣٩
- إعداد وتقديم/ عبدالفتاح حسين الزيات ٥٤٤
- فقه العبادات في ضوء غاياته ٥٤٤
- بقلم/ أبو محمد الاقصرى ٥٥٣
- أسس العلاقات الاجتماعية في الإسلام ٥٥٣
- للأستاذ الدكتور عبد الحليم حفنى ٥٥٣
- بين المجلة والقارىء ٥٥٣
- إعداد وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة ٥٥٣
- أنباء مكتب الإمام الأكبر ٥٥٣
- لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ٥٥٣
- بين الصحف والمجلات ٥٥٣
- إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ٥٥٣



ربيع الآخر

- العدل ظاهرة كونية قبل أن يكون فضيلة خفية (الافتتاحية)
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ٥٦٢
- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى ٥٦٧
- قضايا قرآنية: قضية الوقف على رؤوس الآيات
لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عبطة ٥٧٣
- الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان
للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٥٨١
- الدعوة كما ينبغي أن نبليها
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٥٨٨
- اختلاف فقهاء الشريعة حول التأمين
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى ٥٩٥
- محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للاستاذ الدكتور عبد العظيم المطعنى ٦٠١
- بلبل الفردوس.. بلال بن رباح (قصيدة)
بقلم/ أبو حسام ٦٠٨
- العربى بين الأصالة والمعاصرة
للاستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ٦١١
- مواقف إسلامية: من دروس التربية العملية
للاستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ٦١٦
- قصة العدد: الحق المر
بقلم/ عابر سبيل ٦٢٦
- ما يقال عن الإسلام: نقد علمى لمقال دينى
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ٦٣١
- (عرض كتاب) سيرة النبى محمد ﷺ
للاستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ٦٣٩
- من عيون التراث: الأضداد
تحقيق الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ٦٥٢
- صرعى الأغراض (قصيدة)
للشاعر/ أحمد الزين ٦٥٧
- طرائف ومواقف
إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٦٠
- من مختارات مجلة الأزهر:
العلم والدين للأستاذ/ محمد أحمد الغمراوى ٦٦٢
- ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية
للاستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ٦٧٢
- الشيخ محمد الخضر حسين
للاستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٦٧٧
- العقاد الشاعر بين منهجين فى النقد
للاستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٦٨٥
- شهيد الأزهر: الأستاذ الدكتور/ إبراهيم السوقي خميس
للدكتور/ رضا عبد المجيد المتولى ٦٩٠
- القفقاع بن عمرو التميمي (٢)
للاستاذ أحمد السيد تقى الدين ٦٩٤
- الجيتو والكيوتس فى الوجدان اليهودى
للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق ٦٩٨
- من صفحات الخير
للاستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ٧٠٣
- رسالة و رد
لفضيلة الشيخ/ عبد الفتاح جمعان ٧٠٧
- استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ٧١١
- خطبة الجمعة: من ملامح الشخصية المسلمة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ٧١٤
- فقه العبادات فى ضوء غاياته
للشيخ/ أبو محمد الأقصرى ٧١٧
- بين الصحف والمجلات
للاستاذ محمد الفشنى ٧٢٠
- بين المجلة والقارئ
للاستاذ/ عادل خفاجة ٧٢٤
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ٧٢٨
- من أخبار العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى ٧٣٤



جُمَادَى الْأُولَى

- الافتتاحية (لغو عن ميراث المرأة) ٧٣٧ فضيلة أ.د. محمد رجب البيومي
- تفسير سورة البقرة ٧٤٢ فضيلة أ.د. محمد سيد طنطاوى
- التثبت من رواية الحديث ٧٤٨ فضيلة أ.د. أحمد محمود شيمى
- الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان (٢) ٧٥٢ فضيلة أ.د. أحمد عمر هاشم
- الدعوة كما ينبغي أن نبليها ٧٥٩ لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى
- حول الأصالة والمعاصرة ٧٦٤ فضيلة أ.د. محمد إبراهيم الفيومى
- بين على عبدالرازق والخضر حسين ٧٧٠ فضيلة أ.د. محمد عمارة
- محمد (ﷺ) فى كتابات المستشرقين ٧٧٥ فضيلة أ.د. محمد عبد العظيم المطعنى
- حول نقد سيرة رسول الله لابن إسحاق ٧٨٢ نقد وتعليق أ.د. إبراهيم عوضين
- ما يقال عن الإسلام ٧٩٢ فضيلة أ.د. محمد رجب البيومي
- الزوجة الوفية... كأنك تراها ٧٩٩ فضيلة أ.د. محمود عمارة
- من مختارات مجلة الأزهر: لا تياسوا من روح الله ٨٠٧ لفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- إحساس النبات (قصيدة) ٨١٠ بقلم: أبو حسام
- الققعاق بن عمرو التميمي ٨١٢ للأستاذ / أحمد تقى الدين
- ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية (٢) ٨١٦ أ.د. أحمد فؤاد باشا
- أثر العقيدة على التقدم العلمى عند المسلمين ٨٢٢ للأستاذ/ مصطفى البسيونى
- القد المحجب (قصيدة) ٨٢٨ للأستاذ عبد المغنى المنشاوى
- قصة العدد: (المهاجرة الصبور) ٨٣٢ للأستاذ شوقى أبو ناجى
- من بلاغة الخطابة النبوية ٨٣٦ فضيلة أ.د. عبد الحليم حفنى
- قضية للمناقشة ٨٤٢ أ.د. محمد أحمد العزب
- الشاعرة جليلة رضا.. وداعاً ٨٤٥ للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ
- الجيتو والكيوتس فى الوجدان اليهودى ٨٤٨ د/ محمد حسن عبد الخالق
- من منظمات الإرهاب الصهيونى فى إسرائيل ٨٥٤ للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد
- طرائف ومواقف ٨٦٠ للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
- تهنية ودعاء ٨٦٢ خطبة الجمعة: نزهوا الإسلام عن صفائركم
- أ.د. أحمد الشرباصى ٨٦٣ فضل قراءة القرآن الكريم
- فضل قراءة القرآن الكريم ٨٦٦ لفضيلة الشيخ/ فوزى فاضل الزفراف
- رسالة... و...رد ٨٧١ لفضيلة الشيخ/ عبد الفتاح سيد جمعان
- استفتاءات القراءة ٨٧٥ تحجب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف
- الزواج: مشكلات.. وحلول ٨٧٨ للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير
- بين الصحف والمجلات ٨٨١ للأستاذ/ محمود القشنى
- بين المجلة والقارىء ٨٨٥ للأستاذ/ عادل خفاجة
- أنباء العالم الإسلامى ٨٨٩ للأستاذ/ محمد عبد الحميد الشرقاوى
- أنباء مكتب الإمام الأكبر ٨٩١ للأستاذ/ عمر البسطويسى



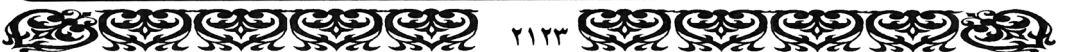
جمادى الآخرة

- افتتاحية العدد: إنسانية الغرب في الميزان
لفضيلة أ.د. محمد رجب البيومي ٨٩٨
- تفسير سورة البقرة
لفضيلة أ.د. محمد سيد طنطاوى ٩٠٢
- قضية الوقف على رؤوس الآيات
لفضيلة الشيخ صديق بكر عيطة ٩٠٩
- حلف جواب: لو ترى
أ.د. عبد الحليم حفنى ٩١٤
- من القصص التريوى فى القرآن الكريم: ولدان
للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى ٩١٩
- دعوى بشرية القرآن
أ.د. محمد إبراهيم الفيومى ٩٢٤
- من ركائز التضامن الإسلامى
أ.د. أحمد عمر هاشم ٩٣٢
- الدعوة كما ينبغي أن نبلغها
لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى ٩٣٩
- مساجلة بين فقيهين
للدكتور حمدى فتوح والى ٩٤٤
- بين الخضر حسين وعلى عبد الرزاق:
قضية وكتابان..
أ.د. محمد عمارة ٩٤٩
- مصر
شعر الأستاذ على الجارم ٩٥٦
- محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
أ.د. عبد العظيم المطعنى ٩٦٠
- كتاب الشهر
نقد كتاب (سيرة رسول الله ﷺ لابن اسحق
للدكتور على مراد)
- نقد وتعليق أ. د / إبراهيم عوضين ٩٦٧
- ما يقال عن الإسلام (الأذان فى الإسلام)
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي ٩٧٧
- مواقف إسلامية: وفاء الأشراف
أ.د. محمود عمارة ٩٨٢
- قصة العدد.. القيمة الموحدة
للأستاذ محمد فريد أبو حديد ٩٨٧
- القطر الأعشى
شعر: أبو حسام ٩٩٤
- عالم زاهد.. وتقى ورع
لفضيلة الشيخ / على محمود أبو الحسن ٩٩٧
- مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
أ.د. أحمد فؤاد باشا ١٠٠٢
- الفكر التلمودى فى الوجدان اليهودى
للدكتور / محمد حسن عبد الخالق ١٠٠٨
- حجر من أرض الإسرائ
شعر الأستاذ / السيد صديق حافظ ١٠١٨
- الققعاق بن عمرو التميمى
للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين ١٠٢٠
- من قضايا النقد:
ثقافة الناقد فى مرآة ابن المعتز
أ.د. محمد أحمد العزب ١٠٢٣
- طرائف ومواقف
للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٠٢٨
- استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر ١٠٣٠
- خطبة الجمعة
لفضيلة أ.د. أحمد الشرباصى ١٠٣٤
- الإنفاق فى سبيل الله
لفضيلة الشيخ / فوزى فاضل الزفزاف ١٠٣٨
- رسالة.. و..رد
لفضيلة الشيخ / عبدالفتاح سيد جمعان ١٠٤٣
- المفهوم الصحيح للحرية
لفضيلة الشيخ محمد فوزان ١٠٤٧
- أيها الإعلاميون رويدكم
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير ١٠٥٠
- قلعة القاهرة
للأستاذ / أحمد إسماعيل إبراهيم ١٠٥٥
- بين الصحف والمجلات
للأستاذ محمود الفشنى ١٠٦١
- بين المجلة والقارئ
للأستاذ / عادل رفاعى خفاجة ١٠٦٥
- أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ محمد الشرفاوى ١٠٧٠
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ عمر البستويسى على ١٠٧٣



جـ

- افتتاحية العدد: ثقافة الداعية المعاصر
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٠٩٠
- مع سورة الإسراء.
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٠٩٨
- جماليات الأداء الأسلوبى فى الحديث النبوى
للاستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم ١١٠٤
- الإسلام والعلاقات الاجتماعية
للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١١١٢
- الإسراء والمعراج.. تأملات جديدة (١)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١١١٧
- الإسراء والمعراج
لفضيلة الشيخ/ يوسف الدجوى ١١٢٤
- مساجلة بين فقيهين كبيرين
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١١٣٢
- فلسفة خطاب الإعلام العربى
للاستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١١٣٦
- بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق
للاستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١١٤١
- محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للاستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١١٤٦
- سيرة رسول الله ﷺ لابن اسحاق للدكتور على مراد
عرض الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ١١٥٤
- المبادئ فوق المنافع
للاستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١١٦٣
- الإنفاق فى سبيل الله
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١١٦٨
- قصة العدد: لا أستجير بغير الله
للاستاذ / شوقى محمود أبوناجى ١١٧٥
- طريق الحق شائك
للاستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ١١٧٨
- على بن حاتم الطائى
للاستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١١٨٤
- فدائية تستشهد (قصيدة)
بقلم/ أبو حسان ١١٨٨
- القدس الماضى والحاضر
للشاعر/ عبدالفتاح الطاهر الخطيب ١١٩٠
- إسرائيل من الداخل
القدس بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود القشنى ١١٩٢
- بروتوكولات حكماء صهيون
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٢٠٣
- نصرت يا مسجدا الإسراء، قصيدة،
للشاعر/ السيد الصديق حافظ ١٢١١
- مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية
للاستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٢١٢
- هرمون، دهيا، ترياق الشيخوخة
للاستاذ الدكتور/ السيد الجميلى ١٢١٦
- من قارة إلى قارة، قصيدة،
للشاعر المهندس/ على محمود طه ١٢٢١
- أصول القصة الشعرية
للاستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٢٢٤
- طرائف.. ومواقف
للاستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٢٢٨
- الأسرة ومكانتها فى الإسلام
للاستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ١٢٣٠
- إستفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ١٢٣٥
- خطبة الجمعة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٢٣٩
- رسالة.. و .. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٢٤٢
- فى رياض الأمل
للاستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٢٤٥
- بين المجلة.. والقارئ
إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة ١٢٤٩
- أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٢٥٦
- أبناء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ١٢٥٩



شـ

- لا بد للعلم من خلق عاصم (الافتتاحية) ١٢٦٦
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي
- تفسير سورة البقرة ١٢٧١
لفضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي
- دعوة القرآن الكريم إلى بناء المجتمع ١٢٧٨
للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
- تعظيم القرآن ١٢٨٧
للاستاذ الدكتور/ أحمد عبد الواحد
- المعيار المعتبر لقبول الرواية عند المحدثين ١٢٩١
للدكتور/ أحمد محمود شيمي
- الإسراء والمعراج (٢) ١٢٩٦
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي
- سيرة رسول الله ﷺ لابن اسحق للدكتور علي مراد ١٣٠١
للاستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين
- موقف الإسلام من أهل الكتاب ١٣١٠
للاستاذ الدكتور/ محمود عمارة
- الإسلام في دراسات أكاديمية غربية ١٣١٤
للاستاذ الدكتور/ مصطفى رجب
- محمد ﷺ في كتابات المستشرقين ١٣٢١
للاستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى
- فلسفة خطاب الإعلام العربي ١٣٣٠
للاستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الفيومي
- الإسلام دين السلام ١٣٣٤
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
- أم المؤمنين عائشة (قصيدة) ١٣٣٩
للشاعر/ أحمد محرم
- الأخلاق والاقتصاد ١٣٤٥
للمستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري
- بين الغضنر حسين وعلى عبد الرازق ١٣٥٤
للدكتور/ محمد عمارة
- قصة العبد: إسلام بغي ١٣٦٠
للاستاذ/ محمود غنيم
- علي بن حاتم الطائي ١٣٦٥
للاستاذ/ أحمد السيد تقي الدين
- الشهيد (قصيدة) ١٣٦٩
للاستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم
- الصهيونية وأرض الميعاد ١٣٧٢
للاستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد
- الإرهاب الصهيوني في الأدب العبري ١٣٧٧
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق
- مقومات النهضة العلمية للأمة الإسلامية ١٣٨٣
للاستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا
- الإعجاز الطبى في القرآن الكريم ١٣٨٧
للدكتور/ السيد الجميلي
- القصة القرآنية في الدراسات المعاصرة ١٣٩٤
للاستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب
- صلاة الأرحام ١٣٩٨
لفضيلة الشيخ/ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح
- الإسلام دعوة لتحقيق الوحدة الإنسانية ١٤٠٣
للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى
- طرائف.. ومواقف ١٤٠٦
إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
- واقعة حال (قصيدة) ١٤٠٨
للشاعر/ أحمد مصطفى حافظ
- المعادلة الصعبة ١٤٠٩
للاستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير
- استفتاءات القراء ١٤١٤
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف
- خطبة الجمعة: في الطريق إلى فلسطين ١٤١٨
للاستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى
- رسالة... و... رد ١٤٢٣
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان
- بين الصحف والمجلات ١٤٢٥
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى
- بين المجلة والقارئ ١٤٣٢
إعداد الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة
- أنباء العالم الإسلامى ١٤٤١
للاستاذ/ محمد الشرقاوى
- أنباء مكتب الإمام الأكبر ١٤٤٦
للشيخ/ عمر البسطويسى

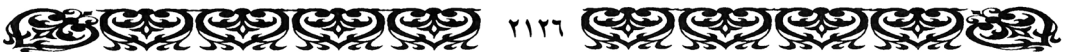
رمضان

- الرئيس حسنى مبارك فى لقائه مع علماء الأزهر
إعداد / أحمد السيد تقى الدين ١٤٥٨
● رمضان غريب بين أهله (الافتتاحية)
للاستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ١٤٧٦
● تفسير سورة القدر
لفضيلة الإمام الأكبر ١٤٨٢
● فى ظلال الحديث النبوى: السنة... الصوم
لفضيلة الشيخ / إبراهيم الجبالى ١٤٨٧
● شهر رمضان عند الجدّين
للدكتور / أحمد الشيمى ١٤٩٣
● رمضان عيد ميلاد الأمة الإسلامية
للدكتور / محمد عمارة ١٤٩٨
● قراءة إيمانية فى كتاب الكون والحياة
للدكتور / أحمد فؤاد باشا ١٥٠٣
● رمضان ناسك الزمن (قصيدة)
للشاعر محمود حسن إسماعيل ١٥٠٨
● رمضان يا أكرم الشهور
للشيخ / الطاهر الحامدى ١٥١١
● الصيام ورخصة الفطر
للدكتور / عفيفى محمود عفيفى ١٥١٦
● رمضان موسم الغيرات
للشيخ / السيد عبد المقصود عسكر ١٥٢٠
● محمد ﷺ فى كتابات المستشرقين
للدكتور / عبد العظيم الطعننى ١٥٢٤
● الأوزاعى بين العلم والعمل
للدكتور / حمدى فتوح والى ١٥٣٣
● صفحة من حياة الدكتور محمد السعدى فرهود
للدكتور / محمد رجب البيومى ١٥٣٨
● فى صحبة الدكتور محمد الطيب النجار
للدكتور / محمد إبراهيم الفيومى ١٥٤٤
● حديث فى علوم الدين وعلوم الحياة
للدكتور / إبراهيم عوضين ١٥٤٨
● كارل برونكلمان ويحولته عن الإسلام
للدكتور / مصطفى رجب ١٥٥٧
● فى نقد سيرة ابن اسحق / ابن هشام
للدكتور / محمود على مراد ١٥٦٣
- الأزهر المعمور
للدكتور / صابر عبد الديم يونس ١٥٧١
● الإسلام دين السلام (٢)
للشيخ / فوزى الزفزاف ١٥٧٣
● قصة ميلاد إنسان
للدكتور / محمود عمارة ١٥٧٩
● قصة العلد: باسمك اللهم
للاستاذ / محمد سعيد العريان ١٥٨٦
● تقرير لجنة كاهان الصهيونية
للدكتور / محمد حسن عبد الخالق ١٥٩١
● القصة القرآنية فى الدراسات المعاصرة
للدكتور / محمد أحمد العزب ١٥٩٨
● الإبداع وحرية المبدع
للدكتور / متولى محمد البساطى ١٦٠٣
● طرائف ومواقف
للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٦٠٦
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر ١٦٠٨
● يا أمة الإسلام أيقظي
للدكتور / حسين الانصارى ١٦١٢
● استقبال شهر رمضان
للاستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ١٦١٦
● رمضان والتحديات المعاصرة
للاستاذ / إسماعيل أبو الهيثم ١٦١٩
● رسالة .. و... رد
للشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان ١٦٢٢
● تأملات فى غزوة بدر
للاستاذ / أحمد إسماعيل ١٦٢٥
● بين الصحف والمجلات
للاستاذ / محمود الفشنى ١٦٣٠
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم / عادل خفاجة ١٦٣٣
● أنباء العالم الإسلامى
للاستاذ / محمد الشرقاوى ١٦٤٠
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
للشيخ / عمر البسطويسى ١٦٤٢



شـوال

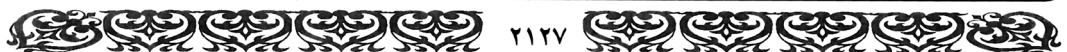
- عيد الفطر في موكب التاريخ (الافتتاحية) ١٦٥٠
- للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي
- تفسير سورة البقرة
- لفضيلة الإمام الأكبر ١٦٥٦
- البحث على العمل وقوة العزيمة
- لفضيلة الشيخ/ إبراهيم الجبالى ١٦٦٤
- التحضر أولاً.. والبداءة عند الضرورة
- للأستاذ/ عبدالله على الزيدى ١٦٦٩
- جمع القرآن وتدوينه
- للشيخ/ صديق بكر عيطة ١٦٧٢
- محمد ﷺ في كتابات المستشرقين
- للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم الطعنى ١٦٧٨
- الفرق بالجاني من خلق النبي ﷺ
- للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفى ١٦٨٧
- الدين والحضارة.
- للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٦٩٢
- الأمة مصدر السلطات.
- لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٦٩٧
- مسئولية الزوجة عن استقرار البيت
- للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة ١٧٠٠
- رمضان في بلاد الأمريكان
- لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٧٠٧
- قضية وكتابان.. بين الخضر حسين وعلى عبدالرازق
- للدكتور/ محمد عمارة ١٧١١
- الدكتور محمد السعدى فرهود مفسراً
- للدكتور/ رضا عبدالمجيد المتولى ١٧١٦
- في نقد سيرة ابن اسحاق/ ابن هشام
- للدكتور/ محمود على مراد ١٧٢٠
- ماهية الحروب الصليبية
- عرض وتقديم الدكتور/ إبراهيم عوضين ١٧٢٧
- صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي
- عرض وتقديم الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٧٣٨
- القصة القرآنية في الدراسات المعاصرة
- للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٧٤٢
- أم عربية تضجى
- للكاتب السوري خليل هندواى ١٧٤٦
- القيم في عصر المعلومات
- للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٧٥٠
- الإعجاز الطبى في القرآن الكريم
- للدكتور/ السيد الجميلى ١٧٥٤
- عكرمة بن أبى جهل
- للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٧٥٩
- غدر اليهود (قصيدة)
- للشاعر الكبير/ أحمد محرم ١٧٦٦
- العصر الذهبى للصهيونية
- للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٧٧٣
- الأزهر.. الجامعة الإسلامية الكبرى
- للأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ١٧٧٧
- طرائف.. ومواقف
- للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٧٨٠
- مكتبة مكة المكرمة.. المولد النبوى
- للأستاذ/ عبدالسلام ناصف ١٧٨٢
- فى وداع رمضان
- للأستاذ/ مجدى بشير ١٧٨٦
- خطبة الجمعة: حرب على الإسلام
- لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٧٩٠
- استفتاءات القراء
- إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس ١٧٩٤
- رسالة.. ورد
- لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٧٩٧
- رمضان والتحديات المعاصرة
- للأستاذ/ إسماعيل أبو الهيثم ١٨٠١
- بين الصحف والمجلات
- إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١٨٠٥
- بين المجلة والقارىء
- للأستاذ/ عادل خفاجة ١٨٠٩
- أنباء العالم الإسلامى
- للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٨١٥
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
- لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ١٨١٨





ذوالقعدة

- رحلات الحج من مصادر التاريخ (الافتتاحية).
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٨٢٦
- تفسير سورة البقرة.
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٨٣٢
- محمد ﷺ في كتابات المستشرقين.
للاستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٨٣٩
- الموقف الإسلامى من الحضارات غير الإسلامية.
للاستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١٨٤٨
- الإسلام ومشكلة الفقر.
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجري ١٨٥٣
- الحج منحة ربانية.
لفضيلة الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق ١٨٦٢
- ازدهار الإسلام فى العالم.
للاستاذ الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى ١٨٦٩
- الإسلام وقضية الشكل والمضمون.
للاستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٨٧٥
- كتاب الشهر: حوار الحضارات لرجاء جارودى.
تقديم الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين ١٨٧٨
- من دروس الدعوة.
للاستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٨٨٨
- فضيلة الأدب.
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٨٩٣
- قصة العدد: لو كان معه رجال.
للاستاذ/ شوقى محمود أبو ناجى ١٨٩٦
- القيم فى عصر المعلومات.
للاستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٩٠٢
- رمضان فى بلاد الأمريكان (٢).
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٩٠٧
- فى ظل آية كريمة.
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٩١٣
- إن الوعد بالنصر لخالد (قصيدة).
للاستاذ/ محمد فهمى سند ١٩٢٠
- طرائف ومواقف.
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٩٢٢
- القدس فى عيون يهودية.
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٩٢٤
- كشـمير.
للاستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٩٢٨
- المسلمون أمة مبعوثة.
للاستاذ/ محمد حسن دراز ١٩٣٢
- الحرية الإنسانية فى مفهوم علم الكلام.
للاستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٩٣٦
- الكعبة الزهراء (قصيدة).
للشاعر/ بدوى الجبل ١٩٣٨
- خطبة الجمعة: الطريق إلى الله.
للاستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٩٤٤
- رسالة ..و..رد.
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٩٤٧
- على باب الأمل.
للاستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٩٥٠
- بين الصحف والمجلات.
للاستاذ/ محمود القشنى ١٩٥٤
- بين المجلة والقارىء.
للاستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ١٩٥٦
- أنباء العالم الإسلامى.
إعداد/ محمد الشرقاوى ١٩٦١
- أنباء مكتب الإمام الأكبر.
إعداد فضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ١٩٦٣



ذوالحجّة

- الحج قراءة ميدانية لسيرة الرسول ﷺ
للاستاذ الدكتور/محمد رجب البيومي ١٩٧٠
- ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾
لفضيلة الإمام الأكبر ١٩٧٨
- الطاعات تفرج الكربات
لفضيلة الشيخ/إبراهيم الجبالى ١٩٨٤
- لماذا ن الحج إلى البيت العتيق؟
للدكتور/محمد عمارة ١٩٨٩
- الحج من الناحية التربوية
للاستاذ الدكتور/عبدالمطيف الحديدي ١٩٩٦
- في أرض النبوة (قصيدة)
للاستاذ/محمود غنيم ٢٠٠٠
- الذبيح والنحر في القرآن الكريم
للاستاذ الدكتور/عفيفي محمود عفيفي ٢٠٠٥
- بين إعلان حراء وإعلان عرفات
للاستاذ/مصطفى البسيوني ٢٠١٠
- الجبل (قصيدة)
للاستاذ الدكتور/صابر يونس ٢٠١٦
- حوار الحضارات (كتاب الشهر)
عرض وتقديم ا.د. إبراهيم عوضين ٢٠١٩
- وجود الغرب في بهو المرايا
للاستاذ الدكتور/محمد إبراهيم الفيومي ٢٠٢٨
- من الأرهابي؟
للاستاذ الدكتور/عبدالمعظيم المطعنى ٢٠٣٢
- قصة زواج ناجح
للاستاذ الدكتور/محمود محمد عمارة ٢٠٣٥
- إسلام عدى بن حاتم
عابر سبيل ٢٠٤٤
- رمضان في بلاد الأمريكان (٣)
لفضيلة الشيخ/الطاهر الحامدى ٢٠٥١
- دمة على طريق التوبة (قصيدة)
للاستاذ/محمد فهمى سند ٢٠٥٧
- الظلم
لفضيلة الشيخ/فوزى الزفزاف ٢٠٥٨
- من آيات الله في السماء
للاستاذ الدكتور/أحمد فؤاد باشا ٢٠٦١
- يا قدس (قصيدة)
للاستاذ/ربيع عبدالعزيز ٢٠٦٧
- بين النازية والصهيونية
للاستاذ/صلاح عبدالرحيم محمد ٢٠٦٨
- القدس في عيون يهودية
للدكتور/محمد حسن عبدالخالق ٢٠٧٢
- طرائف.. ومواقف
للشيخ/عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٢٠٧٦
- لزوم ما لا يلزم
بين أبى العلاء وسابقة
للاستاذ الدكتور/محمد أحمد العزب ٢٠٧٨
- الدعاة واللسان
للاستاذ الدكتور/عبدالحليم حفنى ٢٠٨٤
- جريدين عبد الله البجلي
للاستاذ/أحمد السيد تقي الدين ٢٠٨٨
- استفتاءات القراء
إعداد الشيخ/معوض مبروك عباس ٢٠٩٢
- رسالة.. و...رد
لفضيلة الشيخ/عبدالفتاح جمعان ٢٠٩٤
- سؤال وجواب
للاستاذ/مجدى بشير ٢٠٩٧
- كيف نقدم إسلامنا للغرب؟
للاستاذ/اسماعيل أبو الهيثم ٢٠٩٩
- بين الصحف والمجلات
للاستاذ/محمود الفشنى ٢١٠٢
- بين المجلة والقارئ
إعداد وتقديم/عادل خفاجة ٢١٠٤
- أنباء العالم الإسلامى
للاستاذ/محمد الشرقاوى ٢١٠٩
- أنباء مكتب شيخ الأزهر
لفضيلة الشيخ/عمر البسطويسى ٢١١١
- الفهرس السنوى لعام ١٤٢٢ هـ ٢١١٧

